تاريخ الخلفاء الراشدين "٤"

أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب

رضي الله عنه

شخصيته وعصره

دراسة شاملة

تأليف

د. علي محمد محمد الصلابي

الجزء الأول

مكتبة الصحابة

الإمارات - الشارقة



الطبعة الجديدة المعتمدة

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

مكتبة الصحابة

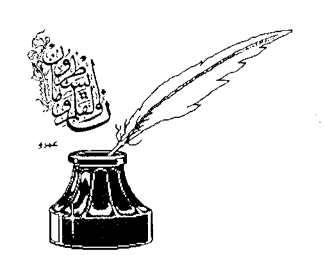
الإمـارات - الشارقة

ت: ٥٦٣٣٥٧٥ - فاكس: ٥٦٣٧٥٤٤

مكتبة التابعين

القاهرة - عين شمس

ت: ٤٩٣٨١٤٤ - فاكس: ٤٩٣٤٣٢٥



الإهداء

إلى كل مسلم حريص على إعزاز دين الله ونصرته، أهدي هذا الكتاب سائلاً المولى -عز وجل- بأسمائه الحُسنى وصفاته العُلا أن يكون خالصًا لوجهه الكريم .

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف:١١٠] .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١] .

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، ولك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضى.

أما بعد:

هذا الكتاب الرابع في دراسة عهد الخلافة الراشدة فقد صدرت عدة كتب عن الصديق والفاروق وذي النورين، وقد سميت هذا الكتاب: «أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، شخصيته وعصره»، ويتحدث هذا الكتاب عن أمير المؤمنين علي من الميلاد حتى الاستشهاد، فيبدأ بالحديث عن اسمه ونسبه ولقبه ومولده وأسرته وقبيلته وإسلامه وأهم أعماله في مكة، وعن هجرته، ومعايشته للقرآن الكريم وأثرها عليه في حياته، وعن تصوره عن الله

والكون والحياة والجنة والنار والقضاء والقدر، وعن مكانة القرآن الكريم عنده، وما نزل فيه من القرآن الكريم، وعن الأصول والأسس التي سار عليها أمير المؤمنين علي في استنباط الأحكام من القران الكريم وفهم معانيه، وعن تفسير أمير المؤمنين علي لبعض الآيات الكريمة، وعن ملازمته لرسول الله ﷺ منذ طفولته، ومعرفته العميقة بمقام النبوة وكيفية التعامل معه؛ فقد أوضح معالمه بأقواله وأفعاله، وكان حريصًا على تعليم الناس وحثهم على الاقتداء برسول الله في أقواله وأعماله وتقريراته، فبين وجوب طاعة النبي ﷺ ولزوم سنته والمحافظة عليها، وأوضح دلائل نبوة الرسول ﷺ، وفضله وبعض حقوقه على أمته ﷺ، ويجد القارئ الكريم نماذج من اتباع أمير المؤمنين علي للسنة النبوية المطهرة، ويتحدث الكتاب عن أسماء بعض الرواة عن أمير المؤمنين علي من الصحابة والتابعين وأهل بيته .

وينتقل الكتاب بالقارئ إلى حياة أمير المؤمنين في المدينة في عهد النبي ﷺ فيتكلم عن زواج أمير المؤمنين علي من السيدة فاطمة رضي الله عنها وما في هذا الزواج من دروس وعبر في المهر والجهاز، والزفاف والمعيشة والزهد وصدق لهجة السيدة فاطمة وسيادتها في الدنيا والآخرة، وترجمت للحسن والحسين رضي الله عنهما ترجمة مختصرة، وبينت فضلهما وما ورد فيهما من أحاديث عن رسول الله ﷺ، وتكلمت عن مفهوم أهل البيت عند أهل السنة، وما يخصهم من أحكام؛ كتحريم الزكاة عليهم، وكونهم لا يرثون رسول الله ﷺ، وحقهم في خمس الخمس في الغنيمة والفيء، والصلاة عليهم مع النبي ﷺ، ووجوب محبتهم واحترامهم ومودتهم، وبينت مواقف أمير المؤمنين في سرايا رسول الله وغزواته؛ كبدر وأحد والخندق، وبني قريظة، والحديبية وخيبر، وفتح مكة، وغزوة حنين، وعن استخلاف النبي ﷺ لعلي على المدينة في غزوة تبوك ٨هـ، وحج أبي بكر بالناس ودور علي رضي الله عنه الإعلامي ووفد نصارى نجران وآية المباهلة، وإرسال النبي ﷺ عليًّا داعيًا وقاضيًا لليمن، وأقضيته التي حكم بها في اليمن السعيد

الحبيب، ومواقف علي في حجة الوداع، وقصة الكتاب الذي همّ النبي صلى الله عليه وسلم بكتابته في مرض موته، وعن علاقة علي بالخلفاء الراشدين، ومكانته في دولة الخلافة الراشدة، فتكلمت عن مبايعته لأبي بكر بالخلافة ومساندته له في حروب الردة، وتقديمه وتفضيله للصديق، واقتدائه به في الصلوات وقبول الهدايا منه.

وأشرت إلى العلاقة بين الصديق والسيدة فاطمة وقصة ميراث النبي صلى الله عليه وسلم ورددت على الشبهات الرافضية حول قصة الميراث ونسفت حججهم، وأدلتهم بالبراهين القاطعة والأدلة الناصعة، وكشفت الستار عن رواياتهم الضعيفة والموضوعة، وأثبت محبة السيدة فاطمة للحق والتزامها بالشريعة، واحترامها لخليفة رسول الله أبي بكر، وتسامحها معه، واحترام أهل البيت للصديق والمصاهرات المتبادلة بين آل الصديق وأهل البيت، ومحبتهم له وتسمية أولادهم عليه، وتحدثت عن مساهمات علي في عهد الفاروق في الأمور القضائية، والتنظيمات المالية والإدارية واستخلاف عمر لعلي على المدينة مرارًا، ومشاورته له في أمور الجهاد وشؤون الدولة وعن العلاقة الحميمة المتينة بين الفاروق وأهل البيت، وزواج عمر من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، وحقيقة هذا الزواج الميمون المبارك وتركت الحجج الدامغة، والبراهين الساطعة تنسف الأكاذيب من جذورها فتركتها قاعًا صفصفا، وأخذت الحقائق التاريخية ترسم لنا حقيقة المحبة والمودة بين الصحابة الكرام، كما جاءت في القرآن الكريم، ووضحت بيعة علي لعثمان رضي الله عنه، ورددت على الأكاذيب التي ألصقت بها، وتحدثت عن جهوده في دعم دولة ذي النورين، ودفاعه عنه أمام الغوغاء ومواقفه في فتنة مقتله في بدايتها وأثناء الحصار وبعد استشهاده، وتحدثت عن المصاهرات بين آل علي وآل عثمان، وأتيت بأقوال علي في الخلفاء الراشدين الذين سبقوه في الدلالة على محبتهم واحترامهم ومودتهم والبراءة ممن يسبهم ويشتمهم، وإقامة حد المفتري على من يسب الشيخين ولا يتمالك القارئ المسلم نفسه من البكاء وهو يتأمل في أقوال أمير المؤمنين في الخلفاء وتعامله مع ذلك الجيل القرآني الفريد وساداته الكرام.

قال الشاعر:

ومن عَجَبٍ أنِّي أحِنُّ إليهمُ
وأسْأَلُ عَنْهُم مَن لَقِيتُ وهُمْ مَعِي
وتَطْلُبُهُمْ عَيْني وهُمْ فِي سَوَادِها
ويشْتَاقُهُم قَلْبِي وهُمْ بينَ أَضْلُعِي

وقال الشاعر:

إنِي أُحِبُّ أبَا حَفْصٍ وَشِيعَتَه
كَمَا أُحِبُّ عَتِيقًا صَاحِبَ الغَارِ
وَقَدْ رَضِيتُ عَلِيًّا قُدْوَةً عَلَمًا
وَمَا رَضِيتُ بِقَتْلِ الشَّيْخِ (١) في الدَّارِ
كُلُّ الصَّحَابَةِ سَادَاتِي ومُعْتَقَدِي
فَهَلْ عَلَيَّ بِهَذَا القَوْلِ مِنْ عَارِ

هذا وقد تحدثت عن بيعة علي بالخلافة وكيف تمت؟ وعن أحقيته بها، وإجماع الصحابة على ذلك، وبيعة طلحة والزبير له طوعًا بدون ضغط أو إكراه، وانعقاد الإجماع على خلافته، وشروط أمير المؤمنين في بيعته وأول خطبة له، وأهل الحل والعقد في دولته، وشيء من فضائله وأهم صفاته وقواعد نظام حكمه، وتوسعت في الحديث عن صفاته، فبينت علمه الواسع وفقهه الغزير، وزهده، وتواضعه، وكرمه وجوده، وحياءه، وشدة عبوديته وصبره، وإخلاصه، وشكره لله، ودعاءه الخاشع، وعن المرجعية العليا لدولته، وسيرها على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والاقتداء بالخلفاء الراشدين الذين سبقوه، وعن حق الأمة في الرقابة على الحكام، والشورى، والعدل والمساواة، والحريات وعن

(١) الشيخ هو: عثمان رضي الله عنه.

حياته في المجتمع واهتمامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودعوته للتوحيد ومحاربته للشرك، وتعريفه الناس بأسماء الله وصفاته، وبنعم الله المستوجبة لشكره، وحرصه على محو آثار الجاهلية، وحرصه على بطلان الاعتقاد بالكواكب، وإحراقه لمن غلوا فيه وادعوا فيه الألوهية، وحديثه عن كيفية بداية الإيمان في القلب وتعريفه للتقوى، ومفهوم القضاء والقدر، وكيف يحاسب الله العباد على كثرة عددهم؟.

ونقلت شيئًا من خطبه ومواعظه، وما ينسب إليه من شعر أو يتمثل به في مناسبات عديدة، واخترت مجموعة قيمة من حكمه التي سارت مضرب المثل بين الناس، وتكلمت عن حديثه عن صفات خيار العباد، وعن تطوع النبي ﷺ، ووصف الصحابة الكرام، وتحذيره من الأمراض الخطيرة التي تصيب القلوب؛ كطول الأمل واتباع الهوى، والرياء، والعجب وعن اهتمامه بترشيد الأسواق، ومحاربته للبدع، والأعمال التي تخالف الشرع في أوساط الناس، وتحدثت عن المؤسسات التي في دولته؛ كالمالية، والقضائية ومؤسسة الولاة، وعن الخطة القضائية والتشريعية في عهد الخلفاء الراشدين والمصادر التي اعتمدها الصحابة في ذلك العهد، وعن ميزات القضاء في عهد الخلفاء الراشدين، وعن أشهر قضاة أمير المؤمنين علي وعن أسلوبه القضائي، ونظرته للأحكام الصادرة قبله، والمؤهلين للقضاء، ومجانية الحصول على الحكم، وعن اجتهاداته الفقهية في العبادات، والمعاملات المالية، والحدود والقصاص والجنايات وأشرت إلى مسألة حجية قول الصحابي والخلفاء الراشدين، وبينت في حديثي مؤسسة الولاة، وأقاليم الدولة في عهده وما وقع في كل إقليم من أمور جسام، وتكلمت عن منهجه في تعيين الولاة، ومراقبته لعماله وبعض توجيهاته، والصلاحيات الممنوحة للولاة، من تعيين وزراء مع كل والي في كل إقليم، وتشكيل مجالس الشورى وإنشاء الجيوش في كل ولاية، وترسيم السياسة الخارجية في مجال الحرب والسلم والحفاظ على الأمن الداخلي وتشكيل الجهاز القضائي في كل

ولاية، والنفقـات المالية، والعمال التابـعين لكل ولاية ومتابعتـهم، ودور العرفاء والنقبـاء في تثبـيت نظام الولايات، ووضحت بعض المفـاهيم الإدارية من أقوال أمير المؤمنين علي ﵁؛ كتأكيـده على العنصر الإنساني، وعامل الخبرة والعلم، والعلاقة بين الرئيس والمرؤوس، ومكافـحة الجمود، والرقابة الواعـية، والضبط، والمشاركة في صنع القرار وحسن الاختيار لدى الوالي والضمانات المادية والنفسية لموظفي الدولة، ومرافقة ذوي الخبرات، ومـفهوم الإدارة الأبوية، وكون التوظيف يتم عبر الضوابط وليس عبر الروابط الشخصية.

ثم انتقلت إلى المشـاكل الداخلية في عهد علـي ﵁، فتحدثت عن مـعركة الجمل مبتدأ بالأحداث التي سبقـتها وعن أثر التنظيم السبئي في اندلاعها، ودور عبدالله بن سبأ في إذكاء الفتن الداخلية، وعن اختلاف الصحابة في الطريقة التي يأخذ بهـا القصـاص من قتلة عثـمان، وعن موقف السـيدة عـائشة أم المؤمنين، وطلحة والزبير ومعاوية بن أبي سفيان ومن كان معهم في الإسراع بالقصاص من قتلة عـثمان، وبينت موقف مـعتزلي الفتنة؛ كـسعد بن أبي وقاص وعـبدالله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، وأبي مـوسى الأشعري، وعمران بن حصين، وأسامة بن زيد ومن سار على نهجهم، وتكلمت عن موقف المتـريثين في تنفيذ القصاص حتى تستـقر الأحوال، كأمير المؤمنين علي، وعن مـحاولات الصلح قبل اندلاع معركـة الجمل، وعن نشوب القتال، وجولتـه الأولى والثانية، واستشـهاد طلحة والزبير، ومبايعة أهل البصرة لعلي ﵁، وعن موقف علي ﵁ من أم المؤمنين عائشة وكيف عـاملها واحترمها وقدرها وردها إلى المدينة مـعززة مكرمة وأشرت إلى فضائـلها وشيء من سيرتهـا، كما ترجمت للزبيـر وطلحة ﵄ لكونهم من الشخصيات المؤثرة في عهد النبوة والخلافة الراشدة وفي عهد أمير المؤمنين علي، ودافعـت عنهم دفاعًـا عن الحق لكونهم ظلمـوا، فبـينت فضلهم ومكانتـهم في الإسلام، ورددت على الشبـهات والأكاذيب التي ألصقت بهـم من خلال إثبات الحقـائق الناصعة، والحـجج الدامغة، وصـفاتهم الرفـيعة، وأخـلاقهم الكريمة،

بحيث يخرج القارئ المسلم بمعرفة حقيقية لا لبس فيها ولا غموض، لهذه الشخصيات الفذة، فلا يتأثر بالروايات الضعيفة، ولا القصص الموضوعة التي وضعها مؤرخو الشيعة الرافضة والتي شوهت ثقافة الناس عن هذه الشخصيات العظيمة، فالحديث عن ترجمة عائشة أو طلحة والزبير أو غيرهم من كبار الصحابة التي ساهمت في الأحداث التي وقعت في عهد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ينسجم مع منهجي في دراسة شخصية أمير المؤمنين وعصره، والشخصيات التي أثرت في ذلك العهد ملتزمًا في طرحي بمنهج أهل السنة والجماعة جملة وتفصيلاً، أصولاً وفروعًا.

قال الشاعر: أبو محمد القحطاني:

أَكْرِمْ بِطَلْحَةَ والزُّبَيْرِ وَسَعْدِهِمْ
وسَعِيدِهِمْ وبِعَابِدِ الرَّحْمَنِ

وَأَبِي عُبَيْدَةَ ذي الدِّيَانَةِ والتُّقَى
وامْدَحْ جَمَاعَةَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ

قُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي صَحَابَةِ أَحْمَدٍ
وامْدَحْ جَمِيعَ الآلِ والنِّسْوَانِ

دَعْ مَا جَرَى بينَ الصَّحَابَةِ في الوَغَى
بسُيُوفِهِم يومَ التَقَى الجَمْعَانِ

فَقَتِيلُهُم وقَاتِلُهم لَهُم
وكِلاهُمَا في الحَشْرِ مَرْحُومَانِ

واللهُ يَوْمَ الحَشْرِ يَنْزَعُ كُلَّ مَا
تَحْوِي صُدُورُهم من الأَضْغَانِ

لا تَرْكَنَنَّ إِلَى الرَّوَافِضِ إِنَّهُم
شَتَمُوا الصَّحَابَةَ دونَ مَا بُرْهَانِ

لُعِنُوا كَمَا بَغَضُوا صَحَابَةَ أحْمَدٍ
وَوِدَادُهُم فَرْضٌ على الإنْسَانِ
حُبُّ الصَّحَابَةِ والقَرَابَةِ سُنَّةٌ
أَلْقَى بِهَا رَبِّي إِذَا أَحْيَانِي

وقال أيضًا :

إنَّ الرَّوَافِضَ شَرُّ مَنْ وَطِئَ الحَصَى
مِنْ كُلِّ إِنْسٍ نَاطِقٍ أَوْ جَانِ
مَدَحُوا النَّبِيَّ وَخَوَّنُوا أَصْحَابَه
وَرَمَوْهُمُ بِالظُّلْمِ والعُدْوَانِ
حبُّوا قَرَابَتَه وسَبُّوا صَحْبَه
جدلان عند الله منتقصان
فكأنّما آلُ النَّبيِّ وصَحْبُه
رُوحٌ يَضُمُّ جَمِيعَها جَسَدَانِ
فِئَتَانِ عَقْدُهُمَا شَرِيعَةُ أَحْمَدٍ
بِأَبِي وأمِّي ذَانِكَ الفِئَتَانِ
فِئَتَانِ سَالِكَتَانِ في سُبُلِ الهُدَى
وهُمَا بِدِينِ اللهِ قَائِمَتَانِ

هذا وقد تحدثت عن معركة صفين، ودوافع معاوية ﷺ في عدم البيعة، والمراسلات التي تمت بينه وبين علي ﷺ، ومحاولات الصلح، ونشوب القتال، والدعوة إلى التحكيم، ومقتل عمّار بن ياسر ﷺ وأثره على المسلمين، وعن المعاملة الكريمة من الطرفين أثناء الحرب والمواجهة، ومعامله الأسرى، وعدد

القتلى وترحم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على قتلى الطرفين، ونهيه عن شتم معاوية ولعن أهل الشام، ثم تكلمت عن قصة التحكيم، فترجمت لسيرة أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما، وبينت بطلان الأكاذيب والقصص الواهية، والموضوعه التي ألصقت بهما في حادثة التحكيم، وأشرت إلي كيفية الاستفادة من قصة التحكيم في فض النزاعات بين الدول الإسلامية، وركزت على موقف أهل السنة من تلك الحروب، وحذرت من بعض الكتب التي شوهت تاريخ الصحابة بالظلم والعدوان؛ ككتاب الإمامة والسياسة المنسوب زوراً لابن قتيبة، وكتاب الأغاني للأصفهاني، وتاريخ اليعقوبي، والمسعودي وغيرها من الكتب المنحرفة عن منهج أهل السنة والجماعة، وبينت دور المستشرقين في تحريف التاريخ الإسلامي وتزويره وتشويهه، وكيف استفادوا من كتب الشيعة الروافض، وأسسوا مدرسة معارضة ساهمت في تلويث الأفكار، وتحريف الوقائع وطمس الحقائق، وتوسيع النقاط السوداء في تاريخنا مع المبالغة والتهويل تحت شعارات برّاقة؛ كالبحث العلمي النزيه، والواقعية، والموضوعية، والحياد، وتبنى تلك الأفكار التدميرية، مجموعة من أبناء المسلمين ينتمون للإسلام لا يحسنون فهمه ولا عرضه، ولا العمل به، ولا الدفاع عنه، بل تورطوا في شباك أعداء الإسلام، الذين يعملون على تشويه تاريخ هذه الأمة وحضارتها التي صنعها دينها العظيم.

هذا وقد قمت بدراسة موضوعية علمية في الفصل الأخير عن الخوارج والشيعة الرافضة، فبينت نشأة الخوارج وعرفت بهم، وذكرت الأحاديث النبوية التي تضمنت ذمهم، وانحيازهم إلي حروراء ومناظرة ابن عباس لهم، وسياسة أمير المؤمنين في التعامل معهم، وأسباب مقاتلته لهم، ونشوب القتال معهم، وقصة ذي الثدية أو المخدج وأثر مقتله على جيش علي رضي الله عنه، ووقفت مع الأحكام الفقهية التي اجتهد فيها أمير المؤمنين علي في معاركه في الجمل وصفين والخوارج، وكيف اعتمد عليها الفقهاء فيما بعد، ودونوها في كتبهم بما يعرف بأحكام فقه البغاة،

وأشرت إلي أهم صفات الخوارج في عهد أمير المؤمنين علي، كالغلو في الدين، والجهل به، وشق عصا الطاعة، والتكفير بالذنوب واستحلال دماء المسلمين وأموالهم، والطعن والتضليل، وسوء الظن، والشدة على المسلمين، وناقشت بعض الآراء الاعتقادية للخوارج؛ كتكفير صاحب الكبيرة، ورأيهم في الإمامة، وطعنهم لبعض الصحابة وتكفيرهم لعثمان وعلي رضي الله عنهما، وتطرقت لأسباب انحراف الخوارج ونزعاتهم في العصر الحديث؛ كالجهل بالعلوم الشرعية بسبب الإعراض عن العلماء، والقراءة من الكتب بدون معلم، وغلوهم في ذم التقليد، وتخلي كثير من العلماء عن القيام بواجبهم وشيوع الظلم والتحاكم للقوانين الوضعية، وانتشار الفساد بين الناس، وعدم تزكية النفوس، وأشرت إلى أهم مظاهر غلوهم؛ كالتشدد في الدين على النفس والتعسير علي الآخرين، والتعالم والغرور، والاستبداد بالرأي وتجهيل الآخرين، والطعن في العلماء العاملين، وسوء الظن، والشدة والعنف مع الآخرين، وتكفير المسلمين.

وتكلمت عن فرقة الشيعة الرافضة، فبينت معنى الشيعة في اللغة والاصطلاح، ومعنى الرفض في اللغة والاصطلاح، وسبب تسميتهم بالرافضة، ونشأتهم ودور اليهود في ذلك، والمراحل التي مرّ بها الشيعة وأهم عقائد الشيعة الرافضة وموقف أمير المؤمنين وعلماء أهل البيت من تلك العقائد المنسوبة إليهم كعقيدة الإمامة وحكم من جحدها، والعصمة ومناقشة أدلتهم على العصمة وبيان بطلانها، وكذلك أدلتهم على النص من القرآن الكريم؛ كآية التطهير، والمباهلة، والولاية، وأدلتهم المزعومة من السنة؛ كخطبة غديرخم، وحديث: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»، وبيان الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي استدلوا بها على الإمامة؛ كحديث الطائر، وحديث «الدار»، و«أنا مدينة العلم وعلي بابها».

وألحقت بالكتاب فهرسًا للأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يحتج بها الشيعة الرافضة لتحذير المسلمين من الوقوع في حبائلهم، وبينت حقيقة التوحيد عند الشيعة الرافضة وكيف حرفوا نصوص التوحيد وجعلوها في ولاية الأئمة،

وجعلوا الإمامة أصل قبول الأعمال، واعتقادهم أن الأئمة هم الواسطة بين الله وخلقه، وقولهم: لا هداية للناس إلا بالأئمة، ولا يقبل الدعاء إلا بأسماء الأئمة، وكون الحج إلى المشاهد الشيعية أعظم عندهم من الحج إلي بيت الله، وكون الإمام عندهم يحرم ما يشاء ويحل ما يشاء، وأن الدنيا والآخرة كلها للإمام يتصرف بها كيف يشاء، وإسناد الحوادث الكونية إلى الأئمة، وقولهم: إن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء، وغلوهم في الإثبات، وحقيقة التعطيل عندهم، ومسألة خلق القرآن، ومسألة رؤية الله عز وجل في الآخرة، وتفضيلهم الأئمة على الأنبياء والرسل، وموقفهم من القرآن الكريم واعتقاد بعض علمائهم بتحريف كتاب الله عز وجل والرد عليهم، وموقف الشيعة الرافضة من الصحابة الكرام والسنة النبوية المطهرة، ومفهوم التقية عند القوم، وعقيدة المهدي المنتظر عندهم، والرجعة، وقولهم بالبداء على الله سبحانه وتعالى، وقد بينت موقف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأئمة أهل البيت الأطهار، وعلماء أهل السنة من تلك العقائد الفاسدة والمنحرفة عن كتاب الله تعالى والتزمت في مناقشتي بالأدب والابتعاد عن السب والشتم، ومناقشة القوم من خلال أصولهم وكتبهم المعتمدة، والحرص على بيان الحقيقة لمحبي أهل البيت من الشيعة ودعوتهم بالاقتداء بأمير المؤمنين علي رضي الله عنه وتحذيرهم من المندسين تحت عباءة أهل البيت لغرض إفساد عقائد الناس وإبعادهم عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، كما أن هناك رغبة صادقة مخلصة لتعريف الجمهور العريض من أهل السنة لحقيقة هؤلاء الشيعة الرافضة، فالقضية لها وجودها وآثارها بين الشعوب في إفريقيا، وآسيا، وأوروبا والأميركتين ودعاة التشيع الرافضي نشطون في دعوتهم المنحرفة يبذلون في سبيلها الغالي والنفيس، ويتحالفون مع خصوم الإسلام الصحيح لضربه والقضاء عليه، وتشويه منهجه، وهذا ليس بجديد وأهل السنة إلا ما رحم الله في استرخاء عجيب، ونوم عميق وغفلة عمّا يراد بهم، وبعضهم يقول: إن الصراع السني الشيعي الرافضي قد عفا

عليه الـزمن، وهذا الكلام عاري من الحـقيقـة، ودليل على الجهل، وفي طـياته خداع لجمهور المسلمين العريض، باسم التقريب وتوحيد الصف الإسلامي.

إن المنهج الصـحيح للتقـريب هو أن يقوم علمـاء أهل السنة بجهد كـبيـر لنشر اعتقادهم الصحيح المنبثق من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وبيان صحته وتميزه عن مذهب أهل البدع، فأهل السنة والجماعة هم المتبعون لما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحـابه ونسبـتهم إلى سنة الرسـول ﷺ التي حث على التـمسك بها بـقوله ﷺ: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ**»[(١)]، وحذر من مخالفتها بقوله: «**وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعـة وكل بدعة ضلالة**»[(٢)]، وقوله: «**من رغب عن سنتي فليس مني**»، وهذا بخلاف غيرهم من أهل الأهواء والبدع الذين سلكوا مسالك لم يكن عليها الرسول ﷺ، فأهل السنة ظهرت عقيدتهم بظهور بعـثته ﷺ ـ وهي محفوظة بحفظ الله لها في كـتابه وسنة رسـوله ﷺ ـ وأهل الأهواء ولدت عقائـدهم بعد زمنه ﷺ، ومنها ما كـان في آخر عهد الصـحابة ومنها ما كـان بعد ذلك، والرسول ﷺ أخبر أن من عاش من أصحابه سيـدرك هذا التفرق والاختلاف فقال: «**وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كـثيرًا**»[(٣)]، ثم أرشد إلى سلوك الصراط المسـتقيم، وهو اتباع سنته وسنة خلفائه الراشدين، وحذر من مـحدثات الأمور، وأخبر بأنها ضلال، وليس من المعـقول ولا المقبول أن يُحجب حق وهدي عـن الصحابة ﷺ ويُدخر لأناس يجـيؤون بعـدهم، فإن تلك البدع المحـدثة كلها شـر، ولو كان في شيء منهـا خير لسـبق إليه الصـحابة، لكنهـا ابتُلي به كـثير ممن جاء بـعدهم ممن انحرفوا عما كان عليه الصحابة ﷺ، وقد قال الإمام مالك رحمه الله: لن يصلح آخـر هذه الأمة إلا بما صلح به أولهـا، ولذا فـإن أهل السنة ينتـسبـون إلى السنة وغيرهم ينتسبون إلى نحلهم الباطلة، أو إلى أسماء أشخاص معينين.

إن المنهج الأصيل للتـقريب هو بيان الحق وكـشف الباطل وتقريب الشيـعة إلى

---

(١) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢/ ٦٤٧ـ٦٤٨)

(٢) «مسلم» في (٢/ ٥٩٢)

(٣) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢/ ٦٤٧ـ٦٤٨).

كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفهم الإسلام الصحيح من خلال علماء أهل السنة وعلى رأسهم فقهاء وعلماء أهل البيت؛ كأمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأبنائه وأحفاده، كما أنه ينبغي التنويه، وتشجيع الأصوات الإصلاحية الشيعية الصادقة واحترامها وتقديرها والوقوف معها في نصيحة أقوامها، كالذي قام به السيد حسين الموسوي في كتابه القيم «لله ثم للتاريخ، كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار»، وكالجهد العلمي الذي قام به السيد أحمد الكاتب مشكوراً في كتابه «تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه»، وعلينا أن نقف مع كل محب صادق لأهل البيت مقتفيًا لآثارهم الصحيحة وهديهم الجميل في إرشاد الناس لكتاب الله وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام، ونعاملهم بكل احترام وتقدير، ونأخذ بأيديهم نحو شواطئ الأمان ونحثهم على إعمال العقل، وتحريره من أغلاله، وإزاحة الركام الثقيل من الأباطيل التي على الفطر، حتى تأخذ العقول النيرة، والفطر السليمة مجالها في الوصول للحقيقة التي لها نوراً ساطعًا وبريقًا لامعًا لا تخفيه الغيوم.

وعلى علماء أهل السنة أن يلتزموا أسلوب البحث العلمي الهادئ في مناقشة بدع المبتدعة وأن يترفقوا معهم، وقد يكون من تمام الترفق زيارتهم ومعاونتهم في الحدود التي لا خلاف فيها أو نجدتهم في الملمات وأيام المصاعب أو نصرهم إذا كانوا في نزاع مع الكافر أو ظالم لهم، وفق فقه السياسة الشرعية الخاضعة للمصالح والمفاسد إلا أن هذا الأصل في التعاون وحسن العلاقة وهدوء البحث، لا يمكن أن يطرد دائمًا ليشمل من يأتي من الشيعة الرافضة بغلو قد يكون في السكوت عنه تحريك الغوغاء والدهماء، بل الواجب أن ننكر على أهل الغلو الشديد، والأقوال الشاذة في كل الأحوال، والحد المميز بين الطائفتين الأولى التي نترفق معها في الكلام والثانية، التي نغلظ لها الكلام، إنما يكون كامنًا في مدى اعتماد القائل على نص شرعي تتكون منه شبهة أو على تأويل قد تميل إليه بعض الأذهان، وأما من يتتبع غرائب النقول عن المجاهيل والمتأخرين ومن لا تأويل له فالإنكار منا تجاهه أولى، وربما كان الإغلاظ في إنكار بدعته أوجب.

قال الشاعر:

وَاحْــذَرْ مُــجَــادَلَةَ الرِّجَــالِ فَــإِنَّهــا
تَــدْعُـــو إِلَى الشَّـــحْنَاءِ والشَّنَانِ
وَإِذَا اضْطَرَرْتَ إِلى الجِــدَالِ وَلَمْ تَجِــدْ
لَكَ مَـــهْــرَبًا وَتلاقَتْ الصَّـــفَّـــانِ
فَـــاجْــعَلْ كِــتَــابَ اللهِ دِرْعًــا سَــابِغًــا
والشَّـــرْعَ سَــيْــفَكَ وابْدُ فِي المَيْــدَانِ
والسُّــنة البَــيْـــضَـــاءَ دونك جُنَّةً
وارْكَبْ جَــوَادَ العَــزْمِ فِي الجَــوَلاَنِ
واثْبُتْ بِصَــبْــرِكَ تَحْتَ ألوية الهُــدَى
فَـــالصَّـــبْـــرُ أَوثَقُ عُــدَّةِ الإِنْسَـــانِ
واطْعَنْ بِرُمْـحِ الحقِّ كُلَّ مُـــعَـــانِدٍ
لِلَّه دَرُّ الفَـــــارِسِ الطَّعَّـــــانِ
واحْمِلْ بِسَيْفِ الصِّدقِ حَمْلَةَ مُخْلِصٍ
مُــتَــجَــرِّدًا لله غَــيْــرَ جَــبَــانِ

كما أن علماء أهل السنة وأهل الحل والعقد منهم في المجتمعات الطائفية لهم دور كبير في قيادة المسلمين نحو الخير، فهم الذين يقدرون المواقف السياسية والتحالفات الحزبية مع الطوائف الأخرى وفق فقه المصالح والمفاسد الذي تضبطه قواعد السياسة الشرعية، وهذا لا يمنع العلماء والدعاة من تعليم المسلمين أصول منهج أهل السنة وتربيتهم عليه ودعوة الناس إليه، والتحذير من العقائد الفاسدة المندسة في أوساط المسلمين حتى لا يتأثروا بها والتي يجتهد دعاتها في

نشرها بالليل والنهار والسر والإعلان بدون ملل ولا كلل، ولنا أسوة حسنة في رسول الله ﷺ إبان هجرته للمدينة عندما عقد المعاهدات مع اليهود التي تؤمّن لهم حياة كريمة في ظل الدولة الإسلامية، وكان القرآن الكريم في نفس الوقت يتحدث عن عقائد اليهود وتاريخهم وأخلاقهم حتى يتعرف المسلمون على حقيقة الشخصية اليهودية فلا ينخدعوا بها، وعندما غدر اليهود كان الصف الإسلامي محصنا ضد هذه الطائفة.

إن الدّارس لحركة التاريخ الإسلامي؛ كمرحلة الحروب الصليبية في عهد نور الدين وصلاح الدين، وزمن العثمانيين في عهد السلطان محمد الفاتح وغيره، والمرابطين، في عصر يوسف بن تاشفين، يلاحظ أن عوامل النهوض، وأسباب النصر كثيرة منها؛ صفاء العقيدة، ووضوح المنهج، وتحكيم شرع الله في الدولة، ووجود القيادة الربانية التي تنظر بنور الله، وقدرتها في التعامل مع سنن الله في تربية الأمم، وبناء الدول وسقوطها، ومعرفة علل المجتمعات، وأطوار الأمم، وأسرار التاريخ، ومخططات الأعداء، من الصليبيين واليهود والملاحدة والفرق الباطنية، والمبتدعة، وإعطاء كل عامل حقه الطبيعي في التعامل معه، فقضايا فقه النهوض، والمشاريع النهضوية البعيدة المدى متداخلة متشابكة لا يستطيع استيعابها إلا من فهم كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ، وارتبط بالفقه الراشدي المحفوظ عن سلفنا العظيم فعلم معالمه وخصائصه وأسباب وجوده وعوامل زواله، واستفاد من التاريخ الإسلامي وتجارب النهوض، فأيقن بأن هذه الأمة ما فقدت الصدارة قط وهي وفية لربها ونبيها ﷺ وعلم بأن الهزائم العسكرية عرض يزول، أما الهزائم الثقافية فجرح مميت، والثقافة الصحيحة تبني الإنسان المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم، والدولة المسلمة على قواعدها المتينة من كتاب الله وسنة رسوله وهدي الخلفاء الراشدين ومن سار على نهجهم، وعبقرية البناء الحضاري الصحيح هي التي أبقت صرح الإسلام إلى يومنا هذا، بعد توفيق الله وحفظه.

فعلينا أن نعمل لهذا الدين، وسعادتنا ليست باقتطاف الثمر العاجل، وإنما في الشعور بتوفيق الله والأمل في رضاه، إنني في دراستي لعهد الخلافة الراشدة حاولت أن أنتقي الكلمات وأصف الأسطر والجمل لتجلية عهد الخلافة الراشدة، من خلال الروايات الصحيحة؛ لكي يستفيد أبناء المسلمين من تلك الحقبة، العلم الغزير، والفقه الدقيق، وشمولية فهم الإسلام، فلعل الله سبحانه أن يبارك في هذا الجهد وينتفع به أولئك الدعاة الذين لا نعرف أسماءهم، ولكن سيرى التاريخ آثارهم وسيقيلون العالم الإسلامي من عثرته وينهضون به من كبوته، أولئك الربانيون المتجرِّدون الذين عرفوا الحق واستشعروا السعادة في نصرته، وتعصبوا له ودافعوا عنه ووقفوا بجانبه على رقة الحال وقلة النصير، فأخذ الله بأيديهم لصدقهم وإخلاصهم ومتابعتهم للنبي ﷺ، وأولئك العلماء، وطلاب العلم الذين توزن مداد أقلامهم بدماء الشهداء، وأولئك التجار الذين يقفون خلف موكب الدعوة بأموالهم وثرواتهم وأنفسهم ولسان حالهم يقول: ﴿**لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً (٩) إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً**﴾ [الإنسان: ٩-١٠]، وأولئك الجنود المجهولون في هذه الدنيا، ولكنهم غدا أعلام شامخة في رُبى الخلد، إن العواصف العاتية تهب بعنف تريد اجتياح إسلامنا وديننا وعقيدتنا من جذورها، وجهود خصوم الإسلام من الصليبية واليهودية والعلمانية والباطنية والمبتدعة تستبيح قادتنا وكبراءنا في ميدان العلم والأدب والسياسة، وتريد تشويه تاريخنا فعندما نكون أمة بدون تاريخ، فلن نكون أمة صالحة. فما قيمة أمة ليس لها رجال؟ فهل يمكننا أن نستلهم الدروس والعبر من تاريخنا ما يخزي أعداء الله ويرد كيدهم في نحورهم، وما يساعدنا على استئناف رسالتنا ودعم حضارتنا؟.

إن الإنسانية تترنح في هذه الآونة الكالحة من التاريخ؛ لبعدها عن منهج الله تعالى، والدواء عند المسلمين وحدهم فهل ينصفون أنفسهم، وينقذون الآخرين؟.

قال الشاعر:

ومِنَ العَجَائِبِ والعَجَائِبُ جَمَّةٌ
قُرْبُ الحَبِيبِ ومَا إِلَيْهِ وصُولُ
كَالعِيسِ فِي البَيْدَاءِ يَقْتُلُهَا الظَّمَا
وَالْمَاءُ فَوْقَ ظُهُورِهَا مَحْمُولُ

فهل من عودة إلى الإسلام، تزكي السرائر، وتبني الأخلاق، وتصلنا بالقرآن الكريم، وتشعرنا بشرف الانتماء إلى محمد ودينه وضرورة العمل بدعوته وسنة خلفائه الراشدين، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر أصحابه الكرام، رضي الله عنهم أجمعين، ونكون حلقة موصولة، في دعم رسالة الحبيب ﷺ التي استوعبت الزمن كله.

وقبل الحديث عن المصادر والمراجع التي تعاملت معها، لابد من الاعتراف بأن هذا الجهد، لولا توفيق الله سبحانه وتعالى ثم جهود علماء أهل السنة وطلاب العلم ممن ساروا على منهجهم، ما استطعت أن أبحر في هذا البحر العميق ولذلك أقر بأنني استفدت من الرسائل العلمية التي طبعت والتي لم تنشر، من حيث المادة والمنهج، والحكم على الروايات، والرجوع إلى المصادر الحديثية، والتاريخية وغيرها مع محاولة التطوير والاستفادة من جهود الآخرين في البناء، وأخص بالذكر الدكتور أكرم ضياء العمري الذي أشرف وناقش الكثير من هذه الرسائل في هذا المجال، فقد استفدت من كتبه؛ كالسيرة النبوية الصحيحة، وعصر الخلافة الراشدة، ومن الرسائل التي أشرف عليها كرسالة الدكتور يحيى اليحيى: «الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح الباري جمعًا وتوثيقًا»، ورسالة الأستاذ عبدالعزيز المقبل في «خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه» من خلال كتب السنة والتاريخ، دراسة نقدية للروايات باستثناء حروب الردة، ورسالة الدكتور عبدالعزيز ابن محمد الفريح في تحقيق كتاب: «محض الصواب في

فضائل أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب» ليوسف بن الحسن بن عبدالهادي الدمشقي الصالحي الحنبلي، ورسالة الدكتور محمد بن عبدالله الغبان في «فتنة مقتل عثمان بن عفان»، ورسالة الأستاذ عبدالحميد علي ناصر في خلافة علي بن أبي طالب، وغير ذلك من الرسائل الجامعية التي أشرف عليها أساتذة آخرون؛ كرسالة د. محمد المحزون في «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة» من روايات الطبري والمحدثين، ورسالة سليمان العودة: «عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام»، ورسالة الأستاذة أسماء محمد أحمد زيادة: «دور المرأة السياسي في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين»، وغير ذلك من الرسائل الجامعية، فالفضل لله سبحانه وتعالى ثم لأساتذتي وإخواني الذين مهدوا لي الطريق فلهم مني الدعاء في ظهر الغيب بأن يتقبل الله جهودهم وتكون في ميزان حسناتهم، ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

أما المصادر التي في هذه الدراسة المتعلقة بعهد الخلافة الراشدة فهي:

١- كتب الحديث:

وقد بدأت بالكتب الستة صحيحي البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، ثم موطأ مالك ومسند أحمد، فبذلت جهداً لاستخراج المادة التاريخية، التي لها علاقة بعهد الخلافة الراشدة، ثم جمعت مادة تاريخية من مصنف عبدالرزاق وابن أبي شيبة ومستدرك الحاكم والسنن الكبرى للبيهقي وسنن سعيد بن منصور، ومسند الحميدي والطيالسي وسنن الترمذي، ومجمع الزوائد وكشف الأستار عن زوائد البزار وموارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، ولم أغفل المعجم الكبير للطبراني وسنن الدارقطني، واستفدت من جهود المحققين لما سبق ذكره من كتب الحديث في الحكم على الروايات.

٢- كتب شروح الحديث:

وأهمها فتح الباري لابن حجر، وشرح النووي على صحيح مسلم ففيها مادة

تاريخية لا يستهان بها، كما أن تعليقات ابن حجر والنووي على بعض الأحداث التاريخية ذات أهمية تاريخية.

٣- كتب التفسير:

وأهم هذه الكتب، تفسير الطبري، والقرطبي، وابن كثير، وأهتم بتعليقاتهم أكثر من الروايات التي نقلوها؛ حيث أن معظمها ذكر في كتب الحديث والتاريخ.

٤- كتب العقائد:

وأهم هذه الكتب: «منهاج السنة النبوية»، لابن تيمية، وهذا الكتاب استفدت منه فائدة عظيمة، و«شرح الطحاوية»، و«الإبانة في أصول الديانة»، و«الاعتقاد» للبيهقي، و«الشريعة» للآجري، وغيرها من كتب العقائد؛ حيث نقلت منها أقوال السلف فيما يتعلق بالخلفاء الراشدين، ومكانة الصحابة رضي الله عنهم.

٥- كتب الفقه:

وأهمها: «المغني» لابن قدامة، و«المجموع» للنووي، و«بداية المجتهد» لابن رشد، وغيرها من كتب الفقه؛ حيث استفدت منها في المسائل الفقهية والقضائية التي اجتهد فيها الخلفاء الراشدين.

٦- كتب الأدب:

حيث استخرجت منها بعض الأبيات المنسوبة للخلفاء الراشدين أو تمثلوا بها، أو استمعوا إليها ولكون كتب الأدب ليس لها أسانيد وفيها الغث والسمين، لذلك كان اختياري للأبيات الشعرية التي تنسجم مع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأخلاق ذلك الجيل الفريد، ومن أهم هذه الكتب: «عيون الأخبار» لابن قتيبة، و«الأدب الإسلامي في عهد النبوة»، لنايف معروف.

٧- كتب الزهد والرقائق:

واستخرجت منها أقوال الخلفاء الراشدين في هذا العلم ومن أهم هذه الكتب:

«عدة الصابرين، وذخيرة الشاكرين» لابن القيم، و«مدارج السالكين» لابن القيم، و«مختصر منهاج القاصدين» لأحمد بن عبدالرحمن المقدسي، وغيرها من الكتب.

٨- كتب الفرق والمذاهب:

وأهم هذه الكتب: «الفصل في الملل والأهواء والنحل»، لأبي محمد بن حزم الظاهري، و«أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية»، د. ناصر القفاري.

٩- كتب في أنظمة الحكم:

وأهم هذه الكتب: «نظام الحكومة الإسلامية» للكتاني: المسمى «التراتيب الإدارية»، و«نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي»، لظافر القاسمي.

١٠- كتب في التراجم:

وأهم هذه الكتب: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، و«شذرات الذهب في أخبار من ذهب»، لعبد الحي الحنبلي، و«أسد الغابة»، لابن الأثير، و«سير السلف» لأبي القاسم الأصفهاني.

١١- كتب في الجرح والتعديل:

وأهم هذه الكتب: «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للحافظ المزي، و«الجرح والتعديل»، لابن أبي حاتم، و«الثقات» لابن حبان، و«الكامل في ضعفاء الرجال» لابن عدي.

١٢- كتب التاريخ:

وأهمها : «تاريخ الطبري»، وهذا الكتاب نقل إلينا الروايات الصحيحة والضعيفة والموضوعة بأسانيدها، وفيما يتعلق بالعقيدة والأحكام الشرعية والأحداث التي تتعلق بالصحابة، لابد من خضوع الروايات للجرح والتعديل وبيان الروايات الشيعية الرافضية، والكذابين والمجاهيل، وقد استفدت في هذا

الشأن من كتاب «استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري»، لخالد الغيث، و«مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري»، للدكتور يحيى إبراهيم اليحيى، و«أثر التشيع على الروايات التاريخية» د.عبدالعزيز نور ولي، ومن أهم هذه الكتب: «البداية والنهاية» لابن كثير، وغيرها من الكتب التاريخية.

هذه أهم المصادر التي رجعت إليها مع كم كبير من المراجع الحديثة المتنوعة.

هذا وقد تشددت في تصحيح الروايات أو الحكم عليها فيما يتعلق بالعقائد والأحكام والصحابة رضي الله عنهم، وفي هذا الشأن ما أنا إلا ناقل لأقوال العلماء المتخصصين في هذا العلم، فالفضل لله، ثم لهم واجتهدت في تصوير الحدث التاريخي من الروايات الصحيحة فقدمتها وأخذت بالحسنة ولم أهمل الروايات الضعيفة، فقد أفدت منها في إكمال الصورة التي لا تسدها الروايات الصحيحة والحسنة بما يتوافق مع روح ذلك العصر، لكن فيما لا يتعلق بعقيدة أو شريعة، ودخلت في مناقشات لشبهات وافتراءات الرافضة والمستشرقين وبعض الكتّاب المعاصرين، وقد حرصت على طرح منهج أهل السنة فيما يتعلق بالعهد الراشدي والرد على الشبهات خصوصًا في عهد عثمان وعلي رضي الله عنهما، وقد جدّت أفكار كثيرة من بعض الإخوة الأعزاء حول دراسة عهد الخلافة الراشدة والعزم ماضٍ بإذن الله على تطويرها، بما يلائم ذلك العصر الزاهر، ونسأل الله تعالى السداد والتوفيق.

هذا وقد أفردت، خامس الخلفاء الراشدين، الحسن بن علي بن أبي طالب بدراسة خاصة؛ نظرًا لأهمية اجتهاداته في فقه السياسة الشرعية وفقه المصالح والمفاسد، وما كان يملكه من رؤية إصلاحية توجت بتنازله عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه، وما تعرض له أثناء اتخاذه الخطوات التنفيذية لتلك الروية من عوائق، ومصائب وما تميزت به شخصيته الفذة من قدرة على امتلاك مشروع إصلاحي وعزم على التنفيذ كان سببًا في توحيد الأمة وتحقيق نبوة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله:

«**ابني هذا سيدًا، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**»(١) وبتنازل الحسن بن علي عن الخلافة ومبايعته معاوية رضوان الله عليهم أجمعين تنتهي بذلك فترة خلافة النبوة وهي ثلاثون سنة والحجة في ذلك قول رسول الله ﷺ: «**خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك، أو ملكه من يشاء**»(٢)، وقوله ﷺ: «**الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك**»(٣)، وقد علق ابن كثير على هذا الحديث فقال: وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ؛ فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من دلائل النبوة صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليمًا(٤).

وبذلك يكون الحسن بن علي رضي الله عنهما خامس الخلفاء الراشدين وبإذن الله تعالى سوف تكون مع كتاب الحسن بن علي خلاصات مهمة فيما يتعلق بدراسة عهد الخلافة الراشدة من معالمها وخصائصها، وأسباب زوالها، ونظام حكمها وصفات جيلها، وقادتها، ودستورها، وإدارة الأزمات فيها، واستنباط قوانين وسنن للنهوض، ومكانة المرأة في العهد الراشدي، ومؤسسات الدولة، وفقه القدوم على الله عند ذلك الجيل.

هذا وقد حرصت على تناول شخصية أمير المؤمنين علي من جوانبها المتنوعة، فحياته، صفحة مشرقة في تاريخ الأمة، وهو من الأئمة الذين يتأسى الناس بهديهم وبأقوالهم وأفعالهم في هذه الحياة، فسيرته من أقوى مصادر الإيمان، والعاطفة الإسلامية الصحيحة، والفهم السليم لهذا الدين، فنتعلم منه فقهه في التعامل مع السنن وحسن توجيهها، وكيف نعيش مع القرآن الكريم ونهتدي بهديه ونقتدي برسول الله ﷺ، وأهمية الخوف من الله والإخلاص له وابتغاء

---

(١) «البخاري» رقم (٣٧٤٦).

(٢) «صحيح سنن أبي داود» (٣/ ٨٧٩) للألباني.

(٣) «سنن الترمذي مع شرحها» للأحوذي (٦/ ٣٩٥-٣٩٧) قال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٤) «البداية والنهاية» (٨/ ١٦)

ما عنده في نجاح العبد في الدارين، وأثر هذه المعاني في حياة الأمة الإسلامية ونهوضها وقيامها بدورها الحضاري المنشود، فلذلك اجتهدت في دراسة شخصيته وعصره حسب وسعي وطاقتي، غير مدع عصمة، ولا متبرئ من زلة، ووجه الله الكريم لا غيره قصدت، وثوابه أردت، وهو المسؤول في المعونة عليه، والانتفاع به إنه طيب الأسماء وسميع الدعاء.

هذا وقد انتهيت من هذا الكتاب يوم السبت الساعة الواحدة إلا خمس دقائق ظهرًا بتاريخ ١٧ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ الموافق ٧ يونيو ٢٠٠٣م، والفضل لله من قبل ومن بعد وأسأله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل عملي لوجهه خالصًا ولعباده نافعًا، وأن يثيبني على كل حرف كتبته ويجعله في ميزان حسناتي، وأن يثيب إخواني الذين أعانوني بكل ما يملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع، ونرجو من كل مسلم يطلع على هذا الكتاب ألاَّ ينسى العبد الفقير إلي عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه **﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾** (النمل:١٩).

قال تعالى: **﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** (فاطر:٢).

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه:

علي محمد الصَّلاَّبيِّ

الإخوة القرّاء الكرام يسر المؤلف أن تصله ملاحظاتكم حول هذا الكتاب وغيره من كتبه من خلال دور النشر، ويطلب من إخوانه الدعاء في ظهر الغيب بالإخلاص والصواب ومواصلة المسيرة في خدمة تاريخ أمتنا.

■ الفصل الأول ■

علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمكة

المبحث الأول

اسمه ونسبه وكنيته وصفته، وأسرته

أولاً: اسمه وكنيته ولقبه:

١ـ اسمه ونسبه: هو علي بن أبي طالب (عبد مناف)[١] بن عبد المطلب، يقال له: شيبة الحمد[٢] بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان[٣]، فهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلتقي معه في جده الأول عبد المطلب بن هاشم، ووالده أبو طالب شقيق عبدالله والد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان اسم علي عند مولده أسد، سمته بذلك أمه رضي الله عنها باسم أبيها أسد بن هاشم، ويدل على ذلك ارتجازه يوم خيبر حيث يقول:

أَنَا الذي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَة[٤]

كَلَيْثِ غَابَاتٍ كَرِيهِ المَنْظَرَة[٥]

وكان أبو طالب غائبًا، فلما عاد، لم يعجبه هذا الاسم وسماه عليًّا[٦].

٢ـ كنيته: أبو الحسن، نسبة إلى ابنه الأكبر الحسن وهو من ولد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويكنى أيضًا بأبي تراب، كنية كناه بها النبي صلى الله عليه وسلم وكان يفرح إذا نودي بها وسبب ذلك، أن الرسول صلى الله عليه وسلم جاء بيت فاطمة رضي الله عنها فلم يجد عليًّا في البيت، فقال: «**أين ابن عمك؟**».

---

(١) أبو طالب اسمه عبد مناف.

(٢) عبدالمطلب: اسمه شيبة الحمد، «الاستيعاب» (٣/ ١٠٨٩).

(٣) «الطبقات الكبرى» (٣/ ١٩)، و«صفة الصفوة» (١/ ٣٠٨)، و«البداية والنهاية» (٧/ ٣٣٣)، و«الإصابة» (١/ ٥٠٧)، و«الاستيعاب» (١/ ١٠٨٩)، و«المنتظم» (٥/ ٦٦)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١/ ٥٠).

(٤) حيدرة: من أسماء الأسد.

(٥) «الرياض النضرة في مناقب العشرة» ص (٦١٧).

(٦) «غريب الحديث» للخطابي (٢/ ١٧٠)، و«خلافة علي بن أبي طالب»، لعبدالحميد بن علي فقيهي ص(١٨).

قالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج فلم يَقِلْ[١] عندي، فقال ﷺ لإنسان: «انظر أين هو؟» فجاء فقال: يا رسول الله؟ هو في المسجد راقد، فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجع وقد سقط رداؤه عن شقه، وأصابه تراب، فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه ويقول: «**قم أبا تراب**» [٢]، ومن رواية البخاري: والله ما سماه إلا النبي [٣]، ومن كُناهُ: أبو الحسن والحسين وأبو القاسم الهاشمي[٤]، وأبو السبطين[٥].

٣ـ لقبه: أمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين[٦].

ثانيًا: مولده:

اختلفت الروايات وتعددت في تحديد سنة ولادته، فقد ذكر الحسن البصري أن ولادته قبل البعثة بخمس عشرة أو ست عشرة سنة [٧]، وذكر ابن اسحاق أن ولادته قبل البعثة بعشر سنين [٨]، ورجح ابن حجر قوله[٩]، وذكر الباقر محمد بن علي قولين: الأول: كالذي ذكره ابن إسحاق، ورجحه ابن حجر وهو أنه ولد قبل البعثة بعشر سنين[١٠]، وأما الثاني: فيذكر أنه ولد قبل البعثة بخمس سنين [١١]، وقد ملت إلى قول ابن حجر وابن إسحاق فيكون مولده على التحقيق قبل البعثة بعشر سنين [١٢]، وذكر الفاكهي[١٣]، بأن عليًّا أول من ولد من بني هاشم في جوف الكعبة، وأما الحاكم فقال: إن الأخبار تواترت بأن عليًّا ولد في جوف الكعبة[١٤].

---

(١) من قال يقيل، فالقيلولة: الظهيرة وتكون بمعنى النوم في الظهيرة، «اللسان» (١١/ ٥٧٧).

(٢) «مسلم» في صحيحه رقم (٢٤٠٩). (٣) «البخاري» في صحيحه رقم (٤٤١، ٣٧٠٣، ٣٢٨٠).

(٤) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٢٣) (٥) «أسد الغابة» (٤/ ١٦)، والسبطين: الحسن والحسين.

(٦) «تاريخ الإسلام» للذهبي ص (٣٧٦)، و«البداية والنهاية» (٧/ ٢٢٣)، و«خلاصة تهذيب الكمال» (٢/ ٢٥٠).

(٧) «المعجم الكبير» للطبراني (١/ ٥٤) رقم (١٦٣) بسند مرسل.

(٨) «السيرة النبوية» (١/ ٢٦٢) دون إسناد. (٩) «الإصابة» (٢/ ٥٠١) ترجمة علي.

(١٠) «المعجم الكبير» للطبراني (١/ ٥٣) رقم ١٦٥ إسناده حسن.

(١١) المصدر السابق (١/ ٥٣) رقم (١٦٦)، وإسناده حسن إلى محمد الباقر حيث أرسله.

(١٢) «فتح الباري» (٧/ ١٧٤)، و«الإصابة» (٢/ ٥٠٧).

(١٣) صاحب أخبار مكة، حقق الكتاب عبدالملك بن دهيش. (لا تصح من حيث الإسناد فهي ضعيفة).

(١٤) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٤٨٣) دون إسناد. (رواية ضعيفة).

ثالثًا: الأسرة وأثرها في الأعقاب:

لقد دلّ علم التشريح وهو دراسة التركيب الجسدي، وعلم النفس، وعلم الأخلاق، وعلم الاجتماع، على تأثير الدم والسلالات في أخلاق الأجيال وصلاحياتها ومواهبها، وطاقاتها، إلى حد معين، وفي أكثر الأحوال، وذلك من خلال ثلاث طرق:

(أ) القيم والمثل التي ما زال آباء هذه الأسرة وأجدادها يؤمنون بها أشد الإيمان ويحافظون عليها أو يحاولون أن يحافظوا عليها أشد المحافظة، ويتنبّلون بها ويمجّدون ويعتبرون من سار عليها من أبناء الأسرة، ومن خالفها وحاد عنها شاردًا غريبًا، ويرون في ذلك غضاضة، وسقوط همة، وقلة مروءة، وعقوقًا للآباء وإساءة إليهم، لا تغتفر في قوانين هذه الأسرة العرفية المتوارثة.

(ب) حكايات الآباء وعظماء الأسرة في البطولة والفتوة والفروسية، والشهامة، والأنفة والإباء، والجود والسخاء، وحماية المظلومين والضعفاء، تتناقلها الأجيال وتتباهى بها، وذلك من سنٍّ مبكرة، ومن أيام الصبا إلى سنِّ الشباب والكهولة، فتؤثر في تكوين عقليّتها ومشاعرها، وتعيين المقاييس للعظمة والرجولة، والبرِّ بالآباء، وتبرير شهرة الأسرة والسلالة.

(ج) تأثير الدم الموروث في أعضاء الأسرة كابرًا عن كابر، في أسرة حافظت على أنسابها وأصالتها، وذلك ما أيده علم السلالات [1]، وهذا ليس على إطلاقه، والقاعدة مطردة، لا تقبل استثناءً، ولا شذوذًا كالسنن الإلهية التي قال الله عنها: ﴿**فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً**﴾ (فاطر:٤٣)، وإلى ذلك أشار النبي ﷺ في قوله: «**الناس معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**»[2]، وقوله ﷺ: «**من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**»[3]، وليس في ذلك من تقديس الدم الموروث الدائم، وتركُّز الرئاسة الدينية والزعامة الروحية العلمية في أسرة معينة، واحتكارها لقيادة أمة، دينيًا وروحيًا

(١) «المرتضى سيرة أمير المؤمنين»، لأبي الحسن الندوي ص(١٩-٢٠).

(٢) «مسند أحمد» (٢/٥٣٩) إسناده صحيح. (٣) «مسلم»، كتاب الذكر والدعاء والتوبة.

وعلميًّا بشكل دائم، وهو الذي عانى منه العالم القديم ــ قبل الإسلام ــ فسادًا اجتماعيًّا وخلقيًّا جارفًا، واستبدادًا فظيعًا، واستغلالاً ماديًّا شنيعًا، تزخر به كتب التاريخ وشهادات المؤرخين للإمبراطوريتين الرومية والساسانية، والمجتمعين الإغريقي والهندي (١) وغيرها من الجاهليات، ولذلك يحسن بنا أن نشير إلي وضع الأسرة والسلالة ـ اللتين ولد ونشأ فيهما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ـ العرقي والاجتماعي، وما كانتا تمتازان به من خصائص وأعراف، وتقاليد وتراث خُلقي ونفسي، وكيف كان العرب ينظرون إليهما ويقرُّون لهما بالفضل، ونبدأ في ذلك بقريش، ثم ببني هاشم (٢).

١ـ قبيلة قريش:

أقرّ العرب كلّهم بعلو نسب قريش، والسيادة، وفصاحة اللغة، ونصاعة البيان، وكرم الأخلاق والشجاعة والفتوة، وذهب ذلك مثلاً لا يقبل نقاشًا ولا جدلاً (٣)، وكانوا حلفاء متآلفين متمسكين بكثير من شريعة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، ولم يكونوا كالأعراب الذين لا يوقرهم دين، ولا يزينهم أدب، وكانوا يحبُّون أولادهم، ويحجُّون البيت ويقيمون المناسك، ويكفِّنون موتاهم، ويغتسلون من الجنابة، ويتبرؤون من الهرابذة(٤)، ويتباعدون في المناكح من البنت وبنت البنت والأخت وبنت الأخت، غيرةً وبعدًا من المجوسية، ونزل القرآن بتأكيد صنيعهم وحسن اختيارهم، وكانوا يتزوجون بالصَّداق والشهود ويطلقون ثلاثًا (٥)، وما زاد شرفهم أنهم كانوا يتزوجون من أي قبيلة شاؤوا، ولا شرط عليهم في ذلك، ولا يزوّجون أحدًا حتى يشترطوا عليه، أن يكون متحمسًا (٦) على دينهم، يرون ذلك لا يحل لهم ولا يجوز لشرفهم، حتى يدان إليهم وينقاد(٧).

---

(١) «المرتضى» للندوي ص (٢٠). (٢) فيما يتعلق بخصائص ومزايا العرب، ينظر إلى: «السيرة النبوية» للندوي.
(٣) «السيرة النبوية» للندوي ص(٧٤).
(٤) الهرابذة: قوام بيت النار، فارسي معرب وقيل: عظماء الهند أو علماؤهم.
(٥) «بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب» (١/٢٤٣) للألوسي. (٦) متحمسًا: التحمس: التشدد في الدين.
(٧) «المرتضى» للندوي ص (٢٢)، و«بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب» (١/٢٤٣).

٢- بنو هاشم: أما بنو هاشم فكانوا واسطة العقد في قريش، وإذا قرأنا ما حفظه التاريخ وكتب السيرة من أخبارهم وأقوالهم -وهو قليل من كثير جدًّا- استدللنا به على ما كان يمتاز به هؤلاء من مشاعر الإنسانية الكريمة، والاعتدال في كل شيء، ورجاحة العقل، وقوة الإيمان بما للبيت من مكانة عند الله، والبعد عن الظلم ومكابرة الحق، وعلو الهمة، والعطف على الضيف والمظلوم، والسخاء، والشجاعة، وما تشتمل عليه كلمة (الفروسية) عند العرب من معان كريمة وخلال حميدة، السيرة التي تليق بأجداد الرسول الكريم ﷺ، تتفق ويتفق مع ما كان يفضله ويدعو إليه من مكارم الأخلاق، غير أنهم عاشوا في زمن الفترة، وسايروا أبناء قومهم في عقائد الجاهلية، وعباداتها[١] ولم يصل بنو هاشم إلى هذه المكانة في مجتمعهم إلا بالتضحية والعطاء والبذل وخدمة الناس.

٣- عبدالمطلب بن هاشم: جد الرسول ﷺ وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولي عبدالمطلب بن هاشم السقاية والرفادة[٢]، بعد عمّه المطلب، فأقامهما للناس، وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبله لقومهم من أمرهم، وشرُفَ في قومه شرفًا لم يبلغه أحدٌ من آبائه، وأحبّه قومه وعظم خطره فيهم[٣].

ولم يكن عبدالمطلب أغنى رجل في قريش، ولم يكن سيد مكة الوحيد المطاع، كما كان قُصي؛ إذ كان في مكة رجال كانوا أكثر منه مالاً وسلطانًا إنما كان وجيه قومه؛ لأنه كان يتولى السقاية والرفادة، وبئر زمزم، فهي وجاهة ذات صلة بالبيت[٤] ويتجلى إيمان عبدالمطلب بأن لهذا البيت مكانة عند الله، وأنه حاميه ومانعه، وتتجلى نفسية سيد قريش السامية، وشخصيته القوية الشامخة في حديث دار بينه وبين أبرهة ملك الحبشة، وقد غزا مكة وأراد أن يهين البيت ويقضي على مكانته، وقد أصاب لعبد المطلب مائتي بعير، فاستأذن له عليه، وقد أعظمه أبرهة

(١) «بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب» للألوسي (١/ ٢٤٣).
(٢) الرفادة: إطعام الحجّاج في أيام الموسم حتى يتفرقوا.
(٣) «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ١٤٢).
(٤) «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام»، لجواد علي (٤/ ٧٨)، و«المرتضى» ص (٢٢).

ونزل له عن سريره فأجلسه معه، وسأله عن حاجته، فقال: حاجتي أنا أن يردّ علي الملك مائتي بعير أصابها لي. فلما قال له ذلك زهد فيه الملك وتفادته عينه، وقال: أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتًا هو دينك ودين آبائك، قد جئت لهدمه، لا تكلِّمُني فيه؟! قال عبدالمطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت ربًّا سيمنعه، قال: ما كان يمتنع مني، قال: أنت وذاك[1]. وقد كان ما قاله عبدالمطلب، فحمى رب البيت بيته، وجعل كيد أبرهة وجيشه في تضليل، قال تعالى: ﴿ **وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ** ﴾ (الفيل: ٣-٥).

وكان عبدالمطلب يأمر أولاده بترك الظلم والبغي، ويحثهم على مكارم الأخلاق وينهاهم عن دنيئات الأمور[2] ومات عبدالمطلب بعد أن جاوز الثمانين، وعُمْر الرسول ﷺ ثماني سنين، ومعنى ذلك أنه توفي حوالي سنة ٥٧٨ للميلاد[3]، وذُكر أنه لم تقم بمكة سوق أيامًا كثيرة لوفاة عبدالمطلب[4].

٤- أبو طالب والد علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

كان أبو طالب لا مال له، وكان يحب ابن أخيه حبًّا شديدًا، فإذا خرج أخذه معه، فقد كان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله ﷺ بعد جدّه، فكان إليه ومعه[5]، وعندما أعلن رسول الله الدعوة إلى الله وصدع بها وقف أبو طالب بجانب رسول الله وصمم على مناصرته وعدم خذلانه، فاشتد ذلك على قريش غمًّا وحسدًا ومكرًا، وإن المرء ليسمع عجبًا ويقف مذهولاً أمام مروءة أبي طالب مع رسول الله، فقد ربط أبو طالب مصيره بمصير ابن أخيه محمد ﷺ ، بل واستفاد من كونه زعيم بني هاشم أن ضم بني هاشم، وبني

---

(١) «سيرة ابن هشام» (١/ ٤٩)، و«المرتضى» ص(٢٣).
(٢) «بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب» (١/ ٣٢٤).
(٣) «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» (٤/ ٧٨).
(٤) «أنساب الأشراف» للبلاذري (١/ ٧٨).
(٥) «المرتضى» ص(٢٤)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ١٧٩).

المطلب إليه في حلف واحد على الحياة والموت، دفاعًا عن رسول الله ﷺ، مسلمهم ومشركهم على السواء[(١)]، وأجار ابن أخيه محمدًا ﷺ إجارة مفتوحة لا تقبل التردد أو الإحجام، ولَمَّا رأى أبو طالب من قومه ما سرّه من جهدهم معه، وحدبهم عليه، جعل يمدحهم ويذكر قديمهم، وفضل رسول الله فيهم، ومكانه منهم ليشد لهم رأيهم وليحدبوا معه على أمره[(٢)] فقال:

إِذَا اجْتَمَعَتْ يومًا قُريش لِمَفْخَرٍ
فَعَبْدُ مَنَافٍ سِرُّهَا وَصَمِيمُهَا

وإن حُصِّلَتْ أشْرَافُ عَبْدِ مَنَافِهَا
فَفِي هَاشِمٍ أشْرَافُهَا وَقَدِيمُهَا

وإنْ فَخَرَتْ يَومًا فإنَّ مُحَمَّدًا
هُوَ المُصْطَفَى من سِرِّهَا وكَرِيمُهَا

تَدَاعَتْ قُرَيشٌ غَثُّهَا وسَمِينُهَا
عَلَيْنَا فَلَمْ تَظْفَرْ وَطَاشَتْ حُلُومُهَا

وَكُنَّا قَدِيمًا لا نُقِرُّ ظُلامَةً
إذَا مَا ثَنُّوا صُعْرَ الخُدُودِ نُقِيمُهَا

ولما خشى أبو طالب دهماء العرب أن يركبوه مع قومه، قال قصيدته التي تعوذ فيها بحرمة مكة، وبمكانه منها، وتودد فيها إلى أشراف قومه، وهو على ذلك يخبرهم في ذلك من شعره، أنه غير مسلم رسول الله ﷺ، ولا تاركه لشيء أبدًا حتى يهلك دونه فقال:

ولما رأيت القَوْمَ لا وُدّ فِيهِمُ
وَقَدْ قَطَعُوا كُل العُرَى والوَسَائِلِ

(١) «فقه السيرة النبوية» للغضبان ص (١٨٤).

(٢) «السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث» للصَّلاَّبيِّ (١/١٥٨).

وَقَـدْ صَارَحُونَا بِالعَدَاوَةِ والأَذَى
وَقَدْ طَاوَعُوا أَمْرَ العَدُوّ المُزَايِلِ
وَقَدْ حَالَفُوا قَوْمًا عَلَينَا أظنَّة
يَعُضُّونَ غَيْظًا خَلْفَنَا بالأَنَاملِ
صَبَرْتُ لَهم نَفْسِي بِسَمْرَاءَ سَمْحَةٍ
وأَبْيَضَ غَضْبٍ مِن تُرَاثِ المَقَاوِلِ
وأَحْضَرْتُ عِنْدَ البَيْتِ رَهْطِي وإِخْوَتِي
وَأَمْسَكْتُ مِن أَثْوَابِه بالوَصَائِلِ

وتعوذ بالبيت وبكل المقدسات التي فيه، وأقسم بالبيت بأنه لن يسلم محمدًا ولو سالت الدماء أنهارًا، واشتدت المعارك مع بطون قريش:

كَذَبْتُم وبَيْتُ الله نُبْزِي[1] مُحَمَّدًا
ولما نُطَاعِنُ دُونَه ونُنَاضِلِ
ونُسْلِمُه[2] حَتَّى نُصَرَّعَ حَوْلَهُ
ونَذْهَلَ عَنْ أَبْنَائِنَا والحَلائِلِ[3]
وَيَنْهَضُ قَومٌ في الحَدِيدِ إِليكُم
نُهُوضَ الرَّوَايا تَحت ذَاتِ الصَّلاصِلِ[4]

واستمر أبو طالب في مناصرة ابن أخيه واستطاع أن يغزو المجتمع القرشي بقصائده الضخمة التي هزت كيانه هزًا، ولما تغلغل الإسلام في قلوب أبناء بعض القبائل، اجتمعت قريش فأتمروا بينهم أن يكتبوا كتابًا يتعاقدون فيه على بني

(١) نُبزي: أي نسلمه ونُغلب
(٢) أي: كذبتم أن نُسْلمه قبل أن نصرع حوله .
(٣) الحلائل: الزوجات .
(٤) الصلاصل: المزادات لها صلصلة بالماء.

هاشم وبني المطلب، على ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئًا ولا يبتاعوا منهم، وكتبوا صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة، وتواثقوا على ذلك، وانحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه[١]، وذلك في مُحرَّم سنة سبع من النبوة، ومكث بنو هاشم على ذلك نحو ثلاث سنوات لا يصل إليهم شيء إلا سرًّا، ثم كان ما كان من أكل الأرضة للصحيفة، وإخبار النبي ﷺ أبا طالب بذلك، وتمزيق الصحيفة، وبطلان ما فيها[٢]، ومات أبو طالب في النصف من شوال في السنة العاشرة من النبوة، وهو ابن بضع وثمانين سنة ولم يُسلم أبو طالب[٣]، وهو العام الذي ماتت فيه خديجة زوج النبي ﷺ، وتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب، وسمِّي هذا العام بعام الحزن[٤].

٥- أم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

هي الصحابية الجليلة السيدة الفاضلة فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ابن قصي الهاشمية[٥]، وهي أول هاشمية ولدت هاشميًّا[٦]، وقد حظيت برعاية النبي ﷺ حينما كفله عمه أبو طالب بناء على وصية أبيه عبد المطلب، فكانت له أما بعد أُمِّه، تقوم على شؤونه وترعى أموره ما استطاعت إلي ذلك سبيلاً، وقد قضى الحبيب المصطفى قرابة عقدين من حياته في كنفها، وقد استجابت لدعوة الإسلام وأصبحت من السابقات الأوليات وصارت من صفوة النساء ممن أخذن المكانة العليا في ساحة الفضيلة، وكانت رضي الله عنها مثالاً للرأفة والرحمة في معاملة الزهراء رضي الله عنها؛ إذ كانت تقوم بمساعدتها برًّا بها وبوالدها ﷺ، وروي

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٣٥٠ - ٣٥١).
(٢) المصدر نفسه (١/ ٣٧٣ - ٣٧٧)، و«المرتضى» ص(٢٦)، وقد فصلت ذلك في كتابي «السيرة النبوية».
(٣) «بلوغ الأرب» (١/ ٣٢٤).
(٤) «السيرة» لابن هشام (١/ ٤١٥ - ٤١٦)، و«المرتضى» ص(٢٦).
(٥) «نسب قريش» ص (٤٠)، و«فضائل الصحابة» (٢/ ٦٨٥).
(٦) «فضائل الصحابة» (٢/ ٦٨٥).

عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أنه قال: قلت لأمي: اكفي فاطمة بنت رسول الله سقاية الماء والذهاب في الحاجة، وتكفيك هي الطحن والعجن[١]، كما أن صلتها بالنبي صلى الله عليه وسلم أضافت إلى شخصيتها مكرمة حفظ الحديث وروايته، فقد روت عن النبي صلى الله عليه وسلم مجموعة من الأحاديث، وقد كانت لها مكانة كبرى عند رسول الله، وكان يخصها بالهدية، فقد أورد ابن حجر بالإصابة: أن عليًّا رضي الله عنه قال: أهدي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حُلَّة إستبرق فقال: «**اجعلها خُمُرا بين الفواطم**»[٢]، فشققتها أربعة أخمرة، خمارًا لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخمارًا لفاطمة بنت أسد رضي الله عنها، وخمارًا لفاطمة بنت حمزة رضي الله عنها، ولم يذكر الرابعة[٣].

ولقد كان حظ السيدة فاطمة مباركًا في حياتها وعند وفاتها، وحظيت بالتكريم؛ إذ توفيت في حياة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم[٤]، وأما ما روي عن أنس في دفنها فهو واهٍ ضعيف شديد الضعف ولا يتقوى من طرقه الأخرى التي جاءت؛ لأنها كلها ضعيفة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد أم علي رضي الله عنهما، دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عند رأسها فقال: «**رحمك الله يا أمي، كنت أمي بعد أمي، تجوعين وتشبعينني، وتعرين وتكسينني، وتمنعين نفسك طيبًا وتطعمينني، تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة**»، ثم أمر أن تُغَسَّل ثلاثًا ثلاثًا، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، ثم خلع رسول الله قميصه فألبسها إياه وكفنها ببرد فوقه، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم وغلامًا أسود يحفرون فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله فاضطجع فيه وقال: «**الله الذي يحيي ويميت**

---

(١) «مجمع الزوائد» (٩/ ٣٥٦) ورجال السند رجال الصحيح.

(٢) «سنن ابن ماجه»، كتاب اللباس رقم (٣٥٩٦).

(٣) «الإصابة» (٨/ ٢٧) رقم (١١٥٩٣).

(٤) «أمير المؤمنين علي بن أبي طالب» أحمد السيد ص(٢٤).

وهو حي لا يموت، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها، ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فإنك أرحم الراحمين». وكبر عليها أربعًا وأدخلها اللحد هو والعباس وأبوبكر رضي الله عنهم(١).

وقد احتج من احتج(٢) بهذا الحديث على جواز التوسل بالذوات، وقد قام الأستاذ أبو عبدالرحمن جبلان بن خضر العروسي في رسالته لمرحلة الماجستير بتتبع طرق الحديث وبين ضعفها وبطلانها (٣)، ووضح أن الحديث قد روي من خمسة طرق، ثلاثة موصولة، ومرسلان فلم تخل واحدة منها من عدة علل فهو شديد الضعف، ومع هذا لم يرد التوسل المزعوم إلا في طريقة واحدة وهي طريق أنس، فهذه الأحاديث يمكن أن يعل بها الحديث؛ لأن الكل ضعيف فيعل بعضه البعض ولا يزيدها إلا وهنًا وضعفًا، وأما من ناحية المتن فهو منقوض من عدة وجوه:

ـ إن في هذا الحديث مبالغة وإطراء وتجاوزًا للمألوف في ذلك العهد النبوي.

ـ هذا الحديث يخالف هديه وسنته في غسل جنازة المرأة، وذلك في أمور منها:

ـ سكبه بيده الشريفة لم يرد إلا في هذه القصة، وأما الذي ورد في غسل بنته زينب أنه أمرهن بالغسل، ولم يسكب بنفسه، فقد روى البخاري ومسلم عن محمد بن سيرين عن أم عطية قالت: دخل علينا النبي ﷺ ونحن نغسل ابنته فقال: **«اغسلنها ثلاثًا أو خمسًا أو أكثر من ذلك إن رأيتن ذلك بماء وسدر، واجعلن في الآخرة كافورًا، فإذا فرغتن فآذنني»**، قالت: فلما فرغنا ألقى إلينا حقوه فقال: **«أشعرنها إياه»** ولم يزد على ذلك (٤).

---

(١) «السلسلة الضعيفة» للألباني (١/ ٣٢) رقم (٢٣).

(٢) السمهودي في «وفاء الوفاء» (٤/ ١٣٧٣)، والكوثري في «محق التقول» ص(٣٧٩ ، ٣٩١)، والبوطي في «السلفية مرحلة» ص (١٥٥)، والعلوي في «مفاهيم»ص (٦٥)، نقلاً عن: «الدعاء ومنزلته من العقيدة»، جبلان بن خضر.

(٣) «الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية» ص (٧٩٤ إلى ٧٩٨).

(٤) المصدر نفسه ص(٧٩٩).

ـ إن الحفر بيده وإخراجه التراب بيده والاضطجاع فيه كلها لم تعهد إلا في هذا الحديث الضعيف، مخالفًا هديه المشهور عنه وهو من المبالغة والإطراء.

ـ ثم لفظ الدعاء الذي بدأ بلفظة الغيبة ثم الخطاب بعيد عن الأسلوب المعهود في الدعوات المأثورات «اللهم أنت. . .» ولم نر في غير هذا الدعاء «الله الذي. . .».

ـ ومما يدل على ضعفه أن الراوي اعترف بأن النبي ﷺ لم يفعل هذه الأفعال إلا في هذه المرة، ولكنه أراد أن يبرر ذلك بما ذكره، وهيهات [١].

٦ـ إخوة علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

كان لأبي طالب أربعة أبناء، وهم: طالب، وهو الذي تكنَّى به، وعقيل، وجعفر، وعلي، وبنتان هما: أم هانئ، وجمانة، وكلهم من فاطمة بنت أسد، وكان بين كل واحد منهم وبين أخيه عشر سنوات، فطالب كان أكبر من عقيل بعشر سنوات، وكذلك الشأن مع جعفر وعلي، فكان جعفر أكبر من علي بعشر سنوات [٢]، وهذه نبذة مختصرة عن إخوة علي رضي الله عنه:

(أ) طالب بن أبي طالب: هلك طالب مشركًا بعد غزوة بدر، وقيل: إنه ذهب فلم يرجع، ولم يُدْرَ له موضع ولا خبر، وهو أحد الذين تاهوا في الأرض، وكان محبًّا لرسول الله ﷺ، وله فيه مدائح، وكان قد خرج إلى بدر كرهًا، وجرت بينه وبين قريش حين خرجوا إلى بدر محاورة فقالوا: والله يابني هاشم لقد عرفنا ـ وإن خرجتم معنا ـ أن هواكم مع محمد، فرجع طالب إلى مكة مع من رجع، وقال شعرًا وقصيدة ثناء على النبي ﷺ وبكى فيها أصحاب قليب بدر [٣].

(ب) عقيل بن أبي طالب: كان يكنى أبا يزيد، تأخر إسلامه إلى عام الفتح،

---

(١) «الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية» ص(٧٩٤ إلى ٧٩٨).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٢٣)، و«المرتضى» ص(٢٦).

(٣) «الجوهرة في نسب النبي وأصحابه من المرتضى» للندوي ص(٢٣).

وقيل: أسلم بعد الحديبية، وهاجر في أول سنة ثمان، وكان أسر يوم بدر ففداه عمه العباس، وقع ذكره في الصحيح في مواضع، وشهد غزوة مؤتة، ولم يسمع له ذكر في الفتح وحُنين، كأنه كان مريضًا، أشار إلي ذلك ابن سعد، لكن روى الزبير بن بكار بسنده إلي الحسن بن علي، أن عقيلاً كان ممن ثبت يوم حنين ومات في خلافة معاوية، وفي تاريخ البخاري الأصغر بسند صحيح أنه مات في أول خلافة يزيد قبل الحرة[1]، وعمره ست وتسعون سنة[2].

(ج) جعفر بن أبي طالب: فهو أحد السابقين إلى الإسلام وكان يحب المساكين ويجلس إليهم ويخدمونه يحدثهم ويحدثونه، وهاجر إلي الحبشة، فأسلم النجاشي ومن تبعه على يديه ولقد تحدثت عنه في كتابي السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، واستشهد بمؤتة من أرض الشام مقبلاً غير مدبر[3].

(د) أم هانئ بنت أبي طالب: ابنة عم النبي ﷺ فقيل: اسمها فاختة، وقيل: اسمها فاطمة، وقيل: هند، والأول أشهر وكانت زوج هبيرة بن عمرو بن عائذ المخزومي وكان له منها عمرو، وبه كان يكنى وفي فتح مكة أجارت أم هانئ رجلين من بني مخزوم، وقال لها رسول الله ﷺ: «**أجرنا من أجرت يا أم هانئ**»، وروت أم هانئ عن النبي ﷺ في الكتب الستة وغيرها[4]، قال الترمذي وغيره: عاشت بعد علي رضي الله عنه[5].

(هـ) جُمانة بنت أبي طالب: هي أم عبدالله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب ذكرها ابن سعد في ترجمة أمها فاطمة بنت أسد وأفردها في باب بنات عم النبي ﷺ، وقال: ولدت لأبي سفيان بن الحارث ابنه جعفر بن أبي سفيان، وأطعمها رسول الله من خيبر ثلاثين وسقًا[6].

---

(١) «الإصابة في تمييز الصحابة» (٢/ ٤٩٤).
(٢) «المرتضى» للندوي ص(٢٤).
(٣) «المرتضى» ص(٢٥).
(٤) «المرتضى» ص(٢٧).
(٥) «الإصابة في تمييز الصحابة» (٩/ ٣١٧، ٣١٨)
(٦) «الإصابة» (٤/ ٢٥٩-٢٦٠)، و«المرتضى» ص(٢٧).

٧ـ أزواجه وأولاده:

ولد له من فاطمة[١] بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحسن والحسين (وسيأتي الحديث عنهم مفصلا)، وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى، وولد له من خولة بنت جعفر ابن قيس ابن مسلمة، محمد الأكبر (محمد الحنفية)، وولد له من ليلى بنت مسعود ابن خالد من بني تميم، عبيد الله وأبوبكر، وولد له من أم البنين بنت حِزام[٢] ابن خالد بن جعفر بن ربيعة: العباس الأكبر، وعثمان، وجعفر الأكبر، وعبدالله، وولد له من أسماء بنت عميس الخثعمية: يحيى وعون[٣] وولد له من الصهباء[٤]، عمر الأكبر ورقية، وولد له من أمامة[٥] بنت العاص بن الربيع، محمد الأوسط، وولد له من أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي، أم الحسن، ورملة الكبرى، وولد له من أمهات أولاد، محمد الأصغر، وأم هانئ وميمونة، وزينب الصغرى، ورملة الصغرى، وأم كلثوم الصغرى، وفاطمة، وأمامة، وخديجة، وأم الكرام، وأم سلمة، وأم جعفر، وجمانة، ونفيسة، وولد له من محياة بنت امرئ القيس، ابنة هلكت وهي جارية. قال ابن سعد: لم يصح لنا من ولد علي رضي الله عنه غير هؤلاء[٦]، وجميع ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه لصلبه أربعة عشر ذكرًا، وتسع عشرة امرأة، وقيل: سبع عشرة امرأة، وكان النسل من ولده لخمسة، الحسن والحسين، ومحمد بن الحنفية، والعباس بن الكلابية، وعمر بن التغلبية[٧]، وسيأتي الحديث عن السيدة فاطمة وذريتها، الحسن والحسين، وأم كلثوم في ثنايا هذا الكتاب بإذن الله تعالى.

---

(١) هي أول زوجة تزوجها علي بن أبي طالب، ولم يتزوج عليها حتى ماتت.

(٢) «البداية والنهاية» (٧/ ٣٣٢)

(٣) المصدر نفسه (٧/ ٣٣٢).

(٤) وهي: أم حبيب بنت ربيعة بن بجير، من سبي عين التمر في عهد الصديق رضي الله عنه.

(٥) وأمها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٦) «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٠).

(٧) «الطبقات» (٣/ ١٩، ٢٠)، و«البداية والنهاية» (٧/ ٣٣١ - ٣٣٣)، و«منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله» لسليمان العيد ص (٢٩، ٣٠، ٣١).

٨ـ صفاته الخلقية:

يقول ابن عبد البر رحمه الله: وأحسن ما رأيت في صفة عليّ ﵁ أنه كان ربعْة من الرجال إلى القصر ما هو، أدعج العينين، حسن الوجه، كأنه القمر ليلة البدر حُسنًا، ضخم البطن، عريض المنكبين، شثن الكفَّين (عتَدا)[1] أغيد، كأن عنقه إبريق فضة، أصلع ليس في رأسه شعر إلا من خلفه، كبير اللحية، لمنكبه مُشاش كمشاش السبع الضاري، لا يتبين عضده من ساعده، قد أدمجت دمجًا، إذا مشى تكفّأ، وإذا مسك بذراع رجل أمسك بنفسه فلم يستطيع أن يتنفّس، وهو إلى السمن ما هو، شديد الساعد واليد، وإذا مشى للحرب هَرْوَل، ثبت الجنان، قويّ شجاع[2].



(١) العتد: الشديد التام الخلق

(٢) «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (٣/ ١١٢٣).

المبحث الثاني

إسلامه وأهم أعماله في مكة قبل الهجرة

أولا: إسلامه:

كان من نعمة الله عز وجل على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وما وضع الله له، وأراد به من الخير أن قريشًا أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس عمه - وكان من أيسر بني هاشم-: «**يا عباس، إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد ترى ما أصاب الناس من هذه الأمة، فانطلق بنا فلنخفف عنه من عياله، آخذ من بيته واحدًا وتأخذ واحدًا، فنكفيهما عنه**»، فقال العباس رضي الله عنه: نعم.. فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما: إن تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليًّا فضمه إليه، وأخذ العباس جعفرًا رضي الله عنه فضمه إليه، فلم يزل علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله نبيًّا، فاتبعه علي، فأقر به وصدَّقه، ولم يَزَلْ جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه[1].

ونلاحظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يرد الجميل والمعروف لعمه أبي طالب الذي كفله بعد وفاة جده عبدالمطلب، فكان هذا من أكبر نعم الله عز وجل على علي رضي الله عنه؛ إذ رباه وأدبه الذي أدبه الله عز وجل وحفظه وعصمه ورعاه والذي كان خلقه القرآن، فانعكس هذا الخلق القرآني على علي رضي الله عنه، وكفى بتربية النبي صلى الله عليه وسلم تربية لعلي رضي الله عنه، فقد نشأ في بيت الإسلام، وتعرّف إلى أسراره في مرحلة مبكرة من حياته، وذلك قبل أن تتخطى الدعوة حدود البيت وتنطلق إلى البحث عن أنصار يشدّون أزرها، وينطلقون بها في دنيا الناس، ويخرجونهم من الظلمات إلي النور، ولقد اختلف العلماء فيمن آمن بعد السيدة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين، هل هو أبوبكر الصديق، أو علي رضي الله عنهما، والذي أميل إليه من

(١) «السيرة النبوية» (١/٢٤٦) لابن هشام.

بين أقوال العلماء، أن أول من أسلم من الرجال الأحرار أبوبكر، ومن الصبيان علي، ومن النساء خديجة، وهي أول من آمن على الإطلاق، ومن الموالي حارثة بن زيد رضوان الله عليهم[١]. وبهذا يكون أمير المؤمنين أول الصغار إسلامًا.

ثانيًا: كيف أسلم علي؟:

روى ابن إسحاق أن علي بن أبي طالب ﷺ جاء إلى النبي ﷺ بعد إسلام خديجة ﷺ، فوجدهما يصليان، فقال علي: ما هذا يا محمد؟ فقال النبي ﷺ: «**دين الله الذي اصطفاه لنفسه، وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده وإلى عبادته، وكفر باللات والعزى**»، فقال له علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاض أمرًا حتى أحدِّث أبا طالب، فكره رسول الله ﷺ أن يفشي عليه سره، قبل أن يستعلن أمره، فقال له: «**يا علي، إذا لم تسلم فاكتم**»، فمكث علي تلك الليلة. ثم إن الله أوقع في قلب علي الإسلام، فأصبح غاديًا إلى رسول الله ﷺ، حتى جاءه فقال: ما عرضت علي يا محمد؟ فقال له رسول الله ﷺ: «**تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وتكفر باللات والعزى، وتبرأ من الأنداد**»، ففعل علي وأسلم، ومكث علي يأتيه على خوف من أبي طالب، وكتم علي إسلامه ولم يظهر به[٢].

ثالثًا: بين علي رضي الله عنه وأبي طالب:

قال ابن إسحاق: وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفيًا من أبيه أبي طالب، ومن جميع أعمامه وسائر قومه، يصليان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا، فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا، ثم إن أبا طالب عثر عليهما يومًا وهما يصليان، فقال لرسول الله ﷺ: يابن أخي، ما هذا الدين الذي أراك تدين به، قال: «**أي عم، هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا**

(١) «البداية والنهاية» (٣/ ٢٦ـ ٢٨)، «الأوائل من الصحابة وذوو الفضل منهم والنجابة»، رضوان جامع ص(٢٣).
(٢) «البداية والنهاية» (٣/ ٤).

إبراهيم»، أو كما قال ﷺ: «**بعثني رسولاً إلى العباد وأنت ـ أي عم ـ أحق من بذلت له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني إليه وأعانني عليه**». أو كما قال. فقال أبو طالب: أي ابن أخي، إني لا استطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يخلص إليك (١) بشيء تكرهه ما بقيت ذكروا أنه قال لعلي: أي بني، ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ فقال: يا أبت آمنت بالله وبرسول الله وصدَّقته بما جاء به، وصليت معه لله واتبعته، فزعموا أنه قال له: أما إنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه (٢).

رابعًا: هل كسر علي رضي الله عنه الأصنام مع رسول الله في مكة؟ :

عن علي رضي الله عنه، قال: انطلقت أنا والنبي ﷺ حتي أتينا الكعبة، فقال لي رسول الله ﷺ: «**اجلس**» وصعد على منكبي، فذهبت لأنهض به، فرأى مني ضعفًا، فنزل، وجلس لي نبي الله ﷺ وقال: «**اصعد على منكبيَّ**». قال: فصعدت علي منكبيه، قال: فنهض بي، قال: فإنه يخيل إليَّ أني لو شئت لنلت أفق السماء، حتى صعدت على البيت، وعليه تمثال صُفر أو نحاس، فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله، وبين يديه ومن خلفه، حتى إذا استمكنت منه قال لي رسول الله ﷺ: «**اقذف به**» فقذفت به فانكسر كما تتكسر القوارير، ثم نزلت، فانطلقت أنا ورسول الله ﷺ نستبق حتى توارينا بالبيوت، خشية أن يلقانا أحد من الناس (٣)، وهذا الحديث إسناده ضعيف، وبالتالي لا يمكن أن يبنى عليه حكم كما زعم بعض الناس، ويبقى الأصل الثابت في الفترة المكية، في منع النبي ﷺ للصحابة من استخدام القوة مع الخصوم، أو الاعتداء على أصنامهم وأوثانهم بالقوة، وقد قام رسول الله ﷺ بتطهير مكة في عام الفتح

---

(١) لا يخلص إليك: لا يصل إليك.

(٢) «السيرة النبوية» لابن هشام (١/٢٤٦)، و«المرتضى» ص(٣٥).

(٣) «مسند أحمد الموسوعة الحديثية» رقم (٦٤٤) إسناده ضعيف، وصحح الحاكم إسناده واستدرك عليه الذهبي فقال: إسناده ضعيف ومتنه منكر، وقد قام أحمد ميرين البلوشي في رسالته التي حقق فيه خصائص أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب، بالحكم على رجال السند وحكم عليه بالضعف، «خصائص علي بن أبي طالب» ص (١٣٥ ، ١٣٦). وقد صحح الحديث أحمد شاكر (٢/٥٨).

من الأوثان وأرسل السرايا بعد ذلك الفتح العظيم لهدم ولتطهير الجزيرة العربية، من مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على إزالتها وإبطالها.

خامسًا: هل دفن علي رضي الله عنه أبا طالب بإرشاد رسول الله؟ :

عن علي ﷺ: أنه أتى النبي ﷺ فقال: إن أبا طالب مات. فقال له النبي ﷺ: «**اذهب فواره**»، فقال: إنه مات مشركًا. فقال: «**اذهب فواره**». قال: فلما واريته رجعت إلى النبي ﷺ، فقال لي: «**اغتسل**»[١]. وجاء في رواية: «**اذهب فاغتسل ثم لا تحدث شيئًا حتى تأتيني**» قال: فاغتسلت ثم أتيته قال: فدعا لي بدعوات ما يسرني أن لي بها حمر النعم وسودها. قال الراوي عبدالرحمن السلمي: وكان علي ﷺ إذا غسل ميتًا اغتسل[٢].

سادسًا: الحس الأمني عند علي ﷺ ودوره في إيصال أبي ذر ﷺ لرسول الله ﷺ:

إن من معالم المرحلة المكية، الكتمان والسرية، حتى عن أقرب الناس، وكانت الأوامر النبوية على وجوب المحافظة على السرية واضحة وصارمة، وقد قام علي ﷺ بدور عظيم في أخذ أبي ذر إلي مقر رسول الله ﷺ فقد كان ﷺ منكرًا لحال الجاهلية، ويأبى عبادة الأصنام، وينكر على من يشرك بالله، وكان يصلي لله قبل إسلامه، بثلاث سنوات، دون أن يخص قبلة بعينها بالتوجه، ويظهر أنه كان على نهج الأحناف، ولما سمع بالنبي ﷺ قدم إلى مكة، وكره أن يسأل عنه، حتى أدركه الليل، فاضطجع فرآه علي ﷺ، فعرف أنه غريب، فاستضافه ولم يسأله عن شيء، ثم غادر صباحًا إلي المسجد الحرام، فمكث حتى أمسى فرآه عليّ فاستضافه لليلة ثانية، وحدث مثل ذلك الليلة الثالثة، ثم سأله عن

---

(١) «مسند أحمد الموسوعة الحديثية» رقم (٧٥٩) إسناده ضعيف، وفي الموسوعة تفصيل مفيد في الحكم على رجال السند.

(٢) «الصحيح المسند في فضائل الصحابة» ص (١١٨)، وقال مصطفى العدوي: حسن بمجموع طرقه، وجاء بشواهد للحديث.

سبب قدومه، فلما استوثق منه أبو ذر أخبره بأنه يريد مقابلة الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال له علي: فإنه حق، وهو رسول الله، فإذا أصبحت فاتبعني، فإني إن رأيت شيئًا أخاف عليك قمت كأني أريق الماء، فإن مضيت فاتبعني» فتبعه وقابل الرسول صلى الله عليه وسلم، واستمع إلى قوله، فأسلم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «**ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري**». فقال: والذي نفسي بيده لأصرخن بين ظهرانيهم، فخرج حتى أتى المسجد، فنادى بأعلى صوته، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وثار القوم حتى أضجعوه فأتى العباس ابن عبدالمطلب، فحذرهم من انتقام غفار والتعرض لتجارتهم، التي تمر بديارهم إلى الشام، فأنقذه منهم[1]، وكان أبو ذر قبل مجيئه قد أرسل أخاه؛ ليعلم له علم النبي صلى الله عليه وسلم ويسمع من قوله ثم يأتيه، فانطلق الأخ حتى قدمه، وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذر، فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وكلامًا ما هو بالشعر. فقال: ما شفيتني[2] مما أردت، وعزم على الذهاب بنفسه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أخوه له: وكن على حذر من أهل مكة فإنهم قد شنفوا له وتجهموا[3].

ومن الدروس والعبر والفوائد من هذه الحادثة:

١ـ **التأني والتريث في الحصول على المعلومة**: حيث حرص أبي ذر رضي الله عنه لما يعرفه من كراهية قريش لكل من يخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا التأني تصرف أمني، تقتضيه حساسية الموقف، فلو سأله عنه لعلمت به قريش، وبالتالي قد يتعرض للأذى والطرد ويخسر الوصول إلى هدفه الذي من أجله ترك مضارب قومه وتحمل في سبيله مصاعب ومشاق السفر.

٢ـ **الاحتياط والحذر قبل النطق بالمعلومة**: حين سأل علي رضي الله عنه أبا ذر رضي الله عنه عن

---

(١) «صحيح البخاري» (فتح الباري) (٧/ ١٧٣).

(٢) ما شفيتني مما أردت: ما بلغتني غرضي وأزلت عني همي.

(٣) «مسلم» (٤/ ١٩٢٣) رقمه (٢٤٧٣)، و«صحيح السيرة النبوية» إبراهيم العلي ص (٨٣)، و«السيرة النبوية الصحيحة» للعمري (١/ ١٤٥)، شنفوا له: أي أبغضوه.

أمره وسبب مجيئه إلى مكة، ولم يخبره بالرغم من أنه استضافه ثلاثة أيام إمعانا في الحذر، فاشترط عليه قبل أن يخبره أن يكتم عنه، وفي الوقت ذاته أن يرشده، فهذا غاية في الاحتياط وتم ما أراده.

٣ـ التغطية الأمنية للتحرك: الاتفاق بين علي وأبي ذر رضي الله عنهما على إشارة، أو حركة معينة، كأنه يصلح نعله، أو كأنه يريق الماء، وذلك عندما يرى علي رضي الله عنه من يترصدهما أو يراقبهما، فهذه تغطية أمنية لتحركهم تجاه المقر (دار الأرقم)، هذا إلى جانب أن أبا ذر كان يسير على مسافة من علي، فيُعد هذا الموقف احتياطًا، وتحسبًا لكل طارئ، قد يحدث أثناء الحركة.

٤ـ هذه الشارات الأمنية العابرة تدل على تفوق الصحابة رضي الله عنهم في الجوانب الأمنية: وعلى مدى توافر الحس الأمني لديهم، وتغلغله في نفوسهم، حتى أصبح سمة مميزة لكل تصرف من تصرفاتهم الخاصة والعامة، فأتت تحركاتهم منظمة ومدروسة، فما أحوجنا لمثل هذا الحس الذي كان عند الصحابة، بعد أن أصبح للأمن في عصرنا أهمية بالغة في زوال واستمرار الدول والحضارات، وضعف وقوة الأمم والشعوب، والجماعات والمؤسسات والمنظمات، وأصبحت له مدارسه الخاصة وتقنياته المتقدمة، وأساليبه ووسائله المتطورة، وأجهزته المستقلة، وميزانياته ذات الأرقام الكبيرة، وأضحت المعلومات عامة، والمعلومات الأمنية خاصةً تباع بأغلى الأثمان، ويضحى في سبيل الحصول عليها بالنفس إذا لزم الأمر، وما دام الأمر كذلك فعلى المسلمين الاهتمام بالناحية الأمنية حتى لا تصبح قضايانا مستباحة للأعداء، وأسرارنا في متناول أيديهم[1].

سابعًا: علي رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في طوافه على القبائل وعرضه للدعوة عليها وحضوره المفاوضات مع بني شيبان:

عن أبان بن تغلب عن عكرمة عن ابن عباس: حدثني علي بن أبي طالب رضي الله عنه،

(١) «دروس في الكتمان»، لمحمود شيت خطاب ص(٩)، و«السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث» للصلاَّبي (١/ ١٧١).

قال: لما أمر الله رسوله أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبوبكر إلى منًى حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدم أبوبكر رضي الله عنه فسلم، وكان أبوبكر مقدمًا في كل خير، وكان رجلاً نسابة... إلي أن قال: ثم دفعنا إلي مجلس آخر، عليه السكينة والوقار، فتقدم أبوبكر فسلم فقال: من القوم؟ قالوا: شيبان بن ثعلبة، فالتفت أبوبكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: بأبي وأمي، هؤلاء غُررُ الناس، وفيهم مفروق قد غلبهم لسانًا وجمالاً، وكانت له غديرتان تسقطان على تَرِيبَتَيه، وكان أدنى القوم مجلسًا من أبي بكر، فقال أبوبكر: كيف العدد فيكم؟ فقال مفروق: إنا لنزيد على الألف ولن تُغلب ألف من قلة، فقال أبوبكر: وكيف المنعة فيكم؟ فقال مفروق: إنا لأشد ما نكون غضبًا حين نلقى، وأشد ما نكون لقاء حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله، يديلنا مرة، ويديل علينا مرة أخرى، لعلك أخو قريش؟ فقال أبوبكر: إن كان بلغكم أنه رسول الله فها هو ذا. فقال مفروق: إلام تدعونا يا أخا قريش؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأني عبدالله ورسوله، وإلى أن تؤووني وتنصروني؛ فإن قريشًا قد تظاهرت على الله، وكذَّبت رسوله، واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغني الحميد**»، فقال مفروق: وإلام تدعو أيضا يا أخا قريش؟ فوالله ما سمعت كلامًا أحسن من هذا، فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ (الأنعام: ١٥١).

فقال مفروق: دعوت والله إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال ولقد أفك قوم كذبوك، وظاهروا عليك، ثم رد الأمر إلى هانئ بن قبيصة فقال: وهذا هانئ شيخنا، وصاحب ديننا، فقال هانئ: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، وإني أرى تَرْكَنا ديننا، واتباعنا دينك لمجلس جلست إلينا، لا أول له، ولا آخر، لذل في الرأي، وقلة نظر في العاقبة، إن الزلة مع العجلة، وإنا نكره أن نعقد على

من وراءنا عقدًا، ولكن نرجع وترجع، وننظر، ثم كأنه أحب أن يشركه المثنى بن حارثة، فقال: وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا، فقال المثنى ـ وأسلم بعد ذلك ـ: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، والجواب فيه جواب هانئ بن قبيصة في تركنا ديننا ومتابعتنا دينك، وإنا إنما نزلنا بين صَرَيَيْن، أحدهما اليمامة، والآخر السَّمامة، فقال له رسول الله ﷺ: «**ما هذان الصريان**»، قال: أنهار كسرى، ومياه العرب، فأما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول، وإنا إنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى ألا نحدث حدثًا، ولا نؤوي محدثًا، وإني أرى هذا الأمر الذي تدعونا إليه يا أخا قريش مما تكرهه الملوك، فإن أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلي مياه العرب، فعلنا، فقال رسول الله ﷺ: «**ما أسأتم في الرد، إذا أفصحتم بالصدق، وإن دين الله عز وجل لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه، أريتم إن تلبثوا إلا قليلاً، حتى يورثكم الله تعالى أرضهم وديارهم، ويفرشكم نساءهم، أتسبحون الله وتقدسونه؟**»، فقال النعمان ابن شريك: اللهم فلك ذاك(١). وهذا الحدث فيه دروس وعبر وفوائد تعلمها علي ابن أبي طالب رضي الله عنه منها:

١ـ تعلم علي رضي الله عنه، أن النبي ﷺ رفض أن يعطي القوى المستعدة لتقديم نصرتها، أية ضمانات بأن يكون لأشخاصهم شيء من الحكم والسلطان على سبيل الثمن، أو المكافأة لما يقدمونه من نصرة وتأييد للدعوة الإسلامية؛ وذلك لأن الدعوة الإسلامية إنما هي دعوة إلي الله، فالشرط الأساسي فيمن يؤمن بها ويستعد لنصرتها أن يكون الإخلاص لله، ونشدان رضاه هما الغاية التي يسعى إليها من النصرة والتضحية، وليس طمعًا في نفوذ أو رغبة في سلطان؛ وذلك لأن الغاية التي يضعها الإنسان للشيء هي التي تكيف نشاط الإنسان في السعي إليه، فلابد إذن، من أن تتجرد الغاية المستهدفة من وراء نصرة الدعوة، عن أي مصلحة مادية لضمان دوام التأييد لها، وضمان المحافظة عليها من أي انحراف،

(١) «البداية والنهاية» (٣/ ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥)، والبيهقي «دلائل النبوة» إسناده حسن، ونقل عنه ابن كثير.

وضمان أقصى ما يمكن من بذل الدعم لها، وتقديم التضحيات في سبيلها[١]، فيجب على كل من يريد أن يلتزم بالجماعة التي تدعو إلى الله ألا يشترط عليها منصبًا، أو عرضًا من أعراض الدنيا؛ لأن هذه الدعوة لله، والأمر لله يضعه حيث يشاء والداخل في أمر الدعوة إنما يريد ابتداء وجه الله، والعمل من أجل رفع رايته، أما إذا كان المنصب هو همه الشاغل فهذه علامة خطيرة تنبئ عن دخن في نية صاحبها[٢]، لذا قال يحيى ابن معاذ الرازي: لا يفلح من شممت منه رائحة الرياسة[٣].

٢ـ وتعلم علي رضي الله عنه من رسول الله أن صفة النصرة التي كان يطلبها رسول الله لدعوته من زعماء القبائل يجب أن تكون غير مرتبطة بمعاهدات دولية، تتناقض مع الدعوة، ولا يستطيعون التحرر منها؛ وذلك لأن احتضانهم للدعوة والحالة هذه يُعرضُّها لخطر القضاء عليها، من قبل الدول التي بينهم وبينها تلك المعاهدات والتي تجد في الدعوة الإسلامية خطرًا عليها، وتهديدًا لمصالحها[٤]، إن الحماية المشروطة أو الجزئية لا تحقق الهدف المقصود، فلن يخوض بنو شيبان حربًا ضد كسرى، لو أراد القبض على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسليمه، ولن يخوضوا حربًا ضد كسرى لو أراد مهاجمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه، وبذلك فشلت المباحثات[٥].

٣ـ إن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه، كان هذا الرد من النبي صلى الله عليه وسلم على المثنى بن حارثة، حين عرض على النبي صلى الله عليه وسلم حمايته على مياه العرب، دون مياه الفرس، فمن يسبر أغوار السياسة البعيدة، يَرَ بُعْدَ النظر الإسلامي النبوي الذي لا يسامى[٦].

٤ - لمس علي رضي الله عنه أثر الإسلام على المثنى وقومه بعد أن أسلموا، وكيف

---

(١) «الجهاد والقتال في السياسة الشرعية» (١/ ٤٢١).

(٢) «وقفات تربوية من السيرة النبوية»، لعبدالحميد البلالي ص (٧٢)

(٣) «صفة الصفوة» (٤/ ٩٤).

(٤) «الجهاد والقتال في السياسة الشرعية» (١/ ٤٢١).

(٥) «التحالف السياسي في الإسلام»، منير الغضبان ص(٥٣).

(٦) المصدر نفسه ص٦٤.

تحملت قبيلة بني شيبان عبء مواجهة الفرس، وكان المثنى بن حارثة -فيما بعد- من قاده فتح العراق في عهد الصديق ﷺ، فقد أكسبهم الإيمان بهذا الدين جرأة على قتال الفرس.

هذه بعض المفاهيم والدروس والعبر التي استفادها علي ﷺ من رسول الله ﷺ عند مفاوضاته لزعماء بني شيبان.

ثامنًا: تقديمه نفسه فداء للنبي ﷺ:

عندما اجتمعت قبيلة قريش في دار الندوة، وأجمعوا على قتل النبي ﷺ والتخلص منه، أعلم الله نبيه ﷺ بذلك، وكان النبي ﷺ أحكم خلق الله، فأراد أن يبقى من أراد قتله ينظر إلى فراشه ينتظرونه يخرج عليهم، فأمر علي بن أبي طالب ﷺ أن ينام في فراشه تلك الليلة، ومن يجرؤ على البقاء في فراش رسول الله ﷺ والأعداء قد أحاطوا بالبيت يتربصون به ليقتلوه؟ من يفعل هذا ويستطيع البقاء في هذا البيت وهو يعلم أن الأعداء لا يفرِّقون بينه وبين رسول الله ﷺ في مضجعه؟ إنه لا يفعل ذلك إلا أبطال الرجال وشجعانهم بفضل الله[1] ـ تعالى ـ وقد أمره النبي ﷺ أن يقيم بمكة أيامًا حتى يؤدي أمانة الودائع والوصايا التي كانت عنده إلى أصحابها من أعدائه كاملة غير منقوصة، وهذا من أعظم العدل، وأداء الأمانة[2]، وقد جاء في رواية: أن رسول الله قال له: **«نم على فراشي، وتَسَجَّ ببردي هذا الحضرميِّ، فنم فيه؛ فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم»**[3]، وقال ابن حجر، وذكر موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال: فرقد علي على فراش رسول الله يواري عنه، وباتت قريش تختلف، وتأتمر، أيهم يهجم على صاحب الفراش فيوثقه، حتى أصبحوا فإذا هم بعلي، فسألوه، فقال: لا علم لي، فعلموا أنه قد فر[4]، وعن ابن عباس: إن عليًّا قد شرى نفسه تلك الليلة حين لبس

---

(١) «الحكمة في الدعوة إلى الله» للقحطاني ص(٢٣٥).

(٢) «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٢)، و«تاريخ الخلفاء» للسيوطي ص(١٦٦).

(٣) السيرة لابن هشام (٢/ ٩١)، و«فتح الباري» (٧/ ٢٣٦).

(٤) «فتح الباري» (٧/ ٢٣٦).

ثوب النبي، ثم نام مكانه (١)، وفي علي وإخوانه من الصحابة المجاهدين الذين يبتغون الله والدار الآخرة نزل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (البقرة: ٢٠٧).

وفي هذا الموقف دروس وعبر وفوائد منها:

١ـ إن خطة الهجرة، كما رسمها رسول الله ﷺ كانت تتطلب أن يأخذ مكانه في البيت رجل تشغل حركته داخل الدار أنظار المحاصرين لها من مشركي قريش وتخدعهم بعض الوقت عن مخرج رسول الله ﷺ؛ حتى يكون وصاحبه أبوبكر قد جاوزا منطقة الخطر(٢).

٢ـ في تلبية علي رضي الله عنه لأمر النبي ﷺ مثال للجندي الصادق، المخلص لدعوة الإسلام؛ حيث فدى قائده بحياته، ففي سلامة القائد سلامة للدعوة وفي هلاكه خذلانها، ووهنها، فما فعله عليٌّ رضي الله عنه ليلة الهجرة من بياته على فراش الرسول ﷺ يعتبر تضحية غالية؛ إذ كان من المحتمل أن تهوي سيوف فتيان قريش على رأس علي رضي الله عنه، ولكن عليًّا رضي الله عنه لم يبال بذلك، فحسبه أن يسلم رسول الله نبي الأمة، وقائد الدعوة(٣).

٣ـ في إيداع المشركين ودائعهم عند رسول الله ﷺ مع محاربتهم له، وتصميمهم على قتله، دليل باهر على تناقضهم العجيب الذين كانوا واقعين فيه، ففي الوقت الذي كانوا يكذبونه، ويزعمون أنه ساحر، أو مجنون، أو كذاب، لم يكونوا يجدون فيمن حولهم من هو خير منه أمانة وصدقًا، فكانوا لا يضعون حوائجهم، ولا أموالهم التي يخافون عليها إلا عنده، وهذا يدل على أن كفرانهم لم يكن بسبب الشك لديهم في صدقه، وإنما بسبب تكبرهم واستعلائهم على الحق، الذي جاء به، وخوفًا على زعامتهم وطغيانهم(٤)، وصدق الله العظيم:

(١) «فضائل الصحابة» رقم (١١٦٨)، إسناده حسن.
(٢) «خلفاء الرسول ﷺ» (٣٩٦)، و«العشرة المبشرون بالجنة» لمحمد صالح.
(٣) «السيرة النبوية» للسباعي ص(٣٤٥). (٤) «فقه السيرة» للبوطي ص(١٥٣).

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (الأنعام: ٣٢).

٤- وفي أمر الرسول ﷺ لعلي رضي الله عنه بتأدية هذه الأمانات لأصحابها في مكة، على الرغم من هذه الظروف الشديدة التي كان من المفروض أن يكتنفها الاضطراب، بحيث لا يتجه التفكير إلا إلى إنجاح خطة هجرته فقط، على الرغم من ذلك فإن الرسول ﷺ ما كان لينسى أو ينشغل عن رد الأمانات إلى أهلها، حتى ولو كان في أصعب الظروف التي تنسي الإنسان نفسه فضلاً عن غيره(١)، فقد أبى أن يخون من ائتمنه ولو كان عدوًّا يحرّض عليه، ويؤذيه؛ لأن خيانة الأمانة من صفات المنافقين، ويتنزه عنها المؤمنون(٢).

٥- هذا الحدث العظيم فيه دلالة قاطعة على شجاعة علي رضي الله عنه؛ فإنه يعلم وهو يقوم بتنفيذ ما أمر به أنه معرض لخطر عظيم فقد يقتحمون عليه داره ويقتلونه دون أن يتثبتوا من هويته، وقد يباغتونه وهو خارج في الصباح من غير أن يتبينوا من هو والقوم يتربصون به طول الليل يترقبون هذه اللحظة وقد بلغ منهم الجهد كل مبلغ فأصبحوا غير قادرين على التأكد من شخصية الخارج من الدار أهو محمد ﷺ أم هو رجل آخر؟، لابد أن ذلك كله قد دار في عقل علي ولكنه بادر وسعد بالتنفيذ فهو أولاً: يحب الله ورسوله حبًّا ملك عليه قلبه جعل سلامة رسول الله ﷺ هدفه الأسمى ولو كلفه ذلك التضحية بحياته. ثانيا: هي عملية لابد منها لكي يخرج الرسول سالمًا من تدبير الأعداء حتى يتمكن من نشر الإسلام في كل مكان فالأمر إذن يتعلق بمصلحة الإسلام أولاً وثانيًا، وقد نام علي رضي الله عنه في فراش رسول الله ﷺ وسَلِمَ مع كل هذه التوقعات وهذا دليل على عمق إيمانه بقضاء الله وقدره فهو بحق مؤمن بقوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: ٥١). وإننا لنلمح في اختيار رسول الله لعلي -ليقوم بهذا الدور الخطير- ثقة

(١) «الهجرة في القرآن الكريم» ص(٣٦٤). (٢) «جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين» ص(٤٢٣).

تامة لا تعدلها ثقة، واطمئنانًا إلى قدرات خاصة امتاز بها علي قد لا تتوفر في غيره؛ فإنه لم يتردد حين دعاه الرسول لينام على فراشه، وهو يعلم أنه ليس وراء ذلك إلا الموت الذي أعد له المشركون أشجع فتيان قريش ولم يسمح لنفسه أن يفكر في العاقبة؛ لأنه يعلم أنه حين يكون فداء لرسول الله ينال بذلك شرفًا لا يناله بغير هذا الطريق[١].

تاسعًا: هجرته:

لما أصبح قام علي رضي الله عنه عن فراشه، فعرفه القوم وتأكدوا من نجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لعلي: أين صاحبك؟ قال: لا أدري أَوَ رقيبًا كنتُ عليه، أمرتموه بالخروج فخرج. وضاق القوم بتلك الإجابة الجريئة وغاظهم خروج رسول الله من بين أظهرهم، وقد عموا عنه فلم يروه، فانتهروا عليًّا وضربوه، وأخذوه إلى المسجد فحبسوه هناك ساعة، ثم تركوه[٢]، وتحمل علي ما نزل به في سبيل الله وكان فرحه بنجاة رسول الله أعظم عنده من كل أذى نزل به ولم يضعف ولم يخبر عن مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانطلق علي في مكة يجوب شوارعها باحثًا عن أصحاب الودائع التي خلفه رسول الله من أجلها وردها إلى أصحابها وظل يرد هذه الأمانات حتى برئت فيها ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهناك تأهب للخروج ليلحق برسول الله بعد ثلاث ليال قضاهن في مكة[٣].

وكان علي في أثناء هجرته يكمن بالنهار فإذا جن عليه الليل سار حتى قدم المدينة، وقد تفطرت قدماه[٤]، وهكذا يكون علي رضي الله عنه، قد لاقى في هجرته من الشدة، فلم تكن له راحلة يمتطيها ولم يستطع السير في النهار لشدة حرارة الشمس وفي مشي الليل مافيه من الظلمة المفجعة والوحدة المفزعة، ولو أضفنا

---

(١) «جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين» ص(٤٢٦).

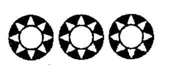
(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ٣٧٤).

(٣) المصدر نفسه (٢/ ٣٨٢)، و«البداية والنهاية» (٧/ ٣٣٥)، و«جولة تاريخية» ص(٤٢٤).

(٤) «الكامل» (٢/ ١٠٦).

إلى ذلك أنه ﷺ قد قطع الطريق على قدميه دون أن يكون معه رفيق يؤنسه؛ لعلمنا مقدار ما تحمله من قسوة الطريق ووعثاء السفر وآلام الوحدة، وقد سهل عليه تلك العقبات والمصاعب شعوره بأنه يعمل ابتغاء مرضاة الله عز وجل، وأنه في نهاية المطاف سيلحق برسول الله، ويستمتع بجواره آمنًا مطمئنًا في المدينة، ولم يكد علي يقطع الطريق ويصل إلى المدينة حتى نزل في بني عمرو ابن عوف على كلثوم بن الهدم؛ حيث كان ينزل رسول الله ﷺ(١)، وهكذا كانت هجرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ تضحية وفداءً وتحملاً وصبرًا وشجاعة وإقدامًا.

وقد لاحظ سيدنا علي مدة إقامته بقباء امرأة مسلمة لا زوج لها، ورأى إنسانًا يأتيها من جوف الليل، فيضرب عليها بابها، فتخرج إليه، فيعطيها شيئًا معه، فتأخذه، ولنستمع إليه ﷺ وهو يحدثنا بالقصة حيث قال: فاستربت بشأنه، فقلت لها: يا أمة الله، من هذا الذي يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين إليه، فيعطيك شيئًا لا أدري ما هو؟ وأنت امرأة مسلمة، لا زوج لك؟ قالت: هذا سهل بن حنيف بن وهب، قد عرف أني امرأة لا أحد لي، فإذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسرها، ثم جاءني بها، فقال: احتطبي بهذا، فكان علي ﷺ يأثر ذلك من أمر سهل بن حنيف حتى هلك عنده بالعراق(٢). ونلاحظ صفة النباهة واليقظة التي لابد للمسلم أن يتحلى بها ولا يكون غافلاً عما يدور حوله.



---

(١) «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٢)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ١٢٩)، وذكره ابن إسحاق بدون إسناد، و«جولة تاريخية» ص(٤٢٥).

(٢) «محمد رسول الله»، لصادق عرجون (٢/ ٤٢١).

المبحث الثالث

معايشة أمير المؤمنين علي للقرآن الكريم وأثرها عليه في حياته

أولاً: تصوره عن الله والكون والحياة والجنة والنار والقضاء والقدر:

كان المنهج التربوي الذي تربى عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو نفسه الذي خضع له كل الخلفاء الراشدين، والصحابة الكرام، فقد تربوا على القرآن الكريم، وكان المربي سيد الخلق أجمعين محمد صلى الله عليه وسلم، فقد حرص الحبيب المصطفى على توحيد مصدر التلقي وتفرده، وأن يكون القرآن الكريم وحده هو المنهج، مع ما يوحي إليه المولى عز وجل من الحكمة، ولقد تربى الفرد المسلم، والأسرة المسلمة والجماعة المسلمة على العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولقد كانت للآيات الكريمة التي سمعها علي من رسول الله مباشرة أثرها في صياغة شخصيته الإسلامية، فقد طهرت قلبه، وزكت نفسه، ونوّرت عقله، وتفاعلت معها روحه، فتحول إلى إنسان جديد بقيمه ومشاعره وأهدافه وسلوكه وتطلعاته[1].

فقد عرف علي رضي الله عنه من خلال القران الكريم والتربية النبوية الراشدة من هو الإله الذي يجب أن يعبده، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يغرس في نفسه معاني تلك الآيات العظيمة، فقد حرص صلى الله عليه وسلم على أن يربي أصحابه على التصور الصحيح عن ربهم وعن حقه عليهم، مدركًا أن هذا التصور سيورث التصديق واليقين عندما تصفى النفوس، وتستقيم الفطرة، فأصبحت نظرة علي رضي الله عنه إلى الله والكون والحياة والجنة والنار، والقضاء والقدر، وحقيقة الإنسان، وصراعه مع الشيطان مستمدة من القرآن الكريم وهدي النبي صلى الله عليه وسلم.

فالله سبحانه وتعالى منزه عن النقائص موصوف بالكمالات التي لا تتناهى فهو «واحد لا شريك له ولم يتخذ صاحبة ولا ولد». وأنه سبحانه خالق كل

---

(١) «السيرة النبوية» للصَّلاَّبيِّ (١/ ١٤٥).

شيء ومالكه ومدبره: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ٥٤).

وأنه تعالى مصدر كل نعمة في هذا الوجود دقت أو عظمت، ظهرت أو خفيت ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ (النحل: ٥٣).

وأن علمه محيط بكل شيء فلا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ولا ما يخفي الإنسان وما يعلن، وأنه سبحانه يقيد على الإنسان أعماله بواسطة ملائكته، في كتاب لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وسينشر ذلك في اللحظة المناسبة والوقت المناسب ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: ١٨).

وأنه سبحانه يبتلي عباده بأمور تخالف ما يحبون وما يهوون ليعرف الناس معادنهم، ومن منهم يرضى بقضاء الله وقدره، ويسلم له ظاهرًا وباطنًا، فيكون جديرًا بالخلافة والإمامة والسيادة، ومن منهم يغضب ويسخط فلا يساوي شيئًا، ولا يسند إليه شيء ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (الملك: ٢).

وأنه سبحانه يوفق ويؤيد وينصر من لجأ إليه، ولاذ بحماه ونزل على حكمه في كل ما يأتي وما يذر: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٦). وأنه سبحانه وتعالى حقه على العباد أن يعبدوه ويوحدوه فلا يشركوا به شيئًا ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (الزمر: ٦٦). وأنه وحده المستحق للعبادة وهذا حق الله على العباد كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٤٨).

وأنه سبحانه حدد مضمون هذه العبودية، وهذا التوحيد في القرآن الكريم[١].

وأما نظرته للكون فقد استمدها من قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي

---

(١) «منهج الرسول في غرس الروح الجهادية» ص (١٠ ـ ١٦).

خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (فصلت: ٩-١٢).

وأما هذه الحيـاة مهما طالت فهي إلى زوال، وأن مـتاعها مهـما عظم فإنه قليل حقير. قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٦-٤٧) ، فعرّف الله تعـالى الإنسان المسلم حقيقة الحـياة وأنها ليست دار كرامة وأن الآخرة خـير وأبقى وهي تهدي من تمكن حب الله ورسوله في قلبه على أن يقدم رضى الله ورسـوله على ما سواه ولو كان الثمن الدنيا ومـا فيها، وقد عبر عن هذه الحـقيقة أمير المؤمنين علي عندما قال: «يا دنيـا غُرّي غيري، إليَّ تعرضت أم إليَّ تشوقت هيـهات هيهات، قد باينتك ثـلاثًا لا رجعة فيها، فـعمرك قصير، وخطرك قليل آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق»(١).

وأما نظرته إلى الجنة فقد استمدها من خـلال الآيات الكريمة التي وصفتها فأصبح حاله ممن قال الله فيهم: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: ١٦-١٧).

وأما تصوره للنار فقد استمده من القرآن الكريم، فأصبح هذا التصور رادعًا له في حياته عن أي انحراف عن شريعة الله، فيـرى المتتبع لسيرة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عمق استيعابه لفقـه القدوم على الله عز وجل، وشدة خوفه من عذاب الله وعقابه، وستتضح كثيرًا من هذه المعالم في هذا الكتاب بإذن الله تعالى.

وأما مفهوم القضاء والقدر فقد استمده من كتاب الله وتعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم،

---

(١) «الاستيعاب» (٣ / ١١٠٨).

فقد رسخ مفهوم القضاء والقدر في قلبه، واستوعب مراتبه من كتاب الله تعالى، فكان على يقين بأن علم الله محيط بكل شيء ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (يونس: ٦١)، وأن الله قد كتب كل شيء كائن ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ (يس: ١٢). وأن مشيئة الله نافذة وقدرته تامة ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ (فاطر: ٤٤). وأن الله خالق لكل شيء ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (الأنعام: ١٠٢).

وقد ترتب على الفهم الصحيح والاعتقاد الراسخ في قلبه لحقيقة القضاء والقدر، ثمار نافعة ومفيدة، ظهرت في حياته وسنراها بإذن الله تعالى في هذا الكتاب، وعرف من خلال القرآن الكريم حقيقة نفسه وبناء الإنسان، وأن حقيقة الإنسان ترجع إلى أصلين: الأصل البعيد وهو الخلقة الأولى من طين، حين سواه ونفخ فيه الروح، والأصل القريب وهو خلقه من نطفة(١)، فقال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (السجدة: ٧-٩). وعرف أن هذا الإنسان خلقه الله بيده، وأكرمه بالصورة الحسنة والقامة المعتدلة، ومنحه العقل والنطق والتمييز، وسخر الله له ما في السماء والأرض، وفضله على كثير من خلقه، وكرمه بإرساله الرسل له، وأن من أروع مظاهر تكريم المولى عز وجل للإنسان أن جعله أهلاً لحبه ورضاه ويكون ذلك باتباع النبي ﷺ الذي دعا الناس إلى الإسلام لكي يحيوا حياة طيبة في الدنيا ويظفروا بالنعيم المقيم في الآخرة قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧).

---

(١) «أصول التربية» للنحلاوي (ص٣١).

وعرف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حقيقة الصراع بين الإنسان والشيطان وأن هذا العدو يأتي للإنسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، يوسوس له بالمعصية، يستثير فيه كوامن الشهوات، فكان مستعينًا بالله على عدوه إبليس منتصراً عليه في حياته، كما سترى في سيرته، وتعلم من قصة آدم مع الشيطان في القرآن الكريم، أن آدم هو أصل البشر، وأن جوهر الإسلام الطاعة المطلقة لله، وأن الإنسان له قابلية للوقوع في الخطيئة، وتعلم من خطيئة آدم ضرورة توكل المسلم على ربه، وأهمية التوبة والاستغفار في حياة المؤمن، وضرورة الاحتراز من الحسد والكبر وتقديم مرضاة الله سبحانه وتعالى على كل ما سواه وأهمية التخاطب بأحسن الكلام مع إخوانه من الصحابة، قال تعالى: ﴿**وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا**﴾ (الإسراء: ٥٣). وسار على منهج رسول الله في تزكية أصحابه لأرواحهم، وتطهير قلوبهم بأنواع العبادات، وتربيتهم على التخلق بأخلاق القرآن الكريم.

ثانيًا: مكانة القرآن الكريم عنده:

عاش أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حياته مع القرآن تلاوة وحفظًا وفهمًا وعملاً، وكان يقول: من قرأ القرآن، فمات فدخل النار فهو ممن كان يتخذ آيات الله هزوًا[1]، وكان يقول: طوبى لهؤلاء كانوا أحبّ الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم[2]، وكان يقول: ما كنت أرى أحدًا يعقل ينام قبل أن يقرأ الآيات الثلاثة الأواخر من سورة البقرة[3] أي أهل القرآن، وقال يصف القرآن الكريم ويبين عظيم قدره في القرآن الكريم: كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو الحبل المتين وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسن، ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه

---

(١) «المستطرف» (١/ ٢٩)، «فرائد الكلام» ص (٣٧٥).

(٢) «التبيان في آداب حملة القرآن» (ص١٤٦)، و«فرائد الكلام» ص (٣٩٠).

(٣) «التبيان في آداب حملة القرآن» ص (٢٦٦)، و«فرائد الكلام» ص (٣٨٧).

العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم(١). ولشدة اهتمام أمير المؤمنين علي بالقرآن حصل على علم كبير به وبعلومه، فقد روي عنه أنه قال: والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت، إن ربي وهب لي قلبًا عقولاً ولسانًا صادقًا ناطقًا(٢)، وقد قال ﷺ: سلوني عن كتاب الله؛ فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم نهار، في سهل أم في جبل(٣)، ويرى ابن عبدالبر أن عليًّا ﷺ: كان ممن جمع القرآن الكريم على عهد رسول الله وهو حي(٤)، وقد قال في آخر عهده: سلوني قبل أن تفقدوني(٥)، وكان ذلك عندما مات أكثر علماء الصحابة، وكان ﷺ بالعراق، فكان من حرصه على تعليم الناس القرآن الكريم والهدي النبوي الشريف في قوم كثر فيهم الجهل ولا يعرفون الكثير من أحكام الدين، فكان ﷺ يحرص على تعليمهم وإرشادهم للحق، فقد كان أعلم أهل زمانه وهذا نموذج للعالم الرباني الذي يحرص على تعليم الناس الخير وتربيتهم عليه.

ثالثًا: ما نزل فيه من القرآن الكريم:

كان القرآن الكريم ينزل على رسول الله يعالج أحداثًا واقعية حصلت في المجتمع النبوي الكريم فيثني على عمل ما، ويشيد بأقوام، ويحذر من آخرين، وينبه على بعض الأخطاء، وقد نزلت بعض الآيات التي خلدت بعض المآثر لأمير المؤمنين وبعض الصحابة رضي الله عنهم أجمعين:

١- منها قوله تعالى: ﴿**هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ**

---

(١) «فضائل القرآن» لابن كثير ص (١٥)، و«موقف على أمير المؤمنين علي».
(٢) «الطبقات» لابن سعد (٢/٣٣٨)، و« تاريخ الخلفاء» للسيوطي ص (١٥٢).
(٣) «الصواعق المحرقة» (٢/ ٣٧٥)، و«الطبقات» (٢/ ٣٣٨).
(٤) «الاستيعاب» (٣/ ١١٣٠)، وجمع القرآن الكريم أي: حفظه عن ظهر قلب.
(٥) «منهاج السنة» (٨/ ٥٧ ــ ٥٨).

الْحَرِيقِ (٢٢) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ (الحج:١٩-٢٣). روى البخاري بسنده عن علي ابن أبي طالب أنه قال: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة. وقال قيس ابن عبادة فيهم نزلت: هذان خصمان اختصموا في ربهم قال: هم الذين تبارزوا يوم بدر، حمزة وعلي وأبو عبيدة بن الحارث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة[1].

٢- وهو أحد من نزل فيهم قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران:٦١).

وذلك في وفد نجران حينما جادلهم النبي صلى الله عليه وسلم في عيسى بن مريم، وأنه عبدالله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى أمه الطاهرة، فأنجبته، وكذبهم في أنه الله وابن الله أو ثالث ثلاثة، ودعاهم إلى الإسلام، فأبوا، فدعاهم إلى المباهلة، فعن عامر ابن سعد بن أبي وقاص، قال: ولما نزلت: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رسول الله عليًّا، وفاطمة، وحسنًا وحسينًا رضي الله عنهم فقال: «اللهم هؤلاء أهلي»[2].

٣- موافقة القرآن له في كون الجهاد أفضل من عمارة المسجد الحرام: ففي الصحيح، أن رجلاً قال: لا أبالي ألاَّ أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام، فقال علي ابن أبي طالب: الجهاد في سبيل الله أفضل من هذا كله، فقال عمر بن الخطاب، لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن إذا قضيت الصلاة سألته عن ذلك، فسأله، فأنزل الله هذه الآية: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ

(١) «البخاري» رقم (٣٩٦٥).

(٢) «مسلم» (٤/ ١٨٧١)، ٤٢٥، (١/ ١٧١).

رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (التوبة: ١٩-٢٢). فبين لهم أن الإيمان والجهاد أفضل من عمارة المسجد الحرام والحج والعمرة والطواف ومن الإحسان إلى الحجاج(١).

٤- شفقته على أمة محمد ﷺ: عن علي رضي الله عنه، قال: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**﴾ (المجادلة: ١٢). قال النبيُّ ﷺ لعلي: «**مُرهم أن يتصدقوا**» قال: يا رسول الله، بكم؟ قال: «**بدينار**»، قال: لا يطيقونه قال: «**بنصف دينار**». قال: لا يطيقونه، قال: «**فبكَمْ؟**» قال: «بشعيرة»(٢)، قال: فقال النبي ﷺ لعلي: «**إنك لزهيد**»، قال: فأنزل الله: ﴿**أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ**﴾ (المجادلة: ١٣). قال: فكان علي يقول: فبي خفف الله عن هذه الأمة(٣).

رابعا: تبليغه تفسير رسول الله ﷺ لبعض آيات القرآن الكريم:

استفاد علي رضي الله عنه من تفسير رسول الله ﷺ، وبَلَّغ ما تعلم من رسول الله للناس، وإليك بعض الأمثلة على ذلك:

أ- قوله تعالى: ﴿**وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ**﴾ عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿**وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ**﴾ (الواقعة: ٨٢). قال: «**شُكركم: أنكم تكذبون: مطرنا بنوء كذا وكذا، وبنجم كذا وكذا**» (٤).

(ب) فكل ميسر لما خلق له: عن علي رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: «**ما منكم من أحد، وما من نفس منفوسة إلا وقد كتب**

---

(١) «الفتاوى» (٨/١٦٦).

(٢) بشعيرة: وزن شعيرة من ذهب.

(٣) رواه الترمذي رقم (٣٢٩٧)، وقال: حسن غريب، وضعفه الألباني في «ضعيف موارد الظمآن» إلى «زوائد ابن حبان» ص (١٢٧-١٢٨).

(٤) «مسند الموسوعة الحديثية» رقم (٨٤٩) حسن لغيره.

الله مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة». فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل، فمن كان من أهـل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فـسيصير إلى عمل أهل الشقاوة، فقال: «**اعملوا فكل ميسر، أما أهل السعادة فسييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقـاوة فسييـسرون إلى عمل أهل الشـقاوة**» ثم قرأ: ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ**﴾ (الليل: ٥ـ١٠)[(١)]، وفي رواية: أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ فمن كان منا من أهل السعادة سيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة سيصير إلى عمل أهل الشقاوة[(٢)].

وفي رواية في الصحـيحين عن علي قال: كـان رسول الله ﷺ ذات يوم وفي يده عود ينكت به فرفع رأسه فقال: «**ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار**». فقـالوا يا رسول الله، فلم نعـمل، أولا نتكل؟ قال: «**لا! اعملوا، فكل ميسر لما خلق له**» ثم قرأ: ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ**﴾[(٣)] (الليل: ٥ـ١٠). فقد أخبر النبي ﷺ في هذه الأحاديث وغيرها بما دل عليه القرآن الكريم من أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ تقدم علمه وكتابه وقضاؤه بما سيصيـر إليه العباد من السعادة والشـقاوة، كما تقدم علمه وكتـابه بغير ذلك من أحوال العباد وغيرهم[(٤)]، وقد بين النبي ﷺ أن ذلك لا ينافي وجود الأعمال التي بها تكون السعادة والشقاوة، وإن من كـان من أهل السعادة فإنه ييسر لعمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فإنه ييسر لعمل أهل الشقاوة، وقد نهى أن يتكل الإنسان على القدر السابق ويدع العمل، ولهذا كان من اتكل على القدر السابق وترك ما أمر به من الأعمال هو من الأخسرين أعمالاً، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وكان تركهـم لما يجب عليهم من العمل من جملة المقدور الذي

---

(١) «البخاري» رقم (١٣٦٢).

(٢) «البخاري» رقم (٦٦٠٥).

(٣) المصدر نفسه رقم (٦٦٠٥)، و«الفتاوى» (٨/ ١٦٥).

(٤) «الفتاوى» (٨/ ١٦٦).

يسروا به لعمل أهل الشقاوة، فإن أهل السعادة هم الذين يعملون المأمور ويتركون المحظور، فمن ترك العمل الواجب الذي أُمر به وفعل المحظور متكلاً على القدر، كان من جملة أهل الشقاوة والميسرين لعمل أهل الشقاوة، وهذا الجواب الذي أجاب به النبي ﷺ وتعلمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأصحاب النبي ﷺ في غاية السداد والاستقامة(١).

خامسا: الأصول والأسس التي سار عليها أمير المؤمنين علي في استنباط الأحكام من القرآن الكريم وفهم معانيه:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على مبلغ كبير من العلم بالقرآن وعلومه، وقد جعله هذا العلم بالقرآن الكريم يعتقد أن القرآن فيه جميع الأحكام الشرعية إما صراحة أو ضمنًا، فكان يقول بصدد ذلك: «إن الله لم يك نسيًّا»(٢)، ولذلك كان كثيراً ما يحتج بالقرآن ويتلو الآية التي يستند إليها لبيان الحكم الشرعي، وكانت طريقته في الاستنباط كالآتي:

١- الالتزام بظاهر القرآن الكريم:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يلتزم أحيانا بظاهر القرآن الكريم حين لا يرى قرينة تقتضي صرفه عن ظاهره؛ فإنه كان يتوضأ لكل صلاة ويقرأ هذه الآية: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ...﴾(٣)(المائدة: ٦)؛ لأن ظاهرها يدل على الوضوء عند إرادة الصلاة كل مرة، وأوجب الصوم على المقيم إذا أدركه الصوم ثم سافر، فقال: من أدركه الصوم وهو مقيم ثم سافر بعد، لزمه الصوم؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾(٤)(البقرة: ١٨٥)، ورأى عدم تحريم إرضاع الكبير؛ لأنه ليس ضمن حولي الرضاعة، استناداً إلى ظاهر آية الرضاعة؛ حيث روي عنه أنه قال: في قوله تعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ (البقرة: ٢٣٣)، الرضاعة

(١، ٢) «مصنف عبدالرزاق» رقم (١٧٤٤).

(٣) «تفسير القرطبي» (٢/ ٨٠).

(٤) «فقه الإمام علي» (١/ ٤٥).

سنتان فمـا كان من رضاع في الحولين حـرم وما كان بعد الحـولين فلا يحرم(١)، وحمل ظاهـر القرآن الكريم على ظاهره في مكان آخـر حيث حكم ببـراءة امرأة اتهمت بالزنا؛ لأنها ولدت بعد ستة أشهـر من زواجها، فجمع بين قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]. فقال: الحـمل ستة أشهر والفصل أربعـة وعشرون شهرًا(٢)، أي أنه طرح مدة الرضـاعة وهي السنتـان من مجمـوع مدة الرضـاعة والحمل وهي ثلاثون شـهرًا فبـقيت ستـة أشهر، فجـمع بين ظاهر كِلْتَا الآيتين وحكم بهما(٣).

٢ـ حمل المجمل على المفسر:

المجمل: هو ما خفي مراده بحيث لا يدرك إلا ببيان يرجى(٤)، والمفسر: هو ما ظهر المـراد منه دون الحاجة إلـى بيان(٥)، وقد حـمل علي مجـمل القرآن فـي قوله تعالى: ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ (المائدة: ٩٦). على مفسره في مواضع أخرى، حيث ورد أنه سأل رجل عليًّا عن الهدي مما هو؟. فقال: من الثـمانية أزواج، فكأنّ الرجل شك، فقال له علي: أتقـرأ القرآن؟ قال: نعم، قال: فهل سـمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ﴾ (المائدة: ١). قال: نعم، قال: فهل سمعته يقول: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ﴾ (الحج: ٢٨). وقال: ﴿وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ (الأنعام: ١٤٢). قال: فسمعت الله يقول: ﴿مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٤٣) وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾ (الأنعام: ١٤٣ـ١٤٤). قال نعم، قال: فهـل سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ . . .﴾ إلى قوله تعالى: ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ (المائدة: ٩٦). فقال الرجل نعم، قال: فقتلت ظبيًا فماذا علي؟ قال: هديا بالغ الكعبة(٦).

---

(١) «المجموع» للنووي (٨/ ٢١٣).
(٢) «مصنف عبدالرزاق» ١٢٤٤٣، و«فقه الإمام علي» (١/ ٤١).
(٣) «فقه الإمام علي»(١/ ٤٦).
(٤) «مرآة الأصول في شرح مرقاة الوصول» ص (١٩٧).
(٥) المصدر نفسه ص (١٩١).
(٦) «الدر المأثور» (٣/ ١٩٣).

٣ـ حمل المطلق على المقيد في القرآن الكريم:

المطلق: هو ما دل على الماهية بلا قيد، والمقيد: هو ما قيد لفظًا بأي قيد[١]. ولقد حمل أمير المؤمنين علي مطلق القرآن على مقيده في استنباط الحكم؛ إذ حمل مطلق الأمر بالقطع في آية السرقة على مقيده في آية المحاربة؛ بعدم القطع إلا مرتين، وعدم قطع أكثر من يد ورجل عند تكرار السرقة، فإذا سرق مرة قطعت يده اليمنى، وإذا سرق أخرى قطعت رجله اليسرى عند علي، فإن زاد وسرق مرة ثالثة ورابعة لم يزد على ذلك، ويعزره بدل القطع؛ لأنه حمل قوله تعالى: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا**﴾ (المائدة:٣٨). على آية المحاربة ﴿**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ**﴾ (المائدة:٣٣). وقال: إن الله لم يزد على قطع يد ورجل في آية المحاربة، ولذلك كان يعاقب مثل هذا بالسجن[٢]. فعن الشعبي قال: كان علي لا يقطع إلا اليد والرجل، وإن سرق بعد ذلك سجن ونكل وإنه كان يقول: إني لأستحي من الله ألاَّ أدع له يدًا يأكل بها ويستنجي[٣].

٤ـ العلم بالناسخ والمنسوخ:

النسخ: هو رفع الحكم الشرعي بخطاب متأخر عنه[٤]، ويقول الزركشي: قال الأئمة: ولا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله؛ إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ[٥]، وعلى هذا المعنى يؤكد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁، وذلك عندما عاتب قاصًّا بقوله: أتعرف الناسخ والمنسوخ؟ قال: لا، قال: هلكت وأهلكت[٦].

(١) «جمع الجوامع بشرح المحلى» (٢/٧٩)، و«فقه الإمام علي» (١/٤٧).
(٢) «فقه الإمام علي» (١/٤٧)، و«مصنف عبدالرزاق» (٢١٨٧٤).
(٣) «مصنف عبدالرزاق» (١٨٧٦٤)، و«فقه الإمام علي» (٢/٨١٨).
(٤) «فقه الإمام علي» (١/٤٨).
(٥) «البرهان في علوم القرآن» (٢/٢٩).
(٦) أبوخيثمة، كتاب العلم (ص ٣١)، تحقيق: الألباني، وقال: إسناده صحيح.

٥ـ النظر في لغة العرب:

ومن منهج أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في فهم القرآن الكريم النظر في لغة العرب، كما فهم من قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾ (البقرة: ٢٢٨)، أي أن المراد بالأقراء: الحيض، فلا تنقضي العدة حتى تطهر من الحيضة الثالثة[١]، لذا قال علي رضي الله عنه عن المطلقة: لا تحل لزوجها الرجعة عليها حتى تغتسل من الحيضة الثالثة[٢]، والقُرُوءُ في كلام العرب جمع قَرْء: وهو الحيض، والقَرْء أيضًا: الطهر، وأقرأت المرأة: حاضت، وأقرأت: اطَّهرت[٣].

ومن ذلك فهمه رضي الله عنه من قوله تعالى: ﴿أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ اللمس: هو الجماع، فقد قال: اللمس هو الجماع، ولكن الله كنى عنه[٤]، وحمل المس في قوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ (البقرة: ٢٣٧). على الخلوة، فقال: المراد بالمس هنا الخلوة[٥]، فأوجب الصداق كله بالخلوة[٦]، وقد قال: إذا أرخى سترًا على امرأته، وأغلق بابًا؛ وجب الصداق والعدة[٧].

٦ـ فهم النص بنص آخر:

ومن ذلك ما فهمه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من قوله: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ (النساء: ١٤١). أن ذلك يكون يوم القيامة، اعتمادًا على قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (النساء: ١٤١). وذلك لما جاءه رجل يسأله كيف هذه الآية ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾، فقال علي رضي الله عنه: «ادنه، ادنه، فالله يحكم بينكم يوم القيامة، ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً»[٨]، ومنه ما فهمه من قوله تعالى: ﴿وَالسَّقْفِ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٧١).

(٢) «الدر المنثور» (١/ ٢٣٤).

(٣) «الصحاح» للجوهري (١/ ٦٤) مادة (قرأ).

(٤) «فقه الإمام علي» (١/ ٤٨)، و«الفصول في الأصول» للجصاص (١/ ٢٠٣).

(٥) «الفصول في الأصول» (١/ ٢٠٢).

(٦) «فقه الإمام علي» (١/ ٤٨) أي: خلوة الرجل بزوجته.

(٧) «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٢٣٤)، و«فقه الإمام علي» (٢/ ٥٣١).

(٨) «تفسير ابن جرير»، وإسناده صحيح (٩/ ٣٢٧).

الْمَرْفُوعِ﴾ (الطور:٥)؛ بأنه السماء، لما رواه ابن جرير وذكره ابن كثير عن علي **﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾** يعني: السماء قال سفيان: ثم تلا **﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾** (الأنبياء:٣٢).

ومن ذلك أيضًا ما فهمه من قوله تعالى: **﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾** (البقرة:٢٣٨). أن الصلاة الوسطى: هي صلاة العصر، معتمدًا في ذلك على نص من حديث رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «**شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله بيوتهم، وقبورهم نارًا**»[(١)]، ومن هذا الباب أيضًا ما ورد في فهمه لقوله تعالى: **﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾** (النساء:٣١). فعن سهل بن أبي خيثمة عن أبيه قال: إني لفي هذا المسجد ــ مسجد الكوفة ــ وعلي رضي الله عنه يخطب الناس على المنبر يقول: يأيها الناس، الكبائر سبع، فأصاخ الناس، فأعادها ثلاث مرات، ثم قال: لم لا تسألوني عنها؟. قالوا: يا أمير المؤمنين ما هي؟ قال: الإشراك بالله، وقتل النفس التي حرم الله، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والفرار يوم الزحف، والتعرب[(٢)] بعد الهجرة[(٣)]، وهذا الفهم مبني على حديث رسول الله ﷺ الذي قال فيه: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»[(٤)]. قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**»[(٥)]. وهذا يدخل ضمن منهج أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في تفسير القرآن الكريم بالسنة.

٧- السؤال عن مشكله:

ومن منهج أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في فهم القرآن الكريم سؤاله عما أشكل

(١) «مسلم» (١/ ٤٣٧).
(٢) أن يهاجر الرجل، حتى إذا وقع سهمه في الفيء، ووجب عليه الجهاد، خلع ذلك من عنقه، فرجع أعرابيًا كما كان.
(٣) «تفسير الطبري» (٥/ ٢٥).
(٤) الموبقات: جمع موبقة وهي: المهلكة.
(٥) «البخاري»، كتاب الوصايا رقم (٢٧٦٦).

عليه فيه، ومن ذلك سؤاله لرسول الله ﷺ عن يوم الحج الأكبر في قوله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ. . الآية﴾ (التوبة: ٣). فقد قال: سألت النبي ﷺ عن يوم الحج الأكبر فقال: «**يوم النحر**»[(١)]، وبين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه هذا المنهج فيما يرويه عن رسول الله ﷺ، قال: قلت: يا رسول الله، إن نزل بنا أمر ليس فيه بيان أمر ونهي، فما تأمرنا؟، قال: «**شاوروا الفقهاء والعابدين، ولا تمضوا فيه خاصة**»[(٢)].

٨ـ العلم بمناسبة الآيات:

إن العلم بالمناسبة التي نزلت فيها الآيات، والسبب الداعي لذلك، يفيد في إدراك معنى الآية، واستنباط الحكم منها؛ لأن بيان النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز[(٣)]، ولقد بلغ أمير المؤمنين علي رضي الله عنه مبلغًا في العلم بأسباب نزول الآيات، كما يقول عن نفسه حاثًّا على سؤاله عن كتاب الله: سلوني سلوني وسلوني عن كتاب الله تعالى، فوالله، ما من آية إلا وأنا أعلم أنزلت بليل أو نهار[(٤)]، وفي رواية: والله ما أنزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت، وأين نزلت[(٥)].

٩ـ تخصيص العام:

العام: هو اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بوضع واحد دفعة واحدة من غير حصر[(٦)]، وقاعدة العموم، كل لفظ عام باق على عمومه حتى يرد التخصيص[(٧)]، وقد يرد من الشارع ما يدل على قصر العام على بعض أفراده، وهذا هو تخصيص العام[(٨)].

وقد ورد عن علي رضي الله عنه ما يفيد قوله بتخصيص العموم، فقد سئل رضي الله عنه عن

---

(١) «سنن الترمذي» رقم (٩٧٠)، وصححه الألباني (١/ ٢٨٢).
(٢) «تاريخ خليفة بن خياط» (ص٦٦)، و«منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله» ص(٧٨).
(٣) «منهج علي بن أبي طالب» ص(٧٩).
(٤) «الإصابة» (٢/ ٥٠٩).
(٥) «الطبقات» (٢/ ٣٣٨).
(٦) «تيسير علم أصول الفقه»، عبد الله الجُديع ص (٢٦٢).
(٧، ٨) المصدر نفسه ص (٢٦٩).

رجل له أمتان أختان وطئ إحداهما، ثم أراد أن يطأ الأخرى قال: لا.. حتى يخرجهما من ملكه[1]، وعن ابن الكوَّاء أنه سأل عليًّا: عن الجمع بين الأختين فقال: حرمتهما آية، وأحلتهما آية أخرى، ولست أفعل أنا ولا أهلي[2]، وقصد أمير المؤمنين علي بالآية التي حرمتهما هي قوله تعالى: ﴿**وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ**﴾ (النساء:٢٣)، وبالتي أحلتهما هي قوله تعالى: ﴿**إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ**﴾ (المؤمنون:٦)، فهاتان الآيتان بينهما عموم وخصوص؛ إذ خصص عموم التمتع بملك اليمين بخصوص عدم جواز الجمع بين الأختين[3].

ومنها أنه حكم في عدة الحامل المتوفى عنها زوجها بأن تعتد أبعد الأجلين، فقال: عدتها أبعد الأجلين[4]، أي: أنه خص عموم الآيتين ﴿**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا**﴾ (البقرة:٢٣٤). و﴿**وَأُوْلاَتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ**﴾ (الطلاق:٤)، فالحامل المتوفى عنها زوجها إذا وضعت حملها قبل أربعة أشهر وعشرة أيام؛ فإنها تكمل المدة، ولا تعمل بعموم الآية الثانية؛ لأنها تخصصها الأولى وإن أكملت المدة فلا تنقض عدتها إلا بوضع الحمل؛ لأن عموم الآية الأولى مخصص بالثانية، فكل من الآيتين عام في وجه، وخاص في وجه آخر، تخصص إحداهما الأخرى عند علي، ولعله عمل بالاحتياط جمعًا بين الآيتين[5]، ولكن الراجح أن عدتها وضع الحمل في كلتا الحالتين، فقد صح عن عبدالله بن عتبة أن سبيعة بنت الحارث أخبرته أنها كانت تحت سعد بن خولة، وكان ممن شهد بدرًا، فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل، فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته، فلما تعلَّت من نفاسها تجملت للخطاب، فدخل عليها أبو السنابل، فقال: لها مالي أراك متجملة؟ لعلك ترجين النكاح؟ إنك والله ما أنت بناكحٍ حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر. قالت سبيعة: فلما قال لي ذلك جمعت عليَّ ثيابي حين أمسيت، فأتيت رسول الله

---

(١) «فقه الإمام علي» (١/ ٥٦٠) نقلا عن مصنف ابن أبي شيبة.
(٢) المصدر نفسه (٢/ ٥٦٠).
(٣) «الأحكام» للآمدي (٢/ ٤٤٥)، و«روضة الناظر» (٢/ ١٢٩).
(٤) «الفصول في الأصول» للجصاص (٦/ ١٠٦).
(٥) «فقه الإمام علي» (١/ ٥٠).

صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك، فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي، وأمرني بالتزوج إن بدا لي[(١)].

ولعل عليًّا قال بذلك؛ لعدم بلوغه حديث سبيعة وإلا فلا يخالف علي الصحيح الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم[(٢)].

١٠ـ معرفة عادات العرب ومن حولهم:

ولمعرفة طبيعة وعادات العرب ومن حولهم من اليهود والنصارى وقت نزول القرآن دور كبير في فهم القرآن الكريم، وعلي رضي الله عنه عاش في ذلك الزمان، وعرف الكثير من العادات التي نهى عنها القرآن، أو تلك التي أقرها ومن أمثلة هذا الفهم ما رواه ابن أبي حاتم: لما نافر ابن وائل أبا الفرزدق، فعقر كل واحد منهما مائة من الإبل، فخرج عليٌّ على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء وهو ينادي: يأيها الناس لا تأكلوا من لحومها؛ فإنها أهل بها لغير الله، فعلي رضي الله عنه عرف من عادات العرب في وقته أن مثل هذه المنافرة ليست لله وإنما هي للشيطان، فلذلك نهى عنها مستدلاً بقوله تعالى: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ**﴾ (المائدة: ٣)[(٣)].

١١ـ قوة الفهم وسعة الإدراك:

وقوة الفهم وسعة الإدراك من المزايا التي امتاز واشتهر بها علي رضي الله عنه، والأمثلة التي تدل على هذا كثيرة جدًّا نذكر منها ما رواه ابن جرير قال: نادى رجل من الخوارج عليًّا رضي الله عنه وهو في صلاة الفجر، فقال: ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ (الزمر: ٦٥)، فأجابه علي رضي الله عنه وهو في الصلاة ﴿**فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ**﴾ (الروم: ٦٠)[(٤)].

---

(١) «مسلم» رقم (١٤٨٤).

(٢) «فقه الإمام علي» (٢/ ٦١٧).

(٣) «تفسير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب»، فهد بن عبدالعزيز الفاضل، رسالة علمية جامعية لم تنشر (١/ ٣٠).

(٤) «تفسير الطبري» (٢١/ ٥٩).

هذه بعض الأصول والأسس التي سار عليها أمير المؤمنين علي ﷺ في استنباط الأحكام من القرآن الكريم، وفهم معانيه، وهي ترشد محبيه وأبناء المسلمين المخلصين إلى كيفية التعامل مع كتاب الله سبحانه وتعالى.

سادسا: تفسير أمير المؤمنين علي لبعض الآيات الكريمة:

١ـ (الذاريات):

عن الثوري عن حبيب بن أبي صابت عن أبي الطفيل قال: سمعت ابن الكواء يسأل علي بن أبي طالب عن ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ قال: الرياح، وعن ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾، قال: السحاب، وعن ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ قال: السفن، وعن ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ قال: الملائكة[1]، وصححه الحاكم من وجه آخر عن أبي الطفيل. وقد أطنب الطبري في تخريج طرقه إلى علي[2]، وأخرجه عبدالرزاق من وجه آخر عن أبي الطفيل قال: شهدت عليًّا وهو يخطب وهو يقول: سلوني . . . وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل. فقال ابن الكواء - وأنا بينه وبين علي وهو خلفي- : ما الذاريات ذروًا؟ فذكر مثله، وقال فيه: ويلك سل تفقهًا ولا تسأل تعنتًا وفيه سؤال عن أشياء غير هذا[3].

٢ـ قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾(التكوير: ١٥):

روى سعيد بن منصور بإسناد حسن عن علي ﷺ قال: هن الكواكب تكنس بالليل وتخنس بالنهار فلا ترى[4].

٣ـ بكاء الأرض على العبد الصالح:

قال علي ﷺ: إذا مات العبد الصالح بكى عليه مصلاه من الأرض ومصعد

---

(١) «الخلافة الراشدة»، ليحيى اليحيى (ص ٤٨٦).

(٢) «الدر المنثور» (٧/ ٦١٤)، و«المستدرك» (٢/ ٤٦٧)، و«تفسير الطبري» (٢٦/ ١٨٥ ـ ١٨٨).

(٣) «الخلافة الراشدة»، ليحيى اليحيى (٤٨٦).

(٤) «الخلافة الراشدة»، ليحيى اليحيى (٤٨٧)، و«الفتح» (٨/ ٥٦٣).

عمله من السماء والأرض، ثم قرأ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ (الدخان: ٢٩).

٤ـ الخشوع في القلب وأن تُلين كنفك للمرء المسلم:

سُئل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (المؤمنون: ٢). قال: الخشوع في القلب، وأن تُلين كنفك للمرء المسلم، ولا تلتفت في صلاتك [(١)].

٥ـ خليلان مؤمنان، وخليلان كافران:

سئل أمير المؤمنين رضي الله عنه عن قول الله تعالى: ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف: ٦٧). قال: خليلان مؤمنان وخليلان كافران، فمات أحد المؤمنين، فبشر بالجنة فذكر خليله المؤمن، قال: فيقول: يا رب! إنَّ خليلي فلانًا كان يأمرني بالخير وينهاني عن الشر، فيأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويخبرني أني ملاقيك، فلا تُضلهُ بعدي واهده كما هداني، وأكرمه كما أكرمني، فإذا مات جمع بينهما في الجنة، ويقال لهما: ليُثنِ كل واحد منهما على صاحبه فيقول: اللهم كان يأمرني بالخير، وينهاني عن الشر، فيأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويُخبرني أني ملاقيك، فنعم الأخ والخليل والصاحب، قال: ثم يموت أحد الكافرين، فيبشر بالنار فيذكر خليله، فيقول: اللهم خليلي فلان كان يأمرني بالشر، وينهاني عن الخير، ويأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك، ويخبرني أني غير ملاقيك اللهم فأضلَّه كما أضلَّني، فإذا مات جمع بينهما في النار، فيقال: ليُثنِ كل واحد منكما على صاحبه، قال: فيقول: اللهم كان يأمرني بالشر وينهاني عن الخير، ويأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك، ويخبرني أني غير ملاقيك، فبئس الأخ والخليل والصاحب [(٢)].

---

(١) «الزهد»، لابن المبارك ص (٤٠٣) رقم (١١٤٨).

(٢) «الزهد» لابن المبارك رقم (٣٦٨).

٦ـ الزهد بين كلمتين من القرآن:

قال ﷺ: الزهد كله بين كلمتين من القرآن الكريم: قال سبحانه: ﴿ **لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ** ﴾ (الحديد: ٢٣). ومن لم يأس على الماضي، ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه(١).

٧ـ أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وتدبره في الصلاة:

بيَّن أمير المؤمنين ﷺ استحباب المصلي إذا مر بآية رحمة أن يسأل الله - تعالى- منها وإذا مرة بآية عذاب أن يستعيذ بالله -تعالى- فعن عبد خير الهمداني قال: سمعت علي ابن أبي طالب قرأ في صلاة: ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى**﴾. فقال: سبحان ربي الأعلى(٢)، وعن حجر بن قيس المدري قال: بت عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فسمعته وهو يصلي من الليل يقرأ، فمر بهذه الآية: ﴿**أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ**﴾ قال: بل أنت يا رب، ثلاثًا، ثم قرأ: ﴿**أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ**﴾ قال: بل أنت يا رب، ثلاثًا. ثم قرأ: ﴿**أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ**﴾. قال: بل أنت يا رب، ثلاثًا، ثم قرأ: ﴿**أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ**﴾، قال: بل أنت يا رب، ثلاثًا(٣).

٨ـ قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (الشعراء: ٨٨، ٨٩):

قال علي ﷺ: المال والبنون حرث الدنيا، والعمل الصالح حرث الآخرة وقد يجمعها الله لأقوام(٤).



---

(١) «رسالة المسترشدين» (ص ٢٢٤)، و«فوائد الكلام» (ص ٣٧٦).

(٢) «المحلى» (٤/ ١١٨)، و«السنن الصغرى» (١/ ١٤٦).

(٣) «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٢٢ ، ٢٣).

(٤) «تفسير أمير المؤمنين علي ﷺ»، لفهد بن عبدالعزيز الفاضل (٢/ ٦٦١) رسالة جامعية لم تنشر.

المبحث الرابع
ملازمته لرسول الله ﷺ

كان علي رضي الله عنه واحدًا من المكيين الذين قرؤوا وكتبوا في مجتمعهم الأمي، وهذا دليل على حبه للعلم، وشغفه به منذ صغره، وقد وفقه الله -تعالى- إلى أن يعيش منذ طفولته في بيت رسول الله ﷺ فتربى على يديه، وزادت عناية رسول الله ﷺ به بعد إسلامه، فكان رسول الله ﷺ الرافد القوي الذي أثر في شخصيته، وصقل مواهبه، وفجر طاقته، وهذب نفسه، وطهر قلبه ونوّر عقله، وأحيا روحه؛ فقد لازم رسول الله ﷺ في مكة والمدينة، فقد كان حريصًا على التتلمذ على يدي رسول الله ﷺ الذي كان يربي أصحابه على القرآن الكريم، فقد كان هو الينبوع المتدفق الذي استمد منه علي رضي الله عنه علمه وتربيته وثقافته، وقد كان النبي ﷺ، تنزل عليه الآيات منجمة على حسب الوقائع والأحداث، وكان يقرؤها على أصحابه الذين وقفوا على معانيها، وتعمقوا في فهمها، وتأثروا بمبادئها، وكان له عمق الأثر في نفوسهم وعقولهم وقلوبهم وأرواحهم، كما كان علي رضي الله عنه واحدًا من الذين تأثروا بالتربية القرآنية على يدي رسول الله ﷺ، وتشرّب تعاليمه وتوجيهاته النبوية، وقد اهتمَّ علي رضي الله عنه منذ أسلم بحفظ القرآن الكريم وفهمه وتأمله، وظل ملازمًا للرسول ﷺ يتلقى عنه ما أنزل عليه، حتى تم له حفظ جميع آياته وسوره، لقد حصل علي رضي الله عنه ببركة صحبته لرسول الله ﷺ وتربيته على يديه خيرًا كثيرًا، وأصبح من الخلفاء الراشدين فيما بعد، فقد حرص على التبحر في الهدي النبوي الكريم في غزواته وسلمه، وأصبح لعلي رضي الله عنه علمًا واسعًا، ومعرفة غزيرة بالسنة النبوية المطهرة، فقد استمد من رسول الله علمًا وتربية ومعرفة بمقاصد هذا الدين العظيم، وقد جمع بين رسول الله وبين علي حب شديد، والحب عمل هام في تهيئة مناخ علمي ممتاز بين المعلم وبين تلميذه، يأتي بخير النتائج العلمية، والثقافية؛ لما له من عطاء متجدد وعلي رضي الله عنه قد أحب رسول الله حبًّا جمًّا، وتعلق فؤاده به، وقدم نفسه فداءً له، وتضحية في سبيل نشر دعوته.

أولاً: أمير المؤمنين ومقام النبوة:

أوجب الله سبحانه وتعالى على الثقلين -الإنس والجن- الذين أدركتهم رسالة النبي ﷺ، أن يؤمنوا بالنبي ﷺ وبما جاء به، كما شهدت بذلك نصوص الكتاب العزيز كما أكد الله وجوب الإيمان بنبيه بأن جعله مقترنا بالإيمان به سبحانه وتعالي في مواضع كثيرة من القرآن الكريم منها: قال تعالى: ﴿**قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ (الأعراف:١٥٨).

وقال ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به؛ إلا كان من أصحاب النار**»(١)، وقد أجمعت الأمة على وجوب الإيمان بالنبي ﷺ، كما أجمعت كذلك على أن كل من قامت عليه الحجة برسالة محمد ﷺ من الإنس والجن فلم يؤمن به؛ استحق عقاب الله تعالى كما يستحقه أمثاله من الكافرين الذين بعث إليهم الرسول، وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين وسائر طوائف المسلمين أهل السنة والجماعة وغيرهم(٢).

وقد أعطى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه مقام النبوة حقه، وأوضح معالمه بأقواله وأفعاله، وكان يحرص على تعليم الناس، وحثهم على الاقتداء برسول الله ﷺ في أقواله وأعماله وتقريراته، ومن أقواله في هذا المعنى: واقتدوا بهدي نبيكم ﷺ؛ فإنه أفضل الهدي ،واستنوا بسنته؛ فإنها أفضل السنن(٣).

١ـ وجوب طاعة النبي ﷺ ولزوم سنته والمحافظة عليها:

تربى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على وجوب طاعة رسول الله ﷺ، فهو ممن قرأ وحفظ وفهم قول الله تعالى: ﴿**مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾ (النساء: ٨٠)،

---

(١) «مسلم» (١/ ٩٣) كتاب الإيمان.

(٢) «حقوق النبي على أمته في ضوء الكتاب والسنة» (١/ ٧٢).

(٣) «البداية والنهاية» (٧/ ٣١٩).

فهـذه الآية ضمن سلسلة من الآيات ربطت بين طاعـة الله تبارك وتعـالى وطاعة رسوله ﷺ ، فقد جـعل الله طاعته وطاعة رسولهﷺ شيـئًا واحدًا، وجعل الأمر بطاعة رسوله مندرجًا في الأمر بطاعتـه سبحانه، وفي ذلك بيان للعباد بأن طاعتـه سبحانه لا تتـحقق إلا بطاعة الرسـول ﷺ والآيات الواردة بهذا المعنى كثيرة[1]، وقد تربى أميـر المؤمنين على يدي رسول الله ﷺ وتعلم منه وجوب طاعته، وامتثال أمره، واتباع مـا جاء به، والسير على سنته، والاقتداء به في كل مـا جاء به عن ربه عـز وجل، وأحـاديثه ﷺ في هـذا المجال أعطت للأمـة توجيهـات عظيمة، متـى ما ساروا عليهـا وامتثلوا ما فـيها واستناروا بهـا؛ فقد تحـققت لهم سعـادة الدارين وفازوا وأفـلحوا بإذن الله تعـالى، وقـد امتـازت الأحاديث في هذا الشأن بكثـرتها، وتنوع عباراتها، وتعـدد أساليبها، واشـتمال بعضها على الأمثلة التي ضـربها رسول الله ﷺ لأمته في هذا الشأن، ومما لا شك فيه أن هذه المميزات زادت الأمر توكيدًا وتوضيحًا وبيانًا، بحيث إنها لم تدع مجالاً لمتأول يأولها، أو محرف يغير معناها بهواه ورأيه الفاسد، وهذه الأحاديث على تنوع عبـاراتها وتعدد أسالـيبها، اتحـدت جميعـها في مضمـون واحد وهو التأكيد على وجوب طاعته ﷺ ، واتبـاع ما جاء به والترغيب في ذلك، إضافة إلى التحذير من مخـالفته، وتحريم معصيته، وبيـان الوعيد الشديد في ذلك[2]، فمن هذه الأحـاديث قوله ﷺ : «**كل أمـتي يدخلون الجنة إلا من أبى**». قالوا: يارسول الله ومن يأبى؟. قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبي**»[3]، وطاعة الرسول ﷺ هي الانقـياد لسنته، مع رفض قول كل من قال شـيئًا في دين الله عـز وجل بخـلاف سنتـه،دون الاحـتـيـال في دفع السنن بالتـأويلات المضمحلة،والمخترعات الداحضة[4].

وقد كان أمـير المؤمنين علي رضي الله عنه من أحرص الصحـابة على طاعة

---

(١) «حقوق النبي على أمته» (١/ ١٧٤).
(٢) «حقوق النبي على أمته» (١/ ٨٦).
(٣) «البخاري» رقم (٧٢٨٠).
(٤) «صحيح ابن حبان» (١/ ١٥٣).

رسول الله ﷺ ، فقد قال رضي الله عنه : ما كنت لأدع سنة النبي ﷺ لقول أحد[١] ، وقال أيضا : ألا إني لست بنبي ولا يوحى إلي ولكني أعمل بكتاب الله وسنة محمد ﷺ ما استطعت ، وهو نموذج فريد بالتمسك بالسنة والالتزام بها والدعوة لها[٢] ، ومن هذا المفهوم والتصور الواضح لأهمية طاعة الرسول ﷺ واتباع سنته انطلقت أفعال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، وكان رضي الله عنه يعتني بالسنة ويتحرى ويتثبت في روايتها وفي أخذها رضي الله عنه ، فقد قال رضي الله عنه : إذا حدثتكم عن رسول الله ، فلأن أخِرَّ من السماء أحَبُّ إليَّ من أن أكذب عليه[٣] ، وقال رضي الله عنه : كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثًا نفعني الله بما شاء منه ، وإذا حدثني عنه غيري استحلفته ، فإذا حلف لي صدقته[٤] ، وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يحارب ما يناقض الاتباع ، فقد قال رضي الله عنه : لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه .

٢- حديث أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن دلائل نبوة الرسول ﷺ :

بيَّن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بعضا من دلائل نبوة النبي ﷺ منها ما يلي :

(أ) بركة دعائه:

مرض علي رضي الله عنه مرة فأتاه النبي ﷺ وهو يقول :اللهم إن كان أجلي قد حضر فأرحني ، وإن كان متأخرًا فارفعني ، وإن كان البلاء فصبرني . فقال له رسول الله ﷺ : ما قلت؟ فأعاد عليه فقال رسول الله ﷺ :« **اللهم اشفه، اللهم عافه**» ، ثم قال : «قم» . فقمت ، فما عاد لي ذلك الوجع بعده[٥] ، وسيأتي الحديث بإذن الله تعالي عن دعاء رسول الله له في خيبر .

(ب) إخباره بما فتح الله على نبيه من أمور الغيب:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فلأن أخِرَّ

(١) «فتح الباري» (٣/ ٤٢١) .
(٢) «الشفاء» للقاضي عياض (٢/ ٥٥٦) .
(٣) «فتح الباري» (٦/ ١٥٨) .
(٤) «سنن ابن ماجه» رقم (١٣٩٥) .
(٥) «مسند أحمد» (٢/ ١٥١) ، تحقيق أحمد شاكر ، وإسناده صحيح .

من السمـاء أحَبُّ إليَّ من أن أكذب عليه، وإذا حـدثتكم فيمـا بيني وبينكم فإن الحرب خـدعة(١)، سمعت رسـول الله ﷺ يقول: «**يأتي في آخر الزمـان قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قـول خير البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميـة، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينمـا لقيتموهم فـاقتلوهم؛ فإن في قتلهم أجـرًا لمن قتلهم يوم القيـامة**»(٢)، وسيأتي شرح هذا الحـديث وغيره عند حديثنا عن الخوارج وموقف أمير المؤمنين علي منهم بإذن الله تعالى.

(ج) النصر بالرعب:

ومن دلائل النبوة التي حدثنا بهـا علي رضي الله عنه ما رواه عن رسول الله ﷺ، حيث قال: «**أعطيت ما لم يعط أحـد من الأنبياء**»، فقلنا: يا رسول الله، ما هو؟ قال: «**نصرت بالرعب، وأعطيت مفاتيح الأرض، وسميت أحمد، وجعل التراب لي طهورًا، وجعلت أمتي خير الأمم**»(٣).

د ـ خاتم النبوة:

وضح علي رضي الله عنه من جملـة وصفه لرسـول الله ﷺ وجود دلالة من أبرز الدلائل الحسية عـلى نبوته ﷺ حيث يقول: بين كتفـيه خاتم النبوة(٤). وهذه العلامة كان أهل الكتـاب يعرفونها له، وهي شيء بارز أحمر عند كـتفه الأيسر، قدره إذا قُلل قدر بيضة الحمامة، وإذا كبر جمع اليد(٥).

(هـ) سلام الجبال على النبي ﷺ:

أخـبر أمـير المؤمنين علي بن أبـي طالب رضي الله عنه عن هذه الدلالة حيث قـال:

---

(١) «منهج علي في الدعوة إلى الله» (ص١١٧)، و«فتح الباري» (٦/ ١٥٨).

(٢) «البخاري»، كـتاب المناقب (٢/ ٢٨١) والقوم المذكورون هم الخـوارج الذين قاتلهم على بن أبي طالب رضي الله عنه في خلافته وسيأتي الحديث عنهم بالتفصيل بإذن الله.

(٣) «البخاري» رقم (٣٣٥).

(٤) «مصنف ابن أبي شيبة» (١١/ ٥١٣)، و«البخاري»، كتاب المناقب.

(٥) «فتح الباري» (٦/ ٥٦١ ـ ٥٦٣).

كنت مع النبي ﷺ بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله جبل، ولا شجر، إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله[1].

٣- الترغيب في هدي النبي ﷺ:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يرغب المسلمين في لزوم هدي النبي ﷺ، فقد قال في خطبة له في الربذة[2]: الزموا دينكم واهتدوا بهدي نبيكم، واتبعوا سنته، واعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن، فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فردوه[3]، وبعد رجوع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه من قتال الخوارج خطب أصحابه خطبة بليغة نافعة جامعة للخير ناهية عن الشر. وقد ضمن هذه الخطبة الأمر بالتزام هدي النبي ﷺ والترغيب فيه، حيث يقول: واقتدوا بهدي نبيكم ﷺ؛ فإنه أفضل الهدي، واستنوا بسنته؛ فإنها أفضل السنن[4]، ولم تشغل الفتن الداخلية أمير المؤمنين علي رضي الله عنه -التي حصلت في عهده- عن دعوة أصحابه إلى كل خير، ونهيهم عن كل شر[5]، وتحذيرهم من البدع ومن قوله في هذا الشأن: إن عوازم الأمور أفضلها، وإن محدثاتها شرارها، وكل محدثة بدعة، وكل محدث مبتدع، ومن ابتدع فقد ضيع، وما أحدث محدث بدعة إلا ترك بها سنة[6].

٤- بيان فضله وبعض حقوقه على أمته ﷺ:

بيَّن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في معرض حديثه للمسلمين فضائل النبي ﷺ ومما قاله في هذا المجال: فكان مما أكرم الله به عز وجل هذه الأمة، وخصهم به من الفضيلة أن بعث إليهم محمداً ﷺ، فعلمهم الكتاب والحكمة والفرائض والسنة؛ لكيما يهتدوا، وجمعهم لكيلا يتفرقوا، وزكاهم

---

(١) «سنن الترمذي»، كتاب المناقب (٥/ ٥٩٣)، و«المستدرك» (٢/ ٦٢٠) صحيح الإسناد.

(٢) من قرى المدينة على ثلاثة أميال، «معجم البلدان» (٣/ ٢٤).

(٣) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٤٦)، و«تاريخ الطبري».

(٤، ٥) «البداية والنهاية» (٧/ ٣١٩).

(٦) «البداية والنهاية» (٧/ ٣١٩).

لكيما يتطهروا، ورفههم لكيلا يجوروا، فلما قضى من ذلك ما عليه، قبضه الله عز وجل، صلوات الله عليه ورحمته وبركاته[1]، وإليك بعض حقوقه صلى الله عليه وسلم.

أ- وجوب الصدق عنه والتحذير من الكذب عليه:

حذر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن ربعي بن حراش، قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**لا تكذبوا عليَّ؛ فإنه من كذب عليَّ فليلج النار**»، وحذر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من نقل الكذب ـ وهو يعلم أنه كذب ـ فيما يرويه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «**من حدث عني حديثًا وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين**»[2].

(ب) البعد عن أسباب تكذيبه:

أرشد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه الناس إلى البعد عن الأمر الذي يكون نسبيًّا في تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ كتحديث الناس بما لاتدركه عقولهم، من أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد قال: «**حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟**»[3]، ومعنى الحديث: بما يعرفون: أي: يفهمون، وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة، وممن كره التحديث ببعض دون بعض أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان، ومالك في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب ومن قبلهم أبوهريرة كما تقدم عنه في الجرابين، وأن المراد ما يقع من الفتن، ونحوه عن حذيفة وعن الحسن، وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة، وظاهره في الأصل غير مراد، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب[4].

(ج) إحسان الظن بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: إذا حُدِّثتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم **حديثًا** فظنوا به الذي هو أهناه وأهداه وأتقاه[5].

---

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٦٢).
(٢) «صحيح سنن ابن ماجه» (١/ ١٣) قال الألباني: صحيح.
(٣) «البخاري»، كتاب العلم (١/ ٤٦).
(٤) «فتح الباري» (١/ ٢٢٥) باب من خص بالعلم قومًا دون قوم.
(٥) «مسند أحمد» (٢/ ٢١١) تحقيق: أحمد شاكر، وإسناده صحيح.

(د) الصلاة عليه:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[١] (الأحزاب: ٥٦). وهذا إخبار من الله سبحانه وتعالى بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه؛ ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعًا[٢]، ويؤكد أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب ﷺ هذا الحق لرسول الله ﷺ بوصف من لم يصلِّ على رسول الله ﷺ عند سماع ذكره بالبخل فيما يرويه عن رسول الله ﷺ، حيث قال: «البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل عليَّ»[٣].

(هـ) محبته لرسول الله ﷺ:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة: ٢٤). فالآية نصت على وجوب محبة الله ورسوله وأن تلك المحبة يجب أن تكون مقدمة على كل محبوب، ولا خلاف في ذلك بين الأمة[٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣١). ففي هذه الآية إشارة ضمنية إلى وجوب محبة النبي ﷺ؛ لأن الله تبارك وتعالى قد جعل برهان محبته تعالى ودليل صدقها؛ هو اتباع النبي ﷺ، وهذا الاتباع لا يتحقق ولا يكون إلا بعد الإيمان بالنبي ﷺ، والإيمان به لابد من تحقق شروطه التي منها محبة النبي ﷺ، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه

(١) صلاة الله تعالى: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة: الدعاء.
(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/٥٠٨)، و«منهج علي بن أبي طالب في الدعوة» (ص ١٢٩).
(٣) «صحيح سنن الترمذي» (٣/١٧٧)، صحيح.
(٤) «تفسير القرطبي» (٨/٩٥).

من ولده ووالده»(١)، ومما لا ريب فيه أن حظ الصحابة من حبه صلى الله عليه وسلم كان أتم وأوفر، ذلك أن المحبة ثمرة المعرفة، وهم بقدره صلى الله عليه وسلم ومنزلته أعلم وأعرف من غيرهم، فبالتالي كان حبهم له صلى الله عليه وسلم أشد وأكبر(٢)، وقد سئل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ(٣). وهذه الخصوصية المطلقة ليست لأحد غير رسول الله.

٥- المعرفة الدقيقة الشاملة لملامح الشخصية النبوية:

لقد ساعدت الصلة الأسرية، والمعايشة الطويلة القريبة، والتتبع الدقيق لما خصّ الله به نبيه من نفسية نبوية، ومكارم أخلاق وميول واتجاهات- أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على معرفته الدقيقة الشاملة للشخصية النبوية وخصائصها، والقدرة على وصفها، والتنويه بجوانب دقيقة في سيرته وخلقه، يلاحظ ذلك فيما روي عنه من وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحليته وخلقه وسلوكه(٤).

أ- بيان خَلْقِه:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل ولا بالقصير، ششن الكفين(٥) والقدمين، مشرب وجهه حمرةً، طويل المَسْرُبَة(٦)، ضخم الكراديس(٧)، إذا مشى تكفَّأ تكفِّيًا، كأنما ينحط من صبب(٨)، لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم(٩)، وعن محمد بن علي عن أبيه قال: كان رسول الله

---

(١) البخاري رقم (٤)، و«فتح الباري» (١/ ٥٨).
(٢) «حقوق النبي على أمته» (١/ ٣١٤).
(٣) «الشفاء» (٢/ ٥٦٨) للقاضي عياض.
(٤) المرتضى (ص ٣٩) إلى (٤٣).
(٥) أي خشن الكفين غليظها؛ «الصحاح» للجوهري (٥/ ٢١٤٢).
(٦) الشعر المستدق الذي يأخذ من الصدر إلى السرة.
(٧) الكُرْدُوس: كل عظم تام ضخم فهو كردوس، وكل عظمين التقيا في مفصل، فهو كردوس، وأراد علي أنه صلى الله عليه وسلم ضخم الأعضاء.
(٨) الصبب: هو الموضع المنحدر، وهذه الصفة من المشي تعني: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قويًّا، فإذا مشى فكأنما يمشي على صدور قدميه من القوة.
(٩) «مسند أحمد» تحقيق: أحمد شاكر (٢/ ١٠٧) وإسناده صحيح، وصححه الألباني في صحيح «سنن الترمذي»

ﷺ ضخم الرأس عظيم العينين، هَدِبَ الأشفار[١] -قال حسن[٢]: الشُّفَار - مشرب العينين بحمرة، كث اللحية، أزهر اللون، شثن الكفين والقدمين، إذا مشى كأنما يمشي في صَعَد ـ قال حسن: تكفأ ـ وإذا التفت التفت جميعًا[٣]، وعند الترمذي عن محمد -من ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه- قال: كان علي رضي الله عنه إذا وصف النبي ﷺ قال: لم يكن بالطويل الممغط[٤]، ولا بالقصير المتردد[٥]، وكان ربعة من القوم، ولم يكن بالجعد القطط[٦]، ولا بالسَّبط، كان جعدًا رجلاً، ولم يكن بالمُطَهَّم[٧] ولا بالمُكَلْثَم[٨]، وكان في الوجه تدوير، أبيض مشرب، شثن الكفين والقدمين، إذا مشى تقلع، كأنما يمشي في صبب، وإذا التفت التفت[٩] معًا، كما أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بين صفة من صفات جسد النبي ﷺ بعد موته، أمرًا لم يعرفه غيره ـ وربما من كان يغسله معه[١٠]ـ من طهارة بدنه ونقائه بعد موته، حيث يقول: غسَّلت رسول الله ﷺ، فجعلت أنظر ما يكون من الميت فلم أر شيئًا، وكان طيبًا حيًّا وميتًا ﷺ [١١]، وكان علي رضي الله عنه يقول وهو يغسله: بأبي أنت وأمي، ما أطيبك حيًّا وميتًا[١٢].

(ب) بيان خُلُقِه:

تحدث أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن أخلاق رسول الله ﷺ، فقال: كان أجود الناس كفًّا، وأشرحهم صدرًا، وأصدق الناس لهجة، وألينهم عريكة[١٣]،

(١) هي حروف الأجفان وأصول منابت الشعر في الجفن التي تلتقي عند التغميض.
(٢) حسن بن موسى الراوي عن حماد عن عبدالله بن محمد بن عقيل عن محمد بن علي.
(٣) «مسند أحمد» تحقيق أحمد شاكر (٢/ ١٣٠)، وإسناده صحيح.
(٤) الممغط: الذاهب طولا.
(٥) المتردد: الداخل بعضه في بعض قصرًا.
(٦) القطط: الشديد الجعودة.
(٧) المطهم: البادن الكثير اللحم.
(٨) المُكَلْثَم: المدور الوجه.
(٩) «سنن الترمذي»، كتاب المناقب (٥/ ٥٩٩)، حسن غريب إسناده غير متصل.
(١٠) كالعباس، والفضل وقثم بن عباس يقلبونه.
(١١) «صحيح سنن ابن ماجه» للألباني (١/ ٢٤٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٥٩) واللفظ له، وهو صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
(١٢) «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٦٦٢).
(١٣) العريكة: الطبيعة، وفلان لين العريكة إذا كان سلسًا، انظر: «منهج علي بن أبي طالب» (ص١١٠).

وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله(١)، وأخبرنا عن شجاعة الرسول ﷺ، وقوة بأسه، وأن عليًّا ومن كان معه مع شجاعتهم أيضًا وقوة بأسهم التي سطرتها أخبار المغازي، كانوا إذا اشتدت الحرب يلوذون برسول الله ﷺ، فيقول علي رضي الله عنه: لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ، وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأسًا(٢)، وفي رواية أخرى: كنا إذا احمرَّ البأس، ولقي القومُ القومَ؛ اتقينا برسول الله ﷺ، فما يكون منا أحد أدنى من القوم منه(٣)، وبين علي رضي الله عنه من أخلاق رسول الله ﷺ من الرحمة، والكرم، والشجاعة، والتواضع، ما ورد في وصفه لرسول الله ﷺ لليهود الذين طلبوا منه ذلك حيث يقول: كان أرحم الناس بالناس، لليتيم كالأب الرحيم، وللأرملة كالكريم الكريم، أشجع الناس، وأبذلهم كفًّا، وأصبحهم وجهًا، لباسه العباءة، وطعامه خبز الشعير، وإدامه اللبن، ووساده الأدم محشو بليف النخل، سريره أم غيلان مرمل بالشريف(٤)، كان له عمامتان إحداهما تدعى السحاب(٥)، والأخرى العقاب، وكان سيفه ذا الفقار(٦)، ورايته الغرَّاء، وناقته العضباء(٧)، وبغلته دلدل(٨)، وحماره يعفور، وفرسه مرتجز(٩)، وشاته بركة ولواؤه الحمد، وكان يعقل البعير، ويعلف الناضح(١٠)، ويرقع الثوب، ويخصف النعل(١١).

---

(١) وهو تتمة للحديث السابق.

(٢) «مسند أحمد» (٢/ ٦٤)، تحقيق: أحمد شاكر، وإسناده صحيح.

(٣) «مسند أحمد» (٢/ ٣٤٣)، وقال المحقق: إسناده صحيح.

(٤) قال ابن القيم في «زاد المعاد»: كان رسول الله ﷺ ينام على الفراش تارة، وعلى النطع تارة، وعلى الحصير تارة، وعلى الأرض تارة، وعلى السرير تارة بين رماله، وتارة على كساء أسود (١/ ١٥٥) «زاد المعاد» السرير المرمل أي: المنسوج، (لسان العرب) (١١/ ٢٩٥).

(٥) وهي العمامة التي كساها عليًّا (زاد المعاد/ ١/ ١٣٥).

(٦) كان للرسول تسعة أسياف منها ذو الفقار، تنفله يوم بدر (زاد المعاد ١/ ١٣٠).

(٧) وهي غير القصواء المشهورة، والعضباء هي التي كانت لا تسبق.

(٨) بغلة شهباء أهداها له المقوقس وله غيرها (زاد المعاد ١/ ١٣٤).

(٩) في «زاد المعاد» (١/ ١٣٣): ملك سبعة من الخيل، متفق عليه.

(١٠) الناضح: البعير الذي يستقى عليه الماء (لسان العرب ٢/ ٦١٩).

(١١) الرياض النضرة في مناقب العشرة (٢/ ١٦٣).

٦ـ نماذج من اتباع أمير المؤمنين للسنة:

كان أمير المؤمنين علي شديد الحرص على الاقتداء بالنبي ﷺ وحياته العملية خير دليل على ذلك، وهذه بعض الأمثلة المتنوعة التي كان يتبع فيها النبي ﷺ ولا يفرق بين صغيرة ولا كبيرة.

ـ دعاء الركوب على الدواب:

وعن عبدالرزاق: أخبرني من شهد عليًّا حين ركب، فلما وضع رجله في الركاب، قال: بسم الله، فلما استوى قال: الحمد لله، ثم قال: سبحان الذي سخر لنا هذا، وما كنّا له مقرنين، وإنا إلى ربِّنا لمنقلبون، ثم حمد ثلاثًا وكبَّر ثلاثًا، ثم قال: اللهم لا إله إلا أنت، ظلمت نفسي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. ثم ضحك رضي الله عنه فقيل: ما يضحكك يا أمير المؤمنين؟. قال: رأيت النبي ﷺ فعل مثل ما فعلت، وقال مثل ما قلت، ثم ضحك، فقلنا: ما يضحكك يا نبيَّ الله؟ قال: «**العبد**» ـ أو قال: «**عجبت للعبد ـ إذا قال: لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي؛ إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، يعلم أنه لا يغفر الذنوب إلا هو**»(١).

ـ الشرب قائمًا، وقاعدًا:

عن عطاء بن السائب عن زاذان: أن علي بن أبي طالب شرب قائمًا، فنظر إليه الناس كأنهم أنكروه، فقال: ما تنظرون(٢)؟ إن أَشرَبْ قائمًا، فقد رأيت النبي ﷺ يشرب قائمًا، وإن أشربْ قاعدًا، فقد رأيت النبي ﷺ يشرب قاعدًا(٣).

ـ تعليم وضوء رسول الله ﷺ:

عن عبد خير، عَلَّمَنا عليٌّ وضوء رسول الله ﷺ، فصبَّ الغلام على يديه حتى أنقاهما، ثم أدخل يده في الرِّكوة، فمضمض واستنشق، وغسل وجهه ثلاثًا

---

(١) «مسند أحمد الموسوعة الحديثية» رقم (٩٣٠)، حسن لغيره.

(٢) في رواية: ما تنكرون.

(٣) «مسند أحمد» رقم(١١٢٨)، وإسناده حسن.

ثلاثًا، وذراعيه إلى المرفقين ثلاثًا ثلاثًا، ثم أدخل يده في الرِّكْوة فغمز أسفلها بيده ثم أخرجها فمسح بها الأخرى، ثم مسح بكفيه رأسه مرة، ثم غسل رجليه إلى الكعبين ثلاثًا ثلاثًا، ثم اغترف هُنيَّة من ماء بكفِّه فشربه، ثم قال: هكذا كان رسول الله يتوضأ[1].

ـ نهي رسول الله ﷺ لعلي عن أشياء:

عن عبد الله بن حنين عن أبيه، قال: سمعت عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: نهاني رسول الله ﷺ: عن تختم الذهب، وعن لُبْس القَسِّيِّ والمُعَصْفَر، وقراءة القرآن وأنا راكع وكساني حُلَّة من سَيراءَ فخرجت فيها، فقال: يا عليُّ، إنيِّ لم أَكْسُكَها لتَلْبَسَها قال: فرجعت بها إلى فاطمة، فأعطيتها ناحيتها فأخذت بها لتطويها معي، فشققتها بثنيتين قال: فقالت: تربت يداك يابن أبي طالب، ماذا صنعت؟ قال: فقلت لها: نهاني رسول الله ﷺ عن لُبْسها، فالبسي واكسي نساءك[2].

ـ الذنوب والمغفرة:

عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أذنب في الدنيا ذنبًا فعوقب به، فالله أعدل من أن يثني عقوبته على عبده، ومن أذنب ذنبًا في الدنيا فستر الله عليه، وعفا عنه، فالله أكرم من أن يعود في شيء قد عفا عنه**»[3].

ـ إنما الطاعة في المعروف:

عن علي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ بعث جيشًا، وأمَّر عليهم رجلاً، فأوقد نارًا، فقال: ادخلوها، فأراد ناس أن يدخلوها، وقال آخرون: إنما فررنا منها. فذُكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال للذين أرادوا أن يدخلوها: «**لو دخلتموها لم تزالوا فيها إلى يوم القيامة**»، وقال للآخرين قولاً حسنًا، وقال: «**لا**

(١) «مسند أحمد الموسوعة الحديثية» رقم(٨٧٦)، صحيح لغيره، وإسناده حسن.

(٢) «مسند أحمد الموسوعة الحديثية» رقم (٧١٠) إسناده حسن.

(٣) «مسند أحمد الموسوعة الحديثية» رقم (١٣٦٥) إسناده حسن.

طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف»(١). والحديث يبين أن الطاعة للحكام مقيدة بطاعة الله ورسوله، والطاعة المطلقة ليست لأحد إلا لله ورسوله ﷺ.

- لا يأتي على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف:

دخل أبو مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري على عليٍّ بن أبي طالب، فقال له عليٌّ: أنت الذي تقول: لا يأتي على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف؟، إنما قال رسول الله ﷺ: «**لا يأتي على الناس مائة سنة، وعلى الأرض عين تطرف ممن هو حيٌّ اليوم**»، والله إن رخاء هذه الأمة بعد مائة عام(٢).

- دعاءالرسول صلى الله عليه وسلم لأهل المدينة بالبركة:

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ، حتى إذا كنا بالحرَّة بالسُّقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص، قال رسول الله ﷺ: «**ائتوني بوضوء**» فلما توضَّأ قام فاستقبل القبلة، ثم كبَّر، ثم قال: «**اللهم إن إبراهيم كان عبدك وخليلك دعا لأهل مكة بالبركة، وأنا محمد عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في مُدِّهم وصاعهم مثل ما باركت لأهل مكة، مع البركة بركتين**»(٣).

- دعاء الكرب:

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: عَلَّمني رسول الله ﷺ إذا نزل بي كرب أن أقول: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله، وتبارك الله ربُّ العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين(٤) والحديث يرشد إلى ضرورة التعلق بالله وحده، والاعتماد عليه والالتجاء إليه، فلا يكشف الكرب إلاَّ هو سبحانه، ولا يجيب المضطر إذا دعاه إلاَّ الذي خلقه، فلا ملجأ من الله إلا إليه، ففيه إرشاد وتعليم إلى كل مسلم بأن يعتمد على الله في كل أحواله وشأنه.

---

(١) «مسند أحمد» رقم (٧٢٤) إسناده صحيح.

(٢) «مسند أحمد» رقم (٧١٤) إسناده قوي.

(٣) «مسند أحمد» رقم (٩٣٦)، وإسناده صحيح.

(٤) «مسند أحمد» رقم (٧٠١)، وهو حديث صحيح.

ـ ما أسرَّ إليَّ شيئًا كتمه الناس:

عن أبي الطُّفيل قال: قلنا لعليٍّ: أخبرنا بشيء أسرَّه إليك رسول الله ﷺ. فقال: ما أسرَّ إليَّ شيئًا كتمه الناس، ولكن سمعته يقول: «**لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثًا، ولعن الله من لَعَن والديه، ولعن الله من غيَّر تُخُوم الأرض**» ـ يعني المنار[١]- ففي قوله ﷺ: «**لعن الله**»: اللعن من الله: الطرد والإبعاد من رحمة الله، قوله: «**من ذبح لغير الله**»: يشمل كل من سوى الله حتى لو ذبح لنبي أو ملك، أو جني أو غيرهم، فلو كانت هذه الأمور هينة في دين الله لما وصلت إلى درجة يستحق فاعلها اللعن من رسول الله ﷺ.

ـ إن الله رفيق يحب الرفق:

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال. قال رسول الله ﷺ: «**إن الله رفيق يحب الرفق، ويُعطي على الرفق ما لا يُعطي على العنف**»[٢].

ـ تعجيل الصدقة[٣] قبل أن تحل:

عن علي: أن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه سأل النبيَّ ﷺ في تعجيل صدقته قبل أن تَحِلَّ فرخَّص له في ذلك[٤].

ـ العشر الأواخر من رمضان:

عن علي رضي الله عنه، قال: «كان رسول الله ﷺ يوقظ أهله في العشر الأواخر من رمضان، ويرفع المِئزر»[٥].

ثانيا: الرواة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أعلم الصحابة بالسنة في عهده؛ إذ روي: أنه

---

(١) «مسند أحمد» رقم (٨٥٥)، وإسناده قوي.

(٢) «مسند أحمد» رقم (٩٠٢)، حديث حسن الشواهد.

(٣) تعجيل الصدقه: أي تعجيل الزكاة.

(٤) «مسند أحمد» رقم (٨٢٢)، إسناده حسن.

(٥) «مسند أحمد» رقم (١١١٥)، إسناده حسن.

ذكر علي عند عائشة، فقالت: أما إنه أعلم من بقي في السنة[١]، ومع ذلك فقد روي أنه روى عن النبي ﷺ خمسمائة وستة وثمانين حديثًا[٢]، وهو أقل مما رواه بعض الصحابة عن النبي ﷺ لأسباب منها:

١ـ انشغاله بالقضاء والإمارة والحروب التي جعلته لا يتفرغ للفتيا وعقد حلقات الدروس؛ التي كانت سببًا في انتشار علم بعض الصحابة، كعبد الله بن مسعود وعبدالله ابن عباس.

٢ـ ظهور أهل الأهواء والبدع من الذين أفرطوا فيه والذين فرّطوا به كان سببًا في كثرة الكذب عليه، لذلك بذل العلماء جهدهم في معرفة صحة الطرق الموصلة إليه.

٣ـ كثرة الفتن في زمانه وانشغال بعض الناس بها؛ حال دون ثقته رضي الله عنه بمن يضع فيه علمه؛ إذ روي عنه أنه قال: إن ههنا علمًا لو أصبت له حملة[٣]، وقد لاحظنا في منهج أمير المؤمنين في الرواية وقبول الحديث ما يأتي:

١ـ الحذر من الكذب على النبي ﷺ إذ هو أحد الرواة؛ لقوله ﷺ: «**من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**»[٤].

٢ـ الاستيثاق من الرواية، فإنه كان يحلّف الراوي عليها، فقد روي عنه أنه قال: كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثًا نفعني الله بما شاء أن ينفعني منه، وكان إذا حدثني غيره استحلفته، فإذا حلف صدقته[٥].

٣ـ عدم رواية المنكر والشاذ من الحديث؛ إذ ورد عنه أنه قال: حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون؛ أتريدون أن يكذب الله ورسوله[٦]، وقد روى علي رضي الله عنه عن أبي بكر وعمر والمقداد بن الأسود وزوجته فاطمة.

---

(١) «الطبقات» (٢/ ٣٣٨).
(٢) «تاريخ الخلفاء» (ص١٧١).
(٣) «فقه الإمام علي» (١/ ٣) نقلاً عن: «أعلام الموقعين».
(٤) صحيح «سنن ابن ماجه» (١/ ١٣) وقال الألباني: صحيح.
(٥) «سنن ابن ماجه» رقم (١٣٩٥)، إسناده صحيح.
(٦) «البخاري»، كتاب العلم (١/ ٤٦).

وروى عن علي خلق كثير من الصحابة والتابعين وأهل بيته.

فمن أشهر من روى عنه من الصحابة هم:

١ـ أبو أُمامة إياس بن ثعلبة الأنصاري من بني حارثة وهو ابن أخت أبي بردة، له عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أحاديث، وهو الذي أمره الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقيم على أمه يوم بدر[١].

٢ـ أبو رافع القبطي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال: اسمه إبراهيم، وقيل: سنان، وقيل: يسار. قال ابن عبد البر: أشهر ما قيل في اسمه: أسلم، مات في عهد علي ابن أبي طالب سنة ٤٠هـ[٢].

٣ـ أبو سعيد الخدري سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة الأنصاري رضي الله عنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس عشرة سنة توفي سنة ٧٤هـ[٣].

٤ـ جابر بن عبدالله بن عمر بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب الأنصاري السلمي شهد صفين مع علي رضي الله عنهما وتوفي ٧٨هـ، وكان من الحفاظ للسنن.

٥ـ جابر بن سمرة بن جنادة بن جندب العامري السوائي حليف بني زهرة، وأمه خالدة بنت أبي وقاص، أخت سعد بن أبي وقاص، يكنى، أبا عبد الله، قال: يكنى أبا عبدالله قال: صليت مع رسول الله أكثر من ألفي مرة، نزل الكوفة وتوفي بها سنة ٧٤هـ[٤].

٦ـ زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان، قيل: كنيته أبوعمر وقيل: أبو عامر، مات بالكوفة سنة ٦٦ وقيل: ٦٨هـ.

٧ـ عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ابن أخي علي، ولد بأرض الحبشة وهو أول مولد في الإسلام توفي سنة ٨٠هـ، وهو ابن تسعين سنة[٥].

---

(١) «الاستيعاب» (١/١٦٠١) أي: يقيم على خدمة أمه.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢/١٦).

(٣) «الاستيعاب» (٤/١٦٧١).

(٤) «الاستيعاب» (١/٢١٩).

(٥) «الإصابة» (٤/٢٧٦).

٨ـ عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أسلم مع أبيه قبل أن يبلغ الحلم توفي في مكة، سنة ٦٣هـ وهو ابن أربع وثمانين[١].

٩ـ عبدالله بن مسعود بن غافل بن وائل الهذلي من أوائل المسلمين توفي ٣٢هـ[٢].

١٠ـ عمرو بن حريث بن عثمان القرشي المخزومي يكنى، أبا سعيد، رأى النبي ﷺ وسمع منه، ومسح النبي ﷺ على رأسه ودعا له بالبركة، نزل الكوفة وكان له قدر وشرف، مات سنة ٨٥هـ[٣].

* من روى عنه من أهل بيته:

روى عنه من أهل بيته كل من:

١ـ ولده الحسن بن علي سبط رسول الله ﷺ.

٢ـ ولده الحسين بن علي سبط رسول الله ﷺ، قتل يوم عاشوراء سنة ٦١هـ وهو ابن ٥٦ سنة[٤].

٣ـ ولده محمد بن علي بن أبي طالب أبو القاسم المدني المعروف بابن الحنفية، نسبة إلى أمه خولة بنت جعفر بن قيس من بني حنيفة، قال العجلي: تابعي ثقة كان رجلاً صالحًا يكنى، أبا القاسم، ولد في ولاية عمر ومات سنة ٧٣ هـ، وقيل: ٨٠هـ، وقيل: ٨١، وقيل: ٨٢هـ، وقيل: ٩٣هـ[٥].

٤ـ حفيده محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، ذكره ابن حبان في الثقات[٦].

٥ـ حفيده علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب بزين العابدين من سادات التابعين، وأمه سلافة بنت يزدجرد آخر ملوك فارس، أرسل عن جده

---

(١) «وفيات الأعيان» (٢/٢٣٦).
(٢) «الاستيعاب» (٢/٩٨٨).
(٣) «الاستيعاب» (٣/١٦٧٢).
(٤) «تهذيب التهذيب» (٢/٣٥٧).
(٥) «تهذيب التهذيب» (٧/٣٠٦).
(٦) «تهذيب التهذيب» (٢/٨٢).

علي بن أبي طالب، قال العجلي: مدني تابعي ثقة، توفي سنة ٩٤هـ، وكان عمره ثمان وخمسين سنة[(١)].

٦ـ ابن أخته جعدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم وأمه أم هانئ بنت أبي طالب ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وله صحبة، ولي خراسان وسكن الكوفة، قال العجلي: مدني تابعي ثقة روى عن علي[(٢)].

٧ـ سريته أم موسى قيل: اسمها فاختة، وقيل: حبيبة، قال الدارقطني: حديثها مستقيم، وقال العجلي: كوفية تابعية ثقة[(٣)].

أشهر من روى عن علي من التابعين:

١ـ أبو الأسود الدؤلي البصري، القاضي، واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان، ويقال: اسمه عمرو بن عثمان، ويقال: عثمان بن عمرو، أسلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقاتل مع علي يوم الجمل، وثقه ابن معين والعجلي وغيرهما، وتوفي في ولاية عبيد الله بن زياد سنة ٦٩هـ[(٤)].

٢ـ أبو بردة بن أبي موسى الأشعري الفقيه، واسمه الحارث وقيل: عامر، وثقه ابن سعد والعجلي وابن حبان، وقال العجلي: كان على قضاء الكوفة بعد شريح، روى عن أبيه وعلي وحذيفة وعبدالله بن سلام وعائشة وغيرهم، قيل: مات سنة ٨٣هـ وقيل: ١٠٤هـ، وقيل: ١٠٧هـ[(٥)].

٣ـ أبو عبدالرحمن السلمي، عبدالله بن حبيب بن ربيعة، الكوفي القارئ، ولأبيه صحبة، وثقه العجلي والنسائي وأبو داود، روى عن عمر وعثمان وعلي وسعد، وخالد ابن الوليد وابن مسعود وحذيفة وغيرهم، قيل: مات سنة ٧٢هـ، وقيل: ٨٥هـ وهو ابن خمس وثمانين سنة، شهد مع علي صفين[(٦)].

---

(١) «تهذيب التهذيب» (١٢/ ٤٨١)، و«لسان الميزان» (٧/ ٥٣٣).
(٢) «تهذيب التهذيب» (١٢/ ١٠، ١١).
(٣) «تهذيب التهذيب» (١٢/ ١٩).
(٤) «تهذيب التهذيب» (٥/ ١٨٤).
(٥) «طبقات ابن سعد» (٦/ ١٠٤).
(٦) «طبقات ابن سعد» (٦/ ١٠٣).

٤ـ زيد بن حبيش بن حبانة بن أوس الأسدي أبو مريم، ويقال: أبو مطرف الكوفي، عن ابن معين أنه ثقة، مات سنة ٨١هـ، وقيل: ٨٢هـ، وقيل: ٨٣هـ، وهو ابن مائة وعشرين[١].

٥ـ زيد بن وهب الجهني من قضاعة، يكنى أبا سليمان، من أجلة التابعين وثقاتهم متفق على الاحتجاج به، وثقه ابن معين وغيره، مات قبل سنة تسعين أو بعدها من ولاية الحجاج[٢].

٦ـ سويد بن غفلة بن عوسجة بن عامر يكنى أبا أمية، رحل إلى رسول الله ﷺ، وقد قبض فلم يره، صحب أبابكر وعمر وعثمان وعليًّا، مات سنة ٨١ أو ٨٢هـ وكان عمره ١٢٨سنة[٣].

٧ـ شريح بن هانئ بن يزيد بن نهيك الحارثي المذحجي ابن المقدام الكوفي، أدرك ولم ير، وهو من كبار أصحاب علي، قتل مع أبي بكرة بسجستان سنة ٧٨هـ[٤].

٨ـ عامر بن شرحبيل بن عبد، وقيل: عامر بن عبدالله بن شرحبيل الشعبي والحميري أبوعمرو الكوفي من شعب همدان، روي عنه أنه قال: أدركت خمسمائة من الصحابة، وعن الحسن قال: كان والله كثير العلم عظيم الحلم قديم السلم من الإسلام بمكان، وعن مكحول قال: ما رأيت أفقه منه. قال ابن عيينة: كانت الناس تقول بعد الصحابة ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والثوري في زمانه، ولد لست خلت من خلافة عمر ومات سنة ١٠٩هـ.

٩ـ عبد خير بن يزيد ويقال: ابن بجيد بن جوى بن عبد، عمرو بن عبد يعرب ابن الصائد الهمداني أبو عمارة الكوفي، أدرك الجاهلية، قال العجلي كوفي تابعي ثقة أهل بالكوفة، وذكره ابن حبان في ثقات التابعين، قيل: عاش مائة وعشرين سنة وقتل في صفين[٥].

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٦/ ٦٧).
(٢) «طبقات ابن سعد» (٦/ ١٢٧).
(٣) «تهذيب التهذيب».
(٤) «تهذيب التهذيب» (٦/ ١٢٤).
(٥) «تهذيب التهذيب» (٦/ ١٢٤).

١٠ـ عبدالرحمن بن أبي ليلى واسمه يسار ويقال: بلال، ويقال: داود بن بلال ابن بليل ابن أصبحة بن الجلاح الحريش الأنصاري الأوسي، ولد لست بقين من خلافة عمر، روي عنه أنه قال: أدركت عشرين ومائة من الأنصار صحابة، وثقه ابن معين والعجلي قيل: إنه أصيب سنة ٧١هـ وقيل: ٨٢هـ بالجماجم[١].

١١ـ عبيدة السلماني وهو: عبيدة بن عمرو ويقال: ابن قيس بن عمرو السلماني المرادي أبو عمرو الكوفي، أسلم قبل وفاة النبي ﷺ بسنتين ولم يلقه، قال الشعبي: كان شريح أعلمهم بالقضاء، وكان عبيدة يوازيه، وقال العجلي: كوفي تابعي ثقة[٢].

١٢ـ عبدالله بن سلمة المرادي الكوفي، صاحب علي، كنيته أبو العالية، قال العجلي: كوفي تابعي ثقة، قال البخاري: لا يتابع في حديثه، وعن عمرو بن مرة يعرف وينكر، كان قد كبر، وقال يعقوب بن شيبة: ثقة[٣].

١٣ـ عبدالله بن شقيق العقيلي، وكنيته أبوعبدالرحمن ويقال: أبو محمد البصري، تابعي من أهل البصرة، ذكره ابن سعد في الطبقة الأولي، وعن ابن معين: أنه ثقة من خيار المسلمين، لا يطعن في حديثه، وروي أنه كان مستجاب الدعوة، مات بعد المائة وقيل: سنة ١٠٨هـ[٤].

١٤ـ علقمة بن قيس النخعي وهو: علقمة بن قيس بن عبدالله بن مالك بن علقمة النخعي الكوفي ولد في حياة الرسول ﷺ ، وعن أحمد: ثقة من أهل الخير، وعن ابن معين: ثقة، روي: أنه قرأ القرآن في ليلة، مات سنة ٦٢هـ، وقيل: ٦١هـ، قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث.

١٥ـ عمير بن سعيد النخعي الصهباني، أبو يحيى الكوفي، عن ابن معين:

---

(١) «ميزان الاعتدال» (٢٠/ ٥٨٤).

(٢) «طبقات ابن سعد» (٦/ ٩٠) ،و«تهذيب التهذيب» (٧/ ٨٥).

(٣) «ميزان الاعتدال» (٢/ ٤٠٩)،و«تهذيب التهذيب» (٥/ ٥٤٢).

(٤) «تهذيب التهذيب» (٥/ ٢٥٣).

ثقة، ذكره ابن حبان في الثقات، له حديث عن علي في حد شارب الخمر، قال ابن سعد: مات سنة ١١٥هـ، وقيل: ١٠٧هـ[١].

١٦- هانئ بن هانئ الهمداني الكوفي، قال النسائي: ليس به بأس، ذكره ابن حبان في الثقات، وقيل: كان يتشيع، وقال ابن المديني: مجهول، وقال ابن سعد: كان منكر الحديث، وعن الشافعي: أهل الحديث لا ينسبون حديثه لجهالة حاله، ذكره ابن سعد في الطبقات الأولي في الكوفة، قال الذهبي: ليس به بأس[٢].

١٧- يزيد بن شريك بن طارق التيمي الكوفي، وعن يحيى بن معين: ثقة، ذكره ابن حبان في الثقات، قال ابن سعد: كان ثقة وكان عريف قومه، يقال: إنه أدرك الجاهلية، روى عن عمر وعلي وأبي ذر وابن مسعود وحذيفة[٣].

هذه إشارات عابرة عن الرواة عن علي ﷺ، ولمن أراد المزيد، فليراجع: رسالة الدكتور أحمد محمد طه «فقه الإمام علي بن أبي طالب»، المقدمة في جامعة بغداد، ولم تنشر حتى الآن.



(١) «تهذيب التهذيب» (٨/ ١٤٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٤/ ٤٤٣).
(٢) «الكاشف» للذهبي (٣/ ٢١٨).
(٣) المصدر نفسه (٣/ ٢٨٠).

المبحث الخامس

أهم أعمال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما بين الهجرة والأحزاب

شرع رسول الله ﷺ بعد استقراره بالمدينة في تثبيت دعائم الدولة الإسلامية؛ فآخى بين المهاجرين والأنصار، ثم أقام المسجد، وأبرم المعاهدة مع اليهود، وبدأت حركة السرايا، واهتم بالبناء الاقتصادي والتعليمي والتربوي في المجتمع الجديد، وكان علي رضي الله عنه ملازمًا له في كل أحواله منفذًا لأوامره، متتلمذًا على هديه.

أولا: المؤاخاة في المدينة:

آخى رسول الله ﷺ بين علي بن أبي طالب وسهل بن حنيف(١)، وقد تحدث بعض العلماء عن وجود مؤاخاة كانت في مكة بين المهاجرين، فقد أشار البلاذُري إلى أن النبي ﷺ آخى بين المسلمين في مكة قبل الهجرة، على الحق والمواساة، فآخى بين حمزة وزيد ابن حارثة، وبين أبي بكر وعمر، وبين عثمان ابن عفان وعبدالرحمن بن عوف، وبين الزبير بن العوام وعبدالله بن مسعود، وبين عبيدة بن الحارث وبلال الحبشي، وبين مصعب ابن عمير وسعد بن أبي وقاص، وبين أبي عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة، وبين سعيد بن زيد ابن عمرو بن نفيل وطلحة بن عُبيد الله، وبينه وبين علي بن أبي طالب(٢)، ويعتبر البلاذري (ت٢٧٦هـ) أقدم من أشار إلي المؤاخاة المكية، وقد تابعه في ذلك ابن عبدالبر (ت ٤٦٣هـ) دون أن يصرح بالنقل عنه، كما تابعهما ابن سيد الناس دون التصريح بالنقل عن أحدهما(٣).

وقد أنكر ابن تيمية المؤاخاة بين المهاجرين بعضهم مع بعض، وكذّب الأحاديث التي وردت في ذلك، ومنها حديث المؤاخاة بين النبي ﷺ وعلي(٤).

---

(١) «الكاشف» للذهبي (٣/ ٢١٨).

(٢) «أنساب الأشراف» (١/ ٢٧٠).

(٣) «السيرة النبوية الصحيحة» (١/ ٤٠).

(٤) «منهاج السنة» (٥/ ٧١) (٧/ ٣٦١).

وذهب ابن القيم إلى عدم وقوع المؤاخاة بمكة، فقال: وقد قيل: إنه -أي: النبي ﷺ- آخى بين المهاجرين بعضهم مع بعض، مؤاخاة ثانية، واتخذ فيها عليًّا أخا لنفسه، والثبت الأول[١]، والمهاجرون كانوا مستغنين بأخوة الإسلام، وأخوة الدار، وقرابة النسب عن عقد مؤاخاة بخلاف المهاجرين مع الأنصار[٢]، ولم تشر كتب السيرة الأولى المختصة إلى وقوع المؤاخاة بمكة، والبلاذري ساق الخبر، بلفظ: «قالوا» دون إسناد؛ مما يضعف الرواية، كما أن البلاذري نفسه ضعفه النقاد، وعلى فرض صحة هذه المؤاخاة بمكة فإنها تقتصر على المؤازرة والنصيحة بين المتآخين دون أن تترتب عليها حقوق التوارث[٣]، الذي نسخ بقول الله تعالى: ﴿وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال: ٧٥)، فهذه الآية نسخت التوارث بموجب نظام المؤاخاة[٤]، وبقيت النصرة والرفادة والنصيحة بين المتآخين[٥]. وقد ذكر ابن كثير أن بعض العلماء ينكر مؤاخاة النبي ﷺ لعلي ويمنع صحته، وأن مستنده في ذلك أن هذه المؤاخاة إنما شرعت لأجل ارتفاق بعضهم من بعض، ولتتآلف قلوب بعضهم على بعض، فلا معنى لمؤاخاة النبي ﷺ لأحد منهم، ولامهاجري لمهاجري آخر، ولكنه أشار إلا أنه قد يكون النبي ﷺ أراد ألاَّ يجعل مصلحة علي إلى غيره، وبخاصة أنه كان ينفق عليه من صغره في حياة أبيه[٦]، ولكنه عاد في موضع آخر فأشار إلى معظم الأحاديث التي تحدثت عن مؤاخاة النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه بأن أسانيدها كلها ضعيفة لا تقوم بها حجة[٧]، وهناك مصادر ذكرت المؤاخاة بين النبي ﷺ وعلي بدون إسناد، منها: محمد بن حبيب[٨]، وابن الجوزي[٩]، وابن الأثير[١٠].

---

(١) يعني: المؤاخاة في المدينة.
(٢) «زاد المعاد» (٢/ ٧٩).
(٣) «السيرة النبوية الصحيحة» (١/ ٢٤١).
(٤) المصدر نفسه (٢/ ٢٤٦).
(٥) «التاريخ الإسلامي» لعبد الحميد (٤/ ٢٥).
(٦) «البداية والنهاية»، (٣/ ٢٢٦)، ومن أراد التوسع فلينظر: «أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري»، لعبد العزيز نور ولي ص(٢٩٣) إلى (٢٩٨).
(٧) «البداية والنهاية» (٧/ ٣٤٨).
(٨) «المحبر» ص(٧٠).
(٩) «المنتظم في تاريخ الأمم والملوك» (٣/ ٧٤).
(١٠) «أسد الغابة في معرفة الصحابة» (٣/ ٥٨٨، ٦٠١).

إن التآخي الذي تم بين المهاجرين والأنصار في الفترة المدنية كان مسبوقا بعقيدة تم اللقاء عليها، والإيمان بها، وكانت هي العمود الفقري للمؤاخاة التي حدثت؛ لأن تلك العقيدة تضع الناس كلهم في مصاف العبودية الخالصة لله دون الاعتبار لأي فارق إلا فارق التقوى والعمل الصالح؛ إذ ليس من المتوقع أن يسود الإخاء والتعاون والإيثار بين أناس فرقتهم العقائد والأفكار المختلفة، فأصبح كل منهم ملكًا لأنانيته وأثرته وأهوائه(١).

وتعتبر سياسة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، نوع من السبق السياسي الذي اتبعه الرسول صلى الله عليه وسلم في تأهيل المودة، وتمكينها في مشاعر المهاجرين والأنصار الذين سهروا جميعًا على رعاية هذه المودة، وذلك الإخاء، بل كانوا يتسابقون في تنفيذ بنوده(٢)، ولاسيما الأنصار الذين لا يجد الكتاب والباحثون مهما تساموا إلى ذروة البيان خيرًا من حديث الله عنهم(٣)، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (الحشر: ٩).

ثانيًا: حركة السرايا:

بمجرد الاستقرار الذي حصل للمسلمين بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة؛ بدأت حركة السرايا التي استهدفت بسط هيبة الدولة في الداخل والخارج وكسب بعض القبائل، وتحجيم دور الأعراب، وتربية الصحابة على الإعداد القتالي للغزوات الكبرى، وحركة الفتوحات وفتح ميدان لصناعة القادة عمليًا، وقد شارك في هذه السرايا أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، في التي حدثت قبل بدر وما بعدها، وأما التي شارك فيها قبل غزوة بدر الكبرى فمنها:

(١) «فقه السيرة»، للبوطي ص(١٤٨).
(٢) «فصول من السيرة النبوية»، د. عبد المنعم السيد ص(٢٠٠).
(٣) «هجرة الرسول وصحابته في القرآن والسنة»، للجمل ص(٥٢٤).

١ـ غزوة العشيرة[١]:

وفيها غزا ﷺ قريشًا، واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد، وسميت هذه الغزوة بغزوة العشيرة، فأقام بها جمادى الأولى وليالي من جمادى الآخرة، وادع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة، ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيدًا، وذلك أن العير التي خرج لها قد مضت قبل ذلك بأيام ذاهبة إلى الشام[٢]، فساحلت على البحر، وبلغ قريشًا خبرها فخرجوا يمنعونها، فلقوا رسول الله ﷺ ووقعت غزوة بدر الكبرى[٣]، وقد حدثنا عمار بن ياسر عن مشاركته وعلي رضي الله عنهما في تلك الغزوة، فعن عمار بن ياسر قال: كنت أنا وعلي رفيقين في غزوة ذي العشيرة، فلما نزلها رسول الله ﷺ وأقام بها رأينا ناسًا من بني مدلج يعملون في عين لهم في نخل، فقال لي علي: يا أبا اليقظان هل لك في أن نأتي هؤلاء فننظر كيف يعملون؟ فجئناهم، فنظرنا إلى عملهم ساعة، ثم غشينا النوم، فانطلقت أنا وعلي، فاضطجعنا في صُور من النخل، في دقعاء[٤] من التراب فنمنا فوالله، ما أهَبَّنا إلا رسول الله ﷺ يحركنا برجله، وقد تَتَرَّبنا من تلك الدقعاء، فيومئذ قال رسول الله ﷺ لعلي: «**يا أبا تراب**» لما رأى عليه من التراب قال: «**ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين؟**» فقلنا: بلى يا رسول الله، قال: «**أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه** -يعني قرنه- **حتى تُبَلَّ منها هذه** -يعني لحيته-[٥]»، وقد تكرر نداء رسول الله لعلي بأبي تراب، سيأتي الحديث عنه.

٢ـ غزوة بدر الأولى:

سببها: أن كرز بن جابر الفهري، قد أغار على سَرْح[٦] المدينة، ونهب بعض

(١) ناحية من نواحي ينبع بين مكة والمدينة.

(٢) «طبقات ابن سعد» (٢/ ١٠). (٣) المصدر نفسه (٢/ ١١).

(٤) الدقعاء: الأرض التي لا نبات فيها. القاموس (٣/ ٢٢).

(٥) «فضائل الصحابة» (٢/ ٨٥٥) رقم (١١٧٢)، وإسناده حسن.

(٦) السرح: الإبل والمواشي التي تسرح للرعي بالغداة.

الإبل والمواشي، فخرج رسول الله ﷺ في طلبه، حتى بلغ واديًا يقال له: «سفوان» من ناحية بدر، وفاته كرز بن جابر، فلم يدركه؛ فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة[1]، وقد أعطى الحبيب المصطفى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لواءه الأبيض[2]، وتعتبر حركة السرايا بداية الجهاد القتالي ضد أعداء الدعوة، ومع حركة السرايا والبعوث والغزوات التي خاضها رسول الله ضد المشركين ظهرت جليًّا سنة التدافع التي تعامل معها النبي ﷺ وأصحابه ومن بينهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وهذه السنة متعلقة تعلقًا وطيدًا بالتمكين لهذا الدين، وقد أشار الله تعالى إليها في كتابه العزيز وجاء التنصيص عليها في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ (البقرة: ٢٥١)، وفي قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ (الحج: ٤٠).

ثالثًا: غزوة بدر:

١ـ قال النووي ـ رحمه الله ـ: وأجمع أهل التواريخ على شهوده بدرا، وسائر المشاهد غير تبوك، قالوا: وأعطاه النبي ﷺ اللواء في مواطن كثيرة[3].

كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه أحد المجاهدين الذين شاركوا في غزوة بدر، ولنتركه يقص علينا خبر هذه الغزوة، فعن حارثة بن مضرب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: وكان النبي ﷺ يتخبَّر عن بدر، فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا، سار رسول الله ﷺ إلى بدر، وبدر بئر، فسبقنا المشركين إليها، فوجدنا فيها رجلين منهم، رجلا من قريش ومولى لعقبة بن أبي معيط، فأما القرشي فانفلت، وأما مولى عقبة فأخذناه، فجعلنا نقول له: كم القوم؟، فيقول: هم والله كثير عددهم، شديد بأسهم، فجعل المسلمون إذا قال ذلك

---

(١) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٠١).
(٢) «تاريخ الإسلام »، للذهبي (٢/ ٤٨)، و«علي بن أبي طالب»، للرفاعي ص(٨٩).
(٣) «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ٢٤٥).

ضربوه حتى انتهوا به إلى النبي ﷺ فقال له: «**كم القوم؟**»، قال: هم والله كثير عددهم شديد بأسهم، فجهد النبي ﷺ أن يخبره كم هم، فأبى، ثم إن النبي ﷺ سأله: «**كم ينحرون من الجزر؟**»، فقال: عشرًا كل يوم. فقال رسول الله ﷺ: «**القوم ألف، كل جزور لمائة**» وتبعها. ثم إنه أصابنا من الليل طش من مطر، فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها، من المطر، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه عز وجل ويقول: «**اللهم إنك إن تَهْلَك هذه الفئةُ لا تُعْبَد**» قال: فلما طلع الفجر نادى: «**الصلاة عباد الله**»، فجاء الناس من تحت الشجر والحجف، فصلى بنا رسول الله ﷺ، وحرض على القتال، ثم قال: «**إن جمع قريش تحت هذه الضِّلع الحمراء من الجبل**» .فلما دنا القوم منا وصففناهم، إذا رجل منهم على جمل له أحمر يسير في القوم، فقال رسول الله ﷺ: «**يا علي، ناد حمزة - وكان أقربهم من المشركين- من صاحب الجمل الأحمر، وماذا يقول لهم**»، ثم قال رسول الله ﷺ: «**إن يكن في القوم أحد يأمر بخير، فعسى، أن يكون صاحب الجمل الأحمر**»، فجاء حمزة فقال: هو عتبة بن ربيعة، وهو ينهى عن القتال، ويقول لهم: ياقوم إني أرى قومًا مُستميتين لا تصلون إليهم وفيكم خير، يا قوم أعصبوها اليوم برأسي، وقولوا: جَبُن عُتْبة بن ربيعة، وقد علمتم أني لست بأجبنكم، قال: فسمع ذلك أبي جهل، فقال: أنت تقول هذا؟ والله لو غيرك يقول هذا لأعضضته، قد ملأت رئتك جوفك رعبًا. قال عتبة: إياي تُعَيِّر يا مُصَفِّرَ اسْتِه؟ ستعلم اليوم أينا الجبان. قال: فبرز عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد حمية، فقالوا: من يبارز؟ فخرج فتية من الأنصار ستة، فقال عتبة: لا نريد هؤلاء، ولكن يبارزنا من بني عمنا، من بني عبد المطلب. فقال رسول الله ﷺ: «**قم يا علي، قم يا حمزة، وقم يا عبيدة بن الحارث بن المطلب**» فقتل الله تعالى عتبة وشيبة ابني ربيعة، والوليد بن عتبة، وجرح عبيدة، فقتلنا منهم سبعين، وأسرنا سبعين، فجاء رجل من الأنصار -قصير- بالعباس بن عبد المطلب أسيرًا، فقال العباس: يارسول الله، إن هذا والله ما

أسرني، لقد أسرني رجل أجلح، من أحسن الناس وجهًا، على فرس أبلق، ما أراه في القوم. فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله. فقال: «**اسكت فقد أيدك الله تعالى بملك كريم**». فقال علي: فأسرنا من بني عبد المطلب: العباس وعقيلاً، ونوفل ابن الحارث[1]، ومن وصف علي رضي الله عنه لغزوة بدر نلاحظ دروسًا، وعبرًا وفوائد كثيره يمكن الرجوع إليها في كتابي: «السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث».

٢ـ ما قيل من أشعار في بطولة علي ببدر:

كان لواء المشركين يوم بدر مع طلحة بن أبي طلحة فقتله علي رضي الله عنه فقال الحجاج ابن علاط السلمي في ذلك:

لِلَّهِ أَيُّ مُذَنِّبٍ عَنْ حَرْبِهِ
أَعْنِي ابنَ فَاطِمَةَ الْمُعَمَّ الْمُخَوَّلاَ
جَادَتْ يَدَاكَ لَهُ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ
تَرَكَتْ طُلَيْحَةَ لِلْجَبِيْنِ مُجَنْدَلاَ
وَشَدَدْتَ شَدَّةَ بَاسِلٍ فَكَشَفْتَهُمْ
بِالْحَقِ إِذْ يَهْوُون أَخْوَلَ أَخْوَلاَ
وَعَلَلْتَ سَيْفَكَ بِالْدمَاءِ وَلَمْ تَكُنْ
لِتَرُدَّهُ حَرَّانَ حَتَّى يَنْهَلاَ[2]

رابعًا: زواج علي من فاطمة رضي الله عنهما:

هي: فاطمة بنت إمام المتقين، سيد ولد آدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمها خديجة بنت خويلد، كانت تكنى بأم أبيها[3]، ولدت رضي الله عنها قبل البعثة سنة خمس

(١) «مسند أحمد، الموسوعة الحديثية» رقم (٩٤٨)، وإسناده صحيح.
(٢) «البداية والنهاية» (٧/ ٣٧٩).
(٣) «أسد الغابة» (٥/ ٥٢٠)، و«الإصابة» (٤/ ٣٦٥).

وثلاثين من مولد النبي ﷺ[1]، زوجها النبي ﷺ علي بن أبي طالب سنة اثنتين للهجرة بعد وقعة بدر، وولدت له الحسن والحسين وأم كلثوم، وكانت وفاتها بعد وفاة النبي ﷺ بستة أشهر فرضي الله عنها وأرضاها[2].

١ـ مهرها وجهازها:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: خُطِبت فاطمة إلى رسول الله ﷺ فقالت مولاة لي: هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله ﷺ؟ قلت: لا، قالت: فقد خطبت، فما يمنعك أن تأتي رسول الله ﷺ فيزوجك؟ فقلت: وهل عندي شئ أتزوج به؟ فقالت: إنك إن جئت رسول الله ﷺ زوجك. قال: فوالله ما زالت ترجيني حتى دخلت على رسول الله ﷺ، فلما أن قعدت بين يديه أفحمت، فوالله ما استطعت أن أتكلم جلالة وهيبة .فقال رسول الله ﷺ: «**ما جاء بك؟ ألك حاجة؟**» فسكت، فقال: «**لعلك جئت تخطب فاطمة؟**» فقلت: نعم، فقال: «**وهل عندك من شئ تستحلها؟**» فقلت: لا والله يا رسول الله. فقال: «**ما فعلت بدرع سلحتكها؟**» فوالذي نفس علي بيده إنها لحطمية ما قيمتها أربعمائة درهم فقلت: عندي، فقال: «**قد زوجتكها، فابعث إليها بها فاستحلها بها**»، فإنها كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله ﷺ[3]، وقد جهز رسول الله ﷺ فاطمة في خميل[4]، وقربة ووسادة أدم[5] حشوها إذخر[6]»[7]، وقد جاء في روايات الشيعة. فأخذت درعي فانطلقت به إلى السوق فبعته بأربعمائة درهم إلى عثمان بن عفان، فلما قبضت الدراهم منه وقبض الدرع مني قال: يا أبا الحسن، ألست أولى بالدرع منك وأنت أولى

---

(١) «الطبقات»، لابن سعد (٨/ ٢٦).

(٢) «حلية الأولياء» (٢/ ٣٩، ٤٣)، و«سير أعلام النبلاء» (٢/ ١١٨، ١٣٤)، و«العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط» د. سليمان السحيمي ص(١٣٢). .

(٣) «دلائل النبوة»، للبيهقي (٣/ ١٦٠)، وإسناده حسن.

(٤) خميل: القطيفة.

(٥) الأدم: الجلد.

(٦) إذخر: نبات.

(٧) «صحيح السيرة النبوية» ص(٦٦٧)، و«مسند فاطمة الزهراء وما ورد في فضلها» للسيوطي، تحقيق: فؤاد أحمد زمرلي ص(١٨٩) .

بالدراهم مني؟ فقلت: نعم، قال: فإن هذا الدرع هدية مني إليك، فأخذت الدرع والدراهم وأقبلت إلى رسول الله فطرحت الدرع والدراهم بين يديه، وأخبرته بما كان من أمر عثمان فدعا له النبي بخير[1].

٢- زفافها:

قالت أسماء بنت عميس: كنت في زفاف فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما أصبحنا جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الباب فقال: **«يا أم أيمن ادْعِي لي أخي»**، فقالت: هو أخوك وتنكحه؟ قال: **«نعم يا أم أيمن»**، قالت: فجاء علي فنضح النبي صلى الله عليه وسلم عليه من الماء، ودعا له ثم قال: **«ادْعِي إليَّ فاطمة»** قالت: فجاءت تعثر من الحياء، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«اسكتي فقد أنكحتك أحب أهل بيتي إليَّ»**، قالت: ونضح النبي صلى الله عليه وسلم عليها من الماء ودعا لها، قالت: ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى سوادًا بين يديه، فقال: **«من هذا؟»** فقلت: أنا، قال: **«أسماء؟»** قلت: نعم، قال: **«أسماء بنت عميس؟»** قلت: نعم، قال: **«جئت في زفاف بنت رسول الله تكرمة له؟»** قلت: نعم، قالت: فدعا لي[2].

٣- وليمة العرس:

عن بريدة قال: لما خطب علي فاطمة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إنه لابد للعُرس[3] من وليمة»**، قال: فقال سعد: عليَّ كبش، وجمع له رهط من الأنصار آصعًا من ذرة، فلما كان ليلة البناء، قال: **«يا علي لا تحدث شيئًا حتى تلقاني»**. فدعا النبي صلى الله عليه وسلم بماء فتوضأ منه ثم أفرغه على علي، فقال: **«اللهم بارك فيهما وبارك عليهما، وبارك في شبلهما»**[4].

---

(١) «كشف الغمة»، للأربلي (١/ ٣٥٩)، و«بحار الأنوار» للمجالسي ص(٣٩) نقلاً عن: «الشيعة وأهل البيت» ص(١٣٧، ١٣٨).

(٢) «فضائل الصحابة» (٢/ ٩٥٥) رقم (٣٤٢)، وإسناده صحيح.

(٣) للعرس: أي للعروس.

(٤) «المعجم الكبير» للطبراني (١١٥٣)، و«فضائل الصحابة» (٢/ ٨٥٨)، وإسناده صحيح.

٤- معيشة علي وفاطمة رضي الله عنهما:

كانت معيشة علي وفاطمة رضي الله عنهما، وهما أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، معيشة زهد وتقشف، وصبر وجهد، فقد أخرج هناد عن عطاء، قال: نبئت أن عليًّا رضي الله عنه قال: مكثنا أيامًا ليس عندنا شيء، ولا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فخرجت فإذا أنا بدينار مطروح على الطريق، فمكثت هنيهة أُؤَامرُ نفسي في أخذه أو تركه، ثم أخذته لما بنا من الجهد، فأعطيت به الضفاطين[1]، فاشتريت به دقيقًا، ثم أتيت به فاطمة فقلت: اعجني واخبزي، فجعلت تعجن- وإن قُصَّتها لتضرب حرف الجفنة من الجهد الذي بها - ثم خبزت، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فقال: «**كلوه؛ فإنه رزق رزقكموه الله عز وجل**»[2]، وعن الشعبي، قال: قال علي رضي الله عنه: تزوجت فاطمة بنت محمد رسول الله ومالي ولها فراش غير جلد كبش تنام عليه بالليل، ونعلف عليه ناضحنا بالنهار، ومالي خادم غيرها[3]. وعن مجاهد قال: قال علي: جعت مرة بالمدينة جوعًا شديدًا، فخرجت أطلب العمل في عوالي المدينة، فإذا أنا بامرأة قد جمعت مدرًا، فظننتها تريد بَلَّه[4]، فأتيتها فقاطعتها[5] كلَّ ذنوب[6] على تمرة، فمددت ستة عشر ذنوبا، حتى مجلت يداي[7]، ثم أتيت الماء فأصبت منه، ثم أتيتها فقلت بكفي هكذا بين يديها[8]، فعدت لي ست عشرة تمرة، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبرته، فأكل معي منها[9]، في هذا الخبر بيان لشدة الحال التي مر بها أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في المدينة، ونأخذ منه صورة من السلوك المشروع في مواجهة الشدائد، حيث خرج علي رضي الله عنه للعمل بيديه للكسب المشروع، ولم يجلس منتظرًا ما تجود به أيدي

---

(١) الضفاطون: الحمالون والمكارون الذين يجلبون الدقيق من الخارج.

(٢) «كنز العمال» (٧/ ٣٢٨)، و«المرتضى» للندوي ص(٤١).

(٣) «كنز العمال» (٧/ ١٣٣)، و«المرتضى» للندوي ص(٤١).

(٤) المدر، يعني: الطين اليابس، تريد بله: يعني: بالماء.

(٥) فقاطعتها: أي: اتفقت معها على أجرة.

(٦) ذنوب: دلو.

(٧) مجلت: تورمت من العمل.

(٨) يعني: بسطهما وضمهما.

(٩) «صفة الصفوة» (١/ ٣٢٠)، و«الموسوعة الحديثية»، و«مسند أحمد» (١١٣٥)، وإسناده ضعيف لانقطاعه.

المحسنين، وصورة أخرى من قوة التحمل، حيث قام بذلك العمل الشاق وهو يعاني من شدة الجوع ما يضعف قوته، وصورة أخرى من إيثار الأحبة والوفاء لهم، فهو على ما به من شدة الجوع وبالرغم مما قام به من ذلك العمل الشاق؛ قد احتفظ بأجرته من التمر حتى لقي النبي ﷺ فأكل معه[١].

٥- زهد السيدة فاطمة وصبرها:

كانت حياتها في غاية البساطة، بعيدة عن التعقيد، وهي إلى شظف العيش أقرب منها إلى رغده[٢]، وهذه القصة تصور لنا حال السيدة فاطمة من التعب وموقف رسول الله ﷺ منها عندما طلبت منه أن يعطيها خادمًا من السبي، قال علي لفاطمة ذات يوم: والله لقد سنوت[٣]، حتى لقد اشتكيت صدري، قال: وجاء الله أباك بسبي فاذهبي فاستخدميه[٤]، فقالت: أنا والله قد طحنت حتى مجلت يداي، فأتيت النبي ﷺ فقال: «**ما جاء بك أي بنية**». قالت: جئت لأسلم عليك، واستحيت أن تسأله ورجعت فقال علي: ما فعلت؟ قالت: استحييت أن أسأله، فأتينا جميعًا. فقال علي: يا رسول الله والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري، وقالت فاطمة: قد طحنت حتى مجلت يداي[٥]، وقد جاءك الله بسبي وسعة فأخدمنا، فقال رسول الله ﷺ: «**والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تطوي[٦] بطونهم، لا أجد ما أنفق عليهم، ولكني أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم**»، فرجعا فأتاهما النبي ﷺ وقد دخلا في قطيفتهما إذا غطيا رأسيهما تكشفت أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما تكشفت رأسيهما، فثارا، فقال: «**مكانكما**»، ثم قال: «**ألا أخبركما بخير مما سألتماني؟**» قالا: بلى. فقال: كلمات علمنيهن جبريل -عليه السلام- فقال: «**تسبحان في دبر كل صلاة عشرًا، وتحمدان**

---

(١) «التاريخ الإسلامي»، للحميدي (١٩/ ٤٩، ٥٠).
(٢) انظر: «معين السيرة» للشامي، ص(٢٥٥).
(٣) سنوت: استقيت. (٤) أي: اسأليه خادمًا.
(٥) «السيرة النبوية» للصلابي (٢/ ٩٩)، و«مسلم» رقم (٢٧٢٧)، و«البخاري» رقم (٣٧٠٥).
(٦) تطوي: طوي من الجوع فهو طوٍ: خالي البطن جائع لم يأكل.

عشـراً، وتكبران عشـراً، وإذا أويتما إلى فـراشكما فسـبحا ثلاثًا وثلاثين واحـمد ثلاثًا وثلاثين وكبِّرا أربعًا وثلاثين»[(١)]، وفي القصة السالفة بعض القيم المهمة منها:

إن هذه الحادثة تبـين لنا كيف أدار النبي ﷺ الأزمة الاقـتصـادية التي مرت بدولة الرسول ﷺ في المـدينة وذلك من خلال ترتيبـه للأولويات، فسـد جوع أهل الصفة ضرورة، وأما حاجة علي وفاطمـة للخادم فليست بمرتبة احتياج أهل الصفـة، فقدَّم رسول الله ﷺ أهل الصـفة عليهم، وكانت وسـائل رسول الله ﷺ في حل الأزمة الاقتصادية كثيرة.

ولقد تـأثر علي ﵁ بهذه التـربية النبـوية، ويمر الزمن بالفتى عـلي فيصـبح خليفة المسلمين، فإذا به من آثار هذه التربية يترفع عن الدنيا وزخارفها وبيده كنوز الأرض وخيراتها؛ لأن ذكر الله يملأ قلبه ويغـمر وجوده، ولقد حافظ على وصية رسول الله ﷺ له وقد حدثنا عن ذلك فقال: «فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن، فسأله أحد أصحابه: ولا ليلة صفين فقال: ولا ليلة صفين»[(٢)].

٦ـ إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا:

عن علي بن أبي طالب ﵁ قـال: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعلى فـاطمة من الليل، فأيقظنا للصـلاة، قال: ثم رجع إلى بيته فـصلى هويًا من الليل، قال: فلم يسمع لنا حسًّـا، قال: فرجع إلينا، فـأيقظنا وقال: «**قومـا فصليـا**»، قال: فجلست وأنا أعْرك عيني وأقول: إنا والله مـا نصلي إلا ما كتب لنا، إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبـعثنا بعثنا، قال: فولى رسـول الله ﷺ وهو يقول، ويضرب بيده على فخذه: «**ما نصلي إلا ما كتب لنا، ما نصلي إلا ما كتب لنا، ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾** (الكهف:٥٤)»، وهذا فيه تجرد علي ﵁ للـحق وحرصه على نشر العلم، ولو كان الأمر متـعلقًا به ﵁ وهذه قيمة كبرى يتعلمهـا المسلمون من أمير المؤمنين علي، ولو أراد لكتم الحديث، علمًا بأن صلاة الليل لم تكن واجبة.

---

(١) «البخاري»، رقم (٣٧٠٥)، و«مسلم» رقم (٢٧٢٧).

(٢) «مسلم» (٤/٢٠٩٢).

٧ـ محبة رسول الله ﷺ للسيدة فاطمة وغيرته عليها:

عن ثوبان رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر يكون آخر عهده بالمدينة إتيان فاطمة، وأول من يدخل عليه إذا قدم من سفره فاطمة[١]، وفي رواية عن أبي ثعلبة الخشني قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من غزو أو سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين، ثم يأتي فاطمة، ثم يأتي أزواجه[٢]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: مارأيت أحدًا أشبه سمتًا ولا دلاً برسول الله ﷺ في قيامه وقعوده من فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي ﷺ إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها[٣]، وفي رواية: أنها كانت تقبل يده[٤]، وعن أسامة ابن زيد قال: قال رسول الله ﷺ : **«أحب أهل بيتي إليَّ فاطمة»**[٥]، وقد أراد علي رضي الله عنه أن يتزوج بنت أبي جهل على فاطمة، فخطب رسول الله ﷺ الناس-وإن في رواية السيدة عائشة للحديث دليل على حقيقة المحبة بين السيدتين، وليست كما يدعي المغرضون- فقال: **«فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني»**[٦]، وعن المسور بن مخرمة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله على المنبر يقول: **«إن بني هاشم بن المغيرة استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم عليَّ بن أبي طالب فلا آذن لهم ثم لا آذن لهم، ثم لا آذن لهم، إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم؛ فإنما ابنتي بضعة مني يريبني ما أرَابها[٧]، ويؤذيني ما آذاها»**[٨]، وبلفظ آخر عند مسلم قال: إن علي بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل على فاطمة، فسمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس في ذلك على منبره هذا

(١) «مسند أحمد» (٥/ ٢٧٥)، و«الدوحة النبوية»، لفاروق حمادة ص(٥٦).

(٢) «الاستيعاب» (٤ / ٣٧٦) في سنده أبوفروة الرهاوي مضعف، و«الدوحة النبوية» ص(٥٦).

(٣) «مسلم» رقم (٢٤٥٠)، و«صحيح سنن أبي داود »رقم (٥٢١٧).

(٤) «سنن أبي داود »رقم (٥٢١٧)، و«الدوحة النبوية» ص (٥٦) .

(٥) «مسند الطيالسي» (٢/ ٢٥) حسن صحيح.

(٦) «البخاري» رقم (٤١٧٣).

(٧) أي: يسوءني ما يسوءها، ويزعجني ما يزعجها، لابن الأثير (٢/ ٢٨٧).

(٨) «البخاري» رقم (٥٢٣٠).

وأنا يومئذ محتلم فقال: «**إن فاطمة مني، وإني أتخوف أن تفتن في دينها**» قال: ثم ذكر صهرًا له من بني عبد شمس[١]، فأثنى عليه في مصاهرته إياه، فأحسن، قال: «**حدثني فصدقني، ووعدني فأوفى لي، وإني لست أحرم حلالاً، ولا أحل حرامًا، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله في مكان واحد أبدًا**»[٢].

وروى الترمذي بسنده إلى عبدالله بن الزبير ﷺ: أن عليًّا ذكر بنت أبي جهل فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ويتعبني ما أتعبها**»[٣].

وفي إعلان رسول الله ﷺ محبتها ومكانتها على الملأ، وأن إذايتها إذاية له، تعريف بحق[٤] حرمتها، كما دلت هذه الأحاديث على تحريم إيذاء النبي ﷺ بكل حال، وعلى كل وجه، وإن تولد ذلك الإيذاء مما كان أصله مباحًا وهو حي وهذا بخلاف غيره، وقالوا: وقد أعلم ﷺ بإباحة بنت أبي جهل لعلي بقوله ﷺ: «**لست أحرم حلالاً**» ولكن نهى عن الجمع بينهما؛ لعلتين منصوصتين:

إحداهما: أن ذلك يؤدي إلى أذى فاطمة؛ فيتأذى حينئذ النبي ﷺ؛ فيهلك من آذاه فنهى عن ذلك لكمال شفقته على علي وعلى فاطمة.

والثانية: خوف الفتنة عليها بسبب الغيرة، وقيل: ليس المراد به النهي، بل معناه: أعلم من فضل الله أنهما لا تجتمعان، ويحتمل أن المراد تحريم جمعهما ويكون معنى «**لست أحرم حلالاً**» أي: لا أقول شيئًا يخالف حكم الله، فإذا أحل الله شيئًا لم أحرمه، وإذا حرم شيئًا لم أحلله ولم أسكت عن تحريمه؛ لأن سكوتي تحليل له، ويكون من جملة محرمات النكاح الجمع بين بنت نبي الله وبنت عدو الله[٥]، ومن

---

(١) هو: أبو العاص بن الربيع زوج زينب ﷺ وكان قد وقع أسيرًا في بدر، فأرسلت زينب قلادتها في فداء زوجها، فأطلق رسول الله ﷺ أبا العاص بن الربيع وردّ المسلمون على زينب قلادتها، وأخذ النبي على أبي العاص أن يخلي سبيلها فوعده ذلك ففعل.

(٢) «مسلم» (٤/١٩٠٣).

(٣) «فضائل الصحابة» (٢/٧٥٦) رقم (١٣٢٧)، وإسناده صحيح.

(٤) «الدوحة النبوية الشريفة» ص(٥٧).

(٥) «شرح صحيح مسلم» (١٦/٢٣٦، ٢٣٧).

مناقب السيدة فاطمة ما رواه الحاكم أيضًا بإسناده إلى بريدة رضي الله عنه قال: كان أحب النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة ومن الرجال علي[١]، ولا يفهم من هذا الحديث معارضته لما ثبت في الصحيح من حديث عمرو ابن العاص أنه سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**»، قال: من الرجال؟ قال: «**أبوها**»[٢].

فالمراد من هذا الحديث -والله أعلم- أن فاطمة أحب النساء إليه من أهله، وعلي من رجالهم وفي ذلك يقول ابن العربي عند هذا الحديث: كان أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبوبكر وأحب أزواجه إليه عائشة، وأحب أهله إليه فاطمة، وعلي من رجالهم، وبهذا الترتيب تأتلف الأحاديث، ويرتفع عنها التعارض[٣].

٨ـ صدق لهجتها:

روى الحاكم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها أنها كانت إذا ذكرت فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم قالت: ما رأيت أحدًا كان أصدق لهجة منها إلا أن يكون الذي ولَدَها[٤].

وفي ذلك منقبة ظاهرة لها رضي الله عنها فقد وصفتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بأنها كانت تشبه النبي صلى الله عليه وسلم هيئة وطريقة وحسن حال، كما كان التزامها للصدق أشبه له فرضي الله عنها وأرضاها[٥].

٩ـ سيادتها في الدنيا والآخرة:

جاءت الأحاديث الصحيحة -عن الصادق المصدوق- التي دلت على سيادتها في الدنيا والآخرة، روى الترمذي بإسناده إلى أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت**

---

(١) «المستدرك» كتاب معرفة الصحابة (٣/ ١٥٥) صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

(٢) «البخاري» رقم (٤٣٥٨).

(٣) «عارضة الأحوذي» (١٣/ ٢٤٧، ٢٤٨)، و«العقيدة في أهل البيت» ص(١٣٧).

(٤) «المستدرك» (٣/ ١٦٠، ١٦١)، صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٥) «العقيدة في أهل البيت» ص(١٣٦).

محمد، وآسية امرأة فرعون»[١]، وروى الحاكم بإسناده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم بنت عمران»**[٢]. وقال البخاري: باب مناقب فاطمة رضي الله عنها، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: **«فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»**[٣].

خامسًا: أولادها: الحسن والحسين رضي الله عنهما:

١- الحسن بن علي رضي الله عنهما:

هو الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي، سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم، وريحانته في الدنيا وأحد سيدي شباب أهل الجنة، أمه فاطمة الزهراء، ولد للنصف من رمضان سنة ٣هـ، وقيل: في شعبان وقيل: في سنة أربع أو خمس[٤]. وقد توفي عام ٥٠هـ. وقد اخترت في كتابي «السيرة النبوية» بأنه ولد في العام الرابع للهجرة[٥].

هذا وقد سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنًا، قال علي رضي الله عنه: لما ولد الحسن سميته حربًا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: **«أروني ابني. ما سميتموه؟»** قلت: حربًا، قال صلى الله عليه وسلم: **«بل هو حسن»**[٦]. وهكذا غير صلى الله عليه وسلم ذلك الاسم الحاد باسم جميل يدخل السرور والبهجة على القلوب، فحمل المولود الجديد اسمه الجميل، وحمله صلى الله عليه وسلم بين يديه وقبله، وهذا أبو رافع يخبرنا عمَّا فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أذَّن في أذني الحسن حين ولدته فاطمة بالصلاة[٧].

(١) «فضائل الصحابة» (٢/ ٧٥٥) رقم (١٣٢٥)، صححه الألباني، و«تحريم المشكاة» (٣/ ٧٤٥).
(٢) «فضائل الصحابه» رقم (١٣٣٢)، وإسناده حسن لغيره.
(٣) «البخاري»، كتاب فضل الصحابة (٤/ ٢٥٢).
(٤) «فضائل الصحابة» (٢/ ٩٦٠)، و«حلية الأولياء» (٢/ ٣٥)..
(٥) «السيرة النبوية» للصلابي (٢/ ١٩٩)، و«شذرات الذهب» (١/ ١٠).
(٦) رواه البخاري في الأدب (٢٨٦).
(٧) «سنن أبي داود» رقم (٥١٠٥)، وإسناده ضعيف، حكم عليه الشيخ عثمان الخميس عن رسالته للماجستير المتعلقة بالأحاديث الخاصة بالحسن والحسين ص(٨٠).

وحدثنا أبو رافع عن عقيقة الحسن فقال: لما ولدت فاطمة حسنًا قالت: ألا أعق عن ابني بدم (بكبشين) قال صلى الله عليه وسلم: «**لا ولكن احلقي رأسه، وتصدقي بوزن شعره من فضة على المساكين والأوفاض**»، وكان الأوفاض ناسًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم محتاجين في المسجد أو الصفة؛ ففعلت ذلك[1].

هذا وقد وردت أحاديث كثيرة في فضائل الحسن بن علي رضي الله عنهما منها:

(أ) عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: رأيت الحسن بن علي على عاتق النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: «**اللهم إني أُحبُّه فأَحِبَّه**»[2].

(ب) وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال للحسن: «**اللهم إني أُحِبُّه، فأَحِبَّه وأَحْبِبْ من يحبه**»[3].

(جـ) وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأخذه والحسن ويقول: «**اللهم إني أُحِبُّهما فأَحِبَّهما**»[4].

(د) عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: «**ابني هذا سيدٌ ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**»[5]. فإخبار النبي صلى الله عليه وسلم بأن الحسن سيدٌ؛ مفخرة عظيمة، وميزة شريفة له رضي الله عنه وأرضاه، وقد تحققت نبوءة جده صلى الله عليه وسلم، فأصلح الله على يديه بين المسلمين، وحقن دماءهم حيث نزل عن حقه في الخلافة لمعاوية رضي الله عنهم أجمعين، وكان ذلك في سنة إحدى وأربعين، وكانت خلافته رضي الله عنه ستة أشهر، وسمي هذا العام عام الجماعة، وهذا ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «**لعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين**»[6]، قال ابن حجر: فالحديث فيه علم من أعلام النبوة، ومنقبة للحسن بن علي؛ فإنه ترك الملك لا لقلة ولا لذلة

---

(١) «الطبقات» (١/ ٢٣٣)، وإسناده ضعيف.

(٢) «البخاري» رقم (٣٧٤٩).

(٣) «مسلم» (٢٤٢١).

(٤) «البخاري» رقم (٣٧٤٧).

(٥) «البخاري» رقم (٣٧٤٦).

(٦) «البداية والنهاية» (٨/ ٢٠)، و«سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٤٤، ١٤٥).

ولا لعلة بل لرغبة فيما عند الله؛ لما رآه من حقن دماء المسلمين؛ فراعى أمر الدين ومصلحة الأمة[١]، وسيأتي الحديث بإذن الله عن تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية عند حديثنا عن عهده في كتاب مستقل.

(هـ) وعن سعيد المقبري[٢]، قال: كنا مع أبي هريرة ﷺ فجاء الحسن بن علي ابن أبي طالب علينا فسلم، فرددنا عليه السلام ولم يعلم به أبوهريرة، فقلنا: يا أباهريرة هذا الحسن بن علي قد سلم علينا؛ فلحقه وقال: عليك السلام يا سيدي، ثم قال: إنه سيد[٣].

(و) ومنها مشابهته ﷺ للنبي ﷺ في الخلق، فقد روى البخاري بإسناده إلى أنس ابن مالك ﷺ قال: لم يكن أحد أشبه بالنبي ﷺ من الحسن بن علي[٤].

(ز) وروى أيضا بإسناده إلى عقبة بن الحارث قال: رأيت أبا بكر ﷺ وقد حمل الحسن وهو يقول: بأبي شبيه بالنبي، ليس شبيه بعلي، وعلي يضحك[٥]، فكونه ﷺ شبه جده المصطفى ﷺ في الخلق منقبة عظيمة له، وفضيلة ظاهرة[٦].

٢ـ الحسين بن علي ﷺ:

هو أبوعبدالله الحسين بن علي بن أبي طالب، سبط رسول الله ﷺ، وريحانته ومحبوبه، ابن بنت رسول الله ﷺ، فاطمة ﷺ، كان مولده سنة ٤هـ، وقيل: غير ذلك ومات ﷺ قتيلاً شهيداً، في يوم عاشوراء من شهر المحرم سنة إحدى وستين هجرية بكربلاء من أرض العراق فرضي الله عنه وأرضاه[٧]، وقد وردت في مناقبه وفضائله أحاديث كثيرة منها:

---

(١) «فتح الباري» (١٣/ ٦٦).

(٢) هو: كيسان المدني مولى أم شريك، ثقة ثبت مات سنة (١٠٠هـ)، و«التقريب» (٤٦٣).

(٣) «المستدرك»، كتاب معرفة الصحابة (٣/ ١٦٩) صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٤) «البخاري»، كتاب الفضائل رقم (٣٧٥٢).

(٥) «البخاري» رقم (٣٧٥٠).

(٦) «العقيدة في أهل البيت» ص (١٤٧).

(٧) «البداية والنهاية» (٨/ ١٥٢)، و«الإصابة» (١/ ٣٣١، ٣٣٤).

أ ـ ما رواه أحمد بإسناده إلى يعلى العامري رضي الله عنه: أنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم -يعني إلى طعام دعوا له- قال: فاستمثل رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام القوم، وحسين مع غلمان يلعب فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذه فطفق الصبي يفر هنا مرة وههنا مرة، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يضاحكه حتى أخذه، قال: فوضع إحدى يديه تحت قفاه والأخرى تحت ذقنه، ووضع فاه وقبله وقال: «**حسين مني وأنا من حسين، اللهم أَحِبَّ من أَحَبَّ حسينًا، حسين سبط من الأسباط**»[(١)]، وفي ذلك منقبة ظاهرة للحسين رضي الله عنه؛ إذ حث على محبته وكأنه صلى الله عليه وسلم علم بنور الوحي ما سيحدث بينه وبين القوم فخصه بالذكر، وأكد على وجوب المحبة وحرمة التعرض والمحاربة، وأكد ذلك بقوله: «**أحب الله من أحب حسينًا؛ فإن محبته تؤدي لمحبة الرسول ومحبة الرسول محبة الله**»[(٢)].

(ب) ومنها ما رواه البخاري بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أُتي عبيدالله بن زياد[(٣)] برأس الحسين رضي الله عنه، فجعل في طست، فجعل ينكت، وقال في حسنه شيئًا، فقال أنس: كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان مخضوبًا بالوسمة[(٤)].

(جـ) وفي رواية أخرى عن أنس أيضا قال: لما أُتي عبيدالله بن زياد برأس الحسين جعل ينكت بالقضيب ثناياه، يقول: لقد كان -أحسبه قال- جميلاً فقلت: والله لأسوءنك إني رأيت رسول الله يلثم حيث يقع قضيبك، قال: فانقبض[(٥)]. فالحديثان يدلان على فضل الحسين رضي الله عنه، وأنه كان أشبه أهل البيت به، ولكن قد يرد إشكال ولاسيما وأنه قد تقدم في فضائل الحسن، أنه لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علي، فيحدث التعارض، وقد أزال

---

(١) «فضائل الصحابة» رقم (١٣٦١) إسناده حسن.

(٢) «تحفة الأحوذي» (١٠/ ٢٧٩).

(٣) قتل عبيدالله عام ٦٧هـ، «الأعلام» (٤/ ١٩٣).

(٤) «البخاري» رقم (٣٧٤٨)، والوسمة بكسر السين وقد تسكن: نبت وقيل: شجر باليمن يخضب بورقه الشعر.

(٥) «فضائل الصحابة» (٢/ ٩٨٥) رقم (١٣٩٧)، وإسناده حسن، و«مجمع الزوائد» (٩/ ١٩٥).

الإشكال والتعارض ابن حجر -رحمه الله- حيث جمع بينهما، فقال: ويمكن الجمع بأن يكون أنس قال ماوقع في رواية الزهري في حياة الحسن؛ لأنه يومئذ كان أشد شبهًا بالنبي ﷺ من أخيه الحسين، وأما ما وقع في رواية ابن سيرين فكان بعد ذلك كما هو ظاهر من سياقه، أو المراد بمن فضل الحسين عليه في الشبه ماعدا الحسن، ويحتمل أن يكون كل منهما أشد شبهًا في بعض أعضائه، فقد روى الترمذي وابن حبان من طريق هانئ بن هانئ عن علي قال: الحسن أشبه النبي ﷺ ما بين الرأس إلى الصدر، والحسين أشبه النبي ﷺ ما كان أسفل من ذلك[١]، فهذه بعض الأحاديث الواردة في الحسين رضي الله عنه وأرضاه.

٣ـ ما ورد من أحاديث في مناقب مشتركة بين الحسن والحسين رضي الله عنهما:

(أ) ما رواه البخاري بإسناده إلى ابن عمر أنه قد سأله رجل من العراق عن المحرم يقتل الذباب، فقال رضي الله عنه: أهل العراق يسألون عن الذباب وقد قتلوا ابن ابنة رسول الله ﷺ وقال النبي ﷺ: «**هما ريحانتاي من الدنيا**»[٢].

قال ابن حجر: والمعنى: أنهما مما أكرمني الله وحباني به؛ لأن الأولاد يشمون ويقبلون فكأنهم من جملة الرياحين[٣].

(ب) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني**» يعني: حسن وحسين[٤].

(جـ) وعن البراء بن عازب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أبصر حسنًا وحسينًا فقال: «**اللهم إني أُحِبُّهما فأُحِبَّهما**»[٥].

(د) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: عن رسول الله ﷺ: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**»[٦].

(١) «فضائل الصحابة» رقم (١٣٦٦)، وإسناده صحيح.
(٢) «البخاري» رقم (٣٧٥٣). (٣) «فتح الباري» (١٠/ ٤٢٧).
(٤) «صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٢٩)، و«فضائل الصحابة» رقم (١٣٥٩).
(٥) صحيح «سنن الترمذي» (٣/ ٢٢٦)، و«سنن الترمذي» رقم (٣٧٨٢).
(٦) «مجمع الزوائد» (٩/ ١٨٤)، وصححه الألباني في «الأحاديث الصحيحة» (٢/ ٤٤٨).

(هـ) عن عبدالله بن بريدة قال: سمعت أبي بريدة يقول: كان رسول الله ﷺ يخطبنا فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله ﷺ على المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه، ثم قال: «**صدق الله ورسوله ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾** (التغابن: ١٥)، **نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران؛ فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما**»[١].

(و) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ يُعوِّذ الحسن والحسين ويقول: «**إن أباكما كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق: أعوذُ بكلمات الله التَّامة، من كلِّ شيطان وهامة، ومن كل عين لامة**»[٢]. وهذا الحديث لا يتعارض مع ما رواه سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا هامة**»[٣] وما رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ في قوله: «**لا هام لا هام**»[٤]، وقوله ﷺ: «**لا عدوى ولا هامة ولا نوء ولا صفر**»[٥]، فقد أجاب أبو جعفر الطحاوي بقوله: ففي هذه الأحاديث نفيه الهامة ونفي وجودها، فكيف يجوز أن يعوذهما من معدوم؟ فكان جوابنا له بتوفيق الله عز وجل وعونه: أن الهامة التي عوذهما ﷺ منها هي هوام الأرض التي يخاف غوائلها، والهامة التي نفاها هي خلافها، وهي ما كانت العرب تقوله في موتها، فمن ذلك مارثى به لبيد أخاه أربد[٦] بقوله:

فليس النَّاسُ بعدكَ في نَقيرٍ
ولا هُمْ غيرُ أصداءٍ وهامِ

ومن ذلك قول أبي داود الأياديِّ:

سُلِّطَ الموتُ والمنونُ عليهِمُ
فَلهُمْ في صَدَى المَقَابِرِ هامُ

---

(١) «فضائل الصحابة» رقم (١٣٥٨)، وإسناده صحيح.
(٢) البخاري رقم (٣٣٧١).
(٣) «صحيح ابن حبان» رقم (٦١٢٧)، وإسناده قوي، و«الطبراني» (١١٧٦٤).
(٤) «شرح مشكل الآثار» (٧/٣٢٨)، وإسناده صحيح.
(٥) «مسلم» رقم (٢٢٢٠).
(٦) «شرح مشكل الآثار» (٧/٣٢٩).

فنفى رسول الله ﷺ ذلك في حديث أبي هريرة ﷺ الذي رويناه، وأما الهامة التي عوَّذ منها حسنًا وحسينًا، فهي موجودة، وهي هوام الأرض المخوفة، وهي مشددة الميم، والهامة التي نفاها مخففة الميم، فليست منها في شيء[١].

سادسًا: حديث الكساء ومفهوم أهل البيت:

حديث الكساء روته عائشة ﵂[٢]، قالت: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود «وهو الكساء» فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾(الأحزاب: ٣٣).

وهذا يبين لنا كذب من ادَّعى أن الصحابة يكتمون فضائل علي؛ فهذه عائشة التي يدعون أنها تبغض عليًّا هي التي تروي هذا الفضل لعلي وفاطمة[٣].

إن الخطاب في الآيات الكريمة كله لأزواج النبي ﷺ حيث بدأ بهن وختم بهن قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً (٣٠) وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (٣٣) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيراً﴾ (الأحزاب: ٢٨-٣٤)، فالخطاب كله لأزواج النبي ﷺ ومعهنّ الأمر والنهي والوعد والوعيد، لكن لما تبين ما في هذا من المنفعة التي تعمهن وتعم غيرهن من أهل البيت جاء التطهير بضمير المذكر؛ لأنه إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، حيث تناول أهل البيت كلهم، وعلي

---

(١) «شرح مشكل الآثار» (٧/ ٣٣٠).

(٢) «مسلم» رقم (٢٤٢٤) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) «حقبة من التاريخ» (ص١٨٧).

وفاطمة والحسن والحسين ﷺ أخص من غيرهم بذلك؛ لذلك خصهم النبي ﷺ بالدعاء لهم، كما أن أهل بيت النبي ﷺ يتعدى عليًّا والحسن والحسين وفاطمة ﷺ إلى غيرهم كما في حديث زيد بن أرقم ﷺ وأنه لما قيل له: نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته الذين حرموا الصدقة وهم: آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس ﷺ[1]، إذا اتسع مفهوم أهل بيت النبي ﷺ إلى أكثر من ذلك؛ فهم نساؤه بدليل الآية، ويشمل أيضًا علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ كحديث الكساء، وبحديث زيد ابن أرقم، وآل العباس بن عبد المطلب، وآل عقيل بن أبي طالب وآل جعفر بن أبي طالب ﷺ بدليل حديث زيد بن أرقم وآل الحارث بن عبد المطلب[2]، وسيأتي الحديث عن الآية الكريمة مفصلاً عند مناقشتنا للشيعة بإذن الله تعالى.

سابعًا: ما يخص آل رسول الله ﷺ من الأحكام:

١ـ تحرم عليهم الزكاة:

لحديث عبد المطلب بن ربيعة: أن النبي ﷺ قال: «**إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد؛ إنما هي أوساخ الناس**»[3].

٢ـ لا يرثون رسول الله ﷺ:

لحديث أبي بكر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا نُورَثُ، ما تركنا صدقة**»[4]. وقد روى هذا الحديث أبوبكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبدالرحمن ابن عوف والعباس بن عبدالمطلب ﷺ وأزواج النبي ﷺ وأبو هريرة ﷺ كما نص على ذلك ابن تيمية وهي ثابتة عنهم في الصحاح والمسانيد[4].

---

(١) «مسلم» رقم (١٠٧).
(٢) «مسلم» كتاب الزكاة رقم (١٦٧).
(٣) «مسلم» رقم (١٠٧٢).
(٤) «البخاري» رقم (٣٠٩٣)، و«مسلم» (١٧٥٧).
(٤) «منهاج السنة» (٤/ ١٩٥)، و«البداية والنهاية» (٥/ ٢٥٢).

٣- لهم خمس الخمس في الغنيمة(١) والفيء(٢):

قال تعالى:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأنفال: ٤١).

وقال تعالى:

﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً﴾ (الحشر: ٢٧).

٤- الصلاة عليهم مع النبي ﷺ:

عن كعب بن عجرة قال: سألنا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ فإن الله قد علمنا كيف نسلم، قال: قولوا: «**اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد**»(٣).

٥- لهم مودة خاصة ويتمثل هذا فيما رواه زيد بن أرقم:

عن النبي ﷺ: «**أُذكِّركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي**»(٤).

قال القرطبي: وهذه الوصية، وهذا التأكيد العظيم؛ يقتضي وجوب احترام أهله وإبرارهم وتوقيرهم ومحبتهم، وجوب الفروض المؤكدة التي لا عذر لأحد في

(١) ما أصيب من أموال أهل الحرب فأوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب «النهاية» (٣/ ٣٨٩).
(٢) ما حصل للمسلمين من أموال الكفار من غير حرب ولا جهاد، «النهاية» (٣/ ٤٨٢).
(٣) «البخاري» رقم (٣٣٧٠)، و«مسلم» رقم (٤٠٦).
(٤) «مسلم» رقم (٢٤٠٨).

التخلف عنها[1]، وقد فهم وصية النبي ﷺ بأهل بيته حق الفهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فأحبهم وأكرمهم ودعا الناس إلى إكرامهم ومحبتهم، فقد روى البخاري بإسناده إلى أبي بكر رضي الله عنه، أنه قال: «ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته»[2].

فهذا خطاب من الصديق رضي الله عنه ووصية منه للناس في حفظ حقوق آل بيت النبي ﷺ، فالمراقبة للشيء المحافظة عليه، ومعنى قول الصديق: احفظوه فيهم فلا تؤذوهم ولا تسيئوا إليهم[3]، وقال النووي: ومعنى «ارقبوا»: راعوه واحترموه وأكرموه[4]، وقد أكد رضي الله عنه تلك الحقوق بما قاله لعلي رضي الله عنه: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليَّ أن أصل من قرابتي[5]، ومحبة أهل البيت من أصول أهل السنة والجماعة، يقول ابن تيمية: وإن من أصول أهل السنة والجماعة أنهم يحبون أهل بيت النبي ﷺ ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ[6].

وقال القاضي عياض: إن من علامات محبته ﷺ محبته لمن أحب النبي ﷺ، ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته من المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم أجمعين فمن أحب شيئًا أحب من يحبه[7].

وقال ابن كثير: ولا ننكر الوصاية بأهل البيت، والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم؛ فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وُجِدَ على وجه الأرض فخرًا، وحسبًا ونسبًا، ولاسيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية، فكانوا من أهل الحق كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه، وعلي وأهل بيته وذريته رضي الله عنهم أجمعين[8].

---

(١) «فيض القدير»، للمناوي (٣/ ١٤).
(٢) «البخاري» رقم (٣٧١٣).
(٣) انظر: «فتح الباري» (٧/ ٩٧).
(٤) «العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط» (النهاية).
(٥) «البخاري» رقم (٣٧١٢).
(٦) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٤٠٧).
(٧) «الشفاء» (٢/ ٥٧٣).
(٨) «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ١١٣).

ثامنًا: علي رضي الله عنه في غزوة أحد:

في غزوة أحد بدأ القتال بمبارزة بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وطلحة بن عثمان، وكان بيده لواء المشركين، وطلب المبارزة مرارًا، فخرج إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له علي: والذي نفسي بيده لا أفارقك حتى يعجلك الله بسيفي إلى النار، أو يعجلني بسيفك إلى الجنة، فضربه علي، فقطع رجله فوقع على الأرض فانكشفت عورته فقال: يابن عمي أنشدك الله والرحم فرجع عنه ولم يجهز عليه، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال لعليٍّ بعض أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟ قال: إن ابن عمي ناشدني الرحم حين انكشفت عورته فاستحييت منه(١)، وكان رضي الله عنه بعد الالتحام في ميمنة الجيش، وأخذ الراية بعد مقتل مصعب بن عمير رضي الله عنه، وفي هذه المعركة قتل من المشركين خلقًا كثيرًا، رغم ما أصاب المسلمين من الشدة في هذه الغزوة، إضافة إلى بلائه في الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢)، وكان علي رضي الله عنه هو الذي أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما وقع في الحفرة يوم أحد(٣)، ولقد استشهد في تلك الغزوة عدد كبير من خيرة المهاجرين والأنصار، وتركت حزنا عميقًا في نفس الرسول صلى الله عليه وسلم، كما أصاب العدو من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، فأدموا وجهه الشريف، فقامت ابنته فاطمة وزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنهما بمداواة جراحه، وإيقاف الدم الذي كان ينزف على وجهه ولحيته عليه الصلاة والسلام(٤).

وظهرت شجاعة علي رضي الله عنه في تلك المعركة، فعندما أُشيع أن الرسول صلى الله عليه وسلم قتل، وافتقده علي، رأى أن الحياة لا خير فيها بعده، فكسر جفن سيفه، وحمل على القوم حتى أفرجوا له، فإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم (٥)، فثبت معه ودافع عنه دفاع الأبطال، وقد أصابته ست عشرة ضربة في ذلك اليوم(٦).

---

(١) «السيرة الحلبية» (٢/٤٩٧، ٤٩٨).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/٢٢٤).

(٣) «السيرة النبوية»، لابن هشام (٣/٨٩).

(٤) «البخاري» رقم (٤٠٧٥).

(٥) «مسلم بشرح النووي» (١٢/١٤٨).

(٦) «مسند أبو يعلى» (١/٤١٥، ٤١٦)، وإسناده حسن، و«خلافة علي بن أبي طالب»، لعبدالحميد فقيهي ص(٣٩).

وبعـد انسحـاب جيش المشـركين من أرض المعركة أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ابن أبي طالب رضي الله عنه بعد الغـزوة مباشرة، وذلك لمعـرفة اتجاه العـدو، فقال له: «**اخرج في آثار القوم وانظر ماذا يصنعون وما يريدون؟، فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل؛ فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده إن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنهم**»، قال علي: فخرجت في أثرهم ماذا يصنعون فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة[1]، فخرج علـي رضي الله عنه، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبـر القوم[2]، وفي هذا الخبر عدة دروس وعبر منها:

- شجـاعة النبي صلى الله عليه وسلم؛ حيث كان داخل صفوف المشركين ولم يصل إليه سيدنا علي إلا بعد جـهد جهيد، فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في قلب العدو يقاتلهم حتى أصيب بعدة جروح.

- يقظة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومراقبته الدقيقة لتحركات العدو، وقدرته صلى الله عليه وسلم على تقدير الأمور، وتحليل تصرفات الخصم وما يترتب عليها من قرارات.

- ظهور قـوته المعنوية العاليـة، ويظهر ذلك في استعداده لمقاتلة المشركين لو أرادوا دخول المدينة.

- وفيه ثقة النبي صلى الله عليه وسلم بعلي رضي الله عنه ومعرفته بمعادن الرجال.

- المروءة ومكارم الأخلاق عند علي رضي الله عنه عندما رجع عن خصمه بعدما انكشفت عورته وإقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم له، وهذا العمل يعلمنا قيمة التعامل وكيف تكون الأخلاق حتى مع الخصم وحتى في ساحة المعركة.

- وجوب التضحية في سبيل الله، وأنه بهذه الروح ينتصر الإسلام في الحياة، وينال الشهيد الجنة، وهذا ما أثبته لنا بعض المهاجرين والأنصار في هذه المعركة وغيرها.

(١، ٢) «البداية والنهاية» (٤/ ٤١).

- وجوب الأخذ بسنة الأسباب، وظهر هذا عندما وضع رسول الله ﷺ بعض الصحابة على جبل أحد، فعصوه ونزلوا وكان هذا من أسباب الهزيمة.

- وفيه شجاعة علي رضي الله عنه؛ لأن هذا الجيش لو أبصره ما تورع في محاولة قتله[١].

تاسعًا: علي رضي الله عنه في غزوة بني النضير:

يرى المحققون من المؤرخين أن غزوة بني النضير كانت بعد أحد في ربيع الأول من السنة الرابعة من الهجرة، وقد رد ابن القيم على من زعم أن غزوة بني النضير بعد بدر بستة أشهر بقوله: وزعم محمد بن شهاب الزهري: أن غزوة بني النضير كانت بعد بدر بستة أشهر، وهذا وهم منه أو غلط عليه، بل الذي لا شك فيه أنها بعد أُحد، والتي كانت بعد بدر بستة أشهر، هي غزوة بني قينقاع، وقريظة بعد الخندق، وخيبر بعد الحديبية[٢]، وقال ابن العربي: والصحيح أنها بعد أُحد[٣]، وإلى هذا الرأي ذهب ابن كثير[٤]، ففي هذه الغزوة فقد الصحابة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ذات ليلة، فقال النبي ﷺ: «**إنه في بعض شأنكم**»، فعن قليل جاء برأس عَزْوَكَ، وقد كمن له حتى خرج في نفر من اليهود يطلب غرة من المسلمين، وكان شجاعًا راميًا، فشد عليه علي رضي الله عنه فقتله، وفر اليهود[٥].

عاشرًا: علي رضي الله عنه في غزوة حمراء الأسد:

تعتبر هذه الغزوة مكملة لغزوة أحد، فقد عاد المسلمون من أحد مساء السبت الخامس عشر من شوال من السنة الثالثة للهجرة، وما إن أصبح الصباح وخرج الناس من صلاة الفجر إلا وأذَّن مؤذِّن رسول الله ﷺ بالتهيؤ على جناح السرعة لمطاردة العدو، وألا يخرج مع الناس إلا من شهد أُحُدًا، فاستجاب الناس لنداء رسول الله ﷺ مع ما بهم من جراحات وتعب، وكان في

---

(١) «البداية والنهاية»، و«السيرة النبوية»، للصَّلاَّبيِّ (٢/ ١٤٥)، و«غزوة أحد» لأبي فارس ص(٩٥ و ٩٦).
(٢) «زاد المعاد» (٣/ ٢٤٩).
(٣) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٧٦٥).
(٤) «حديث القرآن عن الغزوات» (١/ ٢٥٤).
(٥) «إمتاع الأسماع» للمقريزي (١/ ١٨٠).

مقدمتهم رسول الله ﷺ، ولم يسمح لعبد الله بن أبيٍّ بالخروج معه، ولا لأحد لم يشهد أحُدًا إلا جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الذي استشهد أبوه في أُحُد، وكان قد منعه من الاشتراك في بدر وأحد ليبقى عند أخواته البنات وخرج الجيش وفي مقدمتهم رسول الله، ويحمل اللواء -لواء أحد نفسه- عليُّ ابن أبي طالب(١)، ووصل المسلمون بقيادة رسولهم الكريم ﷺ إلى حمراء الأسد التي تبعد عن المدينة ثلاثة عشر ميلاً، حيث حطَّوا الرحال فيها، وقد أدهشت هذه الحركة اليهود والمنافقين لما فيها من جرأة وشجاعة، وأيقنوا أن الروح المعنوية عالية، وأنهم لو هُزِموا لما عملوا على مطاردة قريش(٢)، كما أن في خروج النبي ﷺ إلى حمراء الأسد إشارة نبوية إلى أهمية استعمال الحرب النفسية للتأثير على معنويات الخصوم، خرج ﷺ بجنوده إلى حمراء الأسد ومكث فيها ثلاثة أيام، وأمر بإيقاد النيران، فكانت تشاهد من مكان بعيد وملأت الأرجاء بأنوارها حتى خيل لقريش أن جيش المسلمين ذو عدد كبير لاطاقة لهم به، فانصرفوا وقد ملأ الرعب أفئدتهم(٣).

قال ابن سعد: ومضى رسول الله ﷺ بأصحابه حتى عسكروا بحمراء الأسد، وكان المسلمون يوقدون تلك الليالي خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد، وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل وجه فكبت الله تعالى بذلك عدوهم(٤)، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحرب الباردة وسجلها المولى عز وجل في كتابه في معرض الثناء على الصحابة: ﴿**الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ**

---

(١) وقد حمل علي رضي الله عنه لواء رسول الله في غزوة الكدر لبني سليم بعد عودته إلى المدينة بسبع ليال من غزوة بدر.

(٢) «علي بن أبي طالب»، لأحمد السيد الرفاعي ص(١ ـ ١٠)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي، و«المغازي» ص(٢٢٦).

(٣) «غزوة أُحُد»، لأبي فارس ص(٥١).

(٤) «الطبقات» لابن سعد (٢/ ٤٩)

عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٧٢ـ١٧٥).

الحادي عشر: علي رضي الله عنه وموقفه من حادثة الإفك:

ورد في حديث الإفك الذي اتهم فيه المنافقون عائشة رضي الله عنها به، أن رسول الله ﷺ استدعى عليًّا وأسامة واستشارهما في فراق أهله، لما كثر القول، وأقلق النبي ﷺ، واستلبث الوحي. فأما أسامة، فأشار عليه بالذي يعلم من براءتها، فقال: يا رسول الله أهلك، ولا نعلم إلا خيرًا، وأما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك[1]، قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: «**أي بَرِيَرة، هل رأيت من شيء يريبك؟**» قالت بريرة: لاوالذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمرًا أغمصُه[2] عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن[3]، فتأكله، فقام رسول الله، فاستعذر[4] يومئذ من عبدالله بن أُبي ابن سَلول، قالت: فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: «**يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي؟ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرًا، ولقد ذكروا رجلاً[5]، ما علمت عليه إلا خيرًا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي**»[6]. إن الكلام الذي قاله عليّ إنما حمله عليه ترجيح جانب النبي؛ لما رأى عنده من القلق والغم بسبب القول الذي قيل.

وكان ﷺ شديد الغيرة، فرأى عليّ رضي الله عنه في بادئ الأمر أنه إذا فارقها؛ سكن ما عنده من القلق بسببها إلى أن تتحقق براءتها، فيمكن رجعتها، ويستفاد منه ارتكاب أخف الضررين لذهاب أشدهما[7]، وقال النووي: رأى عليّ أن ذلك هو المصلحة في حق النبي ﷺ، واعتقد ذلك لما رأى من انزعاجه، فبذل

(١) «البخاري» رقم (٤٧٥٠).
(٢) أغمصه: أي أعيبها ابن وأطعن بها عليه.
(٣) الداجن: هي الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم.
(٤) فاستعذر: أي قال: من يقوم بعذري إن كافأته على سوء صنيعه.
(٥) هو: صفوان بن المعطل السلمي.
(٦) «البخاري» رقم (٤٧٥٠).
(٧) «دور المرأة السياسي»، ص(٤٦٢).

جهده في النصيحة؛ لإرادة راحة خاطره ﷺ[١]، كما أن عليًّا رضي الله عنه لم ينل عائشة رضي الله عنها بأدنى كلمة يفهم منها أنه عرَّض بأخلاقها، أو تناولها بسوء[٢]، بل كان رأيه خيرًا لها؛ فهو يقول: إن أردت أن ترتاح من المشكلة فإن غيرها كثير، وإن أردت الوصول للحقيقة، فاسأل الجارية فستوصلك إلى براءة عائشة رضي الله عنها، ثم بعد ذلك خطب رسول الله الناس وبيَّن براءة عائشة، وخطورة من يخوض في عرضه ظلمًا وزورًا. وقد بدت نصيحتا علي وأسامة بن زيد معًا إيجابيتين، وفي صالح عائشة رضي الله عنها، فقد ازداد النبي ﷺ قناعة بما علم من خير في أهله[٣].

وعلى القارئ الكريم أن يحذر من الروايات الباطلة، ساقطة الاعتبار التي تزعم بإساءة عليّ إلى عائشة في أمر الإفك، والتي بنى عليها بعض الباحثين بأن ذلك جعل عائشة تغضب من عليّ رضي الله عنه، وتحقد عليه، وتتهمه زورًا بقتل عثمان، وتخرج عليه مؤلبة عليه الأعداد الهائلة من المسلمين[٤]، ومن أمثال هؤلاء الباحثين: علي إبراهيم حسن في «التاريخ الإسلامي العام»، وطه حسين في كتابه: «علي وبنوه»[٥] وغيرهم، وسوف نتحدث عن العلاقة المتينة بين أم المؤمنين عائشة وعليّ رضي الله عنهما بإذن الله عند حديثنا عن موقعة الجمل.

لقد كانت قصة الإفك حلقة من سلسلة فنون الإيذاء والمحن التي لقيها رسول الله ﷺ من أعداء الدين، وكان من لطف الله تعالى بنبيه وبالمؤمنين أن كشف الله زيفها وبطلانها، وسجل التاريخ بروايات صحيحة مواقف المؤمنين من هذه الفرية، وهي مواقف يتأسى بها المؤمنون عندما تعرض لهم في حياتهم مثل هذه الفرية، فقد انقطع الوحي، وبقيت الدروس لتكون عبرة وعظة للأجيال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها[٦]، وقد تحدثت في كتابي «السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث» عن الدروس والعبر والآداب والأحكام التي تؤخذ من حادثة الإفك[٧].

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٥/ ٦٣٤).
(٢) «دور المرأة السياسي»، أسماء محمد زيادة ص(٤٦٢).
(٣) المصدر نفسه ص(٤٦٣).
(٤) من أراد التوسع في حادثة الإفك فليراجع «السيرة النبوية»، للصَّلاَّبيّ (٢/ ٩٢٦).
(٥) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبدالحميد فقيهي ص(٥٤).
(٦) «السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية» ص(٤٤٠).
(٧) «السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث» (٣/ ٢٤٢ إلى ٢٥٥).

المبحث السادس

أهم أعمال علي رضي الله عنه

ما بين الأحزاب إلى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم

أولاً: علي رضي الله عنه في غزوة الأحزاب:

كان موقف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في الأحزاب بطوليًّا رائعًا ينم عن مدى رسوخ العقيدة في قلوب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، والدعوة إليها، والموت في سبيلها، والبراءة ممن خالفها، قال ابن إسحاق: وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين بعد أن اقتحمت خيل المشركين ثغرة في الخندق؛ حتى أخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها خيلهم، وأقبلت الفرسان تعدو نحوهم، وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراح، فلم يشهد يوم أُحُد، فلما كان يوم الخندق خرج معلمًا لِيُرَى مكانُهُ فلما وقف هو وخيله قال: من يبارز؟ فبرز له علي بن أبي طالب فقال له: يا عمرو، إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى أحد خلتين إلا أخذتها منه، قال له: أجل، قال له علي: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام، قال: لا حاجة لي بذلك، قال: فإني أدعوك إلى النّزال، فقال له: لِمَ يابن أخي؟ فوالله ما أُحِبُّ أن أقتلك، قال له علي: لكني والله أحب أن أقتلك، فحمي عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه، فعقرها، وضرب وجهه، ثم أقبل على علي، فتنازلا وتجاولا فقتله علي رضي الله عنه، وخرجت خيلهم منهزمة، حتى اقتحمت من الخندق هاربة[1].

وقد ذكر ابن كثير ما رواه البيهقي في دلائل النبوة من أشعار قالها عمرو بن ود وعلي رضي الله عنه، فقد قال عمرو لما خرج للمبارزة:

وَلَقَدْ بُحِحْتُ من النِّداء
لجَمْعِهِم هَلْ مِنْ مُبَارِزْ؟

---

(١) «السيرة النبوية»، لابن هشام (٣/٢٤٨).

ووقـــفـت إذ جَــبُـنَ المشـــجَّعُ

مَـــوْقِـفَ القِـــرْنِ الُمنَـاجِـــزْ

وَلِـــــذاكَ إنِّـــــي لَـــمْ أَزَلْ

مُـتَـســرعًــا قَــبْلَ الـهَــزَاهِزْ

إنَّ الـشَّـــجَــاعَـــةَ في الفَـــتَى

والجُــودُ مِنْ خَـــيْـــرِ الغَـــرائِزْ

فعندما خرج له علي رضي الله عنه قال:

لا تَـعْـــجَلَنَّ فـــقـــد أتـاكَ

مُـجـيبُ صَـوتكَ غَـيْـرُ عَـاجِـزْ

في نِـيَّـــةٍ وبَـصِـــيْـــرةٍ

والـصِّـــدْقُ مَنْجَى كلِّ فَـــائِـزْ

إنـي لأرجُـــــوُ أن أُقـــيـمَ

عَـلَـيْـكَ نَـائـحَــــةَ الجَـنَـائِـزْ

مِنْ ضَـــرْبَةٍ نَـجْـــلاءَ يَبْـــقَى

ذِكْـــرُهَـا عِـنْدَ الـهَــــزاهِـزْ[١]

ولما قتل علي رضي الله عنه عمرو بن ود ذكروا أنه قال من الشعر:

أعليٌّ تقـتــحِمُ الفـــوارسَ هكذا

عنّي وعنهم أخـــرّوا أصـــحـابي

اليـــوم يمنعني الفـــرارَ حـــفـيظتي

ومُــصَــمَّمٌ في الرأسِ ليس بنابِـي[٢]

---

(١) نجلاء: واسعة، الهزاهز: الحروب والشدائد.

(٢) «البداية والنهاية» (٤/١٠٦).

وألقى عكرمة رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو، فقال حسان بن ثابت:

فــــرَّ وألقَى لنا رمــــحَــــهُ
لـعلَّكَ عـكرمُ لم تـفْـــعلِ
ووليتَ تعــدُو كَــعَــدْوِ الظَّليمِ
مَــا إن يحــورّ عن المَعــدِلِ
ولم تلوِ ظهــرَك مســتــأنسًــا
كَــأنَّ قــفَــاكَ قــفــا فَــرْعلِ[١]

وبعد مقتل عمرو بن ود بعث المشركون إلى رسول الله ﷺ يشترون جيفته بعشرة آلاف، فقال: ادفعوا إليهم جيفته؛ فإنه خبيث الجيفة، خبيث الدِّية، فلم يقبل منهم شيئًا. وقد حدث هذا والمسلمون في ضنك من العيش، ومع ذلك فالحلال حلال والحرام حرام، إنها مقاييس الإسلام في الحلال والحرام، فأين هذا من بعض المسلمين الذين يحاولون إيجاد المبررات لأكل الربا وما شابهه؟[٢].

ثانيًا: علي رضي الله عنه في غزوة بني قريظة:

وكان فيها رضي الله عنه حامل راية رسول الله ﷺ في المقدمة[٣] إلى أن حكم فيهم سعد ابن معاذ، وكانوا في بادئ الأمر لم ينزلوا على حكمه، قال ابن هشام: إن عليّ بن أبي طالب صاح وهم محاصرو بني قريظة: يا كتيبة الإيمان، وتقدم هو والزبير بن العوام، وقال: والله لأذوقن ما ذاق حمزة، أو لأقتحمن حصونهم، فقالوا: يا محمد ننزل على حكم سعد بن معاذ[٤]، وهكذا أنزل الله تعالى الرعب والخوف في قلوب أعداء العقيدة والدين، على لسان ذاك التقي النقي؛ لما آتاه الله من حب الاستبسال، والموت في سبيل عزة دين الله تعالى، وقد نادى كتيبته

---

(١) الفرعل: صغار الضباع.
(٢) «معين السيرة»، للشامي ص(٩٤).
(٣) «السيرة النبوية»، لابن هشام (٣/ ٢٥٨).
(٤) «البخاري» رقم (١٤٢١)، و«السيرة النبوية»، لابن هشام (٣/ ٢٦٣).

بأحب الأسماء التي ينادي بها الله تعالى عباده، ألاوهي نداء الإيمان الذي يتجلى فيه صدق الاعتقاد، وصلاح العمل، وحب الجهاد في سبيله تعالى[١].

ولما حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه أن تقتل مقاتلتهم، وأن تسبى النساء والذرية، وأن تقسم الأموال[٢]، فكان من الذين يباشرون القتل علي بن أبي طالب والزبير رضي الله عنهما[٣].

ثالثا: علي رضي الله عنه في صلح الحديبية وبيعة الرضوان:

في غزوة الحديبية وقبل الصلح، خرج بعض العبيد(الأرقاء) من مكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكتب إليه مواليهم بإرجاعهم، فرفض رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرجعهم، وقال: «**يا معشر قريش لتنتهن أو ليبعثن الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين، قد امتحن الله قلبه على الإيمان**»، فسأله الصحابة بتلهف: من هو يا رسول الله؟ وكلهم يرجو أن يفوز هو بهذه الشهادة العظيمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عليه الصلاة والسلام: «**هو خاصف النعل**»، وكان قد أعطى عليًّا نعلاً يخصفها[٤]، ولما تمّ الصلح بين المسلمين ومشركي قريش، كتب علي كتابًا بينهم قال: فكتب: محمد رسول الله، فقال المشركون: لا تكتب محمد رسول الله، لو كنت رسول الله لم نقاتلك. فقال لعلي: «**امحه**» قال: ما أنا بالذي أمحاه. فمحاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، فصالحهم على أن يدخل هو وأصحابه ثلاثة أيام، ولا يدخلها إلا بجُلبان[٥] السلاح[٦]، وقد امتنع علي رضي الله عنه من محو كلمة (رسول الله) بدافع محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه[٧].

---

(١) «الخليفتان عثمان وعلي بين السنة والشيعة»، أنور عيسى ص(٧٨).

(٢) «السيرة النبوية» لابن هشام (٣/ ٢٦٣)، و«البخاري» رقم (٤١٢١).

(٣) «إمتاع الأسماع»، للمقريزي (١/ ٢٤٧).

(٤) «مرويات غزوة الحديبية»، لحافظ الحكمي ص(١٨٣)، والحديث صحيح بمجموع طرقه، و«خلافة علي بن أبي طالب»، لعبدالحميد علي ناصر ص(٣٠).

(٥) الجلبان: جراب من الأدم يوضع فيه السيف المغمود.

(٦) «مسلم» (٣/ ١٤٠٩)، و«خصائص علي» للنسائي، تحقيق أحمد البلوشي ص(٢٠٣).

(٧) «الانتصار للصحب والآل»، للرحيلي ص(٢٦٢ إلى ٢٧٤).

وقد طعن الروافض الغلاة في موقف الصحابة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم في الحديبية، وذكروا من مراجعة عمر للنبي صلى الله عليه وسلم في أمر الصلح، وكذلك تأخر الصحابة في بداية الأمر عن النحر والحلق حتى نحر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلق، ولا مطعن في شيء من هذا في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عمر ولا غيره من الصحابة الذين شهدوا الحديبية، وبيان ذلك، أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد رأى في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت، فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة، فلما ساروا معه عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تتفسر هذا العام، فلما وقع أمر الصلح وفيه أن يرجعوا عامهم هذا، ثم يعودوا العام القادم؛ شق ذلك على أصحاب رسول الله[1]، فجعل عمر رضي الله عنه على ما عرف به من القوة في الحق، والشدة فيه، يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ويراجعه في الأمر، ولم تكن أسئلته التي سألها رسول الله لشك في صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، أو اعتراض عليه؛ لكن كان مستفصلاً عمَّا كان متقرراً لديه، من أنهم سيدخلون مكة ويطوفون بالبيت، وأراد بذلك أن يحفز رسول الله صلى الله عليه وسلم على دخول مكة، وعدم الرجوع إلى المدينة؛ لما يرى في ذلك من عز لدين الله وإرغام للمشركين[2].

قال النووي: قال العلماء: لم يكن سؤال عمر رضي الله عنه وكلامه المذكور شكًّا؛ بل طلبًا لكشف ما خفي عليه، وحثًّا على إذلال الكفار وظهور الإسلام، كما عرف من خلقه رضي الله عنه وقوته في نصر الدين، وإذلال المبطلين[3]، فعمر رضي الله عنه كان في هذا مجتهدًا حمله على هذا شدته في الحق، وقوته في نصرة الدين، والغيرة عليه، مع ما كان قد عودهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشورة وإبداء الرأي، امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، وقد كان كثيرًا ما يستشيرهم ويأخذ برأيهم، كما استشارهم يوم بدر في الذهاب إلى العير، وأخذ بمشورتهم، وشاورهم يوم أحد في أن يقعد في المدينة أو يخرج للعدو،

---

(١) «البداية والنهاية» (٤/ ١٧٠)، و«تاريخ الطبري» (٢/ ٦٣٥).
(٢) «الانتصار للصحب والآل» ص(٢٦٤).
(٣) «شرح صحيح مسلم» (١٢/ ١٤١).

فأشار جمهورهم بالخروج إليه؛ فخرج إليهم، وشاورهم يوم الخندق في مصالحة الأحزاب بثلث ثمار المدينة عامئذ؛ فأبى عليه السعدان (سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة) فترك ذلك، وشاورهم يوم الحديبية أن يميل على ذراري المشركين، فقال أبو بكر: إنا لم نجئ لقتال، وإنما جئنا معتمرين، فأجابه إلى ما قال[1] في حوادث كثيرة يطول ذكرها، فقد كان عمر رضي الله عنه يطمع أن يأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم برأيه في مناجزة قريش وقتالهم ولهذا راجعه في ذلك، وراجع أبا بكر، فلما رأى اتفاقهما أمسك عن ذلك وترك رأيه، فعذره رسول الله لما يعلم من حسن نيته وصدقه[2]، أما توقف الصحابة عن النحر والحلق حتى نحر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلق، فليس معصية لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر العلماء له عدة توجيهات.

قال ابن حجر: قيل: كأنهم توقفوا لاحتمال أن يكون الأمر بذلك للندب، أو لرجاء نزول وحي بإبطال الصلح المذكور، أوتخصيصه بالإذن بدخولهم مكة ذلك العام لإتمام نسكهم، وسوغ لهم ذلك؛ لأنه كان زمان وقوع النسخ، ويحتمل أنهم ألهتهم صورة الحال فاستغرقوا في الفكر لما لحقهم من الذل عند أنفسهم، مع ظهور قوتهم واقتدارهم في اعتقادهم على بلوغ غرضهم، وقضاء نسكهم بالقهر والغلبة، أو أخروا الامتثال لاعتقادهم أن الأمر المطلق لا يقتضي الفور، ويحتمل مجموع هذه الأمور لمجموعهم[3].

وجاء في بعض الروايات أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما رأى عدم امتثالهم دخل على أم سلمة فذكر لها ذلك فقالت: يا رسول الله لا تكلمهم فإنهم دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة في أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح[4]، فأشارت عليه كما جاء في رواية البخاري: أن اخرج، ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحدًا منهم، حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا[5].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٢٠) عند تفسير قوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾.
(٢) «الانتصار للصحب والآل» (٢٦٦).
(٣-٥) «فتح الباري» (٥/ ٣٤٧).

قال ابن حجر: ويحتمل أنها فهمت عن الصحابة أنه احتمل عندهم أن يكون النبي ﷺ أمرهم بالتحلل أخذًا بالرخصة في حقهم، وأنه يستمر على الإحرام أخذًا بالعزيمة في حق نفسه، فأشارت عليه أن يتحلل لينتفي عنهم هذا الاحتمال، وعرف النبي ﷺ صواب ما أشارت به ففعله. ونظير هذا ما وقع لهم في غزوة الفتح من أمره لهم بالفطر في رمضان، فلما استمروا على الامتناع، تناول القدح فشرب، فلما رأوه شرب شربوا[١]. وهذا الوجه حسن، وهو اللائق بمقام أصحاب النبي ﷺ؛ فإنهم كانوا على قدر كبير من تعظيم الإحرام والحرص على إكمال النسك، فلما أمرهم النبي ﷺ بالتحلل ولم يفعل، ظنوا أن الذي حمله على هذا هو الشفقة عليهم، كما كانت سيرته معهم، فكأنهم رضي الله عنهم آثروا التأسي به على ما رخص لهم فيه من التحلل، ثم لما رأوه قد تحلل أيقنوا أن هذا هو الأفضل في حقهم، فبادروا إليه، وهذا مثل ما حصل منهم في الحج مع النبي ﷺ لما بلغوا مكة وطافوا وسعوا؛ أمرهم أن يحلوا، وأن يصيبوا النساء ويجعلوها عمرة، فكبر ذلك عليهم؛ لتعظيمهم لنسكهم، وقالوا: نذهب إلى عرفة ومذاكيرنا تقطر من المني، فلما علم بذلك الرسول ﷺ وكان لم يتحلل، قال لهم: «**أيها الناس أحلوا، فلولا الهدي الذي معي فعلت كما فعلتم**» قال جابر رضي الله عنه راوي الحديث: فحللنا وسمعنا وأطعنا[٢]، وهذا كله من حرص أصحاب رسول الله ﷺ على الخير والرغبة في التأسي برسول الله ﷺ التأسي الكامل[٣].

إن موقف النبي ﷺ في سكوته على عمر رضي الله عنه عندما عارضه على الصلح يعطي قيمة كبرى بأنه على القيادات الإسلامية من حكام وعلماء ودعاة أن يتحلوا بسعة الصدر وحسن الاستماع للرأي الآخر، وإعطاء المجال لكل ذي رأي أن يعبر عن رأيه بما يخدم المصلحة العامة، لا أن يفتح السجون ويكمم الأفواه،

---

(١) «البخاري»، كتاب الشروط (٢٧٣٢).

(٢) «البخاري»، كتاب الاعتصام، رقم (٧٣٦٧).

(٣) «الانتصار للصحب والآل» ص(٢٦٨) وهذا من أفضل الكتب في الرد على بعض شبهات الروافض.

إن النبي ﷺ في صلح الحديبية بين أن حرية إبداء الرأي مكفولة في المجتمع الإسلامي، وأن للفرد في المجتمع المسلم الحرية في التعبير عن رأيه، ولو كان هذا الرأي نقدًا لموقف حاكم من الحكام، أو خليفة من الخلفاء، فمن حق الفرد المسلم أن يبين وجهة نظره في جو من الأمن والأمان، دون إرهاب أو تسلط يخنق حرية الكلمة والفكر، وإذا كان هذا موقف رسول الله ﷺ مع عمر، فمن باب أولى معارضة رئيس الدولة، في رأي من الآراء، وموقف من المواقف، ليست بحد ذاتها جريمة تستوجب العقاب، ويغيب صاحبها في غياهب السجون[١]، كما أن الهدي النبوي الكريم يعلمنا كيف يربي أصحابه من خلال الأحداث.

ولقد نال علي رضي الله عنه في الحديبية مع من حضر من أصحاب رسول الله ﷺ، رضى الله عنهم ونزل فيهم قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**﴾ (الفتح: ١٨)، وقال رسول الله ﷺ: «**لن يدخل أحد النار بايع تحت الشجرة**»[٢]، وقد نال علي رضي الله عنه وإخوانه مثل أبي بكر وعمر وغيرهم من قبل في بدر وسامًا عظيمًا وشرفًا عاليًا، فقد قال رسول الله في أهل بدر: «**وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم؛ فقد غفرت لكم**»[٣].

رابعًا: عمرة القضاء ٧هـ وعلي رضي الله عنه وحضانة ابنة حمزة رضي الله عنه:

لقد تغيرت النفوس والعقول بتأثير الإسلام تغيرًا عظيمًا، فعادت البنت ـ التي كان يتعير بها أشراف العرب، وجرت عادة وأدها في بعض القبائل فرارًا من العار، وزهدًا في البنات ــ حبيبة يتنافس في تربيتها المسلمون، وكانوا سواسية، لا يرجح بعضهم على بعض إلا بفضل أو حق[٤]، فلما أراد النبي ﷺ الخروج من مكة، تبعته ابنة حمزة تنادي: ياعم، فتناولها علي، فأخذ بيدها وقال لفاطمة رضي الله عنها: دونَكِ ابنة عمك، فاختصم فيها علي وزيد وجعفر قال علي: أنا أخذتها وهي بنت عمي، وقال جعفر: هي ابنة عمي وخالتها تحتي، وقال زيد: ابنة أخي، فقضى بها

(١) «غزوة الحديبية» لأبي فارس ص(١٣٤ ، ١٣٥).
(٢) «البخاري» رقم (٤٨٤٠)، و«مسلم» (١٨٥٦).
(٣) «البخاري» رقم (٣٩٨٣)، و«مسلم» (٢٤٩٤).
(٤) «السيرة النبوية» للندوي ص(٣٢١).

النبي ﷺ لخالتها وقال: «**الخالة بمنزلة الأم**»، وقال لعلي: «**أنت مني وأنا منك**»، وقال لجعفر: «**أشبهت خلقي وخلقي**»، وقال لزيد: «**أنت أخونا ومولانا**». وقال علي لرسول الله ﷺ: ألا تتزوج بنت حمزة؟ قال: «**إنها ابنة أخي من الرضاعة**»(١).

وفي هذه القصة دروس وعبر وأحكام وفوائد منها:

(١) الخالة بمنزلة الأم.

(٢) الخالة تقدم على غيرها في الحضانة، إذا لم يوجد الأبوان.

(٣) تزكية رسول الله ﷺ لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ووصفه له بقوله: «**أشبهت خلقي وخلقي**».

(٤) منقبة زيد بن حارثة: يقول له الرسول ﷺ: «**أنت أخونا ومولانا**»؛ لأنه كان أخًا لحمزة بن عبد المطلب، فقد آخى الرسول ﷺ بينهما، وهو باجتهاده يريد أن يكون عليه ما على الأخ الشقيق من واجبات، والواجب أن يكون وليًا على بنت حمزة رضي الله عنه.

(٥) زواج المرأة لا يسقط حقها من الحضانة: لقد حكم النبي ﷺ إلى زوجة جعفر بالحضانة، وعمتها صفية بنت عبد المطلب حيَّة موجودة.

(٦) زواج المرأة لا يسقط حقها في الحضانة، فقد حكم الرسول ﷺ بالحضانة لخالة بنت حمزة وهي متزوجة من جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٧) لابد من موافقة الزوج على حضانة زوجته لابنة أختها؛ لأن الزوجة محتبسة لمصلحته ومنفعته، والحضانة قد تفوت من هذه المصلحة جزءًا، فلابد من استئذانه، ونلاحظ هنا أن جعفر بن أبي طالب قد طالب بحضانة بنت عمه حمزة لخالتها وهي زوجة له، فدل على رضاه بذلك.

(٨) إن الطفل إذا رضع مع عمه يصبح أخًا له في الرضاعة، وتصبح بناته كلهن بنات أخيه من الرضاعة، فيحرم عليه نكاحهن(٢).

---

(١) «البخاري» رقم (٤٢٥١).

(٢) «زاد المعاد» (٢/ ٣٧٤، ٣٧٥)، و«صلح الحديبية» لأبي فارس ص(٢٨٦، ٢٨٧).

خامسًا: علي رضي الله عنه في غزوة خيبر ٧هـ:

ذكر ابن إسحاق[١]، أنها كانت في المحرم من السنة السابعة للهجرة، وذكر الواقدي[٢]، أنها كانت في صفر أو ربيع الأول من السنة السابعة للهجرة، بعد العودة من غزوة الحديبية، وذهب ابن سعد[٣]، إلى أنها في جمادى الأولى سنة سبع، وقال الإمامان الزهري ومالك: إنها في محرم من السنة السادسة[٤]، وقد رجح ابن حجر[٥]، قول ابن إسحاق على قول الواقدي[٦]، وفي هذه الغزوة تجلت فيها بطولة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ومكانته عند الله وعند رسوله، وما قدَّر الله من فتح هذه المستعمرة اليهودية، ذات الأهمية العسكرية الاستراتيجية على يده في مظهر جلي رائع[٧]، فقد كانت خيبر مستعمرة يهودية تتضمن قلاعًا حصينة، وقاعدة حربية لليهود، وآخر معقل من معاقلهم في جزيرة العرب، وكانوا يتربصون بالمسلمين الدوائر، ويتآمرون مع يهود المدينة وخارجها لغزو المدينة، فأراد رسول الله ﷺ أن يستريح منهم، ويأمن من جهتهم، وكانت في الشمال الشرقي للمدينة على بعد سبعين ميلاً منها[٨].

توجه رسول الله ﷺ بجيشه إلى خيبر، وكانوا ألفًا وأربعمائة، ونازل حصون خيبر، وبدأ يفتحها حصنًا حصنًا، واستعصي حصن الغموص على المسلمين، وكان علي ابن أبي طالب رَمِدًا[٩]، فقال رسول الله ﷺ: «**لأعطين هذه الراية غدًا رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**»، فبات الناس يدوكون[١٠] ليلتهم أيهم يُعطاها؟ فلما أصبح الناس، غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: «**أين عليّ بن أبي طالب؟**» فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال: «فأرسلوا إليه»، فأتي به، فبصق

(١) «السيرة النبوية»، لابن هشام (٣/ ٤٥٥).
(٢) «المغازي» (٢/ ٦٣٤).
(٣) «الطبقات» (٢/ ١٠٦).
(٤) «تاريخ دمشق» (١/ ٣٣).
(٥) «الفتح» (١٦/ ٤١) و«السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية» ص(٥٠٠).
(٦) «السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية» ص(٥٠٠).
(٧) «المرتضى للندوي» ص(٥٢).
(٨) «المرتضى» للندوي ص(٥٢).
(٩) المصدر نفسه ص(٥٣).
(١٠) أي: بات الناس في اختلاط واختلاف.

رسول الله في عينيه، ودعا له فبرأ حتى كأنه لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا. فقال: «**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من أن يكون لك حُمُر النَّعَم**»(١).

فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر، وكان من صور بطولته فيها أن خرج له مرحب ملكهم وهو يقول:

قَدْ عَلِمتْ خَيْبَر أني مَرْحَبُ
شَاكِي السِّلاحِ بَطلٌ مُجربُ
إذا الحروبُ أقبلتْ تَلَهَّبُ

فقال علي:

أنا الذي سمتْني أمي حَيْدَره
كليثِ غاباتٍ كريهِ المنظره
أُوفيهمُ بالصَّاعِ كيْلَ السندره

فضرب رأس مرحب، فقتله، ثم كان الفتح على يديه(٢)، وفي موقف علي في غزوة خيبر دروس وعبر وفوائد منها:

١- فضيلة عظيمة ومنقبة ظاهرة لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه:

حيث شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالمحبة في قوله: «**يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**» وقال ابن حجر -في معنى أن عليًّا يحب الله ورسوله-: أراد بذلك، وجود المحبة، وإلا فكل مسلم يشترك مع علي في مطلق هذه الصفة، وفي هذا الحديث تلميح بقوله تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ (آل عمران: ٣١). فكأنه أشار إلي أن عليًّا تام الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اتصف بصفة محبة الله له(٣).

---

(١) «مسلم» رقم (٣٤٠٦). (٢) «مسلم» (٣/ ١٤٤١) رقم (١٨٠٧). (٣) «فتح الباري» (٧/ ٧٢).

٢. بركة دعائه ﷺ:

حيث استجاب الله لدعاء رسوله ﷺ، وقد قال علي رضي الله عنه: ما رَمِدْتُ منذ تفل النبي ﷺ في عيني[١]، كما أن عليًّا رضي الله عنه مرض مرة، فأتاه النبي ﷺ وهو يقول: اللهم إن كان أجلي قد حضر فأرحني، وإن كان متأخرًا فارفعني، وإن كان البلاء فصبرني، فقال له رسول الله ﷺ: **«ما قلت؟»** فأعاد عليه، فقال رسول الله ﷺ: **«اللهم اشفه، اللهم عافه»**، ثم قال: **«قم»**. فقمت، فما عاد لي ذلك الوجع بعده[٢].

٣. لا علاقة بين هذا الحديث وإمامة علي رضي الله عنه:

ذهب الروافض إلى أن عليًّا رضي الله عنه هو الخليفة بعد النبي ﷺ، واستدلوا بمجموعة من الأحاديث تدل على فضله ولا تدل على إمامته منها هذا الحديث، وزادوا فيه زيادات باطلة لا تصح عند علماء الحديث، كما أنه لا ملازمة بين كونه محبًّا لله ورسوله ومحبوبًا لهما، وبين كونه إمامًا بلا فصل أصلاً على أنه لا يلزم من إثباتهما له نفيهما عن غيره، كيف؟ وقد قال الله تعالى في حق أبي بكر ورفقائه: ﴿**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾ (المائدة: ٥٤)، وقال في حق أهل بدر: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ**﴾ (الصف: ٤)، ولا شك أن من يحبه الله يحبه رسوله، ومن يحب الله من المؤمنين يحب رسوله، وقال في شأن أهل مسجد قباء: ﴿**فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ**﴾ (التوبة: ١٠٨).

ولما سئل من أحب الناس إليك؟ قال: **«عائشة»** قيل: ومن الرجال: قال: **«أبوها»**[٣]. وإنما نص على المحبة والمحبوبية في حق علي مع وجودهما في غيره لنكتة دقيقة تحصل من ضمن قوله: **«يفتح الله على يديه»**[٤]. وهي أنه لو ذكر مجرد الفتح لربما توهم أن ذلك غير موجب لفضيلته؛ لما ورد في قوله ﷺ:

---

(١) «مسند أحمد الموسوعة الحديثية» رقم (٥٧٩)، وإسناده حسن.

(٢) «مسند أحمد» (٢/ ١٥١) صححه أحمد شاكر.

(٣) «البخاري»، «فتح الباري» (٧/ ٢٢).

(٤) «مسلم» رقم (٣٤٠٦).

«**إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**». فأزال ذلك التوهم بإثبات هاتين الصفتين له؛ فصار المقصود منه تخصيص مضمون «**يفتح الله على يديه**» وما ذكر من الصفات لإزالة ذلك التوهم[1].

٤- وهناك مجموعة من الفوائد من حديث فضل علي في فتح خيبر منها:

فضل الصحابة في انشغالهم تلك الليلة، وشغلهم عن بشارة الفتح؛ لأنهم انشغلوا عن بشارة الفتح بالتماسهم معرفة من يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، والإيمان بالقدر لحصولها لمن لم يسع لها، ومنعها عمن سعى لها؛ لأنَّ الصحابة غدوا على رسول الله ﷺ مبكرين كلهم يرجو أن يُعطاها ولم يعطوها، وعلي بن أبي طالب مريض ولم يسع لها، ومع ذلك أعطي الراية، والأدب في قوله: «**على رسلك**». ووجهه أنه أمره بالتمهل وعدم التسرع، والدعوة إلى الإسلام قبل القتال، والدعوة بالحكمة، تؤخذ من قوله: «**أخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه**»؛ لأن من الحكمة أن تتم الدعوة، وذلك بأن تأمره بالإسلام أولاً، ثم تخبره بما يجب عليه من حق الله، ولا يكفي أن تأمره بالإسلام؛ لأنه قد يطبِّق هذا الإسلام الذي أمرته به، وقد لا يطبقه، بل لابد من أن تتعاهده حتى لا يرجع إلى الكفر، والمعرفة بحق الله في الإسلام تؤخذ من قوله ﷺ : «**وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه**»، وثواب من اهتدي على يديه رجل واحد؛ لقوله ﷺ : «**لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم**» أي: خير لك من كل ما يستحسن في الدنيا، وليس المعنى كما قال بعضهم: خير لك من أن تتصدق بنعم حمر، والحلف على الفتيا؛ لقوله ﷺ : «**فوالله لأن يهدي الله... إلخ**»، فأقسم النبي ﷺ ، وهو لم يُستقسم، والفائدة: هي حثه على أن يهدي الله به والتوكيد عليه. وقد أمر الله رسوله بالحلف في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿**وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ**﴾ (يونس: ٥٣). وفي قوله: ﴿**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي**

---

(١) «مختصر التحفة الاثنا عشرية» ص(٧٠).

لَتُبْعَثُنَّ﴾ (التغابن:٧) . وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾(سبأ:٣) . فإذا كان هناك في القَسَم مصلحة ابتداء، أوجوابا لسؤال جاز، وربما يكون مطلوبًا[1].

سادسًا: علي رضي الله عنه في فتح مكة وغزوة حنين ٨هـ:

نقضت قريش صلحها مع رسول الله بمساندتها بني بكر على خزاعة حليفة المسلمين، ودعمتهم بالخيل والسلاح والرجال. فقال رسول الله ﷺ: «**نصرت يا عمرو بن سالم، لا نصرني الله إن لم أنصر بني كعب**» ولما عرض السحاب من السماء قال: «**إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب**»[2] وقد جاء عمرو بن سالم إلى المدينة وأنشد قصيدة بين يدي رسول الله ﷺ جاء فيها:

يا ربِّ إني ناشدٌ محمدًا
حلْفَ أبينا وأبيه الأتْلَدَا
قَدْ كنتم وُلدًا، وكنا والدًا
ثُمَّتَ أسلمنا فلم ننزع يدَا
فانصر هداك الله نصرًا أعتدا
وادع عباد الله يأتوا مددَا
فيهم رسول الله قد تجردا
إن سيم خسفًا وجهه تربدَا

إلى أن قال:

وزعموا أن لست أدعو أحدًا
وهم أذل وأقل عددَا
هم بيتونا بالوتير هجّدا
وقَتَّلُونا ركَّعا وسُجَّدَا

---

(١) «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لمحمد صالح (١/١٤١، ١٤٢).

(٢) «البداية والنهاية» (٤/٢٧٨).

وبعثت قريش أبا سفيان إلى المدينة لتمكين الصلح وإطالة أمده، وعندما وصل إلي المدينة ودخل على رسول الله يعرض حاجته، أعرض عنه النبي ﷺ ولم يجبه، فاستعان بكبار الصحابة أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي حتى يتوسطوا بينه وبين رسول الله ﷺ، فأبوا جميعًا، فعاد أبو سفيان إلي مكة من غير أن يحظى بأي اتفاق أو عهد[1]، وكانت لعلي رضي الله عنه في فتح مكة مواقف متعددة منها:

١ـ إحباط محاولة تجسس لصالح قريش:

عن حسن بن محمد بن علي عن عبيد الله بن أبي رافع أنه سمع عليًا يقول: بعثني رسول الله ﷺ -يقول:أنا والزبير والمقداد- فقال: «**انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخٍ؛ فإنَّ بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها**». فانطلقنا تَعَدو بنا خيلُنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، قلنا: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي من كتاب. قلنا: لتُخرجنَّ الكتاب أو لنُلقينَّ[2] الثياب، قال: فأخرجت الكتاب من عِقاصِها، فأخذنا الكتاب، فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله: «**يا حاطب ما هذا؟**» قال: لا تعجل عليَّ، إني كنت امرأً مُلْصقًا في قريش، ولم أكن من أنفُسها، وكان من كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من النَسب فيهم أن أتَّخذ فيهم يدًا يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفرًا، ولا ارتدادًا عن ديني، ولارِضًا بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «**إنه قد صدقكم**». فقال عمر: دَعْني أضرب عُنُق هذا المنافق. فقال: «**إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعلَّ الله قد اطَّلَعَ إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم؛ فقد غفرت لكم**»[3].

---

(١) «التاريخ السياسي والعسكري» د. علي معطي ص (٣٦٥).

(٢) في رواية: أو لنقلبن.

(٣) إسناده صحيح، «الموسوعة الحديثية مسند أحمد» رقم (٦٠٠).

٢ـ أجرنا من أجرتِ يا أم هانئ:

قالت أم هانئ بنت أبي طالب ــ أخت علي رضي الله عنهما ــ : لما نزل رسول الله ﷺ بأعلى مكة فرَّ إليَّ رجلان من أحمائي، من بني مخزوم، وكانت عند هُبيرة بن أبي وهب المخزومي، قالت: فدخل عليَّ علي بن أبي طالب أخي، فقال: والله لأقتلنهما، فأغلقت عليهما باب بيتي، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة، فوجدته يغتسل من جفنة -إن فيها لأثر العجين- وفاطمة ابنته تستره بثوبه، فلما اغتسل أخذ ثوبه، فتوشح به، ثم صلى ثماني ركعات من الضحى، ثم انصرف إليَّ فقال: «**مرحبًا وأهلاً يا أم هانئ ما جاء بك؟**»، فأخبرته خبر الرجلين وخبر عليّ، فقال: «**قد أجرنا من أجرتِ وأمنا من أمنت، فلا يقتلهما**»[١]، وبناء على ما تقدم، فإنَّ تأمين المسلم للكافر من أهل الحرب يجعله في أمان، ومن ثمّ، فلا يجوز للمسلمين أن يتعرَّضوا له بشيء - وحتى يُصَانَ حقُّ التأمين هذا من أي ضرر يمكن أن يلحق بالمسلمين من جرَّائه ــ فقد شرط الفقهاء لصحَّته أن يتجرَّدَ مُعْطي الأمان من التُّهَمة، ويَخْلُو ذلك الأمان الممنوح من أيَّة مَفْسَدَة[٢]، أو يرفع الأمر إلى ولي الأمر ليرى رأيه فيه.

٣ـ مقتل الحويرث بن نقيذ بن وهب:

في هذا الفتح العظيم، كان النبي ﷺ قد عهد إلى أمرائه ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم، غير أنه أهدر دمَ نفر سمّاهم، وإن وجدوا تحت أستار الكعبة، منهم الحويرث بن نقيذ ابن وهب، كان ممن يؤذي النبي ﷺ بمكة، ولما تحمل العباس بفاطمة وأم كلثوم، نخس[٣] بهما الحويرث الجَمل الذي هما عليه فسقطتا على الأرض، فلما أهدر دمُه وظفر به عليٌّ قتله[٤].

٤ـ علي رضي الله عنه في مهمة إصلاحية:

أرسله الرسول ﷺ إلى بني جذيمة؛ ليتلافى خطأ خالد بن الوليد في قتل

---

(١) «صحيح السيرة» ص (٥٢٧). (٢) «الجهاد والقتال في السياسة الشرعية» (٣/ ١٠٥١).
(٣) نخس الدابة: هيجها. (٤) «فتح الباري» (٨/ ١١)، و«السيرة النبوية»، لابن هشام (٤/ ٥٨ ، ٥٩).

بعضهم، وذلك أن الرسول ﷺ بعث خالد في السنة الثامنة للهجرة عقب فتح مكة، إلي بني جذيمة يدعوهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، وقالوا: صبأنا، فأخذ خالد يقتل منهم ويأسر... فلما بلغ رسول الله ﷺ ما صنع خالد، رفع يديه فقال: «**اللهم إني أبرأ إليك مما صنع**»، مرتين[١]، فبعث الرسول ﷺ عليًا إليهم؛ لينظر في أمرهم وبعث معه بمال، فقام علي بمهمته خير قيام، فودى لهم وعوضهم عما أصيب في الدماء والأموال حتى أنه ليدي ميلغة[٢] الكلب، ولما انتهى من ذلك كله، سألهم هل بقي لكم بقية من دم أو مال لم يود إليكم؟ قالوا: لا، قال: فإني أعطيكم هذه البقية من هذا المال؛ احتياطيًا لرسول الله ﷺ مما لا يعلم ولا تعلمون، ففعل ولما رجع إلى رسول الله ﷺ وأخبره بالخبر قال: أصبت وأحسنت[٣] وبهذه المهمة الجليله الموفقة، أزال علي رضي الله عنه همًّا وحملاً أثقل الرسول ﷺ[٤]، وبهذا الهدي النبوي الحكيم واسى النبي ﷺ بني جذيمة، وأزال ما في نفوسهم من أسى وحزن[٥]، وكان قتل خالد لبني جذيمة تأولاً منه واجتهادًا خاطئًا، وذلك بدليل أن الرسول ﷺ لم يعاقبه على فعله[٦] ولم يعزله.

٥ - علي رضي الله عنه في غزوة حنين:

من أعماله الجهادية التي تتسم بالشجاعة وتدل على الخبرة في القتال ما كان في غزوة حنين في العام الثامن من الهجرة، فقد ثبت مع الرسول ﷺ، ومع من ثبت معه من المهاجرين والأنصار، وكان في جيش هوازن رجل على جمل أحمر بيده راية سوداء، إذا أدرك طعن برمحه، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه، فأدرك علي بعبقريته الحربية، وتجربته الطويلة، أن لهذا الرجل

(١) «البخاري» رقم (٤٣٣٩).
(٢) ميلغة: اسم آلة، والفعل «يلغ» بمعنى: يشرب، ويطلق على الكلب.
(٣) «السيرة النبوية»، لابن هشام (٤/ ٧٢ - ٧٣)، وإسناده ضعيف وله شواهد.
(٤) «خلافة علي بن أبي طالب» ص(٤٦).
(٥) «السيرة النبوية» لأبي شهبة (٢/ ٤٦٥).
(٦) «السيرة النبوية في ضوء المصادر» ص(٥٧٩).

عاملاً مؤثرًا في حماس هوازن وشدتها، فاتجه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ورجل من الأنصار نحوه واستطاعا إسقاطه من على جمله وقتله، فما كانت إلا ساعة حتى انهزموا وولوا الأدبار وانتصر المسلمون[١].

٦ - سرية علي رضي الله عنه لهدم صنم الفلس في بلاط طيئ:

بعد أن طهر النبي صلى الله عليه وسلم البيت الحرام من الأوثان التي كانت فيه، كان لابد من هدم البيوت التي كانت معالم للجاهلية ردحًا طويلاً من الزمن[٢]، فكانت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم تترى لتطهير الجزيرة منها، فكانت من نصيب علي رضي الله عنه صنم الفلس في بلاد طيئ، ففي ربيع الآخر خرجت سرية علي بن أبي طالب إلي الفلس - صنم لطيئ - ليهدمه، وكان تعدادها خمسين ومائة رجل من الأنصار، على مائة بعير وخمسين فرسًا، ومعه راية سوداء ولواءً أبيض، فشنوا الغارة على محلة آل حاتم - حاتم الطائي الذي ضرب المثل بجوده - مع الفجر فهدموا الفلس وخربوه، وملؤوا أيديهم من السبي والنعم والشاء، وفي السبي أخت عدي بن حاتم، وهرب عدي إلى الشام[٣].

سابعًا: استخلاف النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه على أهل بيته في المدينة في غزوة تبوك ٩هـ:

كان في رجب سنة تسع من الهجرة غزوة تبوك، وكانت لها أهمية كبيرة في السيرة النبوية، وتحققت منها غايات كانت بعيدة الأثر في نفوس المسلمين والعرب، ومجرى الحوادث في تاريخ الإسلام[٤]، واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهله في المدينة عليًّا، وكان الوالي على المدينة في تلك الغزوة محمد بن مسلمة، فوجد المنافقون فرصة للتنفيس عما بداخلهم من حقد ونفاق، فأخذوا يتكلمون في علي رضي الله عنه بما يسيء إليه، فمن ذلك قولهم: ما تركه إلا لثقله

---

(١) «مسند أبي يعلى» (٣/ ٣٨٨)، حسن الإسناد، و«الصحيح المسند» ص(١٤١) للعدوي.

(٢) «معين السيرة» ص(٢٩٤).

(٣) «تاريخ الإسلام» للذهبي ص(٦٢٤).

(٤) «المرتضى»، للندوي ص(٥٥).

عليه، وهذا العمل والقول السيئ منهم في حقه، علامة بارزة واضحة على نفاقهم، ففي الحديث الصحيح أن عليًّا ﵁ قال: «والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي ﷺ ألاَّ يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق»[١] عند ذلك أدرك علي الجيش، وأراد الغزو معهم قائلاً: يا رسول الله أتخلفني في الصبيان والنساء، فقال رسول الله ﷺ: «**ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي**»[٢].

ثامنًا: علي ﵁ ودوره الإعلامي في حجة أبي بكر بالناس ٩هـ:

كانت تربية المجتمع وبناء الدولة في عهد النبي ﷺ مستمرة على كل الأصعدة والمجالات العقائدية، والاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والعسكرية، والتعبدية، وكانت فريضة الحج لم تمارس في السنوات الماضية، فحجة عام ٨ هـ بعد الفتح كلف بها عتاب بن أسيد، ولم تكن قد تميزت حجة المسلمين عن حجة المشركين[٣]، فلما حل موسم الحج أراد ﷺ الحج، ولكنه قال: «**إنه يحضر البيت عراة مشركون يطوفون بالبيت، فلا أحب أن أحج**» وكان ذلك سنة ٩هـ، فخرج أبو بكر ومعه عدد كبير من الصحابة[٤]، وساقوا معهم الهدي[٥]، فلما خرج الصديق بركب الحجيج نزلت سورة براءة، فدعا النبي ﷺ عليًّا ﵁ وأمره أن يلحق بأبي بكر الصديق، فخرج على ناقة رسول الله ﷺ العضباء حتى أدرك الصديق أبا بكر بذي الحليفة، فلما رآه الصديق قال له: أمير أم مأمور؟ فقال: بل مأمور، ثم سارا، فأقام أبو بكر للناس الحج على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية، وكان الحج في هذا العام في ذي الحجة كما دلت على ذلك الروايات الصحيحة لا في شهر ذي القعدة كما قيل، وقد خطب الصديق قبل التروية، ويوم عرفة، ويوم النحر، ويوم النفر الأول، فكان يعرف الناس مناسكهم: في وقوفهم، وإفاضتهم، ونحرهم، ونفرهم، ورميهم للجمرات.. إلخ، وعلي يخلفه في كل

---

(١) «مسلم» رقم (٧٨). (٢) «البخاري» رقم (٤٤٠٤).
(٣) «السيرة النبوية»، لأبي شهبة (٢/ ٥٣٦)، و«دراسات في عهد النبوة» ص(٢٢).
(٤) «نضرة النعيم» (١/ ٩٨)، و«الطبقات الكبرى» (٢/ ١٦٨). (٥) «فتح الباري» (٨/ ٨٢).

موقف من هذه المواقف، فيقرأ على الناس صدر سورة براءة، ثم ينادي في الناس بهذه الأمور الأربعة: لا يدخل في الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين النبي ﷺ عهد فعهده إلى مدته، ولا يحج المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا[1]، وقد أمر الصديق رهطًا آخر من الصحابة لمساعدة علي بن أبي طالب في إنجاز مهمته[2].

إن نزول صدر سورة براءة يمثل مفاصلة نهائية مع الوثنية، وأتباعها؛ حيث منعت حجهم وأعلنت الحرب عليهم[3].

قال تعالى: ﴿**بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ (١) فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (٢) وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ (التوبة: ١-٣) وقد أمهل المعاهدون لأجل معلوم منهم، إلى انتهاء مدتهم، قال تعالى: ﴿ **إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ** ﴾ (التوبة: ٤).

كما أمهل من لاعهد له من المشركين إلى انسلاخ الأشهر الحرم؛ حيث يصبحون بعدها في حالة حرب مع المسلمين قال تعالى: ﴿**فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ (التوبة: ٥).

وقد كلف النبي ﷺ عليًّا بإعلان نقض العهود على مسامع المشركين في موسم الحج، مراعاة لما تعارف عليه العرب فيما بينهم في عقد العهود ونقضها: ألاَّ يتولى ذلك إلا سيد القبيلة أو رجل من رهطه، وهذا العرف ليس فيه منافاة

---

(١) «مسند الإمام أحمد الموسوعة الحديثية» رقم(٥٩٤) حديث صحيح.

(٢) «السيرة النبوية» لأبي شهبة (٢/ ٥٣٧).

(٣) «نصرة النعيم» (١/ ٣٩٩).

للإسلام، فلذلك تدارك النبي ﷺ الأمر وأرسل عليًّا بذلك، فهذا هو السبب في تكليف علي بتبليغ صدر سورة براءة لا ما زعمته الرافضة من أن ذلك للإشارة إلى أن عليًّا أحق بالخلافة من أبي بكر، وقد علق الدكتور محمد أبو شهبة فقال: ولا أدري كيف غفلوا عن قول الصديق: أمير أم مأمور[١]؟ وكيف يكون المأمور أحق بالخلافة من الأمير[٢]، وقد كانت هذه الحجة بمثابة التوطئة للحجة الكبرى وهي حجة الوداع، لقد أعلن في حجة أبي بكر أن عهد الأصنام قد انقضى، وأن مرحلة جديدة قد بدأت، وما على الناس إلا أن يستجيبوا لشرع الله تعالى، فبعد هذا الإعلان الذي انتشر بين قبائل العرب في الجزيرة، أيقنت تلك القبائل أن الأمر جد، وأن عهد الوثنية قد انقضى فعلاً؛ فأخذت ترسل وفودها معلنة إسلامها ودخولها في التوحيد[٣].

تاسعا: علي رضي الله عنه ووفد نصارى نجران، وآية المباهلة ٩ هـ:

كتب رسول الله ﷺ إلى نجران[٤] كتابًا قال فيه: «**أما بعد، فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم آذنتكم بحرب، والسلام**»[٥] فلما أتي الأسقف الكتاب، جمع الناس وقرأه عليهم، وسألهم عن الرأي فيه؟ فقرروا أن يرسلوا إليه وفدًا يتكون من أربعة عشر رجلاً من أشرافهم، وقيل: ستين راكبًا، منهم ثلاثة نفر يؤول إليهم أمرهم: العاقب، وهو أميرهم وصاحب مشورتهم والذين يصدرون عن رأيه، والسيد وهو صاحب رحلتهم، وأبوالحارث أسقفهم، وحبرهم وصاحب مدارسهم[٦]، ولما جاء وفد نصارى نجران إلى رسول الله ﷺ بالمدينة، وضعوا

---

(١) «السيرة النبوية» لأبي شهبة (٢/ ٥٤٠)، و«صحيح السيرة» ص(٦٢٤).
(٢) المصدر نفسه (٢/ ٥٤٠).
(٣) «قراءة سياسية للسيرة النبوية» ص(٢٨٣).
(٤) نجران: بلد كبير على سبع مراحل من مكة إلى جهة اليمن.
(٥) «البداية والنهاية» (٥/ ٤٨).
(٦) المصدر نفسه (٥/ ٤٨)، و«السيرة النبوية» لأبي شهبة (٢/ ٥٤٧).

ثياب السفر عنهم، ولبسوا حللاً لهم يجرونها من الحبرة، وخواتيم الذهب، ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ، فسلموا عليه، فلم يرد عليهم السلام، وتصدوا لكلامه طويلاً، فلم يكلمهم، وعليهم تلك الحلل والخواتيم الذهب، فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما، وكانا معرفة لهم، كانا يخرجان العير في الجاهلية إلى نجران، فيشترى لهما من برها وثمرها وذرتها، فوجدوهما في ناس من الأنصار في مجلس، فقالوا: يا عثمان، ويا عبدالرحمن إن نبيكم كتب إلينا بكتاب، فأقبلنا مجيبين له، فأتيناه فسلمنا عليه، فلم يرد علينا سلامنا، وتصدينا لكلامه نهارًا طويلا، فأعيانا أن يكلمنا، فما الرأي منكما، أنعود؟ .

فقالا لعلي بن أبي طالب وهو في القوم: ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم؟، قال: أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم، ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يأتوا إليه، ففعل الوفد ذلك، فوضعوا حللهم وخواتيمهم، ثم عادوا إلى رسول الله ﷺ فسلموا عليه، فرد سلامهم، ثم سألهم وسألوه فلم تزل بهم وبه المسألة[1]، وقالوا لرسول الله ﷺ: كنا مسلمين قبلكم فقال النبي ﷺ: «**يمنعكم من الإسلام ثلاث: عبادتكم الصليب، وأكلكم الخنزير، وزعمكم أن لله ولدا**»[2]، وكثر الجدال والحجاج بينه وبينهم، والنبي ﷺ يتلو عليهم القرآن، ويقرع باطلهم بالحجة، وكان مما قالوه لرسول الله ﷺ: ما لك تشتم صاحبنا، وتقول: إنه عبدالله، فقال: «**أجل إنه عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول**»، فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنسانًا قط من غير أب، فإن كنت صادقا فأر مثله؟ فأنزل الله في الرد عليهم قوله سبحانه: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ**﴾ (آل عمران: ٥٩-٦٠). فكانت حجة دامغة شبه فيها الغريب بما هو أغرب منه[3]، فلما لم تُجد معهم المجادلة بالحكمة والموعظة الحسنة دعاهم إلى المباهلة[4]؛ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿**فَمَنْ**

(١) «زاد المعاد» (٣/ ٦٢٩-٦٣٨).
(٢، ٣) المصدر نفسه (٣/ ٦٣٣).
(٤) «السيرة النبوية» لأبي شهبة (٢/ ٥٤٧).

حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران: ٦١). وخرج النبي ﷺ ومعه علي والحسن والحسين وفاطمة وقال: «**وإذا أنا دعوت فأمِّنوا**»(١)، فائتمروا فيما بينهم، فخافوا الهلاك لعلمهم أنه نبي حقًّا، وأنه ما باهل قوم نبيًّا إلا هلكوا، فأبوا أن يلاعنوه، وقالوا: احكم علينا بما أحببت، فصالحهم على ألفي حلة، ألف في رجب، وألف في صفر(٢).

عاشرًا: علي رضي الله عنه داعيًا وقاضيًا في اليمن ١٠هـ:

بعد فتح مكة استجابت القبائل العربية بالجزيرة إلى الإسلام، وكان رسول الله ﷺ يرسل الدعاة إلى القبائل التي لم تستجب بعد، فأرسل عليًّا رضي الله عنه إلى همدان باليمن، وهذا البراء بن عازب رضي الله عنه يحدثنا عمّا حدث في ذهابه مع علي رضي الله عنه لليمن فيقول: .. فلما انتهينا إلى أوائل اليمن بلغ القوم الخبر، فجمعوا له، فصلى علي بنا الفجر، فلما فرغ، صفنا صفًّا واحدًا ثم تقدم بين أيدينا، فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، فأسلمت همدان كلها في يوم واحد، وكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ، فلما قرأ كتابه خرَّ ساجدًا، وقال: «**السلام على همدان، السلام على همدان**»(٣). لقد كان رسول الله ﷺ حريصًا على الجبهة الجنوبية للدولة، وأن تدخل قبائل اليمن في الإسلام، وظهر هذا الاهتمام في النتائج الباهرة التي حققتها الدعوة في كثرة عدد الوفود التي كانت تنساب من كل أطراف اليمن، متجهة إلى المدينة، مما يدل على أن نشاط المبعوثين إلى اليمن كان متصلاً وبعيد المدى، وكانت سرايا رسول الله ﷺ تساند هذا النشاط الدعوي السلمي؛ حيث بعث خالد بن الوليد ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، فقد كان ﷺ يركز على مفاصل القوى، ومراكز التأثير في المجتمعات وبناء الدول، ومارس هذا الفقه العظيم في حياته(٤).

(١، ٢) «السيرة النبوية» لأبي شهبة (٢/٥٤٧). (٣) «زاد المعاد» (٣/٦٢٢) إسناده صحيح.
(٤) «السيرة النبوية»، للصَّلاَّبِيِّ (٢/٥٩٦)، و«الفقه السياسي للوثائق» ص(٢٣١).

هذا وقد أمـر رسول الله ﷺ عليًّا بأن يقضي بين النـاس في اليمن، وهذا علي رضي الله عنه يحدثنا بنفسه حيث قال: بعثني رسـول الله ﷺ إلى اليمن، فقلت له: يا رسول الله تبعـثني إلى قوم أسن مني وأنا حدث لا أبصر القـضاء، قال: فوضع يده على صـدري، وقال: «**اللهم ثبّت لسانه، واهـد قلبه، يا علي إذا جلس إليك**[1] **الخصـمان فلا تقـضي بينهمـا حتى تسمع مـن الآخر، ما سـمعت من الأول؛ فإنك إذا فعلت ذلك تبين لك القضاء**»، قال: فما اختلف عـليَّ قضاء بعد، أو ما أشكل عليَّ قضاء بعد[2].

لقد احتاج اليمنيون بعد انتشار الإسلام في بلادهم إلى من يفقههم في أمور دينهم، ويعلمهم ويقـضي بينهم بحكم الله عز وجل، فبـعث رسول الله ﷺ عددًا من الصحـابة إلى أرجاء اليمن منهم معاذ وأبوموسى الأشـعري، وكان من أفضلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد حفظت لنا كـتب التاريخ والحديث والفقه مجموعة من القضايا التي حكم فيها علي رضي الله عنه وهو باليمن منها:

١ـ قضاؤه في الأربعة الذين تدافعوا عند زبية[3] للأسد:

عن حنش عن علي رضي الله عنه قال: بعـثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فانتـهينا إلى قوم قد بنوا زُبْيَة[4] للأسد، فبينما هم كذلك يتـدافعون إذ سقط رجل فتعلق بآخر، ثم تعلق رجل بآخر، حتى[5] صاروا فيه أربعة، فَجَرَحَهم الأسد، فانتدب له رجل بِحَرْبة فقـتله، وماتوا من جراحتهم كلهم؛ فقـام أولياء الأول إلى أولياء الآخر، فـأخرجـوا السلاح ليقـتتلوا، فـآتاهم علي على تفيـئة[6] ذلك، فقال: تريدون أن تقاتـلوا ورسول الله ﷺ حيٌّ إني أقضي بينكـم قضاء، إن رضـيتم

---

(١) جلس الخصمان.

(٢) «فضائل الصحابة» (٢/ ٨٧١)، وإسناده حسن رقم (١٩٩٥).

(٣) الزُّبيَةُ: حفرة تحفر للأسد، ولا تحفر إلا في مكان عالٍ من الأرض.

(٤) الحفرة في الأرض: «القاموس» (٤/ ٣٤٠)، و«تاج العروس» (١٠/ ١٦).

(٥) «فضائل الصحابة» (٢/ ٩٠٠) رقم (١٢٣٩)، وإسناده حسن.

(٦) تفيئة ذلك: أي أثره، «النهاية» (٣/ ٤٨٣).

فهو القضاء، وإلا حجز بعضكم عن بعض، حتى تأتوا النبي ﷺ فيكون هو الذي يقضي بينكم، فمن عَدا بعد ذلك فلا حق له، اجمعوا من قبائل الذين حفروا البئر ربع الدية وثلث الدية ونصف الدية والدية كاملة، فللأول الربع؛ لأنه أهلك من فوقه، وللثاني ثلث الدية، وللثالث نصف الدية، فأبوا أن يرضوا فأتوا النبي ﷺ وهو عند مقام إبراهيم، فقصُّوا عليه القصة، فقال: «**أنا أقضي بينكم**» واحتبى فقال رجل من القوم: إن عليًّا قضى فينا فقصُّوا عليه؛ فأجازه رسول الله ﷺ [(١)].

٢ـ ثلاثة وقعوا على امرأة في طهر:

عن زيد بن أرقم أنه قال: أتي علي بثلاثة وهو باليمن وقعوا على امرأة في طهر واحد، فسأل اثنين: أتقران لهذا بالولد؟ قالا: لا، حتى سألهم جميعًا، فجعل كلما سأل اثنين، قالا: لا، فأقرع بينهم، فألحق الولد بالذي صارت عليه القرعة، وجعل عليه ثلثي الدية[(٢)]، قال: فذكر ذلك لنبي الله ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه[(٣)]. وكان ضحك رسول الله ﷺ فرحًا وسرورًا بتوفيق الله تعالى عليًّا للصواب.

ولذلك أقرّه على ذلك[(٤)]، ويحتمل أن ما حصل من أولئك النفر إنما كان قبل إسلامهم؛ لأن فعلهم محرم في دين الله تعالى.

الحادي عشر: علي رضي الله عنه في حجة الوداع:

أدرك عليٌّ رضي الله عنه رسول الله في حجة الوداع، ونحر رسول الله ﷺ ثلاثًا وستين بدنة بيده، وكان عدد هذا الذي نحره عدد سنيِّ عمره، ثم أمسك، وأمر

---

(١) «فضائل الصحابة» رقم (١٢٣٩)، وإسناده صحيح.

(٢) «منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله» ص(٨٧).

(٣) نواجذه: جمع ناجذ: آخر الأضراس، وللإنسان أربعة نواجذ، وهناك رواية أخرى في «فضائل الصحابة» رقم (١٠٩٥)، وإسناده حسن لغيره.

(٤) «سنن النسائي» (٦/ ١٨٢) حاشية السندي.

عليًّا أن ينحر ما بقي من المائة، ففعل وأكمل العدد، وقد وصف لنا علي رضي الله عنه بعض المناسك في حجته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف بعرفة وهو مُرْدِف أسامة بن زيد، فقال: «**هذا الموقف وكل عرفة موقف**»، ثم دفع يسير العَنَقَ، وجعل الناس يضربون يمينًا وشمالاً، وهو يلتفت ويقول: «السكينة أيها الناس، السكينة أيها الناس» حتى جاء المزدلفة، وجمع بين الصلاتين، ثم وقف بالمُزدلفة، فوقف على قُزَحَ، وأردف الفضل بن عبّاس، وقال: «**هذا الموقف، وكل المزدلفة موقف**» ثم دفع وجعل يسير العَنَقَ، والناس يضربون يمينًا وشمالا، وهو يلتفت ويقول: «**السَّكينة، السَّكينة، أيُّها الناس**» حتى جاء مُحسِّرًا؛ فقرع راحلته فخبَّت، حتى خرج، ثم عاد لسَيْره الأول، حتى رمى الجمرة، ثم جاء المَنْحَر فقال: «**هذا المَنْحَر، وكلُّ منى مَنْحَر**». ثم جاءت امرأة شابة من خَثْعَمَ، فقالت: إن أبي شيخ كبير، وقد أفْنَدَ، وأدركته فريضة الله في الحَج، ولا يستطيع أداءها، فيُجزئ عنه أن أؤديها عنه؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**نعم**»، وجعل يصرفُ وجه الفضل بن العباس عنها. ثم أتاه رجل فقال: إني رميت الجمرة، وأفضت ولبستُ ولم أحلِقْ. قال: «**فلا حرج، فاحْلِق**». ثم أتاه رجل آخر، فقال: إني رميت وحلفت ولبست ولم أنحر. فقال: «**لا حرج، فانحر**». ثم أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا بِسَجْلٍ من ماء زمزم، فشربَ منه وتوضأ، ثم قال: «**انزعوا**[1] **يا بني عبدالمطلب، فلولا أن تُغْلَبوُا عليها لَنَزَعْتُ**». قال العباس: يا رسول الله، إني رأيتك تصرف وجه ابنِ أخيك؟ قال: «**إني رأيتُ غلامًا شابًّا، وجارية شابة، فخشيت عليهما الشيطان**»[2]، وقد كان علي رضي الله عنه يعلن على الناس ما أمره به النبي صلى الله عليه وسلم، فعن عمرو بن سُليم عن أمه قالت: بينما نحن بمنى إذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن هذه أيام أكل وشرب، فلا يصومها أحد**» واتَّبع الناس على جمله يصرخ بذلك[3].

---

(١) «منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله» ص(٨٨).

(٢) «مسند أحمد» (٢/ ٩)، و«الموسوعة الحديثية» رقم (٥٦٤)، وإسناده حسن.

(٣) المصدر نفسه رقم (٥٦٧)، وإسناده صحيح.

الثاني عشر: تشرفه بغسل النبي ﷺ ودفنه:

لما توفي النبي ﷺ كان علي ممن باشر غسله مع الفضل بن العباس وأسامة ابن زيد(١)، وقال علي رضي الله عنه: غسلت رسول الله ﷺ، فذهبت أنظر ما يكون من الميت فلم أر شيئًا وكان طيبًا حيًّا وميتًا(٢)، وقال: بأبي أنت وأمي، طبت حيًّا وطبت ميتًا(٣)، وكان علي رضي الله عنه من ضمن من نزل في قبر رسول الله ﷺ وباشروا دفنه هو والفضل ابن عباس، وقثم بن عباس، وشقران مولى رسول الله ﷺ (٤)، لقد كان لنبأ وفاة رسول الله على الصحابة الكرام كالصاعقة لشدة حبهم له، وما تعوّدوه من العيش في كنفه، عيش الأبناء في حجر الآباء، بل أكثر من ذلك، وكان حظ أهل البيت والأسرة الهاشمية ـ وعلى رأسها فاطمة بنت رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب ـ أوفر وأكثر بطبيعة الحال، وبحكم الفطرة السليمة والقرابة القريبة، وما يمتازون به من رقة الشعور، وقوة العاطفة، وشدة الحب ولكن احتملوه بقوة إيمانهم، والرضا بقضاء الله، والاستسلام لأمره(٥).

الثالث عشر: قصة الكتاب الذي همّ النبي ﷺ بكتابته في مرض موته:

ثبت في «الصحيحين» وغيرهما، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فقال النبي ﷺ: **«هلموا أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده»**، فقال بعضهم: إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله ﷺ: **«قوموا»**. قال عبيد الله -راوي الحديث-: فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن

---

(١) أبو داود (٣/ ٢١٣) عن الشعبي مرسلاً رقم (٣٢٠٩)، وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» ص(٥١).
(٢) «سنن ابن ماجه» (١/ ٣٦٢) رقم (١٤٦٧) وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» ص(٥٠).
(٣، ٤) «السيرة النبوية»، لابن هشام (٤/ ٣٢١).
(٥) «المرتضى» للندوي ص(٥٩).

يكتب الكتاب لاختلافهم ولغطهم[١]. وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يوم الخميس، وما يوم الخميس، اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فقال: «**ائتوني أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده أبدًا**»؛ فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي نزاع، فقالوا: ما شأنه؟ أَهَجَرَ؟، اسْتَفْهِموه، فذهبوا يردون عليه فقال: «**دعوني، فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه**»، وأوصاهم بثلاث، قال: «**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا للوفد بنحو ما كنت أجيزهم**»، وسكت عن الثالثة، أو قال: فنسيتها[٢]. وليس فيما ثبت في هذا الحديث ورواياته الصحيحة أي مطعن على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما ما ذكره الروافض من مطاعن فباطلة معلومة الفساد، وقد أجاب العلماء قديمًا عن بعضها ومن هذه الردود:

١ ـ إن اختلاف الصحابة ثابت، وكان سببه اختلافهم في فهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم ومراده لا عصيانه، قال القرطبي صاحب «المفهم»: وسبب ذلك أن ذلك كله إنما حمل عليه الاجتهاد المسوغ، والقصد الصالح، وكل مجتهد مصيب، أو أحدهما مصيب، والآخر غير مأثوم بل مأجور كما قررناه في الأصول[٣]، ثم ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعنفهم ولاذمهم بل قال للجميع: «**دعوني فالذي أنا فيه خير**»[٤]. وهذا نحو ما جرى لهم يوم الأحزاب حيث قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم: «**لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة**»[٥]، فتخوف ناس فوات الوقت، فصلوا دون بني قريظة، وقال آخرون: لا نصلي إلا حيث أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما عنف أحد الفريقين[٦].

٢ ـ وأما ما ادعاه الروافض من أن اختلاف الصحابة وما ترتب عليه من عدم كتابة النبي صلى الله عليه وسلم لهم ذلك الكتاب هو الذي حرم الأمة من العصمة، فهذا باطل؛ لأنه يعني أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ترك تبليغ أمته ما فيه عصمتها من الضلال، ولم يبلغ شرع ربه لمجرد اختلاف أصحابه عنده حتى مات على ذلك،

(١) «البخاري» رقم (٤٤٣٢).
(٢) «البخاري» رقم (٤٤٣١).
(٣) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٤/ ٥٥٩).
(٤) «البخاري» رقم (٤٤٣١).
(٥) «البخاري» رقم (٤١١٩).
(٦) «المفهم» (٤/ ٥٥٩).

وأنه بهذا مخالف لأمر ربه في قوله: ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة:٦٧)، وإذا كان الرسول ﷺ مبرأ من ذلك ومنزهًا بتزكية ربه له في قوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة:١٢٨)، فوصفه بالحرص على أمته، أي على هدايتهم، ووصول النفع الدنيوي والأخروي لهم، ذكره ابن كثير في تفسيره(١).

وإذا كان هذا الأمر معلومًا بالاضطرار من دين الإسلام عند الخاص والعام، لا يشك فيه من في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان، أن هذا الرسول الكريم قد بلغ كل ما أمر به، وكان أحرص ما يكون على أمته، بما هو متواتر من جهاده وتضحيته، وأخباره الدالة على ذلك؛ علمنا علمًا يقينًا لا يشوبه أدنى شك، أنه لو كان الأمر كما يذكر الروافض من الوصف لهذا الكتاب، من أن به عصمة الأمة من الضلال في دينها، ورفع الفرقة، والاختلاف فيما بينها، إلى أن تقوم الساعة؛ لما ساغ في دين ولا عقل أن يؤخر رسول الله ﷺ كتابه إلى ذلك الوقت الضيق، ولو أخره ما كان ليتركه لمجرد اختلاف أصحابه عنده(٢)، ولا يتصور أن النبي ﷺ بتارك أمر ربه، ولو قدر أنه تركه في ذلك الوقت لتنازعهم عنده؛ لمصلحة رآها، فما الذي يمنعه من أن يكتبه بعد ذلك، وقد ثبت أنه عاش بعد ذلك عدة أيام، فقد كانت وفاته ﷺ يوم الاثنين على ما جاء مصرحًا به في رواية أنس في الصحيحين(٣)، وحادثة الكتاب يوم الخميس بالاتفاق(٤).

وقد ثبت باتفاق السنة والرافضة، أن رسول الله ﷺ لم يكتب ذلك الكتاب حتى مات، علمنا أنه ليس من الدين الذي أمر بتبليغه؛ لما دل عليه القرآن من أن الله قد أكمل له ولأمته الدين، فأنزل عليه قبل ذلك في حجة

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٠٤).

(٢) «مختصر التحفة الاثنا عشرية» ص(٢٥١)، و«الانتصار للصحب والآل» ص(٢٢٨، ٢٢٩).

(٣) «البخاري» رقم (٤٤٤٨)، و«مسلم» رقم (٤١٩).

(٤) «الانتصار للصحب والآل» ص(٢٢٩).

الوداع: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا**﴾ (المائدة: ٣).

قال ابن تيمية: ولم تكن كتابة الكتاب مما أوجبه الله عليه أن يكتبه أو يبلغه في ذلك الوقت؛ إذ لو كان كذلك لما ترك صلى الله عليه وسلم ما أمره الله به، لكن ذلك مما رآه مصلحة لدفع النزاع في خلافة أبي بكر، ورأى أن الخلاف لابد أن يقع[1]. وقال في موضع آخر: وأما قصة الكتاب الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يكتبه، فقد جاء مبينًا كما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه: «**ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتابًا؛ فإني أخاف أن يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ ويقول قائلٌ: أنا أَوْلَى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبابكر**»[2]. إلى أن قال بعد ذكر روايات الحديث: والنبي صلى الله عليه وسلم قد عزم على أن يكتب الكتاب الذي ذكره لعائشة، فلما رأى أن الشك قد وقع، علم أن الكتاب لايرفع الشك، فلم يبق فيه فائدة، وعلم أن الله تعالى يجمعهم على ما عزم عليه كما قال: «**ويأبى الله والمؤمنون إلا أبابكر**»[3].

وأما قوله في الحديث: «**لن تضلوا بعدي**» فيقول الدهلوي في توجيهه: فإن قيل: لو لم يكن ما يكتب أمرًا دينيًّا فلم قال: «**لن تضلوا بعدي**»؟ قلنا: للضلال معان، والمراد به هنا عدم الخطأ في تدبير الملك، وهو إخراج المشركين من جزيرة العرب، وإجازة الوفد بنحو ما كان يجيزه، وتجهيز جيش أسامة منه، لا الضلالة والغواية عن الدين، وهو ما فعله أبوبكر والصحابة من بعده[4].

٣ ـ وأما معنى قول ابن عباس: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب[5]، فكما قال ابن تيمية في معناه: يقتضي أن الحائل كان رزية، وهو رزية في حق من شك في خلافة الصديق، واشتبه عليه الأمر؛ فإنه لو كان هناك كتاب لزال الشك، فأما من علم أن خلافته حق فلا رزية في حقه ولله الحمد[6]، ويوضح ذلك أن ابن عباس رضي الله عنهما ما قال

---

(١) «منهاج السنة» (٦/ ٣١٦).
(٢) «مسلم» رقم (٢٣٨٧).
(٣) «منهاج السنة» (٦/ ٢٣، ٢٥).
(٤) «مختصر التحفة الاثنا عشرية» ص(٢٥١).
(٥) «البخاري» رقم (٤٤٣٢).
(٦) «منهاج السنة» (٦/ ٢٥).

ذلك إلا بعد ظهور أهل الأهواء والبدع، من الخوارج والروافض، نص على هذا ابن تيمية(١)، وابن حجر(٢).

٤ ـ وأما ادعاؤهم أن النبي ﷺ أراد بذلك الكتاب أن ينص على خلافة علي رضي الله عنه وزعم بعض الروافض أنه ليس هناك تفسير معقول غيره، وهذا الادعاء باطل، قال ابن تيمية: ومن توهم أن هذا الكتاب كان بخلافة علي فهو ضال باتفاق عامة الناس، من علماء السنة والشيعة، أما أهل السنة فمتفقون على تفضيل أبي بكر وتقديمه، وأما الشيعة القائلون بأن عليًّا كان مستحقًّا للإمامة فيقولون: إنه قد نص على إمامته قبل ذلك نصًّا جليًّا ظاهرًا معروفًا، وحينئذ فلم يكن يحتاج إلى الكتاب(٣).

٥ ـ وأما طعن الروافض على عمر رضي الله عنه وزعمهم بأنه قد اتهم رسول الله ﷺ بأنه لا يعي ما يقول، وقال: «إنه يهجر» ولم يمتثل قوله، وقال: «عندكم كتاب الله»، «حسبنا كتاب الله»،فجوابه: أن ما ادعاه أولاً بأن عمر اتهم رسول الله بالهجر، وأنه لا يعي ما يقول فهذا باطل، وذلك أن هذه اللفظة (أهجر؟) لا تثبت عن عمر رضي الله عنه أصلاً، وإنما قالها بعض من حضر الحادثة من غير أن تعين الروايات الواردة في الصحيحين قائلها، وإنما الثابت فيها «فقالوا: ما شأنه؟ أهَجَرَ؟»(٤)، هكذا بصيغة الجمع دون الإفراد، ولهذا أنكر بعض العلماء أن تكون هذه اللفظة من كلام عمر، قال ابن حجر: ويظهر لي ترجيح ثالث الاحتمالات، التي ذكرها القرطبي، ويكون قائل ذلك بعض من قرب دخوله في الإسلام، وكان يعهد أن من اشتد عليه الوجع، قد يشتغل به عن تحرير ما يريد(٥)، وقال الدهلوي: من أين يثبت أن قائل هذا القول هو عمر مع أنه وقع في أكثر الروايات (قالوا) بصيغة الجمع؟(٦).

---

(١) «منهاج السنة» (٦/ ٣١٦). (٢) «فتح الباري» (١/ ٢٠٩).
(٣) «منهاج السنة» (٦/ ٢٥) و«الانتصار للصحب والآل» ص(٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣).
(٤) «البخاري» رقم (٤٤٣١). (٥) «فتح الباري» (٨/ ١٣٣).
(٦) «مختصر التحفة الاثنا عشرية» (ص٢٥٠).

إن الثابت الصحيح من هذه اللفظة أنها وردت بصيغة الاستفهام هكذا (أَهَجَرَ؟) وهذا بخلاف ما جاء في بعض الروايات بلفظ(هجر، ويهجر) فإنه مرجوح على ما حقق ذلك المحدثون وشراح الحديث، منهم القاضي عياض[1]، والقرطبي[2]، والنووي[3]، وابن حجر[4]، فقد نصوا أن الاستفهام جاء على سبيل الإنكار على من قال: لا تكتبوا[5]، قال القرطبي بعد أن ذكر الأدلة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخطأ في التبليغ في كل أحواله وتقرر ذلك عند الصحابة: وعلى هذا يستحيل أن يكون قولهم(أهجر؟)؛ لشك عرض لهم في صحة قوله، زمن مرضه، وإنما كان ذلك من بعضهم على وجه الإنكار على من توقف في إحضار الكتف والدواة، وتلكأ عنه، فكأنه يقول لمن توقف: كيف تتوقف أتظن أنه قال هذيانًا، فدع التوقف وقرب الكتف؛ فإنه يقول الحق لا الهجر، وهذا أحسن ما يحمل عليه[6]، وهذا يدل على اتفاق الصحابة على استحالة الهجر على الرسول صلى الله عليه وسلم ، حيث إن قائليها أوردوها على سبيل الإنكار الملزم، الذي لا يشك فيه المخالف، وبه تبطل دعوى الروافض من أصلها[7].

٦ ـ أما ادعاؤهم من معارضة عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: عندكم كتاب الله، حسبنا كتاب الله، وأنه لم يمتثل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أراد من كتابة الكتاب، فالرد على هذه الشبهة الواهية، أن عمر رضي الله عنه ومن كان على رأيه من الصحابة، ظهر لهم، أن أمر الرسول بكتابه الكتاب ليس على الوجوب، وأنه من باب الإرشاد إلى الأصلح، وقد نبه على هذا القاضي عياض[8]، والقرطبي[9]، والنووي[10] وابن حجر[11]، ثم إنه قد ثبت بعد هذا صحة اجتهاد عمر رضي الله عنه وذلك بترك الرسول صلى الله عليه وسلم كتابة الكتاب، ولو كان واجبًا لم يتركه

---

(١) «الشفاء» (٢/ ٨٨٦).

(٢) «المفهم»(٤/ ٥٥٩).

(٣) «شرح صحيح مسلم» (١١/ ٩٣).

(٤) «فتح الباري» (٨/ ١٣٣).

(٥) «الانتصار للصحب والآل» ص(٢٢٨).

(٦) «المفهم» (٤/ ٥٥٩).

(٧) «الانتصار للصحب والآل» ص(٢٨٩)، وهذا المرجع من أحسن ما اطلعت عليه في الرد على هذه الشبهة.

(٨) «الشفاء» (٢/ ٨٨٧).

(٩) «المفهم» (٢/ ٥٥٩).

(١٠) «شرح النووي» (١١/ ٩١).

(١١) «فتح الباري» (١/ ٢٠٩).

لاختلافهم؛ لأنه لم يترك التبليغ لمخالفة من خالف. ولهذا عد هذا من موافقات عمر رضي الله عنه(١)، كما أن قول عمر رضي الله عنه: حسبنا كتاب الله، رد على من نازعه، لا على أمر النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا ظاهر من قوله: عندكم كتاب الله، فإن المخاطب جمع وهم المخالفون لعمر رضي الله عنه في رأيه، كما أن عمر رضي الله عنه كان بعيد النظر، ثاقب البصيرة، سديد الرأي، وقد رأى أن الأولى ترك كتابة الكتاب ـ بعد أن تقرر عنده أن الأمر به ليس على الوجوب ـ وذلك لمصلحة شرعية راجحة، للعلماء في توجيهها أقوال منها: شفقته على رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يلحقه من كتابة الكتاب مع شدة المرض، ويشهد لهذا قوله: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبة الوجع، فكره أن يتكلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يشق ويثقل عليه(٢)، مع استحضار قوله تعالى: ﴿**مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ**﴾ (الأنعام:٣٨)، وقوله تعالى: ﴿**تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ**﴾ (النحل:٨٩)، قال النووي: وأما كلام عمر رضي الله عنه فقد اتفق العلماء المتكلمون في شرح الحديث، على أنه من دلائل فقه عمر رضي الله عنه، وفضائله ودقيق نظره(٣).

كما أن عمر رضي الله عنه كان مجتهدًا في موقفه من كتابة الكتاب، والمجتهد في الدين معذور على كل حال، بل مأجور لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد، ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ، فله أجر**»(٤)، فكيف وقد كان اجتهاد عمر بحضور رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يؤثمه ولم يذمه به؟! بل وافقه على ما أراد من ترك الكتاب، وبهذا يظهر بطلان طعن الروافض على الصحابة في هذه الحادثة، وينكشف زيف ما قالوه في حقهم(٥).



(١) «فتح الباري» (١/٢٠٩). (٢) «الشفاء» (٢/٨٨٨).

(٣) «شرح النووي» على صحيح مسلم «(١١/ ٩٠)، و«الانتصار للصحب والآل» ص(٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢).

(٤) «البخاري» رقم (٧٣٥٢).

(٥) «الانتصار للصحب والآل» ص(٢٩٤، ٢٩٥).

الفصل الثاني
علي بن أبي طالب رضي الله عنه في عهد الخلفاء الراشدين
المبحث الأول
علي بن أبي طالب رضي الله عنه في عهد الصديق

أولاً: مبايعة علي لأبي بكر بالخلافة، رضي الله عنهما:

وردت أخبار كثيرة في شأن تأخر علي عن مبايعة الصديق، وكذا تأخر الزبير ابن العوام، وجُلّ هذه الأخبار ليست بصحيحة، وقد جاءت روايات صحيحة السند تفيد بأن عليًّا والزبير رضي الله عنهما بايعا الصديق في أول الأمر، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قام خطباء الأنصار.. فذكر بيعة السقيفة[١]، ثم قال: ثم انطلقوا فلما قعد أبوبكر على المنبر نظر في وجوه القوم فلم ير عليًّا، فسأل عنه، فقام أناس من الأنصار، فأتوا به. فقال أبوبكر: ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه، أردت أن تشق عصا المسلمين؟، فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبايعه، ثم لم ير الزبير بن العوام، فسأل عنه حتى جاؤوا به، فقال: ابن عمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه، أردت أن تشق عصا المسلمين؟، فقال مثل قوله: لا تثريب يا خليفة رسول الله فبايعه[٢].

ومما يدل على أهمية حديث أبي سعيد الخدري الصحيح أن الإمام مسلم بن الحجاج صاحب «الجامع الصحيح» -الذي هو أصح الكتب الحديثية بعد صحيح البخاري ـ ذهب إلى شيخه الحافظ محمد بن إسحاق بن خزيمة ـ صاحب صحيح ابن خزيمة- فسأله عن هذا الحديث، فكتب له ابن خزيمة الحديث، وقرأه عليه، فقال مسلم لشيخه ابن خزيمة: هذا الحديث يساوي بدنة، فقال ابن خزيمة: هذا الحديث لا يساوي بدنة[٣] فقط، إنه يساوي بدرة مال[٤]، وعلق على هذا الحديث

(١) «مجمع الزوائد» (٥/ ١٨٣) ورجاله رجال الصحيح، و«البداية والنهاية» (٥/ ٢٨١)، قال ابن كثير: هذا إسناد صحيح محفوظ.
(٢) «المستدرك» (٣/ ٧٦)، و«السنن الكبرى» (٨/ ١٤٣) بإسنادين صحيحين.
(٣) البدنة: ناقة أو بقرة تنحر بمكة ولعظمها وضخامتها سميت بدنة.
(٤) البدرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف دينار: والمعني: أنه كنز ثمين.

ابن كثيـر ـ رحمه الله ـ فقال: هذا إسناد صـحيح محفوظ، وفـيه فائدة جليلة، وهي مـبايعـة علي بن أبي طالب ﷺ إمـا في أول يوم أو في اليوم الثـاني من الوفاة، وهذا حق؛ فإن علي بن أبي طالب ﷺ لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات، ولم ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه[1].

وفي رواية حبيب بن أبي ثابت، حـيث قال: كان علي بن أبي طالب ﷺ في بيته، فأتاه رجل، فـقال له: قد جلس أبوبكر للبيعة، فـخرج عليّ إلى المسجد في قميص له، ما عليه إزار ولا رداء، وهو متعـجِّل، كراهة أن يبطئ عن البيعة، فبايع أبابكر، ثم جلس، وبعث إلى ردائه فجاؤوه به، فلبسـه فوق قميصة[2]. وقد سأل عمرو بن حريـث سعيد ابن زيد ﷺ، فقال له: أشـهِدْتَ وفاة رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قال له: متى بويع أبوبكر؟ قال سـعيد: يوم مات رسول الله ﷺ، كره المسلمـون أن يبقوا بعض يوم، وليـسوا في جمـاعة. قال: هل خـالف أحد أبابكر؟ قـال سعيـد: لا، لم يخالف إلا مـرتد، أو كاد أن يرتد، وقـد أنقذ الله الأنصار، فجمعهم عليه وبايعوه. قال: هـل قعد أحد من المهاجرين عن بيعته؟، قال سعيد: لا، لقد تتابع المهاجرون على بيعته[3].

وكان مما قـال عـلي ﷺ لابن الكواء وقـيس بن عباد حينما قـدم البصرة وسألاه عن مسيره قال: «لـو كان عندي من النبي ﷺ عهد في ذلك ما تركت أخا بني تيم بن مرة، وعـمر بن الخطاب يقومان على منبره، ولقاتلتـهما ولو لم أجد إلا بردي هذا، ولكن رسول الله ﷺ لم يقتل قتلاً ولم يمت فجأة، مكث في مرضه أيامًا وليالي يأتيه المؤذن فيـؤذنه بالصلاة، فيأمر أبابكر فيصلي بالناس، وهو يرى مكاني، ولقـد أرادت امـرأة من نسـائه أن تصرفـه عن أبي بكر فـأبى

---

(١) «البداية والنهاية» (٥/ ٢٣٩).

(٢) «الطبري» (٣/ ٢٠٧) والأثر مـرسل وفي الإسناد سيف بن عمر مـتروك، وعبدالعـزيز بن سياه صدوق يتـشيع «التقريب» (٣٥٧).

(٣) «تاريخ الطبـري» (٣/ ٢٠٧) إسناد الخبـر ضعـيف، انظر: «خلافـة أبي بكر الصديق»، لعـبدالعـزيز سليـمان ص(٦٦).

وغضب وقال: «**أنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر يصل بالناس**» فلما قبض الله نبيه ونظرنا في أمورنا، فاخترنا لدنيانا من رضيه نبي الله لديننا، وكانت الصلاة أصل الإسلام، وهي أعظم الأمور، وقوام الدين، فبايعنا أبا بكر، وكان لذلك أهلاً، ولم يختلف عليه منا اثنان، ولم يشهد بعضنا على بعض، ولم نقطع منه البراءة، فأديت إلى أبي بكر حقه، وعرفت له طاعته، وغزوت معه في جنوده، وكنت آخذ إذا أعطاني، وأغزو إذا أغزاني، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي[1].

وكان مما قال في خطبته على منبر الكوفة في ثنائه على أبي بكر وعمر: فأعطى المسلمون البيعة طائعين، فكان أول من سبق في ذلك من ولد عبدالمطلب أنا[2]، وجاءت روايات أشارت إلى مبايعة علي لأبي بكر رضي الله عنهما في أول الأمر وإن لم تصرح بذلك، فعن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف أنه قال: أن عبدالرحمن بن عوف كان مع عمر ابن الخطاب رضي الله عنه.. ثم قام أبو بكر رضي الله عنه فخطب الناس، واعتذر إليهم وقال: والله ما كنت حريصًا على الإمارة يومًا ولا ليلة قط، ولا كنت فيها راغبًا، ولا سألتها الله عز وجل في سرٍّ ولا علانية، ولكني أشفقت من الفتنة، ومالي في الإمارة من راحة، ولكن قلدت أمرًا عظيمًا، مالي به من طاقة ولابد إلا بتقوى الله عز وجل، ولوددت أن أقوى الناس عليها مكاني اليوم. فقبل المهاجرون منه ما قال وما اعتذر به، قال علي رضي الله عنه والزبير: ما غضبنا إلا لأنا قد أُخِّرنا عن المشاورة، وإنَّا نرى أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إنه لصاحب الغار، وثاني اثنين، وإنا لنعلم بشرفه، وكِبَره، ولقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة بالناس وهو حي[3]. وعن قيس العبدي قال: شهدت خطبة علي رضي الله عنه يوم البصرة قال: فحمد الله وأثنى عليه، وذكر

---

(١) «تاريخ الإسلام»، و«عهد الخلافة الراشدة» ص(٣٨٩) إسناده ضعيف، و«خلافة أبي بكر الصديق» عبدالعزيز سليمان ص(٦٥).

(٢) «أسد الغابة» (٤/ ١٦٦ ، ٦٧)، و«خلافة أبي بكر» ص(٦٦).

(٢) «البداية والنهاية» (٦/ ٣٤١) إسناده جيد، و«خلافة أبي بكر» ص(٦٧).

النبي ﷺ وما عالج من الناس، ثم قبضه الله عز وجل إليه، ثم رأى المسلمون أن يستخلفوا أبا بكر رضي الله عنه فبايعوا وعاهدوا وسلموا، وبايعت وعاهدت وسلمت، ورضوا ورضيت، وفعل من الخير وجاهد حتى قبضه الله عز وجل رحمة الله عليه[١].

إن عليًّا رضي الله عنه لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات، ولم ينقطع عنه في جماعة من الجماعات، وكان يشاركه في المشورة، وفي تدبير أمور المسلمين، ويرى ابن كثير ومجموعة من أهل العلم أن عليًّا جدد بيعته بعد ستة أشهر من البيعة الأولى، أي: بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها، وجاءت في هذه البيعة روايات صحيحة[٢]. ولكن لما وقعت البيعة الثانية اعتقد بعض الرواة أن عليًّا لم يبايع قبلها، فنفى ذلك، والمثبت مقدم على النافي[٣].

وهناك كتاب اسمه: «الإمام علي، جدل الحقيقة، والمسلمين، الوصية والشورى» لمحمود محمد العلي، زعم صاحبه بأنه يبحث وينشد الحقيقة، ولكن صاحبه لم يتخلص من المنهج الشيعي الرافضي في الطرح ووضع السمّ في العسل، ولذلك وجب التنبيه، وقد تعرض لبيعة علي رضي الله عنه، وزعم بأن أحقية علي رضي الله عنه بالخلافة قائمة على الوصية.

ثانيا: علي رضي الله عنه ومساندته لأبي بكر في حروب الرِّدة:

كان علي رضي الله عنه لأبي بكر رضي الله عنه عيبة[٤] نصح له، مرجحًا لما فيه مصلحة للإسلام والمسلمين على أي شيء آخر، ومن الدلائل الساطعة على إخلاصه لأبي بكر ونصحه للإسلام والمسلمين وحرصه على الاحتفاظ ببقاء الخلافة، واجتماع شمل المسلمين ما جاء من موقفه من توجه أبي بكر رضي الله عنه بنفسه إلى ذي القصة، وعزمه على محاربة المرتدين، وقيادته للتحركات العسكرية ضدهم بنفسه، وما

(١) «السنة»، عبد الله بن أحمد (٢/ ٥٦٣) رجال الإسناد ثقات.

(٢، ٣) «البداية والنهاية» (٥/ ٤٩).

(٤) العيبة: وعاء من خوص ونحوه ينقل فيه الزرع المحصود إلى الجرين، ووعاء من أدم ونحوه يكون فيه المتاع.

كان في ذلك من مخاطرة وخطر على الوجود الإسلامي[١]، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما برز أبو بكر إلى ذي القصة، واستوى على راحلته، قال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أقول لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد: لم سيفك ولا تفجعنا بنفسك، وارجع إلى المدينة، فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبدًا، فرجع[٢] فلو كان علي رضي الله عنه - أعاذه الله من ذلك - لم ينشرح صدره لأبي بكر وقد بايعه على رغم من نفسه، فقد كانت هذه فرصة ذهبية ينتهزها علي، فيترك أبا بكر وشأنه، لعله يحدث به حدث فيستريح منه ويصفو الجو له، وإذا كان فوق ذلك - حاشاه الله - من كراهته له، وحرصه على التخلص منه، لأغرى به أحدًا يغتاله، كما يفعل الرجال السياسيون بمنافسيهم وأعدائهم[٣]، وقد كان رأي علي رضي الله عنه مقاتلة المرتدين وقال لأبي بكر لما قال لعلي: ما تقول يا أبا الحسن؟ قال أقول: إنك إن تركت شيئًا مما كان أخذه منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنت على خلاف سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال: أما لئن قلت ذاك؛ لأقاتلنهم وإن منعوني عقالاً[٤].

ثالثا: تقديم علي رضي الله عنه لأبي بكر:

تواترت الأخبار عن علي رضي الله عنه في تفضيله وتقديمه لأبي بكر رضي الله عنه، فمن ذلك:

١- عن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: عمر. وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين[٥].

٢- عن علي رضي الله عنه قال: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها؟ أبو بكر. ثم قال: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد أبي بكر؟ عمر[٦].

---

(١) «المرتضى» للندوي ص(٩٧). (٢) «البداية والنهاية» (٦/ ٣١٤ ـ ٣١٥).

(٣) «المرتضى» للندوي ص(٩٧).

(٤) «المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة» للزمخشري ص (٤٨)، و«الرياض النضرة» ص (٦٧).

(٥) «البخاري».

(٦) «مسند أحمد» (١/ ١٠٦ ، ١١٠ ، ١٢٧)، وصحح أحمد شاكر معظم طرق هذه الأحاديث.

٣- عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: قيل لعلي بن أبي طالب ﷺ: ألا تستخلف علينا؟ قال: ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيرًا فسيجمعهم بعدي على خيرهم، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم[١].

٤- وقال علي ﷺ: لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري[٢].

٥- قول علي لأبي سفيان ﷺ: إنا وجدنا أبا بكر لها أهلاً، وهناك آثار يستأنس بها في إيضاح العلاقة الطيبة بين علي وأبي بكر منها:

(أ) عن عقبة بن الحارث قال: خرجت مع أبي بكر الصديق من صلاة العصر بعد وفاة النبي ﷺ بليالٍ وعلي يمشي إلى جنبه، فمر بحسن بن علي يلعب مع غلمان، فاحتمله على رقبته وهو يقول:

بِأَبِي شَبِيهٌ بالنبي
ليس شَبِيهٌ بعَلِيّ

قال: وعلي يضحك[٣].

(ب) وعن علي ﷺ قال: من فارق الجماعة شبرًا، فقد نزع ربقة الإسلام من عنقه[٤]، فهل كان علي يفعل ذلك؟ كان ﷺ يكره الاختلاف، ويحرص على الجماعة. قال القرطبي: من تأمل ما دار بين أبي بكر وعلي من المعاتبة ومن الاعتذار، وما تضمن ذلك من الاتفاق؛ عرف أن بعضهم كان يعترف بفضل الآخر، وأن قلوبهم كانت متفقة على الاحترام والمحبة، وإن كان الطبع البشري

---

(١) «المستدرك» (٣/ ٧٩) صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
(٢) «فضائل الصحابة» (١/ ٨٣) في سنده ضعف.
(٣) «مسند أحمد»(١/ ١٧٠) إسناده صحيح، وتحقيق: أحمد شاكر.
(٤) «مصنف ابن أبي شيبة»(١٥/ ٢٤) من مرسل أبي طاق الأزدي، وهو صدوق ورجال الإسناد ثقات، و«خلافة أبي بكر الصديق» ص(٨٠).

قد يغلب أحيانًا، لكن الديانة ترد ذلك، والله الموفق[١]. وأما ما قيل من تخلف الزبير بن العوام عن البيعة لأبي بكر، فإنه لم يرد من طريق صحيح، بل ورد ما ينفي هذا القول، ويثبت مبايعته في أول الأمر، وذلك في أثر أبي سعيد السابق الصحيح وغيره من الآثار[٢].

(ج) قال ابن تيمية: وقد تواتر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: خير الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر. وقد روي هذا عنه من طرق كثيرة قيل: إنها تبلغ ثمانين طريقًا. وعنه أنه كان يقول: لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري[٣]. وقال أيضًا: ولم يقل أحد قط إني أحق بهذا - أي الخلافة - من أبي بكر ولا قاله أحد في أحد بعينه: أن فلانًا أحق بهذا الأمر من أبي بكر. وإنما قال من فيه أثر الجاهلية- عربية أو فارسية- أن بيت الرسول صلى الله عليه وسلم أحق بالولاية؛ لأن العرب في جاهليتها كانت تقدم أهل الرؤساء، وكذلك الفرس يقدمون أهل بيت الملك، فنقل عمن نقل عنه كلام يشير به إلى هذا[٤].

(د) تسمية أبي بكر بالصديق وشهادة علي له بالسباق والشجاعة:

عن يحيى بن حكيم بن سعد قال: سمعت عليًا رضي الله عنه يحلف: والله أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق[٥]. وعن صلة بن زفر العبسي قال: كان أبو بكر إذا ذكر عند علي قال: السَّباق تذكرون، والذي نفسي بيده ما استبقنا إلى خير قط إلا سبقنا إليه أبو بكر[٦]، وعن محمد بن عقيل بن أبي طالب قال: خطبنا علي رضي الله عنه فقال: أيها الناس من أشجع الناس؟ قلنا: أنت يا أمير المؤمنين. قال:

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ٤٩٥).
(٢) «خلافة أبي بكر الصديق»، لعبدالعزيز سليمان ص(٨١).
(٣) «منهاج السنة» (٣/ ١٦٢).
(٤) «منهاج السنة» (٣/ ٢٦٩)، و«مرويات أبي مخنف» ص(٣٠٩).
(٥) «المعجم الكبير» للطبراني (١/ ٥٥) رجاله ثقات .
(٦) الطبراني في «الأوسط» (٧/ ٢٠٧ ، ٢٠٨) إسناده ضعيف.

ذاك أبو بكر الصديق، إنه لما كان في يوم بدر وضعنا لرسول الله العريش(١) فقلنا: من يقيم عنده لا يدنو إليه أحد من المشركين؟ فما قام عليه إلا أبو بكر وأنه كان شاهرًا السيف على رأسه كلما دنا إليه أحد هوى عليه أبو بكر بالسيف، ولقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريش عند الكعبة فجلعوا يتعتعونه ويترترونه(٢)، ويقولوا: أنت الذي جعلت الآلهة إلهًا واحدًا، فوالله ما دنا إليه إلا أبو بكر، ولأبي بكر يومئذ ضفيرتان(٣)، فأقبل يجأ(٤) هذا، ويدفع هذا ويقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟! وقطعت إحدى ضفيرتي أبي بكر، فقال علي لأصحابه: ناشدتكم الله أي الرجلين خير، مؤمن آل فرعون أو أبو بكر؟ فأمسك القوم، فقال علي: والله ليوم من أبي بكر خير من مؤمن آل فرعون، ذلك رجل كتم إيمانه فأثنى الله عليه، وهذا أبو بكر بذل نفسه ودمه لله(٥).

رابعا: اقتداء علي بالصديق في الصلوات وقبول الهدايا منه:

إن عليًّا رضي الله عنه كان راضيًا بخلافة الصديق ومشاركًا له في معاملاته وقضاياه، قابلاً منه الهدايا، رافعًا إليه الشكاوى، مصلِّيًا خلفه، محبًّا له، مبغضًا من بغضه(٦)، وشهد بذلك أكبر خصوم الخلفاء الراشدين،وأصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم بهديهم، وسلك بمسلكهم، ونهج بمنهجهم(٧)، فهذا اليعقوبي الشيعي الغالي في تاريخه، يذكر أيام خلافة الصديق فيقول: وأراد أبو بكر أن يغزو الروم فشاور جماعة من أصحاب رسول الله، فقدموا وأخروا فاستشار علي بن أبي طالب فأشار عليه أن يفعل، فقال: إن فعلت ظفرت، فقال: بشرت بخير، فقام أبو بكر في الناس خطيبًا، وأمرهم أن يتجهزوا إلى الروم، وفي رواية سأل الصديق عليًّا كيف ومن أين تبشر؟ قال: من النبي ﷺ، حيث سمعته يبشر

---

(١) العريش: ما يستظل به، وجمعه عروش وعُرُش.
(٢) يترترونه: الترترة: تحريك الشيء.
(٣) ضفيرتان: عقيصتان.
(٤) يجأ: الوجْأ: اللكز.
(٥) «المستدرك» (٣/ ٦٧) صحيح علي شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
(٦) «الشيعة وأهل البيت»، إحسان إلهي ظهير ص(٦٩).
(٧) «الشيعة وأهل البيت» ص(٦٩).

بتلك البشارة، فقال أبو بكر: سررتني بما أسمعتني من رسول الله يا أبا الحسن سرك الله[١]، ويقول اليعقوبي أيضًا: وكان ممن يؤخذ عنه الفقه في أيام أبي بكر عليٌّ بن أبي طالب وعمر ابن الخطاب ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهم[٢]، فقدم عليًّا على جميع أصحابه، وهذا دليل واضح على تعاملهم مع بعضهم، وتقديمهم عليًّا في المشورة[٣] والقضاء، فعندما كتب خالد بن الوليد إلى أبي بكر بقوله له: إنه وجد رجلاً في بعض نواحي العرب يُنكح كما تنكح المرأة، فجمع أبو بكر لذلك أصحاب رسول الله ﷺ منهم علي، فقال علي: إن هذا ذنب لم يعمل به إلا أمة واحدة[٤]، ففعل الله بهم ما قد علمتم، أرى أن تحرقه بالنار، فاجتمع رأي أصحاب رسول الله أن يحرق بالنار، فأمر به أبو بكر أن يحرق بالنار[٥].

وكان علي رضي الله عنه يمتثل أوامر الصديق؛ فعندما جاء وفد من الكفار إلى المدينة، ورأوا بالمسلمين ضعفًا وقلة؛ لذهابهم إلى الجهات المختلفة للجهاد واستئصال شأفة المرتدين والبغاة الطغاة، وأحس منهم الصديق خطرًا على عاصمة الإسلام والمسلمين، أمر الصديق بحراسة المدينة، وجعل الحرس على أنقابها يبيتون بالجيوش، وأمر عليًّا والزبير وطلحة وعبدالله بن مسعود أن يرأسوا هؤلاء الحراس، وبقوا كذلك حتى أمنوا منهم[٦]، وللتعامل الموجود بينهم وللتعاطف والتوادد والوئام الكامل، كان عليّ وهو سيد أهل البيت ووالد سبطي الرسول ﷺ يتقبل الهدايا والتحف دأب الإخوة المتساوين في ما بينهم والمتحابين؛ كما قبل الصهباء الجارية التي سبيت في معركة عين التمر، وولدت له عمر ورقية[٧] وأيضًا منحه الصديق خولة بنت جعفر بن قيس التي أسرت مع

---

(١) «تاريخ اليعقوبي» (٢/ ١٣٢-١٣٣)، نقلاً عن: «الشيعة وأهل البيت» ص(٧٠).

(٢) «تاريخ اليعقوبي» (٢/ ١٣٨) نقلاً عن «الشيعة وأهل البيت» ص(٧٠)

(٣) «الشيعة وأهل البيت» ص(٧٠).

(٤) ألا وهي أمة لوط عليه السلام.

(٥) «المغني والشرح الكبير» (١٢/ ٢٢٠) ،و«المختصر من كتاب الموافقة» ص(٥١).

(٦) «تاريخ الطبري» (٤/ ٦٤)، و«الشيعة وأهل البيت» ص(٧١).

(٧) «الطبقات» (٣/ ٢٠)، و«البداية والنهاية» (٧/ ٣٣١ - ٣٣٣).

من أسر في حرب اليمامة، وولدت له أفضل أولاده بعد الحسن والحسين وهو محمد بن الحنفية، وكانت خولة من سبي أهل الردة، وبها يعرف ابنها ونسب إليها محمد بن الحنفية(١)، يقول الإمام الجويني عن بيعة الصحابة لأبي بكر: وقد اندرجوا تحت الطاعة عن بكرة أبيهم لأبي بكر ﷺ وكان علي ﷺ سامعًا لأمره، وبايع أبا بكر على ملأ من الأشهاد، ونهض إلى غزو بني حنيفة(٢).

ووردت روايات عديدة في قبوله هو وأولاده الهدايا المالية والخمس وأموال الفيء من الصديق ﷺ أجمعين، وكان عليّ هو القاسم والمتولي في عهده على الخمس والفيء وكانت هذه الأموال بيد علي، ثم كانت بيد الحسن، ثم بيد الحسين، ثم الحسن بن الحسن ثم زيد بن الحسن(٣)، وكان علي ﷺ يؤدي الصلوات الخمسة في المسجد خلف الصديق، راضيًا بإمامته، ومظهرًا للناس اتفاقة ووئامه معه(٤)، وكان علي ﷺ يروي عن أبي بكر بعض أحاديث رسول الله ﷺ، فعن أسماء بن الحكم الفزاري قال: سمعت عليًّا ﷺ يقول: كنت إذا سمعت من رسول الله علمًا نفعني الله به، وكان إذا حدثني عنه غيري استحلفته، فإذا حلف صدقته، وحدثني أبو بكر - وصدق أبو بكر - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبد مسلم يذنب ذنبًا ثم يتوضأ، فيحسن الوضوء ثم يصلي ركعتين، ثم يستغفر الله، إلا غفر الله له**»(٥).

ولما قبض رسول الله ﷺ اختلف أصحابه فقالوا: ادفنوه في البقيع(٦)، وقال آخرون: ادفنوه في موضع الجنائز، وقال آخرون: ادفنوه في مقابل أصحابه، فقال أبو بكر: أخروا فإنه لا ينبغي رفع الصوت عند النبي حيًّا ولا ميتًا، فقال عليّ ﷺ: أبو بكر مؤتمن على ما جاء به، قال أبو بكر: عهد إليّ

---

(١) «الطبقات»(٣/ ٢٠) المصدر نفسه.

(٢) «الإرشاد» للجويني ص (٤٢٨) نقلاً عن «أصول مذهب الشيعة»، و«الإمامية الاثنا عشرية» للقفاري (١/ ٨٥).

(٤،٣) «الشيعة وأهل البيت» ص ٧٢.

(٥) «مسند أحمد» رقم (٤٧).

(٦) البقيع: مقبرة أهل المدينة وهي داخل المدينة.

رسول الله ﷺ: «**أنه ليس من نبي يموت إلا دفن حيث يقبض**»[١]، وشهد علي ﷺ للصديق عن عظيم أجره في المصاحف، فعن عبد خير قال: سمعت عليًا يقول: أعظم الناس أجرًا في المصاحف: أبو بكر الصديق، هو أول من جمع بين اللوحين[٢].

خامسًا: الصديق والسيدة فاطمة وميراث النبي ﷺ؟:

قالت عائشة ﷺ: إن فاطمة والعباس ﷺ أتيا أبا بكر ﷺ يلتمسان ميراثهما من رسول الله ﷺ وهما حينئذ يطلبان أرضيهما من فدك وسهميهما من خيبر، فقال لهما أبو بكر: إني سمعت رسول الله يقول: «**لا نُورَث، ما تركنا صدقةٌ، إنما يأكل آل محمد من هذا المال**»[٣] وفي رواية قال أبو بكر ﷺ: . . . لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به؛ فإني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ[٤]، وعن عائشة ﷺ قالت: إن أزواج النبي ﷺ، حين توفي رسول الله، أردن أن يبعثن عثمان بن عفان ﷺ إلى أبي بكر؛ ليسألنه ميراثهن من النبي ﷺ، فقالت عائشة ﷺ لهن: أليس قد قال رسول الله ﷺ: «**لا نورث، ما تركنا صدقة**»[٥]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يقتسم ورثتي دينارًا، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة**»[٦].

وهذا ما فعله أبو بكر الصديق ﷺ مع فاطمة ﷺ امتثالاً لقوله ﷺ، لذلك قال الصديق: لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به[٧] وقال: والله لا أدع أمرًا رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيه إلا صنعته[٨].

---

(١) «مسند أحمد» (١/٨) إسناده ضعيف، قاله: أحمد شاكر، وقال ابن حجر في «الفتح» (١/٦٣١): إسناده صحيح لكنه موقوف.

(٢) «المختصر من كتاب الموافقة» ص(٤٤).

(٣) «البخاري» رقم (٦٧٢٦).

(٤) «مسلم» رقم (١٧٥٩).

(٥) «البخاري» رقم (٦٧٣٠)، و«مسلم» رقم (١٧٥٨).

(٦) «البخاري» رقم (٦٧٢٩).

(٧) «مسلم» (١٧٥٨).

(٨) «البخاري» رقم (٦٧٢٦).

وقد تركت فاطمة رضي الله عنها منازعته بعد احتجاجه بالحديث وبيانه لها، وفيه دليل على قبولها الحق وإذعانها لقوله ﷺ، قال ابن قتيبة(١): وأما منازعة فاطمة أبا بكر رضي الله عنهما في ميراث النبي ﷺ فليس بمنكر؛ لأنها لم تعلم ما قاله رسول الله ﷺ ،وظنت أنها ترثه كما يرث الأولاد آباءهم، فلما أخبرها بقوله كَفَّت(٢)، وقد غالى الرافضة في قصة ميراث النبي ﷺ غلوًّا مفرطًا مجانبين الحق والصواب، معرضين متجاهلين ما ورد من نصوص صحيحة في أنه ﷺ لا يورث، وجعلوا ذلك من أصول الخلاف بين الصحابة وآل البيت رضي الله عنهم أجمعين وامتدادًا لأمر الخلافة، فاتهموا الصحابة رضي الله عنهم بإيقاع الظلم والجور على آل البيت، ولاسيما أبو بكر الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهما اللذين غصبا الخلافة من آل البيت كما في زعمهم وأضافوا إلى ذلك غصب أموال آل البيت، وغصب ما فرض الله لهم من حقوق مالية، ويعتبر الرافضة قضية فدك، ومنع فاطمة من إرثها من أهم القضايا، التي تواطأ عليها الصحابة بعد غصب الصديق رضي الله عنه للخلافة منهم على حد تعبيرهم؛ وذلك حتى لا يميل الناس إلى آل البيت بسبب هذا المال فيجتمعوا عليه ويخلعوه من الخلافة(٣).

والمتتبع لكتب الرافضة في هذه المسألة يجد أنها تنصب على إنكار حديث رسول الله ﷺ: «**نحن -معاشر الأنبياء- لا نورث، ما تركنا صدقة**»(٤) واستقطاب الأدلة لمحاولة إبطاله فمن ذلك:

١ - زعمهم أن هذا الحديث وضعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وفي ذلك يقول الحلي: إن فاطمة لم تقبل بحديث اخترعه أبو بكر من قوله: ما تركنا صدقة، وقال أيضًا: والتجأ في ذلك إلى رواية انفرد بها(٥)، وقال المجلسي بعد أن نص على أن أبا بكر وعمر أخذا فدكًا: ولأجل ذلك وضعوا تلك الرواية الخبيثة

---

(١) «شذرات الذهب» (٢/١٦٩).
(٢) «تأويل مختلف الحديث» ص(١/١٩).
(٣) «العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط» ص(٤٣٥).
(٤) مسلم (١٧٥٨).
(٥) «منهاج الكرامة» المطبوع مع «منهاج السنة» (٤/١٩٣)، نقلاً عن: «العقيدة في أهل البيت».

المفتراة: نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة[١]، ويقول الخميني في ذلك: نقول بأن الحديث المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم لا صحة له، وأنه قيل من أجل استئصال ذرية النبي صلى الله عليه وسلم [٢].

ويجاب على ذلك: بأن هذا القول كذب محض وافتراء واضح؛ إذ هذه الرواية لم ينفرد بها أبو بكر رضي الله عنه؛ بل إن قوله صلى الله عليه وسلم: «**لا نورث، ما تركنا فهو صدقة**». رواه عنه أبوبكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة، والزبير، وسعد وعبدالرحمن بن عوف، والعباس ابن عبد المطلب، وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وأبو هريرة، وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهم أجمعين[٣]، وفي ذلك يقول ابن تيمية: والرواية عن هؤلاء ثابتة في الصحاح، والمسانيد مشهورة يعلمها أهل العلم بالحديث، فقول القائل: إن أبا بكر انفرد بالرواية؛ يدل على فرط جهله أو تعمده الكذب[٤]، وقال ابن كثير - بعد ذكره لمن روى الحديث وأن هذا الزعم من الرافضة باطل-: ولو تفرد بروايته الصديق رضي الله عنه لوجب على جميع أهل الأرض قبول روايته والانقياد له في ذلك[٥].

وقد قال الدكتور سليمان بن رجاء السحيمي صاحب الكتاب القيم «العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط»: ويؤيد هذا ما جاء من كتب الرافضة عن الإمام جعفر الصادق الإمام الخامس المعصوم عندهم فيما رواه الكليني والصفار، والمفيد أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا، سلك الله به طريقًا إلى الجنة، والعلماء أمناء، والأتقياء حصون، والأوصياء سادة، وفضل العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر، وإن العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهمًا، ولكن ورثوا العلم، فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر**»[٦] وفي رواية: «**إن العلماء ورثة الأنبياء، وذلك أن الأنبياء لم يورثوا درهمًا ولا دينارًا، وإنما أورثوا**

---

(١) «حق اليقين» ص ١٩١ نقلا عن «العقيدة في أهل البيت» ص(٤٤٣).
(٢) «كشف الأسرار» للخميني ص(١٣ ـ ١٣٣)، نقلاً عن: «العقيدة في أهل البيت».
(٣) «العقيدة في أهل البيت» ص(٤٤٤).
(٤) «منهاج السنة» (٤/ ١٩٩).
(٥) «البداية والنهاية» (٥/ ٢٥٠).
(٦) «الكافي» للكليني (١/ ٣٢ ـ ٣٤).

أحاديث من أحاديثهم»[١]. وما أرث منك يا رسول الله؟ قال: «ما أورث النبيون».

٢ - زعمهم أن هذا الحديث مخالف لقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ (النساء:١١)، وقالوا: ولم يجعل الله ذلك خاصًّا بالأمة دونه ﷺ[٢].

والحقيقة أن الخطاب شامل للمقصودين بالخطاب، وليس فيه ما يوجب كون النبي ﷺ من المخاطبين به[٣]؛ فهو ﷺ لا يقاس بأحد من البشر، فهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم ولأن الله حرم عليه صدقة الفرض والتطوع، وخص بأشياء لم يخص بها أحد غيره ﷺ، ومما خصه الله به، هو وإخوانه من الأنبياء - عليهم السلام- كونهم لا يورثون، وذلك صيانة من الله لهم؛ لئلا يكون ذلك شبهة لمن يقدح في نبوتهم بأنهم طلبوا الدنيا وخلفوها لورثتهم، أما بقية البشر فلا نبوة لهم يقدح فيها بمثل ذلك، كما صان الله تعالى نبينا ﷺ عن الشعر صيانة لنبوته عن الشبهة وإن كان غيره لم يحتج إلى هذه الصيانة[٤].

وقال ابن كثير في رده على استدلال الرافضة بالآية: إن رسول الله ﷺ قد خص من بين الأنبياء بأحكام لا يشاركونه فيها فلو قدر أن غيره من الأنبياء يورثون - وليس الأمر كذلك- لكان ما رواه الصحابة وعلى رأسهم أبو بكر مبينًا لتخصيصه بهذا الحكم دون من سواه[٥]؛ وبهذا يتبين بطلان استدلالهم بمخالفة الحديث.

٣ - زعمهم أن منع الإرث والاستدلال بهذا الحديث مخالف لقوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ (النمل:١٦). ومخالف لما حكاه الله عن نبيه زكريا عليه السلام:

---

(١) «الكافي» للكليني (١/ ٣٢ - ٣٤)، و«بصائر الدرجات» للصفار (١٠ - ١١) و«الاختصاص المفيد» ص(٤) وانظر: «علم اليقين» للكاشاني (٢/ ٧٤٧ - ٧٤٨) نقلاً عن «العقيدة لأهل البيت» ص(٤٤٤).

(٢) «منهاج الكرامة» المطبوع مع «منهاج السنة» ٤/ ١٩٤).

(٣) «منهاج السنة» (٤/ ١٩٤ - ١٩٥)، و«العقيدة في أهل البيت» ص(٤٤٥).

(٤) «منهاج السنة» (٤/ ١٩٤-١٩٥)، و«العقيدة في أهل البيت» ص(٤٤٥).

(٥) «البداية والنهاية» (٥/ ٢٥٤)، و«العقيدة في أهل البيت» ص(٤٤٦).

﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ (مريم: ٥ ، ٦).

حيث قالوا: إن الميراث يقتضي الأموال وما في معناه، وليس لأحد أن يقول أن المراد بالآية العلم دون المال[1].

ويجاب على ذلك بما يلي: إن الإرث اسم جنس يدخل تحته أنواع، فيستعمل في إرث العلم، والنبوة، والملك، وغير ذلك من أنواع الانتقال. قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ (فاطر: ٣٢). وقال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠ ، ١١) وغير ذلك من الآيات الواردة في هذا الشأن، وإذا كان كذلك فقوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾، وقوله: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ إنما يدل على جنس الإرث، ولايدل على إرث المال؛ وذلك لأن داود عليه السلام كان له أولاد كثيرون غير سليمان، فلا يختص سليمان بماله؛ فدل على أن المراد بهذا الإرث إرث العلم والنبوة ونحو ذلك، لا إرث المال، والآية سيقت في بيان مدح سليمان وما خصه الله به من النعمة، وحصر الإرث في المال لا مدح فيه؛ إذ إن إرث المال من الأمور العادية المشتركة بين الناس، وكذلك قوله تعالى: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ ليس المراد به إرث المال؛ لأنه لا يرث آل يعقوب شيئًا من أموالهم، وإنما يرث ذلك منهم أولادهم وسائر ورثتهم لو ورثوا[2].

كما أن قوله: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي﴾ لا يدل على أن الإرث إرث مال؛ لأن زكريا لم يخف أن يأخذوا ماله من بعده إذا مات؛ فإن هذا ليس بمخوف، وزكريا عليه السلام لم يعرف له مال، بل كان نجارًا يأكل من كسب يده كما في صحيح مسلم[3]، ولم يكن ليدخر منها فوق قوته حتى يسأل الله ولدًا

(١) «منهاج الكرامة» ص(١٠٩) نقلاً عن: «العقيدة في أهل البيت» وغيرها من الكتب «كالطرائف» لابن طاووس ص(٣٤٧).

(٢) «منهاج السنة» (٤/ ٢٢٢ - ٢٢٤).

(٣) «مسلم» رقم (٢٣٧٩) . .

يرث عنه ماله، فدل على أن المراد بالوراثة في هاتين الآيتين وراثة النبوة، والقيام مقامه[١].

يقول القرطبي في تفسيره للآية: وعليه فلم يسل من يرث ماله؛ لأن الأنبياء لا تورث، وهذا هو الصحيح من القولين في تأويل الآية، وأنه عليه الصلاة والسلام أراد وراثة العلم والنبوة، لاوراثة المال لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا صدقة**»[٢]، وهذا الحديث يدخل في التفسير المسند لقوله تعالى: ﴿**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ**﴾، وعبارة من قول زكريا: ﴿**فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا**﴾ وتخصيص للعموم في ذلك، وأن سليمان لم يرث من داود مالاً خلفه داود بعده، وإنما ورث منه الحكمة والعلم، وكذلك ورث يحيى من آل يعقوب، وهكذا قال أهل العلم بتأويل القرآن ما عدا الروافض[٣].

ومما تجدر الإشارة إليه أن الرافضة خالفوا ما استدلوا به على وجوب الميراث وذلك أنهم حصروا ميراثه ﷺ في فاطمة رضي الله عنها فزعموا أنه لم يرث النبي ﷺ، إلا هي، فأخرجوا أزواجه وعصبته مخالفين عموم الآيات التي استدلوا بها، فقد روى الصدوق بسنده عن أبي جعفر الباقر قوله: لا والله ما ورث رسول الله ﷺ العباس ولا علي، ولا ورثته إلا فاطمة عليها السلام، وما كان أخذ علي عليه السلام السلاح وغيره إلا أنه قضى عنه دينه[٤] وروى الكليني والصدوق والطوسي بأسانيدهم إلى الباقر أيضًا قوله: وورث علي عليه السلام من رسول الله ﷺ علمه، وورثت فاطمة عليها السلام تركته[٥]، بل وأخرجوا حتى فاطمة من ذلك، حيث زعموا أن النساء لا يرثن العقار، فقد بوب الكليني

---

(١) «منهاج السنة» (٤/ ٢٢٥)، و«البداية والنهاية» (٥/ ٢٥٣)، و«العقيدة في أهل البيت» ص(٤٤٨).

(٢) «مسلم» رقم (١٧٥٨).

(٣) «تفسير القرطبي» (١١/ ٣٥ - ٤٥).

(٤) «من لا يحضره الفقيه »(٤/ ١٩٠ - ١٩٩١)، و«العقيدة في أهل البيت» ص(٤٥١).

(٥) «الكافي» للكليني (٢/ ٢٥٩)، و«العقيدة في أهل البيت» ص(٤٥١).

في كتابه الكافي بابًا بعنوان: أن النساء لا يرثن من العقار شيئًا وساق تحته روايات منها: عن أبي جعفر الصادق أنه قال: «النساء لا يرثن من الأرض ولا من العقار شيئًا»(١).

روى الصدوق بسنده إلى ميسر قال: سألته -يقصد الصادق- عن النساء ما لهن في الميراث؟ فقال: أما الأرض والعقارات فلا ميراث لهن فيه(٢)، وبهذا يتبين عدم استحقاق فاطمة رضي الله عنها شيئًا من الميراث، بدون الاستدلال بحديث: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث**»(٣). فما دامت المرأة لا ترث العقار والأرض، فكيف كان لفاطمة أن تسأل فدك - على حسب قولهم - وهي عقار لا ريب فيه؟(٤)، وهذا دليل كذبهم وتناقضهم فضلاً عن جهلهم(٥).

وأما ما زعموه من كون الصديق رضي الله عنه سأل فاطمة أن تحضر شهودًا، فأحضرت عليًّا وأم أيمن فلم يقبل شهادتهما فهو من الكذب البين الواضح، قال حماد بن إسحاق: فأما ما يحكيه قوم: أن فاطمة عليها السلام طلبت فدك، وذكرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطعها إياها، وشهد لها علي عليه السلام فلم يقبل أبوبكر شهادته؛ لأنه زوجها، فهذا أمر لا أصل له ولا تثبت به رواية أنها ادعت ذلك، وإنما هو أمر مفتعل لا ثبت فيه(٦).

٤ - إن السنة والإجماع قد دلا على أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يورث:

قال ابن تيمية: كون النبي صلى الله عليه وسلم لا يورث ثبت بالسنة المقطوع بها، وبإجماع الصحابة، وكل منهما دليل قطعي، فلا يعارض ذلك بما يظن أنه عموم، وإن كان عمومًا فهو مخصوص؛ لأن ذلك لو كان دليلاً لما كان إلا ظنيًّا فلا يعارض القطعي؛ إذ الظني لا يعارض القطعي، وذلك أن هذا الخبر رواه غير واحد من الصحابة في أوقات ومجالس، وليس فيهم من ينكره بل كلهم تلقاه

---

(١) «الكافي» للكليني (٧/ ١٣٧)، و«العقيدة في أهل البيت» ص(٤٥١).
(٢) «الشيعة وأهل البيت» ص(٨٩).
(٣) «مسلم» (١٧٦٨).
(٤) «الشيعة وأهل البيت» ص(٩٨).
(٥) «العقيدة في أهل البيت» ص(٤٥٢).
(٦) «منهاج السنة» (٤/ ٢٣٦ - ٢٣٨).

بالقبول والتصديق، ولهذا لم يصرّ أحد من أزواجه على طلب الميراث، ولا أصرّ العمّ على طلب الميراث، بل من طلب من ذلك شيئًا فأخبر بقول النبي ﷺ رجع عن طلبه، واستمر الأمر على ذلك على عهد الخلفاء الراشدين إلى علي، فلم يغير من ذلك شيئًا، ولا قسم له تركة[1] قال ابن تيمية: قد تولى الخلافة (عليٌّ) بعد ذي النورين عثمان، وصار فدك وغيرها تحت حكمه، ولم يعط منها شيئًا لأحد من أولاد فاطمة ولا من زوجات النبي ﷺ ولا ولد العباس فلو كان ظلمًا، وقدر على إزالته لكان هذا أهون عليه من قتال معاوية وجيوشه، أفتراه يقاتل معاوية مع ما جرى في ذلك من الشر العظيم ولا يعطي هؤلاء قليلاً من المال، وأمره أهون بكثير؟[2]، وبإجماع الخلفاء الراشدين على ذلك احتج الخليفة العباسي أبو العباس السفاح على بعض مناظريه في هذه المسألة على ما نقل ابن الجوزي في تلبيس إبليس قال: وقد روينا عن السفاح أنه خطب يومًا فقام رجل من آل علي رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين أعني على من ظلمني قال: ومن ظلمك؟ قال: أنا من أولاد علي رضي الله عنه والذي ظلمني أبو بكر رضي الله عنه حين أخذ فدك من فاطمة، قال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم، قال: ومن قام بعده؟ قال: عمر رضي الله عنه، قال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم، قال: ومن قام بعده؟ قال: عثمان رضي الله عنه، قال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم، قال: ومن قام بعده؟ فجعل يلتفت كذا وكذا ينظر مكانًا يهرب منه[3].

وبتصويب أبي بكر رضي الله عنه في اجتهاده صرح بعض أولاد علي من فاطمة رضي الله عنهم على ما روى البيهقي بسنده عن فضيل بن مرزوق قال: قال زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب: أما لو كنت مكان أبي بكر، لحكمت بما حكم به أبو بكر في فدك[4]، كما نقل أبو العباس القرطبي اتفاق أهل البيت، بدأ بعلي رضي الله عنه ومن جاء بعده من أولاده، ثم أولاد العباس الذين كانت بأيديهم صدقه رسول الله ﷺ، أنهم ما كانوا يرون تملكها، وإنما كانوا ينفقونها في سبيل الله

---

(١) «منهاج السنة» (٤/ ٢٢٠). (٢) «منهاج السنة»(٦/ ٣٤٧). (٣) «تلبيس إبليس» ص١٣٥.

(٤) «تاريخ المدينة» لابن شبة (١/ ٢٠٠)، و«البداية والنهاية» (٥/ ٢٥٣).

قال - رحمه الله-: إن عليًّا لما ولي الخلافة ولم يغيرها عمنا عمل فيها في عهد أبي بكر، وعمر، وعثمان، ولم يتعرض لتملكها، ولا لقسمة شيء منها، بل كان يصرفها في الوجوه التي كان من قبله يصرفها فيها، ثم كانت بيد الحسن بن علي، ثم بيد الحسين بن علي، ثم بيد علي بن الحسين، ثم بيد الحسين ابن الحسن، ثم بيد زيد بن الحسين، ثم بيد عبد الله بن الحسين، ثم تولاها بنو العباس على ما ذكره أبو بكر البرقاني في صحيحه، وهؤلاء كبراء أهل البيت رضي الله عنهم وهم معتمدون عند الشيعة وأئمتهم، لم يرو عن واحد منهم أنه تملكها ولا ورثها ولا ورثت عنه، فلو كان ما يقوله الشيعة حقًّا لأخذها علي أو أحد من أهل بيته لما ظفروا بها، ولم فلا[1].

وقال ابن تيمية: قد تولى الخلافة بعد ذي النورين عثمان، وصار فدك وغيرها تحت حكمه، ولم يعط منها شيئًا لأحد من أولاد فاطمة، ولا من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، ولا ولد العباس، فلو كان ظلمًا، وقدر على إزالته لكان هذا أهون عليه من قتال معاوية وجيوشه أفتراه يقاتل معاوية مع ما جري في ذلك من الشر العظيم ولا يعطي هؤلاء قليلاً من المال، وأمره أهون بكثير[2]؟ .

وقال ابن كثير: وقد تكلمت الرافضة في هذا المقام بجهل، وتكلفوا مالا علم لهم به، وكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، ولما يأتهم تأويله، وأدخلوا أنفسهم فيما لا يعنيهم[3]، فلو تفهموا الأمور على ما هي عليه لعرفوا للصديق فضله، وقبلوا منه عذره الذي يجب على كل أحد قبوله، ولكنهم طائفة مخذولة، وفرقة مرذولة، يتمسكون بالمتشابه، ويتركون الأمور المقدرة عند أئمة الإسلام من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من العلماء المعتبرين في سائر الأعصار والأمصار رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين[4].

٥ - تسامح السيدة فاطمة رضي الله عنها مع أبي بكر رضي الله عنه:

وقد ثبت عن فاطمة رضي الله عنها أنها رضيت عن أبي بكر بعد ذلك، وماتت وهي

---

(١) «المفهم» للقرطبي (٣/ ٥٦٤).

(٢) «منهاج السنة» (٦/ ٣٤٧).

(٣) «البداية والنهاية» (٥/ ٢٥٣).

(٤) المصدر نفسه (٥/ ٢٥١).

راضية عنه، على ما روى البيهقي بسنـده عن الشعبي أنه قال: لما مرضت فاطمة أتاها أبو بكر الصديق فاستأذن عليها، فـقال علي: يا فاطمة هذا أبو بكر يستأذن عليك؟، فـقـالت: أتحب أن آذن له؟ قـال: نعم، فـأذنت له، فـدخل عليـهـا يترضاها، فقال: والله ما تركت الدار والمال، والأهل والعشيرة، إلا ابتغاء مرضاة الله، ومرضاة رسوله، ومرضاتكم أهل البيت، ثم ترضاها حتى رضيت[1]. قال ابن كثير: وهذا إسناد جـيد قوي، والظاهر أن عامر الشعـبي سمعه من علي أو ممن سمعه من علي ﷺ[2].

وبهذا تندحض مطاعن الرافضة على أبي بكر التي يعلقونها على غضب فاطمة عليه، فلئن كانت غضبت على أبي بكر في بداية الأمـر فقد رضيت عنه بعد ذلك، وماتت وهي راضية عنه، ولا يسع أحد صادق في مـحبته لها، إلا أن يرضى عمن رضيت عنه[3]، ولا يعارض هذا ما ثـبت في حديث عائشة: «إنما يأكل آل مـحمد ﷺ من هذا المال، وإني والله لا أغـير شـيئًـا من صدقة رسـول الله ﷺ عن حالها التي كـانت عليها في عهـد رسول الله ﷺ، ولأعملن فيـها بما عمل به رسول الله ﷺ، فـأبى أبو بكر أن يدفع لفاطمة منـها شيئًـا، فوجدت فـاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت»[4]، فإن هذا بحسب علم عائشـة ﷺ راوية الحديث، وفي حديث الشعـبي زيادة علم، وثبوت زيادة أبي بكر لها وكلامـها له ورضاها عنه، فعائشة ﷺ نفت والشـعبي أثبت، ومعلوم لدى العلماء أن قول المثبت مقدم على قول النافي؛ لأن احتمـال الثبوت حصل بغير علم النافي، خصوصًا في مثل هذه المسألة؛ فإن عيادة أبي بكر لفاطمة ﷺ ليست من الأحـداث الكبيرة التي تشـيع في الناس، ويطلع عليها الجـميع، وإنما هي من الأمور الـعادية التي تخفـى على من لم يشهدهـا، والتي لا يعبأ بنـقلها لعدم الحاجة لذكرها. على أن الذي ذكره العلمـاء أن فاطمة ﷺ لم تتعمد هجر أبي بكر ﷺ أصـلاً، ومثلها ينزه عن ذلـك لنهي النبي ﷺ عن الهجـر فوق

---

(١) «السنن الكبرى» للبيهقي (٦/ ٣٠١).
(٢) «البداية والنهاية» (٥/ ٢٥٣).
(٣) «الانتصار للصحب والآل» ص(٤٣٤).
(٤) «البخاري» رقم (٤٢٤٠).

ثلاث، وإنما لم تكلمه لعدم الحاجة لذلك[١]، قال القرطبي صاحب «المفهم» في سياق شرحه لحديث عائشة المتقدم: ثم إنها -أي فاطمة- لم تلتق بأبي بكر لشغلها بمصيبتها برسول الله ﷺ ولملازمتها بيتها، فعبر الراوي عن ذلك بالهجران، وإلا فقد قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث**»[٢] وهي أعلم الناس بما يحل من ذلك ويحرم، وأبعد الناس عن مخالفة رسول الله ﷺ، كيف لا يكون كذلك وهي بضعة من رسول الله ﷺ وسيدة نساء أهل الجنة؟![٣].

وقال النووي: وأما ما ذكر من هجران فاطمة أبا بكر رضي الله عنهما فمعناه: انقباضها عن لقائه، وليس هذا من الهجران المحرم، الذي هو ترك السلام والإعراض عند اللقاء، وقوله في هذا الحديث: (فلم تكلمه) يعني في هذا الأمر، أو لانقباضها فلم تطلب منه حاجة ولا اضطرت إلى لقائه فتكلمه، ولم ينقل قط أنهما التقيا فلم تسلم عليه ولا كلمته[٤]، لقد انشغلت فاطمة رضي الله عنها عن كل شيء بحزنها لفقدها أكرم الخلق، وهي مصيبة تزري بكل المصائب، كما أنها انشغلت بمرضها الذي ألزمها الفراش عن أية مشاركة في أي شأن من الشؤون فضلاً عن لقاء خليفة المسلمين المشغول - لكل لحظة من لحظاته - بشؤون الأمة، وحروب الردة وغيرها، كما أنها كانت تعلم بقرب لحوقها بأبيها؛ فقد أخبرها رسول الله ﷺ بأنها أول من يلحق به من أهله[٥]، ومن كان في مثل علمها لا يخطر بباله أمور الدنيا، وما أحسن قول المهلب الذي نقله العيني: ولم يرو أحد أنهما التقيا وامتنعا عن التسليم، وإنما لازمت بيتها، فعبر الراوي عن ذلك بالهجران[٦].

ومما يدل على أن العلاقة كانت وطيدة بين الصديق والسيدة فاطمة إلى حد أن زوجة أبي بكر أسماء بنت عميس، هي التي كانت تمرض فاطمة بنت النبي

---

(١) «الانتصار للصحب والآل» ص(٤٣٤).
(٢) «البخاري» رقم (٦٠٧٧).
(٣) «المفهم» (١٢/ ٧٣).
(٤) «شرح صحيح مسلم» (١٢/ ٧٣).
(٥) «مسلم» رقم (٢٤٥٠).
(٦) «أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ» ص(١٠٨).

ﷺ في مرض موتها، وكانت معها حتى الأنفاس الأخيرة، وشاركت في غسلها وترحيلها إلى مثواها، وكان علي ﷺ يمرضها بنفسه وتعينه على ذلك أسماء بنت عميس ﷺ، وقد وصتها بوصايا في كفنها ودفنها وتشييع جنازتها. فعملت أسماء بها[١]، فقد قالت السيدة فاطمة لأسماء: إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء أنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها، فقالت أسماء: يا بنت رسول الله ﷺ، ألا أريك شيئًا رأيته بأرض الحبشة، فدعت بجرائد رطبة؛ فحنتها ثم طرحت عليها ثوبا، فقالت فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله، به تعرف المرأة من الرجال[٢].

وعن ابن عبد البر: فاطمة ﷺ أول من غطي نعشها في الإسلام، ثم زينب بنت جحش، وكان الصديق دائم الاتصال بعلي من ناحية؛ ليسأله عن أحوال بنت النبي ﷺ خلاف ما يزعمه القوم، فمرضت -أي فاطمة ﷺ- وكان علي يصلي في المسجد الصلوات الخمس، فلما صلى قال له أبو بكر وعمر: كيف بنت رسول الله؟ ومن ناحية أخرى من زوجته أسماء حيث كانت هي المشرفة والممرضة الحقيقية لها، ولما قبضت فاطمة من يومها فارتجت المدينة بالبكاء من الرجال والنساء، ودهش الناس كيوم قبض فيه رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر وعمر يعزيان عليًّا ويقولان: يا أبا الحسن، لا تسبقنا بالصلاة على ابنة رسول الله ﷺ[٣]، وقد توفيت ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة من الهجرة، عن مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي ابن الحسين، قال: ماتت فاطمة بين المغرب والعشاء، فحضرها أبو بكر وعمر وعثمان والزبير وعبد الرحمن بن عوف ﷺ، فلما وضعت ليصلى عليها، قال علي: تقدم يا أبا بكر، قال أبو بكر ﷺ: وأنت يا أبا الحسن؟ قال: نعم، فوالله لا يصلي عليها غيرك، فصلى عليها أبوبكر ﷺ ودفنت ليلاً، وجاء في رواية: صلى أبو بكر الصديق ﷺ على فاطمة بنت رسول الله ﷺ فكبر عليها

(١) «الشيعة وأهل البيت» ص(٧٧). (٢) «الاستيعاب» (٤/ ٣٧٨).
(٣) «الشيعة وأهل البيت» ص(٧٧)، كتاب سليم بن قيس ص(٢٥٥).

أربعًا[١]، وفي رواية مسلم: صلى عليها علي بن أبي طالب وهي الرواية الراجحة[٢].

ولقد أجاد وأفاد محمد إقبال في قصيدته العصماء (فاطمة الزهراء) فقال:

نَسَبُ المَسِيحِ بَنَى لِمَرْيَمَ سِيرَةً
بَقِيَتْ عَلَى طُولِ المَدَى ذِكْرَاهَا
والمَجْدُ يُشْرِفُ مِنْ ثَلاث مَطَالِعٍ
فِي مَهْدِ فَاطِمَةَ فَمَا أَعْلاَهَا
هِيَ بِنْتُ مَنْ هِيَ زَوْجُ مَنْ هِيَ أُمُّ مَنْ
مَنْ ذَا يُدَانِي فِي الفَخَارِ أَبَاهَا
هي وَمْضَةٌ مِنْ نُورِ عَيْنِ المُصْطَفَى
هَادِي الشُّعُوبِ إِذَا تَرُومُ هُدَاهَا
مَنْ أَيْقَظَ الفِطَرَ النِّيَامَ بِرَوْحِهِ
وَكَأَنَّهُ بَعْدَ البَلَى أَحْيَاهَا
وَأَعَادَ تَارِيخَ الحَيَاةِ جَدِيدَةً
مِثْلَ العَرَائِسِ فِي جَدِيدِ حُلاَهَا
هِيَ أُسْوَةٌ لِلأُمَّهَاتِ وقُدْوَةٌ
يتَرَسَّمُ القَمَرُ المُنِيرُ خُطَاهَا
جَعَلَتْ مِنَ الصَّبْرِ الجَمِيلِ غِذَاءَهَا
ورأَتْ رِضَى الزَّوجِ الكَرِيمِ رِضَاهَا

---

(١) «المختصر من كتاب الموافقة» ص(٦٨) في سنده ضعف.

(٢) «مسلم» رقم (١٧٥٩).

إلى أن قال:

لَوْلاَ وُقُوفِي عِنْدَ شَرْعِ الْمُصْطَفَى
وَحُدُودِ شِرْعَتِهِ ونَحْنُ فِدَاهَا
لَمَضَيْتُ للتِّطْوَافِ حَوْلَ ضَرِيحِهَا
وَغَمَرْتُ بالقُبُلاتِ طِيْبَ ثَرَاهَا [١]

سادسا: مصاهرات بين الصديق وأهل البيت وتسمية أهل البيت بعض أبنائهم باسم أبي بكر:

كانت صلة سيدنا أبي بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ بأعضاء أهل البيت، صلة ودية تقديرية تليق به وبهم، كانت هذه المودة والثقة متبادلة، وكانت من المتانة بحيث لا يتصور معها التباعد والاختلاف مهما نسج المتآمرون الأساطير والأباطيل، فالصديقة عائشة بنت الصديق بنت أبي بكر رضي الله عنه كانت زوجة النبي ﷺ، ومن أحب الناس إليه، مهما احترق الحساد ونقم المخالفون، فإنها حقيقة ثابتة، وهي طاهرة مطهرة بشهادة القرآن مهما جحدها المبطلون وأنكرها المنكرون، ثم أسماء بنت عميس التي كانت زوجة لجعفر بن أبي طالب شقيق علي، فمات عنها وتزوجها الصديق وولدت له ولدًا سماه محمدًا الذي ولاه علي مصر، ولما مات أبو بكر تزوجها علي بن أبي طالب فولدت له ولدًا سماه يحيى[٢]. وحفيدة الصديق كانت متزوجة من محمد الباقر - الإمام الخامس عند الروافض وحفيد علي رضي الله عنه- وقد نقل الأستاذ إحسان إلهي ظهير من كتب الروافض ما يثبت التلاحم والمصاهرة بين بيت النبوة وبيت الصديق، فقد أثبت بأن قاسم بن محمد بن أبي بكر حفيد أبي بكر، وعلي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب حفيد علي كانا ابني خالة، فأم قاسم بن محمد وعلي ابن الحسين هما بنتي يزدجرد بن شهريار بن

---

(١) «الدوحة النبوية الشريفة» ص(٦٢ ، ٦٣)

(٢) «خلافة علي بن أبي طالب»، و«ترتيب وتهذيب كتاب البداية والنهاية» للسُّلمي ص(٢٢).

كسرى اللتين كانتا من سبايا الفرس في عهد عمر رضي الله عنه، وتوسع إحسان إلهي ظهير في إثبات المصاهرات وعلاقات المودة والتراحم والاحترام المتبادل بين أهل البيت وبيت الصديق[١]، وكان من حب أهل البيت للصديق والتوادد ما بينهم أنهم سموا أبنائهم بأسماء أبي بكر رضي الله عنه، فأولهم علي بن أبي طالب حيث سمى أحد أبنائه بأبي بكر، وهذا دليل على حب ومؤاخاة وإعظام وتقدير علي للصديق رضي الله عنهما، والجدير بالذكر أنه ولد له هذا الولد بعد تولية الصديق الخلافة والإمامة، بل وبعد وفاته كما هو معروف بداهة، وهل يوجد في الشيعة اليوم المتزعمين حب علي وأولاده رجل يسمى بهذا الاسم، وهل هم موالون له أم مخالفون؟ وعلي رضي الله عنه لم يسم بهذا الاسم ابنه إلاَّ متيمنًا بالصديق وإظهارًا له المحبة والوفاء، وحتى بعد وفاته وإلاَّ فلا يوجد في بني هاشم رجل قبل علي سمى ابنه بهذا الاسم، ثم لم يقتصر عليّ بهذا التيمن والتبرك وإظهار المحبة والصداقة للصديق، بل بعده بنوه أيضًا مشوا مشيه ونهجوا منهجه، فالحسن والحسين، سميا كل واحد منهما أحد أولادهما بأبي بكر، فقد ذكر ذلك اليعقوبي والمسعودي وهما من مؤرخي الروافض[٢].

واستمر أهل البيت يسمون من أسماء أولادهم بأبي بكر، فقد سمى ابنُ أخ علي بن أبي طالب رضي الله عنه -وهو عبد الله بن جعفر الطيار بن أبي طالب فإنه سمى- أحد أبنائه باسم أبي بكر، وهذا من إحدى علائم الحب والود بين القوم، خلاف ما يزعمه الروافض اليوم من العداوة والبغضاء والقتال الشديد والجدال الدائم بينهم[٣]. وقد كان جعفر بن محمد بن عليّ ابن الحسين الذي يلقب بالصادق عند الشيعة الروافض يقول: ولدني أبوبكر مرتين[٤]، فأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، كان أحد فقهاء المدينة السبعة تربى في حجر أم المؤمنين عائشة، وأما أمها فهي أسماء بنت

---

(١) «الشيعة وأهل البيت» ص (٧٨ الى ٨٣)

(٢) «تاريخ اليعقوبي» (٢/٢٢٨)، و«التنبيه والأشراف» ص(٨٢)

(٣) «الشيعة وأهل البيت» ص(٨٣)، و«الدّر المنثور من تراث أهل البيت والصحابة» السيد علاء الدين المدرِّس ص (٣٨ - ٤٤)، و«رحماء بينهم» صالح بن عبد الله الدرويش.

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٢٥٤).

عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق وكان جعفر يغضب من الرافضة ويمقتهم إذا علم أنهم يتعرضون لجده أبي بكر، فكيف يرضى من يدعي محبة جعفر وآل البيت أن يلعن جد جعفر؟.

وعن عروة بن عبدالله قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حلية السيوف؟ فقال: لا بأس به، قد حَلىَّ أبوبكر الصديق سيفه، قال: قلت: وتقول الصديق؟ قال: فوثب وثبة واستقبل القبلة، ثم قال: نعم الصديق، نعم الصِّديق، نعم الصِّديق، من لم يقل له: الصِّديق، فلا صَدَّق الله له قولاً في الدُّنيا والآخرة[١].

سابعا: علي رضي الله عنه في وفاة الصديق:

كان علي رضي الله عنه من ضمن من استشارهم الصديق فيمن يتولى الخلافة بعده، وكان رأي علي أن يتولى الخلافة بعد الصديق الفاروق[٢]، ولما حان الرحيل ونزل الموت بأبي بكر، كان آخر ما تكلم به الصديق في هذه الدنيا قول الله تعالى: ﴿**تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾ (يوسف:١٠١). وارتجت المدينة لوفاة أبي بكر الصديق، ولم تر المدينة منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم يومًا، أكثر باكيًا وباكية من ذلك المساء الحزين، وأقبل علي بن أبي طالب مسرعًا، باكيًا، مسترجعًا، ووقف على البيت الذي فيه أبو بكر فقال: رحمك الله يا أبا بكر، كنت إلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنيسه ومستراحه وثقته وموضع سره ومشاورته، وكنت أول القوم إسلامًا، وأخلصهم يقينًا، وأشدهم لله يقينًا، وأخوفهم لله، وأعظمهم غناء في دين الله عز وجل، وأحوطهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحدبهم على الإسلام، وأحسنهم صحبة، وأكثرهم مناقب، وأفضلهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأقربهم وسيلة، وأشبههم برسول الله هديًا وسمتًا، وأشرفهم منزلة، وأرفعهم عندهم، وأكرمهم عليه، فجزاك الله عن رسول الله وعن الإسلام أفضل الجزاء.

---

(١) «صفة الصفوة» (٢/١٠٩ ـ ١١٠)، و«مختصر الاثنا عشرية» ص(٣٤).

(٢) «الكامل» لابن الأثير (٢/٧٩)، و«المختصر من كتاب الموافقة» للزمخشري ص(٧٠ إلى ١٠٠).

صدَّقت رسـول الله حين كذبه الناس، وكنت عـنده بمنزلة السمع والبـصر، سمـاك الله في تنزيله صديقًا، فـقال: ﴿**وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾ (الزمر:٣٣)، واسيته حين بخلوا، وقمت مـعه على المكاره حين قعدوا، وصحـبته في الشدة أكـرم الصحبة، ثاني اثـنين صاحبه في الغـار، والمنزل عليه السكينة، ورفيقه فـي الهجرة، وخليفته في دين الله، وأمتـه أحسن الخلافة حين ارتدوا، فقـمت بالأمر ما لم يقم به خليـفة نبي، ونهضت حين وهن أصـحابه، وبرزت حين استكانوا، وقـويت حين ضعفوا، ولزمت منـهاج رسول الله ﷺ إذ وهنوا، وكنت كمـا قال رسـول الله ﷺ ضعيـفًا في بدنك، قويًّا في أمر الله، متواضعًا في نفسك، عظيمًـا عند الله تعالى، جليلاً في أعين الناس، كبيرًا في أنفسهم، لم يكن لأحـدهم فيك مغمز، ولا لقائل فـيك مهمز، ولا لمخلوق عندك هوادة، الضعيف عندك قوي عزيز حتى تأخذ بحقه، القريب والبعيد عندك سواء، وأقرب الناس عندك أطوعهم لله عز وجل وأتقاهم، شأنك الحق والصدق والرفق، قولك حكم وحتم، وأمرك حلم وحزم، ورأيك علم وعزم، اعتدل بك الدين، وقـوي بك الإيمان، وظهر أمـر الله، فسـبقت - والله - سـبقًـا بعيـدًا، وأتعبـت من بعدك إتعـابًا شديدًا، وفـزت بالخير فـوزًا مبـينًا، فإنا لله وإنـا إليه راجعـون، رضينا عن الله عـز وجل قضـاءه، وسلمنا له أمره، والله لـن يصاب المسلمون بعـد رسول الله بمثلك أبدًا، كنت للدين عزًّا، وحرزًا، وكهفًـا فألحقك الله عز وجل بنبيك محمـد ﷺ، ولاحرمنا أجرك، ولا أضلنا بعدك، فسكت الناس حـتى قضى كلامـه، ثم بكوا حتى عـلت أصواتهم وقالـوا: صدقت[١]، وجاء في رواية: أن عليًّا قال عندما دخل على أبي بكر بعدما سُجِّي: ما أحد الله بصحيفته أحب إليَّ من هذا المسجَّى[٢].

۞۞۞

(١) (التبصرة) لابن الجوزي (١/٤٧٧ - ٤٧٩) نقلاً عن: «أصحاب الرسول» (١/١٠٨).

(٢) «تاريخ الذهبي»، عهد الخلفاء الراشدين ص(١٢٠).

المبحث الثاني
علي رضي الله عنه في عهد الفاروق

كان علي ﷺ عضوًا بارزًا في مجلس شـورى الدولة العمرية، بل كان هو المستشار الأول، فقد كان عمر ﷺ يعرف لعلي فضله، وفقهه، وحكمته، وكان رأيه فيه حسنًا، فقد ثبـت قوله فيه: أقضانا علي[١]، وقال ابن الجوزي: كان أبو بكر وعمـر يشاورانه، وكـان عمـر يقول: أعوذ بالله مـن معضلة ليـس لها أبو الحسن[٢]، وقال مسـروق: كان الناس يأخذون عن ستة: عمـر وعلي وعبد الله وأبي موسى وزيـد بن ثابت، وأبي بن كعب، وقـال: شاممت أصحـاب محـمد ﷺ فوجدت علمهم انتهى إلى ستة نفر: عمر وعلي وعبد الله وأبي الدرداء وأبي بن كعب وزيد بن ثابت، ثم شاممت هؤلاء الستة فوجدت علمهم انتهى إلى رجلين منهم: إلى علي، وعبد الله[٣]، وقال أيضا: انتهى العلم إلى ثلاثة، عالم بالمدينة، وعالم بالشام، وعالم بالعراق، فعالم المدينة علي بن أبي طالب، وعالم الكوفة عبد الله بن مسعود، وعالم الشام أبو الدرداء، فإذا التقوا سأل عالم الشام وعالم العراق، عالم المدينة ولم يسألهم[٤]، فكان علي من هؤلاء المقربين، يشد من أزر أخيه، ولا يبخل عليه برأيه، ويجتهد معه في إيجاد حلول للقضايا، التي لم يرد فيـها نص، وفي تنظيم أمور الدولة الفتـية، والشواهد على ذلك كـثيرة، نذكر منها:

أولاً: ففي الأمور القضائية:

١ - امرأة تعتريها نوبات من الجنون:

عن أبي ظبـيان الجـنبي: أن عمـر بن الخطاب أُتِيَ بامـرأة قـد زنت، فأمـر

(١) «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» ص (١١٠٢)، و«المعرفة والتاريخ» (١/ ٤٨١).
(٢) «فضائل الصحابة» رقم (١١٠٠) إسناده ضعيف.
(٣) «علل الحديث ومعرفة الرجال»، - علي بن المديني ص(٤٢، ٤٣) نقلاً عن «خلافة علي بن أبي طالب» - عبدالحميد علي ص (٧٠)، و«البخاري» رقم (٤٤٨١).
(٤) «المعرفة والتاريخ» للفسوي (١/ ٤٤٤).

برجمها، فذهبوا بها ليرجموها، فلقيهم عليٌّ رضي الله عنه، فقال: ما هذه؟ قالوا: زنت فأمر عمر برجمها، فانتزعها عليٌّ من أيديهم وردّهم، فرجعوا إلى عمر، فقال: ما ردّكم؟ قالوا: ردّنا عليٌّ. قال: ما فعل هذا عليٌّ إلا لشيء قد علمه، فأرسل إلى عليٍّ، فجاء وهو شبه المغضب، فقال: مالك رَدَدْتَ هؤلاء؟ قال: أما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المُبتلى حتى يعقل؟**» قال: بلى. قال عليٌّ: فإن هذه مبتلاة بني فلان، فلعله أتاها وهو بها. فقال عمر: لا أدري. قال: وأنا لا أدري، فلم يرجمها[1]، فقد كان عمر لا يعلم بأنها مجنونة.

٢ - مضاعفة الحد لمن شرب الخمر:

أخذ عمر برأي علي رضي الله عنهما في مضاعفة الحد لمن شرب الخمر؛ وذلك لانتشار شرب الخمر، وخاصة في البلاد المفتوحة، وهي حديثة العهد بالإسلام، فأشار علي على عمر رضي الله عنهما بأن يجلد فيها ثمانين، كأخف الحدود، وعلل ذلك بقوله: نراه إذا سكر هذي وإذا هذي افترى، وعلى المفتري ثمانون[2]، وقد ثبت عن علي رضي الله عنه أنه قال: ما كنت أقيم حدًّا على أحد، فيموت، وأجد في نفسي، إلاَّ صاحب الخمر؛ فإنه لو مات وديته؛ وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسنه[3]، وأوّل البيهقي قوله: (لم يسنه) زيادة على الأربعين، أو لم يسنه بالسياط، وقد سنه بالنعال وأطراف الثياب مقدار أربعين، والله أعلم[4]، وقد استنبط الفقهاء من أفعال الخلفاء الراشدين مقدار الحد في الخمر، على قول مالك والثوري وأبي حنيفة ومن تبعهم ثمانون؛ لإجماع الصحابة، ومن قال: إن الحد أربعون: أبو بكر، والشافعي، وقول لأحمد، وتحمل الزيادة على ذلك من عمر رضي الله عنه، على أنها تعزير يجوز فعلها إذا رآه الإمام، وهذا هو القول الصحيح للشافعي[5]،

(١) «مسند أحمد الموسوعة الحديثة» رقم (١٣٢٨) صحيح لغيره.

(٢) «إرواء الغليل» للألباني(٨/ ٤٦ - ٤٧) وقال الألباني: إسناده ضعيف، وحقق هذا الأثر عبد الحميد علي في رسالته «خلافة علي بن أبي طالب» ملحق ٣٠.

(٣) «فتح الباري» (١٢/ ٦٦). (٤) «السنن الكبرى» (٨/ ٣٢٢). (٥) «المغني» (٨/ ٣٠٧).

وهذا الرأي مال إليه ابن تيمية أيضًا وقال: . . فأما مع قلة الشاربين وقرب أمر الشارب، فتكفي الأربعون[(١)].

٣- لا سلطان لك على ما في بطنها:

أتي عمر رضي الله عنه بامرأة حامل، فسألها عمر فاعترفت بالفجور، فأمر بها عمر رضي الله عنه ترجم، فلقيها علي فقال: ما بال هذه؟ فقالوا: أمر بها أمير المؤمنين أن ترجم، فردها علي فقال: أأمرت بها أن ترجم؟ قال: نعم، اعترفت عندي بالفجور. قال: هذا سلطانك عليها فما سلطانك على ما في بطنها؟ قال علي: فلعلك انتهرتها[(٢)]، أو أخفتها؟. قال: قد كان ذاك، قال: أو ما سمعت صلى الله عليه وسلم يقول: «**لا حدّ على معترف بعد بلاء، أنه من قيدت أو حبست أو تهددت فلا إقرار لها**»، فخلى عمر سبيلها، ثم قال: عجزت النساء أن تلد مثل علي بن أبي طالب، لولا علي لهلك عمر[(٣)]، وقد علق ابن تيمية على هذه القصة فقال: إن هذه القصة إن كانت صحيحة، فلا تخلو من أن يكون عمر لم يعلم أنها حامل، فأخبره علي بحملها، ولا ريب أن الأصل عدم العلم، والإمام إذا لم يعلم أن المستحقة للقتل أو الرجم حامل، فعرفه بعض الناس بحالها، كان هذا من جملة إخباره بأحوال الناس. . . إلى أن قال عن عمر: يعطي الحقوق، ويقيم الحدود، ويحكم بين الناس كلهم، وفي زمنه انتشر الإسلام وظهر ظهورًا لم يكن قبله مثله، وهو دائمًا يقضي ويفتي ولولا كثرة علمه لم يطق ذلك، فإذا خفيت عليه قضية من مائة ألف قضية ثم عرفها أو كان نسيها فذكرها فأي عيب في ذلك؟![(٤)]. وكان رده هذا في سياق رده على الروافض.

٤ – ردوا الجهالات إلى السنة:

أتى عمر بامرأة أنكحت في عدتها، ففرق بينهما، وجعل صداقها في بيت

---

(١) «الفتاوى» (٢٨/ ٣٣٦/ ٣٣٧)، و«منهاج السنة» (٦/ ٨٣)، و«خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص(٧٣).

(٢) انتهرتها: زجرتها.

(٣) «سنن سعيد بن منصور» (٢/ ٦٩) رقم (٢٠٨٣)، و«المختصر من كتاب الموافقة» ص(١٣١).

(٤) «منهاج السنة» (٦/ ٤٢).

المال، وقال: لا أجيز مهراً أردُّ نكاحه، وقال: لا تجتمعان أبدًا، فبلغ ذلك عليًّا فقال: وإن كانوا جهلوا السنة لها المهر بما استحل من فرجها، ويفرق بينهما، فإذا انقضت عدتها فهو خاطب من الخطاب، فخطب عمر الناس فقال: ردوا الجهالات إلى السنة، ورجع عمر إلى قول علي[1].

٥- هذا الرجل غلبني على نفسي وفضحني في أهلي :

قال جعفر بن محمد: أتي عمر بن الخطاب بامرأة قد تعلقت بشاب من الأنصار وكانت تهواه، فلما لم يساعدها، احتالت عليه، فأخذت بيضة، فألقت صفارها، وصبت البياض على ثوبها وبين فخذيها، ثم جاءت إلى عمر صارخة، فقالت: هذا الرجل غلبني على نفسي وفضحني في أهلي، وهذا أثر فعاله، فسأل عمر النساء، فقلن له: إن ببدنها وثوبها أثر المني، فهم بعقوبة الشاب، فجعل يستغيث ويقول: يا أمير المؤمنين تثبت في أمري، فوالله ما أتيت فاحشة، وما هممت بها، فقد راودتني عن نفسي فاعتصمت، فقال عمر: يا أبا الحسن ما ترى في أمرهما؟ فنظر علي إلى ما على الثوب، ثم دعا بماء حار شديد الغليان، فصب على الثوب، فجمد ذلك البياض ثم أخذه واشتمه، وذاقه، فعرف طعم البيض، وزجر المرأة فاعترفت[2]، ونستخلص من هذه الواقعة بعض الدروس:

(أ) أن وسائل الإثبات كانت مرة في القضاء الإسلامي تشمل الإقرار والشهادة واليمين والنكول.. وتتسع لتشمل الأمارات والفراسة.

(ب) اهتمام عمر بمشاورة كبار الصحابة في النوازل وعلى الخصوص علي رضي الله عنهم الذي كانت منزلته عنده متميزة[3].

ثانيا: علي رضي الله عنه والتنظيمات المالية والإدارية العمرية:

١- في الأمور المالية :

(أ) نفقات الخليفة :

لما ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر المسلمين بعد أبي بكر مكث زمانًا، لا يأكل

---

(١) «المغني والشرح الكبير»(١١/ ٦٦-٦٧). (٢) «الطرق الحكيمة» لابن القيم ص(٤٨) . رواية ضعيفة.
(٣) «الاجتهاد في الفقه الإسلامي»، لعبدالسلام السليماني ص(١٤٥).

من بيت المال شيئًا حتى دخلت عليه في ذلك خصاصة، ولم يعد يكفيه ما يربحه من تجارته؛ لأنه اشتغل عنها بأمور الرعية، فأرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ، فاستشارهم في ذلك فقال: قد شغلت نفسي في هذا الأمر فما يصلح لي فيه؟ فقال عثمان بن عفان: كل واطْعَمْ، وقال ذلك سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وقال عمر لعلي: ما تقول أنت في ذلك؟ قال: غداء وعشاء، فأخذ عمر بذلك، وقد بين عمر حقَّه من بيت المال فقال: إني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة قيِّم اليتيم، إن استغنيت عنه تركت، وإن افتقرت إليه أكلت بالمعروف[١].

(ب) رأي علي في أرض السواد بالعراق:

لما فتحت أرض السواد بالعراق عنوة، أشار عدد من الصحابة رضي الله عنهم على عمر بتقسيمها بين الفاتحين، ولكن لسعة الأرض وجودتها، ونظرة عمر البعيدة لمن سيأتي بعد ذلك، لم يطمئن عمر لتقسيمها، فاستشار عليًّا في ذلك، فكان رأيه موافقًا لرأي الخليفة عمر ألاَّ تقسم، فأخذ برأيه وقال: لولا آخر المسلمين، ما فتحت قرية إلا قسمتها بين أهلها، كما قسم النبي ﷺ خيبر[٢].

(ج) لا جرم لتقسمنه:

أتي عمر بمال فقسمه بين المسلمين، وفضلت منه فضلة، فاستشار فيها الصحابة، فقالوا له: لو تركته لنائبة إن كانت، وفي القوم علي ساكت، فأراد عمر أن يسمع رأي علي في ذلك، فذكره علي بحديث مال البحرين حين جاء إلى النبي ﷺ، وأنه قسمه كله فقال عمر لعلي: لا جرم لتقسمنه، فقسمه علي[٣]، ويبدو أن هذا كان قبل تقسيم الدواوين[٤].

٢ - علي رضي الله عنه والأمور الإدارية:

عندما احتاج عمر رضي الله عنه أن يضع تاريخًا رسميًّا ثابتًا لتنظيم أمور الدولة

(١) «الخلافة الراشدة»، سنده صحيح د. يحيى ص(٢٧٠).
(٢) «الأموال»، للقاسم بن سلام ص(٥٧)، و«خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد علي ص(٧٥).
(٣) «مسند أحمد» (١/ ٩٤) إسناده ضعيف لانقطاعه.
(٤) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد علي ص(٧٥).

وضبطها، جمع الناس، وسألهم: من أي يوم نكتب التاريخ؟ فقال علي رضي الله عنه من يوم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك أرض الشرك، ففعله عمر[١]، وقد كان عمر رضي الله عنه يراه من أفضل من يقود الناس، فقد ورد عنه أنه كان يناجي رجلاً من الأنصار فقال: من تحدثون أنه يستخلف من بعدي؟ فعد الأنصاري المهاجرين ولم يذكر عليًّا، فقال عمر: فأين أنتم من علي؟ فوالله لو استخلفتموه، لأقامكم على الحق وإن كرهتموه[٢]، وقال لابنه عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما بعد أن طعن: إن ولوها الأجلح سلك بهم الطريق[٣].

٣- استخلف عمر عليًا على المدينة مرارًا:

(أ) استخلافه حين خرج عمر إلى ماء صراء فعسكر فيه، وكان الروم قد حشدوا للمسلمين، فجمع عمر الناس فاستشارهم فكلهم أشار عليه بالمسير[٤].

(ب) استخلافه عند نزول عمر بالجابية: وذلك حين نزل عمرو بن العاص بأجنادين، فكتب إليه أرطبون الروم: والله لا تفتح من فلسطين شيئًا بعد أجنادين، فارجع لا تُغر، وإنما صاحب الفتح رجل اسمه على ثلاثة أحرف، فعلم عمرو أنه عمر، فكتب يعلمه أن الفتح مدخر له، فنادى له الناس، واستخلف علي بن أبي طالب[٥].

(ج) استخلاف علي حين حج عمر بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم: وهي آخر حجة حجها بالناس، كانت سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، وكان مع أمهات المؤمنين أولياؤهن ممن لا يحتجبن منه، وخلف على المدينة علي بن أبي طالب[٣].

---

(١) «التاريخ الكبير» للبخاري (١/ ٩).

(٢) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد علي ص(٧٦) قيل: إن الرواية مرسلة.

(٣) «بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث» تحقيق: حسين أحمد (٣/ ٧٤١) صحيح الإسناد، و«خلافة علي ابن أبي طالب» ص(٧٦).

(٤، ٥) «المنتظم» (٤/ ١٩٢).

(٦) «المنتظم» (٤/ ٣٢٧)، و«الفتح» (٤/ ٨٧).

ثالثا: استشارة عمر لعلي رضي الله عنهما في أمور الجهاد وشؤون الدولة:

كان علي المستشار الأول لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وكان عمر يستشيره في الأمور الكبيرة منها والصغيرة، وقد استشاره حين فتح المسلمون بيت المقدس، وحين فتحت المدائن، وعندما أراد عمر التوجه إلى نهاوند وقتال الفرس، وحين أراد أن يخرج لقتال الروم، وفي موضع التقويم الهجري وغير ذلك من الأمور[١]، وكان علي رضي الله عنه طيلة حياة عمر مستشارًا ناصحًا لعمر محبًّا له خائفًا عليه، وكان عمر يحب عليًّا وكانت بينهم مودة ومحبة وثقة متبادلة، ومع ذلك يأبى أعداء الإسلام إلا أن يزوروا التاريخ، ويقصوا بعض الروايات التي تناسب أمزجتهم ومشاربهم؛ ليصوروا لنا فترة الخلفاء الراشدين عبارة عن: أن كل واحد منهم كان يتربص بالآخر الدوائر؛ لينقضَّ عليه، وكل أمورهم كانت تجري من وراء الكواليس[٢]، إن من أبرز ما يلاحظه المتأمل في خلافة عمر تلك الخصوصية في العلاقة وذلك التعاون المتميز الصافي، بين عمر وعلي رضي الله عنهما، فقد كان علي هو المستشار الأول لعمر في سائر القضايا والمشكلات،وما اقترح علي على عمر رأيًا إلا واتجه عمر إلى تنفيذه عن قناعة، وكان علي رضي الله عنه يمنحه النصح في كل شؤونه وأحواله[٣].

فمثلاً عندما تجمع الفرس بنهاوند في جمع عظيم لحرب المسلمين، جمع عمر رضي الله عنه الناس واستشارهم في المسير إليهم بنفسه، فأشار عليه عامة الناس بذلك، فقام إليه علي رضي الله عنه فقال: أما بعد، يا أمير المؤمنين، فإنك إن أشخصت أهل الشام من شامهم؛ سارت الروم إلى ذراريهم، وإنك إن شخصت أهل اليمن من يمنهم، سارت الحبشة إلى ذراريهم، وإنك إن أشخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها حتى يكون ما تدع وراءك أهم إليك مما بين يديك من العورات والعيالات، أقرر هؤلاء في أمصارهم، واكتب إلى أهل

(١) «علي بن أبي طالب مستشار أمين للخلفاء الراشدين» ص(٩٩).
(٢) المصدر نفسه ص(١٣٨).
(٣) «فقه السيرة النبوية» للبوطي ص(٥٢٩).

البصرة، فليتفرقوا ثلاث فرق: فرقة في حرمهم وذراريهم، وفرقة في أهل عهدهم حتى لا ينتقضوا، ولتسر فرقة إلى إخوانهم بالكوفة. مددًا لهم إن الأعاجم إن ينظروا إليك غدًا قالوا: هذا أمير العرب وأصلها، فكان ذلك أشد لكَلَبِهِم عليك، وأما ما ذكرت من مسير القوم فإن الله هو أكره لمسيرهم منك، وهوأقدر على تغيير ما يكره، وأما عددهم فإنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ولكن بالنصر. فقال عمر: هذا هو الرأي كنت أحب أن أتابع عليه[١].

كانت نصيحة علي نصيحة المحب لعمر، الغيور عليه والضنين، ألاَّ يذهب، وأن يدير رحى الحرب بمن دونه من العرب وهو في مكانه، وحذره من أنه إذا ذهب، فلسوف ينشأ وراءه من الثغرات ما هو أخطر من العدو الذي سيواجه، أرأيت لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلن أن الخلافة من بعده لعلي، أفكان لعلي أن يرغب عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا، وأن يؤيد المستلبين لحقه بل لواجبه في الخلافة بمثل هذا التعاون المخلص البناء؟ بل أفكان للصحابة رضي الله عنهم كلهم أن يضيعوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ بل أفكان من المتصور أن يجمعوا وفي مقدمتهم علي رضي الله عنه على ذلك؟ بوسعنا أن نعلم إذن بكل بداهة، أن المسلمين إلى هذا العهد - نهاية عهد عمر - بل إلى نهاية عهد علي كانوا جماعة واحدة، ولم يكن في ذهن أي من المسلمين أي إشكال بشأن الخلافة أو شأن من هو أحق بها[٢].

إن كثرة مشاورة عمر لعلي رضي الله عنهما، وغيره من الصحابة، لا يعني هذا أنه دونهم في الفقه والعلم، فقد بينت الأحاديث الصحيحة التي تدل على علو علمه، واكتمال دينه ولكن إيمانه وحبه للشورى، وتعويده للحكام فيما بعد على المشاورة، وعدم الاستبداد بالأمر والرأي، وإلاَّ فإن عليًّا رضي الله عنه كان كثيرًا ما يرجع عن رأيه إلى رأي عمر[٣]، فقد جاء عن عائشة رضي الله عنها في معرض حديثها عن عمر

---

(١) «تاريخ الطبري» (٣/ ٤٨٠)، و«تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ٩٤).

(٢) «فقه السيرة» للبوطي ص (٢٩٥).

(٣) «خلافة علي بن ابي طالب»، لعبد الحميد علي ص(٧٧).

قولها: وقد كان علي رضي الله عنه يتابع عمر بن الخطاب، فيما يذهب إليه ويراه، مع كثرة استشارته عليًّا، حتى قال علي رضي الله عنه: يشاورني عمر في كذا، فرأيت كذا، ورأى هو كذا، فلم أر إلاَّ متابعة عمر(١).

رابعًا: علي رضي الله عنه وأولاده وعلاقتهم بعمر رضي الله عنهم:

كان عمر رضي الله عنه شديد الإكرام لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيثارهم على أبنائه وأسرته، نذكر من ذلك بعض المواقف:

١ - أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر: جاء فيما رواه الحسين بن علي رضي الله عنه: أن عمر قال لي ذات يوم: أي بني لو جعلت تأتينا وتغشانا؟ فجئت يومًا وهو خال بمعاوية، وابن عمر بالباب لم يؤذن له، فرجعت فلقيني بعد، فقال: يا بني لم أَرَكَ أتيتنا؟ قلت: جئت وأنت خال بمعاوية فرأيت ابن عمر رجع، فرجعت، فقال: أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر، إنما أنبت في رؤوسنا ما ترى: الله، ثم أنتم، ووضع يده على رأسه(٢).

٢ - والله ما هنأ لي ما كسوتكم: روى ابن سعد عن جعفر بن محمد الباقر عن أبيه علي بن الحسين، قال: قدم على عمر حلل من اليمن، فكسا الناس فراحوا في الحلل، وهو بين القبر والمنبر جالس، والناس يأتونه فيسلمون عليه ويدعون له، فخرج الحسن والحسين من بيت أمهما فاطمة رضي الله عنها يتخطيان الناس، ليس عليهما من تلك الحلل شيء، وعمر قاطب بين عينيه، ثم قال: والله ما هنأ لي ماكسوتكم، قالوا: يا أمير المؤمنين، كسوت رعيتك فأحسنت، قال: من أجل الغلامين يتخطيان الناس وليس عليهما من شيء كبرت عنهما وصغرا عنها، ثم كتب إلى والي اليمن أن ابعث بحلتين لحسن وحسين، وعجل، فبعث إليه بحلتين فكساهما(٣).

---

(١) «الإمامة والرد على الرافضة» للأصبهاني ص(٢٩٥).
(٢) «المرتضى» ص(١١٨)، و«كنز العمال» (٧/ ١٠٥)، و«الإصابة» (١/ ١٣٣).
(٣) «المرتضى» ص(١١٨)، و«الإصابة» (١/ ١٠٦).

٣ - تقديم بني هاشم في العطاء: عن أبي جعفر: أنه لما أراد أن يفرض للناس بعدما فتح الله عليه، وجمع ناسًا من أصحاب النبي ﷺ، فقال عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه: ابدأ بنفسك، فقال: لا، والله بالأقرب من رسول الله ﷺ، ومن بني هاشم رهط رسول الله ﷺ، وفرض للعباس، ثم لعلي، حتى والى بين خمس قبائل، حتى انتهى إلى بني عدي بن كعب، فكتب: من شهد بدرًا من بني هاشم، ثم شهد بدرًا من بني أمية ابن عبد شمس، ثم الأقرب فالأقرب، ففرض الأعطيات لهم وفرض للحسن والحسين لمكانهما من رسول الله [١].

٤ - كساني هذا الثوب أخي وخليلي: خرج علي وعليه برد عدني فقال: كساني هذا الثوب أخي وخليلي وصفيي وصديقي أمير المؤمنين عمر[٢]، وفي رواية عن أبي السفر قال: رئي على علي بن أبي طالب رضي الله عنه برد كان يكثر لبسه قال: فقيل: يا أمير المؤمنين إنك لتكثر لبس هذا البرد؟ فقال: نعم، إن هذا كسانيه خليلي وصفيي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ناصح الله فنصحه، ثم بكى[٣].

٥ - إقطاع ينبع: أقطع عمر بن الخطاب عليًّا ينبع، ثم اشترى علي إلى قطعة عمر أشياء، فحفر فيها عينًا، فبينما هم يعملون فيها إذ تفجر عليهم مثل عنق الجزور من الماء، فأتي علي وبشر، فتصدق بها على الفقراء والمساكين، وفي سبيل الله ليوم تبيض وجوه وتسود وجوه؛ ليصرف الله تعالى بها وجهه عن النار، ويصرف النار عن وجهه، وكتب في صدقته: هذا ما أمر به علي بن أبي طالب وقضى في ماله: إني تصدقت بينبع، ووادي القرى، والأذنية، وراعة في سبيل الله ووجهه، أبتغي مرضاة الله، ينفق منها في كل منفعة في سبيل الله ووجهه، وفي الحرب والسلم والجنود وذوي الرحم القريب والبعيد، لا يباع ولا يوهب ولا يورث حيًّا أنا أو ميتًا، أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخره، ولا

---

(١) «الخراج» لأبي يوسف ص (٢٤، ٢٥)، و«المرتضى» ص(١١٨).

(٢) «المختصر من كتاب الموافقة» ص (١٤٠).

(٣) «المصنف» لابن أبي شيبة (١٢/٢٩) رقم (١٢٠٤٧)، نقلاً عن: «الشريعة» للآجري (٥/٢٣٢٧) وإسناده حسن.

أبتغي إلا الله عز وجل، فإنه يقبلها وهو يرثها وهو خير الوارثين، فذلك الذي قضيت فيها بيني وبين الله عز وجل[١].

٦ - لتقولن يا أبا الحسن:

اجتمع عند عمر جماعه من قريش فيهم علي فتذكروا الشرف، وعلي ساكت. فقال عمر: مالك يا أبا الحسن ساكتًا؟ فكأن عليًا كره الكلام، فقال عمر: لتقولن يا أبا الحسن، فقال علي:

فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ تُزِيلُ سُيُوفُنَا
فِيهَا الجَمَاجِمَ عَنْ فِرَاخِ الهَامِ[٢]
اللهُ أَكْرَمَنَا بِنَصْرِ نَبِيِّهِ
وَبِنَا أَعَزَّ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ
وَيَزُورُنَا جِبْرِيلُ فِي أَبْيَاتِنَا
بِفَرَائِضِ الإِسْلَامِ وَالأَحْكَامِ[٣]

٧ - حوار بين أمير المؤمنين عمر وعلي حول الرؤيا:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أعجب من رؤيا الرجل أنه يبيت فيرى الشيء لم يخطر له على بال، فتكون رؤياه كأخذ اليد، ويرى الرجل الشيء، فلا تكون رؤياه شيئًا، فقال علي بن أبي طالب: أفلا أخبرك بذلك يا أمير المؤمنين؟ إن الله يقول[٤]: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر: ٤٢).

---

(١) «المحلى» (٦/ ١٨٠)، و«مصنف عبدالرزاق» (١٠/ ٣٧٥)، و«فقه الإمام علي»، لقلعجي ص(٦٢٦).
(٢) فراخ الهام: فراخ الرأس على التشبيه.
(٣) «المختصر من كتاب الموافقة» ص(١٣٨).
(٤) «الفتاوى» (٥/ ٢٧٠، ٢٧١).

خامسًا: زواج عمر من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب:

زوج علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابنته من فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم من الفاروق حينما سأله زواجها منه رضي الله عنه بما يطلب، وثقة فيه وإقرارًا لفضله ومناقبه، واعترافًا بمحاسنه وجمال سيرته، وإظهارًا بأن بينهم من العلاقات الوطيدة الطيبة والصلات المحكمة المباركة ما يحرق قلوب الحساد من أعداء الأمة المجيدة، ويرغم أنوفهم(١)، فقد كان عمر يكن لأهل البيت محبة خاصة لا يكنها لغيرهم؛ لقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من إكرام أهل البيت، ورعاية حقوقهم، فمن هذا الباعث خطب عمر أم كلثوم ابنة علي وفاطمة رضوان الله عليهم، وتودد إليه في ذلك قائلا: فوالله ما على الأرض رجل يرصد من حسن صحبتها ما أرصد، فقال علي: قد فعلت، فأقبل عمر إلى المهاجرين، وهو مسرور قائلا: رفئوني... ثم ذكر أن سبب زواجه منها ما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم: «**كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا ما كان من سببي ونسبي**»، فأحببت أن يكون بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب(٢)، ولقد أقر بهذا الزواج كافة أهل التاريخ والأنساب، وجميع محدثي الشيعة، وفقائهم ،ومكابريهم، ومجادليهم، وأئمتهم المعصومين حسب زعمهم، ولقد أورد الشيخ إحسان إلهي ظهير روايات بخصوص ذلك في كتابه «الشيعة والسنة»(٣)، ولقد ذكر هذا الزواج علماء أهل السنة في التاريخ وأجمعت مصادرهم عليه، ومن العلماء الذين ذكروا هذا الزواج: الطبري(٤)، وابن كثير(٥)، والذهبي(٦)، وابن الجوزي(٧)، والدياربكري(٨)، وقد ذكر هذا(٩) الزواج كتب التراجم؛ كابن

---

(١) «الشيعة وأهل البيت» ص(١٠٥).

(٢) إسناده حسن، أخرجه الحاكم في «المستدرك»(٣/ ١٤٢) صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي متعقبًا: منقطع، وأورده الهيثمي في(مجمع الزائد ٩/ ١٧٣)، وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط باختصار، ورجالهما رجال الصحيح غير الحسن بن سهل وهو ثقة، وهناك من ضعفه.

(٣) «الشيعة وأهل البيت» (١٠٥). (٤) «تاريخ الطبري» (٥/ ٢٨).

(٥) «البداية والنهاية» (٥/ ٢٢٠). (٦) «تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين» ص(١٦٦).

(٧) «المنتظم» (٤/ ١٣١). (٨) «تاريخ الخميس» نقلاً عن: «زواج عمر من أم كلثوم» لأبي معاذ ص(١٩).

(٩) «الإصابة» لابن حجر ص(٢٧٦) كتاب الكنى وكتاب النساء.

حجر[١]، وابن سعد[٢]، و«أسد الغابة»، وقد قام الأستاذ أبو معاذ الإسماعيلي في كتابه «زواج عمر ابن الخطاب من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنهم» حقيقة وليس افتراء بتتبع مراجع ومصادر الشيعة وأهل السنة فيما يتعلق بهذا الزواج، ورد على الشبهات التي ألصقت بهذا الزواج الميمون، وقد ذكرت شيئًا من سيرتها ومواقفها في حياتها في عهد الفاروق في كتابي (فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، شخصيته وعصره).

هذا وقد ولدت أم كلثوم بنت علي من عمر رضي الله عنه ابنة سميت: رقية وولد سمته: زيدًا، وقد روي: أن زيد بن عمر حضر مشاجرة في قوم من بني عدي ابن كعب ليلاً، فخرج إليهم زيد بن عمر ليصلحهم فأصابته ضربة شجت رأسه ومات من فوره، وحزنت أمه لقتله ووقعت مغشيًا عليها، من الحزن فماتت من ساعتها، ودفنت أم كلثوم وابنها زيد ابن عمر في وقت واحد، وصلى عليهم عبد الله ابن عمر بن الخطاب، قدمه الحسن ابن علي بن أبي طالب وصلى خلفه[٣].

سادسًا: يا بنت رسول الله، ما أحد من الخلق أحب إلينا من أبيك، وما أحد من الخلق بعد أبيك أحب إلينا منك:

عن أسلم العدوي قال: لما بويع لأبي بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم كان علي والزبير ابن العوام يدخلان على فاطمة فيشاورانها، فبلغ عمر، فدخل على فاطمة فقال: يا بنت رسول الله ما أحد من الخلق أحب إلينا من أبيك، وما أحد من الخلق بعد أبيك أحب إلينا منك، وكلمها، فدخل علي والزبير على فاطمة فقالت: انصرفا راشدين، فما رجعا إليها حتى بايعا[٤]، وهذا هو الثابت الصحيح والذي مع صحة سنده ينسجم مع روح ذلك الجيل وتزكية الله له، وقد زاد الروافض في هذه الرواية واختلقوا إفكا وبهتانا وزورًا، وقالوا بأن عمر قال: إذا اجتمع عندك هؤلاء النفر فسأحرق عليهم هذا البيت؛ لأنهم أرادوا شق عصى المسلمين

---

(١) «الإصابة» لابن حجر ص(٢٧٦) كتاب الكنى وكتاب النساء. (٢) «أسد الغابة» (٧/ ٤٢٥).

(٣) «أسد الغابة» (٧/ ٤٢٥)، و«نساء أهل البيت» لمنصور عبدالحكيم ص(١٨٥ ، ١٨٦)

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة: «المصنف» (١٤/ ٥٦٧)، وإسناده صحيح.

بتأخرهم عن البيعة، ثم خرج عنها، فلم يلبث أن عادوا إليها، فقالت لهم: تعلمون أن عمر جاءني وحلف بالله لئن أنتم عدتم إلى هذا البيت ليحرقنه عليكم، وايم الله إنه ليصدقن فيما حلف عليه، فانصرفوا عني فلا ترجعوا إليَّ، ففعلوا ذلك، ولم يرجعوا إليها إلا بعدما بايعوا[١]، وهذه القصة لم تثبت عن عمر رضي الله عنه، ودعوى أن عمر رضي الله عنه همّ بإحراق بيت فاطمة، من أكاذيب الرافضة، أعداء صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أوردها مع أكاذيب أخرى الطبري الطبرسي في كتابه «دلائل الإمامة»[٢]، عن جابر الجعفي، وهو رافضي كذَّاب باتفاق أئمة الحديث كما في «الميزان»[٣] للذهبي و«تهذيب التهذيب»[٤]، وزعم بعض الروافض أن عمر ضرب فاطمة حتى أسقط ولدها محسنًا وهو في بطنها، وهذه من الأكاذيب الرافضية التي لا أساس لها من الصحة، وما علموا أنهم يطعنون في علي رضي الله عنه وذلك باتهامه بالجبن والسكوت عن عمر، وهو من أشجع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم[٥]، بل إن بعض كتب الروافض أنكر صحة هذا الهذيان والزور[٦]. علمًا بأن محسن ولد في حياة النبي كما ثبت ذلك بالرواية الصحيحة.

سابعًا: الخلاف بين العباس وعلي وحكم عمر رضي الله عنهم بينهما:

قال مالك بن أوس: بينما أنا جالس في أهلي حين متع النهار[٧]، إذا رسول عمر ابن الخطاب يأتيني، فقال: أجب أمير المؤمنين، فانطلقت معه حتى أدخل على عمر، فإذا هو جالس على رمال[٨] سرير ليس بينه وبينه فراش، متكئ على وسادة من أدم، فسلمت عليه ثم جلست، فقال: يا مال إنه قدم علينا من قومك أهل أبيات، وقد أمرت فيهم برضخ، فاقبضه فاقسمه بينهم، فقلت: يا أمير المؤمنين لو أمرت به غيري، قال: اقبضه أيها المرء، فبينما أنا جالس عنده آتاه

---

(١) «عقائد الثلاثة والسبعين فرقة» لأبي محمد اليمني (١/ ١٤٠).

(٢) «دلائل الإمامة» ص(٢٦) نقلاً عن «عقائد الثلاثة والسبعين» (١/ ١٤٠).

(٣) «الميزان» للذهبي (١/ ٢٧٩).

(٤) «تهذيب التهذيب» (٢/ ٤٧).

(٥) «حقبة من التاريخ» ص(٢٢٤).

(٦) «مختصر التحفة الاثنا عشرية» ص(٢٥٢).

(٧) متع النهار: ارتفع قبل الزوال.

(٨) المراد: أنه كان السرير قد نسج وجهه بالسعف.

حاجبه يرفأ، فقال: هل لك في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد ابن أبي وقاص، يستأذنونا؟ قال: نعم، فأذن لهم فدخلوا فسلموا وجلسوا ثم جلس يرفأ يسيرًا، ثم قال: هل لك في علي، وعباس؟ قال: نعم، فأذن لهما، فدخلا فسلما فجلسا، فقال عباس: يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا. وهما يختصمان فيما أفاء الله على رسوله ﷺ من مال بني النضير، فقال الرهط - عثمان وأصحابه-: يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر. قال عمر: تيدكم[1]، أنشدكم الله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ، قال: «**لا نورث، ما تركنا صدقة**»، يريد رسول الله ﷺ نفسه؟ قال الرهط: قد قال ذلك، فأقبل عمر على علي، وعباس، فقال: أنشدكما الله أتعلمان أن رسول الله ﷺ قد قال ذلك؟ قالا: قد قال ذلك، قال عمر: فإني أحدثكم عن هذا الأمر، إن الله قد خص رسوله ﷺ في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحدًا غيره، ثم قرأ: ﴿**وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ (الحشر: ٦). فكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ ووالله ما احتازها دونكم، ولا استأثر بها عليكم، قد أعطاكموها، وبثها فيكم، حتى بقي منها هذا المال، فكان رسول الله ﷺ ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال، ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجْعل مال الله، فعمل رسول الله ﷺ بذلك حياته، أنشدكم الله، هل تعلمون ذلك؟ قالوا: نعم، ثم قال لعلي وعباس: أنشدكما الله هل تعلمان ذلك؟ قال عمر: ثم توفى الله نبيه ﷺ، فقال أبو بكر: أنا وليُّ رسول الله ﷺ، والله يعلم إنه فيها لصادق بار راشد تابع للحق، ثم توفى الله أبا بكر، فكنت أنا وليَّ أبي بكر فقبضتها سنتين من إمارتي، أعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ وما عمل فيها أبو بكر، والله يعلم أني فيها لصادق بار راشد تابع للحق، ثم جئتماني تكلماني، وكلمتكما واحدة، وأمركم واحد، جئتني يا عباس، تسألني نصيبك

---

(١) التيد: الرفق، يقال: تيدك هذا، أي اتَّئد.

من ابن أخيك، وجاءني هذا -ريد عليًا- يريد نصيب امرأته من أبيها، فقلت لكما: إن رسول الله ﷺ قال: «**لا نورث، ما تركنا صدقة**»، فلما بدا لي أن أدفعه إليكما، قلت: إن شئتما دفعتها إليكما، على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ، وما عمل أبوبكر، وبما عملت فيها منذ وليتها، فقلتما: ادفعها إلينا، فبذلك دفعتها إليكما، فأنشدكم الله هل دفعتها إليهما بذلك؟ قال الرهط: نعم، ثم أقبل على عليٍّ وعباس فقال: أنشدكما الله هل دفعتها إليكما بذلك؟ قالا: نعم، قال: فتلتمسان مني قضاء غير ذلك، فوالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، لا أقضي فيها قضاء غير ذلك فإن عجزتما عنها فادفعاها إلي، فإني أكفكماها هما[1].

ثامنًا: ترشيح عمر عليًا للخلافة مع أهل الشورى وما قاله علي في عمر بعد استشهاده:

١ - ترشيح علي مع أهل الشورى: لما طعن عمر رضي الله عنه وظن أنه سيفارق الحياة، وأخذ المسلمون يدخلون عليه، ويقولون له: أوْصِ يا أمير المؤمنين، استخلف، فقال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر - أو الرهط - الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ فسمى عليًا، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعدًا، وعبد الرحمن[2]، ثم دعا خاصتهم وهم عبد الرحمن، وعثمان، وعلي فوعظهم[3]، إن عمر رضي الله عنه إمام وعليه أن يستخلف الأصلح للمسلمين، فاجتهد في ذلك ورأى أن الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ أحق من غيرهم، وهو كما رأى؛ فإنه لم يكن أحد غيرهم أحق منهم، وجعل التعيين إليهم؛ خوفًا من أن يعين واحدًا منهم، ويكون غيره أصلح لهم، فإنه ظهر له رجحان الستة دون رجحان التعيين، وقال: الأمر في التعيين إلى الستة يعينون واحدًا منهم، وهذا اجتهاد إمام عادل ناصح لا هوى له رضي الله عنه وهو نموذج واقعي

(١) «البخاري» رقم (٣٠٩٤)، و«مسلم» (١٧٥٧)، واللفظ للبخاري.
(٢) «البداية والنهاية» (٧/ ١٤٢). (٣) «البخاري» رقم(٣٧٠٠).

لتطبيق قول الله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى:٣٨)، وقال: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران:١٥٩)، فكان ما فعله من الشورى مصلحة(١).

إن الفاروق رضي الله عنه رأى الأمر في الستة متقاربًا فإنهم وإن كان لبعضهم من الفضيلة ما ليس لبعض، فلذلك المفضول مزية أخرى ليست للآخر، ورأى أنه إذا عيَّن واحدًا فقد يحصل بولايته نوع من الخلل فيكون منسوبًا إليه، فترك التعيين خوفًا من الله تعالى، وعلم أنه ليس واحدًا أحق بهذا الأمر منهم؛ فجمع بين المصلحتين بين تعيينهم- إذ لا أحد أحق منهم- وترك تعيين واحد منهم؛ لما تخوفه من التقصير، والله تعالى قد أوجب على العبد أن يفعل المصلحة بحسب الإمكان، فكان ما فعله غاية ما يمكن من المصلحة(٢)، ولا يقال: إنه بجعله الأمر شورى بين الستة قد خالف به من تقدمه، كما هو زعم الشيعة الرافضة؛ لأن الخلاف نوعان: خلاف تضاد وخلاف تنوع، وما فعله عمر رضي الله عنه من النوع الثاني(٣)، وقد أقره على اجتهاده كل الصحابة، ولم نسمع أحدًا عارضه، وقد بسطت ما ابتكره عمر رضي الله عنه من طريقة جديدة في اختيار الخليفة من بعده في كتابي «فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شخصيته وعصره»، فمن أراد التوسع فليرجع إليه مشكورًا.

٢ - ما قاله علي في عمر بعد استشهاده: قال ابن عباس كما في صحيح البخاري: وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون، قبل أن يرفع - وأنا فيهم- فلم يرعني إلا رجل آخذ منكبي، فإذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فترحم على عمر وقال: ما خلفت أحدًا أحب إليَّ أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك وحسبتُ أنِّي كثيرًا ما أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **«ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر»**(٤).

---

(١) «منهاج السنة» (٣/ ١٦٢ - ١٦٤)، و«المنتقى» ص(٣٦٢ - ٣٦٤).
(٢) «منهاج السنة» (٣/ ١٦٢ - ٦٤)، و«المنتقى» ص(٣٦٢ - ٣٦٤).
(٣) «عقيدة أهل السنة» (٣/ ١٠٤٢).
(٤) «البخاري»، رقم (٣٦٨٥).

٣ - قول علي في عمر: إن عمر كان رشيد الأمر، وحرصه على عدم مخالفته بعد وفاته: عن عبد خير قال: كنت قريبًا من علي حيث جاء أهل نجران، قال، قلت: فإن كان رادًّا على عمر شيئًا فاليوم، قال: فسلموا واصطفوا بين يديه، قال: ثم أدخل بعضهم يده في كمه فأخرج كتابًا، فوضعه في يد علي، قالوا: يا أمير المؤمنين، خطك بيمينك وإملاء رسول الله ﷺ عليك، قال: فرأيت عليًّا وقد جرت الدموع على خده قال: ثم رفع رأسه إليهم فقال: يا أهل نجران، إن هذا لآخر كتاب كتبته بين يدي رسول الله ﷺ، قالوا: فأعطنا ما فيه، قال: سأخبركم عن ذاك: إن الذي أخذه عمر لم يأخذه لنفسه، إنما أخذه بجماعة من المسلمين، وكان الذي أخذه منكم خيرًا مما أعطاكم، والله لا أرد شيئًا مما صنعه عمر، إن عمر كان رشيد الأمر[1]، وهذه الحادثة أصل الفقهاء عليها قولهم: لا يرد القاضي اجتهاد قضاء من قبله عند علي[2]، وروي عنه أنه قال: اقضوا كما كنتم تقضون حتى تكونوا جماعة؛ فإني أخشى الاختلاف[3]، وهو قول جمهور الفقهاء[4]، وقد قال علي: ما كنت لأحل عقدة شدها عمر[5].

٤ - إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله، فأنا أكرهه لذلك: لما فرغ علي من وقعة الجمل، ودخل البصرة، وشيع أم المؤمنين عائشة لما أرادت الرجوع إلى مكة، سار من البصرة إلى الكوفة، فدخلها يوم الاثنين، لثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين، فقيل له: انزل بالقصر الأبيض، فقال: لا، إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله فأنا أكرهه لذلك، فنزل في الرحبة وصلى في الجامع الأعظم ركعتين[6].

---

(١) «معجم البلدان» (٥/ ٢٦٩)، و«المختصر من كتاب الموافقة» ص(٣٩)، و«فقه الإمام علي» (٢/ ٨١٣) نقلاً عن: «السنن» للبيهقي، وإسناده مرسل، والآجري (٤/ ١٧٧٧) وإسناده مرسل.

(٢) «فقه الإمام علي» (٢/ ٨١٣).

(٣) «مصنف عبد الرزاق» (١٠/ ٣٢٩) نقلاً عن «فقه الإمام علي» (٢/ ٨١٣).

(٤) «فقه الإمام علي» (٢/ ٨١٣).

(٥) «المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة» ص (١٤٠) إسناده منقطع، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢/ ٣٣) رقم (١٢٠٥٤).

(٦) «تاريخ الخلافة الراشدة»، لمحمد كنعان ص(٣٨٣).

٥ - **حب أهل البيت لعمر** رضي الله عنه: إن من دلالة محبة أهل البيت للفاروق رضي الله عنه تسمية أبنائهم باسمه؛ حبًّا وإعجابًا بشخصيته(١)، وتقديرًا لما أتى به من الأفعال الطيبة والمكارم العظيمة، ولما قدم إلى الإسلام من الخدمات الجليلة، وإقرارًا بالصلات الودية الوطيدة والتي تربطه بأهل بيت النبوة والرحم، والصهر القائم بينه وبينهم، فأول من سمى ابنه باسمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، سمى ابنه من أم حبيب بنت ربيعة البكرية عمر(٢)، وقد جاء في كتاب صاحب الفصول، تحت ذكر أولاد علي بن أبي طالب: وعمر من التغلبية، وهي الصهباء بنت ربيعة من السبي الذي أغار عليهم خالد بن الوليد بعين التمر، وعمَّر عمر هذا حتى بلغ خمسًا وثمانين سنة؛ فحاز نصف ميراث علي رضي الله عنه، وذلك أن جميع إخوته وأشقائه وهم عبد الله، وجعفر، وعثمان قتلوا جميعهم قبله مع الحسين رضي الله عنه - يعني أنه لم يقتل معهم - بالطف؛ فورثهم(٣)، هذا وتبعه حسن في ذلك الحب لعمر بن الخطاب رضي الله عنهم فسمّى أحد أبنائه عمر أيضًا(٤)، وكذلك الحسين بن علي سمّى عمر، ومن بعد الحسين ابنه علي الملقب بزين العابدين سمّى أحد أبنائه باسم عمر(٥)، وكذلك موسى بن جعفر الملقب بالكاظم سمى أحد أبنائه باسم عمر(٦)، فهؤلاء الأئمة من أهل البيت الذين ساروا على هدي النبي صلى الله عليه وسلم ومعالم منهج أهل السنة والجماعة بسيرتهم العطرة، يظهرون لعمر الفاروق ما يكنونه في صدورهم من حبهم وولائهم له بعد وفاته بمدة، وقد جرى هذا الاسم- وكذلك أبو بكر وعثمان- في ذرية أهل البيت ممن ساروا على مذهب الحق -وهو منهج أهل السنة والجماعة- إلى يومنا هذا، ونجد أسماء الصحابة وأمهات المؤمنين في البيوت الهاشمية التي التزمت بالكتاب والسنة، فقد سموا طلحة، وعبد الرحمن وعائشة وأم سلمة، ونحن ندعو الشيعة اليوم، إلى الاقتداء بعلي والحسن والحسين وسائر الأئمة من آل البيت، فيسمون بعض أبنائهم وبناتهم بأسماء الخلفاء الراشدين، وأمهات المؤمنين(٧)؟ نرجو ذلك.

---

(١) «تاريخ اليعقوبي» (٢/ ٢١٣)، و«الشيعة وأهل البيت» ص(١٣٣).
(٢) الفصول المهمة ص(١٤٣)، «الشيعة وأهل البيت» ص(١٣٣).
(٣) «الشيعة وأهل البيت» ص(١٣٣). (٤) المصدر نفسه ص(١٣٤). (٥، ٦) المصدر نفسه ص(١٣٥).
(٧) «اذهبوا فأنتم الرافضة»، لعبد العزيز الزبيري ص(٢٣٠).

٦ – عمر بن الخطاب جعله الله سببًا في ذرية الحسين بن علي بن أبي طالب:

أعطى عمر بن الخطاب رضي الله عنه للحسين بن علي رضي الله عنهما من غنائم الفرس ابنة يزدجرد ملك الفرس، فولدت له زين العابدين علي بن الحسين الذي لم يبق من أبناء الحسين غيره، وكل ذرية الحسين تناسلوا منه وينسبون إليه[1]، فليحذر الذين يسبون عمر بن الخطاب ممن ينتسبون إلى الحسين، فلولاه بعد الله لما كان لهم وجود[2]، كما أن عمر رضي الله عنه أعطى أختها لمحمد ابن أبي بكر فكان عديلاً للحسين، وأنجبت له القاسم بن محمد بن أبي بكر، فكان القاسم ابن محمد بن أبي بكر، وعلي بن الحسين زين العابدين ابني خالة[3].

٧ – قول عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب في عمر[4]:

عن حفص بن قيس، قال: سألت عبد الله بن الحسن عن المسح على الخُفَّين، فقال: امسح، فقد مسح عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: فقلت: إنما أسألك أنت تمسح؟ قال: ذاك أعجَزُ لك، أخبرك عن عمر وتسألني عن رأيي، فعمر كان خيرًا مني ومن ملء الأرض. فقلت: يا أبا محمد، فإن ناسًا يزعمون أنّ هذا منكم تقية، قال: فقال لي – ونحن بين القبر والمنبر– : اللهم إن هذا قولي في السر والعلانية، فلا تسمعنّ عَلَيَّ قول أحد بعدي. ثم قال: من هذا الذي يزعم أن عليًّا رضي الله عنه كان مقهورًا، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بأمر ولم ينفذه؟ وكفى بازدراءٍ على علي ومنقصة أن يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بأمر ولم ينفذه[5].

❁❁❁

---

(١) «عمدة الطالب في أنساب أبي طالب»، الفصل الثاني عنوان (عقب الحسين) نقلاً عن: «اذهبوا فأنتم الرافضة» ص(٢٣٢).

(٢) «اذهبوا فأنتم الرافضة» ص(٢٣٢).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٢٥٤).

(٤) هو عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو محمد الهاشمي، كان ذا هيبةٍ، ولسان وشرف وكانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز توفي سنة ١٤٥ «الأعلام» للزركلي (٤/ ٢٠٧)، و«تاريخ بغداد» (٩/ ٤٣١).

(٥) «النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب» لمحمد عبد الواحد المقدسي ص(٥٧).

المبحث الثالث

علي رضي الله عنه في عهد عثمان بن عفان

أولاً: بيعة علي لعثمان رضي الله عنه:

لم يكد يفرغ الناس من دفن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى أسرع رهط الشورى وأعضاء مجلس الدولة الأعلى إلى الاجتماع في بيت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وقيل: إنهم اجتمعوا في بيت فاطمة بنت قيس الفهرية، أخت الضحاك ابن قيس؛ ليقضوا في أعظم قضية عرضت في حياة المسلمين - بعد وفاة عمر - وقد تكلم القوم وبسطوا آراءهم واهتدوا بتوفيق الله إلى كلمة سواء رضيها الخاصة والكافة من المسلمين[١]، وقد أشرف على تنفيذ عملية الشورى واختيار الخليفة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وحقق رضي الله عنه أول مظهر من مظاهر الشورى المنظمة في اختيار من يتحمل أعباء الخلافة، ويسوس أمور المسلمين، فهو قد اصطنع من الأناة والصبر والحزم وحسن التدريب ما كفل له النجاح في أداء مهمته العظمى[٢]، وقاد ركب الشورى بمهارة وتجرد، مما يستحق أعظم التقدير[٣]، قال الذهبي: ومن أفضل أعمال عبد الرحمن: عزل نفسه من الأمر وقت الشورى، واختياره للأمة من أشار به أهل الحل والعقد، فنهض في ذلك أتم نهوض على جمع الأمة على عثمان، ولو كان محابيًا فيها لأخذ لنفسه، أو لولاّها ابن عمه وأقرب الجماعة إليه سعد بن أبي وقاص[٤].

وقد تم الاتفاق على بيعة عثمان بعد صلاة صبح يوم البيعة اليوم الأخير من شهر ذي الحجة ١٣هـ/٦ نوفمبر ٦٤٤م، وكان صهيب الرومي الإمام؛ إذ أقبل عبدالرحمن ابن عوف، وقد اعتم بالعمامة التي عممه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان قد اجتمع رجال الشورى عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضرًا من المهاجرين والأنصار وأمراء الأجناد، منهم: معاوية أمير الشام، وعمير بن سعد

---

(١) «عثمان بن عفان»، للصادق عرجون، ص(٦٢، ٦٣).
(٢) المصدر نفسه ص(٧٠، ٧١).
(٣) «مجلة البحوث الإسلامية» العدد (١٠) ص(٢٥٥).
(٤) «سير أعلام النبلاء» (١/٨٦).

أمير حمص، وعمرو بن العاص أمير مصر، وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر وصاحبوه إلى المدينة(١)، وجاء في رواية البخاري: فلما صلى للناس الصبح، واجتمع أولئك الرهط عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضرًا من المهاجرين والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأجناد -وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر- فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن ثم قال: أما بعد يا عليُّ إني قد نظرت في أمر الناس، فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعلن على نفسك سبيلا. فقال(٢): أبايعك على سنة الله ورسوله والخليفتين من بعده، فبايعه الناس: المهاجرون والأنصار وأمرء الأجناد والمسلمون(٣)، وجاء في رواية صاحب «التمهيد والبيان»: أن علي بن أبي طالب أول من بايع بعد عبد الرحمن بن عوف(٤).

ثانيا: أباطيل رافضية دست في قضية الشورى:

هناك أباطيل رافضية دست في التاريخ الإسلامي منها في قصة الشورى وتولية عثمان الخلافة، وقد تلقفها المستشرقون وقاموا بتوسيع نشرها، وتأثر بها الكثير من المؤرخين والمفكرين والمحدثين، ولم يمحصوا الروايات ويحققوا في سندها ومتنها، فانتشرت بين المسلمين، لقد اهتم مؤرخو الشيعة الرافضة بقصة الشورى وتولية عثمان بن عفان الخلافة ودسوا فيها الأباطيل والأكاذيب، وألف جماعة منهم كتبًا خاصة، فقد ألف أبو مخنف كتاب الشورى، وكذلك ابن عقدة، وابن بابويه(٥)، ونقل ابن سعد تسع روايات من طريق الواقدي في خبر الشورى، وبيعة عثمان، وتاريخ توليه للخلافة(٦)، ورواية من طريق عبيد الله بن موسى تضمنت مقتل عمر وحصره للشورى في الستة، ووصيته لكل من علي وعثمان إذا تولى أحدهما أمر الخلافة، ووصيته لصهيب في هذا الأمر(٧)، وقد نقل البلاذري خبر الشورى وبيعة عثمان عن أبي مخنف(٨)، وعن هشام الكلبي

---

(١) «شهيد الدار» ص(٣٧).

(٢) قوله: فقال: أي عبد الرحمن مخاطبًا عثمان.

(٣) «البخاري»، كتاب الأحكام، رقم (٧٢٠٧).

(٤) «التمهيد والبيان» ص(٢٦).

(٥) «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» (١٤/٢٤٦).

(٦) «الطبقات الكبرى» (٣/٦٣)، (٣/٦٧).

(٧) المصدر السابق.

(٨) «أنساب الأشراف» (٥/١٨ ، ١٩).

منها مانقله عن أبي مخنف ومنها ما تفرد به[١]، وعن الواقدي[٢]، وعن عبيدالله ابن موسى[٣]، واعتمد الطبري في هذه القصة على عدة روايات منها رواية أبي مخنف[٤]، ونقل ابن أبي الحديد بعض أحداث قصة الشورى من طريق أحمد بن عبد العزيز الجوهري[٥]، وأشار إلى نقله عن كتاب (الشورى) للواقدي[٦]، وقد تضمنت الروايات الشيعية الرافضية عدة أمور مدسوسة ليس لها دليل من الصحة، وهي:

١ - اتهام الصحابة بالمحاباة في أمر المسلمين:

اتهمت الروايات الشيعية الرافضية الصحابة بالمحاباة في أمر المسلمين، وعدم رضا علي بأن يقوم عبد الرحمن باختيار الخليفة، فقد ورد عند أبي مخنف وهشام الكلبي عن أبيه وأحمد الجوهري أن عمر جعل ترجيح الكفتين إذا تساوتا بعبد الرحمن بن عوف، وأن عليًّا أحس بأن الخلافة قد ذهبت منه؛ لأن عبد الرحمن سيقدم عثمان للمصاهرة التي بينهما[٧]، وقد نفى ابن تيمية أي ارتباط في النسب القريب بين عثمان وعبد الرحمن فقال: فإن عبد الرحمن ليس أخا لعثمان ولا ابن عمه ولا من قبيلته أصلاً؛ بل هذا من بني زهرة وهذا من بني أمية، وبنو زهرة إلى بني هاشم أكثر ميلاً منهم إلى بني أمية، فإن بني زهرة أخوال النبي ﷺ، ومنهم عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص الذي قال له النبي ﷺ: «**هذا خالي، فليرني امرؤ خاله**»[٨]، فإن النبي ﷺ لم يؤاخ بين مهاجري ومهاجري ولا بين أنصاري وأنصاري، وإنما آخى بين المهاجرين والأنصار؛ فآخى بين عبدالرحمن بن عوف وسعد بن الربيع الأنصاري[٩]، وحديثه مشهور ثابت في الصحاح وغيرها، يعرفه أهل العلم بذلك[١٠]، وقد بنت الروايات الشيعية الرافضية محاباة عبدالرحمن لعثمان للمصاهرة التي كانت

(١، ٢) «أنساب الأشراف» (٥/ ١٨، ١٩).
(٣) المصدر نفسه (٥/ ٦).
(٤) «أثر التشيع على الروايات التاريخية» ص(٣٢١).
(٥) «شرح نهج البلاغة» (٩/ ٤٩، ٥٠، ٥٨).
(٦) «شرح نهج البلاغة» (٩/ ١٥).
(٧) «أثر التشيع علي الروايات التاريخية» ص(٣٢٢).
(٨) «صحيح سنن الترمذي» (٣/ ٢٢٠) رقم(٤٠١٨).
(٩) «البخاري»، كتاب مناقب الأنصار رقم (٣٧٨٠).
(١٠) «منهاج السنة النبوية» (٦/ ٢٧١ - ٢٧٢).

بينهما، متناسية أن قوة النسب أقوى من المصاهرة من جهة، ومن جهة أخرى تناسوا طبيعة العلاقة بين المؤمنين في الجيل الأول وأنها لا تقوم على نسب ولا مصاهرة، وأما كيفية المصاهرة التي كانت بين عبد الرحمن وعثمان فهي أن عبد الرحمن تزوج أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أخت الوليد[١].

٢ - حزب أموي وحزب هاشمي: أشارت رواية أبي مخنف إلى وقوع مشادة بين بني هاشم وبني أمية أثناء المبايعة وهذا غير صحيح، ولم يرد ذلك برواية صحيحة ولا ضعيفة[٢]، وقد انساق بعض المؤرخين خلف الروايات الشيعية الرافضية لحاجة في نفوسهم مع بطلانها سندًا ومتنًا من جهة، وثبوت روايات صحيحة تناقض ما ذهبوا إليه من جهة أخرى، وبنوا تحليلاتهم الخاطئة على تلك الروايات فصوَّروا تشاور أصحاب الرسول ﷺ في تحديد الخليفة الجديد بصورة الخلاف العشائري، وأن الناس قد انقسموا إلى حزبين: حزب أموي وحزب هاشمي، وهو تصور موهوم، واستنتاج مردود لا دليل عليه؛ إذ ليس نابعًا من ذلك الجو الذي كان يعيشه أصحاب رسول الله ﷺ، حينما كان يقف المهاجري مع الأنصاري ضد أبيه وأخيه وابن عمه وبني عشيرته، وليس نابعًا من تصور هؤلاء الصحب وهم يضحون بكل شيء من حطام الدنيا في سبيل أن يسلم لهم دينهم، ولا من المعرفة الصحيحة لهؤلاء النخبة من المبشرين بالجنة، فالأحداث الكثيرة التي رويت عن هؤلاء تثبت أن هؤلاء كانوا أكبر بكثير من أن ينطلقوا من هذه الزاوية الضيقة في معالجة أمورهم، فليست القضية تمثيل عائلي أو عشائري، فهم أهل شورى لمكانتهم في الإسلام[٣].

٣- أكاذيب نسبت زورًا وبهتانًا لعلي رضي الله عنه:

قال ابن كثير: وما يذكره كثير من المؤرخين كابن جرير وغيره عن رجال لا يعرفون أن عليًا قال لعبد الرحمن: خدعتني، وإنك إنما وليته؛ لأنه صهرك

(١) «الطبقات الكبرى» (٣/١٢٧).
(٢) «مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري» ص(١٧٧، ١٧٨).
(٣) «الخلفاء الراشدون»، أمين القضاة ص(٧٨، ٧٩).

وليشاورك كل يوم في شأنه وأنه تلكأ حتى قال عبدالرحمن: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ (الفتح: ١٠). إلى غير ذلك من الأخبار المخالفة لما ثبت في الصحاح فهي مردودة على قائليها وناقليها والله أعلم، والمظنون من الصحابة خلاف ما يتوهم كثير من الرافضة وأغبياء القصاص الذين لا تمييز عندهم بين صحيح الأخبار، وضعيفها، ومستقيمها وسقيمها[١].

ثالثا: المفاضلة بين عثمان وعلي رضي الله عنهما:

الذي عليه أهل السنة: إن من قدم عليًّا على أبي بكر وعمر فإنه ضال مبتدع، ومن قدم عليًّا على عثمان فإنه مخطئ ولا يضللونه، ولا يبدعونه[٢]، وإن كان بعض أهل العلم قد تكلم بشدة على من قدم عليًّا على عثمان بأنه قال: من قدم عليًّا على عثمان فقد زعم أن أصحاب رسول الله ﷺ خانوا الأمانة؛ حيث اختاروا عثمان على علي رضي الله عنه[٣]، وقد قال ابن تيمية: استقر أمر أهل السنّة على تقديم عثمان، وإن كانت هذه المسألة ـ مسألة عثمان وعلي- ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة، لكن المسألة التي يضلل المخالف فيها هي مسألة الخلافة، وذلك أنهم يؤمنون بأن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ومن طعن في خلافة هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله[٤]، وذكر أقوال أهل العلم في مسألة تفضيل علي على عثمان: فقال: فيها روايات: إحداهما: لا يسوغ ذلك، فمن فضل عليًّا على عثمان خرج من السنة إلى البدعة؛ لمخالفته لإجماع الصحابة، ولهذا قيل: من قدم عليًّا على عثمان، فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار، يروى ذلك عن غير واحد، منهم أيوب السختياني وأحمد ابن حنبل والدارقطني، والثانية: لا يبدع من قدم عليًّا؛ لتقارب حال عثمان وعلي[٥].

---

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ١٥٢).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٠١، ١٠٢).

(٣) «حقبة من التاريخ» لعثمان الخميس ص(٦٦).

(٤) «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٠١، ٢٠١).

(٥) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٦٧).

رابعًا: علي رضي الله عنه يقيم الحدود ويستشار في شؤون دولة عثمان رضي الله عنه:

١ - إقامة علي للحدود في عهد عثمان رضي الله عنهما: عن حصين بن المنذر، قال: شهدت عثمان بن عفان، وقد أتي بالوليد فشهد عليه رجلان أحدهما حمران أنه شرب الخمر، وشهد آخر أنه لم يتقيأ، فقال عثمان: إنه لم يتقيأ حتى شربها، فقال: ياعلي قم فاجلده، فقال علي: قم يا حسن فاجلده، فقال: الحسن ولِّ حارّها من تولى قارّها[1]، فكأنه وجد عليه، فقال: يا عبد الله بن جعفر قم فاجلده، فجلده وعلي يعد، حتى بلغ أربعين، فقال: أمسك، ثم قال: جلد النبي صلى الله عليه وسلم أربعين، وأبو بكر أربعين، وعمر ثمانين، وكل سنة، وهذا أحب إليّ[2]، ويؤخذ من هذا الحديث بأن عليًّا رضي الله عنه كان قريبًا من عثمان، ومعينًا له على طاعة الله، وكان علي رضي الله عنه يقول- في معرض دفاعه عن عثمان ردًّا على من يعيب على عثمان بالفعل المنسوب للوليد-: إنكم ما تعيرون به عثمان كالطاعن نفسه ليقتل رِدَاءَه[3]، ما ذنب عثمان في رجل قد ضربه بفعله وعزله عن عمله، وما ذنب عثمان فيما صنع عن أمرنا[4].

٢ - استشارة عثمان لعلي وكبار الصحابة في فتح إفريقية:

جاء في «رياض النفوس» أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان جاءه من واليه على مصر «عبدالله بن سعد» أن المسلمين يغيرون على أطراف إفريقية؛ فيصيبون من عدوهم، وأنهم قريبون من حَوْزِ المسلمين، فأعرب عثمان بن عفان رضي الله عنه - على إثر ذلك - للمسور ابن مخرمة عن رغبته في بعث الجيوش لغزو إفريقية. جاء في هذا الصدد ما نصه: فما رأيك يا بن مخرمة؟ قلت: اغزهم. قال: أجمع اليوم الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأستشيرهم، فما أجمعوا عليه فعلته، أو ما أجمع عليه أكثرهم فعلته.. ائت عليًّا، وطلحة والزبير

---

(١) أي: ول بشدتها وأوساخها من تولى هنيئها ولذاتها.

(٢) «شرح النووي على صحيح مسلم»، كتاب الحدود (١١/٢١٦).

(٣) الرداء: هو العون، «تاريخ الطبري» (٥/٢٧٨).

(٤) «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة» (١/٤٢١)

والعباس، وذكر رجالاً، فخلا بكل واحد منهم في المسجد، ثم دعا أبا الأعور «سعيد بن زيد» فقال له عثمان: لم كرهت - يا أبا الأعور - من بعثة الجيوش إلى إفريقية؟ فقال له: سمعت «عمر» يقول: لا أغزيها أحدًا من المسلمين ما حملت عيناتي الماء. فلا أرى لك خلاف عمر، فقال له عثمان: والله ما نخافهم وإنهم لراضون أن يقروا في مواضعهم، فلا يغزون، فلم يختلف عليه أحد ممن شاوره غيره، ثم خطب الناس، وندبهم إلى الغزو إلى إفريقية، فخرج بعض الصحابة منهم عبدالله بن الزبير، وأبو ذر الغفاري[1].

٣ - رأي علي في جمع عثمان الناس على قراءة واحدة:

جمع عثمان رضي الله عنه المهاجرين والأنصار وشاورهم في الأمر وفيهم أعيان الصحابة وفي طليعتهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعرض عثمان رضي الله عنه هذه المعضلة على صفوة الأمة وقادتها الهادين المهديين، ودارسهم أمرها ودارسوه، وناقشهم فيها وناقشوه، حتى عرف رأيهم وعرفوا رأيه، وظهر للناس في أرجاء الأرض ما انعقد عليه إجماعهم، فلم يعرف قط يومئذ لهم مخالف، ولا عرف عن أحد نكير، وليس شأن القرآن الذي يخفى على آحاد الأمة فضلاً عن علمائها وأئمتها البارزين[2]، إن عثمان رضي الله عنه لم يبتدع في جمعه المصحف، بل سبقه إلى ذلك أبوبكر الصديق رضي الله عنه، كما أنه لم يضع ذلك من قبل نفسه إنما فعله عن مشورة للصحابة رضي الله عنهم، وأعجبهم هذا الفعل وقالوا: نعم ما رأيت، وقالوا أيضًا: قد أحسن - أي في فعله في المصاحف[3]- وقد أدرك مصعب بن سعد صحابة النبي صلى الله عليه وسلم حين مشق[4] عثمان المصاحف، فرآهم قد أعجبوا بهذا الفعل منه[5]، وكان علي رضي الله عنه ينهى من يعيب على عثمان رضي الله عنه بذلك ويقول: يأيها

---

(١) «رياض النفوس» (١/ ٨ - ٩)، و«الجهاد والقتال»، لهيكل (١/ ٥٥٦).

(٢) «عثمان بن عفان»، لصادق عرجون ص(١٧٥).

(٣) «فتنة مقتل عثمان» (١/ ٧٨).

(٤) مَشَقَ في الكتابة: مَدَّ حروفها وجودها . انظر: الوجيز مادة «مَشَقَ».

(٥) «التاريخ الصغير» للبخاري (١/ ٩٤)، وإسناده حسن لغيره.

الناس لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيرًا - أو قولوا خيرًا - فوالله ما فعل الذي فعل - أي في المصاحف - إلا عن ملأ منا جميعًا -أي الصحابة- والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل[1]، وجاء في رواية أخرى عن علي رضي الله عنه قوله: لما اختلف الناس في القرآن وبلغ ذلك عثمان جمعنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشارنا في جمع الناس على قراءة، فأجمع رأينا مع رأيه على ذلك وقال بعد ذلك: لو وليت الذي ولي، لصنعت مثل الذي صنع[2].

خامسًا: موقف علي رضي الله عنه في فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه:

كانت هناك أسباب متنوعة ومتداخلة ساهمت في فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه؛ كالرخاء وأثره في المجتمع، وطبيعة التحول الاجتماعي، ومجيء عثمان بعد عمر رضي الله عنهما، وخروج كبار الصحابة من المدينة، والعصبية الجاهلية، وتآمر الحاقدين، والتدبير المحكم لإثارة المآخذ ضد عثمان، واستخدام الوسائل والأساليب المهيجة للناس، وأثر السبئية في أحداث الفتنة، وقد فصلت وشرحت تلك الأسباب في كتابي «تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان ابن عفان شخصيته وعصره».

لقد استخدم أعداء الإسلام في فتنة مقتل عثمان الأساليب والوسائل المهيجة للناس، من إشاعة الأراجيف حيث ترددت كلمة الإشاعة والإذاعة كثيرًا، والتحريض، والمناظرة والمجادلة للخليفة أمام الناس، والطعن على الولاة، واستخدام تزوير الكتب واختلاقها على لسان الصحابة رضي الله عنهم، عائشة وعلي وطلحة والزبير، والإشاعة بأن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه الأحق بالخلافة، وأنه الوصي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتنظيم فرق في كل من البصرة والكوفة ومصر، أربع فرق من كل مصر مما يدل على التدبير المسبق، وأوهموا أهل المدينة أنهم ما جاؤوا إلا بدعوة الصحابة، وصعدوا الأحداث حتى وصل إلى القتل[3]، وإلى

---

(١) «فتح الباري» (٩/١٨)، وإسناده صحيح.

(٢) «سنن أبي داود»، كتاب المصاحف ص(٢٩ ـ ٣٠)، وإسناده صحيح و«خلافة علي بن أبي طالب»، لعلي عبدالحميد ص(٨٠).

(٣) «دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة» ص(٤٠١).

جوار هذه الوسائل، استخدموا مجموعة من الشعارات؛ منها التكبير، ومنها أن جهادهم هذا ضد المظالم، ومنها أنهم لا يقومون إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنها المطالبة باستبدال الولاة وعزلهم، ثم تطورت المطالبة إلى خلع عثمان، إلى أن تمادوا في جرأتهم وطالبوا بل سارعوا إلى قتل الخليفة، وخاصة حينما وصلهم الخبر بأن أهل الأمصار قادمون لنصرة الخليفة، فزادهم حماسهم المحموم لتضييق الخناق على الخليفة، والتشوق إلى قتله بأي وسيلة[١].

كان التنظيم السبئي بقيادة عبدالله بن سبأ اليهودي خلف تلك الأحداث والتي بعدها وسيأتي الحديث عنه بإذن الله، وعن عثمان الذي هز مقتله العالم الإسلامي، وأثر في كثير من الأحداث إلى يومنا هذا.

١ - موقف علي رضي الله عنه في بداية الفتنة:

استمر علي ﵁ في طريقته المعهوده مع الخلفاء، وهي السمع والطاعة والإدلاء بالمشورة والنصح، وقد عبر بنفسه عن مدى طاعته للخليفة عثمان والتزام أمره ولو كان شاقًّا بقوله: لو سيرني عثمان ﵁ إلى صرار لسمعت وأطعت[٢]، وعندما نزل المتمردون في ذي المروة قبل مقتل عثمان ﵁ بما يقارب شهراً ونصفًا، أرسل إليهم عثمان عليًّا ﵄ ورجلاً آخر لم تسمه الروايات، والتقى بهم علي ﵁ فقال لهم: تعطون كتاب الله، وتعتبون من كل ما سخطتم، فوافقوا على ذلك[٣]، وفي رواية أنهم شادُّوه وشادهم مرتين أو ثلاثًا، ثم قالوا: ابن عم رسول الله ﷺ، ورسول أمير المؤمنين يعرض عليكم كتاب الله فقبلوا[٤]، فاصطلحوا على خمس: على أن المنفي يقلب، والمحروم يعطى، ويوفر الفيء، ويعدل في القسم، ويستعمل ذو الأمانة والقوة، وكتبوا ذلك في كتاب، أن يرد ابن عامر على البصرة، وأن يبقى أبوموسى على الكوفة[٥]،

(١) «دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة» ص(٤٠٢).
(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/ ٢٢٥) سنده صحيح.
(٣) «تاريخ دمشق» ترجمة عثمان ص(٣٢٨)، و«تاريخ خليفة» ص(١٦٩).
(٤) «فتنة مقتل عثمان» (١/ ١٢٩).
(٥) المصدر نفسه (١/ ١٢٩).

وهكذا اصطلح عثمان رضي الله عنه مع كل وفد على حده، ثم انصرفت الوفود إلى ديارها(١)، وبعد هذا الصلح وعودة أهل الأمصار جميعًا راضين؛ تبين لمشعلي الفتنة أن خطتهم قد فشلت، وأن أهدافهم الدنيئة لم تتحقق، لذا خططوا تخطيطًا آخر يذكي الفتنة ويحييها، يقتضي تدمير ما جرى من صلح بين أهل الأمصار، وعثمان رضي الله عنه وبرز ذلك فيما يأتي: في أثناء طريق عودة أهل مصر، رأوا راكبًا على جمل يتعرض لهم، ويفارقهم - فكأنه يقول: خذوني -فقبضوا عليه، وقالوا له: مالك؟، قال: أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله، ولمَّا فتحوا الكتاب؛ فإذا فيه أمر بصلبهم أو قتلهم أو تقطيع أيديهم وأرجلهم، فرجعوا إلى المدينة حتى وصلوها(٢)، ونفى عثمان رضي الله عنه أن يكون كتب هذا الكتاب، وقال لهم: إنهما اثنتان: أن تقيموا رجلين من المسلمين، أو يمين بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبت، ولا أمليت، ولا علمت، وقد يكتب الكتاب على لسان الرجل وينقش الخاتم، فلم يصدقوه(٣) -وهو الصادق البار- لغاية في نفوسهم.

وهذا الكتاب الذي زعم هؤلاء المتمردون البغاة المنحرفون أنه من عثمان وعليه خاتمه ويحمله غلامه على واحد من إبل الصدقة إلى عامله بمصر ابن أبي سرح، يأمر فيه بقتل هؤلاء الخارجين، هو كتاب مزور مكذوب على لسان عثمان، وذلك لعدة أمور منها(٤): كيف علم العراقيون بالأمر وقد اتجهوا إلى بلادهم، وفصلتهم عن المصريين -الذين أمسكوا بالكتاب المزعوم - مسافة شاسعة؟ فالعراقيون في الشرق والمصريون في الغرب، ومع ذلك عادوا جميعًا في آن واحد، كأنما كانوا على ميعاد!، لا يعقل هذا إلا إذا كان الذين زوَّروا الكتاب، واستأجروا راكبًا ليحمله، ويمثل الدور في البُوَيْب أمام المصريين، قد استأجروا راكبًا آخر انطلق إلى العراقيين ليخبرهم بأن المصريين قد اكتشفوا كتابًا بعث به عثمان لقتل المنحرفين المصريين، وهذا ما احتج به علي بن أبي طالب

(١) «فتنة مقتل عثمان» (١/ ٣٢٩). (٢) «تاريخ الطبري» (٥/ ٣٧٩).

(٣) «فتنة مقتل عثمان» (٥/ ١٣٢)، و«البداية والنهاية» (٧/ ١٩١).

(٤) «تيسير الكريم المنّان في سيرة عثمان بن عفان» للصَّلاَّبيِّ ص(٤١٠).

رضي الله عنه فقد قال: كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر، وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا؟(١)، بل إن عليًّا يجزم: هذا والله أمر أبرم بالمدينة(٢).

إن هذا الكتاب المشؤوم ليس أول كتاب يزوِّره هؤلاء المجرمون، بل زوَّروا كتبًا على لسان أمهات المؤمنين، وكذلك على لسان علي وطلحة والزبير، فهذه عائشة رضي الله عنها تُتهم بأنها كتبت إلى الناس تأمرهم بالخروج على عثمان فتنفي وتقول: لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت لهم سوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا(٣)، ويعقب الأعمش فيقول: فكانوا يرون أنه كتب على لسانها(٤)، ويتهم الوافدون عليًّا بأنه كتب إليهم أن يقدموا عليه بالمدينة، فينكر ذلك عليهم ويقسم: والله ما كتبت إليكم كتابًا(٥)، كما ينسب إلى الصحابة بكتابة الكتب إلى أهل الأمصار يأمرونهم بالقدوم إليهم فدين محمد قد فسد وترك، والجهاد في المدينة خير من الرباط في الثغور البعيدة(٦)، ويعلق ابن كثير على هذا الخبر قائلاً: وهذا كذب على الصحابة، وإنما كتبت كتب مزورة عليهم، فقد كتب من جهة علي وطلحة والزبير إلى الخوارج ـ قتلة عثمان ـ كُتُبٌ مزورة عليهم أنكروها، وكذلك زُوِّر هذا الكتاب على عثمان أيضًا، فإنه لم يأمر به، ولم يعلم به(٧).

ويؤكد كلام ابن كثير ما رواه الطبري وخليفة من استنكار كبار الصحابة ـ علي وعائشة والزبير ـ أنفسهم لهذه الكتب في أصحّ الروايات(٨)، إن الأيدي المجرمة التي زوّرت الرسائل الكاذبة على لسان أولئك الصحابة هي نفسها التي أوقدت نار الفتن من أولها إلى آخرها، ورتبت ذلك الفساد العريض، وهي التي زورت وروّجت على عثمان تلك الأباطيل، وإنه فعل وفعل، ولقنتها للناس، حتى قبلها

(١) «تاريخ الطبري» (٥/ ٣٥٩).
(٢) «تاريخ الطبري» (٥/ ٣٥٩).
(٣) «تحقيق مواقف الصحابة» (١/ ٣٣٤).
(٤) «تاريخ خليفة ابن خياط» ص(١٦٩).
(٥) «تحقيق مواقف الصحابة» (١/ ٣٣٥)، و«البداية والنهاية» (٧/ ١٩١).
(٦) «تحقيق مواقف الصحابة» (١/ ٣٣٥)، و«البداية والنهاية» (٧/ ١٧٥).
(٧) «البداية والنهاية» (٧/ ١٧٥).
(٨) «تحقيق مواقف الصحابة» (١/ ٣٣٥).

الرعاع، ثم زورت على لسان عثمان ذلك الكتاب؛ ليذهب عثمان ضحية إلى ربه شهيدًا سعيدًا، ولم يكن عثمان الشهيد هو المجني عليه وحده في هذه المؤامرة السبئية اليهودية، بل الإسلام نفسه كان مجنيًّا عليه قبل ذلك، ثم التاريخ المشوّه المحرَّف، والأجيال الإسلامية التي تلقت تاريخها مشوَّها هي كذلك ممن جنى عليهم الخبيث اليهودي، وأعوانه من أصحاب المطامع والشهوات والحقد الدفين، أما آن للأجيال الإسلامية أن تعرف تاريخها الحق، وسير رجالاتها العظام؟ بل ألم يأن لمن يكتب في هذا العصر من المسلمين، أن يخاف الله ولا يتجرأ على تجريح الأبرياء قبل أن يحقق ويدقق حتى لا يسقط كما سقط غيره؟![1].

٢ـ موقف علي رضي الله عنه أثناء الحصار:

اشتد الحصار على عثمان رضي الله عنه، حتى منع من أن يحضر للصلاة في المسجد، وكان صابرًا على هذه البلوى التي أصابته كما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، وكان مع إيمانه القوي بالقضاء والقدر، يحاول أن يجد حلاً لهذه المصيبة، فنراه تارة يخطب الناس عن حرمة دم المسلم، وأنه لا يحل سفكه إلا بحقه، وتارة يتحدث في الناس ويظهر فضائله وخدماته الجليلة في الإسلام، ويستشهد على ذلك ببقية العشرة رضي الله عنهم[2] وكأنه يقول: من هذا عمله وفضله هل من الممكن أن يطمع في الدنيا ويقدمها على الآخرة؟، وهل يعقل أن يخون الأمانة ويعبث بأموال الأمة ودمائها وهو يعرف عاقبة ذلك عند الله، وهو الذي تربى على عين النبي صلى الله عليه وسلم والذي شهد له وزكاه وكذلك أفاضل الصحابة، أهكذا تكون معاملته؟! واشتدت سيطرة الثوار على المدينة حتى إنهم ليصلون بالناس في أغلب الأوقات[3]، وحينها أدرك الصحابة أن الأمر ليس كما حسبوا، وخشوا من حدوث ما لا يحمد عقباه، وقد بلغهم أن القوم يريدون قتله، فعرضوا عليه أن يدافعوا عنه، ويخرجوا الغوغاء عن المدينة، إلا أنه رفض أن يراق دم بسببه[4]،

---

(١) «عثمان بن عفان الخليفة» الشاكر الصابر ص(٢٢٨، ٢٢٩).

(٢) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبدالحميد علي ص(٨٥).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٥١٥).

(٤) «فتنة مقتل عثمان» (١/ ١٦٧)، و«المسند» (١/ ٣٩٦) أحمد شاكر.

وأرسل كبار الصحابة أبناءهم دون استشارة عثمان ﷺ، ومن هؤلاء الحسن بن علي ﷺ، وعبدالله بن الزبير، حيث تذكر بعض الروايات أن الحسن حمل جريحًا من الدار يوم الدار[1]، كما جرح غير الحسن، عبدالله ابن الزبير، ومحمد ابن حاطب ومروان بن الحكم، كما كان معهم الحسين بن علي وابن عمر ﷺ[2]، وقد كان علي من أدفع الناس عن عثمان ﷺ، وشهد له بذلك مروان ابن الحكم[3]، أقرب الناس إلى عثمان ﷺ، وألصقهم به في تلك المحنة القاسية الأليمة، وقد أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبدالله ﷺ: إن عليًّا أرسل إلى عثمان فقال: إن معي خمسمائة دارع، فأذن لي؛ فأمنعك من القوم؛ فإنك لم تحدث شيئًا يستحل به دمك، فقال: جزيت خيرًا، ما أحب أن يهراق دم بسببي[4]، وقد وردت روايات عديدة تفيد وقوفه بجانب عثمان ﷺ أثناء الحصار، فمن ذلك: أن الثائرين منعوا عن عثمان الماء حتى كاد أهله أن يموتوا عطشًا، فأرسل علي ﷺ إليه بثلاث قرب مملوءة ماء، فما كادت تصل إليه، وجرح بسببها عدة من موالي بني هاشم وبني أمية حتى وصلت[5]، ولقد تسارعت الأحداث فوثب الغوغاء على عثمان وقتلوه ﷺ وأرضاه، ووصل الخبر إلى الصحابة وأكثرهم في المسجد، فذهبت عقولهم، وقال علي لأبنائه وأبناء إخوانه: كيف قتل عثمان وأنتم على الباب؟ ولطم الحسن - وكان قد جرح -[6] وضرب صدر الحسين، وشتم ابن الزبير وابن طلحة، وخرج غضبان إلى منزله ويقول: تبًّا لكم سائر الدهر، اللهم إني أبرأ إليك من دمه أن أكون قتلت أو مالأت على قتله[7]، وهكذا كان موقف علي ﷺ، نصح وشورى، سمع وطاعة، وقفة قوية بجانبه أثناء الفتنة، ومن أدفع الناس عنه، ولم يذكره بسوء قط، يحاول الإصلاح وسد الخرق بين الخليفة والخارجين عليه، لكن الأمر فوق

---

(١) «الطبقات» لابن سعد (٨/ ١٢٨) بسند صحيح. (٢) «تاريخ خليفة» ص(١٧٤).

(٣) «تاريخ الإسلام» للذهبي، و«الخلفاء الراشدون» ص(٤٦٠ ـ ٤٦١)، وإسناده قوي.

(٤) «تاريخ دمشق» ص(٤٠٣). (٥) «أنساب الأشراف» للبلاذري (٥/ ٦٧).

(٦) ابن أبي عاصم «الآحاد والثماني» (١/ ١٢٥) نقلاً عن «خلافة علي» ص(٨٧).

(٧) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/ ٢٠٩)، وإسناده صحيح.

طاقته، وخارج إرادته إنها إرادة الله عز وجل أن يفوز أمير المؤمنين عثمان ابن عفان رضي الله عنه بالشهادة(١).

٣ـ المصاهرات بين آل علي وآل عثمان رضي الله عنهم:

لم يكن بين بني هاشم وبني أمية من المباغضة والعداوة والمنافرة التي اخترعها وابتكرها أعداء الإسلام والمسلمين ونسجوا الأساطير والقصص حولها، ولقد اتضح لكل منصف أن بني أمية مع بني هاشم علاقتهم فيما بينهم علاقة أبناء العمومة والإخوان والخلان، فهم من أقرب الناس فيما بينهم، يتبادلون الحب والتقدير والاحترام، ويتقاسمون الهموم والآلام والأحزان، فبنو أمية وبنو هاشم كلهم أبناء أب واحد، وأحفاد جد واحد، وأغصان شجرة واحدة قبل الإسلام وبعد الإسلام، وكلهم استقوا من عين واحدة ومنبع صاف واحد، وأخذوا الثمار من دين الله الحنيف الذي جاء به رسول الله الصادق الأمين، المعلم، المربي، خاتم الأنبياء والمرسلين، ولقد كان بين أبي سفيان وبين العباس صداقة يضرب بها الأمثال(٢)، كما كانت بينهم المصاهرات قبل الإسلام وبعده، فلقد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بناته الثلاثة من الأربعة من بني أمية، من أبي العاص بن الربيع وهو من بني أمية، ومن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، وهو مع ذلك ابن بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي ولدت مع والد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن عبدالمطلب توءمين أروى بنت كريز بن حبيب بن عبد شمس وهي أم عثمان وأمها أم حكيم وهي البيضاء بنت عبدالمطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم ، هذا ولقد تزوج بعد عثمان بن عفان رضي الله عنه من بني هاشم ابنه أبان بن عثمان، وكانت عنده أم كلثوم بنت عبدالله بن جعفر (الطيار) ابن أبي طالب شقيق علي رضي الله عنهما(٣)، وحفيدة علي وبنت الحسين وسكينة كانت متزوجة من حفيد عثمان زيد بن عمرو بن عثمان رضي الله عنهم أجمعين، وحفيدة علي الثانية وابنة الحسين وفاطمة كانت متزوجة من حفيد عثمان الآخر، محمد

---

(١) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبدالحميد على ص(٨٧).

(٢) «الشيعة وأهل البيت» ص(١٤١).

(٣) «المعارف» للدينوري ص٨٦، و«الشيعة وأهل البيت» ص(١٤١).

ابن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان، وكانت أم حبيبة بنت أبي سفيان سيد بني أمية متزوجة من سيد بني هاشم وسيد ولد آدم رسول الله ﷺ الصادق الأمين كما هو معروف، كما أن هند بنت أبي سفيان كانت متزوجة من الحارث ابن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم فولدت له ابنه محمداً[١].

وتزوجت لبابة بنت عبيدالله بن عباس بن عبد المطلب، العباس بن علي ابن أبي طالب، ثم خلف عليها الوليد بن عتبة (ابن أخ معاوية) ابن أبي سفيان[٢]، وتزوجت رملة بنت محمد بن جعفر ـ الطيار ـ بن أبي طالب سليمان بن هشام بن عبدالملك (الأموي) ثم أبا القاسم بن وليد بن عتبة بن أبي سفيان[٣]، وكذلك تزوجت ابنة علي بن أبي طالب رملة من ابن مروان بن الحكم[٤] بن أبي العاص بن أمية، فقد كانت رملة بنت علي عند أبي الهياج. ثم خلف عليها معاوية بن مروان بن الحكم بن أبي العاص[٥]، وتزوجت حفيدة علي بن أبي طالب من حفيد مروان بن الحكم، فنفيسة بنت زيد بن الحسن بن علي ابن أبي طالب تزوجها الوليد بن عبدالملك بن مروان فتوفيت عنده، وأمها لبابة بنت عبدالله ابن عباس[٦]، وقد اكتفيت ببيان بعض منها، وفيها كفاية لمن أراد الحق والتبصر[٧].

سادساً: من أقوال علي في الخلفاء الراشدين:

إن خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﵃ قد أجمع على صحتها وانعقادها الصحابة الكرام، ومن طعن في أحد منهم فقد خالف قول الله تعالى: **﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾** (النساء: ١١٥)، وقول النبي ﷺ: **«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ»** فهم أبوبكر وعمر وعثمان

(١) «طبقات ابن سعد» (٥/ ١٥)، و«الإصابة» (٣/ ٥٨ ، ٥٩).
(٢) «نسب قريش» ص(١٣٣)، و«الشيعة وأهل البيت» ص(١٤٣).
(٣) «الشيعة وأهل البيت» ص(١٤٣).
(٤) المصدر نفسه ص(١٤٣).
(٥) «جمهرة أنساب العرب» ص(٨٧)، و«نسب قريش» ص(٤٥).
(٦) «طبقات ابن سعد» (٥/ ٢٣٤).
(٧) «الشيعة وأهل البيت» ص(١٤٤).

وعلي رضي الله عنهم ومن اتبعهم بإحسان(١)، وما أحسن ما قاله أيوب السختياني في هذا المقام، حيث قال: من أحب أبابكر فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله عز وجل، ومن أحب عليًّا فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن أحسن القول في أصحاب محمد فقد برئ من النفاق(٢). قال الشاعر:

إِنْي رَضِيتُ عليًّا قُدوةً عَلَمًا
كَمَا رَضِيتُ عَتِيقًا صَاحِبَ الغَارِ
وَقَدْ رضيتُ أبَا حَفْصٍ وَشِيعَتَهُ
وَمَا رَضِيتُ بِقَتْلِ الشَّيْخِ فِي الدَّارِ
كُلُّ الصَّحَابَة عِنْدي قُدْوَةٌ عَلَمٌ
فَهَلْ عَلَيَّ بِهَذَا القَوْلِ مِنْ عَارِ
إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي لاَ أُحِبُّهُمُ
إلاَّ لِوَجْهِكَ أعْتِقْنِي مِنْ النَّارِ(٣)

هذا وقد جاءت الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة في العلاقة المتميزة بين علي والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ، وقد تمّ توضيح ذلك في الصفحات الماضية، وهذه بعض الأدلة نضيفها إلى ما سبق من براهين ساطعة على مكانة الخلفاء الراشدين عند أمير المؤمنين علي رضي الله عنه :

١ـ سيدا كهول أهل الجنة وشبابها:

عن علي رضي الله عنه قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فأقبل أبوبكر وعمر، فقال: ياعليُّ، هذان سيدا كهول أهل الجنة، وشبابها، بعد النبيين والمرسلين(٤).

---

(١) «الشريعة» للآجري (٤/ ١٧٦٨). (٢) المصدر نفسه (٤/ ١٧٧٢ ، ١٧٧٣). (٣) «الشريعة» (٥/ ٢٥٣٦).
(٤) «مسند أحمد الموسوعة الحديثية» رقم (٦٠٢)، حديث صحيح وهذا إسناد حسن.

٢ـ ما أضمر لهما إلا الذي أتمنى المضي عليه:

عن سويد بن غفلة، قال: مررتُ بنفر من الشيعة يتناولون أبابكر وعمر، فدخلت على علي فقلت: يا أمير المؤمنين، مررت بنفر من أصحابك آنفًا يتناولون أبابكر وعمر بغير الذي هما له من هذه الأمة أهل، فلولا أنك تُضْمِرُ على مثل ما أعلنوا عليه ما تجرؤوا على ذلك. فقال علي: ما أضمر لهما إلا الذي أتمنى المُضيَّ عليه، لعن الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل. ثم نهض دامع العين يبكي، قابضًا على يدي حتى دخل المسجد، فصعد المنبر وجلس عليه متمكنًا قابضًا على لحيته ينظر فيها وهي بيضاء، حتى اجتمع له الناس، ثم قام فخطب خطبة موجزة بليغة، ثم قال: ما بال قوم يذكرون سَيِّدَي قريش وأبوي المسلمين؟ أنا مما قالوا بريءٌ، وعلى ما قالوا مُعاقِبٌ، ألا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لا يحبهما إلا مؤمن تقي، ولا يبغضهما إلا فاجر رديّ، صحبا رسول الله ﷺ على الصدق والوفاء، يأمران وينهيان وما يجاوزان فيما يصنعان رأي رسول الله ﷺ، ولا كان رسول الله يرى بمثل رأيهما، ولا يحب كحبهما أحدًا، قبض رسول الله ﷺ وهو عنهما راضٍ، ومضيا والمؤمنون عنهما راضون، أمر رسول الله أبابكر لصلاة المؤمنين فصلىَّ بهم تسعة أيام[1] في حياة رسول الله ﷺ، فلما قبض الله تعالى نبيه ﷺ واختار له ما عنده، ولاَّه المؤمنون أمرهم، وقضوا إليه الزكاة؛ لأنهما مقرونتان، ثم أعطوه البيعة طائعين غير كارهين، أنا أول من سَنَّ ذلك من بني عبدالمطلب، وهو لذلك كاره يودُّ أنّ أحدنا كفاه ذلك، وكان والله خير من بقي، أرحمه رحمة، وأرأفه رأفة، وأثبته ورعًا، وأقدمه سنًّا وإسلامًا. . فسار فينا سيرة رسول الله ﷺ حتى مضى على ذلك، ثم ولى عمر الأمر من بعده، فمنهم من رضي، ومنهم من كره، فلم يفارق الدنيا حتى رضي به من كان كرهه، فأقام الأمر على منهاج النبي ﷺ وصاحبه، يتبع آثارهما كتباع الفصيل[2]، أمه، وكان والله رفيقًا رحيمًا، وللمظلومين عونًا راحمًا وناصرًا، لا

---

(١) في الأصل سبعة، وورد تصويبها في الهامش. (٢) الفصيل: ولد الناقة إذا فُصل عن أمه.

يخاف في الله لومة لائم، ضرب الله بالحق على لسانه، وجعل الصدق من شأنه، حتى كنا نظن أن ملكًا ينطق على لسانه، أعزّ الله بإسلامه الإسلام، وجعل هجرته للدين قوامًا، ألقى الله تعالى له في قلوب المنافقين الرّهبة، وفي قلوب المؤمنين المحبة. . إلى أن قال: فمن لكم بمثلهما ـ رحمة الله عليهما ـ ورزقنا المضيَّ على سبيلهما؛ فإنه لا يبلغ مبلغهما إلا باتباع آثارهما والحبِّ لهما، ألا فمن أحبَّني فليُحبهما، ومن لم يُحبَّهما فقد أبغضني، وأنا منه بريء، ولو كنت تقدمت إليكم في أمرهما. لعاقبت على هذا أشد العقوبة، ولكن لا ينبغي أن أعاقب قبل التقدم، ألا فمن أُتيتُ به -يقول: هذا بعد اليوم- فإنّ عليه ما على الْمُفْتَري، ألا وخير هذه الأمة بعد نبيها: أبوبكر وعمر، ولو شئت سمّيت الثالث، وأستغفر الله لي ولكم[١].

٣ـ هذا عثمان بن علي سميته بعثمان بن عفان:

عن أبي سعيد الخدري: نظرت إلى غلام أيفع[٢]، له ذؤابة[٣] وجمة[٤]، والله يعلم أني منه حينئذٍ لفي شك، ما أدري غلام هو أو جارية، فمررنا بأحسن منه وهو جالس إلى جنب عليّ فقلت: عافاك الله، من هذا الفتى إلى جانبك؟ قال: هذا عثمان بن عليّ سميته بعثمان بن عفان، وقد سميت بعمر بن الخطاب، وسميت بعباس عم رسول الله، وقد سميت بخير البرية محمد، فأما حسن وحسين ومحسن[٥]، فإنما سماهم رسول الله ﷺ وعقّ عنهم وحلق رؤوسهم[٦]، وتصدق وزنها، وأمر بهم فسموا وختنوا[٧]، فقد ولدوا في عهده عليه الصلاة والسلام، ورسول الله هو الذي سماهم وعقّ عنهم.

---

(١) «النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب» ص(٤٣)، و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي رقم (٤٤٥٦).
(٢) أيفع: شارف الاحتلام.
(٣) الذؤابة: هي الشعر المضفور من شعر الرأس.
(٤) الجمة من شعر الرأس: ما سقط على المنكبين.
(٥) «مسند أحمد» (٢/ ١١٥) رقم (٧٦٩) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.
(٦) «المختصر من كتاب الموافقة» ص(١٤١).
(٧) وختنوا: الختن للرجال، والخفض للنساء، «المختصر من كتاب الموافقة» ص(١٤١).

٤ـ أبوبكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم كان لهم بالنبي اختصاص عظيم:

قد عرف بالتواتر الذي لا يخفى على العامة والخاصة أن أبابكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم كان لهم بالنبي ﷺ اختصاص عظيم، وكانوا من أعظم الناس اختصاصًا به، وصحبة له وقربة إليه، وقد صاهرهم كلهم، وكان يحبهم ويثني عليهم، وحينئذ فإما أن يكونوا على الاستقامة ظاهرًا وباطنًا في حياته وبعد موته، وإما أن يكونوا بخلاف ذلك في حياته، أو بعد موته، فإن كانوا على غير الاستقامة مع هذا القرب فأحد الأمرين لازم، إما عدم علمه بأحوالهم، أو مداهنته لهم، وأيهما كان فهو من أعظم القدح في الرسول ﷺ كما قيل:

فَإِنْ كُنْتَ لاَ تَدْرِي فَتِلْكَ مُصِيبَةٌ
وَإِنْ كُنْتَ تَدْرِي فَالمصِيبَةُ أَعْظَمُ

وإن كانوا انحرفوا بعد الاستقامة فهذا خذلان من الله للرسول في خواص أمته، وأكابر أصحابه، ومن وعد أن يظهر دينه على الدين كله، فكيف يكون أكابر خواصه مرتدين؟ فهذا ونحوه من أعظم ما يقدح به الرافضة في الرسول ﷺ كما قال الإمام مالك وغيره: إنما أراد هؤلاء الرافضة الطعن في الرسول ﷺ ليقول القائل: رجل سوء كان له أصحاب سوء ولو كان رجلاً صالحًا لكان أصحابه صالحين، ولهذا قال أهل العلم: إن الرافضة دسيسة الزندقة(١).

٥ ـ ما يترب عليه في مذهب الرافضة من تكفير الصحابة:

إن مذهب الرافضة في تكفير الصحابة يترتب عليه تكفير أمير المؤمنين؛ لتخليه عن القيام بأمر الله، ويلزم عليه إسقاط تواتر الشريعة، بل بطلانها مادام نقلتها مرتدين، ويؤدي إلى القدح في القرآن العظيم؛ لأنه وصلنا عن طريق أبي بكر وعمر وعثمان وإخوانهم، وهذا هو هدف واضع هذه المقالة، ولذلك قال أبوزرعة: إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ؛ فاعلم

(١) «منهاج السنة» (٤/ ١٢٣)، و«أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٩٣١).

أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ حق والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة[١]، ولذلك اعترفت كتب الشيعة أن الذي وضع هذه المقالة هو ابن سبأ، فقالت: إنه أول من أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة، وتبرأ منهم، وادعى أن عليًّا رضي الله عنه أمره بذلك[٢].

٦ ـ قرائن عملية وأدلة واقعية على حقيقة العلاقة بين علي والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم:

قامت القرائن العملية والأدلة الواقعية من سيرة أمير المؤمنين علي في علاقته مع إخوانه أبي بكر وعمر وعثمان مما اشتهر وذاع نقله، وقد نقلنا منه الكثير فيما مضى ما يثبت المحبة الصادقة والإخاء الحميم بين هذه الطليعة المختاره، والصفوة من جيل الصحابة رضوان الله عليهم، وتأتي في مقدمة هذه الأدلة والقرائن تزويج أمير المؤمنين علي ابنته أم كلثوم لأمير المؤمنين عمر[٣]، فإذا كان عمر فاروق هذه الأمة قد صار عند الشيعة الروافض أشد كفرًا من إبليس، أفلا يرجعون إلى عقولهم ويتدبروا فساد ما ينتهي إليه مذهبم؟ إذ لو كان أبوبكر وعمر رضي الله عنهما كافرين كما يفترون لكان علي بتزويجه ابنته أم كلثوم الكبرى من عمر رضي الله عنه كافرًا أو فاسقًا معرضًا بنته للزنى؛ لأن وطء الكافر للمسلمة زنىً محض[٤]، والعاقل المنصف البريء من الغرض، الصادق في محبته للنبي ﷺ وأهل بيته واتباعه لهم لا يملك إلا الإذعان لهذه الحقيقة، حقيقة الولاء والحب بين الخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم، ولذلك لما قيل لمعز الدولة أحمد بن بويه ـ وكان رافضيًّا يشتم صحابة رسول الله ـ إن عليًّا رضي الله عنه زوج ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، استعظم ذلك وقال: ما علمت بهذا، وتاب وتصدق بأكثر

---

(١) «الكفاية» ص(٤٩).

(٢) «المقالات والفرق» للقمي ص(٢٠) نقلاً عن «أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٩٣٣).

(٣) «أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٩٣٢).

(٤) المصدر نفسه (٢/ ٩٣٢).

من مـاله، وأعتق مماليكه، ورد كـثيـرًا من المظالم وبكى حـتى غشي عليـه[١]؛ لشعوره بعظم جرمه فيما سلف من عمره، الذي أمضاه ينهش في أعراض هؤلاء الأطهار مغترًّا بشبهات الروافض[٢]، وقد حاول شيـوخ الشيعة الروافض إبطال مفعول هذا الدليل؛ فوضعـوا روايات مكذوبة عن لسان الأئمة تقول: ذلك فرج غصبناه[٣]، فزادوا الطين بلة، حـتى صوروا أميـر المؤمنين في صورة «الديوث» الذي لا ينافح عن عرضـه، ويقر الفاحـشة في أهله، وهل يتصـور مثل هذا في حق أمير المؤمنين علي بطل الإسـلام؟ إن أدنى العرب ليبذل نفسـه دون عرضه، ويقتل دون حرمـه، فضلاً عن بني هاشم الذين هم سادات العرب وأعـلاها نسبًا وأعظمهـا مروءة وحمية، فكيـف يثبتون لأميـر المؤمنين وابنته حفـيدة رسول الله ﷺ مثل هذه المنقصة الشنيعـة، وهو الشجاع الصنديد، ليث بني غالب، أسد الله في المشارق والمغارب؟!(٤).

ويبدو أن بعـضهم لم يعجـبه هذا التوجـيه، فرام التـخلص من هذا الدليل بمنطق أغرب وأعـجب، حيث زعم أن أم كلثوم لم تكن بنت علي؛ ولكنهـا جنية تصورت بصورتها[٥]. فأتوا بما يستـخف به أصحاب العقـول، ويستطيع كل من أراد أن يدّعي علـى من يكرهه بأنه جـني أو جنيـــه، وهكذا يعـيـش الناس في الخرافات وتضيع الحقيقة.

ومن القرائن أيضـًا علاقات القـربى القائمة بينهم، ووشـائج الصلة، وكذلك مظاهر المحبـة، حتى إن عليًّا والحسن والحـسين ـ كما مـرّ معنا ـ يسـمون بعض أولادهم باسم أبي بكر وعمر، وهل يطيق أحد أن يسمي أولاده بأسماء أشد أعدائه كفرًا وكرهًا لـه؟ وهل يطيق أن يسمع أسماء أعدائه تتردد في أرجـاء بيته يرددها مع أهله في يومه مرات وكرات؟![٦].

---

(١) «المنتظم» (٧/ ٣٨، ٣٩). (٢) «أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٩٣٧).

(٣) «فروع الكافي» (٢/ ١٠)، و«أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٩٣٧).

(٤) «مؤتمر النجف» للسويدي ص(٨٦) نقلاً عن «أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٩٣٧).

(٥) «الأنوار النعمانية» (١/ ٨٣ ـ ٨٤) نقلاً عن «أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٩٣٨).

(٦) «أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٩٣٨).

إن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لا يحفظ عنه الصحابة ومن تبعهم من التابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين إلا محبة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم في حياتهم وفي خلافتهم وبعد وفاتهم، فأما في خلافتهم فسامع لهم مطيع، يحبهم ويحبونه، ويعظم قدرهم ويعظمون قدره، صادق في محبتهم، مخلص في الطاعة لهم، يجاهد من يجاهدون، ويحب ما يحبون، ويكره ما يكرهون، يستشيرونه في النوازل فيشير مشورة ناصح مشفق محب، فكثير من سيرتهم بمشورته جرت[1]، وهم يبادلونه نفس الشعور ويقال: إنه لا يجتمع حب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي إلا في قلوب أتقياء هذه الأمة[2]، وقال سفيان الثوري: لا يجتمع حب عثمان وعلي رضي الله عنهما إلا في قلوب نبلاء الرجال[3]، وقال أنس ابن مالك: قالوا: إن حب عثمان وعلي رضي الله عنهما لا يجتمعان في قلب مؤمن، كذبوا. فقد جمع الله عز وجل حبهما بحمد الله في قلوبنا[4].

سابعًا: وصف لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم:

قال الله تبارك وتعالى: **﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾** (الفتح: ٢٩).

ومن المناسب أن أختم هذا الفصل بهذه الآية الكريمة؛ لتكون دليلاً على ما ذكرته من المحبة والرحمة والتعاون بين الخلفاء الراشدين والصحابة الكرام، فهذه الآية تضمنت ذكر منزلة الرسول صلى الله عليه وسلم بالثناء؛ ثم ثنى الله تعالى فيها بالثناء على سائر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فذكر تعالى أن صفاتهم الشدة والغلظة على أهل الكفر، كما وصفهم بالتراحم والتعاطف فيما بينهم، ووصفهم

---

(١) «الشريعة» للآجري (٥/ ٢٣١٢).

(٢) المصدر نفسه (٥/ ٢٣١٢).

(٣) «حلية الأولياء» (٧/ ٣٢).

(٤) «الشريعة» للآجري (٥/ ٢٣١٢)، وإسناده صحيح.

بأنهم يكثرون من الأعمال الصالحة المقرونة بالإخلاص وسعة الرجاء، وفي مقدمة تلك الأعمال الصالحة إكثارهم من الصلاة ابتغاء الحصول على فضل من الله ورضوان، كما بين ـ سبحانه ـ أن آثار ذلك يظهر على وجوههم ﴿**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾ والسيما: العلامة. وقد قيل: بها بياض يكون في الوجوه يوم القيامة قاله الحسن وسعيد بن جبير وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواية أخرى عنه وعن مجاهد: السيماء في الدنيا هو: السمت الحسن، «وعن مجاهد أيضًا: هو الخشوع والتواضع(١)».

وهذه الأقوال لا منافاة بينها إذ يمكن أن يكون في الدنيا هو السمت الذي ينشأ عن التواضع والخشوع، وفي الآخرة يكون في جباههم نور(٢) قال ابن كثير: فالصحابة رضي الله عنهم خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم فكل من نظر إليهم أعجبوه في سمتهم وهديهم، وقال مالك رضي الله عنه: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضي الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا، وصدقوا في ذلك؛ فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد نوه الله - تبارك وتعالى - بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة، ولهذا قال - سبحانه - ههنا ﴿**ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ**﴾ ثم قال: ﴿**وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ**﴾ أي: فراخه ﴿**فَآزَرَهُ**﴾ أي: شده وقواه ﴿**فَاسْتَغْلَظَ**﴾ أي: شب وطال ﴿**فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ**﴾ أي: فكذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الزرع ﴿**لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ**﴾ ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك -رحمة الله عليه- في رواية عنه تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رضي الله عنهم قال: لأنهم يغيظونهم ومن غاظه الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر لهذه الآية، ووافقه طائفة من العلماء رضي الله عنهم على ذلك. ثم قال تبارك وتعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا**

---

(١) «تفسير الطبري» (٢٦/ ١١٠-١١١)، و«تفسير القرطبي» (١٦/٢٩٣-٢٩٤).
(٢) «تفسير الطبري» (٢٦/١١٢).

﴿الصَّالِحَاتِ مِنْهُم﴾ أي: ثوابًا جزيلاً ورزقًا كريمًا ووعد الله حق وصدق لا يخلف ولا يبدل، وكل من اقتفى أثر الصحابة رضي الله عنهم فهو في حكمهم ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة رضي الله عنهم وأرضاهم وجعل جنات الفردوس مأواهم وقد فعل[1]، وفي قوله - سبحانه - في حق الصحابة الكرام رضي الله عنهم ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾، أخطر حكم، وأغلظ تهديد، وأشد وعيد في حق من غيظ بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كان في قلبه غل لهم[2]، وأما قوله تعالى في ختام الآية: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ فيها وعد من الله تعالى لجميع الصحابة بالجنة، وكذلك كل من آمن وعمل الصالحات من أمة الإجابة إذ هذا الوعد عام لجميع المؤمنين إلى يوم القيامة[3]، وكلمة ﴿مِنْهُم﴾ في الآية السابقة: لبيان الجنس وليست للتبعيض. قال ابن تيمية: ولا ريب أن هذا مدح لهم بما ذكر من الصفات وهو الشدة على الكفار، والرحمة بينهم، والركوع والسجود يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا، والسيماء في وجوههم من أثر السجود، وأنهم يبتدئون من ضعف إلى كمال القوة والاعتدال كالزرع، والوعد لهم بالمغفرة والأجر العظيم ليس على مجرد هذه الصفات بل على الإيمان والعمل الصالح فذكر ما به يستحقون الوعد، وإن كانوا كلهم بهذه الصفة ولولا ذكر ذلك لكان يظن أنهم بمجرد ما ذكر يستحقون المغفرة والأجر العظيم، ولم يكن فيه بيان سبب الجزاء بخلاف ما إذا ذكر الإيمان والعمل الصالح، فإن الحكم إذا علق باسم مشتق مناسب كان ما منه الاشتقاق سبب الحكم[4].

إن ما ذكرته في هذا الفصل ينسجم كليًّا مع حديث القرآن الكريم عن الرحمة بين الصحابة والشدة على الكفار وخصوصًا بين الخلفاء الراشدين، فهم السادة الكرام، وعلية القوم، وقادة الأمة بعد وفاة نبيها، فالحذر كل الحذر من الروايات الضعيفة والقصص الموضوعة التي اختلقها أعداء الأمة؛ ليشوهوا بها

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٣٦٥).
(٢) «قبس من هدي الإسلام»، لعبد المحسن العباد ص(٨٦)
(٣) «عقيدة أهل السنة من الصحابة» (١/ ٧٦).
(٤) «منهاج السنة» (١/ ١٥٨).

تاريخ صدر الإسلام، أنصدق الروايات الكاذبة والقصص الواهية التي تصور العداء بين الخلفاء الراشدين، أم نصدق كتاب ربنا وما جاء في حقهم على لسان نبينا، وما يوافقه مما دونه العلماء الثقات من أهل السنة والجماعة؟

قال تعالى: ﴿**وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ (الانفال:٦٣) فهذا وصف القرآن الكريم لحقيقة الألفة بين قلوب الصحابة، فهي منحة ربانية، ونعمة إلهية أعطاها الله لذلك الجيل الطاهر، لا دخل لبشر فيها، وبين القرآن الكريم أن الألفة بين الصحابة نعمة من الله تعالى امتن بها على رسول الله ﷺ، وهذا التصوير القرآني لحقيقة الصحابة ينسجم مع الرويات الصحيحة التي تبين محبة الصحابة والمودة بينهم، وبذلك يفتضح أمر الذين وضعوا الروايات المكذوبة والموضوعة، والآية تشمل كل من سار على هدي القرآن الكريم وسنة سيد المرسلين، قال ابن عباس رضي الله عنهما: قرابة الرحم تقطع، ومنة المنعم تكفر، ولم نر مثل تقارب القلوب(١).

قال الشاعر:

وَلَقَدْ صَحِبْتُ النَّاسَ ثُمَّ خَبِرْتُهُمْ
وَبَلَوتُ مَا وَصَلُوا مِنْ الأَسْبَابِ
فَإِذَا القَرَابَةُ لاَ تُقَرِّبُ قَاطِعًا
وَإِذَا المَوَدَّةُ أَقْرَبُ الأَسْبَابِ(٢)



(١) «الدر المنثور في تفسير المأثور» (٤/ ١٠٠).
(٢) المصدر نفسه (٤/ ١٠٠)

الفصل الثالث
بيعة علي رضي الله عنه وأهم صفاته وحياته في المجتمع
المبحث الأول
بيعة علي رضي الله عنه

أولاً: كيف تمت بيعة علي رضي الله عنه:

تمت بيعة عليّ رضي الله عنه بالخلافة بطريقة الاختيار وذلك بعد أن استشهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه على أيدي الخارجين المارقين الشذاذ الذين جاؤوا من الآفاق ومن أمصار مختلفة، وقبائل متباينة لا سابقة لهم، ولا أثر خير في الدين، فبعد أن قتلوه رضي الله عنه ظلمًا وزورًا وعدوانًا، يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين[1]، قام كل من بقي بالمدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمبايعة عليّ رضي الله عنه بالخلافة؛ وذلك لأنه لم يكن أحد أفضل منه على الإطلاق في ذلك الوقت، فلم يدع الإمامة لنفسه أحد بعد عثمان رضي الله عنه ولم يكن أبو السبطين رضي الله عنه حريصًا عليها، ولذلك لم يقبلها إلا بعد إلحاح شديد ممن بقي من الصحابة بالمدينة وخوفًا من ازدياد الفتن وانتشارها ومع ذلك لم يسلم من نقد بعض الجهال إثر تلك الفتن كموقعة الجمل وصفين التي أوقد نارها وأنشبها الحاقدون على الإسلام؛ كابن سبأ وأتباعه الذين استخفهم فأطاعوه لفسقهم ولزيغ قلوبهم عن الحق والهدى، وقد روى الكيفية التي تم بها اختيار عليّ رضي الله عنه للخلافة بعض أهل العلم[2]، فقد روى أبو بكر الخلال بإسناده إلى محمد بن الحنفية قال: كنت مع علي رحمه الله وعثمان رضي الله عنه محاصر قال: فأتاه رجل فقال: إن أمير المؤمنين مقتول الساعة قال: فقام علي رحمه الله، قال محمد: فأخذت بوسطه تخوفًا عليه فقال: خَلِّ لا أم لك قال: فأتى علي الدار وقد قتل الرجل رحمه الله، فأتى داره فدخلها فأغلق بابه، فأتاه الناس فضربوا

---

(١) «الطبقات» لابن سعد (٣/ ٣١).

(٢) «عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام» (٢/ ٦٧٧).

عليه الباب فـدخلوا عليه فقالوا: إن هذا قد قـتل، ولا بد للناس من خليفة ولا نعلم أحدًا أحق بها منك فقـال لهم عليّ رضي الله عنه: لا تريدوني فإني لكم وزير خير مني لكم أمير فقالوا: لا والله لا نعلم أحدًا أحق بها منك، قال: فإن أبيتم علي فإن بيعتي لا تكون سرًّا، ولكن أخرج إلى المسجد فبايعه الناس[١]، وفي رواية أخرى عن سالم بن أبي الجعد عن محمد بن الحنفية: فـأتاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: إن هذا الرجل قد قـتل ولا بد للناس من إمام ولا نجد أحدًا أحق بها منك أقدم مـشاهد، ولا أقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقـال عليّ، لا تفعلوا فإني وزير خيـر مني أمير، فقـالوا: لا والله ما نحن بفاعلين حتى نـبايعك قال: ففي المسجد فإنه ينبغي لبيـعتي ألا تكون خفيًا، ولا تكون إلا عن رضا المسلمين قال: فقال سـالم بن أبي الجعد: فقال عبد الله بن عـباس رضي الله عنهما: فلقد كرهت أن يأتي المسجـد كراهية أن يشغب عليـه، وأبى هو إلا المسجد، فلما دخل المـسجد جاء المهاجرون والأنصار فبايعوا وبايع الناس[٢].

ومن هذه الآثار الصحيحة بعض الدروس والعبر والفوائد، منها:

١- نصرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه لعـثمان رضي الله عنه، ودفاعه عنـه وهذا متواتر عن عليّ رضي الله عنه، بل كان أكثـر الناس دفاعا عن عثمان رضي الله عنه، جـاء ذلك بأسانيد كثـيرة وشـهد بذلك مـروان بن الحكم حيث قـال: ما كان في القـوم أدفع عن صاحبنا من صاحبكم، يعني عليًّا عن عثمان رضي الله عنهما[٣].

٢- زهد عليّ رضي الله عنه في الخلافة وعدم طلبه لها أو طمـعه فيها، واعتزاله في بيته حتى جاءه الصحابة يطلبون البيعة.

٣- إجمـاع الصحابة من المهـاجرين والأنصار والناس عـامة في المدينة على بيـعتـه، ويدخل في هؤلاء أهل الحل والعـقـد، وهم الذين قصـدوا عليًّا رضي الله عنه

(١) «كتاب السنة» لأبي بكر الخلال ص(٤١٥).
(٢) الخلال في السنة» ص (٤١٦) رجال الإسناد ثقات.
(٣) «بيـعة علي بن أبي طالب»، أم مـالك الخالدي ص (٢) نقـلاً عن «تاريخ الذهبي» عـهـد الخلفـاء الراشـدين، ص(٤٦٠)، وإسناده قوي .

وطلبوا منه أن يوافق على البيعة، وألحوا عليه حتى قبلها، وليس للغوغاء وقتلة عثمان رضي الله عنه ، كما في بعض الروايات الضعيفة والموضوعة.

٤- إن عليًّا رضي الله عنه كان أحق الناس بالخلافة يومئذ ويدل على ذلك قصد الصحابة له، وإلحاحهم عليه؛ ليقبل البيعة، وتصريحهم بأنهم لا يعلمون أحق منه بالخلافة يومئذ.

٥- أهمية الخلافة، ولذلك رأينا أن الصحابة أسرعوا في تولية عليّ رضي الله عنه ، وكان علي يقول: لولا الخشية على دين الله لم أجبهم[1].

٦- إن الشبهة التي أدخلوها على بيعة عليّ رضي الله عنه ، كون الخوارج الذين حاصروا عثمان رضي الله عنه ، وشارك بعضهم في قتله، كانوا في المدينة وأنهم أول من بدؤوا بالبيعة وأن طلحة والزبير بايعا مكرهين، وهذه أقاويل المؤرخين، لا تقوم على أساس وليس لها مسند صحيح، والصحيح أنه لم يجد الناس بعد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، كالرابع قدرًا وعلمًا وتقى ودينًا، وسبقًا وجهادًا، فعزم عليه المهاجرون والأنصار، ورأى ذلك فرضًا عليه، فانقاد إليه، ولولا الإسراع بعقد البيعة لعليّ رضي الله عنه ؛ لأدى ذلك إلى فتن واختلافات في جميع الأقطار الإسلامية، فكان من مصلحة المسلمين أن يقبل علي رضي الله عنه البيعة مهما كانت الظروف المحيطة بها، ولم يتخلف عن عليّ رضي الله عنه أحد من الصحابة الذين كانوا بالمدينة، وقد خلط الناس بين فقد تخلف الصحابة عن المسير معه إلى البصرة وبين البيعة، أما البيعة فلم يتخلفوا عنها، وأما المسير معه فقد تخلفوا عنه؛ لأنها كانت مسألة اجتهادية[2]، كما أن عليًّا لم يلزمهم بالخروج معه كما سيأتي التفصيل بإذن الله عند حديثنا عن الجمل.

٧- لا بد من الحذر من مبالغات الإخباريين التي تزعم أن المدينة بقيت خمسة أيام بعد مقتل عثمان رضي الله عنه ، وأميرها الغافقي بن حرب، وظل أهلها

(١) «فتح الباري» (١٣/ ٧٥)، وإسناده صحيح، «بيعة علي» ص(١٠٥).
(٢) «المدينة النبوية»، لمحمد شرّاب (٢/ ٣١١).

يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه[1]، وتزعم أن الغوغاء من مصر عرضت الأمر على عليّ ﷺ فرفضه، وأن خوارج الكوفة عرضوا الخلافة على الزبير، فلا يجدونه، ومن جاء من البصرة عرضوا على طلحة البيعة، فهذا لا يثبت أمام الروايات الصحيحة، ولا يصح إسناده[2]، كما أن المعروف تمكن الصحابة من المدينة وقدرتهم على القضاء على الغوغاء لولا طلب عثمان ﷺ بالكف عن استخدام القوة ضدهم، وقد فصلت ذلك في كتابي «تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان» والصحيح أن بيعة علي ﷺ كانت عن طواعية واختيار من المسلمين وليس لأهل الفتنة دور في مبايعة عليّ ﷺ، وإنما كل من كان من الصحابة في المدينة[3] هم الذين اختاروا أمير المؤمنين عليًّا ﷺ.

٨- بلغت الروايات الصحيحة والشواهد في بيعة علي إحدى عشرة رواية[4]، كما سيأتي تفصيل بعضها بإذن الله.

ثانيًا: أحقية علي بالخلافة:

إن أحق الناس بالخلافة بعد أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ هو عليّ بن أبي طالب ﷺ وهذا معتقد أهل السنة والجماعة، وهذا ما يجب على المسلم اعتقاده والديانة لله به في شأن ترتيب الخلافة الراشدة.

وقد ورد الإيماء إلى أحقية خلافة عليّ ﷺ في كثير من النصوص الشرعية منها:

١- قال تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ**﴾ (النور: ٥٥) ووجه الاستدلال بها على أحقية خلافة عليّ ﷺ أنه أحد المستخلفين في الأرض الذين مكن الله لهم دينهم.

---

(١) «تاريخ الطبري» (٤/ ٤٣٢).

(٢) «استشهاد عثمان ووقعة الجمل» د. خالد الغيث ص(١٣٦ إلى ١٤٠).

(٣) «استشهاد عثمان» ص(٢٤٠).

(٤) «بيعة علي بن أبي طالب» ص (١٢٢).

٢- قوله ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ**»[(١)]. ووجه الدلالة في هذا الحديث على أحقية خلافة عليّ رضي الله عنه أنه أحد الخلفاء الراشدين المهديين الذين أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وحافظوا على حدود الله، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وساروا بسيرة رسول الله ﷺ في العدل وإقامة الحق.

٣- قوله ﷺ: «**خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء**»[(٢)].

وفي هذا الحديث إشارة إلى أحقية عليّ رضي الله عنه حيث إن خلافته كانت آخر الثلاثين من مدة خلافة النبوة التي حددها النبي ﷺ في هذا الحديث وبموجب هذا قال أهل العلم[(٣)]، قال أحمد بن حنبل: حديث سفينة في الخلافة صحيح وإليه أذهب في الخلفاء[(٤)]، وقال عبدالله بن أحمد: قلت لأبي: إن قومًا يقولون إنه ليس بخليفة، قال: هذا قول سوء رديء فقال: أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يقولون له: يا أمير المؤمنين أفنكذبهم وقد حج وقطع ورجم؟ أفلا يكون هذا إلا خليفة؟[(٥)].

وقال ابن تيمية في حديث سفينة: وهو حديث مشهور من رواية حماد ابن سلمة وعبد الوارث بن سعيد والعوام بن حوشب عن سعيد بن جهمان عن سفينة مولى رسول الله ﷺ، رواه أهل السنن كأبي داود وغيره واعتمد عليه الإمام أحمد وغيره في تقرير خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة، وثبته أحمد واستدل به على من توقف في خلافة عليّ رضي الله عنه من أجل افتراق الناس عليه حتى قال أحمد: من لم يُربِّع بعلي في الخلافة فهو أضل من حمار أهله ونهى عن مناكحته[(٦)].

---

(١) «سنن أبي داود» (٤/ ٢٠١)، و«الترمذي» (٥/ ٤٤) حسن صحيح.

(٢) «صحيح ابن حبان» رقم (٦٦٥٧)، والطبراني في «الكبير» (٦٤٤٢)، و«السلسلة الصحيحة» للألباني (١/ ٧٤٢ - ٧٤٩).

(٣) «عقيدة أهل السنة والجماعة» (٢/ ٦٨٦).

(٤) «السنة» لعبد الله بن حنبل ص(٢٣٥).

(٥) المصدر نفسه ص (٢٣٥)، «عقيدة أهل السنة في الصحابة» (٢/ ٦٨٦).

(٦) هذه الرسالة بالمكتبة الظاهرية بخطه في مسودته نقلاً عن «عقيدة أهل السنة والجماعة» (٢/ ٢٨٦).

وقال شارح الطحاوية: ونشبت الخلافة بعد عثمان لعلي ﷺ لما قتل عثمان وبايع الناس عليًّا صار إمامًا حقًّا، واجب الطاعة وهو الخليفة في زمانه خلافة نبوة، كما دل عليه حديث سفينة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله ملكه من يشاء**»[١].

٤- عن عكرمة: قال لي ابن عباس ولابنه علي ﷺ: انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا من حديثه، فانطلقنا فإذا هو في حائط يصلحه، فأخذ رداءه فاحتبى، ثم أنشأ يحدثنا حتى أتى على ذكر بناء المسجد فقال: كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين فرآه النبي ﷺ، فينفض التراب عنه ويقول: «**ويح**[٢] **عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار**»، قال: يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن[٣]، وفي رواية مسلم عن أبي سعيد قال لعمار حين جعل يحفر الخندق وجعل يمسح رأسه ويقول: «**بؤسي**[٤] **ابن سمية تقتلك فئة باغية**»[٥] قال ابن تيمية: بعد ذكره لقوله ﷺ: «**تقتل عماراً الفئة الباغية**»[٦]: وهذا يدل على صحة إمامة علي ووجوب طاعته وأن الداعي إلى طاعته داع إلى الجنة والداعي إلى مقاتلته داع إلى النار وإن كان متأولا، أو باغ بلا تأويل وهو أصح القولين لأصحابنا وهو الحكم بتخطئة من قاتل عليًّا ﷺ وهو مذهب الأئمة الفقهاء الذين فرعوا على ذلك قتال البغاة المتأولين، وعندما أنكر يحيى بن معين على الشافعي استدلاله بسيرة عليّ ﷺ في قتال البغاة المتأولين قال: أيجعل طلحة والزبير معا بغاة؟ رد عليه الإمام أحمد فقال: ويحك وأي شيء يسعه أن يصنع في هذه المقام؟ يعني: إن لم يقتد بسيرة علي في ذلك لم يكن معه سنة من الخلفاء الراشدين في قتال البغاة - إلى أن قال - ولم يتردد أحمد ولا أحد من أئمة السنة في أنه غير علي

---

(١) «شارح الطحاوية» ص(٥٤٥)، و«السلسلة الصحيحة» (١/ ٧٤٢-٧٤٩).

(٢) ويح: كلمة رحمة تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها، والويح: ترحم، «غريب الحديث» لابن الجوزي (٢/ ٤٨٦)، و«لطائف في غريب الحديث» (٤/ ٨٥)، و«النهاية في غريب الحديث» (٥/ ٢٣٥).

(٣) «البخاري» رقم (٤٤٧).

(٤) كأنه ترحم له من الشدة التي يقع فيها.

(٥) «مسلم» رقم (٢٢٣٥).

(٦) «مسلم» رقم (٢٢٣٥).

أولى بالحق منه(١) ، فلو قال قائل : إن قتل عمار كان بصفين ، وهو مع علي والذين قتلوه مع معاوية وكان معه جماعة من الصحابة فكيف يجوز عليهم الدعاء إلى النار ؟ ، فالجواب أنهم كانوا ظانين أنهم يدعون إلى الجنة وهم مجتهدون لا لوم عليهم في اتباع ظنونهم ، فالمراد بالدعاء إلى الجنة الدعاء إلى سببها وهو طاعة الإمام ، وكذلك كان عمار يدعوهم إلى طاعة عليّ رضي الله عنه وهو الإمام الواجب الطاعة إذ ذاك ، وكانوا هم يدعون إلى خلاف ذلك ؛ لكونهم معذورون للتأويل الذي ظهر لهم(٢) .

قال النووي بعد قوله صلى الله عليه وسلم : «**بؤسي ابن سمية تقتلك فئة باغية**»(٣) قال العلماء : هذا الحديث حجة ظاهرة في أن عليًّا رضي الله عنه كان محقًّا مصيبًا ، والطائفة الأخرى بغاة لكنهم مجتهدون فلا إثم عليهم في ذلك . . وفيه معجزة ظاهرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أوجه : منها : أن عمارًا يموت قتيلا وأنه يقتله مسلمون وأنهم بغاة ، وأن الصحابة يقاتلون وأنهم يكونون فرقتين باغية وغيرها ، وكل هذا وقع مثل فلق الصبح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى(٤) .

٥- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أَوْلَى الطائفتين بالحق**» . وفيه أيضًا : أنه قال : «**تكون في أمتي فرقتان فتخرج من بينهما مارقة يلي قتلهم أولاهم بالحق**» ، وفي لفظ : قال : «**تمرق مارقة في فرقة من الناس فيلي قتلهم أولى الطائفتين بالحق**» . وجاء بلفظ : «**يخرجون على فرقة مختلفة يقتلهم أقرب الطائفتين من الحق**»(٥) ، فقوله صلى الله عليه وسلم : «**على حين فرقة**» - بضم الفاء - أي : في وقت افتراق الناس أي : افتراق يقع بين

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/٤٣٧ - ٤٣٨) .
(٢) «فتح الباري» (١/٥٤٢) .
(٣) «مسلم» رقم (٢٢٣٥) .
(٤) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٨/ ٤٠-٤١) .
(٥) هذه الأحاديث في «صحيح مسلم» (٢/٧٤٥-٧٤٦) .

المسلمين وهو الافتراق الذي كان بين علي ومعاوية رضي الله عنهما[(١)]، والمراد بالفرقة المارقة هم أهل النهروان كانوا في عسكر عليّ رضي الله عنه في حرب صفين، فلما اتفق علي ومعاوية رضي الله عنهما على تحكيم الحكمين خرجوا وقالوا: إن عليًّا ومعاوية رضي الله عنهما استبقا إلى الكفر كفرسي رهان، فكفر معاوية بقتال علي ثم كفر علي بتحكيم الحكمين وكفروا طلحة والزبير؛ فقتلتهما الطائفة الذين كانوا مع علي رضي الله عنه، وقد شهد النبي صلى الله عليه وسلم أن الطائفة التي تقتلهم أقرب إلى الحق وهذا شهادة من النبي صلى الله عليه وسلم لعلي وأصحابه بالحق، وهذا من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم لكونه أخبر بما يكون فكان على ما قال، وفيه دلالة واضحة على صحة خلافة عليّ رضي الله عنه وخطأ من خالفه[(٢)].

ثالثًا: بيعة طلحة والزبير رضي الله عنهما:

عن أبي بشير العابدي قال: كنت بالمدينة حين قتل عثمان رضي الله عنه واجتمع المهاجرون والأنصار فيهم طلحة والزبير فأتوا عليًّا رضي الله عنه، فقالوا: يا أبا الحسن هلم نبايعك، فقال: لا حاجة لي في أمركم أنا معكم، فمن اخترتم فقد رضيت به.. فاختاروا والله فقالوا: ما نختار غيرك[(٣)].. إلخ الرواية، وفيها تمام البيعة لعليّ رضي الله عنه والروايات في هذا كثيرة ذكر بعضها ابن جرير في تاريخه[(٤)]، وهي دالة على مبايعة الصحابة رضي الله عنهم لعليّ رضي الله عنه واتفاقهم على بيعته بما فيهم طلحة والزبير، كما جاء مصرحًا به في الرواية السابقة وأما ما جاء في بعض الروايات من أن طلحة، والزبير بايعا مكرهين فهذا لا يثبت بنقل صحيح، والروايات الصحيحة على خلافه[(٥)]، فقد روى الطبري عن عوف بن أبي جميلة قال: أما

---

(١) شرح النووي على «صحيح مسلم» (٧/ ١٦٦).

(٢) «منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين» لابن قدامة ص (٧٥-٧٦) نقلاً عن «عقيدة أهل السنة والجماعة» (٢/ ٦٨٣).

(٣) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٤٩)، وإسناد الرواية حسن لغيره «حملة رسالة الإسلام الأولون» محب الدين الخطيب ص(٥٧).

(٤) انظر: «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٤٨-٤٥٠) وقد قام بجمع هذه الروايات ودرسها الدكتور محمد أمحزون « تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ٥٩-٧٥).

(٥) «الانتصار للصحب والآل» ص (٢٣٦).

أنا فأشهد أني سمعت محمد بن سيرين يقول: إن عليًّا رضي الله عنه جاء فقال لطلحة: ابسط يدك يا طلحة لأبايعك. فقال طلحة: أنت أحق، وأنت أمير المؤمنين، فابسط يدك، فبسط علي يده فبايعه[1]، وعن عبد خير الخيواني أنه قام إلى أبي موسى فقال: يا أبا موسى، هل كان هذان الرجلان - يعني طلحة والزبير - ممن بايع عليًّا؟ قال: نعم[2]، كما نص على بطلان ما يدعي من أنهما بايعا مكرهين، الإمام المحقق ابن العربي وذكر أن هذا مما لا يليق بهما، ولا بعلي قال - رحمه الله -: فإن قيل: بايعا مكرهين «أي طلحة والزبير»، قلنا: حاشا لله أن يكرها، لاهما، ولا من بايعاه ولو كانا مكرهين ما أثر ذلك؛ لأن واحد واثنين تنعقد البيعة بهما وتم ـ وهذا اجتهاد مردود- ومن بايع بعد ذلك فهو لازم له، وهو مكره على ذلك شرعا، ولو لم يبايعا ما أثر ذلك فيهما، ولا في بيعة الإمام وأما من قال: يد شلاء وأمر لا يتم[3]، فذلك ظن من القائل أن طلحة أول من بايع ولم يكن كذلك، فإن قيل: فقد قال طلحة: بايعت واللج على قفي، قلنا: اخترع هذا الحديث من أراد أن يجعل في (القفا) لغة (قفي)، كما يجعل في (الهوى) (هوي) وتلك لغة هذيل لا قريش[4]، فكانت كذبة لم تدبر، وأما قولهم: (يد شلاء) لو صح فلا متعلق لهم فيه، فإن يدا شلت في وقاية رسول الله صلى الله عليه وسلم يتم لها كل أمر، ويتوقى بها من كل مكروه، وقد تم الأمر على وجهه، ونفذ القدر بعد ذلك على حكمه[5]، إن الروايات التي تقول بأن طلحة والزبير أكرها على البيعة باطلة[6]، وهناك روايات صحيحة أشارت كما ذكرت إلى بيعتهما لعلي رضي الله عنه وهناك رواية صحيحة أوردها ابن حجر[7]، من طريق

---

(١) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٥٦)، و«الانتصار للصحب والآل» ص (٢٣٦). (٢) المصدر نفسه (٥/ ٥١٧).

(٣) إشارة إلى ما جاء في بعض الروايات: أن أول من بايع عليًّا طلحة رضي الله عنه وكان بيده اليمنى شلل؛ لما وقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد، فقال رجل في القوم. أول يد بايعت أمير المؤمنين شلاء لا يتم هذا الأمر، «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٥٧)، و«البداية والنهاية» (٧/ ٢٣٧).

(٤) وقيل: لغة طيئ: ذكره ابن الأثير في «النهاية» (٤/ ٩٤) وكذلك اللج ليس من لغة قريش بل من لغة طيئ، قال ابن الأثير: هو بالضم: السيف بلغة طيئ «النهاية» (٤/ ٢٣٤) وقيل: هو السيف بلغة هذيل وطوائف من اليمن «لسان العرب» (٢/ ٣٥٤).

(٥) «العواصم من القواصم» ص(١٤٨- ١٤٩).

(٦) «استشهاد عثمان» ص (١٤١).

(٧) «فتح الباري» (١٣/ ٣٨).

الأحنف بن قيس وفيها: إن عائشة وطلحة والزبير ﷺ قد أمروا الأحنف بمبايعة عليّ ﷺ بعدما استشارهم في من يبايع بعد عثمان ﷺ (١).

إن سابقة عليّ ﷺ وفضله، والتزامه بأحكام الكتاب والسنة، وتمسكه الشديد بالعمل بهما، وتعهده في خطبه بتطبيق الأوامر والنواهي الشرعية، ما كان ليفتح لأحد باب الطعن في ولايته على المسلمين، ويمكن القول إن عليًّا ﷺ كان أقوى المرشحين للإمامة بعد مقتل عمر ﷺ فالفاروق عينه في الستة الذين أشار بهم، وهو واحد منهم، على أن الأربعة من رجال الشورى، وهم عبد الرحمن، وسعد، وطلحة والزبير بتنازلهم عن حقهم فيها له ولعثمان ﷺ تركوا المجال مفتوحا أمام الاثنين، فلم يبقى إلا هو وعثمان ﷺ، وهذا إجماع من أهل الشورى على أنه لولا عثمان لكانت لعليّ ﷺ، وقد حدث ذلك بعد موت عثمان ﷺ، وقد قدمه ورجحه أهل دار الهجرة فصار مستحقًّا للخلافة، على أنه لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ الموجودين في ذلك الحين أحق بالخلافة منه ﷺ، فهو من السابقين والمهاجرين الأولين، وابن عمّ رسول الله ﷺ، وصهره، بالإضافة إلى ذلك له من القدرة والكفاءة ما لا ينكر، وله من الشجاعة، والإقدام والذكاء والعقلية القضائية النادرة، والحزم في المواقف، والصلابة في الحق، وبعد نظره في تصريف الأمور، فكل هذه العوامل تجعله بلا منازع المرشح الوحيد لإمامة المسلمين في تلك الفترة الحساسة من حياتهم(٢)، ومع هذا كله فإن خلافته صحت بعدما انعقد إجماع المهاجرين والأنصار عليه ومبايعتهم له.

رابعًا: انعقاد الإجماع على خلافة علي رضي الله عنه:

انعقد إجماع أهل السنة والجماعة على أن عليًّا ﷺ كان متعينا للخلافة بعد عثمان ﷺ؛ لبيعة المهاجرين والأنصار له لما رأوا لفضله على من بقي من الصحابة، وأنه أقدمهم إسلامًا، وأوفرهم علمًا، وأقربهم بالنبي ﷺ نسبًا،

(١) «استشهاد عثمان» ص (١٤١)، و«المصنف» لابن أبي شيبة (١١/ ١١٨) ورجاله رجال الصحيح عدا عمر بن جاوان مقبول، وصححه ابن حجر في «فتح الباري» (٣٤/ ١٣ـ٥٧).

(٢) «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة» (٢/ ٩١ـ٩٢).

وأشجعهم نفسًا، وأحبهم إلى الله ورسوله وأكثرهم مناقب، وأفضلهم سوابق وأرفعهم درجة وأشرفهم منزلة وأشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم هديًا وسمتًا، فكان رضي الله عنه متعينًا للخلافة دون غيره، وقد قام من بقي من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعقد البيعة له بالخلافة بالإجماع، فكان حينئذ إمامًا حقًّا وجب على سائر الناس طاعته، وحرم الخروج عليه ومخالفته، وقد نقل الإجماع على خلافته كثير من أهل العلم منهم:

١- نقل محمد بن سعد إجماع من له قدم صدق وسابقة في الدين ممن بقي من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة على بيعة عليّ رضي الله عنه حيث قال: وبويع لعلي ابن أبي طالب رحمه الله بالمدينة الغد من يوم قتل عثمان رضي الله عنه بالخلافة بايعه طلحة والزبير، وسعد ابن أبي وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعمار ابن ياسر، وأسامة بن زيد، وسهل بن حنيف، وأبو أيوب الأنصاري ومحمد ابن مسلمة وزيد بن ثابت، وخزيمة بن ثابت وجميع من كان بالمدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم[1].

٢- وذكر ابن قدامة رحمه الله أن الإمام أحمد رحمه الله روى بإسناده عن عبدالرزاق عن محمد بن راشد عن عوف قال: كنت عند الحسن فكأن رجلاً انتقص أبا موسى باتباعه عليًا فغضب الحسن ثم قال: سبحان الله قتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، فاجتمع الناس على خيرهم فبايعوه أفيلام أبو موسى باتباعه؟[2].

٣- وقال أبو الحسن الأشعري: ونثبت إمامة علي بعد عثمان رضي الله عنه بعقد من عقد له من الصحابة من أهل الحل والعقد؛ لأنه لم يدع أحد من أهل الشورى غيره في وقته، وقد اجتمع على فضله وعدله، وأن امتناعه عن دعوى الأمر لنفسه في وقت الخلفاء قبله كان حقًّا لعلمه أن ذلك وقت قيامه، ثم لما صار الأمر إليه أظهر

---

(١) «الطبقات» الكبرى (٣/ ٣١).

(٢) «منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين» ص(٧٧-٧٨) نقلاً عن «عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢/ ٦٨٩).

وأعلن ولم يقصر حتى مضى على السداد والرشاد، كما مضى من قبله من الخلفاء وأئمة العدل على السداد والرشاد متبعين لكتاب ربهم وسنة نبيهم، هؤلاء الأربعة المجمع على عدلهم وفضلهم رضي الله عنهم (١).

٤-وقال أبو نعيم الأصبهاني: فلما اختلف الصحابة كان على الذين سبقوا إلى الهجرة السابقة والنصرة والغيرة في الإسلام للذين اتفقت الأمة على تقديمهم لفضلهم في أمر دينهم ودنياهم، لا يتنازعون فيهم ولا يختلفون فيمن أُولي بالأمر من الجماعة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة في العشرة ممن توفي وهو عنهم راضٍ، فسلم من بقي من العشرة الأمر لعليّ رضي الله عنه، ولم ينكر أنه من أكمل الأمة ذكرا وأرفعهم قدرا لقديم سابقته وتقدمه في الفضل والعلم، وشهوده المشاهد الكريمة يحبه الله ورسوله، ويحب الله ورسوله ويحبه المؤمنون ويبغضه المنافقون لم يصنع منه تقديم من تقدمه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ بل ازداد به ارتفاعا لمعرفته بفضل من قدمه على نفسه إذ كان ذلك موجودا في الأنبياء والرسل عليهم السلام قال تعالى: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ**﴾ إلى قوله: ﴿**مَا يُرِيدُ**﴾ (البقرة:٢٥٣). فلم يكن تفضيل بعضهم على بعض بالذي يضع ممن هو دونه فكل الرسل صفوة الله -عز وجل- وخيرته من خلقه، فتولى أمر المسلمين عادلاً زاهدًا آخذًا في سيرته بمنهاج الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم حتى قبضه الله عز وجل - شهيدًا هاديًا مهديًّا سلك بهم السبيل المستبين والصراط المستقيم(٢).

٥- وقال أبو منصور البغدادي: أجمع أهل الحق والعدل على صحة إمامة عليّ رضي الله عنه وقت انتصابه لها بعد قتل عثمان رضي الله عنه (٣).

٦- وقال الزهري: . . وكان قد وفى بعهد عثمان حتى قتل، وكان أفضل

---

(١) «الإبانة عن أصول الديانة» ص(٧٨)، و«مقالات الإسلاميين» (١/ ٣٤٦).
(٢) «كتاب الإمامة والرد على الرافضة» ص(٣٦٠-٣٦١).
(٣) «كتاب أصول الدين» ص (٢٨٦-٢٨٧).

من بقي من الصحابة فلم يكن أحد أحق بالخلافة منه، ثم لم يستبد بها مع كونه أحق الناس بها حتى جرت له بيعة، وبايعه مع سائر الناس من بقي من أصحاب الشورى[١].

٧- وقال عبد الملك الجويني: وأما عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فسبيل إثبات إمامتهم وإجماعهم لشرائط الإمامة كسبيل إثبات إمامة أبي بكر، ومرجع كل قاطع في الإمامة إلى الخبر المتواتر والإجماع.. ولا اكتراث بقول من يقول: لم يحصل إجماع على إمامة عليّ رضي الله عنه؛ فإن الإمامة لم تجحد له وإنما هاجت الفتن لأمور أخر[٢].

٨- وقال أبو عبدالله بن بطة: كانت بيعة علي رحمه الله بيعة اجتماع ورحمة لم يدع إلى نفسه ولم يجبرهم على بيعته بسيفه، ولم يغلبهم بعشيرته، ولقد شرف الخلافة بنفسه وزانها بشرفه وكساها حلة البهاء بعدله ورفعها بعلو قدره، ولقد أباها فأجبروه، وتقاعس عنها فأكرهوه[٣].

٩- وقال الغزالي: وقد أجمعوا على تقديم أبي بكر، ثم نص أبوبكر على عمر، ثم أجمعوا بعده على عثمان، ثم على علي رضي الله عنهم، وليس يظن منهم الخيانة في دين الله -تعالى- لغرض من الأغراض وكان إجماعهم على ذلك من أحسن ما يستدل به على مراتبهم في الفضل، ومن هذا اعتقد أهل السنة هذا الترتيب في الفضل، ثم بحثوا عن الأخبار فوجدوا فيها ما عرف مستند الصحابة وأهل الإجماع في هذا الترتيب[٤].

١٠- قال أبو بكر بن العربي: فلما قضى الله من أمره ما قضى، ومضى في قدره ما مضى علم أن الحق لا يترك الناس سدى، وأن الخلق بعده مفتقرون إلى خليفة مفروض عليهم النظر فيه، ولم يكن بعد الثلاثة كالرابع قدراً وعلماً وتقى

---

(١) «الاعتقاد» ص(١٩٣).
(٢) يقصد القصاص من قتلة عثمان «كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد» ص(٣٦٢-٣٦٣).
(٣) «لوامع الأنوار البهية» للسفاريني (٢/ ٣٤٦)، و«عقيدة أهل السنة» (٢/ ٦٩٢).
(٤) «الاقتصاد في الاعتقاد» ص(١٥٤).

ودينا فانعقدت له البيعة ولولا الإسراع بعقد البيعة لعلي ﷺ لجري على من بها من الأوباش ما لا يرقع خرقه ولكن عزم عليه المهاجرون والأنصار ورأى ذلك فرضًا عليه فانقاد إليه[١].

١١- وقال ابن تيمية: واتفق أصحاب رسول الله ﷺ على بيعة عثمان بعد عمر وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة**»[٢]. فكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ آخر الخلفاء الراشدين المهديين، وقد اتفق عامة أهل السنة من العلماء والعباد والأمراء والأجناد على أن يقولوا: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي ﷺ[٣].

١٢- وقال ابن حجر: وكانت بيعة علي بالخلافة عقب قتل عثمان ﷺ في أوائل ذي الحجة سنة خمس وثلاثين فبايعه المهاجرون والأنصار، وكل من حضر وكتب بيعته إلى الآفاق فأذعنوا كلهم إلا معاوية في أهل الشام فكان بينهم بعد ما كان[٤]. والذي نستفيده من هذه النقول المتقدمة للإجماع أن خلافة عليّ ﷺ محل إجماع على أحقيتها وصحتها في وقت زمانها، وذلك بعد قتل عثمان ﷺ حيث لم يبق على الأرض أحق بها منه ﷺ، فقد جاءته ﷺ على قدر في وقتها ومحلها[٥]، وقد اعترض بعض الناس على الإجماع على خلافة عليّ ﷺ من وجوه:

(١) تخلف عنه من الصحابة جماعة منهم سعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة، وابن عمر وأسامة بن زيد ﷺ، وسواهم من نظرائهم[٦].

(٢) إنما بايعوه على أن يقتل قتلة عثمان[٧].

---

(١) «العواصم من القواصم» ص (١٤٢).
(٢) «سنن أبي داود» (٤/ ٢٠١)، و«الترمذي» (٥/ ٤٤) حسن صحيح.
(٣) «الوصية الكبرى» ص (٢٣).
(٤) «فتح الباري» (٧/ ٧٢).
(٥) «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة» (٢/ ٦٩٣).
(٦) «العواصم من القواصم» ص (١٤٦-١٤٧).
(٧) المصدر السابق ص(١٤٥).

(٣) إن أهل الشام -معاوية ومن معه- لم يبايعوه بل قاتلوه[١].

وهذه الاعتراضات لا تأثير لها على الإجماع المذكور، ولا توجب معارضته وذلك لأنها مردودة من وجوه:

الوجه الأول: إن دعوى أن جماعة من الصحابة تخلفوا عن بيعته دعوى غير صحيحة؛ إذ أن بيعته لم يتخلف عنها، وأما نصرته فتخلف عنها قوم منهم من ذكر؛ لأنها كانت مسألة اجتهادية فاجتهد كل واحد وأعمل نظره وأصاب قدره[٢]، وأما ما قاله ابن خلدون: إن الناس كانوا عند مقتل عثمان رضي الله عنه مفترقين في الأمصار، فلم يشهدوا بيعة عليّ رضي الله عنه، والذين شهدوا فمنهم من بايع ومنهم من توقف حتى يجتمع الناس ويتفقوا على إمام كسعد وسعيد وابن عمر.. إلخ[٣]، وما ذكر مبالغة من ابن خلدون رحمه الله، أما سعد بن أبي وقاص، فقد نقل بيعته ابن سعد، وابن حبان، والذهبي[٤]، وغيرهم، وكذلك البقية قد بايعوا كما ذكرنا الإجماع في ذلك فيمن حضر من الصحابة في المدينة، على أن ابن خلدون نفسه نقل اتفاق أهل العصر الثاني من بعد الصحابة في المدينة، على انعقاد بيعة علي رضي الله عنه ولزومها للمسلمين أجمعين، وقد نقلت ما قاله ابن خلدون؛ لأن كثيراً من الكتاب والباحثين اعتمدوا عليه فيما بعد.

الوجه الثاني: إن عقد الخلافة ونصب إمام واجب لا بد منه، ووقف ذلك على حضور جميع الأمة واتفاقهم مستحيل متعذر فلا يجوز اشتراطه؛ لإفضاء ذلك إلى انتفاء الواجب ووقوع الفساد اللازم من انتفائه[٥].

الوجه الثالث: إن الإجماع حصل على بيعة أبي بكر بمبايعة الفاروق وأبي عبيدة رضي الله عنهم ومن حضرهم من الأنصار مع غيبة علي وعثمان رضي الله عنهما وغيرهما من

(١) «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة» (٢/ ٦٩٥).

(٢) «التمهيد» للباقلاني ص (٢٣٣-٢٣٤)، و«العواصم من القواصم» ص (١٤٧). (٣) «المقدمة» ص(٢١٤).

(٤) «الطبقات» (٣/ ٣١)، و«الثقات» (٢/ ٢٦٨)، و«دول الإسلام» (١/ ١٤)، و«عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام»، ص (١٧١ ، ١٧٢).

(٥) «منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين» ص (٧٦-٧٧) نقلاً عن «عقيدة أهل السنة».

الصحابة وكذلك حصل الإجماع على خلافة علي بمبايعة سعد بن أبي وقاص وابن عمر وأسامة بن زيد وعمار ﷺ، ومن حضر من البدريين وغيرهم من الصحابة ﷺ، ولا يضر هذا الإجماع من غاب عن البيعة أولم يبايعه من غيرهم ﷺ جميعًا، قال الحسن البصري: والله ما كانت بيعة علي إلا كبيعة أبي بكر وعمر ﷺ (١).

الوجه الرابع: إن دعوى أنه إنما بويع على أن يقتل قتلة عثمان ﷺ: هذا لا يصح في شرط البيعة، وإنما يبايعونه على الحكم بالحق وهو أن يحضر الطالب للدم، ويحضر المطلوب وتقع الدعوى ويكون الجواب وتقوم البينة ويقع الحكم(٢) بعد ذلك.

وأما الروايات التي تزعم أن طلحة والزبير وبعض الصحابة ﷺ قد اشترطوا في بيعتهم لعلي ﷺ إقامة الحدود، فهذا الخبر على ضعف سنده فإن في متنه مقالاً(٣)، وفي ذلك يقول ابن العربي: فإن قيل: بايعوه على أن يقتل قتلة عثمان ﷺ، قلنا: هذا لا يصح في شرط البيعة(٤).

الوجه الخامس: إن معاوية ﷺ لم يقاتل عليًّا ﷺ على الخلافة ولم ينكر إمامته وإنما كان يقاتل من أجل إقامة الحد الشرعي على الذين اشتركوا في قتل عثمان، مع ظنه أنه مصيب في اجتهاده ولكنه كان مخطئا في اجتهاده ذلك فله أجر الاجتهاد فقط(٥).

وقد ثبت بالروايات الصحيحة أن خلافه مع عليّ ﷺ كان في قتل قتلة عثمان ولم ينازعه في الخلافة، بل كان يقر له بذلك، فعن أبي مسلم الخولاني أنه جاء وأناس معه إلى معاوية ﷺ وقالوا: أنت تنازع عليًّا ﷺ أم أنت مثله؟ فقال: لا والله إني لأعلم أنه أفضل مني وأحق بالأمر مني، ولكن ألستم

---

(١) «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة» (٢/٦٩٦).
(٢) المصدر نفسه (٢/٦٩٦).
(٣) «تاريخ الطبري» (٥/٤٥٩، ٤٦٠).
(٤) «العواصم من القواصم» ص(١٥٠).
(٥) المصدر نفسه (٢/٦٩٦).

تعلمون أن عثمان رضي الله عنه قتل مظلومًا، وأنا ابن عمه والطالب بدمه فأتوه، فقولوا له فليدفع إلي قتلة عثمان رضي الله عنه وأسلم له؟، فأتوا عليًّا رضي الله عنه فكلموه فلم يدفعهم إليه[(١)]، ويروي ابن كثير من طرق ابن ديزيل بسنده إلى أبي الدرداء وأبي أمامة رضي الله عنهما: أنهما دخلا على معاوية فقالا له: يا معاوية علام تقاتل هذا الرجل؟ فوالله إنه أقدم منك ومن أبيك إسلامًا، وأقرب منك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحق بهذا الأمر منك، فقال: أقاتله على دم عثمان رضي الله عنه، وإنه آوى قتلته، فاذهبا إليه فقولا له: فليقدنا من قتلة عثمان رضي الله عنه، ثم أنا أول من أبايعه من أهل الشام[(٢)]، والروايات في هذا كثيرة مشهورة بين العلماء[(٣)]، وهي دالة على عدم منازعة معاوية لعلي رضي الله عنهما في الخلافة ولهذا نص المحققون من أهل العلم على هذه المسألة وقرروها[(٤)]، يقول إمام الحرمين الجويني: إن معاوية وإن قاتل عليًّا رضي الله عنهما فإنه لا ينكر إمامته، ولا يدعيها لنفسه، وإنما كان يطلب قتلة عثمان ظنًّا منه أنه مصيب وكان مخطئًا[(٥)].

ويقول ابن حجر الهيثمي: ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن ما جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما من الحروب، لم يكن لمنازعة معاوية لعلي في الخلافة للإجماع على أحقيتها لعلي كما مر فلم تهج الفتنة بسببها، وإنما هاجت بسبب أن معاوية ومن معه طلبوا من علي تسليم قتلة عثمان إليهم؛ لكون معاوية ابن عمه فامتنع علي[(٦)].

وسوف نبين موقف عليّ رضي الله عنه من عدم تسليم قتلة عثمان في حينه وإنما الشاهد هنا هو إثبات عدم مبايعة معاوية ليس اعتراضًا على شخص علي ويقول ابن تيمية: ومعاوية لم يدع الخلافة، ولم يبايع له بها حين قاتل عليًّا، ولم يقاتل

---

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٦٥)، و«تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ١٤٧).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٧٠)، و«الانتصار للصحب والآل» ص٢٣٩.

(٣) «البداية والنهاية» لابن كثير (٧/ ٢٦٨- ٢٧٠) وقد جمع هذه الروايات الدكتور محمد أمحزون في كتابه، «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة» (٢/ ١٤٦- ١٥٠).

(٤) «الانتصار للصحب والآل» ص (٢٣٩).

(٥) «لمعة الأدلة في عقائد أهل السنة والجماعة» ص (١١٥).

(٦) «الصواعق المحرقة» نقلاً عن «الانتصار للصحب والآل» ص (٢٣٩)

على أنه خليفة، ولا أنه يستحق الخلافة ويقرون له بذلك، وقد كان معاوية يقر بذلك لمن سأله عنه.. وكل فرقة من المتشيعين[١] مقرة مع ذلك بأن معاوية ليس كفأ لعلي بالخلافة، ولا يجوز أن يكون خليفة مع إمكان استخلاف عليّ ﷺ؛ فإن فضل علي وسابقته وعلمه ودينه وشجاعته وسائر فضائله كانت عندهم ظاهرة معروفة[٢]، فثبت بهذا أنه لم ينازع عليًّا ﷺ أحد في الخلافة لا من الذين خالفوه ولا من غيرهم[٣]، فهذه الأقوال عن هؤلاء العلماء كلها في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في ترتيب الخلافة الراشدة، فلا بد من الذود عنها والتبشير وتربية الأجيال عليها، والاعتزاز والافتخار في الانتساب إليها.

خامسا: شروط أمير المؤمنين علي ﷺ في بيعته وأول خطبة خطبها ﷺ:

جاء في بعض الروايات أن أمير المؤمنين عليًّا ﷺ اشترط في بيعته أمورًا منها، أن تكون البيعة في ملأ وليس في خفية، وفي المسجد وعن رضا المسلمين، وأنه يدير أمرهم كما يراه ويعلمه فوافقوه وتواعدوا صباح اليوم التالي في المسجد للبيعة[٤]، وكان يوما حافلاً وحاسمًا، فقد خرج أمير المؤمنين وقد لبس ملابسه كاملة، ثم بعد الحمد والثناء على الله، بيَّن للناس المحاولات التي بذلت معه وقال: إني كنت كارها لأمركم، فأبيتم إلا أن أكون عليكم، ألا وإنه ليس لي أمر دونكم، ألا إن مفاتيح مالكم معي، ألا وإنه ليس لي أن آخذ منه درهمًا دونكم[٥]، ثم قال: يأيها الناس: إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم وقد افترقنا بالأمس على أمر، فإن شئتم قعدت لكم، وإلا فلا أجد على أحد، ثم رفع صوته قائلاً: رضيتم؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد عليهم وأقبل الناس يبايعونه[٦]، وبعد أداء البيعة قال أمير المؤمنين: أيها الناس: إنكم بايعتموني على ما بايعتم عليه أصحابي

---

(١) أي المتشيعين لعثمان أو علي ﷺ، وقد كان المطالبون بدم عثمان ﷺ قد انضموا إلى معاوية، وما كانوا يفضلونه على علي ﷺ.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٧٢/٣٥-٧٣).

(٣) «الانتصار للصحب والآل» ص (٢٤١).

(٤) «تاريخ الطبري» (٤٤٨/٥)، و«دراسات في عهد النبوة» ص (٢٨١).

(٥) «تاريخ الطبري» (٤٤٩/٥).

(٦) «تاريخ الطبري» (٤٤٩/٥).

فإذا بايعتموني فلا خيار لكم عليّ ، وعلى الإمام الاستقامة وعلى الرعية التسليم، وهذه بيعة عامة. . . إلخ[1]، ومما مضى دروس وعبر وفوائد منها:

١- مبدأ الشورى:

إن البيعة للخليفة الرابع عليّ رضي الله عنه لم تختلف من حيث مبدأ الشورى عن مثيلاتها السابقة بالرغم من الأزمة التي ألمت بالأمة، والأحوال المدلهمة والمشكلات المتتابعة، فلم تتم البيعة على أساس عشائري، أو أسري أو قبلي، أو على أساس عهد أو وصية من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو وجد شيء من هذا القبيل لما حصل هذا الحوار الطويل، ولما رفض أمير المؤمنين ولكان أول من يطالب بحقه. بينما كان الناس هم الذين يدفعونه إلى البيعة دفعا ويلحون عليه في الطلب إلحاحًا وهو يروغ منهم متخلصًا لعله يحدث ما يمنعه من ذلك إلى أن قبل على كره منه، ولم يطالبوه بهذا على أساس وصية من رسول الله صلى الله عليه وسلم له - ولو وجدوا شيئًا من ذلك لما ترددوا في تنفيذه - ولا على أساس أنه من عبد مناف، أو لأنه من قريش فحسب؛ بل لأنه من السابقين ومن العشر المبشرين بالجنة، ولأنه الثاني بعد عثمان في اختيار الناس لهما عند تطبيق عملية الشورى بعد مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لا يشير عليه أحد بتنصيب عثمان خليفة بعد عمر إلا سأله لو لم يكن عثمان موجودا فمن تختار؟ فيقول: عليّ رضي الله عنه [2].

٢- أهل الحل والعقد في عهد أمير المؤمنين علي:

كان أهل الحل والعقد عند استخلاف أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وهم بقية العشرة المبشرين ورؤساء بطون الأوس والخزرج وكان هؤلاء من أهل المدينة؛ لأنهم هم السابقون الراسخون في العلم والإيمان[3]، وكان عليّ رضي الله عنه يرى أن أمر اختيار الخلافة لمن كان باقيًا في المدينة من المهاجرين والأنصار وأهل الحل والعقد

(١، ٢) «دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة» ص (٢٨٢).
(٣) «الخلافة بين التنظير والتطبيق»، لمحمود المرداوي ص (٢٨٨).

من أهل بدر، وأصحاب الشورى، إلا إن الحسن بن عليّ رضي الله عنه كان يرى ضرورة مراعاة الأمور المستجدة في تركيبة المجتمع الإسلامي، وقد بدا ذلك في هذا الحوار بين الحسن بن علي وأبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، قال الحسن: قد أمرتك فعصيتني فتقتل غدا بمضيعة لا ناصر لك، فقال علي: إنك ما زلت تحن حنين الجارية، وما الذي أمرتني فعصيتك؟ قال: أمرتك يوم أحيط بعثمان رضي الله عنه أن تخرج من المدينة فيقتل ولست بها، ثم أمرتك يوم قتل ألا تبايع حتى يأتيك وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر[1]. وكان جواب عليّ رضي الله عنه : وأما قولك: لا تبايع حتى تأتي بيعة الأمصار فإن الأمرَ أمرُ أهل المدينة وكرهنا أن يضيع هذا الأمر[2]، على أن عليًا رضي الله عنه، كان يرى أن البيعة تجوز في غير أهل المدينة من المهاجرين والأنصار، ولكنه كان يكره أن يتحول ذلك عنهم إلى غيرهم أو أن يشاركهم فيه غيرهم؛ تُقًى وورعًا أن يحدث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه شيئًا يبتعد به عن نهجهم وسبيلهم، أو أنه كان يرى أن الوقت ما زال مبكرا على إشراك غير المهاجرين والأنصار في أمور اختيار الحاكم المسلم ولذلك فإنه كان يكره أن يضيع هذا الأمر من المهاجرين والأنصار[3]، والدليل على ذلك أنه رضي الله عنه عرض عليه أهل الكوفة بيعة الحسن: قال: لا أنهاكم ولا آمركم وهذا فيه تجويز لغير أهل المدينة في اختيار الحاكم. ونستفيد من الحوار الذي حدث بين الحسن ابن علي وأبيه رضي الله عنهما أمور منها:

أ - احترام الرأي في النقاش من الجانبين.

ب - لطف المعاملة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لولده.

ج - صراحة الولد مع والده وإبداء كل ما يراه صوابًا في موضوع النقاش.

د - حسن الاستماع للطرف الثاني، حيث استمع أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، من ابنه الحسن إلى جميع ما عنده من الحجج.

هـ - تفنيد الحجج واحدة بعد الأخرى تفنيدًا علميًا[4].

(١، ٢) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٤٥). (٣) «الخلافة بين التنظير والتطبيق» ص (٢٩٣، ٢٩٤).

(٤) «منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله» ص (٤٢٧، ٤٢٨).

٣- الحرص على ألاَّ يظل منصب الخليفة شاغرًا:

لقد عزم المهاجرون والأنصار بالمدينة على عليّ رضي الله عنه أن يقبل الخلافة رغمًا عنه؛ تداركًا لخطر فساد أمر الأمة واختلاف الناس، فقبل، وحرص على زحزحة الغوغاء خطوة أخرى إلى الوراء، بأن اشترط أن تكون البيعة له علانية في المسجد، وبذلك يظل أهل الحل والعقد هم الذين يعقدون الإمامة، أما العامة فموضعهم هو: البيعة العلنية العامة[1]، وحرص على تأكيد هذا المبدأ من فوق المنبر، بقوله: أيها الناس إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم[2].

٤-الرد على بعض الكتب المعاصرة التي تحدثت عن بيعة علي رضي الله عنه:

يقول العقاد - وهو يتكلم عن اختيار الخليفة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه -: وهذا الخبر-على وجازته- قد حصر لنا أسماء جميع المرشحين للخلافة بالمدينة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، وربما كان أشدهم طلبا لها طلحة والزبير اللذان أعلنا الحرب على علي بعد ذلك، فقد كانا يمهدان لها في حياة عثمان رضي الله عنه، ويحسبان أن قريشًا قد أجمعت أمرها ألا يتولاها هاشمي، وأن عليًّا رضي الله عنه وشيك أن يذاد عنها بعد عثمان كما ذيد عنها قبله، وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها تؤثر أن تؤول الخلافة إلى واحد من هذين، أو إلى عبد الله ابن الزبير؛ لأن طلحة من قبيلة تيم، والزبير زوج أختها أسماء رضي الله عنها، وفي تأييد السيدة عائشة رضي الله عنها لواحد منهما مدعاة أمل كبير في النجاح[3].

وقال في موضع آخر: فمما لا شك فيه أن الإمام أنكر إجحافًا أصابه في تخطيه بالبيعة إلى غيره، بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه كان يرى أن قرابته من النبي صلى الله عليه وسلم مزية ترشحه للخلافة بعده؛ لأنها فرع من النبوة على اعتقاده، وهم شجرة النبوة ومحط الرسالة، كما قال[4].

وقال: فمن المعلوم أن عليًّا رضي الله عنه كان يرى أنه أحق بالخلافة من سابقيه، وأنه

---

(١) «الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام»، للسيد عمر ص(٧٢).
(٢) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٤٩).
(٣) «عبقرية علي» ص (٨٤).
(٤) المصدر نفسه ص (١٤٨).

لم يزل مدفوعًا عن حقه هذا منذ انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى[(١)]، وغير ذلك من الطامات والأكاذيب والإفك المبين التي تورط فيها العقاد بسبب الروايات الموضوعة، وسار على منهجه خالد محمد خالد في كتابه «خلفاء الرسول» ونقل عن علي كلامًا مفترى، ذكر فيه أن أبا بكر وعمر قد اغتصبا الخلافة من علي رضي الله عنه[(٢)]، وجانب الصواب خالد البيطار في كتابه «علي بن أبي طالب»، عندما علق على موقف السيدة فاطمة من ميراث أبيها[(٣)] وموقف علي من خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وهذا مثال لفيلق طويل لا ينتهي خاض هذه المعمعة وخبط فيها، والتي تدعي أن عليًّا رضي الله عنه ذيد عن الخلافة بعد عثمان رضي الله عنه كما ذيد عنها قبله، وأن الصحابة كانوا يتآمرون لنيل الخلافة بدافع العصبية ضد بني هاشم، أو لمطامع دنيوية، وأن عليًّا رضي الله عنه أنكر إجحافًا أصابه في تخطيه بالبيعة إلى غيره بعد وفاة النبي ﷺ، وأنه كان يرى أنه أحق بالخلافة من سابقيه، وأن النبي ﷺ مهّد لخلافته وحببه للناس بما أمَّره حينًا واستخلفه حينًا آخر، وأن ليس ثمة علاقة حميمة بين الإمام وبين الصحابة، وأنه غفر للشيخين تعديهما عليه بأخذ الخلافة، وأنه بايع الصدّيق بعد وفاة فاطمة[(٤)]. وكل هذا بهتان وزور، وكذب وافتراء، يأباه الحق والعدل والإنصاف، وينكره التاريخ الصحيح، ويكذبه الكلام الصريح الذي صدر عن علي رضي الله عنه نفسه الذي سبق ذكره، فقد اعترف علي بأفضلية الخلفاء رضي الله عنهم، حينما كان هو الخليفة فكان يعلن ذلك على المنبر ويتوعد من يفضله عليهم بالعقاب، وهذا ثابت بالأسانيد الصحيحة، وكان لهم ناصرًا ومعينًا، وعلاقته بهم وطيدة وشيجة لا تؤثر في رسوخها العواصف الهُوج[(٥)]، التي يثيرها من تورط في الروايات الضعيفة والأخبار الموضوعة من الكتاب الذين ذكرنا بعض نقولهم على سبيل المثال لا الحصر، والسبب الذي أسقطهم في هذه الهوة هو جهلهم بمنهج أهل السنة والجماعة في كتابة التاريخ وبعدهم عن التمييز بين المصادر الصحيحة والمصادر الساقطة، وعدم تفريقهم بين الروايات الصحيحة والروايات الضعيفة والموضوعة والاعتماد على الموضوعات في تحليلاتهم.

---

(١) «عبقرية علي» ص (١٨١).

(٢) «خلفاء الرسول ﷺ» ص (٥٢٦-٥٢٧).

(٣، ٤) «علي بن أبي طالب» لخالد البيطار ص (٨٤).

(٥) المصدر نفسه ص (١٣٠).

٥- أول خطبة خطبها علي رضي الله عنه:

قال أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه في أول خطبة خطبها حين تولى الخلافة: إن الله عز وجل أنزل كتابًا هاديًا، بين فيه الخير والشر، فخذوا بالخير ودعوا الشر، الفرائض أدوها إلى الله -سبحانه- يؤدِّكم إلي الجنة، إن الله حرَّم حُرَمًا غير مجهولة وفضَّل حرمة المسلم على الحُرم كلها، وشدّ بالإخلاص والتوحيد المسلمين، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق، لا يحل أذى المسلم إلا بما يجب، بادروا أمر العامة، خاصة أحدكم الموت، فإن الناس أمامكم، وإن من خلفكم الساعة تحدوكم، تخففوا تلحقوا؛ فإنما ينتظر الناس آخراهم، اتقوا الله عباده في عباده وبلاده، إنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعوا الله عز وجل ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشر فدعوه ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ﴾ [١](الأنفال: ٢٦) .

ولمّا كانت بيعة علي قد جاءت بعد فتنة عمياء ذهب ضحيتها خليفة المسلمين السابق، فقد دعا المسلمين إلى الخير ونبذ الشرّ وبين لهم أن حرمة المسلم فوق كل الحرمات، فلا يجوز أذاه في حال من الأحوال، ثم ذكرهم بالموت والآخرة وحثّهم على التقوى والطاعة والعمل الصالح[٢]، وقد جاءت محاور الخطبة حول جانب العقيدة، والعبادة، والأخلاق، واهتمت ببعض مقاصد الشريعة، ولو شئنا أن نلخص خطته التي يريد أن يرسمها للناس لقلنا: يريد أن يقول لهم: ارجعوا إلى العهد الذي كنتم عليه أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣]، والخلفاء والراشدين رضي الله عنهم الذين سبقوه، وقد أشار أمير المؤمنين في حكمة وبلاغة إلى النهج الذي سيقبلون به عهد الخلافة الجديد بقوله: إذا رأيتم الخير فخذوا به، وإذا رأيتم الشر فدعوه. وختم بالآية الكريمة التي كانوا في حاجة إلى استحضارها؛ ليقارنوا بها بين ما كانوا عليه

(١) «تاريخ الطبري» (٥/٤٥٨ ، ٤٥٩).
(٢) «الأدب الإسلامي»، لنايف معروف (ص٥٧).
(٣) «الخلفاء الراشدون» للنجار (ص٣٧٨).

قبل الإسلام وبعد الإسلام، فإنهم كانوا ـ إلى أمد بعيد ـ من القلة والضعف والضَّعة والخمول، حتى كانوا كقطعة لحم على كف يتخطفها الطير، ثم ما صاروا إليه من القوة والسعة والأمن والسَّلام، والرخاء والثراء، وما أكرمهم به من النعَم، فطنّت حصاتهم، وخفقت راياتهم ودان لهم العباد والبلاد[1].

٦ - الترادف بين ألفاظ الإمام والخليفة وأمير المؤمنين:

قال النووي: يجوز أن يقال للإمام: الخليفة والإمام وأمير المؤمنين[2]، وقال ابن خلدون: وإذ قد بيَّنا حقيقة هذا المنصب وأنه نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا، به تسمى خلافة وإمامة والقائم به خليفة وإمام[3]، ويعرف ابن منظور الخلافة بأنها الإمارة[4]، ويفسر أبو زهرة الترادف بين لفظي الخلافة وهي الإمامة الكبرى وسميت خلافة؛ لأن الذي يتولاها ويكون الحاكم الأعظم للمسلمين يخلف النبي ﷺ في إدارة شؤونهم، وتسمى إمامة؛ لأن الخليفة كان يسمى إمامًا، ولأن طاعته واجبة، ولأن الناس كانوا يسيرون وراءه كما يصلون وراء من يؤمهم[5]، كما فسر الأستاذ محمد المبارك سبب اختيار هذه الألفاظ، الإمام والخليفة وأمير المؤمنين بأنه: ابتعاد بالمفهوم الإسلامي للدولة ورياستها عن النظام الملكي بمفهومه القديم عند الأمم الأخرى من الفرس والرومان المختلف اختلافًا أساسيًّا عن المفهوم الإسلامي الجديد[6]، هذا وقد كان الخلفاء الأُول يُلقبون بالخلفاء كما يلقبون بالأئمة، ومنذ خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه استعمل المسلمون لقب «أمير المؤمنين»، ولقد ورد لفظ «إمام» في القرآن الكريم في أكثر من موضع بمعنى الزعيم أو الدليل أو الرئيس قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ١٢٤). أي جاعلك قدوة يؤتم به[7]، وقال تعالى: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: ٧٤)، أي يقتدون بنا في أمر

---

(١) «المرتضى» للندوي ص(١٤٠، ١٤١).
(٢) «روضة الطالبين» (١٠/ ٤٩).
(٣) «المقدمة» ص(١٩٠).
(٤) «لسان العرب» (٩/ ٨٣).
(٥) «تاريخ المذاهب» لأبي زهرة ص(٢١).
(٦) «نظام الإسلام، الحكم والدولة» (ص٦١).
(٧) «نظام الحكم في الإسلام»، لعارف خليل ص (٨٠).

الدين، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ (الإسراء: ٧١)، أي بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين، وقيل: بكتاب أعمالهم التي قدموها[١]، وورد لفظ الإمام في مواطن كثيرة من السنة النبوية منها قول رسول الله ﷺ: «**من بايع إمامًا، فأعطاه صفقة يده، وثمرة قلبه، فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر**»[٢]، وقوله ﷺ: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**»[٣]، وقوله: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل...**»[٤].

ومن الملاحظ أن لفظ الإمامة يغلب استعماله عند أهل السنة في مباحثهم العقدية والفقهية، بينما الغالب استعمالهم لفظ (الخلافة) في كتاباتهم التاريخية، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن هذه المباحث - خاصة العقدية - قد كتبت للرد على المبتدعة في هذا الباب كالشيعة الروافض والخوارج[٥]. فالشيعة الروافض يستخدمون لفظ الإمام دون الخلافة ويعتبرونها إحدى أركان الإيمان عندهم، ويفرقون بين الإمامة والخلافة، فهم يعتبرون الإمامة رئاسة دين، والخلافة رئاسة دولة[٦]، ويريدون من ذلك إثبات أن عليًّا رضي الله عنه كان إمامًا زمن خلافة الثلاثة الذين سبقوه[٧]، وقال ابن خلدون: إن الشيعة خصوا عليًّا باسم الإمام نعتا له بالإمامة التي هي أخت الخلافة، وتعريضًا بمذهبهم في أنه أحق بإمامة الصلاة من أبي بكر رضي الله عنه[٨].

إن هذه الألقاب: الخليفة، والإمام، وأمير المؤمنين، ليست من الأمور التعبدية، وإنما هي مصطلحات وجدت بعد وفاة الرسول ﷺ، واصطلح الناس عليها، وقد أطلق المسلمون غير هذه الألقاب في وقت لاحق كلقب الأمير، كما كان الحال في الأندلس، وكذلك لقب السلطان- كما تسمى بذلك

---

(١) «نظام الحكم في الإسلام»، لعارف خليل ص (٨١).
(٢) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٢/ ٢٣٣).
(٣) المصدر نفسه (١٢/ ٢٣٧).
(٤) «فتح الباري» (٣/ ٢٩٣).
(٥) «الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة» للدميجي ص(٣٦).
(٦، ٧) المصدر نفسه ص (٣٦).
(٨) «نظام الحكم»، لعارف خليل ص (٨١).

الحكام في الدولة الإسلامية- أو أيْ لقب من هذه الألقاب؛ إذ إن المهم في هذا المجال أن يكون المسلمون ورئيسهم خاضعين للتشريع الإسلامي عقيدة، وشريعة، بغض النظر عن الألقاب التي يمكن أن تطلق على هذا الرئيس، سواء كان لقبه الخليفة أم أمير المؤمنين أم رئيس الدولة أم رئيس الجمهورية، فيمكن إطلاق أحد هذه الألقاب أو غيرها، وهذا يرجع إلى ما يتعارف عليه الناس، وإن كان الأفضل الالتزام بالألقاب السابقة؛ لما لها من مفهوم سياسي متميز عن المفاهيم المختلفة عند الأمم الأخرى ولما لها من معان دوت عبر التاريخ على أنها رمز للحضارة الإسلامية[1].

٧- أيهما أصح عند ذكر أمير المؤمنين عليّ ﷺ، هل نقول: رضي الله عنه أم كرّم الله وجهه أم عليه السلام؟:

إن الأصل عند ذكر الصحابة الترضيّ عنهم جميعًا، كما قال تعالى: **﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾** (التوبة: ١٠٠).

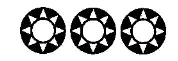
وقال تعالى: **﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾** (الفتح: ١٨). لذلك اصطلح أهل السنة على الترضي على كل صحابي يجري ذكره أو يروى عنه حديث، فيُقال مثلاً: عن أبي بكر ﷺ ولم يستعمل السلام - فيما أعلم - عند ذكر أحد منهم، مع أن السلام تحية المسلمين فيها بينهم، كما قال تعالى: **﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً﴾** (النور: ٦١)، وعلى هذا فالترضي أفضل من السلام قال تعالى: **﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾** (التوبة: ٧٢)، وأخبر النبي ﷺ أن الله تعالى يقول لأهل الجنة: «**أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدًا**»[2]، ولكن اصطلح العلماء على أن السلام يختص بالأنبياء لقوله تعالى: **﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾** (الصافات: ١٨١). ولقوله: **﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾** (مريم: ١٥).

---

(١) «نظام الحكم»، لعارف خليل ص (٨٢).

(٢) «مشكاة المصابيح» للبغوي (٣/ ٨٨).

ولما ورد في حق علي رضي الله عنه **«أنت مني بمنزلة هارون من موسى»**(١)، أخذ الغلاة كالرافضة يستعملون في حق أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: عليه السلام، أو كرم الله وجهه، ولا شك أنه أهل لذلك، لكن يشركه في ذلك جميع الصحابة(٢)، وقد وقع هذا في عبارة كثير من النساخ للكتب ومن بعض علماء أهل السنة أن يفرد عليّ رضي الله عنه بأن يقال: عليه السلام، من دون سائر الصحابة أو كرم الله وجهه، وهذا وإن كان معناه صحيحًا، لكن ينبغي أن يساوي بين الصحابة في ذلك(٣).



(١) «البخاري» رقم (٣٧٠٦).

(٢) «فتاوى في التوحيد»، عبدالله بن جبرين (ص٣٧).

(٣) «الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية» ص (٢٦) في الحاشية من تعليق المحقق أحمد التويجري.

المبحث الثاني

شيء من فضائله وأهم صفاته وقواعد نظام حكمه

قال الإمام أحمد، وإسماعيل القاضي، والنسائي، وأبو علي النيسابوري: لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء في علي رضي الله عنه[١]، وقال الحافظ ابن حجر: وكأن السبب في ذلك أنه تأخر، أي آخر الخلفاء الراشدين، ووقع الاختلاف في زمانه وخرج من خرج عليه، فكل ذلك سببًا لانتشار مناقبه من كثرة من كان بيَّنها من الصحابة ردًّا على من خالفه، فاحتاج أهل السنة إلى بثّ فضائله فكثر الناقل لذلك وإلاَّ فالذي في نفس الأمر أنّ لكل من الأربعة من الفضائل، إذا حرر بميزان العدل لا يخرج عن قول أهل السنة والجماعة أصلاً[٢]، وقال ابن كثير: من فضائله أنّه أقرب العشرة المشهود لهم بالجنة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نسبًا[٣].

وقد ذكرت كثيرًا من فضائله فيما مضى من البحث كل في موضعه وإتمامًا للفائدة نشير إلى مزيد من الفضائل لعليّ رضي الله عنه منها:

- عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال علي: والذي فلق الحبة وبرأ النَّسمَة، إنه لعهد النبي الأُمِّيِّ صلى الله عليه وسلم إليَّ: ألاَّ يُحبني إلا مؤمن ولا يُبغضني إلا منافق[٤].
- عن أبي إسحاق: سأل رجل البراء وأنا أَسْمَعُ قال: أشَهِدَ عليٌّ بدرًا قال: بارز وظاهر[٥].
- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حراء هو وأبوبكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد**»[٦].

---

(١) «فتح الباري» (٧/ /٧١).
(٢) المراد ترتيبهم في الفضل هو حسب ترتيبهم في الخلافة «فتح الباري» (٧/ ٧١).
(٣) «البداية والنهاية» (١١/ ٢٩). (٤) «الصحيح المسند في فضائل الصحابة» ص (١١١).
(٥) ظاهر: أي لبس درعا على درع «الصحيح المسند» ص (١١٢).
(٦) «الصحيح المسند في فضائل الصحابة» ص (١١٧).

● قال سعيد بن زيد رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: النبي في الجنة وأبوبكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة، وعبدالرحمن بن عوف في الجنة وسعد في الجنة ولو شئت أن أسمي العاشر(١).

● قالت أم سلمة رضي الله عنها: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من سب عليًّا فقد سبني(٢).

● جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن عثمان رضي الله عنه، فذكر محاسن عمله، قال: لعلَّ ذلك يسوؤك؟ قال: نعم. قال: فأرغم الله بأنفك ثم سأله عن علي فذكر محاسن عمله قال: هو ذاك بيته أوسط بيوت النبيِّ صلى الله عليه وسلم ثم قال: لعلَّ ذاك يسوؤك؟ قال: أجل قال فأرغم الله بأنفِك انطلق فاجهد على جَهدك(٣)، هذه بعض الفضائل الثابتة لعليّ رضي الله عنه، وأما صفاته رضي الله عنه، فقد كان صفات القائد الرباني المضحي في سبيل الله وكتابه وسنة نبيه، ونجملها في أمور ونركز على بعضها بالتفصيل، فمن أهم هذه الصفات، سلامة المعتقد، والعلم الشرعي، والثقة بالله، والقدوة، والصدق، والكفاءة والشجاعة، والمروءة، والزهد، وحب التضحية، وحسن اختياره لمعاونيه، والتواضع والحلم والصبر، وعلو الهمة والحزم والإرادة القوية، والعدل، والقدرة على التعليم وإعداد القادة، وغير ذلك من الصفات التي ظهرت للباحث في الفترة المكية في صحبته للنبي صلى الله عليه وسلم وفي العهد المدني في غزواته مع رسول الله وحياته في المجتمع، وظهر البعض الآخر لما تسلم قيادة الدولة الراشدية وأصبح أمير المؤمنين رضي الله عنه، ومن أهم هذه الصفات:

أولاً: العلم والفقه في الدين:

كان أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه من علماء الصحابة الكبار، وقد تميز رضي الله عنه بجده في التحصيل، والتحري في قبول العلم، والسؤال في طلبه، واستخدم وسائل

---

(١) «الصحيح المسند» ص (١١٧).
(٢) «الصحيح المسند» ص (١٢١).
(٣) «الصحيح المسند من فضائل الصحابة» ص (١٤٠).

ضبط العلوم في زمنه، من كتابة، وتعهد، ولزوم النبي ﷺ؛ حيث يقول رضي الله عنه في جمعه للقرآن الكريم: آليت بيمين ألاَّ أرتدي بردائي إلا إلى الصلاة حتى أجمع القرآن(١)، وقال: ما دخل نوم عيني، ولا غمض رأسي على عهد رسول الله ﷺ حتى علمت ذلك اليوم ما نزل به جبريل عليه السلام، من حلال أو سنة، أو كتاب، أو أمر، أو نهي، وفيمن نزل(٢)، وكان رضي الله عنه يتلقى النص من رسول الله ﷺ مباشرة، ولكن عندما يبلغه الحديث من غيره فإنه يكون شديد التحري في قبوله، خشية أن ينسب لرسول الله ﷺ قولاً لم يقله، ومما يدل على هذا المنهج قوله ﷺ: كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله حديثًا نفعني الله منه بما شاء أن ينفعني، وإذا حدثني أحد من أصحابه استحلفته، فإذا حلف لي صدقته، قال: وحدثني أبوبكر، وصدق أبوبكر رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله يقول: «**ما من عبد يذنب ذنبًا فيحسن الطهور، ثم يقوم فيصلي ركعتين، ثم يستغفر الله إلا غفر الله له**»، ثم قرأ هذه الآية ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ**﴾ (آل عمران: ١٣٥) إلى آخر الآية(٣). نعم، علي بن أبي طالب رضي الله عنه يستحلف أصحاب رسول الله ﷺ وهم الثقاة العدول، ما هذا إلا دليل على شدة تحريه في تلقي الحديث الذي يتلقاه من غير رسول الله ﷺ(٤).

وكان رضي الله عنه صاحب لسان سؤول وقلب عقول، فقد قال: ... إن ربي وهب لي قلبًا عقولاً ولسانًا سؤولاً(٥)، وعلّل رضي الله عنه كثرة علمه بطلبه إياه من رسول الله ﷺ بالسؤال، بقوله: كنت إذا سألت أعطيت وإذا سكت ابتديت(٦)، وعندما يكون عائق الحياء بينه وبين رسول الله ﷺ يتغلب عليه بطلب من أحد الصحابة بسؤال رسول الله ﷺ، فعن محمد بن الحنفية قال: قال علي: كنت رجلاً مذاءً(٧)، فاستحييت أن أسأل رسول الله ﷺ، فأمرت المقداد بن الأسود

(١) «الطبقات» (٢/٣٣٨). أجمع القرآن: أحفظه.

(٢) «مسند الإمام زيد» ص (٣٤٣) نقلاً عن «منهج علي بن أبي طالب في الدعوة».

(٣) «صحيح سنن الترمذي» (١/١٢٨)، و«مشكاة المصابيح» (١/٤١٦).

(٤) «منهج علي بن أبي طالب في الدعوة» ص (٥٢).

(٥) «الطبقات» (٢/٣٣٨)، و«الحلية» (١/ ٦٧).

(٦) «فضائل الصحابة» (٢/٦٤٧) وإسناده صحيح.

(٧) أي كثير المذي وهو ما يخرج عند الملاعبة.

فسأله فقال: فيه الوضوء[١]، وكان رضي الله عنه يحذر الناس من ترك العلم بسبب الحياء، فقد قال: ولا يستحي أحدكم إذا لم يعلم أن يتعلم[٢]، ولا يستحي جاهل أن يسأل عما لا يعلم، وكان أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه من بين القلة من المسلمين الذين كانوا يعرفون الكتابة في صدر الإسلام، وفوق هذا فقد كان من كتاب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ساعدته هذه المهارة في القراءة والكتابة على التبحر في العلوم الشرعية، وكان رضي الله عنه يرى أن تكون كتابة النصوص بخطٍّ بيِّن مع التفريج بين السطور، والتقريب بين الحروف، فعن أبي عثمان عمرو ابن بحر الجاحظ، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الخط علامة، فكلما كان أبين كان أحسن[٣]، وقد أمر كاتبه عبيد الله بن أبي رافع بقوله: ألف دواتك وأطل سِنَّ قلمك، وافرج بين السطور، وقرمط[٤] بين الحروف[٥]، وعن أبي حكيمة العبدي قال: كنا نكتب المصاحف بالكوفة، فيمر علينا علي ونحن نكتب فيقول: أَجِلَّ قلمك[٦]، قال: فقططت منه، ثم كتبت. فقال هكذا نوروا ما نور الله[٧]، وكان رضي الله عنه يتعهد ما تعلمه بالعمل وتطبيقه، وكان من أحرص الناس على تطبيق ما سمعه من رسول الله ولو كان ذلك في أصعب الظروف، كما مرّ معنا في تعليم رسول الله له والسيدة فاطمة رضي الله عنهما الأذكار، فقد قال أمير المؤمنين: ما تركته منذ سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم، قيل له: ولا ليلة صفين؟، قال: ولا ليلة صفين[٨]، وقد أشار أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه إلى ضبط النص بالعمل به بقوله: تعلموا العلم تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله[٩]، وكان يرى أن العالم لا يسمى عالمًا إلا إذا كان عاملاً بعلمه، لذا يقول مخاطبًا حملة العلم: يا حملة العلم، اعملوا به فإن العالم من عمل بما علم ووافق علمه عَمَلُه[١٠].

---

(١) «مسلم»، (١/ ٢٤٧).

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٣/ ٢٨٤).

(٣) «الجامع لأخلاق الراوي» (١/ ٢٦٢).

(٤) قرمط بين الحروف: أي قرب بينها.

(٥) «الجامع لأخلاق الراوي» (١/ ٢٦٢).

(٦) أي عظم قلمك، وهو كناية عن تكبير الخط.

(٧) «الجامع لأخلاق الراوي» (١/ ٢٦٠).

(٨) «مسلم» (٤/ ٢٠٩١، ٢٠٩٢).

(٩) «البداية والنهاية» (٨/ ٦).

(١٠) «بيان العلم وفضله» ص (٢٨٥).

وقال رضي الله عنه: هتف العلم بالعمل فإن أجاب وإلا ارتحل[١]، وكان عليّ رضي الله عنه من المكثرين من الفتوى في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال ابن القيم: الذين حفظت عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله مائة ونيف وثلاثون نفسًا، ما بين رجل وامرأة، وكان المكثرون منهم سبعة، عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود، وعائشة أم المؤمنين، وزيد بن ثابت، وعبدالله ابن عباس، وعبدالله بن عمر[٢] وقد عد ابن حزم عليّ رضي الله عنه في المرتبة الثالث من بين الصحابة رضي الله عنهم في كثرة الفتوى، وسيأتي الحديث بإذن الله تعالى عن المسائل القضائية، وكثيرا من اجتهاداته الفقهية، عند حديثنا عن المؤسسة القضائية. وكان رضي الله عنه يحث على التزاور والمدارسة، حيث يقول: تزاوروا وتدارسوا الحديث، ولا تتركوه يدرس[٣]، وفي رواية: تزاوروا وتحدثوا، فإن لم تفعلوا فإنه يدرس[٤]، وكان أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه يحث على لزوم الشيخ، والحرص على الأخذ منه، ويقول: ولا تشبع من طول صحبته، فإنما هو كالنخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شيء[٥]، وقد تهيأ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ملازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم صغيرًا حين تربى في حجره، وكبيرًا حينما كان صهره ووالد سبطيه، فكان بذلك قريبًا من رسول الله، يأخذ عنه ويتعلم منه، وقد شهدت السيدة عائشة رضي الله عنها لعلي رضي الله عنه بلزومه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن المقدام بن شريخ، عن أبيه قال: سألت عائشة رضي الله عنها فقلت أخبريني برجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أسأله عن المسح على الخفين، فقالت: ائت عليًّا فسله، فإنه كان يلزم النبي صلى الله عليه وسلم قال: فأتيت عليًّا فسألته، فقال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسح على خفافنا إذا سافرنا[٦]، وكان رضي الله عنه يرى الانتقاء في العلوم فقد قال: العلم أكثر من أن يحفظ، فخذوا من كل علم محاسنه[٧]، وقد وصل من العلم مرتبة جعلته يقول

(١) «المنهج علي بن أبي طالب» ص (٦٣).
(٢) «إعلام الموقعين».
(٣) «الجامع لأخلاق الراوي» (١/ ٢٣٦).
(٤) «شرف أصحاب الحديث» للبغدادي (ص٩٣).
(٥) «تذكرة السامع» ص (١٠٠).
(٦) «مسند أحمد» (٢/ ١٩٥)، وإسناده صحيح، تحقيق أحمد شاكر.
(٧) «تاريخ اليعقوبي» (٢/ ٥).

للناس وهو في العراق: سلوني، فعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال: ما كان أحد من الناس يقول: سلوني غير علي بن أبي طالب رضي الله عنه [١].

وقد وثق الناس بعلمه سواء الصحابة أو التابعين، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إذا أتانا الثبت عن علي لم نعدل به[٢]، وعنه أيضا قال: إذا حدثنا ثقة عن علي بفتوى لا نعدوها[٣]، وعن سويد بن غفلة أنه جاءه رجل يسأله عن فريضة رجل ترك ابنته وامرأته، قال: أنا أنبئك قضاء علي. قال: حسبي قضاء علي. قال: قضى علي لامرأته الثمن، ولابنته النصف، ثم رد البقية على ابنته[٤]، وقد أثنى الناس عليه في علمه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: أما إنه أعلم الناس بالسنة[٥]، وكان معاوية رضي الله عنه يكتب فيما ينزل به ليسأل له علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك، فلما بلغه قتله، قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب رضي الله عنه [٦]، وعن الحسن بن عليّ رضي الله عنه، أنه خطب الناس بعد وفاة عليّ رضي الله عنه فقال: لقد فارقكم رجل أمس، ما سبقه الأولون بعلم، ولا أدركه الآخرون[٧]، وعن عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة ـ وقد سئل عن عليّ رضي الله عنه - فقال: كان لله والله ما شاء من ضرس قاطع، السطة[٨] في النسب، وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومصاهراته، والسابقة في الإسلام، والعلم بالقرآن والفقه بالسنة، والنجدة في الحرب، والجود في الماعون[٩]، وعن مسروق قال: انتهى علم أصحاب رسول الله إلى عمر، وعليّ، وابن مسعود، وعبدالله رضي الله عنهم [١٠].

وقد ترك أمير المؤمنين رضي الله عنه نصائح وإرشادات لطلاب العلم والعلماء والفقهاء تستحق أن تحفظ ويعمل بها ومن هذه النصائح:

---

(١) «الاستيعاب» ص (١١٠٣).

(٢) «الاستيعاب» ص (١١٠٤).

(٣) «الطبقات» (٢/ ٣٣٨).

(٤) «سنن الدارمي» (٢/ ٣٧٥).

(٥) «الاستيعاب» ص (١١٠٤).

(٦) «الاستيعاب» ص (١١٠٨).

(٧) «فضائل الصحابة» (٢/ ٥٩٥)، وإسناده صحيح.

(٨) السطة: التوسط، والوسط في النسب هو أكرمه وأشرفه.

(٩) «ذخائر العقبى» لمحب الدين الطبري (ص٧٩).

(١٠) «تاريخ السيوطي» ص١٩٦).

١ - الناس ثلاثة، عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق:

روى الحافظ أبو نعيم عن كُميل بن زياد قال: أخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبَّان - يعني الصحراء - فلما أصحرنا جلس ثم تنفس ثم قال: يا كميل بن زياد، القلوب أوعية فخيرها أوعاها للعلم، احفظ ما أقول لك: الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وَهَمَجٌ رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق[١]، إن هذه الوصية البليغة قد اشتملت على دُرر المواعظ وغُرَر الحِكَم، فقد قسَّم أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه الناس إلى ثلاثة أقسام:

(أ) العلماء الربانيون: والمقصود بالعلماء علماء الدين، والربانيون الذين يجمعون بين الفقه والحكمة كما جاء في تفسير ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ (آل عمران: ٧٩)، قال: حكماء فقهاء، أخرجه الإمام البخاري، وبذلك فسره عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه [٢]، فالذين يجمعون بين الحكمة والفقه هم المؤهلون لتربية الأمة وتوجيهها؛ لأن الحكمة وضع الشيء في موضعه المناسب ومن ذلك التوفيق إلى تطبيق الحكم الشرعي على واقع الناس، وذلك يقتضي فهما دقيقًا لواقع المجتمع الإسلامي، ومن الحكمة القيام بتربية الأمة بهذا الدين، وذلك يقتضي الجمع بين تعليم الدين والتربية على التقوى ومكارم الأخلاق، وأما الفقه فهو فهم الأحكام الدينية من مصادرها الشرعية، ولذلك كان العلماء الربانيون هم أفضل الأمة؛ لأنهم جمعوا بين فضيلتين: تلقِّي العلم، والتعليم مع التربية، فهم المؤهلون لتربية الأمة وتوجيهها[٣]، وقد عرَّف أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه الربانيين بأنهم هم الذين يغذون الناس بالحكمة ويربونهم عليها[٤].

---

(١) «حلية الأولياء» (١/ ٧٥)، و«صفة الصفوة» (١/ ٣٢٩).

(٢) «التاريخ الإسلامي» للحميدي (١١ ، ١٢/ ٤٣٨).

(٣) «التاريخ الإسلامي» (١١ ، ١٢/ ٤٣٨).

(٤) «الفتاوى» (١/ ٤٩).

(ب) طلاب العلم الذين أخلصوا نياتهم في طلب العلم؛ ليكون وسيلة إلى نجاتهم من المسؤولية أمام الله تعالى، وقد عبر عليّ رضي الله عنه عن هذا القسم بقوله: ومتعلم علي سبيل نجاة وهذا لا يختص بالدارسين الذين تفرغوا لطلب العلم، وإنما يشمل كل من حمل مسؤولية تطبيق هذا الدين، وأهمّه أمر نجاته في الآخرة، فاستفتى في أمور دينه العلماء الربانيين، ليعبد الله على بصيرة وليستقيم في معاملته مع الناس على منهج الله، فهذا يعتبر من المتعلمين على سبيل نجاة وإن لم يجلس في حلقات العلم(١)، إن أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه يرينا أهمية إخلاص النية لله في طلب العلم ويدعوهم لتقديم ما عند الله والدار الآخرة على حطام الدنيا وشهوات النفس والدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ودين الحق والصبر على ذلك.

(ج) الذين هجروا العلم الديني ولم يكن لهم ارتباط بالعلماء الربانيين في معرفة أمور دينهم، وقد عبَّر عنهم أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه بقوله: وهَمَجٌ رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم.

تحدث أمير المؤمنين عن صنف الهمج الرعاع أتباع كل ناعق الذين يميلون مع كل ريح وليس لهم نور يستضيئون به وحذر من هذا الصنف الإمَّعي، وكأنه رضي الله عنه يدعو الناس بأن يكون همهم الحق والثبات عليه، وبأن يعمّروا الدنيا والآخرة بطاعة الله وأن يستضيئوا بنور الله ويجعلوا الدنيا مطية للآخرة.

٢ـ المقارنة بين العلم والمال:

وجاء في وصية أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه لكميل بن زياد: . . . العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو على العمل والمال تنقصه النفقة، العلم حاكم، والمال محكوم عليه، وصنعة المال تزول بزواله ومحبة العالم دين يدان بها، العلم يُكسب العالم الطاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد مماته، مات خُزَّان المال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة

(١) «التاريخ الإسلامي» للحميدي (١١، ١٢/٤٣٨).

وأمثالهم في القلوب موجودة(١)، عقد أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه مقارنة بين العلم والمال، باعتبار أن العلم الشرعي هو عماد أهل الآخرة ومعقد عزهم وشرفهم في الدنيا والآخرة، والمقصود بالمال هنا الذي يجمعه صاحبه للذاته ولا يتوجه فيه بالطاعات وفق شرع ربه، وقد سوغ هذا الحكم بعدة أمور:

(أ) إن العلم يحرس صاحبه بينما صاحب المال هو الذي يحرسه، فأما حراسة العلم صاحبه فإن العلم الإلهي يقي صاحبه من المهالك في الدنيا والآخرة، فأما أمر الآخرة فظاهر معلوم، حيث إن هذا العلم يقود صاحبه إلى رضوان الله تعالى والجنة ويجنبه طريق النار، وما أعظمها من مطالب وما أبلغها من مكاسب، وأما الوقاية من مهالك الدنيا فإن السعادة الروحية الحقة لا تكون إلا باليقين الذي تتضاءل أمامه الحياة الدنيا فتصبح جميع مآسيها ونكباتها، بردًا وسلامًا على أصحاب اليقين؛ لأنهم لا يلقون لها بالا ولا يعيرونها اهتمامًا، بينما تتحول هذه المآسي والنكبات إلى حياة جحيمية على أهل الدنيا الذين يعتبرون الحياة الدنيا هي رأس المال والمكسب، وأما حراسة صاحب المال ماله فأمرها ظاهر، فكم تململ أصحابها من الهم والخوف عليها تململ المريض وباتوا يحرسون أموالهم بالهم والقلق والحزن المنهك(٢)، والعلم ينور بصيرة صاحبه في الاختيار الأفضل وفي استخلاص العبر من الأمم الماضية، والعيش بها في الحياة والعلم يفتح آفاقًا واسعة في فقه الخلاف، ومعرفة المصالح والمفاسد، والمقاصد، وترتيب الأولويات فيسير صاحبه بنور بين الناس.

(ب) إن العلم ينمو ويترسخ بالعمل؛ لأن العمل تطبيق للعلم فهو بذلك يزيده عمقًا في الذاكرة بخلاف المال، فإن الإنفاق منه ينقصه، ولا يغيبنَّ عن البال أن المقصود هنا أموال أهل الدنيا التي ينفقون منها من أجل الدنيا، أما أموال أهل الآخرة فإنها محكومة بالعمل الشرعي، فالإنفاق منها يزيدها نموًا كما جاء في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: **«ما نقص مال عبد من صدقة»**(٣).

---

(١) «حلية الأولياء» (١/ ٧٥)، و«صفة الصفوة» (١/ ٣٢٩).

(٢، ٣) «التاريخ الإسلامي» للحميدي (١٢/ ٤٤٢).

(ج) إن العلم الشرعي حاكم لأنه به تنتظم شؤون الحياة، وعلى منهاجه يجب أن تقرر جميع الأنظمة التي تحكم الناس، فهو الحاكم الحقيقي، أما المال فأنه محكوم عليه؛ لأن إصداره وإيراده يخضع للأنظمة الحاكمة سواء كانت شرعية أو غير شرعية(١).

(د) إن العلاقات الاجتماعية التي تقوم على المصالح المالية المشتركة تزول بزوال المال؛ لأنه هو الذي عقد تلك العلاقات بناء على تبادل المصلحة بوجوده فإذا زال زالت تلك المصالح، أما العلاقات الأخوية التي تقوم على تبادل العلم الشرعي بين العالم ومحبيه فإنها باقية خالدة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف: ٦٧).

(هـ) إن العلم الشرعي يكسب صاحبه ولاء المسلمين وطاعتهم لأهله اختياراً منهم من غير أن تفرض عليهم هذه الطاعة، وذلك على امتداد حياتهم كما يكسبهم الذكر الحسن بعد مماتهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، حيث لا يفقد الناس إلا صورهم وأشكالهم، وإننا لو استعرضنا التاريخ إلى عصرنا هذا لوجدنا العلماء من عهد الصحابة رضي الله عنهم تتردد أسماؤهم ، ويذكر التاريخ حياتهم في الكتب والخطب والدروس العلمية، بينما اندرست أسماء كبار أهل الدنيا بانقضاء حياتهم، وأحيانا يشاهدون انطفاء سمعتهم وهم أحياء(٢).

٣ـ الفقيه كل الفقه :

هو الذي لا يقنِّط الناس من رحمة الله ولا يُؤَمِّنهم من عذاب الله ولا يرخص لهم في معاصي الله، ولا يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره، ولا خير في عبادة لا علم فيها، ولا خير في علم لا فهم فيه، ولا خير في قراءة لا تدبُّر فيها(٣).

في هذا النص يبين أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه أن من الفقه في الدين التزام صفة الاتزان والاعتدال في عرض أمور الدين ومحاولة إصلاح الناس، وذلك بأن يسير

(١) «التاريخ الإسلامي» للحميدي (١٢/ ٤٤٢).
(٢) «التاريخ الإسلامي» للحميدي (١٢/ ٤٤٣).
(٣) «حلية الأولياء» (١/ ٧٧) ، و«صفة الصفوة» (١/ ٣٢٥).

الداعية في خط وسط بين مقامي الخـوف والرجاء ، فلا ينطلق في تخويف الناس إلى الحد الذي يجعلهم يقنطون من رحمة الله ، ولا ينطلق في ترغيب الناس إلى الحد الذي يجعلهم يأمنون من عـذاب الله تعالى ، ونجد عليًّا ﷺ في هذا النص يبين أن من مظاهر الفـقه في الدين ألاَّ يهوِّن العـالم من شأن المعـاصي فيـجرئ الناس على ارتكابها ، وأن يحـافظ على مستوى الإيمان والتـقوى لدى الناس مع محاولة رفـعهم نحو الكمال في ذلك ، كـما يبين أن من الفقه أن يـحاول العالم ربط المسلمين بـكتاب الله تـعالـى ، وهنا يبين عليّ ﷺ أهمـيـة القـرآن الكريم وتفضيله المطلق على كل مـا سواه ، وفيه تبيين أو تعليم للطريقة التـي نتعامل بها مع القرآن الكريم . وألاَّ يتجاوزه إلى غيـره رغبة عنه؛ لأنه مصدر الهداية الأول ، ومن المعلوم أن السنة النبوية بـيان تفصيلي للقـرآن الكريم ، فالتوجيـه إلى القرآن يعتبر توجيهًا إلى السنة ، ثم يبين أن من أهم شـروط العبادة الشرعية المقبولة ، أن تكون صـادرة عن علم بالكتاب والـسنة وأن العلم لا يكون نافعًـا إلا إذا رافقـه الفهم الصحيح ، ويختم وصـيته النافعة ببيان أهمية تدبُّر مـعاني كتاب الله تعالى حال التلاوة؛ لأن الخير كل الخير في فهم مقاصد القرآن الكريم للعمل بأحكامه ، والتوجـه الكامل لله بالقلب والعقل والروح والجوارح عند قـراءتنا لكتابه ، وبذل كل ما نستطيع لفهم مراد الله والعـمل بأوامره واجتناب نواهيه والتخلص من كل العوائق التي تحول بيننا وبين كتاب الله، فهذا يدعونا للتجرد لله بالكلية وإخلاص الدين له وتحري مـراد الله ورسوله ودين الحق ولو أدى إلى مفـارقة الأهل والمال والولد والوجاهة الدنيوية ، فإن ما عند الله خـير وأبقى ، والاتعاظ بمواعظه وتنمية الإيمان بتذكر معاني هذا الكتاب العظيم(١) .

٤- ما أبردها على الكبد:

عن الشعبي عن عليّ ﷺ أنه خرج عليهم وهو يقول : ما أبردها على الكبد فقيل له : وما ذلك؟ قال : أن تقول للشيء لا تعلمه : الله أعلم(٢) .

(١) «التاريخ الإسلامي» (١٢/ ٤٣١ - ٤٣٣) .
(٢) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٦٦) .

٥- أهل العلم وتعليم الناس:

قال أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه : ما أخذ الله العهد على أهل الجهل أن يتعلموا ، حتى أخذ على أهل العلم أن يعلِّموا[١] .

٦- الخير في كثرة العلم لا المال والولد:

قال عليّ رضي الله عنه : ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ، ولكن الخير أن يكثر علمك ، ويعظم حلمك ، وأن تباهي الناس بعبادة ربك ، فإن أحسنت حمدت الله ، وإن أسأت استغفرت الله ، ولا خير في الدنيا إلا أحد رجلين ، رجل أذنب ذنبًا فهو تدارك ذلك بتوبة ، أو رجل يسارع في الخيرات ، ولا يقل عمل في تقوى وكيف يقل ما يتقبل ؟ ![٢] .

٧- العلم والجهل:

قال علي رضي الله عنه : كفى بالعلم شرفًا أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح به إذا نُسب إليه ، وكفى بالجهل ضعة أن يتبرأ منه من هو فيه ويغضب إذا نسب إليه[٣] .

٨- سبب زهد الناس في العلم:

قال عليّ رضي الله عنه : إنما زهد الناس في طلب العلم؛ لما يرون من قلة انتفاع من عَلِم بما عَلِم[٤] . وهذا فيه تحذير لعلماء السوء الذين يصدون عن سبيل الله ودعوة للعلماء بالعمل بعلمهم ودعوة الناس إليه والصبر على أذاهم في سبيل الله تعالى .

٩- من حقوق العلماء على أمتهم:

قال أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه : من حق العالم ألاَّ تكثر عليه بالسؤال ، ولا تعنته بالجواب ، ولا تحل عليه إذا كسل ، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ، ولا تفشين له سرًّا ، ولا تغتابن عنده أحدًا ، ولا تطلبن عثرته ، وإن زل قبلت معذرته ، وعليك أن توقره وتعظمه لله، ما دام يحفظ أمر الله، ولا تجلس أمامه ، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته[٥] .

---

(١) «فرائد الكلام ص(٣٦١) .

(٢) «حلية الأولياء» ص (٧٥) .

(٣) «فرائد الكلام» ص (٣٦٦) .

(٤) «أدب الدين والدنيا» ص (٨٢ ، ٨٥) .

(٥) «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٥١٩) .

١٠- مكانة العلماء العاملين عند الله:

قال أمير المؤمنين عليّ ﷺ : من عَلِمَ وعَمِلَ دُعِيَ في ملكوت السموات عظيما(١)، وهذه دعوة للعلم والعمل، وحث للسعي للمقامات العالية التي يكرم الله بها من علم وعمل ابتغاء مرضاته سبحانه وتعالى.

١١- الاشتغال بالعلم أولى من الاشتغال بالعبادات التطوعية:

قال أمير المؤمنين عليّ ﷺ : العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد، وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف مثله(٢). وهذا التوجيه فيه دلالة على فقه ترتيب الأولويات عند أمير المؤمنين عليّ ﷺ، فهو يرى العمل المتعدي لخير الناس وهو العلم أولى بالتقديم من العمل التعبدي، الذي ترجع فائدته على الشخص نفسه. هذه بعض التوجيهات النافعة والإرشادات الصالحة من أمير المؤمنين عليّ ﷺ لطلاب العلم.

ثانيا: زهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وورعه:

فهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ من خلال معايشته للقرآن الكريم وملازمته للنبي الأمين ﷺ ومصاحبته للصحابة الكرام، ومن تفكره في هذه الحياة بأن الدنيا دار اختبار وابتلاء، فقد تربى أمير المؤمنين عليّ ﷺ على كتاب الله، واستوعب الآيات التي تحدثت عن الدنيا وأخبرتنا بخستها وقلتها، وانقطاعها وسرعة فنائها، والآيات التي رغبت في الآخرة، وأخبرت بشرفها ودوامها؛ كقوله تعالى: ﴿**وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا**﴾ (الكهف:٤٥-٤٦)، وتربى على يدي النبي ﷺ الذي كان أعرف الخلق بالدنيا ومقدارها؛ إذ هو القائل ﷺ : «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح**

---

(١) «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٤٩٧).

(٢) «المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح» للدمياطي ص(١٣).

بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة ماء»(١)، وقال ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أُصبعه في اليمِّ فلينظر بما ترجع»(٢)، وقال ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»(٣)، وقد تأثر أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه بالتربية القرآنية والنبوية، فكان من أصدق النماذج التي زكتها تربية النبي ﷺ قال الله فيها: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ...﴾ (البقرة: ١٥١)، فقد ضرب لنا أروع الأمثلة في الزهد وهذه بعض المواقف المدهشة في هذا الباب:

١- يا صفراء، ويا بيضاء غُرِّي غيري:

عن علي بن ربيعة الوالبي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه جاءه ابن النباح فقال: يا أمير المؤمنين امتلأ بيت مال المسلمين من صفراء وبيضاء، فقال: الله أكبر، فقام متوكئًا على ابن النباح حتى قام على بيت مال المسلمين فقال:

هذا جَنَايَ خِيَاره فِيه
وكُلُّ جَانٍ يَدُه إلى فِيه

يابن النباج عليَّ بأشياع الكوفة، قال: فنودي في الناس، فأعطى جميع ما في بيت مال المسلمين وهو يقول: يا صفراء ويا بيضاء غُرِّي غيري، ها، ها، حتى ما بقي منه دينار ولا درهم، ثم أمره بنضحه وصلى فيه ركعتين، وفي رواية أخرى لأبي نعيم من خبر مجمع التيمي قال: كان علي رضي الله عنه يكنس بيت المال ويصلي فيه ويتخذه مسجدًا رجاء أن يشهد له يوم القيامة.

ففي هذا مثل بليغ في الترفُّع عن متاع الدنيا الزائل، فبيت المال قد امتلأ من الذهب والفضة، ولا ينظر إليه أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه نظرة إعجاب وغرور، بل كان جوابه حينما أبلغه المسؤول المالي عن ذلك أن قال: الله أكبر، فإذا كان بعض الناس يكبرون الدنيا ويعظمونها فالله تعالى أكبر منها ومن كل شيء، وما دام المسلم يشعر حقًّا بأن الله أكبر فلماذا يجعل قلبه مستسلمًا لما هو أصغر؟، إنه فقه

(١) سنن الترمذي رقم (٤١١٠) صحيح غريب.
(٢) «مسلم» رقم (٢٨٥٨).
(٣) «مسلم» رقم (٢٨٥٦).

عظيم من أمير المؤمنين عليّ ﵁ حينما تذكر هوان الدنيا وحقارتها فكبَّر الله تعالى، ولسان حاله يؤنِّب من انخدع بمتاع الدنيا الزائل ونسي أن الله جل وعلا أكبر من كل شيء، وأنه لميزان دقيق يحسه المؤمن الذي نَوَّرَ الله سبحانه بصيرته، فكلما كان الله تعالى أعظم وأكبر من كل شيء في قلبه كانت الدنيا وما فيها أهون شيء عليه، وأصبح يُسَخِّر المال الحلال في طاعة الله جل وعلا، وكلما عظمت الدنيا في قلبه كان ذلك على حساب نقص تعظيمه لله تعالى، ونجد أمير المؤمنين عليًّا ﵁ يُحلِّق في آفاق العظمة وهو يخاطب الدنيا بقوله: يا صفراء يابيضاء غُرِّي غيري.. مما يدل على الوجدان الحيّ والحسِّ المرهف الذي يصور الدنيا كخصم يخاتل ويراوغ خصمه.. وهو بهذا يعلن انتصاره على جموح النفس وجنوح العواطف، ويُحكِّم عقله الذي يعطي الدنيا حجمها المناسب لزمنها المحدود في شقائها ونعيمها، ويعطي الآخرة حجمها المناسب لزمنها المحدود في شقائها ونعيمها، ويعطي الآخرة حجمها المناسب لخلودها وعظمة نعيمها وهول جحيمها، ونجده ﵁ يصل إلى قمة المعالي حينما صلى في بيت المال ركعتين؛ لتكونا شاهدتين له يوم القيامة بأنه عدل في حكمه واستقام في أمره، ولعل في اتخاذ بيت المال مسجدًا رمزًا لعلو الآخرة على الدنيا، وهو مكمِّل للسلوك العالي الذي مارسه في تصريف ذلك المال في وجوهه المشروعة(١).

٢ـ والله ما أرزؤكم من ما لكم شيئاً:

ومن مواقف أمير المؤمنين عليّ ﵁ في الزهد والورع ما رواه هارون بن عنترة عن أبيه قال: دخلت على علي بن أبي طالب ﵁ بالخَوْرنَق(٢)، وهو يُرعَد(٣) تحت سمل قطيفة(٤)، فقلت: يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال، وأنت تصنع بنفسك ما تصنع، فقال: والله ما أرزؤكم من

(١) «التاريخ الإسلامي» (١٢/ ٤٢٧) للحميدي.
(٢) موضع بالكوفة.
(٣) يرعد: من شدة البرد.
(٤) سمل قطيفة: يعني قطيفة قديمة.

مالكم شيئًا وإنها لقطيفتي التي خرجت بها من منزلي - أو قال من المدينة-[١].

وهنا نتساءل فنقول: ما الذي حمل أمير المؤمنين عليًّا على أن يعيش عيشة الفقراء وأن يتحمل البرد القارس وهو قادر على أن يشتري أفخر ما يوجد في الأرض من الملابس؟ وأكثرها دفئًا؟ إنه مثال للزهد الحقيقي حيث يرغب عن متاع الدنيا مع القدرة على تحصيله، إنه تلميذ المدرسة النبوية التي تربى فيها على الزهد في متاع الدنيا الزائل، والتنافس على نعيم الآخرة الخالد، فلقد عاش رسول الله ﷺ عيشة الفقراء وهو يستطيع أن يكون كأفضل الأغنياء[٢].

٣- باعني رضاي وأخذه رضاه:

عن أبي مطر عمر بن عبدالله الجهني قال: رأيت عليًّا رضي الله عنه متَّزرًا بإزار مرتديًّا برداء ومعه الدِّرَّة[٣]، كأنه أعرابي بدوي، ثم ذكر دخوله إلى السوق ومساومته أحد التجار في ثوب بثلاثة دراهم، وأن التاجر عرفه، قال: فلما عرفه لم يشتر منه شيئًا، فأتى آخر فلما عرفه لم يشتر منه شيئًا، فأتى غلامًا حدثًا فاشترى منه قميصًا بثلاثة دراهم، ثم جاء أبو الغلام فأخبره، فأخذ أبوه درهمًا ثم جاء به فقال: هذا الدرهم يا أمير المؤمنين، قال: ما شأن هذا الدرهم؟ قال: كان ثمن القميص درهمين، فقال: باعني رضاي وأخذه رضاه[٤]، فهذا مثل في الزهد من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فلقد كان مظهره في لباسه يوحي بأنه رجل أعرابي لخشونة ملابسه، وحينما اشترى له ثوبًا اختار نوعًا متواضعًا رخيص الثمن مع أنه كان آنذاك أعلى مسؤول في العالم، حيث كان خليفة المسلمين، وهذا يدل على تواضعه وزهده في الدنيا، على الرغم بأن له حقه من الفيء ومن بيت المال وغيرها من مصادر الدولة كشخص مفرغ خليفة وحاكم لمراعاة مصالح المسلمين، ومثل آخر في الورع والاحتياط للدين حينما امتنع عن الشراء ممن يعرفونه حتى لا يراعوه في الثمن لمنصبه، فهو لا يريد أن

---

(١) «حلية الأولياء» (١/ ٨٢)، و«صفة الصفوة» (١/ ٣١٦).

(٢) «التاريخ الإسلامي» (١٢/ ٤٢٨).

(٣) الدرة بكسر الدال وتشديدها العصا.

(٤) «الزهد» ص(١٣٠).

يستثمر منصبه الكبير لمصالحه الخاصة، وهذا فهم دقيق لمجالات الورع والتقوى، فالخلافة عنده وعند أمثاله عمل صالح، والخليفة إذا صاحبه العدل كان أول السبعة الذين يظلهم الله تعالى في ظله يوم القيامة، فهو لا يريد أن يدنس هذا العمل الصالح بمصالح دنيوية فيتحول العمل إلى مَجْلَبَة للوزر بدلاً من الأجر، فكان بهذا السلوك العالي قدوة حسنة لمن أتوا بعده[١].

٤- يخشع القلب ويقتدي به المؤمن:

قال عمر بن قيس: قيل لعليّ رضي الله عنه : لم ترقع قميصك؟ قال: يخشع القلب ويقتدي به المؤمن[٢]، فهذا مثل من زهده رضي الله عنه وحرصه على تربية المسلمين على حياة الزهد والتقشف، فقد لاحظ في لبس الثوب المرقع ملحظين: الأول: إنه وسيلة إلى خشوع القلب وتواضع النفس، والبعد عن أسباب العجب والكبرياء، والثاني: إنه يعتبر بذلك قدوة للمسلمين فإذا رآه الناس ـ وهو في أعلى منصب ـ يلبس الثوب المرقع فإن نفوسهم تتواضع ويبتعدون عن التنافس في شراء الملابس الغالية الثمن، ويتقوَّى بذلك الزاهدون الذين يتعرضون لملامة الناس على سلوكهم حياة الزهد[٣].

٥- لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان:

عن عبدالله بن زُرَير الغافقي قال: دخلت على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقرب إلينا خزيرة[٤]، فقلت: أصلحك الله لو قربت إلينا من هذا البط ـ يعني الوزّ ـ فإن الله عز وجل قد أكثر الخير فقال: يا ابن زرير إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان، قصعة يأكلها هو وأهله وقصعة يضعها بين يدي الناس**»[٥]، فهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه

---

(١) «التاريخ الإسلامي» (١٢/٤٢٩) للحميدي.
(٢) «تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين» ص (٦٤٧) للذهبي.
(٣) «التاريخ الإسلامي» (١٢/ ٤٣٠) للحميدي.
(٤) الخزيرة : لحم يقطع ويطبخ بالماء ويذر عليه الدقيق.
(٥) «مسند أحمد» (١/٧٨) إسناده صحيح قاله أحمد شاكر وهناك من ضعفه.

يضرب مـثلاً عاليـا في الورع والزهد في متـاع الدنيا الزائل من طعـام وشراب، فلقد كـان بإمكانه أن يأخذ من بيـت المال ما شاء من الأمـوال بما لا يلفت النظر إليه، حـيث يؤَمِّن له معـيشـة مساوية لأغنيـاء المسلمين، ولكنه رضي بخـشونة العـيش؛ إيثـارًا للآجلة على العـاجلة، واحـتيـاطًا لأمـر دينه، وإبرازًا للقـدوة الصالحة؛ لأنه إذا كان أعلى رجل في الدولة يعـيش هذا المستوى من العيش فإن في ذلك عزاء للفقـراء ليصبروا ويرضوا بقضاء الله تعـالى وقدره؛ وعظًا للأغنياء ليشكروا الله تعالى، فيخفضوا من اندفاعهم نحو الترف والإسراف[١].

٦- لا أحب أن يدخل بطني إلا ما أعلم:

كان أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه يختم على الجراب الذي فـيه دقيق الشعير الذي يأكل منه ويقول: لا أُحب أن يدخل بطني إلا ما أعلم[٢]، وقال سفيان: إن عليًّا رضي الله عنه لم يبن آجُرّة على آجرة، ولا لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة وإن كان ليؤتى بحبوبه من المدينة في جراب[٣].

٧- إنك لطيب الريح، حسن اللون، طيب الطعم:

يروي عدي بن ثابـت، وحبة بن جـوين أنه أتي بطستـخوان[٤] فالوذج إلى عليٍّ رضي الله عنه فلم يـأكل، فـقـال علي: إنـك لطيب الريح، حـسـن اللون، طيب الطعم، ولكن أكره أن أعود نفسي ما لم تعتده[٥].

٨- أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب:

قال الحـسن بن صالح بن حيّ: تذاكـروا الزُّهاد عند عمـر بن عبـدالعزيز، فقال: أزهد الـناس في الدنيا علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٦]، وقد ذكـر الذهبي أن

---

(١) «التاريخ الإسلامي» (١٢/ ٤٣١).
(٢، ٣) «الكامل في التاريخ» (٢/ ٤٤٣).
(٤) الطستخوان: عبارة عن طست كبير يوضع وسط المائدة.
(٥) «الحلية» (١/ ٨١)، و«صحيح التوثيق» ص(٧٤).
(٦) «تاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين» ص (٦٤٥).

عليًّا ﷺ ركب حمارًا ودلّى برجليه إلي موضع واحد ثمّ قال: أنا الذي أهنتُ الدنيا(وفعله هنا من باب التربية العملية على الزهد والتقوى والترفع على الدنيا وليس على سبيل الخيلاء)[١]، وأخرج أبو عبيد في «الأموال» عن عليّ ﷺ أنه أعطى العطاء في سنة ثلاث مرات، ثم أتاه مال من أصبهان، فقال: اغدوا إلى عطاء رابع، إني لست بخازنكم، فأخذها قوم وردها قوم[٢]، وخطب علي الناس فقال: أيها الناس، والله الذي لا إله إلا هو، ما رزأت من مالكم قليلاً ولا كثيراً إلا هذه، وأخرج قارورة من كم قميصه فيها طيب، فقال: أهدى إليَّ دهقان، وقال: ثم أتى بيت المال وقال: خذوا، وأنشأ يقول:

أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ قَوْصَرَةْ[٣]

يَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ يَوْمٍ تَمْرَةْ[٤]

لقد كان الزهد من الصفات البارزة في شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، وكان زهده ﷺ مع توافر أسباب الرخاء والثراء، وثقة الناس وتوقيرهم وإجلالهم له الذي يمنع من النقد والحسبة والمؤاخذة[٥]، ولم يكن ﷺ مع زهده وورعه وتصلُّبه في دينه، على شيء من الفظاظة والخشونة والعبوس والكلح، ولم يكن ثقيل الظل، بل كان ودودًا بشوشًا فيه دعابة ملحوظة، وقد جاء في وصفه: كان حسن الوجه، ضحوك السنِّ خفيف المشي على الأرض[٦]. وقد عرّف عليّ ﷺ الزهادة فقال: أيها الناس، الزهادة قصر الأمل، والشكر عند النعم والتورع عن المحارم[٧]، وقصر الأمل ضد طول الأمل الذي ينسي الإنسان الآخرة، وأما قصره فيجعله يجمع بين الدنيا والآخرة ابتغاء مرضات الله، وأما الشكر عند النعم فهي صفات المسلم الرباني الذي يستشعر نعم الله عليه، المادية والمعنوية ما

---

(١) «تاريخ الإسلام» للذهبي ص(٦٤٥).

(٢) «كنز العمال» (٢/ ٣٢٠).

(٣) القوصرة: وعاء من قصب يجعل فيه التمر ونحوه.

(٤) «المرتضى» للندوي ص(٢١٢).

(٥) المصدر نفسه ص (٢١٠).

(٦) المصدر نفسه ص (٢١٣).

(٧) «علي بن أبي طالب»، محمد رشيد رضا ص(٣٠٤).

ظهر منها وما بطن ويقابلها بالشكر للعـزيز الوهاب، وأما التورع عن المحرمات فهو أن يبتعد عن الاقتراب من محرمات الله عز وجل، فتعريف أمير المؤمنين يبين حقيقة الزهد، ولا شك أن زهد أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه قد أثر فيمن حوله وأصبح مدرسة مؤثرة في تاريخ الأمة، وقد ربط أبو الحسن الندوي بين الزهد والتجديد في المجتمع الإسلامي فقال: ولقد رأينا الزهد والتجديد مترافقين في تاريخ الإسلام، فلا نعرف أحدًا ممـن قلب التيـار، وغير مـجرى التـاريخ، ونفخ روحًا جـديدة في المجتـمع الإسلامي، أو فتـح عهدًا جديدًا في تاريخ الإسـلام، وخلف تراثًا خالدًا في العلم والفكر والدين، وظل قرونًا يؤثر في الأفـكار والآراء ويسيطر على العلم والأدب، إلا وله نزعة في الزهد، وتغلب على الشهوات، وسيطر على المادة ورجالها، ولعل السـر في ذلك أن الزهد يكسب الإنسـان قوة المقـاومة، والاعـتـداد بالشخـصيـة والعقيدة، والاستهانة برجال المادة، وبصرعى الشهوات، وأسرى المعدة[1].

ثالثًا: تواضع أمير المؤمن علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

من الأخلاق القـرآنية التي تجسدت في شـخصية أمـير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه خلق التواضع، قال تعالى: ﴿**وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً**﴾ (الإسراء: ٣٧)، وقوله تعالى: ﴿**وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**﴾ (لقمان: ١٨-١٩).

وفي آية الإسـراء دعوة واضـحة إلى التـحلي بمكارم الأخلاق من التـواضع واللين، ومعرفـة قدر النفس؛ لأن النهي الصريح عن رُعـونات النفس من الكبر والبطر والأشر والاحتقار للناس، والأمر بـضده وهو التواضع والقصد في الأمور منصوص صراحة بعد أن علم بالمفـهوم من النهي السابق، وذيل الله تعالى النهي والأمـر بما ذيل به النهي السابق مـن عدم رضـاه وشدة سـخطه على من اتصف بتلك الصفات فقال سبحانه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ فعدم محبته لمن

(١) «رجال الفكر والدعوة» في حديثه عن الإمام أحمد (١/ ١٠٥).

كان كذلك ، يعني بغضه له، كما دلت عليه الآية السابقة، وفي هذا من الحث على التواضع ما فيه الكفاية للمؤمن(١)، غير أن القرآن الكريم لم يقتصر على ذلك، بل نوه بالمتواضعين أيما تنويه حيث قال الله جل ذكره: **﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾** (الفرقان: ٦٣).

وهذا تنويه عظيم بالمتواضعين حيث وصفهم بالعبودية له، وذلك أعظم تشريف لهم؛ لأن العبودية له سبحانه، هي أشرف الأوصاف ومن أعلى مراتب المحبين ، وبذلك يتفاخرون ولذلك يقول الشاعر:

وَمِمَّا زَادَنِي شَرَفًا وتِيهًا
وكِدْتُ بِأَخْمُصِي أَطَأُ الثُّرَيَّا
دُخُولِي تَحْتَ قَوْلِكَ يَاعِبَادِي
وأَنْ صَيَّرتَ أَحْمَدَ لِي نَبِيًّا(٢)

وكان نبينا محمد ﷺ في ذروة الذُّرا من هذا الخلق العظيم في كل صوره وأشكاله، ولا غرابة في ذلك فهو الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه ، وكان مما أدبه الله تعالى به في هذا الخلق قوله سبحانه وتعالى: **﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾** (الحجر: ٨٨). وقوله تعالى: **﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** (الشعراء: ٢١٥). وخفض الجناح كناية عن التواضع لهم والرفق بهم(٣)، وقد قام النبي ﷺ بذلك حق القيام، وظهر أثر هذا التواضع في كل أحواله الذاتية والاجتماعية والأسرية، وفي كل زمان ومكان بحيث لا يخلو حال من أحواله ﷺ عن التواضع لله تعالى والمؤمنين(٤)، وقد تأثر أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه بالتربية القرآنية الكريمة، والتربية

---

(١) «أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة»، د. أحمد الحداد (١/ ٤٥٤).
(٢) المصدر نفسه (١/ ٤٥٥)، ينسب للمصدر الأصلي.
(٣) «روح المعاني» للألوسي (٥/ ٨٠).
(٤) «أخلاق النبي في القرآن والسنة» (١/ ٤٥٩).

النبوية الرشيدة، فكانت هذه الصفة متجسدة في شخصيته الفذة، وإليك بعض المواقف:

(أ) أنا الذي أهنت الدنيا:

عن صالح بن أبي الأسود عمن حدثه أنه رأى عليًّا ﷺ قد ركب حمارًا ودلى رجليه إلى موضع واحد ثم قال: أنا الذي أهنت الدنيا[١]، وهكذا يشعر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ بالفرح لانتصاره على نفسه، وظهوره بمظهر التواضع أمام الناس وهو خليفة المسلمين، إن مناصب الدنيا خداعة غرارة، وإن فتنة الجاه بها أعظم من فتنة المال، فلطالما رأى الناس مسؤولين كانوا متواضعين قبل أن يلوا، فلما تولوا مناصب كبيرة بدأ التعاظم في نفوسهم شيئًا فشيئًا، حتى يكون من الصعب في آخر الأمر مخاطبتهم واللقاء معهم، لكن أولياء الله المتقين كلما ازدادوا رفعة في المناصب الدنيوية زادوا تواضعا للناس، وشعروا بالسرور وهم يقومون بمظاهر التواضع التي تنفي عنهم صفة التجبر والكبرياء[٢].

(ب) أبو العيال أحق أن يحمل:

روي عن عليّ ﷺ: أنه اشترى تمرا بدرهم فحمله في ملحفة، فقالوا: نحمل عنك يا أمير المؤمنين، قال: لا، أبو العيال أحق أن يحمل[٣]، فهذا مثل من تواضعه حيث حمل متاعه بنفسه مع كونه أمير المؤمنين ومع كبر سنه، فلم ير في ذلك مسوغا لقبول خدمة الناس له، وهو بهذا يجعل من نفسه قدوة حسنة للمسلمين في التواضع فلو نازعت أحد الكبراء نفسه في تصور العيب من حمل المتاع، فإنه بتذكره لموقف أمير المؤمنين عليّ ﷺ يزول ما في نفسه من ذلك، ولو اعترض على أحد المتواضعين معترض فإن له من الاقتداء بأكبر أمير على وجه الأرض ما يرد هذا الاعتراض[٤].

---

(١) «البداية والنهاية» (٨/ ٥).
(٢) «التاريخ الإسلامي» (١٧/ ٦٣) للحميدي.
(٣) «الزهد» للإمام أحمد ص (١٣٣).
(٤) «التاريخ الإسلامي» من (١٧/ ٦٤).

(ج) معاملته لعمه العباس رضي الله عنهما:

عن صهيب مولى العباس، قال: رأيت عليًّا ﷺ يقبل يد العباس ورجله ويقول: ياعم، ارض عني(١) ولنتأمل ما ورد في وصف ضرار الصدائي لعليّ ﷺ حيث يقول: يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، كان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا تنبأناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له(٢).

ومن أقوال أمير المؤمنين في التواضع: تواضع المرء يكرمه(٣)، إن العبد كلما رسخ في العلم بالكتاب والسنة وعمل بهما، وعرف حقيقة نفسه ازداد تواضعًا لله ولخلقه، كما أن علة من أعجب بنفسه من بعض دعاة اليوم، إنما هي من قلة العلم والفهم، إضافة إلى انصراف نظر الداعي إلى كثرة من حوله من الأتباع، وغفلته عن النظر إلى ما عند الله، ثم إلى من فوقه من العلماء الربانيين، وهذا من مداخل الشيطان الخفية على طلاب العلم والمحسوبين على حق الدعوة، وقد قيل من منثور الحِكَمْ: إذا علمت فلا تفكر في كثرة من دونك من الجهال، ولكن انظر إلى من فوقك من العلماء(٤)، ونختم هذه الصفة بقول أمير المؤمنين علي ﷺ: ما أحسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله، وأحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة بالله عز وجل(٥)، والتيه المقصود به الاستغناء بالله عمًّا في أيدي الأغنياء ولا يعني أبدًا التكبر والغرور.

رابعا: كرمه وجوده:

من الأخلاق القرآنية الكريمة التي تجسدت في شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، خلق الكرم والجود، وقد كان تنويه القرآن الكريم بأهل الكرم

---

(١) «أصحاب الرسول» (١/ ٢٢٤)، و«السير» للذهبي (٢/ ٩٤)، وإسناده صحيح.

(٢) «الاستيعاب» (٣/ ١١٠٨).

(٣) «منهج أمير المؤمنين علي في الدعوة» ص (٥٢٣).

(٤) «هداية المرشدين» ص (١٠٥) لعلي محفوظ.

(٥) «موعظة المؤمنين» (٢/ ٣٤٤)، و«فرائد الكلام» ص (٣٣٩).

عظيمًا، وقد كان هذا التنويه من أول القرآن الكريم حيث يقول سبحانه في مستهل ثاني سورة بعد البسملة: ﴿الٓمٓ ① ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ② الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ③﴾ ثم وصفهم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ④ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة: ١- ٥).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ㉑ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ㉒ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ㉓ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد: ٢١-٢٤)، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بلغ مبلغ الكمال والعظمة في كافة الأخلاق ولا سيما خلق الكرم، وقد وصفته خديجة رضي الله عنها بقولها: إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق[1]، فهي تصفه بهذه الصفات البالغة العظمة والخطورة التي كان عليها قبل بعثته ورسالته، ولم يكن قد تحمل أعباء أمته، ولقد أضفت عليه النبوة زيادة كمال وعظمة، فكيف به بعد ذلك كله؟ لا جرم أن كرمه صلى الله عليه وسلم بعد ذلك سيكون بالغا ذروة الذرى في كرم الأنبياء وسائر البشر، وهو ما دلت عليه الدلائل النقلية الكثيرة[2]، وقد تأثر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بالتربية القرآنية والنبوية وترك لنا آثارًا بارزة دالة على تأصل خلق الجود والكرم في شخصيته العظيمة، فقد ذكر الحافظ ابن كثير من خبر الأصبغ ابن نباتة: أن رجلا جاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجة فرفعتها إلى الله تعالى قبل أن أرفعها إليك، فإن قضيتها حمدت الله وشكرتك، وإن لم تقضها حمدت الله وعذرتك، فقال علي رضي الله عنه: اكتب حاجتك على الأرض فإني أكره أن أرى ذل السؤال في وجهك، فكتب: إني

(١) «السيرة النبوية» (١/ ١١٦).

(٢) «أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن والسنة» (٢/ ٦٤٨).

محتاج، فقال علي رضي الله عنه: علي بحلة، فأتي بها، فأخذها الرجل فلبسها، ثم أنشأ يقول:

كَسَوْتَنِي حُلَّةً تَبْلَى مَحَاسِنُهَا
فَسَوْفَ أَكْسُوكَ من حُسْنِ الثَّنَا حُلَلاَ
إنْ نِلْتَ حُسْنَ ثَنَائي نِلْتَ مَكْرُمَةً
ولَسْتُ أَبْغِي بِمَا قَدْ قُلْتُهُ بَدَلاَ
إنَّ الثَّنَاءَ لَيُحْيِي ذِكْرَ صَاحِبِهِ
كَالغَيْثِ يُحْيِي نَدَاهُ السَّهْلَ وَالجَبَلاَ
لا تَزْهَدْ الدَّهْرَ فِي خَيْرٍ تُوَاقِعُهُ
فَكُلُّ عَبْدٍ سَيُجْزَى بالذي عَمِلاَ

فقال علي رضي الله عنه: علي بالدنانير، فأتي بمائة دينار فدفعها إليه، فقال الأصبغ: ياأمير المؤمنين، حلة ومائة دينار؟ قال: نعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**أنزلوا الناس منازلهم**»، وهذه منزلة هذا الرجل عندي[1]، فهذا موقف جليل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، في الوقوف عند حاجات المحتاجين والاهتمام بأمورهم ورعاية مشاعرهم، وإن أروع ما في هذا الخبر قوله: اكتب حاجتك على الأرض فإني أكره أن أرى ذل السؤال في وجهك، فكم يعاني المحتاجون من الذل بين يدي من يعرضون عليهم حوائجهم، وقد يتلعثمون فلا يستطيعون النطق، ولقد كانت مشاعر ذلك المحتاج عظيمة حينما واجهه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بهذه المعاملة السامية، ولقد صاغ هذه المشاعر بالأبيات المذكورة[2]، وقد كان رضي الله عنه يفرح بقدوم الضيف، ويكرم إخوانه في الله

---

(١) «البداية والنهاية» (٨/ ٩).

(٢) «التاريخ الإسلامي» للحميدي (١٧/ ١٢٧).

ويتفقدهـم، فعن أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه قال: لم يأتني ضيف منـذ سبعة أيام، أخاف أن يكون الله قد أهانني[١].

وقال: لـعشـرون درهما أعطيـها أخي في الله أحب إلي من أن أتصـدق بمائة درهم على المساكين[٢]، وعندما سئل عن السخاء، قـال: ما كان منه ابتداء، فأما ما كان من مسألة فحياء وتكرم[٣]، وقد جعل في حياته أوقافًا لله تعالى؛ حيث جعل أرضـه بينبع وقفًا وكـتب فيهـا كتابًا: هذا ما أمـر به علي بن أبي طالب، وقضى في مـاله: إني تصدقت بينبع ووادي القـرى الأذينة وراعة في سـبيل الله وذي الرحم القريب والبعيد، ولا يوهب ولا يورث، حيًّا أنا أو ميتًا[٤]، وقد قال عن صدقتـه: لقد رأيتني وإني لأربط الحجر على بطني من الجـوع، وإن صدقتي لتبلغ اليوم أربعة آلاف دينار[٥]، ولم يرد بقوله أربعة آلاف دينار زكاة ماله، وإنما أراد الوقوف التي جعلها صدقة، كان الحـاصل من دخلها صدقة هذا العدد، فإن أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه لـم يدخر مالاً، ودليل ذلك[٦]، ما قاله ابنـه الحسن بعد مقتله: لقد فارقكم رجل ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم، بقيت من عطائه، أراد أن يبتـاع بها خـادمًا، يعني عليًّا رضي الله عنه[٧]، وكان يحث الناس على إكرام العشيـرة فيقول: أكرم عشيرتك؛ فـإنهم جناحك الذي به تطير، فإنك بهم تصول، وبـهم تطول، وهم العدة عند الشـدة، أكرم كـريمهم، وعد سـقيـمهم وأشركهم في أمورك، ويسر عن معسرهم[٨].

خامسًا: الحياء من الله تعالى:

الحياء من أجل مكارم الأخلاق؛ لأنه يدل على طهارة النفـس، وحياة الضمير ويقظة الوازع الديني ومراقبة الله تعالـى؛ إذ من لم يكن ذا حياء لم يقر الضيف، ولم يف بالوعد، ولم يؤد الأمـانة، ولم يقض لأحد حاجة، ولا تحـرى الجميل

---

(١) «فرائد الكلام» ص(٤٠٢)، و«موعظة المؤمنين» (٢/ ٢٥٢).
(٢) «موعظة المؤمنين» (١/ ١٣٩).
(٣) «تاريخ الخلفاء» للسيوطي ص(٢٠٤).
(٤) «تراث الخلفاء الراشدين» ص (٥١٧).
(٥) «أسد الغابة» (٤/ ٧).
(٦) «صحيح التوثيق» ص(٧٧).
(٧) «الطبقات» (٣/ ٣٨).
(٨) «فرائد الكلام» ص (٣٤٨).

فآثره، والقبيح فتجنبه، ولا ستر عورة، ولا امتنع عن فاحشة، وكثير من الناس لولا الحياء الذي فيه؛ لم يؤد شيئًا من الأمور المفترضة عليه، ولم يرع لمخلوق حقًّا، ولم يصل له رحمًا، ولا بر له والدًا؛ فإن الباعث على هذه الأفعال إما ديني ـ وهو رجاء عاقبتها الحميدة ـ وإما دنيوي علوي، وهو حياء فاعلها من الخلق وقد تبين أنه لولا الحياء إما من الخالق، وإما من الخلائق لم يفعلها صاحبها[١]، وعلى حسب حياة القلب تكون قوة خلق الحياء، فكلما كان القلب أحيا كان الحياء أتم، وقلة الحياء من موت القلب والروح[٢]، وهو من شعب الإيمان؛ لأنه يكون باعثًا على أفعال البر، ومانعًا من المعاصي[٣]، ولهذا كان من الأخلاق العليا التي كان للقرآن الكريم بها عناية عظيمة[٤]، فقد تحدث القرآن الكريم عن الحياء في الجانب النبوي في قوله تعالى: ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ**﴾ (الأحزاب: ٥٣)، فترى كيف حمله الحياء على عدم مواجهة أصحابه بما كان يرغب فيه من خروجهم، ولم يستطع مشافهتهم بما يوده منهم[٥]؛ لأنه ﷺ، كان أشد حياءً من العذراء في خدرها[٦]، وقد قال ﷺ: «**الحياء لا يأتي إلا بخير**»[٧]، وقد تجسد هذا الخلق في شخص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد حدثنا عن هذا الخلق فقال: إني لأستحي من الله أن يكون ذنب أعظم من عفوي، أو جهل أعظم من حلمي، أو عورة لا يواريها ستري، أو خلة لا يسدها جودي[٨]، فهذه أربع صفات من النقص قابلهن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بأربع صفات من الكمال، فالحياء من الله عز وجل يقتضي من الإنسان أن يتصف بالعفو عند المقدرة، وذلك فيما

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٣٧٧).
(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٥٩).
(٣) «شرح مسلم» للنووي (٣/ ٥).
(٤) «أخلاق القرآن الكريم» (١/ ٤٧٨).
(٥) «أخلاق النبي في القرآن والسنة» (١/ ٤٧٨).
(٦) «مسلم» رقم (٢٣٢٠).
(٧) «مسلم» رقم (٣٧).
(٨) «تاريخ دمشق» (٤٢/ ٥١٧) نقلاً عن «التاريخ الإسلامي» للحميدي (٢٠/ ٢٧٤).

إذا لم يكن الذنب فيه حد من حدود الله تعالى وأن يتصف بالعلم الذي يحتوي جهل الجاهلين، وأن يكون ستارا لعيوب الناس، وأن يتسع كرمه لسد حاجة من احتاج إليه، ومما أعطى هذه الحكم وزنها الراجح أن أمير المؤمنين عليًّا رضي الله عنه ربطها بالحياء من الله تعالى، فهذه الصفات الأربع تعتبر من صفات الكمال عند العقلاء، لكن كثيرًا من العقلاء يتصف بها لكسب السمعة الدنيوية وسياسة الأمور بكسب الناس ورضاهم، أما أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه فإنه ربطها بالحياء من الله تعالى؛ لأن هدفه الأعلى ابتغاء مرضات الله جل وعلا، ولا شك أن من هذا هدفه سيكون تمثيله لهذه الصفات أقوى بكثير ممن كان هدفه دنيوياًّ[1].

سادسًا: شدة عبوديته وصبره وإخلاصه لله تعالى:

مارس عليّ رضي الله عنه مفهوم العبادة الشامل في حياته، وتميز بقيامه لليل، وأصبح من أهل التهجد. الذي قال الله فيهم: ﴿**تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ (السجدة: ١٦)، وقال تعالى فيهم: ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ (الذاريات: ١٦- ١٨)، وقال تعالى فيهم: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا**﴾ (الفرقان: ٦٣-٦٤) وهذا ضرار ابن ضمرة الكناني يصف علي بن أبي طالب لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم: كان يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، وأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه يتميل في محرابه، قابضًا لحيته، يتململ تململ السليم[2] ويبكي بكاء الحزين، فكأني أسمعه الآن وهو يقول: يا ربنا يا ربنا يتضرع إليه، ثم يقول للدنيا: أبي تغررت أم إلي تشوفت هيهات هيهات، غري غيري، قد باينتك[3] ثلاثًا، فعمرك قصير، ومجلسك حقير، وخطرك يسير[4]، آه من قلة الزاد، وبعد

---

(١) «التاريخ الإسلامي» للحميدي (٢٠/ ٢٧٥).

(٢) السليم: الملدوغ.

(٣) باينتك: أي طلقتك.

(٤) خطر بمعنى: القدر والمنزلة.

السفر ووحشة الطريق، فوكفت(١) دموع معاوية رضي الله عنه على لحيته، ما يملكها وجعل ينشفها بكُمِّه، وقد اختنق القوم بالبكاء، فقال: كذا كان أبو الحسن -رحمه الله- كيف وجدُكَ عليه يا ضرار؟ قال وجدُ من ذبح واحدُها في حجرها، لا يرقأ(٢) دمعها، ولا يسكن حزنها. ثم قام فخرج(٣).

ودخل الأشتر النخعي على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو قائم يصلي بالليل، فقال له: يا أمير المؤمنين: صومٌ بالنهار وسهر بالليل وتعبٌ فيما بين ذلك، فلما فرغ «علي» من صلاته قال له: سفر الآخرة طويل، فيحتاج إلى قطعه بسير الليل(٤)، وكان أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه يحث الناس على تقوى الله ومراقبته، وخشيته، فقد قال: أيها الناس، اتقوا الذي إن قلتم سمع وإن أضمرتم علم، وبادروا الموت الذي إن هربتم أدرككم وإن أقمتم أخذكم(٥)، وكان يقول: يأيها الناس خذوا عني هؤلاء الكلمات، فلو ركبتم المُطِيَّ حتى تُنضوها ــ يعني تهزلوها ــ ما أصبتم مثلها: لا يرجون عبد إلا ربه، ولا يخافنَّ إلا ذنبه، ولا يستحي ــ إذا لم يعلم ــ أن يتعلم، ولا يستحي ــ إذا سئل عما لا يعلم ــ أن يقول: لا أعلم، واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا خير في جسد لا رأس له(٦) ففي هذه الوصية الجمع بين تصحيح التوحيد، والإرشاد إلى آداب العلم، حيث يوصي رضي الله عنه بتصحيح الاتجاه في مقامي الخوف والرجاء، فالمؤمن الحق لا يرجو إلا الله؛ لأنه وحده المنعم بسائر النعم، والذي تجري على أيديهم النعم من المخلوقين إنما هم وسائط وأسباب في وصول تلك النعم، أما منشئ النعم وموجدها فهو الله سبحانه وتعالى، والمؤمن الحق لا يخاف إلا من الله تعالى؛ لأنه هو الذي يملك ضره ونفعه، والمخلوقون الذين يتوهم الناس أنهم مصدر خوف إنما هم وجميع الخلق في قبضة الله تعالى، وإذا كان الله تعالى

(١) فوكفت: أي سالت. (٢) يرقأ: لا يسكن ولا يجف.

(٣) «حلية الأولياء» (١/ ٨٤ ـ ٨٥)، و«الرقة والبكاء» ص(١٩٨).

(٤) «لطائف المعارف» لابن رجب، و«التحمس لقيام الليل»، محمد صالح ص(٩٣).

(٥) «أدب الدنيا والدين» ص (١٢٣)، و«فرائد الكلام» ص (٣٦٩).

(٦) «حلية الأولياء» (١/ ٧٥)، و«صفة الصفوة» (٣٢٦/١).

وحده هو الرازق وهو الخالق وحده، وهو المالك وحده القادر على كل شيء فلِمَ يرجو المؤمن سواه؟، أو يخاف من غيره ولقد عبر أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه عن الخوف من الله تعالى بالخوف من الذنوب؛ لأن المراد هو الخوف من عاقبتها وهو عذاب الله تعالى فهو إرشاد لأهم السبل الموصلة إلى تحقيق مقام الخوف من الله تعالى، ثم بين شيئًا من آداب التعلم؛ لأن أمور الدين إنما تؤخذ بالعلم، فيذكر من آداب المتعلم ألاَّ يمنعه الحياء من التعلم حتى لو كان كبير السن، أو القدر، ويذكر من آداب المعلِّم ألاَّ يمنعه الحياء من أن يقول: لا أعلم ؛ لأن ذلك يحفظ عليه دينه ودين من سأله، ثم يختم وصيته النافعة ببيان أصل من أصول الإيمان ألا وهو الصبر حيث يعتبره من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، وذلك أن نجاح الأمور كلها يقوم على الصبر سواء في أمور الدنيا أو الآخرة(١).

وقد مارس أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه مقام الصبر في حياته منذ نعومة أظافره، وإسلامه سرًّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مرورًا بما لاقاه في المغازي والسرايا وعهد الخلفاء الراشدين وما صحبها من أحداث جسام، ومن ثم ما واجهه من صنوف الفتن في خلافته، إلى أن انتهى الأمر بقتله، كل هذه المراحل في حياته فيها الدروس البليغة لدعاة اليوم، والتنبيه لهم لما تحتاجه الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى من الصبر والتحمل ودفع الثمن(٢)؛ ابتغاء مرضاة الله تعالى، وكان رضي الله عنه يحث أصحابه على مقام الصبر، فقد قال رضي الله عنه للأشعث ابن قيس: إنك إن صبرت جرى عليك القلم وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك القلم وأنت مأزور(٣)، وقال رضي الله عنه : ألاَّ إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس بار الجسم، ثم رفع صوته فقال: ألاَّ إنه لا إيمان لمن لا صبر له(٤)، وقال: الصبر مطية لا تكبو، والصبر له مكانته المعروفة في دين الله، فقد ذكر الله

---

(١) «التاريخ الإسلامي» (١٢/ ٤٣٤).

(٢) «منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله» ص(٥٢٥).

(٣) «أدب الدنيا والدين» ص (٢٧٨)، و«فرائد الكلام» ص (٣٧١).

(٤) «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» لابن القيم ص (١٥٣).

تعالى الصبر في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ (الزمر: ١٠)، وقد جاء ذكر فضائله في أحاديث كثيرة والصبر له ثلاثة أقسام وهي الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصية الله والصبر على البلاء.

وقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حريصًا على أن تكون أعماله خالصة لوجه الله تعالى، عاملا بقوله تعالى: ﴿**قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ**﴾ (الأعراف: ٢٩)، وقوله تعالى: ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ (الكهف: ١١٠)، وقوله تعالى: ﴿**فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ (غافر: ١٤) وقوله جل شأنه: ﴿**هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ (غافر: ٦٥)، فقد كان أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قد تعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الأعمال لا تقبل إلا إذا خلصت النية، فمعنى ذلك أن الإخلاص ركن أساسي في العبادة، وأن العبادة التي يفقد منها الإخلاص ترد على صاحبها كما جاء في الحديث القدسي: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**»(١)، فقد كان عليّ رضي الله عنه محاربًا للشرك بجميع أشكاله وأنواعه سواء شرك الربوبية أو شرك الألوهية، وكان حريصًا في سكناته وحركاته أن تكون أعماله خالصة لوجه الله تعالى، وكان يحث الناس خصوصًا طلاب العلم على البعد عن الرياء، فقد قال رضي الله عنه: يا حملة العلم، اعملوا به؛ فإنما العالم من عمل بما علم، ووافق عمله علمه، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، تخالف سريرتُهم علانيتهم، ويخالف عملهم علمهم، يجلسون حلقًا، فيباهي بعضهم بعضا، حتى إن أحدهم ليغضب على جليسه حين يجلس إلى غيره ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله عز وجل(٢).

وقد أشار أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه إلى إحدى الأمراض الخطيرة عند بعض من

---

(١) «مسلم»، كتاب الزهد رقم (٢٩٨٥).

(٢) «سنن الدارمي» في المقدمة (١/١٠٦)، و«الجامع لأخلاق الراوي» (١/ ٩٠).

يجلس للتعليم للمباهاة والسمعة، ويغضب على طلابه لو تركوه وذهبوا لغيره، ولو كان هذا الذهاب فيه مصلحة لهم، فليست مصلحة طلابه عنده هي المهمة، بل المهم عنده مكانته وسمعته، وإن لم يقل ذلك بلسان المقال، فإنه يتبين من حكاية الحال[١]؛ لأن من إخلاص الداعي إلى الله أن يكون همه أن يتبع الناس الحق ولو خالفوا رأيه، وهذه حال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد قال: اقضوا كما كنتم تقضون فإني أكره الاختلاف حتى يكون الناس جماعة، أو أموت كما مات أصحابي[٢]، وكان ذلك في رأي رآه في عدم جواز بيع أم الولد، وكان عمر يرى رأيه هذا ثم رجع علي رضي الله عنه عن رأيه الأول فرأى أنهن يبعن[٣]، وهذا تعليم للدعاة وطلاب العلم أن الخلاف في الرأي المشروع أمر طبيعي يجب ألاَّ تضيق به الصدور ولا يؤثر على وحدة الصف، إن دعاة اليوم في أشد الحاجة أن يراجعوا أنفسهم في هذا الخلق وأين هم منه ، وأن يتضرعوا إلى الله يمدهم بهذه الصفة الجميلة حتى ينالوا ثواب الله بعد مماتهم، وتثمر دعوتهم إلى الله في دنياهم، لقد كانت عبادة عليّ رضي الله عنه قائمة على كمال الإخلاص لله تعالى، واتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم ، فالله هو المستحق للعبادة وحده، فقد كانت حياته كلها عبادة، ينتقل فيها من نوع إلى نوع، ومن حال إلى حال يمتثل قول الله عز وجل: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾ (الأنعام: ١٦٢-١٦٣)، لقد كانت العبادة، عاملاً مهمًّا في تزكية الأخلاق والاستقامة على شرع الله تعالى، ولذلك عرّف أمير المؤمنين الاستقامة في تفسيره لمعنى استقاموا فقال: أدوا الفرائض[٤].

سابعًا: شكره لله:

والشكر هو صرف العبد كل ما أنعم به عليه إلى ما خلق لأجله[٥]، يعني من نعمه الظاهرة والباطنة في النفس والمال، فيصرف ذلك كله إلى عبادة ربه بما

---

(١) «منهج علي بن أبي طالب» ص (٥١٣). (٢) «البخاري»، كتاب: فضائل الصحابة (٣/ ٢٣).
(٣) «فتح الباري» (٧/ ٧٣). (٤) «زاد المسير» (٧/ ٢٥٤).
(٥) «التوقيف على مهمات التعاريف» ص(٤٣٥).

يليق بكل جارحة على الوجه الأكمل، وإذا ما فعل ذلك كان قد أظهر نعم الله عليه، وأدى واجب شكرها[١]. يعتبر الشكر من أجل الأخلاق السلوكية الإيمانية التي على المؤمن أن يتحلى بها في كل أحواله لما فيه من الاعتراف بالنعم لمسديها، وقد دل على عظم مكانته انضواء جُل الأخلاق الإيمانية تحته من محبة ورضا وتوكل؛ لأن الشكر لا يتم إلا بعد التحلي بها، ولا يكون إلا عند استشعارها[٢]، ولقد كانت عناية القرآن الكريم بهذا الخلق عظيمة كعظم مكانته في الأخلاق، فقد ورد ذكره في نحو من سبعين آية، آمرًا به، وحثًا عليه، وثناء على أهله، ووعدًا لهم بحسن جزائه، ونهيًا عن ضده مما يدل على أمر عظيم، وهو أن هذا الخلق عظيم الشأن[٣]، فقد قرن الله سبحانه في كتابه الذكر بالشكر، فقال تعالى: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ**﴾ (البقرة:١٥٢)، وقرن سبحانه العبادة بالشكر، قال تعالى: ﴿**فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ (العنكبوت:١٧). مما يدل على تلازم العبودية بالشكر تلازمًا وثيقًا[٤] وكان رسول الله ﷺ صاحب القِدْح المعلى في كل الأخلاق الحميدة ومنها هذا الخلق، وربى أصحابه ومنهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه على هذا الخلق، فكان لا يشعر بنعمة إلا شكر الله عليها، وكان إذا خرج من الخلاء مسح بطنه بيده، وقال: يا لها من نعمة لو يعلم العباد شكرها[٥]، وعن أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه أنه قال لرجل من أهل همدان: إن النعمة موصولة بالشكر، والشكر متعلّق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد من الله عز وجل حتى ينقطع الشكر من العبد[٦]، وكان رضي الله عنه يرى أن من شكر النعمة العفو عن الخصم، فقد قال رضي الله عنه: إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرًا للمقدرة عليه[٧].

(١) «أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة» ص (١٨٥).
(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٤٩).
(٣) «أخلاق النبي في القرآن والسنة» (١/ ١٨٦). (٤) المصدر نفسه (١/ ١٨٧).
(٥) «عدة الصابرين» ص (١٢٢)، و«علو الهمة» (٥/ ٤٨١).
(٦) «الشكر» لابن أبي الدنيا، نقلاً عن «علو الهمة» (٥/ ٤٨١).
(٧) «الإعجاز والإيجاز» للثعالبي ص(٣٠).

ثامنًا: الدعاء لله:

الدعاء باب عظيم، فإذا فتح للعبد تتابعت عليه الخيرات وانهالت عليه البركات، ولذلك حرص أمير المؤمنين رضي الله عنه على حسن الصلة بالله وكثرة الدعاء، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠). وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦)، وقد لازم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغيث بالله ويستنصره ويطلب المدد منه، وقد حرص أمير المؤمنين على أن يتعلم هذه العبادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن يكون دعاؤه وتسبيحه على الصيغة التي يأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرتضيها؛ إذ ليس للمسلم أن يفضل على الصيغة المأثورة في الدعاء والتسبيح والصلاة على النبي صيغًا أخرى مهما كانت في ظاهرها حسنة اللفظ، جيدة المعنى؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معلم الخير والهادي إلى الصراط المستقيم، هنا وهو أعرف بالأفضل والأكمل، وقد نسب أقوام كثيرًا من الدعاء والذكر المبتدع لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه كذبًا وزورًا وبهتانًا، فمن كان محبًّا لأمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه ، فعليه أن يتبع هديه ومنهجه، فقد أرشدنا لمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم في الأقوال والأفعال.

وكان أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه صاحب دعوة مستجابة، فعن زاذان أبي عمر أن رجلاً حدث عليًّا بحديث فقال: ما أراك إلا قد كذبتني، قال: لم أفعل قال: أدعو عليك إن كنت كذبت، قال: ادع؛ فدعا فما برح حتى عمي[1]، وكان رضي الله عنه يقول عندما يثنى عليه: اللهم اغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيرًا مما يظنون[2]، ويروي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليرد**

(١) «البداية والنهاية» (٨/٦).

(٢) «فرائد الكلام»، و«موعظة المؤمنين» (٢/٢٢٨).

عليه من حوله: يرحمك الله، وليرد عليهم: يهديكم الله، ويصلح بالكم»[١]، وفي هذا الفعل من حسن الخلق تأدب مع الله سبحانه وتعالى بحمده والثناء عليه في مناسبة أمر فيها العبد بذلك.

قال الحليمي: العطاس يدفع الأذى من الدماغ، الذي فيه قوة الفكر، ومنه منشأ الأعصاب، التي هي معدن الحس وبسلامته تسلم الأعضاء، فيظهر بذلك أنها نعمة جليلة، فناسب أن تقابل بالحمد لله؛ لما فيه من الإقرار لله بالخلق والقدرة، وإضافة الخلق إليه لا إلى الطبائع[٢]، وبين أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه أدبًا من آداب المسافر فيما يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرًا قال: «**بك اللهم أصول وبك أجول، وبك أسير**»[٣]. وبين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أدبًا آخر من آداب المسافر، وذلك لما أراد سفرًا ووضع رجله في الركاب قال: بسم الله، فلما استوى قال: الحمد لله، ثم قال: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، ثم حمد الله ثلاثًا، وكبر ثلاثًا، ثم قال: اللهم لا إله إلا أنت، ظلمت نفسي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ثم ضحك، قال: فقيل: ما يضحكك يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فعل مثل ما فعلت، وقال مثل ما قلت، ثم ضحك، فقلنا: ما يضحكك يا نبي الله قال: «**عجبت للعبد، إذا قال: لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»، يعلم أنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، يعلم أنه لا يغفر الذنوب إلا هو[٤]، وعن ابن أعبد قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يابن أعبد، هل تدري ما حق الطعام؟ قال: قلت: وما حقه يابن أبي طالب؟ قال: تقول: بسم الله، اللهم بارك لنا فيما رزقتنا، قال: وتدري ما شكره إذا فرغت؟ قال: قلت وما شكره؟ قال تقول: الحمد لله الذي أطعمنا

---

(١) «سنن ابن ماجه» (٢/ ١٢٢٤)، «صحيح سنن ابن ماجه» للألباني (٢/ ٣٠٣).
(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٦٠٢).
(٣) «مسند أحمد» (٢/ ٨٣) إسناده صحيح، قاله: أحمد شاكر.
(٤) «مسند أحمد» (٢/ ١٨٣)، وإسناده صحيح قاله أحمد شاكر.

وسقانا[١]، وكان ﷺ إذا رأى الهلال قال: «اللهم إني أسألك خير هذا الشهر وفتحه ونصره وبركته ورزقه ونوره وطهوره وهداه، وأعوذ بك من شره وشرّ ما فيه وشر ما بعده»[٢]، وكان يقول في السجود: «رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي»[٣]، وكان يقول بين السجدتين: «اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني وارزقني»[٤].

وكان يُعَلِّم من دخل السوق هذا الدعاء فيقول: إذا دخلت السوق فقل: «بسم الله الرحمن الرحيم، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إني أعوذ بك من يمين فاجرة، وصفقة خاسرة، ومن شرما أحاطت به هذه السوق»[٥]، وكان يقول: «ما من كلمات أحب إلى الله من أن يقول العبد: «الله لا إله إلا أنت، اللهم لا أعبد إلا إياك، اللهم لا أشرك بك شيئًا، اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»[٦]، وكان يقول: «اللهم ثبتنا على كلمة العدل بالرضى والصواب، وقوام الكتاب، هادين مهديين، راضين مرضيين، غير ضالين، ولا مضلين»[٧]، ومن أدعيته ﷺ : اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء، وبجبروتك الذي غلبت به كل شيء، وبعظمتك التي غلبت بها كل شيء، وسلطانك الذي ملأت به كل شيء، وبقوتك التي لا يقوم لها شيء، وبنورك الذي أضاء له كل شيء، وبعلمك الذي أحاط بكل شيء، وباسمك الذي تبيد به كل شيء، وبوجهك الباقي بعد فناء كل شيء، يا الله يارحمن يا رحيم، اغفر لي الذنوب التي تنزل النقم، والذنوب التي تورث الندم، واغفر لي الذنوب التي تحبس القسم، واغفر لي الذنوب التي تغير النعم، واغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء، وتديل الأعداء، واغفر لي الذنوب التي تحبس غيث السماء وترد الدعاء، واغفر لي الذنوب التي تردني إلى

---

(١) «مسند أحمد» (٢/ ٣٢٩) قال المحقق: وإسناده حسن.

(٢) «كنز العمال» رقم (٢٤٣١٠)، و«فقه علي بن أبي طالب»، لقلعجي ص(٢٥١).

(٣) «فقه علي بن أبي طالب»، لقلعجي ص(٢٥١).

(٤) المصدر نفسه ص (٢٥١).

(٥) «فقه علي بن أبي طالب» (ص٢٥١).

(٦) «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ١٤٩).

(٧) «فقه علي بن أبي طالب» ص٢٥٢).

النار[١]، وهذا الدعاء يبين افتقار أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه إلى ربه وخوفه من ذنوبه، ويعلمنا كيفية التعامل مع أسماء الله الحسنى ودعاء الله بها سبحانه وتعالى، وهذا الدعاء يسلط الأضواء على عبودية أمير المؤمنين لله عز وجل.

وعن عليّ رضي الله عنه قال: لقَّنني رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الكلمات وأمرني إن نزل بي كربة أو شدة أن أقول: «**لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحانه، تبارك الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين**»[٢]، وكان عبدالله بن جعفر يلقنها الميت وينفث بها على الموعوك[٣]، ويعلمها المغتربة من بناته[٤].

هذه بعض صفاته التي كانت ثماراً لتوحيده وإيمانه بالله، واستعداده للقدوم على الله تعالى، وسوف يلاحظ القارئ الكريم كثيراً من صفاته بإذن الله تعالى؛ كالشجاعة، والحلم والفصاحة، والبلاغة، وغيرها من الصفات من خلال الأحداث التي تمر بها في هذا الكتاب.

تاسعًا: المرجعية العليا لدولة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه:

كانت المرجعية العليا لدولة أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والاقتداء بالشيخين في هديهم.

١- فالمصدر الأول هو كتاب الله: قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا**﴾ (النساء: ١٠٥)، فكتاب الله تعالى يشتمل على جميع الأحكام الشرعية التي تتعلق بشؤون الحياة، كما بيَّن القرآن الكريم للمسلمين كل ما يحتاجون إليه من أسس تقوم عليها دولتهم، وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ...الزموا دينكم واهتدوا بهدي نبيكم صلى الله عليه وسلم، واتبعوا سنته، واعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن، فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فردوه[٥].

---

(١) «فقه علي بن أبي طالب» ص(٢٥٢).

(٢) «سنن البيهقي» (٧/ ١٢٩)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم رقم (٣٥٢).

(٣) الموعوك من الوعك، وهو الحمى وقيل: ألمها.

(٤) «فضائل الصحابة» (٢/ ٨٢٠) إسناده حسن.

(٥) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٤٦).

٢- **المصدر الثاني: السنة المطهرة:** التي يستمد منها الدستور الإسلامي أصوله ومن خلاله يمكن معرفة الصيغ التنفيذية والتطبيقية لأحكام القرآن الكريم(١)، فقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : واقتدوا بهدي نبيكم صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه أفضل الهدي، واستنوا بسنته؛ فإنها أفضل السنن(٢).

٣- **الاقتداء بالخلفاء الراشدين الذين سبقوه:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**اقتدوا بالذين من بعدي: أبي بكر وعمر**»(٣). وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما: والذي خلق الحبة وبرأ النسمة، لا يحبهما إلا مؤمن تقي، ولا يبغضهما إلا فاجر ردي، صحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدق والوفاء، يأمران وينهيان وما يجاوزان فيما يصنعان رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى بمثل رأيهما، ولا يحب كحبهما أحدًا، قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهما راض، ومضيا والمؤمنون عنهما راضون - واستمر في حديثه إلى أن قال في أبي بكر - وكان والله خير من بقي، أرحمه رحمه، وأرأفه رأفة، وأثبته ورعًا، وأقدمه سنًا وإسلامًا، فسار فينا سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مضى على ذلك، ثم ولي عمر الأمر من بعده. . . . فأقام الأمر على منهاج النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه، يتبع آثارهما كتباع الفصيل(٤) أمه. . . إلى أن قال: فمن لكم بمثلهما - رحمة الله عليهما - ورزقنا المضي على سبيلهما، فإنه لا يبلغ مبلغهما إلا باتباع آثارهما والحب لهما، ألا من أحبني فليحبهما ومن لم يحبهما فقد أبغضني وأنا منه بريء(٥)، وكان رضي الله عنه يدافع عن اجتهادات عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ويقول: يأيها الناس لا تغلوا في عثمان رضي الله عنه ، ولا تقولوا له إلا خيرًا - أو قولوا خيرًا - فوالله ما فعل الذي فعل - أي في المصاحف - إلا عن ملأ منا جميعًا أي الصحابة. . ووالله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل(٦)، وكان يقول: ما كنت لأحل عقدة شدها عمر رضي الله عنه(٧).

(١) «فقه التمكين في القرآن الكريم» للصلابي ص (٤٣٢).
(٢) «البداية والنهاية» (٧/ ٣١٩).
(٣) «صحيح سنن الترمذي» (٣/ ٢٠٠).
(٤) الفصيل ولد الناقة إذا فصل عن أمه.
(٥) «شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي رقم (٤٤٥٦).
(٦) «فتح الباري» (٩/ ٨) إسناده صحيح.
(٧) «المختصر من كتاب الموافقة» ص(١٤٠)، وإسناده منقطع، و«ابن أبي شيبة في المصنف» رقم (١٢٠).

عاشراً: حق الأمة في الرقابة على الحكام:

إن للأمة الحق في مراقبة الحكام وتقويمهم قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران:١٠٤). وكان أول ما قاله أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه إثر توليه: إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم إلا أنه ليس لي أمر دونكم[١]، وهذا نفس ما قاله أبو بكر رضي الله عنه عندما تولى حيث قال: فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني[٢]، وما قاله عمر رضي الله عنه: أحب الناس إلي من رفع إلي عيوبي[٣]، وقال: إني أخاف أن أخطئ فلا يردني أحد منكم تهيبًا مني[٤]، وما قاله عثمان رضي الله عنه: إن وجدتم في كتاب الله أن تضعوا رجلي في القيد فضعوا رجلي في القيد[٥]، وبذلك يكون قد جرى العمل في عهد الخلفاء الراشدين على التسليم للأمة بحق الرقابة على الحكام، ولم ينكره أحد فدل ذلك على الإجماع[٦]، كما أن إجماع الصحابة - حكامًا ومحكومين - في عهد الخلافة الراشدة ليس له إلا معنى واحد وهو الفهم الصحيح للكتاب، والطريق السليم للعمل بالسنة، فهم الذين عاصروا عهد تنزيل الكتاب وعاشوا طريقة النبي ﷺ في إقامة حياة الناس عليه، فهم أفهم الناس لروح الدين، وأعرف الناس بمقاصد الشرع، وأقدر الناس على التمييز بين الحق والباطل، ومن المستبعد بل من المحال أن يجتمعوا على باطل؛ لقول النبي ﷺ: «**إن أمتي لا تجتمع على ضلالة**»[٧]، ولهذا كان إجماعهم حجة يسوغ أن تراعى وتوضع ضمن مصادر الدستور الإسلامي، وإجماع الأمة قد يكون على فهم نص، ويجوز أن ينعقد الإجماع عن اجتهاد وقياس، ويكون حجة[٨]، إن أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه كان يحث الناس في

(١) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٤٩، ٤٥٧).
(٢) «البداية والنهاية» (٦/ ٣٠٥).
(٣) «الشيخان أبو بكر وعمر من رواية البلاذري» ص (٢٣١).
(٤) المصدر نفسه ص (٢٣١)، و«نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين» ص (١٩٨)..
(٥) «مسند أحمد» الموسوعة الحديثية رقم (٥٢٤).
(٦) «الدولة والسيادة في الفقه الإسلامي»، لفتحي عبدالكريم ص (٣٧٨).
(٧) «سنن ابن ماجه» (٢/ ٢٦٤) رقم (٤٠١٤).
(٨) «روضة الناظر وجنة المناظر» (١/ ٣٨٥).

خلافته على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فقد خطب ذات يوم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنما هلك من هلك قبلكم بركوبهم المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار، فأخذتهم العقوبات، فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم مثل الذي نزل بهم، واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقًا ولا يقرب أجلاً[١].

الحادي عشر: الشورى: إن من قواعد الدولة الإسلامية حتمية تشاور قادة الدولة وحكامها مع المسلمين والنزول على رضاهم ورأيهم وإمضاء نظام الحكم بالشورى، قال تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾ (آل عمران: ١٥٩)، وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ (الشورى: ٢٨).

لقد قرنت الآية الكريمة حكم الشورى بين المسلمين بإقامة الصلاة، فدل ذلك على أن حكم الشورى كحكم الصلاة، وحكم الصلاة أنها واجبة شرعًا، فكذلك الشورى واجبة شرعا[٢]، وقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حريصًا على التزام منهج الشورى في تصرفاته وأعماله وقراراته، فمن ذلك أنه حينما وصل إليه كتاب من قائده معقل بن قيس الرياحي المكلف بمحاربة الخريث بن راشد الخارجي، جمع أصحابه وقرأ عليهم كتابه واستشارهم وطلب منهم الرأي حيث اجتمع رأي عامتهم على قول واحد وهو: نرى أن تكتب إلى معقل بن قيس فيتبع أثر الفاسق فلا يزال في طلبه حتى يقتله أو ينفيه فإنا لا نأمن أن يفسد عليك الناس[٣]، ومما روي عن أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه في الشورى قوله: الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه[٤]، وقوله: نعم المؤازرة المشاورة وبئس

---

(١) «تفسير ابن أبي حاتم» (٣/ ١٥)، و«تفسير ابن كثير» (٢/ ٦٠٣).

(٢) «النظام السياسي في الإسلام» لأبي فارس ص (٩).

(٣) «تاريخ الطبري» (٦/ ٣٩).

(٤) «أدب الدنيا والدين» للماوردي ص (٨٩، ٢٩١)، و«الإدرة العسكرية» (١/ ٢٧٩).

الاستعداد الاستبداد(١)، وقوله: رأي الشيخ خير من مشهد الغلام(٢)، ومما أوصى به أمير المؤمنين علي مالك بن الحارث الأشتر حين بعثه إلى مصر في الشورى قوله: لا تدخلن في مشورتك بخيلاً فيعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر، ولا جبانًا فيضعفك عن الأمور، ولا حريصًا فيزين لك الشره بالجور، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله(٣)، وكان عليّ رضي الله عنه يعلم أن الحاكم إذا لم يكن له مستشارون فلا يعلم محاسن دولته ولا عيوبها، وسوف يغيب عنه الكثير من شؤون الدولة وقضايا الحكم، وكان يعلم أن الشورى تعرفه ما يجهله، وتضع أصابعه على ما لا يعرفه، وتزيل شكوكه في كل الأمور التي يقدم عليها، فها هو يقول للأشتر النخعي عندما ولاه مصر: انظر في أمور عمالك الذين تستعملهم، فليكن استعمالك إياهم اختيارًا ولا يكن محاباة ولا إيثارًا؛ فإن الأثرة بالأعمال - أي الاستبداد بلا مشورة - والمحاباة بها جماع من شعب الجور، والخيانة لله وإدخال الضرر على الناس وليست تصلح أمور الناس ولا أمور الولاة إلا بإصلاح من يستعينون به على أمورهم، ويختارونه لكفاية ما غاب عنهم، فاصطف لولاية أعمالك أهل الورع والعفة والعلم والسياسة، والصق بذوي التجربة والعقول والحياء من أهل البيوتات الصالحة وأهل الدين والورع؛ فإنهم أكرم أخلاقًا وأشد لأنفسهم صونًا وإصلاحًا، وأقل في المطامع إسرافا وأحسن في عواقب الأمور نظرًا من غيرهم، فليكونوا عمالك وأعوانك(٤).

الثاني عشر: العدل والمساواة:

إن من أهداف الحكم الإسلامي الحرص على إقامة قواعد النظام الإسلامي التي تساهم في إقامة المجتمع المسلم، ومن أهم هذه القواعد العدل والمساواة، وقد قام

---

(١) «نهاية الأرب» (٦/ ٦٩) نقلاً عن «الإدارة العسكرية» (١/ ٢٧٩).
(٢) المصدر نفسه (٦/ ٧٥)، نقلاً عن المصدر نفسه (١/ ٢٧٩).
(٣) «الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية» (١/ ٢٧٩).
(٤) «نهاية الأرب» (٦/ ٢١)، و«في الحكم الإسلامي» ص (١٥١)، و«الشورى بين الأصالة والمعاصرة» عز الدين التميمي ص(١٠٢).

أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه بإقامة العدل بين الناس، وقد تضافرت كل الخصال الحميدة والمعطيات العلمية والفقهية التي جعلته مؤهلاً للقيام بدوره هذا على أكمل وجه، حتى إن الرسول صلى الله عليه وسلم لثقته به وبقدراته بعثه قاضيًا إلى اليمن(١)، وقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الدعاء العظيم: «**اللهم ثبت لسانه، واهد قلبه**»(٢)، لذلك كان من الطبيعي أن يقيم حكمه على العدل الشامل وأن يجعله على رأس غايات وأهداف الحكم؛ لأنه به تستقيم الأمور وتظهر المودة بين الرعية(٣)، ولاشك أن العدل في فكر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، هو عدل الإسلام الذي هو الدعامة الرئيسية في إقامة المجتمع الإسلامي والحكم الإسلامي، فلا وجود للإسلام في مجتمع يسوده الظلم ولا يعرف العدل، لقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قدوة في عدله أسر القلوب وبهر العقول، فالعدل في نظره الذي يسعى لتطبيقه في الحكم هو أحد أهم ركائز الخلافة الراشدة، دعوة عملية للإسلام تفتح قلوب الناس للإيمان، وقد سار على ذات نهج الرسول صلى الله عليه وسلم فكانت سياسته تقوم على العدل الشامل بين الناس، فعن شريح قال: لما توجه عليّ رضي الله عنه إلى حرب معاوية رضي الله عنه، افتقد درعا له، فلما انقضت الحرب ورجع إلى الكوفة، أصاب الدرع في يد يهودي يبيعها في السوق، فقال له: يايهودي، هذا الدرع درعي، لم أبع ولم أهب. فقال اليهودي: درعي وفي يدي. فقال علي: نصير إلى القاضي، فتقدما إلى شريح، فجلس علي إلى جنب شريح، وجلس اليهودي بين يديه.

فقال شريح: قل يا أمير المؤمنين، فقال: نعم، أقول: إن هذه الدرع التي في يد اليهودي درعي، لم أبع ولم أهب. فقال شريح: يا أمير المؤمنين بينة، قال: نعم قنبر(٤) والحسن والحسين يشهدون أن الدرع درعي، قال: شهادة الابن لا

(١) «نظام الحكم في العهد الراشدي»، لحمد الصمد ص (١٤١).
(٢) «فضائل الصحابة» (٢/ ٨٧١)، وإسناده حسن رقم (١١٩٥).
(٣) «نظام الحكم في العهد الراشدي» ص (١٤١).
(٤) مولى لعلي رضي الله عنه.

تجوز للأب، فقال: رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**»(١). فقال اليهودي: أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه، وقاضيه قضى عليه؟ أشهد أن هذا الحق، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأن الدرع درعك، كنت راكبًا على جملك الأورق وأنت متوجه إلى صفين، فوقعت منك ليلاً، فأخذتها. قال: أما إذ قلتها فهي لك، وحمله على فرس، فرأيته وقد خرج فقاتل مع علي رضي الله عنه الشراة بالنهروان(٢).

ومن أمثلة عدله في الحكم، عن ناحية القرشي عن أبيه قال: كنا قيامًا على باب القصر إذ خرج علي رضي الله عنه علينا فلما رأيناه تنحينا عن وجهه هيبة له، فلما جاز صرنا خلفه، فبينما هو كذلك إذ نادى رجل: يا غوثا بالله، فإذا رجلان يقتتلان، فلكز صدرهذا وصدر هذا، ثم قال لهما: تنحيا، فقال أحدهما: يا أمير المؤمنين إن هذا اشترى مني شاة وقد شرطت عليه ألاّ يعطيني مغموزًا ولا محذقًا - يعني الدراهم المعيبة - فأعطاني درهمًا مغموزًا فرددته عليه فلطمني، فقال للآخر: ما تقول؟ قال: صدق يا أمير المؤمنين قال: فأعطه شرطه، ثم قال للاّطم: اجلس، وقال للملطوم: اقتص، قال: أو عفو يا أمير المؤمنين. قال: ذلك إليك، قال: فلما جاز الرجل قال علي رضي الله عنه: يا معشر المسلمين خذوه، قال: فأخذوه فحمل على ظهر رجل كما يحمل صبيان الكتاب، ثم ضربه خمس عشرة درة، ثم قال: هذا نكال لما انتهكت من حرمته، وفي رواية أنه قال: هذا حق السلطان(٣).

هذا وإن هذا الخبر ليعتبر مثلاً عاليًا للتواضع حيث يخرج أمير المؤمنين من بيته إلى السوق يتفقد أحوال الناس، ويقوم بنفسه في حل مشكلاتهم، وهو نوع من السلوك العالي الذي يبرز وجود الولاة في واقع حياة الرعية سواء قام بذلك الوالي الأكبر أو من دونه، ولا يلزم تكرر هذا الوجود كل يوم؛ إذ يكفي شعور الناس بأن

---

(١) «مصنف بن أبي شيبة» رقم (١٢٢٢٥)، و«المستدرك» (٣/ ١٦٦)، حديث صحيح من أوجه كثيرة.
(٢) الشراة: الخوارج. النهروان: بين واسط وبغداد.
(٣) «تاريخ الطبري» (٦/ ٧٢، ٧٣).

الولاة معهم في مشكلاتهم ليطمئن صاحب الحق على بقاء حقه في حوزته، وعودته إليه فيما لو اعتدي عليه، وليرتدع من تسول له نفسه الاعتداء على حقوق الناس، وقبل ذلك وأهم منه أن يرتدع كل من يحدث نفسه بالاعتداء على حق الله تعالى، وهذا الوجود المتلاحم بين الوالي والرعية يظهر بصور متعددة تتناسب مع أنماط الحياة في كل عصر، فلا يقولن قائل بأن ما قام به أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه يعتبر سائغًا في عصره ولكنه بعيد التصور في هذا العصر؛ فإنه لا عبرة بالأشكال والصور، وإنما العبرة بالأهداف والمقاصد التي بها تتحقق الحياة السعيدة للمسلمين، وذلك برعاية حق الله أولاً، ثم حقوق الناس العامة والخاصة، وفيما أمر به أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه من إجراء العقوبة على المعتدي مع تنازل صاحب الحق دلالة على إدراكه رضي الله عنه لمقاصد الإسلام من حفظ الأمن، وإشاعة السلام بين المؤمنين، وبذلك سيرتدع من تميل نفسه إلى الاعتداء على غيره إذا عرف بأن العقوبة ستجرى عليه ولو عفا عنه خصمه[١]، ومن مواقف عدله رضي الله عنه ما رواه عاصم بن كليب عن أبيه قال: قدم على علي بن أبي طالب رضي الله عنه مال من أصبهان[٢]، فقسمه سبعة أسباع، فوجد فيه رغيفًا، فقسمه سبع كسر، وجعل على كل جزء كسرة، ثم أقرع بينهم، أيهم يعطى أول[٣]، وأما مبدأ المساواة الذي اعتمده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في دولته، فيعد أحد المبادئ العامة التي أقرها الإسلام، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾** (الحجرات: ١٣).

وجاءت ممارسة أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه لهذا المبدأ خير شاهد، ومن هذه المواقف، حرصه على تقسيم المال فور وروده إليه على الناس بالتساوي، بعد أن يحتجز منه ما ينبغي أن يأخذ منه للإنفاق على المرافق العامة، ولم يكن يستبيح لنفسه أن يأخذ من هذا المال إلا مثلما يأخذه غيره من الناس، كما أنه كان يعطي معارضيه من الخوارج من العطاء مثلما يعطي غيرهم وهذا قبل سفكهم للدماء،

(١) «التاريخ الإسلامي» للحميدي (١٢/ ٤٣٣، ٤٢٣).
(٢) مدينة عظيمة في بلاد فارس.
(٣) «الكامل في التاريخ» (٢/ ٤٤٢).

واعتـداءاتهم على الناس(١)، وكان رضي الله عنه يسـاوي في العطايا بين الناس وبذلك يكون اقتـداء بالصديق في هذا الباب، وكـان رضي الله عنه لا يفضل شارفا على مـشروف، ولا عربيًّا على أعجـمي، فقد دفع مرة طعامًـا ودراهم بالتساوي إلى امرأتـين إحداهما عربية، والثانية أعجمية، فاحتجت الأولى قائلة: إني والله امرأة من العرب، وهذه من العـجم، فأجابهـا علي رضي الله عنه: إني والله لا أجد لبنـي إسماعـيل في هذا الفيء فضلا على بني إسحاق. وكذلك لما طلب إليـه تفضيل أشراف العرب وقريش على الموالي والعجم، قـال: لا والله، لو كان المال لي لواسـيت بينهم، فكيف وإنما هي أموالهم؟ (٢).

وعن يحيى بن سلمـة رضي الله عنه قال: استعمل عـلي عمرو بن سلمة على أصـبهان فقدم ومعـه مالاً وزقاق فيها عسل وسـمن، فأرسلت أم كلثوم بنت علي رضي الله عنهما إلى عمرو تطلب منه سـمنًا وعسلاً، فأرسل إليها ظرف عسل وظـرف سمن، فلما كان الغد خرج علي وأحضر المال والعسل والسمـن ليقسم، فعد الزقاق فنقصت زقين، فسأله عنهما، فكتـمه وقال: نحن نحضرهما، فعزم عليـه إلا ذكرها له، فأخبره، فأرسل إلى أم كلثوم فأخذ الزقين منها فرآهما قد نقصا، فأمر التجار بتقويم ما نقص منهما، فكان ثلاثة دراهم، فأرسل إليها فأخذها منها، ثم قسم الجميع(٣).

وعن أبي رافع رضي الله عنه وقد كان خـازنًا لعليّ رضي الله عنه على بيت المال، قال: دخل عليّ يومًا، وقـد زينت ابنته، فـرأى عليها لؤلؤة من بيت المال قـد كان عرفـها، فقال: من أين لها هذه؟ لله عليّ أن أقطع يدها، قال: فلما رأيت جده في ذلك قلت: أنا والله يا أمير المؤمنين زينت بها ابنة أخي، ومن أين كانت تقدر عليها لو لم أعطها؟ فسكت(٤).

الثالث عشر: الحريات:

مبـدأ الحرية من المبـادئ الأساسـية التي قـام عليهـا الحكم في عهد الخـلفاء

---

(١) «نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين» ص (٢١٦).
(٢) «تراث الخلفاء الراشدين» ص (١٠١).
(٣) «الكامل في التاريخ» (٢/ ٤٤٢).
(٤) «تاريخ الطبري» (٦/ ٧٢).

الراشدين، ويقضي هذا المبدأ بتأمين وكفالة الحريات العامة للناس كافة ضمن حدود الشريعة الإسلامية وبما لا يتناقض معها، فقد كانت دعوة الإسلام لحرية الناس- جميع الناس- دعوة واسعة عريضة قلما تشتمل على مثلها دعوة في التاريخ، وكانت أول دعوة أطلقها في هذا المجال هي دعوته الناس في العديد من الآيات القرآنية لتوحيد الله، والتوجه له بالعبادة وحده، دون سائر الكائنات والمخلوقات، وفي دعوة التوحيد هذه كل معاني الحرية والاستقلال لبني الإنسان، أضف إلى ذلك أن الإسلام عرف الحرية بكل معانيها ومدلولاتها ومفاهيمها، فتارة تكون فعلاً إيجابيًّا كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتارة فعلاً سلبيًّا كالامتناع عن إكراه أحد في الدخول في الدين، وفي أحيان كثيرة يختلط معناها بمعنى الرحمة، والعدل والشورى والمساواة؛ لأن كل مبدأ من هذه المبادئ التي نادى بها الإسلام لا يستقيم أمره ولا يمكن تحقيقه إلا بوجود الحرية .

وقد أسهم مبدأ الحرية مساهمة فعالة إبان حكم الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم خاصة بانتشار الدين الإسلامي، وبتسهيل فتوحات المسلمين واتساع رقعة دولتهم؛ لأن الإسلام كرم الإنسان وكفل حرياته على أوسع نطاق ولأن النظم السياسية الأخرى السائدة آنذاك في دولة الروم والفرس كانت أنظمة استبدادية وتسلطية، وفئوية قاس بسببها الرعايا وبصورة خاصة المناوئون السياسيون والأقليات الدينية أشد درجات الكبت والاضطهاد والظلم، وأما في الإسلام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، فقد كانت الحريات العامة المعروفة في أيامنا معلومة ومصونة تمامًا[1]، وقد كان لأمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه أقوال تدافع عن الحريات ومواقف تدعم هذا المبدأ في المجتمع الإسلامي، فمن أقواله: بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد[2]، وقوله الموجز هذا يدل على أن الاعتداء على الناس كافة بأي شكل كان غير جائز في الإسلام، وذكر المعتدين بعذاب الله يوم القيامة وفي أيام عهد الراشدين رضي الله عنهم، وعرف عنه قوله: ليس من العدل القضاء على الثقة

---

(١) «نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين» ص (١٥٧، ١٥٨).

(٢) «نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين» ص (١٦٥).

بالظن[١]، وقوله هذا يدل دلالة واضحة على أنه ليس من الجائز أخذ الناس بالشبهات والحكم عليهم لمجرد الظنون والشكوك، بل ينبغي أن يكون ذلك بالثقة أي باليقين المستند إلى أدلة دامغة وأكيدة لا تقبل الجدل حولها، وخير هذه الأدلة ما نصت عليه الشريعة[٢]، وبذلك يكون المبدأ الذي أقرته التشريعات الجزائية الحديثة- القائل: بأن المتهم يبقى بريئًا حتى إثبات العكس- قد عرفه الإسلام منذ أمد بعيد[٣] .

وقد تجلى مبدأ الحرية على أروع صوره ومعانيه أيام عليّ ﷺ ، فبالرغم من أنه كانت هناك ظروف استثنائية (فتن، مؤامرات، وحروب)، تبرر الحاجة إلى تقييد حرية الأفراد في ذهابهم وإيابهم وإقامتهم أو ما يسمى في العصر الحديث بقانون الطوارئ إلا أن عليًّا ﷺ لم يقيد حرية أحد، سواء كان من أتباعه أم من خصومه، ولم يكره أحدًا على الإقامة والبقاء في ظل سلطانه أو على الخروج منه ولا حتى على المسير معه لمقاتلة أعدائه، ولم يصد أحدًا من الناس عن اللحاق بمعاوية[٤]، كما أنه لم يقيد حرية أصحاب عبد الله بن مسعود وعبيدة السلماني والربيع بن خيثم ﷺ ولم يكرههم على المسير معه لمقاتلة أهل الشام عندما رفضوا ذلك، بل سمح لهم بالذهاب لبعض الثغور نزولاً على رغبتهم[٥].

وعندما ثار عليه الخوارج بعد معركة صفين بسبب قبول التحكيم، فإنه لم يكره أحدًا منهم على البقاء في ظل سلطانه أو الخروج منه، بل بالعكس فقد كان يأمر عماله بعدم التعرض لهم في طريقهم طالما أنهم لا يفسدون في الأرض ولا يعتدون على الناس[٦]، وقال لهم: . . . إن لكم عندنا ثلاثًا، لا نمنعكم صلاة في هذا المسجد، ولا نمنعكم نصيبكم من هذا الفيء ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا[٧].

---

(١) «نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين» ص (١٦٥).

(٢) هذه الأدلة هي: البينة الخطية المنظمة وفقًا لأحكام الشريعة، أو الثابتة بشهادة رجلين أو بشهادة رجل وامرأتان وأحيانا بشهادة أربعة رجال كما في حالة الزنى.

(٣) «نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين» ص (١٦٦).

(٤) المصدر نفسه ص (١٥٩).

(٥) «نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين» ص (١٥٩).

(٦) المصدر نفسه ص (١٦٠).

(٧) «تاريخ الطبري» (٥/ ٦٨٨).

المبحث الثالث

حياته في المجتمع واهتمامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أولاً: دعوته للتوحيد ومحاربته للشرك:

إن حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عامرة بالدعوة إلى توحيد الله تعالى وتعريف الناس معاني الإيمان ،والاعتماد والتوكل على الله والخوف منه سبحانه وتعالى ، والتعريف به من خلال أسمائه الحسنى وصفاته العلى ،ومحاربته للشرك بجميع أشكاله وأنواعه ، ومن خلال توجيهه وتعليمه وتربيته للناس على دعوة التوحيد ومحاربة الشرك أمور منها :

١- **قوله رضي الله عنه : «لا يرجونَّ عبدٌ إلا ربه ولا يخافنَّ إلا ذنبه»**: فهذا من أحسن الكلام ، وأبلغه وأتمه؛ فإن الرجاء يكون للخير ، والخوف يكون من الشر ، والعبد إنما يصيبه الشر بذنوبه ، كما قال تعالى : ﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ**﴾ (الشورى:٣٠) فالراجي يطلب حصول الخير ودفع الشر ، ولا يأتي بالنعم إلا الله ، ولا يذهب المصائب إلا الله ﴿**وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ**﴾ (يونس:١٠٧)، ﴿**مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ**﴾ (فاطر:٢)، والرجاء مقرون بالتوكل ، فإن المتوكل يطلب ما رجاه من حصول المنفعة ودفع المضرة ، والتوكل لا يجوز إلا على الله ، كما قال تعالى : ﴿**إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ (آل عمران:١٦٠). وقال تعالى : ﴿**وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ**﴾ (التوبة:٥٩) وقال تعالى : ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾ (آل عمران:١٧٣) فهؤلاء قالوا: حسبنا الله ، أي: كافينا الله في دفع البلاء ، وأولئك أمروا أن يقولوا: حسبنا في جلب النعماء فهو- سبحانه - كاف عبده في إزالة الشر وفي إنالة الخير ، أليس الله

بكاف عبده؟، ومن توكل على غير الله ورجاه خذل من جهته وحرم، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ﴾ (العنكبوت: ٤١). ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ (مريم: ٨١، ٨٢)، ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (الحج: ٣١)، ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ (الإسراء: ٢٢). وقال تعالى: ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (العنكبوت: ١٧)، فمن عمل لغير الله رجاء أن ينتفع بما عمل له، كانت صفقته خاسرة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (النور: ٣٩)، وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ (إبراهيم: ١٨) وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ (الفرقان: ٢٣)، وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القصص: ٨٨)، كما قيل في تفسيرها: كل عمل باطل إلا ما أريد به وجهه، فمن عمل لغير الله ورجاه بطل سعيه، والراجي يكون راجيا تارة بعمل يعمله لمن يرجوه، وتارة باعتماد قلبه عليه والتجائه إليه وسؤاله، فذاك نوع من العبادة له، وهذا نوع من الاستعانة به، وقد قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥) وقال: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ (هود: ١٢٣)، وقال: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ (الرعد: ٣٠)، ومما يوضح ذلك: أن كل خير ونعمة تنال العبد فإنما هي من الله، وكل شر ومصيبة تندفع عنه أو تكشف عنه، فإنما يمنعها الله، وإنما يكشفها الله، وإذا جرى ما جرى من أسبابها على يد خلقه، فالله - سبحانه - هو خالق الأسباب كلها سواء كانت الأسباب حركة حي باختياره وقصده، كما يحدثه تعالى بحركة الملائكة والجن والإنس والبهائم، أو حركة جماد بما جعل الله فيه من الطبع أو بقاسر يقسره كحركة الرياح والمياه ونحو ذلك، فالله خالق ذلك كله، فإنه لا حول

ولا قوة إلا به(١)، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فالرجاء يجب أن يكون كله للرب، والتوكل عليه والدعاء له، فإنه إن شاء ذلك ويسره كان يسرا، ولو لم يشأ الناس، وإن لم يشأه ولم ييسره لم يكن وإن شاءه الناس(٢)، هذا بعض المعاني من قول أمير المؤمنين رضي الله عنه: لا يرجون أحد إلا ربه(٣)، وأما قوله: ولا يخافن أحد إلا ذنبه(٤)، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ﴾ (الأعراف:١٣١). بين سبحانه أن الحسنة من الله ينعم بها على الناس، وأن السيئة إنما تصيبهم بذنوبهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال:٣٣)، فأخبر أنه لا يعذب مستغفرًا؛ لأن الاستغفار يمحو الذنب الذي هو سبب العذاب، فيندفع العذاب، كما في سنن أبي داود وابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من أكثر الاستغفار، جعل الله له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب(٥)، وقال تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ (هود:٢، ٣). فبين: أن من وحده واستغفره متعه متاعًا حسنًا إلى أجل مسمى، ومن عمل بعد ذلك خيرًا زاده من فضله، وفي الحديث: يقول الشيطان: أهلكت الناس بالذنوب، وأهلكوني بلا إله إلا الله، والاستغفار(٦)، فلما رأيت ذلك بثثت فيهم الأهواء فهم يذنبون ولا يتوبون؛ لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا(٧). وقال عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه: ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة، ولهذا قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۝١٧٣ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ۝١٧٤ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ

---

(١) «الفتاوى» (٨/ ١٠١).
(٢) «الفتاوى» (٨/ ١٠٢).
(٣) «الفتاوى» (٨/ ١٠٢).
(٤) «الفتاوى» (٨/ ٩٩).
(٥) «سنن ابن ماجه» رقم (٣٨١٩)، و«سنن أبي داود» (١٥١٨).
(٦) «مسند أبي يعلى» (١/ ١٢٣) رقم (١٣٦)، و«مجمع الزوائد» (١/ ٢١٠) وهو ضعيف.
(٧) «الفتاوى» (٨/ ١٠٠).

يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٧٣-١٧٥) فنهى المؤمنين عن خوف أولياء الشيطان، وأمرهم بخوفه، وخوفه يوجب فعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، والاستغفار من الذنوب وحينئذ يندفع البلاء وينتصر على الأعداء، فلهذا قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: لا يخافن عبد إلا ذنبه[١]، وإن سلط عليه مخلوق فما سلط عليه إلا بذنوبه، فليخف الله، وليتب من ذنوبه التي ناله به ما ناله[٢]، كما في الأثر: يقول الله: أنا الله، مالك الملوك، قلوب الملوك ونواصيهم بيدي، من أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، فلا تشتغلوا بسب الملوك، وأطيعوني أعطف قلوبهم عليكم[٣].

٢- تعريف أمير المؤمنين الناس بأسماء الله وصفاته:

قال تعالى: **﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾** (محمد: ١٩) فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف، كما في قوله سبحانه وتعالى: **﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾** (فاطر: ٢٨)، وقد بين القرآن الكريم أن معرفة الأسماء الحسنى الصفات العلى من أعظم الوسائل في زيادة الإيمان وقوته وثباته، ومعرفتها تتضمن أنواع التوحيد الثلاثة، توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأنواع هي روح الإيمان، وأصله وغايته، فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته، ازداد إيمانه وقوي يقينه[٤]، قال تعالى: **﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** (الأعراف: ١٨٠) وقال تعالى: **﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾** (الإسراء: ١١٠)، وقد ثبت في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا - مائة إلا واحدة - من أحصاها، دخل الجنة**»[٥]، أي من حفظها وفهم معانيها، واعتقدها، وَعَبَدَ الله بها دخل الجنة، والجنة لا يدخلها إلا المؤمنون[٦]،

---

(١) «الفتاوى» (٨/ ٩٩). (٢، ٣) «الفتاوى» (٨/ ١٠١).

(٤) «الوسطية في القرآن الكريم» للصلابي ص(٢٢٨).

(٥) «البخاري»، كتاب الدعوات رقم (٦٤١٠).

(٦) «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» للسعدي ص (٤١).

ولأهمية هذا العلم قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : يا طالب العلم: إن للعالم ثلاث علامات، العلم بالله، وبما يحب الله، وبما يكره الله[١]، وقال في معرض وصفه للمولى سبحانه وتعالى: هو العالم بكل مكان، وكل حين وأوان، لم يخلق الأشياء من أصول أولية، ولا بأوائل كانت قبله بدية، بل خلق ما خلق فأقام خلقه، وصور ما صور فأحسن صورته، توحد في علوه فليس لشيء منه امتناع، ولا له بطاعة شيء من خلقه انتفاع، إجابته للداعين سريعة، والملائكة في السماوات والأرضين له مطيعة، علمه بالأموات البائدين، كعلمه بالأحياء المتقلبين، وعلمه بما في السموات العلى، كعلمه بما في الأرض السفلى، وعلمه بكل شيء، لا تحيره الأصوات، ولا تشغله اللغات ... مدبر بصير، عالم بالأمور، حي قيوم ... سبحانه وتعالى عن تكييف الصفات[٢]، وجاء يهودي إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فسأله: متى كان ربنا؟ فتمعر[٣] وجه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال: لم يكن فكان، هو كان ولا كينونة، كان بلا كيف، كان ليس قبل ولا غاية، انقطعت الغايات دونه، فهو غاية كل غاية، فأسلم اليهودي[٤]، ومما يرويه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفات الله سبحانه وتعالى قوله: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف**»[٥].

إن معرفة أسماء الله وصفاته، وتأمل معانيها، والإيمان بها تثمر للعبد محبة الله وتعظيمه الموجبين للقيام بأمره ونهيه، كما توجب اللجوء إليه في الكربات، وسؤاله عند الحاجات، واستغاثته في الملمات وغيرها من أنواع العبادات القلبية[٦].

---

(١) «تاريخ اليعقوبي» (٢/ ٢٠٧)، و«منهج علي بن أبي طالب» ص (٩١).
(٢) «حلية الأولياء» (١/ ٧٣).
(٣) تمعر: تغير: «لسان العرب» (٥/ ١٨١).
(٤) «تاريخ الخلفاء» للسيوطي ص(٢٠٦).
(٥) «مسند أحمد» (٢/ ١٧٣) قال أحمد شاكر: إسناده حسن.
(٦) «منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله»، ص (٩٢).

٣- تعريف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه الناس بنعم الله المستوجبة لشكره:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه - مذكرًا بالله سبحانه وتعالى وبنعمه على عباده-: أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال، ووقت لكم الآجال، وجعل لكم أسماعا تعي ما عناها، وأبصارا لتجلو عن غشاها، وأفئدة تفهم ما دهاها، في تركيب صورها وما أعمرها فإن الله لم يخلقكم عبثا ولم يضرب عنكم الذكر صفحًا، بل أكرمكم بالنعم السوابغ، وأرفدكم بأوفر الروافد، وأحاط بكم الإحصاء، وأرصد لكم الجزاء في السراء والضراء، فاتقوا الله عباد الله وجدوا في الطلب، بادروا بالعمل مقطع النهمات وهادم اللذات[١]، وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يحث الناس على القرب من الله بشكر النعم الحاصلة ويحذرهم من الركون إليها والأمن معها، ويرغبهم فيما عند الله من المزيد في حال شكر النعم، حيث يقول: فإن نزلت بكم رغبة فاشكروا الله، واجمعوا معها رهبة، وإن نزلت بكم رهبة فاذكروا الله واجمعوا معها رغبة، فإن الله قد تأذن المسلمين بالحسنى، ولمن شكره بالزيادة[٢]، ودعا أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الناس إلى التفكر في أنفسهم فقال: من عرف نفسه فقد عرف ربه[٣]، وقد قال تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات: ٢١).

٤- حرص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على محو آثار الجاهلية:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة، فقال: «**أيكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع وثنًا إلا كسره، ولا قبرا إلا سواه، ولا صورة إلا لطخها؟**» فقال علي رضي الله عنه: أنا أنطلق يا رسول الله، فقال: «**انطلق**»، فانطلق، ثم رجع فقال: يا رسول الله، لم أدع بها وثنًا إلا كسرته، ولا قبرًا إلا سويته، ولا صورة

---

(١) «الحلية» (١/ ٧٨)، و«صفة الصفوة» (١/ ٣٢٨).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/ ٣٠٩).

(٣) «مطلوب كل طالب من شرح كلمات علي بن أبي طالب» لمحمد عبد الجليل العمري مخطوط نقلاً عن «منهج علي ابن أبي طالب في الدعوة إلى الله» ص (٩٦).

إلا لطختها، ثم قال رسول الله ﷺ: «**من عاد لصنعه شيء من هذا فقد كفر بما أنزل على محمد** ﷺ»(١)، وعندما أصبح أميرًا للمؤمنين أرسل أبا الهياج الأسدي وقال له: أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: «**ألاَّ تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته**»(٢)، فأمره بمحو التماثيل، وأن تكون القبور مدروسة معالمها لغرض في زيارة القبور عند أمير المؤمنين علي رضي الله عنه(٣)، وقد كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه كثيرًا ما يقصد المقبرة زائرًا ومتعظًا، وقد أشرف على المقبرة فقال: يا أهل القبور أخبرونا بخبركم، أما خبركم قبلنا فالنساء قد تزوجن، والمال قد قسم، والمساكن قد سكنها قوم غيركم، ثم قال: أما والله لو نطقوا لقالوا: لم نر خير من التقوى(٤)، وقد كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يسعى جاهدًا في تجريد التوحيد، وقطع أسباب الشرك ووسائله من جميع الجهات، ولذلك حذر من اتخاذ القبور مساجد لما تسببه من الفتنة في أهلها، وكونها ذريعة إلى عبادة الأموات، وقد وصف رضي الله عنه من فعل ذلك بأنه من شرار الناس كما في قوله: شرار الناس من يتخذ القبور مساجد(٥)، وهذا اتباع لقول رسول الله ﷺ: «**اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»(٦)، وغيره من الأحاديث التي صحت في هذا المعنى، كما لا بد من التنبيه على أن الغرض من زيارة القبور أمران، كما هو بين من الهدي النبوي الشريف: الاتعاظ بالموت، والدعاء للميت والترحم عليه، وليس في واحد منها ما يدل على أن الزائر يقصد القبر؛ ليقضي حاجته فقصد القبر للانتفاع به مخالف لهدي النبي ﷺ، ومخالف لأدب زيارة القبور التي نصّ عليها العلماء(٧)، قال ابن العربي وهو

---

(١) «مسند أحمد» (٢/٦٨) قال أحمد شاكر: إسناده حسن.

(٢) «مسلم»، كتاب الجنائز (٢/٦٦٦).

(٣) الغرض: الاتعاظ والدعاء للأموات، و«فقه علي» لقلعجي ص (٤٩٤).

(٤) «الاستذكار» (١/ ٢٣٤).

(٥) «مصنف عبد الرزاق» (١/٤٠٥)، و«كنز العمال» رقم (٢٢٥٢٢).

(٦) «فتح الباري» (٤/٣٧٦)، وإسناده حسن.

(٧) «الغلو في الدين» د. الصادق الغرياني ص (١١٩).

يعدد أغراض السفر، ومنه: . . . القصد إلى الإخوان لتفقد أحوالهم -وبعد أن ذكر فضل من زار أخًا له في الله- قال: هذا إن كان حيًّا، فإن كان ميتًا، فتجوز زيارة قبره أيضًا، والترحم عليه لينتفع الميت بالحي، ولا يقصد الانتفاع بالميت فإنها بدعة[1]، بل إن قصد القبر رجاء قضاء الحاجة هو عين ما حذر منه النبي ﷺ أصحابه عندما سألوه أن يجعل لهم ذات أنواط، ففي حديث أبي واقد الليثي: أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين يقال لها: ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم (ذات أنواط)، فقال النبي ﷺ : «**سبحان الله، هذا كما قيل لموسى، اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم**»[2]، وفي «عدة المريد» يقول الشيخ الزروق بعد أن ذكر الحديث المتقدم: ولا يجوز عند العلماء تعظيم مكان، أو شجر، أو بناء، أو أي شيء آخر له أصل في معتقدات الجاهلية؛ رجاء الشفاء أو قضاء حاجة[3]، ثم قال: في الحديث دليل على منع كل ما يستدام أو يكون له أصل في عبادة الجاهلية من خشبة أو حديدة أو حجر أو بناء ونحوه، لا يمتهن أو يكون مستهلكًا[4]، ولا شك أن القبر له أصل في عبادة الجاهلية، بل هو أصل أصولها، ولا أدل على ذلك، من أن أشهر أصنامهم التي عبدوها من دون الله، سواء في جاهليتهم اللاحقة: «اللاّت»، هي أسماء لرجال صالحين ماتوا فقالوا في تعظيمهم حتى عبدوهم من دون الله [5]، وهنا كان حديث النبي ﷺ وفعل سيدنا علي رضي الله عنه له عمل عظيم في حماية جانب التوحيد ويتضح لنا أن ما يفعله بعض جهلة المسلمين من تعظيم القبور والطواف حولها والتعلق بأهلها أمر محرم يخالف أمر الله -سبحانه وتعالى- وسيرة أمير المؤمنين رضي الله عنه، فعلى العلماء الربانيين الذين يرجون الله واليوم الآخر أن يقتدوا بالنبي ﷺ كما فعل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وأن يسعوا لتعبيد الناس لربهم، وجعل قلوبهم

---

(١)«فتح الباري» (٣/ ٦٥).
(٢)«سنن الترمذي» رقم (٢١٨٠) حسن صحيح.
(٣)«عدة المريد» ص (٢٠٦)، و«الغلو في الدين» للغرباني ص(١١٩).
(٤)«عدة المريد» ص(٢٠٦)، المصدر نفسه ص(١١٩).
(٥)«الغلو في الدين» ص (١١٩).

تتعلق بالله الواحد القهار، وأن يحاربوا العوائق في الطريق إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

أ - الزيارة الشرعية للقبور:

إن الزيارة الشرعية للقبور سنة مجهولة عند الكثيرين قد غفلها جمع من الناس لفشو البدع والخرافات في العالم الإسلامي، وعدم إرشاد أهل العلم الناس إلى هذه الزيارة المشروعة، وتقصير الدعاة في توضيح هذا النوع المباح وما يقال عند الزيارة، فالزيارة الشرعية الغرض منها: أنها تذكر الموت ومكان الإنسان ونهايته.

وأنه سيأتي اليوم الذي يكون هذا موضعه ومضجعه الذي يزوره، الآن، مما يعين على الثبات على الطاعة، وحث النفس والأخذ بزمامها نحو العبادة، خاصة إذا أصابها فتور وتقاعس عن العبادة، كما يشرع فيها السلام على الأموات والدعاء لهم بالرحمة والمغفرة.

ومن الأدلة على ذلك حديث عائشة رضي الله عنها قالت:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد**»، وفي رواية عنها رضي الله عنها في قصة جبريل، حين جاء النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره أن الله تعالى يأمره أن يستغفر لأهل بقيع الغرقد، قالت عائشة رضي الله عنها: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ فقال: قولي: «**السلام على أهل الديار، من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**»[1].

وقد بيَّن العلماء عدم جواز البناء على القبور، كما بينوا آداب زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم، ودعاء العبد لربه، وأنه ليس بين العبد وربه واسطة.

قال الكاساني الحنفي في كتابه «بدائع الصنائع»: «وكره أبو حنيفة البناء

(١) «مسلم» رقم (١/ ٦٧١) رقم (٩٧٤).

على القبر، والكراهة إذا أطلقت فهي للتحريم وقد صرح بالتحريم ابن مالك من الأحناف»(١).

قال الطحاوي الحنفي: «ولا يستلم القبر ولا يقبله؛ فإنه من عادة أهل الكتاب، ولم يعهد الاستلام إلا للحجر الأسود، والركن اليماني خاصة»(٢).

قال القاضي عياض عن مالك: «لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ، ولكن يسلم ويمضي، وروى ابن وهب عنه أنه قال: ويدنو ويسلم ولا يمس القبر»(٣).

وقال زروق المالكي: «من البدع اتخاذ المساجد على قبور الصالحين... والتمسح بالقبر عند الزيارة، وهو فعل النصارى، وحمل تراب القبر؛ تبركًا به، وكل ذلك ممنوع بل يحرم»(٤)

وقال الشافعي: «ولم أر قبور المهاجرين، والأنصار مجصصة»، وقال أيضًا -رحمه الله-: «وقد رأيت من الولاة من يهدم بمكة ما يبنى فيها، فلم أر الفقهاء يعيبون ذلك»(٥).

وقال النووي: «ويكره مسحه -قبر النبي ﷺ- باليد وتقبيله بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضر في حياته ﷺ، هذا هو الصواب الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه» (٦).

وقال السبكي في فتواه: «ولا يمس القبر ولا يقرب منه ولا يطوف به»(٧).

ب - تاريخ الاحتفال بالمزارات في الأضرحة:

يذكر أن أول من أحدث الاحتفال بالمزارات السنوية في الأضرحة هم العبيديون (الفاطميون) في القرن الرابع، ذكر ذلك المقريزي أحمد بن علي قال: كانت لهم ستة موالد، مولد النبي ﷺ، مولد علي بن أبي طالب، والحسن والحسين،

(١) «بدائع الصنائع» (١/ ٣٢).
(٢) «حاشيته على مراقي الفلاح» (٣٤٠).
(٣) «كتاب شرح الشفاء» (٢/ ١٥٢).
(٤) «شرح رسالة القيرواني» (١/ ٢٤٤).
(٥) «الأم» (١١/ ٩١٦).
(٦) «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (١/ ٢٤٤).
(٧) «فتاوى السبكي» (١/ ٢٨٩).

وفاطمة ﵃، ومولد الخليفة، وكانوا ينحرون عند قبر الحسين الإبل والبقر والغنم(١)، ولم يكن المسلمون قبل هذا التاريخ في القرون الثلاثة الأولى يقيمون الأضرحة، ولا يحتفلون بها، ولا أدل على ذلك من أن أكثر الصحابة ﵃ دفنوا خارج البقيع في مصر والشام والعراق، لا تعرف قبورهم، ومن عرف قبره منهم، فمختلف فيه بين المؤرخين، وكتاب السير، فكيف خفيت قبورهم عن أهل السير؟، وهم الصلحاء والعلماء وأعلام الهدى، الذين حملوا راية الدين والعلم، والجهاد والعبادة، لو كان للأضرحة في زمانهم وزمان تابعيهم ذكر لما خفي مكانها، ولما اختلف المؤرخون فيها، وفعل الناس لهذا الأمر بعد القرون الأولى خير القرون لا يكسبه مشروعية بحال، كيف وقد نهى النبي ﷺ عن اتخاذ قبره عيدًا؟، فمن يفعل ذلك من الناس فإنما يفعل عين ما حذر منه النبي ﷺ، ويحتج بعمله، وعمل شيخه، ويقدمه على هدي رسول الله ﷺ وأصحابه ﵃ والله تعالى يقول: **﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** (الحجرات: ١) ويقول: **﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** (النور: ٦٣).

ج- ارتباط المزارات بالتخلف والجهل:

ارتفع شأن القباب والتوابيت - المضروبة على القبور - خلافًا لأمر رسول الله ﷺ بتسويتها كما بين لنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁، وتفنن الناس في زخرفتها بالألوان الزاهية، ونصبت عليها ستائر الحرير كستائر الكعبة، وحرست بالأبواب الفاخرة وزودت بخزائن الحديد الثقيلة، لجمع ما يجود به الزائرون، وما ينفقونه على أصحاب الأضرحة من نذور؛ لتقضى حوائجهم وتتحقق آمالهم، وازدهرت الحياة للمتعيشين على خدمة الضريح وحراسته، رواة الكرامات، ورواة التحذير الصارم بسوء عاقبة كل من يحاول أن يشكك في سلامة ما يجري، ومن المعروف أن التبجيل على هذا النحو للأضرحة لم يزدهر

(١) «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» ص (١/ ٤٢٧، ٤٩٠)، و«الغلو في الدين» ص (١٠٣).

إلا يوم أن تخلف المسلمون، وضعفت همـمهم، في عصور الانحطاط العلمي، والجـمود الفكري، يوم أن حـولوا نور الرسـالة المحمـدية، التي اسـتطاعت في الأربعين سنة الأولى من عـمـرها أن تجعل أهـل الأرض من فارس إلى المغـرب يدينون بها، حولوا هذه الرسـالة الحضارية المشرقة إلى دروشـة وخمول، وبطالة وتعلق بالأوهام، وقصروا همـمهم على أمور ما كان سـلفنا الصالح، الذي ملأ الدنيا علمًـا وعملاً صالحًـا يقف عندها، ولا يلتفت إليها ألا يجـدر بنا أن نسأل أنفسنا: هل وجد شيء من هذا على عهد الصـحابة فعلوه لقبر رسول الله ﷺ وهو أفضل قبر على وجه الأرض، أو لقبورهم، وهم أفضل أمته؟ أو وجد شيء منه حتى عهد الأئمة الذين يقتدى بهم؛ كـمالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد - رحمهم الله- أليس عدم وجـود شيء من ذلك عندهم دليل على أن ما يجري لا صلة له بالدين، ولا بالعـبادة، ولا بالولاية؟ وإنما هي مظاهر التـخلف والجهل، استـغلهـا من لهم مصلحـة باسم الدين، أياً كانت المـصلحة، لتـخدير العـامة والاستيلاء على عقولهم، وجـيوبهم، وأكل أموالهم وشدهم إلى الوراء لقد ظل الإسلام قرونا عديدة يتزعم العالم قوة ومعـرفة، وحضارة، وتشريعًا، وأخلاقًا، ورحـمة بالإنسـانية، وتطلعًـا إلى الابتكار، ومـعالي الأمـور، ذلك كان حـال المسلمين يوم أن كـان تعلقـهم بحقـيـقة الإسـلام، فلمـا أعرضـوا عن ذلك ، واستـبدلوا ما عندهم من العلم والهـداية، بمفاهيم مـغلوطة تعتمـد على التواكل والبطالة والدروشة والتعلق بـالغيبيات، التي لم يقم عليـها دليل، ولم يأمرنا الله بها، وسـموا كل ذلك (بركـة)، تسميـة للشيء بضده، وأحـرى بمن يعرض عن الهداية وأسبابها أن يكون من الضالين، وعن البركة من المبعدين[1].

د - الحملات الاستعمارية وإقامة الأضرحة:

كان للحملات الغربية الاستـعمارية مواقف في تشجيع المسلمين أن ينحو هذا المنحى ليبـتعدوا عن جـوهر الدين، ذكرت صـحيفـة التايمز الإنجليزية قـول أحد

(١) «الغلو في الدين»، للغرياني (١٠٥).

رجال الاستعمار البريطاني يحض على تشجيع البدع والأوهام بين المسلمين يقول: فإن ذلك كفيل بإبعادهم عن الإسلام، يقول الشيخ أحمد الباقوري: إن أحد كبار المستشرقين حدثه عن بعض أساليب الاستعمار في آسيا، إن الضرورة كانت تقضي بتحويل القوافل الآتية من الهند إلى بغداد، عبر تلك المنطقة الواسعة إلى اتجاه جديد، للمستعمر فيه غاية، ولم نجد الوسائل في جعل القوافل تختاره. وأخيرًا اهتدوا إلى إقامة عدة أضرحة وقباب على مسافات متقاربة في هذا الطرق، وما هو إلا أن تناقل الناس الإشاعات بما فيها من الأولياء، وبما شوهد من كراماتهم، حتى صارت تلك الطريق مأهولة، ومقصودة عامرة[1]، وقد اهتمت الحكومة الإنجليزية بالحالة الدينية في مصر، وهي ترصد التحرك الشيوعي في المنطقة، فكان مما طمأنها على تدين المصريين: أن ثلاثة ملايين مسلم زاروا ضريح أحمد البدوي بطنطا في ذلك العام، يقول أحد العلماء الذين أوفدوا من وزارة الأوقاف لوعظهم: لقد كنت أشهد من أعمالهم ما يستدعي الجلد بالسياط لا ما يستدعى الزجر بالكلام، ولو دعوا إلى واجب ديني صحيح لفروا نافرين، وحسبك معرفة حالهم أنهم جاؤوا الضريح المذكور للوفاء بالنذور والابتهال بالدعاء[2].

هـ- هل المزارات من الإحداث في الدين ؟.

مات رسول الله ﷺ وهو أكرم الخلق على الله تعالى وأتقاهم لله، وأخشاهم لله، وتوقير أصحابه له غير خاف، ومحبتهم إياه لا تقدر، وقُبر ﷺ في بيته، ومكان قبره الشريف معروف لدى أصحابه غير مجهول، وهو أفضل قبر في الدنيا، فلم يقيموا عليه مشهدًا، ولا بناءً، ولا قبابًا، ولم يجتمع عند قبره الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم إحياء لذكراه في يوم من السنة معلوم في (مزار) ولا غيرهم من أصحابه الأخيار، اغتناما للذكر والعبادة ، بل كانوا إذا مروا بقبره الشريف يصلون ويسلمون عليه كما أمرهم ربهم، وكانوا يطيعون أمره ويتبعون

---

(١) انظر: «ليس من الإسلام»، لمحمد الغزالي ص (٢٢٤).
(٢) «الغلو في الدين» ص (١٠٥).

سننه، ويهتدون بهديه، ويقفون عند أمره ونهيه، حيًّا وميتًا؛ امتثالاً لأمر ربهم: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (الحشر: ٧)، وقوله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١)، وخلفاؤه هم القدوة الحسنة الذين أمرنا رسول الله ﷺ باتباع سنتهم والعض عليها بالنواجذ، ولم ينقل أحد من أهل الإسلام أن أصحابه اجتمعوا ليلة في السنة عند قبره للذكر والعبادة، رجاء البركة، وهم أولياء الله، وحزب الهدى، وأنصار الحق، وكتائب الدين، وأعلم منا بما يحبه رسول الله ﷺ، وأحرص على الطاعة، وتعظيم رسول الله في قلوبهم وتوقيره، بالمكان الذي لا يخفى، ولا يختلف عليه؛ لأن الذي نطق به القرآن، وأجمع على تعظيمهم له، ومحبته وتوقيرهم إياه أهل الإسلام، ولو كان هذا العيد السنوي عند قبره مما يقرب إلى الله، ولا يخاف منه فساد في الدين لكانوا أسبق إليه، ولم يأمرهم رسول الله ﷺ في حياته بشيء من هذا، ولا وجد في سنته بفعل ولا تقرير ما يدل على مشروعيته عند قبر النبي ﷺ بعد موته، أو عند أحد من قبور أصحابه الذين ماتوا، ومرت عليهم السنون في حياته، فلم يتعبد هو ولا أصحابه بشيء من هذا، وهو أكمل الخلق عبودية لله، وأكملهم علما بما يرضي الله تعالى، ونصحه لأمته، وحرصه على ما ينفعهم، نزل به القرآن ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨)، وقد نهانا النبي ﷺ عن اتخاذ قبره عيدًا، فقال ﷺ: **«لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا علي؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»**(١).

ومعنى عيد من العود، وهو الرجوع والمعاودة؛ لأنه يتكرر مرة بعد مرة، أي لا تجعلوا لزيارة قبري أيامًا معلومة، وأوقاتًا مخصوصة، كل شهر، أو كل سنة، أو غير ذلك، في اجتماع عام يتكرر بصفة ثابتة كالعيد، ولا تتخذوه منسكًا ترحلون إليه كالحج، ولا تشبهوا باليهود والنصارى؛ فإنهم يفعلون ذلك، وقد

---

(١) «فتح الباري» (٤/ ٣٧٦)، وإسناده حسن.

أدى بهم الأمر إلى الغلو والمبالغة في الإطراء، حتى جعلوا المسيح عليه السلام إلهًا، وقد حذر النبي ﷺ أصحابه من ذلك فقال ﷺ: **«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبدالله ورسوله»**(١)، فإذا كان الحال من النهي في التعلق بقبر النبي ﷺ، وهو أكرم الخلق على الله، وهو سيد الأولين، والآخرين، وأفضل الخلق أجمعين، وأرجى الشفعاء عند الله يوم الدين، فما بالك بقبور الأموات من دونه من الأولياء والصالحين، فتكون مخالفة نهيه في ذلك باتخاذ قبورهم أعيادًا، داخلة في الشق الثاني من الحديث، وهو ما يقرب إلى من يخالف نبيه في قوله عز وجل: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ (النور:٦٣). فهذا هو هدي خير القرون فمن خالفهم زاعما أنه أتى بطاعة وقربة، فلا يخلو حاله من أمرين، إما أنه جاء ببدعة ظلما، وإما أن يكون مدعيًا أنه فاقهم فضلاً وعلمًا، بل كان الإمام مالك رحمه الله تعالى يقول: من أحدث في هذه الأمة شيئا لم يكن عليه سلفها، فقد زعم أن رسول الله ﷺ خان الدين؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ (المائدة:٣)، فما لم يكن يومئذ دينًا، لا يكون اليوم دينًا(٢). وكان يقول: السنة سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق(٣)، إن إقامة (المزارات) عبادة لم يفعلها رسول الله ﷺ ولا أصحابه، بل نهى عنها، ومخالفته من الإحداث في الدين الذي ينتهي بصاحبة إلى الضلال كما أخبر النبي ﷺ، فقد كان مما يخطب به في كل جمعه محذرًا: **«أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»**(٤)، وقال ﷺ: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد»**(٥). إن جمع الناس في يوم معين على الدوم، في مكان ما، تشد إليه الرحال من كل حدب وصوب للعبادة، لا يجوز إلا فيما شرعه الله تعالى من إقامة النُّسك في مكة، وعرفة،

---

(١) «البخاري» رقم (٣٣٤٥).

(٢) «الاعتصام» للشاطبي (٢/ ٥٣).

(٣) «الغلو في الدين» للغرياني ص (١٠٩).

(٤) «مسلم» رقم (٨٦٧).

(٥) «البخاري» رقم (٢٦٩٧).

ومنى والمزدلفة، وفي صلوات الأعياد والجمعة والجماعة، وهي الشعائر التي أمر الله تعالى بتعظيمها، وإقامتها، وأثنى على أهلها بقوله تبارك وتعالى: ﴿**ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾ (الحج:٣٢) وإحداث مشهد آخر غير ما ذكر، في يوم من السنة، من الإحداث في الدين؛ لأنه إحداث عبادة ونسك لم يشرعها الله تعالى، فإن هذه المزارات صارت عند العامة كالنسك، يجتمع إليها الناس في يوم من السنة معلوم للذبح والعبادة، وتشد إليها الرحال، وهذا في ذاته أمر مذموم؛ فإن الطاعات المطلقة المندوب إليها في كل وقت، إذا خصص شيء منها بليلة معينة، أو يوم معين، أو مكان معين، لم يخصصه الشرع به، واعتقد أن لفعلها في ذلك الوقت المعين، أو المكان المعين، أثرًا خاصًّا في البركة، أو رفع الدرجات، أو قبول العمل، أو تعظيم الأجر؛ تحولت تلك الأعمال التي هي من جنس الطاعات إلى بدعة بالاتفاق؛ لأن ترتيب الثواب على الأعمال، أمر توقيفي لا يكون إلا من الشارع.

وقد جر هذا إلى مفاسد عظام، منها اعتقاد العامة في أصحابها الذين بنيت عليهم القباب خلافًا لنهي رسول الله ﷺ، فاعتقدوا فيها الضر والنفع، وقضاء الحوائج، وتقربوا إليها بالذبائح والقرابين في يوم معلوم من السنة، عند إقامة المزار، وتوددوا إليها بعد ما أشاعوا حولها أن من ساق إليها الحيوان ليذبح في ذلك اليوم، وكانت له حاجة يرجوها من ربه، مثل ولد إن كان لا يلد، أو شفاء مرض إن كان مريضًا ؛ لا يرجع إلا بها، فصارت ملجأ لنجاح المطالب، وسألوا منها ما سأله العباد من ربهم واستغاثوا بها، وأن حوائجهم تقضى لهم من ربهم بواسطتها وعن طريقها، حتى صاروا يذبحون عندها؛ لاستنزال المطر إذا تأخر المطر، معرضين عن كتاب الله وهدي رسول الله ﷺ الذي أمر بالتوبة والاستغفار والدعاء والصلاة طلبًا للسقيا، وقد ينزل المطر بعد ذبحهم؛ استدراجًا وابتلاء، ولكن عملهم لا يزال من أعمال الشياطين، ومعتقدات الجاهلية[1]، فإلى الله المشتكى.

---

(١) «الغلو في الدين» ص (١١١، ١١٢).

إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه دعا للتوحيد وحارب الشرك وأسبابه، فعلى محبيه ومتبعيه أن يأخذوا بأقواله وأفعاله التي ترشدنا للتمسك بالقرآن الكريم وهدي النبي عليه الصلاة والسلام، وما أحسن كلامه عندما قال: لا يرجون أحد إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه[١]، وقوله لأبي الهياج الأسدي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«ألاَّ تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته»**[٢].

(و) حرص أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على بطلان الاعتقاد بالكواكب:

لما أراد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يسافر لقتال الخوارج، عرض له منجم، فقال: يا أمير المؤمنين، لا تسافر؛ فإن القمر في العقرب، فإنك إن سافرت والقمر في العقرب هزم أصحابك - أو كما قال - فقال علي: بل أسافر ثقة بالله وتوكلا على الله وتكذيبًا لك، فسافر فبورك له في ذلك السفر فقتل عامة الخوارج[٣]، وجاء في رواية: ... فلما فرغ من النهروان حمد الله وأثنى عليه ثم قال: لو سرنا في الساعة التي أمرنا المنجم؛ لقال الجهال الذين لا يعلمون: سار في الساعة التي أمره بها المنجم فظفر[٤]. انظر إلى حرص أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على سلامة عقيدة أصحابه مما ادعاه المنجم من ذلك الاعتقاد الفاسد، فعلي رضي الله عنه مع ما كان فيه من الأمر المهم من قتال الخوارج، وانشغاله بنتيجة المعركة، فإنه لم ينسَ تلك الكلمة التي قالها ذلك المنجم له في بداية مسيره، فكان منه بيان فساد ذلك المعتقد في الوقت المناسب بعد انتهاء قتاله للخوارج وانتصاره عليهم[٥].

(ز) إحراق أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لمن غلوا فيه وادعوا فيه الألوهية:

عن عبد الله بن شريك العامري عن أبيه قال: قيل لعلي رضي الله عنه: إن هنا قومًا

---

(١) «الفتاوى» (٨/ ١٠١).
(٢) «مسلم» كتاب الجنائز (٢/ ٦٦٦).
(٣) «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ١٧٩)، و«البداية والنهاية» (٧/ ٢٨٨).
(٤) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٨٨).
(٥) «منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله» ص(٣٢٩).

على باب المسجد يدعون أنك ربهم، فدعاهم فقال لهم: ويلكم، ما تقولون؟! قالوا: أنت ربنا وخالقنا ورازقنا، فقال: ويلكم إنما أنا عبد مثلكم، آكل الطعام كما تأكلون، وأشرب كما تشربون، إن أطعت الله أثابني إن شاء، وإن عصيته خشيت أن يعذبني، فاتقوا الله وارجعوا، فأبوا فلما كان الغد غدوا عليه، فجاء قنبر، فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام، فقال: أدخلهم، فقالوا كذلك. فلما كان اليوم الثالث، قال: لئن قلتم ذلك لأقتلنكم بأخبث قتلة، فأبوا إلا ذلك، فخد لهم أخدودًا بين المسجد والقصر، وقال: إني طارحكم فيها أو ترجعوا، فأبوا أن يرجعوا، فقذف بهم فيها، حتى إذا احترقوا[١] قال:

إنِّي إذَا رَأَيْتُ أَمْرًا مُنْكَرًا
أوقَدْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ قُنْبرًا[٢]

كما أخرج البخاري في صحيحه خبر الإحراق من حديث عكرمة، قال: أتي علي ﷺ بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس ﷺ فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله ﷺ حيث قال: «**لا تعذبوا بعذاب الله**»، ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**»[٣]، وقال ابن تيمية: وثبت عنه أنه حرق غالبية الرافضة الذين اعتقدوا فيه الألوهية[٤].

لم ير ابن عباس ﷺ، رأي علي بن أبي طالب ﷺ في إحراق السبئية، حيث يقول: لو كنت أنا لم أحرقهم محتجًا عليه بنهي رسول الله ﷺ: «**لا تعذبوا بعذاب الله**» ولقوله ﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**»[٥]. قال ابن حجر: وهذا يحتمل أن ابن عباس ﷺ سمعه من رسول الله ﷺ، ويحتمل أن يكون سمعه من بعض الصحابة.

(١، ٢) «فتح الباري» (١٢/ ٢٧٠). وسنده حسن.
(٢) «فتح الباري» (١٢/ ٢٧٠)، وسنده حسن.
(٣) «البخاري»، كتاب المرتدين (٤/ ٢٧٩).
(٤) «الفتاوى» (٢٨/ ٤٧٤)، و«منهاج السنة» (٥/ ١٢).
(٥) «البخاري»، كتاب المرتدين (٤/ ٢٧٩).

وفي رواية أبي داود: فبلغ ذلك عليًّا رضي الله عنه، فقال: ويح أم ابن عباس[1]، وهذا يحتمل أنه لم يرض بما اعترض به ورأى أن النهي للتنزيه[2]. وقال ابن حجر أيضًا: (ويح) كلمة رحمة، فتوجع له لكونه حمل النهي على ظاهره، فاعتقد التحريم مطلقًا، فأنكره، ويحتمل أن يكون قالها رضا بما قال، وأنه حفظ ما نسيه بناء على أحد ما قيل في تفسير «ويح»، أنها تقال بمعنى المدح والتعجب[3]، وقال: واختلف السلف في التحريق، فكره ذلك عمر، وابن عباس رضي الله عنهما، وغيرهما مطلقًا سواء كان ذلك بسبب كفر، أو في حال مقاتلة، أو كان قصاصا، وأجازه علي، وخالد بن الوليد رضي الله عنهما وغيرهما، وقال المهلب: ليس هذا النهي على التحريم، بل على سبيل التواضع، ويدل على جواز التحريق فعل الصحابة، فقد سمل النبي صلى الله عليه وسلم أعين العرنيين بالحديد المحمى، وقد حرق أبو بكر رضي الله عنه البغاة بالنار بحضرة الصحابة، وحرق خالد بن الوليد بالنار ناسًا من أهل الردة، وأكثر علماء المدينة يجيزون تحريق الحصون والمراكب على أهليها، قاله الثوري، والأوزاعي، وقال ابن المنير وغيره: لا حجة فيما ذكر للجواز؛ لأن قصة العرنيين كانت إما قصاصا أو منسوخة كما تقدم وتجويز الصحابي معارض بمنع صحابي آخر، وقصة الحصون والمراكب مقيدة بالضرورة إلى ذلك إذا تعين طريقًا للعدو[4]، وقال ابن القيم: وحرق أبو بكر رضي الله عنه اللوطية وأذاقهم حر النار في الدنيا قبل الآخرة، وكذلك قال أصحابنا: إذا رأى الإمام تحريق اللوطي فله ذلك، فإن خالد بن الوليد رضي الله عنه كتب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه وجد في بعض نواحي العرب رجلا ينكح كما تنكح المرأة، فاستشار الصديق أصحاب رسول الله وفيهم علي بن أبي طالب وكان أشدهم قولا، فقال: إن هذا الذنب لم تعص به أمة من الأمم، إلا واحدة فصنع الله بهم ما قد علمتم، أرى أن يحرق بالنار، فكتب أبو بكر إلى خالد أن يحرقوا فحرقهم، ثم حرقهم عبدالله ابن الزبير في خلافته، ثم حرقهم هشام بن عبد الملك[5].

---

(١) «سنن أبي داود»، كتاب الحدود (٤/ ٥٢٠)، وصححه الألباني.
(٢) «فتح الباري» (١٢/ ٢٧١).
(٣) المصدر نفسه (١٢/ ٢٧٢).
(٤) «فتح الباري» (٦/ ١٥٠).
(٥) «الطرق الحكمية في السياسة الشرعية» ص(٢٢، ٢٣).

ح- كيفية بداية الإيمان في القلب عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وتعريفه للتقوى:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن الإيمان يبدو لمظة بيضاء في القلب، فكلما ازداد العبد إيمانا ازداد القلب بياضا، وكلما ازداد العبد نفاقًا ازداد القلب سوادًا، حتى إذا استكمل العبد النفاق أسود القلب، وايم الله لو شققتم عن قلب المؤمن لوجدتموه أبيض، ولو شققتم عن قلب المنافق والكافر لوجدتموه أسود(١).

وقد بين علماء أهل السنة حقيقة الإيمان فقالوا، بأن الإيمان هو التصديق بالقلب والنطق بالشهادتين والعمل بالجوارح والأركان أي هو: اعتقاد وقول وعمل، فهذه الثلاثة كلها مندرجة فيه وتمثل أجزاء من حقيقته، وقد تواترت أقوال العلماء ومن بعدهم على هذه الحقيقة واستدلوا بأدلة كثيرة من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية على صحة هذا القول في حقيقة الإيمان(٢)، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا**﴾ (الأنفال: ٢، ٤).

فقد جمعت هذه الآيات - وهي تعرض صفات المؤمنين - بين عمل القلب وعمل الجوارح، واعتبرت هذا كله إيمانا، وقصرت الإيمان عليه بأداة القصر والحصر (إنما) وعرفت المؤمنين بتلك الصفات مجتمعة، عندما ضمنتها بعبارة ﴿**أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا**﴾ وأعمال الجوارح في هذه الصفات هي: إقامة الصلاة والإنفاق في سبيل الله(٣).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»(٤). والشاهد في

---

(١) «الفتاوى» (٧/ ١٩١).
(٢) «في ظلال الإيمان» للخالدي ص (٢٣).
(٣) «تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين» ص (١٨٨).
(٤) «مسلم»، كتاب الإيمان (١/ ٦٣) رقم (٥٧).

الحديث ما ذكره رسول الله ﷺ ، فالشهادة قول وإماطة الأذى عن الطريق عمل، والحياء خلق وسلوك، وجعل الثلاثة من الإيمان دليل على حقيقته، ومعظم شعب الإيمان هي أعمال[١]، وقال الإمام البخاري في صحيحه: هو قول وفعل يزيد وينقص والحب في الله والبغض في الله من الإيمان. وقال عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه: إن للإيمان فرائض وشرائع وحدودًا وسننًا، فمن استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعِش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص[٢]، وما قاله أمير المؤمنين في الإيمان لما سئل عنه: الإيمان على أربع دعائم: على الصبر واليقين والعدل والجهاد، والصبر منها على أربع شعب: على الشوق والشفق والزهد والترقب، فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار اجتنب المحرمات ومن زهد في الدنيا استهان بالمصيبات، ومن ارتقب الموت سارع إلى الخيرات، واليقين منها على أربع شعب: على تبصرة الفطنة وتأول الحكمة، وموعظة العبرة وسنة الأولين. فمن تبصر في الفطنة تبينت له الحكمة ومن تبينت له الحكمة عرف العبرة، ومن عرف العبرة فكأنما كان في الأولين، والعدل منها على أربع شعب: على غائض الفهم، وغور العلم، وزهرة الحكم ورساخة الحلم، فمن فهم علم غور العلم، ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم، ومن حلم لم يفرط في أمره وعاش بين الناس حميدًا، والجهاد منها على أربع شعب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن وشنئان الفاسقين، فمن أمر بالمعروف شد ظهور المؤمنين، ومن نهى عن المنكر أرغم أنوف المنافقين، ومن صدق في المواطن قضى ما عليه ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وأرضاه يوم القيامة[٣].

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في تعريفه للتقوى: ترك الإصرار على المعصية، وترك الاغترار بالطاعة[٤]، وقال فيها: التقوى هي الخوف من

(١) «في ظلال الإيمان» ص (٣٠).
(٢) «البخاري»، كتاب الإيمان (١/ ٩).
(٣) «نهج البلاغة» ص (٦٦٧، ٦٦٨).
(٤) «تفسير الرازي» (٢/ ٢١).

الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل[(١)]، ففي اهتمام أمير المؤمنين في حث الناس على التقوى ثمرات وآثار في جانب الفرد والمجتمع؛ منها محبة الله له ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة:٤)، معية الله ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ (الآية:١٢٨)، الانتفاع بالقرآن ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة:٢)، الحفظ من الشيطان ووساوسه ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ (الأعراف:٢٠١)، انتفاء الخوف والحزن ﴿فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الأعراف:٣٥) قبول العمل ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة:٢٧) اليسر بعد العسر، والمخرج بعد الضيق ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ (الطلاق:٢). ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ (الطلاق:٤). الفراسة والحكمة والنور ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ (الأنفال:٢٩). دخول الجنة ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران:١٣٣). النجاة من النار ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ (مريم:٧٢). المنزلة العالية يوم القيامة[(٢)] ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾(البقرة:٢١٢).

ط- القضاء والقدر عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إنه لا يكون في الأرض شيء حتى يقضى في السماء، وليس من أحد إلا وقد وكل به ملكان يدفعان عنه ويكلانه، حتى يجيء قدره، فإذا جاء قدره خليا بينه وبين قدره، وإن عَلَيَّ من الله جنة حصينة، فإذا جاء أجلي كشف عني، وإنه لا يجد طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه[(٣)]، وقال رضي الله عنه: إن الأمر ينزل من السماء كقطر المطر لكل نفس ما كتب الله لها من زيادة أو نقصان في نفس أو أهل أو مال، فمن رأى نقصًا في نفسه أو أهله أو ماله، ورأى لغيره عثرة فلا

(١) «فرائد الكلام» ص (٣٣٤).
(٢) «سورة الحجرات دراسة تحليلية موضوعية» للعمري ص(٢٣٦، ٢٣٧).
(٣) «حياة الصحابة» (٦١٤/٢)، و «فرائد الكلام» ص (٣٤٨).

يكونن ذلك له فتنة، فإن المسلم ما لم يعش دنياه يظهر تخشعا لها إذا ذكرت، ويغري به لئام الناس، كالبائس العالم ينتظر أول فورة من قداحة توجب له المغنم، وتدفع عنه المغرم، فكذلك المسلم البريء من الخيانة بين إحدى الحسنيين، إذا ما دعا الله، فما عند الله خير له، إما أن يرزقه الله مالاً، فإذا هو ذو أهل ومال ومعه حسبه ودينه، وإما أن يعطيه الله في الآخرة، فالآخرة خير، وأبقى، الحرث حرثان، فحرث الدنيا والمال والتقوى، وحرث الآخرة الباقيات الصالحات، وقد يجمعها الله تعالى لأقوام[1].

ي- كيف يحاسب الله العباد على كثرة عددهم؟.

قيل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : كيف يحاسب الله العباد على كثرة عددهم؟ فقال: كما يرزقهم على كثرة عددهم[2].

ثانيًا: خطبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وتحليلها:

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يتعهد الرعية بالتوجيه والتعليم والتربية من خلال الاحتكاك اليومي وخصوصًا يوم الجمعة حيث كانت خطبة الجمعة من المنابر الهامة في توجيه الأمة وترشيدها، وقد حفظ التاريخ لأمير المؤمنين علي كثيرا من خطبه وهذه إشارات عبرت عن خطبه، وإليك هذا النموذج الفريد العجيب من خطبه حيث قال: أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت[3] بوداع، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع، وإن المضمار[4] اليوم، وغدًا السباق، ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل، فمن قصر في أيام أمله قبل حضور أجله؛ فقد خاب عمله ألا فاعملوا لله في الرغبة، كما تعملون له في الرهبة، وإنه لم أر كالجنة نام طالبها، ولم أر كالنار نام هاربها، وإنه من لم ينفعه الحق ضره الباطل، ومن لم يستقم به الهدى حاد به الضلال، ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن،

---

(١) «البداية والنهاية» (٨/ ٨)، و«فرائد الكلام» ص (٣٤٣).

(٢) «أدب الدنيا والدين» ص(٢٦)، و«فرائد الكلام» ص (٣٣٩).

(٣) أذنت: أعلمت.

(٤) المضمار: الموضع الذي تضمر فيه الخيل للسباق.

ودللتم على الزاد، ألا أيها الناس إنما الدنيا عرض حاضر، يأكل منها البر والفاجر، وإن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر، ألا إن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرة منه وفضلا، والله واسع عليم: أيها الناس، أحسنوا في أعماركم تحفظوا في أعقابكم، فإن الله وعد جنته من أطاعه، وأوعد ناره من عصاه، إنها نار لا يهدأ زفيرها، ولا يفك أسيرها، ولا يجبر كسيرها، حرها شديد، وقعرها بعيد، وماؤها صديد(١). ولو تأملنا في المقطع السابق لوجدنا أن عوامل التأثير في المدعوين تتمثل فيما يلي:

١- صدق اللهجة النابع من إيمانه بما يدعو إليه، مما يجعل كلماته كأنها قبس من نفسه المشتعلة، وصورة من عواطفه المنفعلة، فهو لا يكاد ينطق بالجملة حتى تكون أسماعهم قد تلقفتها، وقلوبهم قد وعتها.

٢- تمتاز الألفاظ بالقوة، مع سهولتها وعذوبتها وسلاستها، كما أن عبارتها واضحة، وجملتها قصيرة ولعل ذلك يسعف السامعين بإدراك المعنى المراد.

٣- المقابلة بين المعاني المتضادة مما يزيد المعنى وضوحًا، والسامع تأثرًا، ومن ذلك مثلا: قوله: فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع.. وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع وقوله: وإنه لم أر كالجنة نام طالبها.. ولا كالنار نام هاربها.

٤- الاقتباس من القرآن الكريم، كما في قوله: ألا إن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً، والله واسع عليم، ذلك مقتبس(٢)، من قوله تعالى: ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ (البقرة:٢٦٨).

٥- لقد كانت عناصر الخطبة المذكورة تتمثل في التأثر الشديد بالقرآن الكريم وبكلام الرسول ﷺ، وواقعيتها واتصالها الحميم بالحياة البشرية، وعمق المعاني وسموها وشمولها، والإجادة في تخير الألفاظ وبناء العبارة، والإيجاز، والتعبير عن المعاني والألفاظ بالصور، واعتماد الوسائل البديعية، وغاية القول، فإن هذه

(١) «البداية والنهاية» (٨/٧).

(٢) «منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله».

الخطبة تكتسب أهمية خاصة لما تتكشف عنه من مزايا دينية وأدبية وشخصية، فهي عميقة الدلالة على شخصية صاحبها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تنبئ عن إدراكه السليم للمفاهيم والآراء الإسلامية السديدة التي تتناول طبيعة الدنيا وغاية الوجود البشري والمصير الذي ينتهي إليه، وتوضع النتائج التي توصل إليها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في هذا الخصوص وتدلنا على ما كان يتحلى به من حكمة نافذة ورؤيا معمقة يرفدها صفاء ذهنه وطهارة روحه، إلى غير ذلك من المزايا العقلية والروحية العالية التي أفاضها عليه إيمانه، وتقاه وتمسكه بعرى الإسلام واعتصامه بربه ورضاه بقضائه، إن هذا كله قد ساعده في الوصول بالنثر الفني إلى هذا المستوى الرفيع، فكان بحق في عالم الأدب فارس الكلمة وقائدها وإمامها تمامًا، كما كان في الناس إمامًا عادلاً زاهدًا، وقائدًا حكيمًا مجربًا، وفارس حرب لا يبارى[1].

هذا وقد اهتم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بانتهاز المناسبات في وعظ الناس وتذكيرهم ولم يكتف بخطب الجمعة فقط، فعندما شيع جنازة ووضعت في لحدها وعج[2] أهلها وبكوا قال: ما تكون؟ أما والله لو عاينوا ما عاين ميتهم، لأذهلتهم معاينتهم عن ميتهم؛ وإن له فيهم لعودة ثم عودة، ثم لا يبقي منهم أحدًا.. فاتقوا الله عباد الله، وجدوا في الطلب، وبادروا بالعمل مقطع النهمات، وهادم اللذات؛ فإن الدنيا لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجائعها، غرور حائل، وسناد مائل، اتعظوا عباد الله بالعبر، واعتبروا بالآيات والأثر، وازدجروا بالنذر، وانتفعوا بالمواعظ، فكأن قد علقتكم مخالب المنية، وضمكم بيت التراب، ودهمتكم مقطعات الأمور بنفخة الصور، وبعثرة القبور وسياقة المحشر، وموقف الحساب، بإحاطة قدرة الجبار، لكل نفس معلم، سائق يسوقها لمحشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٦٩).

---

(١) «الأدب العربي»، لحبيب يوسف مغنية ص (٣٥٤) إلى (٣٦٣).

(٢) العج: رفع الصوت، «الصحاح» للجوهري (١/ ٣٢٧).

فـارتجت لذلك اليـوم البلاد، وناد المـناد، وكان يوم التـلاق، وكـشف عن ساق، وكـسفت الشـمس، وحشـرت الوحوش، مكـان مواطن الحشـر، وبدت الأسرار، وهلكت الأشرار وارتجت الأفئدة(١).

ونستنتج من هذه الموعظة بعض عوامل التأثير منها:

١- وقوع الموعظة في مناسـبتها، فـإن الموعظة كانت بمناسبة تشـييع جنازة، والنفوس في هذه الحال تكون مستعدة لتلقي ما تذكر به في الموت والدار الآخرة.

٢- الصياغة الـبلاغية للموعظة، فمـواعظ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه تتميز بأسلوبـها البلاغي المؤثر في نفوس المدعوين، فمن الجـوانب البلاغية في النموذج المذكور ما يلي:

أ - الاستـعارة مثل قـوله: فكأن قد علقـتكم مخالب المنـية. تشبـيه الموت (المنية) بحـيوان مفترس، له مـخالب، فحذف المشـبه به وأبقى شيئـا من لوازمه وصفاته وهو المخالب.

ب - السجع العفوي غير المتكلف مثل قوله: فإن الدنيا لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجائعها، غرور حائل، وسند مائل.

ج- الصيغ الإنشـائية(٢)، وهي مبـثوثة في الخطبـة كلها منهـا: ما تبكون؟ استـفهـام. . (اتعظوا عباد الله بالـعبر) نداء. . (اتعظوا، اعـتبـروا، وازدجروا، وانتفعوا)، كل هذا على سبيل الأمر .

د- جزالة الألفاظ، لعل أي جزء من الخطبة يكون شاهداً عليها؛ لأن الخطبة كلها لا خلل فيها ولا ضعف.

٣- اعتماد المضمون على القرآن الكريم وانتهاجه منهجه في الإرشاد والإقناع، كقوله: «لكل نفس مُعلم، سـائق يسوقها لمحشرها، وشاهد يشهد عـليها بعملها» اعتماداً على قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (ق: ٢١).

---

(١) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (١/ ٧٨)، و«صفة الصفوة» (١/ ٣٢٨).

(٢) الكلام الذي لا يحتمل التصديق والتكذيب.

٤- الترهيب بذكر أهوال يوم القيامة، كقوله: ودهتكم مقطعات الأمور بنفخة الصور، وبعثرة القبور، وسياقة المحشر، وموقف الحساب بإحاطة قدرة الجبار.

٥- الإقناع ومن ذلك قوله: كم مرضت بيديك وعللت بكفيك، ممن تطلب له الشفاء وتستوصف له الأطباء.. للإقناع بحصول الموت، والارتحال عن الدنيا والقدوم على الآخرة، وأنه لا مهرب ولا فكاك.

٦- استحضار الصورة، وذلك لتعبيره بالفعل الماضي عما سيحدث في المستقبل، حتى يتصور السامع هذا الأمر الذي ينتظره، ومن ذلك قوله: فكأن قد علقتكم مخالب المنية، وضمكم بيت التراب، ودهمتكم مقطعات الأمور.

٧- لطف العبارة بحيث تستهوي السامعين ولا تنفرهم[1]، فهذه بعض النماذج من خطب ومواعظ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والتي انتشرت بين الناس وساهمت في تربيتهم وتهذيب نفوسهم، وتطهير قلوبهم، وكان مفعولها ساري في جيله والأجيال التي بعده إلى يومنا هذا.

ثالثًا: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه والشعر:

يظهر من الأخبار التي وصلتنا أن الحركة الشعرية في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، كانت نشطة، ومعروف أن كتب الأدب لمْ تعتمد في الأسانيد على الموثوقين من الرواة، ولكنها تكون المصدر الوحيد للأخبار الأدبية والنقدية التي تتصل بالخلفاء الراشدين، والصحابة بعامة، والتابعين بإحسان ما عدا بعض الأراجيز التي كانت تردد في العهد النبوي وروتها كتب الحديث الشريف[2]، فالمراجع فيما يتعلق بالشعر، والشعراء في عهد أمير المؤمنين علي هي كتب الأدب والأدباء، فهي غنية في هذا الجانب، ولا يختلف موقف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من الشعر عن مواقف الراشدين الذين سبقوه إلى سدنة الخلافة، فكلهم

---

(١) «منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله» ص (١٤٥).
(٢) «المدينة النبوية فجر الإسلام» (٢/٩٨).

يستقون من كتاب الله وسنة رسوله، فهو يستمع إلى الشعراء ينشدون بين يديه ما يطيب له أن يسمعه من صادق القول ورفيع المعاني، وكان يعطي على الشعر إذا استساغه وأعجبه، كما مر معنا عندما قال الأعرابي:

كَسَوْتَنِي حُلَّةً تبْلى مَحَاسِنُها فَسَوْفَ
أَكْسُوكَ من حُسْنِ الثَّنَا حُللاً[١]

ولعلي آراء نقدية راقية في الشعر، ما زالت معايير يعتمدها النقاد في عصرنا الحاضر، فهو يقول: الشعر ميزان القول[٢]، أي أن للشعر خصائص فنية يعرف بها صحيح القول من سقيمه في مقاييس أهل هذا الفن الكلامي، وإن خالف في أغراضه قيم قوم آخرين[٣]، وأما أمير المؤمنين الشاعر، فقد اختلف في كثير مما ينسب إليه من شعر، وهذا الاختلاف لا يقلل من شاعريته المتمثلة فيما رجحت نسبته إليه، ولا يقدم ولا يؤخر في إمامته اللغوية والأدبية، ولكن يبدو للباحث أن الشعر لم يكن غاية عنده، كما أن سيرته السياسية وما رافقها من أحداث جسام لم تكن لتسمح له بالالتفات إلى صناعة الشعر وروايته، واصطياد المعاني الجميلة واختيار القوافي الرنانة المؤثرة، ومع ذلك فقد اشتهر له شعر كثير، ونسب إليه ديوان شعر يشتمل على العديد من القصائد والمقطوعات، فيه الكثير من الأقوال المرتجلة والآراء السديدة السامية، وكان أول من شكك في نسبة بعض القصائد إليه ابن هشام، فقد روى أن عليًّا كان يرتجز في أثناء بناء مسجد الرسول في المدينة:

لا يَسْتَوِي مَنْ يَعْمُرُ الْمَسْجِدَا
يَدْأَبُ فِيهِ قَائِمًا وَقَاعِدَا
ومن يُرى عن الغُبَارِ حَائِدَا[٤]

ويعقب ابن هشام قائلا: سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر عن هذا

---

(١) «العمدة» لابن رشيق (١/ ١٦).
(٢) «العمدة» لابن رشيق (١/ ١٤).
(٣) «الأدب الإسلامي»، لنايف معروف ص (١٩٢).
(٤) «سيرة ابن هشام» (١/ ٤٩٧).

الرجز، فقالوا: بلغنا أن عليًّا بن أبي طالب ارتجز به، ثم يقول: فلا يدري أهو قائله أم غيره؟[١]، وفي موضع آخر يقول ابن هشام: وقد روى ابن إسحاق ثلاث قصائد منسوبة لعلي، ولم تصح له، ويرجح أنها قيلت في المعارك الإسلامية من قبل أحد المسلمين، وقد نظروا إلى معانيها الدينية فرأى الرواة أنها تتناسب وعليًّا فنسبوها له وأما الديوان الذي نسب إليه فيرى الدكتور نايف معروف أن أمير المؤمنين عليًّا بفصاحته المعهوده وبلاغته المشهورة، هو أرفع مستوى من مجموع هذا الديوان، ويغلب على الظن أنه خليط لشعراء من مستويات متفاوتة قام بجمعها بعض محبيه الذين عز عليهم ألا يكون شاعرًا، ظنًّا منهم أن ذلك يرفع من قدره عند الناس، علما بأن عليًّا لم يكن من بين شعراء الرسول ﷺ الذين تولوا الرد على الحملة الدعائية التي شنها شعراء المشركين على الإسلام والمسلمين[٢]، ولكن الأمر لم يصل إلى حد الرواية التي نقلها ياقوت الحموي عن أبي عثمان المازني، حينما يزعم أنه لم يصح أن عليًّا تكلم من الشعر بشيء غير بيتين[٣]، فهناك روايات عديدة جاءت تخالف هذا القول، إذ أثبت له الرواة عددا من المقطوعات التي صحت نسبتها إليه عندهم[٤]، ومن الأشعار التي نسبت إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

١- في الفرج والشدة:

إِذَا اشْتَمَلَتْ عَلَى النَّاسِ القُلُوبُ
وَضَاقَ بِمَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ
وَأَوْطَنَتْ المَكَارِهُ وَاطْمَأَنَّتْ
وَأَرْسَتْ فِي أَمَاكِنِهَا الخُطُوبُ[٥]

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٤٩٧).
(٢) «الأدب في الإسلام»، د. نايف معروف ص(١٩٥) .
(٣) «معجم الأدباء»، لياقوت (٥/ ٢٦٣).
(٤) «الأدب في الإسلام» ص(١٩٥) .
(٥) الخطوب: الأمور العظيمة.

وَلَمْ تَرَ لانكِشَافِ الضُّرِّ وَجْهًا
ولا أَغْنَى بِحِيلَتِهِ الأَرِيبُ[١]
أَتَاكَ عَلَى قُنُوطٍ منك غَوْثٌ
يَمُن به القَرِيبُ المستجيبُ[٢]
وَكُلُّ الحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ
فَمَوْصُولٌ بِهَا الفَرَجُ القَرِيبُ[٣]

٢- في الصبر:

ألا فَاصْبِرْ عَلَى الحَدَثِ الجَلِيلِ
وداوِ جَوَاك بالصَّبْرِ الجَمِيلِ[٤]
ولا تَجْزَعْ فَإِنْ أَعْسَرْتَ يومًا
فَقَدْ أَيسَرْتَ في الدَّهْرِ الطَّوِيلِ
ولا تَظُنَّنَّ بِرَبِّكَ ظَنَّ سُوءٍ
فَإِنَّ الله أَوْلَى بالجَمِيلِ
فَإِنَّ العُسْرَ يَتْبَعُهُ يَسَارٌ
وقَوْلُ الله أَصْدَقُ كُل قِيلِ
فلَوْ أَنَّ العُقُولَ تُجْرِ رِزْقًا
لَكَانَ الرِّزْقُ عِنْدَ ذَوِي العُقُولِ
فَكَمْ من مُؤْمِنٍ قَدْ جَاعَ يَوْمًا
سَيُرْوَى مِنْ رَحِيقِ السَّلْسَبِيلِ[٥]

---

(١) الأريب: العاقل.
(٢) «البداية والنهاية» (٨/ ١٠).
(٣) «البداية والنهاية» (٨/ ١٠).
(٤) الجوى: الشوق.
(٥) «البداية والنهاية» (٨/ ١١).

٣- في حرص الناس على الدنيا:

لِلنَّاسِ حِرْصٌ عَلَى الدُّنْيَا وَتَدْبِيرٌ
وفي مُرَادِ الهَوَى عَقْلٌ وتَشْمِيرُ
وإِنْ أَتَوا طَاعَةَ اللهِ رَبِّهِمْ
فالعَقْلُ مِنْهُم على الطَّاعَاتِ مَأْسُورُ
لأَجْلِ هَذَا وذَاكَ الحِرْصِ قَدْ مَزَجَتْ
صَفَاءَ عِيشَاتِها هَمٌّ وتَكْدِيرُ
لَمْ يُرْزَقُوهَا بِعَقْلٍ عِنْدَمَا قُسِمَتْ
لكنهم رُزِقُوهَا بالمَقَادِيرِ
كَمْ مِنْ أَدِيبٍ لَبِيبٍ لا تُسَاعِدُهُ
ومَائِقٍ نَالَ دُنْيَاهُ بِتَقْصِيرِ
لَو كَانَ عَن قُوَّةٍ أو عَنْ مُغَالَبَةٍ
طَارَ البُزَاةُ بِأَرْزَاقِ العَصَافِيرِ [١]

٤- في الصداقة:

فَلا تَصْحَبْ أَخَا الجَهْلِ
وَإِيَّاكَ وإِيَّاهُ
فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَرْدَى
حَلِيمًا حِينَ أَخَاهُ
يُقَاسُ الْمَرْءُ بالمَرْءِ
إِذَا مَا هُوَ مَا شَاهُ

---

(١) «البداية والنهاية» (٨/ ١١).

وَلِلشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ
مَقَايِيسٌ وَأَشْبَاهُ
قِيَاسُ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ
إِذَا مَا هُوَ حَاذَاهُ
وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ
دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ (١)

٥- في التواضع والقناعة:

حَقِيقٌ بِالتَّوَاضُعِ مَنْ يَمُوتُ
وَيَكْفِي المَرْءَ مِن دُنْيَاهُ قُوتُ
فَمَا لِلْمَرْءِ يُصْبِحُ ذَا هُمُومٍ
وَحِرْصٍ لَيْسَ تُدْرِكُهُ النُّعُوتُ
صَنِيعُ مَلِيكِنَا حَسَنٌ جَمِيلٌ
وَمَا أَرْزَاقُهُ عَنَّا تَفُوتُ
فَيَا هَذَا سَتَرْحَلُ عَنْ قَلِيلٍ
إِلَى قَوْمٍ كَلامُهُمُ السُّكُوتُ(٢)

٦- في السر وكتمانه:

وَلا تُفْشِ سِرَّكَ إِلا إِلَيْكَ
فَإِنَّ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحًا
فَإِنِّي رَأَيْتُ غُوَاةَ الرِّجَالِ
لا يَتْرُكُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا(٣)

(١، ٢) «البداية والنهاية» (٨/ ١٢).

(٣) «عيون الأخبار» لابن قتيبة (١/ ٩٧).

رابعًا: من حكم أمير المؤمنين علي التي سارت بين الناس:

تهيأ لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه مجموعة من الأسباب من سرعة البديهة، وذلاقة اللسان، ورجحان العقل، وطهارة القلب، وصفاء النفس وعمق الإيمان، والتضلع في الدين والقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلقي الوحي عنه، ما مكنه من فصاحة اللسان، وجودة البيان، فأصبحت كلماته دررًا، وجمله حكمًا أعجبت ذوي العقول، فهي لأهل البلاغة مطلب، ولأهل الهداية مغنم، ففيها حث لهم على فضائل الأعمال، وجميل الخصال وأصبحت حكمه الجميلة مادة قيمة في مجال دعوة الناس وتعليمهم، وتهذيب نفوسهم وتنوير عقولهم، وإحياء قلوبهم، لما فيها من جودة التعبير، ووضوح المعاني، وعمق التفكير، وفوق ذلك فهي تنبع من قلب تقي، وصدر نقي[1]، ومن هذه الحكم على سبيل المثال ما يلي:

١- صلاة الليل بهاء في النهار[2]. قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا**﴾ (الفرقان: ٦٤) وقال أيضًا في قيام الليل: «نور المؤمن من قيام الليل»[3].

٢- صلاح الدين من الورع وفساده من الطمع[4].

٣- طوبى لمن عمل بعلمه[5].

٤- الفرصة تمر مر السحاب[6].

٥- قسوة القلب من الشبع[7].

٦- الشرف بالفضل والأدب، لا بالأصل والنسب[8].

٧- جمال الخلق أبهى من جمال الخلق[9].

٨- في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق[10].

---

(١) «منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله» ص (٢٧٥).
(٢ ، ٣) «نثر اللآلي»مخطوطة نقلاً عن «منهج علي بن أبي طالب» ص (٢٧٦).
(٤) «نثر اللآلئ»مخطوطة نقلا عن «منهج علي بن أبي طالب» (٢٧٦).
(٥) المرجع السابق ص (٢٧٧) . (٦) المرجع السابق ص (٢٧٧). (٧) المرجع السابق ص (٢٧٨).
(٨) «الإعجاز والإيجاز» للثعالبي ص (٣٠)، نقلاً عن «منهج علي بن أبي طالب» ص(٢٢٦).
(٩ ، ١٠) «نثر اللآلئ» مخطوطة، نقلاً عن «منهج علي بن أبي طالب» ص (٢٢٨).

٩- المعروف كنز من أفضل الكنوز[1].

اجتمع عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه جماعة فتذاكروا المعروف، فانتهز أمير المؤمنين هذا الحديث لترغيبهم فيه وحثهم عليه فقال: المعروف كنز من أفضل الكنوز، وزرع من أزكى الزروع، فلا يزهدنكم في المعروف كفر من كفره، وجحد من جحده، فإن من يشكرك عليه ممن لم يصل إليه منه شيء أعظم مما ناله أهله منه، فلا تلتمس من غيرك ما أسديت إلى نفسك، إن المعروف لا يتم إلا بثلاث خصال تصغيره، وستره، وتعجيله، فإذا أصغرته فقط عظمته، وإذا سترته فقد أتممته، وإذا عجلته فقد هنأته[2].

١٠- لا شرف مع سوء الأدب[3].

١١- لا راحة لحسود[4].

١٢- الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له[5].

١٣- ويل للباغين من أحكم الحاكمين[6].

١٤- من سل سيف البغي قتل به[7].

١٥- للظالم البادي -غدا- بكفه عظة[8].

وهذا الترهيب مستفاد من قوله: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ (الفرقان: ٢٧).

١٦- إخفاء الشدائد من المروءة[9].

---

(١) «تاريخ اليعقوبي» (٢/ ٢١٠) و«منهج علي بن أبي طالب» ص (٢٣٠).

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٢١٠)، والمصدر نفسه ص (٢٣٠).

(٣) «الإعجاز والايجاز» للثعالبي ص (٢٨).

(٤) «مطلوب كل طالب من كلمات علي بن أبي طالب» مخطوطة نقلاً عن «منهج علي» ص (٢٣٤).

(٥) «الإعجاز والإيجاز» للثعالبي ص (٢٩)، و«منهج علي بن أبي طالب» (٢٣٥).

(٦) «الإعجاز والإيجاز» للثعالبي ص (٣٥)، و«منهج علي بن أبي طالب»(٢٣٥).

(٧) «منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله» ص (٢٣٥).

(٨) المصدر نفسه ص (٢٣٦).

(٩) المروءة: هي كمال الرجولة، «منهج علي بن أبي طالب» ص (٢٤٣).

١٧- أحسن إلى المسيء تسده[١] .

١٨- الإحسان يقطع اللسان[٢] .

١٩- من عذب لسانه كثر إخوانه[٣] .

٢٠- من قل صدقه ، قل صديقه[٤] .

٢١- لسانك يقتضيك ما عودته[٥] .

٢٢- من طلب ما لا يعنيه فاته ما يعنيه[٦] .

٢٣- صاحب الأخيار تأمن الأشرار[٧] .

٢٤- جليس الخير غيمة[٨] .

٢٥- صحبة الأحمق نقصان في الدنيا ، وحسرة في الآخرة[٩] .

٢٦- كفى أدبًا لنفسك ما كرهته لغيرك[١٠] .

٢٧- لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال[١١] .

٢٨- خير الناس من ينفع الناس[١٢] .

٢٩- المرء مخبوء تحت لسانه[١٣] .

٣٠- اللسان معيار أطاشه الجهل وأرجحه العقل[١٤] .

٣١- أخوك من واساك في الشدة[١٥] .

---

(١) «نثر اللآلئ من كلام علي بن أبي طالب»، نقلاً عن «منهج علي بن أبي طالب» ص (٢٤٥) .

(٢) «مطلوب كل طالب في شرح كلمات علي بن أبي طالب » نقلاً عن «منهج علي» ص (٢٤٦) .

(٣) ، (٤) المصدر نفسه ص (٢٤٧) . (٥) المصدر نفسه ص (٢٤٨) .

(٦) «الإعجاز والإيجاز» للثعالبي ص (٢٩) المرجع السابق ص(٢٤٩) .

(٧) «نثر الآلئ من كلام علي بن أبي طالب» والمرجع السابق ص(٢٤٩) .

(٨،٩) «نثر اللآلئ من كلام علي بن أبي طالب» والمرجع السابق ص(٢٤٩) . (١٠) المرجع السابق ص (٢٥٠) .

(١١) «نثر اللآلئ من كلام علي بن أبي طالب» والمرجع السابق ص (٢٥٠) . (١٢) المصدر السابق ص (٢٥١) .

(١٣) المصدر السابق ص (٢٥٢) . (١٤) «أدب الدنيا والدين» (٢٦٥) .

(١٥) «منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله» ص (٢٥٣) .

٣٢- قيمة كل امرئ ما يحسنه .

٣٣- احذر صولة الكريم إذا جاع، وصولة اللئيم إذا شبع .

٣٤- النفس مؤثرة للهوى، آخذة بالهويني، جامعة إلى اللهو، أمارة بالسوء، مستوطنة للفجور، طالبة للراحة، نافرة عن العمل، فإن أكرهتها أنضيتها، وإن أهملتها أرديتها[١].

٣٥- العجز آفة، والصبر شجاعة، والزهد ثروة، والورع جنة.

٣٦- لا تكن عبد غيرك، وقد جعلك الله حرًّا .

٣٧- إياك والاتكال على المنى، فإنها بضائع النوكى[٢].

٣٨- الناس نيام، إذا ماتوا انتبهوا .

٣٩- الناس أعداء ما جهلوا .

٤٠- ما هلك امرؤ عرف قدره .

٤١- رب كلمة سلبت نعمة .

٤٢- الآداب حلل مجددة والفكر مرآة صافية .

٤٣- الفقر يخرس الفطن عن حجته، والمقل غريب في بلدته

٤٤- إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه[٣].

٤٥- اجمعوا هذه القلوب، والتمسوا لها طرف الحكمة، فإنها تمل كما تمل الأبدان[٤].

٤٦- بشاشة الوجه عطية ثانية[٥].

---

(١) «المرتضى» للندوي ص (٢٠١).

(٢) النوكى: الحمق.

(٣) «المرتضى» للندوي ص (٢٠٢).

(٤) «المرتضى» للندوي ص (٢٠١).

(٥) «نثر اللآلئ في كلام علي بن أبي طالب» نقلاً عن «منهج علي بن أبي طالب» (٢٣٨)

٤٧- العفو عند المقدرة شكر للمقدرة[١].

٤٨- إعادة الاعتذار تذكير للذنب[٢].

٤٩- أبلغ العظات النظر إلى الأموات[٣].

٥٠- ذكر الموت جلاء القلوب[٤].

فهذه بعض الحكم لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه التي سارت بين الناس، والتي لخصت كثيرا من تجاربه في الحياة في عبارات موجزة، غزيرة المعاني، والغايات والأهداف والمقاصد كان لها تأثير في حياة المجتمع الذي عاش فيه والمجتمعات المتلاحقة من بعده إلى يومنا هذا، لقد كانت الحكم، والخطب والأشعار والمواعظ من وسائل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في توجيه وترشيد وتعليم المجتمع الإسلامي.

خامسًا: حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن صفات خيار العباد، وعن تطوع النبي صلى الله عليه وسلم، ووصف الصحابة الكرام.

١- صفات خيار العباد:

سئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن خيار العباد فقال: الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساؤوا استغفروا، وإذا ابتلوا صبروا، وإذا غضبوا غفروا[٥]، وقال: ألا وإن لله عبادًا كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلدين، وأهل النار في النار معذبين.. شرورهم مأمونة، وقلوبهم محزونة، أنفسهم عفيفة وحوائجهم خفيفة، صبروا أيامًا قليلة لعقبى راحة طويلة، إذا رأيتهم في الليل، رأيتهم صافين أقدامهم تجري دموعهم على خدودهم، يجأرون إلى الله في فكاك

---

(١) «مطلوب كل طالب» نقلاً عن «منهج علي بن أبي طالب» ص (٢٣٩).

(٢) «الإعجاز والإيجاز» للثعالبي ص (٢٩) نقلاً عن «علي بن أبي طالب» ص(٢٣٩).

(٣) «نثر اللآلئ» نقلاً عن «منهج علي بن أبي طالب» ص (١٤٨).

(٤) «منهج علي بن أبي طالب» ص(١٤٩).

(٥) «مروج الذهب» (٢/٤٣١).

رقابهم، وأما نهارهم ففضلاء حلماء بررة أتقياء، كأنهم القداح، ينظر إليهم الناظر فيقول: مرض وما بهم من مرض، وخولطوا، ولقد خالط القوم أمر عظيم[١]، وقال: ينبغي للمؤمن أن يكون نظره عبرة، وسكوته فكرة، وكلامه حكمة[٢]، وقال: طوبى لكل عبد نومه[٣]، عرف الناس، ولم يعرفه الناس، عرف الله برضوان، أولئك مصابيح الهدى، يكشف الله عنهم كل فتنة مظلمة، سيدخلهم الله في رحمة منه ليسوا بالمذاييع[٤]، البذر[٥]، ولا الجفاة[٦] المرائين[٧]، وكلام أمير المؤمنين علي فيه تأثر واضح بقول رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي**»[٨].

٢- إجابته لمن سأل عن تطوع النبي ﷺ: عن عاصم بن ضمرة قال: سألنا عليًّا عن تطوع النبي ﷺ بالنهار فقال: إنكم لا تطيقونه. قال: قلنا ما أطقنا. قال: كان النبي ﷺ إذا صلى الفجر أمهل، حتى إذا كانت الشمس من ههنا، يعني من قبل المشرق، مقدارها من صلاة العصر من ههنا من قبل المغرب قام فصلى ركعتين، ثم يمهل حتى إذا كانت الشمس من ههنا يعني من قبل المشرق مقدارها من صلاة الظهر من ههنا، يعني من قبل المغرب قام فصلى أربعا، وأربعا قبل الظهر إذا زالت الشمس، وركعتين بعدها، وأربعا قبل العصر، يفصل بين كل ركعتين بالتسليم على الملائكة المقربين، والنبيين، ومن تبعهم من المؤمنين والمسلمين، قال: قال علي: تلك ست عشرة ركعة تطوع النبي ﷺ بالنهار، وقل من يداوم عليها[٩]، وقد بين أمير المؤمنين في موضع آخر هدي رسول الله ﷺ في الوتر فقال: أوتر رسول الله ﷺ من أول الليل وآخره وأوسطه

---

(١) «البداية والنهاية» (٨/ ٦). (٢) «مروج الذهب» (٢/ ٤٣٤).

(٣) الخامل الذكر الذي لا يؤبه له، وقيل: الغامض في الناس الذي لا يعرف الشر وأهله.

(٤) المذاييع: جمع مذياع، من أذاع الشيء إذا أمشاه والمذايع: الذي لا يكتم السر.

(٥) البذر: جمع بذور وهو الذي يفشي الكلام بين الناس. (٦) الجفاء: غلظ الطبع.

(٧) «صفة الصفوة» (١/ ٣٢٥).

(٨) «المسند» (١/ ١٦٨) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، و«مسلم» (٤/ ٢٢٧٧).

(٩) «مسند أحمد» (٢/ ٦٢) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

فانتهى وتره إلى السحر[١]، وفي بيان هدي النبي ﷺ بعد صلاته، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كان النبي ﷺ إذا سلم من الصلاة قال: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت»[٢].

٣- وصف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه للصحابة الكرام:

لما أحس أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه من أصحابه شيئًا من الغفلة وقلة النشاط في الطاعة، ذكرهم بشيء من سيرة أسلافهم أصحاب رسول الله ﷺ فيما رواه أبو أراكه بقوله: صليت مع علي صلاة الفجر، فلما انفلت عن يمينه مكث كأن عليه كآبة، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح صلى ركعتين ثم قلب يده فقال: والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى اليوم شيئا يشبههم، لقد كانوا يصبحون صفرًا شعثًا غبرًا بين أعينهم أمثال رُكَب المعْزَى، قد باتوا لله سجدًا وقيامًا، يتلون كتاب الله، يتراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما تميد الشجر في يوم الريح.

وهملت أعينهم حتى ابتلت ثيابهم، والله لكأن القوم باتوا غافلين، ثم نهض فما رئي بعد ذلك مفترًا يضحك حتى قتله ابن ملجم عدو الله الفاسق[٣].

٤. تنبيه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أصحابه على فضائل الأعمال:

مما ورد له في خطبة قوله: أوصيكم بتقوى الله فإن أفضل ما توسل به العبد الإيمان والجهاد في سبيله، وكلمة الإخلاص فإنها الفطرة، وإقام الصلاة فإنها الملة وإيتاء الزكاة فإنها فريضة، وصوم شهر رمضان فإنه جنة من عذابه، وحج البيت فإنه منفاة مدحضة للذنب، وصلة الرحم فإنها منسأة في الأجل، محبة في الأهل، وصدقة السر فإنها تكفر الخطيئة، وتطفئ غضب الرب، وصنع المعروف،

(١) «مسند أحمد» (٢ / ٦٤) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.
(٢) «صحيح سنن أبي داود» (١/ ٢٨٣) للألباني.
(٣) «حلية الأولياء» (١/ ٧٦).

فإنه يدفع ميتة السوء، ويقي مصارع الهول، أفيضوا في ذكر الله فإنه أحسن الذكر(١).

٥ـ معايدة المريض:

عن ثوير بن أبي فاختة عن أبيه قال: أخذ علي بيدي، قال: انطلق بنا إلى الحسن نعوده، فوجدنا عنده أبا موسى فقال علي رضي الله عنه: أعائدًا جئت يا أبا موسى أم زائرًا؟ قال: لا بل عائدًا، فقال علي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**ما من مسلم يعود مسلمًا غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك، حتى يمسي، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح**»(٢).

٦ـ تشجيعه لابنه الحسن على الخطابة:

قال أمير المؤمنين علي لابنه الحسن يومًا: يا بني ألا تخطب حتى أسمعك؟ فقال: إني أستحي أن أخطب وأنا أراك، فذهب علي حيث لا يراه الحسن، ثم قام الحسن في الناس خطيبًا، وعلي يسمع فأدى خطبة بليغة فصيحة، فلما انصرف جعل علي يقول: ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم(٣).

٧ـ إني لست كما تقول:

قال عمرو بن مُرَّة، عن أبي البختري قال: جاء رجل إلى عليّ فأثنى عليه، وكان قد بلغه عنه أمر، فقال: إنّي لست كما تقول، وأنا فوق ما في نفسك(٤).

٨ـ التحذير من الانقياد للشهوات:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: إياكم وتحكيم الشهوات على أنفسكم؛ فإن عاجلها ذميم، وآجلها وخيم، فإن لم ترها تنقاد بالتحذير والإرهاب، فسوّفها بالتأميل والإرغاب، فإن الرغبة والرهبة إذا اجتمعا على النفس ذلت لهما وانقادت(٥).

---

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ٣١٩).

(٢) «صحيح سنن الترمذي» للألباني (١/ ٢٨٦).

(٣) «البداية والنهاية» (٨/ ٣٧).

(٤) «تاريخ الذهبي عهد الخلفاء الراشدين» (٦٤٦).

(٥) «أدب الدين والدنيا» ص(٢٦).

٩- إدخال السرور على المسلم:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إن من موجبات المغفرة إدخال السرور على أخيك المسلم[١] .

١٠- أشد الأعمال ثلاثة:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: أشد الأعمال ثلاثة: إعطاء الحق من نفسك، وذكر الله على كل حال، ومواساة الأخ في المال[٢] .

سادسًا: التحذير من الأمراض الخطيرة التي حذر منها أمير المؤمنين:

١- جزاء المعصية:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : جزاء المعصية الوهن في العبادة، والضيق في المعيشة، والنقص في اللذة، قيل: وما النقص في اللذة؟ قال: لا ينال شهوة حلال إلا جاءها ما ينغصه إياها[٣]، ومع هذا الترهيب والتخويف من المعصية فإن أمير المؤمنين عليًّا رضي الله عنه لا يغفل عن الترغيب في تركها؛ حيث قال: من كان يريد العز بلا عشيرة والنسل بلا كثرة، والغنى بلا مال، فليتحول من ذل المعصية إلى عز الطاعة[٤]، وقال: إذا رغبت في المكارم، فاجتنب المحارم[٥] .

٢- طول الأمل واتباع الهوى:

خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه على منبر الكوفة، فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس، إن أخوف ما أخاف عليكم طول الأمل واتباع الهوى، فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، ألا إن الدنيا قد ولت مدبرة والآخرة مقبلة، ولكل واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل[٦] .

---

(١) «تنبيه الغافلين» ص(٢٤٥) .
(٢) «حلية الأولياء» (١/ ٨٥) .
(٣) «تاريخ الخلفاء» للسيوطي ص(٢٠٤) .
(٤) «تاريخ اليعقوبي» (٢/ ٢٠٦) .
(٥) «منهج علي في الدعوة إلى الله» ص(٣٠٧)، نقلاً عن «سجع الحمام في حكم الإمام» ص(٥٧) .
(٦) «حلية الأولياء» (١/ ٧٦)، و«صفة الصفوة» (١/ ٣٢١) .

فقد أشار أمير المؤمنين علي ﷺ في هذه الخطبة إلى أمرين خطيرين لهما تأثير كبير في حياة الناس وهما طول الأمل بالبقاء على قيد الحياة؛ فإنه يخدع الإنسان فيشغله بمشاريعه وطموحاته الدنيوية، ويمنيه بتأجيل الأعمال الصالحة وينسيه الحياة الآخرة، فيتضخم عمله للدنيا ويتضاءل عمله للآخرة، ولو أن كل إنسان وضع في مخيلته أنه معرض للموت في كل ساعة لأصبح العمل للدنيا قليلاً بقدر الضرورة، ولأصبح العمل للآخرة كثيرًا؛ لأنه هو الذي سيبقى، بعد الموت، وأما اتباع الهوى؛ فإنه يغير اتجاه صاحبه، ويجعل الهدف الأعلى في فكره هو تحقيق هوى نفسه وهوى من يعمل تحت إدارتهم، وينسى الهدف الإسلامي الأعلى الذي هو ابتغاء رضوان الله تعالى وفضله في الجنة، وبناء على تغير الأهداف فإن مناهج العمل تتغير فتصبح مناهج دنيوية يُراد بها تحقيق أهداف لا تتجاوز الحياة الدنيا، كما تتغير العلاقات والروابط، فتصبح الأخوة قائمة على المصالح الدنيوية بدلاً من الإيمان والتقوى، إلي غير ذلك مما يترتب على تغير الأهداف[1].

٣- الرياء:

قال أمير المؤمنين علي ﷺ: لا تعمل شيئًا من الخير رياءً، ولا تتركه حياء[2]، وقال ﷺ: للمرائي ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أثني عليه، وينقص إذا ذم به[3]، وقد جاءت نصوص الشرع بتسمية الرياء شركًا أصغر، فقد قال رسول الله ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**»، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «**الرياء يقول الله تعالي يوم القيامة، إذا جازى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلي الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟**»[4]، وعن شداد بن أوس، قال: كنا نعد الرياء على عهد رسول الله ﷺ الشرك الأصغر[5]، إن

(١) «التاريخ الإسلامي» للحميدي (٢٠/ ٢٧٦). (٢) «أدب الدنيا والدين» ص(١١٠).

(٣) «الكبائر» للذهبي ص(١٤٥)، و «فرائد الكلام» ص(٣٣٨).

(٤) «مسند أحمد» (٥/ ٤٢٨، ٤٢٩) إسناده حسن.

(٥) «الحاكم» (٤/ ٣٢٩) صححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ١٨).

أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حذّر من مرض القلب الخطير المتعلق بإرادة الإنسان وقصده، وحث الناس على إفراد الله سبحانه وتعالى بالقصد والطاعة والالتزام بالسير على هدي السنة النبوية، فقد ثبت عنه أنه قال: لا ينفع قول إلا بعمل، ولا عمل إلا بنية ولا نية إلا بموافقة السنة[1]، وروي عن الفضيل بن عياض أنه تلا قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ (الملك: ٢)، فقال: أخلصه وأصوبه قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إذا كان العمل خالصًا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا، لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص إذا كان لله عز وجل، والصواب إذا كان على السنة[2].

إن صور الرياء متعددة: منها ما يكون بالأعمال، كمن يصلي فيطيل القيام ويطيل الركوع والسجود ويظهر الخشوع عند رؤية الناس له، ومنها ما يكون من جهة القول، كالرياء بالوعظ والتذكير وحفظ الأخبار والآثار لأجل المحاورة وإظهار غزارة العلم، وتحريك الشفتين في محضر الناس ويتغافل عنه في منزله، أو يكون الرياء من جهة الزي، كإبقاء أثر السجود على جبهته، ولبس الغليظ من الثياب وخشنها مع تشميرها كثيراً ليقال: عابد زاهد، أو ارتداء نوع معين من الزي ترتديه طائفة يعدهم الناس علماء ليقال: عالم، أو يكون الرياء بالأصحاب والزائرين، كالذي يتكلف أن يستزير عالمًا أو عابدًا ليقال: إن فلانا قد زار فلانًا، ودعوة الناس لزيارته كي يقال: إن أهل الخير يترددون عليه، وكذلك من يرائي بكثرة الشيوخ ليقال: لقي فلان شيوخًا كثيرين واستفاد منهم ليباهي بذلك، أو يكون الرياء لأهل الدنيا، كمن يتبختر ويختال في مشيته، أو يصعر خده أو يلف عباءته، أو يحرك سيارته حركة خاصة، أو يكون الرياء من جهة البدن؛ كأن يرائي بإظهار النحول والصفار ليوهم الناس أنه جاد في العبادة كثير الخوف والحزن وغير ذلك من الصور التي يرائي بها المراؤون، يطلبون بذلك الجاه والمنزلة في قلوب العباد[3].

---

(١) «الشريعة» للآجري (٢/٦٣٨)، وإسناده فيه ضعف.
(٢) «مدارج السالكين» (٢/٨٩).
(٣) انظر: «مختصر منهاج القاصدين» ص(٢١٥ ــ ٢١٧)، و«الشرك في القديم والحديث» لأبي بكر محمد زكريا (١/١٧١، ١٧٢).

وبالجملة فإن المحافظة على أعمال الخير والإكثار من ذكر الله وعبادته وخشيته وحده، وعدم خشية الناس في ذات الله ومحبة الصالحين وغيرها كل هذا من الأعمال الصالحة الحسنة المطلوبة، ولكن لابد أن تكون كلها لله؛ لأن الرياء هو عمل العمل الصالح لغير الله، فيجب على المؤمن تصحيح نيته لله لا أن يترك العمل الصالح خوفا من الرياء، فليحذر تلك الأصناف من خطورة مرض الرياء وليتذكروا قول رسول الله ﷺ: «**من طَلبَ العلْمَ ليمَاري به الفقهاء، أو يجاري به العلماء، أو يَصْرِفَ به وجوهَ الناس إليه؛ أدخله الله النار**»[1].

إن أمير المؤمنين عليًّا حذّر من الرياء وبين أن الأعمال لا تقبل إلا إذا كانت خالصة لله وعلى سنة رسول الله ﷺ، وقد حث رضي الله عنه على التمسك بالسنة في مناسبات عديدة، فقد قال: «واقتدوا بهدي نبيكم ﷺ؛ فإنه أفضل الهدي، واستنوا بسنته فإنها أفضل السنن»[2].

٤- العجب:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الإعجاب آفة الألباب[3]. إن العجب من الآفات التي تفسد الأعمال، وتهلك العباد، والعجب أحد العوارض التي تعرض للعاملين أثناء سيرهم إلى الله تعالى، والعجب داء ينافي الإخلاص ويضاده، ويجافي الذلَّ والافتقار لله تعالى، فهو سوء أدب مع الله جل جلاله، كما أن العجب يجانب محاسبة النفس، ويعمى عن معرفة أدواء النفس وعيوبها، ومع كل ذلك فالحديث عن تلك الآفة قليل مع شدة خطرها، وعظيم ضررها، وكثرة انتشارها، قال عبدالله بن المبارك: العجب أن ترى عندك شيئًا ليس عند غيرك[4]، وفرق ابن تيمية بين الرياء والعجب فقال: والعجب قرين الرياء لكن الرياء من باب الإشراك بالخلق، والعجب من باب الإشراك بالنفس، فالمرائي لا يحقق قوله: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾ والمعجب لا يحقق قوله: ﴿**وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ فمن

---

(١) «مسلم»، كتاب الإمارة، باب: من قاتل للرياء والسمعة (٢/ ١٥١٣). (٢) «البداية والنهاية» (٧/ ٣١٩).
(٣) «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٥٧١). (٤) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٠٧).

حقق قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ خرج من الرياء، ومن حقق قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ خرج عن الإعجاب(١).

وقال الغزالي: أعلم أن آفات العجب كثيرة، فإن العجب يدعو إلى الكبر، فيتولد عن العجب الكبر، ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى، والعجب يدعو إلى نسيان الذنوب وإهمالها، وأما العبادات فإنه يستعظمها ويتبجح بها، ويمنّ على الله بفعلها، وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها، والمعجب يغتر بنفسه وبرأيه ويأمن مكر الله وعذابه، ويظن أنه عند الله بمكان.. ويخرجه العجب إلى أن يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها(٢).

وقال القرافي: وسر تحريم العجب أنه سوء أدب على الله تعالى فإن العبد لا ينبغي له أن يستعظم ما يتقرب به إلى سيده، بل يستصغره بالنسبة إلى عظمة سيده، لاسيما عظمة الله تعالى، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ (الزمر:٦٧)، أي ما عظموه حق تعظيمه، فمن أعجب بنفسه وعبادته فقد هلك مع ربه، وهو مطلع عليه، وعرض نفسه لمقت الله تعالى وسخطه(٣).

ويمكن القول ابتداء: إن سبب العجب أمران:

(أ) الجهل بحق الله تعالى، وعدم تقدير الله تعالى حقّ قدره، وقلة العلم بأسماء الله وصفاته، وضعف التعبد بهذه الأسماء والصفات.

(ب) الغفلة عن حقيقة النفس، وقلة العلم بطبيعتها، والجهل بعيوبها وأدوائها، وإهمال محاسبة النفس ومراقبتها(٤).

ومن ثم فإن العلاج هو التعرف على الله تعالى، وتحقيق تعظيمه وتقديره حق قدره والقيام بالعبودية له من خلال العلم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وتعبد المولى عز وجل بها، فالخير كله بيديه، ورحمته تعالى وسعت كل شيء ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ (النحل:٥٣).

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٢٧٧). (٢) «الإحياء» (٣/ ٣٧٠) باختصار. (٣) «الفروق» (٤/ ٢٢٧).

(٤) «معالم في السلوك وتزكية النفوس»، لعبدالعزيز عبد اللطيف ص(٩٨).

قال الإمام الشافعي: إذا خفت على عملك العُجْب، فاذكر رضى من تطلب، وفي أي نعيم ترغب، ومن أي عقاب ترهب، فمن فكر في ذلك صغُر عنده عمله(١).

وقال النووي: وطريقه في نفي الإعجاب أن يعلم أن العلم فضل من الله تعالى، ومنّة عارية، فإن لله تعالى ما أخذ، وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى، فينبغي ألاَّ يعجب بشيء لم يخترعه، وليس مالكًا له، ولا على يقين من دوامه(٢).

قال ابن القيم: اعلم أن العبد إذا شرع في قول أو عمل يبتغي به مرضاة الله، مطالعًا فيه منة الله عليه به، وتوفيقه له فيه، وأنه بالله لا بنفسه، ولا بمعرفته وفكره وحوله وقوته، بل هو الذي أنشأ له اللسان والقلب والعين والأذن، فالذي منّ عليه بالقول والفعل، فإذا لم يغب ذلك عن ملاحظته، ونظر قلبه لم يحضره العجب الذي أصله رؤية نفسه وغيبته عن شهود منة ربه وتوفيقه(٣)، وأما العلاج الآخر للعجب فهو معرفة النفس ومحاسبتها، قال ابن الجوزي: من تلمح خصال نفسه وذنوبها، علم أنه على يقين من الذنوب والتقصير، وهو من حال غيره، في شك، فالذي يُحذر منه الإعجاب بالنفس، ورؤية التقدم في أعمال الآخرة، والمؤمن لا يزال يحتقر نفسه، وقد قيل لعمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه: إن مت ندفنك في حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: لأن ألقى الله بكل ذنب غير الشرك أحب إليّ من أن أرى نفسي أهلاً لذلك(٤)، وقال ابن حزم: من امتحن بالعجب فليفكر في عيوبه، فإن أعجب بفضائله، فليفتش عما فيه من الأخلاق الدنيئة، فإن خفيت عليه جملة حتى لا يظن أنه لا عيب فيه، فليعلم أن مصيبته إلى الأبد، وأنه أتمّ الناس نقصًا، وأعظمهم عيوبًا، وأضعفهم تمييزًا، وأول ذلك أنه ضعيف العقل، جاهل، ولا عيب أشد من هذين؛ لأن العاقل هو من ميّز عيوب

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٤٢).

(٢) «المجموع» (١/ ٥٥).

(٣) «الفوائد» ص(١٤٤).

(٤) «صيد الخاطر» ص(٢٥٠، ٢٥١).

نفسه فغالبها وسعى في قمعها، والأحمق هو الذي يجهل عيوب نفسه، وإن أعجبت بآرائك، فتفكر في سقطاتك واحفظها ولا تنسها، وفي كلّ رأي قدّرته صوابًا فخرج بخلاف تقديرك، وأصاب غيرك وأخطأت أنت، وإن أعجبت بعملك، فاعلم أنه لا حصة لك فيه، وأنه موهبة من الله مجردة، وهبك إياها ربك تعالى، فلا تقابلها بما يسخطه، فلعله ينسيك ذلك بعلة يمتحنك بها، تولّد عليك نسيان ما علمت وحفظت، وإن أعجبت بمدح إخوانك لك، ففكر في ذمّ أعدائك إياك، فحينئذ ينجلي عنك العجب، فإن لم يكن لك عدو، فلا خير فيك، ولا منزلة أسقط من منزلة من لا عدوله، فليست إلا منزلة من ليس لله تعالى عنده نعمة يحسد عليها ـ عافانا الله ـ فإن استحقرت عيوبك، ففكر فيها لو ظهرت إلى الناس، وتمثل اطلاعهم عليها، فحينئذ تخجل وتعرف نقصك[1]، ويقول ابن القيم أثناء حديثه عن الحكم والأسرار في قضاء السيئات وتقدير المعاصي: ومنها: أن الله سبحانه إذا أراد بعبده خيراً أنساه رؤية طاعاته ورفعها من قلبه ولسانه، فإذا ابتلي بذنب جعله نصب عينيه، ونسي طاعته وجعل همه كله بذنبه، فلا يزال ذنبه أمامه، إن قام أو قعد، أو غدا أو راح، فيكون هذا عين الرحمة في حقه، كما قال بعض السلف: إن العبد ليعمل الذنب فيدخل به الجنة، ويعمل الحسنة فيدخل بها النار، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: يعمل الخطيئة فلا تزال نصب عينيه، كلما ذكرها بكى وندم وتاب واستغفر، وتضرّع وأناب إلى الله، وذلّ له وانكسر وعمل لها أعمالاً فتكون سبب الرحمة في حقّه، ويعمل الحسنة فلا تزال نصب عينيه يمنّ بها، ويراها، ويعتدّ بها على ربه وعلى الخلق، ويتكبر بها ويتعجب من الناس كيف لا يعظمونه ويكرمونه ويجلونه عليها؟، فلا تزال هذه الأمور به حتى تقوى عليه آثارها فتدخله النار[2]، هذا شرح موجز وسريع لقول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : الإعجاب آفة الألباب[3].

---

(١) «الأخلاق والسير» ص(٦٦ ـ ٧١) باختصار.
(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٩٧ ، ٢٩٨) ، و«مدارج السالكين» (١/ ١٧٧).
(٣) «جامع البيان والعلم وفضله» (١/ ٥٧).

سابعًا: اهتمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بترشيد الأسواق ومواقف متنوعة مع الناس:

حرص أمير المؤمنين علي ﵁ على تفقد أحوال المتعاملين في السوق وحملهم على التعامل بالشرع الحنيف، وقد ثبت أن عليًّا ﵁ كان شديد العناية بالاحتساب في مجال السوق، فعن الحر بن جرموز المرادي عن أبيه قال: رأيت علي بن أبي طالب ﵁ يخرج من القصر وعليه قطريتان إزاره إلى نصف الساق، ورداؤه مشمر قريبًا منه، ومعه الدرة يمشي في الأسواق ويأمرهم بتقوى الله وحسن البيع ويقول: أوفوا الكيل والميزان ولا تنقحوا[1] اللحم[2]، وعن أبي مطر قال: خرجت من المسجد، فإذا رجل ينادي من خلفي: ارفع إزارك؛ فإنه أبقى لثوبك وأتقي لربك، وخذ من رأسك إن كنت مسلمًا فمشيت خلفه، وهو مؤتزر بإزار، مرتد برداء، ومعه الدرة، كأنه أعرابي بدوي، فقلت: من هذا؟ فقال لي رجل: أراك غريبًا في هذا البلد، فقلت: أجل من أهل البصرة. فقال: هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ﵁، حتى انتهى إلى دار ابن أبي معيط وهو يسوق الإبل، فقال: بيعوا ولا تحلفوا؛ فإن اليمين تنفق السلعة وتمحق البركة ثم أتى أصحاب التمر، فإذا خادمة تبكي، فقال: ما يبكيك؟ فقالت: باعني هذا الرجل تمرًا بدرهم، فرده موالي فأبى أن يقبله. فقال له علي: خذ تمرك وأعطها درهمًا، فإنها ليس لها أمر، فدفعه، فقلت: أتدري من هذا؟ فقال: لا. فقلت: هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين. فوهبت تمرها فأعطاها درهمًا. ثم قال الرجل: أحب أن ترضى عني يا أمير المؤمنين. قال: ما أرضاني عنك، إذا وفيت الناس حقوقهم. ثم مر مجتازًا بأصحاب التمر، فقال: يا أصحاب التمر، أطعموا المساكين، يَرْبُ كسبكم ثم مر مجتازًا ـ ومعه المسلمون ـ حتى انتهى إلى

---

(١) في بعض الروايات (ولا تنفحوا) كما في «الطبقات» (٣/ ٢٨)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٣٠٨).

(٢) «تنقيح العظم» استخراج مخه وتنقح شحم الناقة أي قل، ونقح الشيء أي قشره، والمراد-والله أعلم-: لا تخرجوا مخ العظام المكسوة باللحم «لسان العرب» (٢/ ٦٢٤)، و«فضائل الصحابة» (٢/ ٦٨٨)، وإسناده صحيح رقم (٩٣٨).

أصحاب السمك، فقال: لا يباع في سوقنا طافي. ثم أتى دار فرات وهي سوق الكرابيس[١]، وعن زاذان قال: كان علي يمشي في الأسواق وحده يرشد الضال، ويعين الضعيف، ويمر بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ (القصص: ٨٣)، ثم يقول: نزلت هذه الآية بأهل العدل والتواضع من الولاة وأهل القدرة من سائر الناس[٢]، وأخرج الخلال بسنده عن أبي سعيد قال: كان علي إذا أتى السوق فقال: يا أهل السوق، اتقوا الله وإياكم والحلف؛ فإن الحلف ينفق السلعة، ويمحق البركة، وإن التاجر فاجر إلا من أخذ الحق وأعطى الحق، والسلام عليكم ثم ينصرف، ثم يعود إليهم فيقول لهم مثل مقالته[٣]، وعن أبي الصهباء قال: رأيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه بشط الكلأ يسأل عن الأسعار[٤]، فهذا الإشراف المباشر من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، تضمن أمورًا منها:

(أ) لم تقتصر الجولات على الإشراف والتوجيه، بل تعدت ذلك إلى خدمة الناس في شؤونهم؛ كإرشاد الضال، وإعانة الضعيف، فمن كانت هذه حاله كانت كلماته وتوجيهاته أقرب للناس، وأبلغ في نفوس السامعين.

(ب) يتضمن التوجيه النصح بتقوى الله سبحانه وتعالى وحسن البيع، وربما وعظهم بالقرآن الكريم، فإن من اتقى الله سبحانه وتعالى أحسن معاملته للناس في النفع لهم، والبعد عن مخادعتهم وغشهم.

(ج) منع الظلم في المعاملات، وإعادة الحق إلى أهله؛ لأن موالي الجارية التي اشترت التمر لم يجيزوا هذا الشراء، وهي في نفسها ليس لها أمر.

(د) النهي عن أصناف الغش التي تحصل في الأسواق؛ كنهيه عن تنقيح اللحم، وفي رواية (نفخ اللحم).

---

(١) «البداية والنهاية» (٨/ ٤) اسم سوق الكرابيس.

(٢) «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٤٤٤)، و«البداية والنهاية» (٨/ ٥).

(٣) «السنة» ص(٣٥٢)، تحقيق: د. عطية الزهراني ص(٣٥٢).

(٤) «الرياض النضرة في مناقب العشرة» ص(٦٩٠) شط الكلأ: مكان وبالبصرة سوق الكلأ.

(هـ) بيان بعض الأحكام والآداب المتعلقة في معاملات الناس ومنها:

- النهي عن الحلف في البيع، وتعليل ذلك بأن اليمين تنفق السلعة، وتمحق البركة، كما ورد عن رسول الله ﷺ: «**الحلف مَنْفَقة للسلعة، مَمْحَقةٌ للبركة**»(١).

- الحث على إطعام المساكين وترغيبهم فيه؛ لأنه زيادة في الكسب.

- النهي عن بيع السمك الطافي(٢)، ولعل ذلك حتى لا يختلط مع المصيد الطري.

كان أمير المؤمنين يتفقد أمور التجار في حضرته ويأمر ولاته بذلك في الولايات، ويثني على المحسن منهم، أما من يقترف خطيئة بعد النهي، فينكل به، ويعاقبه من غير إسراف(٣)، وكانت له بعض الإرشادات النافعة والنواهي الزاجرة التي تحث الناس على مكارم الأخلاق والالتزام بأحكام الشريعة وإليك بعض منها:

١- إنكاره على مزاحمة النساء الرجال في الأسواق:

أنكر أمير المؤمنين علي على أناس لا يمنعون نساءهم من الخروج إلى الأسواق مزاحمات الكفار، فقال لهم: ألا تستحيون أو تغارون؟ فإنه بلغني أن نساءكم يخرجن في الأسواق يزاحمن العلوج(٤).

٢- لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره:

كان علي رضي الله عنه يدخل السوق وبيده الدرة، وعليه عباءة ويقول: يأيها التجار، خذوا الحق، وأعطوا الحق تسلموا، لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره، ونظر إلى رجل يقص، فقال له: أتقص ونحن قريب عهد برسول الله ﷺ؟

---

(١) «البخاري»، كتاب البيوع (٢/ ٨٥).

(٢) هو الذي يعلو الماء ولا يرسب.

(٣) «الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام» ص(٢٠٢).

(٤) العلوج: جمع علج وهو الواحد من كفار العجم، «مسند أحمد»(٢/ ٢٥٤، ٢٥٥) قال أحمد شاكر: صحيح الإسناد.

لأسألنك فإن أجبتني وإلا جعفتك[١] بهذه الدرة، ما ثبات الدين وما زواله؟ قال: أما ثباته فالورع وأما زواله فالطمع، قال: أحسنت قص فمثلك من يقص[٢].

٣- خطورة التجارة قبل التفقه في أحكامها:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : من اتجر قبل أن يتفقه في الدين فقد ارتطم في الربا ثم ارتطم ثم ارتطم[٣]، وقد كان الفاروق رضي الله عنه يضرب بالدرة من يقعد في السوق وهو لا يعرف الأحكام، ويقول: لا يقعد في سوقنا من لا يعرف الربا[٤]، وكان يقول: لا يبيع في سوقنا إلا من تفقه، وإلا أكل الربا شاء أو أبى[٥]، فكل شؤون الحكم كانت محل اهتمام الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم لا يطغى جانب على جانب، فلا يختل الحال بين يدي الحاكم، فقد كانوا يقعّدون للتجارة القواعد التي تصلح للأسواق، وتنظم التداول، وتضمن الثبات والاستقرار، فلا غبن ولا غش، ولا احتكار ولا أسواق سوداء ولا زرقاء، ولا جهل بما يجوز وما لا يجوز في عالم التجارة، ويمكن اليوم تفقيه التجار من خلال دورات في المساجد خصوصًا التي في قلب الأسواق، ولابد من توجيه الخطاب للتجار من خلال كتيبات خاصة بهم والأشرطة الصوتية المختصرة التي تبين أحكام التجارة وتبسط المسائل المتعلقة بها والتي تبرز ما يلي:

نماذج مختارة من التجار المسلمين المخلصين لدينهم الذين نصروا الله ورسوله بأموالهم.

بيان أهمية الآخرة بالنسبة لهم لكي يجمعوا بين خيري الدنيا والآخرة.

وعلى العلماء وطلاب العلم واجب كبير في تفقيه هذه الشريحة الكبيرة في المجتمعات، وعلى الحركات الإسلامية ألاَّ تنسى واجبها في تعليم أبنائها من التجار وغيرهم هذا الفقه العزيز.

---

(١) جعفه: صرعه وضرب به الأرض.

(٢) «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» لابن الجوزي (٥/ ٧٠).

(٣) ارتطم: وقع، « بستان العارفين» ص(٣٥٠).

(٤، ٥) «نظام الحكومة الإسلامية» للكتاني (٢/ ١٧).

٤- من سبق إلى موضع فهو أحق به:

أثيرت قضية المحل التجاري في السوق وقضى علي بن أبي طالب رضي الله عنه في سوق الكوفة، أن من سبق إلى موضع فهو أحق به ما دام فيه ذلك اليوم، فإذا انتقل عنه، فهو لمن حلَّ فيه، قال الأصبع بن نباتة: خرجت مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى السوق، فرأى أهل السوق قد حازوا أمكنتهم فقال علي رضي الله عنه: ما هذا؟ فقالوا: أهل السوق قد حازوا أمكنتهم، فقال: ليس ذلك لهم، سوق المسلمين كمصلَّى المسلمين، من سبق إلى شيء فهو له يومه حتى يدعه، وظلّت هذه القاعدة متَّبعة حتى ولاية المغيرة بن شعبة، فلمّا كانت ولاية زياد بن أبيه عليها عام ٤٩هـ، جعل من قعد في مكان فهو أحق به ما دام فيه[١].

٥- المحتكر عاص ملعون:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في احتكار الطعام: جالب الطعام مرزوق، والمحتكر عاص ملعون[٢]، وقد أمر أمير المؤمنين بتحريق الطعام المحتكر، فقد أخرج الحافظ ابن أبي شيبة عن الحكم قال: أخبر علي برجل احتكر طعامًا بمائة ألف فأمر به أن يحرق[٣] وقد ذهب ابن قدامة إلى أن الاحتكار المحرم ما اجتمعت فيه شروط ثلاثة هي:

(أ) أن يشتري، فلو جلب شيئًا، أو أدخل من غلته شيئًا فادخره لم يكن محتكرًا، وهذا واضح من قول علي رضي الله عنه.

(ب) أن يكون المشترى قوتًا[٤].

(ج) أن يضيق على الناس بشرائه، وترهيب أمير المؤمنين علي من الاحتكار مبني على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«لا يحتكر إلا خاطئ»**[٥].

---

(١) «الأموال» لأبي عبيد ص(١٢٣)، و«الحياة الاقتصادية» د. بطانية ص(١١٥).

(٢) «فقه علي» لقلعجي ص(٢٧)، و«مصنف عبدالرزاق» (٨/ ٢٠٤)، و«مسند زيد» ص(٢٤٥).

(٣) «المصنف» رقم (٤٣٣) (٦/ ١٠٣)، و«الحسبة في العصر النبوي» ص(٣٤).

(٤) وقيل: لا فرق بين القوت وغيره.

(٥) «مسلم»، كتاب المساقاة (٣/ ١٢٢٨) والخاطئ: العاصي الآثم.

٦- الخسارة على المال والربح على ما اصطلحوا عليه:

بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب شيئا من أحكام المضاربة وهي: نوع من أنواع المعاملات بين الناس، وهي دفع مال معلوم لمن يتجر به ببعض ربحه، فقال رضي الله عنه : الوضيعة على المال، والربح على ما اصطلحوا عليه[١]، والوضيعة تعني الخسران في الشركة وهي على المال، أي على كل واحد بقدر ماله، فإن كان مالهما متساويًا في القدر[٢] فالخسران بينهما نصفين، وإن كان أثلاثًا فالوضيعة أثلاثًا.

٧- تحريقه قرية كانت تباع فيها الخمر:

كان رضي الله عنه شديد الإنكار على من باع خمرًا، فقد أمر بتحريق قرية كانت تباع فيها الخمر، فقد روى الإمام أبو عبيدة القاسم بن سلام أن عليًّا بن أبي طالب رضي الله عنه نظر إلى زرارة[٣] فقال: ما هذه القرية؟ قالوا: قرية تدعى زرارة، يلحم فيها، تباع فيها الخمر، فقام يمشي حتي أتاها، فقال: إليَّ بالنيران، اضرموها فيها، فإن الخبيث يأكل بعضه بعضًا قال (الرواي): فاحترقت من غربيها حتى بلغت بستان خواستا بن جبرونا[٤].

٨- احتسابه فيما يتعلق باللباس والهيئة:

عن أبي مطر قال: خرجت من المسجد فإذا رجل ينادي خلفي: ارفع إزارك فإنه أبقى لثوبك، وأنقى لك، وخذ من شعرك إن كنت مسلمًا[٥].

٩- حبسه أهل الشر والفساد:

كان عليّ رضي الله عنه يلاحق أهل الشر والفساد، فإذا وجد أحدًا منهم حبسه، فقد روى القاضي أبو يوسف عن عبدالملك بن عمير قال: كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا كان في القبيلة أو القوم الرجل الداعر حبسه، فإن كان له مال أنفق عليه من

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٤)، و«مصنف عبدالرزاق» (٨/ ٢٤٨). (٢) «المغني» (٥/ ٣١).
(٣) محلة في الكوفة سميت باسم بانيها زرارة بن زيد.
(٤) «الأموال» ص(٩٧ ، ٩٨)، و«الحسبة» لابن تيمية ص(٦٠). (٥) «البداية والنهاية» (٨/ ٤).

ماله ، وإن لم يكن له مـال أنفق عليه من بيت مال المسلمين ، وقـال : يحبس عنهم شره ويُنفق عليه من بيت ما لهم(١) .

١٠- الترهيب من عدم الإنفاق:

قـال أميـر المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ : بشـر مال البـخيل بحـادث أو وارث(٢) ، وقال : البـخيل مـستعـجل الفقـر ، يعيش في الدنيـا عيش الفـقراء ، ويحاسب في العقبى حساب الأغنياء(٣) .

١١- مناداته للصلاة:

كان أمـير المؤمنين علي ﷺ شديـد الاهتمام بأمـر الصلاة فقـد كان يمر في الطريق مناديا : الصلاة ، الصلاة ، كان يوقظ بذلك الناس لـصلاة الفجر ، يحدثنا الحسن ﷺ عن خـروجه في اليوم الذي طُعِـن فيه من بيـته حيث يقـول : فلما خرج مـن الباب نادى : أيهـا الناس ! الصلاة ، الصـلاة . وكذلك كـان يصنع كل يوم ، ومعه درته ، فاعترضه الرجلان ، فضربه ابن ملجم على دماغه(٤) .

١٢- الاهتمام بالطرق العامة:

كان علي ﷺ يأمر بالمثاعب(٥) ، والكنف(٦) ، تقطع من طريق المسلمين(٧) .

١٣- ظهور بدعة القصص ومحاربة أمير المؤمنين علي لها:

حدثت بدعة القُـصَّاص في عهد علي ﷺ فـأنكرها الصحابة والتابعـون ، فقد أخرج محمـد بن وضّاح عن موسى بن معاوية قال حدثنا ابن مهـدي عن سفيان : عن عبـيد الله بن نافع قـال : لم يقص على عهـد النبي ﷺ ، ولا أبي بكر ، ولا عمـر ولا عثمان ، وأول مـا كان القصص حين كـانت الفتنة(٨) ، والقصاص هم :

---

(١) «الخراج» لأبي يوسف ص(١٥٠) .

(٢) «نثر اللآلئ» نقلاً عن «منهج علي بن أبي طالب» ص(١٨٣) .

(٣) «منهج علي في الدعوة إلى الله» ص(١٨٣) .

(٤) «البداية والنهاية» (٧/ ٣٣٩) .

(٥) المثاعب : مفرده الثعب : سيل الماء في الوادي .

(٦) والكنف : جمع كنيف وهو المرحاض ، «المصباح المنير» ص(٥٤٢) .

(٧) «مصنف عبدالرزاق» (١٠/ ٧٢) .

(٨) «البدع والنهي عنها» ص(٢٠) .

الوعاظ الذين يعقدون مجالس للوعظ تضاهي مجالس العلم، يعظون الناس فيها بالحكايات والإسرائيليات ونحوها، مما لا أصل له أو موضوع، أو مما لا تدركه عقول العامة، وقد منعهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؛ لأنهم أخذوا يحدثون الناس بالغرائب والمتشابهات، وما لا تدركه عقولهم وما لا يعرفون[1] وأذن أمير المؤمنين لمن كان متمكنًا من العلم الشرعي بأن يقص على الناس.

كانت حياة أمير المؤمنين في المجتمع دعوة للتوحيد ومحاربة للشرك وكان حريصًا على تعليم الناس أسماء الله وصفاته، وربط قلوبهم به وحده وتذكيرهم بنعم الله وحضهم على شكرها، وقد كان رضي الله عنه مثابرًا على محو آثار الجاهلية، متخذًا كافة الوسائل الدعوية من خطابة ووعظ، وشعر وحكم، ولم يعش رضي الله عنه بعيدًا عن الناس بل عاش بينهم بأخلاقه وسمته وعلمه رضي الله عنه .

ثامنًا: ولاية الشرطة في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب:

عندما تولى علي رضي الله عنه أمر الخلافة كانت وظيفة الشرطة إحدى الوظائف المهمّة المعروفة في الدولة، والقصص والآثار التي تحدثت عن دور الشرطة في عهد علي رضي الله عنه كثيرة منها، ما رواه أصبغ بن نباتة: أن شابًّا شكا إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه نفرًا، فقال: إنّ هؤلاء خرجوا مع أبي في سفر فعادوا ولم يعد أبي، فسألتهم عنه، فقالوا: مات، فسألتهم عن ماله: فقالوا ما ترك شيئًا، وكان معه مال كثير، وترافعنا إلى شريح، فاستحلفهم وخلّى سبيلهم، فدعا عليّ رضي الله عنه بالشرطة، فوكّل بكلّ رجل رجلين، وأوصاهم ألا يمكنوا بعضهم يدنو من بعض، ولا يمكنوا أحدًا يكلمهم، ودعا كاتبه، ودعا أحدهم، فقال: أخبرني عن أب هذا الفتى، أي يوم خرج معكم؟ وفي أي منزل نزلتم؟ وكيف كان سيركم؟ وبأي علة مات؟ وكيف أصيب بماله؟ وسأله عمَّن غسله ودفنه، ومن تولّى الصلاة عليه، وأين دفن، ونحو ذلك، والكاتب يكتب، فكبّر عليّ، وكبّر الحاضرون، والمتهمون لا عِلْمَ لهم إلا أنهم ظنّوا أن صاحبهم قد أقرّ عليهم، ثم دعا آخر بعد أن غيّب الأول عن مجلسه،

(١) «دراسات في الأهواء والفرق والبدع» ص(٢٣٩).

فسأله كما سأل صاحبه، ثم الآخر كذلك، حتى عرف ما عند الجميع، فوجد كل واحد منهم يخبر بضدّ ما أخبر به صاحبه، ثم أمر بردّ الأول فقال: يا عدو الله، قد عرفت عنادك وكذبك بما سمعت من أصحابك، وما ينجيك من العقوبة إلا الصدق، ثم أمر به إلى السجن، وكبّر وكبّر معه الحاضرون، فلما أبصر القوم الحال لم يشكوا أن صاحبهم أقرّ عليهم فدعا آخر منهم، فهدّده، فقال: يا أمير المؤمنين، والله لقد كنت كارها لما صنعوا، ثم دعا الجميع فأقرّوا بالقصة واستدعى الذي في السجن وقيل له: قد أقرّ أصحابك ولا ينجيك سوى الصدق، فأقرّ بكل ما أقرّ به القوم، فأغرمهم المال، وأقاد منهم القتيل[١].

فهذه القصة تحوى معاني ودلالات كثيرة تفيد المحققين، وتدلّ في الوقت نفسه على وجود السجن، ورجال الشرطة[٢]، هذا وقد بنى أمير المؤمنين سجنًا في الكوفة سمّاه «نافعًا» لم يكن مستوثق البناء، فكان المسجونون يخرجون منه، فهدمه وبنى بدلاً منه سجنًا آخر سمّاه مخيّسًا[٣]، وقد أجرى على أهل السجون ما يقوتهم من طعامهم وأدمهم وكسوتهم في الشتاء والصيف[٤]، وكان لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب أصحاب شرطة منهم، أبو الهياج الأسدي، وقيس بن سعد بن عبادة ومعقل بن قيس الرّياحي، ومالك ابن خبيب اليربوعي، والأصبغ بن نباتة المشاجعي، وسعيد بن سارية بن مرة الخزاعي، وكان من ضمن الوظيفة الاجتماعية للشرطة، مساعدة المحتاج، وإغاثة الملهوف، وإرشاد التائه، وإطعام المساكين، وتقديم العون، وإظهار الرفق، وغير ذلك من المساعدات الإنسانية التي يراد بها وجه الله تعالى.

ومن هنا يظهر لنا أن الأمن في العصر الراشدي كان يقوم بدور حضاري في تقديم خدمات عامة للمجتمع، ولم يقتصر دوره فقط على الجانب الأمني، وإن كان للجانب الأمني الأهمية الكبرى.

---

(١) «الطرق الحكيمة» ص(٤٩). (٢) «ولاية الشرطة في الإسلام»، د. نمر الحميداني ص (١٠٧).
(٣) وهذه التسمية ليست اعتباطاً بل لها غرض؛ فإن النافع من النفع وهو ضد الضرر، ،والمخيس وهو التذليل والتهذيب، التسميتان تحققان أغراض السجن. (٤) «ولاية الشرطة» ص(١٠٨).

الفصل الرابع
المؤسسة المالية والقضائية في عهد
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وبعض اجتهاداته الفقهية
المبحث الأول
المؤسسة المالية

في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يحدث تغير يذكر في السياسة المالية للدولة الإسلامية، إلا أن أمير المؤمنين عليًّا رضي الله عنه رجع إلى ما كان عليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه في التسوية في العطاء[١]، فلم يفضل أحدًا على أحد، فأعطى الموالي كما أعطى السادة[٢]، وكان الخراج في بعض الأمصار موكولاً إلى الولاة أنفسهم، ففي مصر كان قيس بن سعد بن عبادة ـ الوالي العام ـ مسؤولاً عن الخراج فيها، وكذلك حينما بعث علي رضي الله عنه الأشتر النخعي على مصر كان خطابه له ما يوحي أنه مع ولايته العامة كان مسؤولاً عن الخراج بما يصلح أهله؛ فإن صلاحه وصلاحهم صلاح لمن سواهم ولا صلاح إلا بهم؛ لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله، وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج؛ لأن ذلك يدرك بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة، أضر بالبلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلاً، فإن شكوا ثقلاً أو علة أو انقطاع شرب، أو إحالة أرض اغتمرها غرق، أو أجحف بها عطش؛ خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم. . فإن العمران محتمل ما حملته، وإنما خراب الأرض من إعواز أهلها وإنما إعوازها أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر[٣].

فقد كانت نظرة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى الخراج بما يتعدى الجباية إلى

---

(١) «الاستيعاب» (٣/ ١١).
(٢) «علي بن أبي طالب»، د. علي شرفي (ص٦٦).
(٣) «الولاية على البلدان» (٢/ ١٥٣ - ١٦٣).

المسألة الاقتصادية برمتها، حيث يشكل الخراج المصدر الأساسي لها في ذلك الوقت، وقد اشتهر عن علي ﵁ تشديده في مراقبة عماله في جميع النواحي، وكان الخراج والشؤون المالية من الأمور المهمة التي كان يدقق فيها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁، فكان يبعث العيون والأرصاد ليعلم أحوالهم(١)، وقد كان لولاة البلدان صلاحيات عامة في المصروفات من ولاياتهم وبيوت أموالها، فالولاة الذين كانوا يباشرون بيت المال وعمال الخراج بأنفسهم في عهد الخلفاء عمومًا كانوا ينفقون من الأموال التي لديهم في الأوجه الشرعية في مصالح الولاية، فكانوا يستخدمون هذه الأموال في شؤون الجهاد والفتوح من إعداد للسلاح والدواب ومرتبات الجند وغير ذلك من أوجه الجهاد، كما كان الولاة يقومون بصرف نفقات العمال والموظفين في الولاية(٢) كافة، إلا أنهم كانوا يقومون ببعض الإصلاحات من بناء للجسور وحفر للقنوات والعيون والأنهار، وكان ذلك يستدعي الصرف مما يجبونه من ولاياتهم(٣).

وفي الأوقات التي تعزل فيها ولاية الخراج أو بيت المال عن الولاية العامة فإن الولاة بحكم إشرافهم العام على الولاية يطلبون من عمال الخراج الإنفاق على هذه الإصلاحات أو يقوم الولاة بتعيين عمال مختصين بهذه المشاريع، وتصرف نفقات العمل أو التجهيز من دخل الولاية عن طريق عمال الخراج إذا كانوا مستقلين، وهكذا فإنه حتى لو عزلت مهمة (الجباية) عن الوالي -كما عبّر عنها بعض الباحثين-(٤)، فإن النفقات مع ذلك كانت تأخذ طريقها بواسطة الولاة في كثير من الأحيان سواء للجهاد أو التعمير، ولقد نبه بعض الفقهاء إلى أن على الولاة إنفاق الأموال في مصالح المسلمين وعدم تجميدها؛ إذ أن تجميد الأموال التي أخذت بحقها وعدم صرفها في مصالح المسلمين يوازي الظلم في جمعها، فعدوا التجميد للأموال العامة من باب الظلم والتقصير من جانب الولاة(٥).

---

(١) «الولاية على البلدان» (٢/ ٩٨)، و«النظريات المالية في الإسلام» (ص١٥٥).
(٢) «التراتيب الإدارية» للكتاني (١/ ٣٩٣). (٣) «الولاية على البلدان» (٢/ ٩٨).
(٤) «النظم المالية في الإسلام» ص (١٥٧)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ٩٩).
(٥) «أصول الفكر السياسي الإسلامي»، لفتحي عثمان (ص٤٣).

وقدكانت الأمصار والولايات أحق بأموالها وجباياتها من غيرها، فكان الولاة لا يعملون على ترحيل الأموال عن مناطقهم إلى العاصمة في المدينة أو الكوفة فيما بعد إلا بعد أن يسددوا حاجة ولاياتهم من النفقات(١)، ولاشك أن ما قام به الخلفاء الراشدون خصوصًا في عهد عمر من تنظيم دقيق للشؤون المالية في الولايات- بما فيها من جباية مصادر الدخل أو الواردات العامة للدولة، إضافة إلى النفقات العامة- يعتبر تنظيمًا جديدًا ولم يمنعهم ذلك من الاستفادة من خبرات من سبقوهم؛ حيث استحدثوا الدواوين وضبطوا أمورهم المالية في مختلف جوانبها، وقد تحدثت عن المؤسسة المالية في عهد الفاروق رضي الله عنه بنوع من التفصيل، فمن أراد المزيد فليرجع إليها في كتابي «فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب».

وقد حاول بعض المستشرقين وفيهم «فيليب حتى» في موسوعته عن تاريخ العرب أن يقلل من شأن ما قام به الخلفاء الراشدون من تنظيم للأموال في الدولة عمومًا فقال: والحقيقة أن الأخبار تعزو إلى عمر كثيرًا مما أحدثته السنون التي لحقت عهده من إنشاءات دعت إليها التجارب والأحوال الجديدة، وأن ما جاء به الخلفاء رضي الله عنهم وعمال الأمصار الأوائل في صدد الخراج والجزية، وأصول جبايتها وسياسة أموال الدولة لم يكن بالشيء الخطير، فلقد أبقى الإسلام أساس الحكم وأنظمة الإدارة البيزنطية على ما كانت عليه في سوريا ومصر، ولم يفكر أرباب الأمر في الأمصار الفارسية أن يبدلوا أصول الحكومة المحلية، ولم يأخذ الفاتحون الضرائب إلا طبقًا لطبيعة البلاد، وبمقتضى الأصول المرعية في العهد المنقرض سواء أكان بيزنطيًّا أو فارسيًّا، ولم يعتبروا في ذلك، إذ كانت قد دانت لهم صلحًا أو أنهم فتحوها عنوة، ولا اهتدوا بتشريع أوجده عمر رضي الله عنه(٢)، والكاتب هنا قد تجاهل النصوص التي وردت في استنباط عمر للخراج على الأراضي المفتوحة عنوة، وكيف أن النظام قد لقي مجادلة ومعارضة من بعض الصحابة إلى أن

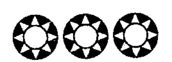
---

(١) «السياسة المالية لعثمان بن عفان»، لقطب (ص٩٩).

(٢) «تاريخ العرب»، لفيليب حتى (١/ ٢٢٨).

استقر الأمر عليه، واتفق الجميع على تنفيذه[١]، وقد تولى محمد ضياء الدين الريس الرد على هؤلاء المستشرقين فيما قالوه من خلال نصوص تاريخية موثقة، يخلص منها إلى أن هذه الدعوى لا أساس لها من الصحة، وأن المسلمين وفقهاءهم كانوا يفرقون بين ما أحدثه عمر، وما أحدثه غيره، بل ويفصلون تفصيلاً دقيقًا في قضايا الخراج في عهد عمر ﷺ[٢].

وهذه عادة المستشرقين وأذنابهم في الطعن والتنقص من قَدْر عظماء الإسلام ولكن المشكلة أنهم يجدون من الأمة من ينظر لهم بإجلال وتقدير. وبسبب الحروب والنزاعات الداخلية تأثرت دولة الخلافة في عهد علي ﷺ في مؤسساتها المتعددة؛ كالمالية والعسكرية، ومنصب الخلافة مما ساهم في زوال الخلافة الراشدة، وسيأتي تفصيل ذلك في محله بإذن الله.



(١) «الولاية على البلدان» (٢/ ١٠٠).
(٢) «الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية» (ص١٣١- ١٣٦) نقلاً عن «الولاية على البلدان» (٢/ ١٠٠).

المبحث الثاني
المؤسسة القضائية

ولي الخلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، واقترنت توليته التي نجمت عن قتل عثمان رضي الله عنه وما تبعها من أحداث شقت صف المسلمين وفرقت كلمتهم، وأصبحت مواجهة تلك الأحداث لرأب الصدع شغله الشاغل، ولم يكن هذا الصراع الدامي في عهد علي رضي الله عنه مانعًا له من أن يعطي للقضاء نصيبًا من الاهتمام به وتنظيمه، ويدل على هذا رسالته التي[1] أرسلها إلى الأشتر النخعي واليه على مصر حين كانت تابعة لحكمه، وفيها يقول: ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور، ولا تمحكه الخصوم، ولا يتمادى في الزلة، ولا يحصر في الفيء إلى الحق إذا عرفه، ولا تستشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، وأوقفهم في الشبهات، وآخذهم بالحجج، وأقلهم تبرمًا بمراجعة الخصوم، وأصبرهم على كشف الأمور، وأصرمهم على اتضاح الحكم، ممن لا يزدهيه إطراء، ولا يستميله إغراء، وأولئك قليل، ثم أَكْثِر من تعاهُدِ قضائه، وأَفْسِح له في البذل ما يزيل علته، وتَقِلُّ معه حاجته إلي الناس، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك؛ ليأمن بذلك اغتيال الرجال عندك[2] .

وفي هذه الرسالة أيضًا: أنصف الله، وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعيّتك، فإنك إلا تفعل تَظْلِم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجته، وكان لله حربًا، حتى ينزِع أو يتوب. وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله، وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم؛ فإن الله سميع دعوة المضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد[3] .

---

(١) «وقائع ندوة النظم الإسلامية» (١/ ٣٧٩).
(٢) «شرح نهج البلاغة» نقلاً عن «نظام الحكم» للقاسمي (٢/ ١٠٣).
(٣) المصدر نفسه (٢/ ٥٥٩).

ونلاحظ أن هذا العهد تضمن صفات القاضي، كما تضمن حقوقه وواجباته، والذي يتأمل في الذي كتبه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لواليه على مصر، يعجب لهذا العهد الذي كتب عام ٤٠هـ، أو حولها، في وقت لم يكن للعرب فيه أي اتصال بالحضارات الأخرى بعد، وكيف كان العقل المسلم الذي ينظر بنور الله قادرًا على تفتيق المعاني، ووضع أمور الدولة في نصابها، على خير ما نرى اليوم في الدساتير والقوانين[(١)] ، وهذه النظرات من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في إنصاف الرعية، وتجنب ظلمها كانت فيما بعد عمادًا في تنظيم ولاية المظالم[(٢)].

أولاً: الخطة القضائية والتشريعية في عهد الخلفاء الراشدين، والمصادر التي اعتمدها الصحابة في ذلك العهد:

قصد بهذه الخطة الطريقة التي سلكها الخلفاء الراشدون والصحابة الكرام رضي الله عنهم وهم يبحثون عن الأحكام الشرعية، لما يحدث لهم من وقائع وقضايا في حياتهم العملية، وهي طريقة، هداهم إليها صحبتهم للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وتدريبهم على يديه، لذلك كان اتباع هذه الطريقة حقًّا على من جاء بعدهم. لاحظنا من خلال دراستنا لعهد الخلفاء الراشدين في كتبنا عن أبي بكر وعمر وعثمان ودراستنا الحالية لعهد علي رضي الله عنه، أنهم كانوا كلما عرض لهم حادث، أو قضاء لجؤوا إلى كتاب الله أولاً، فإن وجدوا فيه الحكم الشرعي للنازلة حسم الأمر، وإلا رجعوا إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا لم يجدوا فيها حلاً انتقلوا إلى الرأي بمعناه الواسع، وقد لاحظنا أن هذا الرأي كان في أول الأمر جماعيًّا في غالب الأحيان، خصوصًا إذا انصب موضوعه على أمر من أمور الدولة ذات الصبغة العامة، وقد ساعد على ذلك أن كبار الصحابة كانوا مستقرين بالمدينة ويسهل جمعهم وأخذ رأيهم، وقد انبثق عن رأيهم الجماعي ما اصطلح على تسميته فيما بعد «الإجماع»، وقد كانوا يستعملون القياس، والمصلحة هي مناط التشريع.

---

(١) «نظام الحكم» للقاسمي (٢/ ١٠٤).

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٥٦٠).

وخير دليل على نجاح هذه الخطة ما قاله ميمون بن مهران حيث قال: كان أبوبكر رضي الله عنه إذا ورد عليه الخصوم نظر في كتاب الله فإن وجد فيه ما يقضي بينهم قضى به، وإن لم يكن في الكتاب، وعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، في ذلك الأمر سنة قضى بها، فإن أعياه أن يجد فيها سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع رؤوس الناس وخيرهم فاستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به، وكان عمر رضي الله عنه يفعل ذلك فإن أعياه أن يجد في القرآن والسنة، نَظَرَ: هل كان فيه لأبي بكر قضاء؟ فإن وجد أبا بكر قضى فيه بقضاء قضى به، وإلا دعا رؤوس المسلمين، فإن أجمعوا على شيء قضى به[1]، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: فمن عرض عليه قضاء بعد اليوم فليقضِ بما في كتاب الله، فإن جاءه أمر ليس في كتاب الله ولا قضى به نبيه صلى الله عليه وسلم، فليقضِ بما قضى به الصالحون، فإن جاءه أمر ليس في كتاب الله ولا قضى به نبيه صلى الله عليه وسلم، ولا قضى به الصالحون فليجتهد رأيه، ولا يقل: إني أرى وإني أخاف؛ فإن الحلال بيِّنٌ، والحرام بَيِّنٌ، وبين ذلك مشتبهات فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك[2]، وقد بينا في حديثنا عن المرجعية العليا لدولة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حرصه على السير على نفس المنهج، ويتبين من هذه الآثار أن الصحابة كانوا يعتمدون في خطتهم التشريعية والقضائية على الكتاب والسنة قبل الانتقال إلى الرأي بمعناه الواسع [3]، ونحب أن نقف عند هذه الآثار لنستخلص منها بعض النتائج:

١- اتفاق الصحابة حول هذه الخطة؛ إذ كانوا يرتبون مراحل اجتهادهم وفقههم مبتدئين بكتاب الله أولاً، ثم الانتقال إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل استخدام الرأي الجماعي ثم القياس.

٢- كان للسابقة القضائية دور هام في هذه الخطة وهو دور جعلها تلي النصوص مباشرة.

---

(١) «سنن الدارمي» (١/ ٥٨) رجال إسناده ثقات غير جعفر بن برقان صدوق، «السنن الكبرى» للبيهقي (١٠/ ١١٤) وصحح إسناده ابن حجر، «فتح الباري» (١٣/ ٣).

(٢) «إعلام الموقعين» (١/ ٦٢).

(٣) «الاجتهاد في الفقه الإسلامي ضوابطه ومستقبله» (ص٥٣).

٣- ومما يلفت النظر في هذه الخطة أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما على الخصوص، لم يكونا يستشيران إلا من كان موجودًا من الصحابة بالمدينة، ولم نطلع على نص يدل على أنهما كانا يستدعيان من كان غائبًا من الصحابة بقصد استشارته في أمر من الأمور الاجتهادية، مما يدل على أن الإجماع كان ينعقد باتفاق من حضر من الصحابة، بصرف النظر عن رأي من كان غائبًا[1]، ويتضح لنا من خلال ما سبق من خطة الخلفاء الراشدين والصحابة في التشريع والقضاء أنهم كانوا كلما حزبهم أمر أو عرضت عليهم قضية؛ بادروا إلى القرآن أولاً حتى إذا لم يجدوا فيه حلاً رجعوا إلى السنة، فإذا لم يجدوا الحل، استعملوا الرأي بمعناه الواسع سواء كان جماعيًّا أو فرديًّا، وقد انبثق عن آرائهم الجماعية ما سُمِّي بالإجماع، وهو مصدر طارئ لم يكن له وجود في عصر الرسالة، وقد صنف هذا المصدر ثالث المصادر بعد الكتاب والسنة، وبما أنه لم يكن من الميسور دائمًا جمع الصحابة بقصد التشاور والاتفاق على حكم معين لأسباب كثيرة؛ فقد لجأ الصحابة لاستعمال الرأي بصورة فردية في الفتوى والقضاء، وقد اعتمدوا على الكتاب والسنة في آرائهم الفردية والجماعية، وعلى الفهم العميق لمقاصد الشريعة الهادفة إلى دفع المفاسد وجلب المصالح، واستوحوا الأحكام للحوادث التي لا نص فيها من روح النصوص، ولم يقضوا مع ظواهرها وقد استعملوا القياس منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو المصدر الرابع من مصادر التشريع يأتي بعد الإجماع في المرتبة، وإن كان سابقًا عليه في الوجود[2] . وهذه هي المصادر التي اعتمدها الخلفاء الراشدون والصحابة الكرام رضي الله عنهم :

١- القرآن الكريم وهو العمدة والأساس، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه.

٢- السنة وتطلق على ما جاء منقولا عن النبي صلى الله عليه وسلم بطرق صحيحة.

---

(١) «الاجتهاد في الفقه الإسلامي ضوابطه ومستقبله» (ص ١٥٣).
(٢) «الاجتهاد في الفقه الإسلامي ضوابطه ومستقبله» (ص ١٥٤).

٣- الإجماع ولابد أن يكون مستندًا إلى نص من كتاب أو سنة أو قياس.

٤- القياس.

وكان الخلفاء الراشدون والصحابة الكرام رضي الله عنهم يشرعون أحكامًا للحوادث؛ بناء على المصلحة الواجب مراعاتها أو دفع المفسدة، فكان اجتهادهم فيما لا نص فيه فسيحًا مجاله يتسع لحاجات الناس ومصالحهم(١).

ثانيًا: ميزات القضاء في العهد الراشدي:

إن القضاء في العهد الراشدي يمثل الدرجة الثانية بعد القضاء في العهد النبوي الذي يمثل الجذور والأساس، وجاء القضاء في العهد الراشدي يمثل البناء الكامل، والتنظيم الشامل من جهة، ويعطي الصورة البراقة للقضاء الإسلامي من جهة ثانية، ويعتبر نموذجًا ومثلاً وقدوة وتحت محط الأنظار طوال العهود التالية، ويمكننا أن نشير باختصار وإيجاز إلى أهم ميزات القضاء في العهد الراشدي، وهي:

١- كان القضاء في العهد الراشدي امتدادًا لصورة القضاء في العهد النبوي، بالالتزام به، والتأسي بمنهجه، وانتشار التربية الدينية، والارتباط بالإيمان والعقيدة، والاعتماد على الوازع الديني، والبساطة في سير الدعوى، واختصار الإجراءات القضائية، وقلة الدعاوى والخصومات إذا قورنت باتساع الدولة، وتعدد الشعوب والأمصار، وحسن اختيار القضاة، وتوفر الشروط الكاملة فيهم.

٢- يعتبر القضاء في العهد الراشدي صورة صحيحة وصادقة وسليمة للقضاء الإسلامي، ولذلك صار موئل الباحثين، ومحط الأنظار للفقهاء، وصارت الأحكام القضائية والتنظيم القضائي في العهد الراشدي مصدرًا للأحكام الشرعية، والاجتهادات القضائية، والآراء الفقهية في مختلف العصور، وهذا بالاتفاق -ولو أدبيًا- عند جميع العلماء والمذاهب، مع وجود الاختلاف في التدقيق والجزئيات والتفاصيل، ومن ذلك اختلاف الأئمة في حجية قول

(١) «الاجتهاد في الفقه الإسلامي ضوابطه ومستقبله» (ص ١٥٩).

الصحابي وعدم حجيته، كما هو مقرر في علم أصول الفقه، وعلم مصطلح الحديث، وتاريخ التشريع، وسيأتي الحديث عن ذلك بإذن الله.

٣- مارس الخلفاء الراشدون، وبعض ولاة الأمصار النظر في المنازعات وتولي القضاء بجانب الولاية، كما أولوا الاهتمام الكامل لتولي قضاء المظالم وقضاء الحسبة(١).

٤- عين الخلفاء الراشدون ﷺ في أكثر المدن والأقطار الإسلامية قضاة لممارسة القضاء خاصة، دون بقية السلطات، وظهر بشكل مبدئي ـ ولأول مرة ـ فصل السلطة القضائية عن بقية السلطات، وأن الولاة لا سلطان لهم على القضاة في المدن الكبرى التي تم فيها تعيين القضاة بجانب الولاة، بينما يتولى الولاة في بقية المدن والأمصار القضاء والولاية معًا ، وهم تحت بصر ومحاسبة الخليفة الراشد.

٥- كان القضاة في العهد الراشدي مجتهدين، فينظرون في نصوص القرآن والسنة مباشرة، ويعملون فيها بما يؤدي إليه اجتهادهم، فإن لم يجدوا فيها حكم الواقعة اجتهدوا رأيهم بعد الاستئناس بما قضى به أسلافهم، واستشارة العلماء المعاصرين لهم، ثم أصدروا الحكم الذي وصل إليه اجتهادهم.

٦- ظهرت مصادر جديدة للقضاء في العهد الراشدي نتيجة للمنهج السابق الذي التزموه، وصارت مصادر الأحكام القضائية هي: القرآن والسنة الشريفة، الإجماع، القياس، السوابق القضائية، الرأي الاجتهادي، مع المشورة.

٧- تم التنظيم الإداري الدقيق للقضاء في العهد الراشدي، وأرسل عمر وعلي رضي الله عنهما الرسائل الخالدة والمشهورة إلى القضاة والولاة؛ لتنظيم شؤون القضاء، وبيان الدستور والمنهج، وتبع ذلك متابعة الخلفاء للقضاة، ومراقبتهم، وتبادل الرأي معهم، والسؤال عن أخبارهم وأقضيتهم، وطلب مراجعتهم في

(١) «تاريخ القضاء في الإسلام» ص (١٥٨).

القضايا المهمة والمعضلة والخطيرة، وكانت هذه الميزة في أوجها في عهد عمر رضي الله عنه، وخفت قليلاً في عهد عثمان رضي الله عنه، وضعفت في عهد علي رضي الله عنه لاضطراب الأمور، وكثرة الفتن، ونشوب الحروب الداخلية، وظهور بذرة الاستقلال الذاتي في الشام وما يتبعها، مع تعدد السلطة.

٨- كانت اختصاصات القاضي في الغالب عامة وشاملة لجميع الوقائع، وكانت صلاحية القاضي واسعة، وله الحرية الكاملة في الإجراءات ولكن ظهر في هذا العهد نواة الاختصاص الموضوعي والنوعي للقضاة، وتم تعيين قضاة للنظر في القضايا الصغيرة والبسيطة، كما تم تعيين قضاة للأحداث الجسيمة والوقائع الكبيرة، وبقي معظم الخلفاء - غالبًا - يتولون النظر في الجنايات والحدود، وقام بهذا الشأن بعض الولاة أيضًا، كما ظهر في هذا العهد تعدد القضاة في وقت واحد في المدن الكبرى والأقطار الواسعة؛ كالمدينة المنورة، والكوفة، والبصرة، واليمن، كما ظهر قاضٍ للعسكر لأول مرة.

٩- تأكد في هذا العهد ما كان في العهد النبوي من مراقبة الأحكام القضائية، وإقرار ما وافق القرآن والسنة وما صدر عن الرأي والاجتهاد؛ لأن الاجتهاد لا ينقض بمثله، وينقض ما خالف القرآن والسنة[1].

١٠- استحدث في العهد الراشدي رواتب القضاة بشكل منظم، مع التوسعة على القضاة، وأقيمت دار للقضاء، وأنشئ السجن للحبس، كما ظهر - ولأول مرة - امتناع كبار الصحابة عن القضاء؛ كابن عمر الذي طلبه عثمان فامتنع، وكعب بن يسار بن ضَنَّة الذي طلبه عمر لتولية القضاء بمصر فأبى أن يقبل، وقيل: قبله أيامًا، ثم اعتزل[2].

١١- كانت إجراءات التقاضي في العهد الراشدي بسيطة وسهلة وقليلة، بدءًا من سماع الدعوى إلى إقامة البيِّنة والإثبات والحجج إلى إصدار الحكم فيها، إلى التنفيذ، وكانت آداب القضاء مرعية في حماية الضعيف، ونصرة المظلوم،

(١، ٢) «تاريخ القضاء في الإسلام» ص (١٥٩).

والمساواة بين الخصوم، وإقامة الحق والشرع على جميع الناس، ولو كان الحكم على الخليفة أو الأمير أو الوالي. وكان القاضي في الغالب يتولى تنفيذ الأحكام؛ إن لم ينفذها الأطراف طوعًا واختيارًا، وكان التنفيذ عقب صدور الحكم فورًا، ولكن ظهرت في العهد الراشدي أمور تنظيمية جديدة، فوجد كاتب للقاضي في عهد عمر، وظهرت الشرطة والأعوان لمساعدة القاضي والوالي في عهد عثمان ﷺ، وتطور التحقيق الجنائي على عهد سيدنا علي ﷺ، وفُرِّقَ بين الشهود للوصول إلى الحق وكشف الواقع، حتى صار مضرب المثل[١].

ثالثًا: أشهر قضاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ :

أقر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ بعض القضاة الذين ثبتت جدارتهم، وكانوا على القضاء قبله، وعين قضاة وولاة آخرين[٢]، منهم:

١- شُريح بن الحارث الذي كان على قضاء الكوفة، وأقره علي ﷺ عليها، وكان يرزقه كل شهر خمسمائة درهم[٣].

٢- أبو موسى الأشعري الذي ولاّه عثمان القضاء بالكوفة، فأقره علي، ثم عزله[٤].

٣- عبيد الله بن مسعود، الوالي والقاضي باليمن.

٤- عثمان بن حنيف على البصرة.

٥- قيس بن سعد على مصر، وكان شهد فتح مصر، واختط بها دارًا، ووليها لعلي ثم عزله بمحمد بن أبي بكر[٥].

٦- عمارة بن شهاب على الكوفة.

٧- تمام بن العباس على المدينة المنورة سنة ٣٧هـ، وقثم بن العباس على مكة والطائف[٦].

---

(١) «تاريخ القضاء في صدر الإسلام» ص (١٦٠).
(٢) «القضاء في صدر الإسلام»، لجبر محمود ص (٢٣٩).
(٣) «أخبار القضاة» (٢/٢٢٧).
(٤) «تاريخ القضاء في الإسلام» ص ١٤٩.
(٥) «تاريخ الطبري» (٥/٥٨٩).
(٦) «تاريخ الطبري» (٦/٧١).

٨- جعدة بن هبيرة المخزومي، ثم خليد بن قرة اليربوعي على خراسان[١].

٩- عبد الله بن عباس كان واليًا لعلي على البصرة، وكان أبو الأسود الدؤلي على قضائها، وفي قول: ولى عبدُ الله بن عباس على القضاء في البصرة عبدَالرحمن بن يزيد الحُدّاني، وكان أخا المهلب بن أبي صفرة لأمه، وبقي قاضيًا عليها أيام علي بن أبي طالب، وطائفة من عمل معاوية حتى قدم زياد فعزله[٢]، وقال أبو عبيدة: كان ابن عباس يفتي الناس ويحكم بينهم[٣]، وإذا خرج ابن عباس عن البصرة استخلف أبا الأسود، فكان هو المفتي، والقاضي يومئذ يدعى المفتي، فلم يزل كذلك حتى قُتِلَ علي سنة أربعين، ونقل عن أبي الأسود أقضية طريفة، لما خرج أمير المؤمنين علي من المدينة إلى البصرة ولَّى عليها عبد الله بن عباس رضي الله عنهما[٤].

١٠- سعيد بن نمران الهمذاني الذي عينه علي رضي الله عنه لما قدم الكوفة، ثم عزله، ثم استقضاه مصعب بن الزبير على الكوفة فقضى ثلاث سنوات، ثم عين ابن الزبير عبد الله بن عتبة بن مسعود[٥].

١١- عبيدة السلماني، محمد بن حمزة الذي عينه علي على قضاء الكوفة بعد عزل سعيد الهمذاني، وقال له: اقضوا كما كنتم تقضون، ثم عزله وعين شريحًا، وقال الشعبي: كان شريح أعلم الناس بالقضاء، وكان عبيدة يوازي شريحًا في القضاء، وله أقضية طريفة، وكان من علماء الكوفة المشهورين، وكان شريح يستشيره ويرجع إليه[٦].

١٢- محمد بن يزيد بن خليدة الشيباني، عينه علي رضي الله عنه قاضيًا على الكوفة، وله أقضية فيها[٧].

---

(١) «تاريخ القضاء في الإسلام» (ص ١٥١).
(٢) «أخبار القضاة» (١/ ٨٨، ٢٨٩).
(٣) «أخبار القضاة» (١/ ٢٨٨).
(٤، ٥) «تاريخ القضاء في الإسلام» (ص ١٥١).
(٦) «أخبار القضاة» (٢/ ٣٩٦، ٣٩٧).
(٧) «طبقات ابن سعد» (٦/ ١٠)، و«أخبار القضاة» (٢/ ٣٩٩، ٤٠١).

وقد كان قضاة علي في الأمصار هم ولاته على البلدان المختلفة؛ لأن ولايتهم كانت عامة تشمل الحكم والإدارة وإقامة الحدود والإمامة والقضاء وجباية الصدقات وغيرها(١)، وكان علي ﷺ يطلب من ولاته التحري في تعيين القضاة، مما يدل على أنه خول لهم تعيين القضاة في البلدان التابعة لولاياتهم، مع أن الولاة - في الغالب - هم قضاة الأمصار التي يقيمون فيها، إلا أنه ورد ذكر أسماء عدد من قضاة الأمصار في عهد علي ﷺ كما مر معنا، ويبدو أن ولاة الأمصار كان لهم الحق في النظر في المظالم التي يرفعها الناس ضد أحكام القضاء، وبالدرجة الأولى التي حكم فيها قضاة ولوا من قبلهم وليس من قبل الخليفة، كما كان لهم النظر في المظالم الأخرى من قبل قضاة البلدان المعينين من قبل الخليفة بحكم عموم ولايتهم(٢)، إلا أنهم كانوا يرجعون إلى الخليفة في مثل هذه القضايا، ومن المعروف أن الخلفاء كانوا يفتحون أبوابهم لمن يجأر بالشكوى؛ سواء كانت الشكوى ضد الولاة أو ضد القضاة أو عمال الخراج أو غيرهم(٣).

رابعًا: الأسلوب القضائي عند أمير المؤمنين علي، ونظرته للأحكام الصادرة قبله، والمؤهلين للقضاء ومكانة ومجانية الحصول على الحكم:

١- إبقاؤه على أسلوب القضاء:

يظهر أن عليَّ بن أبي طالب ﷺ كان ينوي إدخال بعض التعديلات في أسلوب القضاء، وأصول المحاكمات بما يتناسب مع التطورات الجديدة التي طرأت على المجتمع، إلا أنه أرجأ ذلك إلى أن تستقر الأمور، فقد أثر عنه أنه ﷺ قال: اقضوا كما تقضون حتى تكونوا جماعة؛ فإني أخشى الاختلاف(٤).

٢- عدم نقضه الأحكام الصادرة قبله:

وحرصًا على استقرار الأمور فإن أمير المؤمنين ﷺ كان يرى بأنه لا يحق

(١) «أخبار القضاة» (١/ ٣٩٥).

(٢) «قضاء أمير المؤمنين»، لعبد الله بن عثمان (ص ٢٩٠).

(٣) «الأحكام السلطانية» للماوردي (ص ٧٧).

(٤) «الولاية على البلدان» (٢/ ٩٣).

للقاضي أن ينقض حكمًا أصدره قاضٍ آخر، وقد كان هو رضي الله عنه كتب الكتاب بين أهل نجران وبين النبي صلى الله عليه وسلم، فكثروا في عهد عمر حتى خافهم على الناس، فوقع بينهم الاختلاف، فأتوا عمر، فسألوه البدل، فأبدلهم، ثم ندموا، ووضع عليهم شيئًا فأبوه، فاستقالوه، فأبى أن يقيلهم، فلما ولي علي أتوه فقالوا: يا أمير المؤمنين شفاعتك بلسانك وخطك بيمينك، فقال علي رضي الله عنه: ويحكم إن عمر كان رشيد الأمر[1]، ولن أرد قضاءً قضى به عمر[2].

٣- الأهلية للقضاء:

القضاء من الولايات العامة، ولذلك يشترط في القاضي ما يشترط فيمن تكون له ولاية عامة على المسلمين من العقل والبلوغ والإسلام، ويشترط في القاضي أن يكون عفيفًا عما في أيدي الناس، حليمًا لا تثيره الكلمة، ولا يغضبه التصرف النابي، عالمًا بأحكام الشريعة، وبناسخها ومنسوخها، فقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لقاضٍ: هل تعلم الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، قال: هلكت وأهلكت[3]، وإنما سأله علي عن الناسخ والمنسوخ؛ لأن معرفته ليس بالأمر السهل في ذلك العصر، ويشترط فيه أن يكون عالمًا بما قضى به القضاة السابقون؛ حتى لا يخرج عن خطهم في القضاء؛ حسمًا لفوضى الأحكام، وأن يكون متواضعًا لا يرى غضاضة في استشارة ذوي العلم والعقل الراجح؛ لأن هذه الشورى تبعده عن الخطأ في الأحكام، وأن يكون جريئًا في الحق لا يتأخر عن النطق بالحكم به ولو أغضب ذوي السلطان، وقد جمع ذلك كله قول علي رضي الله عنه: لا ينبغي أن يكون القاضي قاضيًا حتى تكون فيه خمس خصال: عفيف، حليم، عالم بما كان قبله، يستشير ذوي الألباب، لا يخاف في الله لومة لائم[4].

٤- مكان القضاء:

على القاضي أن يختار مكان جلوسه بين المتخاصمين في وسط المدينة بحيث

(١) «مصنف عبد الرزاق» (١١/ ٣٢٩).
(٢) «سنن البيهقي» (١٠/ ١٢٠).
(٣) «المغني» (٩/ ٥٧).
(٤) «سنن البيهقي» (١٠/ ١١٧).

لا يشق على أحد الوصول إليه، ولذلك كان علي ﷺ يأمر شريحًا - القاضي - بالجلوس في المسجد الأعظم[١]؛ ليبسر الوصول إليه[٢].

٥- مجانية الحصول على الحكم:

لما كان إقامة العدل بين الناس من أهداف الدولة الإسلامية، فإن الفقه الإسلامي يقضي بألاَّ يقام أي حائل بين صاحب الحق وبين الحصول على حقه، ولذلك فإن المتقاضيين لا يدفعان للقاضي ولا للدولة شيئًا من المال للحصول على الحكم الذي يفصم الخلاف بينهما، بل الدولة الإسلامية هي التي تتكفل بنفقات الحاكم والمحكمة، وقد كان علي ﷺ يعطي شريحًا على القضاء رزقًا، وقد رزقه حين ولاَّه القضاء في الكوفة كل شهر خمسمائة درهم[٣].

٦- بذور المحاماة:

في العهد الراشدي ظهرت بذور المحاماة، فكان علي ﷺ يوكل أخاه عقيلا في المخاصمة، ولما أسن عقيل، وكَّلَ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عنه أمام القضاء، وكان يقول: ما قضي لوكيلي فلي، وما قضي على وكيلي فعلي[٤].

خامسًا: ما يجب على القاضي:

لكي يحقق القاضي العدل في الأحكام لابد له من مراعاة ما يلي:

١- دراسة القضية المعروضة عليه دراسة واعية: ولا يجوز له أن يتسرع في إصدار الحكم قبل الانتهاء من الدراسة، والاطمئنان إلى الحكم، ولذلك قال علي ﷺ لشريح: لسانك عبدك ما لم تتكلم، فإذا تكلمت فأنت عبده، فانظر ما تقضي وفيم تقضي وكيف تقضي؟[٥].

٢- المساواة بين الخصوم: فقد نزل على علي ﷺ ضيف، فكان عنده

---

(١) «المغني» (٩/ ٤٣).

(٢، ٣) «مسند زيد» (٤/ ١٣٧)، و«موسوعة فقه علي بن أبي طالب ﷺ» (ص ٥٠٦).

(٤) «أصول المحاكمات الشرعية» (ص ٧٠)، و«تاريخ الفقهاء في الإسلام» (ص ١٣٢).

(٥) «كنز العمال» رقم (١٤٤٣٣).

أيامًا، فأتى في خصومة، فقال له علي: أخصم أنت؟ قال: نعم، قال: فارتحل عنا؛ فإنا نهينا أن ننزل خصمًا إلا مع خصمه(١).

٣- عدم الصياح بالمتخاصمين: ولّى علي بن أبي طالب رضي الله عنه أبا الأسود الدؤلي القضاء، ثم عزله، فقال: لِمَ عزلتني وما خنت ولا جنيت؟ فقال: إنما رأيتك يعلو كلامك على الخصمين(٢).

٤- الابتعاد عن المؤثرات ومجاهدة النفس: سواء كانت هذه المؤثرات قرابة، أو مالاً، أو بغضًا أو... . فقد جاء جعدة بن هبيرة إلى علي بن أبي طالب فقال: يا أمير المؤمنين، يأتيك الرجلان أنت أحب إلى أحدهما من نفسه، والآخر لو يستطيع أن يذبحك لذبحك، فتقضي لهذا على هذا؟ قال: فلمزه علي رضي الله عنه، وقال: هذا شيء لو كان لي لفعلت، ولكن إنما ذلك شيء لله(٣).

٥- الشورى: وعلى القاضي أن يستشير ذوي العلم والرأي لئلا يفلت منه حق، وقد كان علي رضي الله عنه أحد أعضاء الشورى الذين يحرص الخلفاء على استشارتهم عندما تعرض عليهم مشكلة، فقد روى الخصاف في «أدب القاضي» أن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان إذا جاءه الخصمان قال لهذا: ادعُ عليًّا، وقال لهذا: ادعُ طلحة والزبير رضي الله عنهما، ونفرًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا جاؤوا إليه قال لهما: تكلما، فإذا تكلما يقبل عليهم فيقول: ماذا تقولون؟ فإن قالوا ما يوافق قوله قضى عليهما ولا ينظرهم بعد(٤).



(١) «كنز العمال» رقم (١٤٤٢٩)، و«مصنف عبد الرزاق» (٨/ ٣٠٠).
(٢) «المغني» (٩/ ١٠٤).
(٣) «فقه علي بن أبي طالب»، لقلعجي (ص ٥٠٨).
(٤) «شرح أدب القاضي» للخصاف (١/ ٣٠٥)، و«موسوعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه» ص (٥٠٨).

المبحث الثالث

من فقه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه

أولاً: في العبادات:

لم يأل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه جهدًا في بيان أحكام العبادات للناس؛ لما يتمتع به من غزارة في العلم وفقه في الدين، وما بينه للناس من أحكام العبادات يحتاج إلى سفر ضخم[١]، ولكن نشير إلى مجموعة من الأحكام في هذا الكتاب على النحو التالي:

أحكام في الطهارة:

١- يغسل من بول الجارية وينضح من بول الغلام ما لم يطعم:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: يغسل من بول الجارية، وينضح من بول الغلام ما لم يطعم[٢]. والدليل على ذلك: لما بال الحسين بن علي رضي الله عنهما في حجر النبي صلى الله عليه وسلم قالت لبابة بنت الحارث: يا رسول الله، أعطني ثوبك، والبس ثوبا غيره. فقال: «**إنما ينضح من بول الذكر، ويغسل من بول الأنثى**»[٣].

٢- نوم الجالس وحكمه في نقض الوضوء:

أخرج عبد الرزاق في مصنفه بسنده أن عليًا، وابن مسعود، والشعبي رضي الله عنهم، قالوا في الرجل ينام وهو جالس: ليس عليه الوضوء[٤]. ودل على ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**العين وكاء السه، فمن نام فليتوضأ**»[٥].

٣- غسل المذي والوضوء منه:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: كنت رجلاً مذاءً فأمرت رجلاً[٦] أن يسأل النبي صلى الله عليه وسلم - لمكان ابنته - فسأله، فقال: «**توضأ، واغسل ذكرك**»[٧].

---

(١) انظر على سبيل المثال: «موسوعة فقه علي بن أبي طالب رضي الله عنه»، لمحمد قلعجي، و«فقه الإمام علي»، لأحمد طه.
(٢) «صحيح سنن أبي داود» للألباني (١/ ٧٥) صحيح موقوف.
(٣) «صحيح سنن ابن ماجه» (١/ ٨٥) حسن صحيح.
(٤) «المصنف» (١/ ١٣١).
(٥) «صحيح سنن أبي داود» للألباني (١/ ٤١).
(٦) الرجل هو المقداد كما في رواية البخاري.
(٧) «مسلم»، كتاب الحيض (١/ ٢٤٧).

٤- قراءة القرآن - من دون المصحف - على كل حال ما لم يكن جنبا:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئنا القرآن عل كل حال ما لم يكن جنبا[١]، وعن عامر الشعبي قال: سمعت أبا الغريف الهمداني يقول: شهدت علي ابن أبي طالب رضي الله عنه بال ثم قال: اقرؤوا القرآن ما لم يكن أحدكم جنبًا، فإذا كان جنبًا فلا، ولا حرفًا واحدًا[٢].

٥- وطء الحائض:

سأل عمر رضي الله عنه عليًّا ما ترى في رجل وقع على امرأته وهي حائض؟ قال: ليس عليه كفارة إلا أنه يتوب[٣]، وقد أجمعت الأمة على حرمة وطء الحائض دون خلاف[٤]؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ (البقرة: ٢٢٢).

٦- مباشرة الحائض:

فقد سئل علي رضي الله عنه: ما لك من امرأتك إذا كانت حائضًا؟ قال: ما فوق الإزار[٥]، ودليله في ذلك عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت إحدانا إذا كانت حائضًا أمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأتزر بإزار، ثم يباشرها[٦].

أحكام في الصلاة:

١- لا يقرأ القرآن راكعًا أو ساجدًا:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: نهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قراءة القرآن وأنا راكع أو ساجد[٧].

٢- من لم يصلِ فهو كافر:

سئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين ما ترى في امرأة

---

(١) «مسند أحمد» (٢/ ٥١) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) «مصنف عبد الرزاق» (١/ ٣٣٦).

(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٥٩).

(٤) «بداية المجتهد» (١/ ٥٧)، و«المجموع» (٢/ ٣٥٩).

(٥) «فقه الإمام علي بن أبي طالب» (١/ ١٥٥).

(٦) «مسلم» (١/ ١٦٦).

(٧) «مسلم» (١/ ٣٤٩).

لا تصلي؟ قال: من لم يُصَلِّ فهو كافر[١]، قال عبد الله بن شقيق: لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة، ولأنها عبادة يدخل بها في الإسلام، فيخرج بتركها منه كالشهادة[٢]، ويؤيد هذا الحكم، قول رسول الله ﷺ: «**إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»[٣].

قال الإمام النووي: تارك الصلاة إن كان منكرا لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين، خارج من ملة الإسلام، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام، ولم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة عليه، وإن كان تركه تكاسلا مع اعتقاد وجوبها - كما هو حال كثير من الناس - فقد اختلف العلماء فيه، فذهب مالك والشافعي (رحمهما الله) والجماهير من السلف والخلف إلى أنه لا يكفر، بل يفسق، ويستتاب، فإن تاب وإلا قتلناه حدًّا، كالزاني المحصن، ولكنه يقتل بالسيف، وذهب جماعة من السلف إلى أنه يكفر، وهو مروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل (رحمه الله) وبه قال عبدالله بن المبارك، وإسحاق بن راهويه، وهو وجه لبعض أصحاب الشافعي، وذهب أبو حنيفة وجماعة من أهل الكوفة، والمزني صاحب الشافعي أنه لا يكفر ولا يقتل، بل يعزر، ويحبس حتى يصلي[٤].

٣- إعادة الصلاة في الوقت:

إذا أعاد المصلي صلاته في الوقت لفضيلة الجماعة فإن[٥] الأولى فرض والمعادة نافلة عند علي رضي الله عنه، نقل ذلك عن ابن قدامة، وعن الحارث عن علي في الذي يصلي وحده ثم يصلي في الجماعة، قال: صلاته الأولى[٦]، أي الثانية نافلة له، ودليله ما رواه أبو ذر حيث قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يميتون الصلاة، أو يؤخرون الصلاة عن وقتها، فإن أدركتها معهم فصلِّ**

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (١١/٤٧)، و«كنز العمال» (٨/١٣).
(٢) «المغني» (٢/٤٤).
(٣) «مسلم»، كتاب الإيمان (١/٨٨).
(٤) «شرح صحيح مسلم» (٢/٧٠)، و«المغني» (٢/٤٤٢-٤٤٧).
(٥) «المغني» (٢/١١٣).
(٦) «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/٢٧٦)، و«كنز العمال» رقم (٢٢٨٣٣).

فإنها لك نافلة»[١]، وجه الدلالة أنه سمى التي يصليها جماعة نافلة[٢] وإذا أعاد المغرب شفعها بركعة عند علي رضي الله عنه، فعن الحارث عن علي إذا أعاد المغرب شفع بركعة[٣].

٤ـ قضاء الفوائت:

من فاتته صلاة فيجب عليه قضاؤها، ويستحب أن يقضيها على الفور عند علي، وقد قال علي رضي الله عنه: إذا نام الرجل عن صلاة أو نسي فليصلِّ إذا استيقظ أو ذكر[٤]، وعلى هذا إجماع المسلمين دون خلاف[٥]، والدليل على ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها إذا ذكرها، فإن الله يقول: أقم الصلاة لذكري**»[٦].

٥ـ صلاة التراويح:

عن أبي عبدالرحمن السلمي أن عليًّا قام بهم في رمضان[٧]، وعن إسماعيل ابن زياد قال: مر علي على المساجد وفيها القناديل في شهر رمضان فقال نوَّر الله على عمر قبره، كما نور علينا مساجدنا[٨]، وعلى هذا إجماع مذاهب أهل السنة[٩]، والحجة في ذلك ما رواه أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**»[١٠]، وجه الدلالة أن التراويح من القيام فهو سنة[١١]، والجماعة في التراويح أفضل عند علي وكان هو يصليها جماعة[١٢]، ويجعل للرجال إمامًا وللنساء إمامًا، فعن عرفجة الثقفي قال: كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يأمر الناس بقيام شهر رمضان ويجعل للرجال إمامًا

---

(١) «مسلم»، كتاب المساجد رقم (٢٤٠).
(٢) «فقه الإمام علي بن أبي طالب» (١/ ١٧٧).
(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٢٧٦).
(٤) «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٦٤).
(٥) «فقه الإمام علي بن أبي طالب» (١/ ١٨١).
(٦) «مسلم»، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (١/ ٤٧٧) رقم (٦٨٤).
(٧) «المغني» (٢/ ١٦٩)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٣٩٥).
(٨) «المغني» (٢/ ١٦٩)
(٩) «بداية المجتهد» (١/ ٢١٤)، و«المغني» (٢/ ١٦٥).
(١٠) «مسلم» رقم(٧٥٩).
(١١) «فقه الإمام علي بن أبي طالب» (١/ ٢٨٥)
(١٢) «المغني» (٢/ ١٦٨)

وللنساء إمامًا، قال عـرفجة: فكنت أنا إمام النساء(١)، وصلاة التراويح لها دليل في أصلها من هدي النبي ﷺ، فعن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها أخبرته أن رسول الله ﷺ خـرج ذات ليلة من جوف الليل، فصلى في المسـجد، وصلى رجال بصلاته، فـأصبح النـاس يتحدثون، فـاجتمع أكثر منهم، فـصلوا معه، فأصـبح الناس فتحدثوا فـكثر أهل المسجد من اللـيلة الثالثة، فخـرج رسول الله ﷺ فصلى الناس بصـلاته، فلما كانت الليلة الرابـعة عجز المسـجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح، فلمَّا قضى الفجر، أقبل على الناس فتشهد، ثم قال: «**أما بـعد، فـإنه لم يخفَ علي مكانكم، ولكني خـشيت أن تفـرض عليكم فتـعجـزوا عنها**»، فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك(٢).

٦- صلاة العيد في المسجد بالشيوخ والضعفاء:

لما تولى أميـر المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافـة وصار بالكوفـة، وكان الخلق بها كثـيرًا، قالوا: يا أمير المؤمنين، إن بـالمدينة شيوخًا وضعـفاء يشق عليهم الخروج إلى الصحراء، فاستخلف علي بن أبي طالب رجلاً يصلي بالناس العيد في المسجد، وهو يصلي بالناس خارج الصحراء، ولم يكن هذا يفعل قبل ذلك، وعلي من الخلفاء الراشدين، وقد قال النبي ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي**»(٣)، فمن تمسك بسنة الخلفاء الراشدين فقد أطاع الله ورسوله(٤).

٧- تغسيل الرجل زوجته:

يجوز للرجل أن يغسل جـنازة زوجته عند علي؛ إذ أنه غسل زوجتـه فاطمة رضي الله عنها(٥)، وعن أسماء بنت عميس قالت: أوصت فاطمة إذا ماتت ألا يغسلها إلا أنا وعلي، قالت: فغـسلتها أنا وعلي(٦)، وحكي إجماع الصـحابـة على ذلك؛ لأن ذلك اشتهر فيهم ولم ينكروه(٧)، وبه قال جمهور العلماء والحجة لهم لقول

---

(١) «المجموع» (٤/ ٣٤)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٢٢٢).
(٢) «البخاري» رقم (٢٠١٢).
(٣) «سنن الترمذي في العلم» (٢٦٧٦) حسن صحيح.
(٤) «الفتاوى» (٢٤/ ١١٣).
(٥) «السيل الجرار» (١/ ٣٤٤)، و«المبسوط» (٢/ ٧١).
(٦) «مصنف عبد الرزاق» (٣/ ٤١٠)، و«المحلى» (٥/ ١٧٥).
(٧) «المغني» (٢/ ٢٥٢)، و«نيل الأوطار» (٤/ ٥٨).

رسول الله ﷺ لعائشة: **«ما ضرك لو مِتِّ قبلي، فغسلتك، وكفنتك، ثم صليت عليك ودفنتك»**(١).

٨- الكفن من مال الميت:

يحسب تكاليف تكفين الميت من رأس ماله إن كان له مال عند علي رضي الله عنه(٢)، فعن عبدالله ابن ضميرة عن أبيه عن جده عن علي رضي الله عنه أنه قال: الكفن من رأس المال(٣)، والحجة في ذلك أن مصعب بن عمير رضي الله عنه قُتِلَ يوم أحد ولم يوجد له شيء يكفن فيه إلا نمرة فكنا إذا وضعناها على رأسه خرجت رجلاه، وإذا وضعناها على رجليه خرج رأسه، فقال رسول الله ﷺ: **«ضعوها مما يلي رأسه واجعلوا على رجليه الإذخر»**(٤). وجه الدلالة: أنه لو كان واجب على المسلمين لأخذ له من المسلمين الحاضرين ما يتم به كفنه(٥).

٩- كفن الرجل والمرأة وعدم المغالاة فيه:

يسن أن يكفن الرجل في ثلاثة أثواب، والمرأة في خمسة أثواب عند علي رضي الله عنه، نقل ذلك عنه الكاساني وغيره(٦)، ويكره المغالاة في الكفن وهو الزيادة على الثلاثة للرجل والخمسة للمرأة عند علي(٧)، فقد قال أمير المؤمنين علي: كفن المرأة خمسة أثواب، وكفن الرجل ثلاثة، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين(٨).

١٠- غسل الشهيد وكفنه:

لا يغسل الشهيد ولا يكفن عند علي، فقد نقل ذلك عنه الكاساني وغيره(٩)، وروي عنه أنه لم يغسل من قُتل معه في قتال مع مخالفيه ولم يأمر بتكفينهم، بل

---

(١) «سنن ابن ماجه» رقم (١٤٦٤) وإسناده صحيح.
(٢) «فقه الإمام علي بن أبي طالب» (١/ ٣٠٥).
(٣) «الطبراني الأوسط» (٤/ ٦٧) وإسناده ضعيف.
(٤) «مسلم» (٢/ ٦٤٩) رقم (٩٤٠).
(٥) «فقه الإمام علي بن أبي طالب» (١/ ٣٠٦).
(٦) «البدائع» (٢/ ٧٦٦)، و«المبسوط» (٢/ ٧٢).
(٧) «فقه الإمام علي بن أبي طالب» (١/ ٣٠٧).
(٨) «البدائع» (٢/ ٧٦٦)، و«المبسوط» (٢/ ٧٢).
(٩) «البدائع» (٢/ ٢٨٧)، و«فقه الإمام علي بن أبي طالب» (١/ ٣٠٦).

دفن عماراً ولم يغسله(١)، وهذا قول جمهور أهل العلم إلا الحسن البصري وسعيد بن المسيب لقولهما: إن الميت يجنب(٢).

- أحكام متعلقة بالزكاة

١ - لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول:

بيَّن أمير المؤمنين علي أن حولان الحول شرط في وجوب الزكاة؛ لما ورد عنه ﷺ قال: ليس في مال زكاة حتى يحول عليه الحول(٣)، والحول شرط لوجوب الزكاة في النقود والمواشي، وأموال التجارة، وليس بشرط في الزرع، وذلك إجماع لا خلاف فيه(٤).

٢ - نصاب الذهب والفضة ومقدار الزكاة فيهما:

بيَّن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أن نصاب الذهب عشرون مثقالاً، وليس فيما دونه زكاة، وما زاد فبحسابه، حيث يقول: ليس فيما دون عشرين ديناراً شيء، وفي عشرين نصف دينار، وفي أربعين دينار، فما زاد فبحساب(٥)، وقال عن نصاب الفضة: ليس في أقل من مائتي درهم زكاة(٦)، وقال: فإذا بلغ مائتي درهم ففيه خمسة دراهم، وإن نقص من المائتين فليس فيه شيء، وإن زاد على المائتين فبحساب(٧).

٣ - نصاب الإبل ومقدار الزكاة فيها:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: في خمس من الإبل شاة إلى تسع، فإن زادت واحدة ففيها شاتان إلى أربع عشرة، فإن زادت واحدة ففيها

(١) «المغني» (٢/ ٥٣٤)، و«فقه الإمام علي» (١/ ٣٠٦).
(٢) «البدائع» (٢/ ٨٠٦)، و«المغني» (٢/ ٥٢٩).
(٣) «مسند أحمد» (٢/ ٣١١) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.
(٤) «موسوعة فقه الإمام علي» لقلعجي ص (٢٩٥).
(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ١١٩).
(٦) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ١١٧).
(٧) «المحلى» (٦/ ٦١، ٥٩)، و«المجموع» (٦/ ١٦).

ثلاث شياه إلى تسع عشرة، فإن زادت واحدة ففيها أربع شياه إلى أربع وعشرين، فإن زادت واحدة ففيها خمس شياه[١]، فإن زادت واحدة ففيها بنت مخاض أو لبون -ذكر أكبر منها بعام- إلى خمس وثلاثين، فإن زادت واحدة ففيها بنت لبون إلى خمس وأربعين، فإن زادت واحدة ففيها حقة «طرقة الفحل» إلى ستين، فإن زادت واحدة ففيها بنتا لبون إلى تسعين، فإذا كثرت الإبل ففي كل خمسين من الإبل حقة، ولا يجمع بين مفترق ولا يفرق بين مجتمع[٢].

٤ ـ الأصناف التي تجب فيها الزكاة من الزروع:

الأصناف التي تجب فيها الزكاة عند علي رضي الله عنه هي الحنطة والشعير والتمر والزبيب، نقل ذلك عنه ابن حزم وغيره[٣]، وقد قال علي: الصدقة عن أربع: من البر فإن لم يكن بر فتمر، فإن لم يكن تمر فزبيب، فإن لم يكن زبيب فشعير[٤].

٥ ـ عدم الزكاة في الخضروات والفواكه والعسل:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: ليس في الخضر صدقة[٥]، وفي رواية: ليس في الخضر والبقول صدقة[٦]، وهو قول جمهور العلماء[٧]، ولا زكاة في الفواكه عند علي رضي الله عنه، فعن أبي إسحاق عن علي قال: ليس في التفاح وما أشبه صدقة[٨]، وعن عاصم ابن ضمرة عن علي قال: ليس في الخضر صدقة: البقل والتفاح والقثاء[٩]، وهو قول كل من قال باقتصار وجوب الزكاة على

---

(١) عند ابن قدامة في «المغني» (٢/ ٥٧٩) من ٢٥ إلى ٣٥ فيها بنت مخاض.

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ١٢٢).

(٣) «المحلى» (٥/ ٢١٢)، و «فقه الإمام علي» (١/ ٣٤٦).

(٤) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٤٣٨).

(٥) «مصنف عبد الرزاق» (٧١٨٨)، و«جمع الجوامع» (٢/ ١٥٧).

(٦) «سنن البيهقي» نقلاً عن «فقه الإمام علي» (١/ ٣٤٧).

(٧) «فقه الإمام علي» (١/ ٣٤٧).

(٨) «جمع الجوامع» (٢/ ٩٥)، و«فقه الإمام علي» (١/ ٣٤٨).

(٩) «مصنف عبد الرزاق» (٧١٨٨)، و«فقه الإمام علي» (١/ ٣٤٨).

الأصناف الأربعة، والحجة لهم لدخولها تحت حكم الخضروات؛ لاشتراكها معها في عدم البقاء والادخار[١]، وأما زكاة العسل فهي غير واجبة عند علي؛ حيث قال: ليس في العسل زكاة[٢].

٦ ـ صرف الزكاة لصنف واحد:

يجوز إعطاء الزكاة لصنف واحد من الأصناف الثمانية، أو لشخص واحد يغنون بها عند علي ﷺ، فقد قال: لا بأس أن يبعث الرجل الصدقة في صنف واحد[٣]، وروي عنه أنه أتي بصدقة فبعثها إلى أهل بيت واحد[٤].

٧ ـ إعطاء الزكاة للأصول والفروع:

قال أمير المؤمنين علي ﷺ: ليس لولد ولا لوالد حق في صدقة مفروضة، ومن كان له ولد أو والد فلم يصله فهو عاق[٥]، وحُكي إجماع العلماء على هذا، وحمل من خالفه على صدقة التطوع والحجة لهم؛ لأن منفعتها تعود على دافع الزكاة؛ لأنها تغنيهم عن النفقة فلا يدفعها إليهم، وقد يتخذ ذلك حيلة للتخلص من دفع الزكاة، ثم إن الزكاة والنفقة واجبان مستقلان لا يحل أحدهما مكان الآخر كالصلاة والصوم، وإن الزكاة حق لله تعالى فهي عبادة، وأما النفقة فهي حق العباد، وهي صلة القرابة[٦].

أحكام متعلقة بالصيام:

١ ـ ثبوت صيام رمضان برؤية الواحد العدل:

يثبت دخول شهر رمضان عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ بخبر الواحد العدل، ويلزم الناس بصيامه، فعن فاطمة بنت الحسين ﷺ: أن رجلاً

---

(١) «فقه الإمام علي بن أبي طالب» (١/ ٣٤٥).
(٢) «جمع الجوامع» (٢/ ١٥٧)، و«فقه الإمام علي» (١/ ٣٤٥).
(٣) «فقه الإمام علي» (١/ ٣٥٢) نقلاً عن «سنن البيهقي».
(٤) «البدائع» (٢/ ١٠٤)، و«فقه الإمام علي» (١/ ٣٥٢).
(٥) «سنن البيهقي» نقلاً عن «فقه الإمام علي» (١/ ٣٥٥).
(٦) «فقه الإمام علي بن أبي طالب» (١/ ٣٥٥).

شهد عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه على رؤية هلال رمضان فصام، وأحسبه قال: وأمر الناس بالصيام[١] وهذا الحكم مبني على ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غُمِّيَ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يومًا**»[٢]، قال النووي: المراد رؤية بعض المسلمين، ولا يشترط رؤية كل إنسان، بل يكفي جميع الناس رؤية عدلين وكذا عدل على الأصح، وأما الفطر فلا يجوز بشهادة عدل واحد على هلال شوال، عند جميع العلماء إلا أبا ثور فجوزه بعدل[٣].

٢ـ صيام الجنب:

يجوز أن يصوم المجنب أي يؤخر الغسل حتى يصبح ثم يغتسل ويتم صومه عند علي رضي الله عنه نقل ذلك عنه ابن قدامة وعن الحارث عن علي قال: إذا أصبح الرجل وهو جنب فأراد أن يصوم فليصم إن شاء[٤]، والدليل على ذلك ما ورد عن عائشة وأم سلمة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم[٥].

٣ـ الإفطار للشيخ الكبير:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في تفسيره قول الله تعالى ﴿**وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ**﴾ (البقرة: ١٨٤)، قال: الشيخ الكبير الذي لا يستطيع الصوم يفطر، ويطعم مكان كل يوم مسكينًا[٦].

٤ ـ مكان الاعتكاف:

عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي رضي الله عنه قال: لا اعتكاف إلا في مسجد جماعة[٧]، وفي لفظ: لا اعتكاف إلا في مصر جامع[٨]، ولعله قصد بذلك أن الاعتكاف لا يقام إلا في مسجد المِصْر الجامع الذي تقام فيه الجمعة[٩].

---

(١) «المجموع» (٦/ ٣١٥)، و«المغني» (٣/ ٩٠)، و«موسوعة فقه الإمام علي رضي الله عنه» (ص ٤٢٠).
(٢) «مسلم» (٢/ ٧٥٩).
(٣) «شرح صحيح مسلم» (٧/ ١٩٠).
(٤) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٨١)، و«المغني» (١/ ١٣٧).
(٥) «البخاري» (٢/ ٢٣٢).
(٦) «تفسير الطبري» (٢/ ٨١).
(٧) «مصنف عبد الرزاق» (٩٠٠٨).
(٨) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٩١).
(٩) «فقه الإمام علي بن أبي طالب» (١/ ٣٨٦).

٥- ما يجوز للمتعكف:

قال علي ﷺ: إذا اعتكف الرجل فليشهد الجمعة وليعد المريض وليشهد الجنازة وليأتي أهله وليأمرهم بالحاجة وهو قائم[١].

من أحكام الحج:

١- تقبيل المحرم امرأته:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: من قبل امرأته وهو محرم فليهرق دمًا[٢].

٢- قتل المحرم للحيوان الصائل:

عن مجاهد عن علي ﷺ أنه قال في الضبع: إذا عدا على المحرم فليقتله، فإن قتله قبل أن يعدو عليه فعليه شاة[٣]، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ**﴾ (البقرة:١٧٣)؛ لأنه إن لم يقتله قتله فيتحقق منه الاضطرار، ثم إنه انقلب بذلك حيوانًا شريرًا فيلحق بالمؤذيات التي يجوز قتلها[٤].

٣- قتل الغراب:

يجوز للمحرم قتل الغراب عند علي، فقد قال: يقتل المحرم الغراب[٥]، ودليل ذلك قول رسول الله ﷺ: «**خمس فواسق يقتلن في الحرم، الفأرة، والعقرب، والغراب، والحدأة والكلب العقور**»[٦].

٤- الشك في الطواف:

قال أمير المؤمنين ﷺ: إذا طفت في البيت فلم تدر أتممت أو لم تتم؟ فأتِ ما شككت، فإن الله لا يعذب على الزيادة[٧].

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٨٧)، و«جمع الجوامع» (٢/ ١٤٠).
(٢) «فتح العزيز»، و«شرح الوجيز» للرافعي الهامش، و«المجموع» (٧/ ٤٨٠).
(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٦).
(٤) «فقه الإمام علي بن أبي طالب» (١/ ٤٠٣).
(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٩٤).
(٦) «سنن الترمذي» (١/ ١٦٦)، حسن صحيح.
(٧) «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٩٦).

٥. النسيان في الطواف:

إذا نسي الرجل فطاف أشواطًا زائدة على المسنون يضيف إليها ما يبلغه مجموع أشواط طوافين عند علي رضي الله عنه، قال علي - في الرجل ينسى فيطوف ثمانية -: فليزد عليها ستة حتى تكون أربعة عشر، ثم يصلى أربع ركعات[١].

٦. النيابة للحج:

من استطاع بماله الحج ولم يستطع ببدنه لشيخوخة أو مرض يجب عليه أن ينيب عنه غيره عند علي، نقل ذلك عنه ابن حزم وغيره[٢]، فقد قال في الشيخ الكبير: إنه يجهز رجلاً بنفقته فيحج عنه[٣]، ودليل ذلك ما روى ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة من خثعم قالت: يارسول الله صلى الله عليه وسلم إن أبي شيخ كبير عليه فريضة الله في الحج وهو لا يستطيع أن يستوي على ظهر بعيره، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**فحجي عنه**»[٤]، وهذا يدل على أن الاستطاعة بالمال كافية لوجوب الحج على المكلف عند علي ومن معه، أما الاستطاعة بالبدن فيكفي أن يستطيع بغيره إذا وجد، سواء أكان بمؤنة أو إجارة أو غيرهما[٥].

٧. الشك في عدد الرميات:

إذا شك الحاج في عدد رمي الجمرات يعيد ما شك فيه عند علي رضي الله عنه، فعن أبي مجلز أن رجلاً سأل ابن عمر فقال: إني رميت الجمرة ولم أدرِ رميت ستًّا أو سبعًا، قال: أنت وذاك الرجل -يريد عليًّا- فذهب فسأله فقال: أما أنا لو فعلت في صلاتي لأعدت الصلاة، فجاء فأخبره بذلك، فقال: صدق، أو أحسن، قال الشيخ: وكأنه أراد -والله أعلم- لأعدت المشكوك في فعله، كذلك في الرمي يعيد المشكوك في رميه[٦].

---

(١) «مصنف عبد الرزاق» رقم (٩٨١٤).

(٢) «المحلى» (٧/ ٦١)، و«المغني» (٣/ ٢٢٨).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) «مسلم» (٢/ ٩٧٤) رقم (١٣٣٥).

(٥) «فقه الإمام علي بن أبي طالب» (١/ ٤٢٠).

(٦) «سنن البيهقي» (٥/ ١٤٩) نقلاً عن «فقه الإمام علي» (١/ ٤١٨).

بعض الأحكام التي ألحقت بالعبادات:

١- إدراك الميتة قبل موتها:

إذا أدرك الحيوان الآيل إلى الموت قبل موته بوقت قصير فذبح جاز أكله، وعلامة حياته قبل ذبحه أن يتحرك منه عضو بعد ذبحه عند علي[١]، فقد قال: إذا وجدت الموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أصاب السبع فوجدت تحريك يد أو رجل فذكها وكل[٢]، والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ (المائدة:٣) ووجه الدلالة: أن قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ استثناء مما سبقه، أي إلا ما أدركتم ذكاته فيحل أكله[٣].

٢- ذبائح نصارى العرب:

لا يحل أكل ذبائح نصارى العرب استثناء من عموم النصارى عند علي ﷺ، نقل ذلك عن الطبري وغيره[٤]، وعن عبيدة السلماني قال: لا تؤكل ذبائح نصارى العرب فإنهم لا يتمسكون من النصرانية إلا بشرب الخمر[٥]، وفي رواية: لا تأكلوا ذبائح نصارى بني تغلب؛ فإنهم لم يتمسكوا بشيء من النصرانية إلا بشرب الخمر[٦]، وقد استدل على ذلك بعدم التزامهم بتعاليم النصرانية في تحليل ما حللوا وتحريم ما حرموا فلا يعدون منهم، ولكن الله تعالى حين أحل ذبائحهم أحلها في وقت كان النصارى منحرفين عن أصل تعاليم النصرانية سواء في عقيدتها، أو في أحكامها فلم يمنع ذلك من تحليل ذبائحهم، فهذا ما عليه جمهور الصحابة والفقهاء[٧].

---

(١) «فقه الإمام علي بن أبي طالب» (١/٤٥٦).
(٢) «المحلى» (٧/٤٥٨).
(٣) «فقه الإمام علي بن أبي طالب» (١/٤٥٦).
(٤) «تفسير الطبري» (٦/٥٦)، و«تفسير القرطبي» (٦/٧٨).
(٥) «مصنف عبد الرزاق» (١٠٠٣٥)، و«تفسير الطبري» (٦/ ٦٥).
(٦) «مصنف عبد الرزاق» (١٠٠٣٤)، و«كنز العمال» رقم (١٥٦٥١).
(٧) «تفسير الطبري» (٥/ ٦٥)، و«بداية المجتهد» (١/ ٤٦٥)..

٣ ـ ذبيحة الفخر:

يحرم أكل ما ذبح فخرًا عند علي رضي الله عنه، فعن الجارود بن أبي سبرة قال: كان رجل من بني رياح يقال له: ابن وشيل ـ وهو سحيم ـ قال: وكان شاعرًا نافرًا غالب أبا فرزدق الشاعر بماء بظهر الكوفة على أن يعقر هذا مائة من إبله وهذا مائة من إبله إذا وردت، فلما وردت الإبل الماء قاما إليها بالسيوف فجعلا يكسعان عراقيبها، فخرج الناس على الحمرات[١] يريدون اللحم، وعلي بالكوفة، فخرج على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو ينادي أيها الناس: «لا تأكلوا من لحومها فإنها أُهِلَّ بها لغير الله»، قال ابن حزم: ولا يعلم لعلي في هذا الأمر إلا ما رواه رضي الله عنه حيث قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لعن الله من ذبح لغير الله**»[٢]، وجه الدلالة أن الذبح لأجل الفخر مما أهل به لغير الله، فيشمله الحديث[٣].

٤ ـ نجاسة البيضة داخل الدجاجة الميتة:

البيضة في بطن الدجاجة الميتة نجسة عند علي رضي الله عنه لا يجوز أكلها سواء أصلبت قشرتها أم لا، نقل ذلك عنه ابن قدامة[٤].

٥ ـ طعام المشركين والمجوس غير الذبائح:

لا بأس بأكل طعام المجوس والمشركين إذا لم يكن فيه من ذبائحهم؛ لأن التحريم خاص بالذبائح، فقد قال أمير المؤمنين علي: لا بأس بطعام المجوس، إنما نهي عن ذبائحهم[٥]، وفي رواية: لا بأس بأكل خبز المجوس إنما نهي عن ذبائحهم[٦] وهو قول جمهور الفقهاء[٧].

---

(١) «فقه الإمام علي» (١/ ٤٦٧).
(٢) «مسلم»، كتاب الأضاحي، باب: تحريم الذبح لغير الله (٣/ ١٥٦٧).
(٣) «فقه الإمام علي بن أبي طالب» (١/ ٤٦٨).
(٤) «المغني» (١/ ٧٥)، و«المجموع» (١/ ٢٤٥).
(٥) «كنز العمال» (٢٥٧٦)، و«فقه الإمام علي بن أبي طالب» (١/ ٤٧٦).
(٦) «المغني» (٤/ ٢٩٦).
(٧) «فقه الإمام علي» (١/ ٤٧٧).

٦. ترك الشيب أبيض:

يجوز ترك الشيب أبيض دون تغييره بحناء أو غيره عند علي رضي الله عنه نقل ذلك عنه ابن حجر وغيره[١]، وعن الشعبي قال: رأيت عليًّا أبيض الرأس واللحية قد ملأت ما بين منكبيه[٢]، وعن أبي إسحاق رأيت عليًّا أصلع أبيض الرأس واللحية[٣]، وعن ابن الحنفية أن عليًّا اختضب بالحناء مرة ثم ترك[٤].

٧. اللعب بالنرد والشطرنج:

لعب النرد حرام عند أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حيث قال: لئن أقلب جمرتين أحب إليَّ من أن أقلب كعبين[٥]، وكان لا يسلم على أصحاب النردشير[٦]، ودليل تحريمه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من لعب بالنردشير فكأنما صَبَغَ يده في لحم الخنزير ودمه**»[٧] والشطرنج محرم عند علي رضي الله عنه أيضًا نقله عنه ابن قدامة[٨] وكان يقول في الشطرنج: هو ميسر الأعاجم[٩]، وفي رواية: هو من الميسر[١٠]، وعن ميسرة بن حبيب قال: مر علي بن أبي طالب رضي الله عنه على قوم يلعبون بالشطرنج فقال: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟ لئن يمس الرجل جمرًا حتى يطفأ خير له من أن يمسها[١١]، وعن عمار بن أبي عمار قال: مر علي بمجلس من مجالس تيم الله وهم يلعبون بالشطرنج فوقف عليهم فقال: أما والله لغير هذا خلقتم، أما والله لولا أن تكون سنة لضربت بها وجوهكم[١٢]، والحُجَّة في هذا التحريم بين المتلاعبين هو علة الميسر المحرم بنص الكتاب، فيقاس عليه[١٣].

---

(١) "المنتقى" (٧/ ٢٧٠)، و"فقه الإمام علي" (١/ ٤٩٥).
(٢) "فقه الإمام علي" (١/ ٤٩٥).
(٣) "مصنف ابن أبي شيبة" (٩/ ٤٢٧).
(٤) "مصنف ابن أبي شيبة" (٩/ ٤٢٧).
(٥) المصدر نفسه (٨/ ٧٣٨).
(٦) "إعلاء السنن" للتهانوي (١٧/ ٤٦٤).
(٧) "مسلم" (٤/ ١٧٧٠) رقم (٢٢٦٠).
(٨) "المغني" (١٠/ ٢١٢).
(٩) "إعلاء السنن" للتهانوي (١٧/ ٤٦٤)، و"فقه الإمام علي" (١/ ٥٠١).
(١٠) المصدر نفسه (١٧/ ٤٦٤)، و"فقه الإمام علي" (١/ ٥٠١).
(١١) "المغني" (٩/ ١٧).
(١٢) "سنن البيهقي" نقلاً عن "فقه الإمام علي" (١/ ٥٠٢).
(١٣) "فقه الإمام علي" (١/ ٥٠٢).

٨ـ نكاح المتعة:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: نسخ رمضان كل صوم ونسخ المتعة الطلاق والعدة والميراث[١]، وحُجَّة علي ما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم بأنه نهى عن المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر[٢].

٩ـ النكاح بدون ولي:

عن أبي قيس الأودي أن عليًّا رضي الله عنه كان يقول: إذا تزوج بغير إذن ولي ثم دخل بها لم يفرق بينهما، وإن لم يصبها فرق بينهما[٣].

١٠ ـ العيوب الجسدية في المرأة:

إذا وجد الرجل فيمن تزوجها عيبًا يصعب المقام معه، قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: إنه إذا دخل بها وجب المهر، وخُيِّر بين الطلاق والإمساك، وإن لم يدخل بها فرق بينهما بدون مهر[٤].

١١ـ نكاح الخصي:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: لا يحل للخصي أن يتزوج فإن تزوج ولم تعلم المرأة، فرق بينهما عند علي رضي الله عنه، فقد قال: لا يحل للخصي أن يتزوج امرأة مسلمة عفيفة[٥]، ودليل ذلك أن الخصاء من العيوب المنفرة التي يصعب معه الجماع أو ينعدم، فقيس على غيره من العيوب التي جاز بها التفريق[٦].

١٢ ـ من تزوج أختين جهلاً بأنهما أختان:

من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى فظهر أنهما أختان يفارق التي تأخر زواجها عند علي رضي الله عنه، فعن ابن جريج قال: أخبرت عن علي رضي الله عنه أنه قال في رجل تزوج امرأة فأصابها، ثم انطلق إلى أرض أخرى فتزوج امرأة فأصابها، فإذا هي

---

(١) «فقه الإمام علي» (٢/ ٥٠٩).

(٢) «مسلم»، كتاب النكاح (٢/ ١٠٢٧) رقم (١٤٠٧). (٣) «مصنف عبد الرزاق» (٦/ ١٩٦).

(٤) «كنز العمال» رقم (٤٥٦٦٤)، و«مصنف عبد الرزاق» (١٠٦٧٧)، و«فقه الإمام علي» (٢/ ٥٣٥).

(٥) «مصنف عبد الرزاق» (١٠٧١٩). (٦) «فقه الإمام علي بن أبي طالب» (٢/ ٥٣٦).

أختها فقضى أنه يفارق الآخرة ويراجع الأولى، غير أنه لا يراجع الأولى حتى تقضي هذه عدتها[١]، وهو قول جمهور فقهاء المذاهب[٢]، والحجة لهم: أن نكاح الأولى وقع صحيحًا، دون الثانية؛ فإنه باطل لا ينعقد[٣].

١٣- تحريم وطء الزوجة في دبرها:

وطء الزوجة في دبرها حرام عند علي ﷺ نقل ذلك عنه ابن قدامة[٤] فعن أبي المعتمر قال: نادى علي على المنبر فقال: سلوني فقال رجل: أتؤتى النساء في أدبارهن؟ فقال: سفلت سفل الله بك: ألم تر أن الله تعالى يقول: **﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾** (العنكبوت:٢٨) ، وروي ذلك عن عبدالله ابن عباس وعبد الله بن عمرو وأبي هريرة ﷺ ، وبه قال سعيد بن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن ومجاهد وعكرمة وهو قول أبي حنيفة، والشافعي، وأحمد، والمالكية، والظاهرية[٥]، ودليل التحريم، قول رسول الله ﷺ : «**ملعون من أتى امرأته في دبرها**»[٦]، وجه الدلالة: أن النهي عن الشيء وترتيب اللعن عليه يدل على التحريم[٧].

١٤- عدة الحامل المتوفى عنها زوجها:

إذا كانت المرأة حاملاً وتوفي زوجها فوضعت قبل أن تنقضي عدتها، فعند علي ﷺ أنها تعتد أبعد الأجلين أي: عدة الحمل إذا لم تضع قبل عدة المتوفى عنها زوجها، فإن وضعت قبل ذلك تعتد أربعة أشهر وعشرًا، نقل ذلك عنه ابن رشد وغيره[٨]، وعن عبد الرحمن ابن معقل قال: شهدت عليًّا سأله رجل عنه امرأة توفى عنها زوجها وهي حامل قال: تتربص أبعد الأجلين[٩]، وعن الشعبي كان

---

(١) «مصنف عبد الرزاق» (١٠٥١٧). (٢) «المدونة» (٢/ ٢٨٠)، و«المغني» (٦/ ٢٥٨١).
(٣) «فقه الإمام علي بن أبي طالب» (٢/ ٥٦٢). (٤) «المغني» (٧/ ٢٢).
(٥) «المغني» (٧/ ٢٢)، و«المحلى» (٧/ ٦٩)، و«تفسير القرطبي» (٣/ ٩٣).
(٦) «سنن أبي داود »(٢/ ٢٥٦)، و«الجامع الصغير» (٢/ ٥٣٩).
(٧) «فقه الإمام علي بن أبي طالب» (٢/ ٥٦٨).
(٨) «بداية المجتهد» (٢/ ٩٥)، و«نيل الأوطار» (٨/ ٧٧). (٩) «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٣٠٠).

يقول: أجل كل حامل آخر الأجلين[١]، وقد جمع أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بين قول الله تعالى: ﴿وَأُوْلَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ (الطلاق:٤)، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ (البقرة:٢٣٤) إذ بينهما عموم وخصوص فلا يترجح العمل بأحدهما دون الآخر، فيعمل بالاثنين للخروج من الظن إلى اليقين والتخلص من التعارض[٢].

والراجح أن عدتها وضع الحمل في كلتا الحالتين فقد صح عن عبد الله بن عتبة أن سبيعة بنت الحارث أخبرته أنها كانت تحت سعد بن خولة، وكان ممن شهد بدرًا، فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل، فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته، فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب، فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك، فقال: لها ما لي أراك متجملة؟ لعلك ترجين النكاح؟ إنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر قالت سبيعة: فلما قال لي ذلك، جمعت علي ثيابي حين أمسيت، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك، فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي، وأمرني بالتزوج إن بدا لي[٣]، وهذا قول جمهور علماء المسلمين، وقيل: حصل الإجماع على ذلك بعد سماع هذا الحديث[٤]، وقال الشعبي: ما أصدق أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يقول عدة المتوفى عنها زوجها آخر الأجلين[٥]، ولعل عليًّا قال بذلك لعدم بلوغه حديث سبيعة، وإلا فلا يخالف علي رضي الله عنه الصحيح الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم[٦].

بعض الأحكام المتعلقة بالمعاملات المالية:

١- جوائز السلطان:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: لا بأس بجوائز السلطان، ما يعطيكم من الحلال

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٢٩٨).
(٢) «سبل السلام» للصنعاني (٣/ ١٩٨).
(٣) «البخاري» رقم (٥٣١٨)، و«مسلم» (١٤٨٤).
(٤) «المغني» (٧/ ٤٧٣)، و«فقه الإمام علي» (٢/ ٧١٦).
(٥) «سبل السلام» (٣/ ١٩٨).
(٦) «فقه الإمام علي بن أبي طالب» (٢/ ٦١٧).

أكثر مما يعطيكم من الحرام[1] ، وقال أيضًا : لا تسأل السلطان شيئًا ، فإن أعطاك فخذ؛ فإن ما في بيت المال من الحلال أكثر مما فيه من الحرام[2] .

٢ـ الهدية لرفع الظلم وأخذ الحق:

من نصر شخصًا في حق أو دفع عنه ظلمًا ، لا يجوز له أن يقبل هدية من نصره أو رفع عنه الظلم عند علي رضي الله عنه ، نقل ذلك عنه ابن حزم[3] .

٣ـ عدم ضمان العارية:

لا يضمن المستعير العارية إذا تلفت بدون تعدٍّ عند علي رضي الله عنه[4] ، فقد قال علي : ليست العارية مضمونة ، إنما هو معروف إلا أن يخالف فيضمن[5] .

٤ـ عدم ضمان الوديعة:

الوديعة أمانة بيد المودع عنده ، فإذا تلفت عنده من غير جناية فلا ضمان عليه عند علي ، فقد قال رضي الله عنه : لا يضمن صاحب العارية ولا الوديعة[6] .

٥ـ بيع الغنيمة للكفار:

لا يجوز بيع ما غنمه المسلمون من أموال الكفار في الحرب إلى الكفار أنفسهم عند علي رضي الله عنه ، فعن أم موسى قالت : أُتي علي بن أبي طالب رضي الله عنه بآنية مطلية بالذهب من آنية العجم ، فأراد أن يكسرها ويقسمها بين المسلمين ، فقال ناس من الدهاقين : إن كسرت هذه كسرت ثمنها ونحن نغلي لك بها ، فقال علي رضي الله عنه : لم أكن لأرد لكم ملكًا نزعه الله منكم فكسرها وقسمها بين الناس[7] ، وقد فعل أمير المؤمنين ذلك حتى لا تذكرهم بأمجادهم ، أو تعود بالنفع عليهم .

(١) «المغني» (٦/ ٤٤٤) ، و«فقه الإمام علي» (٢/ ٧١٦) .
(٢) «المغني» (٦/ ٤٤٤) .
(٣) «المحلى» (٩/ ١٢٩) .
(٤) «فقه الإمام علي بن أبي طالب» (٢/ ٧٢١) .
(٥) «مصنف عبد الرزاق» رقم (٤٧٨٨) .
(٦) «مصنف عبد الرزاق» رقم (١٤٧٨٦) .
(٧) «فقه الإمام علي بن أبي طالب» (٢/ ٧٥٢) .

٦ـ تضمين الصناع:

وذلك حفظًا لأموال الناس من الضياع، قال الشاطبي: إن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم قضوا بتضمين الصناع، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لا يصلح الناس إلا ذاك[١]، وفي هذا مقصد من مقاصد الشريعة وهو حفظ الأموال من الضياع[٢]، وفي مصنف عبد الرزاق أن عليًّا رضي الله عنه ضمن الخياط والصباغ، وأشباه ذلك احتياطًا للناس[٣].

٧ـ عقد الذمة وعدم التشديد في الجباية عليهم:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: لا يقبل من مشركي العرب إلا الإسلام أو السيف، أما مشركو العجم فتؤخذ منهم الجزية، وأما أهل الكتاب من العرب والعجم فإن أبوا أن يسلموا وسألونا أن يكونوا أهل ذمة قبلنا منهم الجزية[٤]، وعن علي أنه قال: إنما قبلوا عقد الذمة لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا[٥]، وكان رضي الله عنه يستعمل الرفق في طريقة أخذها واليسر في مقدارها، فعن عبد الملك بن عمير قال: أخبرني رجل من ثقيف قال: استعملني علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: لا تضربن رجلاً سوطًا في جباية درهم ولا تبيعن لهم رزقًا ولا كسوة شتاءً ولا صيفًا، ولا دية يعملون عليها، ولا تقم رجلاً قائمًا في طلب درهم، قال: قلت: يا أمير المؤمنين إذن أرجع إليك كما ذهبت من عندك، قال: وإن رجعت كما ذهبت، ويحك إنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو، يعني الفضل[٦].

ثانيًا: في الحدود:

١ـ عقوبة المرتد:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: يستتاب المرتد ثلاثًا، فإن عاد وإلا قتل[٧] وحجة

---

(١) «الاعتصام» (٢/ ١١٩). (٢) «مقاصد الشريعة الإسلامية» د. محمد سعد اليوبي (ص ٦٠٢).

(٣) «مصنف عبد الرزاق» (٨/ ٢١٧)، و«موسوعة علي بن أبي طالب» (ص ٢٢).

(٤) «فقه الإمام علي» (٢/ ٧٥٦). (٥) «المغني» (٨/ ٣٧٥)، و«فقه الإمام علي» (٢/ ٧٥٦).

(٦) «كنز العمال» رقم (١٤٣٤٦)، و«المغني» (٨/ ٥٣٧). (٧) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٠/ ١٣٨).

قتله: ما روى ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**من بدل دينه فاقتلوه**»[١]، وأما دليل استتابته فما روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ استتاب رجلاً ارتد عن الإسلام أربع مرات[٢]، وروي عن علي في استتابه الزنديق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر قولان هما:

أ ـ لا فرق في الاستتابة بين من أظهر الردة، وبين الزنديق الذي أظهر الإسلام وأبطن الكفر، وقامت عليه البينة بذلك[٣].

فقد روى عبد الرزاق أن محمد بن أبي بكر كتب إلى علي رضي الله عنه عن مُسْلِمَيْنِ تزندقا فكتب إليه: إن تابا وإلا فاضرب أعناقهما[٤].

ب ـ يستتاب من أظهر الردة ولا يستتاب الزنديق، فقد روى الأثرم بإسناده إلى علي رضي الله عنه أنه أُتي برجل عربي قد تنصر، فاستتابه فأبى أن يتوب فقتله، وأُتي برهط يصلون وهم زنادقة وقد قامت عليهم بذلك الشهود العدول، فجحدوا وقالوا: ليس لنا دين إلا الإسلام، فقتلهم ولم يستتبهم قال: أتدرون لِمَ استتبت النصراني؟ استتبته لأنه أظهر دينه، فأما الزنادقة الذين قامت عليهم البينة فإنما قتلتهم لأنهم جحدوا، وقد قامت عليهم البينة[٥].

وأما المرأة المرتدة فقد ورد فيها عن علي رضي الله عنه قولان:

أ ـ لا فرق بينها وبين الرجل في حكم القتل، وقد رُوي هذا القول أيضًا عن أبي بكر رضي الله عنه وقال به الحسن والزهري والنخعي ومكحول وحماد ومالك والليث والأوزاعي والشافعي وإسحاق[٦].

ب ـ المرأة تسترق ولا تقتل، وهذا القول قال به الحسن وقتادة؛ لأن أبا بكر

---

(١) «البخاري» رقم (٣٠١٧).
(٢) «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٦٢) فيه ضعف.
(٣) «المغني» (٨/ ١٢٦)، و«موسوعة فقه علي بن أبي طالب رضي الله عنه» (ص ٢٧٣).
(٤) المصنف (٧/ ٣٤٢) (١٠/ ١٧٠).
(٥) «المغني» (٨/ ٤١٤١)، و«موسوعة فقه علي بن أبي طالب رضي الله عنه» (ص ٢٧٣).
(٦) «المغني» (٨/ ١٢٣).

استبقى نساء بني حنيفة وذراريهم وأعطى عليًّا منهم امرأة فولدت له محمد بن الحنفية، وكان ذلك بمحضر من الصحابة فلم ينكر، فكان إجماعًا[(١)]، كما أن قصة بعث علي إلى بني ناجية دليل على هذا الرأي، وسيأتي الحديث عنها لاحقًا، وفيها: وقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم[(٢)].

وقد قتل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه المرتدين بطرق مختلفة حسب حال كل منهم على النحو التالي:

أ ـ ضرب العنق بالسيف، كما في جواب علي بن أبي طالب رضي الله عنه لمحمد بن أبي بكر عندما سأله عن مُسْلِمَيْنِ تزندقا فقال: فأما اللذين تزندقا، فإن تابا، وإلا فاضرب أعناقهما[(٣)].

ب ـ الضرب حتى الموت، ففي مصنف ابن أبي شيبة أن عليًّا أتي برجل نصراني أسلم ثم تنصَّر، فسأله عن كلمة، فقال له: فقام إليه علي رضي الله عنه فرفسه برجله، فقام الناس إليه فضربوه حتى قتلوه[(٤)].

جـ ـ الإحراق بعد القتل، كما في قصة المستور العجلي حيث أسلم ثم ارتد، فإن عليًّا رضي الله عنه أحرقه بعد أن قتله، ولعل عليًّا رضي الله عنه أحرقه لما خاف أن ينبش قومه جثته، بعد أن رفض علي تسليمها مقابل مبلغ من المال بذلوه له[(٥)].

د ـ القتل بالإحراق، كما في قصة علي رضي الله عنه مع السبئية كما سبق بيانه[(٦)].

وقتل المرتد فيه حفظ لأهل الدين والدين، ومن مقاصد الشريعة الغراء حفظ الدين، فقد لاحظنا حرص الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم على تنفيذ أحكام الله في أهل الأهواء والخارجين عن الدين، وإنزال العقوبة المناسبة بهم، ومن أعظمها قتل المرتدين وقتالهم، كما فعل الخلفاء الراشدون وهذا تنفيذ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب**

---

(١) «المغني» (٨/١٢٣)، و«فتح الباري» (١٢/٢٦٨).
(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٠/١٤٤).
(٣) «مصنف عبد الرزاق» (٨/٣٩٥).
(٤) «المحلى» لابن حزم (١١/ ١٩٠).
(٥) «موسوعة فقه علي بن أبي طالب رضي الله عنه» (ص ٢٧٥).
(٦) «منهج علي بن أبي طالب» (ص ٢٧٥).

الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»[١]، وقال ابن تيمية: فإنه لو لم يقتل ذلك - يعني المرتد - لكان الداخل في الدين يخرج منه، فقتله حفظ لأهل الدين والدين، فإن ذلك يمنع من النقص ويمنعهم من الخروج عنه[٢].

٢ـ حد الزنى:

أـ قصة رجم:

قال الشعبي: كان لشراحة زوج غائب بالشام، وإنها حملت، فجاء بها مولاها إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁، فقال: إن هذه زنت واعترفت، فجلدها يوم الخميس مائة جلدة، ورجمها يوم الجمعة، وحفر لها إلى السرة، وأنا شاهد، ثم قال: إن الرجم سنة سنها رسول الله ﷺ، ولو كان شهد على هذا أحد لكان أول من يرمي الشاهد بشهادته، ثم يتبع شهادته حجره، ولكنها أقرت، فأنا أول من يرميها، فرماها بحجر، ثم رمى الناس وأنا منهم، فكنت والله فيمن قتلها، وفي لفظ لأحمد والبخاري أن عليًّا قال: جلدتها بكتاب الله، ورجمتها بسنة رسول الله ﷺ [٣]، وهذا الحكم القضائي اجتهاد لعلي ﵁، وهو مختلف فيه بين الفقهاء، وقال الجمهور بعدم الجمع بين الجلد والرجم[٤]، وجاء في رواية: فحفر لها حفرة بالسوق فدار الناس عليها -أو قال: بها- فضربهم بالدرة، ثم قال: ليس هكذا الرجم إنكم إن تفعلوا هذا يفتك بعضكم بعضًا ولكن صفوا كصفوفكم للصلاة ثم قال: أيها الناس، إن أول الناس يرجم الزاني الإمام، إذا كان الاعتراف، وإذا شهد أربعة شهداء على الزنى أول الناس يرجم الشهود بشهادتهم عليه ثم الإمام ثم الناس ثم رماها بحجر وكبر، ثم أمر الصف الأول فقال: ارموا، ثم قال: انصرفوا، وكذلك صفًّا صفًّا حتى قتلوها [٥].

---

(١) «البخاري» رقم (٦٨٧٨).
(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٠/ ١٠٢).
(٣) «البخاري»، كتاب الحدود (٤/ ٢٥٣).
(٤) «تاريخ القضاء في الإسلام» (ص ١٥٢).
(٥) «مصنف عبد الرزاق» (١٣٣٣٥)، و«فقه الإمام علي» (٢/ ٧٨٢).

ب ـ تأجيل رجم الحامل:

المرأة الحامل إذا ثبت عليها الزنى لا يقام عليها الحد حتى تضع حملها عند علي[١]، فعنه رضي الله عنه قال: إن خادمًا للنبي صلى الله عليه وسلم فجرت، فأمرني أن أقيم عليها الحد، فوجدتها لم تجف من دمها، فأتيته فذكرت له، فقال: «**إذا جفت من دمها فأقم عليها الحد، أقيموا الحدود على ما ملكت أيمانكم**»[٢]، وقد قام بهذا الحكم في خلافته.

جـ ـ المستكرهة على الزنى:

لا حد على المستكرهة على الزنى عند علي ولها مهر المثل بذلك[٣]، فقد قال: «في البكر تستكره نفسها : إن للبكر مثل صداق إحدى نسائها وللثيب مثل صداق مثلها»[٤].

د ـ زنى المضطرة:

إذا اضطرت امرأة على الزنى لإنقاذ حياتها من الموت، فلم يُدْفع إلا به سقط عنها الحد عند علي[٥]، فقد جاء في رواية: أن امرأة أتت عمر فقالت: إني زنيت فارجمني فردها حتى شهدت أربع شهادات فأمر برجمها، فقال علي: ياأمير المؤمنين: ردها فاسألها ما زناها لعل لها عذرًا؟ فردها فقال: ما زناك؟ قالت: كان لأهلي إبل فخرجت في إبل أهلي فكان لنا خليط[٦]، فخرج في إبله فحملت معي ماء ولم يكن في إبلي لبن، وحمل خليطنا ماء، وكان في إبله لبن، فنفذ مائي؛ فاستسقيت فأبى أن يسقيني، حتى أمكنه من نفسي، فأبيت حتى كادت نفسي تخرج ، فقال علي: الله أكبر ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ**﴾، أرى لها عذرًا[٧]، وزيد في رواية: فأعطاها عمر شيئًا وتركها[٨]، وقد ذكر

---

(١) «فقه الإمام علي» (٢/ ٧٨٣).
(٢) «مسند الإمام أحمد» رقم (١١٣٧) صحيح لغيره.
(٣) «فقه الإمام علي» (٢/ ٧٨٦).
(٤) «مصنف عبد الرزاق» (١٣٦٠٧).
(٥) «فقه الإمام علي» (٢/ ٧٨٨).
(٦) خليط: الشريك الذي يخلط ماله بمال غيره.
(٧) «كنز العمال» رقم (١٣٥٩٦)، و«مغني المحتاج» (٤/ ١٤٥).
(٨) «المغني» (٨/ ١٨٧).

الفقهاء، هذه الحادثة ضمن الإكراه على الزنى، فلم يختلفوا في سقوط الحد بالإكراه[١]، ولكن الإكراه غير الاضطرار؛ لأن الاضطرار فيه الإقدام على الفعل اختيارًا أما الإكراه فلا إقدام فيه، وإنما يساق إلى الفعل جبرًا، بدليل أن الله تعالى ذكر الإكراه مستقلاً عن الاضطرار كما في قوله تعالى: ﴿**إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ**﴾ (النحل:١٠٦)، وقوله تعالى: ﴿**وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ**﴾ (النور:٣٣)، وقوله تعالى: ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ (الأنعام:١٤٥).

وقد استدل علي ﷺ بالآية الأخيرة، ووجه الدلالة أن الاضطرار لإنقاذ الحياة يرفع العقوبة الأخروية عن المضطر فهو يسقط العقوبة الدنيوية من باب أولى في حقوق الله تعالى، ويؤخذ من هذه المسألة: عمل علي بقاعدة الضرورات تبيح المحظورات[٢].

هـ- درء الحدود بالشبهات:

تدرأ الحدود بالشبهات عند علي، فعن الضحاك بن مزاحم عن علي قال: إذا بلغ في الحدود لعل وعسى، فالحد معطل[٣]، وعن علي أن امرأة أتته فقالت: إني زنيت، فقال: لعلك أتيت وأنت نائمة في فراشك أو أكرهت؟ قالت: أتيت طائعة غير مكرهة، قال: لعلك غصبت على نفسك، قالت: ما غصبت، فحبسها، فلما ولدت وشب ابنها جلدها[٤]؛ لأنها لم تكن متزوجة، ولذلك جلدت.

و- زنى النصرانية:

إذا زنت النصرانية فلا تحد، بل تدفع إلى أهل دينها يقيمون عليها حسب دينهم عند علي[٥]، فعن قابوس بن مخارق أن محمد بن أبي بكر كتب إلى علي ﷺ يسأله عن مسلم زنى بنصرانية، فكتب إليه علي: أما المسلم فأقم عليه

---

(١) «إعلاء السنن» (١١/ ٦٧١)، و«المغني» (٨/ ١٨٧). (٢) «فقه الإمام علي» (٢/ ٧٨٩).
(٣) «مصنف عبد الرزاق» رقم (١٣٧٢٧)، و«المغني» (٨/ ٢١١).
(٤) «فقه الإمام علي» (٢/ ٧٦١). (٥) «فقه الإمام علي بن أبي طالب» (٢/ ٧٩٩).

الحد، وادفع النصرانية إلى أهل دينها[1]، إن حد الزنى أمر تعبدي فيه التطهير من الإثم، وذلك لا يناسب الخارج عن ملة الإسلام.

ز- الحد كفارة لذنب من أقيم عليه عند علي:

فعن أبي ليلى عن رجل من هذيل -قال: وعداده من قريش- سمعت عليًّا يقول: من عمل سوءًا فأقيم عليه الحد فهو كفارة[2]، وفي رواية عنه أيضًا: كنت مع علي حين رجم شراحة فقلت: لقد ماتت هذه على شر حالها، فضربني بقضيب أو بسوط كان في يده حتى أوجعني، فقلت: لقد أوجعتني قال: وإن أوجعتك قال: فقال: إنها لن تسأل عن ذنبها هذا أبدًا كالدين[3]، ودليل ما ذهب إليه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حديث عبادة بن الصامت حيث قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فقال: «**ومن أصاب شيئًا من ذلك فعوقب به، فهو كفارة له، ومن أصاب شيئًا من ذلك فستره الله عليه، فأمره إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه**»[4].

إن من مقاصد الشريعة حفظ العرض والنسب، فعدم حفظه يترتب عليه مفاسد حاصلة بسبب إهماله، منها: انتهاكه، ومعلوم ما يحصل من جراء ذلك من الحروب والتقاتل والفساد، واختلاط الأنساب، وقطع النسل؛ لأن الزاني ليس له قصد في الولد، وإنما قصده اللذة الحاضرة فلولم تحفظ الفرج لعَزَفَ الناس عن النكاح، وانتشر الفساد الخلقي وظهرت جريمة الزنى، وما ينشأ عنها من مفاسد خلقية وصحية، ونزول المصائب وحلول الكوارث والمحن، ولو لم يرد في ذلك إلا قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا**﴾ (الإسراء: ٣٢) لكان كافيًا[5]؛ لذلك جاءت الشريعة الغراء بالتشريعات اللازمة لحفظ الأعراض والأنساب، وقام الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم بتنفيذها.

---

(١) «مصنف عبد الرزاق» رقم (١٣٤١٩).
(٢) «مصنف عبد الرزاق» رقم (١٣٣٥٥).
(٣) المصدر نفسه رقم (١٣٣٥٣).
(٤) «مسلم»، كتاب الحدود رقم (٧٠٩) (٣/ ١٣٣٣)
(٥) «مقاصد الشريعة» لليوبي ص (٢٥٥).

٣ـ حد الخمر:

أ ـ شرب الخمر في رمضان:

عن عطاء عن أبيه أن عليًّا ضرب النجاشي الحارثي الشاعر؛ شرب الخمر في رمضان فضربه ثمانين ثم حبسه فأخرجه الغد فضربه العشرين ثم قال له: إنما جلدتك هذه العشرين بجرأتك على الله تعالى، وإفطارك في رمضان[١].

ب ـ حكم الموت بإقامة حد الخمر:

عن علي رضي الله عنه، قال: ما من رجل أقمت عليه حدًّا، فمات فأجد في نفسي إلا الخمر؛ فإنه لو مات لوديته؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يَسُنَّه[٢].

وقد جاءت الأحكام الشرعية بالمحافظة على العقل الذي ميز الله به الإنسان وكرمه، فحرمت الخمر التي تذهب بالعقل وتغيبه كما قال تعالى: ﴿ **يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ** ﴾ إلى قوله: ﴿**فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ**﴾ (المائدة: ٩٠، ٩١). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كل مسكر خمر وكل خمر حرام**»[٣]، ولذلك شَرَّعَ إقامة الحد على السكران، وحَرَّمَ المخدرات والمفترات التي تؤثر على سلامة العقل[٤].

إن حفظ العقل مقصود في الشرع لما يترتب عليه من حفظ باقي الضرورات، ولما يترتب على إهماله من مفاسد لا تعد ولا تحصى[٥].

٤ـ حد السرقة:

أ ـ اشتراط الحرز:

يشترط لقطع يد السارق أن يسرق المال من حرز مثله عند علي رضي الله عنه، فعن ضُميرة قال: قال علي رضي الله عنه: لا يقطع السارق حتى يخرج المتاع من البيت[٦].

---

(١) «كنز العمال» رقم (١٣٦٨٧)، و«فقه الإمام علي» (٢/٨٠٧).

(٢) «مسند أحمد» رقم (١٠٢٤)، وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) «البخاري» رقم (٥٥٨٥). (٤) «الحكم والتحاكم في خطاب الوحي» (١/٤٦٧).

(٥) «مقاصد الشريعة» لليوبي (ص ٢٤٣).

(٦) «كنز العمال» رقم (١٣٩١١)، و«فقه الإمام علي» (٢/ ٨١٠).

ب ـ سرقة ما فيه شبهة ملك:

لا تقطع يد سارق سرق من مال له فيه شبهة ملك كأن يكون له نصيب فيه عند علي[(١)]، فعن زيد بن دثار قال: أُتي علي رضي الله عنه برجل سرق من الخمس فقال: له فيه نصيب، فلم يقطعه، وعن الشعبي عن علي رضي الله عنه أنه كان يقول: ليس على من سرق من بيت المال قطع[(٢)].

جـ ـ سرقة الحر:

من سرق حرًّا صغيرًا فإنه تقطع يده عند علي رضي الله عنه، فعن ابن جريج أن عليًّا قطع البائع ـ بائع الحر ـ وقال: لا يكون الحر عبدًا [(٣)]؛ لأن الإنسان أقوم وأثمن من المال فهو الأولى أن يقطع فيه[(٤)].

د ـ سرقة العبد مولاه:

لا تقطع يد عبد سرق من سيده عند علي رضي الله عنه، فعن الحكم أن عليًّا قال: إذا سرق عبد من مالي لم أقطعه[(٥)].

هـ ـ إثبات السرقة:

تثبت السرقة عند أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بشهادة شاهدين أو الاعتراف مرتين، نقل ذلك عنه ابن قدامة[(٦)]، وعن عكرمة بن خالد قال: كان علي رضي الله عنه لا يقطع سارقًا حتى يأتي بالشهداء فيوقفهم عليه ويسجنه، فإن شهدوا عليه قطعه وإن نكلوا تركه، فأتي مرة بسارق فسجنه حتى إذا كان الغد دعا به وبالشاهدين، فقيل: تغيب أحد الشاهدين فخلى سبيل السارق ولم يقطعه[(٧)]، وعن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه أن رجلاً أتى إلى علي رضي الله عنه فقال: إني سرقت، فانتهره وسبه فقال: إني سرقت، فقال علي: اقطعوا قد شهد على نفسه مرتين، فلقد رأيتها في عنقه[(٨)].

---

(١) «فقه الإمام علي» (٢/ ٨١١).
(٢) «مصنف عبد الرزاق» رقم (١٨٨٧١).
(٣) «مصنف عبد الرزاق» رقم (١٨٨٠٦).
(٤) «فقه الإمام علي» (٢/ ٨١٤).
(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٠/ ٢٠٢).
(٦) «المغني» (٨/ ٢٧٩).
(٧) «مصنف عبد الرزاق» رقم(١٨٧٧٩)، و«كنز العمال» رقم (١٣٩٠٨).
(٨) «مصنف عبد الرزاق» رقم (١٨٧٨٤)، و«المغني» (٨/ ٢٨٠).

و- كشف السارق قبل أن يسرق:

لا تقطع يد السارق عند كشفه قبل أن يخرج المتاع من الحرز عند علي ﷺ، فعن الحارث عن علي ﷺ قال: أُتي برجل قد نقب فأُخذ على تلك الحال فلم يقطعه[١]، وفي لفظ بزيادة: وعزره أسواطًا[٢].

ز- تكرار السرقة:

من سرق قطعت يده اليمنى ثم إن سرق مرة ثانية قطعت رجله اليسرى، فإن سرق ثالثة ورابعة يعزر ولا تقطع يده الأخرى، أو رجله الثانية عند علي ﷺ، نقل ذلك عنه ابن المنذر وغيره[٣]، وعن عبد الله بن سلمة أن عليًّا أتي بسارق فقطع يده، ثم أتي به فقطع رجله، ثم أُتي به فقال: أَقطعُ يده؟ فبأي شيء يتمسح وبأي شيء يأكل؟ ثم قال: أقطع رجله؟ على أي شيء يمشي؟ إني لأستحي من الله، قال: ثم ضربه وخلده السجن[٤]، وعن المغيرة والشعبي قالا: كان علي ﷺ يقول: إذا سرق السارق مرارًا قطعت يده ورجله، ثم إن عاد استودعته السجن[٥]، وعن الشعبي قال: كان علي ﷺ لا يقطع إلا اليد والرجل، وإن سرق بعد ذلك سجن ونكل، وأنه كان يقول: إني لأستحي من الله ألاَّ أدع له يدا يأكل بها ويستنجي[٦].

ح- قطع اليد وتعليقها:

يستحب أن يحسم اليد ويعلق المقطوع في عنق المحدود عند علي[٧]، فعن حجية ابن عدي: كان علي ﷺ يقطع ويحسم ويحبس، فإذا برئوا أرسل إليهم فأخرجهم ثم قال: ارفعوا أيديكم إلى الله فيرفعونها، فيقول: من قطعكم؟ فيقولون: علي، فيقول: ولم؟ فيقولون: سرقنا، فيقول: اللهم اشهد اللهم

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٩/ ٤٧٧).
(٢) «كنز العمال» رقم (١٣٩١١)، و«فقه الإمام علي» (٢/ ٨١٧).
(٣) «المحلى» (٣/ ٣٥٤)، و«المغني» (٨/ ٢٦٤).
(٤) «البدائع» (٩/ ٤٢٧٣)، و«المغني»، و«فقه الإمام علي» (٢/ ٨١٨).
(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (٩/ ٥٠٩).
(٦) «مصنف عبد الرزاق» رقم (١٨٧٦٤).
(٧) «فقه الإمام علي» (٢/ ٨٢١).

اشهد[١]، وحسم اليد؛ لكيلا ينزف الدم ويسرع البرء إليها، ومخافة سريان الجرح إلى الجسم وتلفه[٢].

إن من مقاصد الشريعة الإسلامية حفظ أموال الناس التي هي قوام حياتهم، وقد حرم الإسلام كل وسيلة لأخذ المال بغير حق شرعي، وحرم السرقة وأوجب الحد على من ثبتت عليه تلك الجريمة، قال تعالى: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ**﴾ (المائدة:٣٨)، وقام الخلفاء الراشدون بالإشراف على تنفيذ تلك الأحكام.

ثالثا: في القصاص والجنايات:

جاءت شريعة الإسلام بأحكام القصاص للمحافظة على النفس ودرء المفاسد الناشئة عن شيوع القتل وسفك الدماء المحرمة، كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى**﴾ (البقرة:١٧٨) وقال تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ (البقرة:١٧٩)، وقال تعالى: ﴿**وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا**﴾ (الإسراء:٣٣) ، وهذه بعض المسائل المتعلقة بأحكام القتل والقصاص والجنايات:

أ- الاشتراك في القتل العمد:

إذا اجتمع جماعة على قتل شخص عمدًا، فإنهم يقتلون به جميعًا عند علي رضي الله عنه[٣]، وقد روي عنه أنه قتل ثلاثة قتلوا رجلاً[٤].

ب- من أمر عبده بالقتل:

إذا أمر السيد عبده أن يقتل رجلاً فقتله، يُقْتَل السيد عند علي رضي الله عنه ويحبس

---

(١) «كنز العمال» رقم (١٣٢٦).

(٢) «فقه الإمام علي» (٢/ ٨٢١).

(٣) «فقه الإمام علي بن أبي طالب» (٢/ ٨٢٦).

(٤) «المغني» (٧/ ٦٧٢).

العبد، نقل ذلك عـنه ابن المنذر وغيره[١]، وعن خلاس عن علي رضي الله عنه في رجلٍ أمر عبده أن يقتل رجلاً - قال: إنما هو بمنزلة سوطه أو سيفه[٢]، وفي رواية: إذا أمر الرجل عبده أن يقتل رجلاً، فإنما هو كسـيفه أو كسوطه يقتل المولى ويحبس العبد[٣].

جـ- المقتول في الزحام:

من قتل في الـزحام ولم يعلم قاتله، فـإن ديته على بيت مـال المسلمين عند علي[٤]، وعن يزيد بن مذكور الهمداني أن رجلاً قتل يوم الجمعة في المسجد في الزحام، فجعل علي رضي الله عنه ديته من بيت المال[٥].

د- جناية السائق والقائد الراكب:

في المسألة روايتـان عند علي: الرواية الأولى: سائق الدابة وقائدها وراكـبها ضامنون إذا وطئت الدابة أو ضربـت برجلها أحدًا أو شيئًـا عند علي رضي الله عنه لنسبة التقصير وعدم التـحرز والتثبت إليهم[٦]، فعن خلاس عن علي: أنه كان يضمن القائد والسـائق والراكب[٧]، والحجـة في ذلك: أن الراكب مباشـر للقتل؛ لأن الدابة كالآلة في يده، أما السائق، والقائد فهما مـتسببان، يضمنون لعدم تحرزهم من الوقوع في الجناية وعدم تثبتهم من السوق والقود والركوب بصورة تمنع وقوع الجناية[٨]، والرواية الثانية: لا ضمان عليهم إذا ثبت عدم التقصير منهم عند علي رضي الله عنه؛ إذ روي عنه أنه قـال: إذا قال: الطريق، فَـأَسْمَع، فـلا ضمان عـليه[٩]، وعن علي رضي الله عنه أنه قـال: إذا كان الطريق واسعًا فلا ضمان عليه[١٠]، والحجة أن وسع الطريق وتنبيه المارة هو التحرز والتثبت، فـإذا لم يبالِ المارة فهو تقصيرهم،

---

(١) «المغني» (٧/ ٧٥٧).

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٩/ ٣٧١).

(٣) «فقه الإمام علي بن أبي طالب» (٢/ ٨٣٦).

(٤) «فقه الإمام علي» (٢/ ٨٣٨).

(٥) «الخلافة الراشدة»، ليحيى اليحيى ص (٥٠٢).

(٦) «فقه الإمام علي» (٢/ ٨٤١).

(٧) «مصنف ابن أبي شيبة» (٩/ ٢٥٩).

(٨) «فقه الإمام علي» (٢/ ٨٤١).

(٩) «فقه الإمام علي» (٢/ ٨٤٢).

(١٠) «مصنف ابن أبي شيبة» (٩/ ٥٥٩).

فإن أصيبوا فقد جنوا على أنفسهم؛ فلا ضمان لهم، ولا منافاة بين الروايتين؛ لأن الأولى مع ثبوت التقصير، والثانية مع عدمه[١]، وثبوت التقصير على المارة

هـ. ما أنشئت بتعدٍّ فأحدثت تلفًا:

من حفر بئرًا أو وضع شيئًا أو بناه في مكان لاحق له فيه فسببت تلف إنسان؛ كأن يقع في البئر، أو يعثر بما وضعه فيموت فهو ضامن عند علي[٢]، فقد قال رضي الله عنه: من حفر بئرًا أو عرض عودًا فأصاب إنسانًا، فهو ضامن[٣].

و. الخطأ في الشهادة:

الخطأ في الشهادة يوجب الضمان عند علي رضي الله عنه، فمن شهد على غيره خطأ في حد، أو قصاص، فأدى إلى تلف عضو أو نفس ضمن الدية عنده[٤]، فقد روي عن علي رضي الله عنه من طرق متعددة أنه: شهد رجلان بسرقة على رجل، فقطع عليّ يده، ثم جاءا الغد برجل فقالا: أخطأنا بالأول، هو هذا الآخر، فأبطل شهادتهما على الآخر، وأغرمهما دية الأول[٥]، وفي رواية فقال: لو كنتما تعمدتاه لقطعتكما؛ فأبطل شهادتهما عن الآخر وأغرمهما دية الأول[٦]، والحجة في ذلك أنهما تسببا في الإتلاف، والتسبب موجب للضمان؛ كحافر البئر في الطريق[٧].

ز. اشتراك جماعة في قتل بعضهم بعضًا خطأ:

إذا اشترك جماعة في قتل بعضهم بعضا خطأ؛ توزعت المسؤولية الجنائية على جميعهم كل واحد بقدر فعله مطروحًا منه ما جناه الميت على نفسه[٨]، فعن خلاس قال: استأجر رجل أربعة رجال ليحفروا له بئرًا فحفروها، فانخسفت بهم البئر فمات أحدهم فرفع ذلك إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فضمن الثلاثة ثلاثة أرباع الدية وطرح عنهم ربع الدية[٩].

(١، ٢) «فقه الإمام علي» (٢/ ٨٤٢).
(٣) «مصنف عبد الرزاق» رقم (٨٤٠٠).
(٤) «فقه الإمام علي بن أبي طالب» (٢/ ٨٤٣).
(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (٩/ ٤٠٩).
(٦) «مصنف عبد الرزاق» رقم (١٨٤٦١).
(٧) «فقه الإمام علي» (٢/ ٨٤٤).
(٨) «فقه الإمام علي» (٢/ ٨٤٤).
(٩) «المحلى» (١٠/ ٥٠٥)، و«فقه الإمام علي» (٢/ ٨٤٤).

ح ـ من استخدم صغيرًا أو عبدًا بغير إذن:

من استخدام صغيرًا بغير إذن وليه أو عبدًا بغير إذن مولاه في عمل، أو حمله على دابة فمات إثر ذلك، فهو ضامن عند علي رضي الله عنه، فعن الحكم قال: قال علي رضي الله عنه: من استعمل مملوك قوم صغيرًا أو كبيرًا فهو ضامن[١]، وقال علي: من استعان صغيرًا حرًّا.. فهو ضامن، ومن استعان كبيرًا لم يضمن[٢].

ط ـ الفعل المعنوي:

الفعل المعنوي كالإخافة والترويع وما شابهها، إذا سبب قتل إنسان أو عطبه توجب المسؤولية الجنائية عند علي[٣]، فعن ابن جريج قال: قلت لعطاء: ماذا عن رجلٍ نادى صبيًّا على جدار أن استأخر فخر فمات؟ قال: يروون عن علي رضي الله عنه أنه قال: يغرمه، ويقول: أفزعه[٤]، وإيجاب المسؤولية على الفعل المعنوي إجمالاً هو قول جمهور العلماء[٥].

ي ـ جناية الطبيب:

إذا خالف الطبيب أو البيطري شروط المعالجة، فعطب الإنسان أو الحيوان فهو ضامن[٦]، فعن الضحاك بن مزاحم قال: خطب علي رضي الله عنه الناس فقال: يا معشر الأطباء البياطرة والمطببين من عالج منكم إنسانا أو دابة فليأخذ لنفسه البراءة، فإنه إن عالج شيئًا ولم يأخذ لنفسه البراءة فعطب فهو ضامن[٧]، وعن مجاهد أن عليًّا قال في الطبيب: إن لم يُشهد على ما يعالج فلا يلومن إلا نفسه، يقول: يضمن[٨].

ك ـ الميت من القصاص والحد:

إذا أقيم حد أو قصاص على مستحق فمات، فلا ضمان على المقتص عند

(١، ٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٩/ ٣٧٧).
(٣) «فقه الإمام علي بن أبي طالب» (٢/ ٨٤٦).
(٤) «كنز العمال» (٨٦/ ٤٠).
(٥) «فقه الإمام علي» (٢/ ٨٤٦).
(٦) «فقه الإمام علي» (٢/ ٨٤٧).
(٧) «مصنف عبد الرزاق» رقم (١٨٠٤٧).
(٨) «مصنف عبد الرزاق» رقم (١٨٠٤٦).

علي رضي الله عنه[١]، فقد قال رضي الله عنه: من مات بقصاص بكتاب الله فلا دية له[٢]، وقال: من مات في حد فإنما قتله الحد، فلا عقل له؛ مات في حد من حدود الله[٣]، وقال أيضًا: إذا أقيم على الرجل الحد في الزنى، أو السرقة أو قذف، فمات فلا دية له[٤]، والحجة في ذلك: أن القصاص واجب والواجب غير مشروط بالسلامة فيه، فلا ضمان في أدائه إذا لم يحصل فيه تقصير أو إهمال[٥].

ل ـ قاطع طريق ألقي القبض عليه:

إذا لم يأخذ مالاً ولم يقتل نفسًا حبس حتى يتوب، وإذا أخذ مالاً، ولم يقتل نفسًا قطعت يده، ورجله من خلاف، وإذا قتل وأخذ المال قطعت يده ورجله من خلاف ثم صلب حتى يموت، وإن تاب قبل أن يؤخذ ضمن الأموال واقتص منه ولم يحد[٦].

وقد تاب الحارث بن بدر قبل القدرة عليه، وكان قاطعًا للطريق، فقبل علي رضي الله عنه توبته وأسقط حد الحرابة عنه؛ لأنه تاب قبل القدرة عليه[٧].

م ـ قاتل اعترف بالقتل لدفع التهمة عن متهم بريء:

أتي برجل إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من خربة بيده سكين ملطخة بدم وبين يديه قتيل يتشخط في دمه، فسأله، فقال: أنا قتلته، قال: اذهبوا به فاقتلوه، فلما ذهب به أقبل رجل مسرعا: فقال: يا قوم لا تعجلوا ردوه إلى علي رضي الله عنه، فردوه، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين ما هذا صاحبه، أنا قتلته، فقال علي رضي الله عنه للأول: ما حملك على أن قلت: أنا قاتله، ولم تقتله؟ قال: يا أمير المؤمنين، وما أستطيع أن أصنع، وقد وقف العسس على الرجل يتشخط في دمه، وأنا واقف بين يدي سكين، وفيها أثر الدم، وقد أخذت في الخربة، فخفت ألا يقبل

---

(١) «فقه الإمام علي» (٢/ ٨٤٧).
(٢) «فقه الإمام علي» (٢/ ٨٤٨).
(٣) «فقه الإمام علي» (٢/ ٨٤٨).
(٤) «مصنف ابن أبي شيبة» (٩/ ٣٤٢).
(٥) «فقه الإمام علي» (٢/ ٨٤٨).
(٦) «المحلى» رقم (٢٥٢)، و«عصر الخلافة الراشدة» للعمري ص (١٥١).
(٧) «عصر الخلافة الراشدة» ص (١٥١).

مني، وأن يكون قسامة، فاعترفت بما لم أصنع، واحتسبت نفسي عند الله، فقال علي ﷺ: بئس ما صنعت، فكيف كان حديثك؟ قال: إني رجل قصاب، خرجت إلى حانوتي في الغلس، فذبحت البقرة وسلختها، فبينما أنا أسلخها، والسكين في يدي أخذني البول، فأتيت خربة كانت بقربي، فدخلتها لقضاء حاجتي، وعدت أريد حانوتي، فإذا أنا بهذا المقتول يتشخط في دمه، فراعني أمره، ووقفت أنظر إليه، والسكين في يدي، فلم أشعر إلا بأصحابك قد وقفوا عليَّ، فأخذوني، فقال الناس: هذا قتل هذا، ما له من قاتل سواه، فأيقنت أنك لا تترك قولهم بقولي، فاعترفت بما لم أجنِه فقال علي ﷺ للمقر الثاني: فأنت كيف كانت قصتك؟ فقال: أغواني إبليس فقتلت الرجل طمعًا في ماله، ثم سمعت حس العسس فخرجت من الخربة، واستقبلت هذا القصاب على الحال التي وصفها، فاستترت منه ببعض الخربة، حتى أتى العسس فأخذوه وأتوك به، فلما أمرت بقتله علمت أني سأبوء بدمه أيضًا، فاعترفت بالحق، فقال علي ﷺ للحسن: ما الحكم في هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن كان قد قتل نفسًا فقد أحيا نفسًا، وقد قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا**﴾ (المائدة: ٣٢)، فخلى علي ﷺ عنهما، وأخرج دية القتيل من بيت المال[١]، ولعله فعل ذلك بعد أن أسقط أولياء القتيل حقهم بالقصاص[٢].

ن ـ امرأة قتلت زوجها يوم زفافها بحضور صديقها:

حدث في عهد علي ﷺ أن امرأة قتلت زوجها يوم زفافها بحضور صديقها، فكانت العقوبة القتل قصاصًا[٣] من الجناة.

س ـ بدل الإبل في دفع الدية، وكيف تدفع الدية؟:

الإبل أصل في الدية ويجوز دفع بدلها إذا لم يتوافر الإبل عند علي ﷺ، فعن

(١) «الطرق الحكمية» ص (٥٦)، و«القضاء في الإسلام» ص (١٥٤).
(٢) «القضاء في الإسلام» ص (١٥٤).
(٣) «المغني» (٩/ ٣٦٢، ٣٧٦)، و«الطرق الحكمية» ص (٥٠)، و«عصر الخلافة الراشدة» ص (١٥٣).

عامر عن علي ﷺ وعبد الله وزيد قالوا: الدية مائة من بعير[١]، وعن الحسن أن عليًّا قضى بالدية اثني عشر ألفا[٢]، أي درهم من الفضة، وأما كيفية دفع الدية، فدية الخطأ وشبه العمد على العاقلة تدفعها مقسطًا على ثلاث سنين عند علي[٣]، والحجة في ذلك ما روي عن المغيرة ابن شعبة، قال: قضى رسول الله ﷺ بالدية على العاقلة[٤]، وأما تقسيطها؛ فلأنها كثيرة يصعب أداؤها حالاً فقسمت على ثلاث سنين بناء على التيسير الذي أمر به الإسلام[٥].

ع ـ دية الكتابي:

دية الكتابي من اليهود والنصارى مثل دية المسلم[٦]، فعن الحكم بن عتيبة أن عليًّا قال: دية اليهودي والنصراني وكل ذمي مثل دية المسلم[٧].

ف ـ دية الصلب:

دية العمود الفقري دية كاملة عند علي ﷺ إذا كسر وفقد صاحبه القوة على الجماع، فقد قال علي ﷺ: إذا كسر الصلب ومنع الجماع؛ ففيه الدية[٨].

ص ـ عين الأعور:

إذا فقأ إنسان عين الأعور فإن فيها الدية كاملة، أو يقتص الأعور لنفسه فيفقأ عينًا للجاني، ويأخذ نصف الدية عند علي ﷺ نقل ذلك ابن قدامة[٩]؛ لأن عين الأعور تعادل عيني البصير في منفعة البصر، لذلك فيها الدية كاملة[١٠].

ق ـ دية الأصابع:

دية كل أصبع من الأصابع عُشْر دية النفس عند علي ﷺ أي عشر من الإبل، فعن عاصم بن ضمرة عن علي ﷺ قال: في الأصابع عشر الدية[١١]، وفي رواية: في الأصابع عشر العشر[١٢].

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٩/ ١٢٨).
(٢) «الأم» (٧/ ١٧٧).
(٣) «فقه الإمام علي» (٢/ ٨٥٣).
(٤) «سنن ابن ماجه» رقم (٣٦٣٣).
(٥) «فقه الإمام علي» (٢/ ٨٥٤).
(٦) «فقه الإمام علي» (٢/ ٨٥٥).
(٧) «مصنف عبد الرزاق» رقم (١٨٤٩٤).
(٨) «مصنف ابن أبي شيبة» (٩/ ٢٣١).
(٩) «المغني» (٨/ ٥).
(١٠) «فقه الإمام علي» (٢/ ٨٦٠).
(١١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٩/ ١٩٣).
(١٢) «مصنف عبد الرزاق» رقم (١٧٦٩٣).

رابعًا: في التعزير:

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ يؤدب العاصي ويردعه عن معصيته بالتعزير إذا لم يترتب على معصيته حد، ولما كانت عقوبة التعزير على المعصية غير محددة؛ فإن أمير المؤمنين علي ﷺ يذهب إلى الملاءمة بين العقوبة والمعصية، فكلما تعاظمت المعصية كانت العقوبة أعظم، ولقد تعددت وسائل التعزير عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ حسب نوع المعصية وحال العاصي[١]، ومنها على سبيل المثال:

١ ـ الضرب باليد:

ومثال ذلك: لما كان عمر بن الخطاب ﷺ يطوف بالبيت، وعلي ﷺ يطوف معه؛ إذ عرض رجل لعمر فقال: يا أمير المؤمنين خذ حقي من علي بن أبي طالب، فقال: وما باله؟ قال: لطم عيني، فوقف عمر حتى لحق به علي ﷺ فقال: ألطمت عين هذا ياأبا الحسن؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين، قال: ولِمَ؟ قال: لأني رأيته يتأمل حرم المؤمنين في الطواف، فقال عمر ﷺ: أحسنت يا أبا الحسن[٢].

٢ـ الجلد دون الحد:

وكان أكثر ما يعزر به، ومن ذلك جلده للنجاشي الشاعر الذي شرب الخمر، وأفطر في رمضان، فقال له: إنما جلدتك هذه العشرين لجرأتك على الله، وإفطارك في رمضان[٣].

٣ـ التشهير:

لجأ علي بن أبي طالب ﷺ إلى التشهير بالعاصي وتعريف الناس به، كما فعل بشاهد الزور، وفي ذلك مصلحة للمجتمع؛ لئلا يستشهد به فتضيع الحقوق، عن

(١) «منهج علي بن أبي طالب في الدعوة» ص (٣٢١).
(٢) «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢/ ١٦٥).
(٣) «موسوعة فقه علي بن أبي طالب ﷺ» لقلعجي ص (١٥٣).

علي بن الحسين قال: كان علي رضي الله عنه إذا أخذ شاهد زور بعثه إلى عشيرته، فقال: إن هذا شاهد زور فاعرفوه وعرفوه ثم خلى سبيله[(١)]، وعن زيد بن علي رضي الله عنهما عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه أخذ شاهد الزور فعزره، وطاف به في حيِّه وشَهَّر به، ونهى أن يستشهد به[(٢)].

٤ـ الحبس:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يعاقب بالحبس أحيانًا، ومن ذلك حبسه للنجاشي الشاعر، الذي شرب الخمر، وأفطر في رمضان[(٣)].

٥ـ التقييد في الحبس:

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقيد الدعار[(٤)]، بالحبس بقيود لها أقفال، ويوكل بهم من يحلها لهم وقت الصلاة من أحد الجانبين[(٥)].

٦ـ الغمس في الأقذار:

ووجد رجل تحت فراش امرأة، فأتي به علي رضي الله عنه، فقال رضي الله عنه: اذهبوا به فقلبوه ظهرًا لبطن في مكان منتن؛ فإنه كان في مكان شر منه[(٦)].

٧ـ القتل:

قد يصل التعزير عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى القتل، إذا كانت الجريمة قد تعاظمت، وكان لها أثرها البالغ الأهمية؛ كوضع الأحاديث على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن هذا العمل يؤدي إلى إدخال شيء في الدين ما ليس منه، وانحراف الناس عن دينهم الذي ارتضى الله لهم[(٧)]، لذا فقد كان يقول رضي الله عنه: من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم يضرب عنقه[(٨)].

---

(١) «موسوعة فقه علي رضي الله عنه» ص (١٤٩).
(٢) المصدر نفسه، ص (١٤٨).
(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٠/٣٦).
(٤) جمع داعر، والدعارة هي الفسق والخبث.
(٥) «موسوعة علي رضي الله عنه»، لقلعجي ص (١٥٦).
(٦) المصدر نفسه ،ص (١٥٤).
(٧) «منهج علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الدعوة إلى الله» ص (٣٢٤).
(٨) «موسوعة فقه علي رضي الله عنه» ص (١٥٤).

٨ - إتلاف أداة الجريمة وما يتبعها:

فقد ورد عن ربيعة بن زكار قال: نظر علي بن أبي طالب ﷺ إلى قرية فقال: ما هذه القرية؟ قالوا: قرية تدعى زرارة[١]، يلحم فيها ويباع فيها الخمر، فأتاها بالنيران فقال: أضرموها فيها؛ فإن الخبيث يأكل بعضه بعضًا، فاحترقت[٢]، فقد أحرق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ في هذه القرية الخمر وما يتبعه من مواد وأدوات تستخدم لصناعته[٣].

لقد أثر أمير المؤمنين علي ﷺ في المؤسسة القضائية باجتهاداته في مجال القصاص والحدود والجنايات والتعزير، كما أنه ﷺ ساهم في تطوير المدارس الفقهية الإسلامية باجتهاداته الدالة على سعة اطلاعه، وغزارة علمه وعمق فقهه وفهمه واستيعابه لمقاصد الشريعة الغراء.



(١) محلة بالكوفة سميت بزرارة يزيد بن عمر من بني بكار.
(٢) «كنز العمال» رقم (١٣٧٤٤)، و«الأموال» لأبي عبيد ص (١٠٣).
(٣) «منهج علي في الدعوة إلى الله» ص (٣٢٥).

المبحث الرابع

حجية قول الصحابي والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم

تحدث الأصوليون عن مذهب الصحابي وقالوا: بأنه من الأدلة المختلف فيها عند الكثير منهم، وحكى ابن القيم إجماع الأئمة الأربعة على الاحتجاج به[١].

إن أصحاب النبي ﷺ وخصوصًا ساداتهم تبوؤوا مكانة عالية في الفهم والإدراك كما قال عنهم ابن مسعود رضي الله عنه: فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، وأقومها هديًا وأحسنها حالاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم[٢]، والشاهد من كلامه قوله: «أعمقها علمًا» فهم أعمق الأمة علمًا، وأكثرهم فهمًا وإدراكًا، ونسبة علم من بعدهم إلى علمهم كنسبة فضلهم إلى فضلهم[٣]، وإذا كان هذا من الوضوح بمكان بحيث لا يحتاج إلى حجة وبرهان، فإنا نشير إلى بيان الأسباب التي بوّأهم الله بها هذه المكانة وهي:

١ ـ تلقيهم المباشر من النبي ﷺ:

وهذا له أثره في الفهم من عدة نواح:

أ ـ صفاء المورد؛ إذ بتلقيهم من النبي ﷺ يتلقون الوحي غضًّا كما أنزل، ويسمعون كلام النبي ﷺ منه مباشرة، فليس علمهم مشوبًا بما يكدره، بل هو محض الكتاب والسنة لم يختلط به آراء الرجال، ولا غيره من العلوم التي فتح بابها من بعد على المسلمين كعلوم الفلسفة وغيرها.

ب ـ دقة الفهم؛ حيث إن معلمهم رسول الله ﷺ أفصح الناس لسانًا، وأبلغهم بيانًا، وأقدرهم تفهيمًا، فكيف إذا صادف ذلك آذانًا صاغية، وقلوبًا واعية، وسليقة مواتية، تنشد الحق، وتتلهف لسماعه، ولاشك أن ذلك يجعلهم

(١) «إعلام الموقعين» (٤/ ١٢٠).
(٢) «شرح السنة» للبغوي (١/ ٢١٤ ، ٢١٥).
(٣) «إعلام الموقعين» (٤/ ١٤٧).

يفهمون ما يلقى إليهم فهمًا دقيقًا مطابقًا لمراد الله ورسوله ﷺ، وهذا الأمر في غاية الوضوح؛ إذ الناس في حياتهم وطلبة العلم في طلبهم يبحثون إبان تلقيهم عن أفضل العلماء علمًا وأحسنهم تصويرًا للمسائل، وأقدرهم تفهيمًا وكم من تلميذ سطع نجمه، وعلا كعبه في العلم بفضل الله، ثم بفضل حسن تعليم معلمه، ونحن نعلم أن أحدًا لن يبلغ معشار ما بلغ إليه النبي ﷺ في حسن التعليم، ولا أقل من ذلك وبهذا شهد معاوية بن الحكم رضي الله عنه في حسن التعليم، حيث قال: فبأبي هو وأمي ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه[1].

ج - ما يحصل لهم من يقين بما سمعوا وفهموا، فعلومهم يقينية، وعلوم من بعدهم يداخلها الظن في كثير من أحوالها.

د - ما يحصل لهم من اطلاع على أسباب النزول، وأسباب ورود الأحاديث، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، مما يعينهم على فهم المراد، وإدراك المقاصد.

هـ - ما يحصل لهم من مشاهدة أفعال النبي ﷺ التي تفسر أقواله، وتشرحها، وتبين آيات القرآن وتوضحها، ويوقف بها على المراد.

و - إمكانية السؤال عما أشكل عليهم والحصول على الجواب.

٢ - سليقتهم العربية: فهم يفهمون آيات القرآن، وأحاديث النبي ﷺ بسليقتهم ويعرفون وجوه دلالتها على معانيها، فلا يحتاجون إلى ما يحتاج إليه من بعدهم من دراسة قواعد اللغة وقواعد الأصول.

٣- إخلاصهم لله وتقواهم، فببركة إخلاصهم نالوا العلوم الكثيرة النافعة، في أوقات قليلة كما قال تبارك وتعالى: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ**﴾ (البقرة: ٢٨٢).

فإذا تقرر هذا فكل هذه الأسباب شكلت فقهًا قويًّا متماسكًا لدى أصحاب النبي ﷺ، قال ابن القيم -بعد أن ذكر مدارك اختصوا بها؛ كسماعهم من النبي ﷺ وسماعهم من بعضهم، وعلمهم بالعربية على أكمل الوجوه[2]،

---

(١) «مسلم»، كتاب المساجد رقم (٣٣).

(٢) «مقاصد الشريعة» لليوبي ص (٦٠٠).

قال-: أما المدارك التي شاركناهم فيها من دلالات الألفاظ والأقيسة، فلا ريب أنهم كانوا أبر قلوبًا وأعمق علمًا، وأقل تكلفا وأقرب إلى أن يوفقوا فيها لما لم نوفق له نحن؛ لما خصهم الله تعالى به من توقد الأذهان، وفصاحة اللسان، وسعة العلم، وسهولة الأخذ، وحسن الإدراك وسرعته، وقلة المعارض أو عدمه، وحسن المقصد وتقوى الرب تعالى فالعربية طبيعتهم وسليقتهم، والمعاني الصحيحة مركوزة في فِطَرهم وعقولهم، ولا حاجة بهم إلى النظر في الإسناد وأحوال الرواة وعلل الحديث والجرح والتعديل، ولا إلى النظر في قواعد الأصول وأوضاع الأصوليين، بل غنوا في ذلك كله فليس في حقهم إلا أمران:

أحدهما: قال الله تعالى كذا، وقال رسوله كذا. **والثاني:** معناه كذا وكذا.

وهم أسعد الناس بهاتين المقدمتين، وأحظى الأمة بهما، فقواهم متوفرة مجتمعة عليهما، وأما المتأخرون فقواهم متفرقة وهممهم متشعبة، فالعربية وتوابعها قد أخذت من قوى أذهانهم شعبة، والأصول وقواعدها قد أخذت منها شعبة، وعلم الإسناد وأحوال الرواة قد أخذ منها شعبة، وفكرهم في كلام مصنفهم وشيوخهم على اختلافهم وما أرادوا به قد أخذ منها شعبة، إلى غير ذلك من الأمور ، فإذا وصلوا إليها بقلوب وأذهان قد كلت من السير في غيرها، وأوهن قواهم مواصلة السير في سواها فأدركوا من النصوص ومعانيها بحسب القوة[1]، وبما تقدم يتقرر أن أصحاب النبي ﷺ أدق فهمًا وعلمًا بما هيأ الله لهم من الأسباب المعينة على الفهم والعلم؛ فبناء على ذلك فهم أعلم بمقاصد الشريعة ومراميها من غيرهم؛ ولأن من أهم الطرق المحصلة لمقاصد الشريعة: العلم بالكتاب والسنة وطرق الاستنباط منها، وهذا متوفر لدى الصحابة بلا شك على أكمل الوجوه وأحسنها[2]. قال الشاطبي: السلف أعلم الناس بمقاصد القرآن[3]، وقال عن الصحابة: هم القدوة في فهم الشريعة والجري على مقاصدها[4].

---

(١) «إعلام الموقعين» (٤/ ١٤٩).

(٢) «مقاصد الشريعة الإسلامية» لليوبي ص (٦٠١).

(٣) «الموافقات» (٣/ ٤٠٩).

(٤) المصدر نفسه (٤/ ١٣٠).

هذا وقد تنوعت مذاهب العلماء في حجية قول الصحابي، وانقسمت إلى خمسة أقوال مشهورة، وقبل أن نذكر أقوال المذاهب نحرر محل النزاع فنقول:

١ـ اتفق الكل على أن قول الصحابي في مسائل الاجتهاد لا يكون حجة على غيره من الصحابة إمامًا كان أو حاكمًا أو مفتيًا.

٢ـ إذا قال الصحابي قولاً ووافقه الباقون فليس داخلاً في محل النزاع؛ لكونه إجماعًا حينئذ.

٣ـ إذا قال قولاً وانتشر ولم يخالف أحدًا، فهذا له حكم الإجماع السكوتي.

٤ـ اتفقوا على أن قول الصحابي ليس بحجة إذا خالفه صحابي آخر.

٥ـ اتفقوا على أن قول الصحابي إذا رجع إلى الكتاب أو السنة أو الإجماع؛ فإن الحجة حينئذ فيما رجع إليه.

٦ـ اتفقوا على أن قول الصحابي إذا رجع عنه فليس بحجة، ومحل الخلاف إذا قال الصحابي قولاً في مسألة اجتهادية تكليفية ولم يظهر له مخالف ولا موافق، ولا ندري انتشر أم لا؟ خالف أحدًا أم لا؟[1].

واختلف العلماء في ذلك على أقوال:

القول الأول: إنه حجة، وهو قول مالك والشافعي في القديم، وأحمد في رواية عنه، وعليه أكثر الأصوليين والفقهاء من الحنفية وابن عقيل من الحنابلة والعلائي[2]، والخطيب البغدادي من الشافعية، واختاره ابن القيم في «إعلام الموقعين» والشاطبي في «الموافقات» وابن تيمية[3].

القول الثاني: إنه ليس بحجة ،وهو قول الشافعي في أحد قوليه اختاره الآمدي والرازي والغزالي وأحمد في رواية[4].

(١) «مقاصد الشريعة الإسلامية» ص (٥٩٦، ٥٩٧).

(٢) «حقيقة البدعة وأحكامها» (١/ ٣٢٠).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٤١٣)، و«إعلام الموقعين» (٤/ ١٢٠).

(٤) «مقاصد الشريعة الإسلامية» ص (٥٩٧).

القول الثالث: إنه حجة إن كان مما لا مجال للرأي فيه فقط، وهو قول جماعة من الأحناف[١].

القول الرابع: قول أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حجة دون غيرهما[٢].

القول الخامس: قول الخلفاء الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم حجة دون غيرهم[٣].

والراجح والله أعلم هو القول الأول وأدلة الترجيح في ذلك:

أولاً: من كتاب الله تعالى:

قال تعالى: **﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** (التوبة: ١٠٠).

روى الحافظ ابن جرير في تفسيره لهذه الآية بسنده عن محمد بن كعب القرظي قال: مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه برجل يقرأ: **﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ﴾** حتى بلغ **﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾** قال: وأخذ عمر بيده فقال: من أقرأك هذا؟ قال أُبيٌّ بن كعب، قال: لا تفارقني حتى أذهب بك إليه، فلما جاءه قال عمر رضي الله عنه: أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا؟ قال: نعم. قال: أنت سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: نعم. قال: لقد كنت أظن أنا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا، فقال أُبيٌّ: تصديق هذه الآية من أول سورة الجمعة **﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** (الجمعة:٣)، وفي سورة الحشر: **﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ﴾** (الحشر: ١٠) وفي الأنفال: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُوْلَئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** (الأنفال: ٧٥)، وسبب سؤال عمر رضي الله عنه أنه كان يقرأ هذه الآية برفع الأنصار وبعدم إلحاق الواو

(١) «حقيقة البدعة وأحكامها» (١/ ٣٢١).

(٢) «الإحكام» للآمدي (٤/ ١٣٠)، و«حجية قول الصحابي» ص (٤٠).

(٣) «حجية قول الصحابي» ص (٤٠).

في الذين كما أورد ذلك ابن جرير[١]، ثم لما تبين له من أُبيٍّ بن كعب ﷺ الخفض وإلحاق الواو قال: لقد كنت أظن أنا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا، يقصد المهاجرين وهذا القول منه ﷺ يؤيد ما ذهب إليه أصحاب القول الأول القائلين بحجية أقوال الصحابة من غير تخصيص لبعضهم، إذا اشترك الجميع في وصف الثناء عليهم بكونهم سبقوا في كل علم وفضل وجهاد وعمل، وهذه الآية احتج بها ابن القيم وجعلها من الأدلة الدالة على وجوب اتباع الصحابة[٢]، وحكى احتجاج الإمام مالك - رحمه الله- بها في هذا المعنى[٣]، وذكر أن الآية تتضمن مدح الصحابة والثناء عليهم واستحقاقهم أن يكونوا أئمة متبوعين يقتدى بهم، وتؤخذ أقوالهم، وأنها اقتضت المدح لمن اتبعهم كلهم، أو اتبع كل واحد منهم ما لم يخالف نصًّا[٤]، ومن الأدلة: قوله تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ (آل عمران: ١١٠)، روى ابن جرير بسنده عند تفسيره لهذه الآية عن الضحاك، قال: هم أصحاب رسول الله ﷺ خاصة[٥]، قال ابن جرير بعد إيراده لهذا الأثر مبينًا معناه: يعني وكانوا هم الرواة الدعاة الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم[٦]، واستشهد بالآية الشاطبي حين قرر أن: سنة الصحابة ﷺ سنة يعمل عليها ويرجع إليها[٧]، فقال: في الآية إثبات الأفضلية على سائر الأمم، وذلك يقتضي باستقامتهم في كل حال وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة[٨]، وقد أفاض الإمام ابن القيم الجوزية في الاستدلال على حجية قول الصحابة بالآيات الكريمة ووجه استدلاله فأجاد وأفاد[٩].

ثانيًا: أما الأدلة من السنة فهي كثيرة منها:

قوله ﷺ: «**خير الناس القرن الذي أنا فيه، ثم الثاني ثم الثالث**»[١٠]،

---

(١) «تفسير الطبري» (١٤/ ٤٣٨).
(٢، ٣) «إعلام الموقعين» (٤/ ١٢٣).
(٤) «إعلام الموقعين» (٤/ ١٢٣ - ١٢٩).
(٥، ٦) «تفسير الطبري» (٧/ ١٠٢).
(٧، ٨) «الموافقات» (٤/ ٧٤).
(٩) «إعلام الموقعين» (٤/ ١٢٣ - ١٣٥).
(١٠) «مسلم» (٢/ ١٩٦٥).

فإخباره صلى الله عليه وسلم بذلك يقتضي تقديمهم في كل باب من أبواب الخير، ولاسيما في ظفرهم بالصواب[١]، فهم أفضل من غيرهم في كل فضيلة، من علم وعمل وإيمان وعقل ودين وبيان وعبادة، وأنهم أولى بالبيان لكل مشكل، هذا لا يدفعه إلا من كابر المعلوم من الدين بالضرورة من دين الإسلام[٢]، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«ما من نبي بعثه الله عز وجل إلا كان له في أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره»**[٣]، وقد استشهد البيهقي بهذا الحديث على أفضليتهم ومنزلتهم[٤] العالية في كل علم وعمل وقصد[٥].

ثالثًا: الأدلة من الآثار منها:

ما روي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه قال: يا معشر القراء خذوا طريق من كان قبلكم، فوالله لئن استقمتم لقد سبقتم بعيدًا، ولئن تركتموه يمينًا وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيدًا[٦]، وروى الخطيب بسنده عن عامر الشعبي أنه قال: ما حدثوك عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فخذه[٧].

رابعًا: من أقوال الأئمة والعلماء في حجية قول الصحابي:

١ـ قول الشافعي: ما كان الكتاب والسنة موجودين فالعذر عمن سمعهما مقطوع، إلا باتباعهما، فإذا لم يكن ذلك صرنا إلى أقاويل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو واحد منهم[٨]، وقال أيضًا: لا يكون لك أن تقول إلا عن أصل، أو قياس على أصل، والأصل كتاب أو سنة، أو قول بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو إجماع الناس[٩].

٢ـ وقال أحمد: لا تقلد دينك أحدًا من هؤلاء ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فخذ به، ثم التابعين بعد، الرجل فيه مخير[١٠].

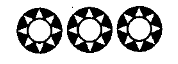
---

(١) «إعلام الموقعين» (٤/ ١٣٦).
(٢) «مجموع الفتاوى» (٤/ ١٥٨).
(٣) «مسلم» كتاب الإيمان (١/ ٦٩).
(٤) «الاعتقاد» للبيهقي (ص ٣١٩).
(٥) «حقيقة البدعة وأحكامها» (١/ ٣٢٨).
(٦) «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٨٠)، و«البدع» لابن وضاح (ص ١٠).
(٧) «حقيقة البدعة وأحكامها» (١/ ٣٢٩).
(٨) «الأم» للشافعي (٧/ ٢٦٥).
(٩) «مناقب الشافعي» (ص ٣٦٧).
(١٠) «مسائل الإمام أحمد» لأبي داود (ص ٢٧٦).

٣- وقول الإمام مالك: ومذهبه في ترجيح عمل أهل المدينة مشهور ومعلوم، بيد أنه قد ذهب إلى أبعد من ذلك، حين اعتبر قول الصحابة، ولاسيما ولاة الأمر بعده محل احتجاج[١].

٤- قال ابن تيمية: ومن قال من العلماء: إن قول الصحابي حجة، فإنما قاله إذا لم يخالفه غيره من الصحابة، ولا عرف نصًّا يخالفه، ثم إذا اشتهر ولم ينكروه، كان إقرارًا على القول، فقد يقال: هذا إجماع إقراري إذا عرف أنهم أقروه، ولم ينكره أحد منهم وهم لا يقرون على باطل[٢]، أما إذا لم يشتهر فهذا إن عرف أنه خالفه فليس بحجة بالاتفاق[٣].

٥ - قال الشاطبي: عند شرحه لقول النبي ﷺ: «**ما أنا عليه وأصحابي**»[٤]، فكأنه راجع إلى ما قالوه وما سنوه، وما اجتهدوا فيه حجة على الإطلاق، وبشهادة رسول الله ﷺ لهم بذلك خصوصًا - إلى أن قال- فإذن كل ما سنوه فهو سنة، من غير نظر فيه بخلاف غيرهم[٥]، وقال في الموافقات: سنة الصحابة رضي الله عنهم سنة يعمل عليها ويرجع إليها[٦].



(١) «إعلام الموقعين» (٤/ ١٢٣)، و«ترتيب المدارك» (١/ ٦٤).
(٢) «مجموع الفتاوى» (١/ ٢٨٣).
(٣) «مجموع الفتاوى» (١/ ٢٨٣).
(٤) «السلسلة الصحيحة» (١/ ١٢، ٢٥) (٣/ ٤٨٠).
(٥) «الاعتصام» (٢/ ٢٦٣).
(٦) «الموافقات» (٤/ ٧٤).

الفصل الخامس

مؤسسة الولاة في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه

المبحث الأول

أقاليم الدولة

أولاً: مكة المكرمة:

توفي عثمان رضي الله عنه وعلى مكة خالد بن سعيد بن العاص، فأصدر علي رضي الله عنه قرارًا بعزله وعين أبا قتادة الأنصاري واليًا على مكة(١)، ويبدو أن فترة ولايته كانت قصيرة؛ إذ أن عليًا رضي الله عنه عندما أراد الخروج من المدينة إلى العراق بعث قثم بن العباس(٢)، واليًا على مكة، وعزل أبا قتادة الأنصاري(٣)، وبهذا فإن ولاية أبي قتادة استمرت قرابة الشهرين، ولم ترد عنها أخبار تذكر، ومعظم المصادر التي تحدثت عن ولاية قثم بن العباس على مكة ذكرت أن عليًا ولاه على مكة والطائف وأعمالها في وقت واحد(٤)، ولم تنقل الأخبار عن مكة في عهد خلافة علي رضي الله عنه سوى ما يتعلق بموسم الحج ومن كان واليًا عليه، فعلي بن أبي طالب لم يرد أنه شهد الحج أثناء خلافته بسبب انشغاله بالفتن التي قامت في أنحاء الدولة الإسلامية، حيث لم تستقر الأوضاع فيها، وكان خلال موسم الحج يبعث من يقود الحجيج، ويبدو أن قثم بن العباس أقام الحج بالناس سنة ٣٧هـ فقط، بينما بعث علي رضي الله عنه على الحج عبد الله بن العباس سنة٣٦هـ وعبيد الله ابن العباس، سنة٣٨هـ(٥)، مع وجود اختلاف بين المصادر في سنة حج كل منهم، وأما سنة ٣٩هـ فقد بعث معاوية أحد قواد الشام مع حجاج الشام، وأمره أن يقيم الحج بالناس، فلما وصل إلى مكة تنازع مع قثم بن العباس، وكاد أن

---

(١) «الولاية على البلدان» (٢/٣)، و«تاريخ ابن خياط» (ص ٢٠١).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٤٤٠). (٣) «تاريخ اليعقوبي» (٢/ ١٧٩).

(٤) «الكامل في التاريخ» (٣/ ٣٩٨)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ٤).

(٥) «تاريخ خليفة» (ص ١٩١، ١٩٢، ١٩٨)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ٤).

يقع بينهما قتال لولا أن عمل بعض الصحابة بينهما بالصلح على أن يقيم الحج بالناس أحد بني شيبة، وانتهى الحج بسلام ولم يقع قتال[١]، وقد استمر قثم بن العباس في ولايته على مكة إلى أن قدم جيش معاوية بقيادة بسر بن أرطأة فخرج منها قثم هاربًا خائفًا على نفسه، وبذلك انتهت ولاية قثم، وخرجت مكة من ولاية علي بن أبي طالب، وقد بعث علي بعض أجناده لاستعادة مكة إلا أن استشهاد علي ﷺ حال دون إتمام المهمة[٢].

ثانيًا: المدينة النبوية:

كانت المدينة المنورة طيلة عهد رسول الله ﷺ وخلفائه الثلاثة من بعده عاصمة الدولة الإسلامية، ويقيم فيها الخليفة، ويتولى شؤونها بنفسه أثناء وجوده، أما في حالة السفر فإنه ينيب عليها من يتولى شؤونها، وقد اختلف الوضع بعد مبايعة علي ﷺ بالخلافة؛ إذ دعته الحالة العامة والارتباك الذي حدث بعد مقتل عثمان إلى مغادرة المدينة المنورة خصوصًا بعد خروج طلحة والزبير وعائشة باتجاه العراق قبل موقعة الجمل[٣]، وقد استخلف على المدينة سهل بن حنيف الأنصاري كما تقول بعض الروايات[٤]، ولا نعلم المدة التي بقي فيها ابن حنيف واليًا على المدينة، والذي يبدو أن ولايته قد استمرت أكثر من سنة، فقد ورد أنه كان على المدينة سنة ٣٧هـ[٥] ثم ولىَّ عليٌّ تمام بن العباس على المدينة بعد أن عزل سهل بن حنيف، وقد ولى على بن أبي طالب على المدينة بعد ذلك أبا أيوب الأنصاري الذي استمر واليًا عليها إلى سنة ٤٠هـ، حيث قدم المدينة جيش من الشام من قبل معاوية بقيادة بسر بن أرطأة[٦]، ففر أبو أيوب من المدينة، وتوجه إلى علي في الكوفة[٧]، وبذلك خرجت المدينة من

---

(١) «الولاياية على البلدان» (٢/ ٤)، و«تاريخ الطبري» (٦/ ٧٩).
(٢) «تاريخ الطبري» (٦/ ٨٠)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ٥).
(٣) «تاريخ خليفة بن خياط» ص (٨)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ٢).
(٤) «تاريخ ابن خياط» (ص ١٨١، ٢٠١)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ٢).
(٥) «تاريخ الطبري» (٦/ ٥٣)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ٢).
(٦) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٤٠٩)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ٢).
(٧) «تاريخ الطبري» (٦/ ٨٠)، و«الكامل» (٣/ ٣٧٣).

حكم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ودخلت في حكم معاوية، وهكذا تحولت المدينة في عهد علي من قاعدة للخلافة إلى ولاية من الولايات، وأخذت الأحداث السياسية تدور بعيدًا عنها؛ لذلك نجد المصادر التاريخية تكاد تهملها خلال تلك الفترة إلى أن استطاع جيش معاوية الاستيلاء عليها[1].

ثالثًا: ولاية البحرين وعمان:

كانت البحرين حين توفي عثمان رضي الله عنه تابعة لإمارة البصرة، وكان ابن عامر يولي عليها من عماله، وفي عهد علي رضي الله عنه عين علي على ولاية البحرين مجموعة من الأمراء كان من أهمهم عمر بن أبي سلمة[2] الذي خرج مع علي من المدينة أثناء سفره إلى العراق، ثم بعثه علي واليًا على البحرين[3] لفترة من الوقت ثم استدعاه علي لمصاحبته في العراق بعد ذلك، كما كان من عمال علي في البحرين قدامة بن العجلان الأنصاري[4]، والنعمان بن العجلان الأنصاري[5]، وكذلك ذكر من ولاته على البحرين عبيد الله بن العباس[6]، ويلاحظ أن عبيد الله بن العباس كان والي اليمن، فلعل البحرين ونجد كانتا تابعتين له في تلك الفترة، وهذا يوحي به تعبير الطبراني، كما أن تعبير خليفة ابن خياط يوحي بعدم معرفته لترتيب معين لهؤلاء الولاة[7]، وقد أوردت المصادر أسماء بعض العمال الذين وجههم علي إلى عمان، أحدهم والي، والآخر قائد جند؛ لإخماد أحد الثورات التي قامت ضد علي في عمان[8]، وكذلك كان هنالك عامل على اليمامة[9]، ولعله خاضع لإشراف والي البحرين[10].

رابعًا: ولاية اليمن:

لما استشهد عثمان وبويع علي بالخلافة ولىَّ على اليمن عبيد الله ابن

(١ «الولاية على البلدان» (٢/ ٣).
(٢) «تهذيب التهذيب» (٧/ ٤٥٦)
(٢) «الكامل» (٣/ ٢٢٢)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ٥).
(٣) «الولاية على البلدان» (٢/ ٥).
(٥) «الإصابة» (٣/ ٥٦٢)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ٥).
(٦) «تاريخ الطبري» (٦/ ٩٠).
(٧) «الولاية على البلدان» (٢/ ٦).
(٨-١٠) «تاريخ اليعقوبي» (٢/ ٩٥)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ٦).

العباس رضي الله عنهما[١]، وقد خرج ولاة عثمان من اليمن قبل وصول عبيد الله بن العباس إليها، واشترك بعضهم في جيش الجمل مع طلحة والزبير وكان لهم دور في تجهيز الجيش[٢]، وقد كان عبيد الله ابن العباس على صنعاء وأعمالها كما كان معه في الولاية سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري[٣]، على الجند[٤]، وكان مقتل عثمان له أثر بالغ على المسلمين في اليمن وأحس القوم بالامتعاض والتبرم من هذا الجرم، وبقي بعض اليمنيين لم يبايع ويرغب في قتل قتلة عثمان رضي الله عنه، ولم تأخر هذا راسلوا معاوية بعد التحكيم، فأرسل بسر بن أبي أرطأة، فاستطاع أن يستولي على اليمن بفضل مساعدتهم، ولكن لفترة وجيزة[٥]؛ حيث استطاع علي استرجاعها من جيش معاوية، فأعاد عبيد الله بن العباس إلى ولايتها مرة أخرى، واستمر واليًا عليها إلى أن استشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٦].

وقد روي أن بسرًا قتل ابنين لعبيد الله بن عباس وبعض أنصار علي هناك، ثم رجع إلى الشام، وكان أمير المؤمنين قد وجه جارية بن قدامة السعدي، قيل: ففعل مثلما فعل بسر وقتل بعض محبي عثمان في اليمن[٧]، قال ابن كثير: وهذا الخبر مشهور عند أهل السير وفي صحته عندي نظر[٨]، ولاشك أن قتل الأبرياء لم يحصل في تلك المرحلة حتى في أيام البصرة وصفين عندما قامت الحرب بين الطرفين، فكيف يقتل الأطفال والأبرياء في مرحلة الهدنة؟ لذلك لا يمكن قبول هذه الأعراف المناقضة لأعراف المسلمين وقيمهم ودينهم[٩].

خامسًا: ولاية الشام:

كان معاوية رضي الله عنه واليًا على الشام في عهدي عمر وعثمان رضي الله عنهما، ولما تولى

---

(١) «تاريخ خليفة بن خياط» (ص٦).

(٢) «مروج الذهب» للمسعودي (٢/٣٥٧)، و«الولاية على البلدان» (٢/٦).

(٣) «الاستبصار» لابن قدامة المقدسي ص (٩٩)، و«الولاية على البلدان» (٢/٦).

(٤) «الولاية على البلدان» (٢/٦).

(٥) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد علي ص (١٠٩).

(٦) «تاريخ الطبري» (٦/ ٨٠، ٨١)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ٧).

(٧) «تاريخ الطبري» (٦/ ٥٥).

(٨) «البداية والنهاية» (٧/ ٣٣٤).

(٩) «الإنصاف» د. حامد (ص٥٧٥).

علي الخلافة أراد عزله وتولية عبد الله بن عمر فأبى عليه عبد الله بن عمر قبول ولاية الشام واعتذر في ذلك، وذكر له القرابة والمصاهرة التي بينهما[1]، ولم يلزمه أمير المؤمنين علي وقبل منه طلبه بعدم الذهاب إلى الشام، وأما الروايات التي تزعم أن عليًا قام بالتهجم على عبد الله بن عمر رضي الله عنه؛ لاعتزاله وعدم وقوفه إلى جانبه، ففي ذلك الخبر تحريف وكذب[2]، وأقصى ما وصل إليه الأمر في قضية عبد الله بن عمر وولاية الشام ما رواه الذهبي من طريق سفيان بن عيينة: عن عمر بن نافع عن أبيه عن ابن عمر قال: بعث إليَّ علي قال: يا أبا عبد الرحمن إنك رجل مطاع في أهل الشام، فسر فقد أمرتك عليهم، فقلت: أذكرك الله وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصحبتي إياه، إلا ما أعفيتني؛ فأبى علي، فاستعنت بحفصة فأبى، فخرجت ليلاً إلى مكة[3]، وهذا دليل قاطع على مبايعة ابن عمر، ودخوله في الطاعة؛ إذ كيف يوليه علي وهو لم يبايع، وفي الاستيعاب لابن عبدالبر من طريق أبي بكر بن أبي الجهم عن ابن عمر أنه قال حين احتضر: ما آسى على شيء إلا تركي قتال الفئة الباغية مع علي رضي الله عنه[4]، وهذا مما يدل أيضًا على مبايعته لعلي، وإنه إنما ندم على عدم خروجه مع علي للقتال، فإنه كان ممن اعتزل الفتنة، فلم يقاتل مع أحد، ولو كان قد ترك البيعة لكان ندمه على ذلك أكبر وأعظم ولصرح به، فإن لزوم البيعة والدخول فيها داخل الناس، فيه واجب، والتخلف عنه متوعد عليه برواية ابن عمر نفسه أن النبي قال: «**من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**»[5]، وهذا بخلاف الخروج للقتال مع علي، فإنه مختلف فيه بين الصحابة وقد اعتزله بعض الصحابة، فكيف يتصور أن يندم ابن عمر على ترك هذا القتال، ولا يندم على ترك البيعة لو كان تاركًا لها، مع ما فيه من الوعيد الشديد، وبهذا يظهر بطلان

---

(١) «المصنف» لابن أبي شيبة (٧/ ٤٧٢)، وإسناده صحيح.

(٢) «استشهاد عثمان ووقعة الجمل»، لخالد الغيث (ص١٦٠).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٢٤) رجاله ثقات.

(٤) «الاستيعاب» (٦/ ٣٢٦) بحاشية كتاب «الإصابة».

(٥) «مسلم»، كتاب الإمارة رقم (١٨٥١).

قول بعض المؤرخين في زعمهم من ترك ابن عمر البيعة لعلي رضي الله عنهما حيث ثبت أنه كان من المبايعين له بل المقربين منه، الذين كان يحرص على توليتهم، والاستعانة بهم؛ لما رأى فيه من صدق الولاء والنصح له[1].

وبعد اعتذار ابن عمر من قبول ولاية الشام، أرسل أمير المؤمنين علي سهل ابن حنيف بدلاً منه، إلا أنه ما كاد يصل مشارف الشام حتى أخذته خيل معاوية وقالوا له: إن كان بعثك عثمان فحيهلاً بك وإن كان بعثك غيره فارجع[2]، وكانت بلاد الشام تغلي غضبًا على مقتل عثمان ظلمًا وعدوانًا، فقد وصلهم قميصه مخضبًا بدمائه، بأصابع نائلة زوجه التي قطعت أصابعها وهي تدافع عنه، وكانت قصة استشهاده أليمة فظيعة اهتزت لها المشاعر، وتأثرت بها القلوب، وذرفت منها الدموع، كما وصلتهم أخبار المدينة وسيطرة الغوغاء عليها، وهروب بني أمية إلى مكة، كل هذه الأمور وغيرها من الأحداث والعوامل كان لها تأثير على أهل الشام وعلى رأسهم معاوية رضي الله عنه، فقد كان يرى أن عليه مسؤولية الانتصار لعثمان، والقَوَدُ من قاتليه فهو ولي دمه، والله عز وجل يقول: ﴿**وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا**﴾ (الإسراء: ٣٣)، لذلك جمع معاوية الناس، وخطبهم بشأن عثمان وأنه قتل ظلمًا وعدوانًا على يد سفهاء منافقين، لم يقدروا الدم الحرام؛ إذ سفكوه في الشهر الحرام في البلد الحرام، فثار الناس، واستنكروا وعلت الأصوات وكان منهم عدد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام أحدهم واسمه مرة بن كعب فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تكلمت: . . . وذكر الفتن فقربها، فمر رجل متقنع في ثوب، فقال: «**هذا يومئذ على الهدى**»، فقمت إليه، فإذا هو عثمان بن عفان، فأقبلت عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال: «**نعم**»[3].

---

(١) «الانتصار للصحب والآل» (ص٥٠٧).

(٢) «تهذيب تاريخ دمشق» (٤/ ٣٩)، و«خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد علي (ص١١٠).

(٣) «صحيح سنن ابن ماجه» (١/ ٢٤).

وهناك حديث آخر له تأثيره في طلب معاوية القود من قتلة عثمان ومنشطًا ودافعًا قويًا للتصميم على تحقيق الهدف، وهو عن النعمان بن بشير عن عائشة رضي الله عنها قالت: أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن عفان، فجاء فأقبل عليه رسول الله ﷺ ، فكان من آخر كلمة أن ضرب منكبه فقال: «**يا عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصًا، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني**» ثلاث مرات، فقلت لها: يا أم المؤمنين فأين كان هذا عنك؟ قالت: نسيته والله ما ذكرته قال: فأخبرته معاوية بن أبي سفيان، فلم يرضَ بالذي أخبرته حتى كتب إلي أم المؤمنين أن اكتبي إلي به، فكتبت إليه به كتابًا[1].

كان الحرص الشديد على تنفيذ حكم الله في القتلة السبب الرئيسي، في رفض أهل الشام بزعامة معاوية بن أبي سفيان بيعة علي بن أبي طالب بالخلافة، وليست لأطماع معاوية في ولاية الشام، أو طلبه ما ليس له بحق إذ كان يدرك إدراكًا تامًا أن هذه الأمر في بقية الستة من أهل الشورى وأن عليًا أفضل منه وأولى بالأمر[2]، ودليل ذلك ما أخرجه يحيى بن سليمان الجعفي بسند جيد، عن أبي مسلم الخولاني أنه قال لمعاوية: أنت تنازع عليًا، أم أنت مثله؟ فقال: لا والله إني لأعلم أنه أفضل مني، وأحق بالأمر مني، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلومًا؟! وأنا ابن عمه، والطالب بدمه، فأتوه، فقولوا له: فليدفع إلي قتلة عثمان، وأسلم له، فأتوا عليًا، فكلموه، فلم يدفعهم إليه[3]، وفي رواية: فأتوه فكلموه فقال: يدخل في البيعة ويحاكمهم إليَّ، فامتنع معاوية[4]، وأما الروايات التي تصور معاوية في خروجه عن طاعة علي بسبب أطماع ذاتية وأطماع دنيوية، وبسبب العداء والتنافس الجاهلي القديم بين بني هاشم وبني أمية وغير ذلك من القذف والافتراءات والطعن على أصحاب رسول الله ﷺ ، مما اعتمد عليها الكتاب المعاصرين - كالعقاد في عبقرية علي، وعبد العزيز الدوري في مقدمة في

---

(١) «مسند أحمد»، باقي مسند الأنصار رقم (٢٤٠٤٥)، حديث صحيح.

(٢) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد علي (ص١١٢).

(٣) «فتح الباري» (١٣/ ٩٢)، و«البداية والنهاية» (٨/ ١٢٩).

(٤) «فتح الباري» (١٣/ ٩٢)، و«استشهاد عثمان» (ص١٦٠).

تاريخ صدر الإسلام - وبنوا عليها تحليلاتهم الباطلة، فهي روايات متروكة مطعون في رواتها عدلاً وضبطًا[١].

وقد استمرت ولاية الشام تابعة لنفوذ معاوية بن أبي سفيان طيلة خلافة علي ﵁، ولم يتمكن علي من السيطرة عليها أو تعيين العمال والأمراء فيها، وقد وقعت إلى الشرق من بلاد الشام بعض المناوشات بين جند علي وجند معاوية، كان أهمها موقعة (صفين) والتي شهدها علي ومعاوية ﵄ في سنة ٣٧ هـ، ولم تمنع هذه المعارك من استمرار سيطرة معاوية على الشام[٢].

سادسًا: ولاية الجزيرة:

كانت الجزيرة إحدى الولايات التابعة للشام أيام عثمان بن عفان ﵁، وبعد استشهاده كانت الشام بيد معاوية، والعراق بيد علي، مما جعل الجزيرة محل تنازع بين الفريقين؛ نظرًا لموقعها الجغرافي واتصالها بالشام من جهة وبالعراق من جهة أخرى[٣]، وبالتالي سهولة السيطرة عليها من كلا الجانبين، وقد وقعت في الجزيرة العديد من المعارك بين أجناد علي وأجناد معاوية في محاولة من كلا الطرفين للسيطرة عليها، ويبدو أن عليًّا استطاع السيطرة عليها[٤]، لفترة من الوقت وعين عليها «الأشتر» وهو أشهر ولاة علي في الجزيرة[٥]، حيث ولاه عليها لأكثر من مرة فاستطاع أن يرتب أمورها، ثم اضطر علي ﵁ لنقله لولاية مصر وذلك في سنة ٣٨هـ[٦]، فعاد الاضطراب مرة أخرى إلى الجزيرة ونشط أتباع معاوية في الاستيلاء عليها بعد ذلك فوقعت فيها العديد من المعارك[٧]، ويبدو أن معاوية استطاع في أواخر سنة ٣٩هـ أن يسيطر إلى حد ما على الجزيرة[٨]، وقد كانت الجزيرة ملجأ لبعض المعتزلين للحرب بين علي ومعاوية

---

(١) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد علي (ص١١٢).

(٢) «الولاية على البلدان» (٢/ ٨).

(٣) «معجم البلدان» (٢/ ١٣٥)

(٤) «الأخبار الطوال» للدينوري (ص١٥٤)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ٨).

(٥) «تاريخ خليفة بن خياط» (ص٢٠٠).

(٦) «تاريخ الطبري» (٦/ ٥٤).

(٧) «الفتوح» لابن أعثم الكوفي (٤/ ٤٥)، و«الكامل» (٣/ ٣٧٩).

(٨) «الكامل» (٣/ ٣٨٠).

وهم الذين لم يبايعوا أيامها أثناء النزاع الناشب بينهما[١]، ولعل موقعها في المنتصف بين الطرفين هو الذي دفعهم لاختيارها، وقد وردت أسماء بعض من ولي الجزيرة لعلي ومنهم شبيب بن عامر[٢]، وكميل بن زياد وكان لهما دور في مقاومة جيوش الشام التي هاجمت الجزيرة بل إنهما استطاعا الهجوم على الشام من قبل الجزيرة[٣].

سابعًا: ولاية مصر:

استشهد عثمان رضي الله عنه وعلى مصر محمد بن أبي حذيفة مغتصبًا للولاية فيها، ولم يقره عثمان عليها، وبعد وفاة عثمان أقره علي على مصر فترة من الوقت لم تطل، حيث وجه معاوية جيشًا إلى نواحي مصر؛ فظفر بمحمد بن أبي حذيفة فقبض عليه ثم سجن وقتل[٤]، وقد ذكر أن عليًّا لم يعين محمد بن أبي حذيفة على مصر وإنما تركه على حاله حتى إذا قتل، عين علي قيس بن سعد الأنصاري على ولاية مصر[٥]، فقال له: سر إلى مصر وليتكها، واخرج إلى رحلك، واجمع إليه ثقاتك ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتيها ومعك جند؛ فإن ذلك أرعب لعدوك وأعز لوليك، فإذا أنت قدمتها -إن شاء الله- فأحْسِن إلى المحسن، واشتد على المريب، وارفق بالعامة والخاصة، فإن الرفق يمن[٦]، وقد ظهر ذكاء قيس وحسن تصرفه في العديد من المواقف فإنه حين توجه إلى مصر كان فيها مجموعة ممن غضبوا لمقتل عثمان رضي الله عنه، ومجموعة ممن اشتركوا في قتله، ولقد لقيته خيل من مصر قبل دخوله إليها فقالوا: من أنت؟ قال: من فألة[٧] عثمان؛ فأنا أطلب من آوى إليه فانتصر به لله، قالوا: من أنت؟ قال: قيس بن سعد، قالوا: امضِ فمضى حتى دخل[٨] مصر، وهذا الموقف الذي

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٤١٤).
(٢) «الولاية على البلدان» (٢/ ٩).
(٣) «الفتوح» لابن أعثم الكوفي (٤/ ٥٠ ـ ٥٢)، و«تاريخ الطبري» (٦/ ١٩).
(٤) «ولاة مصر» للكندي ص (٤٢، ٤٣)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ٩).
(٥) «ولاة مصر» ص (٤٤)، و«النجوم الزاهرة» (١/ ٩٤).
(٦) «الكامل في التاريخ» (٢/ ٣٥٤).
(٧) الفألة: الجماعة المنهزمون، «لسان العرب» (١١/ ٥٣١).
(٨) «الولاية على البلدان» (٢/ ١٠) نقلاً عن «نهاية الأرب في تاريخ العرب» للنويري.

لقيس هو الذي مكنه من دخول مصـر، ثم أعلن بعد ذلك أنه أمير، وربما لو أنه أعلن لهؤلاء الأجناد أنه أمير لمنعوه من دخول مصر أصلاً، كما حدث لمن وجهه علي إلى الشام فمـنعته أجناد الشام من دخولهـا حينما علموا أنه قـد بعث أميرا على الشام[١]، وحينما وصل قيس بن سعد إلى الفسطاط صعد المنبر وخطب في أهل مصر وقرأ عليهم كتـابًا من علي بن أبي طالب ﷺ وطلب البيعة لعلي[٢]، وهنا انقسم أهل مصر إلى فريقين، فريق دخل في بيعة علي وبايعوا قيسًا، وفريق توقف واعتـزل، وكان قيس بن سـعد حكيمًـا مع الذين بايعوا والذين امـتنعوا؛ حيث لم يـجبرهم على الـبيعـة وكف عنهم وتركهم في حـالهم[٣]، ولم يكتف بذلك بل إنه بعث لهـؤلاء أعطياتهم في مكان اعتـزالهم، ووفد عليـه قوم منهم فأكرمهم وأحسن إليهم[٤]، فساعدت تلك المعاملة الطيبة على تجنب الصدام بهم، وبالتالي ساعدته على هدوء الأوضاع بمصـر، حتى استطاع قيس أن ينظم الأمور فيها، فوزع الأمراء ونظم أمور الخراج وعين رجالات على الشرطة[٥].

وبذلك استطاع أن يرتب ولاية مصـر، وأن يسترضي جميع الأطراف فـيها[٦]، وأصبح قـيس بن سعد في هذا المـوقع يشكل ثقلاً سياسـيًّا وخطرًا عـسكريًّا على معاوية بن أبي سفيان في الشام؛ نظرًا لقـرب مصر من الشام، ولترتيب قيس لها وتنظيمها، ومـا اشتهر عن قيس من حزم، وخوف معـاوية من حركات عسكرية مناوئة له تخـرج من مصر، ولذلك فـإنه أخذ يراسل قيـس بن سعد في مـصر مهددًا له، وفي الوقت نفسه يحاول إغراءه بـالانضمام إليه، وكانت إجابات قيس على تلك الرسائل إجابات ذكـية بحيث لم يستطع معاوية أن يفـهم موقف قيس وما ينوي عمله، وقد تعددت بينهما الرسائل[٧]، وقد انتشرت الروايات الرافضية من الرسائل بين معاوية وقيس بن سعـد التي ذكرها أبو مخنف في كتب التاريخ

(١) «تهذيب تاريخ دمشق» (٤/ ٣٩).
(٢) «الكامل في التاريخ» (٢/ ٣٥٤).
(٣) «ولاة مصر» ص (٤٤)، و«الكامل في التاريخ» (٢/ ٣٥٤).
(٤) «ولاة مصر» ص (٤٤).
(٥) «الولاية على البلدان» (٢/ ١١)، «النجوم الزاهرة» (١/ ٩٨).
(٦) «الولاية على البلدان» (٢/ ١١).
(٧) «الكامل» (٢/ ٣٥٥)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ١١).

وهي باطلة لا تصح، فقد انفرد بها هذا الرافضي التالف الذي ضعَّفه رجال الجرح والتعديل بها، وفي متن تلك الرواية غرائب من أبرزها ما يلي:

١ـ خطاب علي رضي الله عنه إلى أهل مصر مع قيس بن سعد رضي الله عنه وفيه: «ثم ولى بعدهما والٍ فأحدث أحداثًا، فوجدت عليه الأمة مقالاً فقالوا، ثم نقموا عليه فغيروا»، وهذا يعني أن الذين قاموا على عثمان رضي الله عنه رجال الأمة وأن الأمة قد غيرت هذا المنكر بقتل عثمان رضي الله عنه، وعلي رضي الله عنه بريء من هذا القول، وهو يعلم أن الذين قتلوا عثمان هم أوباش الناس، وأن قتله ظلم وفجور، وأقواله تدل على ذلك ومنها ما رواه ابن عساكر أن محمد ابن الحنفية قال: ما سمعت عليًّا رضي الله عنه ذاكرًا عثمان رضي الله عنه بسوء قط[1]، وأخرج الحاكم وابن عساكر أن عليًّا رضي الله عنه قال: «اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان وأنكرت نفسي، وجاؤوني للبيعة، فقلت: والله إني لأستحي من الله أن أبايع قومًا قتلوا رجلاً قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة»** وإني لأستحي من الله أن أبايع وعثمان قتيل على الأرض لم يدفن بعد، فانصرفوا فلما دفن رجع الناس يسألونني البيعة، فقلت: اللهم إني مشفق مما أقدم عليه، ثم جاءت عزيمة فبايعت، فلما قالوا: أمير المؤمنين فكأن صدع قلبي وانسكب[2] بعبرة، وأقواله في هذا المعنى كثيرة[3]، وقد جمعتها في كتابي، تيسير الكريم المنان في سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان[4].

٢ ـ قول قيس بن سعد: أيها الناس إنا قد بايعنا خير من نعلم بعد نبينا صلى الله عليه وسلم وهذا مردود؛ إذ أن الثابت تفضيل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، على علي رضي الله عنه كما صح عن علي نفسه أنه صرح بذلك، وهذا لا يشك فيه أحد في ذلك الزمان من الصحابة وغيرهم، وعليه فلا يصح نسبة هذا الكلام لقيس بن سعد رضي الله عنه ولا

---

(١) «تاريخ ابن عساكر» ترجمة عثمان (ص ٣٩٥).
(٢) «المستدرك» (٣/ ٩٥ ، ١٠٣) صحيح على شرط الشيخين.
(٣) «مرويات أبي مخنف» د. يحيى اليحيى (ص ٢١١).
(٤) «عثمان بن عفان» للصلابي (ص ٤٠٧ ، ٤٠٩).

لغيره من الصحابة والتابعين، ولم يشتهر هذا إلا عند الشيعة الروافض المتأخرين[١]، قال ابن تيمية: الشيعة المتقدمون كلهم متفقون على تفضيل أبي بكر وعمر[٢]، والأدلة في تفضيل أبي بكر وعمر كثيرة منها ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنختار أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان[٣] والأحاديث في ذلك كثيرة[٤] ومشهورة وحقيقة الأمر كما مر معنا في الروايات الصحيحة السابقة أن معاوية طلب من أمير المؤمنين تسليمه قتلة عثمان ولم يتهم أمير المؤمنين عليًّا به.

٣- رسالة معاوية إلى قيس بن سعد، وإشارته فيها إلى كون علي طرفًا في قتل عثمان، وهذا لا يصح صدوره من معاوية؛ ذلك أن الأمر واضح فيه براءة علي رضي الله عنه كما مر في الفقرة السابقة وهذا لا يجهله معاوية رضي الله عنه فضلاً أن يُقرّه لقيس بن سعد رضي الله عنهما، وهذا محمد بن سيرين من كبار التابعين ومن الذين عاصروا ذلك المجتمع يقول: لقد قتل عثمان وما أعلم أحدًا يتهم عليًّا في قتله[٥]، ويقول أيضًا: لقد قتل عثمان يوم قتل وإن الدار يومئذ لغاصة، فيهم عبد الله بن عمر، وفيهم الحسن بن علي في عنقه السيف، ولكن عثمان عزم عليهم ألاَّ يقاتلوا[٦]، وأخرج ابن أبي شيبة بسند رجاله ثقات عن محمد ابن الحنفية أن عليًّا قال: لعن الله قتلة عثمان في السهل والجبل والبر والبحر[٧]، والنصوص في هذا المعنى كثيرة جدًّا[٨]، مما يؤكد اشتهار كراهية علي رضي الله عنه لقتل عثمان[٩].

٤- وأما ما أورده من اتهام معاوية للأنصار في دم عثمان فهذا لا يصح من معاوية وهو يعلم أن الذي قام بالدفاع عنه هم الأنصار جميعًا، فقد أخرج ابن

(١) «مرويات أبي مخنف» (ص ٢١١).
(٢) «منهاج السنة» (١/ ٤، ١١١٩).
(٣) «البخاري» رقم (٣٦٩٧).
(٤) «مرويات أبي مخنف» (ص ٢١٢).
(٥) «تاريخ ابن عساكر» ترجمة عثمان (ص ٣٩٥)، و«مرويات أبي مخنف» (ص ٢١٢).
(٦) «تاريخ ابن عساكر» ترجمة عثمان (ص ٣٥٠).
(٧) «المصنف» (١٥/ ٢٦٨).
(٨) نقل ابن عساكر نصوصًا كثيرة تبين نصرة علي لعثمان، ترجمة عثمان (ص ٣٩٥).
(٩) «مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري» ص (٢١٣).

سعد بسند صحيح أن زيد بن ثابت رضي الله عنه جاء إلى عثمان رضي الله عنه وهو محصور فقال: هذه الأنصار بالباب يقولون: إن شئت كنا أنصار الله مرتين، قال: فقال عثمان: أما القتال فلا[١].

٥ـ ما ذكره من اختلاق معاوية كتابًا على لسان قيس بن سعد، فهذا من الكذب الذي لا يعقل صدوره من معاوية، ذلك أن العرب كانوا يعدون الكذب من أقبح الصفات التي يتنزه عنها الرجال الكرام، وهذه قصة أبي سفيان وهو يومئذ على الشرك فيما أخرجه البخاري، في قصة سؤال هرقل عن رسول الله ﷺ يقول أبو سفيان: فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليَّ كذبًا لكذبت عنه[٢]، فهذه منزلة الكذب عند العرب، وعند المسلمين أشد وأخزى ولا يقول قائل: هذه خدعة، والحرب خدعة؛ فإن الخدعة ليس معناها الكذب كما هو معلوم من كلام العرب، ومعاوية رضي الله عنه أحذق من أن يفعل هذا[٣].

٦ـ رواية هذه الكتب الكثيرة بين قيس ومعاوية وعلي رضي الله عنهم بهذا التسلسل وبهذه الدقة تدخل الشك والريبة على القارئ؛ لجهالة المطلع والناقل لها[٤].

يقول الدكتور يحيى اليحيى: إن ولاية قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما على مصر من قبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أمر مجمع عليه[٥]، وكل من ترجم لقيس لم يذكر هذه التفاصيل[٦]- أي التي ذكرها أبو مخنف في روايته - وحتى مؤرخو مصر المعتبرون لم يذكروا ذلك[٧]، هذا وقد نقل رواية أبي مخنف من الطبري بعد حذف واختصار كل من: ابن الأثير، وابن كثير، وابن خلدون، وابن تغري بردي[٨]، وقد أخرج الكندي أيضًا عن عبد الكريم بن الحارث قال:

---

(١) «الطبقات» (٣/ ٧٠)، وسنده صحيح.

(٢) «البخاري» رقم (٧).

(٣، ٤) «مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري» ص (٢١٤).

(٥) «تاريخ خليفة» (ص ٢٠١)، و«فتوح مصر» (٢٧٤)، و«ولاة مصر» (٤٤٠)، و«سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٣).

(٦) «طبقات ابن سعد» (٦/ ٥٢)، و «تاريخ بغداد» (١/ ١٧٧)، و«سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٠٢).

(٧) «فتوح مصر»، و«ولاة مصر» مرويات أبي مخنف» (ص ٢٠٧).

(٨) «تاريخ ابن خلدون» (٤/ ١٠٩٢) ، و«النجوم الزهرة» (١/ ٩٧)، و«البداية والنهاية» (٧/ ٢٥١).

لما ثقل مكان قيس على معاوية كتب إلى بعض بني أمية بالمدينة: أن جزى الله قيس بن سعد خيرًا واكتموا ذلك؛ فإني أخاف أن يعزله علي إن بلغه ما بينه وبين شيعتنا، حتى بلغ عليًّا فقال من معه من رؤساء أهل العراق وأهل المدينة: بدل قيس وتحول، فقال علي: ويحكم، إنه لم يفعل، فدعوني، قالوا: لتعزلنه فإنه قد بدل، فلم يزالوا به حتى كتب إليه: إني قد احتجت إلى قربك، فاستخلف على عملك وأقدم[1]، وقد رجح هذه الرواية الدكتور اليحيى في كتابه القيم «مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري» قال:

١ـ إنها من رواية مصري ثقة، وهو أعلم بقطره من غيره.

٢ـ أخرجها مؤرخ مصري.

٣ـ خلوها من الغرائب.

٤ـ متنها مما يتفق مع سيرة أولئك الرجال.

٥ـ بينت تردد علي في عزل قيس حتى ألح عليه الناس فاستبقاه عنده، وهكذا القائد لا يفرط في القيادات الحاذقة وقت المحن[2].

ـ تعيين محمد بن أبي بكر على ولاية مصر:

تدخل بعض الناس للإفساد بين علي وقيس بن سعد لكي يعزله وفي نهاية المطاف طلب بعض مستشاري علي منه أن يعزل قيسًا وصدقوا تلك الإشاعات التي قيلت فيه، وألحوا في عزله، فكتب إليه علي: إني قد احتجت إلى قربك فاستخلف على عملك وأقدم[3]، وكان هذا الكتاب بمثابة عزل لقيس عن ولاية مصر، وقد عين علي مكانه الأشتر النخعي[4]، على أكثر الأقوال، وقد التقى علي بالأشتر قبل سفره إلى مصر، فحدثه حديث أهل مصر وخبره خبر أهلها، وقال ليس لها غيرك اخرج -رحمك الله- فإني إن لم أوصيك اكتفيت برأيك واستعن بالله على ما أهمك فاخلط الشدة باللين، وارفق ما كان الرفق أبلغ،

---

(١) «ولاة مصر» (ص ٤٥ - ٤٦)، وفيها المدائني وهو صدوق وبقية رجالها ثقات إلا أنها مرسلة.

(٢) «مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري» (ص ٢١٠).

(٣) «ولاة مصر» (ص ٤٥ ـ ٤٦).

(٤) «فتوح البلدان» ص (٢٢٩)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ١٢).

واعزم بالشدة حين لا يغني عنك إلا الشدة[١]، وقد توجه الأشتر إلى مصر ومعه رهط من أصحابه إلا أنه حينما وصل إلى أطراف بحر القلزم - البحر الأحمر - مات قبل أن يدخل مصر، وقد قيل: إنه سقي شربة مسمومة من عسل فمات منها، وقد اتهم أناس من أهل الخراج أنهم سموه بتحريض من معاوية[٢]، والتهمة الموجهة إلى معاوية في قتل الأشتر بالسم لا تثبت من طريق صحيح، واستبعد ذلك ابن كثير[٣]، وابن خلدون[٤]. وسار على نهجهم الدكتور يحيى اليحيى[٥]، وملت إلى هذا القول.

هذا وقد مات الأشتر قبل أن يباشر عمله في مصر، ومع ذلك فإن المصادر تتحدث عنه كأحد ولاة مصر لعلي بن أبي طالب، وقد ولي بعده على مصر محمد بن أبي بكر[٦].

وقد سبق لمحمد بن أبي بكر أن عاش في مصر في عهد عثمان، وتدل الروايات على أن محمد بن أبي بكر قد وصل إلى مصر قبل أن يغادرها الوالي الأول قيس ابن سعد، وقد دارت محاورة بين قيس بن سعد ومحمد بن أبي بكر، قدم فيها قيس عدة نصائح لمحمد، خصوصًا فيما يتعلق بالناس الغاضبين لمقتل عثمان، والذين لم يبايعوا عليًّا بعده وقد قال قيس: يا أبا القاسم إنك قد جئت من عند أمير المؤمنين وليس عزله إياي بمانعي أن أنصح لك وله، وأنا من أمركم هذا على بصيرة، ودع هؤلاء القوم ومن انضم إليهم - يقصد الذين لم يبايعوا عليًّا ولا غيره - على ما هم عليه، فإن أتوك فاقبلهم، وإن تخلفوا عنك فلا تطلبهم، وأنزل الناس على قدر منازلهم، وإن استطعت أن تعود المرضى وتشهد الجنائز فافعل؛ فإن هذا لا ينقصك[٧].

---

(١) «النجوم الزاهرة» (١/ ١٠٣).
(٢) النجوم الزهرة (١/ ١٠٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٤/ ٣٤).
(٣) «البداية والنهاية» (٨/ ٣٠٣).
(٤) «تاريخ ابن خلدون» (٤/ ١١٢٥).
(٥) «مرويات أبي مخنف» ص (٢٢٤).
(٦) «النجوم الزاهرة» (١/ ١٠٦).
(٧) «ولاة مصر» (ص ٥٠)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ١٣).

وقد حمل محمد معه عهدًا من علي رضي الله عنه فقرأه على أهل مصر وخطبهم[(١)]، وقد كتب أمير المؤمنين علي لمحمد بن أبي بكر كتابًا جاء عندما ولاه على مصر، ولم يكن هذا الكتاب مقتصرًا على سياسة الولاية، بل يحوي دعوة محمد بن أبي بكر الصديق إلى الله، ومما جاء في هذا الكتاب: واعلم يا محمد أنك وإن كنت محتاجًا إلى نصيبك من الدنيا، إلا أنك إلى نصيبك من الآخرة أحوج، فإن عرض لك أمران: أحدهما للآخرة والآخر للدنيا، فابدأ بأمر الآخرة، ولتعظم رغبتك في الخير، ولتحسن فيه نيتك، فإن الله عز وجل يعطي العبد على قدر نيته، وإذا أحب الخير وأهله ولم يعمله كان ـ إن شاء الله ـ كمن عمله، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين رجع من تبوك: «**إن بالمدينة لرجالاً، ما سرتم مسيرًا، ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم، حبسهم العذر**»[(٢)]، ثم اعلم يا محمد أني قد وليتك أعظم أجنادي- أهل مصر- ووليتك ما وليتك من أمر الناس، فأنت محقوق أن تخاف فيه على نفسك، وتحذر فيه على دينك، ولو كان ساعة من نهار، فإن استطعت ألاَّ تسخط ربك لرضا أحد من خلقه منه، فاشتد على الظالم، ولِنْ لأهل الخير وقربهم إليك واجعلهم بطانتك، وإخوانك والسلام[(٣)]، وبدأ محمد بن أبي بكر يمارس ولايته، وقد مضى الشهر الأول من ولايته بسلام، إلا أن الأمور بدأت تتغير بعد ذلك، فلم يعمل محمد بنصيحة قيس بن سعد، وبدأ يتحرش بأولئك الأقوام الذين لم يبايعوا عليًّا، فكتب إليهم يدعوهم إلى المبايعة فلم يجيبوه؛ فبعث رجالاً إلى بعض دورهم فهدموها، ونهب أموالهم، وسجن بعض ذراريهم فعملوا على محاربته[(٤)]، ثم إن معاوية أعد جيشًا بقيادة عمرو بن العاص فغزا به مصر، وتحالف مع من قاتلهم محمد ابن أبي بكر، وكانت قوتهم كبيرة تصل إلى عشرة آلاف مقاتل، وفيهم مسلمة

---

(١) «الكامل في التاريخ» (٢/ ٣٥٦).

(٢) «صحيح مسلم»، كتاب الإمارة (١٩١١).

(٣) «تاريخ الطبري» ، و«منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله» (ص ٢٨٢).

(٤) «الكامل في التاريخ» (٢/ ٣٥٧)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ١٣).

ابن مخلد ومعاوية بن خديج[1] ووقعت بينهم وبين محمد بن أبي بكر معارك قوية انتهت بمقتل محمد بن أبي بكر، واستيلاء أجناد معاوية على مصر وبذلك خرجت مصر من حكم علي بن أبي طالب رضي الله عنه سنة ثمان وثلاثين للهجرة[2]، وقد انفرد أبو مخنف الشيعي الرافضي برواية مفصلة ذكرها الطبري[3] شوهت كثيرًا من حقائق التاريخ والتي لم يخرجها غيره، ثم ذكرها بعض المؤرخين على النحو التالي: اليعقوبي: ذكر قتال عمرو بن العاص لمحمد بن أبي بكر، وأن معاوية بن خديج أخذه وقتله ثم وضعه في جيفة حمار فأحرقه[4]، وأما المسعودي[5]، وابن حبان[6]، فقد أشارا إلى قتل محمد بن أبي بكر ولم يذكرا التفاصيل[7]، ونقل ابن الأثير[8] رواية أبي مخنف في الطبري باختصار بعدما حذف منها كتاب معاوية إلى محمد بن أبي بكر، ونص المكاتبات بين علي وابن أبي بكر، وحذف رد ابن أبي بكر على معاوية وعمرو بن العاص من رواية أبي مخنف في الطبري.

وقد ذكر النويري نحوًا مما ذكره ابن الأثير[9]، وذكر ابن كثير قريبًا مما ذكره ابن الأثير والنويري، وأما ابن خلدون فأشار إلى معنى روايات أبي مخنف[10]، واختصر ابن تغري بردي روايات أبي مخنف[11]، وكل هذه الروايات جاءت من طريق أبي مخنف وساهمت في تشويه التاريخ الإسلامي لتلك الحقبة وتناقلها الكُتَّاب المعاصرون دون تمحيص، وساهموا في نشرها واستقر كثير من تلك الأكاذيب في أذهان بعض المثقفين، فأصبحت جزءًا لا يتجزأ من ضمن سلسلة المفاهيم المغلوطة التي نشروها بين الناس.

هذا وإن قتل معاوية بن خديج لمحمد بن أبي بكر قد ثبت من طريق صحيح

---

(١) «تاريخ الطبري» (٦/ ١١).
(٢) «تاريخ خليفة بن خياط» (ص ١٩)، و«تاريخ الطبري» (٦/ ٥).
(٣) «تاريخ الطبري» (٦/ ٧ - ١٨).
(٤) «تاريخ اليعقوبي» (٢/ ١٩٤).
(٥) «مروج الذهب» (٢/ ٤٢٠).
(٦) «الثقات» (٢/ ٢٩٧).
(٧) «مرويات أبي مخنف» (ص ٢٤١).
(٨) «الكامل» (٢/ ٤٠٩ - ٤١٤).
(٩) «نهاية الأرب» (٢٠/ ١٠٧-١١٢).
(١٠) «تاريخ ابن خلدون» (٤/ ١١٢٦ - ١١٢٨).
(١١) «النجوم الزاهرة» (١/ ١٠٧ - ١١٢).

فيما أخرجه أبو عوانة عن عبد الرحمن بن شماسة قال: دخلت على عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقالت لي: ممن أنت؟ قلت: من أهل مصر، قالت: كيف وجدتم ابن خديج في غزاتكم هذه؟ فقلت: وجدناه خير أمير، ما مات لرجل منا عبد إلا أعطاه عبدًا، ولا بعيرًا إلا أعطاه بعيرًا، ولا فرس إلا أعطاه فرسًا، قالت: أما إنه لا يمنعني قتله أخي أن أحدث ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول: «**من ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به، ومن شق عليهم فشق عليه**»(١).

وقد اشتملت روايات أبي مخنف في تاريخ الطبري حول ولاية محمد بن أبي بكر لمصر ومقتله على جملة من الغرائب أبرزها ما يأتي:

١ـ ما ذكره من مبايعة أهل الشام لمعاوية بالخلافة بعد التحكيم فهذا غير صحيح، فقد نقل ابن عساكر بسند رجاله ثقات عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي- أعلم الناس بأمر الشام(٢)- أنه قال: كان علي بالعراق يدعى أمير المؤمنين وكان معاوية بالشام يدعى الأمير فلما مات علي دعي معاوية بالشام أمير المؤمنين(٣). فهذا النص يبين أن معاوية لم يبايع بالخلافة إلا بعد وفاة علي وإلى هذا ذهب الطبري، فقد قال في آخر حوادث سنة أربعين: وفي هذه السنة بويع لمعاوية بالخلافة بإيليا(٤).

وعلق على هذا ابن كثير بقوله: يعني لما مات علي قام أهل الشام فبايعوا معاوية على إمرة المؤمنين؛ لأنه لم يبق له عندهم منازع(٥)، وكان أهل الشام يعلمون بأن معاوية ليس كفئًا لعلي بالخلافة، ولا يجوز أن يكون خليفة مع إمكان استخلاف علي رضي الله عنه؛ فإن فضل علي وسابقته، وعلمه، ودينه، وشجاعته، وسائر فضائله، كانت عندهم ظاهرة معروفة، كفضل إخوانه أبي بكر وعمر وعثمان، وغيرهم رضي الله عنهم(٦)، وإضافة إلى ذلك فإن النصوص تمنع من مبايعة خليفة مع وجود الأول،

(١) «مسند أبي عوانة» (٤/ ١١٣)، و«مسلم» (٣/ ١٤٥٨) مع اختلاف في بعض الألفاظ.
(٢) قال الحاكم: هو لأهل الشام كمالك لأهل المدينة «تهذيب التهذيب» (٤/ ٦٠).
(٣) «تاريخ دمشق» (١٦/ ٣٦٠).
(٤) «تاريخ الطبري» (٦/ ٧٦).
(٥) «البداية والنهاية» (٨/ ١٦).
(٦) «فتاوى ابن تيمية» (٣٥/ ٧٣).

فقد أخرج مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»[١]، والنصوص في هذا المعنى كثيرة ومن المحال أن يقدم الصحابة على مخالفة ذلك[٢].

٢ـ قوله: إن عمرو بن العاص صالح معاوية على أن له مصراً طعمة ما بقي، فهذه القصة أخرجها ابن عساكر بسند فيه مجهول[٣]، وذكرها الذهبي بصيغة التمريض وبالتالي تصبح ساقطة لا اعتبار لها.

٣ـ اتهام محمد بن أبي بكر بقتل عثمان رضي الله عنه بمشاقصه، فهذا باطل، وقد جاءت روايات ضعيفة في ذلك، كما أن متونها شاذة لمخالفتها للرواية الصحيحة التي تبين أن القاتل هو رجل مصري[٤]، وقد ذكر الدكتور يحيى اليحيى عدة أسباب ترجح براءة محمد ابن أبي بكر من دم عثمان منها:

أ- أن عائشة رضي الله عنها خرجت إلى البصرة للمطالبة بقتلة عثمان، ولو كان أخوها منهم ما حزنت عليه لما قتل.

ب ـ لعن علي رضي الله عنه لقتلة عثمان رضي الله عنه، وتبرؤه منهم، يقتضي عدم تقريبهم وتوليتهم، وقد ولى محمد بن أبي بكر مصر فلو كان منهم ما فعل ذلك.

جـ ـ ما أخرجه ابن عساكر بسنده عن محمد بن طلحة بن مصرف قال: سمعت كنانة مولى صفية بنت حيي، قال: شهدت مقتل عثمان رضي الله عنه وأنا ابن أربع عشرة سنة، قالت: هل أندى محمد بن أبي بكر شيء من دمه؟ فقال: معاذ الله، دخل عليه، فقال عثمان: يابن أخي لست بصاحبي، فخرج، ولم يند من دمه بشيء[٥]، ويشهد لهذا ما أخرجه خليفة بن خياط والطبري بإسناد رجاله ثقات عن الحسن البصري، وكان ممن حضر يوم الدار[٦]: أن ابن أبي بكر أخذ بلحيته، فقال عثمان: لقد أخذت مني مأخذاً أو قعدت مني مقعداً ما كان أبوك ليقعده فخرج وتركه[٧]، وبهذا يتبين لنا براءة محمد بن أبي بكر الصديق من دم

---

(١) «صحيح مسلم» (٣/ ١٤٨٠).
(٢) «مرويات أبي مخنف» (ص ٤١٢).
(٣) «تاريخ دمشق» (١٣/ ٢٦١).
(٤) «فتنة مقتل عثمان» (١/ ٢٠٩).
(٥) «مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري» (ص ٢٤٣).
(٦) المصدر نفسه (ص ٢٤٤)، و«تهذيب الكمال» (٦/ ٩٧).
(٧) المصدر نفسه (ص ٢٤٤).

عثمان رضي الله عنه، براءة الذئب من دم يوسف، كما تبين أن سبب تهمته هو دخوله قبل القتل[١]، وقد ذكر ابن كثير ـ رحمه الله ـ أنه لما كلمه عثمان رضي الله عنه استحى، ورجع، وتندم، وغطى وجهه وحاجز دونه فلم تفد محاجزته[٢].

د ـ ما ورد من تخويف معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه لمحمد بن أبي بكر بالمُثْلة، وما ذكر من جعل محمد بن أبي بكر في جيفة حمار وإحراقه، كل هذا لا يستقيم مع أحكام الشرع في القتلى، فقد ورد الزجر عن التمثيل بالكفار فكيف بالمسلمين؟، أخرج مسلم في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: كان إذا أمر أميرًا على جيش أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: «**اغزوا باسم الله، في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلّوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا**»[٣]، وقال الشافعي: وإذا أسر المسلمون المشركين فأرادوا قتلهم، قتلوهم بضرب الأعناق ولم يجاوزوا ذلك أي: أن يمثلوا بقطع يد ولا رجل ولا عضو ولا مفصل، ولا بقر بطن، ولا تحريق، ولا تغريق، ولاشيء يعدو ما وصفت؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المُثْلة[٤]، وهل يظن بالصحابة الكرام مخالفة هذا وهم كما وصفهم ابن مسعود: خير هذه الأمة، أبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم، ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، كانوا على الهدى المستقيم ورب الكعبة[٥]، وقال عنهم ابن أبي حاتم: ندب الله عز وجل إلى التمسك بهديهم، والجري على مناهجهم، والسلوك لسبيلهم والاقتداء بهم قال: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾[٦] (النساء: ١١٥).

وأصح رواية جاءت في إحراقه ما أخرجه الطبراني عن الحسن البصري قال:

---

(١) «فتنة مقتل عثمان» (١/ ٢٠٩). (٢) «البداية والنهاية» (٧/ ١٩٣). (٣) «صحيح مسلم» (٣/ ١٣٥٧).

(٤) «الأم» (٤/ ١٦٢)، وانظر: «آثار الحرب في الفقه الإسلامي» (ص ٤٧٩)، و(المُثْلَة): العقوبة والتنكيل. «الوجيز».

(٥) «حلية الأولياء» (١/ ٣٠٥). (٦) «مقدمة الجرح والتعديل» (١/ ٧).

أخذ هذا الفاسق محمد بن أبي بكر في شعب من شعاب مصر، فأدخل في جوف حمار فأحرق[١]، وهذا الرواية مرسلة إذ إن الحسن لم يشهد الحادثة ولم يسم لنا من نقل عنه، إضافة إلى أن النص لم يذكر من قام بإحراقه، وأيضًا ما كان الحسن أن يرميه بالفسق وهو يعلم ثناء علي رضي الله عنه عليه وتفضيله له[٢].

هـ ـ ما ذكره من قول علي رضي الله عنه: الفاجر ابن الفاجر يقصد معاوية، فهذا يستبعد صدوره من علي رضي الله عنه؛ إذ إن الخلاف مع معاوية دون أبيه، وأبو سفيان رضي الله عنه قد أسلم وحسن إسلامه، ومات قبل مقتل عثمان رضي الله عنه فلم يدرك الفتنة[٣]، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (فاطر: ١٨)، والصحابة أعلم الناس بكتاب الله وأشدهم وقوفًا عند حدوده، فكيف ينسب لهم مثل هذا الفعل؟[٤].

و ـ ما ذكره من قول معاوية بن خديج رضي الله عنه لعمرو بن العاص لما طلب ابن أبي بكر وتلاوته لهذه الآية: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ (القمر: ٤٣) فهذا يعني تكفير محمد بن أبي بكر وغيره، وهذا لم يعرف من الصحابة، وما كان بينهم لم يصل إلى درجة التكفير، وقد وضح سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه هذا بقوله: إن ما بيننا لم يبلغ ديننا[٥]. وأيضًا فإن معاوية بن خديج من جند عمرو بن العاص رضي الله عنه وما كان له أن يرفض طلب قائده[٦].

ز ـ ما أورده من قول محمد بن أبي بكر: إن عثمان عمل بالجور ونبذ حكم الكتاب لم أقف له على أصل يثبت صحة نسبته إلى ابن أبي بكر، أما إظهار براءة عثمان رضي الله عنه من ذلك فأشهر من أن تذكر[٧]، وقد توسعت فيها في كتابي: «تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان».

---

(١) «المعجم الكبير» (١/ ٨٤) ورجاله ثقات غير أمية بن خالد فهو صادق.

(٢) «الاستيعاب» (٣/ ٣٤٨).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٠٥)، و«مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري» (ص ٢٤٨).

(٤) «مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري» (ص ٢٤٧).

(٥) «فضائل الصحابة» (٢/ ٧٥١)، وسنده صحيح، و«مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري» (ص٢٤٨).

(٦، ٧) «مرويات أبي مخنف» (ص٢٤٨).

ثامنًا: ولاية البصرة:

أرسل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ عثمان بن حنيف الأنصاري أميرًا على البصرة بدلاً من عبد الله بن عامر واليها السابق الذي تركها واتجه إلى مكة المكرمة، وقد كان عثمان بن حنيف الأنصاري صاحب خبرة في المنطقة إذ سبق أن عينه عمر على مسح (السواد) وتقدير الخراج فيه[١]، وقد سار عثمان بن حنيف إلى البصرة ودخلها بسلام، إلا أن أهل البصرة انقسموا ثلاث فرق: فرقة بايعت ودخلت في الجماعة، وفرقة اعتزلت وقالت: ننتظر ما يصنع أهل المدينة فنصنعه، وفرقة رفضت الدخول في البيعة[٢] ولم يلبث عثمان ابن حنيف طويلاً في الولاية، فقد قدم إلى البصرة جيش طلحة والزبير وعائشة قبل معركة: الجمل، ومعهم من خرج للمطالبة بدم عثمان - وتطورت الأحداث وحدث قتال، وخرج عثمان بن حنيف إلى علي بن أبي طالب ﷺ فلقيه في طريقه إلى البصرة قبيل وقعة الجمل، وبذلك انتهت ولاية عثمان بن حنيف وقد وصل علي بن أبي طالب إلى البصرة ومكث فيها بعضًا من الوقت حدثت في أثنائه وقعة الجمل - التي سيأتي تفصيلها بإذن الله تعالي - وعندما أراد علي بن أبي طالب الخروج من البصرة ولَّى عبد الله ابن عباس ﷺ، وقد ولَّى علي مع عبد الله بن عباس زياد بن أبيه على الخراج، وأمر ابن عباس أن يستشيره ويأخذ برأيه نظرًا لما وجد علي عنده من خبرة في العمل، وفطانة في السياسة[٣]؛ وقدم علي بعض النصائح لابن عباس منها قوله: أوصيك بتقوى الله عز وجل، والعدل على من ولاك الله أمره، اتسع للناس بوجهك وعلمك وحكمك، وإياك والإحن[٤]؛ فإنها تميت القلب والحق، واعلم أن ما قربك من الله بعدك من النار، وما قربك من النار بعدك من الله، واذكر الله كثيرًا ولا تكن من الغافلين[٥].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣٢٠).

(٢) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد علي (ص ١٠٧)، و«تاريخ الطبري» (٥/ ٤٩٢).

(٣) «تاريخ الطبري» (٥/ ٥٨٠).

(٤) الإحن: الأحقاد.

(٥) «وقعة صفين» للمنقري ص (١٠٥)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ١٥).

وقد بدأ ابن عباس يمارس عمله في ولايتـه وهو صحابي عرف بعلمه الواسع في الفقه والتفسير، وقد أثبت مهارة إدارية بتوطيد الأمن في سجستان وهي تابعة لولاية البصرة، وفي إقليم فارس حيث عين زياد بن أبي سفـيان واليًا عليه، كما أنابه حين خرج من البصرة فتمكن من ضبط الأمن فيـها، ويعتبر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما من أهم رجالات أميـر المؤمنين علي، وكان يرافقه في الأحـداث الخطيرة، وينصح له، ويجادل عنه، وكان أمـير المؤمنين علي رضي الله عنه يعتمد عليـه ويستشيره وقد اسـتمرت ولاية ابن عـباس على البـصرة حـتى سنة ٣٩هـ، وكان يعـاونه صاحب الشـرطة وصاحب الخراج، وقد استمر ابن عباس في بعض الروايات على البصرة حتى مقتل علي رضي الله عنه. قال الطبري في حوادث سنة ٤٠هـ: وفيها خرج عبدالله بن عباس من البصرة، ولحق بمكة، في قول عامة أهل السـيرة، وقد أنكر ذلك بعضهم وزعم أنه لم يزل بالبصرة عاملاً عليها من قبل أمـير المؤمنين علي رضي الله عنه حتى قتل، وبعد مقتل علي صالح الحسن معاوية، ثم خرج إلى مكة[(١)].

إن شخـصية ابن عبـاس رضي الله عنهما كانت شخصـية قيـادية جمعت صفـات القائد الرباني، من العلم والفطنة والذكاء والصبر، والحـزم وغيرها من الصفات إلا أنه اشتـهر بالفقـه والعلم بسبب دعـاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له بالفقـه في الدين والعلم بالتأويل، وأخذه عـن كبار الصحابة، وقـوة اجتهاده، وقدرته عـلى الاستنباط، واهتمامه بالتفسير، ومنهجه المتميز في تعليم أصحابه، وحرصه على نشر العلم، ورحلاته وأسـفاره، وتأخر وفـاته، وقرب منزلته من عـمر رضي الله عنه[(٢)]، فقد حظي بعناية خاصة من الفـاروق عندما لمس فيه مخايل الـنجابة والذكاء والفطنة، فكان يدنيه من مجلسه، ويقربه إليه، ويـشاوره، ويأخذ برأيه فيما أشكل من الآيات، وابن عبـاس مازال شـابًّا غلامًـا، فكان لذلك الأثر البالغ في دفـعه وحـثه على التحصـيل والتقدم، بل والإكثار في باب الـتفسير وغيـره من أبواب العلم، فعن عامـر الشعـبي عن ابن عبـاس رضي الله عنهما قال: قـال لي أبي: يا بني إني أرى أمـير

(١) «تاريخ الطبري» (٦/ ٥٦).
(٢) «تفسير التابعين» (١/ ٣٧٤ - ٣٩٥).

المؤمنين يقربك، ويخلو بك، ويستشيرك، مع أناس من أصحاب رسول الله ﷺ، فاحفظ عني ثلاثًا: اتق الله لا تفشين له سرًّا، ولا يجربن عليك كذبة، ولا تغتابن عنده أحدًا[١].

وكان عمر يدخله مع أكابر الصحابة، وما ذلك إلا لأنه وجد فيه قوة الفهم وجودة الفكر، ودقة الاستنباط، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان عمر رضي الله عنه يسألني مع أصحاب محمد ﷺ، فكان يقول لي: لا تتكلم حتى يتكلموا، فإذا تكلمت، قال: غلبتموني أن تأتوا بما جاء به هذا الغلام الذي لم تجتمع شؤون رأسه[٢]، وكان ابن عباس لشدة أدبه، إذا جلس في مجلس فيه من هو أسن منه لا يتحدث إلا إذا أذن له، فكان عمر يلمس ذلك منه فيحثه، ويحرضه على الحديث تنشيطًا لنفسه، وتشجيعًا له في العلم[٣]، وكان لعمر رضي الله عنه مجلس يسمع فيه الشباب ويعلمهم، وكان ابن عباس من المقدمين عند عمر، فعن عبدالرحمن بن زيد قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا صلى السُّبحة وفرغ دخل مربدًا له[٤]، فأرسل إلى فتيان قد قرؤوا القرآن منهم ابن عباس، قال: فيأتون فيقرؤون القرآن ويتدارسونه، فإذا كانت القائلة انصرفنا، قال فمروا بهذه الآية: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾ (البقرة: ٢٠٦-٢٠٧)، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: لبعض من كان إلى جانبه: اقتتل الرجلان، فسمع عمر ما قال، فقال: وأي شيء قلت؟ قال: لا شيء يا أمير المؤمنين، قال: ماذا قلت؟ اقتتل الرجلان؟ قال: فلما رأى ذلك ابن عباس رضي الله عنهما قال: أرى ههنا من إذا أمر بتقوى الله أخذته العزة بالإثم، وأرى من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله، يقوم هذا فيأمر هذا بتقوى الله، فإذا لم يقبل، وأخذته العزة بالإثم قال هذا: وأنا أشتري نفسي، فاقْتَتِلْ،

(١) الحلية (١/٣١٨)، و"تفسير التابعين" (١/٣٧٦).
(٢) "المستدرك" (٣/٥٣٩) وصحح إسناده الحاكم ووافقه الذهبي.
(٣) "تفسير التابعين" (١/٣٧٧).
(٤) السبحة: الدعاء وصلاة التطوع، المربد: المكان يجعل فيه التمر.

فاقْتَتَلَ الرجلان، فقال عمر رضي الله عنه: لله تلادك يابن عباس[١]، وكان عمر رضي الله عنه يسأل ابن عباس عن الشيء من القرآن ثم يقول: غُصْ غواص[٢]، بل كان عمر إذا جاءته الأقضية المعضلة يقول لابن عباس: يابن عباس قد طرأت علينا أقضية عضل، وأنت لها، ولأمثالها، ثم يأخذ برأيه، وما كان يدعو لذلك أحدًا سواه إذا كانت العضل[٣].

وعن سعد بن أبي وقاص قال: ما رأيت أحدًا أحضر فهمًا، ولا ألب لبًّا، ولا أكثر علمًا، ولا أوسع حلمًا من ابن عباس، ولقد رأيت عمر بن الخطاب يدعوه للمعضلات، ثم يقول: عندك قد جاءتك معضلة، ثم لا يجاوز قوله، وإن حوله لأهل بدر من المهاجرين والأنصار[٤]، وكان عمر رضي الله عنه يصفه بقوله: ذاكم فتى الكهول، إن له لسانًا سؤولاً، وقلبًا عقولاً[٥]، يقول طلحة بن عبيد الله: ما كنت أرى عمر بن الخطاب يقدم على ابن عباس أحدًا[٦]، وكان ابن عباس رضي الله عنهما كثير الملازمة لعمر رضي الله عنه، حريصًا على سؤاله والأخذ عنه، ولذا كان رضي الله عنه من أكثر الصحابة نقلاً ورواية لتفسير عمر وعلمه رضي الله عنه، وقد أشار بعض أهل العلم إلى أن عامة علم ابن عباس أخذه عن عمر رضي الله عن الجميع[٧]، لقد كان اهتمام عمر به مساعدًا له على المضي قدمًا في طريق العلم عامة والتفسير خاصة[٨]، ولذلك تشرفت المدرسة المكية في عهد التابعين بحبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما[٩]، وكان ابن عباس في عهد عثمان من المقربين إلى الخليفة وقد كلفه بالحج بالناس في العام الذي قتل فيه[١٠]، هذا وقد عمل بعض المتأثرين بمدرسة الاستشراق بتشويه صورة حبر الأمة، ونسبوا إليه أباطيل وأكاذيب ألصقوها

---

(١) «تفسير الطبري» (٤/ ٢٤٥)، و«الدر المنثور» (١/ ٥٧٨).

(٢) «فضائل الصحابة» لأحمد (١/ ٩٨١) رقم (١٩٤٠).

(٣) «تفسير التابعين» (١/ ٣٧٩).

(٤) «طبقات ابن سعد» (٢/ ٣٦٩).

(٥) «تفسير التابعين» (١/ ٣٧٩)، و«فضائل الصحابة» لأحمد رقم (١٥٥٥).

(٦) «طبقات ابن سعد» (٢/ ٣٧٠).

(٧) «تفسير التابعين» (٢/ ٣٧٠).

(٨) «تفسير التابعين» (١/ ٥٠٦).

(٩) «فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» للصلابي ص (٢٢٠).

(١٠) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٢٥ ـ ٤٣١).

بسيرته، علمًا بأن مدرسة الاستشراق فيما يتعلق بالعهد الراشدي وتاريخ صدر الإسلام امتداد لمؤرخي الرفض والشيعة الغلاة الذين اختلقوا الروايات والأخبار ولطخوا بها سيرة الصحابة الكرام، فجاء مؤرخو الاستشراق، وأحيوا تلك الأخبار الكاذبة، والروايات الموضوعة، وصاغوها بأسلوب حديث، رافعين شعار الموضوعية والبحث العلمي، وكل هذا كذب وزور وقد تأثر به الكثير من الباحثين والأدباء والمؤرخين، ولذلك تجد في كتب التاريخ والأدب المعاصر- البعيدة عن منهج أهل السنة والموغلة في مناهج المستشرقين- تشويهًا عجيبًا للصحابة، فمثلاً زعمت تلك الكتب بأن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نهب أموال المسلمين بالبصرة، وغدر بابن عمه علي رضي الله عنه، وهرب بالأموال المسروقة إلى مكة، وتطلع للانضمام إلى معاوية[1] بعد أن كان مع علي، ذكر ذلك دون حياء صاحب كتاب: «الفتنة الكبرى علي وبنوه»، الدكتور طه حسين والعبارات التي وردت على لسان طه حسين في كتابه: «علي وبنوه»:

١ـ قال: وكان لابن عباس من العلم بأمور الدين والدنيا، ومن المكانة في بني هاشم خاصة وفي قريش عامة، وفي نفوس المسلمين جميعًا، ما كان خليقًا أن يعصمه من الانحراف عن ابن عمه[2].

٢ـ قال: رأى ابن عباس نجم ابن عمه في أفول، ونجم معاوية في صعود، فأقام في البصرة يفكر في نفسه أكثر مما يفكر في ابن عمه[3].

٣ـ قال: ولو نسي ابن عباس نفسه قليلاً، ولكنه لم ينس نفسه قليلاً ولا كثيراً، ولم يضعها بحيث كان يجب عليه أن يضعها منذ قليل، أن يكون واليًا لعلي على مصر من أمصار المسلمين[4].

وغير ذلك من الأكاذيب والترهات التي اعتمد قائلوها على الروايات الضعيفة والموضوعة. ويكفي شرفًا لابن عباس دعاء رسول الله ﷺ له: **«اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين»**[5].

---

(١) «أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ» (ص ١٩١).

(٢) «الفتنة الكبرى علي وبنوه» (ص ١٢١).

(٣) المصدر نفسه (ص ١٢٢).

(٤) المصدر نفسه (ص ١٢٦).

(٥) «الطبراني» رقم (١٠٥٨٧)، وإسناده صحيح.

هذا وقد بدأ ابن عباس يمارس عمله في ولايتـه على البصرة بعد خروج علي من البصـرة إلى الكوفة، ولحق ابن عـباس بعلي قبـيل صفين، واسـتخلف على البصرة زياد ابن أبيه[١]، وفي أثناء ولاية ابن عباس على البـصرة قام بالعديد من الأعمـال أهمها ترتـيب (سجسـتان) بعد أن قُـتل واليها علـى يد مجمـوعة من الخوارج، حيث بعث إليهـا ابن عباس بأمر من علي مجمـوعة من أجناد البصرة تمكنوا من قتل الخـوارج فيها، وترتيب أمـورها وتأمين أهلها سنة ٣٦هـ[٢]، كما كـان لابن عـبـاس ولأجناد البـصـرة دور مع علي بن أبي طالب في مـعـركـة صفين[٣]، كما قـام ابن عباس بتنظيم شؤون بعض الأقاليم التـابعة لولايته وعين عليها الأمراء من قـبله، حيث وجه إلى فارس زياد بن أبيه فـرتبها، واستطاع أن ينظم أمورها ويؤدب أهلها بعـد عصيانهم[٤]، وفي أيامه غدر أهل اصطخر فقام بغزوهم وتـأديبهم[٥]، وفي سنة ٣٨هـ أرسل مـعاوية بن أبي سـفيـان رجلاً إلى البصـرة ليدعو له بـين أهلها، إلا أن زياد بن أبيه نائب ابـن عباس على البـصرة تمكن من مقاومته ومدافعته حتى قتل الرجل في إحدى دور البصرة[٦].

وكان ابن عباس يرافق عليًّا في كثير من تحركاته في نواحي العراق، وإذا وقعت بعض الأشيـاء، وابن عباس في البـصرة كان علي يطلعـه عليها بـالكتب التي كان يرسلها إليها باستمرار ويأخذ رأيه في كثير من القضايا عن طريق المراسلة، كما كان ابن عباس أيضًا يكتب لعلي عن شؤون ولايته، كما بعثه علي سنة ٣٨هـ على الحج نيابة عنه، وقد اسـتمر ابن عباس في ولايـة البصرة إلى استشـهاد علي أخذًا برأي الطبري في ذلك وقد وجـد مجموعـة من المساعدين لوالي البصرة أيـام علي فيهم القاضي، وصـاحـب الشرطة، وصاحـب الخراج وغيـرهم، كما كـانت تتبع ولاية

---

(١) «تاريخ خليفة بن خياط» ص (٢٠١)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ١٦).

(٢) «الكامل في التاريخ» (٢/ ٣٥١، ٣٥٢).

(٣) «الولاية على البلدان» (١/ ١٦)، و«تاريخ الطبري» (٥/ ٥٩٥ إلى ٦١٥).

(٤) «تاريخ الطبري» (٦/ ٥٢، ٥٣).

(٥) «الأخبار الطوال» (ص ٢٠٥)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ١٦).

(٦) «الولاية على البلدان» (٢/ ١٦) نقلاً عن «تاريخ خليفة بن خياط».

البصـرة مجموعـة من الأقاليم في بلاد فارس، ومما سـبق يتبين لنا أن علي بن أبي طالب بعد مبايعـته بادر إلى عزل ابن عامر والي عثمـان على البصرة، وعين مكانه عثمان بن حنيف، ولكن حملة الجمل أحدثت ارتباكًا في البصرة، وبالتالي خرجت من سيطرة عـثمان بن حنيف، فاضطر إلى مـغادرتها حتى قـدم علي ﵁، وبعد موقعة الجمل عمل علي على تنظيم أمورها[١]. كما وقعت بعض الاضطرابات في البصرة من جراء حركة الخوارج، وكذلك أثناء مـحاولة معاوية السيطرة عليها، إلا أن البصرة مع ذلك اسـتمرت إحدى الولايات الإسـلامية التابعة لخـلافة علي طيلة عصره، ولم يتمكن خصومه من السيطرة عليها[٢]، وبرزت في البصرة قدرات ابن عبـاس القيادية، وقـد انتفع بصحـبته لعلي ﵄، وتأثر به غـاية التأثر وكان أمـير المؤمنين علي يتـعهـده بالنصح والإرشـاد والموعظة بين الحين والآخر حـتى إن ابن عباس قال: ما انتفعت بكلام أحد بعـد رسول الله ﷺ كانتفاعي بكتاب كتب به إليّ علي بن أبي طالب ﵁؛ فإنه كتب إليَّ: أما بعد، فإن المرء يسوءه فوت ما لم يكن ليـدركه، ويسـره درك مـا لم يكن ليـفوته، فليكـن سرورك بما نلت من أمـر آخرتك، وليكن أسفك على ما فاتك منها، وما نلت من دنياك فلا تكثرن به فرحًا، وما فاتك منها فلا تأسَ عليه حزنًا، وليكن همك فيما بعد الموت[٣].

وقد كان ابن عباس من أهل القيام، فـعن ابن مليكة قال: صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة، فكان يصـلي ركعـتين، فإذا ترك، قـام شطر الليل، ويرتل القرآن حرفًا حرفًا، ويكثر في ذلك من النشيج والنحيب[٤]، وقد كان ﵁ غزير الدمعة حتى أثر ذلك على خديه، فعن أبي رجاء، قال: رأيت ابن عباس وأسفل من عينيه مـثل الشراك البالي من البكاء[٥]، وكان ﵁ يصوم الاثنين والخميس، فعن سعيد بن أبي سعيد، قـال: كنت عند ابن عباس، فجاء رجل، فقال: يابن عبـاس، كيف صومك، قال: أصـوم الاثنين والخميس، قـال: ولِمَ؟ قال: لأن

(١، ٢) «الولاية على البلدان» (٢/ ١٧).

(٣) «صفة الصفوة» (١/ ٣٢٧).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٣٥٢).

(٥) المصدر نفسه (٣/ ٣٥٢).

الأعمال ترفع فيهما، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم[١]، وكان كريمًا جوادًا يحفظ لأهل السبق مكانتهم ومنزلتهم، فقد تعرض أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه لأزمة مالية وأثقلته الديون، فنزل على ابن عباس، ففرغ له بيته، وقال: لأصنعن بك كما صنعت برسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: كم دينك؟ قال: عشرون ألفًا، فأعطاه أربعين ألفًا، وعشرين مملوكًا، وكل ما في البيت[٢]، وكان من أبلغ الناس، وله قدرة عجيبة على تفهيم المستمعين، فعن الأعمش قال: حدثنا أبو وائل قال: خطبنا ابن عباس، وهو أمير على الموسم، فافتتح سورة النور، فجعل يقرأ ويفسر، فجعلت أقول: ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثل هذا، لو سمعته فارس، والروم، والترك لأسلمت[٣]، وكان رضي الله عنه من أجمل الناس وأفصح الناس، وأعلم الناس، فعن مسروق قال: كنت إذا رأيت ابن عباس، قلت: أجمل الناس، فإذا نطق، قلت أفصح الناس، فإذا تحدث، قلت: أعلم الناس[٤]، وقال القاسم بن محمد: ما رأيت في مجلس ابن عباس باطلاً قط[٥]، وقد أصيب رضي الله عنه ببصره قبل وفاته وقد قال في ذلك شعرًا:

إِنْ يَأخُذِ اللهُ من عَيْنَيَّ نُورَهُمَا
فَفِي لِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهُمَا نُورٌ
قَلْبِي ذَكِيٌّ وعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ
وَفِي فَمِي صَارِمٌ كَالسَّيفِ مَأْثُورٌ[٦]

وابن عباس رضي الله عنهما نموذج رائع للعالم الرباني، والقائد المحنك والأمير العادل، وهو أحد المؤثرين في الأحداث في عهده، وهو باختصار من أفضل النماذج لورثة الأنبياء.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٣٥٢)، وإسناده فيه ضعف إلا أن فعل ابن عباس ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: «**تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم**»، رواه الترمذي رقم (٧٤٧) حديث حسن.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٣٥٢) فيه انقطاع.

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٣٥١)، و«الحلية» (١/ ٣٢٤).

(٤، ٥) المصدر نفسه (٣/ ٣٥١).

(٦) المصدر نفسه (٣/ ٣٥٧).

تاسعًا: ولاية الكوفة:

استشهد عثمان ﷺ وواليه على الكوفة أبو موسى الأشعري، وبعد مبايعة علي بالخلافة أقر أمير المؤمنين علي أبا موسى الأشعري على ولايته، وقد أخذ له البيعة من أهلها وكتب له بموقف أهل الكوفة من بيعته من حيث تقبل الكثير للبيعة[(١)]، وعندما خرج أمير المؤمنين من المدينة للعراق كان يسأل عن أبي موسى خصوصًا، ففي أثناء الطريق إليها لقيه رجل من أهل الكوفة، فسأله علي ﷺ عن أبي موسى فقال: إن أردت الصلح، فأبو موسى صاحب ذلك، وإن أردت القتال، فأبو موسى ليس بصاحب ذلك، قال: والله ما أريد إلا الإصلاح حتى يرد علينا قال: قد أخبرتك الخبر[(٢)].

وقد تبين فيما بعد ميل أبي موسى إلى الصلح والمسالمة وعدم القتال بين المسلمين، فقد بعث علي محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر والحسن بن علي وغيرهم في وفود مختلفة لاستنفار أهل الكوفة قبل موقعة الجمل - سيأتي الحديث عنها بالتفصيل لاحقًا إن شاء الله تعالي - فسأل أهل الكوفة أبا موسى عن الموقف، واستشاروه في الخروج: فقال: أما سبيل الآخرة فإن تقيموا، وأما سبيل الدنيا فإن تخرجوا وأنتم أعلم[(٣)]، وقد اقتنع العديد من أهل الكوفة بعد ذلك بالخروج مع الحسن ﷺ بعد محاورات متعددة وطويلة بينهم وبين الحسن، وقيل إنه خرج معه قرابة تسعة آلاف رجل[(٤)]، وتميل العديد من الروايات إلى أن ولاية أبي موسى على الكوفة قد انتهت في هذه الفترة قبيل موقعة الجمل، حيث تذكر بعض الروايات أن الأشتر -وكان أحد قواد علي ﷺ- قد طرد أبا موسى وغلمانه من قصر الكوفة وتغلب عليه[(٥)].

كما ذكرت بعض الروايات أن عليًّا ﷺ كتب إلى أبي موسى بعزله، وعين

(١) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٦٧).
(٢) «تاريخ الطبري» (٥/ ٥١١).
(٣) «تاريخ الطبري» (٥/ ٥٠٨).
(٤) «تاريخ الطبري» (٥/ ٥١٧).
(٥) «تاريخ الطبري» (٥/ ٥١٩).

مكانه «قرضة ابن كعب الأنصاري» واليا على الكوفة[١]، ثم إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قدم الكوفة بعد موقعة الجمل حيث أصبحت الكوفة قاعدة الخلافة، وبالتالي كان علي رضي الله عنه هو المسؤول مباشرة عن أحوال الكوفة وما يتبعها من ولايات، وأصبح لها مكانة خاصة بقية عصره، حيث كانت عاصمة الخلافة ومنها يدير أمير المؤمنين علي رضي الله عنه مختلف أنحاء الدولة، وإليها تقدم الوفود، ومنها تخرج الأجناد، كما كان ذلك سببًا في جذب السكان إليها، ولاشك أن هذا كان له دور كبير في تنشيط الحركة التجارية والعمرانية في الكوفة طيلة خلافة علي، وقد كان رضي الله عنه كثير الاهتمام بالكوفة ويتفقد أهلها بنفسه كما يحرص على تعيين من ينوب عنه في ولايتها في حال غيابه، فحينما أراد علي رضي الله عنه الخروج إلى صفين ولَّى على الكوفة «أبا مسعود البدري»[٢] وحينما أراد التوجه لقتال الخوارج في «النهروان»[٣]، ولَّى على الكوفة «هانـي بن هوذة النخعي»[٤]، فلم يزل بالكوفة حتى استشهد علي رضي الله عنه[٥].

ومما سبق نلاحظ أن الكوفة كانت تدار من قبل الولاة، حتى إذا اتخذها علي رضي الله عنه مقرًّا للخلافة أصبح هو المسؤول عن ولايتها، وأخذ ينيب عنه من يتولي شؤونها في غيابه، وأصبحت الكوفة ذات أهمية خاصة؛ نظرًا لإقامة أمير المؤمنين فيها[٦].

عاشرًا: ولايات الشرق:

١ـ فارس: تذكر المصادر أن علي بن أبي طالب ولّى على فارس سهل بن حنيف الأنصاري رضي الله عنه، وقد استمر واليًا على فارس فترة من الوقت، ثم إن أهل فارس عصوا وأخرجوا سهل بن حنيف سنة ٣٧هـ تقريبًا، فاتصل علي رضي الله عنه بابن

---

(١) «الاستبصار»، لابن قدامة (ص ١٢٤)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ١٩).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٤٩٣).

(٣) هي كورة واسعة بين بغداد وواسط بها العديد من القرى، وبها وقعة أمير المؤمنين علي مع الخوارج «معجم البلدان» (٥/ ٣٢٤).

(٤) «الولاية على البلدان» (٢/ ٢٠)، و«تاريخ خليفة» ص (١٨٧، ٢٠٢).

(٥، ٦) المصدر نفسه (٢/ ٢٠)

عباس رضي الله عنهما، وتباحث معه في شأن فارس، وكان ابن عباس على البصرة، فاتفق معه بعد استشارة مجموعة من الناس على أن يبعث ابن عباس مساعده زياد بن أبي سفيان على فارس[١]، وهنا يبدو الارتباط واضحًا بين ولاية البصرة وإقليم فارس، وإحساس ابن عباس بمسؤوليته عن ذلك الإقليم من خلال مباشرته لولاية البصرة؛ إذ اتفق ابن عباس مع علي على بعث أحد معاونيه إلى ذلك الإقليم لضبطه وترتيب أموره، وقد توجه زياد إلى فارس يصاحبه أربعة آلاف جندي، فدوخ تلك البلاد وقضى على الفتنة فيها وتمكن من ضبطها[٢]، وقد اشتهر زياد بمقدرة سياسية فذة مكنته من إعادة الاستقرار إلى تلك البلاد بأقل الخسائر[٣]، يقول الطبري: لما قدم زياد فارس بعث إلى رؤسائها فوعد من نصره ومناه، وخوف قومًا وتوعدهم وضرب بعضهم ببعض، ودل بعضهم على عورة بعض، وهربت طائفة وأقامت طائفة فقتل بعضهم بعضًا، وصفت له فارس فلم يلقَ فيها حميًا ولا حربًا، وفعل مثل ذلك بكرمان[٤]، ثم رجع إلى فارس فسار في كورها ومناهم فسكن الناس إلى ذلك فاستقامت له البلاد[٥]، وقد قام زياد بتنظيم أمور فارس، وبنى فيها بعض الحصون، وقام بترتيب شؤون الخراج فيها، كما ضبط العديد من البلدان التابعة لولايته حتى أمنت البلاد واستقامت[٦]، وقد استمر زياد واليًا على فارس بقية خلافة علي رضي الله عنه، وكان زياد أشهر ولاة علي على فارس نظرًا لسياسته وتمكنه من ضبطها[٧].

وقد وجدت بعض التقسيمات الإدارية داخل إقليم فارس، فقد ورد ذكر بعض الولاة المختصين ببلدان معينة داخل الإقليم، فقد ذكرت اصطخر وذكر أنه كان من ولاتها المنذر ابن الجارود[٨]، وجرت بينه وبين علي رضي الله عنه بعض المكاتبات[٩]، كما

---

(١) «تاريخ الطبري» (٦/ ٧١).
(٢) المصدر نفسه (٦/ ٥٣).
(٣) «ولاية البلدان (٢/ ٢١).
(٤) «تاريخ الطبري» (٦/ ٥٣).
(٥) المصدر نفسه (٦/ ٥٢).
(٦) «تاريخ الطبري» (٦/ ٥٣).
(٧) «الولاية على البلدان» (٢/ ٢١).
(٨) «الطبقات الكبرى» (٥/ ٥٦١) (٧/ ٨٧).
(٩) «تاريخ اليعقوبي» (٢/ ٢٠٣)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ٢٢).

أن زياد بن أبي سفيان سكنها وتحصن بها بعد مقتل علي رضي الله عنه[١]، كما ذكرت من بلدان فارس أصبهان التي تعد من أكبر كورها[٢]، وقد ذكر من ولاتها لعلي محمد ابن سليم[٣]، كما كان من أشهر ولاة أصبهان لعلي «عمر بن سلمة»، وقد قدم بأموال وطعام من أصبهان إلى أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب[٤]، وقد ضربت الدراهم زمن علي في هذه المناطق الفارسية سنة ٣٩هـ ولايزال بعض منها محفوظًا في المتحف العراقي وتحمل عبارات عربية، إضافة إلى تاريخ ضربها[٥].

٢ـ خراسان: تعتبر خراسان ولاية واسعة، وقد ارتبطت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بولاية البصرة في عهد الخلفاء الراشدين، وفي خلافة علي رضي الله عنه ورد ذكر العديد من الحوادث التي وقعت في هذه الولاية خلال تلك الفترة، كما ورد بعض ولاتها، وبعض الأمراء على كورها وبلدانها، فقد ورد أن أول ولاة علي على خراسان عبد الرحمن ابن أبزى[٦]، كما كان من ولاة علي على خراسان جعدة بن هبيرة بن أبي وهب[٧]، وقد بعثه علي رضي الله عنه إلى خراسان، بعد عودته من صفين سنة ٣٧هـ، وكان أهل خرسان قد ارتدوا فحاول تأديبهم وتنظيم البلاد مرة أخرى[٨]، إلا أنه على ما يبدو لم ينجح، فبعث علي أحد قواده إلى خراسان، حتى تمكن من مصالحة أهلها، وضبط أمورها مرة أخرى[٩]، كما تعد سجستان أحد الأقاليم المجاورة لخراسان، وكلا الإقليمين مرتبطان إلى حد ما بوالي البصرة، وفي الغالب فإن هناك ارتباطًا إداريًّا بين الإقليمين، وقد ورد ذكر بعض ولاة سجستان في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومن هؤلاء عبد الرحمن ابن جزء الطائي[١٠]، وقد بعثه علي رضي الله عنه إلى سجستان بعد موقعة الجمل، فقام

---

(١) «الأخبار الطوال» (ص ٢١٩)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ٢٢).
(٢) «معجم البلدان» (١/ ٢٠٧).
(٣) الأخبار الطوال ص (١٥٣)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ٢٢).
(٤) «الكامل في التاريخ» (٢/ ٤٤٢).
(٥) «الدراهم الإسلامية للخلفاء الراشدين» ص (٥) لوداد القزاز.
(٦) «فتوح البلدان» (ص ٣٩٩).
(٧) تهذيب الكمال (١/ ١٩١)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ٢٣).
(٨) فتوح البلدان ص (٣٩٩)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ٢٣).
(٩) «تاريخ خليفة بن خياط» ص (١٩٩)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ٢٣).
(١٠) «الولاية على البلدان» (٢/ ٢٣).

ثوار من صعاليك العرب بقتله، وعاثوا فسادًا في البلد، فكتب علي إلى ابن عباس في البصرة أن يوجه أميرًا آخر إلى سجستان فوجه ربعي بن كأس العنبري، فاستطاع القضاء على ثورة الصعاليك، وقتل زعيمهم وضبط أمور البلاد، واستقر بها إلى أن استشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه[١]، وكانت همدان: أحد الثغور الشرقية، وقد امتازت أثناء ولاية عثمان بوجود وال مستقل فيها، وتوفي عثمان وعليها جرير بن عبد الله البجلي، وبعد مبايعة علي بالخلافة ووصوله إلى العراق بعث إلى جرير بن عبد الله في همدان يأمره بأخذ البيعة له بالخلافة على من قبله من الناس والقدوم إليه[٢]، وبعث بالرسالة مع رجل يعتمد عليه وقال: إني بعثت إليك بفلان، فاسأله عما بدا لك، واقرأ كتابي هذا على المسلمين[٣]، وقد قدم جرير إلى علي في الكوفة فبعثه إلى معاوية في الشام، ثم عاد مرة أخرى وتعرض للإهانة من قبل بعض أجناد علي، ومنهم الأشتر وغيره فلحق جرير بمعاوية في الشام، وترك ولايته وكان ذلك قبيل موقعة صفين[٤].

٣ـ أذربيجان: كان الأشعث بن قيس عاملاً على أذربيجان حينما توفي عثمان ابن عفان، فلما بويع علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالخلافة كتب إلى الأشعث بن قيس أن يبايع له، وأن يأخذ له البيعة على من قبله[٥]، ويبدو أن عليًّا رضي الله عنه استقدم الأشعث بن قيس فلحق بعلي في الكوفة، ثم شهد معه المشاهد حيث اشترك معه في صفين[٦]، وفي قتال الخوارج، ويبدو أن عليًّا رضي الله عنه ولّى على أذربيجان خلال هذه الفترة سعيد بن سارية الخزاعي، ثم أعاد الأشعث بن قيس مرة أخرى على أذربيجان، ويظهر أن عليًّا ضم إليه ولاية أرمينية، كما صرح بذلك البلاذري[٧]، وقد كانت للأشعث بن قيس بعض الأعمال الهامة أثناء ولاية

---

(١) «فتوح البلدان» ص (٣٨٧)، و«الأخبار الطوال» ص (١٥٣)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ١٥٣).

(٢) «تاريخ الطبري» (٥/ ٥٩٩).

(٣) «الفتوح» لابن أعثم الكوفي (٢/ ٣٦٣)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ١٦٧).

(٤) «تاريخ الطبري» (٥/ ٦٠٠، ٦٠١).

(٥) «تاريخ الطبري» (٥/ ٥٩٩).

(٦) «تاريخ خليفة بن خياط» (ص ١٩٣)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ٢٤).

(٧) «فتوح البلدان» (ص ٢٠٧)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ٢٤).

أذربيجان لعلي ومن ذلك إنزاله مجموعة من العرب من أهل العطاء أردبيل[١]، وتمصيرها وبناء مسجدها بعد أن انتشر الإسلام بين أهلها[٢]، وقد وردت بعض الأسماء لولاة علي في بعض بلدان المشرق الأخرى، من ذلك أسماء بعض الولاة في الأهواز، ومنهم الخريت بن راشد، وقد كان واليًا على بعض بلاد الأهواز قبل صفين، فلما رجع علي من صفين أخذ الخريت يجمع الجنود، ويدعو إلى خلع علي، واستولى على بعض الأماكن فبلغ ذلك عليًّا فوجه إليه جيشًا تمكن من القضاء على حركته وقتله[٣]، وسيأتي الحديث عنها بالتفصيل بإذن الله تعالى.

ومن الأمراء لعلي في الأهواز مفضلة بن هبيرة الشيباني[٤]، وقد اشترى أسرى من بعض أجناد علي فأعتقهم، ولم يتمكن من تسديد كامل ثمنهم، ثم فر إلى معاوية في الشام[٥]، وقد أورد خليفة بن خياط واليًا لعلي على بلاد السند، وذكر أنه جمع جمعا أيام علي وتوجه إلى السند، بعد أن اجتمع إليه الناس، ولكنه فشل في إحدى المعارك ومن معه، ولم يبق من جيشه إلا عصابة يسيرة[٦] كما ذكر من ولاة علي (يزيد بن حجية التميمي) وقد استعمله علي على «الري بعد صفين ، ثم اتهمه علي رضي الله عنه بأنه أخذ من الخراج فحبسه في الكوفة، ثم فر إلى معاوية في الشام[٧]، وأما المدائن فقد كان عليها سعد بن مسعود الثقفي وقد كان له دور رئيسي في مجابهة الخوارج، ودارت بينه وبين علي وقواده العديد من المراسلات في شأنهم، حيث حاولوا الوصول إلى المدائن[٨]، وقد اشتهر عن سعد توليته ابن أخيه ـ المختار بن أبي عبيد الثقفي[٩]ـ على

(١) أردبيل : من أشهر مدن أذربيجان وهي قاعدتها قبل الإسلام واشتهرت بذلك في صدر الإسلام وتقع حالياً على بعد ٦٤ شرق تبريز، «معجم البلدان» (١/ ١٤٥).

(٢) «فتوح البلدان» ص (٣٢٤)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ٢٥).

(٣) «تاريخ اليعقوبي» (٢/ ٩٥)، و«تاريخ الطبري» (٦/ ٢٧ـ ٤٧).

(٤) «الأنساب» للسمعاني (٧/ ٤٣٨)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ٢٥).

(٥) «البداية والنهاية» (٧/ ٣١٠)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ٢٥).

(٦) «تاريخ خليفة» (ص ٢٠٠)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ٢٥) .

(٧) «نهاية الأرب» (٢٠/ ١٩٧)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ٢٦).

(٨) «تاريخ الطبري» (٥/ ٦٩٠). (٩) المصدر نفسه (٥/ ٦٩٠)

المدائن في حالة غيابه، وقد غضب علي على المختار الثقفي نتيجة تصرفه تصرفًا غير شرعي في أموال الخراج[١]، ويعتبر سعد من قواد علي المشهورين، ولعل قرب ولايته من الكوفة كان السبب الرئيسي في اشتراكه مع علي في الكثير من المواقع، وقد أورد المؤرخ أبوحنيفة الدينوري بعض الأسماء لولاة علي في مناطق مختلفة[٢]، وهكذا رأينا فيما سبق أن علي ابن أبي طالب ﷺ بذل جهدًا كبيرًا في تنظيم الولايات، وأنه عانى من الصعوبات والمشكلات الكثيرة في هذه الولاية، فقد خرجت العديد من الولايات من يده كاليمن والحجاز ومصر، كما أنه لم يفرض سيطرته ابتداء على بعض الولايات كالشام وفلسطين وما جاورها، وأما البلاد والولايات التي استمرت تحت حكمه كالعراق وفارس، فقد عانى فيها من المشكلات الكثيرة، وعلى رأسها مشكلة الخوارج الذين ظهروا في تلك المناطق خصوصًا في السنوات الأخيرة من حكم علي ﷺ، وبالتالي فإن الاستقرار في تلك المناطق لم يكن تامًّا، كما أن أهل البلاد الأصليين في بلاد المشرق كفارس وخراسان وسجستان قاموا بالعديد من الثورات التي قتل فيها بعض ولاة علي ﷺ، ومن أبرز المشكلات التي واجهها علي ما وقع له من خلاف مع بعض الولاة، وبالتالي تخلى عن ولاياتهم؛ كجرير بن عبد الله في همدان، ومصقلة بن هبيرة في الأهواز وغيرهم وهكذا يتضح أن عليًّا ﷺ قضى مدة خلافته في جهاد داخلي مع جبهات داخلية منعته في كثير من الأحيان من تنظيم شؤون تلك البلاد كما أراد، وواجهته العديد من العقبات التي بددت طاقته، واستنفدت جهوده ﷺ، وقد شغلت هذه المشكلات اهتمام المؤرخين فركزوا عليها الأضواء وكان هذا على حساب رصدهم للشؤون التنظيمية والإدارية لهذه الولايات[٣].

(١) «التمهيد والبيان» (ص ١٨٦)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ٢٦).

(٢) «الأخبار الطوال» (ص ٢٦)، نقلاً عن «الولاية على البلدان» (٢/ ٢٦).

(٣) «الولاية على البلدان» (٢/ ٢٧)، جل هذا المبحث من كتاب «الولاية على البلدان» للدكتور عبد العزيز العمري وهو من أفضل ما اطلعت عليه في هذا الباب، فجزاه الله خيرًا.

المبحث الثاني

تعيين الولاة في عهد علي رضي الله عنه

بويع علي رضي الله عنه بالخلافة بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ،وقد وقع الاضطراب في مختلف أنحاء الدولة نتيجة مقتل عثمان، وبالتالي فإن عليًّا رضي الله عنه بويع في ظروف صعبة بدأت الدولة الإسلامية خلالها تفقد الشيء الكثير من استقرارها ونشاطها، وقد ظهر هذا الاضطراب واضحًا في المدينة نفسها، وقد بدأت الأمور تضطرب في مختلف أنحاء الدولة وأحس المستشارون والنصحاء بخطورة ما يقع، فتقدم بعضهم بنصائح إلى علي فيما يمكن أن يفعله من البداية وخصوصًا فيما يتعلق بالولاة على البلدان[1] .

أولاً: موقف علي من ولاة عثمان وتعيينه لأقاربه:

١ـ موقف علي من ولاة عثمان:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يدرك إدراكًا كاملاً، أن من الأسباب الرئيسية للفتنة، عدم رضا مجموعة من الناس عن ولاة عثمان رضي الله عنه، وذلك بسبب ما أشاعه رؤوس الفتنة ضد عثمان وولاته وليس لعجزهم أو ظلمهم، ولكن الكثير من الكتاب المعاصرين في حديثهم عن سياسة علي في تولية الولاة، يستفتحون بقولهم: إن عليًّا لم يكن ليرضى أن يبقى عمال عثمان على ولاياتهم ساعة واحدة بعد توليه الخلافة، يمنعه من ذلك دينه وأمانته[2]، وما أفظع هذا الاتهام الموجه ضد عثمان رضي الله عنه وضد عماله وقد نسفته في كتابي: «تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان»، وتحدثت عن حقيقة ولاة عثمان في مبحث كامل[3]، فمن أراد المزيد فليرجع إليه.

لقد اعتمد من طعن في ولاة عثمان على روايات واهية ومشهورة وهي:

---

(١) ، و«الولاية على البلدان» (٢/ ٢٧ ، ٢٨).

(٢) «الخلفاء الراشدون» للنجار ص (٣٧٤).

(٣) «عثمان بن عفان» للصَّلاَّبي (ص ٢٦٤ - ٢٨٩).

أ- الرواية الأولى: من طريق الواقدي: إن ابن عباس قال: دعاني عثمان فاستعملني على الحج، ثم قدمت المدينة وقد بويع لعلي رضي الله عنه، فأتيته في داره، فوجدت المغيرة بن شعبة مستخليًا به فحبسني حتى خرج من عنده، فقلت: ماذا قال هذا؟ قال: قال لي قبل مرته هذه: أرسل إلى عبد الله بن عامر، وإلى معاوية، وإلى عمال عثمان بعهودهم تقرهم على أعمالهم، يبايعون لك الناس؛ فإنهم يهدئون البلاد ويسكنون الناس، فأبيت ذلك عليه يومئذ وقلت: والله لو كان ساعة من نهار لاجتهدت فيها رأيي، ولا وليت هؤلاء ولا مثلهم يولى، قال: ثم انصرف من عندي وأنا أعرف فيه أنه يرى أنه مخطئ، ثم عاد إليّ الآن فقال: إني أشرت عليك أول مرة بالذي أشرت عليك وخالفتني فيه، ثم رأيت بعد ذلك رأيًا، وأنا أرى أن تصنع الذي رأيت فتنزعهم وتستعين بمن تثق به، فقد كفى الله، وهم أهون شوكة مما كان، قال ابن عباس: فقلت لعلي: أما المرة الأولى فقد نصحك، وأما المرة الأخيرة فقد غشك، قال لي علي: ولو نصحني؟ قال ابن عباس: لأنك تعلم أن معاوية وأصحابه أهل دنيا، فمتى تثبتهم لا يبالون بمن ولي الأمر، ومتى تعزلهم يقولون: أخذ هذا الأمير بغير شورى، وهو قتل صاحبنا ويؤلبون عليك، فينتقض عليك أهل الشام وأهل العراق، مع أني لا آمن طلحة والزبير أن يكرا عليك فقال علي: أما ما ذكرت من إقرارهم فوالله ما أشك أن ذلك خير في عاجل الدنيا لإصلاحهم، وأما الذي يلزمني من الحق والمعرفة بعمال عثمان فوالله لا أولي منهم أحدًا أبدًا، فإن أقبلوا فذلك خير لهم، وإن أدبروا بذلت لهم السيف، قال ابن عباس: اطعني وادخل دارك والحق بمالك بينبع، وأغلق بابك عليك؛ فإن العرب تجول جولة وتضطرب ولا تجد غيرك، فإنك والله لئن نهضت مع هؤلاء اليوم ليحملنك الناس دم عثمان غدًا، فأبى علي، فقال لابن عباس: سر إلى الشام فقد وليتكها، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما هذا برأي، معاوية من بني أمية، وهو ابن عم عثمان رضي الله عنه وعامله على الشام، ولست آمن أن يضرب عنقي لعثمان، أو أدنى ما هو صانع أن يحبسني فيتحكم

علي، فقال له علي رضي الله عنه: ولم؟ قال: لقرابة ما بيني وبينك، وإن كان ما حمل عليك حمل عليٍّ، ولكن اكتب إلى معاوية فمنِّه وَعِدْهُ فأبى عليٌّ رضي الله عنه، وقال: والله لا كان هذا أبدًا[١].

ب ـ الرواية الثانية: وهي مثل الرواية الأولى في المعنى، وفيها زيادة واختلاف يثير الشك في صحتها، وهو أن ابن عباس رضي الله عنهما قدم مكة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه فلقي في طريقه الزبير وطلحة ومعهما فئة من قريش بالنواصف[٢]، يريد مكة وهذا يخالف الحقيقة؛ إذ إن عليًّا بويع بعد أن وصل ابن عباس من الحج، وأن الزبير وطلحة قد بايعا عليًّا، فإذا خرجا في هذا الوقت يكونا قد خرجا قبل البيعة، وهذا خطأ واضح جلي[٣].

جـ ـ الرواية الثالثة: رواية أبي مخنف، رواها بدون إسناد، بأن المغيرة بن شعبة أشار على علي أن يثبت معاوية على الشام، وأن يولي طلحة والزبير، البصرة والكوفة، فاعترض ابن عباس رضي الله عنهما على رأيه؛ لأن البصرة والكوفة عين المال ومصدره، فإذا ولاهما ضيقا على علي، وأن ولاية معاوية الشام لا تنفعه وقد تضره، فاستمع علي رضي الله عنه إلى رأي ابن عباس، ولم يقبل مشورة المغيرة بن شعبة[٤].

د ـ الرواية الرابعة: وردت رواية الواقدي الأولى بشيء من الاختصار عن ابن عبدالبر[٥]، ولكن بدل ابن عباس، الحسن[٦].

إن هذه الروايات يأتي خطرها من حيث إنها الأساس الذي بنيت عليه أهم الدراسات المعاصرة، وخرجت منها بنتائج خطيرة تطعن في أكابر الصحابة أهل الشورى، في دينهم وفي عدلهم وأمانتهم، وتصورهم أفرادًا ماديين همهم الثروة

---

(١) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٦١ - ٤٦٣).
(٢) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٦٣).
(٣) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد علي (ص ١٠٣).
(٤) «أنساب الأشراف» (٢/ ٣٦).
(٥) «الاستيعاب» (٢/ ٣٧١) بحاشية الإصابة.
(٦) «خلافة علي بن أبي طالب» لعبد الحميد (ص١٠٣)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي، عهد الخلافة الراشدة (ص٥٣٧).

والسلطان ولو على حساب دماء المسلمين، وما الفتنة التي أدت إلى مقتل عثمان وما حرب الجمل إلا بسبب هذه الأطماع الشخصية[١]، ويظهر الاضطراب والنكارة في متن هذه الروايات في جل فقراتها، فقوله: إن ابن عباس قدم المدينة بعد بيعة علي يخالف الروايات الموثوقة في أنه جاء قبل أن يبايع بالخلافة وقد تقدم وقوله: أشار المغيرة على علي بأن يرسل إلى عبد الله ابن عامر، وإلى معاوية، وإلى عمال عثمان بعهودهم يقرهم على أعمالهم؛ يخالف روايات أوثق منها تفيد أن معظم هؤلاء الولاة قد تركوا ولاياتهم واتخذوا سبيلهم إلى مكة، فكيف يرسل إليهم بإثباتهم وهم قد تركوا البلاد؟ قوله: إن عليًّا قال في هؤلاء الولاة: والله لو كانت ساعة من نهار لأجهدت فيها رأيي ولا وليت هؤلاء، ولا مثلهم يولّى، يخالفه أن هؤلاء الولاة مؤهلون للإمارة والقيادة، فقد توسعت على أيديهم الدولة الإسلامية، فعبد الله بن عامر وصلت فتوح البصرة في ولايته إلى كابل - عاصمة أفغانستان - أما معاوية فلولا أنه لم يكن مؤهلاً ما ولي عشرين عامًا. . وقد بينت أن عدم رضا مجموعة من الناس عن عمال عثمان هو بسبب ما أشاعه أهل الفتنة عنهم، وليس لعجزهم، والواقع التاريخي يثبت ذلك، وتصور الرواية الواهية المغيرة بن شعبة بالمداهنة والغش، وعدم المبالاة بمصلحة المسلمين، وفي هذا الوقت العصيب بالذات، وهذا لا يوافق أخلاقه وسيرته قبل الفتنة وبعدها كما تصور - عن حسن نية - عليًّا ﵁ بالجاهل في هذه الأمور السياسية، وأن المغيرة وابن عباس هما العارفان بهذه الأمور[٢]، وأما رواية أبي مخنف، فإن ابن عباس يشير على علي بعزل معاوية ﵄، وأن ولايته لا تنفعه «سياسيًّا» بخلاف روايات الواقدي - وفيها أن الصحابيين الجليلين طلحة والزبير إذا ولاهما على مصري العراق، فسيستأثران بموارده المالية، ولن يرها[٣] الخليفة. إن الروايات السابقة واهية من حيث السند، وهذا كافٍ في إسقاطها ثم

---

(١) «علي وبنوه» لطه حسين، و«إسلاميات» (٨٥٠، ٨٥١ ، ٨٥٤)، و«عبقرية علي» للعقاد ص (٥٣، ٥٥، ٧٥).
(٢) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد علي (ص ١٠٥).
(٣) المصدر نفسه (ص ١٠٦).

هي مضطربة ومنكرة من حيث المتن، وهي روايات افتراضية إذا حدث كذا فسيحدث كذا، فهي لا تنقل الخبر التاريخي على حقيقته، والأهواء، وتدخل الراوي بشخصه وميوله الرافضية أثر في ذلك(١).

وما قام به أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من تعيين ولاة جدد أدعى إلى بيعة الناس في تلك البلاد البعيدة، وليجدد بهم عهد الفتوحات، ويفسح المجال أمام العبقريات الجديدة أن تنطلق وتخدم دين الله تعالى(٢).

إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يمتلك موهبة قيادية ومعرفة بالنفوس والأوضاع القائمة، وأنه أقال الولاة ليختار سواهم حسبما يراه ملائمًا لتحقيق الانسجام الإداري والسياسي بين الخليفة وأعوانه، وقد عزل عمر بعض ولاة أبي بكر، كما عزل عثمان بعض ولاة عمر، وبالتالي من حق علي أن يعزل من يرى أن المصلحة متحققة بعزله وتعيين غيره(٣)، وقد جانب الصواب بعض المؤلفين المعاصرين في قضية عزل علي لولاة عثمان رضي الله عنه فاشتطت أقلامهم في تفسير هذا الموقف، فمنهم من حمله على صلابة علي في الحق وضرورة التغيير، ومنهم من حمله على ضعف خبرة علي السياسية، وأن الأولى سياسيًّا إبقاء الولاية وخاصة معاوية، حتى تستقر الأوضاع، وتؤخذ البيعة لعلي في الأمصار، وهذه التفسيرات مدارها على روايات واهية وأخبار ضعيفة، تدور حول إبداء المغيرة بن شعبة، رأيين متعارضين حول الموقف من الولاية(٤)، كما أن عليًّا رضي الله عنه إمام مجتهد، له أن يعزل جميع عمال عثمان، إذا رأى المصلحة في ذلك، وقد ولَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المعصوم خالد بن سعيد بن العاص على صنعاء، وعمرو بن العاص على عمان(٥)، فعزلهما الخليفة من بعده الصديق رضي الله عنه، عزل خالدًا وولي مكانه المهاجر ابن أبي أمية ـ له صحبة ـ، وعزل عمرًا

(١) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد علي (ص ١٠٦).
(٢) «علي بن أبي طالب»، لعبد الستار الشيخ (ص ١٧٦).
(٣) «عصر الخلافة الراشدة» (ص ١٢٩).
(٤) «عصر الخلافة الراشدة» (ص ١٥٩).
(٥) «تاريخ خليفة بن خياط» (ص ٩٧).

وولى مكانه حذيفة بن محصن ـ له صحبة-[١]، وقد ولى أبو بكر رضي الله عنه القائدين العظيمين خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة رضي الله عنهما، فعزلهما عمر رضي الله عنه مع كفاءتهما[٢]، وولّى الفاروق رضي الله عنه على مصر عمرو بن العاص[٣]، وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة رضي الله عنه[٤]، فعزلهما ذو النورين، وولى على مصر ابن أبي سرح[٥]، وعلى الكوفة سعد بن أبي وقاص[٦]، فهل ينتقد عاقل الصديق والفاروق وذا النورين في عزلهم هؤلاء العمال الأكفاء، إن لكل وقت أحوالاً وظروفًا تطرأ، فيحمل اللاحق على ما لا يراه السابق من الاجتهاد، ويرى الشاهد ما لا يراه[٧] الغائب، وأما قول بعض الكتّاب المعاصرين بأن أمير المؤمنين علي عزل جميع عمال عثمان، فإن العزل لم يتحقق إلا في معاوية بن أبي سفيان في الشام[٨]، وخالد بن أبي العاص بن هشام في مكة[٩]، وأما البصرة فخرج منها عبد الله بن عامر ولم يولِّ عثمان عليها أحدًا[١٠]، وفي اليمن أخذ أميرها يعلى بن منية رضي الله عنه مال جباية اليمن، وقدم مكة بعد مقتل عثمان، وانضم إلى طلحة والزبير، وحضر معهما موقعة الجمل، ووفد ابن أبي سرح عامل مصر، واستناب ابن عمه عليها، فلما رجع إليها وجد ابن أبي حذيفة تغلب عليها فطرده عنها، فذهب إلى الرملة بفلسطين ومكث بها حتى مات[١١]، وهكذا فإن أميرَيْ اليمن والبصرة عزلا أنفسهما، وأمير مصر عزله المتغلب عليها ابن أبي حذيفة، وأمير الكوفة أقره علي رضي الله عنه في منصبه، فلم يرد العزل حقيقة إلا في حق معاوية والي الشام، وخالد بن أبي العاص والي مكة، كما أن أمير المؤمنين عليًّا رضي الله عنه ولى أخيار الناس على المسلمين، فمن الولاة الذين ولاّهم

---

(١) «تاريخ خليفة بن خياط» (ص ١٢٣).
(٢) المصدر نفسه (ص ١٢٢).
(٣) المصدر نفسه (ص ١٥٥).
(٤) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٦٧).
(٥) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٣٣)، و«الولاية على البلدان» (١/ ١/ ١٧).
(٦) «تاريخ الطبري» (٥/ ٢٥١).
(٧) «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة» (٢/ ٩٩).
(٨) «المعجم الكبير» للطبراني (١٢/ ٢٦١)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/ ٨١) رجاله رجال الصحيح.
(٩) «تاريخ ابن خياط» ص (٢٠١)، و «الولاية على البلدان» (٢/ ٣).
(١٠) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٣٥)، و«الإصابة» ترجمة (٤٧١١).
(١١) «تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ١٠٠).

على الأقاليم سهل بن حنيف على الشام، وهو صحابي جليل شهد بدرًا وأحدًا، وثبت مع النبي ﷺ يوم أحد حين انكشف الناس، وبايعه على الموت، وجعل ينضح بالنبل عن رسول الله ﷺ وشهد أيضًا الخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ [(١)]، وولّى عثمان بن حنيف على البصرة، وهو صحابي من الأنصار، كان عاملاً لعمر على العراق[(٢)]، كما ولّى قيس بن سعد بن عبادة على مصر[(٣)]، وكان صاحب شرطة النبي ﷺ وكان جوادًا من ذوي الرأي والذكاء[(٤)]، وولى عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب على اليمن- له صحبة[(٥)]، وهو أصغر من أخيه بسنة، وكان كريمًا ممدوحًا نبيلاً[(٦)]، وأما قول بعض الكتاب إنه عزل العمال قبل أن تصل إليه بيعة أهل الأمصار، فإن تولية الإمام العمال على الأمصار غير مشروطة بوصول بيعة أهلها له عند جميع المسلمين، فمتى بايع أهل الحل والعقد أي خليفة لزمت بيعته جميع البلدان النائية عن مركز خلافته شرعًا وعقلاً، ولو كانت تولية الخليفة العمال على الأمصار متوقفة على وصول بيعة أهلها له ما تمت بيعة الصديق رضي الله عنه ؛ لأنه تصرف بإرسال بعث أسامة ومحاربة المرتدين ومانعي الزكاة قبل وصول بيعة أهل مكة والطائف، وكذلك الفاروق رضي الله عنه فإنه استهل خلافته بعزل خالد بن الوليد وتولية أبي عبيدة بن الجراح قائدًا عامًّا على جيوش المسلمين بالشام قبل وصول بيعة أهل اليمن وجيوش المسلمين بالشام والعراق إليه، وتصرف ذو النورين رضي الله عنه في أمور المسلمين أيضًا قبل بيعة الأمصار إليه[(٧)].

٢- تعيين أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بعض أقاربه على الولايات:

تحدث الكتاب المعاصرون عن قضية تولية الأقارب على الولايات في خلافتي

---

(١) «الطبقات» (٣/ ٤٧١).

(٢) «التاريخ الكبير» للبخاري (٣/٢/٢٠٩).

(٣) «النجوم الزاهرة» (٢/ ٩٤)، و«ولاة مصر» (ص ٤٤).

(٤) «الإصابة» (٣/ ٢٤٩)، و«تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ١٠١).

(٥) «تاريخ خليفة» ص (٢٠٠)، و«تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ١٠١).

(٦) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٥١٢).

(٧) «تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ١٠١).

عثمان وعلي، حيث إن عثمان عين عددًا من الولاة وقد تم تبيين ذلك، وكانوا خمسة من بني أمية من ثمانية عشر واليًا، وعندما توفي عثمان لم يكن من بني أمية من الولاة إلا ثلاثة وهم معاوية وعبد الله بن سعد بن أبي السرح، وعبد الله بن عامر بن كريز؛ فقد عزل عثمان الوليد بن عقبة وسعيد بن العاص، ولكنه عزلهما من أين؟ من الكوفة التي عزل منها عمر سعد بن أبي وقاص، الكوفة التي لم ترضى بوال أبدًا؛ إذن عزل عثمان ﷺ لأولئك الولاة لا يعتبر مطعنًا فيهم ،بل مطعن في المدينة التي وُلُّوا عليها[1]، ثم إن الولاة الذين ولاّهم عثمان ﷺ من أقاربه قد أثبتوا الكفاءة والمقدرة في إدارة شؤون ولاياتهم، وفتح الله على أيديهم الكثير من البلدان وساروا في الرعية سيرة العدل والإحسان، ومنهم من تقلد مهام الولاية قبل ذلك في عهد الصديق والفاروق ﷺ[2]، وقد قام أمير المؤمنين علي ﷺ بالسير على منهج عثمان في تولية أصحاب الكفاية والمقدرة والصلاح من الأقارب على الولايات وهم من أبناء عمه العباس بن عبد المطلب، وهم على التوالي: عبد الله بن عباس، وعبيدالله بن عباس، وقثم وتمام ابنا العباس، ومحمد بن أبي بكر ربيبه وغيرهم، والتحقيق يثبت أن كلاًّ من علي وعثمان عينا من يغلب على ظنهما كفاءته، ولا يتصور أنهما قدما الأقارب بسبب القرابة، وكانت الظروف التي تسود الولايات تقتضي اختيارًا دقيقًا للولاة من حيث القوة والأمانة، فلا تزال الفتوحات في الأقاليم الشرقية غير مستقرة، فضلاً عن مشكلات الخوارج في خلافة علي[3]، ولو تأملنا في أنساب ولاة علي ﷺ؛ لوجدنا أحد عشر واليًا منهم من الأنصار من بين ستة وثلاثين واليًا، وسبعة منهم من قريش - بينهم أربعة من أبناء العباس بن عبد المطلب ﷺ - وهذه قائمة بأسماء الولاة في خلافة علي[4]:

١ـ سهل بن حنيف الأنصاري (المدينة).

---

(١) «حقبة من التاريخ» (ص ٧٥)، و«عثمان بن عفان» للصلابي (ص ٢٦٥)، والأخير به تحقيق موسع في المسألة.
(٢) «تحقيق مواقف الصحابة» (١/٤١٧). (٣، ٤) «عصر الخلافة الراشدة» (ص ١٢٩).

٢ـ تمام بن العباس بن عبد المطلب (المدينة).

٣ـ أبو أيوب الأنصاري (المدينة).

٤ـ أبو قتادة الأنصاري (المدينة).

٥ـ قثم بن العباس بن عبد المطلب (مكة والطائف).

٦ـ عمر بن أبي سلمة (البحرين).

٧ـ قدامة بن العجلان الأنصاري (البحرين).

٨ـ النعمان بن العجلان الأنصاري (البحرين).

٩ـ عبيد الله بن عباس (اليمن والبحرين).

١٠ ـ سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري (الجند).

١١ـ مالك بن الأشتر (الجزيرة ثم مصر).

١٢ـ شبيب بن عامر (الجزيرة).

١٣ـ كميل بن زياد النخعي (الجزيرة).

١٤ـ محمد بن أبي حذيفة بن عتبة (مصر).

١٥ـ قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري (مصر).

١٦ـ محمد بن أبي بكر الصديق (مصر).

١٧ـ عثمان بن حنيف الأنصاري (البصرة).

١٨ـ عبد الله بن عباس (البصرة).

١٩ ـ أبو الأسود الدؤلي (البصرة).

٢٠ـ هاني بن هوذة النخعي (الكوفة).

٢١ـ أبو موسى الأشعري (الكوفة).

٢٢- أبو مسعود البدري (الكوفة).

٢٣- قرظة بن كعب الأنصاري (الكوفة).

٢٤- سهل بن حنيف الأنصاري (فارس).

٢٥- زياد بن أبي سفيان (فارس).

٢٦- المنذر بن الجارود (اصطخر).

٢٧- عمر بن سلمة (أصبهان).

٢٨- محمد بن سليم (أصبهان).

٢٩ - خليد بن قرة التميمي (خراسان).

٣٠- عبد الرحمن بن أبزي (خراسان).

٣١- جعدة بن هبيرة بن أبي وهب (خراسان).

٣٢- عبد الرحمن بن جزء الطائي (سجستان).

٣٣- ربعي بن كأس العنبري (سجستان).

٣٤- جرير بن عبد الله البجلي (همذان).

٣٥- الأشعث بن قيس الكندي (أذربيجان).

٣٦- سعيد بن سارية الخزاعي (أذربيجان).

٣٧- الخريت بن راشد الناجي (الأهواز).

٣٨- مصقلة بن هبيرة الشيباني (الأهواز).

٣٩- يزيد بن حجية التميمي (الري).

٤٠- سعد بن مسعود الثقفي (المدائن).

٤١- الحارث بن مرة العبدي (السند)[١].

---

(١) «عصر الخلافة الراشدة» (ص ١٣٠، ١٣١، ١٣٢).

إن عثمان وعلي ﵄ خلفاء راشدون يقتدى بهما، وأفعالهما تشكل سوابق دستورية في هذه الأمة، فكما أن عمر ﵁ سن لمن بعده التحرج من تقريب الأقربين، فإن عثمان وعلي ﵄ سنا لمن بعدهما تقريب الأقربين إذا كانوا أهل كفاءة[١].

ثانيًا: مراقبة أمير المؤمنين علي ﵁ لعماله وبعض توجيهاته:

دأب أمير المؤمنين علي ﵁ على مراقبة ولاته وتتبع أحوالهم في ولاياتهم والسؤال عنهم، وقد اتبع لذلك عدة أساليب؛ منها أنه كان يبعث مفتشيه إلى هؤلاء الولاة فيسألون عنهم الناس، وقد يسأل بعض العمال عن بعض ويأمرهم بتفقد أمورهم، فقد كتب إلى كعب بن مالك: أما بعد فاستخلف على عملك، واخرج في طائفة من أصحابك حتى تمر بأرض كورة السواد فتسأل عن عمالي وتنظر في سيرتهم[٢]، كما كان علي ﵁ يعتمد على تقارير سرية يبعثها إليه مفتشوه على هذه الولايات ولا يعرف الولاة مهمتهم[٣]، وقد يكون هؤلاء المراقبون من موظفي الوالي أو آخرين مجهولين، وقد يكونون مقيمين في الولاية أو متنقلين من ولاية إلى أخرى، ويدل على وجود هذه التقارير السرية ما كان يكتبه عليّ ﵁ إلى هؤلاء الولاة، ولعل تدخل بعض الأشخاص بين أمير المؤمنين وولاته هو السبب في ترك بعضهم للولاية ورفضهم للعمل؛ كتدخل الأشتر بين علي وجرير ابن عبد الله البجلي، وتدخل بعض الناس بين علي ومصقلة بن هبيرة[٤]، وقد فتح علي ﵁ الباب على مصراعيه لأي شكوى تقدم إليه ضد أحد من ولاته، وكان إذا بلغه عن أحد منهم شكاية قال: اللهم إني لم آمرهم أن يظلموا خلقك أو يتركوا حقك[٥]، وقد قام ﵁ بحبس أحد الولاة وتأديبه وضربه بالدرة حينما بلغته شكاية عنه[٦]، وثبتت التهمة وقد كان أمير

---

(١) «الأساس في السنة وفقهها» لسعيد حوى (٤/ ١٦٧٥)، و«عثمان بن عفان» للصلابي (ص ٣٦٥).

(٢) «تاريخ اليعقوبي» (٢/ ٢٠٤).

(٣) «الولاية على البلدان» (٢/ ٣٣).

(٤) «تاريخ الطبري» (٥/ ٦٠٠، ٦٠١).

(٥) «الفتاوى» (٢٨/ ١٥١).

(٦) «الولاية على البلدان» (٢/ ٣٤) نقلاً عن «الكامل» لابن الأثير.

المؤمنين علي دائم النصح لولاته، وقد نصح علي ﷺ مجموعة من الولاة منهم قيس بن سعد، حين ولاه علي مصر حيث أوصاه: تأتيها ومعك جند، فإن ذلك أرعب لعدوك، وأعز لوليك فإذا أنت قدمتها إن شاء الله فأحسن إلى المحسن واشتد على المريب وارفق بالعامة والخاصة فإن الرفق يمن[١]، ومن نصائحه إلى قيس بن سعد في إحدى رسالاته: أما بعد فأقبل على خراجك بالحق وأحسن إلى جندك بالإنصاف، وعلم مَنْ قِبَلَك مما علمك الله[٢].

وقد كانت بعض العهود المرسلة للبلدان في تعيين الولاة تشتمل على بعض النصائح والتوجيهات، ومن ذلك عهد علي إلى محمد بن أبي بكر في ولاية مصر الذي قرأه على الناس، فقد كان يحتوي على جملة من النصائح للعامة وللوالي نفسه[٣]، وكانت تجري بين علي وبين ولاته العديد من الاتصالات سواء بالمراسلة الخطية أو الشفهية أو بالاتصال المباشر وبالدرجة الأولى أثناء قدوم هؤلاء الولاة إلى الكوفة لمقابلة أمير المؤمنين علي أو للاشتراك معه في قتال الخوارج وغيرهم، ولم يؤثر عن أمير المؤمنين أنه حج واتصل بولاته في الحج بعد مبايعته، كما كان يفعل الخلفاء السابقون، وإنما كان ينيب عنه في ذلك بعض من يثق فيهم كأبناء العباس وغيرهم، وكان ولاة المشرق أكثر ولاة علي اتصالاً به، نظرًا لقربهم من الكوفة وتكرار وفودهم إليها، وكان علي كثيرًا ما يكتب أوامر تصدر على شكل نصائح تبين لهم طريقة العمل، وقد كان بعضها مكتوبًا، وبعضها مشافهة، فقد جاء في أحد كتب أمير المؤمنين إلى عماله، فإنكم خزان الرعية ووكلاء الأمة، وسفراء الأئمة، ولا تجشموا أحدًا عن حاجته، ولا تحبسوه عن طلبته، ولا تبيعن الناس في الخراج كسوة شتاء، ولا صيف، ولا دابة يعملون عليها، وعبدًا، ولا تضربن أحدًا سوطًا لمكان درهم، ولا تمس مال أحد من الناس مصلّ ولا معاهد[٤]، وتقدم بعض الدهاقين بشكوى إلى علي من أحد

(١، ٢) «الولاية على البلدن» (٢/ ٣٦).

(٣) «تراث الخلفاء الراشدين» (ص ١٥٦).

(٤) «نهج البلاغة» (٢/ ١٥٥).

عـماله ، فكتب إلى ذلك العـامل: أما بـعد فـإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة احتقـارًا وجفوة ونظرت فلم أرهم أهلاً لأن يدنوا لشركهم، ولا أن يقضـوا ويجفوا لعـهدهم، فالبـس لهم جلبابًا من اللين تشوبـه بطرف من الشدة وداول لهم بين القـسوة والـرأفة، وامـزج لهم بين التـقريب والإدناء، والإبعـاد والإقصاء إن شاء الله[١].

ثالثًا: الصلاحيات الممنوحة للولاة في عهد علي رضي الله عنه:

امتنع أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن تسليم جـميع السلطات بيد شخص واحد، فكان مبدؤه توزيع السلطات وتحديد الصلاحيـات فقد نصب ابن عباس واليًا على البصرة، ونصب زياد على الخراج وبيت المال، ولم يكتف بهذا بل أمر ابن عباس أن يسمع منه ويطيع[٢]، وهذا قمة الضبط الإداري فزياد يطيع ابن عباس في إطار ولايته على البصرة وابن عـباس يطيع زياد في إطار عمله في بيت المال والخراج، أما شؤون القضاء فقد نصب أبا الأسود الدؤلي[٣].

ومن خلال عهد أمير المؤمنين علي الذي كتبه لمالك بن الأشتر يمكن أن نلاحظ الصـلاحيـات الممنوحـة للولاة، ونحاول أن نجـعل الصـورة أكثـر وضوحـا مع التفصيل:

١ـ تعيين الوزراء:

يقـول أميـر المؤمنين في عـهده لمالك بن الأشـتـر: إن شر وزرائك من كـان للأشـرار قبلك وزيرًا، ومن شـركهم في الآثام فـلا يكونن لك بطانة[٤]، فإنهم أعوان الأثمـة، وإخوان الظلمة، وأنت واجد منهم خـير الخلف[٥]، ممن له مثل آرائهم ونفاذهم، ويبين عليه مثل آصارهم وأوزارهم[٦]، ممن لم يعاون ظالمًا على

---

(١) «نهج البلاغة» (٢/ ١٥٥).

(٢) «تاريخ الطبري» (٥/ ٥٨٠).

(٣) «تاريخ خليفة بن خياط» (ص ٢٠٠).

(٤) بطانة الرجل: خاصته والأثمة: جمع آثم، والظلمة: جمع ظالم.

(٥) الخلف: بمعنى البدل.

(٦) الآصار: جمع إصر وهو الذنب ، والإثم وكذلك الأوزار .

ظلمه ولا آثمًا على إثمه، أولئك أخف عليك مؤونة، وأحسن لك معونة، وأحنى عليك عطفًا، وأقل لغيرك إلفًا[١]، ففي هذا النص الذي أورده أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بصورة نصائح أورد فيه النقاط والحقائق الآتية:

أ ـ تعيين الوزراء من صلاحيات الوالي .

ب ـ الشروط التي يجب أن يختار الوالي وزراءه بموجبها .

ج ـ طريقة التعامل والعلاقة المتبادلة بين الوالي والوزير .

د ـ وظيفة الوزير .

أما عدد الوزراء فلم يذكره أمير المؤمنين علي بل اكتفى بلفظ الجمع، ويظهر أن عددهم يرتبط بمقدار حاجة الوالي إلى المعاونين؛ لأن عمل الوزير هو مساعدة الوالي في وظائفه وهناك شروط حددها أمير المؤمنين علي: ألاَّ يكون وزيرًا سابقًا للولاة الأشرار، وينتخب الوالي من مجموع وزرائه وزيرًا واحدًا يكون نائبه ومساعده في تمشية الأمور، ويجب أن يختاره من بين وزرائه على أساس[٢] قول أمير المؤمنين: ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمر الحق لك[٣]، وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه واقعًا ذلك من هواك حيث وقع[٤]، وأما وظائفهم فهي تدخل في دائرة (المساعدة)، وأما تحديد تفاصيل هذه الدائرة فيوكل إلى الوالي الذي يقرر وظائف وزرائه حسب الحاجة إليهم، ويكون ارتباط الوزراء بالوالي بصورة مباشر[٥].

٢ـ تشكيل مجالس الشورى:

وذلك بالاستعانة بالعلماء والحكماء وهم أهل الحل والعقد، وأهل الخبرة، فقد

---

(١) الإلف: الألفة والمحبة.

(٢) «الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي» د. محسن الموسوي (ص ٢٦١).

(٣) مرارة الحق: صعوبته على نفس الوالي.

(٤) «نهج البلاغة» شرح محمد عبده (ص ٦٠٩).

(٥) «الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي» (ص ٢٦١).

ورد في حقهم هذا النص : وأكثر مدارسة العلماء ، ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك وإقامة ما استقام به الناس قبلك[١] .

وفي هذا النص التأكيد على جمع العلماء والحكماء في مجالس استشارية منتظمة ، ويمكن أن يجري تعيينهم من قبل الوالي ، أو يتم انتخابهم من قبل الناس ، فليس هناك تحديد من أمير المؤمنين عن طبيعة تشكيل هذه المجالس ، بل اكتفى أمير المؤمنين بالمطالبة من واليه ، وأكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء ، أما كيف تم جمعهم ، هل اجتمعوا بأمر من الوالي أو يتم انتخابهم من قبل الناس؟ فهذا أمر لم يبت فيه أمير المؤمنين علي بل تركه متعلقًا حسب الظروف التي تتحكم في طريقة تعيينهم ، إما باختيار الوالي ، أو انتخاب الناس ، وأما وظيفة هذا المجلس فهو الدراسة والبحث لتحديد السياسات العامة بخصوص الأمرين :

أ ـ تثبيت ما صلحت عليه البلاد .

ب ـ إقامة ما استقام عليه الناس من قبل الوالي .

وهذا يعني وضع الخطوط العريضة لكل ما يتعلق بإصلاح أوضاع البلاد والعباد ، سواء كان ذلك في مصرف بيت المال أو تعيين الإداريين ، أو تقديم الخدمات للأصناف المختلفة من تجار وصناع ومزارعين ، وهذا المجلس أشبه ما يكون بالمجالس المحلية التي تقام في الدول التي يقوم نظامها على اللامركزية[٢] ، وفي نص آخر يذكر أمير المؤمنين رضي الله عنه صفات هؤلاء المستشارين والمعاونين : ثم ألصق بذوي المروءات والأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ، ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة ، فإنهم جماع من الكرم وشعب من العرف[٣] ، وذكر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أهمية الاهتمام بهم ، وتفقد أحوالهم وأمورهم فقال : ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما ، ولا يتفاقمن في نفسك شيء

---

(١) «نهج البلاغة» شرح محمد عبده (ص ٦١) .

(٢) «الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي» (ص ١٦١) .

(٣) «نهج البلاغة» شرح محمد عبده (ص ٦١٢) .

قويتهم به[١]، ولا تحقرن لطفًا تعاهدتهم[٢]، وإن قل فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك، ولا تفقد لطيف أمورهم اتكالاً على جسيمًا؛ فإن لليسير من لطفك موضعًا ينتفعون به، وللجسيم موقعًا لا يستغنون عنه[٣].

٣ـ إنشاء الجيش وتجهيزه:

قال أمير المؤمنين علي ﷺ لمالك بن الأشتر النخعي: وليكن آثر رؤوس جندك عندك[٤] من واساهم في معونته، وأفضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم؛ حتى يكون همهم همًّا واحدًا في جهاد العدو، فإن عطفك عليهم[٥]، يعطف قلوبهم عليك[٦] والذي يظهر من هذا النص:

أ ـ لابد من وجود قوة عسكرية تدافع عن الولاية .

ب ـ تشكيل هذه القوة وإعدادها من مسؤولية الوالي، ويجري الإنفاق عليها من بيت مال الولاية .

جـ ـ تعيين رؤساء الجند من مسؤولية الوالي، وهناك شروط على الوالي العمل بموجبها عند اختيار رؤساء الجند، فلابد من رعايتهم، والاهتمام بهم «حتى يكون همهم همًّا واحدًا في جهاد العدو[٧]؛ فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك»[٨].

٤ـ ترسيم السياسية الخارجية في مجال الحرب والسلم:

يقول أمير المؤمنين علي ﷺ لواليه مالك بن الأشتر: ولا تدفعن صلحًا دعاك إليه عدوك ولله فيه رضى؛ فإن في الصلح دعة لجنودك[٩]، وراحة من همومك،

(١) تفاقم الأمر: عظم، فهم مستحقون لكل خير.
(٢) أي لا تعد شيئًا من تلطفك معهم حقيرًا فتتركه لحقارته، فكل تلطف له موقع في قلوبهم.
(٣) «نهج البلاغة» شرح محمد عبده (ص ٦١٣).
(٤) أي أفضل وأعلى منزلة من واسى الجند وساعدهم.
(٥) أي على الرؤساء.
(٦) «نهج البلاغة» شرح محمد عبده (ص ٦١٣).
(٧) «الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي» (ص ٢٦٥).
(٨) «نهج البلاغة» شرح محمد عبده (ص ٦١٣).
(٩) الدعة: الراحة.

وأمنا لبلادك ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه، فإن العدو ربما قارب ليتغفل[١]، فخذ بالحزم، واتهم في ذلك حسن الظن، وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة[٢]، فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت[٣]، فإنه ليس من فرائض الله شيء، الناس أشد عليه اجتماعًا مع تفرق أهوائهم، وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود[٤]، وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر[٥]، ولا تغدرن بذمتك، ولا تخيسنّ بعهدك[٦]، ولا تختلن عدوك، فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي، وقد جعل الله عهده وذمته أمنا أفضاه بين العباد برحمته[٧]، وحريمًا يسكنون إلى منعته ويستفيضون إلي جواره[٨]، فلا إدغال ولا مدالسة[٩]، ولا خداع فيه ولا تعقد عقدًا تجوز فيه العلل[١٠]، ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة، ولايدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق؛ فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته، وأن تحيط بك من الله فيه طلبة[١١]، فلا تستقبل فيها دنياك ولا آخرتك[١٢].

واستنادًا لهذا النص يقوم الوالي بالآتي بما يلي:

١ـ عقد معاهدة الصلح مع الدول والأمم المجاورة .

٢ـ بأخذ الاستعداد للحرب، وأخذ الحيطة عند الضرورة وبين هذين الأمرين تجري مفردات كثيرة من تبادل الرسائل، وتبادل الوفود، وتبادل الزيارات وعقد الحوارات[١٣].

٣ـ الوفاء بالعهد عند المسلمين قاعدة أصولية من قواعد الدين الإسلامي التي

---

(١) قارب: أي تقرب منك بالصلح ليلقي عليك غفلة عنه فيغدرك فيها . (٢) الذمة: العهد.

(٣) الجُنَّة: الوقاية : أي حافظ على ما أعطيت من العهد بروحك.

(٤) أي أن الناس لم يجتمعوا على فريضة من فرائض الله أشد من اجتماعهم على الوفاء بالعهود.

(٥) لأنهم وجدوا عواقب الغدر وبيلة أي مهلكة. (٦) خاس بعهده: خان ونقضه، والختل: الخداع.

(٧) أفضاه هنا بمعنى أفشاه. (٨) يستفيضون: أي يفزعون إليه بسرعة.

(٩) الإدغال: الإفساد، والمدالسة: الخيانة. (١٠-١٢) «نهج البلاغة» (ص ٦٢٧).

(١٣) «الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي» (ص ٢٥٦).

يجب على كل مسلم أن يلتـزم بها[١]، كما أن الوفـاء بالعهود والمواثيق لم يكن عند أمير المؤمنين يعتمد على مجرد نظرية مكتوبة على الورق، ولكنه كان سلوكًا عمليًّا في حياته بالوفـاء بالعهود، وحذر من نقض الإيمان بعد توكيـدها في كثير من الآيات القرآنيـة قال تعالى: ﴿**وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**﴾ (النحل: ٩١)، وقال جل وعلا: ﴿**وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا**﴾ (الإسراء: ٣٤).

٥- الحفاظ على الأمن الداخلي:

وذلك بانتهاج السيـاسات السلمية، كتب أمير المـؤمنين إلى بعض عماله: أما بعد فإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة واحتقار وجفوة، فالبس لهم جلبابًا من اللين تشـوبه بطرف من الشدة وداول لهم بين القسـوة والرأفة، وامزج لهم بين التقريب والإدناء والإبعـاد والإقصاء[٢]، وتأتي هذه السيـاسية للحـفاظ على الأمن الداخلي، فـإذا حدث ما يعكر هـذه المهمة؛ فـإن مهمـة الوالي هي محـاولة حل المشاكل بطرق سلميـة بعيدة عن استـخدام القـوة، رافضًا سيـاسة الاستـقواء على الشـعب[٣]، وفي رسـالته إلى مـالك بن الأشتـر: فلا تقـوين سلطانك بسفك دم حرام، فإن ذلك مما يضعفه ويهونه، بل يزيله وينقله[٤].

٦- تشكيل الجهاز القضائي في الولاية:

يقول أميـر المؤمنين علي رضي الله عنه: ثم اختر للحكم بين الناس أفـضل رعيتك في نفسك ممن لا تفيق به الأمـور ولا تمحكه الخصوم[٥]، ولا يتمادى في الزلة، ولا يحصـر من الفيء إلى الحق إذا عـرفه[٦]، ولا تشرف نفـسه على طمع[٧]، ولا

---

(١) «منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية» (ص ٣٢٩).
(٢) «الولاية على البلدان» (٢/ ٣٧) نقلاً عن «شرح نهج البلاغة» (٢/ ٢٣٠) طبعة أخرى غير محمد عبده.
(٣) «الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي» (ص٢٥٧).
(٤) «شرح نهج البلاغة» (ص ٦٢٧).
(٥) لا تحمله مخاصمة الخصوم على اللجاج والإصرار على رأيه.
(٦) أي: لا يضيق صدره من الرجوع إلى الحق.
(٧) الإشراف على الشيء: الاطلاع عليه من فوق.

يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه(١)، وأوقفهم في الشبهات(٢)، وآخذهم بالحجج، وأقلهم تبرمًا بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشف الأمور، وأصرمهم عند انفتاح الحكم ممن لا يزدهيه إطراء(٣)، ولا يستميله إغراء.. وافسح له في البذل ما يزيل علته وتقل معه حاجته إلى الناس؛ ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك، فانظر في ذلك نظرًا(٤) بليغًا، من هذا النص يظهر لنا:

أ ـ من مسؤولية الوالي تعيين القضاة.

ب ـ على الوالي الالتزام بشروط صارمة في اختيار القاضي.

جـ ـ على الوالي رعاية القضاة رعاية كاملة حتى لا يشعروا بالحاجة إلى الآخرين(٥).

٧ـ النفقات المالية:

المصدر لتمويل النفقات في الولاية، أموال الزكاة والصدقات والغنائم والفيء والخراج والعشور، وتوضع في بيت المال وهو المحل الذي يجتمع فيه بيت مال المسلمين، وهناك عامل في بيت المال يسجل كل ما يصله من أموال وكل ما يخرج من بيت المال، ولبيت المال وظيفة مهمة في الإدارة اللامركزية، فما يجتمع من الأموال يتم أولاً إنفاقه على شؤون الولاية من موظفين وعمال وقضاة، ومحتاجين، وإعمار إلخ.. وما تبقى يتم إرساله إلى عاصمة الخلافة، ويعتبر بيت المال قلب الولاية الذي يوزع الدم في شرايين الأجهزة العاملة(٦)، قال أمير المؤمنين علي: وانظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه إلى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة(٧)، وجزء من هذه الأموال مصدره الخراج - كما ذكرنا - وهو ما وضع لأخذه على الأرض المزروعة وهو المصدر الأول لتغطية رواتب موظفي الولاية، وما زاد على ذلك يوزع على الفقراء والمساكين، يقول أمير

(١) لا يكتفي في الحكم بما يبدو له بأول فهم وأقربه، دون أن يأتي على أقصى فهم.
(٢) الشبهات: ما لا يتضح الحكم فيها بالنص.
(٣) لا يستخفه زيادة الثناء عليه.
(٤) «شرح نهج البلاغة» (ص ٦١٥).
(٥) «الإدارة والنظام الإداري» (ص ٢٥٨).
(٦) «الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي» (ص٢٦٢).
(٧) «شرح نهج البلاغة» (ص٦٤٧).

المؤمنين علي: الناس كلهم عيال على الخراج وأهله، والمقصود بالناس عامة الموظفين والمجاهدين الذين قال عنهم أمير المؤمنين رضي الله عنه: لا قوم للجنود إلا بما يخرج الله من الخراج، وقد أرشد أمير المؤمنين علي إلى استثمار الأرض أي عمارة الأرض فقد قال: وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج؛ لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج لغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد[١].

فعمارة الأرض ستضيف موارد مالية جديدة يمكن الاستفادة منها في مجال الرواتب والنفقات المتنوعة، وتتم هذه النفقات باستقلالية عن الأجهزة المركزية التي لها حصة من هذه الموارد، بعد أن يتم استخراج المقادير الضرورية للولاية، وبعث البقية إلى العاصمة، يقول أمير المؤمنين: وما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لنقسمه فيمن قبلنا[٢]، كما أن الإنفقات المهمة في الولاية إعمار الأنهار، فقد كتب أمير المؤمنين علي لقرظة بن كعب الأنصاري: أما بعد فإن رجالاً من أهل الذمة من عمالك ذكروا نهراً في أرضهم قد عفا وادفن، وفيه لهم عمارة على المسلمين، فانظر أنت وهم، ثم أعمر وأصلح النهر، فلعمري لأن يعمروا أحب إلينا من أن يخرجوا، وأن يعجزوا ويقصروا في واجب من صلاح البلاد والسلام[٣].

٨- العمال التابعين للولاية ومتابعتهم:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً[٤]، ولا تولهم محاباة وأثره؛ فإنها جماع شعب الجور والخيانة وتوخ منهم أهل التجربة والحياء وأهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام[٥] المتقدمة، فإنهم أكرم أخلاقًا وأصح أعراضًا، وأقل في المطامع إشرافًا، وأبلغ في عواقب الأمور نظرًا، ثم أسبغ

(١) «شرح نهج البلاغة» (ص ٦١٧).
(٢) المصدر نفسه (ص ٦١٨)، و«الإدارة والنظام» (ص ٢٥٨).
(٣) «تاريخ اليعقوبي» (٢/ ٢٠٣)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ٣٧).
(٤) أي: الاختبار والامتحان قبل تولية الأعمال.
(٥) أي: أهلها الأولون.

عليهم الأرزاق[١]، فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك[٢]، ثم تفقد أعمالهم، وابعث العيون[٣]، من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السر لأمورهم حدوة لهم[٤] على استعمال الأمانة والرفق بالرعيّة، وتحفظ من الأعوان، فإن أحدٌ منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك[٥]، اكتفيت بذلك شاهدًا، فبسطت عليه العقوبة في بدنه وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة، وقلدته عار التهمة[٦].

وهنا يتحدث عن الموظفين التابعين للولاية والمحافظين على المدن والقرى وجباة الصدقات، وعلى عاتقهم مسؤولية كبيرة؛ لأن عملهم متصل بالناس بصورة مباشرة، ويتجلى في هذا النص أهمية هؤلاء في الجهاز الإداري لأنهم يمثلون السلطة التنفيذية الحقيقية، فكان لابد من إشباع حاجاتهم؛ حتى لا يطمعوا في مال غيرهم، ولا حقوقهم[٧]، ويشير أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى أهمية العيون الذين يقومون بأعمال الرقابة على الإدارات والوحدات وبيت المال، ويتم تعيينهم من قبل الوالي ويكون ارتباطهم معه، وهناك شروط يجب أن تتوافر فيهم:

أ ـ أن يكونوا من أهل الصدق حتى تكون تقاريرهم واقعية صادقة.

ب ـ أن يكونوا من أهل الوفاء؛ حتى يكون هدفهم هو الإخلاص للدولة، وبعد تقديم التقارير، على الوالي أن يتثبت بدقة في هذه التقارير ولا يسرع في الحكم على الأفراد، ومن أعمال هذا الجهاز فرض الرقابة على التجار وذوي الصناعات لمنعهم من الاحتكار وإيقاع الضرر بالناس، وما قاله أمير المؤمنين في رسالته للأشتر في هذه الفقرة، يشير إلى أن دولة الخلافة الراشدة تهتم بدوام المباشرة لأحوال الرعية، وتفقد أمورها، والتماس الإحاطة بجانب الخلل في أفرادها وجماعاتها، وهذا مبدأ قرآني بينه المولى عز وجل على لسان سليمان عليه السلام: **﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ**

---

(١) أي: أكمل الرزق، ووسع لهم فيه.

(٢) نقصوا في أدائها أو خانوا.

(٣) العيون: الرقباء.

(٤) حدوة لهم: أي سوق لهم وحث.

(٥) اجتمعت عليه أخبار الرقباء.

(٦) «شرح نهج البلاغة» (ص ٦١٦).

(٧) «الإدارة والنظام الإداري عند علي» ص (٢٦٦).

مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ (النمل: ٢٠، ٢١)، وتفقد الطير، وذلك بحسب ما تقتضيه العناية بأمور، الخلافة والاهتمام بكل جزء فيها والرعاية لكل واحد فيها وخاصة الضعفاء، ولاشك أن القيادة تحتاج إلى لجان ومؤسسات وأجهزة حتى تستطيع أن تقوم لهذه المهمة العظيمة، إن سليمان عليه السلام كان مهتما بمتابعة الجند وأصحاب الأعمال وخاصة إذا رابه شيء من أحوالهم، فسليمان عليه السلام لما لم ير الهدهد بادر بالسؤال: ﴿**مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ**﴾ يعني: أهو غائب؟ كأنه يسأل عن صحة ما لاح له[1]، ثم قال: ﴿**أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ**﴾، سؤال آخر ينم عن حزم في السؤال بعد الترفق، فسليمان عليه السلام أراد أن يفهم منه أنه يسأل عن الغائب لا عن شفقة فقط، ولكن عن جد وشدة، إذا لم يكن الغياب بعذر[2]، فعهد الخلافة الراشدة تطبيق عملي لمفاهيم القرآن الكريم، إن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أشار إلى أهمية الأجهزة الأمنية للدولة المسلمة التي تحرص أشد الحرص على الاهتمام بالأخبار والمعلومات حتى توظف لخدمة الدين، ونشر المبادئ السامية، والأهداف النبيلة، والمثل العليا، وتقضي على بذور الفساد في الأجهزة المتعددة التي يقوم عليها نظام الولايات.

٩- أصناف طبقات المجتمع:

قال أمير المؤمنين: واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض، فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنه عمال الإنصاف والرفق ومنها أهل الجزية والخراج ومنها أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة وكلاً قد سمى الله سهمه[3]، ووضع على حده فريضته في كتابه أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، عهداً منه عندنا محفوظًا إلى أن قال: ولا قوام لهم جميعا إلا بالتجار ذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم[4]، ويقيمونه

---

(١) «تفسير الرازي» (٢٤/١٨٩).

(٢) «الحكم والتحاكم في خطاب الوحي» (٢/٥٩٣).

(٣) أي: نصيبه من الحق.

(٤) «شرح نهج البلاغة» (ص ٦١١).

من أسواقـهم ويكفونه من التـرفق بأيديهم ما لا يبلغه وفـق غيرهم، ثم الطبـقة السـفلى من أهل الحاجـة والمسكنة الذين يحق رفـدهم ومـعونتـهم[1] ثم أوصى بالتجار وأصحاب الصناعة بهم خيـرًا فقال: ثم استوص بالتجار وذوي القناعات وأوص بهم خيـرًا: المقيم منهم، والمضطرب بماله[2]، المترفق ببدنـه؛ فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافـق وجلاّبها من المباعد والمطارح في برك وسـهلك وجبلك، وحيث لا يلتم الناس لمواضـعها[3]، ولا يجترئون عليهـا، فإنهم سِلْمٌ لا تخاف بائقته[4]، وصلح لا تخـشى غائلته، وتفـقد أمـورهم بحضرتـك وفي حواشي بلادك، واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقًا فاحشًا وشحًّا قبيحًا[5]، واحتكارًا للمنافع وتحكما في البياعات وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاية، فامنع من الاحتكار فإن رسـول الله ﷺ منع منه، وليكن البيع بيعًا سـمحًا، بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع، فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه[6]، فنكل به، وعاقب في غير إسراف[7].

ونلاحظ من كـلام أمير المؤمـنين علي رضي الله عنه أن طبقـة التجار من أهـم شرائح المجتـمع، ولذلك أرشد الولاة إلـى الاهتمام بهـم من خلال وجود دائرة تـتولى رعاية هذا الطبـقة والإشراف على أعـمالها حتى لا يظهـر عليها المظاهر السلبـية كالشح والاحتكار وما شابه ذلك، وذوي الصناعات ويلم بهم، ما يلم التجار من أضرار ومـشاكل، فكان لابـد من قيام جـهاز لرعـايتهم ومـساعـدتهم في إتمام أعمالهم[8]، ومن هذه الطبقات أهل الخراج وهم العاملون على الأرض من زراع وحراث وحافرين لآبار، وهم يحتاجـون إلى الاهتمام وتشكيل لجان تكون موكلة بأهل الخـراج لحل المشكلات التي تعتـرضـهم؛ لأن هذا الطريق هو السبـيل إلى

---

(١) رفدهم: مساعدتهم وصلتهم.
(٢) المتردد بأمواله بين البلدين.
(٣) يجلبون من أمكنة بحيث لا يمكن التئام الناس واجتماعهم في مواضع تلك المرافق.
(٤) البائقة: الداهية.
(٥) الشح: البخل.
(٦) قارف: خالط: حركة الاحتكار.
(٧) «شرح نهج البلاغة» (ص ٦٢٠).
(٨) «الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي» (ص ٢٦٣).

التنمية واستثمار الأرض،ومن هذه الأصناف أهل الذمة الذين يعيشون في الدولة الإسلامية، ويعملون فيها، فلابد من رعاية الدولة لهم وتفقد شؤونهم، من خلال جهاز يتولى شؤونهم الاقتصادية منها والاجتماعية[١]، ومنها الطبقة السفلى من المساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمن، فإن في هذه الطبقة القانع[٢]، والمعتر[٣]، وتشمل هذه الطبقة أهل اليتم وذوي الرقة في السِّنِّ ممن لا حيلة له، ولا ينصب للمسألة نفسه، فالدولة مسؤولة عن رعاية هؤلاء رعاية كاملة اجتماعية واقتصادية وتعليمية، وكان على الوالي أن يحدد وقتًا للقاء بهم ليزيل عنهم مشاعر الحرمان ويتفقد أمورهم بنفسه وبصورة مباشرة، وعليه أن يوفر الأجواء التي يستطيع بواسطتها هؤلاء المحرومين من التكلم أمام الوالي[٤].

١٠ـ التربية بالعقاب والثواب:

قال أمير المؤمنين علي: ولا يكون المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك تزهيدًا لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريبًا لأهل الإساءة على الإساءة وألزم كلاًّ منهم ما ألزم نفسه[٥]، واعلم أنه ليس بشيء أدعى إلى حسن ظن راع برعيته من إحسانه إليهم وتخفيفه المؤونات عليهم، وترك استكراهه إياهم على ما ليس قبلهم[٦]، فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك، فإن حسن الظن يقطع عنك نصبًا طويلاً[٧]، وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده[٨]، وهذه التربية بالعقاب والثواب تحدث عنها القرآن الكريم، وتتضح معالمها جلية في قصة ذي القرنين في قوله تعالى: **﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾** (الكهف: ٨٨).

---

(١) «الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي» (ص٢٦٣).
(٢) القانع: السائل.
(٣) المعتر: المتعرض للعطاء بلا سؤال.
(٤) «الإدارة والنظام الإداري» (ص ٢٦٤).
(٥) فإن المسيء ألزم نفسه استحقاق العقاب، والمحسن الثواب.
(٦) قِبَلَهم: ـبكسر ففتح ـ أي عندهم.
(٧) النصب: التعب.
(٨) البلاء هنا: الصنع مطلقًا حسنًا أو سيئًا، انظر: «نهج البلاغة» (ص ٦١).

إن التربية العملية للقيادة الراشدة هي التي تجعل الحوافز المشجعة هدية للمحسن ليزداد في إحسانه، وتفجر طاقة الخير العاملة على زيادة الإحسان وتشعره بالاحترام والتقدير وتأخذ على يد المسيء لتضرب على يده؛ حتى يترك الإساءة وتعمل على توسيع دوائر الخير والإحسان في أوساط المجتمع، وتضييق حلقات الشر إلى أبعد حدود وفق قانون الثواب والعقاب وهذا ما أرشد إليه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.

١١- دور العرفاء والنقباء في تثبيت نظام الولايات:

عرف المسلمون النقباء في بيعة العقبة الثانية حينما عين الرسول صلى الله عليه وسلم اثني عشر نقيبًا من الأنصار على قومهم ثلاثة من الأوس وتسعة من الخزرج[١]، واستمر تنظيم النقباء والعرفاء في الأجناد الإسلامية المختلفة في عهد عمر رضي الله عنه، ومما ورد في ذلك تنظيم الناس في القادسية على يد سعد بن أبي وقاص حيث اجتمعت القبائل، فأمر أمراء الأجناد وعرف العرفاء فعرف على كل عشرة رجلاً، كما كانت العرافات أزمان النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك كانت إلى أن فرض العطاء وأمر على الرايات رجالات من أهل السابقة، وعشر الناس وأمر على الأعشار رجالاً من الناس لهم وسائل في الإسلام[٢]، ويعتبر عمر أول من نظم تقسيم الناس في الأمصار عمومًا، ففي زمانه برز العرفاء على الناس في أمصارهم وأصبحوا مسؤولين أمام الوالي عن قبائلهم والمجموعات المنضمة إليهم حسب التقسيم المتبع ذلك الوقت[٣].

وقد استمر نظام العرفاء طيلة عصر عثمان رضي الله عنه وخلال عهد علي رضي الله عنه فكان يجمع النقباء ويعطيهم الأموال بحصصهم فيقسمونها على من يتبعهم من الناس[٤]، وقد استفاد الولاة من العرفاء في إدارة الولايات في الشؤون المختلفة المدنية منها والعسكرية، فكانوا يساعدون في توزيع العطاء على الناس، وفي

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٤٤٣).
(٢) «الولاية على البلدان» (٢/ ١٠٦)، و«تاريخ الطبري» (٥/ ٨٧).
(٣) «النظم الإسلامية»، لصبحي الصالح، و«الولاية على البلدان» (٢/ ١٠٦).
(٤) «الأموال»، للقاسم بن سلام ص (٣٤٥)، و«الولاية على البلدان» (٢/ ١٠٦).

السيطرة على النظام داخل الولايات، وفي البحث عن المطلوبين للقضاء وغيره وفي سرعة تجنيد الناس حين الحاجة، وفي أخذ المشورة من الناس، كما كان للنقباء دور في معرفة من يضاف اسمه إلى العطاء ومن يحذف اسمه، وغير ذلك من الأمور المختلفة، وهكذا كان العرفاء من أهم الموظفين للولاة في إدارة أمصارهم، مع أن هؤلاء في الغالب لم يكونوا متفرغين لهذا العمل وحده، بل كانوا مجرد مساعدين وقت الحاجة، وكان في تقسيم العرفاء والنقباء في كثير من الأحيان شيء من التنظيم القبلي، حيث كان التقسيم أحيانا باعتبار القبيلة، إلى أن كثر الداخلون في الإسلام من الأعاجم وبدؤوا يستوطنون الأمصار، فبدأ هذا التقسيم يقل تدريجيًّا[(١)] مع احتفاظه بقوته في معظم الأوقات خلال عهد الخلفاء الراشدين[(٢)]، وقد كان يتبع الولاة على البلدان بعض كبار القواد الذين يتولون قيادة أقسام معينة في الجيش، ويقومون بالفتوح المختلفة بتوجيه من أمراء الولايات، كما كانوا يصحبون الوالي وهو أمير الحرب في غزواته المختلفة ويساعدونه في تنظيم الجيش وقيادته[(٣)]، وقد كان أمراء التعبئة يلون الأمير والذين يلون أمراء التعبئة أمراء الأعشار والذين يلون أمراء الأعشار أصحاب الرايات، والذين يلون أصحاب الرايات والقواد رؤوس القبائل[(٤)]، كما أن العرفاء يرفعون ما يراه قومهم من اقتراحات أوتظلمات جماعية ويوصلونها نيابة عنهم، ويتحدثون باسمهم ويدافعون عن حقوقهم أمام الوالي وغيره[(٥)].

رابعًا: من المفاهيم الإدارية عند أمير المؤمنين علي رضي الله عنه:

١ـ التأكيد على العنصر الإنساني:

كتب أمير المؤمنين إلى أحد عماله: أما بعد فإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة واحتقارًا وجفوة.. فالبس لهم جلبابًا من اللين تشوبه بطرف من

---

(١) «الولاية على البلدان» (١/١٠٧). (٢) المصدر نفسه (٢/١٠٧).

(٣) «الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة» للزبيدي (ص ٤١).

(٤) «تاريخ الطبري»، نقلاً عن «الولاية على البلدان» (٢/١٠٨).

(٥) «العرافة والنقابة» للفاروقي (ص ٨٠، ٦١و ٨٦)، و«الولاية على البلدان» (٢/١٠٨).

الشدة وداول بين القسوة والرأفة، وامزج لهم بين التقريب والإدناء والإبعاد والإقصاء إن شاء الله[١]، فكان على الرئيس ملاحظة الأوضاع النفسية لمرؤوسيه، وأن يضع استراتيجيته الإدارية على ضوء هذا الواقع، وأن يوازن بين ضرورات الضبط والتنظيم مع الضرورات الواقعية التي تفرزها الحالات الإنسانية والنفسية، فمن الخطأ أن تقوم النظرية الإدارية التنظيمية على قواعد صارمة وثابتة لا تراعي العامل الإنساني، ولا تراعي تأثيرات الظروف وكأن التنظيم الإداري لأي مؤسسة أو منظمة أو حركة، أو حزب أو جمعية أو نادي... إلخ، يتحرك في فراغ بمعزل عن التأثيرات الخارجية والداخلية[٢].

٢ـ عامل الخبرة والعلم:

في هذا النطاق يؤكد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على أهمية أن يكون المسؤول صاحب خبرة وعلم، فإذا كان كذلك فله حق الطاعة، وإلا فإنه لا طاعة له، يقول أمير المؤمنين: عليكم بطاعة من لا تعذرون بجهالته[٣]، فإذا كان جاهلاً فإنهم معذرون فلا طاعة للجاهل؛ لأنه يأخذهم إلى الهلاك ويقول أيضًا: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق[٤]، والجاهل غير العارف بالأمور ينتهي أمره إلى معصية الخالق[٥]، بأمر مخالف.

٣ـ العلاقة بين الرئيس والمرؤوس:

هذه العلاقة لا يرسمها التسلسل التنظيمي والتدرج الرئاسي بل ترسمه المصلحة المشتركة بين الرئيس والمرؤوسين، يقول أمير المؤمنين علي لواليه عندما بعثة إلى مصر: ثمت أمور من أمورك لابد لك من مباشرتها، منها إجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك، ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك بما تحرج به صدور أعوانك[٦]، ونحن هنا أمام حالة يلغى فيها التسلسل الوظيفي إلغاءً تامًّا،

---

(١) «نهج البلاغة» (ص ٥٣٩).
(٢) «الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي» (ص ٢١٧).
(٣) «نهج البلاغة» (ص ٧٠٠).
(٤) المصدر نفسه (ص ٧٠١).
(٥) «الإدارة والنظام الإداري» (ص ٢١٧).
(٦) «نهج البلاغة» (ص ٦٢٣).

وإذا لم يقدر الوالي على القيام بهذه المهمة فإنه ينتدب بعض خلصائه لذلك، فيقول: وتفقد أمور من لايصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال، ففرّغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع إليك أمورهم[1]، وهذا تجاوز واضح على الإدارة البيروقراطية التي ترى أن كل شيء يجب أن يتم ضمن التسلسل الإداري، ولاحق لأحد في إلغاء هذا التسلسل ومن يلغي ذلك يعتبر متجاوزًا على التنظيم، ثم بين أمير المؤمنين مضار التقيد غير المسؤول بالتسلسل الوظيفي: فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق، وقلة علم بالأمور، والاحتجاب عنهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير، ويعظم الصغير، ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل[2]، هذه هي مضار التسلسل الإداري والتقيد الحرفي به فتباطؤ الأمور بين هذه السلسلة الطويلة وانتقالها من مسؤول إلى مسؤول، ومنه إلى مسؤول ثالث فرابع وخامس حتى وصولها إلى الناس العاديين، هذه السلسلة التي تجري بعيدًا عن مباشرة الرئيس الأعلى قد تغير الأمور وتقلبها رأسًا على عقب، فيصبح الصغير كبيرًا والحق باطلاً، والحسن قبيحًا والقبيح حسنا كما يقول أمير المؤمنين رضي الله عنه، وهو ما تعاني منه التنظيمات البيروقراطية؛ لأنها تعتمد على سلسلة تنتقل عبرها المسائل والقضايا، فتنحرف عن أهدافها ومراميها. والعلاج كما يقدمه أمير المؤمنين علي هو ألاَّ يحتجب المسؤول عن أفراده، فاحتجابه يتسبب في تغيير قراراته أو تطبيقها في أحسن الظروف تطبيقًا متحجرًا، بعيدًا عن الأهداف التي طمح من أجلها. ومهمة الرئيس ليست محصورة في لقاء المرؤوسين، بل عليه أن يوفر الأجواء المطمئنة التي تجعل المرؤوس قادرًا على طرح مشاكله بطمأنينة وبدون خوف؛ لأن الغاية ليست هي المقابلات الفجة، بل الهدف هو أن يكون هذا اللقاء مفيدًا فلابد من خلق الأجواء المناسبة لهذه اللقاءات، يقول في ذلك: واجعل لذوي الحاجات منك قسمًا تُفرِّغُ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلسًا عامًّا فتتواضع فيه لله

---

(١) «نهج البلاغة» (ص ٦٢١).

(٢) «نهج البلاغة» رقم ٥٣ ص (٦٢٤).

والذي خلفك وتبعد عنهم جندك وأعوانك من حراسك وشرطك، حتى يكلمك متكلمهم غير متتعع[١]، ويبعث إلى قثم بن العباس «ابن عمه» برسالة يقول فيها: ولا يكن لك إلى الناس سفير إلا لسانك ولا حاجب إلا وجهك[٢]، وهناك نصوص أخرى تؤكد على طبيعة العلاقة بين الرئيس والمرؤوسين وإنها لا تقوم عبر الوسائل ولا القيود الإدارية بل تقوم وجهًا لوجه عندما تستدعي الحاجة لذلك[٣].

٤- مكافحة الجمود:

هناك بعض النظريات الإدارية واللوائح التنظيمية تسبب الجمود وإضاعة الوقت والجهد وإضاعة الحقوق، كما أن كثيرًا من الأعمال لا يفكر بإنجازها أساسًا؛ لأنها تستغرق وقتًا طويلاً حتى يتم إقرارها عبر السلسلة الإدارية، من هنا جاءت دعوة أمير المؤمنين رضي الله عنه: من أطاع التواني ضيع الحقوق[٤].

٥- الرقابة الواعية:

الرقابة مهمة في كل تنظيم إداري، فقد نوه أمير المؤمنين رضي الله عنه إلى هذه الوظيفة فقال: وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السر لأمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية[٥]، فالرقابة عند أمير المؤمنين رضي الله عنه هي عطف ونصرة للمراقب لمواصلة أداء الأمانة كاملة، وأن الرقابة لابد وأن تتم عبر وسائط من أهل الصدق والوفاء حتى يكون تقييمهم عادلاً لا تتلاعب فيه أهواؤهم، فالرقابة هنا عامل مساعد على التقدم، وتدفع بالأفراد إلى الحركة، والإخلاص في العمل، إن القوانين الصارمة لا وجود لها في الفكر الإداري لأمير المؤمنين رضي الله عنه عندما تعيق هذه القوانين حركة الأفراد داخل التنظيم، وتصبح سببًا لإضاعة الحقوق[٦].

---

(١) «نهج البلاغة» (ص ٦٢٢).

(٢) «نهج البلاغة» (ص٦٤٧).

(٣) «الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي» (ص ٢١٨، ٢١٩).

(٤) «نهج البلاغة» (ص ٧١٤).

(٥) «نهج البلاغة» (ص ٦١٦).

(٦) «الإدارة والنظام الإداري» (ص ٢٢١ ، ٢٢٢).

٦ـ التوظيف يتم عبر الضوابط وليس عبر الروابط الشخصية:

في هذا المجال أكد أمير المؤمنين علي في عهده لواليه على مصر: ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختبارًا ولا تولهم محاباة وأثره، فلابد من إجراء الاختبارات الأولية على الشخص الذي يراد استخدامه في عمل ما، ويجب أن يبتعد الرئيس عن المعايير الشخصية في توظيف أو ترقية الأشخاص إلى المناصب العليا، ثم يقول: ثم انظر في حال كُتابك، فول على أمورك خيرهم[١]. وليس أقربهم إلى قلبك وعائلتك، فلا مجال للروابط والعواطف فالمعيار هو الحق، وتتعلق هذه الميزة بخاصية أخرى هي الأمانة[٢].

٧ـ الضبط:

ففي كتاب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى الأشعث بن قيس يتبين هذا المفهوم: وإن عملك ليس لك بطعمة ولكنه في عنقك أمانة، وأنت مسترعٍ لمن فوقك[٣]، فقد اعتبر أمير المؤمنين العمل الإداري ـ في هذا النص ـ أمانة ويجب على المسؤول أن يرد هذه الأمانة كما هي وأن يحافظ عليها، وأنه مسؤول أمام الله على أدائها ومسؤول أيضًا أمام رئيسه (من فوقه) اعترافًا بأهمية التسلسل الوظيفي، وهذا عامل مهم من عوامل إيجاد الضبط الإداري الذاتي الذي يمنع مظاهر التسيب والانحراف[٤].

٨ـ المشاركة في صنع القرار:

إذا ما أعدنا قراءة النصوص عند أمير المؤمنين التي تحث على المشاورة لوجدنا أن الغاية من هذا الحث هو إيجاد مقدار من المشاركة في صنع القرار، وألاَّ ينفرد رجل واحد في صنع القرار سواء كان هذا الرجل قائدًا عسكريًّا أو ماليًّا، أو مديرًا أو مسؤولاً في أي ميدان من الميادين فالمشاركة في الرأي تؤدي إلى

---

(١) «نهج البلاغة» (ص ٦١٨).

(٢) «الإدارة والنظام الإداري» (ص٢٢٢).

(٣) «نهج البلاغة» (ص ٥٢٥).

(٤) «الإدارة والنظام الإداري» (ص ٢٢٣).

الصواب[١]؛ لأنها مشاركة جمع من العقول وإضافة آراء ذوي الخبرة والتجربة، فالقرار الذي يأتي عبر مناقشة مستفيضة تجتمع عليه الآراء فيكون أقرب إلى الصواب[٢]، أما نجاح العمل فالمشاورة تكفل هذا النجاح، يقول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: شاوروا فالنجاح في المشاورة[٣]، لم يحدد أمير المؤمنين كيفية وأسلوب المشاورة، بل وضع أمامنا قاعدة عامة وذكر لنا فوائد تطبيق هذه القاعدة، ولم يستثن ميدانًا من الميادين عن المشورة، وهذا يعني أنها ضرورية لكل عمل يقوم به الإنسان، وتشتد الضرورة عندما يكون هذا العمل مناطًا بمجموعة من الأشخاص وليس فردًا واحدًا، وإذا أمعنا النظر في هذا النص: صواب الرأي بإجالة الأفكار [٤]، لاتضح لنا أهمية المناقشات المستفيضة من ذوي الشأن للوصول إلى القرار الصائب[٥].

٩ ـ حسن الاختيار لدى الوالي والضمانات المادية والنفسية لموظفي الدولة:

إن حسن الاختيار يسد الطريق أمام المشاكل التي قد تطرأ نتيجة ضعف الموظف، أو عدم انسجامه مع الجو العام، وإذا ما أمعنا النظر في رسالة أمير المؤمنين علي لمالك ابن الأشتر النخعي لوجدنا الشروط المهمة التي يضعها أمامه عند اختياره لعماله: ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختبارًا، ولا تولهم محاباة وأثرة؛ فإنها جماع من شعب الجور والخيانة، وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة، والقدم في الإسلام المتقدمة فإنهم أكرم أخلاقًا، وأصح أغراضًا، وأقل في المطامع إسرافًا وأبلغ في عواقب الأمور نظرًا[٦]، فهذه شروط متعددة غير محصورة بالكفاءة اللازمة في العمل فقط، بل لابد من ملاحظة (العامل) من النواحي النفسية والاجتماعية أيضًا، حتى لا يأخذه الطموح ولا تتغير نواياه وأغراضه، كما لابد من ملاحظة سلوكه الاجتماعي وقدرته على التكيف في المحيط الاجتماعي الجديد، عند ذلك تبدأ مسؤولية التوالي: ثم أسبغ عليهم الأرزاق، فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك[٧]، فعندما تجتمع تلك

(١-٥) «الإدارة والنظام الإداري» (ص ٢٢٩). (٦-٧) «نهج البلاغة» (ص ٦١٦).

الخصال في فرد من الأفراد ثم يقابل بالمكافأة الجيدة؛ فإن ذلك مدعاة له لأن يستقيم في عمله ويواصل جهده لترقية الولاية أو المؤسسة. وفي مكان آخر يقول: وافسح له في البذل ما يزيل علته وتقل معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك[1]، وهذه عوامل تخص الموظفين الكبار تمنعهم من السقوط في طريق الرشوة أو شرائهم بالمال.

أ ـ البذل الواسع الذي يكفل جميع حاجاته حتى يشعر بالغنى.

ب ـ المنزلة المرموقة حتى يشعر بالأمن والطمأنينة على وظيفته وهذا ما يسمى بالأمن الوظيفي.

فماذا يريد الموظف بعد كل ذلك إذا كانت حياته مُؤَمَّنة، ووضعه الوظيفي مستقرًّا وهذه الضمانات لكبار موظفي الدولة يمكن إنزالها على الشركات الكبرى، والمؤسسات العملاقة وقادة الحركات الإسلامية، إنها كفالة كاملة تضمنها للموظف أفضل الأفكار الإدارية، فحتى الإدارة اليابانية لا تحيط الموظف بهذا الشكل من الرخاء الأمني والمعيشي، فالموظف يأخذ راتبًا معينًا، وقد يكون هذا الراتب غير كاف لتغطية جميع نفقاته، فماذا سيعمل حينذاك يا ترى؟ قد تدفعه الحاجة إلى أعمال مشينة مخلة بالأخلاق، لكن المنهاج الإداري لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه يجب أن يؤمن الموظف حتى يصل حد الغنى، أي لا يتم الاكتفاء بالراتب الشهري فقط، بل المعيار هو تأمين حاجاته، ومن ثم توفير الأمن الوظيفي له[2]، وأعطه من المنزلة ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك[3].

١٠ـ مرافقة ذوي الخبرات:

فذوو التجارب هم مصدر المعرفة الواقعية، ومن الطبيعي أن يستفيد المتعلم من أصحاب التجارب أكثر ممن يتلقى من أصحاب العلوم النظرية، وقد استفاد

---

(١) «شرح نهج البلاغة» (ص ٦١٥).

(٢) «الإدارة والنظام الإداري» (ص ٢٣١).

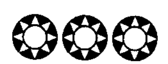
(٣) «شرح نهج البلاغة» (ص ٦١٥).

اليابانيون من هذه القاعدة عندما حولوا معاملهم إلى جامعات يستفيد منها العامل الجديد، فهو يتلقى الخبرة ممن سبقه، والذي سبقه ممن سبقه، وقد جاءت هذه القاعدة على لسان أمير المؤمنين: خير من شاورت ذوو النهى والعلم وأولو التجارب والحزم[١]، وأفضل من شاورت ذوو التجارب[٢]، ويقول في مصاحبة أصحاب العلم والتجربة: خير من صاحبت ذوو العلم والحلم[٣]، فهذه النصوص ما هي إلا قواعد غايتها إعداد الإنسان المسلم الناجح في الحياة ومن ثم بناء المجتمع المتصف بالتقدم والرقي المستمر[٤].

١١ـ الإدارة الأبوية:

الوالي هو أب قبل أن يكون صاحب سلطة، وهو يتعامل مع موظفيه على أنهم أبناؤه، فمثلما يتحمل الأب تربية أبنائه، كذلك يتحمل مسؤولية إعداد كبار موظفي الدولة، وهذا ما أخذت به التجربة اليابانية، والذي نجد له مصداقًا في قول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى مالك بن الأشتر فيوصيه بموظفيه: ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما[٥]، فيجب أن يتعامل المسؤول مع أفراده معاملة الوالد لولده، فيرعاه ويعفو عنه عندما يسيء، وعندما يعاقبه فعقوبته هي تربية له.

هذه بعض المفاهيم الإدارية عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.



(١، ٢) «الإدارة والنظام الإداري» (ص ٢٣٤).

(٣، ٤) «الإدارة والنظام الإداري» (ص ٢٣٥).

(٥) «نهج البلاغة» ص (٦١٢)، و«الإدارة والنظام الإداري» ص (٢٣٥).

الفصل السادس
معركتي الجمل وصفين وقضية التحكيم

قال الله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠].

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قيل للنبي ﷺ: لو أتيت عبد الله بن أبي، قال: فانطلق إليه. وركب حمارًا، وانطلق المسلمون وهي أرض سبخة[١]، فلما أتاه النبي ﷺ قال: إليك عنيّ، فو الله لقد أذاني نتن حمارك. قال: فقال رجل من الأنصار: والله، لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحًا منك. قال: فغضب لعبد الله رجل من قومه. قال: فغضب لكل واحد منهما أصحابه، قال: فكان بينهم ضرب بالجريد وبالأيدي وبالنعال. قال: فبلغنا أنها نزلت فيهم: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾[٢] [الحجرات: ٩]. وعن الحسن عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﷺ، قوله: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ فإن الله سبحانه أمر النبي ﷺ والمؤمنين إذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين أن يدعوهم إلى حكم الله، وينصف بعضهم من بعض، فإن أجابوا حكم فيهم بكتاب الله، حتى ينصف المظلوم من الظالم، فمن أبى منهم أن يجتنب فهو باغ، فحق على إمام المؤمنين أن يجاهدهم ويقاتلهم، حتى يفيؤوا إلى أمر الله، ويقروا بحكم الله[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ أي إذا

---

(١) أرض سبخة: هي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر.
(٢) «البخاري»، رقم (٢٦٩١)، و«مسلم» رقم (١٧٩٩).
(٣) «التفسير الصحيح»، لحكمت البشير (٤ / ٣٦٩).

تقاتل فريقان من المسلمين، فيجب على ولاة الأمور الإصلاح بالنصح، والدعوة إلى حكم الله والإرشاد وإزالة الشبه وأسباب الخلاف، والتعبير بإن للإشارة إلى أنه لا ينبغي أن يقع القتال بين المسلمين، وإنه إن وقع فإنه نادر قليل، والخطاب في الآية لولاة الأمور، والأمر فيها للوجوب[١]، وقد استدل البخاري وغيره بهذا على أن المعصية وإن عظمت لا تخرج من الإيمان، خلافًا للخوارج القائلين بأن مرتكب الكبيرة كافر وهو في النار، وثبت في صحيح البخاري عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يومًا، ومعه على المنبر الحسن بن علي رضي الله عنهما، فجعل ينظر إليه مرة، وإلى الناس أخرى، ويقول: «**إن ابني هذا سيّد، ولعل الله تعالى أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[٢]. فكان كما قال صلى الله عليه وسلم أصلح الله تعالى به بين أهل الشام وأهل العراق بعد الحروب التي وقعت بينهما[٣]. وفي قوله تعالى: ﴿**فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ**﴾ [الحجرات: ٩] أي فإن اعتدت وتجاوزت الحد إحدى الفئتين على الأخرى، ولم تذعن لحكم الله ولا للنصيحة، فعلى المسلمين أن يقاتلوا هذه الطائفة الباغية، حتى ترجع إلى حكم الله وما أمر به من عدم البغي، والقتال يكون بالسلاح وبغيره، ويفعل الوسيط ما يحقق المصلحة، وهي الفيئة، فإن تحقق المطلوب بما دون السلاح كان ذلك، وإن تعين السلاح وسيلة فعل حتى الفيئة وفي قوله تعالى: ﴿**فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ أي رجعت الفئة الباغية في بغيها، بعد القتال، ورضيت بأمر الله وحكمه، فعلى المسلمين أن يعدلوا بين الطائفتين في الحكم، ويتحروا الصواب المطابق لحكم الله، ويأخذوا على يد الطائفة الظالمة حتى تخرج من الظلم، وتؤدي ما يجب عليها للأخرى، حتى لا يتجدد القتال بينهما مرة أخرى، واعدلوا أيها الوسطاء في الحكم بينهما، إن الله يحب العادلين ويجازيهم أحسن الجزاء، وهذا أمر بالعدل في كل الأمور[٤]. قال صلى الله عليه وسلم: «**المقسطون عند الله**

---

(١) «التفسير المنير» للزحيلي (٢٦/ ٢٣٧).
(٢) «البخاري» رقم (٧١٠٩).
(٣) «تفسير المنير» (٢٦/ ٢٣٨).
(٤) المصدر نفسه (٢٦ / ٢٣٨).

تعالى يوم القيامة على منابر من نور، على يمين العرش، الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما ولُّوا»[1]، ثم أمر الله تعالى بالإصلاح في غير حال القتال ولو في أدنى اختلاف فقال: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ**﴾ [الحجرات: ٩] فهذه الآية أصل من الأصول التي تنظم علاقة المسلم بأخيه المسلم[2]، إن الله تعالى لم ينفِ صفة الإيمان عن إحدى الطائفتين أو كليهما مع وقوع القتال بينهما، وإن أولى الناس بالدخول تحت معنى هذه الآية هم سادات المؤمنين الصحابة الكرام رضي الله عنهم سواء ما وقع في معركة الجمل أو صفين، وقد قام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بتطبيق هذه الآية حرصًا على الإصلاح، وقد استجاب طلحة والزبير لذلك إلا أن أتباع عبد الله بن سبأ أنشبوا الحرب بين الطرفين، وسيأتي بيان ذلك في محله بإذن الله وحرص أمير المؤمنين على الإصلاح مع أهل الشام وبذل ما في وسعه من طرق سلمية، وجرّد سيفه بعد فشل كل المحاولات الإصلاحية لكي يفيء معاوية رضي الله عنه إلى السمع والطاعة، ووحدة الخلافة الإسلامية إلا أن معاوية اشترط تسليم قتلة عثمان رضي الله عنه، فاجتهد وأخطأ وكان الحق مع أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ووقع القتال.

وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ فأثبت الأخوة الإيمانية لجميع المتقاتلين من المسلمين ومن باب أولى ما وقع بين علي وطلحة والزبير رضي الله عنهم في الجمل، وما وقع مع معاوية رضي الله عنه في صفين. ومن هنا يظهر لنا أن المتقاتلين في الجمل وصفين مؤمنون ولا مجال للطعن في الصحابة بسبب هذه الحوادث التاريخية، أو محاولة نزع الإيمان عنهم أو نشر العبارات المنحرفة في حقهم، ويكفي في الرد على تلك المقولات الباطلة أن هذه الآيات أثبتت لهم أخوة الإيمان ويأتي بيان ما وقع بينهم بإذن الله تعالى بالتفصيل.

فقد ذكر تعالى أن المؤمنين إخوة في الدين، ويجمعهم أصل واحد وهو الإيمان، فيجب الإصلاح بين كل أخوين متنازعين، وزيادة في أمر العناية

---

(١) «مسلم».

(١) سورة الحجرات، د/ناصر العمر (ص ٣٠٥).

بالإصلاح بين الأخوين أمر الله تعالى بالتقوى، والمعنى: فأصلحوا بينهما، وليكن رائدكم في هذا الإصلاح وفي كل أموركم تقوى الله، وخشيته والخوف منه، بأن تلتزموا الحق والعدل، ولا تحيفوا ولا تميلوا لأحد الأخوين؛ فإنهم إخوانكم، والإسلام سوّى بين الجميع، فلا تفاضل بينهم ولا فوارق، ولعلكم ترحمون بسبب التقوى وهي التزام الأوامر واجتناب النواهي[١]. وقد جعلت الآية الكريمة: الإصلاح بين الإخوة وتقوى الله سبب نزول رحمة الله، تعظيمًا لأمر الإصلاح بين المسلمين[٢]. ويلاحظ أنه قال: «اتقوا الله» عند تخاصم رجلين، ولم يقل ذلك عند إصلاح الطائفتين؛ لأنه في حالة تخاصم الرجلين يخشى اتساع الخصومة، وأما في حال تخاصم الطائفتين فإن أثر الفتنة أو المفسدة عام شامل الكل[٣]، وكلمة (إنما) للحصر تفيد أنه لا أخوة إلا بين المؤمنين، ولا أخوة بين المؤمن والكافر؛ لأن الإسلام هو الرباط الجامع بين أتباعه، وتفيد أيضًا أن أمر الإصلاح ووجوبه إنما هو عند وجود الأخوة في الإسلام، لا بين الكفار، فإن كان الكافر ذميًّا أو مستأمنًا وجبت إعانته وحمايته ورفع الظلم عنه، كما تجب إعانة المسلم ونصرته مطلقًا إن كان خصمه حربيًّا[٤].

وقد قال ابن العربي: هذه الآية أصل في قتال المسلمين، والعمدة في حرب المتأولين، وعليها عوّل الصحابة، وإياها عنى النبي صلى الله عليه وسلم: «**تقتل عمارًا الفئة الباغية**». أي عمار ابن ياسر، والأمر بقتال البغاة فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، ولذلك تخلف قوم من الصحابة رضي الله عنهم عن هذا الأمر؛ كسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة رضي الله عنهم وغيرهم، اعتذر إليه كل واحد منهم بعذر قبله منهم[٥] أمير المؤمنين علي، وهناك كثير من

---

(١) «التفسير المنير» (٢٦ / ٢٣٩).

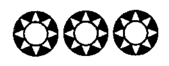
(٢) «منهج القرآن الكريم في إصلاح النفوس» للحريري ص(١٦).

(٣) «التفسير المنير» (٢٦ / ٢٣٩).

(٤) المصدر نفسه (٢٦ / ٢٤٠).

(٥) «التفسير المنير» (٢٦ / ٢٤٢)، و«أحكام القرآن» (٤/ ١٥٠).

الأحكام سوف نراها من خلال سرد الوقائع التي حدثت بين الصحابة - بإذن الله تعالى- ويعتبر نظام التحكيم وقتال الفئة الباغية حتى تفيئ إلى أمر الله، نظام له السبق من حيث الزمن على محاولات البشرية في هذا الطريق، وله الكمال والبراءة من العيب والنقص الواضحين في كل محاولات البشرية البائسة القاصرة، التي حاولتها في كل تجاربها الكسيحة، وله بعد هذا وذاك صفة النظافة والأمانة والعدل المطلق؛ لأن الاحتكام فيه إلى الأمر الذي لا يشوبه غرض ولا هوى ولا يتعلق به نقص أو قصور[1]. ولم تنته محاولات الإصلاح منذ اندلاع القتال، حتى توّج بالصلح العظيم الذي خطط له أمير المؤمنين الحسن ابن علي رضي الله عنه.



(١) «في ظلال القرآن» (٦ / ٣٣٤٤).

المبحث الأول
الأحداث التي سبقت معركة الجمل

كانت فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه سببًا في حدوث كثير من الفتن الأخرى، وألقت بظلالها على أحداث الفتن التي تلتها، وقد ساهمت أسباب عديدة في فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه، منها: الرخاء وأثره في المجتمع، طبيعة التحول الاجتماعي في عهده، مجيء عثمان بعد عمر رضي الله عنهما، وخروج كبار الصحابة من المدينة، العصبية الجاهلية، توقف الفتوحات، الورع الجاهل، طموح الطامحين، تآمر الحاقدين، التدبير المحكم لإثارة المآخذ ضد عثمان رضي الله عنه، استخدام الأساليب والوسائل المهيجة للناس، دور عبد الله بن سبأ في الفتنة وقد تمّ تفصيل تلك الأسباب في كتابي «تيسير الكريم المنّان في سيرة عثمان بن عفان»[1]، إن عثمان رضي الله عنه كان الناس يحبونه حبًّا عظيمًا؛ لحسن سياسته ولمكانته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحاديثه في الثناء عليه وزواجه من ابنتيه حتى سمي بذي النورين، فهو من الصحابة الكبار الذين بشروا بالجنة، ولقد تعرّض للظلم في حياته من بعض الغوغاء وكان في استطاعته أن يقضي عليهم، ولكنه امتنع خوفًا من أن يكون أول من يسفك الدماء في أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد كانت سياسته في التعامل مع الفتنة قائمة على الحلم والتأني والعدل، وقد منع الصحابة من قتال الغوغاء وأحب أن يقي المسلمين بنفسه ولذلك كان مقتله سببًا لحدوث كثير من الفتن الأخرى، التي ألقت بظلالها على الأحداث المتتالية من الفتن ولقد كان مقتله عظيمًا على المسلمين؛ ولذلك تصدع المجتمع الإسلامي لهذا الحادث الجلل، وانقسم الناس، ومما يزيد في مكانته وبراءته مما نسب إليه مواقف الصحابة من قتله، فقد أجمع الجميع على براءته واتفقوا على الأخذ بدمه إلا أن المواقف اختلفت في الكيفية وهذا ما سيأتي بيانه بإذن الله. ونحب أن نسلط الأضواء على دور عبد الله بن سبأ في الفتنة عمومًا:

---

(١) «عثمان بن عفان» للصَّلاّبيّ ص (٣١١ إلى ٣٤٠).

أولاً: أثر السبئية في إحداث الفتنة:

(١) السبئية حقيقة أم خيال: حقيقة عبد الله بن سبأ:

أجمع القدماء على وجوده بلا استثناء وخالف في ذلك قلة من المعاصرين أكثرهم من الشيعة، وحجة من أنكر: أنه من إبداع مخيلة سيف بن عمر التميمي وذلك لانتقاد بعض علماء الرجال له في مجال رواية الحديث، مع أن العلماء يعدونه حجة في الأخبار، علمًا بأنه وردت روايات كثيرة عند ابن عساكر تذكر مع عبد الله بن سبأ، ليس من بين رواتها سيف بن عمر، وقد حكم الألباني على بعضها بأنها صحيحة من حيث السند[١]، وهذا غير الروايات الكثيرة عن ابن سبأ في كتب الشيعة سواء في كتب الفرق، أو الرجال أو الحديث عندهم وليس فيها سيف هذا لا من قريب ولا من بعيد، وقد ابتدؤوا التشكيك في شخصية عبد الله بن سبأ[٢] ووجوده في محاولة منهم لنفي دور العنصر اليهودي الحاقد في زرع الفتنة بين المسلمين من جهة، ومن جهة أخرى يوجه الاتهام للصحابة بأنهم سبب الفتنة بغرض هدم النموذج السامي، والصور المشرقة لهم عند المسلمين وتابعهم على نفي وجود عبد الله بن سبأ بعض المعاصرين، كلهم من الشيعة الرافضة لغاية في نفوسهم وهي محاولتهم الفاشلة لتبرير أصل مذهبهم من مؤسسه الحقيقي، كما أجمع القدماء جمعيهم بما فيهم الشيعة.

وتجدر الإشارة إلى أن من أنكر عبد الله بن سبأ من المحسوبين على أهل السنة وهم ممن تأثروا وتتلمذوا على أيدي المستشرقين، فأين بلغ هؤلاء من قلة الحياء والجهل، وقد ملأت ترجمته كتب التاريخ والفرق، وتناقلت أفعاله الرواة وطبقت أخباره الآفاق، لقد اتفق المؤرخون والمحدثون وأصحاب كتب الفرق والملل والنحل، والطبقات والأدب والأنساب الذين تعرضوا للسبئية على وجود شخصية

---

(١) «دعاوى الإنقاذ للتاريخ الإسلامي»، للعودة، ذكر فيها الطرق التي ذكرها الألباني.

(٢) «تحقيق مواقف الصحابة» (١ / ٢٨٤) ذكر تفصيلاً مهمًّا، وكذلك «عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام»، للعودة.

عبد الله بن سبأ الذي ظهر في أخبار الفتنة، ودور ابن سبأ فيها لم يكن قاصرًا على تاريخ الإمام الطبري، واستنادًا على روايات سيف ابن عمر التميمي فيه، إنما هي أخبار منتشرة في روايات المتقدمين، وفي ثنايا الكتب التي رصدت أحداث التاريخ الإسلامي، آراء الفرق والنحل في تلك الفترة إلا أن ميزة تاريخ الإمام الطبري على غيره، أنه أغزرها مادة وأكثر تفصيلاً لا أكثر؛ ولهذا فإن التشكيك في هذه الأحداث بلا سند وبلا دليل بحجة عدم ذكر عبد الله بن سبأ، إلا من طريق سيف ابن عمر، حتى بعد ثبوت ذكره من الروايات الصحيحة ليس فيها سيف بن عمر كما أسلفنا. إنما يعني الهدم لكل تلك الأخبار، والتسفيه بأولئك المخبرين والعلماء وتزييف الحقائق التاريخية، فمتى كانت المنهجية ضربًا من ضروب الاستنتاج العقلي المحض في مقابل النصوص والروايات المتضافرة؟ وهل تكون المنهجية في الضرب صفحًا والإعراض عن المصادر الكثيرة المتقدمة والمتأخرة التي أثبتت لابن سبأ شخصية واقعية؟[1]، وقد جاء ذكر ابن سبأ في كتب أهل السنة كثيرًا منها:

جاء ذكر السبئية على لسان أعشى همدان[2] المتوفى عام ٨٣هـ، وقد هجى المختار ابن أبي عبيد الثقفي وأنصاره من أهل الكوفة بعدما فرّ مع أشراف قبائل الكوفة إلى البصرة بقوله:

شَهِدْتُ عَلَيْكُمْ أَنَّكُمْ سَبَئِيَّةٌ
وَأَنِّي بِكُمْ يَا شُرْطَةَ الكُفْرِ عَارِفُ[3]

وهناك رواية عن الشعبي المتوفى عام ١٠٣هـ (٧٢١م) تفيد أنه أول من كذب عبد الله ابن سبأ[4]، وتحدث ابن حبيب[5] المتوفى عام ٢٤٥هـ (٨٦٠م) عن ابن

(١) «دعاوى الإنقاذ للتاريخ الإسلامي» للعودة، و«تحقيق مواقف الصحابة» (١/ ٧٠).
(٢) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث الهمداني، المعروف بأعشى همدان.
(٣) «ديوان أعشى همدان» (ص ١٤٨).
(٤) «تاريخ دمشق»، لابن عساكر (٩/ ٣٣١).
(٥) «تاريخ بغداد» (٢/ ٢٧٧).

سبأ حينما اعتبره أحد أبناء الحبشيات[١]، وكما روى أبو عاصم خُشيش بن أصرم المتوفى سنة ٢٥٣هـ خبر إحراق علي رضي الله عنه لجماعة من أصحاب ابن سبأ في كتابه «الاستقامة»[٢]، ويعتبر الجاحظ[٣] المتوفى سنة ٢٥٥ هـ من أوائل من أشار إلى عبد الله بن سبأ[٤]، ولكن روايته ليست أقدم رواية عن ابن سبأ، كما يروي الدكتور جواد علي[٥] خبر إحراق علي ابن أبي طالب رضي الله عنه لطائفة من الزنادقة تكشف عنه الروايات الصحيحة في كتب الصحاح والسنن والمسانيد[٦]، ولفظ الزندقة ليس غريبًا عن عبد الله بن سبأ وطائفته، يقول ابن تيمية: إن مبدأ الرفض إنما كان من الزنديق عبد الله بن سبأ[٧]، ويقول الذهبي: عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة، ضال مضل[٨]، ويقول ابن حجر: عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة.. وله أتباع يقال لهم السبئية معتقدون الألوهية في علي بن أبي طالب، وقد أحرقهم علي بالنار في خلافته[٩]، ويوجد لابن سبأ ذكر في كتب الجرح والتعديل، يقول ابن حبان المتوفى ٣٥٤هـ وكان الكلبي - محمد بن السائب الأخباري - سبئيًّا، من أصحاب عبدالله ابن سبأ، من أولئك الذين يقولون: إن عليًّا لم يمت، وإنه راجع إلى الدنيا قبل الساعة. وإن رأوا سحابة قالوا: أمير المؤمنين فيها[١٠]. كما أن كتب الأنساب هي الأخرى تؤكد نسبة السبئية، إلى عبدالله بن سبأ - وهم الغلاة من الرافضة- أصله من اليمن، كان يهوديًّا وأظهر الإسلام[١١]، ولم يكن سيف بن عمر هو المصدر الوحيد لأخبار عبد الله ابن سبأ، إذ أورد ابن عساكر في تاريخه روايات لم يكن سيف فيها وهي تثبت ابن سبأ وتؤكد أخباره[١٢]، ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٢٨هـ أن

---

(١) «عبد الله بن سبأ» للعودة ص (٥٣)، و«المحبّر»، لابن حبيب ص(٣٠٨).
(٢) «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٥٥١)، و«شذرات الذهب» (٢/ ١٢٩).
(٣) «وفيات الأعيان» (٣ / ٤٧٠).
(٤) «البيان والتبيين» (٣/ ٨١).
(٥) «تحقيق مواقف الصحابة» (٨/ ٢٩٠).
(٦) «عبد الله بن سبأ» للعودة ص(٥٣).
(٧) «مجموع الفتاوى»(٢٨ / ٤٨٣).
(٨) «ميزان الاعتدال» للذهبي (٢/ ٤٢٦).
(٩) «لسان الميزان» لابن حجر (٣/ ٣٦٠).
(١٠) «المجروحين من المحدثين» لأبي حاتم (٢/ ٢٥٣).
(١١) «الأنساب» (٧/ ٢٤).
(١٢) «تحقيق مواقف الصحابة» (١/ ٢٩٨)، و«عبد الله بن سبأ» للعودة ص (٥٤).

أصل الرفض من المنافقين الزنادقة، فإنه ابتداع ابن سبأ الزنديق وأظهر الغلو في علي يدعو الإمامة والنص عليه، وادعى العصمة له[1]،ويذهب ويشير الشاطبي[2]، المتوفى عام ٧٩٠هـ إلى أن بدعة السبئية من البدع الاعتقادية المعلقة بوجود إله مع الله - تعالى- وهي بدعة تختلف عن غيرها من المقالات[3]، وفي خطط المقريزي المتوفى عام ٨٤٥هـ، أن عبد الله بن سبأ قام من زمن علي مُحدثًا القوم بالوصية والرجعة والتناسخ[4]، وأما المصادر الشيعية التي ذكرت ابن سبأ، فقد روى الكشي عن محمد بن قولوية، قال: حدثني سعد ابن عبد الله، قال: حدثني يعقوب بن يزيد، ومحمد بن عيسى، عن علي ابن مهزيار، عن فضالة بن أيوب الأزدي، عن أبان بن عثمان قال سمعت أبا عبدالله يقول: لعن الله عبد الله بن سبأ، إنه ادّعى الرّبوبية في أمير المؤمنين وكان والله أمير المؤمنين عبدًا طائعًا، الويل لمن كذب علينا، وإن قومًا يقولون فينا مالا نقول في أنفسنا نبرأ إلى الله منهم[5]، والرواية عند الشيعة من حيث السند صحيحه[6].

وفي كتاب «الخصال» أورد القمي الخبر نفسه، ولكنه موصولاً بسند آخر وأما صاحب «روضات الجنات» فقد ذكر ابن سبأ على لسان الصادق المصدوق الذي لعن ابن سبأ؛ لاتهامه بالكذب والتزوير وإذاعة الأسرار والتأويل[7]، وقد ذكر الدكتور سليمان العودة في كتابه مجموعة من النصوص التي تزخر بها كتب الشيعة ومروياتهم عن عبد الله بن سبأ، فهي أشبه ما تكون بوثائق مسجلة تدين من حاول من متأخري الشيعة إنكار عبد الله بن سبأ، أو التشكيك في أخباره، بحجة قلة، أو ضعف المصادر التي حكت أخباره[8].

إن شخصية ابن سبأ حقيقة تاريخية لا لبس فيها في المصادر السنية والشيعية

---

(١) «مجموعة الفتاوى» لابن تيمية (٤/ ٤٣٥).

(٢) إبراهيم بن موسى، محمد الغرناطي توفي عام ٧٩٠ هـ.

(٣) «الاعتصام» (٢/ ١٩٧).

(٤) «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» للمقريزي (٢/ ٢٥٦ - ٢٥٧).

(٥) «رجال الكشي» (١/ ٣٢٤).

(٦) «عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة للشيعة» لمحمد علي المعلم ص (٣٠).

(٧، ٨) «عبد الله بن سبأ»، لسليمان العودة ص (٦٢).

المتقدمة والمتأخرة على السواء، وهي كذلك أيضًا عند غالبية المستشرقين أمثال: يوليوس فلهاوزن(١)، وفان فولتن(٢)، وليفي ديلافيدا(٣)، وجولد تسهير(٤)، ورينولد نكلسن(٥)، وداويت رونلدس(٥) . . . إلخ، على حين يبقى ابن سبأ محل شك أو مجرد خرافة عند فئة قليلة من المستشرقين أمثال؛ كيتاني وبرنارد لويس(٧)، وفريد لندر المتأرجع(٨)، علمًا بأننا لا نعتد بهم في أحداث تاريخنا.

ومن استقرأ المصادر، سواء القديمة والمتأخرة، عند السنة والشيعة، يتأكد له أن وجود ابن سبأ كان وجودًا تؤكده الروايات التاريخية، وتفيض فيه كتب العقائد، وذكرته كتب الحديث، والرجال والأنساب، والأدب، واللغة، وسار على هذا النهج كثير من المحققين والباحثين المحدثين، يبدو أن أول من شكك في وجود ابن سبأ المستشرقين، ثم دعّم هذا الطرح الغالبية من الشيعة المعاصرين بل وأنكر بعضهم وجوده البتة، وبرز من الباحثين العرب المعاصرين من أعجب بآراء المستشرقين، ومن تأثر بكتابات الشيعة المحدثين، ولكن هؤلاء جميعًا ليس لهم ما يدعمون به شكهم وإنكارهم، إلا الشك ذاته والاستناد إلى مجرد الهوى والظنون والفرضيات(٩). ومن أراد التوسع في معرفة المراجع والمصادر السنية والشيعية والاستشراقية التي ذكرت ابن سبأ فليراجع، «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة» للدكتور محمد أمحزون، و«عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام»، للدكتور سليمان بن حمد العودة.

(٢) دور عبد الله بن سبأ في تحريك الفتنة:

في السنوات الأخيرة من خلافة عثمان ﷺ بدت في الأفق سمات

---

(١) «الخوارج والشيعة»، يوليوس فلهاوزن ص (١٧٠) .
(٢) «السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات» ص(٨٠) .
(٣) «تحقيق مواقف الصحابة» (١/ ٣٢١).
(٤) «العقيدة والشريعة الإسلامية»، جولد تسهير ص(٢٢٩) .
(٥) «تاريخ العرب الأدبي في الجاهلية» ص (٢٣٥) .
(٦) «عقائد الشيعة» ص (٥٨) .
(٧) «أصول الإسماعيلية» ص(٨٦) .
(٨) «تحقيق مواقف الصحابة» (١/ ٣١٢).
(٩) «تحقيق مواقف الصحابة» (١ / ٣١٢).

الاضطراب في المجتمع الإسلامي، نتيجة عوامل التغيير التي ذكرناها وأخذ بعض اليهود يتحينون فرصة الظهور، مستغلين عوامل الفتنة ومتظاهرين بالإسلام واستعمال التقية، ومن هؤلاء عبد الله بن سبأ الملقب بابن السوداء، وإذا كان ابن سبأ لا يجوز التهويل من شأنه كما فعل بعض المغالين في تضخيم دوره في الفتنة[1]؛ فإنه كذلك لا يجوز التشكيك فيه أو الاستهانة بالدور الذي لعبه في أحداث الفتنة، كعامل من عواملها، على أنه أبرزها وأخطرها؛ إذ أنّ هناك أجواء للفتنة مهدت له، وعوامل أخرى ساعدته، وغاية ما جاء به ابن سبأ آراء ومعتقدات، ادّعاها واخترعها من قبل نفسه وافتعلها من يهوديته الحاقدة، وجعل يروجها لغاية ينشدها وغرض يستهدفه، وهو الدّس في المجتمع الإسلامي بغية النيل من وحدته، وإذكاء نار الفتنة وغرس بذور الشقاق بين أفراده، فكان ذلك من جملة العوامل التي أدّت إلى قتل أمير المؤمنين عثمان ﷺ وتفرق الأمة شيعًا وأحزابًا[2]، وخلاصة ما جاء به أنه أتى بمقدمات صادقة وبنى عليها مبادئ فاسدة، راجت لدى السذج الغلاة وأصحاب الأهواء من الناس، وقد سلك في ذلك مسالك ملتوية لبّس فيها على من حوله حتى اجتمعوا عليه، فطرق باب القرآن بتأوّله على زعمه الفاسد حيث قال: لَعجَبٌ ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويُكذِّب بأن محمدًا يرجع، وقد قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ**﴾ [القصص:٨٥]. فمحمد أحق بالرجوع من عيسى[3]، كما سلك طريق القياس الفاسد من ادعاء إثبات الوصية لعلي ﷺ بقوله: إنه كان ألف نبي، ولكل نبي وصي، وكان علي ﷺ وصي محمد ﷺ ثم قال: محمد خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء[4]، وحينما استقر الأمر في نفوس أتباعه انتقل إلى هدفه المرسوم، وهو خروج الناس على الخليفة عثمان ﷺ، فصادف ذلك هوى في نفوس بعض القوم حيث قال لهم: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ﷺ ووثب على وصيّ رسول الله ﷺ وتناول أمر الأمة؟ ثم قال لهم بعد

---

(١) مثال: سعيد الأفغاني في كتابه « عائشة والسياسة ».

(٢) «تحقيق مواقف الصحابة» (١/ ٣٢٧).

(٣) «تاريخ الطبري» (٥/ ٣٤٧).

(٤) المصدر نفسه (٥/ ٣٤٧).

ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصيّ رسول الله ﷺ فانهضوا في هذا الأمر فحرّكوه، وأبدؤوا بالطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر[1]، وبث دعاته، وكاتب من كان استفسد في الأمصار وكاتبوه ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون، فيقرأه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة، وأوسعوا الأرض إذاعة، وهم يريدون غير ما يظهرون، ويسّرون غير ما يبدون، فيقول أهل كلِّ مصر: إنّا لفيّ عافية مما فيه الناس[2].

ويظهر في النص الأسلوب الذي اتبعه ابن سبأ، فهو أراد أن يوقع في أعين الناس بين اثنين من كبار الصحابة، حيث جعل أحدهما مهضوم الحق وهو علي، وجعل الثاني مغتصبًا وهو عثمان رضي الله عنهما، ثم حاول بعد ذلك أن يحرك الناس - خاصة في الكوفة - على أمرائهم باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فجعل هؤلاء يثورون لأصغر الحوادث على ولاتهم، علمًا بأنه ركّز في حملته هذه على الأعراب الذين وجد فيهم مادة ملائمة لتنفيذ خطته، فالقراء منهم استهواهم عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأصحاب المطامع منهم هيّج أنفسهم بالإشاعات المغرضة المفتراة على عثمان رضي الله عنه؛ مثل تحيُّزه لأقاربه وإغداق الأموال من بيت مال المسلمين عليهم، وإنه حمى الحمى لنفسه إلى غير ذلك من التهم والمطاعن التي حرّك بها نفوس الغوغاء ضد عثمان رضي الله عنه مع براءته، ثم إنه أخذ يحض أتباعه على إرسال الكتب بأخبار سيئة مفجعة عن مصرهم إلى بقية الأمصار، وهكذا يتخيل الناس في جميع الأمصار أن الحال بلغ من السوء ما لا مزيد عليه، والمستفيد من هذه الحال هم السبئية؛ لأن تصديق ذلك من الناس يفيدهم في إشعال شرارة الفتنة داخل المجتمع الإسلامي[3]، هذا وقد شعر عثمان

---

(١) «تاريخ الطبري» (٥/ ٣٤٨). (٢) «تاريخ الطبري» (٥/ ٣٤٨).

(٣) «الدولة الأموية»، ليوسف العشي ص(١٦٨)، و«مواقف الصحابة» (١/ ٣٣٠).

رضي الله عنه بأن شيئًا ما يحاك في الأمصار وأن الأمة تمخض بشر فقال: والله إن رحى الفتنة لدائرة، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها[١]، على أن المكان الذي رتع فيه ابن سبأ هو في مصر، وهناك أخذ ينظم حملته ضد عثمان رضي الله عنه، ويحث الناس على التوجه إلى المدينة لإثارة الفتنة بدعوى أن عثمان أخذ الخلافة بغير حق، ووثب على وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقصد[٢] عليًا رضي الله عنه، وقد غشَّهم بكتب ادّعى أنها وردت من كبار الصحابة، حتى إذا أتى هؤلاء الأعراب المدينة المنورة واجتمعوا بالصحابة لم يجدوا منهم تشجيعًا، حيث تبرَّؤوا مما نسب إليهم من رسائل تؤلب الناس على عثمان رضي الله عنه،[٣] ووجدوا عثمان مقدِّرًا للحقوق، بل وناظرهم فيما نسبوا إليه، وردّ عليهم افتراءهم وفسّر لهم صدق أعماله، حتى قال أحد زعمائهم وهو مالك ابن الأشتر النخعي: لعلَّه مُكر به وبكم[٤]، ويعتبر الذهبي أن عبد الله بن سبأ المهيّج للفتنة بمصر وباذر بذور الشقاق والنقمة على الولاة، ثم على أمير المؤمنين عثمان فيها[٥]، ولم يكن ابن سبأ وحده، وإنما كان عمله ضمن شبكة من المتآمرين وأخطبوط من أساليب الخداع والاحتيال والمكر وتجنيد الأعراب والقراء وغيرهم، ويروي ابن كثير أن من أسباب تألب الأحزاب على عثمان ظهور ابن سبأ، وذهابه إلى مصر وإذاعته بين الناس كلامًا اخترعه من عند نفسه، فافتتن به بشر كثير من أهل مصر[٦].

إن المشاهير من المؤرخين والعلماء من سلف الأمة وخلفها، يتفقون على أن ابن سبأ ظهر بين المسلمين بعقائد وأفكار وخطط سبئية؛ ليلفت المسلمين عن دينهم وطاعة إمامهم ويوقع بينهم الفرقة والخلاف، فاجتمع إليه من غوغاء الناس ما تكوّنت به الطائفة السبئية المعروفة التي كانت عاملاً من عوامل الفتنة، المنتهية

(١) «تاريخ الطبري» (٥/ ٢٥٠).

(٢) «تاريخ الطبري» (٥/ ٣٤٨)، و«تحقيق مواقف الصحابة» (١/ ٣٣٠).

(٣) «تاريخ الطبري» (٥/ ٣٤٨)، و«تحقيق مواقف الصحابة» (١/ ٣٣٠).

(٤) «تحقيق مواقف الصحابة» (١/ ٣٣١).

(٥) «تحقيق مواقف الصحابة» (١/ ٣٣٨).

(٦) «البداية والنهاية» (٧/ ١٦٧، ١٦٨).

بمقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وما ترتب على قتله من فتن كمعركة الجمل وصفين وغيرها، والذي يظهر من خطط السبئية أنها كانت أكثر تنظيمًا؛ إذ كانت بارعة في توجيه دعايتها ونشر أفكارها لامتلاكها ناصية الدعاية والتأثير بين الغوغاء والرعاع من الناس، كما كانت نشيطة في تكوين فروع لها سواء في البصرة أو الكوفة أم مصر، مستغلة العصبية القبلية، ومتمكنة من إثارة مكامن التذمر عند الأعراب والعبيد والموالي، عارفة بالمواضع الحساسة في حياتهم وبما يريدون[1].

ثانيًا: اختلاف الصحابة في الطريقة التي يأخذ بها القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه:

إن الخلاف الذي نشأ بين أمير المؤمنين علي من جهة، وبين طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم من جهة أخرى، ثم بعد ذلك بين علي ومعاوية رضي الله عنهما لم يكن سببه ومنشؤه أن هؤلاء كانوا يقدحون في خلافة أمير المؤمنين علي وإمامته، وأحقيته بالخلافة والولاية على المسلمين، فقد كان هذا محل إجماع بينهم .

قال ابن حزم: ولم ينكر معاوية قط فضل عليّ واستحقاقه الخلافة، ولكنّ اجتهاده أدّاه إلى أن رأى تقديم أخذ القود من قتلة عثمان رضي الله عنه على البيعة، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان[2].

وقال ابن تيمية: ومعاوية لم يدّع الخلافة، ولم يبايع له بها حين قاتل عليًّا، ولم يقاتل على أنه خليفة، ولا أنه يستحق الخلافة، ويقرون له بذلك، وقد كان معاوية يقُرّ بذلك لمن سأله عنه، ولا كان معاوية وأصحابه يرون أن يبتدئوا عليًّا وأصحابه بالقتال، ولا فعلوا[3]، وقال أيضًا: وكلّ فرقة من المتشيعين مقرّة مع ذلك بأنه ليس معاوية كفؤًا لعلي بالخلافة، ولا يكون خليفة مع إمكان استخلاف علي، فإنّ فضل عليّ وسابقته وعلمه ودينه وشجاعته، وسائر فضائله كانت عندهم ظاهرة معلومة كفضل إخوانه أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم[4].

---

(١) «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة» (١/ ٣٣٩).
(٢) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٤/ ١٦٠)
(٣) «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ٧٢).
(٤) «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ٧٢).

إن منشأ الخلاف لم يكن قدحًا في خلافة أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه ، وإنما اختلافهم في قضية الاقتصاص من قتلة عثمان ولم يكن خلافهم في أصل المسألة، وإنما كان في الطريقة التي تعالج بها هذه القضية؛ إذ كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه موافقًا من حيث المبدأ على وجوب الاقتصاص من قتلة عثمان، وإنما كان رأيه أن يرجئ الاقتصاص من هؤلاء إلى حين استقرار الأوضاع، وهدوء الأمور واجتماع الكلمة[1]، قال النووي: واعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة، فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام: قسم ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف، وأن مخالفه باغ، فوجب عليهم نصرته، وقتال الباغي عليه فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك، ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده، وقسم عكس هؤلاء: ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر، فوجب عليهم مساعدتهم وقتال الباغي عليه، وقسم ثالث: اشتبهت عليهم القضية، وتحيروا فيها، ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين، وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم؛ لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك، ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين، وأن الحق معه، لما جاز لهم التأخر عن نصرته في قتال البغاة عليه[2].

ثالثًا: موقف المطالبين بدم عثمان كطلحة والزبير وعائشة ومعاوية ومن كان على رأيهم:

١- السيدة عائشة أم المؤمنين:

لما سمعت السيدة عائشة رضي الله عنها بموت عثمان في طريق عودتها من مكة إلى المدينة رجعت إلى مكة ودخلت المسجد الحرام، وقصدت الحجر فتستَّرت فيه، واجتمع الناس إليها فقالت: أيها الناس إن الغوغاء من أهل الأمصار، وأهل المياه،

---

(١) «أحداث وأحاديث فتنة الهرج» ص (١٥٨) . .

(٢) «شرح النووي على صحيح مسلم »(١٥/ ١٤٩).

وعبيد أهل المدينة اجتمعوا، فقد عاب الغوغاء على هذا المقتول بالأمس الإِرب[١]، واستعمال من حدثت سنُّه، وقد استعمل أسنانهم قبله، ومواضع من الحمى حماها لهم، وهي أمور قد سبق بها لا يصلح غيرها، فتابعهم، ونزع لهم عنها استصلاحًا لهم، فلما لم يجدوا حجة ولا غدرًا خلجوا[٢]، وبادروا بالعدوان، نبا فعلهم عن قولهم، فسفكوا الدم الحرام، واستحلوا البلد الحرام، وأخذوا المال الحرام، واستحلوا الشهر الحرام، والله لإصبع عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم، فنجاة[٣] من اجتماعكم عليهم حتى يَنْكل بهم غيرهم[٤]، ويشرِّد[٥] من بعدهم، ووالله لو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنبًا نخلُص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه؛ إذ ماصوه كما يماص الثوب بالماء[٦].

وجاء في رواية أن عائشة ﵂ حين انصرفت راجعة إلى مكة أتاها عبد الله ابن عامر الحضرمي - أمير مكة - فقال لها: ما ردّك يا أم المؤمنين؟ قالت: ردني أن عثمان قُتل مظلومًا، وأن الأمر لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمر، فاطلبوا بدم عثمان تعزوا الإسلام[٧]، وقد ثبت بالنصوص الصحيحة الصريحة ثناء السيدة عائشة على عثمان، ولعنها لمن قتله، وروت في حقه أحاديث عن رسول الله في فضائله، فعن فاطمة بنت عبد الرحمن اليشكرية عن أمها، أنها سألت عائشة، عندما أرسلها عمّها فقال: إن أحد بنيك يقرئك السلام ويسألك عن عثمان ابن عفان، فإن الناس قد أكثروا فيه، فقال: لعن الله من لعنه، فوالله لقد كان قاعدًا عند نبي الله ، وإن رسول الله ﷺ مسند ظهره إليّ، وإن جبريل ﵇ ليوحي إليه القرآن وإنه ليقول: «**اكتب عثمان**»، فما كان الله لينزل تلك المنزلة إلا كريمًا على الله ورسوله[٨].

---

(١) الإرب: الحاجة والدهاء والفطنة والعقل .

(٢) خلجوا: تحركوا واضطربوا .

(٣) نجاة: اطلبوا النجاة باجتماعكم عليهم .

(٤) ينكل بهم غيرهم: حتى يروعهم ويروع بهم غيرهم .

(٥) يشّرد: يفرق ويبدد جمعهم .

(٦) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٧٣، ٤٧٤).

(٧) « تاريخ الطبري» (٥/ ٤٧٥).

(٨) «المسند» (٦/ ٢٥٠-٢٦٠)، و«تحقيق مواقف الصحابة» (١/ ٣٧٨).

وعن مسروق عن عائشة قالت -حين قُتل عثمان-: تركتموه كالثوب النقي من الدنس، ثم قربتموه تذبحونه كما يذبح الكبش، فقال لها مسروق: هذا عملك، أنت كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج إليه، قالت عائشة: لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت إليهم بسوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا[1]، وقد مر معنا كذب السبئيين في كتابي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأنهم كتبوا رسائل لأهل الأمصار ونسبوها كذبًا وزورًا للسيدة عائشة رضي الله عنها وقد جاءت رواية موضوعة، وضعيفة أسانيدها واهية من رواية الكذابين، وللأسف اتبعها بعض المعاصرين وراجت عليهم هذه الأكاذيب؛ صورت العلاقة بين عائشة وعثمان رضي الله عنهما على صورة مناقضة تمامًا للروايات الصحيحة السالفة الذكر، وزعمت تلك الروايات الكاذبة بأن السيدة عائشة رضي الله عنها ألبت على عثمان رضي الله عنه وقالت بوجود خلاف بينهما، ونسبت إليها الاشتراك شبه الفعلي في قتله ونقل ذلك الطبري، ونقل عن الطبري الكثير من المؤرخين وإليك مثال على ذلك: ما ذكره الطبري، قال: كتب إلي عليّ بن أحمد بن الحسن العجلي، أن الحسين بن نصر العطار، قال: حدثنا سيف بن عمر، عن محمد بن نويره، وطلحة بن الأعلم الحنفي قال: وحدثنا عمر ابن سعد، عن أسد بن عبدالله، عمن أدرك من أهل العلم، أن عائشة رضي الله عنها لما انتهت إلى سرف[2] راجعة إلى مكة، لقيها عبد ابن أم كلاب -وهو عبد بن أبي سلمة، ينسب لأمه- فقالت له: ما الأمر؟، قال: قتلوا عثمان بن عفان رضي الله عنه، فمكثوا ثمانيًا، قالت: ثم صنعوا ماذا؟، قال: أخذها أهل المدينة بالاجتماع، فجازت بهم الأمور إلى خير مجاز، اجتمعوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه. فقالت: ردُّوني، ردوني والله ليت أن هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك. فانصرفت إلى مكة وهي تقول: قتل والله عثمان مظلومًا، والله لأطلبن بدمه، فقال لها: ابن أم كلاب: ولم؟! فوالله إن أول من أمال حرفه لأنت ولقد كنت تقولين: اقتلوا نعثلاً[3] فقد كفر. قالت:

---

(١) «فتنة مقتل عثمان» (١/ ٣٩١)، و«تاريخ خليفة» ص (١٧٦)، وإسناده صحيح إلى عائشة.

(٢) سرف: مكان بين مكة والمدينة على ستة أميال من مكة.

(٣) نعثل: رجل من أهل مصر كثيف شعر اللحية كان يشبه عثمان.

إنهم استتابوه ثم قتلوه، وقد قلت، وقالوا، وقولي الأخير خير من قولي الأول، فقال لها ابن أم كلاب:

فَمِنْكِ البَداءُ ومِنْكِ الغِيَرُ
وَمِنْكِ الرِّيَاحُ وَمِنْكِ المَطَرُ
وأنْتِ أَمَرْتِ بِقَتْلِ الإِمَام
وقُلْتِ لَنَا: إِنَّهُ قَدْ كَفَرْ

فانصرفت إلى مكة فنزلت على باب المسجد فقصدت للحجر، فَتَستَّرتْ واجتمع إليها الناس، فقالت: إن عثمان قُتل مظلومًا، ووالله لأطلبن بدمه[1].

رويت هذه الرواية كما رأينا من طريقين عند الطبري: ويكفي أن في رجال الإسناد نصر بن مزاحم العطار المجروح في كتب الرجال بالصفات الآتية: شيعي، منكر، تركوه، جلد[2]، وأما الطريق الثاني ففي إسناده عمر بن سعد وهو قائد السرية الذين قاتلوا الحسين رضي الله عنه، وهو عند رجال الحديث لا يصح حديثه، متهم بالوضع متروك[3] فالرواية غير مقبولة الإسناد في أي من طريقي روايتها[4]، وقد جاءت روايات في كتب التاريخ والأدب ضعيفة وموضوعة لا تثبت أمام النقد العلمي سارت على النهج المظلم في تشويه السيدة عائشة رضي الله عنها[5].

إن الروايات التي جاءت في العقد الفريد وفي كتاب الأغاني، وتاريخ اليعقوبي، وتاريخ المسعودي، وأنساب الأشراف وغيرها من الكتب، وما انتهت إليه من استدلالات في شأن الدور السياسي للسيدة عائشة رضي الله عنها في حياة عثمان ابن عفان رضي الله عنه؛ لا يعتد بها لمخالفتها للروايات الصحيحة وقيامها على روايات

---

(١) "تاريخ الطبري" (٥/ ٤٨٥).
(٢) "المغني في الضعفاء (٢/ ٦٩٦)، و"ميزان الاعتدال" (٧/ ٢٤) و"التاريخ الكبير" (٨/ ١٠٥).
(٣) "سير أعلام النبلاء" (٤/ ٣٤٩)، و"الطبقات" (٥/ ١٦٨).
(٤) "دور المرأة السياسي في عهد النبي ﷺ والخلفاء" ص (٣٥٤).
(٥) "دور المرأة السياسي في عهد النبي ﷺ والخلفاء" ص (٣٥٢).

واهية، فأغلبها روايات غير مسندة- والمسند مجروح الإسناد لا يحتج بروايته- هذا إلى فساد متونها إذا ما قورنت بالروايات الأخرى الأكثر صحة وقربًا للحقيقة[١].

وقد قامت السيدة الفاضلة والباحثة القديرة أسماء محمد أحمد زيادة، بدراسة الأسانيد والمتون للروايات التي تحدثت عن الدور السياسي للسيدة عائشة في أحداث الفتنة، ونقدت الروايات القائلة بالخلاف السياسي بين عائشة وعثمان عند الطبري وغيره وبينت زيفها وكذبها، ثم قالت: وكان الأحرى بنا أن نعرض عن ذكرها جميعًا؛ لعدم وصولها إلينا عن طريق معتمد، بل الطرق التي وصلت منها رُمي أصحابها بالتشيع والكذب والرفض، ولكننا عرضنا لها؛ لشيوعها في أغلب الدراسات الحديثة، وللتدليل على سقوطها، فهي روايات - كما اتضح لنا- حاولت خلق تاريخ لا وجود له أصلاً من الخلاف والتنكر بين عثمان وعائشة وبين عثمان والصحابة جميعًا[٢]، ولو صح أن عائشة اتفقت مع المتمردين على التحريض على عثمان رضي الله عنه، لكان من المتوقع أن يكون عندها نوع من التماس العذر لهؤلاء المتمردين، لكن لم يصح عنها رضي الله عنها شيء من هذا، وإنه لو صح شيء من هذه الروايات في وصف موقف السيدة عائشة رضي الله عنها، والصحابة الذين اشتركوا معها، وهو مالا نقبل به للخبر الصادق عن الله ورسوله في تقرير عدالتهم التي كانت كافية لدحض هذه الروايات، لكننا توقفنا أمام الروايات؛ تأكيدًا منا على سقوط هذه الروايات ومن بعدها الاستدلالات القائمة عليها، حتى تجتمع الأدلة الدينية، والعلمية، والتاريخية في صعيد واحد يؤكد بعضها[٣] بعضًا، إن الاتهامات التي وجهت إلى السيدة عائشة لا تثبت سندًا ولا تقوم أمام الأدلة العقلية أيضًا.

٢- طلحة والزبير رضي الله عنهما:

طلب طلحة والزبير ومن معهم من الصحابة من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه تعجيل إقامة القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه، فقال لهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: يا إخوتاه إني لست أجهل ما تعلمون، ولكني كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا

(١، ٢) «دور المرأة السياسي» ص (٢٧٠).

(٣) المصدر نفسه ص(٣٧١).

تملكهم؟ هاهم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم، وثاب إليهم أعرابكم، وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤوا، فهل ترون موضعًا لقدرة على شيء مما تريدون؟. قالوا: لا، قال: فلا والله لا أرى إلا رأيًا ترونه إن شاء الله، إن هذا الأمر أمر جاهلية، إن لهؤلاء القوم مادة، وذلك أن الشيطان لم يشرَع شريعة قط فيبرح الأرض من أخذ بها أبدًا. إن الناس من هذا الأمر إن حُرِّك على أمور: فرقة ترى ما ترون، وفرقة ترى ما لا ترون، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها، وتؤخذ الحقوق فاهدؤوا عني وانظروا ماذا يأتيكم ثم عودوا[١]. ولكن هذه السياسة الحكيمة، لم يتفهم بها بعضهم فالناس في حال غضبهم، وسيرهم وراء عواطفهم لا يدركون الأمور إدراكًا واقعيًّا يمكنهم من التقدير الصحيح، فتنعكس في تقديرهم الأوضاع ويظنون المستحيل ممكنًا، ولذلك قالوا: نقضي الذي علينا ولا نؤخره[٢]، وهم يعنون الطلب لإقامة الحدود على قتلة عثمان[٣]، وأخبر علي بمقالتهم، فرغب أن يريهم أنه لا يستطيع وإياهم أن يفعلوا شيئًا في مثل تلك الظروف فنادى: برئت الذمة من عبد لم يرجع إلى مواليه، فتذامرت السبئية والأعراب وقالوا: لنا غدًا مثلها ولا نستطيع أن نحتجّ فيهم بشيء[٤].

وكأن رواد الفتنة من السبئية تبادر إلى أذهانهم، أن الخليفة يريد أن يجرّدهم من أعوانهم الذين يشدّون أزرهم ويقضون إلى جوارهم، فعصوا ذلك الأمر وحرّضوا الأعراب على البقاء فأطاعوهم وبقوا في أماكنهم، ففي اليوم الثالث بعد البيعة خرج عليّ وقال لهم: أخرجوا عنكم الأعراب، وقال: يا معشر الأعراب الحقوا بمياهكم: فأبت السبئية وأطاعهم الأعراب، ثم دخل بيته ودخل عليه طلحة والزبير في عدة من أصحاب النبي ﷺ فقال: دونكم ثأركم، فقالوا: عشوا عن ذلك[٥]، فقال لهم علي: هم والله بعد اليوم أعشى وآبى، ثم أنشد يقول:

(١، ٢) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٦٠).
(٣) «الدور السياسي» ص (٣٧٨).
(٤) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٦٠).
(٥) عشوا: عشًا: ساء بصره، وهنا لم يروا.

لَوْ أَنَّ قَوْمِي طَاوَعَتْنِي سُرَاتُهُمْ
أَمَرْتُهُمْ أَمْرًا يُدِيخُ الأَعَادِيَا [1]

حتى هذه اللحظة فإن عليًّا وطلحة والزبير والصحابة جميعًا رضي الله عنهم، كانوا يبدون متفقين تمامًا على ضرورة إقامة الحدود على من فرقوا أمر الجماعة وخالفوا وقتلوا الخليفة؛ دفعًا لضررهم على الدين كله، وكانوا متعاونين في ذلك، وكان الأمر يبدو منطقيًّا تمامًا من علي رضي الله عنه واتفق معه الصحابة في ذلك، ولكن كيف يصنعون لهؤلاء الغوغاء الذين تحكموا في الأمور، وحركوا معهم العبيد والأعراب؟ وهم بين أهل المدينة يسومونهم ما شاؤوا، لم تكن هناك إذن قدرة على قتالهم[2]، وتقدم طلحة والزبير بمقترح لعلي لمواجهة السبئية الموجودة حول علي، فقد قال طلحة لعلي: دعني آت البصرة فلا يفجؤك إلا وأنا في خيل، وقال الزبير: دعني آت الكوفة فلا يفجؤك إلا وأنا في خيل[3]، ولكن عليًّا رضي الله عنه نراه يتريث ويقول لهما: حتى أنظر في ذلك[4]. ولعل عليًّا كان يخشى الفتنة وتحول الأمر إلى حرب أهلية داخل المدينة لا تحمد عقباها، ولذلك لم يجب طلحة والزبير إلى مطلبهما[5]، وكان اقتراح الزبير وطلحة على علي دليلاً على اقتناعهما في الوقت نفسه بما قال علي رضي الله عنه من كون هؤلاء الغوغاء متغلغلين في داخل الصف يملكون المسلمين ولا يملكهم المسلمون، فحاولا بهذا الطلب اختصار وقت تعطيل حد من الحدود وتقوية جانب علي حتى يتمكن من إقامتها، على أن الصحابة قد انتظروا أن ينظر عليٌّ في ذلك، لكن عليًّا رضي الله عنه كان يرى أن هذا الأمر الذي وقع لا يُدرك إلا بإماتته، وإنها فتنة من النار كلما سُعِّرت ازدادت واستنارت[6]، ولما رأى الزبير وطلحة ومن وافقهما من الصحابة أن أربعة أشهر قد مرت على مقتل عثمان، ولم يستطيع علي أن يقيم القصاص على قتلة عثمان بسبب أن الخارجين على عثمان لهم شوكة وقوة وتغلغل في جيش علي، عندئذ

(١) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٦١).
(٢) «فتح الباري» (١٢/ ٣٦٠).
(٣، ٤) «تاريخ الطبري» (٥/ ٣٦١).
(٥) «تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ١٠٨).
(٦) «تاريخ الطبري» (٥/ ٣٦٧)، و «دور المرأة السياسي» ص(٣٨٠).

قال طلحة والزبير لعلي: ائذن لنا أن نخرج من المدينة، فإما أن نكابر[1] وإما أن تدعنا، فقال: سأمسك الأمر ما استمسك، فإذا لم أجد بُدًّا فآخر الدواء الكي[2]، فقد كان عليّ رضي الله عنه يعرف أن خروجهما من المدينة كان محاولة منهما للوصول إلى حل؛ فلم يمنعهما من ذلك، ربما لأنه كان يتمنى الوصول إلى حل أيضًا، بل كان يحاوله ولكن بطريقته الخاصة[3]، وقد خاض بعض الباحثين المعاصرين في تفسير النص المتعلق باستئذان طلحة والزبير في الذهاب للبصرة والكوفة والمجيء بخيل من هناك لدحر الغوغاء، وامتناع علي عن الموافقة، فخاضوا بالباطل، وقالوا: إنه تخوف جانب الرجلين ويخشى أن يعيداها عليه جذعة ويستنا به سنة أهل مصر بعثمان يكون له معهما يوم كيوم الدار[4]، وتفسير كهذا تحميل للنص فوق ما يتحمل[5]، وفيه ظلم وتجاوز في حق صفوة الصحابة.

لقد ذهب الزبير وطلحة رضي الله عنهما إلى مكة والتقوا بكم غفير من المسلمين المطالبين بالقصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه، وسوف يأتي الحديث عن ذلك بالتفصيل بإذن الله.

٣- معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه:

شاع بين الناس قديمًا وحديثًا أن الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما كان سببه طمع معاوية في الخلافة، وأن خروج هذا الأخير على عليّ وامتناعه عن بيعته كان بسبب عزله عن ولاية الشام، فقد جاء في كتاب «الإمامة والسياسة» المنسوب لابن قتيبة الدينوري[6] رواية تذكر أنّ معاوية ادّعى الخلافة، وذلك من خلال الرواية التي ورد فيها ما قاله ابن الكواء لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: اعلم أن معاوية طليق الإسلام، وأن أباه رأس الأحزاب، وأنه ادعى الخلافة من غير مشورة فإن صدقك

---

(١) نكابر: نجاحد ونغالب على الأمر.

(٢) «تاريخ الطبري» (٥/٣٦٨)، و«دور المرأة السياسي» ص (٣٨٠).

(٣) «دور المرأة السياسي» ص (٣٨٠، ٣٨١). (٤) «الخلفاء الراشدون» ص (٣٧٢).

(٥) «خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه»، لعبد الحميد علي (ص ١١٨).

(٦) هذا الكتاب لا يثبت لابن قتيبة وإنما كاتبه رافضي محترق وسيأتي الحديث عنه في نهاية هذا الفصل.

فقد حلّ خلعه، وإن كذبك فقد حرم عليك كلامه[١]، وهذا كلام لا يثبت عن أمير المؤمنين علي وإنما من كلام الروافض وسيأتي الحديث عن كتاب «الإمامة والسياسة» وبيان كذبه وزوره ودوره في تشويه حقائق التاريخ في موضعه بإذن الله، وقد امتلأت كتب التاريخ والأدب بالروايات الموضوعة والضعيفة التي تزعم أن معاوية اختلف مع علي من أجل الملك والزعامة والإمارة[٢]. والصحيح أن الخلاف بين عليّ ومعاوية رضي الله عنهما كان حول مدى وجوب بيعة معاوية وأصحابه لعلي قبل توقيع القصاص على قتلة عثمان أو بعده، وليس هذا من أمر الخلافة في شيء، فقد كان رأي معاوية رضي الله عنه ومن حوله من أهل الشام أن يقتص عليّ رضي الله عنه من قتلة عثمان، ثم يدخلون بعد ذلك في البيعة،[٣] ويقول القاضي ابن العربي أن سبب القتال بين أهل الشام وأهل العراق يرجع إلى تباين المواقف بينهما: فهؤلاء - أي أهل العراق - يدعون إلى عليّ بالبيعة وتأليف الكلمة على الإمام، وهؤلاء - أي أهل الشام - يدعون إلى التمكين من قتلة عثمان ويقولون: لا نبايع من يأوي القتلة[٤]، ويقول إمام الحرمين الجويني في «لمع الأدلّة»: إن معاوية وإن قاتل عليًّا، فإنه لا ينكر إمامته ولا يدّعيها لنفسه؛ وإنما كان يطلب قتلة عثمان ظانًّا منه أنه مصيب، وكان مخطئًا[٥]. ويقول الهيثمي: ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة أنّ ما جرى بين معاوية وعليّ رضي الله عنهما من الحروب، لم يكن لمنازعة معاوية لعليّ في الخلافة للإجماع على أحقيتها لعليّ، فلم تهج الفتنة بسببها، وإنما هاجت بسبب أن معاوية ابن عمّه فامتنع علي[٦]، لقد تضافرت الروايات وأشارت إلى أنّ معاوية رضي الله عنه اتخذ موقفه للمطالبة بدم عثمان، وأنه صرح بدخوله في طاعة علي رضي الله عنه إذا أقيم الحدّ على قتلة عثمان.

---

(١) «الإمامة والسياسة» (١/ ١١٣).
(٢) «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة» (٢/ ١٤٥).
(٣) «البداية والنهاية» (٨/ ١٢٩)، و«فتح الباري» (١٣/ ٩٢).
(٤) «العواصم من القواصم» ص (١٦٢).
(٥) «لمع الأدلة في عقائد أهل السنة والجماعة» ص (١١٥).
(٦) «الصواعق المحرقة» (٢/ ٦٢٢)، وهذا اجتهاد معاوية وإن كان الصواب هو أن يسلم معاوية ويطالب بالدعوة للقصاص.

ولو افترض أنه اتخذ قضية القصاص والثأر لعثمان ذريعة لقتال علي طمعًا في السلطان ، فماذا سيحدث لو تمكن علي من إقامة الحد على قتلة عثمان؟ حتمًا ستكون النتيجة خضوع معاوية لعلي ومبايعته له؛ لأنه التزم بذلك في موقفه من تلك الفتنة ، كما أن كل من حارب معه كانوا يقاتلون على أساس إقامة الحد على قتلة عثمان ، على أن معاوية إذا كان يخفي في نفسه شيئًا آخر لم يعلن عنه ، سيكون هذا الموقف بالتالي مغامرة ، ولا يمكن أن يقدم عليها إذا كان ذا أطماع[1] . إن معاوية ﷺ كان من كتّاب الوحي ، ومن أفاضل الصحابة ، وأصدقهم لهجة ، وأكثرهم حلمًا ، فكيف يعتقد أن يقاتل الخليفة الشرعي ويهرق دماء المسلمين من أجل مُلْك زائل؟ وهو القائل : والله لا أخير بين أمرين ، بين الله وبين غيره إلا اخترت الله على ما سواه[2] ، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال فيه : «**اللهم اجعله هاديًا مهديًّا واهد به**»[3] ، وقال : «**اللهم علمه الكتاب وقه العذاب**»[4] . أما وجه الخطأ في موقفه من مقتل عثمان ﷺ ، فيظهر في رفضه أن يبايع لعليّ ﷺ قبل مبادرته إلى الاقتصاص من قتلة عثمان ، ويضاف إلى ذلك خوف معاوية على نفسه لمواقفه السابقة من هؤلاء الغوغاء ، وحرصهم على قتله بل ويلتمس منه أن يمكنه منهم ، مع العلم أن الطالب للدم لا يصح أن يحكم ، بل يدخل في الطاعة ، ويرفع دعواه إلى الحاكم ، ويطلب الحق عنده[5] ، وقد اتفق أئمة الفتوى على أنه لا يجوز لأحد أن يقتصّ من أحد ويأخذ حقه دون السلطان ، أو من نصبه السلطان لهذا الأمر؛ لأن ذلك يفضي إلى الفتنة وإشاعة الفوضى[6] . ويمكن القول : إن معاوية ﷺ كان مجتهدًا متأولاً يغلب ظنه أن الحق معه ، فقد قام خطيبًا في أهل الشام بعد أن جمعهم وذكّرهم أنه ولي عثمان - ابن عمه - وقد قتل مظلومًا ، وقرأ عليهم الآية الكريمة : ﴿**وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا**﴾ [الإسراء:٣٣]. ثم

---

(١) «تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ١٥٠) .
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٥١) .
(٣) «صحيح سنن الترمذي» للألباني رقم (٣٠١٨) (٣/ ٢٣٦) .
(٤) «فضائل الصحابة» (٢/ ٩١٣) وإسناده حسن .
(٥) «تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ١٥١) .
(٦) «تفسير القرطبي» (٢/ ٢٥٦) .

قال: أنا أحب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان، فقام أهل الشام جميعهم وأجابوا إلى الطلب بدم عثمان، وبايعوه على ذلك، وأعطوه العهود والمواثيق على أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم حتى يدركوا ثأرهم أو يفني الله أرواحهم[١]. وإذا قارنّا بين طلحة والزبير رضي الله عنهما ومعاوية، لاحظنا أن طلحة والزبير رضي الله عنهما أقرب إلى الصواب من معاوية رضي الله عنه من أربعة أوجه كان أولها: مبايعتهما لعليّ رضي الله عنه طائعين مع اعترافهما بفضله، ومعاوية لم يبايعه وإن كان معترفًا بفضله[٢]. والثاني: منزلتهما في الإسلام وعند المسلمين وسابقتهما على معاوية لاشك دونهما فيها[٣]. الثالث: أنهما أرادا قتل الخوارج على عثمان فقط ولم يتعمدا محاربة علي ومن معه في وقعة الجمل[٤]، بينما أصر معاوية على حرب عليّ ومن معه في صفين[٥] والرابع: لم يتهما عليًّا بالهوادة في أخذ القصاص من قتلة عثمان، ومعاوية ومن معه اتهموه بذلك[٦].

رابعًا: موقف معتزلي الفتنة:

اعتمد كثير من الصحابة ممن اعتزلوا الفتنة رضي الله عنهم على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«ستكونُ فِتَنٌ، القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تَشَرَّفَ لها تَسْتَشْرِفْهُ، فمن وَجَدَ منها ملجأ أو معاذًا فَلْيَعُذْ به»**[٧]. قال ابن حجر: ففي الحديث تحذير من الفتنة والحث على اجتناب الدخول فيها، وأن شرها يكون بحسب التعلق بها[٨]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إنها ستكون فتنة، يكون المضطجعُ فيها خيرًا من الجالس، والجالسُ فيها خيرًا من القائم، والقائمُ خيرًا من الماشي، والماشي خيرًا من الساعي»**، قالوا: يا رسول الله، ما تأمرنا؟ قال:

(١) «صفين» لابن مزاحم ص (٣٢)، و«تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ١٥٢).
(٢) «البداية والنهاية» (٨/ ١٢٩)، و«فتح الباري» (١٣/ ٩٢).
(٣) كان طلحة والزبير رضي الله عنهما من العشرة المبشرين بالجنة.
(٤) «تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ١١٣)، و«تاريخ الطبري» (٥/ ٤٧٥).
(٥) «تاريخ الطبري» (٥/ ٦١٢-٦١٥).
(٦) «تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ١٣٩)، و«البداية والنهاية» (٧/ ٢٥٩).
(٧) «البخاري»، كتاب الفتن رقم (٧٠٨١).
(٨) «الفتح» (١٣/ ٣١).

«فن كانت له إبل فليلحق بإبله، وفن كانت له غنم فليلحق بغنمه، وفن كانت له أرض فليلحق بأرضه»، قالوا: فمن لم يكن له شيء فن ذلك؟ قال: «يعمد إلى سيفه فيضرب بحدّه على حرّة، ثم ليَنْجُ فا استطاع النجاء»[1]. وقال رسول الله ﷺ: «يوشك أن يكون خير فال المسلم غنم، يتبع بها شَعَفَ الجبالِ وفواقعَ القطر، يَفِرُّ بدينه فن الفتن»[2]، وغير ذلك فن الأحاديث التي تدعو صراحة إلى النهي عن الدخول في قتال الفتنة.

قال الجويني: قد صار طوائف فن جلة أصحاب رسول الله إلى التخلف عن القتال في زفن علي رضي الله عنه وإيثار السكون، والركون إلى السلام والتباعد عن فلتطم الغوائل؛ فنهم سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل[3]، وكانا فن العشرة المبشرين بالجنة، وممن تخلف أولاً أبو فوسى الأشعري، وعبد الله بن عمر، وأسافة بن زيد، وأبو أيوب الأنصاري رضي الله عنهم، وتبع هؤلاء أمم فن الصحابة ولم يشتد نكير علي عليهم[4]. وقد ذهب ابن حجر -رحمه الله- إلى أن الصحابة الذين اعتزلوا كانوا قلة، قال: وفن ثم كان الذين توقفوا عن القتال في الجمل وصفين أقل عددٍ فن الذين قاتلوا، وكلهم فتأول فأجور إن شاء الله بخلاف فن جاء بعدهم ممن قاتل على طلب الدنيا[5]، وقال ابن تيمية: وأكثر أكابر الصحابة لم يقاتلوا، لا فن هذا الجانب، ولا فن هذا الجانب، واستدل التاركون للقتال بالنصوص الكثيرة عن النبي ﷺ في ترك القتال في الفتنة، وبينوا أن هذا قتال فتنة[6]. وقد ذهب الإفام القرطبي إلى أن العلة في توقف الصحابة عن المشاركة في القتال فع الإفام علي، هو أن قتال الفئة الباغية فرض كفاية وليس فرض عين، فلذلك تخلف أفثال سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، وفحمد بن فسلمة وغيرهم[7]، وإليك طرفًا فن أقوال الصحابة الذين اعتزلوا الفتنة:

---

(١) «فسلم»، كتاب الفتن وأشراط الساعة.
(٢) «البخاري»، كتاب الفتن رقم (٧٠٨٨).
(٣) فن العشرة المبشرين بالجنة توفي ٥١هـ، و«تهذيب التهذيب» (٤/ ٣٠).
(٤) «غياث الأمم في تياث الظلم» ص (٨٥- ٨٦).
(٥) «فتح الباري» (١٣/ ٣٤).
(٦) «فجموع الفتاوى» (٣٥/ ٥٥).
(٧) «تفسير القرطبي» (١٦/ ٣١٩).

١ - سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

كان سعد رضي الله عنه أفضل الصحابة بعد علي رضي الله عنه يوم صفين ولما قيل لسعد بن أبي وقاص: ألا تقاتل؟ إنك من أهل الشورى، وأنت أحق بهذا الأمر من غيرك، قال: لا أقاتل حتى يأتوني بسيف له عينان ولسان وشفتان يعرف المؤمن من الكافر، فقد جاهدت وأنا أعرف الجهاد[١]. وأخرج مسلم من حديث عامر قال: كان سعد بن أبي وقاص في إبله فجاءه ابنه عمر، فلمّا رآه قال: أعوذ بالله من شر هذا الرّاكب. فنزل فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك، وتركت النّاس يتنازعون المُلك بينهم؟ فضرب سعد في صدره فقال: اسكت. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **«إن الله يحب العبد التقي النقي الخفي»**[٢].

٢ - محمد بن مسلمة:

عن الحسن أن عليًّا بعث إلى محمد بن مسلمة فجيء به فقال: ما خلفك عن هذا الأمر؟ قال: دفع إليَّ ابن عمك - يعني النبي صلى الله عليه وسلم - سيفًا فقال: **«قاتل به ما قوتل العدو، فإذا رأيت الناس يقتل بعضهم بعضًا، فاعمد به إلى صخرة، فاضربه بها، ثم الزم بيتك، حتى تأتيك مَنِيَّةٌ قَاضِيةٌ، أَو يَدٌ خَاطِئَة»**، قال: خلوا عنه[٣].

٣ - أبو موسى الأشعري:

عن زيد بن وهب قال: . . . جاءنا قتل عثمان، فجزع النّاس من ذلك، فخرجت إلى صاحب لي كنت أستريح إليه، فقلت: قد منع الناس ما ترى، وفينا رهط من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فاذهب بنا إليهم، فدخلنا على أبي موسى، وهو أمير الكوفة، فكان قوله نهيًا عن الفتنة والأمر بالجلوس في البيوت[٤]، وأخرج الطبري في قصة قدوم ابن عبّاس والأشتر إلى الكوفة

---

(١) «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٩٩) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. (٢) «مسلم» (٤/ ٢٢٤٤).

(٣) «مسند أحمد» (٤/ ٢٢٥) وفيه انقطاع وله طريق آخر رواه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ١٧٧-١٧٨). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٠١): رجاله ثقات.

(٤) «تاريخ ابن عساكر» (ص ٤٨٧ - ٤٨٨).

لاستنفار الناس : إنّ أبا موسى قام - وكان يومها أميرًا على الكوفة - فدعا الناس إلى لزوم البيوت ، ووضع السيوف في أغمادها ، وكان مما قاله يومئذ : . . فإنها فتنة صمّاء ، النّائم فيها خير من اليقظان ، واليقظان فيها خير من القاعد ، والقاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، فلا تكونوا جرثومة من جراثيم العرب ، فاغمدوا السيوف ، وانصلوا الأسنّة واقطعوا الأوتار ، وأووا المظلوم المضطهد ، حتى يلتئم الأمر وتنجلي هذه الفتنة[١] . وقال أيضًا : إنّ الفتنة إذا أقبلت شبهت وإذا أدبرت تبيّنت ، وإن هذه الفتنة باقرة كداء البطن ، تجري بها الشمال والجنوب والصّبا والدبور ، فتسكن أحيانًا ، فلا يدري من أين يؤتى ، تذر الحليم كابن أمس ، شيموا سيوفكم ، وقصّوا رماحكم ، وأرسلوا سهامكم ، واقطعوا أوتاركم ، والزموا بيوتكم ،[٢] وكان أبو موسى يستدل لموقفه بما رواه عن رسول الله ﷺ من النّهي عن الدخول في الفتنة والأمر بتكسير القسي ، وتقطيع الأوتار ، وضرب السيوف بالحجارة ، والرضا بمنزلة ابن آدم المقتول[٣] ، فعن أبي موسى الأشعري ، أن رسول الله ﷺ قال : «**إن بين يدي الساعة فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنًا، ويمسى كافرًا، ويُمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، القاعد فيها خير من القائم، والماشي فيها خير من الساعي، فكَسِّروا قوْسَكم، وَقَطِّعُوا أوتاركم، واضربوا بسيوفكم الحجارة، فإن دخل** - يعني : على أحد منكم - **فيكن كخير ابْنَيْ آدم**»[٤] .

٤ - عبد الله بن عمر :

قالت عائشة رضي الله عنها : ما أعلم رجلاً سلمه الله من أمور الناس واستقام على طريقة من كان قبله استقامة عبد الله بن عمر[٥]، وعن سعيد بن جبير قال :

(١) «تاريخ الطبري» (٥/ ٥١٣) جراثيم العرب : أصل العرب .
(٢) «تاريخ الطبري» (٥/ ٥١٥)، باقرة : مفرقة، الصبا : الريح الشرقية .
(٣) «أحداث وأحاديث فتنة الهرج» ص (١٨١)
(٥) «سنن الترمذي» (٣/ ٣٣٢) وقال الترمذي : حديث حسن غريب .
(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (٨/ ٢٥٩).

خرج علينا عبد الله بن عمر، فرجونا أن يحدّثنا حديثًا حسنًا، قال: فبادرنا إليه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن حدّثنا عن القتال في الفتنة، والله يقول: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة:١٩٣]. فقال: هل تدري ما الفتنة ثكلتك أمّك؟ إنّما كان محمد ﷺ يقاتل المشركين، وكان الدّخول في دينهم فتنة، وليس كقتالكم على المُلك[١]، وعن نافع أن رجلاً قال لابن عمر: يا أبا عبد الرحمن، ألا تسمع قوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات:٩].

فقال: لأن أعتبر بهذه الآية فلا أقاتل، أحبّ إليّ من أن أعتبر بالآية التي يقول فيها: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ [النساء:٩٢] ألا ترى أن الله يقول: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣]. قد فعلنا على عهد رسول الله ﷺ إذ كان الإسلام قليلاً، وكان الرّجل يفتن في دينه، إمّا أن يقتلوه، وإمّا أن يسترقوه، حتى كثر الإسلام، فلم تكن[٢] فتنة، وقد ورد أن أمير المؤمنين علي حمد لابن عمر، وسعد بن أبي وقاص هذه المنزلة التي ارتضياها، إذ قال: لله در مقام قامه سعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن عمر، إن كان برًّا إنّ أجره لعظيم، وإن كان إثمًا إنّ خطأه[٣] ليسير، وفي رواية: لله درّ منزل نزله سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر، والله إن كان ذنبًا إنه لصغير مغفور، ولئن كان حسنًا إنّه لعظيم مشكور[٤]، وقال الخطابي: وكان ابن عمر من أشدّ الصحابة حذرًا من الوقوع في الفتن وأكثرهم تحذيرًا للنّاس من الدّخول فيها، وبقي إلى أيّام فتنة ابن الزّبير فلم يقاتل معه، ولم يدافع عنه، إلا أنه كان يشهد الصّلاة معه، فإذا فاتته صلاّها مع الحجّاج، وكان يقول: إذا دعونا إلى الله أجبناهم، وإذا دعونا إلى الشّيطان تركناهم[٥]. قال ابن تيمية: ومن حين مات عثمان رضي الله عنه تفرق النّاس، وعبد الله بن عمر الرجل الصّالح لحق بمكّه، ولم يزل معتزل الفتنة، حتى اجتمع

(١) «البخاري»، كتاب الفتن (٨/ ٩٥).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٢٨ - ٢٢٩).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٤٤٠).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١/ ١١٩ - ١٢٠)، و«مجمع الزوائد» (٧/ ٢٤٦).

(٥) «العزلة» للخطابي ص (٢٠، ٢١).

الناس على معاوية ﷺ، مع محبّته لعليّ، ورؤيته له أنّه هو المستحق للخلافة، وتعظيمًا له، وموالاته له، وذمّه لمن يطعن عليه، ولكن كان لا يرى الدّخول في القتال بين المسلمين، ولم يمتنع عن موافقة علي إلا في القتال[١].

٥ - سلمة بن الأكوع:

لما قُتل عُثمان بن عفان ﷺ خرج سلمة بن الأكوع إلى الرّبذة وتزوج هناك امرأة، وولدت له أولادًا، فلم يزل بها حتى أقبل قبل أن يموت بليالٍ فنزل المدينة[٢].

٦ - عمران بن حصين:

قال عنه الذهبي: كان ممن اعتزل الفتنة ولم يقاتل مع علي[٣]، وعن حميد بن هلال قال: لما هاجت الفتن، قال عمران بن حصين لحجير بن الربيع العدوي: اذهب إلى قومك فانههم عن الفتنة. قال: إني لمغمور فيهم وما أطاع، فأبلغهم عنّي وانههم عنها. قال: وسمعت عمران يقسم بالله: لأن أكون عبدًا حبشيًّا أسود في أعنز حصبات، في رأس جبل أرعاهنّ حتّى يدركني أجلي أحبّ إليّ أن أرمي أحد الصفّين بسهم أخطأت أم أصبت[٤].

٧ - سعيد بن العاص الأموي:

قال الذهبي: وقد اعتزل الفتنة فأحسن ولم يقاتل مع معاوية ولما صفا الأمر لمعاوية وفد سعيد إليه، فاحترمه وأجازه بمال جزيل[٥]، وقال ابن كثير: فلما مات عثمان اعتزل الفتنة، فلم يشهد الجمل ولا صفين، فلما استقر الأمر لمعاوية وفد إليه[٦]، ولم يعتزل سعيد وحده بل تابعه قوم، اعتزلوا باعتزاله، حتى مضت الجمل وصفين[٧].

---

(١) «منهاج السنة» (٦/ ٢٨٥).

(٢) «البخاري»، كتاب الفتن (٦/ ٢٨٥).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٥٠٩).

(٤) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/ ١٠)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٠٥) رجاله رجال الصحيح.

(٥) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٤٤٦).

(٦) «البداية والنهاية» (٨/ ٩١).

(٧) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٤٤٦).

٨ - أسامة بن زيد:

قال الذهبي: انتفع أسامة من قول النبي ﷺ؛ إذ يقول له: «**كيف تصنع بلا إله إلا الله يا أسامة؟**»، فكف يده، ولزم منزله، فأحسن[١]. ويريد الذهبي بذلك ما رواه أسامة بن زيد حيث قال: بعثني رسول الله ﷺ في سرية، فاستبقنا أنا ورجل من الأنصار إلى العدو، فحملت على رجل، فلما دنوت منه كبّر، وطعنته فقتلته، ورأينا إنما فعل ذلك ليحرز دمه، وذكر الحديث، فقال يعني النبي ﷺ: «**يا أسامة أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟**» فقلنا: يا رسول الله، إنما قالها تعوُّذًا من القتل. قال: «**أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟**» فما زال يردِّدها[٢]، حتى قال أسامة: لوددت أنَّ ما مضى من إسلامي لم يكن، وإني أسلمت يومئذ، ولم أقتله ثم قال: إني أعطي الله عهدًا، ألا أقتل رجلاً يقول: لا إله إلا الله، أبدًا. فقال النبي ﷺ: «**بعدي يا أسامة؟**» قال: بعدك[٣].

وعن حرملة، أنه قال: أرسلني أسامة إلى علي وقال: إنه سيسألك الآن، فيقول ما خلف صاحبك؟ فقل له: يقول لك: لو كنت في شدق الأسد، لأحببت أن أكون معك فيه، ولكن هذا أمر[٤] لم أره، قال ابن حجر: فاعتذر بأنه لم يتخلف ضنًّا منه بنفسه عن علي، ولا كراهة له، وإنه لو كان في أشد الأماكن هولاً لأحب أن يكون معه فيه ويواسيه بنفسه، ولكنه إنما تخلف لأجل كراهيته لقتال المسلمين[٥]، وفي رواية أخرى عند الذهبي، عن الزهري قال: لقي علي أسامة بن زيد، فقال: ما كنا نعدك إلا من أنفسنا يا أسامة، فلم لا تدخل معنا؟ قال: يا أبا الحسن إنك والله لو أخذت بمشفر الأسد، لأخذت بالمشفر الآخر معك، حتى نهلك جميعًا أو نحيا جميعًا، فأما هذا الأمر الذي أنت فيه، فو الله لا أدخل فيه أبدًا[٦].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٥٠٠- ٥٠١).
(٢) «مسلم» رقم (٩٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ١١٦).
(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٥٠٥) إسناد رجاله ثقات.
(٤) «البخاري»، كتاب الفتن (٨/ ٦١-٦٧).
(٥) «فتح الباري» (١٣/ ٦٧).
(٦) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٥٠٤).

٩ - عبد الله بن عمرو بن العاص:

فقد ورد عنه أنه لما سُئل عن خروجه مع معاوية وأبيه إلى صفين، أنه لم يخرج لقتال وإنما خرج طاعة لأبيه، فعن حنظلة بن خويلد العنبري، قال: بينما أنا عند معاوية؛ إذ جاءه رجلان يختصمان في رأس عمار، فقال كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال عبد الله ابن عمرو: ليطب به أحدكما نفسًا لصاحبه، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تقتله الفئة الباغية**»، فقال معاوية: يا عمرو، ألا تغني عنا مجنونك، فما بالك معنا؟ قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله ﷺ فقال: «**أطع أباك ما دام حيًّا**»، فأنا معكم ولست أقاتل،[(١)] وورد ما يدل على ندمه على حضوره صفين، فقد أخرج ابن سعد بسنده عن ابن أبي مليكة،[(٢)] قال: قال عبدالله بن عمرو: مالي ولصفين، مالي ولقتال المسلمين لوددت أني مت قبلها بعشر سنين، أما والله على ذلك ما ضربت بسيفٍ، ولا رميت بسهم[(٣)].

١٠ - صهيب بن سنان الرومي:

قال الذهبي: وكان ممن اعتزل الفتنة وأقبل على شأنه[(٤)]، وعن جعفر بن برقان، أن ميمون بن مهران ذكر أصناف الناس واختلافهم في أمر عثمان وطلحة والزبير ومعاوية وكان مما قاله: وأما من لزم، فمنهم سعد بن أبي وقاص، وأبو أيوب الأنصاري، وعبدالله بن عمر، وأسامة بن زيد، وحبيب بن سلمه الفهري، وصهيب بن سنان، ومحمد بن مسلمة رضي الله عنهم في أكثر من عشرة آلاف من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان، قالوا جميعًا: نتولى عثمان وعليًّا، ولا نتبرأ منهما، ونشهد عليهما وعلى شيعتهما بالإيمان ونرجو لهم، ونخاف عليهم[(٥)].

---

(١) «مسند أحمد» (٢/ ١٦٤) ، وإسناده صحيح، و«تهذيب التهذيب» (٣/ ٥٢).

(٢) أبو بكر عبد الله التميمي روى عن العبادلة الأربعة، « تهذيب التهذيب» (٥/ ٢٦٨).

(٣) «طبقات ابن سعد» (٤/ ٢٦٦) رجاله ثقات .

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٨).

(٥) «دول الإسلام »(١/ ٢٩)، و«تاريخ دمشق» ص (٥٠٣، ٥٠٥) .

١١ - أبو أيوب الأنصاري:

أخرج ابن أبي شيبة في المصنف، وخليفة بن خياط في تاريخه، وابن سعد في الطبقات عن شعبة قال: سألت الحكم: هل حضر أبو أيوب صفين؟ قال: لا، ولكن شهد يوم النهر موقعة النهروان[١].

١٢ - أبو هريرة:

فقد ورد أنه لم يشارك في الجمل ولا صفين وهو أحد رواة أحاديث النهي عن الدخول في الفتنة فقد قال: قال رسول الله ﷺ: **«ستكون فتنٌ القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ فيها خَيْرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، ومن تَشَرَّفَ لها تَسْتشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذًا فَلْيَعُذْ به»**[٢].

١٣ - عبد الله بن سعد بن أبي السرح:

قال الذهبي: ولي مصر لعثمان رضي الله عنه، وقيل: شهد صفين، والظاهر أنه اعتزل الفتنة وانزوى إلى الرملة[٣].

هذا غيض من فيض وقليل من كثير من أقوال الصحابة الذين اعتزلوا الفتنة، فلم يشاركوا فيها، بل إن بعضهم كان يحذّر غيره من المشاركة، وهو اقتناع تكوّن لديهم، من خلال الأحاديث التي رووها، والتي فيها النّهي عن الدّخول في الفتن التي تقع بين المسلمين، وقد فرّق هؤلاء الصحابة بين قتال الخوارج والقتال في الجمل وصفين، فقد شارك بعضهم في قتال الخوارج كأبي برزة وأبي أيوب الأنصاري، وهما ممن اعتزل الفتنة بين المسلمين في الجمل وصفين، وأيضًا فإن هؤلاء الصحابة الذين اعتزلوا سرعان ما بايعوا معاوية، بعد أن تنازل له الحسن ابن علي رضي الله عنه عن الخلافة واجتمعت عليه كلمة الأمّة. وقال ابن حجر: وبايع

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/٣٠٣)، و«تاريخ خليفة» ص(١٩٦)، و«الطبقات» (٣/٢٤٩).
(٢) «مسلم»، كتاب الفتن (٤/٢٢١١-٢٢١٢).
(٣) «سير أعلام النبلاء» (٣/٣٣).

معاوية كل من كان معتزلاً للقتال كابن عمر، وسعد بن أبي وقاص، ومحمد ابن مسلمة[١].

إن الذي نفهمه من خلال هذه النصوص التي أوردناها: أن علّة كفّ هؤلاء الصّحابة عن الدّخول مع أحد الطّرفين، قد يكون لأن الأمور كانت مشتبهة عليهم - كما قال النووي - فلم يتبينوا المحق من المُبطل، كما يظهر من كلام سعد بن أبي وقاص ﷺ، وقد يكون أنّهم لم يكونوا يرون أن القتال هو الحلّ الوحيد لهذه المشكلة؛ لأن الصلح خير، ومن الصلح أن يتم التنازل عن بعض الحق، جمعًا لكلمة المسلمين، ولعلنا نلمح من كلام أسامة ﷺ شيئًا من هذا التوجيه، فقد اعتذر لأمير المؤمنين علي بأنه لا يرى القتال معه في هذا السّبيل، رغم اعترافه بإمامته وفضله[٢].

وقد تحدث العلماء في أعذار المعتزلين:

أ - قال القرطبي: وقيل: من توقف من الصحابة حملوا الأحاديث الواردة بالكف على عمومها، فاجتنبوا ما وقع بين الصحابة من الخلاف والقتال[٣].

ب - قال ابن حزم: وأما من وقف فلا حجة له أكثر من أنه لم يتبين له الحق، ومن لم يتبين له الحق فلا سبيل إلى مناظرته بأكثر من أن نبين له وجه الحق حتى يراه[٤].

جـ - وقال ابن حجر: والحق حمل عمل كل أحد من الصحابة المذكورين على السداد، فمن لابس القتال اتضح له الدليل؛ لثبوت الأمر بقتال الفئة الباغية، وكانت له القدرة على ذلك، ومن قعد لم يتضح له أي الفئتين هي الباغية، وإذا لم يكن له القدرة على القتال. وقد وقع لخزيمة بن ثابت أنه كان مع علي ﷺ، وكان مع ذلك لا يقاتل، فلما قتل عمار قاتل حينئذ، وحدث بحديث، **«يقتل عمارًا الفئة الباغية»** أخرجه أحمد وغيره[٥].

(١، ٢) «أحداث وأحاديث فتنة الهرج» ص (٢١٢) لعبد العزيز دخان.
(٣) «التذكرة»(٢/ ٢٢٣).
(٤) «الفصل» (٣/ ٧٨).
(٥) «فتح الباري» (١٣/ ٤٦).

د - وقال الجصاص: فإن قيل: قد جلس عن علي جماعة من أصحاب النبي ﷺ، منهم سعد، ومحمد بن مسلمة، وأسامة بن زيد، وابن عمر، قيل له: لم يقعدوا عنه؛ لأنهم لم يروا قتال الفئة الباغية، وجائز أن يكون قعودهم عنه؛ لأنهم رأوا الإمام مكتفيًا بمن معه، مستغنيًا عنهم بأصحابه، فاستجازوا القعود عنه لذلك، ألا ترى أنهم قعدوا عن قتال الخوارج؟ لا على أنهم لم يروا قتالهم واجبًا، ولكن لما وجدوا من كفاهم قتل الخوارج استغنوا عن مباشرة القتال[1].

خامسًا: موقف المتريثين في تنفيذ القصاص حتى تستقر الأحوال كأمير المؤمنين علي، ومن معه:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ينتظر حتى يستتب له الأمر، ثم ينظر في شأن قتلة عثمان، فحين طالب الزبير وطلحة ومن معهم بإقامة حد القصاص عليهم اعتذر لهم بأنهم كثير، وأنهم قوة لا يستهان بها، وطلب منهم أن يصبروا حتى تستقر الأوضاع وتهدأ الأمور، فتؤخذ الحقوق؛ لأن الظروف لم تكن مواتية من جلب المصالح، وقد ألمح أمير المؤمنين علي رضي الله عنه. إلى اختيار أهون الشَّرين حين قال: هذا الذي ندعوكم إليه من إقرار هؤلاء القوم - قتلة عثمان - وهو خير من شر منه ، القتال والفرقة[2]، لقد رأى أمير المؤمنين أن المصلحة تقتضي تأخير القصاص لا تركه فأخر القصاص من أجل هذا، وهذا فيه اقتداء بالنبي ﷺ في حادثة الإفك، وذلك أنه تكلم في عائشة رضي الله عنها مجموعة من الناس وكان الذي تولى كِبرَهُ عبد الله بن أبي بن سلول، فصعد النبي ﷺ وقال: «**من يعذرني في رجل وصل أذاه إلى أهلي؟**» يعني عبد الله بن أبي بن سلول، فقام سعد بن معاذ وقال: أنا أعذرك منه يا رسول الله، إن كان منا معشر الأوس قتلناه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا بقتله، فقام سعد بن عبادة فرد على سعد بن معاذ، وقام أسيد بن حضير فرد على سعد بن عبادة فصار النبي ﷺ يخفضهم[3]،

(١) «أحكام القرآن» (٥/ ٢٨١).

(٢) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٦٠).

(٣) «البخاري»، كتاب المغازي رقم (٤١٤١).

عَلِم أن الأمر عظيم؛ ذلك لأن قبل مجيء النبي ﷺ إلى المدينة كان الأوس والخزرج قد اتفقوا على أن يجعلوا عبد الله ابن أبي بن سلول ملكًا عليهم، فهو له عندهم منزلة عظيمة، وهو الذي رجع بثلث الجيش في معركة أُحُد. والنبي ﷺ هنا ترك إقامة الحد على عبد الله بن أبي بن سلول لماذا؟ للمصلحة والمفسدة؛ إذ رأى أن جلده أعظم مفسدة من تركه، وكذلك أمير المؤمنين علي ﷺ رأى أن تأخير القصاص أقل مفسدة من تعجيله؛ لأن عليًّا ﷺ لا يستطيع أن يقتل قتلة عثمان أصلاً؛ لأن لهم قبائل تدافع عنهم، والأمن غير مستتب، وما زالت فتنة، ومن يقول: إنهم لن يقتلوا عليًّا ﷺ؟ وقد قتلوه بعد ذلك[١].

كان أمير المؤمنين علي ﷺ ينتظر بقتلة عثمان ﷺ أن يستوثق الأمن وتجتمع الكلمة ويرفع الطلب من أولياء الدم، فيحضر الطالب للدم والمطلوب، وتقع الدعوة ويكون الجواب، وتقوم البيّنة ويجري القضاء في مجلس الحكم[٢]، ولا خلاف بين الأمة في أنه يجوز للإمام تأخير القصاص إذا أدّى ذلك إلى إثارة الفتنة وتشتيت الكلمة[٣]، وأما ما أثير عن وجود قتلة عثمان في جيش أمير المؤمنين علي ﷺ وكيف يرضى أن يكون هؤلاء في جيشه؟، فقد أجاب الإمام الطحاوي عن هذه الشبهة بقوله: وكان في عسكر علّي ﷺ من أولئك الطغاة الخوارج الذين قتلوا عثمان من لم يُعرف بعينه ومن تنتصر له قبيلته، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله، ومن في قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره كله[٤]. وعلى كل حال، كان موقفه منهم موقف المحتاط منهم، المتبرئ من فعلهم، وكان راغبًا في الاستغناء عنهم بل الاقتصاص منهم، لو وجد إلى ذلك سبيلاً وتجلى هذا في أمرين:

١ - موقفه من قتلة عثمان رضي الله عنه:

لقد أنكر علي ﷺ قتل عثمان ﷺ وتبرأ من دمه، وكان يقسم على ذلك في خطبه وغيرها أنه لم يقتله ولا أمر بقتله ولا مالأ ولا رضي، وقد ثبت ذلك

---

(١) «حقبة من التاريخ» ص (١٠٢).
(٢) «تحقيق مواقف الصحابة» (٢/١٥٦).
(٣) «أحكام القرآن» لابن العربي (٢/١٧١٨).
(٤) «شرح الطحاوية» ص (٥٤٦).

عنه بطرق تفيد القطع[١]، خلافًا لما تزعمه الرافضة من أنه كان راضيًا بقتل عثمان رضي الله عنهم[٢]، وقال الحاكم بعد ذكر بعض الأخبار الواردة في مقتله رضي الله عنه: فأما الذي ادعته المبتدعة من معونة أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب، فإنه كذب وزور؛ فقد تواترت الأخبار بخلافه[٣]، وقال ابن تيمية: وهذا كله كذب على عليٍّ رضي الله عنه وافتراء عليه، فعلي رضي الله عنه لم يشارك في دم عثمان، ولا أمر ولا رضي، وقد روي عنه ذلك وهو الصادق البار[٤]، وقد قال علي رضي الله عنه: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان[٥]، وروى الحاكم بإسناده عن قيس بن عباد قال: سمعت عليًّا يوم الجمل يقول: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتلِ عثمان، وأنكرت نفسي وجاؤوني للبيعة فقلت: والله إني لأستحي من الله أن أبايع قومًا قتلوا رجلاً قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة»**، وإني لأستحي من الله أن أبايع وعثمان قتيل على الأرض لم يدفن بعد فانصرفوا، فلما دفن رجع الناس فسألوني البيعة فقلت: اللهم إني مشفق مما أقدم عليه ثم جاءت عزيمة فبايعت، فلقد قالوا: يا أمير المؤمنين، فكأنما صدع قلبي، وقلت: اللهم خذ مني لعثمان حتى ترضى[٦].

وروى الإمام أحمد بسنده عن محمد بن الحنفية قال: بلغ عليًّا أن عائشة تلعن قتلة عثمان في المربد[٧]، قال: فرفع يديه حتى بلغ بهما وجهه فقال: وأنا ألعن قتلة عثمان لعنهم الله في السهل والجبل، قال مرتين أو ثلاثًا[٨]، وروى ابن سعد بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عليًّا قال: والله ما قتلت عثمان ولا أمرت بقتله، ولكني نهيت، والله ما قتلت عثمان ولا أمرت ولكني غلبت، قالها ثلاثًا[٩]، وجاء

---

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٠٢).

(٢) «العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط» ص(٢٢٩).

(٣) «المستدرك» (٣/ ١٠٣).

(٤) «منهاج السنة» (٤/ ٤٠٦).

(٥) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٠٢)، وإسناده حسن.

(٦) «المستدرك» (٣/ ٩٥) حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٧) موضع قرب البصرة بينهما نحو ثلاثة أميال.

(٨) «فضائل الصحابة» (١/ ٥٥٥) رقم (٧٣٣)، وإسناده صحيح.

(٩) «الطبقات» (٣/ ٨٢)، و«البداية والنهاية» (٧/ ٢٠٢).

عنه أيضًا إنه قال رضي الله عنه: من تبرأ من دين عثمان فقد تبرأ من الإيمان، والله ما أعنت على قتله ولا أمرت ولا رضيت[١]، وكان يثني على عثمان رضي الله عنه وقال فيه: كان أوصلنا للرحم وأتقانا للرَّب[٢]. وعن عميرة ابن سعد قال: كنا مع علي رضي الله عنه على شاطئ الفرات، فمرت سفينة مرفوع شراعها فقال علي: يقول الله عز وجل: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [الرحمن: ٢٤]. والذي أنشأها في بحر من بحاره ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله،[٣] وقال علي رضي الله عنه: إنما وهنت يوم قتل عثمان[٤]، وقد اعتنى الحافظ ابن عساكر بجمع الطرق الواردة عن علي رضي الله عنه أنه تبرأ من دم عثمان، وكان يقسم على ذلك في خطبه وغيرها، أنه لم يقتله ولا رضي بذلك، ثبت ذلك عنه بطرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث[٥].

٢- محاولة استغنائه عن خدمات من كان منهم ضمن جيشه:

كان رضي الله عنه يعاملهم بحذر شعورًا منه بخطرهم، حتى أنه لم يول أحدًا منهم عند إرادة خروجه للشام، حيث دعا ولده محمد بن الحنفية وسلمه اللواء وجعل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما على الميسرة، وجعل على مقدمة الجيش أبا ليلى بن عمر ابن الجراح[٦]، واستخلف على المدينة قثم بن العباس رضي الله عنهم[٧]، وهذه بادرة منه رضي الله عنه ليعلن تبرؤه من أولئك المارقين، ويثبت قدرته على السيطرة على أمر المسلمين من غير عون منهم، فقد كان له في المسلمين الموالين له والمؤيدين لخلافته ما يغنيه عن الاستعانة بهم، والتودد إليهم وهذا أقصى ما يمكنه فعله بتلك الطائفة إذ ذاك، وهو كاف في عذره؛ لأنهم مئات ولهم قرابة وعشائر في جيشه، فما يأمن لو عاملهم بأكثر من هذا من الشّدة أن يمتدّ حبل الفتنة في الأمة[٨]، وحين تمّ الصلح بين أمير المؤمنين علي وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم

---

(١) «الرياض النضرة» ص (٥٤٣).
(٢) «صفة الصفوة» (١/٣٠٦).
(٣) «فضائل الصحابة» (١/٥٥٩، ٥٦٠) إسناده لغيره رقم (٣٧٩).
(٤) «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٥/٦١).
(٥) «البداية والنهاية» (٧/١٩٣).
(٦) «تاريخ الطبري»، و«تحقيق مواقف الصحابة» (٢/١٥٨).
(٧) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٧٠).
(٨) «إفادة الأخبار» للتباني (٢/٥٢) نقلاً عن: «تحقيق مواقف الصحابة» (٢/١٥٩).

على يدي القعقاع ابن عمرو - سيأتي تفصيل ذلك - خطب أمير المؤمنين علي عشية ذلك اليوم، فذكر الجاهلية وشقاءها وأعمالها، وذكر الإسلام وسعادة أهله بالألفة والجماعة، وأن الله جمعهم بعد نبيه ﷺ على الخليفة أبي بكر ثم بعده على عمر بن الخطاب، ثم على عثمان رضي الله عنهم، ثم حدث هذا الحدث الذي جرّه على الأمة أقوام - قتلة عثمان - طلبوا الدنيا وحسدوا من أنعم الله بها عليه، وعلى الفضيلة التي منّ الله بها، وأرادوا ردّ الإسلام والأشياء على أدبارها، والله بالغ أمره[1]، ثم قال: ألا وإني راحل غدًا فارتحلوا، ولا يرتحلنّ غدًا أحد أعان على عثمان بشيء في شيء من أمور الناس، وليغني السفهاء عني أنفسهم[2].

ويناقش الإمام الباقلاني موضوع توقيع عقوبة القصاص على قتلة عثمان، مبديًا رأيه لموقف عليّ رضي الله عنه في تأخير إجراء القصاص إلى حين إمكانه، فيقول: وعلى أنه إذا ثبت أن عليًّا ممن يرى قتل الجماعة بالواحد، فلم يجز أن يقتل جميع قتلة عثمان إلا بأن تقوم البيّنة على القتلة بأعيانهم، وبأن يحضر أولياء الدم مجلسه، ويطلبوا بدم أبيهم ووليهم. وبأن يؤدي الإمام اجتهاده إلى أن قتل قتلة عثمان لا يؤدي إلى هرج عظيم، وفساد شديد قد يكون فيه مثل قتل عثمان أو أعظم منه، وإن تأخير إقامة الحدّ إلى وقت إمكانه وتقصّي الحق فيه أولى وأصلح للأمة وألمّ لشعثهم وأنفى للفساد والتهمة عنهم[3]، ويبرر ابن حزم موقف علي رضي الله عنه في تأخير القصاص من قتلة عثمان بقوله: فنقول وبالله التوفيق، أما قولهم: إن أخذ القود من قتلة عثمان المحاربين لله تعالى ولرسوله، الساعين في الأرض بالفساد، والهاتكين حرمة الإسلام والحرم والإمامة والهجرة والخلافة والصحبة والسابقة فنعم، وما خالفهم عليّ قط في ذلك ولا في البراءة منهم، ولكنهم كانوا عددًا ضخمًا جمًّا لا طاعة له عليهم، فقد سقط عن علّي رضي الله عنه ما لا يقدر عليه، كما سقط عنه وعن كل مسلم ما عجز عنه من قيام بالصلاة والصوم والحج ولا فرق، قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٩] وقال رسول الله ﷺ:

(١، ٢) «تاريخ الطبري» (٥/ ٥٢٥).

(٣) «التمهيد» للباقلاني ص (٢٣١)، و«تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ١٥٩).

«**إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم**»[١]. ولو أن معاوية بايع عليًّا لقوي به على أخذ الحق من قتلة عثمان، فصح أن الاختلاف هو الذي أضعف يد عليّ على إنفاذ الحق عليهم، ولولا ذلك لأنفذ الحق عليهم كما أنفذه على قتلة عبد الله بن خباب[٢] ؛ إذ قدر على مطالبة قتلته[٣].

وينقل ابن العربي وجهة نظر علي بقوله: وعليّ يقول: لا أمكّن طالبًا من مطلوب ينفذ فيه مراده بغير حكم ولا حاكم[٤] ثم يعقب: أما وجود الحرب بينهم فمعلوم قطعًا، وأما كونه لهذا السبب، أي بسبب الخلاف حول القصاص من قتلة عثمان، فمعلوم كذلك قطعًا، وأما الصواب فيه فمع عليّ؛ لأن الطالب للدم لا يصح أن يحكم، وتهمة الطالب للقاضي لا توجب عليه أن يخرج عليه، بل يطلب الحق عنده، فإن ظهر له قضاء وإلا سكت وصبر، فكم من حق يحكم الله فيه.. وأي كلام كان يكون لعليّ - لما تمت له البيعة - لو حضر عنده وليّ عثمان وقال له: إن الخليفة قد تمالأ عليه ألف نسمة حتى قتلوه، وهم معلومون، ماذا كان يقول إلا أثبت وخذ، وفي يوم يثبت، إلا أن يثبتوا هم - أي قتلته - أن عثمان كان مستحق للقتل، وبالله لتعلمن يا معشر المسلمين أنه ما كان يثبت على عثمان ظلم أبدًا، وكان يكون الوقت أمكن للطلب وأرفق في الحال، وأيسر وصولاً إلى المطلوب[٥]. إن عليًّا كان ﷺ إمامًا، وإن كل من خرج عليه باغ، وإن قتاله واجب حتى ينقاد إلى الحق، ولا شك أن ردّه على أهل الشام بدخولهم في البيعة ثم يطلبون الحق - أي القصاص من قتلة عثمان - كان في ذلك أسد رأيًا وأصوب قيلاً؛ لأنه لو اقتص من قتلة عثمان، والأمر لم يستتب له بعد لتعصّب لهؤلاء قبائلهم، فتصير حربًا ثالثة، فكان ينتظر أن يمسك بزمام الأمر؛ ليقع الطلب من هؤلاء الجناة، ويجري القضاء فيهم بالحق[٦].

وذكر عبد القاهر البغدادي في كتاب «الإمامة» ما هذا نصه: أجمع فقهاء الحجاز

---

(١) «البخاري»، كتاب الاعتصام (٨/ ١٤٢).
(٢) قتلته الخوارج، وسيأتي الحديث عنه بإذن الله.
(٣) «الفصل في الملل والنحل» (٤/ ١٦٢).
(٤) «العواصم من القواصم» ص (١٦٣).
(٥) «تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ١٦١).
(٦) «أحكام القرآن» لابن العربي، و«تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ١٦١).

والعراق من فريقي الحديث والذين منهم: مالك والشافعي وأبو حنيفة والأوزاعي والجمهور الأعظم من المتكلمين أن عليًّا مصيب في قتاله لأهل صفين، كما قالوا بإصابته في قتل أهل الجمل، وقالوا أيضًا: لأن الذين قاتلوه بغاة ظالمون له، ولكن لا يجوز تكفيرهم ببغيهم(١). ويلخص ابن تيمية رأي عليّ رضي الله عنه في قوله: فهو يرى أنه يجب على معاوية وأصحابه طاعته ومبايعته.. وأنهم خارجون عن طاعته، يمتنعون عن هذا الواجب، وهم أهل شوكة، رأى أن يقاتلهم حتى يؤدوا هذا الواجب، فتحصل الطاعة والجماعة(٢).

إنّ تأخير عليّ رضي الله عنه إقامة الحدّ الشرعي على قتلة عثمان، كان عن ضرورة قائمة ومعلومة بالنسبة له فلما انتقل رضي الله عنه من المدينة إلى العراق ليكون على مقربة من الشام انتقل معه قتلة عثمان المندسّين في جيشه وهم كثرة، ولاسيما أهل الكوفة والبصرة منهم، فصاروا في معقل قوتهم وعنجهية قبائلهم، فكان عليّ يرى أن إقامة الحدّ عليهم سيفتح عليه بابًا ربما لا يستطيع سدّه بعد ذلك، وقد انتبه لهذه الحقيقة الصحابي الجليل القعقاع بن عمرو التميمي وتحدث بها مع أم المؤمنين وطلحة والزبير رضي الله عنهم فأذعنوا له وعذروا عليًّا، ووافقوا على موقفه ذاك، ورأيه السديد المتمثل في دفع أدنى المفسدتين، وارتكاب أخف الضررين، إن السياسة الحكيمة تقضي بما كان ينادي به أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من: التريث والأناة وعدم الاستعجال؛ إذ إن الأمر يحتاج إلى وحدة الصف والكلمة لإيجاد موقف موحد، ومواجهة ذلك التحدي الذي يهدد مركز الخلافة، بيد أن الخلاف في الرأي أضعف مركز الخليفة الجديد، وقضى على كل الآمال في أخذ القصاص من قتلة عثمان(٣)، وهناك أدلة قوية تبين أن عليًّا كان محقًّا أكثر من طلحة والزبير ومعاوية رضي الله عنهم منها:

١ - ما رواه البخاري من طريق أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**ويح عمّار تقتله الفئة الباغية**»(٤). يقول ابن حجر: وفي هذا الحديث علم

(١) «أعلام النصر المبين» لابن دحية، و«تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ١٦٢).
(٢) «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ٧٢).
(٣) «تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ١٦٣).
(٤) «البخاري»، كتاب الجهاد (٣/ ٢٠٧).

من أعلام النبوة وفضيلة ظاهرة لعليّ وعمار، وردّ على النواصب الزاعمين أن عليًّا رضي الله عنه لم يكن مصيبًا في حروبه[(١)]، ويقول النووي بأن الروايات - أي عن النبي صلى الله عليه وسلم - صريحة في أنّ عليًّا رضي الله عنه كان هو المصيب المحق، والطائفة الأخرى أصحاب معاوية كانوا بغاة متأولين، وفيها التصريح بأن أصحاب الطائفتين مؤمنون لا يخرجون بالقتال عن الإيمان ولا يفسقون[(٢)].

٢ وجاء في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ذكر النبي صلى الله عليه وسلم قومًا يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس سيماهم التحالق قال: «**هم شر الخلق يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق**»[(٣)]. وفي رواية: «**يخرجون على فرقة مختلفة يقتلهم أقرب الطائفتين من الحق**»[(٤)].

ففي الحديث دلالة واضحة في أن عليًّا رضي الله عنه كان أدنى إلى الحق من مخالفيه في الجمل وصفين.

سادسًا: خروج الزبير وطلحة وعائشة ومن معهم إلى البصرة للإصلاح:

قدم طلحة والزبير إلى مكة ولقيا عائشة رضي الله عنهم جميعًا وكان وصولهما إلى مكة بعد أربعة أشهر من مقتل عثمان، تقريبًا أي في ربيع الآخر من عام ٣٦هـ[(٥)]، ثم بدأ التفاوض في مكة مع عائشة رضي الله عنها للخروج، وقد كانت هناك ضغوط نفسية كبيرة على أعصاب الذين وجدوا أنفسهم لم يفعلوا شيئًا لإيقاف عملية قتل الخليفة المظلوم، فقد اتهموا أنفسهم بأنهم خذلوا الخليفة وأنه لا تكفير لذنبهم هذا - حسب قولهم - إلا الخروج للمطالبة بدمه ،علمًا بأن عثمان هو الذي نهى عن كل من أراد أن يدافع عنه في حياته؛ تضحية في سبيل الله فعائشة تقول: إن عثمان قُتل مظلومًا والله لأطالبن بدمه[(٦)] وطلحة يقول: إنه كان مني في عثمان شيء ليس توبتي إلا أن يسفك دمي في طلب دمه[(٧)]،والزبير يقول: نُنهض الناس فندرك

---

(١) «الفتح» (١/ ٥٤٢).
(٢) «شرح النووي على صحيح مسلم» (٧/ ١٦٨).
(٣) «مسلم» رقم (١٠٦٥) .
(٤) «مسلم» (٢١/ ٧٤٦).
(٥) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٦٩).
(٦) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٥).
(٧) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٣٤).

بهذا الدم لئلا يَبْطل فإن في إبطاله توهين سلطان الله بيننا أبدًا، إذا لم يُفْطم الناس عن أمثالها لم يبق إمام إلا قتله هذا الضرب[1]، فهذا الإحساس الضاغط على الأعصاب والنفوس كان كفيلاً بأن يحرك الناس ويخرجهم من راحتهم واستقرارهم، بل كانوا يخرجون وهم يدركون أنهم يخرجون إلى أهوال قادمة مجهولة، فكل واحد منهم خرج من بيته وهو غير متوقع العودة مرة أخرى فشيعه أولاده بالبكاء، وسمي يوم خروجهم من مكة نحو البصرة بيوم النحيب، فلم يُرَ يوم كان أكثر باكيًا على الإسلام، أو باكيًا له من ذلك اليوم[2].

لقد توفرت مجموعة من العوامل في مكة جعلتهم يفكرون في طريقة جادة لتحقيق مطلبهم ومن هذه العوامل: أن بني أمية قد هربوا من المدينة واستقروا في مكة، ومنها: أن عبد الله بن عامر - أمير البصرة في عهد عثمان - كان في مكة وهو يحث على الخروج ويعرض المعونة المادية، ومنها: أن يعلى بن أمية الذي خرج من اليمن لإعانة الخليفة عثمان وصل مكة، وقد قتل الخليفة ومعه من المال والسلاح والدواب شيئًا لا بأس به، فعرض كل ذلك للمساعدة في قتل قتلة عثمان، فكان هذا كفيلاً لتشجيع الباحثين عن طريقة لمطاردة قتلة عثمان، ومادامت العوامل قد توافرت لجمع قوة تطالب بدم عثمان فمن أين يبدؤون؟ دار حوار بينهم حول الجهة التي يتوجهون إليها فقال بعضهم - وعلى رأسهم السيدة عائشة-: إن المدينة هي وجهتهم، وظهر رأي آخر يطلب التوجه إلى الشام ليتجمعوا معًا ضد قتلة عثمان، وبعد نظر طويل استقر رأيهم على البصرة؛ لأن المدينة فيها كثرة ولا يقدرون على مواجهتهم لقلتهم؛ ولأن الشام صار مضمونًا لوجود معاوية، ومن ثم يكون دخولهم البصرة أولى في هذه الخطة؛ لأنها أقل البلدان قوة وسلطة ويستطيعون من خلالها تحقيق خطتهم[3]، وكانت خطتهم ومهمتهم واضحة سواء قبل خروجهم وفي أثناء طريقهم أو عند وصولهم إلى

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٧).

(٢) "تاريخ الطبري" (٥/ ٤٨٧)، و"دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة" للشجاع ص (٤١٧).

(٣) "تاريخ الطبري" (٥/ ٤٧٦)، و"دراسات في عهد النبوة" ص (٤١٨).

البصرة وهي: الطلب بدم عثمان، والإصلاح، وإعلام الناس بما فعل الغوغاء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١]، وأن هذا المطلب هو لإقامة حد من حدود الله[٢]، وإنه إذا لم يؤخذ على أيدي قتلة عثمان ﷺ، فسيكون كل إمام معرض للقتل من أمثال هؤلاء[٣]، وأما الطريقة التي تصوروها فهي الدخول إلى البصرة ثم الكوفة، والاستعانة بأهلها على قتلة عثمان منهم أو من غيرهم، ثم يدعون أهل الأمصار الأخرى لذلك حتى يُضيقوا الخناق على قاتلي عثمان الموجودين في جيش عليّ ﷺ، فيأخذونهم بأقل قدر ممكن من الضحايا[٤].

لم يكن الخروج إلى البصرة والغضب الذي حرك الصحابة من البساطة، التي ظهرت للناس كثأر لعثمان ﷺ، وكأنه رجل من عوام الناس قُتِل، فخرجت الجيوش في الطلب له بثأره، رغم كونه حدًّا من حدود الله يستوجب الغضب ويستدعي حدوث ذلك، ولكن مكانة عثمان وشخصيته، ومكانته المعنوية كخليفة وقتله بالصورة التي تمت كان فوق ذلك، ومعه اغتيال لصفة شرعية هي «الخلافة» التي يفهمها المسلمون أنها: نيابة عن صاحب الشرع في حفظ الدين، وسياسة الدنيا به[٥]، فالاعتداء عليها دون وجه حق اعتداء على صاحب الشرع وتوهين لسلطانه، وضياع لنظام المسلمين[٦].

كانت السيدة عائشة والزبير وطلحة ﷺ ومن معهم يسعون لإيجاد رأي إسلامي عام في مواجهة الطغمة السبئية، التي قتلت عثمان وأصبحت ذات شوكة لا يستهان بها وذلك من خلال تعريف المسلمين بما أتى هؤلاء السبئيين والغوغاء من أهل الأمصار ونزاع القبائل، ومن ظاهرهم من الأعراب والعبيد، فلقد بات واضحًا عند الصحابة من الفريق الذي كان يرى رأي عائشة ﷺ أن الغوغاء والسبئيين لهم وجود في جيش علي، وأنه لأجل ذلك فإن عليًّا ﷺ يصعب عليه مواجهتهم، خشية منه على أهل المدينة، ومن ثم فإنه ينبغي عليهم أن

(١) «تاريخ الطبري» (٥/٤٨٩).
(٢) «دراسات في عهد النبوة» ص (٤١٩).
(٣) «تاريخ الطبري» (٥/٤٨٧).
(٤) «دراسات في عهد النبوة» ص (٤١٩).
(٥) «مقدمة ابن خلدون» ص (١٩١).
(٦) «دور المرأة السياسي» ص (٣٩١).

يحاولوا السعي لإفهام المسلمين، وتقوية الجانب المطالب بإقامة الحدود؛ لتتم إقامتها بأقل الخسائر في دماء الأبرياء وهو هدف لا نشك أن عليًّا كان يسعى إليه، ويحاوله، بل إن الروايات التي مرت معنا في المحاورة بين الزبير وطلحة وعلي رضي الله عنهم تدل على ذلك، ثم إن هذا السلوك منهم، وهذه النية في تعريف الناس، وتوضيح الأمور لهم، دليل على وعي تام منهم بأساليب السبئية في اللعب بأفكار العامة، وتوجيهها على النحو الذي ينخر في الأمة حتى لا تستقر على حال، فكان لابد من مواجهتها في ميدان الأفكار؛ لإبطال عملها، ولقد تبين هذا العمل واضحًا، وصريحًا في الروايات الصحيحة،[1] التي تحدثت فيها السيدة عائشة رضي الله عنها عن أهداف هذا الخروج، فروى الطبري أن عثمان بن حنيف - وهو والي البصرة من قبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب- أرسل إلى عائشة رضي الله عنها عند قدومها البصرة يسألها عن سبب قدومها، فقالت: والله ما مثلي يسير بالأمر المكتوم، ولا يغطي لبنيه الخبر، إن الغوغاء من أهل الأمصار، ونزاع القبائل، غزوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحدثوا فيه الأحداث، وأووا فيه المحدثين، واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله، مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا ترة ولا عذر فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه، وانتهبوا المال الحرام، وأحلوا البلد الحرام، والشهر الحرام، ومزقوا الأعراض والجنود، وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم، ضارين مضرين غير نافعين ولا متقين، ولا يقدرون على امتناع ولا يؤمنون، فخرجت في المسلمين أُعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس وراءنا، وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا، وقرأت ﴿**لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ**﴾ [النساء: ١١٤]، فنهض في الإصلاح ممن أمر الله عز وجل وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الصغير والكبير والذكر والأنثى، فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به ونحضكم عليه، ومنكر ننهاكم عنه ونحثكم على تغييره[2].

(١) «دور المرأة السياسي» ص (٣٩٤).

(٢) «تاريخ الطبري» (٥/٤٨٩).

وروى ابن حبان أن عائشة ﵂ كتبت إلى أبي موسى الأشعري والي علي على الكوفة: فإنه قد كان من قتل عثمان ما قد علمت وقد خرجت مصلحة بين الناس، فمر من قبلك بالقرار في منازلهم، والرضا بالعافية حتى يأتيهم ما يحبون من صلاح أمر المسلمين[1]. ولما أرسل عليّ القعقاع بن عمرو لعائشة ومن كان معها يسألها عن سبب قدومها، دخل عليها القعقاع فسلم عليها، وقال: أي أُماه ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بني إصلاح بين الناس[2].

وبعد انتهاء الحرب يوم الجمل جاء علي إلى عائشة ﵂ فقال لها: غفر الله لك، قالت: ولك، ما أردت إلا الإصلاح[3]. فتقرر أنها ما خرجت إلا للإصلاح بين الناس وفيه رد على من طعن في عائشة ﵂ من الشيعة الروافض في قولهم: إنها خرجت من بيتها وقد أمرها الله بالاستقرار فيه في قوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣] فإن سفر الطاعة لا ينافي القرار في البيت، وعدم الخروج منه إجماعًا وهذا ما كانت تراه أم المؤمنين عائشة في خروجها للإصلاح بين المسلمين، وكان معها محرمها ابن أختها عبد الله بن الزبير[4].

قال ابن تيمية في الرد على الرافضة في هذه المسألة: فهي ﵂ لم تتبرج تبرج الجاهلية الأولى، والأمر بالاستقرار في البيوت لا ينافي الخروج لمصلحة مأمور بها، كما لو خرجت للحج والعمرة، أو خرجت مع زوجها في سفره، فإن هذه الآية قد نزلت في حياة النبي ﷺ وقد سافر بهن رسول الله ﷺ بعد ذلك، كما سافر في حجة الوداع بعائشة ﵂ وغيرها وأرسلها مع عبد الرحمن أخيها فأردفها خلفه، وأعمرها من التنعيم، وحجة الوداع كانت قبل وفاة النبي ﷺ بأقل من ثلاثة أشهر، بعد نزول هذه الأية، ولهذا كان أزواج النبي ﷺ يحججن بعده كما كن يحججن معه في خلافة عمر ﵁ وغيره، وكان عمر يوكل بقطارهن عثمان، أو عبد الرحمن بن عوف، وإذا كان سفرهن لمصلحة جائزًا، فعائشة اعتقدت أن

---

(١) «الثقات» لابن حبان (٢/ ٢٨٢).
(٢) «تاريخ الطبري» (٥/ ٥٢٠).
(٣) «شذرات الذهب» (١/ ٤٢).
(٤) «الانتصار للصحب والآل» ص (٤٤٤).

ذلك السفر مصلحة للمسلمين فتأولت في ذلك[١]، ويقول ابن العربي: وأما خروجها إلى حرب الجمل فما خرجت لحرب ولكن تعلق الناس بها، وشكوا إليها ما صاروا إليه من عظيم الفتنة وتهارج الناس، ورجوا بركتها في الإصلاح وطمعوا في الاستحياء منها إذا وقفت للخلق، وظنت هي ذلك، فخرجت مقتدية بالله في قوله ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١٤٤]. والأمر بالإصلاح، مخاطب به جميع الناس من ذكر أو أنثى حر أو عبد[٢]. وهذه بعض الأمور المهمة في خروجها.

١ - هل أُكرهت السيدة عائشة رضي الله عنها على الخروج:

زعم اليعقوبي أن الزبير بين العوام أكره السيدة عائشة رضي الله عنها على الخروج[٣]، وقال بهذا القول صاحب «الإمامة والسياسة»[٤] وابن أبي الحديد[٥]، وكذلك فعل الدينوري[٦]، وألمحت الرواية التي ذكرها الذهبي بأن المتسلط عليها هو عبد الله ابن الزبير[٧] - ابن أختها أسماء- وسار على هذه الروايات كثير من الباحثين، كمحمد سيد الوكيل[٨] فقد زعم أن الزبير وطلحة شجَّعا عائشة على الخروج وزاهية قدورة[٩] وغيرهم، وهذا غير صحيح، فقد قامت السيدة عائشة رضي الله عنها بالمطالبة بثأر عثمان منذ اللحظة التي علمت فيها بمقتله رضي الله عنه، وقبل أن يصل الزبير وطلحة وغيرهما من كبار الصحابة إلى مكة، ذلك أنه قد روي: أنها لما انصرفت راجعة إلى مكة أتاها عبد الله بن عامر الحضرمي فقال: ما ردك يا أم المؤمنين؟ قالت: ردَّني أن عثمان قُتل مظلومًا، وأن الأمر لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمر، فاطلبوا بدم عثمان تعزوا الإسلام، فكان عبد الله أول من أجابها[١٠]، ولم يكن طلحة والزبير قد خرجا من المدينة، وإنما خرجا منها بعدما مرَّ على مقتل عثمان رضي الله عنه أربعة أشهر[١١].

---

(١) «منهاج السنة» (٤/ ٣١٧-٥٧٠).

(٢) «أحكام القرآن» (٣/ ٥٦٩-٥٧٠).

(٣) «تاريخ اليعقوبي» (٢/ ١٨٠، ٢٠٩).

(٤) «الإمامة والسياسة» (١/ ٥٨، ٦٩).

(٥) «شرح نهج البلاغة» (٩/ ١٨).

(٦) «الأخبار الطوال» ص (١٤٥).

(٧) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٩٣).

(٨) «جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين» ص (٥٢٦).

(٩) «عائشة أم المؤمنين» ص (١٨٤).

(١٠) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٧٥).

(١١) «دور المرأة السياسي» ص (٣٨٣)، و«تاريخ الطبري» (٥/ ٤٦٩).

٢ - هل كانت متسلطة على من معها؟:

كان فيمن خرج معها رضي الله عنها جمع من الصحابة[١]، ولم تكن السيدة عائشة المرأة المتسلطة التي تحرك الناس حيث شاءت كما زعم بروكلمان[٢]، ولقد أكدت روايات الطبري على تأييد أمهات المؤمنين لها، ولمن معها في السعي للإصلاح، بل وتأييد عدد غير قليل من أهل البصرة لها[٣]، وكان هذا العدد غير القليل ممن لا يستهان بهم، فلقد وصفهم طلحة والزبير بأنهم خيار أهل البصرة ونجباؤهم[٤]، ووصفتهم السيدة عائشة بأنهم الصالحون[٥]، وما كان خروج هذا العدد من الصالحين إلا عن اعتقاد راسخ بجدوى هذا الخروج وصواب مقصده، وكان أمير المؤمنين يعلم هذا، ويرد الزعم الذي زعمه البعض من أن الخارجين مع السيدة عائشة كانوا جموعًا من السفهاء والغوغاء والأوباش[٦]، فلقد وقف أمير المؤمنين بعد معركة الجمل بين القتلى من فريق عائشة، يترحم عليهم ويذكر فضلهم[٧]، وسيأتي بيان ذلك في أنه لم يكن خروجًا غوغائيًا، تحكمت فيه السيدة عائشة في أناس غير راشدين؛ بل كان خروجًا واعيًا شارك فيه بعض الصحابة الكبار[٨].

٣ - موقف أزواج النبي ﷺ من الخروج للطلب بدم عثمان:

كان أزواج النبي ﷺ قد خرجن إلى الحج في هذا العام فرارًا من الفتنة، فلما بلغ الناس بمكة أن عثمان قد قُتل أقمن بمكة وكن قد خرجن منها فرجعن إليها، وجعلن ينتظرن ما يصنع الناس ويتجسسن الأخبار، فلما بويع عليّ خرج عدد من الصحابة من المدينة كارهين المقام بها بسبب الغوغاء من أهل الأمصار، فاجتمع بمكة منهم خلق كثير من الصحابة وأمهات المؤمنين[٩]، وكان

---

(١) «تاريخ الطبري» نقلاً عن «دور المرأة السياسي» ص (٣٨٤).
(٢) «تاريخ الشعوب الإسلامية» ص (١١١، ١١٤، ١١٧).
(٣) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٧٥).
(٤، ٥) «تاريخ الطبري» نقلاً عن «دور المرأة السياسي» ص (٣٨٥).
(٦) انظر: ما قاله صاحب «الإمامة والسياسة» (١/ ٥٧).
(٧) «تاريخ الطبري» (٥/ ٥٧٤).
(٨) «دور المرأة السياسي» ص (٣٨٥).
(٩) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٤١).

بقيـة أمهـات المؤمنين قد وافـقن عائشة على الـسير إلى المدينة، فلـما اتفق رأي عائشة، ومن معها من الصحابة على السير إلى البصرة، رجعن عن ذلك وقلن: لا نسير إلى غير المدينة[١]، وكان الخروج في أمـر عثمان إذن غير مـختلف عليه بين أمهات المؤمنين، لكنهن اختلفن حين تغيـرت الوجهة من المدينة إلى البصرة، غير أن أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنهما وافـقت عائشة على السير إلى البصرة، وإنما عزم[٢] عليها أخوها عبد الله كيـلا تخرج، فلم يكن عدم خروجها ناتجًا عن اقتناع منها،[٣] وقالت لعـائشة: إن عبد الله حـال بيني وبين الخروج، وأرسلت إلى عائشة بعذرها[٤]، وتكاد الروايات الشائعة تـبدي أن أم سلمة رضي الله عنها لم تكن ترى رأي عائشـة ومن معهـا، في الخروج إلى البـصرة وإنها كـانت ترى ما يراه علي[٥]، غير أن أقرب الروايات إلى الصحة هي أنها أرسلت إلى علي ابنها عمر ابن أبي سلمـة قائلة: والله لـهو أعـز علي من نفسي، يـخرج مـعك فيـشهـد مشاهدك، فخرج فلم يزل معه[٦]، وهي رواية عند التحقيق لا يتبين لنا منها أن هذا الإرسال لابنها، يعني أنها كانت تخالف أمهات المؤمنين في القول بالإصلاح بين المسلمين، فعائشة نفسها ومن معها لم يكونوا يروا أنهم بهذا الخروج يخالفون عليًّا رضي الله عنه، أو يخرجون على خلافته كما رأينا، وكما سوف تؤكد لنا الأحداث، كما إننا لم نجد في الروايات الصحيحة ما يدل على خروجها على إجماع أمهات المؤمنين في أهمـية السعـي للإصلاح[٧]، وكانت أمـهات المؤمنين يعلمن أن هذا الخروج في الإصلاح بين المسلمين مما يدخل في معنى الفرض الكفائي، والضابط فيه أن الطلب فيه ليس موجهًا إلى جميع المكلفين، بل هو إلى ما فيه أهلية القيام به لا على الجميع عـمومًا، ولقد كانت أهلية القيـام بهذا الإصلاح بين المسلمين متوفرة تمامًا في السيدة عائشة: مكانةً وسنًّا وعلمًا، وقدرة، وكانت عائشة أكثرهن

---

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٤١).

(٢) عزم عليها: أقسم عليها.

(٣) «دور المرأة السياسي» ص (٣٨٦) .

(٤) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٨٧).

(٥) «أنساب الأشراف» (٤/ ٢٢٤).

(٦) «أسـد الغـابة» (٤/ ١٦٩)، و«الإجـابة» (٤/ ٤٨٧)، و«دور المرأة السيـاسي» ص (٣٨٧)، و«المسـتـدرك»، و«مرويات أبي مخنف» ص (٢٥٧) .

(٧) «دور المرأة السياسي» ص (٣٨٧) .

فقهًا بإجماع جمهور المسلمين،[1] كما إنها كانت تهتم بالأمور العامة، فكانت صاحبة شخصية ثقافية واسعة، تكونت منذ نشأتها في بيت أبي بكر رضي الله عنه العالم بأيام العرب وأنسابهم ومن عيشها في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي خرجت منه أسس سياسة الدولة الإسلامية، ثم هي بنت الخليفة الأول للمسلمين، وقد أكد العلماء على هذه المكانة للسيدة عائشة، فقد قال عروة بن الزبير: لقد صحبت عائشة، فما رأيت أحدًا قط كان أعلم بآية أنزلت، ولا بفريضة ولا بسنة، ولا بشِعر، ولا أروى له، ولا بيوم من أيام العرب، ولا بنسب، لا بكذا، ولا بكذا.. ولا بقضاء، ولا بطب منها[2]، وكان الشعبي يذكرها فيتعجب من فقهها وعلمها، ثم يقول: ما ظنكم بأدب النبوة، وكان عطاء يقول: كانت عائشة أفقه الناس، وأحسن الناس رأيًا في العامة[3]، وكان الأحنف ابن قيس سيد بني تميم، وأحد بلغاء العرب يقول: سمعت خطبة أبي بكر وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم، والخلفاء بعدهم.. فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم، ولا أحسن منه في عائشة. وكان معاوية يقول مثل هذا[4].

هذا وقد خرجت أمهات المؤمنين مودعات للسيدة عائشة رضي الله عنها حين خرجت للبصرة، وفي ذلك معنى من معاني المعاونة لها و التشجيع لها على أمرها[5].

٤ – مرور السيدة عائشة على ماء الحوأب:

ثبت مرور السيدة عائشة على ماء الحوأب من طرق صحيحة، فعن يحيى بن سعيد ابن القطان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن حازم، «**كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب؟**»[6] ومن طريق شعبة عن إسماعيل: أن عائشة رضي الله عنها قالت- لما أَتَتْ على الحوأب-: سمعت نباح الكلاب، فقالت ما أظنني إلا راجعة، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا: «**أيتكن تنبح عليها كلاب الحوأب؟**». فقال لها الزبير أترجعين عسى الله عز وجل أن يُصلح بك بين الناس؟[7]. وبهذا اللفظ

(١، ٢) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٨٣).
(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٨٥).
(٤) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٨٣).
(٥) «دور المرأة السياسي» ص (٣٨٩).
(٦، ٧) «مسند أحمد» (٦/ ٩٧).

أخرجه يعلى بن عبيد عن إسماعيل، وهو عند الحاكم[١]، وقال الألباني: إسناده صحيح جدًّا وقال: صححه خمسة من كبار أئمة الحديث منهم ابن حبان، والذهبي، وابن كثير، وابن حجر[٢].

فهذه الروايات الصحيحة، ليس فيها شيء من شهادة الزور أو التدليس، الذي يتنزه عنه مقام الصحابة والذي زعمته الروايات الضعيفة[٣] التي سيأتي بيانها. إن المتأمل لهذه الروايات التي صححها العلماء لا يجد في أي منها ما يدل على نهي عن شيء، أو أمر بشيء لتفعله السيدة عائشة رضي الله عنها، بل إن ما يفهم منها هو تساؤله عن أيتهن التي يحدث لها أن تمر على ماء الحوأب؟ والروايات الدالة على النهي، والتي بها لفظة إياك في الأثر الوارد: «إياك أن تكوني يا حميراء»[٤] لم يصححها العلماء، وإنما ضعفت، ومن هنا فإن الصحيح الذي نذهب إليه: هو أن مرور السيدة عائشة رضي الله عنها على ماء الحوأب لم يكن له الأثر السلبي الذي افتعلته الروايات الموضوعة، ولم يكن له الأثر البعيد النفسي على السيدة عائشة نفسها، بحيث تفكر جديًّا في الرجوع عما خرجت له من إصلاح بين المسلمين، وسعي لتسديد خطاهم، ولم يعد الأمر أن يكون «ظنًّا» منها في احتمال الرجوع، وهذا هو ما عبرت عنه حين قالت: ما أظنني إلا راجعة. وهو ظن لم يتلبس إلا يسيرًا، ثم عاد بَعْدُ هدفها واضحًا، بعدما ذكرها الزبير بما عسى الله أن يجريه على يديها من إصلاح بين المسلمين[٥]، لقد كانت ولازالت مسألة ماء الحوأب[٦] والأحاديث المذكورة فيها مجالاً خصبًا للشيعة وغيرهم يطعنون بها على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ويدينون بها خروجها في شأن الطلب بدم عثمان، حتى انتهى بهم الأمر إلى نفي صفة الاجتهاد عنها، بدعوى مخالفتها - في زعمهم - لنهي الرسول صلى الله عليه وسلم لها عن أن ترد ماء الحوأب[٧]، وقد ذكرت المصادر التاريخية هذه القصة، فقد

---

(١) «المستدرك» (٣/ ١٢٠).

(٢) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١/ ٧٦٧) رقم (٤٧٤).

(٣) «دور المرأة السياسي» ص (٤٠٥).

(٤) قال الذهبي: كل حديث فيه «يا حميراء»، لا يصح، و«سير أعلام النبلاء».

(٥) «النبلاء» (٢/ ١٦٧، ١٦٨).

(٦) «دور المرأة السياسي» ص (٤٠٦).

(٧) الحوأب: من مياه العرب على طريق البصرة قريب منها على طريق مكة إليها.

جاءت عند الطبري في رواية طويلة، يرويها إسماعيل ابن موسى الفزاري قال عنه ابن عدي: أنكروا منه الغلو والتشيع[١]، ويروي الفزاري هذا الخبر عن علي بن عابس الأزرق، وهو ضعيف، قالها ابن حجر والنسائي[٢] وهو يروي هذا الخبر عن أبي الخطاب الهجري وهو مجهول[٣]، وهذا الهجري المجهول، يرويه عن مجهول آخر هو صفوان بن قبيعة الأحمسي[٤]، ثم أخيرًا عن شخصية أشد جهالة هي شخصية العزُني صاحب الجمل، وما هو بصاحب الجمل، وإنما صاحبه هو يعلى بن أمية[٥].

وفي متن هذه الرواية ما يجده القارئ من رائحة التشيع والرفض الواضحة في آخر الرواية، حيث تزعم على لسان علي أنه كان ﷺ يرى أحقيته بالخلافة على أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ، والصحيح الثابت من الروايات المحققة يدل على خلاف ذلك تمامًا[٦]. وعلى أساس كل ما سبق يتضح لنا أن هذه الرواية غير صحيحة[٧]، وهناك روايات أخرى وردت في هذا الموضوع، كلها باطلة سندًا ومتنًا، ومغزى هذه الروايات وهدفها هو الطعن على كبار الصحابة وفضلائهم، وبيان أن مقصدهم من خروجهم هذا، ما هو إلا تحقيق مطامع دنيوية شخصية من مال ورئاسة وغيرها، وأن الغاية تبرر الوسيلة، وأنهم لا يتورعون في سبيل ذلك عن إشعال الحرب والفتنة بين المسلمين، وتركز الروايات على الصحابيين الجليلين طلحة والزبير ﷺ،[٨] ،كما يريد مفتري هذه الروايات أن يبين ويؤكد أن هذين الصحابيين ومن معهما من أفراد المعسكر، يتجرؤون على انتهاك حرمات الله

---

(١) «الكامل في ضعفاء الرجال» (١/ ٥٢٨)، و«ميزان الاعتدال» (١/ ٤١٣).
(٢) «تقريب التهذيب» (١/ ٦٩٧).
(٣) «تقريب التهذيب» (٢/ ٣٩٢)، و«دور المرأة السياسي» ص (٤٠٠).
(٤) «ميزان الاعتدال» (٣/ ٤٣٤)، و«لسان الميزان» (٣/ ٢٢٥).
(٥) «أسد الغابة» (٥/ ٤٨٦)، و«دور المرأة السياسي» ص (٤٠٠)
(٦) «دور المرأة السياسي» ص (٤٠٢).
(٧) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٨٣).
(٨) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/ ٢٨٣) ضعيفة السند متقطعة، و«أنساب الأشراف» (٢/ ٤٧) نفس الطريق وهذه الروايات تخالف الصحيح الثابت.

فهم يقسمون ويحلفون لأم المؤمنين بأيمان مغلظة أن هذا الماء ليس ماء الحوأب، وزيادة على ذلك أتوا بسبعين نفسًا وفي رواية بخمسين نفسًا يشهدون على صدق قولهم، فكان هذا العمل كما افترى المسعودي الشيعي الرافضي أول شهادة زور في الإسلام[١]، وتحاول هذه الروايات أن تظهر أن طلحة والزبير وأم المؤمنين رضي الله عنهم ، ليسوا على شيء من صفاء القلوب والاجتماع على هدف واحد، وتحاول أن تظهر أن عائشة رضي الله عنها بجانب طلحة رضي الله عنه وفي قرارة نفسها، أن يتولى هو الخلافة؛ وذلك لأنه تيمي مثلها، كما تظهر هذه الروايات أن هناك تنافسًا داخليًا بين طلحة والزبير رضي الله عنهما، وحرصًا من كل واحد منهما أن يتولى الإمارة، وهذه الروايات لا تخلو من ضعف قوي، فبعضها منقطع السند أو فيها مجاهيل لا يعرفون أو فيها كلا العيبين القادحين[٢]. ولقد تأثر كثير من الكتاب والمؤرخين بهذه الروايات واعتمدوا عليها وساهموا في نشرها وهي لا أساس لها، كالعقاد في عبقرية علي وطه حسين في علي وبنوه[٣] ، وغيرهم من الكتّاب المعاصرين.

٥ - أعمالهم في البصرة:

عند ما وصل طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم ومن معهم البصرة نزلوا جانب الخريبة[٤]، ومن هناك أرسلوا إلى أعيان وأشراف القبائل يستعينون بهم على قتلة عثمان، وكان كثير من المسلمين في البصرة وغيرها يودون ويرغبون في القود من قتلة عثمان رضي الله عنه ، إلا أن بعض هؤلاء يرون أن هذا من اختصاص الخليفة وحده، وأن الخروج في هذا الأمر بدون أمره وطاعته معصية، ولكن خروج هؤلاء الصحابة المشهود لهم بالجنة، وأعضاء الشورى ومعهم أم المؤمنين عائشة حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفقه النساء مطلقًا، ومطلبهم الشرعي الذي لا غبار عليه ولا ينكره صحابي واحد، جعل الكثير من البصريين على اختلاف قبائلهم ينضمون إليهم، وأرسل

---

(١) «مروج الذهب» (٢/ ٣٦٧).

(٢) «تاريخ الطبري» وفي إسنادها مجهولان، و«خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (١٣٢) .

(٣) «خلافة علي بن أبي طالب» ص (١٣٢) .

(٤) موقع جانب البصرة، انظر: «خطط البصرة ومنطقها» (١١٤ - ١٢٢) العلمي .

الزبير إلى الأحنف بن قيس السعدي التميمي يستنصره على الطلب بدم عثمان والأحنف من رؤساء تميم وكلمته مسموعة، يقول الأحنف واصفًا هول الموقف: . . فأتاني أفظع أمر أتاني قط فقلت: إن خذلاني هؤلاء ومعهم أم المؤمنين وحواري رسول الله ﷺ لشديد[١]، إلا أنه اختار الاعتزال، فاعتزل معه ستة آلاف ممن أطاعه من قومه، وعصاه في هذا الأمر كثير منهم، ودخلوا في طاعة طلحة والزبير وأم المؤمنين ﷺ[٢] ، ويذكر الزهري أن عامّة أهل البصرة تبعوهم[٣]، وهكذا انضم إلى طلحة والزبير وعائشة ﷺ ومن معهم أنصار جدد لقضيتهم التي خرجوا من أجلها. وقد حاول ابن حنيف تهدئة الأمور والإصلاح قدر المستطاع إلا أن الأمور خرجت من يده حتى قال أحدهم عن البصرة: قطعة من أهل الشام نزلت بين أظهرنا،[٤] وحتى إن معاوية فيما بعد حاول الاستيلاء عليها بمساعدة أهلها[٥] وتذكر بعض المصادر غير الموثقة أن عثمان بن حنيف رخص لحكيم بن جبلة في القتال، فهذا لا يثبت والمصادر الصحيحة لم تثبت ذلك[٦].

٦- مقتل حُكَيم بن جبلة ومن معه من الغوغاء:

أقبل حُكَيم بن جبلة، بعدما خطبت عائشة ﷺ في أهل البصرة، فأنشب القتال وأشرع أصحاب عائشة وطلحة والزبير ﷺ رماحهم وأمسكوا ليُمسكوا، فلم ينته حكيم، ومن معه، ولم يُثنَ، وظل يقاتلهم طلحة والزبير وعائشة، كافُّون إلا ما دافعوا عن أنفسهم، وحكيم يذمر[٧] خيله ويركبهم بها[٨]، وعلى الرغم من ذلك، فإن عائشة ﷺ ظلت حريصة على عدم إنشاب القتال، فأمرت أصحابها أن يتيامنوا بعيدًا عن المقاتلين، وظلوا على ذلك حتى حجز الليل

(١) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (١٣٣) .
(٢) «طبقات ابن سعد » (٥/ ٤٥٦) له شواهد تقويه.
(٣) «مصنف عبد الرزاق» (٥/ ٤٥٦) بسند صحيح إلى الزهري مرسلاً .
(٤) «الطبقات» (٦/ ٣٣٣).
(٥) «فتح الباري» (١٣/ ٢٦)، و«خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (١٣٧) .
(٦) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (١٣٧، ١٣٨) .
(٧) يذمر الخيل: يحضها ويشجعها.
(٨) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٩٤).

بينهم[١]، حتى إذا كان الصباح جاء حكيم بن جبلة وهو يبربر، وفي يده الرمح، وفي طريقه إلى حيث عائشة رضي الله عنها ومن معها، جعل حكيم لا يمر برجل أو امرأة ينكر عليه أن يسب عائشة إلا قتله،[٢] وعندئذ غضبت عبد القيس إلا من كان اغتمرُ[٣] منهم، فقالوا لحكيم: فعلت بالأمس وعدت لمثل ذلك اليوم، والله لا نَدَعَنَّكَ حتى يُقيدك الله[٤]، فرجعوا وتركوه، ومضى حكيم بن جبلة فيمن غزا معه عثمان بن عفان رضي الله عنه، وحصره من نزاع القبائل كلها، فلقد كانوا قد عرفوا ألاَّ مقام لهم بالبصرة، فاجتمعوا إليه، ووافقوا أصحاب عائشة، فاقتتلوا قتالاً شديدًا[٥]، وظل منادي عائشة رضي الله عنها يناديهم ويدعوهم إلى الكفّ فيأبون[٦]، وجعلت رضي الله عنها تقول: لا تقتلوا إلا من قاتلكم، لكن حكيم لم يُرَع[٧] للمنادي، وظل يُسَعِّر القتال، عندئذ وبعدما تبين للزبير وطلحة رضي الله عنهما طبيعة هؤلاء الذين يقاتلون، وأنهم لا يتورعون، ولا ينتهون عن حرمة، وأن لهم هدفًا في إنشاب القتال، قالا: الحمد لله الذي جمع لنا ثأرنا من أهل البصرة، اللهم لا تبق منهم أحدًا، وأقد منهم اليوم فاقتلهم، فجادُّوهم القتال، ونادوا: من لم يكن من قتلة عثمان رضي الله عنه فليكفف عنا، فإننا لا نريد إلا قتلة عثمان، ولا نبدأ أحدًا، فاقتتلوا أشد القتال[٨]، فلم يفلت من قتلة عثمان من أهل البصرة إلا واحد، وكان منادي الزبير وطلحة قد نادى: ألا من كان فيكم من قبائلكم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا به[٩]. وكان فريق من هؤلاء الجهال والغوغاء - كما قالت عائشة - قد غادَوها في بيتها في الغَلَس ليقتلوها، وكانوا قد ذهبوا حتى سُدَّة بيتها، ومعهم الدليل، إلا أن الله دفع عنها بنفر من المسلمين كانوا قد أحاطوا بيتها رضي الله عنها، فدارت عليهم الرحى وأطاف بهم المسلمون فقتلوهم[١٠]، واستطاع الزبير وطلحة رضي الله عنهما ومن معهم أن يسيطروا على البصرة وكانوا بحاجة إلى طعام ومؤنة غذائية، وقد مرت

(١، ٢) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٩٤).

(٣) اغتمر: اغتمس.

(٤) يقيد الله: القود: القصاص، وقتل القاتل بالقتيل.

(٥) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٩٩).

(٦) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٩٩).

(٧) لم يرع: لم يبال.

(٨) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٩٩).

(٩) المصدر نفسه (٥/ ٥٠١).

(١٠) «تاريخ الطبري» (٥/ ٥٠٣).

عليهم أسابيع، وهم ليسوا في ضيافة أحد، فتوجه جيش الزبير إلى دار الإمارة ومن ثم إلى بيت المال ليرزقوا أصحابهم وأخلى سبيل عثمان بن حنيف واتجه إلى علي رضي الله عنه[1]، وبذلك تمت سيطرة طلحة والزبير وأم المؤمنين رضي الله عنهم على البصرة وقتلوا عددًا كبيرًا ممن شارك في الهجوم على المدينة، قُدِّرَ بسبعين رجلاً من أبرزهم زعيم ثوار البصرة، حكيم بن جبلة، والذي كان حريصًا على القتال، وإشعال الحرب، وكان الزبير أمير القتال، فقد بويع على ذلك[2].

٧- رسائل السيدة عائشة رضي الله عنها إلى الأمصار الأخرى:

كانت السيدة عائشة رضي الله عنها حريصة على إيضاح وجه الحق، فيما حدث من قتال مع أهل البصرة، فكتبت إلى أهل الشام والكوفة واليمامة، وكتبت إلى أهل المدينة أيضًا تخبرهم بما صنعوا وصاروا إليه، وكان فيما كتبت به لأهل الشام: إنا خرجنا لوضع الحرب وإقامة كتاب الله عز وجل بإقامة حدوده في الشريف والوضيع، والكثير والقليل، حتى يكون الله عز وجل هو الذي يردُّنا عن ذلك. فبايعنا خيار أهل البصرة ونجباؤهم، وخالفنا شرارهم ونُزَّاعهم، فردُّونا بالسلاح، وقالوا فيما قالوا: نأخذ أم المؤمنين رهينة؛ وذلك أن أمرتهم بالحق وحثثتهم عليه، فأعطاهم الله عز وجل سنة المسلمين مرة بعد مرة، حتى إذا لم يبق حجة ولا عذر، استبسل قتلة عثمان أمير المؤمنين رضي الله عنه، فلم يفلت منهم إلا حُرْقُوص ابن زهير والله مقيده. وإنّا نناشدكم الله سبحانه في أنفسكم إلا ما نهضتم بمثل ما نهضنا به، فنلقى الله عز وجل وتلقونه، وقد أعذرنا وقضينا الذي علينا[3].

٨ - الخلاف بين عثمان بن حنيف وجيش عائشة والزبير وطلحة رضي الله عنهم:

روى الطبري عن أبي مخنف عن يوسف بن يزيد، عن سهل بن سعد قال: لما أخذوا عثمان بن حنيف أرسلوا أبان بن عثمان بن عفان إلى عائشة يستشيرونها

---

(١) «تاريخ الطبري» (٥/٤٩٣)، و«خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (١٣٨).
(٢) «أنساب الأشراف» (٢/٩٣) بسند حسن، و«خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (١٣٩).
(٣) «تاريخ الطبري» (٥/٥٠١).

في أمره، قالت: اقتلوه، فقالت لها امرأة: نشدتك الله يا أم المؤمنين في عثمان وصحبته لرسول الله ﷺ، قالت: ردوا أبانًا، فردُّوه، فقالت: احبسوه ولا تقتلوه قال أبان: لو علمت أنكِ تدعينني لهذا لم أرجع، فقال لهم مجاشع بن مسعود: اضربوه وانتفوا شعر لحيته، فضربوه أربعين سوطًا، ونتفوا شعر لحيته ورأسه وحاجبيه وأشفار عينيه وحبسوه[١]، وفي سند هذه الرواية أبو مخنف وهو شيعي رافضي محترق، وهذه الرواية لم تثبت من طريق صحيح يمكن أن يعول عليه، والصحابة الكرام ينزهون عن مثل هذه المثلة القبيحة، والذي يفهم من رواية سيف: أن الغوغاء هم الذين فعلوا ذلك وأن طلحة والزبير رضي الله عنهما استشنعاه، واستعظماه وبعثا بالخبر إلى عائشة فقالت: خلوا سبيله وليذهب حيث شاء[٢] وهذه الرواية عارضت تفصيلات أبي مخنف، فهي لم تذكر الأمر بقتله أو حبسه أو الأمر بنتف شعر وجهه، وقد اختار هذه الرواية النويري وابن كثير[٣]، وذكر الذهبي أن مجاشع ابن مسعود قد قتل قبل دخول دار عثمان بن حنيف[٤]، وحتى لو فرض عدم قتل مجاشع ابن مسعود فليست إليه القيادة حتى يصدر هذه الأوامر[٥].

سابعًا: خروج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الكوفة:

لم يكن الصحابة رضي الله عنهم في المدينة يؤيدون خروج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من المدينة، فقد تبين ذلك حينما همّ علي بالنهوض إلى الشام؛ ليزور أهلها وينظر ما هو رأي معاوية وما هو صانع[٦]، فقد كان يرى أن المدينة لم تعد تمتلك المقومات التي تملكها بعض الأمصار في تلك المرحلة فقال: إن الرجال والأموال بالعراق[٧]، فلما علم أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه بهذا الميل قال للخليفة: يا أمير المؤمنين، لو أقمت بهذه البلاد؛ لأنها الدرع الحصينة، ومهاجرة رسول الله ﷺ وبها قبره ومنبره ومادة الإسلام، فإن استقامت لك العرب كنت كمن

(١، ٢) «تاريخ الطبري» (٥/٤٩٧).

(٣) «نهاية الإرب» (٢٠/٣٨)، و«البداية والنهاية» (٧/٢٣٣).

(٤) «تاريخ الإسلام» للذهبي، و«مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري» ص (٣٥٩).

(٥) «مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري» ص (٢٥٩).

(٦-٧) «الثقات» لابن حبان (٢/٢٨٣)، و«الأنصار في العصر الراشدي» (١٦١).

كان، وإن تشعب عليك قوم رميتهم بأعدائهم، وإن ألجئت حينئذ إلى السير سرت وقد أعذرت. . ، فأخذ الخليفة بما أشار عليه أبو أيوب وعزم على المقام بالمدينة وبعث العمال على الأمصار[١].

ولكن حصل كثير من المستجدات السياسية التي أرغمت الخليفة على مغادرة المدينة، وقرّر الخروج للتوجه إلى الكوفة ليكون قريبًا من أهل الشام[٢] وأثناء استعداده للخروج، بلغه خروج عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة[٣] فاستنفر أهل المدينة ودعاهم إلى نصرته، وحدث تثاقل من بعض أهل المدينة بسبب وجود الغوغاء في جيش علي وطريقة التعامل معهم، فإن كثيرًا من أهل المدينة يرون أن الفتنة لازالت مستمرة، فلابد من التروي حتى تنجلي الأمور أكثر، وهم يقولون: لا والله ما ندري كيف نصنع، فإن هذا الأمر لمشتبه علينا ونحن مقيمون حتى يضيء لنا ويسفر، وروى الطبري أن عليًّا ﵁ خرج في تعبئته التي كان تعبأ بها إلى الشام وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخففين في سبعمائة رجل[٤]، والأدلة على تثاقل كثير من أهل المدينة عن إجابة دعوة أمير المؤمنين للخروج كثيرة منها: خطب الخليفة التي شكا فيها من هذا التثاقل[٥]، وظاهرة اعتزال كثير من الصحابة بعد مقتل عثمان ﵁ كما اتضح ذلك، كما أن رجالاً من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد مقتل عثمان فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم[٦].

وقد عبر أبو حميد الساعدي الأنصاري وهو بدري عن ألمه لمقتل الخليفة عثمان ﵁ فقال: اللهم إن لك علي ألاَّ أضحك حتى ألقاك[٧] فقد كانوا يعدون الخروج من المدينة في تلك المرحلة يقود إلى الانزلاق في الفتنة، التي يخشون عواقبها[٨] على سلامة ما مضى لهم من جهاد مع رسول الله ﷺ[٩]، ومما

(١) «الثقات» لابن حبان (٢/ ٢٨٣)، و«الأنصار في العصر الراشدي» (١٦١).
(٢) «استشهاد عثمان ووقعة الجمل» ص (١٨٣).
(٣) «تاريخ الطبري» (٥/ ٥٠٧).
(٤) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٨١).
(٥) «الطبقات» (٣/ ٢٣٧)، و«الأنصار في العصر الراشدي» ص (١٦٣).
(٦) «البداية والنهاية» نقلاً عن «الأنصار في العصر الراشدي» ص (١٦٤).
(٧) «تاريخ الإسلام» عهد الخلفاء الراشدين.
(٨-٩) «الأنصار في العصر الراشدي» ص (١٦٤).

سبق ذكره لا يعني أنه لم يشارك أحد من الصحابة في مسيرة الخليفة هذا لكنهم كانوا قليلاً، قال الشعبي: لم يشهد موقعة الجمل من أصحاب رسول الله ﷺ غير علي وعمار وطلحة والزبير، فإن جاؤوا بخامس فأنا كذاب[١]، وفي رواية: من حدثك أنه شهد الجمل ممن شهد بدرًا أكثر من أربعة نفر فكَذِّبه كان علي وعمار في ناحية وطلحة والزبير في ناحية[٢]، وفي رواية: لم ينهض مع علي إلى البصرة غير ستة نفر من البدريين ليس لهم سابع[٣]، وبهذا يكون المقصود في الرواية السابقة من الصحابة أهل بدر، وعلى كل حال فإن من شارك في الفتنة من الأنصار قليل. قال ابن سيرين والشعبي: وقعت الفتنة بالمدينة وأصحاب النبي رضي الله عنه أكثر من عشرة آلاف، فما يعدون من خف فيها عشرين رجلاً، فسميا حرب علي وطلحة والزبير وصفين فتنة[٤]، فيتضح مما سبق أن عدد الصحابة الذين خرجوا مع الخليفة علي إلى البصرة كان قليلاً، ولا يمكن الجزم بمشاركتهم في حرب الجمل، فمع شدة تلك الموقعة وكثرة أحداثها لم تذكر المصادر مشاركات الصحابة فيها أو شهداء أو جرحى[٥]. إن إحدى الروايات تقول: خرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخففين في سبعمائة رجل[٦]. والذي يظهر من هذه الرواية: أنها أقرب إلى واقع تلك المرحلة، وأكثر انسجامًا مع سير الأحداث، ومع موقف أهل المدينة الذي كان يتراوح بين الميل للعزلة والتثاقل عن المشاركة في الأحداث[٧].

١ - نصيحة عبد الله بن سلام لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه:

حاول عبد الله بن سلام صاحب رسول الله ﷺ أن يثني عزم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن الخروج، فأتاه وقد استعد للمسير، وأظهر له خوفه عليه ونهاه أن

---

(١) «تاريخ ابن خياط» ص (١٦)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٨/ ٧١٠).

(٢) «العثمانية» للجاحظ ص (١٧٥، و«الأنصار في العصر الراشدي» ص (١٦٥).

(٣، ٤) «الخلافة الراشدة من تاريخ ابن كثير»، لكنعان ص (٣٥٦).

(٥) «الأنصار في العصر الراشدي» ص (١٦٥). (٦) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٨١).

(٧) «الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف» ص (٣٨٨).

يقدم على العراق قائلاً: أخشى أن يصيبك ذباب السيف، كما أخبره بأنه لو ترك منبر رسول الله ﷺ؛ فلن يراه أبدًا، كان علي يعلم هذه الأشياء من رسول الله ﷺ فقال: وايم الله لقد أخبرني به رسول الله ﷺ، ولكن من مع علي من البصريين والكوفيين بلغت بهم الجرأة أن قالوا لعلي: دعنا فلنقتله، فقد أصبح قتل المسلمين ممن يقف في طريقهم، أو يحسون بخطره على حياتهم بالقول أو العمل أمرًا هينًا لا يرون به بأسًا، وفي قولهم، وتهجمهم هذا يدل على قلة الورع وعدم إنزال الصحابة الكرام منازلهم التي أمر رسول الله ﷺ الناس بعده بها، ولكن عليًّا رضي الله عنه نهاهم قائلاً: إن عبد الله بن سلام رجل صالح[1].

٢ - نصيحة الحسن بن علي رضي الله عنهما لوالده:

خرج أمير المؤمنين من المدينة وعندما بلغ الربذة[2] عسكر فيها بمن معه، ووفد عليه عدد من المسلمين بلغوا المائتين[3]، وفي الربذة قام إليه ابنه الحسن رضي الله عنهما وهو باك، لا يخفي حزنه وتأثره على ما أصاب المسلمين من تفرق واختلاف، وقال الحسن لوالده: قد أمرتك فعصيتني، فتقتل غدًا بمضيعة لا ناصر لك، فقال علي: إنك لا تزال تخن[4] خنين الجارية، وما الذي أمرتني فعصيتك؟ قال: أمرتك يوم أحيط بعثمان رضي الله عنه أن تخرج من المدينة فيقتل ولست بها، ثم أمرتك يوم قتل ألا تبايع، حتى يأتيك وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر، ثم أمرتك حين فعل هذان الرجلان ما فعلا، أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا، فإن كان الفساد كان على يدي غيرك، فعصيتني في ذلك كله. قال: أي بني، أما قولك: لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان، فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به، وأما قولك: لا تبايع حتى تأتي بيعة الأمصار، فإن الأمر أمر أهل المدينة، وكرهنا أن يضيع هذا الأمر، وأما قولك حين خرج طلحة والزبير رضي الله عنهما، فإن

---

(١) «مسند أبي يعلى» (١/ ٣٨١) قال محققه: إسناده صحيح.

(٢) شرق المدينة المنورة تبعد ٢٠٤ كيلو متر.

(٣) «أنساب الأشراف» (٢/ ٤٥)، و«خلافة علي بن أبي طالب» ص (١٤٣).

(٤) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٨٢)، خن: أخرج الصوت من خياشيمه.

ذلك كان وهنًا على أهل الإسلام، والله ما زلت مقهورًا مذ وليت، منقوصًا لا أصل إلى شيء مما ينبغي، وأما قولك: اجلس في بيتك، فكيف لي بما قد لزمني، أو من تريدني؟ أتريدني أن أكون مثل الضباع التي يحاط بها، ويقال: ذباب ذباب[١]، ليست ههنا حتى يحل عرقوباها ثم نُخرجُ، وإذا لم أنظر فيما لزمني من هذا الأمر ويعنيني فمن ينظر فيه، فكف عنك أي بني[٢]. كان موقف أمير المؤمنين علي حازمًا في هذه المشكلة وواضح ولم يستطع أحد أن يثنيه عن عزمه. وأرسل علي رضي الله عنه من الربذة يستنفر أهل الكوفة ويدعوهم إلى نصرته، وكان الرسولان محمد بن أبي بكر الصديق، ومحمد بن جعفر رضي الله عنهم ولكنهما لم ينجحا في مهمتهما؛ إذ أن أبا موسى الأشعري والي الكوفة من قبل علي، ثبط الناس ونهاهم عن الخروج والقتال في الفتنة، وأسمعهم ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من التحذير من الاشتراك في الفتنة[٣]، فأرسل علي بعد ذلك هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، ففشل في مهمته؛ لتأثير أبي موسى عليهم[٤].

٣ - استنفار أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لأهل الكوفة من ذي قار[٥]:

تحرك علي رضي الله عنه بجيشه إلى ذي قار فعسكر بها بعد ثمانِ ليال من خروجه من المدينة، وهو في تسعمائة رجل تقريبًا[٦]، فبعث للكوفة في هذه المرة عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما فأبطؤوا عليه، فأتبعه بعمار بن ياسر والحسن بن علي، وعزل أبا موسى الأشعري واستعمل قرظة بن كعب بدلاً منه[٧] وكان للقعقاع دور عظيم في إقناع أهل الكوفة، فقد قام فيهم وقال: إني لكم ناصح وعليكم شفيق، وأحب أن ترشدوا، ولأقولن لكم قولاً هو الحق، . . . والقول الذي هو القول:

---

(١) ذباب: كقطام: دعاء الضبع للضبع.

(٢) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٨٢).

(٣) «تاريخ الطبري» (٥/ ٥١٤)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/ ١٢)، وإسناده حسن.

(٤) «خلافة علي بن أبي طالب» ص (١٤٤) لعبد الحميد، و«سير أعلام النبلاء» (٣/ ٤٨٦).

(٥) ذو قار: ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة «معجم البلدان» (٤/ ٣٩٣).

(٦) «تاريخ الطبري» (٥/ ٥١٩ - ٥٢١).

(٧) «فتح الباري» (١٣/ ٥٣)، و«التاريخ الصغير» (١/ ١٠٩).

إنه لا بد من إمارة تنظم الناس وتنزع الظالم، وتعز المظلوم، وهذا علي يلي ما ولي، وقد أنصف في الدعاء، وإنما يدعو إلى الإصلاح، فانفروا وكونوا في هذا الأمر بمرأى ومسمع[(١)]، وكان للحسن بن علي أثر واضح، فقد قام خطيبًا في الناس وقال: أيها الناس، أجيبوا دعوة أميركم، وسيروا إلى إخوانكم، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه، والله لأن يليه أولو النهى[(٢)] أمثل في العاجلة وخير في العاقبة، فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم[(٣)]، ولبى كثير من أهل الكوفة وخرجوا مع عمار والحسن إلى عليّ ما بين الستة إلى سبعة آلاف رجل، ثم انضم إليهم من أهل البصرة ألفان من عبد القيس ثم توافدت عليه القبائل إلى أن بلغ جيشه عند حدوث المعركة اثني عشر ألف رجل تقريبًا[(٤)]، وعندما التقى أهل الكوفة بأمير المؤمنين علي بذي قار قال لهم: يا أهل الكوفة، أنتم وليتم شوكة العجم وملوكهم وفضضتم جموعهم، حتى صارت إليكم مواريثهم، فأعنتم حوزتكم، واغتنم الناس على عدوهم، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة، فإن يخرجوا فذاك ما نريد وإن يلجوا داويناهم بالرفق، وبايناهم حتى يبدؤونا بظلم، ولن ندع أمرًا فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله[(٥)].

٤ - اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية:

وهذا القول ينطبق على حال الصحابة في هذه الفتنة فمع اختلافهم في الرأي، لم يدخل قلب أحد الضَّغن على أخيه، وإليك هذه القصة التي حدثت بالكوفة، فقد روى البخاري عن أبي وائل قال: دخل أبو موسى الأشعري، وأبو مسعود وعقبة بن عمرو الأنصاري على عمّار حين بعثه عليٌّ إلى أهل الكوفة يستنفرهم،

---

(١) «تاريخ الطبري» (٥/٥١٦).

(٢) أولو النهى: أصحاب العقول.

(٣) «تاريخ الطبري» (٥/٥١٦).

(٤) «مصنف عبد الرزاق» (٥/٤٥٦-٤٥٧) بسند صحيح إلى الزهري مرسلاً، و«خلافة علي بن أبي طالب» ص (١٤٦)، والإسناد حسن لغيره، قاله عبد الحميد علي.

(٥) «تاريخ الطبري» (٥/٥١٩).

فقالوا: ما رأيناك أتيت أمرًا، أكره عندنا من إسراعك في هذا الأمر منذ أسلمت. فقال عمار: ما رأيت منكم منذ أسلمتم أمرًا أكره عندي من إبطائكم في هذا الأمر، وفي رواية: فقال أبو مسعود - وكان موسرًا -: يا غلام هات حلتين فأعط إحداهما أبا موسى، والأخرى عمّارًا، وقال: روحا فيه إلى الجمعة[1] فأنت ترى أبا مسعود وعمارًا وكلاهما يرى الآخر مخطئًا، ومع ذلك فأنت ترى أبا مسعود يكسو عمارًا حلة ليشهد بها الجمعة؛ لأنه كان بثياب السفر وهيئة الحرب، فكره أبو مسعود أن يشهد الجمعة في تلك الثياب، وهذا تصرف يدل على غاية الود مع أن كليهما جعل تصرف صاحبه نحو الفتنة عيبًا، فعمار يرى إبطاء أبي موسى وأبي مسعود عن تأييد علي عيبًا، وأبو موسى وأبو مسعود رأيا إسراع عمار في تأييد أمير المؤمنين علي عيبًا، وكلاهما له حجته التي اقتنع بها، فمن أبطأ فذلك لما ظهر لهم من ترك مباشرة القتال في الفتنة، تمسكًا بالأحاديث الواردة في ذلك وما في حمل السلاح على المسلم من الوعيد، وكان عمّار على رأي علي في قتال الباغين والناكثين، والتمسك بقوله: ﴿**فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي**﴾ (الحجرات: ٩) وحمل الوعيد الوارد في القتال على من كان متعديًا على صاحبه وكلا الفريقين لم يكن حريصًا على قتل صاحبه، ويتعلق الطرفان بأدنى سبب لمنع الاشتجار قبل أن يقع، ومضي الالتحام إن وقع؛ لأن الطرفين كانا كارهين الاقتتال[2].

٥ - تساؤلات على الطريق:

أ - ما سأل به أبو رفاعة بن رافع بن مالك العجلان الأنصاري لما أراد الخروج من الرّبذة، فقال: يا أمير المؤمنين، أي شيء تريد؟ وإلى أين تذهب بنا؟ فقال: أمّا الذي نريد وننوي فالإصلاح، إن قبلوا منا وأجابونا إليه، قال: فإن لم يجيبونا إليه؟ قال: ندعهم بعذرهم ونعطيهم الحق ونصبر، قال: فإن لم يرضوا؟ قال: ندعهم ما

---

(١) «البخاري»، كتاب الفتن.

(٢) «المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي» (٢/ ٣٠٤).

تركونا، قال: فإن لم يتركونا؟ قال: امتنعنا منهم، قال: فنعم إذن، فسمع تلك السلسلة من الأسئلة والإجابات فاطمأن إليها وارتاح لها، وقال: لأرضينَّك بالفعل كما أرضيتني بالقول، وقال:

دَرَّاكُهَا دَرَاكُهَا قَبْلَ الفَوْتْ

وانْفُرْ بِنَا واسْمُ بِنَا نَحْوَ الصَّوت

لا وَأَلَتْ نفسي إن هِبْتُ الموت[١]

ب ـ أهل الكوفة يسألون عليًّا ﷺ بما فيهم الأعور بن بنان المنقري: لما قدم أهل الكوفة إلى أمير المؤمنين ﷺ في ذي قار، قام إليه أقوام من أهل الكوفة يسألونه عن سبب قدومهم، فقام إليه فيمن قام الأعور بن بُنان المِنْقريّ فقال له علي ﷺ: على الإصلاح وإطفاء النائرة[٢]، لعل الله يجمع شمل هذه الأمة بنا ويضع حربهم، وقد أجابوني، قال: فإن لم يجيبونا؟ قال تركناهم ما تركونا، قال: فإن لم يتركونا؟ قال: دفعناهم عن أنفسنا، قال: فهل لهم مثل ما عليهم من هذا؟ قال نعم[٣].

ج – أبو سلامة الدّألاني، ممن سأل أمير المؤمنين ﷺ فقال: أترى لهؤلاء القوم حجّة فيما طلبوا من هذا الدم، إن كانوا أرادوا الله عز وجل بذلك؟ قال: نعم، قال: فترى لك حجة بتأخيرك ذلك؟ قال: نعم، إنّ الشيء إذا كان لا يدرك؛ فالحكم فيه أحوطه وأعمّه نفعًا، قال: فما حالنا وحالهم إن ابتلينا غدًا، قال: إني لأرجو ألا يُقتل أحد نقيّ قلبه لله منّا ومنهم إلا أدخله الله الجنة[٤].

د – وسأل مالك بن حبيب، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، فقال: ما أنت صانع إذا لقيت هؤلاء القوم؟ قال: قد بان لنا ولهم أن الإصلاح الكفّ عن هذا الأمر، فإن بايعونا فذلك، فإن أبوا وأبينا إلا القتال فصدع لا يلتئم، قال: فإن ابتلينا فما بال قتلانا؟ قال: من أراد الله عز وجل نفعه ذلك وكان نجاءه[٥].

---

(١) «تاريخ الطبري» (٥/ ٥١٠).

(٢) النائرة: العداوة.

(٣) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٥٠)، و «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٢٩.

(٤) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٥٠).

(٥) «تاريخ الطبري» (٥/ ٥٢)، و«الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من خلاف» ص (٤٠٦).

إن هدف أمير المؤمنين رضي الله عنه الإصلاح وإطفاء الفتنة، وإن القتال ليس وارد في تدابيره؛ لأنّه إن حصل، فهو داء لا يُرجى شفاؤه، أما من يقتل بين الطرفين فهو مرهون بنيّته، سواء قاتل مع أمير المؤمنين أو قاتل ضده، وبذلك يقرر أمير المؤمنين أن المسلمين الذين خرجوا في هذا الأمر، بعد استشهاد عثمان رضي الله عنه يبتغون الإصلاح، والقضاء على الفتنة مجتهدون وأجرهم على قدر إخلاص نواياهم ونقاء قلوبهم[١].

ثامنًا: محاولات الصلح :

قبل أن يتحرك علي رضي الله عنه بجيشه نحو البصرة أقام في ذي قار أيامًا، وكان غرضه رضي الله عنه القضاء على هذه الفرقة والفتنة بالوسائل السلمية، وتجنيب المسلمين شر القتال والصدام المسلح بكل ما أُوتي من قوة وجهد، وكذلك الحال بالنسبة لطلحة والزبير رضي الله عنهما وقد اشترك في محاولات الصلح عدد من الصحابة وكبار التابعين ممن اعتزلوا الأمر منهم:

١ ـ **عمران بن حصين** رضي الله عنه: فقد أرسل في الناس يخذل الفريقين جميعًا ، ثم أرسل إلى بني عدي - وهم جمع كبير انضموا للزبير - فجاء رسوله وقال لهم في مسجدهم: أرسلني إليكم عمران بن حصين صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينصحكم ويحلف بالله الذي لا إله إلا هو لأن يكون عبدًا حبشيًّا مجدعًا، يرعى أعنزًا في رأس جبل حتى يدركه الموت، أحب إليه من أن يرمي في أحد من الفريقين بسهم أخطأ أو أصاب، فأمسكوا فدًى لكم أبي وأمي، فقال القوم: دعنا منك، فإنّا والله لا ندع ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم لشيء[٢] أبدًا.

٢ ـ **كعب بن سور**: - أحد كبار التابعين - فقد بذل كل جهد، وكلف نفسه فوق طاقتها وقام بدور يعجز عنه كثير من الرجال، فقد استمر في محاولة الصلح

---

(١) «الإنصاف»، د/ حامد ص (٤٠٦) .

(٢) «الطبقات» لابن سعد (٤/ ٨٧)، و«خلافة علي»، لعبد الحميد ص (١٤٨) .

إلى أن وقع المحذور، وذهب ضحية جهوده؛ إذ قتل وهو بين الصفين يدعو هؤلاء ويدعو هؤلاء إلى تحكيم كتاب الله وكف السلاح(١).

٣ - القعقاع بن عمرو التميمي:

أرسل أمير المؤمنين علي القعقاع بن عمرو التميمي ﷺ في مهمة الصلح إلى طلحة والزبير ﷺ، وقال: القَ هذين الرجلين، فادعهما إلى الألفة والجماعة، وعظِّم عليهما الاختلاف والفرقة. ذهب القعقاع إلى البصرة، فبدأ بعائشة ﷺ، وقال لها: ما أقدمك ياأماه إلى البصرة؟ قالت له: يا بني من أجل الإصلاح بين الناس. فطلب القعقاع منها أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضرا، ويكلمَّهما في حضرتها وعلى مسمع منها.

* محاورة القعقاع لطلحة والزبير:

ولما حضرا سألهما عن سبب حضورهما، فقالا كما قالت عائشة من أجل الإصلاح بين الناس. فقال لهما: أخبراني ما وجه هذا الإصلاح؟ فوالله لئن عَرفناه لنصلحنَّ معكم، ولئن أنكرناه لا نصلح، قالا له: قتلة عثمان ﷺ ولابد أن يُقتلوا، فإن تُركوا بدون قصاص كان هذا تركًا للقرآن، وتعطيلاً لأحكامه، وإن اقتص منهم كان هذا إحياء للقرآن. قال القعقاع: لقد كان في البصرة ستُّمائةٍ من قتلة عثمان ﷺ وأنتم قتلتموهم إلا رجلاً واحدًا، وهو حرقوص بن زهير السعدي، فلما هرب منكم احتمى بقومه من بني سعد، ولما أردتم أخذه منهم وقتْله منعكم قومه من ذلك، وغضب له ستة آلاف رجل اعتزلوكم، ووقفوا أمامكم وقفة رجل واحد، فإن تركتم حرقوصًا ولم تقتلوه، كنتم تاركين لما تقولون وتنادون به وتطالبون عليًّا به، وإن قاتلتم بني سعد من أجل حرقوص، وغلبوكم وهزموكم وأديلوا عليكم، فقد وقعتم في المحذور، وقوَّيْتموهم، وأصابكم ما تكرهون، وأنتم بمطالبتكم بحرقوص أغضبتم ربيعة ومضر، من هذه البلاد، حيث اجتمعوا

---

(١) «الطبقات» لابن سعد (٧/ ٩٢) من طريقين صحيحي الإسناد، و«خلافة علي بن أبي طالب»، لعبدالحميد ص (١٤٩).

على حربكم وخذلانكم؛ نصرة لبني سعد وهذا ما حصل مع علي ﷺ، ووجود قتلة عثمان في جيشه.

* الحل عند القعقاع التأني والتسكين ثم القصاص:

تأثرت أم المؤمنين ومن معها بمنطق القعقاع ﷺ، وحجته المقبولة فقالت له: فماذا تقول أنت ياقعقاع؟ قال أقول: هذا أمر دواؤه التسكين، ولابد من التأني في الاقتصاص من قتلة عثمان، فإذا انتهت الخلافات، واجتمعت كلمة الأمة على أمير المؤمنين تفرّغ لقتلة عثمان، وإن أنتم بايعتم عليًّا[1] واتفقتم معه، كان هذا علامة خير، وتباشير رحمة، وقدرة على الأخذ بثأر عثمان، وإن أنتم أبيتم ذلك، وأصررتم على المكابرة والقتال كان هذا علامة شر، وذهابًا لهذا الملك، فآثروا العافية ترزقونها، وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولاً، ولا تُعرِّضونا للبلاء، فتتعرَّضوا له، فيصرعنا الله وإياكم، وايم الله إني لأقول هذا وأدعوكم إليه، وإني لخائف ألاَّ يتم، حتى يأخذ الله حجته من هذه الأمة التي قلَّ متاعها، ونزل بها ما نزل، فإنّ ما نزل بها أمر عظيم، وليس كقتل الرجل الرجل، ولا قتل النفر الرجل، ولا قتل القبيلة القبيلة. اقتنعوا بكلام القعقاع المقنع الصادق المخلص، ووافقوا على دعوته إلى الصلح، وقالوا له: قد أحسنت وأصبت المقالة، فارجع، فإن قدم علي، وهو على مثل رأيك، صلح هذا الأمر إن شاء الله، عاد القعقاع إلى علي ﷺ في «ذي قار» وقد نجح في مهمته، وأخبر عليًّا بما جرى معه، فأُعجب علي ﷺ بذلك، وأوشك القوم على الصلح، كرهه من كرهه، ورضيه من رضيه[2].

* بشائر الاتفاق بين الفريقين:

لما عاد القعقاع وأخبره بما فعل، أرسل علي ﷺ رسولين[3] إلى عائشة والزبير ومن معهم يستوثق فيه مما جاء به القعقاع بن عمرو، فجاءا عليًّا: بأنَّا على ما فارقنا

---

(١) «الانقياد التام لسياسة أمير المؤمنين علي في التعامل مع قتلة عثمان».

(٢) «البداية والنهاية» (٧/ ٧٣٩)، و«تاريخ الطبري» (٥/ ٥٢١).

(٣) «تاريخ الطبري» (٥/ ٥٢٥).

عليه القعقاع فأَقْدِم، فارتحل عليّ رضي الله عنه حتى نزل بحيالهم، فنزلت القبائل إلى قبائلهم، مضر إلى مضر، وربيعة إلى ربيعة، واليمن إلى اليمن، وهم لا يشكون في الصلح فكان بعضهم بحيال بعض، وبعضهم يخرج إلى بعض، ولا يذكرون ولا ينوون إلا الصلح[١]، وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لما نوى الرحيل قد أعلن قراره الخطير: ألا وإني راحل غدًا فارتحلوا يقصد إلى البصرة، ألا ولا يرتحلن غدًا أحد أعان على عثمان رضي الله عنه بشيء في شيء من أمور الناس[٢].

تاسعًا: نشوب القتال:

١ - دور السبئية في نشوب الحرب:

كان في عسكر علي رضي الله عنه من أولئك الطغاة الخوارج الذين قتلوا عثمان من لم يعرف بعينه ومن تنتصر له قبيلته، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله، ومن في قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره[٣]، وحرص أتباع ابن سبأ على إشعال الفتنة وتأجيج نيرانها حتى يفلتوا من القصاص[٤]. فلما نزل الناس منازلهم واطمأنوا خرج علي وخرج طلحة والزبير، فتوافقوا وتكلموا فيما اختلفوا فيه، فلم يجدوا أمرًا هو أمثل من الصلح وترك الحرب حين رأوا أن الأمر أخذ في الانقشاع، فافترقوا على ذلك، ورجع علي إلى عسكره، ورجع طلحة والزبير إلى عسكرهما، وأرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما، وأرسل علي إلى رؤساء أصحابه، ما عدا أولئك الذين حاصروا عثمان رضي الله عنه فبات الناس على نية الصلح والعافية وهم لا يشكون في الصلح، فكان بعضهم بحيال بعض، وبعضهم يخرج إلى بعض، لا يذكرون ولا ينوون إلا الصلح. وبات الذين أشاعوا الفتنة بشر ليلة ما باتوها قط؛ إذ أشرفوا على الهلاك وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها، وقال قائلهم: أما طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما، وأما علي فلم نعرف أمره حتى كان اليوم وذلك حين طلب من الناس أن يرتحلوا في الغد ولا يرتحل معه أحد أعان على عثمان بشيء، ورأي الناس فينا والله واحد، وإن يصطلحوا مع علي فعلى دمائنا[٥]، وتكلم ابن السوداء -

---

(١) «تاريخ الطبري» (٥/ ٥٣٩). (٢) «تاريخ الطبري» (٥/ ٥٢٥). (٣) «تاريخ الطبري» (٥/ ٥٢٦).
(٤) المصدر نفسه (٥/ ٥٢٧)، و«تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ١٢٠). (٥) «تاريخ الطبري» (٥/ ٥٢٦).

عبدالله بن سبأ- وهو المشير فيهم فقال: يا قوم إن عزكم في خلطة الناس فصانعوهم، وإذا التقى الناس غدًا فانشبوا القتال، ولا تفرغوهم للنظر، فإذا من أنتم معه لا يجد بدًّا من أن يمتنع، ويشغل الله عليًّا وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون، فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون[١] فاجتمعوا على هذا الرأي بإنشاب الحرب في السّر، فغدوا في الغلس وعليهم ظلمة، وما يشعر بهم جيرانه، فخرج مضريّهم إلى مضريّهم وربيعيّهم إلى ربيعيّهم، ويمانيّهم إلى يمانيّهم، فوضعوا فيهم السيوف، فثار أهل البصرة، وثار كل قوم في وجوه الذين باغتوهم، وخرج الزبير وطلحة في وجوه الناس من مصر، فبعثا إلى الميمنة، وهم ربيعة يرأسها عبدالرحمن بن الحارث بن هشام، والميسرة، يرأسها عبد الرحمن بن عتّاب بن أسيد وثبتا في القلب، فقالا: ما هذا؟ قالوا: طرقنا أهل الكوفة ليلاً، فقالا: ما علمنا أنَّ عليًّا غير ملته حتى يسفك الدّماء ويستحل الحرمة، وإنه لن يطاوعنا، ثم رجعا بأهل البصرة، وقصف أهل البصرة، أولئك حتى ردّوهم إلى عسكرهم[٢]، فسمع علي وأهل الكوفة الصوت، وقد وضع السبئية رجلاً قريبًا من علي ليخبره بما يريدون، فلما قال: ما هذا؟ قال ذلك الرجل: ما فجئنا إلا وقوم منهم بيّتونا فرددناهم، وقال عليّ لصاحب ميمنته: ائت الميمنة، وقال لصاحب ميسرته: ائت الميسرة، والسبئية لا تفتر إنشابا[٣].

وعلى الرغم من تلك البداية للمعركة، إلا أن الطرفين مالبثا يملكان الرويّة حتى تتضح الحقيقة، فعلي ومن معه يتفقون على ألاَّ يبدؤوا بالقتال حتى يبدؤوا طلبًا للحجة واستحقاقًا على الآخرين بها، وهم مع ذلك لا يقتلون مدبرًا، ولا يجهزون على جريح، ولكن السبئية لا تفتر إنشابًا[٤]، وفي الجانب الآخر ينادي طلحة وهو على دابته وقد غشيه الناس فيقول: يأيها الناس ألا تنصتون؟ فجعلوا يركبونه ولا ينصتونه، فما زاد أن قال: أف أف فراش نار وذبان طمع[٥]، وهل يكون فراش النار وذبان الطمع غير أولئك السبئية؟ بل إن محاولات الصلح لتجري حتى آخر

(١) «تاريخ الطبري» (٥/٥٢٧).
(٢-٤) «تاريخ الطبري» (٥/٥٤١).
(٥) «تاريخ خليفة بن خياط» ص (١٨٢).

لحظة من لحظات المعركة ، ومن خلال هذا العرض يتبين أثر ابن سبأ وأعوانه «السبئية» في المعركة ويتضح بما لا يدع مجالاً للشك حرص الصحابة ﷺ على الإصلاح وجمع الكلمة وهذا هو الحق الذي تثبته النصوص وتطمئن إليه النفوس[١] ، وقبل الحديث عن جولات المعركة ، نشير إلى أن أثر السبئية في معركة الجمل ، مما يكاد يجمع عليه العلماء سواء أسموهم بالمفسدين ، أو بأوباش الطائفتين ، أو أسماهم البعض بقتلة عثمان ، أو نبزوهم بالسفهاء ، أو بالغوغاء ، أو أطلقوا عليهم صراحة السبئية[٢] وإليك بعض النصوص التي تؤكد ذلك :

أ - جاء في أخبار البصرة لعمر بن شبه أنه الذي نسب إليهم قتل عثمان ، فخشوا أن يصطلح الفريقان على قتلهم ، فأنشبوا الحرب بينهم حتى كان ما كان[٣] .

ب - قال الإمام الطحاوي : فجرت فتنة الجمل على غير اختيار من علي ولا من طلحة ﷺ وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين[٤] .

جـ - وقال الباقلاني : . . . وتم الصلح والتفرق على الرضا ، فخاف قتلة عثمان من التمكن منهم ، والإحاطة بهم ، فاجتمعوا وتشاوروا واختلفوا ، ثم اتفقت آراؤهم على أن يفترقوا فرقتين ، ويبدؤوا بالحرب سحرة في المعسكرين ويختلطوا ، ويصيح الفريق الذي في عسكر علي : غدر طلحة والزبير ، ويصيح الفريق الذي في عسكر طلحة والزبير : غدر علي ، فتم لهم ذلك على ما دبروه ونشب الحرب فكان كل فريق منهم دافعًا لمكروه عن نفسه ومانعًا من الإشاطة بدمه ، وهذا صواب من الفريقين وطاعة لله تعالى إذ وقع ، والامتناع منهم على هذا السبيل ، فهذا هو الصحيح المشهور ، وإليه نميل ، وبه نقول[٥] .

د - ونقل القاضي عبد الجبار : أقوال العلماء ، باتفاق رأي علي وطلحة

---

(١) «عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام» ص (١٩٢ ، ١٩٣) .
(٢) «عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام» ص (١٩٤) .
(٣) «فتح الباري» (١٣/٥٦) .
(٤) «شرح العقيدة الطحاوية» ٥٤٦ .
(٥) «التمهيد» ص (٢٣٣) .

والزبير وعائشة رضي الله عنهم على الصلح، وترك الحرب، واستقبال النظر في الأمر، وأنّ من كان في المعسكر من أعداء عثمان كرهوا ذلك، وخافوا أن تتفرغ الجماعة لهم، فدبّروا في إلقاء ما هو معروف، وتمّ ذلك[١].

هـ - ويقول القاضي أبو بكر بن العربي: وقدم عليّ على البصرة، وتدانوا ليتراءوا، فلم يتركهم أصحاب الأهواء، وبادروا بإراقة الدماء، واشتجروا الحرب، وكثرت الغوغاء على البوغاء، كل ذلك حتى لا يقع برهان، ولا يقف الحال على بيان، ويخفى قتلة عثمان، وإنّ واحدًا في الجيش يفسد تدبيره، فكيف بألف[٢].

و - ويقول ابن حزم: وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان أن الإراغة والتدبير عليهم، فبيتوا عسكر طلحة والزبير، وبذلوا السيف فيهم، فدافع القوم عن أنفسهم حتى خالطوا عسكر عليّ، فدافع أهله عن أنفسهم، كل طائفة تظن ولا شك أن الأخرى بدأتها القتال، واختلط الأمر اختلاطًا، لم يقدر أحد على أكثر من الدفاع عن نفسه، والفسقة من قتلة عثمان لا يفترون من شنّ الحرب إضرامها، فكلتا الطائفتين مصيبة في عرضها ومقصدها، مدافعة عن نفسها، ورجع الزبير وترك الحرب بحالها، وأتى طلحة سهم غارب، وهو قائم لا يدري حقيقة ذلك الاختلاط، فصادف جرحًا في ساقه كان أصابه يوم أحد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانصرف ومات من وقته رضي الله عنه وقتل الزبير بوادي السباع - بعد انسحابه من المعركة - على أقل من يوم من البصرة، فهكذا كان الأمر[٣] ويقول الذهبي. . كانت وقعة الجمل قد أثارها سفهاء الفريقين[٤]. ويقول: إن الفريقين اصطلحا وليس لعلي ولا لطلحة رضي الله عنهما قصد القتال، بل ليتكلموا في اجتماع الكلمة، فترامى أوباش الطائفتين بالنبل وشبت نار الحرب، وثارت النفوس[٥].

---

(١) «تثبيت دلائل النبوة» للهمداني ص (٢٩٩) . (٢) «العواصم من القواصم» ص (١٥٦، ١٥٧) .

(٣) «الفصل في الملل والنحل» (٤/١٥٧، ١٥٨).

(٤) «العبر» (١/٣٧)، و«عبد الله بن سبأ» للعودة ص (١٩٥) .

(٥) «تاريخ الإسلام» (١/١٥)، و«عبد الله بن سبأ» للعودة ص (١٩٥) .

وفي «تاريخ الإسلام»: والتحم القتال من «الغوغاء» وخرج الأمر عن علي وطلحة والزبير ﷺ[١]. يقول الدكتور سليمان بن حمد العودة: ولنا بعد ذلك أن نقول: وما المانع أن تكون رواية الطبري المصرّحة بدور «السبئية» في الجمل، تفسّر هذا التعميم، وتحدد تلك المسميات التي وردت في نقولات هؤلاء العلماء؟ وحتى لو لم تكن هذه الطوائف الغوغائية ذات صلة مباشرة بالسبئية ولم تكن لها أهداف كأهدافهم، فأي مانع يمنع القول أن هذه شكلت أرضية استغلها ابن سبأ وأعوانه «السبئية»؟، كما هي العادة في بعض الحركات الغوغائية التي تستغل من قبل المفسدين[٢].

ولا ننسى أن للفتنة وأجوائها دور في الإسهام بتلك الأحداث، فمما لا شك فيه أن الناس في الفتن قد تحجب عنهم أشياء يراها غيرهم رأي العين، وقد يتأولون فيها صانعين أشياء يرى من سواهم حقيقتها ناصعة لا تحتاج إلى عناء، وكفى بسواد الفتنة حاجبًا عن التروي والإبصار[٣]، ولا نبعد كثيرًا فهذا الأحنف بن قيس - وهو أحد الذين عايشوا أحداث الجمل- يخرج وهو يريد نصرة علي بن أبي طالب، حتى لقيه أبو بكرة[٤]، فقال: أين تريد يا أحنف؟ قال: أريد نصر ابن عم رسول الله ﷺ فقال: يا أحنف ارجع فإني سمعته ﷺ يقول: «**إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار**» فقلت أو قيل: يا رسول الله، هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «**إنه كان قد أراد قتل صاحبه**»[٥]. إن القتال مع عليّ كان حقًّا وصوابًا ومن قتل معه فهو شهيد وله أجران، ولكن أبا بكرة ﷺ حمل حديثًا ورد في غير الحالة التي قاتل فيها علي، على حالة قتال الباغين وهو فهم

---

(١) «تاريخ الإسلام» (١/ ١٥)، و«عبد الله بن سبأ» للعودة ص (١٩٥).

(٢) «عبد الله بن سبأ» للعودة ص (١٩٥). (٣) المصدر نفسه ص (١٩٦).

(٤) هو نفيع بن الحارث بن كلدة الثقفي، كما قال الإمام أحمد وعزى هذا القول إلى الأكثرين، وقيل: إنه نفيع ابن مسروح وبه جزم ابن سعد، وقيل: اسمه مسروح وبه جزم ابن اسحاق، وعلى كل فهو مشهور بكنيته أبي بكرة، من فضلاء الصحابة، ومن أهل الطائف وممن اعتزل الفتنة يوم الجمل وأيام صفين، قيل في سبب كنيته: إنه تدلى من حصن الطائف ببكرة فاشتهر بها، توفي بالبصرة ٥٢ هـ.

(٥) «مسلم» (٤/ ٢٢١٣)، كتاب الفتن.

منه رضي الله عنه ولكنه فهم في غير محله. ومن هذه الرواية ندرك أن عقبات متعددة واجهت عليًّا رضي الله عنه في معركته مع الآخرين منها: أمثال هذه الفتاوى التي هي أثر عن ورع أكثر منها أثر عن فتوى تصيب محلها[١]. هذا وقد امتنع الأحنف من الدخول مع علي رضي الله عنهما، فلم يشهد الجمل مع أحد من الفريقين[٢]، ونقترب أكثر فإذا الزبير رضي الله عنه- وهو طرف أساسي في المعركة - يكشف لنا عن حقيقة الأمر: إن هذه لهي الفتنة التي كنا نحدّث عنها، فقال له مولاه: أتسميها فتنة وتقاتل فيها؟ قال: ويحك إنا نبصر ولا نبصر، ما كان أمر قط إلا علمت موضع قدمي فيه، غير هذا الأمر، فإني لا أدري أمقبل أنا فيه أم مدبر[٣]. ويشير إلى ذلك طلحة فيقول: بينما نحن يد واحدة على من سوانا، إذ صرنا جبلين من حديد يطلب بعضنا بعضًا[٤]، وفي الطرف الآخر يؤكد أصحاب علي رضي الله عنه على الفتنة فيقول عمار رضي الله عنه في الكوفة عن خروج عائشة: إنها زوجة نبيكم في الدنيا، والآخرة ولكنها مما ابتليتم[٥].

٢ - الجولة الأولى في معركة الجمل:

زاد السبئيّون في الجيشين من جهودهم في إنشاب القتال، ومهاجمة الفريق الآخر، وإغراء كل فريق بخصمه، وتهييجه على قتاله ونشبت المعركة عنيفة قاسية حامية شرسة، وهي معركة الجمل، وسميت بذلك لأنَّ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، كانت في المعركة في الجولة الثانية وسط جيش البصرة، تركب الجمل الذي قدّمه لها يعلى بن أمية في مكة، حيث اشتراه من اليمن، وخرجت على هذا الجمل من مكة إلى البصرة، ثم ركبته أثناء المعركة، وكانت المعركة يوم الجمعة في السادس عشر من جمادى الثانية، سنة ست وثلاثين، في منطقة «الزابوقة» قرب البصرة، حزن علي لما جرى، ونادى مناديه: كُفّوا عن القتال أيها الناس، ولم يسمع النداء أحد، فالكل كان مشغولاً بقتال خصمه[٦] كانت معركة

---

(١) «الأساس في السنة وفقهها»، و«السيرة النبوية» (٤/ ١٧١١).

(٢) «صحيح مسلم على شرح النووي» (١٨/ ١٠). (٣-٤) «تاريخ الطبري» (٥/ ٥٠٦).

(٥) «تاريخ الطبري» (٥/ ٥١٦). (٦) «تاريخ الطبري» (٥/ ٥٤١).

الجمل على جولتين، الجولة الأولى: كان قائدا جيش البصرة فيها طلحة والزبير، واستمرت من الفجر حتى قبيل الظهيرة[١]، ونادى علي في جيشه، كما نادى طلحة والزبير في جيشهما: لا تقتلوا مدبرًا، ولا تجُهزوا على جريح، ولا تلحقوا خارجًا من المعركة تاركًا لها[٢]، وقد كان الزبير ﷺ وصى ابنه عبد الله بقضاء دينه فقال: إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإني لا أراني إلا سأقتل مظلومًا، وإن أكبر همي ديني[٣]، وأثناء ذلك جاء رجل إلى الزبير، وعرض عليه أن يقتل عليًّا، وذلك بأن يندس مع جيشه ثم يفتك به، فأنكر عليه بشدة، وقال: لا؛ لا يفتك مؤمن، أو إن الإيمان قيد الفتك[٤]، فالزبير ﷺ ليس له غرض في قتل علي أو أي شخص آخر بريء من دم عثمان، وقد دعى أمير المؤمنين علي الزبير، فكلمه بألطف العبارة، وأجمل الحديث وقيل ذكره بحديث سمعه من رسول الله ﷺ يقول له - أي الزبير - «**لتقاتلنه وأنت له ظالم**»[٥]، وهذا الحديث ليس له إسناد صحيح[٦]، وبعض الروايات ترجع السبب في انصراف الزبير ﷺ قبيل المعركة لما علم بوجود عمار بن ياسر في الصف الآخر وهو وإن لم يرو عن رسول الله ﷺ: «**تقتل عمارًا الفئة الباغية**»[٧]، فلعله سمعه من بعض إخوانه من الصحابة لشهرته[٨]، وبعضها ترجع السبب في انصرافه إلى شكه في صحة موقفه[٩] من هذه الفتنة، كما يسميها، وفي رواية ترجع السبب في انصرافه إلى ابن عباس ﷺ ذكره بالقرابة القوية من علي إذ قال له: أين صفية بنت عبد المطلب حيث تقاتل بسيفك علي بن أبي طالب ابن

---

(١) «تاريخ الطبري» (٥/٥٤١، ٥٤٣)، و«الخلفاء الراشدون» للخالدي ص (٢٤٥).

(٢) المصدر نفسه (٥/٥٤١).

(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/٢٧٩)، و«الطبقات» (٣/١٠٨) صحيح الإسناد.

(٤) «مسند أحمد» (٣/١٩) قال محققه أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٥) «استشهاد عثمان ووقعة الجمل» ص (٢٠١) خرّج طرق الحديث وحكم عليها بالضعف.

(٦) «المدينة النبوية فجر الإسلام» (٢/٣٢٤)، و«المطالب العلية» رقم (٤٤٦٨).

(٧) «مسند أحمد» (١/٤٧-٤٩)، (١١/٣٨) إسناده صحيح، تحقيق: أحمد شاكر.

(٨) «خلافة علي بن أبي طالب» ص (١٥٤).

(٩) المصدر نفسه ص (١٥٤، و«تاريخ الطبري» (٥/٥٠٦).

عبدالمطلب؟[١]، فخرج الزبير من المعركة، فلقيه ابن جرموز فقتله[٢] كما سيأتي تفصيله بإذن الله، فالزبير رضي الله عنه كان على وعي لهدفه - وهو الإصلاح - ولكنه لما رأى حلول السلاح مكان الإصلاح رجع، ولم يقاتل، وقول ابن عباس: تقاتل بسيفك علي بن أبي طالب؟ فيه حذف مفهومه: أم جئت للإصلاح وجمع الشمل؟[٣]، وعلى إثر هذا الحديث انصرف الزبير وترك الساحة، وربما كانت عوامل متعددة ومتداخلة ساهمت في خروج الزبير من ساحة المعركة، وأما طلحة بن عبيد الله القائد الثاني لجيش البصرة، فقد أصيب في بداية المعركة؛ إذ جاءه سهم غَرْبٌ لا يُعرفُ من رماه، فأصابه إصابة مباشرة، ونزف دمه بغزارة فقالوا له: يا أبا محمد، إنك لجريح، فاذهب وادخل البيوت لتعالج فيها، فقال طلحة لغلامه: احملني، وابحث لي عن مكان مناسب، فأدخل البصرة، ووُضع في دار فيها ليعالج، ولكنَّ جرحه ما زال ينزف حتى توفي في البيت، ثم دفن في البصرة، رضي الله عنه[٤]، وأما الرواية التي تشير إلى تحريض الزبير وطلحة على القتال، ثم إن الزبير لما رأى الهزيمة على أهل البصرة ترك المعركة ومضى، فهذه الرواية لا تصح[٥]، وهذا الخبر يعارضه ما ثبت من عدالة الصحابة رضوان الله عليهم، كما أنه يخالف الروايات الصحيحة التي تنص على أن أصحاب الجمل ما خرجوا إلا للإصلاح، فكيف ينسجم هذا الفعل من الزبير رضي الله عنه مع الهدف الذي خرج من مكة إلى البصرة من أجله؟ ألا وهو الإصلاح بين الناس، وبالفعل فإن موقف الزبير رضي الله عنه كان السعي في الإصلاح حتى آخر لحظة، وهذا ما أخرجه الحاكم من طريق أبي حرب بن أبي الأسود الديلي، وفيه أن الزبير رضي الله عنه سعى في الصلح بين الناس، ولكن قامت المعركة واختلف أمر الناس ومضى الزبير وترك القتال[٦]، وكذلك طلحة، فقد جاء من

---

(١) «الطبقات» (٣/ ١١٠) إسناده صحيح، و«خلافة علي» ص (١٥٥).

(٢) «الطبقات» (٣/ ١٠)، و«تاريخ خليفة» ص (١٨٦).

(٣) «المدينة النبوية فجر الإسلام» (٢/ ٢٤٨).

(٤) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٥٣).

(٥) «تاريخ الطبري» (٥/ ٥٤٠).

(٦) «المستدرك» (٣/ ٣٦٦)، و«استشهاد عثمان» ص (٢٠٠).

أجل الإصلاح وليس من أجل إراقة الدماء، وأما عن مقتل طلحة رضي الله عنه فقد كان عند بدء القتال كما صرح بذلك الأحنف بن قيس(١).

ويخرج الزبير من ميدان المعركة، ويموت طلحة رضي الله عنهما مع سقوط القتلى والجرحى من الجانبين وتكون قد انتهت الجولة الأولى من معركة الجمل، وكانت الغلبة فيها لجيش علي وكان علي رضي الله عنه يراقب سير المعركة ويرى القتلى والجرحى في الجانبين، فيتألم ويحزن وأقبل عليٌّ على ابنه الحسن رضي الله عنه، وضمّه إلى صدره، وصار يبكي ويقول له: يابنُي: ليت أباك مات قبل هذا اليوم بعشرين عامًا، . فقال الحسن: يا أبت لقد كنت نهيتك عن هذا، فقال علي: ما كنت أظن أن الأمر سيصل إلى هذا الحد، وما طعمُ الحياة بعد هذا؟ وأيٌّ خير يرُجى بعد هذا؟(٢).

٣ - الجولة الثانية:

وصل الخبر إلى أم المؤمنين بما حدث من القتال، فخرجت على جملها تحيط بها القبائل الأزدية، ومعها كعب الذي دفعت إليه مصحفًا يدعو الناس إلى وقف الحرب، تقدمت أم المؤمنين وكلها أمل أن يسمع الناس كلامها لمكانتها في قلوب الناس؛ فتحجز بينهم وتطفئ هذه الفتنة التي بدأت تشتعل(٣)، وحمل كعب بن سور المصحف، وتقدم أمام جيش البصرة، ونادى جيش علي رضي الله عنه قائلاً: يا قوم: أنا كعب بن سور، قاضي البصرة، أدعوكم إلى كتاب الله، والعمل بما فيه، والصلح على أساسه، وخشي السبئيون في مقدمة جيش علي أن تنجح محاولة كعب فرشقوه بنبالهم رشقة رجل واحد، فلقي وجه الله، ومات والمصحف في يده(٤)، وأصابت سهام السبئيين ونبالهم جمل عائشة وهودجها، فصارت تُنادي، وتقول: يابني: الله، الله، اذكروا الله، ويوم الحساب، وكفّوا عن القتال، والسبئيون لا يستجيبون لها، وهم مستمرون في ضرب جيش البصرة

---

(١) «تاريخ خليفة »ص (١٨٥)، و«استشهاد عثمان» ص (٢٠٢) . (٢) «البداية والنهاية» (٧/ ٥٢١).
(٣) «مصنف عبد الرزاق» (٥/ ٤٥٦)، بسند صحيح إلى الزهري. (٤) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٥٣).

وكان علي رضي الله عنه من الخلف يأمر بالكف عن القتال، وعدم الهجوم على البصريين، لكن السبئيين في مقدمة جيشه لا يستجيبون له، ويأبون إلا إقدامًا وهجومًا وقتالاً، ولما رأت عائشة عدم استجابتهم لدعوتها، ومقتل كعب بن سور أمامها، قالت: أيها الناس: العنوا قتلة عثمان وأشياعهم، وصارت عائشة تدعو على قتلة عثمان، وتلعنهم وضجّ أهل البصرة بالدعاء على قتلة عثمان، وأشياعهم، ولعنهم، وسمع عليٌّ الدعاء عاليا في جيش البصرة فقال: ما هذا؟ قالوا: عائشة تدعو على قتلة عثمان، والناس يدعون معها. قال علي: ادعوا معي على قتلة عثمان، وأشياعهم والعنوهم وضجّ جيش علي يلعن قتلة عثمان والدعاء عليهم[1]، وقال علي: اللهم العن قتلة عثمان في السهل والجبل[2] واشتدت الحرب واشتعلت وتشابك القوم وتشاجروا بالرماح، وبعد تقصف الرماح، استلوا السيوف فتضاربوا بها حتى تقصفت[3]، ودنى الناس بعضهم من بعض[4]، ووجّه السبئيون جهودهم لعقر الجمل وقتل عائشة أم المؤمنين، فسارع جيش البصرة لحماية عائشة وجملها، وقاتلوا أمام الجمل، وكان لا يأخذ أحد بخطام الجمل إلا قتل، حيث كانت المعركة أمام الجمل في غاية الشدة والقوة والعنف والسخونة، حتى أصبح الهودج كأنه قنفذ مما رمي فيه من النبل[5]، وقتل حول الجمل كثير من المسلمين من الأزد وبني ضبة، وأبناء وفتيان قريش بعد أن أظهروا شجاعة منقطعة النظير[6]، وقد أصيبت عائشة بحيرة شديدة وحرج فهي لا تريد القتال، ولكنه وقع رغمًا عنها وأصبحت في وسط المعمعة، وصارت تنادي بالكف، فلا مجيب، وكان كل من أخذ بخطام الجمل قتل، فجاء محمد بن طلحة (السجاد) وأخذ بخطامه وقال لأمه أم المؤمنين: يا أماه ما تأمرين، فقالت: كن كخيري ابني آدم - أي كف يدكَ- فأغمد سيفه

---

(١) «البداية والنهاية» (٧/٢٥٣).

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/٢٦٨) بسند صحيح، و«سنن سعيد بن منصور» (٢/٢٣٦) بسند صحيح.

(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/٢٥٨) رجاله رجال الصحيح .

(٤) «الطبقات» (٥/٩٢) بسند حسن.

(٥) «البداية والنهاية» (٧/٢٥٣)، و«تاريخ خليفة »ص (١٩٠) بسند حسن.

(٦) «البداية والنهاية» (٧/٢٥٤).

بعـد أن سله فقـتل رحمه الله[١] كما قـتل عبد الرحمن بن عتّـاب بن أسيد، الذي حاول أن يقـتل الأشتر حـتى لو قتل معـه، وذلك أنه صارعه فـسقطا على الأرض جميـعًا، فقال ابن عتـاب لمن حوله: اقتلوني[٢] ومالكًا لحنقه عـليه؛ لما كان له من دور بارز في تحـريض الناس على عثـمان رضي الله عنه، ولكن الأشـتر لم يكـن معـروفًا بمالك، ولم يك قد حان أجله ولو قال الأشتر لا بتدرته سيوف كثيرة[٣] وأما عبدالله ابن الزبير، فقد قاتل قتالاً منقطع النظير، ورمى بنفـسه بين السيوف، فقد استخرج من بين القتلى وبه بضع وأربعون ضربة وطعنة، كان أشدها وآخرها ضربة الأشتر؛ إذ من حنقه على ابن الزبيـر لم يرض أن يضربه وهو جالس على فـرسه، بل وقف في الركابين فضربه على رأسه ظانًّا أنه قتله[٤]، واستحر القـتل أيضًا في بني عدي وبني ضبة والأزد وقد أبـدى بنو ضبة حماسة وشجـاعة وفداء لأم المؤمنين رضي الله عنها، وقد عبر أحد رؤسائهم وهو عمر بن يثربي الضبي برجزه:

نَحْنُ بَنِي ضَبَّـةَ أَصْحَـابُ الجَـمَلْ

نُـنَـازِلُ المَـوْتَ إِذَا المَـوْتُ نَـزَلْ

المَوْتُ عِنْدَنَا أَحْلَى مِن العَـسَـلْ

نَنْعِي ابْنَ عَـفَّـانَ بِأَطْرَافِ الأَسَلِ[٥]

أدرك أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، بما أوتي من حنكة وقوة، ومـهارة عسكرية فذة أن في بقاء الجـمل استمرارًا للحـرب، وهلاكًا للناس، وأن أصحـاب الجمل لن ينهزمـوا أو يكفوا عن الحرب مـا بقيت أم المؤمنين رضي الله عنها في الميدان، كـما أن في بقائها خطر على حـياتها فالهودج الـذي هي فيه أصبح كالقنفـذ من السهام[٦]،

(١) «نسب قريش» ص (٢٨١)، و«التاريخ الصغير» للبخاري (١/ ١١٠) بسند صحيح.
(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/ ٢٢٨)، و«مرويات أبي مخنف» ص (٢٦٨)، وإسناده صحيح.
(٣) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (١٥٩).
(٤) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/ ٢٢٨) بسند صححه ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٥٧-٥٨).
(٥) «تاريخ خليفة» ص (١٩٠) بسند حسن، و«خلافة علي»، لعبد الحميد ص (١٥٩).
(٦) «أنساب الأشراف» للبلاذري (٢/ ٤٣) بسند متصل.

فأمر علي نفرًا من جنده منهم محمد ابن أبي بكر - أخو أم المؤمنين - وعبد الله ابن بديل: أن يعرقبا الجمل ويخرجا عائشة رضي الله عنها من هودجها إلى الساحة- أي يضربا قوائم الجمل بالسيف - فعقروا الجمل[١]، واحتمل أخوها محمد وعبد الله ابن بديل الهودج حتى وضعاه أمام علي، فأمر به علي، فأدخل في منزل عبدالله ابن بديل[٢]، وصدق حدس علي رضي الله عنه العسكري، فما إن زال السبب أو الدافع الذي دفع البصريين إلى الإقبال على الموت بشغف، وأخرجت أم المؤمنين من الميدان، حتى ولوا الأدبار منهزمين. ولو لم يتخذ هذا الإجراء لاستمرت الحرب إلى أن يفنى جيش البصرة أصحاب الجمل، أو ينهزم جيش علي، وعندما بدأت الهزيمة، نادى علي أو مناديه في جيشه ألاَّ يتبعوا مدبرًا ولا يجهزوا على جريح، ولا يغنموا إلا ما حمل إلى الميدان أو المعسكر من عتاد أو سلاح فقط، وليس لهم ما وراء ذلك من شيء، ونهاهم أن يدخلوا الدور، ليس هذا فحسب، بل قال لمن حاربه من أهل البصرة: من وجد له شيء من متاع عند أحد من أصحابه، فله أن يسترده فجاء رجل إلى جماعة من جيش علي وهم يطبخون لحمًا في قدر له، فأخذ منهم القدر وكفأ ما فيها حنقًا عليهم[٣].

٤ - عدد القتلى:

أسفرت هذه الحرب الضروس عن عدد من القتلى اختلفت في تقديره الروايات، وذكر المسعودي أن هذا الاختلاف في تقدير عدد القتلى مرجعه إلى أهواء الرواة[٤].

فيذكر قتادة أن قتلى يوم الجمل عشرون ألفًا[٥]، ويظهر أن فيها مبالغة كبيرة؛ لأن عدد الجيشين حول هذا العدد أو أقل، أما أبو مخنف الرافضي الشيعي، فقد بالغ كثيرًا بحكم ميوله، وقد أساء من حيث يظن أنه أحسن إذ ذكر أن العشرين

---

(١) «أعلام الحديث» للخطابي (٣/ ١٦١١).

(٢-٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/ ٢٨٦-٢٨٧) بسند جيد، و«الفتح» (١٣/ ٥٧).

(٤، ٥) «مروج الذهب» (٢/ ٣٦٧).

ألفًا هم من أهل البصرة فقط[١]، وأما سيف فيذكر أنهم عشرة آلاف نصفهم من أصحاب علي رضي الله عنه ونصفهم من أصحاب عائشة رضي الله عنها، وفي رواية أخرى قال: وقيل: خمسة عشر ألفًا، خمسة آلاف من أهل الكوفة، وعشرة آلاف من أهل البصرة، نصفهم قتل في المعركة الأولى ونصفهم في الجولة الثانية[٢]، والروايتان ضعيفتان للانقطاع وغيره، وفيها مبالغة أيضًا، ويذكر عمر ابن شبة بسنده أن القتلى يزيدون على ستة آلاف، إلا أن الرواية ضعيفة سندًا[٣]، أما اليعقوبي، فقد جاوز هؤلاء جميعًا، إذ وضع عدد القتلى نيفًا وثلاثين ألفًا[٤]، وهذه الأرقام مبالغ فيها جدًّا، وكان من أسباب المبالغة.

أ ـ رغبة أعداء الصحابة من السبئية وأتباعهم، في توسيع دائرة الخلاف بين أبناء الأمة التي يجمعها حب الصحابة والاقتداء بهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ب ـ مساهمة بعض الشعراء والجهلة من أبناء القبائل، في تضخيم ما جرى وتكبيره، ليتناسب مع ما يصنعونه من أشعار ينسبونها إلى بعض زعمائهم وفرسانهم، فضلاً عن وجود قصاص السمر، ورواة الأخبار الذين يجلبون اهتمام الناس بهم، من خلال الأحداث المثيرة التي يتحدثون عنها.

جـ ـ إيجاد الثقة في نفوس أتباع الغوغاء والسبئية لإثبات نجاح خططهم وتدابيرهم[٥].

أما عن العدد الحقيقي لقتلى معركة الجمل فقد كان ضئيلاً جدًّا للأسباب التالية:

* قصر مدة القتال، حيث أخرج ابن أبي شيبه، بإسناد صحيح[٦]: إن القتال نشب بعد الظهر فما غربت الشمس وحول الجمل أحد ممن كان يذب عنه.

---

(١) «تاريخ خليفة بن خياط» (١٨٦) بسند مرسل.
(٢) «تاريخ الطبري» (٥/ ٥٤٢ – ٥٥٥).
(٣) «تاريخ خليفة بن خياط» ص (١٨٦) إسناده منقطع وهو حسن إلى قتادة.
(٤) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٥٤٦)، و«فتح الباري» (١٣/ ٦٢).
(٥) «الإنصاف» ص (٤٥٥).
(٦) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٥٤٦)، و«فتح الباري» (١٣/ ٦٢).

* الطبيعة الدفاعية للقتال حيث كان كل فريق يدافع عن نفسه ليس إلا.

* تحرج كل فريق من القتال لما يعلمون من عظم حرمة دم المسلم.

* قياسًا بعدد شهداء المسلمين في معركة اليرموك «ثلاثة آلاف شهيد» ومعركة القادسية ثمانية آلاف وخمسمائة شهيد، وهي التي استمرت عدة أيام، فإن العدد الحقيقي لقتلى معركة الجمل يعد ضئيلاً جدًّا، هذا مع الأخذ بالاعتبار شراسة تلك المعارك وحِدّتها لكونها من المعارك الفاصلة في تاريخ الأمم.

* أورد خليفة بن خياط بيانًا بأسماء من حفظ من قتلى يوم الجمل، فكانوا قريبًا من المائة،[1] فلو فرضنا أن عددهم كان مائتين وليس مائة، فإن هذا يعني أن قتلى معركة الجمل لا يتجاوز المائتين. وهذا هو الرقم الذي ترجح لدى الدكتور خالد بن محمد الغيث في رسالته استشهاد عثمان ووقعة الجمل، في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري دراسة نقدية[2].

٥ - هل يصح قتل مروان بن الحكم لطلحة بن عبيد الله؟:

أشارت كثير من الروايات إلى أن قاتل طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه مروان بن الحكم[3] ولكن بعد دراسة تلك الروايات اتضح براءة مروان بن الحكم من تلك التهمة وذلك للأسباب التالية:

أ- قال ابن كثير: ويقال: إن الذي رماه بهذا السهم مروان بن الحكم وقد قيل: إن الذي رماه بهذا السهم غيره، وهذا عندي أقرب وإن كان الأول مشهورًا، والله أعلم[4].

ب- قال ابن العربي عن من قال: إن مروان قتل طلحة بن عبيد الله: ومن يعلم هذا إلا علام الغيوب، ولم ينقله ثبت[5].

---

(١) «تاريخ خليفة» ص (١٨٧، ١٩٠).

(٢) «استشهاد عثمان ووقعة الجمل» ص (٢١٥).

(٣) «الطبقات» (٣/٢٢٣)، و«تاريخ المدينة» (٤/١١٧٠)، و«تاريخ خليفة» ص (١٨٥).

(٤) «البداية والنهاية» (٧/٢٤٨).

(٥) «العواصم من القواصم» ص (١٥٧ إلى ١٦٠).

جـ- قال محب الدين الخطيب: وهذا الخبر عن طلحة ومروان لقيط لا يُعرف أبوه ولا صاحبه[١].

د - بطلان السبب الذي قيل: إن مروان قتل طلحة رضي الله عنه من أجله، وهو اتهام مروان لطلحة بأنه أعان على قتل عثمان رضي الله عنه، وهذا السبب المزعوم غير صحيح حيث إنه لم يثبت من طريق صحيح أن أحدًا من الصحابة قد أعان على قتل عُثمان رضي الله عنه.

هـ - كون مروان وطلحة رضي الله عنه من صف واحد يوم الجمل وهو صف المنادين بالإصلاح بين الناس[٢].

و- إن معاوية رضي الله عنه قد ولَّى مروان على المدينة ومكة، فلو صلح ما بدر من مروان لما ولاه معاوية رضي الله عنه على رقاب المسلمين وفي أقدس البقاع عند الله.

ز- وجود رواية لمروان بن الحكم في صحيح البخاري[٣]، مع ما عرف عن البخاري رحمه الله من الدقة وشدة التحري في أمر من تقبل روايته، فلو صح قيام مروان بقتل طلحة رضي الله عنه لكان هذا سببًا كافيًا لرد روايته والقدح في عدالته[٤].

٦- نداء أمير المؤمنين بعد الحرب:

ما إن بدأت الحرب تضع أوزارها، حتى نادى منادي علي: ألاَّ يجهزوا على جريح، ولا يتبعوا مدبرًا، ولا يدخلون دارًا ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن وليس لجيشه من غنيمة إلا ما حمل إلى ميدان المعركة من سلاح وكراع، وليس لهم ما وراء ذلك من شيء، ونادى منادي أمير المؤمنين فيمن حاربه من أهل البصرة: من وجد شيئًا من متاعه عند أحد من جنده، فله أن يأخذه[٥]، وقد ظن بعض الناس في جيش علي أن عليًّا رضي الله عنه سيقسم بينهم السبي، فتكلموا به ونشروه بين الناس ولكن سرعان ما فاجأهم علي رضي الله عنه، حين أعلن في ندائه: وليس لكم أم ولد، والمواريث على فرائض الله، وأي امرأة قُتل زوجها فلتعتد أربعة

---

(١) «العواصم من القواصم» ص (١٥٧ إلى ١٦٠).

(٢) «استشهاد عثمان ووقعة الجمل» ص (٢٠٢).

(٣) «فتح الباري» (٢/ ٥٢٠)، و«استشهاد عثمان» ص (٢٠٣).

(٤) «استشهاد عثمان ووقعة الجمل» ص (٢٠٢).

(٥) «خلافة علي بن أبي طالب» ص (١٦٨) لعبد الحميد، و«مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/ ٢٨٦) بسند صحيح.

أشهر وعشرًا، فقالوا مستنكرين متأولين: يا أمير المؤمنين تحل لنا دماؤهم ولا تحل لنا نساؤهم؟ فقال علي: كذلك السيرة في أهل القبلة، ثم قال: فهاتوا سهامكم وأقرعوا على عائشة فهي رأس الأمر وقائدهم فافترقوا وقالوا: نستغفر الله، وتبين لهم أن قولهم وظنهم خطأٌ فاحش، ولكن ليرضيهم قسم عليهم رضي الله عنه من بيت المال خمسمائة خمسمائة[1].

٧ - تفقده للقتلى وترحمه عليهم:

بعد انتهاء المعركة خرج يتفقد القتلى مع نفر من أصحابه، فأبصر محمد بن طلحة (السجاد) فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أما والله لقد كان شابًّا صالحًا، ثم قعد كئيبًا حزينًا. ودعا للقتلى بالمغفرة وترحم عليهم وأثنى على عدد منهم بالخير والصلاح[2]، وعاد إلى منزله فإذا امرأته وابنتاه يبكين على عثمان رضي الله عنه وقرابته والزبير وطلحة رضي الله عنهم وغيرهم من أقاربهم القرشيين. فقال لهن: إني لأرجو أن نكون الذين قال الله فيهم: ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ**﴾ [الحجر: ٤٧]. ثم قال: ومن هم إن لم نكن، ومن هم إن لم نكن، فما زال يردد ذلك حتى وددت أنه سكت[3].

٨ - مبايعة أهل البصرة:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حريصًا على وحدة الصف، واحترام رعايا الدولة، ومعاملتهم المعاملة الكريمة، وكان لهذه المعاملة أثر بالغ في مبايعة أهل البصرة لأمير المؤمنين علي، وكان أمير المؤمنين قد وضع الأسرى في مساء يوم الجمل في موضع خاص، فلما صلى الغداة طلب موسى بن طلحة بن عبيد الله، فقربه ورحب به وأجلسه بجواره، وسأله عن أحواله وأحوال إخوته، ثم قال له: إنا لم نقبض أرضكم هذه ونحن نريد أن نأخذها إنما أخذناها مخافة أن ينتهبها الناس، ودفع له غلتها وقال: يابن أخي وأتنا في الحاجة إذا كانت لك، وكذلك

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/ ٢٨٦) بسند صححه ابن حجر (١٣/ ٥٧).

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/ ٢٦١)، و«المستدرك» (٣/ ١٠٣، ١٠٤، ٣٧٥) والإسناد حسن لغيره، و«خلافة علي ابن أبي طالب» ص (١٦٩).

(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/ ٢٦٨-٢٦٩)، و«خلافة علي» ص (١٦٩) لعبد الحميد.

فعل مع أخيه عمران بن طلحة فبايعاه، فلما رأى الأسارى ذلك دخلوا على علي ﷺ يبايعونه، فبايعهم وبايع الآخرين على راياتهم قبيلة قبيلة[١]، كما سأل عن مروان بن الحكم وقال: يعطفني عليه رحم ماسة وهو مع ذلك سيد من شباب قريش، وقد أرسل مروان إلى الحسن والحسين وابن عباس ﷺ ليكلموا عليًّا فقال علي: هو آمن فليتوجه حيث شاء، ولكن مروان إزاء هذا الكرم والنبل، لم تطاوعه نفسه أن يذهب حتى بايعه[٢]، كما أن مروان رحمه الله أثنى على أفعال أمير المؤمنين علي فقال لابنه الحسن: ما رأيت أكرم غلبة من أبيك، ما كان إلا أن ولينا يوم الجمل حتى نادى مناديه: ألا لا يتبع مدبر، ولا يذفف على جريح[٣]. وبذلك تمت بيعة أهل البصرة لأمير المؤمنين علي ﷺ، وولى عليها ابن عمه عبد الله بن عباس ﷺ، وولى على خراجها زياد بن أبيه، وأراد علي ﷺ أن يمكث فيها مدة أطول، لولا أن مالكًا (الأشتر) أعجله عن ذلك، وذلك أن الأشتر كان يطمع في أن يلي ولاية، فلما علم بأن ابن عباس ولي إمارة البصرة غضب وسار في قومه فخشي علي ﷺ منه شرًّا وفتنة، فاستعجل ببقية جيشه، وأدركه، وعاتبه على سيره وأظهر أنه لم يسمع عنه شيئًا[٤].

٩ - حديث أبي بكرة:

فقد روى عن رسول الله ﷺ: «**إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**»[٥]. قال القرطبي: قال علماؤنا: ليس هذا الحديث حديث أبي بكرة في أصحاب النبي ﷺ بدليل قوله تعالى: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ**﴾ [الحجرات: ٩، ١٠]. فأمر الله تعالى بقتال الفئة الباغية، ولو أمسك المسلمون على قتال أهل البغي لتعطلت فريضة من فرائض الله.

---

(١) «الطبقات» (٣/ ٢٢٤) بسند حسن، و«المستدرك» (٣/ ٣٧٦-٣٧٧).

(٢) «سنن سعيد بن منصور» (٢/ ٣٣٧) بسند حسن.

(٣) «كتاب أهل البغي من الحاوي الكبير» للماوردي ص (١١١)، و«فتح الباري» (١٣/ ٦٢).

(٤) «فتح الباري» (١٣/ ٥٧)، و«خلافة علي»، لعبد الحميد ص (١٧٤).

(٥) «مسلم»، كتاب الفتن (٤/ ٢٢٣٣).

وهذا يدل على أن قوله: «**القاتل والمقتول في النار**» ليس في أصحاب النبي ﷺ؛ لأنهم إنما قاتلوا على التأويل. قال الطبري: لو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين الفريقين من المسلمين الهرب منه، ولزوم المنازل وكسر السيوف، لما أقيم حد ولا أبطل باطل، ولوجد أهل النفاق والفجور سبيلاً إلى استحلال كل ما حرم الله عليهم من أموال المسلمين، وسبي نسائهم، وسفك دمائهم، بأن يتحزبوا عليهم، ويكف المسلمون أيديهم عنهم بأن يقولوا هذه فتنة قد نهينا عن القتال فيها، وأمرنا بكف الأيدي والهرب منها[1].

وقال النووي: وأما كون القاتل والمقتول فمحمولة على من لا تأويل له، ويكون قتالهما عصبية ونحوها ثم كونه في النار معناه مستحق لها، وقد يجازى بذلك وقد يعفو الله تعالى عنه، هذا مذهب أهل الحق، وعلى هذا يتأول كل ما جاء من نظائره واعلم أن الدماء التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم ليست بداخلة في هذا الوعيد ومذهب أهل السنة والحق إحسان الظن بهم والإمساك عما شجر بينهم، وتأويل قتالهم وأنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا، بل اعتقد كل فريق أنه المحق ومخالفه باغ فوجب عليه قتاله؛ ليرجع إلى أمر الله وكان بعضهم مصيبًا وبعضهم مخطئًا معذورًا في الخطأ لاجتهاده، والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه وكان علي رضي الله عنه هو المحق المصيب في تلك الحروب، هذا هو مذهب أهل السنة وكانت القضايا مشتبهة حتى إن جماعة من الصحابة تحيروا، فاعتزلوا الطائفتين ولم يقاتلوا ولم يتيقنوا الصواب ثم تأخروا عن مساعدتهم[2].

١٠ - تاريخ معركة الجمل:

اختلف المؤرخون في تاريخ وقعة الجمل إلى أقوال كثيرة منها:

أ - أخرج خليفة بن خياط من طريق قتادة أن الفريقين التقيا يوم الخميس في

(١) «التذكرة» (٢/ ٢٣٢-٢٣٣).

(٢) «شرح صحيح مسلم» (٨/ ٢٢٧-٢٢٨).

النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، وكانت الوقعة يوم الجمعة[١].

ب - أخرج عمر بن شبة أن الوقعة كانت في النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين[٢].

ج - أخرج الطبري من طريق الواقدي أن الوقعة كانت يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين[٣].

د - ذكر المسعودي أن الوقعة كانت يوم الخميس في العاشر من جمادى الأولى[٤]، غير أن أرجح الأقول هو ما أخرجه خليفة بن خياط من طريق قتادة؛ حيث إن إسناد روايته يعد أصح ما في الباب.

١١ - أفلا نكف عنهن وهن مسلمات؟:

جاء أمير المؤمنين إلى الدار التي فيها أم المؤمنين عائشة ﵂، فاستأذن وسلم عليها ورحبت به، وإذا النساء في دار بني خلف يبكين على من قُتل، منهم عبدالله وعثمان ابنا خلف، فعبد الله قتل مع عائشة، وعثمان قتل مع علي، فلما دخل علي قالت له صفية امرأة عبد الله، أم طلحة الطلحات: أيتم الله منك أولادك كما أيتمت أولادي، فلم يرد عليها علي شيء، فلما خرج أعادت عليه المقالة أيضًا فسكت، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين أتسكت عن هذه المرأة وهي تقول ما تسمع؟ فقال: ويحك إنَّا أمرنا أن نكفَّ عن النساء وهنَّ مشركات، أفلا نكفَّ عنهنَّ وهنَّ مسلمات؟[٥].

١٢ - اعتذار أبي بكرة الثقفي عن إمارة البصرة:

جاء عبد الرحمن بن أبي بكرة الثقفي ﵁ إلى أمير المؤمنين فبايعه فقال له علي: أين المريض؟ - يعني أباه - فقال: إنه والله مريض يا أمير المؤمنين، وإنه على مسرتك لحريص. فقال: امشِ أمامي، فمضى إليه فعاده، واعتذر إليه أبو بكرة فعذره، وعرض عليه البصرة فامتنع وقال: رجل من أهلك يسكن إليه

---

(١) «تاريخ خليفة بن خياط» ص (١٨٤، ١٨٥).
(٢) «فتح الباري» (١٣/ ٦١).
(٣) «استشهاد عثمان» ص (٢٠٦) نقلاً عن «تاريخ الطبري».
(٤) «مروج الذهب» (٢/ ٣٦٠).
(٥) «البداية والنهاية» (٧/ ٣٥٧).

الناس، وأشار عليه بابن عباس ﷺ فولاه على البصرة، وجعل معه زياد بن أبيه على الخراج وبيت المال، وأمر ابن عباس أن يسمع من زياد[١].

١٣ - موقف أمير المؤمنين علي ﷺ ممن ينال من عائشة ﷺ:

قال رجل: يا أمير المؤمنين، إن على الباب رجلين ينالان من عائشة ﷺ، فأمر علي القعقاع بن عمرو أن يجلد كل واحد منهما مائة جلدة، وأن يخرجهما من ثيابهما[٢]، وقد قام القعقاع بذلك.

١٤ - دفاع عمّار بن ياسر عن أم المؤمنين عائشة:

عن محمد بن عريب قال: قام رجل فذكر عائشة عند علي ﷺ، فجاء عمار فقال: من هذا الذي يتناول زوجة نبينا؟ اسكت مقبوحًا منبوذًا مذمومًا مدحورًا[٣]، وجاء في رواية: اغرب مقبوحًا أتؤذي حبيبة رسول الله ﷺ[٤]. وجاء في رواية: ذكرت عائشة عند علي ﷺ فقال: حليلة رسول الله ﷺ[٥].

عاشرًا: بين عائشة أم المؤمنين وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ:

عائشة أم المؤمنين ﷺ هي الصديقة بنت الصديق أبي بكر عبد الله بن عثمان، وأمها أم رومان بنت عويمر الكنانية، ولدت بعد المبعث بأربع سنوات أو خمس، تزوجها النبي ﷺ وهي بنت ست ودخل بها وهي بنت تسع سنين وكان دخوله بها في شوال في السنة الأولى، وقيل: في السنة الثانية من الهجرة، وهي المبرأة من فوق سبع سموات، وكانت أحب أزواج النبي ﷺ إليه ولم يتزوج بكرًا غيرها، وكانت أفقه نساء الأمة على الإطلاق، فكان الأكابر من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين إذا أشكل عليهم الأمر في الدين استفتوها، وقد توفي عنها النبي ﷺ وهي في الثامنة عشرة من عمرها، وكانت وفاتها ﷺ في سنة ثمان وخمسين ليلة السابع عشر من رمضان وصلى عليها أبو هريرة، ودفنت في البقيع

(١، ٢) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٥٧).

(٣) «فضائل الصحابة» (٢/ ١١٠)، وإسناده ضعيف، ، و«ضعيف سنن الترمذي» رقم (٨١٥) للألباني.

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٧٩) حديث حسن قاله الذهبي.

(٥) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٧٦) حديث حسن.

رضي الله عنها وأرضاها[١]، ومناقبها ﵂ كثيرة مشهورة فقد وردت أحاديث صحيحة بخصائص انفردت بها عن سواها من أمهات المؤمنين ﵅ منها:

١ - مجيء الملك بصورتها إلى النبي ﷺ في سرقة[٢] من حرير قبل زواجها به ﷺ فقد روى الشيخان من حديث عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أريتك في المنام ثلاث ليال، جاءني بك الملك في سرقة من حرير، فيقول: هذه امرأتك، فأكشف عن وجهك فإذا أنت هي فأقول: إن يك هذا من الله يمضه**»[٣].

٢ - أحب أزواج النبي ﷺ، وقد صرح بمحبتها لما سئل ﷺ عن أحب الناس إليه، فقد روى البخاري بإسناده إلى عمرو بن العاص ﵁ أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل[٤]، قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**» قلت: فمن الرجال؟ قال: «**أبوها**»[٥]. قال الحافظ الذهبي: وهذا خبر ثابت على رغم أنوف الروافض، وما كان ﷺ ليحب إلا طيبًا وقد قال: «**لو كنت متخذًا خليلاً من هذه الأمة لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام أفضل**»، فأَحَبَّ أفضل رجل في أمته، وأفضل امرأة في أمته، فمن أبغض حبيبي رسول الله ﷺ فهو حري أن يكون بغيضًا إلى الله ورسوله، وحبه عليه الصلاة والسلام لعائشة ﵂ كان أمرًا مستفيضًا[٦].

٣ - نزول الوحي على النبي ﷺ وهو في لحافها دون غيرها من نسائه ﷺ، فقد روى البخاري بإسناده إلى هشام بن عروة عن أبيه قال: كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، قالت عائشة: فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة فقلن يا أم سلمة: والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة وإنا نريد الخير كما تريده عائشة فمري رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه، حيث كان أو حيث ما دار، قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي ﷺ قالت: فأعرض عني فلما عاد إلي ذكرت له ذلك فأعرض عني فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال: «**يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة؛ فإنه والله ما نزل علي**

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٣٥-٢٠١)، و«طبقات ابن سعد» (٨/ ٥٨)، و«البداية والنهاية» (٨/ ٩٥).

(٢) أي في قطعة من جيد الحرير: انظر: «النهاية» لابن الأثير (٢/ ٣٦٢).

(٣) «مسلم» رقم (٢٤٣٨).

(٤) مأخوذ من السلسل وهو العذب الصافي من الماء، النهاية لابن الأشير (٢/ ٣٨٩).

(٥) «البخاري» رقم (٤٣٥٨).

(٦) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٤٣).

الوحي في لحاف امرأة منكن غيرها»[(١)]. وقال الذهبي: وهذا الجواب منه دال على أن فضل عائشة على سائر أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، بأمر إلهي وراء حبه لها، وأن ذلك الأمر من أسباب حبه لها[(٢)].

٤ - إن جبريل عليه السلام أرسل إليها سلامه مع النبي صلى الله عليه وسلم: فقد روى البخاري بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا: **«يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام»** فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى مالا أرى، تريد رسول الله صلى الله عليه وسلم[(٣)].

٥ - بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بتخييرها عند نزول آية التخيير وقرن ذلك بإرشادها إلى استشارة أبويها في ذلك الشأن، لعلمه أن أبويها لا يأمرانها بفراقه، فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فاستن بها بقية أزواجه صلى الله عليه وسلم، فقد روى الشيخان بإسنادهما إلى عائشة رضي الله عنها قالت: لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخيير أزواجه بدأ بي فقال: **«إني ذاكر لك أمرًا فلا عليك ألاَّ تعجلي حتى تستأمري أبويك»** قالت: وقد علم أن أبويّ لم يكونا يأمراني بفراقه قالت: ثم قال: إن الله جل ثناؤه قال: **﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾** [الأحزاب:٢٨-٢٩] قالت: فقلت: ففي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة قالت: ثم فعل أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما فعلت[(٤)].

٦ - نزول آيات من كتاب الله بسببها فمنها ما هو في شأنها خاصة ومنها ما هو للأمة عامة، فأما الآيات الخاصة بها والتي تدل على عظم شأنها ورفعة مكانتها، شهادة الباري جلَّ وعلا لها بالبراءة مما رميت به من الإفك والبهتان وهو قوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**

---

(١) «البخاري» رقم (٣٧٧٥)، كتاب فضائل الصحابة.
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢/١٤٣).
(٣) «البخاري»، كتاب فضائل الصحابةرقم (٣٧٦٨).
(٤) «البخاري»، كتاب التفسير رقم (٤٧٨٩).

إلى قوله تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ١١ ـ ٢٦].

قال ابن القيم: ومن خصائصها أن الله سبحانه وتعالى برأها مما رماها به أهل الإفك، وأنزل في عذرها وبراءتها وحي يتلى في محاريب المسلمين وصلواتهم إلى يوم القيامة، وشهد لها بأنها من الطيبات، ووعدها المغفرة والرزق الكريم. وأخبر سبحانه وتعالى أن ما قيل فيها من الإفك كان خيرًا لها، ولم يكن ذلك الذي قيل فيها شرًّا لها، ولا خافضًا من شأنها بل رفعها الله بذلك وأعلى قدرها، وأعظم شأنها وصار لها ذكرًا بالطيب والبراءة بين أهل الأرض والسماء فيالها من منقبة ما أجلها، وتأمل هذا التشريف والإكرام الناشئ عن فرط تواضعها واستصغارها لنفسها حيث قالت: لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بوحي يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ رؤيا يبرئني الله بها[(١)]، فهذه صديقة الأمة وأم المؤمنين وحِب رسول الله ﷺ، وهي تعلم أنها بريئة منه مظلومة وأن قاذفيها ظالمون مفترون عليها، وقد بلغ أذاهم إلى أبويها وإلى رسول الله ﷺ[(٢)]. قال ابن كثير: ولما تكلم فيها أهل الإفك بالزور والبهتان؛ غار الله فأنزل براءتها في عشر آيات من القرآن تُتلى على مرّ الزمان.. وقد أجمع العلماء على تكفير من قذفها بعد براءتها[(٣)]. وأما ما نزل بسببها من الآيات وهي للأمة عامة فآية التيمم، وكانت رحمة وتسهيلاً لسائر الأمة، فقد روى البخاري بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت، فأرسل رسول الله ﷺ ناس من أصحابه في طلبها فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء، فلما أتوا النبي ﷺ، شكوا ذلك إليه فنزلت آية التيمم، فقال أسيد بن حضير: جزاك الله خيرًا، فوالله ما نزل بك أمر تكرهينه إلا جعل الله لك وللمسلمين فيه خير[(٤)].

٧- كان رسول الله ﷺ يحرص على أن يمرض في بيتها: فقد كانت

(١) «البخاري» رقم (٤١٤١).
(٢) «جلاء الأفهام» ص (١٢٤ - ١٢٥).
(٣) «البداية والنهاية» (٨/ ٩٥)، و«تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٢٦٨).
(٤) «البخاري»، رقم (٣٣٦).

وفاته ﷺ بين سحرها ونحرها في يومها، وجمع الله بين ريقه وريقها في آخر ساعة من ساعاته في الدنيا، وأول ساعة من الآخرة، ودفن في بيتها[١]، فقد روى البخاري بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ لما كان في مرضه، جعل يدور في نسائه ويقول: «**أين أنا غدًا؟**» حرصًا على بيت عائشة، قالت: فلما كان يومي سكن[٢]، وعند مسلم عنها أيضًا قالت: إن كان رسول الله ﷺ ليتفقد يقول: «**أين أنا اليوم أين أنا غدًا؟**» استبطاء ليوم عائشة قالت: فلما كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري[٣].

وروى البخاري أيضًا بإسناده عنها: أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيها يقول: «**أين أنا غدًا، أين أنا غدًا؟**» يريد يوم عائشة رضي الله عنها، فأذن له أزواجه أن يكون حيث شاء فكان في بيت عائشة حتى مات عندها. قالت عائشة رضي الله عنها: فمات في اليوم الذي كان يدور عليّ فيه في بيتي، فقبضه الله وإن رأسه لبين نحري وسحري، وخالط ريقه ريقي، ثم قالت: دخل عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه مسواك يستن به، فنظر إليه رسول الله ﷺ، فقلت له: أعطني هذا السواك ياعبد الرحمن، فأعطانيه فَقَضِمْته، ثم مضغته، فأعطيته رسول الله ﷺ فاستن به، وهو مستند إلى صدري.

وفي رواية أخرى بزيادة: فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة[٤].

٨ - إخباره ﷺ بأنها من أصحاب الجنة، فقد روى الحاكم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، مَنْ مِنْ أزواجك في الجنة؟ قال: «**أما إنك منهن؟**» قالت: فخيل إليّ أن ذاك أنه لم يتزوج بكرًا غيري[٥]، وروى البخاري بإسناده إلى القاسم ابن محمد أن عائشة اشتكت فجاء ابن عباس رضي الله عنهما فقال: يا أم

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٨٩) و«البداية والنهاية» (٨/ ٩٥).

(٢) «البخاري»، كتاب «فضائل الصحابة» رقم (٣٧٧٤).

(٣) «مسلم»، كتاب الصحابة رقم (٢٤٤٣).

(٤) «البخاري»، رقم (٤٤٥٠، ٤٤٥١).

(٥) «المستدرك» (٤/ ١٣) صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

المؤمنين تَقْـدَمينَ على فَرَطِ صِـدْقٍ على رسـول الله ﷺ وعلى أبي بكر[١] وفي هذا فضيلة عظيمة لعائشة ﵂ حيث قطع لها بدخول الجنة؛ إذ لا يقول ذلك إلا بتوقيف[٢].

٩ - فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام:

ما رواه الشيخان بإسنادهما إلى عبد الله بن عبد الرحمن أنه سمع أنس بن مالك ﵁ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**»[٣]. قال النووي: قال العلماء معناه أن الثريد من كل طعام أفضل من المرق فثريد اللحم أفضل من مرقه بلا ثريد، وثريد ما لا لحم فيه أفضل من مرقه والمراد بالفضيلة نفعه والتشبع منه وسهولة مساغه، والالتذاذ به وتيسر تناوله وتمكن الإنسان من أخذ كفايته منه بسرعة، وغير ذلك فهو أفضل من المرق كله ومن سائر الأطعمة، وفضل عائشة على النساء زائد كزيادة فضل الثريد على غيرها من الأطعمة. وليس في هذا تصريح بتفضيلها على مريم وآسية لاحتمال أن المراد تفضيلها على نساء هذه الأمة[٤].

هذه بعض الأحاديث التي أشارت إلى فضل السيدة عائشة ﵂ ومكانتها وسبقها وعلو شأنها في الدين، وعظيم مكانتها، ومع هذا فقد تعرضت السيدة عائشة أم المؤمنين للطعن والتجريح والكذب والافتراء من قِبل الشيعة الرافضة، ومن تأثر برواياتهم المختلفة، وآثارهم الموضوعة وجاؤوا بآثار صحاح، وأحاديث مسندة صحيحة وأوّلوها على غير حقيقتها ومرادها، كما فعل ذلك صاحب كتاب «ثم اهتديت» وهو لم يأت بجديد وإنما سار على منهج أسلافه ممن سبقوه من الشيعة الروافض وطعن في أم المؤمنين عائشة بقول عمار: والله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم بها ليعلم إياه تطيعون أم هي[٥]. وليس في قول عمار هذا ما يطعن به على عائشة ﵂ بل فيه أعظم فضيلة لها، وهي أنها زوجة نبينا ﷺ في الدنيا والآخرة، فأي فضل أعظم من

---

(١) «البخاري»، رقم (٣٧٧١). (٢) «فتح الباري»، (١٠٨/٧)، و«العقيدة في أهل البيت» ص (٩٥).
(٣) «البخاري»، رقم (٣٧٧٠). (٤) «شرح صحيح مسلم» (٢٠٨/١٥، ٢٠٩).
(٥) «البخاري»، كتاب فضائل الصحابة رقم (٣٧٧٢).

هذا، وأي شرف أسمى من هذا؟! فإن غاية كل مؤمن رضا الله والجنة، وعائشة رضي الله عنها قد تحقق لها ذلك بشهادة عمار رضي الله عنه الذي كان مخالفًا لها في الرأي في تلك الفتنة، وأنها ستكون في أعلى الدرجات في الجنة بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم (١)، وبهذا قد جاء الحديث الصحيح - المرفوع للنبي صلى الله عليه وسلم على ما روى الحاكم في المستدرك من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: «**أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة؟**»، قالت: بلى والله، قال: «**فأنت زوجتي في الدنيا والآخرة**»(٢) فيكون هذا الحديث من أعظم فضائل عائشة رضي الله عنها؛ ولذا أورد البخاري الأثر السابق عن عمار في مناقب عائشة رضي الله عنها(٣)، وأما قوله في الجزء الأخير من الأثر: ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها(٤). فليس بمطعن على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وبيان ذلك من وجوه:

أ - إن قول عمار هذا يمثل رأيه، وعائشة رضي الله عنها ترى خلاف ذلك، وإن ما هي عليه هو الحق، وكل منهما صحابي جليل، عظيم القدر في الدين والعلم، فليس قول أحدهما حجة على الآخر(٥).

ب - إن غاية ما في قول عمار هو مخالفتها أمر الله في تلك الحالة الخاصة، وليس كل مخالف مذمومًا حتى تقوم عليه الحجة بالمخالفة، ويعلم أنه مخالف، وإلا فهو معذور إن لم يتعمد المخالفة فقد يكون ناسيًا أو متأولاً فلا يؤخذ بذلك.

ج - إن عمارًا رضي الله عنه ما قصد بذلك ذم عائشة ولا انتقاصها، وإنما أراد أن يبين خطأها في الاجتهاد نصحًا للأمة، وهو مع هذا يعرف لأم المؤمنين قدرها وفضلها(٦)، وقد جاء في بعض روايات هذا الأثر عن عمار أن عمارًا سمع رجلاً يسب عائشة، فقال: اسكت مقبوحًا منبوحًا، والله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم أتطيعوه أو إياها(٧)، وأما قول الشيعة الروافض: إن النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبًا- فأشار نحو مساكن عائشة- فقال: «**ههنا الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان**»، وطعنهم على عائشة رضي الله عنها بذلك وزعمهم أن

(١) «الانتصار للصحب والآل» ص (٤٤٨).
(٢) «المستدرك» (٤/ ١٠)، و«الصحيح المسند» لمصطفى العدوي ص (٣٥٦).
(٣، ٤) «البخاري» رقم (٣٧٧٢).
(٥) «الانتصار للصحب والآل» ص (٤٤٨)
(٦) «الانتصار للصحب والآل» ص (٤٥٠، ٤٥١).
(٧) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٤٨).

الرسول ﷺ أراد أن الفتنة تخرج من بيتها . فهذا الكلام فيه تضليل وقلب للحقائق والتدليس على من لا علم عنده من العامة وذلك بتفسيره قول الراوي : فأشار (نحو مسكن عائشة) على أن الإشارة كانت لبيت عائشة ، وأنها سبب الفتنة والحديث لا يدل على هذا بأي وجه من الوجوه وهذه العبارة لا تحتمل هذا الفهم عند من له أدنى معرفة بمقاصد الكلام ، فإن الراوي قال : أشار نحو مساكن عائشة ولم يقل : إلى جهة مساكن عائشة ، والفرق بين التعبيرين واضح وجلي ، وهذه الرواية التي ذكرها أخرجها البخاري في كتاب فرض الخمس[(١)] ، وهذا الحديث قد جاء مخرجًا في كتب السنة من الصحيحين وغيرهما من عدة طرق وبأكثر من لفظ ، وجاء النص فيها على البلاد المشار إليها بما يدحض دعوى الشيعة الروافض ، ويغني عن التكلف في الرد عليهم بأي شيء آخر ، وهاهي ذي بعض روايات الحديث من عدة طرق عن ابن عمر رضي الله عنهما ، فعن ليث عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول : **«ألا إن الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان»**[(٢)] ، وعن عبيد بن عمر قال : حدثني نافع عن ابن عمر : أن رسول الله ﷺ قام عند باب حفصة فقال بيده نحو المشرق : **«الفتنة من حيث يطلع قرن[(٣)] الشيطان»** قالها مرتين أو ثلاثًا ، وعن سالم بن عبدالله عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : وهو مستقبل المشرق ، **«ها إن الفتنة ههنا، ها إن الفتنة ههنا، ها إن الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان»**[(٤)] . وفي هذه الروايات تحديد صريح للجهة المشار إليها وهي جهة المشرق ، وفيها تفسير للمقصود بالإشارة في الرواية التي ذكرها الشيعة الروافض[(٥)] ، كما جاء في بعض الروايات الأخرى للحديث تحديد البلاد المشار إليها ، فعن نافع عن ابن عمر قال : ذكر النبي ﷺ فقال : **«اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا»** ، قالوا : يا رسول الله وفي نجدنا[(٦)] ، فأظنه قال في الثالثة : **«هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان»**[(٧)] .

---

(١) «البخاري» رقم (٣١٠٤) . (٢) «البخاري» رقم (٧٠٩٣) ، و«مسلم» رقم (٢٩٠٥) .
(٣، ٤) «مسلم» ، كتاب الفتن (٤/ ٢٢٢٩) . (٥) «الانتصار للصحب والآل» ص (٤٥٣) .
(٦) نجد من جهة المشرق ، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق . (٧) «البخاري» رقم (٧٠٩٤) .

وعن سالم بن عبد الله بن عمر أنه قال: يا أهل العراق، ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة، سمعت أبي عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله يقول: «**إن الفتنة تجيء من ههنا وأومَأ بيده نحو المشرق، من حيث يطلع قرنا الشيطان**»[(١)]. وفي بعض الروايات جاء ذكر بعض من يقطن تلك البلاد من القبائل ووصف حال أهلها، فعن أبي مسعود قال: أشار رسول الله ﷺ بيده نحو اليمن فقال: «**الإيمان يمَان ههنا، ألا إن القسوةَ وغلَظَ القلوب في الفَدادِين**[(٢)]، **عند أصول أذناب الإبل، حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر**»[(٣)].

فدلت هذه الروايات دلالة قطعية على بيان مراد النبي ﷺ من قوله: الفتنة (ههنا)، وإن المقصود بذلك بلاد المشرق؛ حيث جاءت الروايات مصرحة بهذا، كما جاء في بعضها وصف أهل تلك البلاد وتعيين بعض قبائلها، مما يظهر به بطلان ما ادعى الشيعة الروافض من أن الإشارة كانت إلى بيت عائشة، فإن هذا قول باطل، ورأي ساقط، لم يفهمه أحد وما قال به سوى الشيعة الروافض[(٤)].

١٠- المفاضلة بين عائشة وخديجة وفاطمة رضي الله عنهن:

قال ابن تيمية: وأفضل نساء هذه الأمة خديجة وعائشة وفاطمة رضي الله عنهن، وفي تفضيل بعضهن على بعض نزاع[(٥)]، وسئل ابن تيمية عن خديجة وعائشة أُمَّيْ المؤمنين أيهما أفضل؟ فأجاب: بأن سبق خديجة وتأثيرها في أول الإسلام ونصرها وقيامها في الدين لم تشاركها فيه عائشة ولا غيرها من أمهات المؤمنين، وتأثير عائشة في آخر الإسلام وحمل الدين وتبليغه إلى الأمة وإدراكها من العلم، ما لم تشاركها فيه خديجة ولا غيرها ومما تميزت به عن غيرها،[(٦)] وقال ابن حجر: وقيل: انعقد الإجماع على أفضلية فاطمة وبقي الخلاف بين عائشة وخديجة[(٧)]، وقال في شرح حديث أبي هريرة: إن جبريل أتى النبي ﷺ وأمره أن يقرأ خديجة السلام من ربها وفيه قال السهيلي: استدل بهذه القصة

(١) «مسلم»، كتاب الفتنة من المشرق (٤/ ٢٢٢٩).

(٢) الفَدادون: الذين تعلو أصواتهم في حروثهم ومواشيهم.

(٣) «البخاري» رقم (٣٣٠٢)، و«الانتصار للصحب والآل» ص (٤٥٥).

(٤) «الانتصار للصحب والآل» ص (٤٥٥). (٥، ٦) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٩٤).

(٧) «فتح الباري» (٧/ ١٠٩).

أبوبكر بن داود على أن خديجة أفضل من عائشة؛ لأن عائشة سلم عليها جبريل من قبل نفسه، وخديجة أبلغها السلام من ربها، وزعم ابن العربي أنه لا خلاف في أن خديجة أفضل من عائشة، ورد بأن الخلاف ثابت قديمًا، وإن كان الراجح أفضلية خديجة بهذا وبما تقدم(١). وعند التحقيق والنظر في النصوص الواردة في تفضيل كل واحدة منهن رضي الله عنهن، نجد أنها تدل على أفضلية خديجة وفاطمة ثم عائشة رضي الله عنهن، وذلك أن الضمير الوارد في قوله رضي الله عنه: «**لقد فضلت خديجة على نساء أمتي**»(٢)، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «**أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم وآسية**»(٣)، قال ابن حجر: وهذا نص صريح لا يحتمل التأويل(٤).

وقال صلى الله عليه وسلم: «**حسبك من نساء العالمين: مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون**».(٥) وهذا نص في أن خديجة رضي الله عنها أفضل نساء الأمة ثم إن اللفظ الوارد في تفضيل فاطمة رضي الله عنها وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «**يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين**» أو «**سيدة نساء هذه الأمة**»(٦). وفي لفظ: «**سيدة نساء أهل الجنة**»(٧)، فهو صريح لا لبس فيه ولا يحتمل التأويل، وهو نص في أنها أفضل نساء الأمة وسيدة نساء أهل الجنة، وقد شاركت أمها في هذا التفضيل فهي وأمها أفضل نساء أهل الجنة، وهي وأمها أفضل نساء الأمة بهذا وردت النصوص(٨)، وأما ما ورد في تفضيل عائشة رضي الله عنها من قوله صلى الله عليه وسلم: «**فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**»، فهو لفظ لا يستلزم الأفضلية المطلقة كما قال ابن حجر(٩): وليس فيه تصريح بأفضلية عائشة رضي الله عنها على غيرها؛ لأن فضل الثريد على غيره من الطعام، إنما هو لما فيه من تيسير المؤونة وسهولة الإساغة وكان أجل طعمتهم يومئذ، وكل هذه الخصال لا تستلزم

(١) «فتح الباري» (٧/ ١٣٩).
(٢) «فتح الباري» (٧/ ١٣٥)، و«مجمع الزوائد» (٩/ ٢٢٣).
(٣) «الإحسان» لابن حبان (٩/ ٧٣)، و«صحيح الجامع» للألباني (١/ ٣٧١).
(٤) «فتح الباري» (٧/ ١٣٥).
(٥) «فضائل الصحابة» (٢/ ٧٥٥) رقم (١٣٢٥) وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٣/ ١٧٤٥).
(٦) «البخاري» رقم (٦٢٨٥).
(٧) «فتح الباري» (٧/ ١٠٥).
(٨) «العقيدة في أهل البيت» ص (٩٧).
(٩) «فتح الباري» (٧/ ١٠٧).

ثبوت الأفضلية له من كل وجـهة، فقد يكون مفضولاً بالنسبـة لغيره من جهات أخرى[١]. فالحديث إذن دال على أفضلية عـائشة رضي الله عنها على سائر نساء هذه الأمة ما عـدا خديجـة وفاطمـة رضي الله عنهما لورود الدليل على ذلك مما قـيد تلك الأفضـلية لعائشة رضي الله عنها [٢]، وأما ما ورد من حديث عمرو بن العاص لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم : أي النساء أحب إليك؟ فقال صلى الله عليه وسلم : «**عائشة**»[٣].

فقد أشار ابن حـبان على أنه مقيد في نسائه رضي الله عنهن إذ عقد عنوانًا فـي صحيحه فقـال: ذكر خـبر وهم في تأويله من لـم يحكم صناعة الحـديث، وساق تحـته حديث عمرو بلفظ: قلت: يا رسول الله أي الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**»، فـقلت: إني لست أعني النسـاء وإنما أعني الرجـال، فقـال: «**أبو بكر**» أو قال: «**أبوها**». ثم قال ابن حبان: ذكر الخبر الدال على أن مخرج هذا السؤال كان عن أهله دون سائر النسـاء من فاطمة وغـيرها، وأخرج بسنده عن أنس قـال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من أحب النـاس إليك؟» قال: «**عائـشة**» قيل له: ليس عن أهلك نسألك قال: «**فأبوها**»[٤].

وبهذا يتبين أن عـائشة تلي خديجة وفاطمـة في الفضل رضي الله عنهن؛ إذ كل ما ورد من دليل على عموم تفضيلها رضي الله عنها مقيد بالنص الوارد في خديجة وفاطمة رضي الله عنهما، ولا ينكر أن لعائشـة رضي الله عنها من الفضائـل كالعلم مثـلاً ما تختص به عن خـديجة وفاطمـة رضي الله عنهما إلا أنه: لا يلزم من ثبـوت خصـوصية شيء مـن الفضائـل ثبوت الفضل المطلق[٥]، وعلى كل حال فليس فضل إحداهما على الأخرى بمطعن على المفضـولة، بل في هذا أكبـر دليل على علو مكانة هؤلاء النسـاء الثلاث فـاطمة وخديجـة وعائشة رضي الله عنهن حـيث إن الخلاف لم يخرج عنهن في أنهن أفـضل نساء الأمة، فـما الذي يضـر أم المؤمنين عائشـة رضي الله عنها لو كانت ثـالثة نسـاء الأمة في الفضل وهل هذا مـدعاة لاحترامـها وتقديرها أم للنيل منهـا والطعن فيها، كـما يفعل الشيعة الروافض؟![٦].

---

(١) «فتح الباري» (٦/ ٤٤٧).

(٢) «العقيدة في أهل البيت» ص (٩٧) .

(٣) «البخاري» رقم (٤٣٥٨) .

(٤) «الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان» (٩/ ١١).

(٥) «فتح الباري» (٧/ ١٠٨)، و«العقيدة في أهل البيت» ص (٩٨) .

(٦) «الانتصار للصحب والآل» ص (٤٦١) .

*** هل استباحت السيدة عائشة أم المؤمنين قتال المسلمين في معركة الجمل؟**

قد تقدم أنها ما خرجت لذلك وما أرادت القتال، وقد نقل الزهري عنها أنها قالت بعد موقعة الجمل: إنما أريد أن يحجز بين الناس مكاني، ولم أحسب أن يكون بين الناس قتال، ولو علمت ذلك لم أقف ذلك الموقف أبدًا[١]، وهذا القول بأن السيدة عائشة ﵂ استباحت قتال المسلمين باطل لا يثبت أمام الروايات الصحيحة التي بينت أن عائشة ﵂ ما خرجت إلا للإصلاح كما مر معنا، وإنما هذه الأقول من الروايات التي وضعها الشيعة الروافض والتي شوهت تاريخ صدر الإسلام، وجعلت مما حدث بين علي وطلحة والزبير وعائشة ﵃ حربًا أهلية، وتأثر بعض الباحثين بتلك الروايات حتى قال بعضهم: وأسرت عائشة، ويصورون المسألة كحرب أهلية مخطط لها، وهو قول طبيعي من باحثين لا يستقون معلوماتهم في هذا الشأن إلا من الروايات المقدوحة، ومن المصادر غير الموثوق بها مثل الإمامة والسياسة، والأغاني، ومروج الذهب، وتاريخ اليعقوبي، بل وتاريخ التمدن الإسلامي لجورج زيدان[٢].

- هل يصح هذا الحديث: «تقاتلين علي وأنت له ظالمة؟» .

إنه لا يعرف في شيء من كتب العلم المعتمدة ولا له إسناد معروف، وهو بالموضوعات المكذوبة أشبه منه بالأحاديث الصحيحة، بل هو كذب قطعًا، فإن عائشة ﵂ لم تقاتل ولم تخرج لقتال وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين الناس.. لا قاتلت ولا أمرت بقتال هكذا ذكر غير واحد من أهل المعرفة بالأخبار[٣].

- أمير المؤمنين علي ﵁ يرد عائشة ﵂ إلى مأمنها معززة مكرمة:

جهز أمير المؤمنين علي عائشة بكل شيء ينبغي لها من مركب وزاد أو متاع،

---

(١) «المغازي» للزهري ص (١٥٤) .

(٢) انظر: «دراسة وتحليل للعهد النبوي الأصيل»، لمحمد جميل زينهم، و«الحزبية السياسية»، لرياض عيسى، و«الحريم السياسي»، و«النبي والنساء»، و«الدولة العربية» فلهوزن، نقلاً عن «دور المرأة السياسي» ص (٤٤٢) .

(٣) «منهاج السنة» (٢/ ١٨٥).

وأخرج معها من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات وقال: تجهز يا محمد «ابن الحنفية»، فَبَلِّغَها، فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه جاءها حتى وقف لها، وحضر الناس، فخرجت على الناس، وودعوها وودعتهم وقالت: يا بني، تعتب بعضنا على بعض استبطاء واستزادة فلا يعتدن أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها وإنه عندي على معتبتي من الأخيار، وقال علي: يأيها الناس، صدقت والله وبرت ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنها لزوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة. وخرجت يوم السبت لغرة رجب سنة ست وثلاثين، وشيعها علي أميالاً وسرح بنيه معها[1] يومًا. وبتلك المعاملة الكريمة من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه نراه قد اتبع ما أوصاه به نبي الأمة صلى الله عليه وسلم عندما قال له: «**إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر**». قال: أنا يا رسول الله؟ قال: «**نعم**»: قال: أنا؟ قال: «**نعم**». قلت: فأنا أشقاهم يا رسول الله. قال: «**لا، ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها**»[2] وقد خالف الصواب من ظن أن خروج أم المؤمنين إلى البصرة كان لشيء في نفسها من علي رضي الله عنه لموقفه منها في حديث الإفك حين رماها المنافقون بالفاحشة فاستشاره النبي صلى الله عليه وسلم في فراقها. فقال رضي الله عنه: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك[3].

وهذا الكلام الذي قاله عليّ رضي الله عنه إنما حمله عليه ترجيح جانب النبي صلى الله عليه وسلم؛ لما رأى عنده من القلق والغم بسبب القول الذي قيل، وكان شديد الغيرة، فرأى عليّ في بادئ الأمر أنه صلى الله عليه وسلم إذا فارقها سكن ما عنده من القلق بسببها إلى أن يتحقق براءتها، فيمكن رجعتها، ويستفاد منه ارتكاب أخف الضررين لذهاب أشدهما[4].

---

(١) «تاريخ الطبري» (٥/ ٥٨١).

(٢) «مسند أحمد» (٦/ ٣٩٣) إسناده حسن.

(٣) «البخاري» رقم (٤٧٨٦).

(٤) «دور المرأة السياسي» ص (٤٦٢)

قال النووي: رأى عليّ أن ذلك هو المصلحة في حق النبي ﷺ، واعتقد ذلك لما رأى من انزعاجه، فبذل جهده في النصيحة؛ لإرادة راحة خاطره ﷺ[1].

وعليّ رضي الله عنه لم ينل عائشة رضي الله عنها بأدنى كلمة يُفْهَم منها أنه قد عرّض بأخلاقها أو تناولها بسوء، فإنه على الرغم من قوله للنبي ﷺ: لم يضيق الله عليك[2]. إلا أنه عاد فقال لرسول الله ﷺ، ناصحًا: وسل الجارية تصدقك[3]، فهو قد دعاه إلى التحري أولاً قبل أن يفارقها، أي أنه قد رجع عن نصيحته الأولى بالمفارقة إلى نصيحة أخرى بسؤال الجارية، وتحري الحقيقة[4] وقد سأل رسول الله ﷺ الجارية التي كانت أكثر التصاقًا بعائشة، فأكدت أنها ما علمت من عائشة إلا خيراً، وقد خرج رسول الله ﷺ من يومه الذي سأل فيه الجارية، واستعذر من عبد الله ابن أُبَيٍّ قائلاً: «**يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهل بيتي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً**»[5]. لقد كانت نصيحة علي في صالح عائشة فقد ازداد ﷺ قناعة بما علم من خير في أهله[6].

ولم يكن موقف علي في حادثة الإفك هو الذي جعل عائشة تغضب منه رضي الله عنه لأجله، أو تحقد الحقد الذي يجعلها تتهمه زوراً بقتل عثمان، وتخرج عليه مؤلبة الأعداد الهائلة من المسلمين، كما زعم كثير من الباحثين ممن تورط في روايات الشيعة الرافضة والتي لفقوها ووضعوها.

- ندمهم على ما حصل منهم:

قال ابن تيمية: . . . وهكذا عامّة السّابقين، ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزّبير وعليّ رضي الله عنهم وغيرهم، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في القتال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم[7].

---

(١) «شرح النووي على صحيح مسلم» (٥/ ٦٣٤).

(٢، ٣) «البخاري» رقم (٤٧٨٦).

(٤) «دور المرأة السياسي» ص (٤٦٢).

(٥) «البخاري» رقم (٤٧٨٦).

(٦) «دور المرأة السياسي» ص (٤٦٢).

(٧) «المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال»، تعليق: محب الدين الخطيب ص (٢٢٢).

أ ـ فأمير المؤمنين علي رضي الله عنه ورد عنه، عندما نظر وقد أخذت السيوف مأخذها من الرجال، فقال: لوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة(١).

ب ـ وروى نعيم بن حماد بسنده إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما، أنه قال لسليمان بن صرد: لقد رأيت عليًّا حين أشتد القتال وهو يلوذ بي، ويقول: يا حسن: لوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة(٢).

جـ ـ وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: أراد أمير المؤمنين علي أمرًا، فتتابعت الأمور، فلم يجد منزعًا(٣).

د ـ وعن سليمان بن صرد، عن الحسن بن علي سمع عليًّا رضي الله عنه يقول- حين نظر إلى السيوف قد أخذت القوم -: يا حسن أكل هذا فينا؟ ليتني مت قبل هذا بعشرين أو أربعين سنة(٤).

هـ ـ وأما عائشة فقد ورد عنها أنّها كانت تقول حين تذكر وقعة الجمل: وددت أني كنت جلست كما جلس أصحابي وكان أحب إليّ أن أكون ولدت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر، كلهّم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، ومثل عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم(٥).

و ـ وكانت إذا قرأت قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب:٣٣]. تبكي حتى تبل خمارها(٦).

ز ـ قالت عائشة رضي الله عنها: وددت أن لو كان لي عشرون ولدًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وإني ثكلتهم، ولم يكن ما كان مني يوم الجمل(٧).

حـ ـ قال ابن تيمية: فإن عائشة لم تقاتل، ولم تخرج لقتال، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين المسلمين، وظنّت أنّ خروجها مصلحة للمسلمين، ثّم تبيّن

(١، ٢) «الفتن» لنعيم بن حماد (١/ ٨٠).

(٣) «الفتن» لنعيم بن حماد (١/ ٨١).

(٤) «أحداث وأحاديث فتنة الهرج» ص (٢١٧).

(٥) «الفتن»، لنعيم بن حمّاد (١/ ٨١).

(٦) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٧٧)، و«الطبقات» (٨/ ٨١).

(٧) «التمهيد» للباقلاني ص (٢٣٢) عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي كان من نبلاء الرجال وهو من أشرف بني مخزوم توفي قبل معاوية.

لها فيما بعد أنّ ترك الخروج كان أولى، فكانت إذا ذكرت خروجها تبكي حتى تبلّ خمارها، وهكذا عامّة السابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزبير وعليّ ﷺ وغيرهم، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في القتال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم[١].

ط ـ قال الذهبي: ولا ريب أن عائشة ندمت ندمة كلية على مسيرها إلى البصرة، وحضورها يوم الجمل، وما ظنّت أن الأمر يبلغ ما بلغ[٢].

الحادي عشر: سيرة الزبير بن العوام واستشهاده:

هو أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي[٣]، ويجتمع مع النبي ﷺ في قصي، وهو حواري رسول الله ﷺ وابن عمته، أمه صفية بنت عبد المطلب، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد أصحاب الشورى[٤]، أسلم وهو حدث وله ست عشرة سنة،[٥] ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ[٦]، وقد تعرضّ بعد إسلامه للتعذيب، فقد روي أن عمّ الزبير كان يعلق الزبير في حصير ويدخن عليه بالنار وهو يقول: ارجع إلى الكفر، فيقول الزبير: لا أكفر أبدًا[٧].

١ - أول من سل سيفه في سبيل الله:

عن سعيد بن المسيب، قال: أول مَنْ سلّ سيفه في ذات الله الزبير بن العوام، وبينما الزبير بن العوام قائم في شعب المطابخ إذ سمع نغمة: أن رسول الله قُتل، فخرج من البيت متجردًا السيف صَلْتا، فلقيه رسول الله ﷺ كَفَّةَ كَفَّةَ[٨]، فقال: «**ما شأنك يازبير؟**» قال: سمعت أنك قُتِلْت، قال: «**فما كنت صانعًا؟**» قال: أردت والله أن أستعرض أهل مكة، قال: فدعا له النبي ﷺ بخير. قال سعيد: أرجو ألاَّ تضيع له عند الله عز وجل دعوة النبي ﷺ[٩].

---

(١) «المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال» ص (٢٢٢، ٢٢٣).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٧٧).
(٣) «الإصابة» (١/ ٥٢٦-٥٢٨).
(٤) «الطبقات الكبرى» (٣/ ١٠٠)، و«الإصابة» (١/ ٥٢٦-٥٢٨).
(٥) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٤١).
(٦) «سير السلف» (١/ ٢٢٦) الرواية مرسلة.
(٧) الطبراني في «الكبير» (١/ ١٢٢).
(٨) كفة كفّة: أي مواجهة كأن كل واحد منهما قد كف صاحبه عن مجاوزته إلى غيره.
(٩) «فضائل الصحابة» (٢/ ٩١٤) رقم (١٢٦٠) إسناده ضعيف، حسن لغيره.

٢- هجرته للحبشة:

ولما اشتد إيذاء قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه رضي الله عنهم أشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة ليكونوا في جوار «النجاشي» ذلك الملك العادل، فكانوا عنده بخير دار مع خير جار، وظلوا على تلك الحال من الأمن والاستقرار إلى أن نزل رجل من الحبشة لينازع النجاشي في الملك، فحزن المسلمون لذلك حزنًا شديدًا، وخافوا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي وهو لا يعرف حق الصحابة الأطهار ولا يعرف قدرهم، وهنا أراد الصحابة رضي الله عنهم أن يعرفوا أخبار الصراع الدائر بين النجاشي وبين هذا الرجل على الجانب الآخر من النيل[1]. قالت أم سلمة رضي الله عنها: فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: من رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟ قالت: فقال الزبير بن العوام: أنا، قالوا: فأنت، وكان من أحدث القوم سنًّا. قالت: فنفخوا له قربة فجعلها في صدْره، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها مُلتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم قالت: فَدَعَوْنَا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوه، والتمكين له في بلاده، قالت: فوالله إنّا لَعلى ذلك متوقعون لما هو كائن؛ إذ طلع الزبير وهو يسعى، فلمع بثوبه وهو يقول: ألا أبشِرُوا، فقد ظفر النجاشي، وأهلك الله عدوه ومكن له في البلاد[2].

بعد رجوع الزبير من الحبشة إلى مكة قام في كنف الحبيب المصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم، يتلقى منه مبادئ الإسلام وأوامره ونواهيه، وعندما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم للمدينة كان الزبير من ضمن المهاجرين إليها.

٣- في غزوة بدر:

كان الزبير رضي الله عنه فارسًا مقدامًا، وبطلاً مغوارًا، لم يتخلف عن مشهد واحد من المشاهد. تراه في كل غزوة وفي كل معركة، فقد اتصف بالشجاعة الخارقة، والبطولة النادرة والإخلاص الكامل، والتفاني لإعلاء كلمة الحق[3]، ولقد بذل الزبير رضي الله عنه الكثير في سبيل الله، وجعل نفسه وماله وقفًا لله عز وجل؛ فأكرمه

---

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٢٧٩)، و«أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم» (١/ ٢٧٤).

(٢) «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٢٧٩).

(٣) «أهل الشورى» لرياض العبد الله ص (٦٧) .

الله ورفعه في الدنيا والآخرة، فقد كانت عليه عمامة صفراء معتجراً بها يوم بدر، فعن عروة أنه قال: كانت على الزبير يوم بدر عمامة صفراء فنزل جبريل على سيماء الزبير(١). فيالها من منقبة لا توازيها الدنيا بما فيها، وفيه يقول عامر ابن صالح بن عبد الله بن الزبير:

جدّي ابنُ عمَّةِ أحمدَ ووَزِيرُه
عِنْدَ البَلاءِ وفَارِسُ الشَّقْرَاءِ
وغَدَاةَ بَدْرٍ كَانَ أَولَ فَارسٍ
شَهِدَ الوَغَى في اللأْمَةِ الصَّفْرَاءِ
نَزَلَتْ بِسِيمَاهُ الملائكُ نُصْرَةً
بالحَوْضِ يَوْمَ تَأَلُّبِ الأَعْدَاءِ(٢)

وعن الزبير قال: لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج لا يُرى منه إلا عيناه، وهو يكنى أبا ذات الكَرِش، فقال: أنا أبو ذات الكرش، فحملت عليه بالعنزة فطعنته في عينه فمات، قال الزبير: لقد وضعت رجلي عليه ثم تمطأت فكان الجهد أن نزعتها وقد انثنى طرفاها. فسأله إياها رسول الله فأعطاه، فلما قبض رسول الله ﷺ، أخذها ثم طلبها أبو بكر فأعطاه، فلما قبض أبو بكر سأله إياها عمر فأعطاه إياها، فلما قبض عمر أخذها، ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياها، فلما قُتل عثمان وقعت عند آل علي، فطلبها عبد الله ابن الزبير ، فكانت عنده حتى قتل(٣).

هذا الخبر يصور لنا دقة الزبير بن العوام في إصابة الهدف، حيث استطاع أن يضع الحربة في عين ذلك الرجل مع ضيق ذلك المكان، وكونه قد وزع طاقته بين الهجوم والدفاع، فلقد كانت إصابة ذلك الرجل بعيدة جداً؛ لكونه قد حمى جسمه بالحديد الواقي لكن الزبير استطاع إصابة إحدى عينيه، فكانت بها نهايته، ولقد كانت الإصابة شديدة العمق مما يدل على قوة الزبير الجسدية، إضافة إلى دقته

---

(١) الطبراني في «الكبير» رقم (٢٣٠)، مرسل صحيح الإسناد، و«سير أعلام النبلاء» (١/٤٦).
(٢) «تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين» ص (٥٠١).
(٣) صحيح «البخاري»، كتاب المغازي رقم (٣٩٩٨).

ومهارته في إصابة الهدف[١]. وقد كان يوم بدر مع رسول الله ﷺ فارسان: الزبير على فرس على الميمنة والمقداد بن الأسود رضي الله عنهما على فرس على الميسرة[٢].

٤- في غزوة أحد:

قال الزبير رضي الله عنه: جمع لي النبي ﷺ أبويه يوم أحد[٣]. وهذا دليل على قتاله وبأسه في تلك المعركة، فقد اتصف رضي الله عنه بالثبات والعزيمة، وحب الشهادة في سبيل الله تعالى وقد وصف لنا رضي الله عنه ما فعله أبو دجانة الأنصاري في تلك الغزوة، فعندما التحم الجيشان واشتد القتال، وشرع رسول الله ﷺ يشحذ في همم أصحابه، ويعمل على رفع معنوياتهم وأخذ سيفًا وقال: «**من يأخذ مني هذا؟**» فبسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا أنا وكان من ضمنهم الزبير قال: «**فمن يأخذه بحقه؟**» فأحجم القوم، فقال سماك بن خرشة أبو دجانة: وما حقه يا رسول الله؟ قال: «**أن تضرب به العدو حتى ينحني**» قال: أنا آخذه بحقه. فدفعه إليه، وكان رجلاً شجاعًا يختال عند الحرب أي يمشي مشية المتكبر وحين رآه رسول الله ﷺ يتبختر بين الصفين، قال: «**إنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن**»[٤].

ووصف الزبير بن العوام ما فعله أبو دجانة يوم أحد فقال: وجدت في نفسي حين سألت رسول الله ﷺ السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة، وتركني، والله لأنظرن ما يصنع فاتبعته، فأخرج عصابة له حمراء فعصب بها رأسه، فقالت الأنصار: أخرج أبو دجانة عصابة الموت، وهكذا كانت تقول له إذا تعصب فخرج وهو يقول:

أَنَا الذي عَاهَدَنِي خَلِيلِي
وَنَحْنُ بالسَّفْحِ لَدَى النَّخِيلِ

---

(١) «التاريخ الإسلامي» (٤/ ١٦٣).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٤٦) والرواية مرسلة.

(٣) «فضائل الصحابة» (٢/ ٩١٨) رقم (١٢٦٧) إسناده صحيح.

(٤) «مسلم»، كتاب فضائل الصحابة رقم (٢٤٧٠).

أَلاَّ أَقُــومَ الـدَّهْرَ في الكَيُـــولِ[١]
أَضْــرِبُ بِسَــيْفِ اللهِ والرَّسُــولِ[٢]

فجعل لا يلقي أحدًا إلا قتله، وكان من المشركين رجل لا يدع جريحا إلا ذفف[٣] عليه فجعل كل منهما يدنو من صاحبه، فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك أبا دجانة، فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه، وضربه أبو دجانة فقتله، ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة، ثم عدل السيف عنها، فقلت: الله ورسوله أعلم[٤]، قال أبو إسحاق: قال أبو دجانة: رأيت إنسانًا يخمش الناس خَمْشًا شديدًا فصمدت له فلما حملت عليه السيف ولول، فإذا امرأة فأكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة[٥]، وعن هشام عن أبيه، قالت عائشة: يابن أختي كان أبواك يعني الزبير وأبا بكر من ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ [آل عمران: ١٧٢].

لّما انصرف المشركون من أحد، وأصاب النبي ﷺ، وأصحابه ما أصابهم، خاف أن يرجعوا، فقال: من ينتدب لهؤلاء في آثارهم، حتى يعلموا أنّ بنا قوة، فانتدب أبو بكر والزبير رضي الله عنهما في سبعين، فخرجوا في آثار المشركين، فسمعوا بهم فانصرفوا، قال تعالى: ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤] لم يلقوا عدوًّا،[٦] ولما استشهد حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه في أحُد جاءت أم الزبير صفية بنت بعد المطلب لتنظر إلى أخيها وقد مثل به المشركون فجدعوا أنفه وبقروا بطنه، وقطعوا أذنيه ومذاكيره، فقال رسول الله لابنها الزبير بن العوام: «**الْقَها فأَرْجِعْها، لا ترى ما بأخيها**»، فقال لها: يا أمه إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي، قالت: ولم؟ وقد بلغني أنه قد مثل بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك، لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله، فلما جاء الزبير ابن العوام رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ، فأخبره بذلك، قال: «**خل سبيلها**»، فأتته، فنظرت إليه فصلت عليه واسترجعت[٧] واستغفرت له[٨].

---

(١) الكيول: مؤخرة الصفوف.
(٢) «البداية والنهاية» (١٧/٤).
(٣) ذفف: أجهز عليه.
(٤، ٥) «البداية والنهاية» (١٨/٤).
(٦) «البخاري» رقم (٤٠٧٧).
(٧) استرجعت: قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون.
(٨) «السيرة النبوية» لابن هشام (١٠٨/٣).

وجاء في رواية عن عروة قال: أخبرني أبي الزبير: أنه لما كان يوم أحد أقبلت امرأة تسعى، حتى إذا كادت أن تشرف على القتلى، قال: فكره النبي ﷺ أن تراهم، فقال: «**المرأة المرأة**». قال الزبير: فتوسمت أنها أمِّي صفية، قال: فخرجت أسعى إليها، فأدركتها قبل أن تنتهي إلى القتلى، قال: فَلَدَمَتْ في صدري، وكانت امرأة جلدة، قالت: إليك، لا أرض لك. قال: فقلت: إن رسول الله ﷺ عزم عليك. قال: فوقفت، وأخرجت ثوبين معها، فقالت: هذان ثوبان جئت بهما لأخي حمزة، فإذا إلى جانبه رجل من الأنصار قتيل، قد فعل به كما فعل بحمزة، قال: فوجدنا غضاضة وحياءً أن نكفن حمزة في ثوبين، والأنصاري لا كفن له، فقلنا: لحمزة ثوب، وللأنصاري ثوب، فقدرناهما فكان أحدهما أكبر من الآخر، فأقرعنا بينهما، فكفَّنَّا كل واحد منهما في الثوب الذي طار له[1].

٥- في غزوة الخندق: (لكل نبي حواري وحواري الزبير)[2].

قال رسول الله ﷺ يوم الخندق: «**من يأتينا بخبر بني قريظة؟**» فقال الزبير: أنا، فذهب على فرس، فجاء بخبرهم. ثم قال الثانية، فقال الزبير: أنا، فذهب، ثم الثالثة، فقال النبي ﷺ: «**لكُلِّ نبِّي حواريّ، وحواريَّ الزبير**»[3].

ومعنى قوله ﷺ: «**وحواري الزبير**»: أي: خاصتي من أصحابي وناصري، ومنه الحواريون أصحاب عيسى عليه السلام أي خلصائه وأنصاره، فالحواري: هو الناصر المخلص، فالحديث اشتمل على هذه المنقبة العظيمة التي تميز بها الزبير رضي الله عنه؛ ولذلك سمع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما رجلاً يقول: أنا ابن الحواري فقال: إن كنت من ولد الزبير وإلا فلا[4]، وجاء في «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» للعيني: فإن قلت: الصحابة كلهم أنصار رسول الله ﷺ خلصاء فما وجه التخصيص به قلنا: هذا قاله حين قال ﷺ يوم الأحزاب: «**من يأتيني بخبر القوم؟**» قال الزبير: أنا، قال: «**من يأتيني بخبر القوم؟**» فقال: «أنا» وهكذا مرة ثالثة ولاشك أنه في ذلك الوقت نصره نصرًا زائدًا على غيره[5]، وقد فداه

---

(١) «مسند أحمد» (٣/ ٣٤) الموسوعة الحديثية إسناده حسن.

(٢، ٣) «مسلم» رقم (٢٤١٤).

(٤) «مصنف ابن أبي شيبة» رقم (١٢٢١٩)، صحيح

(٥) «عمدة القاري» (١٩/ ٢٢٣٩).

رسول الله ﷺ يوم الأحزاب بأبيه وأمه، فعن عبد الله بن الزبير قال: كنت يوم الأحزاب جعلت أنا وعمر ابن أبي سلمة في النساء فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثًا، فلما رجعت قلت: يا أبت رأيتك تختلف قال: وهل رأيتني يا بني؟ قلت: نعم، قال: كان رسول الله ﷺ قال: «**من يأت بني قريظة فيأتيني بخبرهم؟**» فانطلقت فلما رجعت جمع لي رسول الله ﷺ أبويه فقال: «**فداك أبي وأمي**»[(١)].

وهذا الحديث فيه منقبة ظاهرة للزبير رضي الله عنه، حيث فداه رسول الله ﷺ بأبويه، وفي هذه التفدية تعظيم لقدره واعتداد بعمله واعتبار بأمره؛ وذلك لأن الإنسان لا يفدي إلا من يعظمه فيبذل نفسه أو أعز أهله له[(٢)]، لقد نال الزبير في غزوة الخندق وسامًا خالدًا باقيًا على مر السنين: «**لكل نبي حواري وحواريّ الزبير**»[(٣)]. لقد وصف النبي ﷺ الزبير بالحواري، وصف عميق الدلالة واسع المفاهيم، والدارس لهذه المعاني يدرك أبعاد كلمة الحواري، ويتبين معالمها ويعرف أسرارها وأغوارها، وأكثر من يحتاج إلى العناية بهذه المفاهيم: هم العلماء والدعاة والمربون؛ لأن الدعوة الإسلامية تحتاج إلى إعداد الحواريين ليقدموا نماذج حية في الأسوة والقدوة؛ لأن القدوة العملية أقوى وأشد تأثيرًا في نشر المبادئ والأفكار؛ لأنها تجسيد وتطبيق عملي لها، يسهل مشاهدتها والتأثر والاقتداء بها، ولأن الحواريين يأخذون بسنة الرسول ﷺ ويقتدون بأمره[(٤)]، كما جاء في الحديث: «**ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته ويقتدون بأمره**»[(٥)].

ومن سنن الدعوات أن مسيرتها تمر بالفتن والمحن، وتبتلى من أصدقائها وأعدائها، وحرص الرسول ﷺ على إرشاد المسلمين إلى هذه المتغيرات والحوادث فقال: «**ثم إنها تخلف من بعدها خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون**»[(٦)].

(١) «البخاري» رقم (٣٧٢٠).
(٢) «تحفة الأحوزي» (١٠/٢٤٦).
(٣) «مسلم» رقم (٢٤١٤).
(٤) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٢/٢٦، ٢٧).
(٥) «دراسات تربوية» للأعظمي ص (٢٠٦).
(٦) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٢/٢٦، ٢٧).

فما مهمة الحواري؟ القدوة الحسنة والإيمان التطبيقي والإخلاص والفداء، التي هي أبرز صفات الحواريين فيكون مثال حقيقي لورثة الأنبياء فيسعى لنشر الحق والخير وهداية الأمة والنهوض بها من كبوتها، ويضحي في سبيل الله بكل غالٍ ونفيس ليجدد للإسلام شبابه ونضارته، في الوقت الذي يكون ساقطو الهمة لا هم لهم إلا مصالحهم الشخصية[1]. والزبير بن العوام رضي الله عنه نموذج فذ في تجسيد هذه المعاني، فقد تربى في أحضان الدعوة على يدي النبي صلى الله عليه وسلم، وتلقى الجرعات المطلوبة لتحمل أعبائها منذ شبابه الباكر، وموقف الزبير في غزوة الأحزاب يصور لنا شخصيته ،ونشأته على الجرأة والنصرة ومحبته للرسول صلى الله عليه وسلم، وأثبتت الأيام أنه كان رضي الله عنه رجل المهمات الصعبة، فقد اتصف بالجرأة والإقدام؛ فكلف بمهمة كشف أسرار العدو، وما حدث مع الزبير يشير إلى مشروعية تقسيم الأعمال وتصنيف الدعاة، كلٌّ حسب إخلاصه، وفدائيته وتضحيته ومواهبه وطاقته[2].

هذا وقد شارك الزبير في كل غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وكان له مواقف مشرفة، وكان في عهد الراشدين رضي الله عنهم من أعمدة الدولة في فتوحاتها الكبيرة .

٦- في غزوة اليرموك:

عن عروة : أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للزبير يوم اليرموك : ألا تَشُدَّ فنشد معك؟ فقال : إني إن شددت كذبتم فقالوا : لا نفعل، فحمل عليهم حتى شق صفوفهم، فجاوزهم وما معه أحد، ثم رجع مُقبلاً فأخذوا بلجامه فضربوه ضربتين على عاتقة بينهما ضربة ضربها يوم بدر. قال عروة : أدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير. قال عروة : وكان معه عبد الله بن الزبير يومئذ، وهو ابن عشر سنين فحمله على فرس ووكَّل به رجلاً[3]. قال الذهبي في السِّيَر معلقًا : هذه الوقعة هي يوم اليمامة إن شاء الله، فإن عبد الله كان إذ ذاك ابن عشر سنين[4]، وذكر ابن كثير أن الموقعة هي «اليرموك» ولا مانع من وقوع ذلك في الموقعتين، فقد

---

(١) «دراسات تربوية في الأحاديث النبوية» ص (٢٠٧) .

(٢) المصدر نفسه ص (٢٠٨) .

(٣) «البخاري» رقم (٣٩٧٥) .

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٦٣) .

قال ابن كثير: وقد كان فيمن شهد اليرموك الزبير ابن العوام ﷺ، وهو أفضل من هناك من الصحابة، وكان من فرسان الناس وشجعانهم، فاجتمع إليه جماعة من الأبطال يومئذ، فقالوا: ألا تحمل فنحمل معك؟ فقال: إنكم لا تثبتون. فقالوا: بلى. فحمل وحملوا، فلما واجهوا صفوف الروم أحجموا وأقدم هو، فاخترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر، وعاد إلى أصحابه. ثم جاؤوا إليه مرة ثانية ففعل كما فعل في الأولى، وجُرح يومئذ جُرحين بين كتفيه وفي رواية: جُرح[1]. ويقول ابن كثير مرة أخرى: خرج مع الناس إلى الشام مجاهدًا، فشهد اليرموك، فتشرفوا بحضوره، وكانت لهم به اليد البيضاء والهمة العلياء، اخترق جيوش الروم وصفوفهم مرتين، من أولهم إلى آخرهم[2].

٧- في فتح مصر:

ولما قصد عمرو بن العاص مصر؛ لفتحها كان معه قوّات لم تكن كافية لفتحها، فكتب إلى عمر بن الخطاب يستمده ويطلب المدد من الرجال، فأشفق عمر من قلة عدد قوات عمرو، فأرسل الزبير بن العوام مع اثني عشر ألفًا، وقيل: أرسل عمر أربعة آلاف رجل، عليهم من الصحابة الكبار: الزبير، والمقداد ابن الأسود، وعبادة بن الصامت، ومسلمة ابن مخلد ﷺ، وقال آخرون: خارجة بن حذافة هو الرابع، وكتب إليه: إني أمددتك بأربعة آلاف، على كل ألف منهم رجل مقام ألف. وكان الزبير على رأس هؤلاء الرجال[3]. وحين قدم الزبير على عمرو ﷺ وجده محاصرًا حصن بابليون، فلم يلبث الزبير أن ركب حصانه وطاف بالخندق المحيط بالحصن، ثم فرّق الرجال حول الخندق، وطال الحصار حتى بلغت مدته سبعة أشهر، فقيل للزبير: إن بها الطاعون. فقال: إنا جئنا للطعن والطاعون[4]، وأبطأ الفتح على عمرو بن العاص، فقال الزبير: إني أهب نفسي لله، أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين، فوضع سُلمًا وأسنده إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ثم صعد، وأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن

---

(١) «البداية والنهاية» (١/ ٦٣).
(٢) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٦٠).
(٣) «فتوح مصر والمغرب» ص (٦١)، و«قادة فتح الشام ومصر» ص (٢٠٨، ٢٢٦).
(٤) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٥٥).

يجيبوه جميعًا، فما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن يكبِّر ومعه السيف، فتحامل الناس على السُّلم حتى نهاهم عمرو؛ خوفًا من أن ينكسر، فلما رأى الروم أن العرب قد ظفروا بالحصن انسحبوا، وبذلك فتح حصن بابليون أبوابه للمسلمين، فانتهت بفتحه المعركة الحاسمة لفتح مصر، وكانت شجاعة الزبير رضي الله عنه النادرة السبب المباشر لانتصار المسلمين على المقوقس(١).

٨- غيرة الزبير بن العوام رضي الله عنه:

عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها قالت: تزوَّجني الزبير رضي الله عنه، وماله في الأرض مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه. قالت: فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته وأسُوسُه، وأدقُ النوى للناضح، وأعلفه وأسقيه الماء، وأخرز غربه، وأعجن، ولم أكن أُحسن الخبز فكان يخبز لي جارات من الأنصار وكن نسوة صدق. قالت: وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأسي، وهي على ثُلثي فرسخ قالت: فجئت يومًا والنوى على رأسي، فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من أصحابه فدعا لي، ثم قال: «**إخ إخ**»؛ ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته. قالت: وكان من أغير الناس. قالت: فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إني قد استحييت فمضى، فجئت الزبير فقلت: لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رأسي النوى، ومعه نفر من أصحابه، فأناخ لأركب معه، فاستحييت وعرفت غيرتك، فقال: والله لحملُك النوى كان أشدَّ عليَّ من ركوبك معه، قالت: حتى أرسل إليَّ أبو بكر بعد ذلك بخادم، فكفتني سياسة الفرس، فكأنما أعتقني(٢).

٩- تسمية الزبير أولاده بأسماء الصحابة الشهداء:

من شدة حب الزبير رضي الله عنه للشهادة، كان أن سمى أولاده بأسماء الصحابة الشهداء، فقد روى هشام بن عروة عن أبيه قال: قال الزبير: إنّ طلحة يسمي بنيه بأسماء الأنبياء، وقد علم أنه لا نبيّ بعد محمد صلى الله عليه وسلم، وإنّي أسمّي بأسماء الشُّهداء لعلهم يستشهدون: عبدالله بعبد الله بن جحش، والمنذر بالمنذر بن

---

(١) «قادة فتح الشام ومصر» ص (٢٠٩، ٢٢٧).

(٢) «حياة الصحابة» (٢/ ٦٩١)، و«أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم» (١/ ٢٨١).

عمرو، وعروة بعروة بن مسعود، وحمزة بحمزة بن عبد المطلب، وجعفر بجعفر ابن أبي طالب، ومصعب بمصعب بن عمير، وعبيدة بعبيدة بن الحارث، وخالد بخالد بن سعيد، وعمرو بعمرو بن سعيد بن العاص قتل باليرموك(١).

١٠- إخفاء الطاعات عند الزبير رضي الله عنه:

قال الزبير بن العوام ﷺ: أيكم استطاع أن يكون له خبيئة من عمل صالح، فليعمل(٢).

١١- ما قاله حسان بن ثابت من شعر في مدح الزبير:

مرّ الزبير بمجلس من أصحاب رسول الله ﷺ وحسّان ينشدهم من شعره، وهم غير نشاط لما يسمعون منه، فجلس معهم الزبير، ثم قال: مالي أراكم غير أذنين لما تسمعون من شعر ابن الفريعة، فلقد كان يعرض به رسول الله ﷺ فيحسن استماعه، ويجزل عليه ثوابه، ولا يشتغل عنه، فقال حسان يمدح الزبير:

أَقَامَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ وَهَدْيِه
حَوَارِيُّه والقَوْلُ بالفِعْلِ يُعْدَلُ

أَقَامَ عَلَى مِنْهَاجِه وطَرِيقِه
يُوَالي وَلِيَّ الحَقِّ والحَقُّ أَعْدَلُ

هُوَ الفَارِسُ المشْهُورُ والبَطَلُ الذي
يَصُولُ إِذَا مَا كَانَ يَومٌ مُحَجَّلُ

إِذَا كَشَفَتْ عن سَاقِهَا الحَرْبُ حَشَّها
بِأَبْيَضَ سَبَّاقٍ إلى الموتِ يُرْقِلُ(٣)

وإن امرءاً كَانَتْ صَفِيَّةُ أُمَّهُ
ومَنْ أَسَدٍ فِي بَيْتِهَا لَمُؤَثَّلُ(٤)

---

(١) «تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين» ص (٥٠٥)، و«الطبقات» (٣/ ١٠١).

(٢) «الزهد» لابن المبارك ص (٣٩٢).

(٣) يرقل: يسرع: وهي سرعة سير الإبل.

(٤) في الديوان وعند الحاكم: لمرفل: وهو العظيم المبجل

لَهُ مِنْ رَسُولِ الله قُربَى قَرِيبَةٌ
ومن نصرةِ الإسلامِ مجدٌ مؤثَّلُ[1]
فَكَمْ كُربَةٍ ذَبَّ الزبيرُ بسَيْفِه
عَن المُصْطَفَى والله يُعْطِي فيُجزِلُ
ثَناؤك خَيرٌ من فعَالِ مَعَاشِرٍ
وفِعْلُكَ يابْنُ الهَاشِمِيَّة أَفْضَلُ[2]

١٢- كرم الزبير بن العوام رضي الله عنه:

روي عن عروة بن الزبير أنه قال: أوصى إلى الزبير سبعة من الصحابة منهم عثمان وابن مسعود وعبد الرحمن ﷺ، فكان ينفق على الورثة من ماله ويحفظ أموالهم[3].

وهذا مثل رفيع من أمثلة الكرم والوفاء، وهو يجسِّم المعاني السامية في النفس حتى تبقى هي الماثلة في الضمير الحي، وتبعًا لذلك يُسخِّر هذا الضمير الحي كل ما يملك من أجل سيادة هذه المعاني، وقد تجود النفس مرة ومرة، ثم يعترضها شيء من الفتور، فأما أن يتكفَّل مثل هذا الشهم السخي بالنفقة على ورثة عدد من الصحابة، ويحفظ لهم أموالهم فهو نموذج فريد في عالم الواقع، ومؤشر مهم من مؤشرات الرقي الأخلاقي لدى الصحابة ﷺ[4].

١٣ وحان وقت الرحيل، وشهادة رسول الله ﷺ له بدخول الجنة:

خرج الزبير بن العوام ﷺ من معركة الجمل في الجولة الأولى وقد بيَّنا الأسباب في تركه لساحة المعركة وعند خروجه من ساحة القتال كان يتمثل قول الشاعر:

تَرْكُ الأُمُورِ التي أَخْشَى عَوَاقِبَهَا
فِي الله أَحْسَنُ في الدُّنْيَا وَفِي الدِّينِ

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٥٦).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٥٧).
(٣) «سير أعلام النبلاء» (١/ ١٣١).
(٤) «التاريخ الإسلامي» (١٧/ ١٣١).

وقيل: إنه أنشد:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَو أَنَّ عِلْمِي نَافِعِي
أَنَّ الحَيَاةَ من المَمَاتِ قَرِيبُ[١]

وبعد خروجه تبعه عمرو بن جرموز وفضالة بن حابس ونفيع في طائفة من غواة بني تميم، فيقال: إنهم لما أدركوه تعاونوا عليه حتى قتلوه، ويقال: بل أدركه عمرو بن جرموز فقال له عمرو: إن لي إليك حاجة فقال: ادن فقال مولى الزبير، واسمه عيطه: إن معه سلاحًا، فقال: وإن، فتقدم إليه فجعل يحدثه وكان وقت الصلاة فقال له الزبير: الصلاة فقال: الصلاة، فتقدم الزبير ليصلي بهما فطعنه عمرو بن جرموز فقتله ويقال: بل أدركه عمرو بواد يقال له: وادي السباع وهو نائم في القائلة[٢]، فهجم عليه فقتله وهذا هو القول الأشهر، ويشهد له شعر امرأته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، وكانت آخر من تزوجها وكانت قبله تحت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فقتل عنها وكانت قبله تحت عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما فقتل عنها، فلما قتل الزبير رثته بقصيدة محكمة المعنى فقالت:

غَدَرَ ابنُ جُرْمُوزَ بفَارِسِ بُهْمَةٍ
يَوْمَ اللِّقَاءِ وَكَانَ غَيْرَ مُعَرِّدِ[٣]
يا عَمْرُو لو نَبَّهْتَهُ لَوجَدْتَهُ
لا طَائشًا رَعْشَ الجَنَانِ[٤] ولا اليَدِ
ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ أَنْ ظَفِرْتَ بِمِثْلِهِ
مِمَّنْ بَقِيَ مِمَّن يَرُوحُ ويَغْتَدِي
كَمْ غَمْرَةٍ قَدْ خَاضَهَا لَمْ يَثْنِه
عَنْهَا طِرَادُك يابْنَ فَقْعِ العَرْدَدِ[٥]

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٦٠).
(٢) القائلة: وقت اشتداد حرّ الظهيرة.
(٣) معرد: المعرد: الصلب والشجاع.
(٤) الجنان: القلب.
(٥) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٦١). العردد: الصلب الشديد.

والله رَبِّي إِنْ قَتَلْتَ لمُسْلِمًا
حَلَّتْ عَلَيْكَ عُقُوبَةُ المتَعَمِّد[١]

ولما قتله عمرو بن جرموز، فاحتز رأسه وذهب به إلى علي رضي الله عنه ورأى أن ذلك يحصل له به حظوة عنده فاستأذن فقال علي: بشِّر قاتل ابن صفية بالنار، ثم قال علي: سمعت رسول الله يقول: «**لكل نبي حواري وحواريّ الزبير**»[٢]، ولما رأى علي سيف الزبير قال: إن هذا السيف طالما فرج الكرب عن وجه رسول الله[٣]، وفي رواية: منع أمير المؤمنين علي ابن جرموز من الدخول عليه، وقال للآتي: بشر قاتل ابن صفية بالنار[٤]، ويقال: إن عمرو بن جرموز قتل نفسه عهد علي، وقيل: بل عاش إلى أن تأمر مصعب ابن الزبير، على العراق فاختفى منه، فقيل لمصعب: إن عمرو بن جرموز ههنا وهو مختفٍ، فهل لك فيه؟ فقال: مروه فليظهر فهو آمن، والله ما كنت لأقيد[٥] للزبير منه فهو أحقر من أن أجعله عدلاً للزبير[٦].

هذا وقد أخبر الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم أن الزبير سيموت شهيدًا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على جبل حراء، فتحرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اسكن حراء؛ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد**» وعليه النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير رضي الله عنهم[٧]. قال النووي: وفي هذا الحديث معجزات لرسول الله صلى الله عليه وسلم، منها إخباره أن هؤلاء شهداء، وماتوا كلهم -غير النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه- شهداء، فإن عمر وعثمان وعليًّا وطلحة والزبير رضي الله عنهم قُتلوا ظلمًا شهداء، فقتل الثلاثة مشهور، وقُتل الزبير بوادي السباع بقرب البصرة منصرفًا تاركًا للقتال، وكذلك طلحة اعتزل الناس تاركًا للقتال، فأصابه سهم فقتله وقد ثبت أن من قُتل مظلومًا فهو شهيد[٨].

---

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٦١).
(٢) «فضائل الصحابة» (٢/ ٩٢٠).
(٣) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٦١).
(٤) «الطبقات» (٣/ ١٠٥) إسناده حسن، و«خلافة علي» ص (١٦٤) لعبد الحميد .
(٥) أقيد: قَوَدَ: القتل بالقاتل .
(٦) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٦١).
(٧) «مسلم» رقم (٢٤١٧) .
(٨) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٥/ ٢٧١).

قال الشعبي: أدركت خمسمائة أو أكثر من الصحابة يقولون: عليٌّ وعثمان وطلحة والزبير في الجنة، قال الذهبي: قلت: لأنهم من العشرة المشهود لهم بالجنة، ومن البدريين، ومن أهل بيعة الرضوان، ومن السابقين الأولين الذي أخبر تعالى أنه رضي عنهم ورضوا عنه، ولأن الأربعة قُتلوا، ورُزقوا الشهادة، فنحن محبون لهم باغضون للأربعة الذين قَتلوا الأربعة[1].

١٤- حرصه على أداء دينه عند الموت:

عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: جعل الزبير يوم الجمل يوصيني بدينه، ويقول: إن عجزت عن شيء منه فاستعن عليه بمولاي. قال: فو الله ما دريت ما أراد، حتى قلت: ياأبت من مولاك؟ قال: الله، قال: فوالله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير اقْضِ عنه، فيقضيه، وإنما كان دينه الذي عليه: أن الرجل كان يأتيه بالمال فيستودعه إياه فيقول الزبير: لا، ولكنه سلف فإني أخشى عليه الضيعة. قال: فقتل ولم يدع دينارًا ولا درهمًا إلا أرضين، فبعتها يعني وقضيت دينه فقال بنو الزبير: اقسم بيننا ميراثنا. فقلت: والله لا أقسم بينكم حتى أنادي بالموسم أربع سنين: ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه، فجعل كل سنة ينادي بالموسم، فلما مضى أربع سنين قسم بينهم وكان للزبير أربع نسوة، فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائتا ألف. فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف[2]، وقول البخاري رحمه الله محمول على أن جملة المال حين الموت كانت ذلك دون الزائد في أربعة سنين دون القسمة،[3] وقد وقع في تركته من البركة الشيء الكثير[4].

وبارك الله له في أراضيه بعد موته فوفى دينه وزاد عليه الشيء الكثير وفي هذه القصة درس وعبر وفوائد:

أ- قول الزبير لابنه: يا بني إن عجزت عن شيء منه فاستعن بمولاي: وهذا

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٦٢).
(٢) «البخاري» رقم (٣١٢٩).
(٣) «شذرات الذهب» (١/ ٢٠٩).
(٤) «الإصابة» لابن حجر (٢/ ٤٦١).

مثل من أمثلة اليقين الراسخ والإيمان القوي، الذي ترتب عليه صدق التوكل على الله عز وجل، واللجوء إليه في قضاء الحوائج وكشف الكربات، فالمؤمن الحق يعتقد جازمًا بأن كل شيء بيد الله جلَّ وعلا، فإذا وقع في ضائقة وكرب؛ فإن أول ما يتبادر إلى ذهنه تصور وجود الله تعالى وهيمنته على كل شيء، وأن المخلوقين الذين يُشكلون طرفًا آخر في قضيته إنما هم في قبضة البارئ جل وعلا، وأن قلوبهم بيده سبحانه يصرفها كيف يشاء، فليلجأ إليه قبل كل شيء، ويسأله قضاء حاجته وتفريج كربته، ثم يقوم بعمل الأسباب التي خلقها الله تعالى وجعلها موصلة إلى النتائج المطلوبة، مع الاعتقاد بأنها مجرد أسباب وأن الفاعل والمقدّر هو الله تعالى، وأنه قادر على أن ينزع من الأسباب قوة التأثير فلا تؤدي إلى نتائجها[1] المعروفة.

ب- هل كان الزبير رضي الله عنه من الأثرياء؟

نرى النصَّ السابق ينطق: بأن الزبير رضي الله عنه، ما كان من الأثرياء أصحاب الأموال المعروفين المشهورين بذلك، بل كان يشعر بالضائقة ويهمه أمر ما في ذمته من أموال، وديون وكان يخشى ألا تفي أرضه وعقاره بما عليه من أموال، كما ينطق هذا النص أيضًا: بأن عبد الله بن الزبير ما كان يخالف أباه في توقعه، بل كان يتوقع مثله أن الديون تزيد على الأموال والأرض، يقول له أبوه: أفترى يُبقي ديننا من مالنا شيئًا؟ فلا يجد عبد الله جوابًا لأبيه، ولو كان يتوقع غير ما توقع أبوه، لأجابه مطمئنًا إياه في هذا الوقت العصيب، بأن الأمر غير ما يقدِّر ويتوقَّع، بل تجده يجاري أباه صراحة في توقعه، فيسأله عندما أشار عليه أن يستعين بمولاه، من مولاك؟ فهو يتوقع أنه سيستعين به، ولا يزعمن زاعم بأن عبد الله لم يكن محيطًا بثروة أبيه، عارفًا بأملاكه، فإن عبد الله كان في ذلك الوقت في سن الخامسة والثلاثين، ومن يكن في مثل هذه السن من شأنه أن يكون ظهيرًا لأبيه، عالمًا بكل أحواله وأمواله، وبخاصة إذا كان هو الابن الأكبر، وإن سؤال الزبير له: أفترى يُبقي ديننا من مالنا شيئًا؟ يشهد بأن عبد الله

---

(١) «التاريخ الإسلامي» (٢٠/ ٣٠٩).

كان على علم بأحوال أبيه وأمواله، بل إن عبد الله صرح بأن أمر قضاء الدين ما كان سهلاً ولا هينًا، فيقول: فوالله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير، اقضِ عنه دينه فيقضيه[١].

ومما يشهد أيضًا بأن الزبير لم يكن معدودًا من الأغنياء، وأصحاب الثروات وأن توقعه عن ديونه ونسبتها إلى أملاكه كان في موضعه ومحله أن حكيم بن حزام رضي الله عنه وهو ابن عم الزبير تلقى عبد الله بن الزبير فيقول له: ما أراكم تطيقون هذا الذي عليكم من الديون فإن عجزتم عن شيء منه؛ فاستعينوا بي[٢]، ودليل رابع: يأتي عبد الله بن جعفر رضي الله عنه لعبد الله بن الزبير وكان له عند الزبير أربعمائة ألف، فيقول لابن الزبير: إن شئتم تركتها لكم قال عبد الله بن الزبير: لا، قال عبد الله بن جعفر: فإن شئتم جعلتموها فيما تؤخرون إن أخرتم[٣]، فهذه شهادة اثنين من كبار الصحابة يتوقعان عدم وفاء أملاك الزبير بما عليه من ديون ويعدُّ أنه ممن يحتاج إلى عون ومساعدة ثم هما ممن يعرف الزبير ويخالطه، ويطلع على أحواله، فأحدهما حكيم بن حزام ابن عم الزبير، والآخر ابن ابن خاله، فأم الزبير صفية بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يتعامل معه أخذًا وعطاء وافتراضًا وائتمانًا، فهذه أدلة أربعة لا يرقى إليه الشك تنطق بأن الزبير رضي الله عنه ما كان من أصحاب الثروات[٤].

وقد فشا فيما فشا عن ثروة الزبير وغناه الحديث عن عبيده وخيوله ففي بعض المصادر أنه كان ألف مملوك، وأن الألف مملوك كانوا يؤدون إليه الخراج كل يوم، فما يدخل إلى بيته منها درهمًا واحدًا يتصدق بذلك جميعه[٥].

لكن المستشرق الذائع الصيت «ول ديورانت» جعل الألف عشرة آلاف، فقال: كان الزبير يمتلك عشرة آلاف عبد، ثم أضاف إليها ألف جواد[٦]، وبالطبع حذف المستشرق (الذكي) خبر تصدق الزبير بخراج مماليكه[٧]، وهذا الخبر لا يقف أمام

---

(١) «البخاري» رقم (٣١٢٩) .
(٢، ٣) «البخاري» رقم (٣١٢٩) .
(٤) «الزبير بن العوام، الثروة والثورة»، لعبد العظيم الديب ص (٩) .
(٥) «سير السلف الصالحين» (١/ ٢٢٧) في إسناده ضعف.
(٦) «الزبير بن العوام، الثروة والثورة» ص (١١) .
(٧) المصدر نفسه ص (١٣) .

رواية البخاري؛ إذ جاء فيها : فقتل الزبير ولم يترك دينارًا ولا درهمًا، إلا أرضين منها الغابة، وإحدى عشرة دارًا بالمدينة، ودارين بالبصرة، ودارًا بالكوفة، ودارًا بمصر[١]، فالرواية واضحة، وهي بأسلوب الحصر، وفي مقام الحديث عن همّ الدين، والكرُب التي كانت في سبيل سداده، فلو كان هناك ألف مملوك، لكان لها ذكر، ولثمنها قيمة وقدر، ألا يساوي المملوك الواحد في أقل تقدير ألفي درهم[٢]؟ فيكون ثمن المماليك هو قيمة الدين كله إلا قليلاً، هذا كله على فرض أنها كانت ألفًا فقط، أما إذا أخذنا بشطحة «ول ديورانت»، وأنها عشرة آلاف مملوك؛ فمعنى ذلك نسف رواية البخاري من أساسها، فإن عشرة آلاف مملوك وألف جواد يكفي ثمنها مهما كان بخسا أن يسدد ديونه، ويغرق ورثته في لجج الثراء، وما كان الزبير بحاجة إلى أن يقول لابنه: إن من أكبر همي لَدَيْني. ولا أن يسائله: أفترى يُبقي ديننا من مالنا شيئًا؟ ولا أن يوصيه: إذا أعجزك شيء من ديني، فاستعن عليه بمولاي[٣].

إن الحديث عن سيرة الزبير وطلحة وعمرو بن العاص، وأبي موسى الأشعري وأم المؤمنين عائشة ينسجم مع أهداف الكتاب، من حيث الحديث عن سيرة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وعصره، فهذه الشخصيات تعتبر محورية في الحديث عن عصر أمير المؤمنين علي كما أن التشويه الذي لحق بها في كتب التاريخ والأدب يكون عند الحديث في الفتن الداخلية، فبيان سيرتهم، وأخلاقهم وصفاتهم، واجب علينا، وحتى يخرج القارئ بمعرفة حقيقية لهذه الشخصيات، فلا يتأثر بالروايات الضعيفة، ولا القصص الموضوعة التي وضعها مؤرخو الشيعة الرافضة والتي شوهت ثقافة الناس عن هذه الشخصيات العظيمة، فالحديث عن سيرة الزبير أو غيره من كبار الصحابة التي ساهمت في الأحداث في عهد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ينسجم مع أهداف المؤلف التي أراد إيصالها للقارئ من خلال دراسته لعهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم .

---

(١) «البخاري» (٣١٢٩) .

(٢) «الزبير بن العوام، الثروة والثورة» ص (١٤) .

(٣) «البخاري» رقم(٣١٢٩).

الثاني عشر: سيرة طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه واستشهاده:

هو أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي[١]، يجتمع مع النبي ﷺ في مرة بن كعب ومع أبي بكر الصديق رضي الله عنه في تيم بن مرة وعدد ما بينهم من الآباء سواء[٢]، وأمه رضي الله عنها الصعبة بنت الحضرمي امرأة من أهل اليمن وهي أخت العلاء بن الحضرمي[٣]، أسلمت ولها صحبة وظفرت بشرف الهجرة[٤]، وطلحة رضي الله عنه أحد العشرة الذين بشروا بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا على الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأحد الستة أصحاب الشورى[٥].

١ - إسلامه وابتلاؤه وهجرته:

قال طلحة بن عبيد الله: حضرت سوق بُصْرى، فإذا راهب في صومعته يقول: سَلُوا أهل هذا الموسم، أفيهم أحد منْ أهل الحرم؟ قال طلحة: نعم، أنا. فقال: هل ظهر أحمد بعد؟ قلت: ومن أحمد؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب، هذا شهره الذي يخرج فيه، وهو آخر الأنبياء، ومخرجه من الحرم ومهاجره إلى نخْل، وحرّة[٦]، وسباخ[٧]، فإياك أن تسبق إليه، قال طلحة: فوقع ما قال في قلبي، فخرجت سريعًا حتى قدمتُ مكة، فقلت: هل كان من حدث؟ قالوا: نعم، محمَّد بن عبد الله الأمين تنبأ، وقد تبعه ابن أبي قحافة. قال طلحة: فخرجت حتى دخلت على أبي بكر رضي الله عنه، وقلت: أتبعت هذا الرجل؟ قال: نعم، فانطلق إليه، فادخل عليه، فاتّبعه، فإنَّه يدعو إلى الحق وإلى الخير وأخبر طلحة أبا بكر بما قال الراهب فخرج أبو بكر بطلحة، فدخل به على رسول الله ﷺ، فأسلم طلحة، وأخبر رسول الله ﷺ بما قال الرّاهب؛ فسر

---

(١) «الإصابة» (٢/ ٢٢٠)، و«الاستيعاب» لابن عبد البر على حاشية «الإصابة» (٢/ ٢١٠).
(٢) «فتح الباري» (٧/ ٨٢).
(٣) «الإصابة» (٢/ ٢٢٠).
(٤) «الإصابة»(٤/ ٣٣٧)، و«فتح الباري» (٧/ ٨٢).
(٥) «المستدرك» للحاكم (٣/ ٣٦٩)، و«عقيدة أهل السنة في الصحابة» (١/ ٢٢٨).
(٦) حرة: هي الأرض الغليظة ذات الحجارة السُّود النَّخرات.
(٧) سباخ: جمع سبخة، وهي أرض ذات نزٍّ وملح.

رسول الله ﷺ ، فلما أسلم أبو بكر وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما، أخذهما نوفل ابن خويلد بن العدويّة، فشدّهما في حبل واحد، ولم يمنعهما بنو تيم، وكان نوفل يُدعى أسد قريش، ولذلك سُمِّي أبو بكر وطلحة القرينين[1]، هذا وقد أوذي طلحة في الله ولقي أذى كبيرًا من المشركين، ومن عشيرته الأقربين، وبقي طلحة رضي الله عنه صابرًا على الأذى والعذاب حتى أذن الله عز وجل بالهجرة، ولما ارتحل رسول الله ﷺ مهاجرًا إلى المدينة لقيه طلحة قادمًا من الشام في عير، فكسا رسول الله وأبا بكر من ثياب الشام ثم مضى طلحة إلى مكة حتى فرغ من حاجته، ثم خرج بعد ذلك بآل أبي بكر رضي الله عنه فهو الذي قدم بهم المدينة، فطلحة من المهاجرين الأوّلين رضي الله عنهم[2]، ولما قدم طلحة المدينة آخى رسول الله بينه وبين أبي أيوب الأنصاري[3]، وقيل: كعب بن مالك الأنصاري، حين آخى بين المهاجرين والأنصار[4].

٢- في غزوة بدر:

كان طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قد كُلِّفَ بتحسس عير قريش، وذلك لما تحيّن رسول الله ﷺ وصول عير من الشام لقريش، فقد بعث ﷺ طلحة وسعيد ابن زيد رضي الله عنهما يأتيانه بالأخبار، فخرجا وبلغا الحوراء، فلم يَزَلا مقيمين هناك حتى مرت العير، فتساحلت، فعادا إلى المدينة بالأخبار، فكان رسول الله ﷺ قد خرج بالمسلمين في غزوة بدر، فأسرعا لينضما إلى الجيش، إلا أنهما لم يدركا المعركة، وضرب لهما رسول الله ﷺ بسهمهما وأجورهما، سهمًا كالمقاتلين، وأجرًا كالمجاهدين[5].

٣- في غزوة أحد، أوجب طلحة رضي الله عنه:

عن جابر قال: لما كان يوم أحد وولّى الناس كان رسول الله ﷺ في ناحية في اثني عشر رجلاً منهم طلحة، فأدركه المشركون، فقال النبي ﷺ : «مَن

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٥٨).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٥٨)، و«فرسان من عصر النبوة» ص (٢٢٥).

(٣) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٥٨).

(٤) «فرسان من عصر النبوة» ص (٢٢٥)، و«الاستيعاب» لابن عبد البر.

(٥) الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٣٦٩)، و«الاستيعاب» (٤١٨٨).

للقوم؟» قال طلحة: أنا، قال: «**كما أنت**». فقال رجل من الأنصار: أنا، قال: «**أنت**»، فقاتل حتى قُتل. ثم التفت، فإذا المشركون فقال: «**من لهم؟**» قال طلحة: أنا، قال: «**كما أنت**»، فقال رجل من الأنصار: أنا، قال: «**أنت**»، فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى بقيَ مع نبي الله ﷺ (طلحة)، فقال: «**من للقوم؟**» قال طلحة: أنا، فقاتل طلحة قتال الأحد عشر، حتى قطعت أصابعه فقال: حسّى. فقال رسول الله ﷺ: «**لو قلت: باسْمِ الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون**». ثم رد الله المشركين[1]، وعند أحمد. فقال له النبي ﷺ: «**لو قلت: باسمِ الله لرأيت يُبنى لك بها بيت في الجنة وأنت حيّ في الدنيا**»[2]، وعن قيس ابن حازم قال: رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي ﷺ يوم أحد[3]، وجُرح في تلك الغزوة تسعًا وثلاثين، أو خمسًا وثلاثين وشُلّت إصبعه أي السبابة والتي تليها[4]، وروى أبو داود الطيالسي عن عائشة ﵂ قالت: كان أبو بكر ﵁ إذا ذكر يوم أحُد قال: ذلك اليوم كله لطلحة[5]، وعن عائشة وأم إسحاق بنت طلحة قالتا: جُرح أبونا يوم أُحد أربعًا وعشرين جراحة، وقع منها في رأسه شجة مربعة، وقُطع نساه يعني العرق وشُلّت أصبعه، وكانت سائر الجراح في جسده وغلبه الغَشيُ -الإغماء- ورسول الله ﷺ يرجع به القهقرى؛ كلما أدركه أحد من المشركين، قاتل دونه حتى أسنده إلى الشعب[6]، حتى قال عنه ﷺ: «**أوجب طلحة**» حين صنع برسول الله ما صنع[7].

٤- شهيد يمشي على الأرض:

فعن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء، فتحرك. فقال رسول الله ﷺ: «**اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد**»، وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وسعد ابن

---

(١) «السلسلة الصحيحة» رقم (٢١٧١)، الحديث حسن بمجموع طرقه.

(٢) «فضائل الصحابة» رقم (١٢٩٤) إسناده صحيح.

(٣) «البخاري» رقم (٤٠٦٣).

(٤) «البخاري» (٧/ ٣٦١)، و«أصحاب الرسول ﷺ» (١/ ٢٦٤).

(٥) «فتح الباري» (٧/ ٣٦١).

(٦) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٣٢).

(٧) «صحيح الجامع» للألباني (٢٥٤٠).

أبي وقاص رضي الله عنهم ،[١] فلما علم طلحة بأنه سيموت شهيدًا وذلك بعد أن سمع تلك البشرى من الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ظل يبحث عن الشهادة في مظانها، فشهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم عدا غزوة بدر[٢]، فقد كان في مهمة كلفه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما مرّ معنا، وقال عنه النبي صلى الله عليه وسلم : «**من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض ، فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله**»[٣].

٥- من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه:

عن موسى وعيسى ابني طلحة عن أبيهما: أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لأعرابي جاء يسأل رسول الله عمن قضى نحبه من هو؟ فكانوا لا يجترئون على مسألته يوقرونه ويهابونه قال: فسأله الأعرابي فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم إني اطلعت من باب المسجد -يعني طلحة- وعليَّ ثياب خضر فلما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**أين السائل عمن قضى نحبه؟**» قال الأعرابي: أنا يا رسول الله، قال: «**هذا ممن قضى نحبه**»[٤].

٦- دفاعه عن إخوانه وإحسان الظن بهم:

عن مالك بن أبي عامر، قال: جاء رجل إلى طلحة فقال: أرأيتك هذا اليماني، هو أعلم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منكم -يعني أبا هريرة- نسمع منه أشياء لا نسمعها منكم، قال: أما إن قد سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم نسمع، فلا أشك، وسأخبرك، إنّا كنا أهل بيوت، وكنّا إنما نأتي رسول الله غُدوة وعشية، وكان أبو هريرة مسكينًا لا مال له إنما هو على باب رسول الله، فلا أشك أنه قد سمع ما لم نسمع، وهل تجد أحدًا فيه خير يقول على رسول الله ما لم يَقُلْ؟[٥].

وفي هذه القصة درس مفيد في الدفاع عن العلماء والفقهاء والصالحين.

---

(١) «مسلم» رقم (٢٤١٧).

(٢) «أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم» (١/ ٢٦٠).

(٣) رواه الترمذي والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٦٢).

(٤) رواه الترمذي بإسناد حسن رقم (٣٧٤٢).

(٥) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٣٧) إسناده حسن.

٧- إنفاقه في سبيل الله:

عن قبيصة بن جابر ﷺ قال: صحبت طلحة، فما رأيت أعطى لجزيل مالٍ من غير مسألة منه[١]، وعن موسى عن أبيه طلحة أنه أتاه مال من حضرموت سبعمائة ألف، فبات ليلته يتململ. فقال: ما ظنّ رجل بربه يبيت وهذا المال في بيته؟ قالت امرأته: فأين أنت عن بعض أخلائك فإذا أصبحت، فادع بجفان وقصاع فقسِّمه. فقال لها: رحمك الله إنك موفقة بنت موفق، وهي أم كلثوم بنت الصديق ﷺ، فلما أصبح، دعا بجفان، فقسمَها بين المهاجرين والأنصار، فبعث إلى عليّ ﷺ منها بجفنة، فقالت له زوجته: أبا محمد، أما كان لنا في هذا المال من نصيب؟ قال: فأين كنت منذ اليوم؟ فشأنك بما بقي قالت: فكانت صرة فيها نحو ألف درهم[٢]، وعن سُعدى بنت عوف المرية، قالت: دخلت على طلحة يومًا وهو خاثر[٣]، فقلت: مالك؟ لعل رابك من أهلك شيء؟ قال: لا والله، نِعْمَ خليلة المسلم أنتِ، ولكن مالٌ عندي قد غمَّني. فقلت: ما يغُمَّك. عليك بقومك، قال: يا غلام ادع لي قومي، فقسّمه فيهم، فسألت الخازن: كم أعطى؟ قال: أربعمائة ألف[٤].

وعن الحسن البصري أن طلحة بن عُبيد الله باع أرضًا له بسبعمائة ألف، فبات أرقًا من مخافة ذلك المال، حتى أصبح ففرَّقه[٥]، وعن عليّ بن زيد قال: جاء أعرابي إلى طلحة يسأله، فتقرب إليه برحم فقال: إن هذه لرحم ما سألني بها أحد قبلك، إن لي أرضًا قد أعطاني بها عثمان ﷺ ثلاثمائة ألف فاقبضها، وإن شئت بعتها من عثمان ودفعت إليك الثمن فقال: الثمن، فأعطاه وكان ﷺ لا يدع أحدًا من بني تيم عائلاً إلا كفاه، وقضى دينه، وكان يرسل لعائشة أم المؤمنين ﷺ كل سنة بعشرة آلاف[٦]، إنه طلحة الخير، وطلحة

---

(١) «الحلية» (١/ ٨٨)، و«سير أعلام النبلاء» (١/ ٣٠).

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٣٠، ٣١).

(٣) خاثر النفس: غير نشيط .

(٤) «مجمع الزوائد» (٩/ ١٤٨)، قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات .

(٥) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٣٢).

(٦) المصدر نفسه (١/ ٣١).

الفياض، وطلحة الجود[١]، وقد سمّاه رسول الله ﷺ بالفياض لسعة عطائه وكثرة إنفاقه في وجوه الخير، فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى موسى بن طلحة أن طلحة نحر جزوراً وحضر بئراً يوم ذي قرد[٢]، فأطعمهم وسقاهم فقال النبي ﷺ: «**يا طلحة الفياض**». فسمي طلحة الفياض[٣].

٨- من فرائد أقواله ودُرَر جواهر كلامه رضي الله عنه:

فمن أقواله: إن أقلّ عيب الرجل جلوسه في بيته[٤]، ومما حفظ عنه قوله: الكسوة تظهر النِّعمة، والإحسان إلى الخادم يكبت الأعداء[٥]، ولطلحة رضي الله عنه آراء ثاقبة وصحيحة في النَّاس، فكان لا يشاور بخيلاً في صلة، ولا جباناً في حرب[٦].

٩- شهادة طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه:

لما حضر يوم الجمل واجتمع به علي رضي الله عنه فوعظه، ثم تأخر فوقف في بعض الصفوف، فجاءه سهم غرب فوقع في ركبته وقيل في رقبته، والأول أشهر، وانتظم السهم مع ساقه وخاصرة الفرس فجمح به حتى كاد يلقيه، وجعل يقول: إليّ عباد الله فأدركه مولى له، فركب وراءه وأدخله البصرة فمات بدار فيها، ويقال: إنه مات بالمعركة، وإن علياً لما دار بين القتلى رآه فجعل يمسح عن وجهه التراب[٧] ثم قال: عزيز عليّ أبا محمد أن أراك مُجندلاً في الأودية، ثم قال: إلى الله أشكو عُجري وبُجري[٨]، وترحم عليه وقال: ليتني مِتُّ قبل هذا بعشرين سنة[٩]، ولا شك أن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه من أهل الجنة، فقد روى الترمذي بإسناده إلى عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة وسعد في الجنة وسعيد

---

(١) «تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين» ص (٥٢٧).

(٢) ماء على ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر، «النهاية» (٤/ ٣٧).

(٣) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٥٨).

(٤) «المستدرك» (٣/ ٣٧٤)، حديث صحيح الإسناد ولم يخرجه، و«مختصر تاريخ دمشق» (١١/ ٢٠٣)، يقصد أن العزلة بعد عن الاهتمام.

(٥، ٦) «فرسان من عصر النبوة» ص (٢٣٧).

(٧) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٥٨).

(٨) سرائري وأحزاني التي تموج في جوفي.

(٩) «تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين» (٥٢٨)

في الجنة وأبو عبيدة ابن الجراح في الجنة». ثم قال: وقد روى هذا الحديث عن عبدالرحمن بن حميد عن أبيه عن سعيد بن زيد عن النبي ﷺ نحو هذا (١).

ففي هذا الحديث منقبة واضحة لطلحة رضي الله عنه حيث شهد له النبي ﷺ أنه من أهل الجنة وأكرم بها من شهادة؛ فإنها تضمنت الإخبار بسعادته في الدنيا والآخرة(٢).

١٠-حفظ الله له بعد موته:

إن الله حفظ جسد طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه بعد موته، فقد فتح قبره بعد أكثر من ثلاثين عامًا ونقلوه إلى مكان آخر فلم يتغير منه إلا شعيرات في إحدى شِقّي لحيته، فعن المثنى ابن سعيد قال: أتى رجلٌ عائشة بنت طلحة فقال: رأيت طلحة في المنام فقال: قل لعائشة تحولني من هذا المكان، فإن النَّزَّ - الرطوبة أو الماء - قد آذاني. فركبت في حشمها فضربوا عليه بناء واستثاروه. قال: فلم يتغير منه إلا شعيرات في إحدى شِقَّي لحيته، أو قال: رأسه، وكان بينهما بضع وثلاثون سنة،(٣) فرضي الله عن طلحة وسائر الصحابة أجمعين.

١١- سعد بن أبي وقاص يدعو على من يقع في عثمان وعلي وطلحة والزبير:

عن سعيد بن المسيب أن رجلاً كان يقع في طلحة والزبير وعثمان وعلي رضي الله عنهم، فجعل سعد ينهاه ويقول: لا تقع في إخواني، فأبى فقام فصلى ركعتين ثم قال: اللهم إن كان سخطًا لك فيما يقول؛ فأرني فيه اليوم آية واجعله للناس عبرة، فخرج الرجل فإذا ببختي يشق الناس فأخذه بالبلاط، فوضعه بين كركرته(٤) والبلاط، فسحقه حتى قتله. قال سعيد بن المسيب: فأنا رأيت الناس يتبعون سعدًا ويقولون: هنيئًا لك أبا إسحاق أجيبت دعوتك(٥).



---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٤٩)، و«الترمذي» (٣٧٥٧) حديث حسن

(٢) «عقيدة أهل السنة» (١/ ٢٩٣).

(٣) «أصحاب الرسول ﷺ» (١/ ٢٧٠).

(٤) الكركرة: الصدر.

(٥) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٥٩).

مطابع التجارية - قليوب - مصر

المبحث الثاني
معركة صفين (٣٧ هـ)

أولاً: تسلسل الأحداث التي قبل المعركة:

(١) أم حبيبة بنت أبي سفيان، ترسل النعمان بن بشير بقميص عثمان إلى معاوية وأهل الشام:

لما قُتل عثمان رضي الله عنه: أرسلت أم المؤمنين، أم حبيبة بنت أبي سفيان إلى أهل عثمان: أرسلوا إليّ بثياب عثمان التي قُتل فيها، فبعثوا إليها بقميصه مضرّجًا بالدم، وبخصلة الشعر التي نتفت من لحيته، ثم دعت النعمان بن بشير، فبعثته إلى معاوية، فمضى بذلك وبكتابها[١]، وجاء في رواية: خرج النعمان بن بشير ومعه قميص عثمان مضمخ بالدماء، ومعه أصابع نائلة التي أصيبت حين دافعت عنه بيدها[٢]، وكانت نائلة بنت الفرافصة الكلبية زوج عثمان كلبية شامية[٣]، فورد النعمان على معاوية بالشام، فوضعه معاوية على المنبر ليراه الناس، وعلق الأصابع في كم القميص يرفع تارة ويوضع تارة، والناس يتباكون حوله، وحث بعضهم بعضًا على الأخذ بثأره[٤]، وجاء شرحبيل بن السمط الكندي وقال لمعاوية: كان عثمان خليفتنا؛ فإن قويت على الطلب بدمه وإلا فاعتزلنا،[٥] وآلى رجال الشام ألاَّ يمسوا النساء ولا يناموا على الفرش، حتى يقتلوا قتلة عثمان ومن عرض دونهم بشيء أو تفنى أرواحهم[٦]، وكان ذلك ما يريده معاوية، فقد كانت الصورة التي نقلها النعمان بن بشير إلى أهل الشام بشعة: مقتل الخليفة، سيوفًا مصلتة من الغوغاء على رقاب الناس، بيت المال منتهكًا مسلوبًا، وأصابع نائلة مقطوعة؛ فهاجت النفوس والعواطف، واهتزت المشاعر، وتأثرت بها القلوب، وذرفت منها العيون، ولا غرابة بعد هذا إطلاقًا أن نرى إصرار معاوية ومن معه

---

(١) «تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين» ص (٥٣٩). (٢) «البداية والنهاية» (٧/ ٥٣٩).
(٣) «تاريخ الدعوة الإسلامية » لمحمد جميل ص (٣٩٨). (٤) «البداية والنهاية» (٧/ ٥٣٩) سندها ضعيف.
(٥) «الأنساب» (٤/ ٤١٨)، و«تاريخ الدعوة الإسلامية» ص (٣٩٨). (٦) «تاريخ الطبري» (٥/ ٦٠٠).

من أهل الشام على المطالبة بدم عثمان، وتسليم القتلة للقصاص قبل البيعة، وهل نتصور أن يتم مقتل أمير المؤمنين وسيد المسلمين من حاقدين محتلين متآمرين، ولا يتماوج العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه للقصاص من أصحاب هذه الجريمة البشعة[١]؟.

(٢) دوافع معاوية رضي الله عنه في عدم البيعة:

كان معاوية رضي الله عنه واليًا على الشام في عهد عمر وعثمان رضي الله عنهما، ولما تولى الخلافة عليّ رضي الله عنه أراد عزله وتولية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فاعتذر ابن عمر، فأرسل عليّ سهل ابن حنيف بدلاً منه، إلا أنه ما كاد يصل مشارف الشام (وادي القرى) حتى عاد من حيث جاء؛ إذ لقيته خيل لمعاوية عليها حبيب بن مسلمة الفهري، فقالوا له: إن كان بعثك عثمان فحيهلاً بك وإن كان بعثك غيره فارجع[٢]. لقد امتنع معاوية وأهل الشام عن البيعة ورأوا أن يقتصّ علي رضي الله عنه من قتلة عثمان رضي الله عنه ثم يدخلون البيعة،[٣] وقالوا: لا نبايع من يأوي القتلة[٤]، وتخوّفوا على أنفسهم من قتلة عثمان الذين كانوا في جيش علي، فرأوا أن البيعة لعلي لا تجب عليهم، وأنهم إذا قوتلوا على ذلك كانوا مظلومين، قالوا: لأن عثمان قتل مظلومًا باتفاق المسلمين، وقتلته في عسكر علي، وهم غالبون لهم شوكة؛ فإذا بايعنا ظلمونا واعتدوا علينا وضاع دم عثمان، وكان معاوية رضي الله عنه يرى أن عليه مسؤولية الانتصار لعثمان والقود من قاتليه، فهو ولي دمه والله يقول: ﴿**وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا**﴾ [الإسراء:٣٣] لذلك جمع معاوية الناس، وخطبهم بشأن عثمان، وأنه قتل مظلومًا على يد سفهاء منافقين لم يقدروا الدم الحرام؛ إذ سفكوه في الشهر الحرام في البلد الحرام، فثار الناس، واستنكروا وعلت الأصوات وكان منهم عدد من أصحاب رسول الله ﷺ، فقام أحدهم واسمه مرة بن كعب فقال: لولا

---

(١) «معاوية بن أبي سفيان» للغضبان من (١٧٨، ١٨٣).
(٢) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٦٦).
(٣) «البداية والنهاية» (٧/ ١٢٩).
(٤) «العواصم من القواصم» ص (١٦٢).

حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما تكلمت: . . . وذكر الفتن وقربها، فمر رجل متقنع في ثوب، فقال: «**هذا يومئذ على الهدى**»، فقمت إليه، فإذا هو عثمان ابن عفان، فأقبلت عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال: «**نعم**»[١]. وهناك حديث آخر له تأثيره في طلب معاوية القود من قتلة عثمان، ومنشطًا ودافعًا قويًا للتصميم على تحقيق الهدف، وهو: عن النعمان بن بشير عن عائشة رضي الله عنها قالت: أرسل رسول الله ﷺ . . . ، فكان من آخر كلمة أن ضرب منكبه، فقال: «**يا عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصًا، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني**» ثلاثًا، فقلت لها: يا أم المؤمنين فأين كان هذا عنك؟ قالت: نسيته والله ما ذكرته، قال: فأخبرته معاوية بن أبي سفيان فلم يرض بالذي أخبرته؛ حتى كتب إلى أم المؤمنين أن اكتبي إلي به، فكتبت إليه به كتابًا[٢].

لقد كان الحرص الشديد على تنفيذ حكم الله في القتلة السبب الرئيسي في رفض أهل الشام بزعامة معاوية بن أبي سفيان بيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ورأوا أن تقديم حكم القصاص مقدم على البيعة، وليست لأطماع معاوية في ولاية الشام، أو طلبه ما ليس له بحق؛ إذ كان يدرك إدراكًا تامًّا أن هذا الأمر في بقية الستة من أهل الشورى، وأن عليًّا أفضل منه وأولى بالأمر منه[٣]، وقد انعقدت البيعة له بإجماع الصحابة بالمدينة، وكان اجتهاد معاوية يخالف الصواب.

(٣) معاوية يرد على أمير المؤمنين علي رضي الله عنهما:

بعث علي رضي الله عنه كتبًا كثيرة إلى معاوية فلم يرد عليه جوابها، وتكرر ذلك مرارًا إلى الشهر الثالث من مقتل عثمان رضي الله عنه في صفر، ثم بعث معاوية طُومارًا[٤] مع رجل، فدخل به على عليٍّ رضي الله عنه فقال له علي: ما وراءك؟ قال: جئتك من عند قوم لا يريدون إلا القَوَدَ،[٥] كلهم موتور[٦]، تركت ستين ألف

---

(١) «صحيح سنن ابن ماجه» (١/ ٢٤٠).

(٢) «مسند أحمد» رقم (٢٤٠٤٥)، حديث صحيح .

(٣) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد علي ص(١١٢) .

(٤) الطومار: الصحيفة

(٥) القود: القتل بالقتيل.

(٦) الموتور: صاحب الثأر.

شيخ يبكون تحت قميص عثمـان، وهو على منبر دمشق، فقال علي: اللهم إني أبرأ إليك من دم عـثمان. ثـم خرج رسول مـعاوية من بين يدي عليٍّ، فـهَمَّ به أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان يريدون قتله، فما أفلت إلا بعد جهد[١].

(٤) تجهيز أمير المؤمنين علي لغزو الشام واعتراض الحسن على ذلك:

بعد وصول رد معاوية لأمير المؤمنين علي، عزم الخليفة على قتال أهل الشام، كتب إلى قيس بن سعد بمصر يستـنفر الناس لقتالهم، وإلى أبي موسى بالكوفة، وبعث إلى عثـمان بن حُنيف بذلك، وخطب الناس فـحثّـهم على ذلك، وعزم على التجَهُّز، وخرج من المدينة، واستخلف عليها قثم بن العباس، وهو عازم أن يقاتل بمن أطاعه من عصاه وخرج عن أمـره ولم يبايعه مع الناس، وجاء إليه ابنه الحسن بن علي رضي الله عنهما فقال: يا أبتِ دَعْ هذا فإنّ فـيه سفك دماء المسلمين، ووقوع الاختـلاف بينهم، فلم يقبل منه ذلك، بل صـمم على القتـال، ورتّب الجيش، فدفع اللواء إلى محمد بن الحنفية، وجعل ابن العباس على الميمنة، وعمر بن أبي سلمة على الميسرة، وقـيل: جعل على الميسرة عمرو بن سفيـان ابن عبد الأسد، وجعل على مقدمـته أبا ليلى بن عمر بن الجراح ابن أخ أبي عبـيدة، واستخلف على المدينة قـثـم بن العـباس، ولـم يبق شيء إلا أن يخرج من المـدينة قاصـدًا الشام، حتى جاءه ما شغله عن ذلك[٢]، وقد تّم تفصيل ذلك من خروج عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم إلى البصرة إلى معركـة الجمـل.

(٥) بعد معركة الجمل، أرسل أمير المؤمنين علي جرير بن عبد الله إلى معاوية:

ذُكر أن المدة بين خـلافة أمير المؤمنين عليّ إلى فـتنة السبئـية الثانية أو مـا يُسمى البصرة أو معركة الجمل، خمسـة أشهر وواحد وعشرون يومًا، وبين دخوله الكوفة شهرٌ، وبين ذلك وخـروجه إلى صفين ستـة أشهر[٣]، وروي شهران أو ثلاثة[٤]،

---

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٤٠).
(٢) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٤٠، ٢٤١).
(٣) «مروج الذهب» (٢/ ٣٦٠).
(٤) «التاريخ الصغير» للبخاري (١/ ١٠٢).

وقد كان دخول أمير المؤمنين الكوفة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين، فقيل له: انزل بالقصر الأبيض، فقال: لا إن عمر ابن الخطاب ﵁ كان يكره نزوله؛ فأنا أكره لذلك، فنزل في الرحبة وصلَّى بالجامع الأعظم ركعتين ثم خطب الناس فحثهم على الخير، ونهاهم عن الشر ومدح أهل الكوفة في خطبته هذه، ثم بعث إلى جرير بن عبدالله وكان على همدان من زمان عثمان، وإلى الأشعث بن قيس وهو على نيابة أذربيجان من أيام عثمان، يأمرهما أن يأخذا البيعة له على من هُنالك ثم يُقبلا إليه، ففعلا ذلك، فلما أراد عليّ أن يبعث إلى معاوية ﵁ يدعوه إلى بيعته، قال جرير بن عبد الله البجلي: أنا أذهب إليه يا أمير المؤمنين؛ فإنّ بيني وبينه وُدًّا، فآخذ لك البيعة منه، فقال الأشتر: لا تبعثه يا أمير المؤمنين؛ فإني أخشى أن يكون هواه معه. فقال علي: دعه، فبعثه وكتب معه كتابًا إلى معاوية يعلمه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته، ويخبره بما كان في وقعة الجمل، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس، فلمّا انتهى إليه جرير بن عبدالله، أعطاه الكتاب وطلب معاوية ﵁ عمرو بن العاص ورؤوس أهل الشام فاستشارهم، فأبوا أن يبايعوا حتى يقتل قتلة عثمان، أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان، وإن لم يفعل قاتلوه ولم يبايعوه حتى يقتلهم عن آخرهم. فرجع جرير إلى علي فأخبره بما قالوا، فقال الأشتر: ألم أنْهك يا أمير المؤمنين أن تبعث جريرًا؟ فلو كنت بعثتني لما فتح معاوية بابًا إلا أغلقته. فقال له جرير: لو كنت لقتلوك بدم عثمان. فقال الأشتر: والله لو بعثتني لم يعنني جواب معاوية ولأعجلنّه عن الفكرة ولو أطاعني فيك أمير المؤمنين؛ لحبسك وأمثالك حتى يستقيم أمر هذه الأمَّة.

فقام جرير مُغْضَبًا فأقام بقرقيسياء، وكتب إلى معاوية يخبره بما قال وقيل له، فكتب إليه معاوية يأمره بالقدوم عليه[1].

وهكذا كان الأشتر سببًا في إبعاد الصحابي جرير بن عبد الله، الذي كان واليًا

---

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٦٥).

على قرقيسياء وعلى غيرها ورأسًا في قبيلته بجيلة، ويضطره إلى مفارقة أمير المؤمنين علي وهذا الصحابي جرير بن عبد الله البجلي قال: ما رآني رسول الله ﷺ إلا تبسم في وجهي، وقال ﷺ «**يطلع عليكم من هذا الباب رجل من خير ذي يمن، على وجهه مسحةُ مَلَكَ**»[١].

(٦) مسير أمير المؤمنين إلى الشام:

استعد أمير المؤمنين عليّ لغزو الشام، فبعث يستنفر الناس[٢]، وجهز جيشًا ضخمًا اختلفت الروايات في تقديره، وكلها روايات ضعيفة[٣] إلا رواية واحدة حسنة الإسناد ذكرت أنه سار في خمسين ألفًا[٤]

وكان مكان تجمع جند أمير المؤمنين بالنخلية[٥]، وهو على ميلين من الكوفة آنذاك، فتوافدت عليه القبائل من شتى إقليم العراق[٦]، واستعمل أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه أبا مسعود الأنصاري، وبعث من النخيلة زياد بن النضر الحارثي طليعة في ثمانية آلاف مقاتل، وبعث شريح بن هانئ في أربعة آلاف، ثم خرج علي رضي الله عنه بجيشه إلى المدائن (بغداد) فانضم إليه مَنْ فيها من المقاتلة، وولى عليها سعد بن مسعود الثقفي، ووجه منها طليعة في ثلاثة آلاف إلى الموصل[٧]، وسلك عليّ رضي الله عنه طريق الجزيرة الرئيسي على شط الفرات الشرقي حتى بلغ قرب قرقيسياء[٨]، فأتته الأخبار بأن معاوية قد خرج لملاقاته وعسكر بصفين، فتقدم علي رضي الله عنه إلى الرقة[٩]، وعبر منها الفرات غربًا ونزل على صفين[١٠].

---

(١) «مسلم» رقم (٢٤٧٥) (٢) «الإصابة» (١/ ١٢٣ - ١٢٤) نقلاً عن الحاكم بسند حسن

(٣) من قال: مائة وخمسين ألف أو يزيدون «البداية والنهاية» (٧/ ٢٦٠)، ومائة وعشرون ألف «المعرفة والتاريخ» (٣/ ١٣) بسند منقطع، وقدر بتسعين ألف، «تاريخ خليفة بن خياط» ص(١٩٣)

(٤) «تاريخ خليفة» ص (١٩٣) بسند حسن .

(٥) موقع قرب الكوفة من جهة الشام، «معجم البلدان» (٥/ ٢٧٨)

(٦) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص(١٨٨)

(٧) «تاريخ الطبري» (٥/ ٦٠٣) بسند حسن إلى عوانة منقطعًا

(٨) قرقيسياء: بلد يقع على نهر الخابور عند مصبه في الفرات «معجم البلدان» (٤/ ٣٢٨)

(٩) الرقة: مدينة مشهورة - في سوريا اليوم - على نهر الفرات الشرقي «معجم البلدان» (٣/ ١٥٣)

(١٠) «تاريخ الطبري» (٥/ ٦٠٤)

(٧) خروج معاوية إلى صفين:

كان معاوية جادًّا في مطاردة قتلة عثمان رضي الله عنه، فقد استطاع أن يترصد بجماعة ممن غـزا المدينة من المصريين أثناء عـودتهم وقـتلهم ومنهم: أبو عمـرو بن بديل الخزاعي[١]، ثم كانت له أيد في مصر وشيعة في أهل «خربتا» تطالب بدم عثمان رضي الله عنه، وقد استطاعت هذه الفرقة من إيقاع الهزيمة بمحمد بن أبي حذيفة في عدة مواجهات عام ٣٦هـ، كمـا استطاع أيضًا أن يوقع برؤوس مدبري ومخططي غزو المدينة من المصريين، مثل عبد الرحمن ابن عديسى، وكنانة بن بشر، ومحمد ابن حذيفة، فحبسهم في فلسطين، وذلك في الفترة التي سبقت خروجه إلى صفين، ثم قتلهم في شهـر ذي الحجة عام ٣٦هـ[٢] وعندما علم معـاوية بتحرك جيش العراق نحو صفين جمع مستشاريه من أعيان أهل الشام، وخطب فيهم وقال: إن عليًّا نهد إليكم في أهل العراق... فقال ذو الـكلاع الحميري: «عليك أمر عليّ وعلينا أمر معاويـة»[٣].

وكان أهل الشام قـد بايعوا معاوية على الطلب بدم عثمـان رضي الله عنه والقتال[٤]، وقد قام عـمرو بن العاص رضي الله عنه بتجهـيز الجيش وعقـد الألوية، وقام في الجيش خطيبًا يحـرضهم، فقال: إن أهل العراق قـد فرقوا جمعهم وأوهنوا شـوكتهم، وفلوا حدهم، ثم إن أهل البصرة المخالفين لعلي قد وترهم وقتلهم، وقد تفانت صناديدهم وصناديد أهل الكوفـة يوم الجمل، وإنما سار في شـرذمة قليلة ومنهم من قد قتل خليفتكم، فالله الله في حقكم أن تضيعوه وفي دمكم أن تبطلوه[٥]

وسار معـاوية في جيش ضخم، اختلفت الروايات في تقـديره وكلها روايات منقطعة أسانيدها، وهي عين الروايات التي قـدرت جيش علي رضي الله عنه، فقدر بمائة

---

(١) «المحن» لأبي العرب التميمي ص ١٢٤، و«خلافة علي»، لعبد الحميد ص(١٩١)
(٢) «خلافة علي»، لعبد الحميد ص (١٩١)
(٣) «الإصابة» (١/ ٤٨٠)، و«خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (١٩٢)
(٤) «أنساب الأشراف» (٢/ ٥٢) بسند منقطع، و«خلافة علي» ص(١٩٢)
(٥) «تاريخ الطبري» (٥/ ٦٠١) بسند منقطع

ألف وعشرين ألفًا[١]، وقدر بسبعين ألف مقاتل، وقدر بأكثر من ذلك بكثير[٢] إلا أن الأقرب للصواب أنهم ستون ألف مقاتل، فهي وإن كانت منقطعة الإسناد إلا أن راويها صفوان بن عمرو السكسي، حمصي من أهل الشام ولد عام (٧٢هـ) وهو ثبت ثقة، وقد أدرك خلق ممن شهد صفين، كما يتبين من دراسة ترجمته[٣]، والإسناد إليه صحيح[٤]، وكان قادة جيش معاوية على النحو التالي: عمرو بن العاص، على خيول أهل الشام كلها، والضحاك بن قيس على رجالة الناس كلهم، وذو الكلاع الحميري، على ميمنة الجيش، وحبيب ابن مسلمة على ميسرة الجيش، وأبو الأعور السلمي على المقدمة، هؤلاء هم القادة الكبار وتحت كل قائد من هؤلاء قادة وزعوا حسب القبائل، وكان هذا الترتيب عند مسيرهم إلى صفين، ولكن أثناء الحرب تغير بعض القادة وظهر قادة آخرين مما اقتضته الظروف، ولعل هذا يكون السبب في اختلاف أسماء القادة في بعض المصادر[٥].

وبعث معاوية أبا الأعور السلمي مقدمة للجيش، وكان خط سيرهم إلى الشمال الشرقي من دمشق، ولما بلغ صفين أسفل الفرات، عسكر في مكان سهل فسيح، إلى جانب شريعة في الفرات، ليس في ذلك المكان شريعة غيرها، وجعلها في حيزه[٦].

(٨) القتال على الماء:

وصل جيش علي رضي الله عنه إلى صفين، حيث عسكر معاوية، ولم يجد موضعًا فسيحًا سهلاً يكفي الجيش، فعسكر في موضع وعر نوعًا ما إذ أغلب الأرض صخور ذات كدى وأكمات[٧]، ففوجئ جيش العراق بمنع معاوية عنهم الماء،

(١) «خلافة علي بن أبي طالب» ص (١٩٤)، و«المعرفة والتاريخ» (٣/ ٣١٣).
(٢) المصدر نفسه في ص (١٩٤)، و«تاريخ خليفة» ص (١٩٣).
(٣) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٣٨٠).
(٤) «خلافة علي بن أبي طالب» ص (١٩٤).
(٥) «امتداد العرب في صدر الإسلام»، لصالح العلي ص (٧٣)، و«خلافة علي» ص (١٩٤).
(٦) «صفين»، لنصر بن مزاحم ص ١٦٠- ١٦١.
(٧) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (١٩٦).

فهرع البعض إلى علي رضي الله عنه يشكون إليه هذا الأمر، فأرسل علي إلى الأشعث ابن قيس فخرج في ألفين ودارت أول معركة بين الفريقين، انتصر فيها الأشعث واستولى على الماء،[١] إلا أنه قد وردت رواية تنفي وقوع القتال من أصله مفادها: أن الأشعث بن قيس جاء إلى معاوية فقال: الله الله يا معاوية في أمة محمد صلى الله عليه وسلم ! هبوا أنكم قتلتم أهل العراق، فمن للبعوث والذراري؟ إن الله يقول: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩] قال معاوية: فما تريد؟ قالوا: خلوا بيننا وبين الماء. فقال لأبي الأعور: خل بين إخواننا وبين الماء[٢]، وقد كان القتال على الماء في أول يوم تواجها فيه في بداية شهر ذي الحجة فاتحة شر على الطرفين من المسلمين؛ إذ استمر القتال بينهما متواصلاً طوال هذا الشهر، وكان القتال على شكل كتائب صغيرة، فكان علي رضي الله عنه يخرج من جيشه كتيبة صغيرة يؤمر عليها أميرًا، فيقتتلان مرة واحدة في اليوم في الغداة أو العشي، وفي بعض الأحيان يقتتلان مرتين في اليوم، وكان أغلب من يخرج من أمراء الكتائب في جيش علي، الأشتر وحجر بن عدي وشبث ابن ربعي، وخالد بن المعتمر، ومعقل بن يسار الرياحي، ومن جيش معاوية أغلب من يخرج، حبيب بن مسلمة، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وعبيد الله ابن عمر بن الخطاب، وأبو الأعور السلمي، وشرحبيل بن السمط، وقد تجنبوا القتال بكامل الجيش خشية الهلاك والاستئصال؛ وأملاً في وقوع صلح بين الطرفين، تصان به الأرواح والدماء[٣].

(٩) الموادعة بينهما ومحاولات الصلح:

ما إن دخل شهر المحرم، حتى بادر الفريقان إلى الموادعة والهدنة؛ طمعًا في صلح يحفظ دماء المسلمين، فاستغلوا هذا الشهر في المراسلات بينهم ولكن

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/ ٢٩٤) بسند حسن .

(٢) «سير أعلام النبلاء»(٢/ ٤١)، و«مرويات أبي مخنف» ص (٢٩٦) .

(٣) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (١٩٧، ١٩٨)، و«البداية والنهاية» (٧/ ٢٦٦)، و«تاريخ الطبري» (٥/ ٦١٤).

المعلومات عن مراسلات هذه الفترة -شهر المحرم- وردت من طرق ضعيفة[١]، مشهورة، إلا أن ضعفها لا ينفي وجودها. كان البادئ بالمراسلة، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، فأرسل بشير بن عمرو الأنصاري، وسعيد بن قيس الهمداني، وشبث بن ربعي التميمي إلى معاوية ﷺ يدعوه كما دعاه من قبل، إلى الدخول في الجماعة والمبايعة فرد معاوية عليه برده السابق المعروف، بتسليم قتلة عثمان أو القود منهم أولاً، ثم يدخل في البيعة، وقد تبين لنا موقف علي من هذه القضية[٢]، كما أن قُرَّاء الفريقين، قد عسكروا في ناحية من صفين، وهم عدد كبير، قد قاموا بمحاولات للصلح بينهما، فلم تنجح تلك المحاولات لالتزام كل فريق منهما برأيه وموقفه[٣]، وقد حاول اثنان من الصحابة وهما أبو الدرداء، وأبو أمامة ﷺ الصلح بين الفريقين، فلم تنجح مهمتهما أيضًا لنفس الأسباب السابقة، فتركا الفريقين ولم يشهدا معهما أمرهما[٤]، وكذلك حضر مسروق بن الأجدع أحد كبار التابعين فوعظ، وخوف ولم يقاتل[٥]، وقد انتقد ابن كثير التفصيلات الطويلة التي جاءت في روايات أبي مخنف ونصر بن مزاحم، بخصوص المراسلات بين الطرفين فقال: «... ثم ذكر أهل السير كلامًا طويلاً جرى بينهم وبين علي، وفي صحة ذلك عنهم وعنه نظر، فإن في مطاوي ذلك الكلام من علي ما ينتقص فيه معاوية وأباه، وأنهم إنما دخلوا في الإسلام ولم يزلا في تردد فيه، وغير ذلك وأنه قال في غضون ذلك: لا أقول إن عثمان قُتل مظلومًا ولا ظالمًا، وهذا عندي لا يصح من علي ﷺ»[٦].

وموقف علي ﷺ من قتل عثمان ﷺ واضح، وقد بينته في كتابي عن عثمان بن عفان ﷺ، وفي هذا الكتاب.

---

(١) «تاريخ الطبري» (٥/ ٦١٢، ٦١٣)، و«خلافة علي بن أبي طالب» ص(١٩٩) .
(٢) «تاريخ الطبري» (٥/ ٦١٣)، و«خلافة علي بن أبي طالب» ص (١٩٩) .
(٣) المصدر نفسه (٥/ ٦١٤).
(٤) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٧٠).
(٥) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٦٧) بدون إسناد .
(٦) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٦٩).

ثانيًا: نشوب القتال:

عادت الحرب على ما كانت عليه في شهر ذي الحجة من قتال الكتائب والفرق والمبارزات الفردية؛ خشية الالتحام الكلي إلى أن مضى الأسبوع الأول منه، وكان عدد الوقعات الحربية بين الفريقين إلى هذا التاريخ أكثر من سبعين وقعة وذكر أنها تسعون[١]، إلا أن عليًّا أعلن في جيشه أن غدًا الأربعاء سيكون الالتحام الكلي لجميع الجيش، ثم نبذ معاوية يخبره بذلك[٢]، فثار الناس في تلك الليلة إلى أسلحتهم يصلحونها ويحدونها، وقام عمرو بن العاص بإخراج الأسلحة من المخازن لمن يحتاج من الرجال ممن فل سلاحه، وهو يحرض الناس على الاستبسال في القتال[٣] وبات جميع الجيشين في مشاورات وتنظيم للقيادات والألوية.

١- اليوم الأول:

أصبح الجيشان في يوم الأربعاء قد نظمت صفوفهم ووزعوا حسب التوزيع المتبع في المعارك الكبرى، قلب، وميمنة، وميسرة، فكان جيش علي رضي الله عنه على النحو التالي[٤]: علي بن أبي طالب على القلب، وعبد الله بن عباس على الميسرة، وعمّار بن ياسر على الرجالة، ومحمد بن الحنفية حامل الراية وهشام بن عتبة (المرقال) حامل اللواء، والأشعث ابن قيس على الميمنة وأما جيش الشام، فمعاوية في كتيبة الشهباء أصحاب البيض والدروع على تل مرتفع وهو أمير الجيش، وعمرو بن العاص قائد خيل الشام كلها، وذو الكلاع الحميري على الميمنة على أهل اليمن، وحبيب بن مسلمة الفهري على الميسرة على مضر، والمخارق بن الصباح الكلاعي حامل اللواء[٥]، وتقابلت الجيوش الإسلامية ومن كثرتها قد سدت الأفق، ويقول كعب بن جعيل التغلبي أحد شعراء العرب[٦]،

---

(١) «الأنباء بتواريخ الخلفاء» ص (٥٩)، و«صفين» ص (٢٠٢)، و«شذرات الذهب» (١/ ٤٥).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٧٣). (٣) «سنن سعيد بن منصور» (٢/ ٢٤٠) ضعيف.

(٤، ٥) «تاريخ خليفة بن خياط» ص (١٩٣) بسند حسن إلى شاهد عيان.

(٦) شاعر تغلب في عصره، مخضرم، شهد صفين مع معاوية وهو شاعر معاوية بن أبي سفيان وأهل الشام، «الأعلام» للزركلي (٦/ ١٨٠).

وذلك عندما رأى الناس في ليلة الأربعاء وقد ثبتوا إلى نبالهم وسيوفهم يصلحونها استعدادًا لهذا اليوم:

أَصْبَحَتْ الأُمَّةُ فِي أَمْرٍ عَجَبْ
وَالْمُلْكُ مَجْمُوعٌ غَدًا لِمَنْ غَلَبْ
فَقُلْتُ قَوْلاً صَادِقًا غَيْرَ كَذِبْ
إِنَّ غَدًا تَهْلَكُ أَعْلامُ العَرَبْ[(١)]

وتذكر بعض الروايات الضعيفة أن عليًّا خطب في جيشه، وحرضهم على الصبر والإقدام والإكثار من ذكر الله[(٢)]، وتذكر أيضًا أن عمرو بن العاص، قد استعرض جيشه، وأمرهم بتسوية الصفوف وإقامتها[(٣)]، وهذه الروايات لا يوجد مانع من الأخذ بها؛ لأن كل قائد يحرض جيشه ويحمسه، ويهتم بكل ما يؤدي به إلى النصر. والتحم الجيشان في قتال عنيف، استمر محتدمًا إلى غروب الشمس لا يتوقف إلا لأداء الصلاة، ويصلِّ كل فريق في معسكره، وبينهما جثث القتلى في الميدان تفصل بينهما، وسأل أحد أفراد جيش علي عليًّا رضي الله عنه حين انصرافه من الصلاة، فقال: ما تقول في قتلانا وقتلاهم يا أمير المؤمنين؟ فقال: من قتل منا ومنهم يريد وجه الله والدار الآخرة دخل الجنة[(٤)]، وقد صبر بعضهم على بعض فلم يغلب أحد أحدًا، ولم ير موليا حتى انتهى ذلك اليوم.

وفي المساء خرج علي رضي الله عنه إلى ساحة القتال فنظر إلى أهل الشام، فدعا ربه قائلاً: اللهم اغفر لي ولهم[(٥)].

٢- اليوم الثاني:

في يوم الخميس تذكر الروايات أن عليًّا رضي الله عنه قد غلس بصلاة الفجر واستعد

---

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٧٣)، و«تاريخ الطبري» (٥/ ٦٢٦).
(٢) «تاريخ الطبري» (٥/ ٦٢٢) من طريق أبي مخنف. (٣) «الطبقات» (٤/ ٢٥٥) من طريق الواقدي.
(٤) «سنن سعيد بن منصور» (٢/ ٣٤٤ - ٣٤٥) بسند ضعيف.
(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/ ٢٩٧) بسند ضعيف.

للهجوم، وغير بعض القيادات، فوضع عبد الله بن بديل الخزاعي على الميمنة بدلاً من الأشعث ابن قيس الكندي الذي تحول إلى الميسرة[١]، وزحف الفريقان نحو بعضهما واشتبكوا في قتال عنيف أشد من سابقه، وبدأ أهل العراق في التقدم وأظهروا تفوقًا على أهل الشام واستطاع عبد الله بن بديل أن يكسر ميسرة معاوية وعليها حبيب ابن مسلمة، ويتقدم باتجاه كتيبة معاوية (الشهباء) وأظهر شجاعة وحماسًا منقطع النظير، وصاحب هذا التقدم الجزئي، تقدم عام لجيش العراق، حتى إن معاوية قد حدثته نفسه بترك ميدان القتال، إلا أنه صبر وتمثل بقول الشاعر:

أَبَتْ لِي عِفَّتِي وَأَبَى بَلائِي
وَأَخْذِي الحَمْدَ بالثَّمَنِ الرَّبِيحِ
وإِكْرَاهِي عَلَى المَكْرُوهِ نَفْسِي
وَضَرْبِي هَامَةَ البَطَلِ المَشِيحِ
وقَوْلِي كلَّمَا جَشَأَتْ وَجَاشَتْ
مَكَانَكِ تُحْمَدِي أو تَسْتَرِيحي[٢]

واستحث كتيبته الشهباء واستطاعوا قتل عبد الله بن بديل، فأخذ مكانه في قيادة الميمنة الأشتر، وتماسك أهل الشام وبايع بعضهم بعضًا على الموت، وكروا مرة أخرى بشدة وعزيمة وقتل عدد من أبرزهم ذو الكلاع، وحوشب وعبيد الله بن الخطاب رضي الله عنهما وانقلب الأمر لجيش الشام، وأظهر تقدمًا، وبدأ جيش العراق في التراجع، واستحرَّ القتل في أهل العراق، وكثرت الجراحات ولما رأى علي جيشه في تراجع، أخذ يناديهم ويحمسهم، وقاتل قتالاً شديدًا واتجه إلى القلب حيث ربيعة، فثارت فيهم الحمية وبايعوا أميرهم خالد بن المعتمر على الموت وكانوا أهل قتال[٢].

---

(١) «تاريخ الطبري» (٥/ ٦٣٠).

(٢) «تاريخ الطبري» (٥/ ٦٣٦).

(٣) «الإصابة» (١/ ٤٥٤)، و«أنساب الأشراف» (٢/ ٥٦) بسند حسن إلى قتادة مرسلاً.

وكان عمّار بن ياسر رضي الله عنه قد جاوز الرابعة والتسعين عامًا، وكان يحارب بحماس، يحرض الناس، ويستنهض الهمم ولكنه بعيد كل البعد عن الغلو، فقد سمع رجلا بجواره يقول: كفر أهل الشام، فنهاه عمار عن ذلك وقال: إنما بغوا علينا، فنحن نقاتلهم لبغيهم، فإلهنا واحد ونبينا واحد، وقبلتنا واحدة(١).

ولما رأى عمار رضي الله عنه تقهقر أصحابه، وتقدم خصومه، أخذ يستحثهم ويبين لهم أنهم على الحق ولا يغرنهم ضربات الشاميين الشديدة، فيقول رضي الله عنه: من سره أن تكتنفه الحور العين، فليقدم بين الصفين محتسبًا، فإني لأرى صفًّا يضربكم ضربًا يرتاب منه المبطلون والذي نفسي بيده، لو ضربونا حتى يبلغوا منا سعفات هجر، لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل ولعلمنا أن مصلحينا على الحق وأنهم على الباطل(٢).

ثم أخذ في التقدم، وفي يده الحربة ترعد لكبر سنه، ويشتد على حامل الراية هاشم ابن عتبة بن أبي وقاص ويستحثه في التقدم، ويرغبه ويطمعه فيما عند الله من النعيم، ويطمع أصحابه أيضًا فيقول: أزفت الجنة وازينت الحور العين، من سره أن تكَتنفه الحور العين، فليتقدم بين الصفين محتسبًا، وكان منظرًا مؤثرًا فهو صحابي جليل مهاجري بدري جاوز الرابعة والتسعين، يمتلك كل هذا الحماس وهذا العزم والروح المعنوية العالية واليقين الثابت، فكان عاملاً هامًّا من عوامل حماس جيش العراق، ورفع روحهم المعنوية مما زادهم عنفًا وضراوة وتضحية في القتال، حتى استطاعوا أن يحولوا المعركة لصالحهم وتقدم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وهو يرتجز بقوله:

أَعْوَرُ يَبْغِي أَهْلَهُ مَحَلاًّ

قَدْ عَالَجَ الحَيَاةَ حَتَّى مَلاَّ

لا بُدَّ أن يُفِلَّ أو يُفَلاَّ (٣)

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/ ٢٩٠) والإسناد حسن لغيره .

(٢) «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٤٣)، و«خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٢١٩) إسناده حسن .

(٣) «تاريخ الطبري» (٥/ ٦٥٢) .

وعمار يقول: تقدم يا هاشم، الجنة تحت ظلال السيوف، والموت في أطراف الأسل[١]، وقد فتحت أبواب السماء وتزينت الحور العين:

اليَوْمَ أَلْقَى الأَحِبَّة مُحَمَّدًا وَحِزْبَهُ[٢]

وعند غروب شمس يوم الخميس، طلب عمَّار رضي الله عنه شربة من لبن، ثم قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي: **«إن آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن»**[٣]. ثم تقدم واستحث معه حامل الراية هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري، فلم يرجعا وقتلا[٤]، رحمهما الله ورضي الله عنهما.

٣- ليلة الهرير يوم الجمعة:

عادت الحرب في نفس الليلة بشدة واندفاع لم تشهدها الأيام السابقة، وكان اندفاع أهل العراق بحماس وروح عالية، حتى أزالوا أهل الشام عن أماكنهم، وقاتل أمير المؤمنين علي قتالاً شديدًا وبايع على الموت[٥] وذكر أن عليًّا رضي الله عنه صلى بجيشه المغرب صلاة الخوف[٦]، وقال الشافعي: وحفظ عن علي أنه صلى صلاة الخوف ليلة الهرير[٧]، يقول شاهد عيان: اقتتلنا ثلاثة أيام وثلاث ليالي حتى تكسرت الرماح ونفذت السهام، ثم صرنا إلى المسايفة فاجتلدنا بها إلى نصف الليل، حتى صرنا نعانق بعضنا بعض ولما صارت السيوف كالمناجل تضاربنا بعمد الحديد، فلا تسمع إلا غمغمة وهمهمة القوم ثم ترامينا بالحجارة وتحاثينا بالتراب وتعاضينا بالأسنان وتكادمنا بالأفواه، إلى أن أصبحوا.

وفي يوم الجمعة ارتفعت الشمس وإن كانت لا ترى من غبار المعركة، وسقطت الألوية والرايات وأنهك الجيش التعب وكلت الأيدي وجفت الحلوق[٨].

---

(١) الأسل: الرماح.

(٢) «تاريخ الطبري» (٥/ ٦٥٢).

(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/ ٣٠٢، ٣٠٣) بسند منقطع.

(٤) «تاريخ الطبري» (٥/ ٦٥٣).

(٥) «المستدرك» (٣/ ٤٠٢) قال الذهبي: ضعيف، و«خلافة علي» ص(٢٢٦).

(٦) «السنن الكبرى» للبيهقي (٣/ ٢٥٢)، قال الألباني: رواه البيهقي بصيغة التمريض، و«إرواء الغليل» (٣/ ٤٢).

(٧) «تلخيص الحبير» (٢/ ٧٨)، و«خلافة علي بن أبي طالب» ص(٢٢٧).

(٨) «شذرات الذهب» (١/ ٤٥)، و«وقعة صفين» ص (٣٦٩).

ويقول ابن كثير في وصف ليلة الهرير ويوم الجمعة: وتعاضوا بالأسنان يقتتل الرجلان حتى يثخنا، ثم يجلسان يستريحان وكل واحد منهما ليهمز على الآخر، ويهمز عليه ثم يقومان فيقتتلان كما كانا، فإنَّا لله وإنا إليه لراجعون. ولم يزل ذلك دأبهم حتى أصبح الناس من يوم الجمعة وهم كذلك، وصلى الناس الصبح إيماء وهم في القتال حتى تضاحا النهار وتوجه النصر لأهل العراق على أهل الشام[1].

٤- الدعوة إلى التحكيم:

إن ما وصل إليه حال الجيشين بعد ليلة الهرير لم يكن يحتمل مزيد قتال، وجاءت خطبة الأشعث بن قيس زعيم كندة لأصحابه ليلة الهرير فقال: قد رأيتم يا معشر المسلمين ما قد كان في يومكم هذا الماضي، وما قد فني فيه من العرب، فوالله لقد بلغت من السن ما شاء الله أن أبلغ؛ فما رأيت مثل هذا قط، ألا فليبلغ الشاهد الغائب، إن نحن تواقفنا غدًا إنه لفناء العرب، وضيعة الحرمات، أما والله ما أقول هذه المقالة جزعًا من الحرب، ولكني رجل مسن، وأخاف على النساء والذراري غدًا إذا نحن فنينا، اللهم إنك تعلم أني قد نظرت لقومي ولأهل ديني فلم آلُ[2].

وجاء خبر ذلك إلى معاوية فقال: أصاب ورب الكعبة، لئن نحن التقينا غدًا؛ لتميلن الروم على ذرارينا ونسائنا ولتميلن أهل فارس على أهل العراق وذراريهم، وإنما يبصر هذا ذوو الأحلام والنهى ثم قال لأصحابه: اربطوا المصاحف على أطراف القنا[3]، وهذه رواية عراقية لا ذكر فيها لعمرو بن العاص، ولا للمخادعة والاحتيال وإنما كانت رغبة كلا الفريقين، ولن يضير معاوية أو عمرو بشيء، أن تأتي أحدهم الشجاعة فيبادر بذلك وينقذ ما تبقى من قوى الأمة المتصارعة، إنما يزعج ذلك السبئية الذين أشعلوا نيران هذه الفتنة، وتركوا لنا ركامًا من الروايات المضللة بشأنها، وتحيل الحق باطلاً، وتجعل

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٨٣).

(٢) «وقعة صفين» للمتغري ص (٤٧٩).

(٣) المصدر نفسه ص (٤٨١ - ٨٨٤).

الفضل؛ كالمناداة لتحكيم القرآن لصون الدماء المسلمة جريمة ومؤامرة[١] وحيلة، ونسبوا لأمير المؤمنين علي أقوالا مكذوبة تعارض ما في الصحيح على أنه قال: ما رفعوها ثم لا يرفعونها، ولا يعملون بما فيها، وما رفعوها لكم إلا خديعة ودهنًا ومكيدة[٢]، ومن الشتائم قولهم عن رفع المصاحف: إنها مشورة ابن العاهرة[٣]، ووسّعوا دائرة الدعاية المضادة على عمرو بن العاص رضي الله عنه، حتى لم تعد تجد كتابًا من كتب التاريخ إلا فيه انتقاص لعمرو بن العاص ،وأنه مخادع وماكر بسبب الروايات الموضوعة التي لفقها أعداء الصحابة الكرام، ونقلها الطبري، وابن الأثير وغيرهم، فوقع فيها كثير من المؤرخين المعاصرين مثل: حسن إبراهيم حسن في «تاريخ الإسلام»، ومحمد الخضري بك في «تاريخ الدولة الأموية»، وعبد الوهاب النجار في «تاريخ الخلفاء الراشدين» وغيرهم كثير، مما ساهم في تشويه الحقائق التاريخية الناصعة.

إن رواية أبي مخنف تفترض أن عليًّا رفض تحكيم القرآن لما اقترحه أهل الشام، ثم استجاب بعد ذلك له تحت ضغط القراء الذين عرفوا بالخوارج فيما بعد[٤]، وهذه الرواية تحمل سبًّا من علي لمعاوية وصحبه يتنزه عنه أهل ذاك الجيل المبارك، فكيف بساداتهم وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه؟! ويكفي للرواية سقوطًا أن فيها أبا مخنف الرافضي المحترق، فهي رواية لا تصمد للبحث النزيه، ولا تقف أمام روايات أخرى لا يتهم أصحابها بهوى مثل ما يرويه الإمام أحمد ابن حنبل عن طريق حبيب بن أبي ثابت قال: أتيت أبا وائل أحد رجال علي ابن أبي طالب، فقال: كنا بصفين، فلما استحر القتل بأهل الشام قال عمرو لمعاوية: أرسل إلى عليّ المصحف؛ فادعه إلى كتاب الله، فإنه لا يأبى عليك، فجاء به رجل فقال: بيننا وبينكم كتاب الله **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم**

(١) «الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين» ص (٣١٦).
(٢) «الكامل» (٢/ ٣٨٦).
(٣) «تاريخ الطبري» (٥/ ٦٦٢).
(٤) المصدر نفسه (٥/ ٦٦٢، ٦٦٣).

مُّعْرِضُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣]. فقال علي ﷺ: نعم، أنا أولى بذلك، فقال القُراء الذين صاروا بعد ذلك خوارج، بأسيافهم على عواتقهم فقالوا: يا أمير المؤمنين ألا نمشي إلى هؤلاء حتى يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقام سهل بن حنيف الأنصاري ﷺ فقال: أيها الناس اتهموا أنفسكم، لقد كنا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية، ولو نرى قتالاً لقاتلنا، وذلك في الصلح الذي بين رسول الله ﷺ وبين المشركين، ثم حدثهم عن معارضة عمر ﷺ للصلح يوم الحديبية ونزول سورة الفتح على رسول الله ﷺ فقال علي: أيها الناس إن هذا فتح فقبل القضية ورجع، ورجع الناس[1].

وأظهر سهل بن حنيف ﷺ اشمئزازه ممن يدعون إلى استمرار الحرب بين الإخوة وقال: أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم[2]، وبين لهم بأنه لا خيار عن الحوار والصلح؛ لأن ما سواه فتنة لا تعرف عواقبها، فقد قال: ما وضعنا أسيافنا على عواتقنا لأمر يُفظِعُنَا إلا أسهلن بنا إلى أمر نعرفه قبل هذا الأمر ما نسد منها خُصمًا إلا تفجر علينا خُصم ما ندري كيف نأتي له؟[3].

وفي هذه الروايات الصحيحة رد على دعاة الفتنة، ومبغضي الصحابة الذين يضعون الأخبار المكذوبة، ويضعون الأشعار وينسبونها إلى أعلام الصحابة والتابعين الذين شاركوا في صفين؛ ليظهروهم بمظهر المتحمس لتلك الحرب؛ ليزرعوا البغضاء في النفوس ويعملوا ما في وسعهم على استمرار[4] الفتنة.

إن الدعوة إلى تحكيم كتاب الله دون التأكيد على تسليم قتلة عثمان إلى معاوية، وقبول التحكيم دون التأكيد على دخول معاوية في طاعة علي والبيعة له، تطور فرضته أحداث حرب صفين؛ إذ إن الحرب التي أودت بحياة الكثير من المسلمين، أبرزت اتجاها جماعيًا رأى أن وقف القتال وحقن الدماء، ضرورة

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٨/ ٣٣٦)، و«مسند أحمد مع الفتح الرباني» (٨/ ٤٨٣).
(٢، ٣) «البخاري» رقم (٤١٨٩).
(٤) «الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف» ص (٥٣٠).

تقتضيها حماية شوكة الأمة وصيانة قوتها أمام عدوها، وهو دليل على حيوية الأمة ووعيها وأثرها في اتخاذ القرارات[(١)].

إن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قبل وقف القتال في صفين ورضي التحكيم وعد ذلك فتحًا ورجع[(٢)] إلى الكوفة، وعلق على التحكيم آمالاً في إزالة الخلاف وجمع الكلمة، ووحدة الصف، وتقوية الدولة، وإعادة حركة الفتوح من جديد. إن وصول الطرفين إلى فكرة التحكيم ساهمت فيها عدة عوامل للاستجابة للتحكيم منها:

أ- أنه كان آخر محاولة من المحاولات التي بذلت لإيقاف الصدام، وحقن الدماء سواء تلك المحاولات الجماعية، أم المحاولات الفردية التي بدأت بعد موقعة الجمل ولم تفلح، أما الرسائل التي تبادلت بين الطرفين لتقريب وجهات نظر كل منهما، لم تجدِ هي الأخرى شيئًا، وكان آخر تلك المحاولات ما قام به معاوية في أيام اشتداد القتال، حيث كتب إلى علي رضي الله عنه يطالبه بتوقف القتال فقال: فإني أحسبك أن لو علمت وعلمنا أن الحرب تبلغ بك ما بلغت لم نجنها على أنفسنا، فإنا إن كنا قد غُلبنا على عقولنا؛ فقد بقي منا ما ينبغي أن نندم على ما مضى ونصلح ما بقي[(٣)].

ب- تساقط القتلى وإراقة الدماء الغزيرة ومخافة الفناء، فصارت الدعوة إلى إيقاف الحرب مطلبًا يرنو إليه الجميع.

جـ - الملل الذي أصاب الناس من طول القتال، حتى وكأنهم على موعد لهذا الصوت الذي نادى بالهدنة والصلح، وكانت أغلبية جيش علي رضي الله عنه في اتجاه الموادعة وكانوا يرددون: قد أكلتنا الحرب، ولا نرى البقاء إلا عن الموادعة[(٤)].

وهذا ينقض ذلك الرأي المتهافت الذي رَوَّج بأن رفع المصاحف كان خدعة من

(١، ٢) «دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين» ص(٣٨) .

(٣) «الأخبار الطوال» للدينوري ص (١٨٧)، و«دراسات في عهد النبوة» ص (٤٣٢) .

(٤) «صفين» ص (٤٨٢ - ٤٨٥)، و«دراسات في عهد النبوة» ص (٤٣٣) .

عـمرو بن العـاص والحق أن فكرة رفع المصـاحف لم تكن جـديدة وليـست من ابتكار عمـرو بن العاص، بل رفع المصـحف في الجمل ورشق حـامله كعب بن سور قاضي البصرة بسهم وقتل.

د - الاستجابة لصوت الوحي الداعي للإصلاح قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩] ويؤيد هذا ما قـاله عليّ بن أبي طالب ﷺ حينما عرض عليه الاحـتكام إلى كتاب الله قال: نعم أنا أولى بذلك، بيننا وبينكم كتاب الله[١].

٥- مقتل عمّار بن ياسر رضي الله عنه وأثره على المسلمين:

يعد حـديث رسول الله ﷺ لعـمار ﷺ: «**تقـتلك الفئـة الباغـية**»[٢]، من الأحاديث الصحيحة والثابتـة عن النبي ﷺ، وقد كان لمقتل عمّار ﷺ أثر في معركـة صفين، فقد كـان علمًا لأصحاب رسـول الله يتبعونه حـيث سار، وكان خزيمة بن ثابت قد حـضر صفين وكان كافًّا سلاحه، فلما رأى مـقتل عمار سل سيفه وقاتل أهل الشام؛ وذلك لأنه سمع[٣] حديث رسول الله ﷺ عن عمار: «**تقتله الفـئة الباغـية**» واستمر في القـتال حتى قتل[٤]، وكان لمقتل عـمّار أثر في معسكر مـعاوية، فهذا أبو عـبد الرحمن السلمي دخل في معـسكر أهل الشام، فرأى معاوية وعمرو بن العـاص وابنه عبد الله بن عمرو، وأبو الأعور السلمي، عند شـريعة الماء يسـقون، وكانت هـي شريعة الماء الـوحيدة التي يـستقي مـنها الفريقـان، وكان حديثهم عن مـقتل عَمّار بن ياسـر، إذ قال عبد الله بن عـمرو لوالده: لقد قتلنا هذا الرجل وقد قال فيه رسول الله ﷺ: «**تقتله الفئة الباغية**». فقال عمرو لمعاوية: لقد قتلنا الرجل وقد قال فيه رسول الله ﷺ ما قال، فقال معـاوية: اسكت فوالله مـا تزال تدحض[٥] في بولك أنحن قتلـناه؟ إنما قتله من

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٨/ ٣٣٦). (٢، ٣) «مسلم» رقم (٢٩١٦).

(٤) «خلافة علي» ص (٢١١)، و«مجمع الزوائد» للهيثمي (٧/ ٢٤٢)وقـال فيه: رواه الطبراني وفيه أبو معشر وهو لين.

(٥) الدحض: الزلق، والداحض لمن لا ثبات له ولا عزيمة في الأمور.

جاء به[١]، فانتشر تأويل معاوية بين أهل الشام انتشار النار في الهشيم، وجاء في رواية صحيحة أن عمرو بن حزم دخل على عمرو بن العاص فقال: قتل عمار وقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**تقتله الفئة الباغية**». فقام عمرو بن العاص فزعًا يُرَجِّع حتى دخل على معاوية فقال له معاوية: ما شأنك؟ فقال: قتل عمار، فقال معاوية: فماذا؟ قال عمرو: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له: «**تقتلك الفئة الباغية**» فقال له معاوية: دحضت في بولك، أو نحن قتلناه؛ إنما قتله علي وأصحابه، جاؤوا به حتى ألقوه بين رماحنا، أو قال: بين سيوفنا[٢].

وفي رواية صحيحة أيضًا: جاء رجلان عند معاوية يختصمان في رأس عمّار، يقول كل واحد منهما: أنا قتلته؛ فقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: ليطب به أحدكما نفسًا لصاحبه، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**تقتله الفئة الباغية**». قال معاوية: فما بالك معنا؟ قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «**أطع أباك ما دام حيًّا ولا تعصه**». فأنا معكم ولست أقاتل[٣].

من الروايات السابقة نلاحظ أن الصحابي الفقيه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما حريص على قول الحق، والنصح، فقد رأى أن معاوية وجنده، هم الفرقة الباغية لقتلهم عمارًا، فقد تكرر منه هذا الاستنكار في مناسبات مختلفة؛ ولا شك أن مقتل عمّار رضي الله عنه قد أثر في أهل الشام بسبب هذا الحديث، إلا أن معاوية رضي الله عنه أول الحديث تأويلاً غير مستساغ ولا يصح في أن الذين قتلوا عمارًا هم الذين جاؤوا به إلى القتال[٤]، وقد أثر مقتل عمار كذلك على عمرو بن العاص، بل كان استشهاد عمار دافعًا لعمرو بن العاص للسعي لإنهاء الحرب[٥].

وقد قال رضي الله عنه: وددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة[٦]، وقد جاء في

(١) «مسند أحمد» (٢/٢٠٦) إسناده حسن.
(٢) «مصنف عبد الرزاق» (١١/ ٢٤٠) بسند صحيح.
(٣) «مسند أحمد» (١١/١٣٨، ١٣٩).
(٤) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٣٢٥).
(٥) «معاوية بن أبي سفيان»، للغضبان ص (٢١٥).
(٦) «أنساب الأشراف» (١/ ١٧٠)، و«عمرو بن العاص» للغضبان ص (٦٠٣).

البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: كنا نحمل لبنة لبنة وعمّار لبنتين لبنتين، فرآه النبي ﷺ؛ فينفض التراب عنه ويقول: «**ويح عمّار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار**». قال عمّار: أعوذ بالله من الفتن[١].

وقال ابن عبد البر: تواترت الآثار عن النبي ﷺ أنه قال: «**تقتل عمّاراً الفئة الباغية**»، وهذا من إخباره بالغيب وأعلام نبوته ﷺ، وهو من أصح الأحاديث[٢]، وقال الذهبي بعد ما ذكر الحديث: وهو في الباب عن عدة من الصحابة، فهو متواتر[٣].

٦- فهم العلماء للحديث:

أ - قال ابن حجر: وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة، وفضيلة ظاهرة لعلي وعمار، وردٌّ على النواصب الزاعمين أن عليًّا لم يكن مصيبًا في حروبه[٤]، وقال أيضًا: دل الحديث: «**تقتل عمّاراً الفئة الباغية**»، على أن عليًّا كان المصيب في تلك الحروب؛ لأن أصحاب معاوية قتلوه[٥].

ب - يقول النووي: وكانت الصحابة يوم صفين يتبعونه حيث توجه؛ لعلمهم بأنه مع الفئة العادلة لهذا الحديث[٦].

جـ - قال ابن كثير: كان علي وأصحابه أدنى الطائفتين إلى الحق من أصحاب معاوية، وأصحاب معاوية كانوا باغين عليهم، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث شعبة عن أبي سلمة عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري، قال: حدثني من هو خير مني - يعني أبا قتادة - أن رسول الله ﷺ قال لعمار ﷺ: «**تقتلك الفئة الباغية**»[٧].

وقال أيضًا: وهذا مقتل عمار بن ياسر ﷺ مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب،

---

(١) «البخاري» رقم (٤٤٧).
(٢) «الاستيعاب» (٣/ ١١٤٠).
(٣) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٤٢١).
(٤) «فتح الباري» (١/ ٦٤٦).
(٥) «فتح الباري» (١٣/ ٩٢).
(٦) «تهذيب الأسماء واللغات» (٢/ ٣٨).
(٧) «البداية والنهاية» (٦/ ٢٢٠).

قتله أهل الشام، وبان وظهر بذلك سر ما أخبر به الرسول ﷺ من أنه تقتله الفئة الباغية، وبان بذلك أن عليًّا محق، وأن معاوية باغ، وما في ذلك من دلائل النبوة(١).

د - وقال الذهبي: هم طائفة من المؤمنين، بغت على الإمام علي، وذلك بنص قول المصطفى صلوات الله عليه لعمار ﷺ: «**تقتلك الفئة الباغية**»(٢).

هـ - قال القاضي أبو بكر العربي في قوله تعالى: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ**﴾: هذه الآية أصل في قتال المسلمين، والعمدة في حربِ المتأولين، وعليها عوَّل الصحابة، وإليها لجأ الأعيان من هذه الملة، وإياها عني النبي ﷺ بقوله: «**تقتل عمَّارًا الفئة الباغية**»(٣).

و - وقال ابن تيمية: وهذا يدل على صحة إمامة علي ووجوب طاعته، وأن الداعي إلى طاعته داع إلى الجنة، والداعي إلى مقاتلته داع إلى النار - إن كان متأولاً - وهو دليل على أنه لم يكن يجوز قتال علي، وعلى هذا فمقاتله مخطئ - وإن كان متأولاً - أو باغ - بلا تأويل - وهو أصح القولين لأصحابنا، وهو الحكم بتخطئة من قاتل عليًّا، وهو مذهب الأئمة الفقهاء الذين فرعوا على ذلك قتال البغاة المتأولين(٤).

وقال أيضًا: مع أن عليًّا أولى بالحق ممن فارقه، ومع أن عمارًا قتلته الفئة الباغية - كما جاءت به النصوص - فعلينا أن نؤمن بكل ما جاء من عند الله ونقر بالحق كله، ولا يكون لنا هوى، ولا نتكلم بغير علم، بل نسلك سبل العلم والعدل، وذلك هو اتباع الكتاب والسنة، فأما من تمسك ببعض الحق دون بعض، فهذا منشأ الفرقة والاختلاف(٥).

ز - وقال عبد العزيز بن باز: وقال ﷺ في حديث عمار: «**تقتل عمَّارًا الفئة**

---

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٧٧).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٢٠٩).
(٣) «أحكام القرآن» (٤/ ١٧١٧).
(٤) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٤٣٧).
(٥) المصدر نفسه (٤/ ٤٤٩، ٤٥٠).

الباغية» فقتله معـاوية وأصحابه في وقعة صفين، فمعـاوية وأصحابه بغاة، لكن مجتهدون ظنوا أنهم مصيبون في المطالبة بدم عثمان [١].

حـ - وقال سعيد حوى: بعد أن قـتل عمار، الذي وردت النصوص مبينة أنه تقتله الفئة الباغـية، تبين للمترددين أن عليًّا كان على حق، وأن القتـال معه كان واجبًا، ولذا عـبّر ابن عمر عن تخلفه بأنه يأسى بسـبب هذا التخلف، وما ذلك إلا أنه ترك واجبًا وهو نصرة الإمام الحق على الخارجين عليه بغير حق، كما أفتى بذلك الفقهاء[٢].

٧- الرد على قول معاوية رضي الله عنه: إنما قتله من جاء به[٣]:

إن جل الصـحابة والتـابعين قد فـهمـوا من قول رسـول الله ﷺ لعمـار: **«تقتلك الفئة الباغية»**[٤]؛ أن المقصود جيش معاوية رضي الله عنه، مع أنهم معذورون في اجتهادهم، فـهـم يقصدون الحق ويريدونه، ولكنهم لم يصيبـوه، وفئة علي أولى بالحق منهم كما قال رضي الله عنه[٥]، ومع أن الأئمة لم يعـجبهم تأويل معـاوية - كما سأنقل - إلا أنهم عذروه في اجتهاده، فـها هو ابن حجر يقول في قوله ﷺ: **«يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار»**[٦].

فإن قيل: كان قتله بصفين وهو مع علي، والذين قتلوه مع معاوية، وكان معه جماعة من الصحابة، فكيف يجوز عليهم الدعاء إلى النار؟ فالجواب: أنهم كانوا ظانين أنهم يدعون إلى الجنة، وهم مـجتهدون لا لوم عليـهم في اتباع ظنونهم، فالمراد بالدعاء إلى الجنة الدعاء إلى سببها، وهو طاعة الإمام، وكذلك كان عمار يدعوهم إلى طاعة علي، وهو الإمام الـواجب الطاعة إذ ذاك، وكانوا هم يدعون إلى خلاف ذلك، لكنهم معذورون للتأويل الذي ظهر لهم[٧].

وقال القرطبي: وقال الإمام أبو المعالي في كتاب الإرشاد، فصل: علي رضي الله عنه،

---

(١) «فتاوى ومقالات متنوعة» (٦/ ٨٧).
(٢) «الأساس في السنة» (٤/ ١٧١٠).
(٣) «مسند أحمد» (٢/ ٢٠٦) إسناده حسن.
(٤) «مسلم» رقم (٢٩١٦).
(٥) «معاوية بن أبي سفيان» ص (٢١٠ - ٢١٤).
(٦) «البخاري» رقم (٤٤٧).
(٧) «التذكرة» (٢/ ٢٢٢).

كان إمامًا حقًّا في توليته، ومقاتلوه بغاة، وحسن الظن بهم يقتضي أن يظن بهم قصد الخير وإن أخطؤوه[١].

وقال أيضًا: وقد أجاب علي رضي الله عنه عن قول معاوية بأن قال: فرسول الله صلى الله عليه وسلم إذن قتل حمزة حين أخرجه، وهذا من علي رضي الله عنه إلزام، لا جواب عنه، وحجة لا اعتراض عليها، قاله الإمام الحافظ أبو الخطاب بن دحية[٢].

وقال ابن كثير: فقول معاوية: إنما قتله من قدمه إلى سيوفنا، تأويل بعيد جدًّا؛ إذ لو كان كذلك لكان أمير الجيش هو القاتل للذين يقتلون في سبيل الله، حيث قدمهم إلى سيوف الأعداء[٣].

وقال ابن تيمية: وهذا القول لا أعلم له قائلاً من أصحاب الأئمة الأربعة ونحوهم من أهل السنة، ولكن هو قول كثير من المروانية ومن وافقهم[٤]، وقال ابن القيم معلقًا على هذا التأويل: نعم التأويل الباطل تأويل أهل الشام قوله صلى الله عليه وسلم لعمار: «**تقتلك الفئة الباغية**»[٥] فقالوا: نحن لم نقتله إنما قتله من جاء به حتى أوقعه بين رماحنا؛ فهذا هو التأويل الباطل المخالف لحقيقة اللفظ وظاهره، فإن الذي قتله هو الذي باشر قتله، لا من استنصر به[٦].

٨ - من هو قاتل عمّار بن ياسر؟

قال أبو الغادية الجهني وهو يحدث عن قتله لعمار: فلما كان يوم صفين، أقبل يستن أول الكتيبة رَجلاً، حتى إذا كن بين الصفين فأبصر رجلٌ عورة، فطعنه في ركبته بالرمح فعثر، فانكشف المغفر عنه، فضربته فإذا هو رأس عمار. ثم قُتل عمار، قال الراوي: واستسقى أبو الغادية، فأتي بماء في زجاج، فأبى أن يشرب فيها، فأتي بماء في قدح فشرب، فقال رجل: .. يتورع عن الشرب في الزجاج ولم يتورع عن قتل عمار[٧]، ويخبر عمرو بن العاص رضي الله عنه الخبر فيقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**قاتل عمار وسالبه في النار**»[٨].

(١، ٢) «التذكرة» (٢/ ٢٢٣).
(٣) «البداية والنهاية» (٦/ ٢٢١).
(٤) «منهاج السنة»(٤/ ٤٠٦).
(٥) «مسلم» رقم (٢٩١٦).
(٦) «الصواعق المرسلة» (١/ ١٨٤، ١٨٥).
(٧) «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٦٠، ٢٦١) بسند صحيح.
(٨) «السلسلة الصحيحة» (٥/ ١٨، ١٩).

قال ابن كثير ومعلوم أن عمارًا كان في جيش علي يوم صفين، وقتله أصحاب معاوية من أهل الشام، وكان الذي تولى قتله يقال له: أبو الغادية، رجل من أفناد الناس، وقيل: إنه صحابي[١]، وقال ابن حجر: والظن بالصحابة في تلك الحروب أنهم كانوا متأولين للمجتهد المخطئ أجر، وإذا ثبت هذا في حق آحاد الناس فثبوته للصحابة بالطريق الأولى[٢].

وقال الذهبي: وابن ملجم عند الروافض أشقى الخلق في الآخرة، وهو عندنا أهل السنة ممن نرجو له النار، ونجوّز أن الله يتجاوز عنه، لا كما يقول الخوارج والروافض، وحكمه حكم قاتل عثمان، وقاتل الزبير، وقاتل طلحة، وقاتل سعيد بن جبير، وقاتل عمار، وقاتل خارجة، وقاتل الحسين، فكل هؤلاء نبرأ منهم ونبغضهم في الله، ونكل أمورهم إلى الله عز وجل[٣].

وقد وفق الألباني في تعليقه على قول ابن حجر: هذا حق، ولكن تطبيقه على كل فرد من أفرادهم مشكل؛ لأنه يلزم تناقض القاعدة المذكورة بمثل حديث الترجمة أي «**قاتل عمار وسالبه في النار**»[٤]؛ إذ لا يمكن القول بأن أبا الغادية القاتل لعمار مأجور؛ لأنه قتله مجتهدًا، ورسول الله ﷺ يقول: «**قاتل عمار في النار**»[٥]، فالصواب أن يقال: إن القاعدة صحيحة، إلا ما دل الدليل القاطع على خلافها، فيستثنى ذلك منها كما هو الشأن هنا، وهذا خير من ضرب الحديث الصحيح[٦] بها.

وقد ترجم لأبي الغادية الجهني، ابن عبد البر فقال: اختلف في اسمه، فقيل: يسار بن سُبُع، وقيل: يسار بن أزهر، وقيل: اسمه مسلم، سكن الشام ونزل في واسط، ويعدُّ في الشاميين، أدرك النبي ﷺ وهو غلام، رُوي عنه أنّه قال: أدركت النبي ﷺ وأنا أيفع، أرد على أهلي الغنم، وله سماع من النبي ﷺ

---

(١) «البداية والنهاية» (٦/ ٢٢٠).
(٢) «الإصابة» (٧/ ٢٦٠).
(٣) «تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين» ص (٦٥٤).
(٤، ٥) «السلسلة الصحيحة» (٥/ ١٨، ١٩).
(٦) «السلسلة الصحيحة» (٥/ ١٩).

قوله ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض**»[١]، وكان محبًّا لعثمان، وهو قاتل عمار بن ياسر، وكان يصف قتله إذا سئل عنه لا يباليه، وفي قصته عجبٌ عند أهل العلم[٢].

٩- المعاملة الكريمة أثناء الحرب والمواجهة:

إن وقعة صفين كانت من أعجب الوقائع بين المسلمين.. كانت هذه الوقعة من الغرابة إلى حد أن القارئ لا يصدق ما يقرأ، ويقف مشدوهًا أمام طبيعة النفوس عند الطرفين، فكل منهُما كان يقف وسط المعركة شاهرًا سيفه وهو يؤمن بقضيته إيمانًا كاملاً، فليست معركة مدفوعة من قبل القيادة، يدفعون الجنود إلى معركة غير مقتنعين بها، بل كانت معركة فريدة في بواعثها، وفي طريقة آدائها، وفيما خلفتها من آثار، فبواعثها في نفوس المشاركين يعبر عنها بعض المواقف التي وصلت إلينا في المصادر التاريخية، فهم إخوة يذهبون معًا إلى مكان الماء فيستقون جميعًا ويزدحمون وهم يغرفون الماء وما يؤذي إنسان إنسانًا[٣]، وهم إخوة يعيشون معًا عندما يتوقف القتال، فهذا أحد المشاركين يقول: كنا إذا تواعدنا من القتال دخل هؤلاء في عسكر هؤلاء وهؤلاء في معسكر هؤلاء.. وتحدثوا إلينا وتحدثنا إليهم[٤]، وهم أبناء قبيلة واحدة ولكل منهما اجتهاده، فيقاتل أبناء القبيلة الواحدة كل في طرف[٥]، قتالاً مريرًا، وكل منهما يرى نفسه على الحق وعنده الاستعداد لأن يُقْتَل من أجله، فكان الرجلان يقتتلان حتى يُثْخنا (وهنًا وضعفًا) ثم يجلسان يستريحان، ويدور بينهما الكلام الكثير، ثم يقومان فيقتتلان كما كانا[٦]، وهما أبناء دين واحد يجمعهما، وهو أحب إليهما من أنفسهما، فإذا حان وقت الصلاة توقفوا لأدائها[٧] ويوم قتل عمار بن ياسر

---

(١) «مسند أحمد» (٤/ ٧٦) وسنده حسن.

(٢) «الاستيعاب في معركة الأصحاب» رقم (٣٠٨٩).

(٣) «تاريخ الطبري» (٥/ ٦١٠).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٤١)، و«مرويات أبي مخنف» ص (٢٩٦).

(٥) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٧٠)، و«دراسات في عهد النبوة» ص (٤٢٣).

(٦) «تاريخ الطبري»، نقلاً عن: «دراسات في عهد النبوة» ص (٤٢٤).

(٧) «تاريخ دمشق» (١٨/ ٢٣٣٩)، و«دراسات في عهد النبوة» ص (٤٢٤).

صلى عليه الطرفان[١]، ويذكر شاهد عيان اشترك في صفين: تنازلنا بصفين، فاقتتلنا أيامًا، فكثر القتلى بيننا حتى عقرت الخيل، فبعث علي إلى عمرو ابن العاص أن القتلى قد كثروا؛ فأمسك حتى يدفن الجميع قتلاهم فأجابهم، فاختلط بعض القوم ببعض حتى كانوا هكذا وشبك بين أصابعه، وكان الرجل من أصحاب علي يشد فيقتل في عسكر معاوية، فيستخرج منه، وقد مر أصحاب علي بقتيل لهم أمام عمرو، فلما رآه بكى وقال: لقد كان مجتهدًا أخشن في أمر الله[٢]، وكانوا يسارعون إلى التناهي عن المنكر حتى في مثل هذه المواقع، فكانت هناك مجموعة عرفوا بالقراء، وكانوا من تلامذة عبد الله بن مسعود من أهل الشام معًا، فلم ينضموا إلى أمير المؤمنين علي، ولا إلى معاوية بن أبي سفيان وقالوا لأمير المؤمنين: إنا نخرج معكم ولا ننزل عسكركم، ونعسكر على حدة؛ حتى ننظر في أمركم وأمر أهل الشام، فمن رأيناه أراد مالاً يحل له، أو بدا منه بغي كنا عليه فقال علي! مرحبًا وأهلاً، هذا هو الفقه في الدين، والعلم بالسنة، من لم يرض بهذا فهو جائر خائن[٣].

والحقيقة أن هذه المواقف منبعثة من قناعات واجتهادات استوثقوا منها في قرارة أنفسهم وقاتلوا عليها[٤].

١٠- معاملة الأسرى:

إن المعاملة الحسنة للأسير وإكرامه في صفين من الأمور البديهية بعد ما استعرضنا المعاملة الكريمة أثناء القتال، وقد بين الإسلام معاملة الأسرى، فقد حث رسول الله ﷺ على إكرام الأسير، وإطعامه أفضل الأطعمة الموجودة، هذا مع غير المسلمين فكيف إذا كان الأسير مسلمًا، لا شك أن إكرامه والإحسان إليه أولى، ولكن الأسير في هذه المعركة يعتبر فئة وقوة لفرقته[٥]، ولذلك كان

(١، ٢) «أنساب الأشراف» (٦/ ٥٦) بسند حسن إلى عتبة، و«خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٢٤١).

(٣) «صفين» ص (١١٥) ، و«دراسات في عهد النبوة» ص (٤٢٤) .

(٤) «دراسات في عهد النبوة» ص (٤٢٤).

(٥) كتاب قتال أهل البغي من «الحاوي الكبير» ص (١٣٣ ، ١٣٤) .

علي رضي الله عنه يأمر بحبسه، فإن بايع أخلى سبيله، وإن أبى أخذ سلاحه ودابته أو يهبهما لمن أسره ويحلفه ألاَّ يقاتل، وفي رواية يعطيه أربعة دراهم(١)، وغرض الخليفة الراشد من ذلك واضح، وهو إضعاف جانب البغاة، وقد أتي بأسير يوم صفين فقال الأسير: لا تقتلني صبرًا، فقال علي رضي الله عنه: لا أقتلك صبرًا إني أخاف الله رب العالمين، فخلى سبيله، ثم قال: أفيك خير تبايع(٢).

ويبدو من هذه الروايات أن معاملته للأسرى كما يلي:

* إكرام الأسير والإحسان إليه.

* يعرض عليه البيعة والدخول في الطاعة، فإن بايع أخلى سبيله.

* إن أبى البيعة أخذ سلاحه ويحلفه ألاَّ يعود للقتال ويطلقه.

* إن أبى إلا القتال تحفظ عليه في الأسر ولا يقتله صبرًا(٣). وقد أتي رضي الله عنه مرة بخمسة عشر أسيرًا -ويبدو أنهم جرحى- فكان من مات منهم غسله وكفنه وصلى عليه(٤). ويقول محب الدين الخطيب معلقًا على هذه الحرب: ومع ذلك، فإن هذه الحرب المثالية هي الحرب الإنسانية الأولى في التاريخ الذي جرى فيها المتحاربان معًا على مبادئ الفضائل التي يتمنى حكماء العرب لو يعمل بها في حروبهم ولو في القرن الحادي والعشرين، وإن كثيرًا من قواعد الحرب في الإسلام لم تكن لتعلم وتدون لولا وقوع هذه الحرب، ولله في كل أمر حكمة(٥)، قال ابن العديم: قلت: وهذا كله حكم أهل البغي، ولهذا قال أبو حنيفة: لولا ما سار علي فيهم، ما علم أحد كيف السيرة في المسلمين(٦).

١١- عدد القتلى:

تضاربت أقوال العلماء في عدد القتلى فذكر ابن أبي خيثمة أن القتلى في صفين

(١) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٢٤٣).
(٢) «الأم» للشافعي (٤/ ٢٢٤) (٨/ ٢٥٦).
(٣) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٢٤٣).
(٤) «تاريخ دمشق»، تحقيق المنجد (١/ ٣٣١)، و«خلافة علي بن أبي طالب» (٢٤٣).
(٥) «العواصم من القواصم» ص (١٦٨، ١٦٩) من تعليق الخطيب في الحاشية.
(٦) «بغية الطالب في تاريخ حلب» ص(٣٠٩)، و«خلافة علي» ص (٢٤٥).

بلغ عددهم سبعين ألفًا، من أهل العراق خمسة وعشرين ألفًا، ومن أهل الشام خمسة وأربعين ألف مقاتل[١]، كما ذكر ابن القيم أن عدد القتلى في صفين بلغ سبعين ألفًا أو أكثر[٢]، ولا شك أن هذه الأرقام غير دقيقة، بل أرقام خيالية، فالقتال الحقيقي والصدام الجماعي استمر ثلاثة أيام مع وقف القتال بالليل إلا مساء الجمعة؛ فيكون مجموع القتال حوالي ثلاثين ساعة[٣]، ومهما كان القتال عنيفًا، فلن يفوق شدة القادسية التي كان عدد الشهداء فيها ثمانية آلاف وخمسمائة[٤]، وبالتالي يصعب عقلاً أن نقبل تلك الروايات التي ذكرت الأرقام الكبيرة.

١٢- تفقد أمير المؤمنين علي القتلى وترحمه عليهم:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بعد نهاية الجولات الحربية يقوم بتفقد القتلى، فيقول شاهد عيان: رأيت عليًّا على بغلة النبي صلى الله عليه وسلم الشهباء، يطوف بين القتلى، [٥] وأثناء تفقده القتلى ومعه الأشتر، مر برجل مقتول - وهو أحد القضاة والعباد المشهورين بالشام- فقال الأشتر- وفي رواية أخرى عدي بن حاتم -: يا أمير المؤمنين أحابس[٦] معهم؟ عهدي والله به مؤمن فقال علي، فهو اليوم مؤمن. ولعل هذا الرجل المقتول هو القاضي الذي أتى عمر بن الخطاب وقال: يا أمير المؤمنين، رأيت رؤيا أفزعتني، قال: ما هي؟ قال: رأيت الشمس والقمر يقتتلان والنجوم معهما نصفين، قال: فمع أيهما كنت؟ قال: مع القمر على الشمس، فقال عمر: قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً**..﴾ [الإسراء: ١٢]، فانطلق، فوالله لا تعمل لي عملاً أبدًا، قال الراوي: فبلغني أنه قتل مع معاوية بصفين[٧]، وقد وقف علي على قتلاه وقتلى معاوية فقال: غفر الله لكم، غفر الله لكم، للفريقين جميعًا، [٨] وعن

---

(١) «الأنباء» للقضاعي ص(٥٩) نقلاً عن: «خلافة علي» ص(٢٤٦).

(٢) «الصواعق المرسلة» (١/ ٣٧٧) بدون سند، تحقيق محمد دخيل الله .

(٣) «الدولة الأموية» ص(٣٦٠ - ٣٦٢).

(٤) «تاريخ الطبري» (٤/ ٣٨٨).

(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» .

(٦) حابس بن سعد الطائي مخضرم، قتل بصفين .

(٧) «مصنف ابن أبي شيبة» (١١/ ٧٤) بسند منقطع .

(٨) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٢٥٠)، و«تنزيه خال المؤمنين» .

يزيد بن الأصم قال: لما وقع الصلح بين علي ومعاوية، خرج علي فمشى في قتلاه فقال: هؤلاء في الجنة ثم خرج إلى قتلى معاوية فقال: هؤلاء في الجنة، ويصير الأمر إلي وإلى معاوية[١]، وكان يقول عنهم: هم المؤمنون[٢]، وقوله رضي الله عنه في صفين لا يكاد يختلف عن قوله في أهل الجمل[٣].

١٣- موقف لمعاوية مع ملك الروم:

استغل ملك الروم الخلاف الذي وقع بين أمير المؤمنين علي ومعاوية رضي الله عنهما وطمع في ضم بعض الأراضي التي تحت هيمنة معاوية إليه، قال ابن كثير: .. وطمع في معاوية ملك الروم بعد أن كان أخشاه وأذله، وقهر جندهم ودحاهم، فلمّا رأى ملك الروم اشتغال معاوية لحرب علي تدانى إلى بعض البلاد في جنود عظيمة وطمع فيه، فكتب معاوية إليه والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين؛ لأصطلحن أنا وابن عمي عليك، ولأخرجنك من جميع بلادك، ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت، فعند ذلك خاف ملك الروم وانكف، وبعث يطلب الهدنة[٤]، وهذا يدل على عظمة نفس معاوية وحميته للدين.

١٤- قصة باطلة في حق عمرو بن العاص بصفين:

قال نصر بن مزاحم الكوفي: وحمل أهل العراق وتلقّاهم أهل الشام فاجتلدوا وحمل عمرو بن العاص... فاعترضه علي وهو يقول:

قَدْ عَلِمَتْ ذَاتُ القُرُونِ المَيل

والخُضْر والأَنَامِلَ الطُّفُول[٥]

إلى أن يقول: ثم طعنه فصرعه واتقاه عمرو برجله، فبدت عورته، فصرف علي وجهه عنه وارتُثَّ. فقال القوم: أفلت الرجل يا أمير المؤمنين، قال: وهل

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/٣٠٣) بسند حسن.

(٢) «تاريخ دمشق» (١/٣٣١، ٣٢٩)، و«خلافة علي» ص (٢٥١).

(٣) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٢٥١)، و«تنزيه خال المؤمنين» ص(١٦٩).

(٤) «البداية والنهاية» (٨/١٢٢).

(٥) الطُّفُول: جمع طفل، بالفتح، وهو الرخص الناعم.

تدرون من هو؟ قالوا: لا، قال: فإنه عمرو بن العاص تلقاني بعورته فصرفت وجهي[(١)]، وذكر القصة - أيضًا - ابن الكلبي، كما ذكر ذلك السهيلي في الروض الأنف: وقول علي: إنه اتقاني بعورته فذكرني الرَّحِم إلى أن قال: . . ويروى مثل ذلك عن عمرو بن العاص مع علي ﷺ يوم صفين، وفي ذلك يقول الحارث بن النضر السهمي رواه ابن الكلبي وغيره:

أَفِي كُلِّ يومٍ فارسٌ غيرُ مُنتَهٍ
وعورتُهُ وَسْطَ العَجَاجَةِ بَادِية
يَكُفُّ لَهَا عنه عليٌّ سِنَانَهُ
ويضْحَكُ منه في الخَلاَءِ مُعَاوِية [(٢)]

والرد على هذا الافتراء والإفك المبين كالآتي، فراوي الرواية الأولى: نصر بن مزاحم الكوفي صاحب وقعة صفين شيعي جلد لا يستغرب عنه كذبه وافتراؤه على الصحابة، قال عنه الذهبي في الميزان: نصر بن مزاحم الكوفي رافضي جَلد، تركوه، قال عنه العقيلي: شيعي في حديثه اضطراب وخطأ كثير، وقال أبو خيثمة: كان كذابًا[(٣)]، وقال عنه ابن حجر: قال العجلي: كان غاليًا . . . ليس بثقة ولا مأمون[(٤)]، وأما الكلبي هشام ابن محمد بن السائب الكلبي؛ اتفقوا على غلوه في التشيع قال الإمام أحمد: من يحدث عنه؟ ما ظننت أن أحدًا يحدث عنه وقال الدارقطني: متروك[(٥)].

وعن طريق هذين الرافضيين سارت هذه القصة في الآفاق، وتلقفها من جاء بعدهم من مؤرخي الشيعة، وبعض أهل السنة ممن راجت عليهم أكاذيب

---

(١) «وقعة صفين» ص (٤٠٦ - ٤٠٨)، و«قصص لا تثبت»، لسليمان الخراشي (٦/ ١٩).

(٢) «الروض الأنف» (٥/ ٤٦٢)، و«قصص لا تثبت» (٦/ ١٩).

(٣) «ميزان الاعتدال»(٤/ ٢٥٣، ٢٥٤).

(٤) «لسان الميزان» (٦/ ١٥٧).

(٥) «المجروحين» لابن حبان (٣/ ٩١)، و«تذكرة الحفاظ» (١/ ٣٤٣)، و«معجم الأدباء» (١٩/ ٢٨٧)، و«قصص لا تثبت» ص (١/ ١٨).

الرافضة[١] وتعد هذه القصة أنموذجًا لأكاذيب الشيعة الروافض وافتراءاتهم على صحابة رسول الله ﷺ، فقد اختلق أعداء الصحابة من مؤرخي الرافضة مثالب لأصحاب رسول الله ﷺ وصاغوها على هيئة حكايات وأشعار؛ لكي يسهل انتشارها بين المسلمين، هادفين إلى الغض من جناب الصحابة الأبرار رضي الله عنهم في غفلة من أهل السنة الذين وصلوا متأخرين إلى ساحة التحقيق في روايات التاريخ الإسلامي، بعد أن طارت تلكم الأشعار والحكايات بين القصّاص وأصبح كثير منها من المسلمات، حتى عند مؤرخي أهل السنة للأسف[٢].

١٥- مرور أمير المؤمنين علي بالمقابر بعد رجوعه من صفين:

لما انصرف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من صفين مرّ بمقابر، فقال: السلام عليكم أهل الديار الموحشة، والمحال المقفرة من المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، أنتم لنا سلف فارط، ونحن لكم تبعٌ، وبكم عمّا قليل لاحقون، اللهم اغفر لنا ولهم، وتجاوز بعفوك عنا وعنهم، الحمد لله الذي جعل الأرض كفاتًا أحياءً وأمواتًا، الحمد الله الذي خلقكم وعليها يحشركم، ومنها يبعثكم، وطوبى لمن ذكر المعاد وأعدّ للحساب، وقنع بالكفاء[٣].

١٦- إصرار قتلة عثمان رضي الله عنه على أن تستمر المعركة:

إن قتلة عثمان كانوا حريصين على أن تستمر المعركة بين الطرفين، حتى يتفانى الناس، وتضعف قوة الطرفين، فيكونوا بمنأى عن القصاص والعقاب، ولذلك فإنهم فزعوا وهم يرون أهل الشام يرفعون المصاحف، وعلي رضي الله عنه يجيبهم إلى طلبهم فيأمر بوقف القتال وحقن الدماء فسعوا إلى ثني أمير المؤمنين عن عزمه لكن القتال توقف، فسقط في أيديهم، فلم يجدوا بدًّا من الخروج على علي رضي الله عنه فاخترعوا مقولة: (الحكم لله) وتحصنوا بعيدًا عن الطرفين، والغريب أن المؤرخين لم يركزوا على ما فعله هؤلاء في هذه المرحلة، كما فعلوا في معركة

---

(١) «قصص لا تثبت» (١/ ٢٠). (٢) المصدر نفسه (١/ ١٠).

(٣) «البيان والتبيان» للجاحظ (٣/ ١٤٨)، و«فرائد الكلام للخلفاء الكرام» ص (٣٢٧).

الجمل، رغم أنهم كانوا موجودين في جيش علي، وعن سر إخفاق تلك المفاوضات التي دامت أشهر عديدة، وعن الدور الذي يمكن أن يكون قتلة عثمان قد قاموا به في معركة صفين لإفشال كل محاولة صلح بين الطرفين؛ لأن اصطلاح علي مع معاوية هو أيضا اصطلاح على دمائهم، فلا يعقل أن يجتهدوا في الفتنة في وقعة الجمل، ويتركوا ذلك في صفين(١).

١٧- نهي أمير المؤمنين علي عن شتم معاوية ولعن أهل الشام:

روي أن عليًا ﷺ لمّا بلغه أن اثنين من أصحابه يظهران شتم معاوية ولعن أهل الشام أرسل إليهما أن كفّا عمّا يبلغني عنكما، فأتيا فقالا: يا أمير المؤمنين ألسنا على الحق وهم على الباطل؟: قال: بلى وربّ الكعبة المسدنة، قالا: فلما تمنعنا من شتمهم ولعنهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا لعّانين، ولكن قولوا: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، وأبعدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغيّ من لجج به(٢).

وأما ما قيل من أن عليًا كان يلعن في قنوته معاوية وأصحابه، وأن معاوية إذا قنت لعن عليًا وابن عباس والحسن والحسين، فهو غير صحيح؛ لأنّ الصحابة ﷺ كانوا أكثر حرصًا من غيرهم على التقيد بأوامر الشارع الذي نهى عن سباب المسلم ولعنه(٣)، فقد روي عن رسول الله ﷺ قوله: **«من لعن مؤمنًا فهو كقتله»**(٤)، وقوله ﷺ: **«ليس المؤمن بطعان ولا بلّعان»**(٥)، وقوله ﷺ: **«لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة»**(٦).

كما أن الرواية التي جاء فيها لعن أمير المؤمنين في قنوته لمعاوية وأصحابه،

---

(١) «أحداث وأحاديث فتنة الهرج» ص (١٤٧).
(٢) «الأخبار الطوال» ص (١٦٥) نقلاً عن: «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة» (٢/ ٢٣٢).
(٣) «تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ٢٣٢).
(٤) «البخاري»، كتاب الأدب (٧/ ٨٤).
(٥) «السلسلة الصحيحة» للألباني رقم (٣٢٠)، و«صحيح سنن الترمذي» (٢/ ١٨٩) رقم (١١١٠).
(٦) «مسلم» (٤/ ٢٠٠٦) رقم (٢٥٩٨).

ولعن معاوية لأمير المؤمنين وابن عباس والحسن والحسين لا تثبت من ناحية السند؛ حيث فيها أبي مخنف لوط بن يحيى الرافضي المحترق الذي لا يوثق في رواياته، كما أن في أصح كتب الشيعة عندهم جاء النهي عن سبِّ الصحابة، فقد أنكر علي من يسب معاوية ومن معه فقال: إني أكره لكم أن تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم[1]، فهذا السب والتكفير لم يكن من هدي علي باعتراف أصح كتاب في نظر الشيعة[2].



(١) «نهج البلاغة» ص (٣٢٣).
(٢) «أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٩٣٤).

المبحث الثالث

التحكيم

تم الاتفاق بين الفريقين على التحكيم بعد انتهاء موقعة صفين؛ وهو أن يحكم كل واحد منهما رجلاً من جهته، ثم يتفق الحكمان على ما فيه مصلحة المسلمين، فوكّل معاوية عمرو بن العاص، ووكل عليٌّ أبا موسى الأشعري رضي الله عنهم جميعًا، وكتب بين الفريقين وثيقة في ذلك، وكان مقر اجتماع الحكمين في دومة الجندل في شهر رمضان سنة ٣٧هـ، وقد رأى قسم من جيش علي رضي الله عنه أن عمله هذا ذنب يوجب الكفر؛ فعليه أن يتوب إلى الله تعالى وخرجوا عليه فسموا الخوارج، فأرسل علي رضي الله عنه إليهم ابن عباس رضي الله عنهما فناظرهم وجادلهم ثم ناظرهم علي رضي الله عنه بنفسه؛ فرجعت طائفة منهم وأبت طائفة أخرى، فجرت بينهم وبين علي رضي الله عنه حروب أضعفت من جيشه وأنهكت أصحابه، ومازالوا به حتى قتلوه غيلة ، وسيأتي تفصيل ذلك في محله بإذن الله تعالى.

تعتبر قضية التحكيم من أخطر الموضوعات في تاريخ الخلافة الراشدة وقد تاه فيها كثير من الكُتاب، وتخبط فيها آخرون وسطروها في كتبهم ومؤلفاتهم، وقد اعتمدوا على الروايات الضعيفة والموضوعة التي شوهت الصحابة الكرام وخصوصًا أبا موسى الأشعري الذي وصفوه بأنه كان أبله، ضعيف الرأي، مخدوع في القول، وبأنه كان على جانب كبير من الغفلة؛ ولذلك خدعه عمرو بن العاص في قضيَّة التحكيم، ووصفوا عمرو بن العاص رضي الله عنه بأنه كان صاحب مكر وخداع، فكل هذه الصفات الذميمة حاول المغرضون والحاقدون على الإسلام إلصاقها بهذين الرجلين العظيمين اللذين اختارهما المسلمون ليفصلا في خلاف كبير أدّى إلى قتل الكثير من المسلمين، وقد تعامل الكثير من المؤرخين والأدباء والباحثين مع الروايات التي وضعها خصوم الصحابة الكرام على أنها حقائق تاريخية، وقد تلقاها الناس منهم بالقبول دون تمحيص لها وكأنها صحيحة لا مرية فيها؛ وقد يكون لصياغتها القصصية المثيرة وما زعم فيها من خداع ومكر

أثر في اهتمام الناس بها وعناية المؤرخين بتدوينها، وليعلم أن كلامنا هذا ينصب على التفصيلات لا على أصل التحكيم حيث إن أصله حق لا شك فيه[١].

وقد رأيت أن يكون المدخل في هذا المبحث التعريف بسيرة الصحابيين أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما.

أولاً: سيرة أبي موسى الأشعري:

هو عبد الله بن قيس بن حضّار بن حرب، الإمام الكبير، صاحب رسول الله ﷺ، أبو موسى الأشعري التميمي الفقيه المُقرئ[٢] وقد أسلم أبو موسى بمكة قديمًا، قال ابن سعد: قدم مكة فحالف سعيد بن العاص، وأسلم قديمًا وهاجر إلى أرض الحبشة[٣]، وتذكر بعض الروايات بأنه رجع إلى قومه للدعوة إلى الله، وقد جمع ابن حجر بين الروايات في إسلامه فقال: وقد استشكل ذكر أبي موسى فيهم؛ لأن المذكور في الصحيح أن أبا موسى خرج من بلاده هو وجماعة قاصدًا النبي ﷺ بالمدينة، فألقتهم السفينة في أرض الحبشة، فحضروا مع جعفر إلى النبي ﷺ بخيبر. ويمكن الجمع بأن يكون أبو موسى هاجر أولاً إلى مكة فأسلم، فبعثه النبي ﷺ مع من بعث إلى الحبشة، فتوجه إلى بلاد قومه، وهم مقابل الحبشة من الجانب الشرقي، فلما تحقق استقرار النبي ﷺ وأصحابه بالمدينة هاجر هو ومن أسلم من قومه إلى المدينة فألقتهم السفينة لأجل هيجان الريح إلى الحبشة، فهذا محتمل وفيه جمع بين الأخبار فليعتمد[٤].

١ - أوسمة الشرف التي وضعها رسول الله ﷺ على صدر أبي موسى:

أ - لكم الهجرة مرتين: هاجرتم إلى النجاشي، وهاجرتم إليَّ، وعن أبي موسى، قال: خرجنا من اليمن في بضع وخمسين من قومي ونحن ثلاثة إخوة: أنا، وأبو رُهْم، وأبو عامر. فأخرجتنا سفينتنا إلى النَّجاشي، عند جعفر وأصحابه، فأقبلنا حين افتتحت خيبر، فقال رسول الله ﷺ: **«لكم الهجرة**

---

(١) «مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري» ص (٣٧٨)، و«تنزيه خال أمير المؤمنين معاوية» ص (٣٨).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣٨١). (٣) «الطبقات» (٤/ ١٠٧). (٤) «فتح الباري» (٧/ ١٨٩).

مرتين: **هاجرتم إلى النَّجاشي وهاجرتم إليَّ**»[(١)]، وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقدم عليكم غداً قوم هم أرق قلوبًا للإسلام منكم**».

فقدم الأشعريون، فلما دنوا جعلوا يرتجزون: غدًا نلقى الأحبة محمدًا وحزبه.

فلما قدموا تصافحوا، فكانوا أوّل من أحدث المصافحة[(٢)].

ب - هم قومك يا أبا موسى:

عن عياض الأشعري رضي الله عنه، قال: لما نزلت: ﴿**فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾ [المائدة: ٥٤]. قال رسول الله ﷺ: «**هم قومك يا أبا موسى، وأومأ إليه**»[(٣)].

ج - اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريمًا:

عن أبي موسى قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من حنين، بعث أبا عامر الأشعري على جيش أوْطاس، فلقي دُرْيد بن الصُّمة فقُتل دريد، وهزم الله أصاحبه، فرمى رجل أبا عامر في ركبته بسهم فأثبته[(٤)]. فقلت: يا عمّ، مَنْ رماك؟ فأشار إليه. فقصدت له، فلحقته، فلما رآني، ولّى ذاهبًا، فجعلت أقول له: ألا تستحيي؟ ألست عربيًّا؟ ألا تثبت؟ قال: فكفَّ، فالتقيت أنا وهو، فاختلفنا ضربتين، فقتلته. ثم رجعت إلى أبي عامر، فقلت: قد قتل الله صاحبك. قال: فانزع هذا السهم، فنزعته فنزا منه الماء. فقال: يابن أخي، انطلق إلى رسول الله ﷺ فأقرئه مني السلام، وقل له: يستغفر لي، واستخلفني أبو عامر على الناس، فمكث يسيرًا، ثم مات. فلما قدمنا، وأخبرتُ النبي ﷺ، توضَّأ، ثم رفع يديه، ثم قال: «**اللهم اغفر لعُبيد، أبي عامر**»، حتى رأيت بياض إبطيه. ثم قال: «**اللهم اجعله يوم القيامة فوقَ كثير من خلقك**»

---

(١) «مسلم» رقم (٢٥٠٢).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣٨٤) إسناده صحيح.
(٣) «المستدرك» (٢/ ٣١٣) صححه الحاكم ووافقه الذهبي، و«سير أعلام النبلاء» (٢٣٨٤).
(٤) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣٨٥).

فقلت: ولي يا رسول الله؟ فقال: «**اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريمًا**»[١].

د – إن هذا قد ردَّ البُشرى فاقبلا أنتما:

عن أبي موسى ﷺ، قال: كنت عند رسول الله ﷺ بالجعرانة[٢] فأتى أعرابيٌّ فقال: ألا تُنجزُ لي يا محمد ما وعدتني؟! قال ﷺ: «**أبشر**» فقال له الأعرابي: قد أكثرت من «أبشر». فأقبل رسول الله ﷺ عليَّ وعلى بلال. فقال: «**إنّ هذا قد ردَّ البُشْرى فاقبلا أنتما**». فقالا: قبلنا يا رسول الله. فدعا بقدح، فغسل يديه ووجهه فيه، ومجّ فيه، ثم قال: «**اشربَا منه، وأَفْرِغَا على وجوهكما ونُحُوركما**» ففعلا؛ فنادتهما أم سلمة ﷺ من وراء الستر: أفْضِلا لأُمّكُما مما في إنائكما، فأفضَلا لها منه طائفةً[٣].

هـ – لقد أعطي مزمارًا من مزامير آل داود:

عن ابن بريدة عن أبيه قال: خرجت ليلة من المسجد، فإذا النبي ﷺ عند باب المسجد قائم، وإذا رجل يصلي، فقال لي: «**يا بريدة، أتراه يُرائي؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**بل هو مؤمن منيب، لقد أعطي مزماراً من مزامير آل داود**». فأتيته فإذا هو أبو موسى الأشعري؛ فأخبرته[٤].

و – يا عبد الله بن قيس ألا أدُلُّك على كلمة من كنوز الجنة:

عن أبي موسى الأشعري قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، وكان القوم يصعدون ثنية أو عقبة، فإذا صعد الرجل قال: لا إله إلا الله، والله أكبر – أحسبه قال بأعلى صوته– ورسول الله ﷺ على بغلته يعترضها في الجبل، فقال: «**أيها الناس، إنكم لا تُنادون أصمَّ ولا غائبًا**». ثم قال: «**يا عبد الله بن قيس – أو يا أبا موسى – ألا أدُلكُ على كلمة من كُنُوز الجنة؟**» قلت: بلى يا رسول الله. قال: «**قل: لا حول ولا قوة إلا بالله**»[٥].

---

(١) «مسلم» رقم (٢٤٩٨).
(٢) «الجعرانة»: بين مكة والطائف وهي أقرب إلى مكة
(٣) «مسلم» رقم (٢٤٩٧).
(٤) «مسلم» رقم (٧٩٣)، و«مجمع الزوائد» (٩/٣٥٨).
(٥) «مسلم» رقم (٢٧٠٤).

ز – يَسِّرا ولا تعسرا وتطاوعا ولا تُنفرا:

استعمل رسول الله ﷺ أبا موسى على زبيد وعدن[١]، وأرسله مع معاذ إلى اليمن، فعن أبي موسى أن النبي ﷺ لما بعثه ومعاذًا إلى اليمن، قال لهما: «يَسِّرَا ولا تعسراَ وتطاوعَا ولا تُنفـراَ»، فقال له أبو موسى: إنا لنا بأرضنا شرابا، يُصنعُ مع العسل يقال له: البِتْع، ومن الشعير يقال له: المِزْرُ، قال: «كلُّ مسكر حرام»، فقال لي معاذ: كيف تقرأ القرآن؟ قلت: أقرؤه في صلاتي، وعلى راحلتي، وقائمًا، وقاعدًا، أتفوَّقُه تفوُّقًا -يعني شيئًا بعد شيء- قال: فقال معاذ: لكني أنام ثم أقوم، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي، قال: وكأن معاذًا فُضِّل عليه[٢].

٢ – مكانة أبي موسى عند عمر بن الخطاب رضي الله عنهما:

كان أبو موسى من ضمن أعمدة الدولة في عهد عمر وكان قائدًا للجيوش في فتح قم، وقاشان[٣]، وموقعه تستر[٤]، كما كان من مؤسسي المدرسة البصرية في عهد الفاروق وكان يعد من أعلم الصحابة، وقد قدم البصرة، وعلّم بها[٥]، وقد تأثر بعمر بن الخطاب ﵄ وكان بينهما مراسلات، سنأتي عليها عند حديثنا عن مؤسسة الولاة والقضاة، وكان أبو موسى ﵁ قد اشتهر بالعلم والعبادة والورع والحياء، وعزة النفس وعفتها، والزهد في الدنيا، والثبات على الإسلام، ويعد أبو موسى ﵁ من كبار علماء الصحابة وفقهائهم ومفتيهم، فقد ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ في الطبقة الأولى من الصحابة ﵃. كان عالمًا عاملاً صالحًا تاليًا لكتاب الله، إليه المنتهى في حسن الصوت بالقرآن، روى علمًا طيبًا مباركًا، أقرأ أهل البصرة وأفقههم، وقد كان ﵁ كثير الملازمة للنبي ﷺ، كما أنه تلقى من كبار الصحابة كعمر وعلي وأبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وتأثر أبو موسى على وجه الخصوص بعمر بن الخطاب كثيرًا، وكان عمر يتعهد

---

(١) «تاريخ خليفة بن خياط» ص (٩٧)، و«تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ٢٢٦)
(٢) «مسلم» رقم (١٧٣٣)، و«البخاري» (٤٣٤٤).
(٣) «البداية والنهاية» (٧/ ١١٤).
(٤) «البداية والنهاية» (٧/ ٨٨).
(٥) «تفسير التابعين» (١/ ٤٢٣).

بالوصايا والكتب في أثناء ولايته الطويلة على البصرة، كما أن أبا موسى كان يرجع إلى عمر في كل ما يعرض له من القضايا، حتى عده الشعبي واحدًا من أربعة قضاة، هم أشهر قضاة الأمة، فقال: قضاة الأمة: عمر، وعلي، وزيد بن ثابت، وأبو موسى(١).

وكان أبو موسى عندما يأتي المدينة يحرص على مجالس عمر رضي الله عنهما، وربما أمضى جزءًا كبيرًا معه، فعن أبي بكر أن أبا موسى رضي الله عنه أتى عمر بن الخطاب بعد العشاء فقال له عمر: ما جاء بك؟، قال: جئت أتحدث إليك، قال: هذه الساعة؟ قال: إنه فقه، فجلس عمر فتحدثا طويلاً، ثم إن أبا موسى قال: الصلاة يا أمير المؤمنين، قال: إنا في صلاة(٢)، وكما كان أبو موسى حريصًا على طلب العلم والتعلم، كان حريصًا على نشر العلم وتعليم الناس وتفقيههم، وكان يحض الناس على التعلم والتعليم في خطبه، فعن أبي المهلب قال: سمعت أبا موسى على منبره وهو يقول: من علمه الله علمًا فليعلمه، ولا يقولن ما ليس له به علم، فيكون من المتكلفين، ويمرق من الدين(٣)، وقد جعل أبو موسى رضي الله عنه مسجد البصرة مركز نشاطه العلمي، وخصص جزءًا كبيرًا من وقته لمجالسه العلمية، ولم يكتف بذلك بل كان لا يدع فرصة تمر دون أن يستفيد منها في تعليم الناس وتفقيههم فإذا ما سلّم من الصلاة، استقبل رضي الله عنه الناس، وأخذ يعلمهم ويضبط لهم قراءتهم للقرآن الكريم، قال ابن شوذب: كان أبو موسى إذا صلى الصبح استقبل الصفوف رجلاً رجلاً يقرئهم(٤)، واشتهر أبوموسى بين الصحابة بجمال صوته، وحسن قراءته، فكان الناس يجتمعون عليه حين يسمعونه يقرأ، وكان عمر رضي الله عنه إذا جلس عنده أبو موسى طلب منه أن يقرأ له ما يتيسر له من القرآن(٥)، وقد وفقه الله لتعليم المسلمين، وبذل رضي الله عنه كل ما

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣٨٩).

(٢) «أبو موسى الأشعري الصحابي العلم المجاهد» محمد طهماز ص (١٢١) .

(٣) «الطبقات» (٤/ ١٠٧). (٤) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٨٩).

(٥) «أبو موسى الأشعري الصحابي العالم» ص (١٢٥، ١٢٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣٩١).

يستطيع من جهد في تعليم القرآن ونشره بين الناس في كل البلاد التي نزل فيها، واستعان بصوته الجميل، وقراءته الندية؛ فاجتمع الناس عليه، وازدحم حوله طلاب العلم في مسجد البصرة، فقسمهم إلى مجموعات وحِلق، فكان يطوف عليهم يُسمعهم ويستمع منهم ويضبط لهم قراءتهم[١]،فالقرآن الكريم شغله الشاغل ﷺ، صرف له معظم أوقاته في حله وفي سفره، فعن أنس بن مالك قال: بعثني الأشعري إلى عمر ﷺ فقال عمر: كيف تركت الأشعري؟ فقلت له: تركته يعلم الناس القرآن، فقال: أما إنه كيِّس[٢]، ولا تُسمعها إياه[٣]، حتى عندما كان يخرج إلى الجهاد كان يعلم ويفقِّه، فعن حطَّاب ابن عبد الله الرّقاشي قال: كنا مع أبي موسى الأشعري ﷺ في جيش على ساحل دجلة، إذ حضرت الصلاة، فنادى مناديه للظهر، فقام الناس للوضوء، فتوضأ ثم صلىَّ بهم، ثم جلسوا حِلقًا، فلما حضرت العصر نادى منادي العصر، فهبَّ الناس للوضوء أيضًا فأمر مناديه: لا وضوء إلا على من أحدث.

وأثمرت جهوده العلمية ﷺ، وقرت عينه برؤية عدد كبير حوله من حفاظ القرآن الكريم وعلمائه، زاد عددهم في البصرة وحدها على ثلاثمائة، ولما طلب عمر بن الخطاب من عماله أن يرفعوا إليه أسماء حفاظ القرآن لكي يكرمهم، ويزيد عطاءهم كتب إليه أبوموسى أنه بلغ من قِبلي ممن حمل القرآن ثلاثمائة وبضعة رجال[٤]، واهتم أبو موسى ﷺ بتعليم السنة وروايتها، فروى عنه عدد من الصحابة وكبار التابعين. قال الذهبي - رحمه الله - حدّث عنه بريدة بن الحصيب، وأبو أمامة الباهلي، وأبو سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وطارق بن شهاب، وسعيد بن المسيب، والأسود بن يزيد، وأبو وائل شقيق بن سلمة، وأبو عثمان النَّهدي وخلق سواهم[٥]، وكان ﷺ شديد التمسك بسنة النبي ﷺ،

---

(١) «أبو موسى الأشعري الصحابي العالم» ص(١٢٧)، و«سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣٨٩).
(٢) «الطبقات» (٤/ ١٠٨) رجاله ثقات، كيس: عاقل فطن.
(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣٩٠).
(٤) «أبو موسى الأشعري» ص (١٢٩).
(٥) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣٨١).

دلَّ على ذلك مسيرته في الحياة وما أوصى به أولاده عند موته، ومع حرصه الشديد على السنة لم يكثر رضي الله عنه من رواية الأحاديث الشريفة كما هو حال كبار الصحابة رضي الله عنهم، فقد كانوا يتهيبون من الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكان من المقرّبين لأبي موسى في البصرة أنس بن مالك ويعتبر من خواصه، فعن ثابت عن أنس قال: كنا مع أبي موسى في مسير، والناس يتكلمون ويذكرون الدنيا، قال أبو موسى: يا أنس إن هؤلاء يكاد أحدهم يفري الأديم بلسانه فريًا، فتعال فلنذكر ربنا ساعة، ثم قال: ما ثبر الناس - ما بطأ بهم-؟ قلت: الدنيا والشيطان والشهوات، قال: لا، لكن عُجّلت الدنيا وغيِّبت الآخرة، أما والله لو عاينوها ما عَدَّلوا ولا بدّلوا[1]، ولثقة أبي موسى بأنس فقد كان يكلفه أن يكون رسوله إلى أمير المؤمنين عمر، قال أنس: بعثني أبو موسى الأشعري من البصرة إلى عمر فسألني عن أحوال الناس، وبعد تستر أرسله أبو موسى إلى عمر بالأسرى والغنائم؛ فقدم على عمر بصاحبها الهرمزان[2].

٣ - ولاية أبي موسى في عهد عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم:

يعتبر أبو موسى - بحق - أشهر ولاة البصرة أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد فتحت في أيامه المواقع العديدة في فارس، فكان يجاهد بنفسه، ويرسل القادة للجهات المختلفة من البصرة، ففي أيامه تمكن البصريون من فتح الأهواز وما حولها، وفتحوا العديد من المواضع المهمة، وكانت فترة ولايته حافلة بالجهاد، وقد تعاون أبو موسى مع الولاة المجاورين له في كثير من الحروب والفتوحات، وقد قام بجهود كبيرة لتنظيم المناطق المفتوحة وتعيين العمال عليها، وتأمينها وترتيب مختلف شؤونها، وقد جرت العديد من المراسلات بين أبي موسى وعمر ابن الخطاب رضي الله عنهما في مختلف القضايا منها توجيهه لأبي موسى في كيفية استقباله للناس في مجلس الإمارة، ومنها نصيحته لأبي موسى بالورع ومحاولة إسعاد الرعية، وهي قيّمة، قال فيها عمر: أما بعد فإن أسعد الناس من سعدت به

(١) «أنس بن مالك الخادم الأمين»، لعبد الحميد طهماز ص (١٣٥). (٢) «تاريخ الطبري» (٥/ ٦٦).

رعيتـه، وإن أشقى الناس من شقيت به رعـيته، وإياك أن ترتع فيـرتع عمالك، فيكون مثلك عند ذلك مثل البهيمـة نظرت إلى خضرة من الأرض فرتعت فيها؛ تبغي السمن وإنما حتفها في سمنها[(١)]، وهناك العديد من الرسائل بين عمر وأبي موسى رضي الله عنهما تدل على نـواح إدارية وتنفيذية مـختلفة، كـان يقوم بهـا أبو موسى بتوجيـه من عمر، وقد جمع معظم هذه المراسـلات محمد حميـد الله في كتابه القيم عن «الوثائق السيـاسية»[(٢)] وتعتبـر فترة ولاية أبي موسى على الـبصرة من أفضل الفتـرات حتى لقد عبـر عنها أحد أحفاد البـصريين فيمـا بعد وهو الحسن البصري - رحمه الله - فقال: ما قدمها راكب خير لأهلها من أبي موسى[(٣)]؛ إذ إن أبا موسى - رحمه الله- كـان بالإضافة إلى إمارته خير مـعلم لأهلها، حيث علَّمهم القرآن وأمـور الدين المختلفة[(٤)]، وفي عهد عمـر بن الخطاب كان العديد من المدن في فارس، والتي فـتحت في زمنه تخضع للبصـرة وتدار من قبل والي البصرة الذي يعين عليـها العمال من قبله، ويرتبطون به ارتباطًـا مباشرًا، وهكذا اعتبر أبوموسى من أعظم ولاة عمر، واعتبرت مراسلات عمر مع أبي موسى من أعظم المصـادر التي كشـفت سيـرة عمـر مع ولاته، وبيَّنَت مـلامح أسلوبه في التعامل معهم[(٥)].

وقد أوصى عمر رضي الله عنه في وصيته للخليفة من بعده: ألاَّ يقِرَّ لي عامل أكثر من سنة، وأقِرَّ الأشـعريَّ أربـع سنين[(٦)]، وقد تولى أبو موسى مـنصب القضاء في عهد عمر رضي الله عنهما وكـان كتاب عمر إليه في القضاء أنموذجًا ومـثالاً يفيد كل قاض، بل وكل إداري، في كل زمان ومكان[(٧)]، وقال عنه ابن القيم: وهذا كتاب جليل تلقاه العلماء بالقبول، وبنوا عليـه أصول الحكم، والشهادة، والمفتي أحوج شيء إليه وإلـى تأمله والتفـقه فـيه[(٨)]، كـما تولى الولاية في عـهد عـثمـان رضي الله عنه،

---

(١) «مناقب عمر» لابن الجوزي ص (١٣٠)
(٢) «الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة».
(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣٨٩).
(٤، ٥) «الولاية على البلدان» (١/ ١٢٠).
(٦) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣٩١).
(٧) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٢٦٢)
(٨) «إعلام الموقعين» (١/ ١٨٦).

واستقضاه ذو النورين على البصرة أيضًا، ولما قتل عثمان كان واليًا على الكوفة، ولما تولى علي رضي الله عنه الخلافة، أخذ أبو موسى له البيعة من أهل الكوفة؛ إذ كان واليًا عليها لعثمان ابن عفان رضي الله عنه، وحين استنفر الخليفة الكوفيين من ذي قار، رأى أبو موسى بوادر الفتنة والانشقاق بين المسلمين؛ فنصح لأهل الكوفة أن يلزموا بيوتهم، ويعتزلوا هذا الأمر فإنما هي فتنة، القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، ولكن لاختلاف وجهة نظره مع الخليفة عزل عن ولاية الكوفة[١].

إن حياة أبي موسى رضي الله عنه منذ إسلامه قضاها في نشر الإسلام، وتعليم الناس العلم وخاصة القرآن الذي اشتهر بقراءته، والجهاد في سبيل الله والحرص عليه، والفصل في الخصومات، ونشر العدل، وضبط الولايات عن طريق القضاء والإدارة، ولا شك إن هذه المهمات صعبة وتحتاج إلى مهارات وصفات فريدة من العلم، والفهم، والفطنة، والحذق والورع، والزهد، وقد أخذ منها أبو موسى بنصيب وافر، فاعتمد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الخلفاء الأربعة من بعده رضي الله عنهم[٢]، فهل يتصور أن يثق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خلفاؤه بعده برجل يمكن أن تجوز عليه مثل الخدعة التي ترويها قصة التحكيم[٣].

إن اختيار أبي موسى رضي الله عنه حكمًا عن أهل العراق من قِبل عليّ رضي الله عنه وأصحابه ينسجم تمامًا مع الأحداث، فالمرحلة التالية هي مرحلة الصلح، وجمع كلمة المسلمين، وأبو موسى الأشعري كان من دعاة الصلح وجمع كلمة المسلمين، وأبو موسى الأشعري كان من دعاة الصلح والسلام، كما كان في الوقت نفسه محبوبًا، مؤتمنًا من قبائل العراق، وقد ذكرت المصادر المتقدمة أن عليًّا هو الذي اختار أبا موسى الأشعري، يقول خليفة في تاريخه: وفيها -سنة ٣٧هـ - اجتمع الحكمان: أبو موسى الأشعري من قبل عليّ، وعمرو ابن

(١) «فتح الباري» (١٣/ ٥٣)، و«التاريخ الصغير» (١١/ ١٠٩).
(٢) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٢٦٢).
(٣) «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة» (٢/ ٢٢٧).

العاص من قبل معاوية[١]، ويقول ابن سعد: فكره الناس الحرب، وتداعوا على الصلح، وحكّموا الحكمين، فحكّم علي أبا موسى، وحكّم معاوية عمرو ابن العاص[٢]، ولهذا يمكن القول: إن الدور المنسوب للقرّاء في صفين من مسؤولية وقف القتال والتحكيم وفرض أبي موسى حكمًا، ليست إلا فرية تاريخية اخترعها الإخباريون الشيعة الذين ما انقطعوا عن تزوير وتشويه تاريخ الإسلام بالروايات الباطلة، وكان يزعجهم أن يظهر عليّ رضي الله عنه بمظهر المتعاطف مع معاوية وأهل الشام، وأن يرغب في الصلح مع أعدائهم التقليديين، من جهة أخرى يحمّلون المسؤولية أعداءهم الخوارج ويتخلصون منها، ويجعلون دعوى الخوارج تناقض نفسها، فهم الذين أجبروا عليًّا على قبول التحكيم، وهم الذين ثاروا عليه بسبب قبول التحكيم[٣].

إن هذه العجالة عن شخصية أبي موسى لها علاقة ببحثنا الذي نتحدث فيه عن شخصية أمير المؤمنين علي وعصره، وأبو موسى من الشخصيات المؤثرة في عصره، وقد تعرضت للتشويه وغالبًا إذا تحدث أحد عن صفين والتحكيم تعرضت شخصية أبي موسى وعمرو بن العاص، للتشويه والكذب والافتراء بسبب الروايات الضعيفة والموضوعة، فكان لزامًا علينا أن نتحدث عن شيء من سيرتهما العطرة الزكية؛ وهذا المقصد من أهداف الكتابة في هذا البحث.

ثانيًا: سيرة عمرو بن العاص رضي الله عنه:

هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي، يكنى أبا محمد وأبا عبد الله ويتفق ابن إسحاق[٤] والزبير بن بكار[٥] أن إسلامه كان عند النجاشي في الحبشة، وهاجر إلى المدينة في صفر سنة ثمان للهجرة، وذكر ابن حجر أنه أسلم سنة ثمان قبل الفتح وقيل: بين الحديبية وخيبر[٦].

---

(١) «تاريخ خليفة» ص (١٩١، ١٩٢).
(٢) «الطبقات» (٣/ ٣٢).
(٣) «تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ٢١٥).
(٤) «المعجم الكبير» للطبراني (٩/ ٥٣) أرسلها ابن إسحاق.
(٥) «الإصابة» (٣/ ٢) و«خلافة علي»، لعبد الحميد ص (٢٦٣).
(٦) «تهذيب التهذيب» (٨/ ٥٦).

١ - إسلامه:

نترك عـمرو بن العاص رضي الله عنه يحدثنا عن إسـلامه، فقد قـال: لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق؛ جـمعت رجالاً من قـريش، كانوا يرون رأيي ويسمـعون مني، فقلـت لهم: تعلمون والله أني أرى أمر مـحمـد يعلو الأمور علواً منكراً، وإني قد رأيت أمـراً، فما ترون فـيه؟ قالوا: ومـاذا رأيت؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجاشي، فـإنا أن نكون تحت يديه أحب إلينا أن نكون تحت يدي محـمد، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفـوا، فلن يأتينا منهم إلا خير، قالوا: إن هذا الرأي، قلت: فاجمـعوا لنا ما نهديه له، وكان أحب مـا يهدى إليه من أرضنا الأُدُم[١]، فجمعنا له أدُماً كثيراً ثم خـرجنا حتى قدمنا عليه، فوالله إنَّا لعنده إذ جاءه عمرو ابن أمـية الضـمري، وكـان رسول الله صلى الله عليه وسلم قـد بعـثه إليـه في شأن جـعفـر وأصحابه، قال: فدخل عليه، ثم خـرج من عنده، قال: فقلت لأصحابي: هذا عمـرو بن أميـة الضمـري، لو دخلت على النجـاشي، وسألتـه إياه فأعطانـيه، فضربت عنـقه، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أنـي أجزأت عنها[٢]، حيث قتلت رسول محمد، قال: فدخلت عليه، فسـجدت له كما كنت أصنع، فقال: مرحباً صديقي، أهديت إليّ من بلادك شيئاً؟ قال: قلت: نعم، أيها الملك، قد أهديت إليك أدماً كثيراً، قال: ثم قربته إليه فـأعجبه واشتهاه ثم قلت له: أيها الملك إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول رجل عـدو لنا، فأعطينه لأقتله، فإنه قد أصـاب من أشرافنا وخيـارنا، قال: فغضب، ثم مـد يده، فضرب بهـا أنفه ضربة ظننت أنه قـد كسره، فلو انشقـت لي الأرض لدخلت فيها فـرقاً منه، ثم قلت له: أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه، قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الـناموس الأكبر الذي كان يأتي مـوسى لقتله؟!! قال: قلت: أيها الملك، أكـذلك هو؟ قال: ويحك يا عمرو أطعني واتبـعه، فإنه والله لعلى الحق، وليظهـرن على من خالفـه كما ظهـر موسى على فـرعون وجنوده،

(١) الأُدُم: جمع الأديم: الجلد .

(٢) أجزأت عنها: كفيتها .

قال: قلت: أفتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم، فبسط يده فبايعته على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابي، وقد حال رأيي عما كان عليه، وكتمت على أصحابي إسلامي ثم خرجت عامدًا إلى رسول الله لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد، وذلك قبيل الفتح، وهو مقبل من مكة، فقلت: إلى أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام المنسم(١)، وإن الرجل لنبي، اذهب والله، فأسلم، فحتى متى؟ قال: قلت: والله ما جئت إلا لأسلم. قال: فقدمنا المدينة على رسول الله ﷺ، فتقدم خالد بن الوليد، فأسلم وبايع، ثم دنوت، فقلت: يا رسول الله ﷺ، إني أبايعك على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي، ولا أذكر ما تأخر. قال: فقال رسول الله: «**يا عمرو بايع، فإن الإسلام يَجُبُّ ما كان قبله، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها**»، قال: فبايعته ثم انصرفت(٢).

وفي رواية قال: . . . فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك. فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: «**ما لك يا عمرو؟**» قال: قلت: أردت أن أشترط. قال: «**تشترط بماذا؟**» قلت: أن يغفر لي. قال: «**أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله**»(٣).

٢ – عمرو بن العاص يقود سرية في ذات السلاسل ٧هـ:

جهز النبي ﷺ جيشًا بقيادة عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل؛ وذلك لتأديب قضاعة التي غرها ما حدث في مؤتة، التي اشتركت فيها إلى جانب الروم فتجمعت تريد الدنو من المدينة، فتقدم عمرو بن العاص في ديارها ومعه ثلثمائة من المهاجرين، والأنصار، ولما وصل إلى مكان تجمع الأعداء بلغه أن لهم جموعًا كثيرة، فأرسل إلى رسول الله ﷺ يطلب المدد فجاءه مددٌ بقيادة أبي

---

(١) استقام المنسم: تبين الطريق ووضح.

(٢) «صحيح السيرة النبوية» ص (٤٩٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٣/ ٦٠)، و«السيرة» لابن هشام (٢/ ٢٧٦).

(٣) «مسلم»، كتاب الإيمان رقم (١٢١).

عبيدة بن الجراح[١]، وقاتل المسلمون الكفار وتوغل عمرو في ديار قضاعة التي هربت وتفرقت وانهزمت، ونجح عمرو في إرجاع هيبة الإسلام لأطراف الشام، وإرجاع أحلاف المسلمين لصداقتهم الأولى، ودخول قبائل أخرى في حلف المسلمين، وإسلام الكثيرين من بني عبس، وبني مرة، وبني ذبيان، وكذلك فزارة وسيدها عيينة بن حصن في حلف مع المسلمين، وتبعها بنو سُلَيم، وعلى رأسهم العباس بن مرداس، وبنو أشجع، وأصبح المسلمون هم الأقوى في شمال بلاد العرب، وإن لم يكن في البلاد جميعها[٢].

وفي هذه الغزوة دروس وعبر وحكم تتعلق بعمرو بن العاص منها:

أ - إخلاص عمرو بن العاص: بعث إليّ رسول الله ﷺ فقال: «**خذ عليك ثيابك، وسلاحك، ثم ائتني**». فأتيته، وهو يتوضأ، فصعَّد فيَّ النظر، ثم طأطأ، فقال: «**إني أريد أن أبعثك على جيش**[٣]**، فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك في المال رغبة صالحة**»، قلت: يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال، ولكني أسلمت رغبة في الإسلام، وأن أكون مع رسول الله ﷺ قال: «**يا عمرو نعم المال الصالح للمرء الصالح**»[٤]، فهذا الموقف يدل على قوة إيمان وصدق وإخلاص عمرو بن العاص للإسلام وحرصه على ملازمة رسول الله ﷺ، وقد بين له رسول الله ﷺ أن المال الحلال نعمة إذا وقع بيد الرجل الصالح؛ لأنه يبتغي وجه الله، ويصرفه في وجوه الخير ككفالة الأيتام والأرامل والدعاة ودعم المجاهدين، والمشاريع الخيرية وغيرها من وجوه البر ويَعُول به نفسه وأسرته،[٥] ويغني به المسلمين، ونستنبط من الحديث أن سعي العبد للحصول على المال الصالح أمر محمود يحث عليه النبي ﷺ كما أن الرجل ذا المال إذا

---

(١) «السيرة النبوية الصحيحة» (٢/ ٤٧١)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (٣/ ٢٨٠).

(٢) «السيرة النبوية» لأبي شهبة (٢/ ٤٣٣)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (٤/ ٢٨٠)

(٣) جيش: سرية ذات السلاسل.

(٤) رواه ابن حبان في «الموارد» (٢٢٧٧)، و«صحيح السيرة» ص (٥٠٨)، صححه الألباني.

(٥) «التاريخ الإسلامي» للحميدي (٧/ ١٣٣)

استطعنا إيصال الصلاح له ليجمع بين صلاح المال وصلاح نفسه كما في الحديث ،فهو أيضًا مطلوب ومحمود وهذا خير له وللإسلام والمسلمين .

ب- حرص عمرو على سلامة قواته:

بعث رسول الله ﷺ عمرًا رضي الله عنه في غزوة ذات السلاسل ، فأصابهم برد ، فقال لهم عَمرو : لا يُوقدنَّ أحد نارًا ، فلما قدم شكوه ، قال : يا نبي الله ، كان فيهم قلَّة ، فخشيت أن يرى العدوُّ قلَّتهم ، ونهيتهم أن يتبعوا العدو مخافة أن يكون لهم كمين؛ فأعجب ذلك رسول الله[1] .

جـ- من فقة عمرو بن العاص رضي الله عنه :

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه : احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل ، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك ، فتيممت ، ثم صليت بأصحابي الصبح ، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال : «**يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟**» فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت : إني سمعت الله يقول : ﴿**وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً**﴾ [النساء:٢٩]، فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئًا[2] ، وهذا الاجتهاد من عمرو بن العاص يدل على فقهه ووفور عقله ، ودقة استنباطه الحكم من دليله[3]؛ ولئن وقف الفقهاء عند هذه الحادثة يفرعون عليها الأحكام ، فإن الذي يستوقفنا[4] منها تلك السرعة في أخذ عمرو للقرآن وصلته به ، حتى بات قادرًا على فقه الأمور من خلال الآيات وهو لم يمضِ على إسلامه أربعة أشهر ، إنه الحرص على الفقه في دين الله، وقد يكون عمرو - وهذا احتمال وارد - على صلة بالقرآن قبل إسلامه ، يتتبع ما يستطيع الوصول إليه ، وحينئذ نكون أمام مثال آخر من عظمة هذا القرآن ، الذي لوى أعناق الكافرين وجعلهم وهم في

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣/٦٦) .

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/٦٧) إسناده صحيح ، وصححه ابن حبان رقم (٢٠٢) .

(٣) «غزوة الحديبية» لأبي فارس ص (٢١٠) .

(٤) «معين السيرة» ص (٣٨١) ، القائل هو : صالح أحمد الشامي صاحب كتاب «معين السيرة» .

أشد حالات العداوة لهذا الدين يحاولون استماع هذا القرآن، كما رأينا ذلك في العهد المكي، ويؤيد هذا ما رويناه من معرفته بالقرآن، حينما طلب من النجاشي أن يسأل مهاجري الحبشة عن رأيهم في عيسى عليه السلام[١].

٣ - فضائله ومناقبه:

أ - شهادة رسول الله له بالإيمان:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص**»[٢] وفي حديث آخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ابنا العاص مؤمنان عمرو وهشام**»[٣]، وقال عمرو بن العاص: فزع الناس بالمدينة مع النبي صلى الله عليه وسلم فتفرقوا، فرأيت سالما احتبى سيفًا فجلس في المسجد، فلما رأيت ذلك فعلت مثل الذي فعل، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآني وسالمًا، وأتى الناس فقال: «**أيها الناس ألا مفزعكم إلى الله ورسوله، ألا فعلتم كما فعل هذان الرجلان المؤمنان**»[٤].

ب - تقديم رسول الله له على غيره، وشهادته له بأنه من صالحي قريش:

فقد جاء عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قوله: ما عدل بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخالد أحدًا منذ أسلمنا في حرب[٥]، وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه من صالحي قريش، فعن أبي مليكة قال: قال طلحة بن عبيد الله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن عمرو بن العاص من صالحي قريش**»[٦]. وهنا درس نبوي في معرفة النبي صلى الله عليه وسلم لمعادن الرجال والاستفادة منها.

ج - دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له:

عن زهير بن قيس البلوي عن عمه علقمة بن رمثة البلوي قال: بعث

---

(١) «معين السيرة» ص(٣٨١)، و«مسند أحمد» (١/٢٠٣) رجاله رجال الصحيح.

(٢) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١/٢٣٨) رقم (١٥٥).

(٣) «الطبقات» (٤/١٩١)، و«السلسلة الصحيحة» (١/٢٤٠) رقم(١٥٦).

(٤) «مسند أحمد» (/٢٠٣) بسند حسن.

(٥) «سنن البيهقي» باب إسلام عمرو بن العاص (٤/٤٣).

(٦) «سنن الترمذي»، كتاب المناقب، باب: مناقب عمرو بن العاص رقم (٣٨٤٤).

رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى البحرين، ثم نعس رسول الله ﷺ ثم استيقظ فقال: «رحم الله عَمْرًا». فتذاكرنا من اسمه عمرو، ثم نَعس ثانية فاستيقظ فقال: «رحم الله عَمْرًا». ثم نعس ثالثة فاستيقظ، فقال: «يرحم الله عَمْرًا». قلنا: من عمرو يا رسول الله؟ قال: «عمرو بن العاص» قلنا :وما باله؟ قال: «**ذكرته إني كنت إذا ندبت الناس للصدقة، جاء من الصدقة فأجزل، فأقول: من أين لك هذا يا عمرو؟ فيقول: من عند الله، وصدق عمرو، إن لعمرو عند الله لخيرًا كثيرًا**». قال زهير: فلما كانت الفتنة قلت: أتبع هذا قال فيه؛ رسول الله ما قال، فلم أفارقه[١].

٦ – أعماله في عهد أبي بكر وعمر عثمان رضي الله عنهم:

كان رسول الله ﷺ قد أرسل عَمْرًا إلى دعوة ابني الجلندي « جيفر، وعباد» إلى الإسلام، ودعاهما إلى الإسلام وصدقا بالنبي ﷺ، وخليا بين عمرو وبين الصدقة والحكم فيما بين قومهم، وكانا له عونًا على من خالفه،[٢] وبعد وفاة رسول الله ﷺ وجّه الصديق عمرو بن العاص رضي الله عنهما بجيش إلى فلسطين، وكان الصديق رضي الله عنه قد خيَّره بين البقاء في عمله الذي أسنده إليه رسول الله ﷺ، وبين أن يختار له ما هو خير له في الدنيا والآخرة، إلا أن الذي هو فيه أحب إليه، فكتب إليه عمرو بن العاص: إني سهم من سهام الإسلام، وأنت بعد الله الرامي بها والجامع لها، فانظر أشدها وأخشاها وأفضلها فارم به[٣]، فلما قدم المدينة أمره أبو بكر رضي الله عنه: أن يخرج من المدينة وأن يعسكر حتى يندب معه الناس... ثم أرسله بجيش إلى الشام[٤]، وفي معركة اليرموك كان عمرو على الميمنة، فكان لمشاركته أثر كبير في انتصار المسلمين، وبعد وفاة الصديق استمر عمرو في الشام وكانت له مشاركة فعاله في حركة الفتح الإسلامي بالشام، فقد

(١) «المعجم الكبير» (١٨/ ٥)، و«المستدرك» (٣/ ٤٥٥) صححه الحاكم، وقال الذهبي: صحيح إسناده حسن.
(٢) «الطبقات» (١/ ٢٦٢)، و«جوامع السيرة» لابن حزم ص (٢٤، ٢٩) .
(٣) «إتمام الوفاء بسيرة الخلفاء» ص (٥٥) .
(٤) «فتوح الشام» للأزدي ص (٤٨-٥١).

قام بمشاركة شرحبيل بن حسنة في فتح بيسان، وطبرية، وأجنادين[١]، كما قام رضي الله عنه بفتح غزة، واللُّدَّ، ويُبْنى، وعمْواس، وبيت جِبْرين، ويافا، ورَفَح، وبيت المقدس، ولم يقتصر عمرو رضي الله عنه على فتح بلاد الشام وحدها، بل شمل أيضًا بعض مشاهير بلاد مصر، حيث كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أصدر أمره إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه بعد الفراغ من فتوح الشام، أن يسير بمن معه من الجند إلى مصر، فخرج رضي الله عنه حتى وصل إلى العريش ففتحها، كما شملت حركة الفتح أيضًا: الفرما، والفسطاط، وحصن بابليون، وعين شمس، والفيوم، والأشمونين، وأخميم، والبشرود، وتنيس ودمياط وتونة ودقهلة، والإسكندرية وبلادًا إفريقية أخرى مثل: برقة وزويلة وطرابلس[٢]، وقد شهد له الفاروق رضي الله عنهم بصفات الزعامة والإمامة فقال: ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشي على الأرض إلا أميرًا[٣]، وكان في عهد عثمان رضي الله عنه من المقربين إلى الخليفة، ومن أهل مشورته ولما أحيط بعثمان رضي الله عنه خرج عمرو بن العاص من المدينة متوجهًا إلى الشام وقال: والله يا أهل المدينة ما يقيم بها أحد فيدركه قتل هذا الرجل إلا ضربه الله عز وجل بذل، ومن لم يستطع نصره فليهرب، فسار وسار معه ابناه عبد الله ومحمد، وخرج بعده حسان بن ثابت وتتابع على ذلك ما شاء الله[٤]، وعندما جاء الخبر عن مقتل عثمان رضي الله عنه، وبأن الناس بايعوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال عمرو بن العاص: أنا أبو عبد الله نكون في حرب من حك فيها قرحة نكأها، رحم الله عثمان ورضي عنه وغفر له. فقال سلامة ابن زنباع الجذامي: يا معشر العرب إنه قد كان بينكم وبين العرب باب فاتخذوا بابا إذ كسر الباب، فقال عمرو: وذاك الذي نريد ولا يصلح الباب إلا أشاف[٥]، تخرج الحق من حافرة البأس ويكون الناس في العدل سواء، ثم تمثل عمرو بن العاص بهذه الأبيات:

---

(١) «تاريخ الطبري» (٣/٦٠٥)، و«الكامل» لابن الأثير (٢/٤٩٨).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٧٠) و«القيادة العسكرية في عهد الرسول» ص (٦٣٤ - ٩٤٢).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٧٠).

(٤) «تاريخ الطبري» نقلاً عن: «عمرو بن العاص» للغضبان ص (٤٦٤).

(٥) أشاف: جمع إشفى وهو المثقب.

فَيَالَهفَ نَفْسِي عَلَى مَالِكٍ
وَهَلْ يَصْرِف مَالِكٌ حِفظَ القَدَرِ
أَنَزْعٍ مِنْ الحَرِّ[١] أَوْدَي بِهِمْ
فَأَعْذُرهُم أَمْ بِقَوْمِي سُكْر

ثم ارتحل راجلاً يبكي ويقول: يا عثماناه: أنعي الحياء والدين، حتى قدم دمشق[٢]، هذه هي الصورة الصادقة عن عمرو ﷺ والمتتالية مع شخصيته وخط حياته وقربه من عثمان، أما الصورة التي تمسخه إلى رجل مصالح وصاحب مطامع، وراغب دنيا فهي الرواية المتروكة الضعيفة، رواية الواقدي عن موسى ابن يعقوب[٣]، وقد تأثر بالروايات الضعيفة والسقيمة مجموعة من الكتاب والمؤرخين؛ فأهووا بعمرو إلى الحضيض، كالذي كتبه محمود شيت خطاب،[٤] وعبد الخالق سيد أبو رابية[٥]، وعباس محمود العقاد الذي يتعالى عن النظر في الإسناد ويستخف بقارئه، ويظهر له صورة معاوية وعمرو ﷺ بأنهما: . . . انتهازيان صاحبا مصالح، ولو أجمع الناقدون التاريخيون على بطلان الروايات التي استند إليها في تحليله؛ فهذا لا يعني للعقاد شيئًا، فقد قال بعد أن ذكر روايات ضعيفة واهية لا تقم بها حجة: . . . وليقل الناقدون التاريخيون ما بدا لهم أن يقولوا في صدق هذا الحوار، وصحة هذه الكلمات، وما ثبت نقله ولم يثبت منه سنده، ولا نصه، فالذي لا ريب فيه ولو أجمعت التواريخ قاطبة على نقضه، أن الاتفاق بين الرجلين، كان اتفاق مساومة ومعاونة على الملك والولاية، وأن المساومة بينهما كانت على النصيب الذي آل على كل منهما ولولاه لما كان بينهما اتفاق[٦].

(١) الحر: جمع حرة وهي الظلمة الشديدة
(٢) «تاريخ الطبري» نقلاً عن: «عمرو بن العاص» للغضبان ص (٤٦٤) .
(٣) «عمرو بن العاص» للغضبان ص (٤٨١) .
(٤) «سفراء النبي ﷺ»، لمحمود شيت خطاب ص(٥٠٨) .
(٥) «عمرو بن العاص»، لعبد الخالق سيد أبو رابية ص (٣١٦) .
(٦) «عمرو بن العاص» للعقاد ص (٢٣١، ٢٣٢).

إن شخصية عمرو ﷺ الحقيقية أنه رجل مبادئ، غادر المدينة حين عجز عن نصرة عثمان، وبكى عليه بكاءً مُرًّا حين قتل، فقد كان يدخل في الشورى في عهد عثمان، من غير ولاية ومضى إلى معاوية ﷺ، يتعاونا معًا على حرب قتلة عثمان والثأر للخليفة الشهيد[1]، لقد كان مقتل عثمان كافيًا؛ لأن يحرك كل غضبه على أولئك المجرمين السفاكين، وكان لا بد من اختيار مكان غير المدينة؛ للثأر من هؤلاء الذين تجرؤوا على حرم رسول الله وقتلوا الخليفة على أعين الناس، وأي غرابة أن يغضب عمرو لعثمان؟ وإن كان هناك من يشك في هذا الموضوع فمداره على الروايات المكذوبة التي تصور عمرًا همه السلطة والحكم[2].

ثالثًا: نص وثيقة التحكيم:

بسم الله الرحمن الرحيم،

(١) هذا ما تقاضى عليه عليُّ بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان ﷺ وشيعتهما، فيما تراضيا فيه من الحكم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

(٢) قضية علي ﷺ على أهل العراق شاهدهم وغائبهم، وقضية معاوية ﷺ على أهل الشام شاهدهم وغائبهم.

(٣) إنّا تراضينا أن نقف عند حُكم القرآن فيما يحكم من فاتحته إلى خاتمته، نُحْيي ما أحْيا ونُميت ما أمات. على ذلك تقاضينا وبه تراضينا.

(٤) وإن عليًّا وشيعته رضوا بعبد الله بن قيس ناظرًا وحاكمًا، ورضي معاوية بعمرو ابن العاص ناظرًا وحاكمًا.

(٥) على أن عليًّا ومعاوية أخذا على عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه وذمّته وذمة رسوله، أن يتخذا القرآن إمامًا ولا يعدوا به إلى غيره في الحكم بما وجداه فيه مسطورًا، ومالم يجدا في الكتاب ردّاه إلى سنة رسول الله الجامعة، لا يتعمّدان لها خلافًا، ولا يبغيان فيها بشبهة.

---

(١) «عمرو بن العاص» للغضبان ص (٤٨٩، ٤٩٠).

(٢) «عمرو بن العاص» للغضبان ص(٤٩٢).

(٦) وأخذ عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص على علي ومعاوية ﭬ عهد الله وميثاقه بالرضا بما حكما به مما في كتاب الله وسنة نبيه، وليس لهما أن ينقُضا ذلك ولا يخالفاه إلى غيره.

(٧) وهما آمنان في حكومتهما على دمائهما وأموالهما وأشعارهما وأبشارهما وأهاليهما وأولادهما، ما لم يعدوا الحق، رضي به راض أو سخط ساخط، وإن الأمة أنصارهما على ما قضيا به من الحق مما في كتاب الله.

(٨) فإن توفي أحد الحكمين قبل انقضاء الحكومة؛ فلشيعته وأنصاره أن يختاروا مكانه رجلاً من أهل العدل والصلاح، على ما كان عليه صاحبه من العهد والميثاق.

(٩) وإن مات أحد الأميرين قبل انقضاء الأجل المحدود في هذه القضية؛ فلشيعته أن يُوَلّوا مكانه رجلاً يرضون عدله.

(١٠) وقد وقعت القضية بين الفريقين والمفاوضة ورفع السلاح.

(١١) وقد وجبت القضية على ما سميناه في هذا الكتاب، من موقع الشرط على الأميرين والحكمين والفريقين، والله أقرب شهيد وكفى به شهيدًا، فإن خالفا وتعدّيا؛ فالأمّة بريئة من حُكمهما، ولا عهد لهما ولا ذِمَة.

(١٢) والناس آمنون على أنفسهم وأهاليهم وأولادهم وأموالهم إلى انقضاء الأجل، والسلاح موضوع، والسبل آمنة، والغائب من الفريقين مثل الشاهد في الأمر.

(١٣) وللحكمين أن ينزلا منزلاً متوسطًا عدلاً بين أهل العراق والشام.

(١٤) ولا يحضرهما فيه إلا من أحبَّا عن تراض منهما.

(١٥) والأجل إلى انقضاء شهر رمضان، فإن رأى الحكمان تعجيل الحكومة عجّلاها، وإن رأى تأخيرها إلى آخر الأجل أخَّراها.

(١٦) فإن هما لم يحكُما بما في كتاب الله وسنة نبيه إلى انقضاء الأجل؛ فالفريقان على أمرهما الأول في الحرب.

(١٧) وعلى الأمّة عهد الله وميثاقه في هذا الأمر، وهم جميعًا يد واحدة على من أراد في هذا الأمر إلحادًا أو ظلمًا أو خلافًا، وشهد على ما في هذا الكتاب الحسن والحسين رضي الله عنهما، ابنا علي، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر ابن أبي طالب، والأشعث ابن قيس الكندي، والأشتر بن الحارث، وسعيد بن القيس الهمداني، والحصين والطفيل ابنا الحارث بن عبد المطلب، وأبو سعيد بن ربيعة الأنصاري، وعبد الله بن خباب ابن الأرت، وسهل بن حنيف، وأبو بشر بن عمر الأنصاري، وعوف بن الحارث بن عبد المطلب، ويزيد بن عبد الله الأسلمي، وعقبة بن عامر الجهني، ورافع بن خديج الأنصاري، وعمرو ابن الحمق الخزاعي، والنعمان بن عجلان الأنصاري، وحجر بن عدي الكندي، ويزيد بن حجية النكري، ومالك بن كعب الهمداني، وربيعة بن شرحبيل، والحارث بن مالك، وحجر بن يزيد، وعلبة بن حجية، ومن أهل الشام: حبيب ابن مسلمة الفهري، وأبو الأعور السلمي، وبسر بن أرطأة القرشي، ومعاوية ابن خديج الكندي، والمخارق بن الحارث الزبيدي، ومسلم بن عمرو السكسي، وعبدالله بن خالد ابن الوليد، وحمزة بن مالك، وسبيع بن يزيد بن أبجر العبسي، ومسروق بن جبلة العكي، ويسر بن يزيد الحميري، وعبد الله ابن عامر القرشي، وعتبة بن أبي سفيان، ومحمد بن أبي سفيان، ومحمد بن عمرو ابن العاص، وعمّار بن الأحوص الكلبي، ومسعدة بن عمرو العتبي، والصباح ابن جلهمة الحميري، وعبد الرحمن بن ذي الكلاع، وتمامة بن حوشب، وعلقمة ابن حكم. كتب يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين[١].

---

(١) انظر: «الوثائق السياسية» ص (٥٣٧، ٥٣٨)، و«الأخبار الطوال» للدينوري ص (١٩٦-١٩٩)، و«أنساب الأشراف» (١/ ٣٨٢)، و«تاريخ الطبري» (٥/ ٦٦٥، ٦٦٦)، و«البداية والنهاية» (٧/ ٢٧٦، ٢٧٧).

رابعًا: قصة التحكيم المشهورة وبطلانها من وجوه:

لقد كثر الكلام حول قصة التحكيم، وتداولها المؤرخون والكتاب على أنها حقيقة ثابتة لا مرية فيها، فهم بين مطيل في سياقها، ومختصر وشارح ومستنبط للدروس وبان للأحكام على مضامينها، وقلما تجد أحدًا وقف عندها فاحصًا محققًا، وقد أحسن ابن العربي في ردها إجمالاً، وإن كان غير مفصل وفي هذا دلالة على قوة حاسته النقدية للنصوص؛ إذ إن جميع متون قصة التحكيم لا يمكن أن تقوم أمام معيار النقد العلمي، بل هي باطلة من عدة وجوه[1] :

١- إن جميع طرقها ضعيفة، وأقوى طريق وردت فيه هو ما أخرجه عبدالرزاق والطبري بسند رجاله ثقات عن الزهري مرسلاً قال: قال الزهري: فأصبح أهل الشام قد نشروا مصاحفهم، ودعوا إلى ما فيها، فهاب أهل العراق، فعند ذلك حكموا الحكمين، فاختار أهل العراق أبا موسى الأشعري، واختار أهل الشام عمرو بن العاص، فتفرق أهل صفين حين حكم الحكمان، فاشترطا أن يرفعا ما رفع القرآن ويخفضا ما خفض القرآن، وأن يختارا لأمة محمد ﷺ ، وأنهما يجتمعان بدومة الجندل، فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل بأذرح، فلما انصرف عليّ رضي الله عنه خالفت الحرورية وخرجت - وكان ذلك أول ما ظهرت - فآذنوه بالحرب، وردوا عليه: إن حكم بني آدم في حكم الله عز وجل، وقالوا: لا حكم إلا لله سبحانه، وقاتلوا، فلما اجتمع الحكمان بأذرح؛ وافاهم المغيرة بن شعبة فيمن حضر من الناس، فأرسل الحكمان إلى عبد الله ابن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير في إقبالهم في رجال كثير، ووفى معاوية أهل الشام، وأبى عليّ وأهل العراق أن يوفوا، فقال المغيرة بن شعبة لرجال من ذوي الرأي من قريش: أترون أحدًا من الناس برأي يبتدعه يستطيع أن يعلم أيجتمع الحكمان أم يتفرقان؟ قالوا: لا نرى أحدًا يعلم ذلك، قال: فوالله إني لأظن أني سأعلمه منهما حين أخلو بهما وأرجعهما، فدخل عمرو بن العاص

---

(١) «مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري» ص (٤٠٤).

وبدأ به فقال: يا أبا عبد الله، أخبرني عما أسألك عنه، كيف ترانا معشر المعتزلة؟، فإنا قد شككنا في الأمر الذي تبين لكم من هذا القتال، ورأينا أن نستأني ونتثبت حتى تجتمع الأمة؛ قال: أراكم معشر المعتزلة خلف الأبرار، وأمام الفجار؛ فانصرف المغيرة ولم يسأله عن غير ذلك، حتى دخل على أبي موسى فقال له مثل ما قال لعمرو، فقال أبو موسى: أراكم أثبت الناس رأيًا، فيكم بقية المسلمين، فانصرف المغيرة ولم يسأله عن غير ذلك، فلقي الذين قال لهم ما قال من ذوي الرأي من قريش، فقال: لا يجتمع هذان على أمر واحد، فلما اجتمع الحكمان وتكلما قال عمرو بن العاص: يا أبا موسى، رأيت أول ما تقضي به من الحق أن تقضي لأهل الوفاء بوفائهم، وعلى أهل الغدر بغدرهم، قال أبو موسى: وما ذاك؟ قال: ألست تعلم أن معاوية وأهل الشام قد وفوا، وقدموا للموعد الذي واعدناهم إياه؟ قال: بلى، قال عمرو: اكتبها فكتبها أبو موسى، قال عمرو: يا أبا موسى، أأنت على أن نسمي رجلاً يلي أمر هذه الأمة؟ فسمه لي، فإن أقدر على أن أتابعك فلك عليّ أن أتابعك، وإلا فلي عليك أن تتابعني؛ قال أبو موسى: أسمي لك معاوية بن أبي سفيان فلم يبرحا مجلسهما حتى استبا، ثم خرجا إلى الناس، فقال أبو موسى: إني وجدت مثل عمرو كمثل الذين قال الله عز وجل: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا**﴾ [الأعراف: ١٧٥].

فلمَّا سكت أبو موسى تكلم عمرو فقال: أيها الناس وجدت مثل أبي موسى كمثل الذي قال الله عز وجل: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا**﴾ [الجمعة: ٥]. وكتب كل واحد منهما مثله الذي ضرب لصاحبه إلى الأمصار.[1] والزهري لم يدرك الحادثة فهي مرسلة، ومراسيله كأدراج الرياح لا تقوم بها حجة[2] كما قرّر العلماء. وهناك طريق أخرى أخرجها

---

(١) «المصنف» (٥/ ٤٦٣) و«مرويات أبي مخنف من تاريخ الطبري» ص (٤٠٦).

(٢) «المراسيل» لأبي حاتم ص (٣) و«الجرح والتعديل» (١/ ٢٤٦).

ابن عساكر بسنده إلى الزهري، وهي مرسلة وفيها أبو بكر بن أبي سبرة قال عنه الإمام أحمد: كان يصنع الحديث[١]. وفي سنده أيضًا الواقدي، وهو متروك[٢]، وهذا نصها: . . . رفع أهل الشام المصاحف وقالوا: ندعوكم إلى كتاب الله، والحكم بما فيه وكان ذلك مكيدة من عمرو بن العاص، فاصطلحوا وكتبوا بينهم كتابًا على أن يوافوا رأس الحول أذرح، وحكموا حكمين ينظرون في أمور الناس فيرضوا بحكمها، فحكّم علي أبا موسى الأشعري، وحكم معاوية عمرو ابن العاص ﷺ، وتفرق الناس فرجع عليّ إلى الكوفة بالاختلاف والدغل، واختلف عليه أصحابه فخرج عليه الخوارج من أصحابه ممن كان معه، وأنكروا تحكيمه وقالوا: لا حكم إلا لله ورجع معاوية إلى الشام بالألفة واجتماع الكلمة عليه، ووافى الحكمان بعد الحول بأذرح في شعبان سنة ثمان وثلاثين، واجتمع الناس إليهما وكان بينهما كلام اجتمعا عليه في السر خالفه عمرو بن العاص في العلانية، فقدّم أبا موسى فتكلم وخلع عليًّا ومعاوية، ثم تكلم عمرو بن العاص فخلع عليًّا وأقر معاوية؛ فتفرق الحكمان ومن كان اجتمع إليهما وبايع أهل الشام معاوية في ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين،[٣] وأما طرق أبي مخنف فهي معلولة به، فالأول: وهو أبو مخنف لوط بن يحي؛ ضعيف ليس بثقة[٤]، وإخباري تالف غالٍ في الرفض، وأما الثاني قال فيه ابن سعد: كان[٥] ضعيفًا، وقال البخاري وأبو حاتم: كان يحيى القطان يضعفه[٦] وقال عثمان الدارمي: ضعيف[٧]، وقال النسائي: ضعيف[٨]. هذه طرق قصة التحكيم المشهورة، والمناظرة بين أبي موسى وعمرو بن العاص المزعومة، أفبمثل هذا تقوم حجة؟ أو يعول على مثل ذلك في تاريخ الصحابة الكرام وعهد الخلفاء الراشدين ﷺ،

---

(١) «تهذيب التهذيب» (١٢/ ٢٧)، و«مرويات أبي مخنف من تاريخ الطبري» ص (٤٠٦).
(٢) «مرويات أبي مخنف من تاريخ الطبري» ص (٤٠٦). (٣) «تاريخ دمشق» (١٦/ ٥٣).
(٤) «تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ٢٢٣). (٥) «مرويات أبي مخنف» ص (٤٠٧).
(٦) «التاريخ الكبير» (٤/ ٢/ ٢٦٧)، و«الجرح والتعديل» (٩/ ١٣٨).
(٧) «التاريخ» للدارمي ص (٢٣٨)، و«تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ٢٢٣).
(٨) «الضعفاء والمتروكون» ص (٢٥٣).

عصر القدوة والأسوة، ولو لم يكن في هذه الروايات إلا الاضطراب في متونها لكفاها ضعفًا فكيف إذا أضيف إلى ذلك ضعف أسانيدها؟ [١].

٢ - أهمية هذه القضية من جانب الاعتقاد والتشريع، ومع ذلك لم تنقل لنا بسند صحيح، ومن المحال أن يطبق العلماء على إهمالها مع أهميتها وشدة الحاجة إليها[٢].

٣ - وردت رواية تنقض تلك الروايات تمامًا، وذلك فيما أخرجه البخاري في تاريخه مختصرًا بسند رجاله ثقات، وأخرجه ابن عساكر معلولاً، عن الحصين بن المنذر أن معاوية أرسله إلى عمرو بن العاص فقال له: إنه بلغني عن عمرو بعض ما أكره فأته فاسأله عن الأمر الذي اجتمع عمرو وأبو موسى فيه كيف صنعتما فيه؟ قال: قد قال الناس وقالوا، ولا والله ما كان ما قالوا، ولكن لما اجتمعت أنا وأبو موسى قلت له: ما ترى في هذا الأمر؟ قال: أرى أنه في النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، قال: فقلت: أين تجعلني من هذا الأمر أنا ومعاوية؟ قال: إن يستعن بكما ففيكما معونة، وإن يستغني عنكما فطال ما استغنى أمر الله عنكما[٣].

وقد روى أبو موسى عن تورُّع عمرو ومحاسبته لنفسه، وتذكُّره سيرة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وخوفه من الإحداث بعدهما، قال أبو موسى رضي الله عنه: قال لي عمرو بن العاص رضي الله عنه: والله لئن كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما تركا هذا المال وهو يحل لهما؛ لقد غُبنا وأخْطأ أو نقص رأيهما، ووالله ما كان مغبونَيْن ولا مُخطئَيْن ولا ناقصي الرأي. ووالله ما جاءنا الوهن والضعف إلا من قِبلنا[٤].

٤ - إن معاوية كان يقر بفضل عليّ عليه، وأنه أحق بالخلافة منه فلم ينازعه الخلافة، ولا طلبها لنفسه في حياة عليّ، فقد أخرج يحيى بن سليمان الجعفي بسند جيد[٥]، عن أبي مسلم الخولاني أنه قال لمعاوية: أنت تنازع عليًّا

(١) «مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري» ص (٤٠٨). (٢) المصدر نفسه ص (٤٠٨).
(٣) «التاريخ الكبير» (٥/ ٣٩٨). (٤) «العواصم من القواصم» ص (١٧٨ - ١٨٠)
(٥) «فتح الباري» (١٣/ ٨٦).

في الخلافة أو أنت مثله؟ قال: لا وإني لأعلم أنه أفضل مني وأحق بالأمر، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قُتل مظلومًا وأنا ابن عمه ووليه أطلب بدمه؟ فأتوا عليا فقولوا له يدفع لنا قتلة عثمان رضي الله عنه وأسلم له، فأتوا عليًّا فكلموه فلم يدفعهم إليه[1]، فهذا هو أصل النزاع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما؛ فالتحكيم من أجل حل هذه القضية المتنازع عليها لا لاختيار خليفة أو عزله[2]، ويقول ابن حزم في هذا الصدد: بأن عليًّا قاتل معاوية لامتناعه عن تنفيذ أوامره في جميع أرض الشام، وهو الإمام الواجب طاعته، ولم ينكر معاوية قط فضل عليّ رضي الله عنه واستحقاقه الخلافة، لكن اجتهاده أدَّاه إلى أن رأى تقديم أخذ القود من قتلة عثمان على البيعة، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان والكلام فيه من أولاد عثمان، وأولاد الحكم ابن أبي العاص لسنه وقوته على الطلب بذلك وأصاب في هذا، وإنما أخطأ في تقديمه ذلك على البيعة فقط[3]، وفهم الخلاف على هذه الصورة - وهي صورته الحقيقية - بين إلى أي مدى تخطئ الروايات السابقة عن التحكيم في تصوير قرار الحكمين، إن الحكمين كانا مفوضين للحكم في الخلاف بين علي ومعاوية، ولم يكن الخلاف بينهما حول الخلافة ومن أحق بها منهما، وإنما كان حول توقيع القصاص على قتلة عثمان، وليس هذا من أمر الخلافة في شيء، فإذا ترك الحكمان هذه القضية الأساسية، وهي ما طلب إليهما الحكم فيها، واتخذا قرارًا في شأن الخلافة كما تزعم الرواية الشائعة، فمعنى ذلك أنهما لم يفضا موضوع النزاع، ولم يحيطا بموضوع الدعوى، وهو أمر مستبعد جدًّا[4].

٥ - إن الشروط التي يجب توافرها في الخليفة هي العدالة والعلم، والرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح، وأن يكون[5] قرشيًّا، وقد توفرت هذه

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٤٠).
(٢) «مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري» ص (٤٠٩).
(٣) «الفصل في الملل والنحل» (٤/ ١٦٠).
(٤) «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة» (٢/ ٢٢٥).
(٥) «الأحكام السلطانية» للماوردي، و«الأحكام السلطانية» لأبي يعلى ص (٢٠)، و«غياث الأمم» ص (٧٩) وما بعدها.

الشروط في علي رضي الله عنه، فهل بيعته منعقدة أم لا؟ فإن كانت منعقدة - ولا شك في ذلك وقد بايعه المهاجرون والأنصار أهل الحل والعقد، وخصومه يقرون له بذلك- فقول معاوية السابق يدل عليه بأن: الإمام إذا لم يَخْلُ عن صفات الأئمة، فرأى العاقدون له عقد الإمامة أن يخلعوه، لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً باتفاق الأئمة؛ فإن عقد الإمام لازم، لا اختيار في حله من غير سبب يقتضيه، ولا تنتظم الإمامة ولا تفيد الغرض المقصود منها إلا مع القطع بلزومها، ولو تخير الرعايا في خلع إمام الخلق على حكم الإيثار والاختيار، لما استتب للإمام طاعة، ولما استمرت له قدرة واستطاعة ولما صح لمنصب الإمام معنى[1]. وإذن فليس الأمر بهذه الصورة التي تحكيها الروايات أنَّ كل من لم يرض بإمامه خلعه، فعقد الإمامة لا يحله إلا من عقده، وهم أهل الحل والعقد وبشرط إخلال الإمام بشروط الإمامة، وهل علي رضي الله عنه فعل ذلك؟ واتفق أهل الحل والعقد على عزله عن الخلافة وهو الخليفة الراشد حتى يقال: إن الحكمين اتفقا على ذلك، فما ظهر منه قط إلى أن مات رضي الله عنه، شيء يوجب نقص بيعته، وما ظهر منه قط إلا العدل، والجد، والبر والتقوى والخير[2].

٦ - إن الزمان الذي قام فيه التحكيم زمان فتنة، وحالة المسلمين مضطربة مع وجود خليفة لهم، فكيف تنتظم حالتهم مع عزل الخليفة؟ لا شك أن الأحوال ستزداد سوءًا، والصحابة الكرام أحذق وأعقل من أن يقدموا على هذا، ولهذا يتضح بطلان هذا الرأي عقلاً ونقلاً.

٧ - إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حصر الخلافة في أهل الشورى: وهم الستة وقد رضي المهاجرون والأنصار بذلك، فكان ذلك إذنًا في أن الخلافة لا تعدو هؤلاء إلى غيرهم، ما بقي منهم واحد، ولم يبق منهم في زمان التحكيم إلا سعد بن أبي وقاص، وقد اعتزل الأمر ورغب عن الولاية، والإمارة، وعلي ابن

---

(١) «غياث الأمم» ص(١٢٨)، و«مرويات أبي مخنف» ص (٤١٠)

(٢) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٤/٢٣٨).

أبي طالب رضي الله عنه القائم بأمر الخـلافة وهو أفضل الستة بعد عثـمان فكيف يتخطى بالأمر إلى غيره؟[١].

٨ - أوضحت الروايات أن أهل الشام بايعوا معاوية بعد التحكيم، والسؤال ما المسـوغ الذي جعـل أهل الشام يبـايعـون مـعاوية؟ إن كـان من أجل التـحكيم فالحكمان لم يتـفقا ولم يكن ثمة مبرر آخـر حتى ينسب عنهم ذلك، مع أن ابن عساكر نقل بسند رجاله ثقات عن سـعيد بن عبد العزيز التنوخي[٢]، أعلم الناس بأمر الشام[٣] أنه قال: كان عليّ رضي الله عنه بالعراق يدعى أمـير المؤمنين، وكان معاوية بالشام يدعى الأمير، فلما مات علي دعي معاوية بالشام أمير المؤمنين[٤].

فهـذا النص يبين أن معـاوية لم يبايع بالخـلافة إلا بعد وفـاة علي، وإلى هذا ذهب الطبـري، فـقد قـال في آخـر حوادث سنة أربعـين: وفي هذه السنة بويع لمعاوية بالخلافة بإيلياء[٥]، وعلق على هذا ابن كثير بقوله: يعني لما مات علي قام أهل الشام فبـايعوا معاوية على إمـرة المؤمنين؛ لأنه لم يبق له عندهم منازع[٦]، وكان أهل الشـام يعلمون بأن مـعاوية ليس كفـؤًا لعلي بالخلافـة، ولا يجوز أن يكون خليفة مع إمكان اسـتخلاف علي رضي الله عنه؛ فإن فضل علي وسابقـته وعلمه، ودينه وشجاعته، وسائر فضائله، كانت عندهم ظاهرة معروفة، كفضل إخوانه؛ أبي بكر، وعمر، وعثمان وغيرهم رضي الله عنهم[٧]، وإضافة إلى ذلك فإن النصوص تمنع من مبايعة خليفة مع وجود الأول، فقد أخـرج مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قـال: قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم: **«إذا بويع لخليـفـتين فاقـتلوا الآخـر منهما»**[٨]، والنصوص في هذا المعنى كـثيرة[٩]، ومن المحال أن يطبق الصـحابة على مخالفة ذلك[١٠].

---

(١) «مرويات أبي مخنف» ص (٤١١).
(٢) سعيد بن عبد العزيز التنوخي ثقة إمام، «التقريب».
(٣) «تهذيب التهذيب» (٤/ ٦٠).
(٤) «تاريخ الطبري» (٦/ ٧٦).
(٥) «تاريخ الطبري» (٦/ ٧٦).
(٦) «البداية والنهاية» (٨/ ١٦).
(٧) «الفتاوى» (٣٥/ ٧٣).
(٨) «صحيح مسلم» (٣/ ١٤٨٠).
(٩) «سنن البيهقي» (٨/ ١٤٤).
(١٠) «مرويات أبي مخنف» ص (٤١٢).

٩ - أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عمر قال: دخلت على حفصة قلت: قد كان من أمر الناس ما ترين فلم يجعل لي من الأمر شيء فقالت: الحق فإنهم ينتظرونك وأخشى أن يكون احتباسك عنهم فرقة، فلم تدعه حتى ذهب، فلما تفرق الناس خطب معاوية قال: من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه فلنحن أحق به منه ومن أبيه، قال حبيب بن مسلمة: فهلا أجبته؟ قال عبد الله: فحللت حبوتي وهممت أن أقول: أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام؛ فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم ويحمل عني غير ذلك، فذكرت ما أعد الله في الجنان. قال حبيب: حفظت وعصمت[1]، هذا الحديث قد يفهم منه مبايعة معاوية بالخلافة، وليس فيه تصريح بذلك، وقد قال بعض العلماء: إن هذا الحديث كان في الاجتماع الذي صالح فيه الحسن بن علي رضي الله عنه معاوية رضي الله عنه، وقال ابن الجوزي: إن هذه الخطبة كانت في زمن معاوية لما أراد أن يجعل ابنه يزيد ولي عهده، ويرى ابن حجر أنها كانت في التحكيم[2]، ودلالة النص على القولين الأولين أقوى. فقوله: فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم. دليل على اجتماع الكلمة على معاوية، وأيام التحكيم أيام فرقة واختلاف لا أيام جمع وائتلاف[3].

١٠ - حقيقة قرار التحكيم: ليس من شك في أن أمر الخلاف الذي رأى الحكمان رده إلى الأمة أو إلى أهل الشورى، ليس إلا أمر الخلاف بين عليّ ومعاوية حول قتلة عثمان، ولم يكن معاوية مدعيًا للخلافة ولا منكرًا حق عليّ فيها عما تقرر سابقًا، وإنما كان ممتنعًا عن بيعته وعن تنفيذ أوامره في الشام، حيث كان متغلبًا عليها بحكم الواقع لا بحكم القانون، مستفيدًا من طاعة الناس له بعد أن بقي واليًا فيها زهاء عشرين سنة[4]، وقد قال ابن دحية الكلبي في كتابه «أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين»: قال أبو بكر محمد بن

(١) «البخاري» (٥/ ٤٨).
(٢) «فتح الباري» (٧/ ٤٦٦).
(٣) «مرويات أبي مخنف».
(٤) «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة» (٢/ ١٣٤).

الطيب الأشعري - الباقلاني - في «مناقب الأئمة»: فما اتفق الحكمان قط على خلعه - علي بن أبي طالب- وعلى أنهما لو اتفقا على خلعه لم ينخلع، حتى يكون الكتاب والسنة المجتمع عليهما يوجبان خلعه، أو أحد منهما على ما شرطا في الموافقة بينهما، أو إلى أن يبينا ما يوجب خلعه من الكتاب والسنة، ونصّ كتاب عليّ رضي الله عنه اشترط على الحكمين أن يحكما بما في كتاب الله عز وجل، من فاتحته إلى خاتمته لا يجاوزان ذلك ولا يحيدان عنه، ولا يميلان إلى هوى ولا إدهان، وأخذ عليهما أغلظ العهود والمواثيق، وإن هما جاوزا بالحكم كتاب الله فلا حكم لهما... والكتاب والسنة يثبتان إمامته، ويعظمانه ويثنيان عليه، ويشهدان بصدقه وعدالته، وإمامته وسابقته في الدين، وعظيم جهاده في جهاد المشركين، وقرابته من سيد المرسلين، وما خص به من القدم في العلم والمعرفة بالحكم، ووفور الحلم، وأنه حقيق بالإمامة، وأهل لحمل أعباء الخلافة[1].

١١ - مكان انعقاد المؤتمر:

كان الموعد المحدد لاجتماع الحكمين - كما جاء في الوثيقة - في رمضان في عام ٣٧هـ، إذا لم تحدث عوائق، في موضع وسط بين العراق والشام وهذا الموضع المختار هو «دومة الجندل»[2] في روايات موثقة، و«أذرح»[3] في روايات أخرى دونها في الإتقان، ولعل قرب المكانين من بعضهما أثر في اختلاف الروايات؛ إذ يقول خليفة بن خياط:[4]... ويقال: بأذرح وهي من دومة الجندل قريب، وقد تم الاجتماع في الموعد المحدد بدون عوائق[5].

إن المكان الذي اجتمع فيه الحكمان هو دومة الجندل، وهذا بخلاف ما جزم به ياقوت الحموي من أن التحكيم حدث في أذرح، واستدل على ذلك ببعض

---

(١) «أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين» ص (١٧٧).

(٢) دومة الجندل: غرب مدينة الجوف في شمال الجزيرة العربية.

(٣) أذرح: اسم بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة من نواحي البلقاء.

(٤) «تاريخ خليفة» ص (١٩١، ١٩٢).

(٥) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٢٦٧).

روايات لم يبينها وبالأشعار وبخاصة بشعر ذي الرمة[١] في مدح بلال بن أبي بردة[٢] وهو قوله:

أبوك تلافى الدينَ والناسَ بعدَمَا
تَشَاءوا وَبَيْتُ الدينِ مُنْقَلَعُ الكَسْرِ
فَشَدَّ إِصَارَ الدِّينِ أَيَّام أَذْرَح
وَرَدَّ حُرُوبًا قَدْ لَقحن إلى عُقْرِ[٣]

١٢ - هل حضر سعد بن أبي وقاص اجتماع الحكمين؟:

اجتمع الحكمان في موعدهما المحدد، ومع كل واحد منهما بضع مئات يمثلون وفدين، وفد عن أهل العراق، والآخر يمثل أهل الشام، وطلب الحكمان من عدد من أعيان قريش وفضلائهم الحضور لمشاورتهم والاستئناس برأيهم، ولم يحضر الاجتماع عدد من كبار الصحابة كانوا قد اعتزلوا القتال منذ بدايته، وأفضل هؤلاء: سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، فإنه لم يحضر التحكيم ولا أراد ذلك ولا همَّ به[٤]، فعن عامر بن سعد أن أخاه عُمَر انطلق إلى سعد في غنم له خارجًا من المدينة، فلمَّا أتاه قال: يا أبتِ، أرضيت أن تكون أعرابيًّا في غنمك والناس يتنازعون في الملك بالمدينة؟ فضرب سعد صدر عمر وقال: اسكت فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي**»[٥].

خامسًا: هل يمكن الاستفادة من حادثة التحكيم في فض النزاعات بين الدول الإسلامية؟:

يمكن الاستفادة من حادثة التحكيم في فض النزاعات بين الدول الإسلامية،

---

(١) ذي الرمة: غيلان بن عقبة توفي ١١٧ هـ «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٢٦٧).
(٢) بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري، «تهذيب تاريخ دمشق» (٣/ ٣٢١).
(٣) «ديوان ذي الرّمة» ص (٣٦١ - ٣٦٢) نقلاً عن: «خلافة علي» ص (٢٧٢).
(٤) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٢٧٢).
(٥) «المسند» (١/ ١٦٨) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح(٣/ ٢٦)، و«خلافة علي بن أبي طالب»، للسُّلمي ص(١٠٧).

وذلك بتحمل قادة البلاد الإسلامية جميعًا مسؤولياتهم، ومن ورائهم الأمّة الإسلامية التي يحكمونها في الضغط الجاد الصادق، على الطرفين المتنازعين؛ لكي يوقفا بينهما القتال، ويلجأ إلى التحكيم الشرعي في الإسلام، فيرسل هذا الطرف حكمًا من قبله، وذلك حكمًا آخر من قبله أيضًا؛ للفصل في النزاع القائم وذلك على ضوء ما يلي:

١- تحديد صلاحيات الحكمين في إصدار الأحكام التي لابُدّ منها لحل المشكلات التي هي سبب النزاع.

٢- جعل مصادر التشريع الإسلامي هي المرجع الوحيد لإصدار تلك الأحكام، والحلول التي تفصل في مسائل النزاع.

٣- أخذ العهد على كل طرف من طرفي النزاع، وأخذ العهد على جميع قادة البلاد الإسلامية بقبول ما يصدره الحكمان من أحكام، وحلول مشروعة لإنهاء النزاع الرّاهن، على أنها واجبة التنفيذ بحكم الإسلام، وأن الخروج عليها، أو الرضى بذلك الخروج يترتب عليه الإثم شرعًا.

٤- إذا أصدر الحكمان ما اتَّفَقَا عليه من أحكام، وحلول، وانقاد لها الطرفان المتنازعان؛ قُضي الأمر، وكفى الله المؤمنين القتال.

٥- إذا رفض أحد الطَّرفين، أو كلاهما الانقياد لقضاء الحكمين؛ اعتبر الطرف الرافض هو الطرف الباغي، سواء صدر الرفض من أحدهما، أو من كليهما، ووجب شرْعًا على القوات الإسلامية في الأقطار الأخرى، أن تضع نفسها تحت تصرُّف ما يصدره الحكمان من قرارات عسكرية، من أجل التدخل لحسم النزاع بالقوة، على وجه لا تترتب عليه أضرار ومخاطر هي أكبر من ضرر النزاع القائم.

٦- ويكون من صلاحيّات الحكمين بالاتِّفاق إصدار القرارات التي تخص كيفية تحريك القوات المسلحة في الأقطار الإسلامية الأخرى، من أجل حل

النزاع القائم على ضوء ما سلف بيانه[1]، ولعلّ اللجوء إلى مثل هذه الطريقة في حل المنازعات بين الأقطار، كفيل بسد الطريق على أيّة قوة خارجية تتدخل في نزاعات المسلمين، بحجة أنَّ بعض أطراف النّزاع دعاها إلى هذا التدخل، . . ومن ثم تستغل هذه الفرصة؛ لكي تتآمر على المسلمين، فتعمل على تصعيد تلك النزاعات، وفرض الحلَّ الذي يَحلو لها، ويكون فيه مصلحتها فقط، وليعان المسلمون بعدئذ من آثار ذلك الحل أسوأ ممّا كانوا يُعَانُون من فتنة النِّزَاع نفسها، فهذه المعاناة لا تهمها في شيء، لا، بل إنّ هذه المعاناة هي من جملة الاهتمامات التي فرضت من أجل تفجيرها ذلك الحَل المشؤُوم؛ قلنا: لعل اللُّجوء إلى التحكيم، على نحو ما سلف بيانه، يسد الطريق في وجه تلك القوى الخارجيَّة التي تبغي في صفوف المسلمين الفساد، هذا وإن الصفة الإلزامية شرعًا للحل عن طريق التحكيم- الذي عرضناه - تستند إلى إجماع الصحابة، فقد أجمع الصحابة كلهم في عهد النزَاع الذي نشب بين علي ومعاوية ﵄ على اللجُوء إلى التحكيم، والقبول به. . سواء في ذلك الصحابة الذين كانوا مع علي، والصحابة الذين كانوا مع معاوية، والصحابة الذين اعتزلوا الفريقين؛ كسعد بن أبي وقاص، وابن عمر، وغيرهما ﵃ أجمعين[2].

سادسًا: موقف أهل السنة من تلك الحروب:

إن موقف أهل السنة والجماعة من الحرب التي وقعت بين الصحابة الكرام ﵃ ، هو الإمساك عما شجر بينهم إلا فيما يليق بهم ﵃ ؛ لما يسببه الخوض في ذلك من توليد العداوة والحقد والبغض لأحد الطرفين وقالوا: إنه يجب على كل مسلم أن يحب الجميع ويترضى عنهم ويترحم عليهم ويحفظ لهم فضائلهم، ويعترف لهم بسوابقهم، وينشر مناقبهم، وإن الذي حصل بينهم إنما كان عن اجتهاد ،والجميع مثابون في حالتي الصواب والخطأ، غير أن ثواب المصيب ضعف ثواب المخطئ في اجتهاده، وإن القاتل والمقتول من الصحابة في

(١، ٢) «الجهاد والقتال في السياسة الشرعية» (٣/ ١٦٦٥).

الجنة، ولم يجوز أهل السنة والجماعة الخوض فيما شجر بينهم، وقبل أن أذكر طائفة من أقوال أهل السنة التي تبين موقفهم فيما شجر بين الصحابة، أذكر بعض النصوص التي فيها الإشارة إلى ما وقع بين الصحابة من الاقتتال وبما وصفوا به فيها وتلك النصوص هي[1] :

١- قال تعالى: **﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾** [الحجرات:٩].

ففي هذه الآية أمر الله تعالى بالإصلاح بين المؤمنين إذا ما جرى بينهم قتال؛ لأنهم إخوة وهذا الاقتتال لا يخرجهم عن وصف الإيمان، حيث سماهم الله - عز وجل - مؤمنين وأمر بالإصلاح بينهم، وإذا كان حصل اقتتال بين عموم المؤمنين ولم يخرجهم ذلك من الإيمان، فأصحاب رسول الله ﷺ الذين اقتتلوا في موقعة الجمل وبعدها أول من يدخل في اسم الإيمان الذي ذكر في هذه الآية، فهم لا يزالون عند ربهم مؤمنين إيمانًا حقيقيًّا ولم يؤثر ما حصل بينهم من شجار في إيمانهم بحال؛ لأنه كان عن اجتهاد[2].

٢ - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق**»[3].

والفرقة المشار إليها في الحديث هي ما كان من الاختلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وقد وصف ﷺ الطائفتين معًا بأنهما مسلمتان وأنهما متعلقتان بالحق، والحديث علم من أعلام النبوة: إذ وقع الأمر طبق ما أخبر به ﷺ، وفيه الحكم بإسلام الطائفتين: أهل الشام وأهل العراق، لا كما يزعمه فرقة الرافضة والجهلة الطغام من تكفيرهم أهل الشام، وفيه أن أصحاب علي أدنى الطائفتين

---

(١) «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام» (٢/ ٧٢٧)، و«تنزيه خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان من الظلم والفسق في مطالبته بدم أمير المؤمنين عثمان» ص (٤١).

(٢) «العواصم من القواصم »ص (١٦٩ - ١٧٠)، و«أحكام القرآن» (٤/ ١٧١٧).

(٣) «مسلم» (٢/ ٧٤٥).

إلى الحق، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، أن عليًّا هو المصيب وإن كان معاوية مجتهدًا وهو مأجور إن شاء الله، ولكن علي هو الإمام فله أجران كما ثبت في صحيح البخاري: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر**»(١).

٣ - وعن أبي بكرة قال: بينما النبي ﷺ يخطب جاء الحسن فقال النبي ﷺ : «**ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**»(٢) .

ففي هذا الحديث: شهادة النبي ﷺ بإسلام الطائفتين أهل العراق وأهل الشام والحديث فيه رد واضح على الخوارج الذين كفروا عليًّا ومن معه ومعاوية ومن معه، بما تضمنه الحديث من الشهادة للجميع بالإسلام، ولذا كان يقول سفيان ابن عيينة: قوله: «**فئتين من المسلمين**» يعجبنا جدًّا. قال البيهقي: وإنما أعجبهم لأن النبي ﷺ سماهم جميعًا مسلمين، وهذا خبر من رسول الله ﷺ بما كان من الحسن بن علي بعد وفاة علي في تسليمه الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان(٣).

فهذه الأحاديث المتقدم ذكرها: فيها الإشارة إلى أهل العراق الذين كانوا مع علي وإلى أهل الشام الذين كانوا مع معاوية بن أبي سفيان، وقد وصفهم النبي ﷺ بأنهم من أمته(٤).

كما وصفهم بأنهم جميعًا متعلقون بالحق لم يخرجوا عنه، كما شهد لهم ﷺ بأنهم مستمرون على الإيمان، ولم يخرجوا عنه بسبب القتال الذي حصل بينهم وقد دخلوا تحت عموم قوله تعالى: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا**﴾ [الحجرات: ٩].

وقد قدمنا أن مدلول الآية يتضمنهم رضي الله عنهم ، فلم يكفروا ولم يفسقوا بقتالهم بل

---

(١) «البخاري» مع شرحه في «فتح الباري» (١٣/٣١٨).

(٢) «البخاري»، كتاب الفتن رقم (٧١٠٩) .

(٣) «الاعتقاد» للبيهقي ص (١٩٨)، و«فتح الباري» (١٣/٦٦).

(٤) في «صحيح مسلم »رقم (١٠٦٥) «**تكون في أمتي فرقتان**» .

هم مجتهدون متأولون، وقد بين الحكم في قتالهم ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما مر معنا. فالواجب على المسلم أن يسلك في اعتقاده فيما حصل بين الصحابة الكرام رضي الله عنهم مسلك الفرقة الناجية من أهل السنة والجماعة، وهو الإمساك عما حصل بينهم رضي الله عنهم ولا يخوض فيه إلا بما هو لائق بمقامهم، وكتب أهل السنة مملوءة ببيان عقيدتهم الصافية النقية في حق أولئك الصفوة المختارة، وقد حددوا موقفهم من تلك الحرب التي وقعت بينهم في أقوالهم الحسنة التي منها[١]:

١ - سئل عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى عن القتال الذي حصل بين الصحابة فقال: تلك دماء طهر الله يدي منها أفلا أطهر بها لساني، مثل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل العيون، ودواء العيون ترك مسها[٢]. قال البيهقي معلقًا على قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: هذا حسن جميل لأن سكوت الرجل عما لا يعنيه هو الصواب[٣].

٢ - سئل الحسن البصري رحمه الله تعالى عن قتال الصحابة فيما بينهم فقال: قتال شهده أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وغبنا، وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فوقفنا[٤].

ومعنى قول الحسن هذا: إن الصحابة كانوا أعلم بما دخلوا فيه منا، وما علينا إلا أن نتبعهم فيما اجتمعوا عليه، ونقف عمَّا اختلفوا فيه ولا نبتدع رأيا منا، ونعلم أنهم اجتهدوا وأرادوا الله - عز وجل- إذ كانوا غير متهمين في الدين[٥].

٣ - سئل جعفر بن محمد الصادق عما وقع بين الصحابة فأجاب بقوله: أقول ما قال الله: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى﴾[٦] [طه: ٥٢].

قال الإمام أحمد رحمه الله بعد أن قيل له: ما تقول فيما كان بين علي

---

(١) «عقيدة أهل السنة في الصحابة» (٢/ ٧٤٦).

(٢) «الإنصاف» للباقلاني ص(٦٩)، و«الطبقات» (٥/ ٣٩٤).

(٣) «مناقب الشافعي» ص (١٣٦).

(٤، ٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٦/ ٣٣٢).

(٦) «الإنصاف» للباقلاني ص(٦٩).

ومعاوية؟ قال: ما أقول فيهم إلا الحسنى[1]، وعن إبراهيم بن آرز الفقيه قال: حضر أحمد بن حنبل وسأله رجل عما جرى بين علي ومعاوية؟ فأعرض عنه فقيل له: يا أبا عبد الله هو رجل من بني هاشم فأقبل عليه فقال: اقرأ: ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [البقرة: ١٣٤].

٤ - وقال ابن أبي زيد القيرواني في صدد عرضه لما يجب أن يعتقده المسلم في أصحاب رسول الله ﷺ، وما ينبغي أن يذكروا به فقال: وألاَّ يذكر أحد من صحابة الرسول إلا بأحسن ذكر، والإمساك عما شجر بينهم وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب[2].

٥ - وقال أبو عبد الله بن بطة أثناء عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة: ومن بعد ذلك نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، فقد شهدوا المشاهد معه وسبقوا الناس بالفضل فقد غفر الله لهم وأمرك بالاستغفار لهم، والتقرب إليه بمحبتهم وفرض ذلك على لسان نبيه وهو يعلم ما سيكون منهم وأنهم سيقتتلون، وإنما فضلوا على سائر الخلق؛ لأن الخطأ والعمد وضع عنهم وكل ما شجر بينهم مغفور لهم[3].

٦ - قال أبو بكر بن الطيب الباقلاني رحمه الله: ويجب أن يعلم: أن ما جرى بين أصحاب النبي ﷺ -ورضي عنهم - من المشاجرة نكف عنه، ونترحم على الجميع ونثني عليهم ونسأل الله تعالى لهم الرضوان والأمان والفوز والجنان، ونعتقد أن عليًّا رضي الله عنه أصاب فيما فعل وله أجران، وأن الصحابة رضي الله عنهم ما صدر منهم كان باجتهاد فلهم الأجر ولا يفسقون ولا يبدعون، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾ [الفتح: ١٨].

وقوله ﷺ: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر**»

(١) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي ص (١٦٤).
(٢) «رسالته المشهورة مع شرحها الثمر الداني» ص(٢٣).
(٣) «الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة» ص(٢٦٨).

فإذا كان الحاكم في وقتنا له أجران على اجتهاده، فما ظنك باجتهاد من رضي الله عنهم ورضوا عنه؟ ويدل على صحة هذا القول: قوله ﷺ للحسن رضي الله عنه: «**إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[1]، فأثبت العظمة لكل واحدة من الطائفتين وحكم لهما بصحة الإسلام، وقد وعد الله هؤلاء القوم بنزع الغل من صدورهم بقوله تعالى: ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ**﴾ [الحجر:٤٧]... إلى أن قال: ويجب الكف عمّا شجر بينهم والسكوت عنه[2].

٧ - وقال ابن تيمية في صدد عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة فيما شجر بين الصحابة: ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو زيد فيه ونقص وغيّر عن وجه، والصحيح منه هم فيه معذورون إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون[3].

٨ - وقال ابن كثير: أما ما شجر بينهم بعده ﷺ: فمنه ما وقع من غير قصد كيوم الجمل، ومنه ما كان عن اجتهاد كيوم صفين والاجتهاد يخطئ، ولكن صاحبه معذور وإن أخطأ ومأجور أيضًا، وأما المصيب فله أجران[4].

٩ - وقال ابن حجر: واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك، ولو عرف المحق منهم لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد، بل ثبت أنه يؤجر أجرًا واحدًا، وأن المصيب يؤجر أجرين[5].

فأهل السنة مجمعون على وجوب السكوت عن الخوض في الفتن، التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم بعد قتل عثمان، والترحم عليهم وحفظ فضائل الصحابة والاعتراف لهم بسوابقهم ونشر محاسنهم رضي الله عنهم وأرضاهم[6].

---

(١) «البخاري». كتاب الفتن رقم (٧١٠٩).

(٢، ٣) «الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به» ص (٦٧ - ٦٩).

(٤) «الباعث الحثيث» ص (١٨٢). (٥) «فتح الباري» (١٣/ ٣٤). (٦) «عقيدة أهل السنة» (٢/ ٧٤٠).

سابعًا: التحذير من بعض الكتب التي شوهت تاريخ الصحابة:

١ - الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة:

من الكتب التي شوهت تاريخ صدر الإسلام: كتاب «الإمامة والسياسة» المنسوب لابن قتيبة، ولقد ساق الدكتور عبد الله عسيلان في كتابه «الإمامة والسياسة في ميزان التحقيق العلمي»، مجموعة من الأدلة تبرهن على أن الكتاب المذكور منسوب إلى الإمام ابن قتيبة كذبًا وزورًا ومن هذه الأدلة:

- إن الذين ترجموا لابن قتيبة لم يذكر واحد منهم أنه ألف كتابًا في التاريخ يدعى «الإمامة والسياسة»، ولا نعرف من مؤلفاته التاريخية إلا كتاب « المعارف».

- إن المتصفح للكتاب يشعر أن ابن قتيبة أقام في دمشق والمغرب في حين أنه لم يخرج من بغداد إلاّ إلى الدينور.

- إن المنهج والأسلوب الذي سار عليه المؤلف «الإمامة والسياسية»، يختلف تمامًا عن منهج وأسلوب ابن قتيبة في كتبه التي بين أيدينا، فإنَّ منهج ابن قتيبة أن يقدم لمؤلفاته بمقدمات طويلة يبين فيها منهجه والغرض من مؤلفه، وعلى خلاف ذلك يسير صاحب «الإمامة والسياسة» فمقدمته قصيرة جدًّا لا تزيد على ثلاثة أسطر، هذا إلى جانب الاختلاف في الأسلوب، ومثل هذا النهج لم نعهده في مؤلفات ابن قتيبة.

- يروي مؤلف الكتاب عن أبي ليلى بشكل يشعر بالتلقي عنه، وابن أبي ليلى هذا هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه: قاضي الكوفة، توفي سنة ١٤٨هـ والمعروف أن ابن قتيبة لم يولد إلا سنة ٢١٣هـ أي بعد وفاة ابن أبي ليلى بخمسة وستين عامًا.

- إن الرواة والشيوخ الذين يروي عنهم ابن قتيبة عادة في كتبه، لم يرد لهم ذكر في أي موضع من مواضع الكتاب.

- إن قسمًا كبيرًا من رواياته جاءت بصيغة التمريض، فكثيرًا ما يجيء فيه: ذكروا عن بعض المصريين، وذكروا عن محمد بن سليمان عن مشايخ أهل مصر، وحدثنا بعض مشايخ أهل المغرب، وذكروا عن بعض المشيخة، وحدثنا بعض المشيخة. ومثل هذه التراكيب بعيدة كل البعد عن أسلوب وعبارات ابن قتيبة، ولم ترد في كتاب من كتبه.

- إن مؤلف «الإمامة والسياسة» يروي عن اثنين من كبار علماء مصر، وابن قتيبة لم يدخل مصر ولا أخذ عن هذين العالمين[١].

- ابن قتيبة يحتل منزلة عالية لدى العلماء فهو عندهم من أهل السنة، وثقة في علمه ودينه، يقول السِّلفي: كان ابن قتيبة من الثقات ومن أهل السنَّة، ويقول عنه ابن حزم: كان ثقة في دينه وعلمه، وتبعه في ذلك الخطيب البغدادي، ويقول عنه ابن تيمية: إن ابن قتيبة من المنتسبين إلى أحمد وإسحاق والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة[٢].

ورجل هذه منزلته لدى رجال العلم المحققين، هل من المعقول أن يكون هو مؤلف كتاب «الإمامة والسياسة»؟ الذي شوه التاريخ وألصق بالصحابة الكرام ما ليس فيهم[٣].

يقول الدكتور علي نفيع العلياني في كتابه «عقيدة الإمام ابن قتيبة عن كتاب الإمامة والسياسة»: وبعد قراءتي لكتاب الإمامة والسياسة قراءة فاحصة ترجح عندي أن مؤلف «الإمامة والسياسة» رافضي خبيث أراد إدماج هذا الكتاب في كتب ابن قتيبة؛ نظرًا لكثرتها ونظرًا لكونه معروفًا عند الناس بانتصاره لأهل الحديث، وقد يكون من رافضة المغرب، فإن ابن قتيبة له سمعة حسنة في المغرب[٤] ومما يرجِّح أن مؤلف «الإمامة والسياسة» من الروافض ما يلي:

---

(١) «عقيدة الإمام ابن قتيبة»، لعلي العلياني ص (٩٠).

(٢) «لسان الميزان» (٣/ ٣٥٧)، و«تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ١٤٤).

(٣) «تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ١٤٤).

(٤) «الفتاوى» لابن تيمية (١٧/ ٣٩١).

* إن مؤلف «الإمامة والسياسة» ذكر على لسان علي رضي الله عنه أنه قال للمهاجرين: الله الله يا معشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره، وقعر بيته إلى دوركم وقعر بيوتكم ولا تدفعوا أهله مقامه في الناس وحقه، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به؛ لأنا أهل البيت ونحن أحق بهذا الأمر منكم... والله إنه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله[١]، ولا أحد يرى أن الخلافة وراثية لأهل البيت إلا الشيعة.

* إن مؤلف «الإمامة والسياسة» قدح في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم قدحًا عظيمًا، فصور ابن عمر رضي الله عنه جبانًا وسعد بن أبي وقاص حسودًا وذكر محمد ابن مسلمة غضب على علي بن أبي طالب؛ لأنه قتل مرحبًا اليهودي بخيبر وإن عائشة رضي الله عنها أمرت بقتل عثمان،[٢] والقدح في الصحابة من أظهر خصائص الرافضة، وإن شاركهم الخوارج إلاَّ أن الخوارج لا يقدحون في عموم الصحابة[٣].

* إن مؤلف «الإمامة والسياسة» يذكر أن المختار بن أبي عبيد قتل من قبل مصعب ابن الزبير لكونه دعا إلى آل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يذكر خرافاته وادعائه للوحي[٤] والرافضة هم الذين يحبون المختار بن أبي عبيد؛ لكونه انتقم من قتلة الحسين مع العلم أن ابن قتيبة رحمه الله ذكر المختار من الخارجين على السلطان، وبيّن أنه كان يدّعي أن جبريل يأتيه[٥].

* إن مؤلف «الإمامة والسياسة» كتب عن خلافة الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان خمسًا وعشرين صفحة فقط، وكتب عن الفتنة التي وقعت بين الصحابة مائتين صفحة، فقام المؤلف باختصار التاريخ الناصع المشرق، وسوّد الصحائف بتاريخ زائف لم يثبت منه إلا القليل، وهذه من أخلاق الروافض المعهودة نعوذ بالله من الضلال والخذلان.

* يقول السيد محمود شكري الألوسي في مختصره للتحفة الاثنا عشرية:

---

(١) «الإمامة والسياسة» (١/ ١٢).
(٢) «الإمامة والسياسة» (١/ ٥٤ ، ٥٥).
(٣) «عقيدة الإمام ابن قتيبة» ص (٩١) للعلياني .
(٤) «الإمامة والسياسة» (٢/ ٢٠).
(٥) «المعارف» ص (٤٠١) .

ومن مكايدهم - يعني الرافضة - أنهم ينظرون في أسماء الرجال المعتبرين عند أهل السنة، فمن وجدوه موافقًا لأحد منهم في الاسم واللقب أسندوا رواية حديث ذلك الشيعي إليه، فمن لا وقوف له من أهل السنة يعتقد أنه إمام من أئمتهم، فيعتبر بقوله ويعتد بروايته كالسدي فإنهما رجلان أحدهما السدي الكبير والثاني السدي الصغير، فالكبير من ثقات أهل السنة والصغير من الوضاعين الكذابين وهو رافضي غال. وعبد الله بن قتيبة رافضي غال وعبدالله بن مسلم بن قتيبة من ثقات أهل السنة، وقد صنف كتابًا سماه بالمعارف فصنف ذلك الرافضي كتابًا سماه بالمعارف أيضًا قصدًا للإضلال[١]، وهذا مما يرجح أن كتاب «الإمامة والسياسة» لابن قتيبة الرافضي، وليس لابن قتيبة السني الثقة، وإنما خلط الناس بينهما لتشابه الأسماء[٢] ، والله أعلم.

٢ - نهج البلاغة:

ومن الكتب التي ساهمت في تشويه تاريخ الصحابة بالباطل: كتاب «نهج البلاغة»؛ فهذا الكتاب مطعون في سنده ومتنه، فقد جمع بعد أمير المؤمنين بثلاثة قرون ونصف بلا سند، وقد نسبت الشيعة تأليف «نهج البلاغة» إلى الشريف الرضي، وهو غير مقبول عند المحدثين لو أسند خصوصًا فيما يوافق بدعته، فكيف إذا لم يسند كما فعل في النهج؟ وأما المتهم - عند المحدثين - بوضع النهج فهو أخوه علي[٣]، فقد تحدث العلماء فيه فقالوا:

- قال ابن خلكان في ترجمة الشريف المرتضي: وقد اختلف الناس في كتاب «نهج البلاغة» المجموع من كلام الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه هل جمعه؟ أم جمعه أخوه الرضي؟. وقد قيل: إنه ليس من كلام عليّ، وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه، والله أعلم[٤].

- وقال الذهبي: من طالع «نهج البلاغة» جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين

(١) «مختصر التحفة الاثنا عشرية» للألوسي ص (٣٢).
(٢) «عقيدة الإمام ابن قتيبة» ص (٩٣).
(٣) «الأدب الإسلامي»، لنايف معروف ص (٥٣).
(٤) «الوفيات» (٣/ ١٢٤).

عليّ ﷺ، ففيه السبّ الصُّراح، والحط على السيدين أبي بكر وعمر ﷺ، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة، وبنفس غيرهم ممّن بعدهم من المتأخرين جزم بأنّ أكثره باطل[1].

- وقال ابن تيمية: وأهل العلم يعلمون أن أكثر خطب هذا الكتاب مفتراة على علي، ولهذا لا يوجد غالبها في كتاب متقدم ولا لها إسناد معروف[2].

- وأما ابن حجر، فيتهم الشريف المرتضي بوضعه، ويقول: ومن طالعه جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين عليّ... وأكثره باطل[3].

واستنادًا إلى هذه الأخبار وغيرها تناول عدد من الباحثين هذا الموضوع، فقالوا بعدم صحة نسبة هذا الكتاب إلى الإمام علي ﷺ[4].

ويمكن تلخيص أهمّ ما لاحظه القدامى والمحدثون على نهج البلاغة؛ للتشكيك بصحة نسبته للإمام عليّ بما يلي:

* خلوه من الأسانيد التوثيقية التي تعزز نسبة الكلام إلى صاحبه، متنًا ورواية وسندًا.

* كثرة الخطب وطولها؛ لأن هذه الكثرة وهذا التطويل ممّا يتعذر حفظه وضبطه قبل عصر التدوين.

- رصد العديد من الأقوال والخطب في مصادر وثيقة منسوبة لغير عليّ ﷺ، وصاحب النهج يثبتها له.

- اشتمال هذا الكتاب على أقوال تتناول الخلفاء الراشدين قبله بما لا يليق به ولا بهم، وتنافي ما عُرف عنه من توقيره لهم، ومن أمثلة ذلك ما جاء بخطبته المعروفة بـ «الشقشقية» التي يظهر فيها حرصه الشديد على الخلافة، رغم ما شُهر عنه من التقشّف والزهد.

---

(١) «ميزان الاعتدال» (٣/ ١٢٤).

(٢) «منهاج السنة» (٤/ ٢٤).

(٣) «لسان الميزان» (٤/ ٢٢٣).

(٤) «الأدب الإسلامي»، لنايف معروف ص (٥٣).

- شيوع السجع فيه؛ إذ رأى عـدد من الأدباء أن هذه الكثرة لا تتّفق مع البعد عن التكلّف الذي عُـرف به عـصر الإمـام عليّ ﷺ، مع أن الســجع العفـوي الجميل لم يكن بعيدًا عن روحه ومبناه.

- الكلام المنمق الذي تظهـر فيه الصناعـة الأدبية، التي هي من وَشْي العـصر العباسي وزخرفتـه، ما نجد في وصف الطاووس، والخفَّاش، والنحل، والنمل، والزرع والسحاب وأمثالها.

- الصيغ الفلسفية والمقـالات الكلامية التي وردت في ثناياه، والتي لم تُعرف عند المسلمين إلا في الـقرن الثـالث الهـجري، حين تُـرجمت الكتب الـيونانيـة والفارسـية والهنديـة، وهي أشبه مـا تكون بكلام المناطقـه والمتكلمين منه بكلام الصحابة والراشدين ﷺ[1].

إن هذا الكتـاب يجب الحذر منه في الحـديث عن الصـحابة، ومـا وقع بينهم وبين أمير المؤمنين علي، وتعرض نصوصـه على الكتاب والسنة فما وافق الكتاب والسنة؛ فلا مانع من الاستئناس به وما خالف فلا يلتفت إليه.

٣ - كتاب الأغاني للأصفهاني:

يعتبر كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصـفهاني، كتاب أدب وسمر وغناء، وليس كتـاب علم وتاريخ وفـقه، وله طنين ورنين في آذان أهل الأدب والتـاريخ، فليس معنى ذلك أن يُسكت عما ورد فيه من الشعوبية والدس، والكذب الفاضح والطعن والمعايب، وقد قـام الشاعر العراقي والأسـتاذ الكريم وليد الأعظمي بتألـيف كتابه القيم الذي سمّاه: «السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني» فقد شمّر - جزاه الله خـيرًا - عن ساعد الجـد؛ ليميـز الهزل من الجد، والسم من الشـهد، ويكشف ما احتـواه الكتاب من الأكاذيب ونيران الشعوبيـة والحقد، وهي تغلي في الصدور، كغلي القدور، وأخـذ يرد على ترهات الأصفهاني فيما جمـعه من أخبار وحكايات مكذوبة، وغـير موثـقة تسيء إلى آل البـيت النبوي الشـريف، وتجرح

(١) «الأدب الإسلامي» ص (٥٤، ٥٥).

سيرتهم، وتشوه سلوكهم، كما تناول مزاعم الأصفهاني تجاه معاوية بن أبي سفيان والخلفاء الراشدين الأمويين بما هو مكذوب ومدسوس عليهم من الروايات، وتناول الأستاذ الكريم والشاعر الإسلامي القدير وليد الأعظمي في كتابه القيم، الحكايات المتفرقة التي تضمنها الكتاب والتي تطعن في العقيدة الإسلامية والدين الإسلامي، وتفضل الجاهلية على الإسلام وغيرها من الأباطيل[1].

ولقد تحدث العلماء فيه قديمًا فقالوا:

- قال الخطيب البغدادي: كان أبو الفرج الأصفهاني أكذب الناس، كان يشتري شيئًا كثيرًا من الصحف، ثم تكون كل رواياته منها[2].

- قال ابن الجوزي: . . .ومثله لا يوثق بروايته، يصح في كتبه بما يوجب عليه الفسق، ويهوّن شرب الخمر وربما حكى ذلك عن نفسه، ومن تأمَّل كتاب الأغاني، رأى كل قبيح ومنكر[3] . قال الذهبي: رأيت شيخنا تقيّ الدين ابن تيميّة يضعفه، ويتهمه في نقله، ويستهْول ما يأتي به[4].

٤ - تاريخ اليعقوبي: ت ٢٩٠ هـ:

هو أحمد بن أبي يعقوب بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح العباسي، من أهل بغداد مؤرخ شيعي إمامي كان يعمل في كتابة الدواوين في الدولة العباسية، حتى لقب بالكاتب العباسي، وقد عرض اليعقوبي تاريخ الدولة الإسلامية من وجهة نظر الشيعة الإمامية فهو لا يعترف بالخلافة إلا لعلي ابن أبي طالب وأبنائه، حسب تسلسل الأئمة عند الشيعة ويسمي علي بالوصي، وعندما أرخ لخلافة أبي بكر وعمر وعثمان لم يُضْفِ عليهم لقب الخلافة وإنما قال: تولى الأمر فلان. ثم لم يترك واحدًا منهم دون أن يطعن فيه، وكذلك كبار

---

(١) «السيف اليماني في نحر الأصفهاني» للأعظمي ص (٩ - ١٤) .
(٢) «تاريخ بغداد» (١١/ ٣٩٨).
(٣) «المنتظم» (٧/ ٤٠، ٤١).
(٤) «ميزان الاعتدال» (٣/ ١٢٣).

الصحابة فقد ذكر عن عائشة رضي الله عنها أخبارًا[١] سيئة وكذلك عن خالد ابن الوليد[٢]، وعمرو بن العاص[٣]، ومعاوية بن أبي سفيان[٤] وعرض خبر السقيفة عرضًا مشينًا[٥]، ادعى فيه أنه قد حصلت مؤامرة على سلب الخلافة من علي بن أبي طالب الذي هو الوصي في نظره، وطريقته في سياق الاتهامات - الباطلة - هي طريقة قومه من أهل التشيع والرفض وهي إما اختلاق الخبر بالكلية[٦]، أو التزيد في الخبر[٧]، والإضافة عليه أو عرضه في غير سياقه ومحله حتى يتحرف معناه، ومن الملاحظ أنه عندما ذكر الخلفاء الأمويين وصفهم بالملوك وعندما ذكر خلفاء بني العباس وصفهم بالخلفاء، كما وصف دولتهم في كتابه «البلدان» باسم الدولة المباركة،[٨] مما يعكس نفاقه وتستره وراء شعار التقية، وهذا الكتاب يمثل الانحراف والتشويه الحاصل في كتابه «التاريخ الإسلامي» وهو مرجع لكثير من المستشرقين والمستغربين الذين طعنوا في التاريخ الإسلامي وسيرة رجاله، مع أنه لا قيمة له من الناحية العلمية؛ إذ يغلب على القسم الأول القصص والأساطير والخرافات، والقسم الثاني كتب من زاوية نظر حزبية، كما أنه يفتقد من الناحية المنهجية لأبسط قواعد التوثيق العلمي[٩].

٥ - المسعودي: ت: ٣٤٥هـ: كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر:

هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، من ولد عبد الله بن مسعود رضي الله عنه[١٠] وقيل: إنه كان رجلاً من أهل المغرب[١١]، ولكن يُرد عليه بأن المسعودي صرح بنفسه أنه من أهل العراق، وأنه انتقل إلى ديار مصر للسكن فيها،[١٢] وإن قصد ببلاد المغرب عكس المشرق بمصر من بلاد المغرب الإسلامي

---

(١) «تاريخ اليعقوبي» (٢/ ١٨٠ - ١٨٣).
(٢) المصدر نفسه (٢/ ١٣١).
(٣) المصدر نفسه (٢/ ٢٢٢).
(٤) المصدر نفسه (٢/ ٢٣٢- ٢٣٨).
(٥) المصدر نفسه (٢/ ١٢٣، ١٢٦).
(٦) «منهج كتابة التاريخ الإسلامي» ص (٤٣١) .
(٧) المصدر نفسه (ص ٤٣١) .
(٨) «البلدان» لليعقوبي ص (٤٣٢) .
(٩) «منهج كتابة التاريخ الإسلامي» ص (٤٣٢) .
(١٠) «الفهرست» لابن النديم ص (١٧١)، و«سير أعلام النبلاء» .
(١١) «الفهرست» ص (١١٧) .
(١٢) «معجم الأدباء» (١٣/ ٩١-٩٣).

فلا إشكال[١]، والمسعودي رجل شيعي، فقد قال فيه ابن حجر: كتبه طافحة بأنه كان شيعيًّا معتزليًّا[٢]، وقد ذكر أن الوصية جارية من عهد آدم تنتقل من قرن إلى قرن حتى رسولنا ﷺ، ثم أشار إلى اختلاف الناس بعد ذلك في النص والاختيار، فقد رأى رأي الشيعة الإمامية الذين يقولون بالنص[٣]، وقد أولى الأحداث المتعلقة بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في كتابه «مروج الذهب» اهتمامًا كبيرًا أكثر من اهتمامه بحياة الرسول ﷺ في الكتاب المذكور،[٤] وركز اهتمامه بالبيت العلوي وتتبع أخبارهم بشكل واضح في كتابه «مروج الذهب»[٥]، وعمل بدون حياء ولا خجل على تشويه تاريخ صدر الإسلام.

هذه بعض الكتب القديمة التي نحذر منها والتي كان لها أثر في كتابات بعض المعاصرين، كطه حسين في «الفتنة الكبرى، علي وبنوه»، والعقاد في «عبقرياته»، فقد تورطا في الروايات الموضوعة والضعيفة وقامت تحليلاتهم عليها وبالتالي لم يحالفهم الصواب، ووقعوا في أخطاء شنيعة في حق الصحابة رضي الله عنهم، وكذلك عبد الوهاب النجار في كتابه «الخلفاء الراشدون» حيث نقل نصوصًا من روايات الرافضة من كتاب «الإمامة والسياسة»، وحسن إبراهيم حسن في كتابه «عمرو بن العاص» حيث قرّر من خلال الروايات الرافضية الموضوعة: بأن عمرو ابن العاص رجل مصالح ومطامع ولا يدخل في شيء من الأمور إلا إذا رأى أن فيه مصلحة ومنفعة له في الدنيا[٦]، وغير ذلك من الباحثين الذين ساروا على نفس المنوال، فدخلوا في الأنفاق المظلمة؛ بسبب بعدهم عن منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الركام الهائل من الروايات التاريخية.

ثامنًا: الاستشراق والتاريخ الإسلامي:

إن من أعظم الفرق أثرًا في تحريف التاريخ الإسلامي، الشيعة الرافضة

---

(١) «منهج المسعودي في كتابة التاريخ» ص (٤٤)، و«أثر التشيع» ص (٢٤٣).

(٢) «لسان الميزان» (٤/ ٢٢٥)، و«أثر التشيع» ص (٢٤٦).

(٣) «مروج الذهب ومعادن الجوهر» (١/ ٣٨).

(٤، ٥) «أثر التشيع على الروايات التاريخية» ص (٢٤٨).

(٦) « تاريخ عمرو بن العاص»، لحسن إبراهيم ص (٢٠٦، ٢٠٧).

بمختلف طوائفها وفرقها، فهم من أقدم الفرق ظهورًا ولهم تنظيم سياسي وتصور عقائدي، ومنهج فكري - منحرف - وهم أكثر الطوائف كذبًا على خصومهم، كما أنهم من أشد الناس خصومة للصحابة - كما سيأتي معنا - فسب الصحابة وتكفيرهم من أساسيات معتقدهم وأركانه خاصة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويسمونهما الجبت والطاغوت[١]، وقد كان للشيعة أكبر عدد من الرواة والإخباريين الذين تولوا نشر أكاذيبهم ومفترياتهم، وتدوينها في كتب ورسائل عن أحداث التاريخ الإسلامي، خاصة الأحداث الداخلية، كما كان للشعوبية والعصبية أثر في وضع الأخبار التاريخية، والحكايات والقصص الرامية إلى تشويه التاريخ الإسلامي، وإلى إعلاء طائفة على طائفة أو أهل بلد على آخر، أو جنس على جنس، وإبعاد الميزان الشرعي في التفاضل وهو ميزان التقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

كما أن الفرق المنحرفة قد استغلت وضع القصاص وانتشارهم، وجهل معظمهم وقلة علمهم بالسنة، وانحراف طائفة منهم تبتغي العيش والكسب، فنشروا بينهم أكاذيبهم وحكاياتهم وقصصهم الموضوعة، فتلقفها هؤلاء القصاص دون وعي وإدراك ونشروها بين العامة، لقد انتشر عن طريقهم مئات الأحاديث المكذوبة على الصحابة والتابعين وعلماء الإسلام، مما يسيء لهم ويشوه تاريخهم وسيرتهم، وقد كان من فضل الله وتوفيقه أن قيض مجموعة من العلماء النقاد الذين قاموا بجهد في نقد الرواة والمرويات، فبينوا الزائف من الصحيح، ودافعوا عن عقيدة الأمة وتاريخها، وجهد علماء السنة في بيان الأحاديث المكذوبة بالنص عليها، وبيان الرواة الضعاف والمتهمين وأصحاب الأهواء وفي رسم المنهج في نقد الروايات وقبولها، جهدًا كبيرًا وموفقًا، ومن أبرز من تصدى لإيضاح المغالطات التاريخية ورد زيوف الروايات المكذوبة: القاضي ابن العربي في كتاب «العواصم من القواصم»، والإمام ابن تيمية في كثير من كتبه ورسائله، خاصة

(١) «الشيعة والسنة» ص (٣٢) لإحسان إلهي ظهير

كتابه القيم «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية»، وكذا الحافظ الناقد الذهبي في كثير من مؤلفاته التاريخية مثل كتاب «سير أعلام النبلاء»، و«تاريخ الإسلام»، و«ميزان الاعتدال في نقد الرجال»، وكذلك الحافظ ابن كثير المفسر المؤرخ في كتابه «البداية والنهاية»، وأيضًا الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، و«لسان الميزان»، و«تهذيب التهذيب» و«الإصابة في معرفة الصحابة».

أما الوسائل التي استخدمت لغرض تحريف الوقائع التاريخية وتشويه سير رجال الصدر الأول من الصحابة والتابعين فهي كثيرة ونذكر منها:

* الاختلاف والكذب.

* الإتيان بخبر أو حادثة صحيحة فيزيدون فيها وينقصون منها، حتى تتشوه وتخرج عن أصلها.

* وضع الخبر في غير سياقه حتى ينحرف عن معناه ومقصده، والتأويل والتفسير الباطل للأحداث.

* إبراز المثالب والأخطاء وإخفاء الحقائق والصور المستقيمة.

* صناعة الأشعار وانتحالها لتأييد حوادث تاريخية مدعاة؛ لأن الشعر العربي ينظر له كوثيقة تاريخية ومستند يساعد في توثيق الخبر وتأييده.

* وضع الكتب والرسائل المكذوبة ونحلها لعلماء وشخصيات مشهورة، كما وضعت الرافضة كتاب «الإمامة والسياسة» الذي نحلوه لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري؛ لشهرته عند أهل السنة وثقتهم به - كما مرّ معنا.

وقد تلقف هذه الأكاذيب والتحريفات في القرن الماضي علماء الغرب؛ وكتابه من المستشرقين والمُنَصِّرين - إبان غزوهم واستعمارهم للبلدان الإسلامية - فوجدوا فيها ضالتهم، وأخذوا يعملون على إبرازها والتركيز عليها مع ما زادوه من عندهم - بدافع من عصبيتهم وكرههم للمسلمين - من الكذب مثل اختراع حوادث لا أصل لها، أو التفسير المغرض للحوادث التاريخية بقصد التشويه

التفسير الخاطئ تبعًا للتصور، والاعتقاد الذي يدينون به، ثم شايع هؤلاء طائفة غير قليلة العدد من تلاميذ المستشرقين في البلاد العربية والإسلامية، وأخذوا طرائقهم ومناهجهم في البحث، وأفكارهم وتصوراتهم في الفهم والتحليل وتفسير التاريخ، وحملوا الراية بعد رحيلهم عن بلاد المسلمين، وكان ضررهم أشد وأنكى من ضرر أساتذتهم المستشرقين، ومن ضرر أسلافهم السابقين من فرق البدع والضلال؛ وذلك أنهم ادّعوا - كأساتذتهم - اتباع الروح العلمية المتجردة والمنهج العلمي في البحث، والحقيقة أن غالبهم لم يتجرد إلا من عقيدته، أما التجرد بمعنى الإخلاص للحق وسلوك المنهج العلمي السليم في إثبات الوقائع التاريخية- كالمقارنة بين الروايات، ومعرفة قيمة المصادر التي يرجعون إليها، ومدى أمانة الناقلين، وضبطهم لما نقلوا، وقياس الأخبار واعتبارهم بأحوال العمران البشري وطبائعه[١]- فلا أثر له عند القوم، قلما يتقنوا من المنهج العلمي إلا الأمور الشكلية مثل: الحواشي وترتيب المراجع وما شابهها وربما كان هذا هو مفهوم المنهج العلمي عندهم[٢]، يقول محب الدين الخطيب: إن الذين تثقفوا بثقافة أجنبية عنًا قد غلب عليهم الوهم بأنهم غرباء عن هذا الماضي، وأن موقفهم من رجاله كموقف وكلاء نيابة من المتهمين، بل لقد أوغل بعضهم في الحرص على الظهور أمام الأغيار، بمظهر المتجرد عن كل آصرة بماضي العروبة والإسلام جريًا وراء المستشرقين في ارتيابهم، حيث تحسن الطمأنينة وميلهم مع الهوى عندما يدعوهم الحق إلى التثبت، وفي إنشائهم الحكم وارتياحهم إليه قبل أن تكون في أيديهم أشباه الدلائل عليه[٣].

ومن أهم الوسائل التي اتبعها المستشرقون وتلاميذهم في تشويه وتحريف حقائق التاريخ الإسلامي.

أ- التدخل بالتفسير الخاطئ للأحداث التاريخية على وفق مقتضيات أحوال

(١) «منهج كتابة التاريخ الإسلامي»، لمحمد صامل ص (٥٠٢) .

(٢) «منهج كتابة التاريخ الإسلامي» ص(٥٠٢) .

(٣) المصادر الأولى لتاريخنا، مجلة «الأزهر» سنة ١٣٧٤هـ .

عصرهم الذي يعيشون هم فيه وحسبما يجول بخواطرهم، دون أن يحققوا أولاً الواقعة التاريخية حتى تثبت، ودون أن يراعوا ظروف العصر الذي وقعت فيه الحادثة وأحوال الناس وتوجهاتهم في ذلك الوقت، والعقيدة التي تحكمهم ويدينون بها، فإنه قبل تفسير الحادثة لا بد من ثبوت وقوعها، وليس وجودها في كتاب من الكتب كافيًا لثبوتها[1]؛ لأن مرحلة الثبوت مرحلة سابقة على البحث في تفسير الواقعة التاريخية، كما ينبغي أن يكون التفسير متمشيًا مع منطوق الخبر التاريخي، وموضوع البحث ومع الطابع العام للمجتمع أو العصر والبيئة التي حدثت فيها الواقعة، كما يشترط ألاَّ يكون هذا التفسير متعارضًا مع واقعة أو جملة وقائع أخرى ثابتة، كما أنه لا ينبغي أن ينظر في التفسير إلى عامل واحد - كما هو ديدن كثير من المدارس التاريخية المعاصرة - وإنما ينظر فيه إلى جملة العوامل المؤثرة في الحدث وخاصة العوامل العقائدية والفكرية.. ثم إن التفسير التاريخي للحوادث بعد هذا كله، لا يعدو كونه اجتهادًا بشريًّا يحتمل الصواب والخطأ، ولقد أبرز البعض تاريخ الفرق الضالة وعمد إلى تضخيم أدوارها وتصويرها بصورة المصلح المظلوم، وبأن المؤرخين المسلمين قد تحاملوا عليها، فالقرامطة والإسماعيلية، والرافضة الإمامية والفاطمية والزنج وإخوان الصفا، والخوارج كلهم في نظرهم واعتبارهم دعاة إصلاح وعدالة، وحرية ومساواة، وثورتهم كانت ثورات للإصلاح لا الظلم والجور، فهذا الشغب والإرجاف على التاريخ الإسلامي ومزاحمة سير رجاله ودعاته بسير قادة الفرق الضالة، أمر لا يستغرب من قوم لا يدينون بالإسلام فهم من واقع عقيدتهم يكيدون له بكل جهد مستطاع، ليلاً ونهارًا وسرًّا وجهارًا ولا يتوقع من مطموس الإيمان وملل الكفر إلا مناصرة إخوانهم في الضلال.

ولكن الأمر الذي قد يحدث استغرابًا عند البعض أن يحمل راية التشويه والتحريف بعد سقوط دولة الاستشراق، كتّاب يحملون أسماء إسلامية ومن أبناء

---

(١) «منهج كتابة التاريخ الإسلامي» ص(٥٠٤).

المسلمين ويقومون بنشر مثل هذه السموم على بني جلدتهم؛ ليصرفوا بها الأغرار(١) عن الصراط المستقيم، ولقد عمد هؤلاء إلى التشبث بالروايات المشبوهة والضعيفة والساقطة يلتقطونها من كتب الأدب وقصص السمر، والحكايات الشعبية والكتب المنحولة والضعيفة فهذه الكتب هي مستنداتهم في الغالب، مع ما يجدونه من الروايات المكذوبة في الطبري والمسعودي مع أنهم يعلمون أنها لا تعتبر مراجع علمية يعتمد عليها، لقد وقع الاعتداء على التاريخ الإسلامي - خاصة تاريخ الصدر الأول - بالتشويه عن طريق اختيار مواقف مختارة والتركيز عليها؛ كالمعارك والحروب مع تصويرها على غير حقيقتها حتى تزول عنها صفة الجهاد في سبيل الله، أو التركيز على الأحداث والفتن الداخلية بقصد إظهار خلافات الصحابة ﵃، وعرضها وكأنها نموذج للصراعات والمكائد السياسية في وقتنا الحاضر، وبالتجهيل وهو إهمال كل ما هو مدعاة للاقتداء والأسوة الحسنة، وبالتشكيك، وهو توجيه السهام إلى التاريخ ورجاله وإلى المؤرخين المسلمين أنفسهم، والتشكيك في معلوماتهم وصدقهم، وبالتجزئة وهي محاولة تجزئة التاريخ الإسلامي إلى أوصال وأشتات، وكأنه لا رابط بينه كالتوزيع الإقليمي والعرقي ونحوه، فكل هذه الوسائل والحملات تسعى إلى تدمير تاريخنا الإسلامي، ومحو معالمه النيرة وإبعاده عن مجال القدوة الحسنة والتربية الصحيحة، لذا ينبغي على المؤرخ المسلم معرفة هذه الوسائل والتنبه لها ومعرفة الذين تابعوا المستشرقين في آرائهم، ومناهجهم وعدم التلقي منهم إلا بحذر شديد، فإذا كان علماؤنا رحمهم الله قد نقدوا كثيراً من الرواة وضعَّفوا رواياتهم بسبب أخذهم عن أهل الكتاب وروايتهم الإسرائيليات؛ فإنه ينبغي لنا التوقف في قبول أقوال وتفسيرات من يتلقى من المستشرقين، بل إسقاطها وعدم اعتبارها، إلا بدليل وبرهان واضح(٢).

---

(١) الأغرار: جمع الغِر: وهو من ينخدع. ينظر: «الوسيط» مادة (غر).

(٢) «منهج كتابة التاريخ الإسلامي» ص (٥٠٧).

الفصل السابع

موقف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من الخوارج والشيعة

المبحث الأول

الخوارج

أولاً: نشأة الخوارج والتعريف بهم:

عرف أهل العلم الخوارج بتعريفات منها ما بينه أبو الحسن الأشعري أن اسم الخوارج يقع على تلك الطائفة الذين خرجوا على رابع الخلفاء الراشدين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، وبين أن خروجهم على علي رضي الله عنه هو العلة في تسميتهم بهذا الاسم، حيث قال رحمه الله تعالى: والسبب الذي سموا له خوارج خروجهم على علي بن أبي طالب لما حكم(١).

وأما ابن حزم: فقد بين أن اسم الخارجي يتعدى إلى كل من أشبه أولئك النفر الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وشاركهم في معتقدهم، فقد قال: ومن وافق الخوارج من إنكار التحكيم وتكفير أصحاب الكبائر، والقول بالخروج على أئمة الجور وأن أصحاب الكبائر مخلدون في النار، وأن الإمامة جائزة في غير قريش فهو خارجي، وإن خالفهم فيما عدا ذلك، مما اختلف فيه المسلمون، ومن خالفهم فيما ذكرنا فليس خارجيًّا(٢).

وأما الشهرستاني: فقد عرف الخوارج بتعريف عام اعتبر فيه الخروج على الإمام الذي اجتمعت عليه الكلمة على إمامته الشرعية خروجًا في أي زمان كان، حيث قال في تعريفه للخوارج: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيًّا سواءً كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين رضي الله عنهم أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان(٣).

---

(١) «مقالات الإسلاميين» (١/ ٢٠٧).

(٢) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٢/ ١١٣).

(٣) «الملل والنحل».

وقال ابن حجر معرفًا لهم: والخوارج الذين أنكروا على علي التحكيم وتبرؤوا منه ومن عثمان وذريته وقاتلوهم، فإن أطلقوا تكفيرهم فهم الغلاة[١].

وقال في تعريف آخر: أما الخوارج فهم جمع خارجة، أي: طائفة، وهم قوم مبتدعون سموا بذلك لخروجهم على الدين وخروجهم على خيار المسلمين[٢].

وأما أبو الحسن الملطي: فيرى أن أول الخوارج المحكمة، الذين ينادون: لا حكم إلا لله ويقولون: علي ﷺ كفر، يجعل الحكم إلى أبي موسى الأشعري ولا حكم إلا لله.

فرقة الخوارج سميت خوارج لخروجهم على علي ﷺ يوم الحكمين، حين كرهوا التحكيم، وقالوا: لا حكم إلا لله[٣].

وأما الدكتور ناصر العقل فيقول: هم الذين يكفرون بالمعاصي، ويخرجون على أئمة الجور[٤].

فالخوارج هم أولئك النفر الذين خرجوا على علي ﷺ بعد قبوله التحكيم في موقعة صفين، ولهم ألقاب أخرى عرفوا بها غير لقب الخوارج، ومن تلك الألقاب: الحرورية[٥]، والشراة[٦]، والمارقة، والمحكمة[٧]، وهم يرضون بهذه الألقاب كلها إلا بالمارقة فإنهم ينكرون أن يكونوا مارقة من الدين كما يمرق السهم من الرمية[٨].

ومن أهل العلم من يرجع بداية نشأة الخوارج إلى زمن الرسول ﷺ، ويجعل أول الخوارج ذا الخويصرة الذي اعترض على الرسول ﷺ في قسمة

---

(١) «هدي الساري في مقدمة فتح الباري» ص (٤٥٩).
(٢) «فتح الباري» (٢/ ٢٨٣).
(٣) «التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع» ص (٤٧).
(٤) «الخوارج»، لناصر العقل ص (٢٨).
(٥) سموا بهذا الاسم لنزولهم بحروراء في أول أمرهم.
(٦) سموا شراة لقولهم: شرينا أنفسنا في طاعة الله، أي: بعناها بالجنة.
(٧) سموا بهذا الاسم لإنكارهم الحكمين، وقولهم: لا حكم إلا لله.
(٨) «مقالات الإسلاميين» (١/ ٢٠٧).

ذهب، كان قد بعث به علي رضي الله عنه من اليمن في جلد مقروظ، فقد جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهبة في أديم مقرظ[١]، لم تحصل من ترابها[٢]، قال: فقسمها بين أربعة نفر، بين عيينة بن حصن، والأقرع ابن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة بن كلاثة، وإما عامر بن الطفل، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء، قال: فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحًا ومساء**»، قال: فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة[٣]، كث اللحية محلوق الرأس مشمر الإزار، فقال: يا رسول الله اتق الله، فقال: «**ويلك أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله؟**»، قال: ثم ولى الرجل، فقال خالد بن الوليد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟، فقال: «**لا، لعله أن يكون يصلي**»، قال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فقال رسول الله ﷺ: «**إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس[٤]، ولا أشق بطونهم**»، قال: ثم نظر إليه وهو مقف[٥]، فقال: «**إنه يخرج من ضِئْضِئ[٦] هذا قوم يتلون كتاب الله رطبًا لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**»، قال: أظنه قال: «**لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود**»[٧].

قال ابن الجوزي عند هذا الحديث: أول الخوارج وأقبحهم حالة ذو الخويصرة التميمي، وفي لفظ: إنه قال له: اعدل، فقال: «**ويلك ومن لم يعدل إذا لم أعدل؟**»[٨]، فهذا أول خارجي خرج في الإسلام، وآفته أنه رضي برأي نفسه ولو وقف لعلم أنه لا رأي فوق رأي رسول الله ﷺ، وأتباع هذا الرجل هم الذين

(١) أي: في جلد مدبوغ بالقرظ.
(٢) أي: لم تميز ولم تصف من تراب معدنها.
(٣) أي: مرتفع الجبهة.
(٤) أي: أفتش وأكشف، ومعناه: إني أمرت بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر.
(٥) مقف: أي مول.
(٦) ضئضئ: هو بضادين معجمتين مكسورتين وآخره مهموز، وهو أصل الشيء.
(٧) أخرجه «البخاري» (٢/ ٢٣٢)، و«مسلم» (٢/ ٧٤٢).
(٨) أخرجه «مسلم» (٢/ ٧٤٠).

قاتلوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه[١]، وممن أشار بأن أول الخوارج ذو الخويصرة: أبو محمد بن حزم[٢]، وكذا الشهرستاني في كتابه «الملل والنحل»[٣]، ومن العلماء من يرى بأن نشأة الخوارج بدأت بالخروج على عثمان رضي الله عنه بإحداثهم الفتنة التي أدت إلى قتله رضي الله عنه ظلمًا وعدوانًا، وسميت تلك الفتنة التي أحدثوها بالفتنة الأولى[٤]، وقال شارح الطحاوية: فالخوارج والشيعة حدثوا في الفتنة الأولى[٥]، وقد أطلق ابن كثير على الغوغاء الذين خرجوا على عثمان رضي الله عنه، وقتلوه اسم الخوارج؛ حيث قال في صدد ذكره لهم بعد قتلهم عثمان رضي الله عنه: وجاء الخوارج فأخذوا مال بيت المال وكان فيه شيء كثير جدًّا[٦].

الرأي الراجح في بداية نشأة الخوارج:

وبالرغم من الارتباط القوي بين ذي الخويصرة والغوغاء الذين خرجوا على عثمان وبين الخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله عنه بسبب التحكيم، فإن مصطلح الخوارج بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة لا ينطبق إلا على الخارجين بسبب التحكيم، بحكم كونهم جماعة في شكل طائفة لها اتجاهها السياسي وآراؤها الخاصة، أحدثت أثرًا فكريًّا وعقائديًّا واضحًا، بعكس ما سبقها من حالات[٧].

ثانيًا: ذكر الأحاديث التي تتضمن ذم الخوارج:

وردت أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الخوارج المارقة، وصفوا فيها بأوصاف ذميمة شنيعة جعلتهم في أخبث المنازل، فمن الأحاديث التي وردت الإشارة فيها إلى ذمهم، ما رواه الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسمًا؛ إذ أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من تميم، فقال: يا رسول الله اعدل، فقال: «**ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل؟! قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل**»، فقال عمر: يا رسول الله

---

(١) «تلبيس إبليس» ص (٩٠).
(٢) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٤/ ١٥٧).
(٣) «الملل والنحل» (١/ ١١٦).
(٤) «عقيدة أهل السنة في الصحابة» (٣/ ١١٤١).
(٥) «شرح العقيدة الطحاوية» ص (٥٦٣).
(٦) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٠٢).
(٧) «فرق معاصرة» للعواجي (١/ ٦٧)، و«خلافة علي»، لعبد الحميد ص (٢٩٧).

ائذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال: «**دعه فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم**[١]، **يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**[٢]، **يُنْظَر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم يُنْظَر إلى رصافه**[٣]، **فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نَضِيِّه**، -وهو قدحه- **فلا يوجد فيه شيء، وقد سبق الفرث والدم**[٤]، **آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة**[٥] **تدردر**[٦] **ويخرجون على حين فرقة من الناس**»، قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ، وأشهد أن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتي به حتى نظر إليه على نعت النبي ﷺ الذي نعته[٧].

وروى الشيخان أيضًا من حديث أبي سلمة وعطاء بن يسار أنهما أتيا أبا سعيد الخدري فسألاه عن الحرورية هل سمعت النبي ﷺ يقول: «**يخرج في هذه الأمة - ولم يقل: منها - قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم فيقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم - أو حناجرهم - يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، فينظر الرامي إلى سهمه إلى نصله إلى رصافه فيتمارى في الفوقة**[٨] **هل علقت بها من الدم شيء؟**»[٩]

وروى البخاري من حديث يُسَيْر ابن عمرو قال: قلت لسهل بن حنيف: هل سمعت النبي ﷺ يقول في الخوارج شيئًا؟ قال: سمعته يقول- وأهوى بيده قبل العراق-: «**يخرج منه قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية**»، ففي هذه الأحاديث الثلاثة ذم واضح لفرقة الخوارج،

---

(١) تراقيهم: جمع ترقوة، وهي العظم بين ثغرة النحر والعاتق، وهما ترقوتان من الجانبين.

(٢) الرمية: الصيد الذي ترميه فتقصده وينفذ فيه سهمك، وقيل: كل دابة مرمية.

(٣) رصافه: يقال: رصف السهم إذا شده بالرصاف، وهو عقب يلوي على مدخل النصل فيه.

(٤) يعني: مر مرًّا سريعًا في الرمية لم يعلق به شيء من الفرث والدم.

(٥) البضعة: القطعة من اللحم. «النهاية في غريب الحديث» (١/ ١٣٣).

(٦) تدردر: أي: ترجرج تجيء وتذهب. «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ١١٢).

(٧) «مسلم» (٢/ ٧٤٣، ٧٤٤).

(٨) الفوقة: هي الحجر الذي يجعل فيه الوتر.

(٩) «مسلم» (٢/ ٧٤٣، ٧٤٤).

فقد وصفهم ﷺ أنهم طائفة مارقة، وأنهم يشددون في الدين في غير موضع التشديد، بل يمرقون منه بحيث يدخلون فيه ثم يخرجون منه سريعًا لم يتمسكوا منه بشيء، كما اشتمل الحديث الأول في هذه الأحاديث الثلاثة أنهم يقاتلون أهل الحق، وأن أهل الحق يقتلونهم، وأن فيهم رجلاً صفة يده كذا وكذا، وكل هذا وقع وحصل كما أخبر به ﷺ وفي قوله ﷺ: «**لا يجاوز تراقيهم**» احتمالات:

١ـ يحتمل أنه لكون لا تفقه قلوبهم، ويحملونه على غير المراد به.

٢ـ يحتمل أن يكون المراد أن تلاوتهم لا ترتفع إلى الله[١].

ومن صفاتهم الذميمة التي ذمهم بها الرسول ﷺ أنهم ليس لهم من الإيمان إلا مجرد النطق به، وأنهم أصحاب عقول رديئة وضعيفة، وأنهم عندما يقرؤون القرآن يظنون لشدة ما بلغوا إليه من سوء الفهم أنه لهم وهو عليهم، فقد روى البخاري رحمه الله من حديث علي رضي الله عنه أنه قال: إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ حديثًا، فوالله لأن أخر من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سيخرج قوم في آخر الزمان[٢] أحداث الأسنان[٣]، سفهاء الأحلام،[٤] يقولون من خير قول البرية[٥] لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**»[٦].

وفي هذين الحديثين ذم للخوارج بأنهم ليس لهم من الإيمان إلا مجرد النطق، فقد دل الحديث الأول على أنهم يؤمنون بالنطق لا بالقلب[٧]، وأما هذا الحديث

---

(١) «فتح الباري» (٦/٦١٨)، وما قاله القاضي عياض في «شرح النووي» (٧/١٥٩).

(٢) قال الحافظ ابن حجر: المراد بآخر الزمان زمان خلافة النبوة، فإن في حديث سفينة المخرج في السنن وصحيح ابن حبان وغيره مرفوعًا: الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تصير ملكًا، وكانت قصة الخوارج وقتلهم بالنهروان في أواخر خلافة علي سنة ثمان وثلاثين للهجرة، «فتح الباري» (١٢/٢٨٧).

(٣) صغار السن، «شرح النووي» (٧/١٦٩).

(٤) ضعفاء العقول، «فتح الباري» (٦/٦١٩).

(٥) أي من القرآن كما في حديث أبي سعيد المتقدم يقرؤون القرآن.

(٦) «البخاري» (٢/٢٨١).

(٧) «فتح الباري» (٢/٢٨١).

الذي هو حديث زيد بن وهب الجهني عن علي رضي الله عنه فقد أطلق الإيمان فيه على الصلاة، وكلا الحديثين دلا على أن إيمانهم محصور في نطقهم وأنه لا يتجاوز حناجرهم، ولا تراقيهم، وهذا من أبشع الذم وأقبحه لمن وصف به[1].

ومن الصفات القبيحة التي ذمهم بها صلى الله عليه وسلم أنهم يمرقون من الدين لا يوفقون للعودة إليه، وأنهم شر الخلق والخليقة فقد روى مسلم رحمه الله من حديث أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن بعدي من أمتي أو سيكون بعدي من أمتي قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه، هم شر الخلق والخليقة**»[2]، وروي من حديث أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر قومًا يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس سيماهم التحالف قال: «**هم شر الخلق أو من شر الخلق، يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق**».

ومن الصفات التي ذُمّ بها الخوارج على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم من أبغض الخلق إلى الله، فقد جاء في صحيح مسلم من حديث عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الحرورية لما خرجت وهو مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه قالوا: لا حكم إلا لله، قال علي: كلمة حق أريد بها باطل[3]، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف ناسًا- إني لأعرف صفتهم في هؤلاء-: «**يقولون الحق بألسنتهم لا يجاوز هذا منهم** ـ وأشار إلى حلقه ـ **من أبغض خلق الله إليه منهم أسود إحدى يديه طبي شاه**[4]، **أو حلمة ثدي**»، فلما قتلهم علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، قال: انظروا فنظروا فلم يجدوا شيئًا، فقال: ارجعوا فوالله ما كَذَبْت ولا كُذِبْت مرتين أو ثلاثًا، ثم وجدوه في خربة فأتوا به حتى وضعوه بين يديه، قال عبيدالله: وأنا حاضر ذلك من أمرهم وقول علي فيهم[5].

ومن صفاتهم القبيحة التي كانت ذمًّا لهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنهم

(١) «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام» (٣ / ١١٨٣).
(٢) «مسلم» (٢/ ٧٥٠).
(٣) معناه: أن الكلمة أصلها صدق، قال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾ أرادوا بها الإنكار على علي في تحكيمه، «شرح النووي» (٧/ ١٧٣، ١٧٤).
(٤) المراد ضرع الشاة.
(٥) «مسلم» (٢/ ٧٤٩).

حرموا من معرفة الحق والاهتداء إليه(١)، فقد روى مسلم في صحيحة من حديث أسير بن عمرو عن سهيل بن حنيف عن النبي ﷺ قال: «**يتيه قوم قِبَلَ المشرق محلقة رؤوسهم**»(٢)، قال النووي: قوله ﷺ: «**يتيه قوم قبل المشرق**»، أي: يذهبون عن الصواب، وعن طريق الحق، يقال: تاه إذا ذهب ولم يهتد لطريق الحق، والله أعلم(٣).

ومن الصفات المذمومة التي تلبسوا بها وأخبر النبي ﷺ أنها واقعة فيهم أنهم يتدينون بقتل أهل الإسلام وترك عبدة الأوثان والصلبان(٤)، فقد روى الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري قال: بعث علي رضي الله عنه وهو باليمن بذهبة في تربتها إلى رسول الله ﷺ، فقسمها رسول الله ﷺ بين أربعة نفر... فجاء رجل كث اللحية مشرف الوجنتين(٥)، ناتئ الجبين(٦)، محلوق الرأس، فقال: اتق الله يامحمد، فقال رسول الله ﷺ: «**فمن يطع الله إنْ عصيته، أيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني**»، قال: ثم أدبر الرجل، فاستأذن رجل من القوم في قتله يرون أنه خالد ابن الوليد، فقال رسول الله ﷺ: «**إن من ضِئْضِئ هذا قومًا يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»(٧).

وفي هذا معجزة باهرة للرسول ﷺ حيث وقع منهم ما أخبر به ﷺ، فإنهم كانوا يسلون سيوفهم على أهل الإسلام بالقتل، وكانوا يغمدونها عن الكفار من اليهود والنصارى(٨)، كما سيأتي بيانه بإذن الله تعالى.

---

(١) «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام» (٣ / ١١٨٤).

(٢) «مسلم» (٢/ ٧٥٠). (٣) شرح النووي (٧/ ١٧٥).

(٤) «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام» (٣ / ١١٨٤).

(٥) مشرف الوجنتين: أي غليظهما، والوجنة: ما ارتفع من لحم خده.

(٦) ناتئ الجبين: أي بارز الجبين من النتوء وهو الارتفاع.

(٧) «البخاري» (٢/ ٢٣٢)، و«مسلم» (٢/ ٧٤١، ٧٤٢).

(٨) «عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام» (٣ / ١١٨٥).

ومن الصفات القبيحة التي كانت ذمًّا وعارًا مشينًا للخوارج: أن الرسول ﷺ حرض على قتلهم إن هم ظهروا، وأخبر ﷺ أنه لو أدركهم لأبادهم بالقتل إبادة عاد وثمود، وأخبر ﷺ بأن من قتلهم له أجر عند الله تعالى يوم القيامة، وقد شرف الله رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمقاتلتهم وقتلهم؛ إذ إن ظهورهم كان في زمنه رضي الله عنه وأرضاه، على وفق ما وصفهم به رسول الله ﷺ من العلامات الموجودة فيهم، فقد خرج رضي الله عنه إلى الخوارج بالجيش الذي كان هيأه للخروج إلى الشام، فأوقع بهم بالنهروان، ولم ينج منهم إلا دون العشرة، كما سيأتي بيانه، ولم يقاتلهم رضي الله عنه حتى سفكوا الدم الحرام، وأغاروا على أموال المسلمين؛ فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم، ولما أظهروه من الشر من أعمالهم وأقوالهم، وحسبنا هنا من الأحاديث الواردة في ذم الخوارج ما تقدم ذكره، إذ الأحاديث الواردة في ذمهم كثيرة قلما يخلو منها كتاب من كتب السنة المطهرة[١]، وسيأتي الحديث في الصفات القادمة بإذن الله تعالى عن بداية انحيازهم إلى حروراء، ومناظرة ابن عباس لهم، وحرص أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على تبصيرهم وهدايتهم، وعن أسباب معركة النهروان والنتائج التي ترتبت عليها وعن أحوال الخوارج ومناقشة تلك الأصول، وهل الفكر الخارجي لا زالت أفكاره موجودة بين الناس؟ وما أسباب ذلك؟ وكيفية معالجتها؟ .

ثالثًا: انحياز الخوارج إلى حروراء ومناظرة ابن عباس رضي الله عنهما لهم:

انفصل الخوارج في جماعة كبيرة من جيش علي رضي الله عنه أثناء عودته من صفين إلى الكوفة، قدر عددها في رواية ببضعة عشر ألفًا، وحدد في رواية باثني عشر ألفًا[٢]، وفي رواية بثمانية آلاف[٣]، وفي رواية بأنهم أربعة عشر ألفًا[٤]، كما ذكر أنهم عشرون ألفًا[٥]، وهذه الرواية التي تذكر أنهم عشرون ألفًا، قد جاءت

---

(١) «عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام» (٣/ ١١١٨).
(٢) «تاريخ بغداد» (١/ ١٦٠).
(٣) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٨٠، ٢٨١) إسناده صحيح، و«مجمع الزوائد» (٦/ ٢٣٥).
(٤) «مصنف عبد الرزاق» (١٠/ ١٥٧-١٦٠) بسند حسن.
(٥) «تاريخ خليفة» ص (١٩٢).

بدون إسناد[1]، وقد انفصل هؤلاء عن الجيش قبل أن يصلوا إلى الكوفة بمراحل، وقد أقلق هذا التفرق أصحاب علي رضي الله عنه وهالهم، وسار علي بمن بقي من جيشه على طاعته حتى دخل الكوفة، وانشغل أمير المؤمنين بأمر الخوارج خصوصًا بعدما بلغه تنظيم جماعتهم من تعيين أمير للصلاة وآخر للقتال، وأن البيعة لله عز وجل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مما يعني انفصالهم فعليًا عن جماعة المسلمين، وكان أمير المؤمنين علي حريصًا على إرجاعهم بجماعة المسلمين، فأرسل ابن عباس إليهم لمناظرتهم، وهذا ابن عباس يروي لنا الحادثة، فيقول: .. فخرجت إليهم ولبست أحسن ما يكون من حلل اليمن، وترجلت، ودخلت عليهم في دار نصف النهار، وكان ابن عباس رجلاً جميلاً جهيرًا، فقالوا: مرحبًا بك يابن عباس، ما هذه الحلة؟ قال: ما تعيبون عَلَيَّ؟ لقد رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ما يكون من الحلل، ونزلت: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ**﴾ [الأعراف:٣٢] قالوا: فما جاء بك؟ قال: قد أتيتكم من عند صحابة النبي من المهاجرين والأنصار، من عند ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وصهره وعليهم نزل القرآن، فهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم منهم أحد لأبلغكم ما يقولون، وأبلغهم ما تقولون فانتحى لي نفر منهم، قلت: هاتوا ما نقمتم على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه، قالوا: ثلاث، قلت: ما هن؟ قالوا: أما إحداهن: فإنه حكم الرجال في أمر الله، وقال الله: ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ**﴾ (يوسف: ٦٧)، ما شأن الرجال والحكم؟ قلت: هذه واحدة، وأما الثانية: فإنه قاتل ولم يسب ولم يغنم، فإن كانوا كفارًا لقد حل سبيهم، ولئن كانوا مؤمنين ما حل سبيهم ولا قتلهم، قلت: هذه اثنتان فما الثالثة؟ قالوا: محا نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين، قلت: هل عندكم شيء غير هذا؟ قالوا: حسبنا هذا، قلت لهم: أرأيتكم إن قرأت عليكم من كتاب الله جل ثناؤه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما يرد قولكم أترجعون؟ قالوا: نعم، قلت: أما قولكم: حكم الرجال في أمر الله، فإني أقرأ عليكم من كتاب الله أن

---

(١) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٣٠٣).

قد صير الله حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم، فأمر الله تبارك وتعالى أن يحكموا فيه، أرأيت قول الله تبارك وتعالى: ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ**﴾ [المائدة: ٩٥] وكان من حكم الرجال، أنشدكم بالله أحكم الرجال في صلاح ذات البين، وحقن دمائهم أفضل أو في أرنب؟ قالوا: بلى، بل هذا أفضل، وفي المرأة وزوجها ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا**﴾ [النساء: ٣٥]، فنشدتكم بالله حكم الرجال في صلاح ذات بينهم وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في بضع امرأة، خرجت من هذه؟ قالوا: نعم، قلت: وأما قولكم: قاتل ولم يسب، ولم يغنم، أفتسبون أمكم عائشة، تستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهي أمكم؟ فإن قلتم: إنا نستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم، وإن قلتم: ليست بأمنا فقد كفرتم ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**﴾ [الأحزاب: ٦] فأنتم بين ضلالتين فأتوا منها بمخرج، أفخرجت من هذه؟ قالوا: نعم، وأما محا نفسه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بما تضرون، إن نبي الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية صالح المشركين، فقال لعليّ: «**اكتب يا عليّ، هذا ما صالح عليه محمد رسول الله**»، ثم قال: «**امح ياعلي واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله**»، والله لرسول الله صلى الله عليه وسلم خير من عليّ، وقد محا نفسه، ولم يكن محوه نفسه ذلك محاه من النبوة أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم، فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم، فقاتلوا على ضلالتهم، وقتلهم المهاجرون والأنصار[1]، ويمكننا أن نستخرج من مناظرة ابن عباس للخوارج مجموعة من الدروس والعبر والحكم منها:

١- حسن الاختيار لمن سوف يقوم بالمناظرة مع الخصم: فقد اختار أمير المؤمنين عليّ ابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وهو حبر الأمة وترجمان القرآن؛ لأن القوم كانوا يعرفون بالقراء ويعتمدون في الاستدلال على معتقدهم بالقرآن،

---

(١) «خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب» للنسائي، تحقيق: أحمد البلوشي ص(٢٠٠) إسناده حسن.

لذا كان أولى الناس بمناظرتهم هو أدرى الناس بالقرآن وبتأويله، ويمكن القول بأن ابن عباس رضي الله عنهما هو صاحب الاختصاص في هذه المناظرة، لما يتحلى به من إخلاص النية لله، واجتناب الهوى، والتحلي بالحلم والصبر، والتريث والترفق بالخصم، وحسن الاستماع لكلم الخصوم، وتجنب المماراة ووضوح الحجة وقوة الدليل.

٢- الابتداء مع الخصم من نقاط الاتفاق: فقد كان أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وخصومه من الخوارج متفقين على الأخذ من كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وكذلك كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حيث قال لهم: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ومن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما يرد قولكم أترضون؟ ومع هذا فإن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يستوثق منهم قبل بداية المناظرة.

٣- معرفة ما عند الخصم من الحجج واستقصاؤها: والاستعداد لها قبل بداية المناظرة، ونتوقع أن أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه علم بحججهم قبل مناظرتهم، وقرر لأصحابه كيفية الرد عليها.

٤- تفنيد مزاعم الخصم واحدة تلو الأخرى: حتى لا يبقى لهم حجة كما يتضح من كلام ابن عباس رضي الله عنهما في مناظرته لهم كلما فرغ من تفنيد حجة قال: أخرجت من هذه؟.

٥- التقديم للمناظرة بما يخدم نتيجتها لصالح الحق: فإن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال في بداية الأمر وقبل المناظرة: أتيتكم من عند أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وصهره وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم منهم أحد[1].

٦- إظهار احترام رأي الخصم أثناء المناظرة: ليكون أدعى لسماع كل ما عنده، وأن يحمله على احترام رأيه، وهذا ما ظهر من مناظرة ابن عباس رضي الله عنهما للخوارج[2].

---

(١) «خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب» للنسائي، تحقيق أحمد البلوشي ص (١٩٧) إسناده حسن.
(٢) «منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله» ص (٣٣٩).

٧- وقد وفق الله عز وجل الآلاف من هؤلاء: إذ بلغ عدد من شهد معركة النهروان منهم أقل من أربعة آلاف ـ كما سيأتي بيانه بإذن الله تعالى ـ وذلك عندما عرفوا الحق، وزالت عنهم الشبهة بفضل الله، ثم بفضل ما أوتيه ابن عباس رضي الله عنهما من علم وقوة وحجة وبيان؛ إذ وضح لهم بطلان ما احتجوا به، بتفسير الآيات التي تأولوها التفسير الصحيح، وبالسنة النبوية المشرفة والتي توضح معاني القرآن الكريم[1].

٨- قول ابن عباس: وليس فيكم منهم أحد[2]: هذا نص صريح من ابن عباس رضي الله عنهما في كون الخوارج لا يوجد فيهم أحد من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يعترض عليه أحد من الخوارج، والرواية صحيحة وثابتة، كما أنه لا يوجد أحد من علماء أهل السنة ـ على حد علمي ـ قال: بأن الخوارج كان فيهم بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما الزعم بأن الخوارج كان فيهم بعض الصحابة، فذلك عند المذهب الخارجي، وليس لهم دليل علمي موثوق على قولهم.

٩- تحديد المرجعية: في قول ابن عباس: أرأيتكم إن قرأت عليكم من كتاب الله جل ثناؤه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما يرد قولكم أترجعوه؟ قالوا: نعم.

ففي كلام ابن عباس هذا درس مهم، ألا وهو تحديد المرجعية للمتناظرين حتى يمكن الوصول إلى نتيجة صحيحة من خلال المناظرة.

رابعًا: خروج أمير المؤمنين لمناظرة بقية الخوارج وسياسته في التعامل معهم بعد رجوعهم للكوفة ثم خروجهم من جديد:

بعد مناظرة ابن عباس للخوارج واستجابة ألفين منهم له، خرج أمير المؤمنين عليّ بنفسه إليهم فكلمهم فرجعوا ودخلوا الكوفة إلا أن هذا الوفاق لم يستمر طويلاً، بسبب أن الخوارج فهموا من عليّ رضي الله عنه أنه رجع عن التحكيم وتاب من خطيئته ـ حسب زعمهم ـ وصاروا يذيعون هذا الزعم بين الناس، فجاء الأشعث

(١) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٣٠٧).

(٢) «خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب» للنسائي ص (٢٠٠) إسناده حسن، تحقيق: البلوشي.

بن القيس الكندي إلى أمير المؤمنين، وقال له: إن الناس يتحدثون أنك رجعت لهم عن الكفر، فخطب عليّ رضي الله عنه يوم الجمعة، وبعد أن حمد الله وأثنى عليه، ذكرهم مباينتهم الناس، وأمرهم الذي فارقوه فيه[(١)]، وفي رواية: جاء رجل فقال: لا حكم إلا الله، ثم قام آخر فقال: لا حكم إلا لله، ثم قاموا نواحي المسجد يحكّمون الله، فأشار عليهم بيده: اجلسوا، نعم لا حكم إلا لله، كلمة حق يبتغى بها باطل، حكم الله أنتظر فيكم[(٢)]، وأخذ يسكتهم بالإشارة وهو على المنبر، فقام رجل منهم واضعًا إصبعيه في أذنيه ويقول: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، فرد أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه بقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠].

وأعلن أمير المؤمنين عليّ سياسته الراشدة العادلة تجاه هذه الجماعة المتطرفة، فقال لهم: إن لكم عندنا ثلاثًا:

١- لا نمنعكم صلاة في هذا المسجد.

٢- ولا نمنعكم نصيبكم من هذا الفيء ما كانت أيديكم مع أيدينا.

٣- ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا[(٣)].

فقد سلم أمير المؤمنين رضي الله عنه على هذه الحقوق ما داموا لم يقاتلوا الخليفة، أو يخرجوا على جماعة المسلمين، مع احتفاظهم بتصوراتهم الخاصة في إطار العقيدة الإسلامية، فهو لا يخرجهم بداية من الإسلام، وإنما يسلم لهم بحق الاختلاف دون أن يؤدي إلى الفرقة وحمل السلاح[(٤)]، ولم يزج أمير المؤمنين بالخوارج بالسجون أو يسلط عليهم الجواسيس، ولم يحجر على حرياتهم، ولكنه رضي الله عنه

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/ ٣١٢، ٣١٣)، صححه الألباني في إرواء الغليل (٨/ ١١٨، ١١٩).

(٢) «مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري» ص (٤٥٢).

(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/ ٣٢٧، ٣٢٨)، والشافعي في «الأم» (٤/ ١٣٦)، و«تاريخ الطبري» (٥/ ٦٨٨) بسند ضعيف للانقطاع إلا أن للسند شواهد وقد توبع، قاله الألباني في «إرواء الغليل» (٨/ ١١٧، ١١٨).

(٤) «الوظيفة العقيدية للدولة الإسلامية»، لحامد عبد الماجد ص (٤٧).

حرص على إيضاح الحجة وإظهار الحق لهم ولغيرهم ممن قد ينخدع بآرائهم ومظهرهم، فقد أمر مؤذنه بأن يدخل عليه القراء، ولا يدخل أحد إلا قد حفظ القرآن فامتلأت الدار من قراء الناس، فدعا بمصحف إمام عظيم، فطفق يصكه بيديه ويقول: أيها المصحف حدث الناس، فناداه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين ما تسأله عنه، إنما هو مداد في ورق، ونحن نتكلم بما روينا منه فماذا تريد؟ قال: أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا، بيني وبينهم كتاب الله، يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا**﴾ [النساء: ٣٥]، فأمة محمد أعظم دمًا وحرمة من امرأة ورجل، ونقموا عليَّ أن كاتبت معاوية، كتبت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية حين صالح قومه قريشًا، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بسم الله الرحمن الرحيم»، فقال سهيل: لا أكتب بسم الله الرحمن الرحيم، قال: «**كيف تكتب؟**» قال: أكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اكتب**»، فكتب. فقال: «**اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله** صلى الله عليه وسلم»، فقال: لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك، فكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله قريشًا، يقول الله تعالى في كتابه: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ**﴾[1] [الأحزاب: ٢١].

ولما أيقن الخوارج أن أمير المؤمنين رضي الله عنه عازم على إنفاذ أبي موسى الأشعري حكمًا، طلبوا منه الامتناع عن ذلك، فأبى عليّ عليهم ذلك وبيَّن لهم أن هذا يعد غدرًا ونقضًا للأيمان والعهود، وقد كتبنا بيننا وبين القوم عهودًا، وقد قال الله تعالى: ﴿**وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا**﴾ [النحل: ٩١].

فقرر الخوارج الانفصال عن أمير المؤمنين عليّ وتعيين أمير عليهم، فاجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي، فخطبهم خطبةً بليغة زهدهم في الدنيا

(١) «مسند أحمد» (٢/٦٥٦)، قال أحمد شاكر: صحيح الإسناد.

ورغبهم في الآخرة والجنة وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قال: فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى جانب هذا السواد، إلى بعض كور الجبال أو بعض هذه المدائن منكرين لهذه الأحكام الجائرة، ثم قام حرقوص بن زهير فقال بعد حمد الله والثناء عليه: إن المتاع بهذه الدنيا قليل، وإن الفراق لها وشيك، فلا تدعونكم زينتها أو بهجتها إلى المقام بها، ولا تلتفت بكم عن طلب الحق وإنكار الظلم ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] فقال حمزة بن سنان الأسدي: يا قوم إن الرأي ما رأيتم وإن الحق ما ذكرتم، فولوا أمركم رجلاً منكم، فإنه لابد لكم من عماد وسنان، ومن راية تحقون بها، وترجعون إليها؛ فبعثوا إلى زيد بن حِصْن الطائي ـ وكان من رؤوسهم ـ فعرضوا عليه الإمارة فأبى، ثم عرضوها على حرقوص بن زهير فأبى، وعرضوها على حمزة بن سنان فأبى، وعرضوها على شريح بن أبي أوفى العبسي فأبى، وعرضوها على عبد الله بن وهب الراسبي فقبلها، وقال: أما والله لا أقبلها رغبةً في الدنيا، ولا أدعها فرقًا من الموت[1]، واجتمعوا أيضًا في بيت زيد بن حصن الطائي السنبسي، فخطبهم وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتلا عليهم آيات من القرآن منها قوله تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦] وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ والآية التي بعدها ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٤ ـ ٤٧] ثم قال: فأشهد على أهل دعوتنا من أهل قبلتنا، أنهم قد اتبعوا الهوى ونبذوا حكم الكتاب، وجاروا في القول والأعمال، وأن جهادهم حق على المؤمنين، فبكى رجل منهم يقال له: عبد الله بن شجرة السلمي، ثم حرض أولئك على الخروج على الناس وقال في كلامه: اضربوا وجوههم وجباههم بالسيوف حتى يطاع الرحمن الرحيم، فإن أنتم ظفرتم وأطيع الله كما أردتم؛ أثابكم ثواب المطيعين له العاملين بأمره، وإن فشلتم فأي شيء أفضل من المصير إلى رضوان الله وجنته[2].

---

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ٣١٢)، و«تاريخ الطبري» (٥/ ٦٨٩).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/ ٣١٢).

قال ابن كثير بعد أن ذكر ما أملاه الشيطان لهم مما تقدم ذكره: وهذا ضرب من الناس من أغرب أشكال بني آدم، فسبحان من نوع خلقه كما أراد وسبق في قدره العظيم، وما أحسن ما قال بعض السلف في الخوارج: إنهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

والمقصود أن هؤلاء الجهلة الضلال، والأشقياء في الأقوال والأفعال، اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين، وتواطؤوا على المسير إلى المدائن ليملكوها على الناس ويتحصنوا بها، ويبعثوا إلى إخوانهم وأضرابهم ممن هم على رأيهم ومذهبهم من أهل البصرة وغيرها فيوافوهم إليها، ويكون اجتماعهم عليها، فقال لهم زيد بن حصن الطائي: إن المدائن لا تقدرون عليها، فإن بها جيشًا لا تطيقونه وسيمنعونها منكم، ولكن واعدوا إخوانكم إلى جسر نهر جوخى، ولا تخرجوا من الكوفة جماعات، ولكن اخرجوا وُحدانًا لئلا يفطن بكم، فكتبوا كتابًا عامًّا إلى من هو على مذهبهم ومسلكهم من أهل البصرة وغيرها، وبعثوا به إليهم ليوافوهم إلى النهر ليكونوا يدًا واحدة على الناس، ثم خرجوا يتسللون وحدانًا؛ لئلا يعلم أحد بهم فيمنعونهم من الخروج، فخرجوا من بين الآباء والأمهات، والأخوال والخالات وفارقوا سائر القرابات، يعتقدون بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم أن هذا الأمر يرضي رب الأرض والسماوات، ولم يعلموا أنه من أكبر الكبائر الموبقات والعظام والخطيئات، وأنه مما زينه لهم إبليس الشيطان الرجيم المطرود عن السماوات، الذي نصب العداوة لأبينا آدم، ثم لذريته ما دامت أرواحهم في أجسادهم مترددات، وقد تدارك جماعة من الناس بعض أولادهم وإخوانهم، فردوهم وأنبوهم ووبخوهم، فمنهم من استمر على الاستقامة، ومنهم من فر بعد ذلك فلحق بالخوارج فخسر إلى يوم القيامة،

وذهب الباقون إلى ذلك الموضع ووافى إليهم من كانوا يكتبون إليه من أهل البصرة وغيرها، واجتمع الجميع بالنهروان وصارت لهم شوكة ومنعة[١].

ولما تفرق الحكمان على غير رضا، كتب أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه إلى الخوارج وهم مجتمعون بالنهروان أن الحكمين تفرقا على غير رضا، فارجعوا إلى ما كنتم عليه وسيروا بنا إلى قتال أهل الشام، فأبوا ذلك، وقالوا: حتى تشهد على نفسك بالكفر وتتوب، فأبى[٢]، وفي رواية: كتبوا إليه أما بعد: فإنك لم تغضب لربك، إنما غضبت لنفسك فإن شهدت على نفسك بالكفر، واستقبلت التوبة؛ نظرنا فيما بيننا وبينك وإلا فقد نابذناك على سواء إن الله لا يحب الخائنين، فلما قرأ كتابهم أيس منهم، فرأى أن يدعهم ويمض بالناس إلى أهل الشام حتى يلقاهم فيناجزهم[٣].

إن قضية إعلان الخوارج كفر عليّ وطلبهم منه التوبة، لا تثبت بهذه الروايات ولكنها تتفق مع رأي الخوارج في تكفير عليّ وعثمان رضي الله عنهما وامتحان الناس بذلك[٤].

خامسًا: معركة النهروان ٣٨هـ:

١ - سبب المعركة:

كانت الشروط التي أخذها أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه على الخوارج ألاَّ يسفكوا دمًا، ولا يروعوا آمنًا، ولا يقطعوا سبيلاً، وإذا ارتكبوا هذه المخالفات فقد نبذ إليهم الحرب؛ ونظرًا لأن الخوارج يكفرون من خالفهم ويستبيحون دمه وماله، فقد بدؤوا بسفك الدماء المحرمة في الإسلام، وقد تعددت الروايات في ارتكابهم المحظورات، ومما صح من هذه الروايات ما حدث به شاهد عيان كان من الخوارج ثم تركهم حيث قال: صحبت أصحاب النهر، ثم كرهت أمرهم،

---

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ٣١٢، ٣١٣).

(٢) «أنساب الأشراف» (٢/ ٦٣) بسند فيه ضعف وله شواهد .

(٣، ٤) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٣١٨، ٣١٩) .

فكتمته خشية أن يقتلوني فبينما أنا مع طائفة منهم، إذ أتينا على قرية وبيننا وبين القرية نهر، إذ خرج رجل من القرية مذعورًا يجر رداءه، فقالوا له: كأننا روعناك؟ قال: أجل، قالوا: لا روع لك، فقلت: والله يعرفوه ولم أعرفه، فقالوا: أنت ابن خباب صاحب رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قالوا: عندك حديث تحدثناه عن أبيك عن النبي ﷺ؟ قال: سمعته يقول: إنه سمع النبي ﷺ ذكر فتنة فقال: «**القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، فإن أدركتك فكن عبد الله المقتول**»، فأخذوه وسرية له معهم، ومر بهم خنزير لأهل الذمة فقتله أحدهم، فقال بعضهم: خنزير معاهد فبم استحللته؟ فقال عبدالله بن خباب: ألا أدلكم على ما هو أعظم عليكم حرمة من هذا؟ قالوا: نعم، قال: أنا، ولكنهم قدموه إلى النهر فضربوا عنقه.

يقول الراوي: فرأيت دمه يسيل على الماء، كأنه شراك ماء اندفر بالماء حتى توارى عنهم[١]، ثم دعوا بالسرية وهي حبلى، فبقروا عما في بطنها، يقول الراوي: لم أصحب قومًا هم أبغض إليَّ صحبة منهم، حتى وجدت خلوة فانفلقت[٢]، أثار هذا العمل الرعب بين الناس، وأظهر مدى إرهابهم ببقر بطن هذه المرأة، وذبحهم عبد الله كما تذبح الشاة ولم يكتفوا بهذا بل صارا يهددون الناس قتلاً، حتى أن بعضهم استنكر عليهم هذا العمل قائلين: ويلكم ما على هذا فارقنا عليًّا[٣].

بالرغم من فظاعة ما ارتكبه الخوارج من منكرات بشعة، لم يبادر أمير المؤمنين رضي الله عنه إلى قتالهم، بل أرسل إليهم أن يسلموا القتلة لإقامة الحد عليهم، فأجابوه بعناد واستكبار: كلنا قتلة[٤]، فسار إليهم بجيشه الذي قد أعده لقتال أهل

---

(١) أي لم يختلط بالماء، «تاريخ بغداد» (١/ ٢٠٥، ٢٠٦).

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/ ٣١٠، ٣١١) بسند صحيح.

(٣) «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٣٧، ٢٣٨) إسناده صحيح.

(٤) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/ ٣٠٨، ٣٠٩) بسند صحيح.

الشام في شهر محرم من عام ٣٨هـ[١]، وعسكر على الضفة الغربية لنهر النهروان، والخوارج على الضفة الشرقية بحذاء مدينة النهروان[٢].

٢- تحريض أمير المؤمنين علي رضي الله عنه جيشه على القتال:

كان أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه يدرك أن هؤلاء القوم هم الخوارج الذين عناهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمروق من الدين، لذلك أخذ يحث أصحابه أثناء مسيرهم إليهم، ويحرضهم على قتالهم وكان لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخوارج أثرها لدى الصحابة وأتباع أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه، فقد كان رضي الله عنه يحث جيشه على البدء بهؤلاء الخوارج، فقال: أيها الناس إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن، ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلا صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلا صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية**».

ولو يعلم أصحاب الجيش الذين يصيبونهم ما قضي لهم على لسان نبيهم صلى الله عليه وسلم لم يتكلوا عن العمل، وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد وليس له ذراع، على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعيرات بيض، فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام، وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم؟ والله إني لأرجو أن يكون هؤلاء القوم فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس، فسيروا على اسم الله[٣].

وقال رضي الله عنه في يوم النهروان: أمرت بقتال المارقين وهؤلاء المارقون[٤].

وعسكر الجيش في مقابلة الخوارج يفصل بينهما نهر النهروان، وأمر بجيشه ألاّ

---

(١) «أنساب الأشراف» (٢/ ٦٣) بسند فيه مجهول، و«خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٣٢٢).

(٢) «تاريخ بغداد» (١/ ٢٠٥، ٢٠٦).

(٣) «مسلم» (٢/ ٧٤٨، ٧٤٩).

(٤) «السنة لابن أبي عاصم»، تحقيق الألباني، وقال المحقق: حديث صحيح، وإسناده ضعيف، وللحديث شواهد. و«خلافة علي» ص (٣٢٣).

يبدؤوا بالقتال حتى يجتاز الخوارج النهر غربًا، وأرسل عليّ رضي الله عنه رسله يناشدهم الله ويأمرهم أن يرجعوا، وأرسل إليهم البراء بن عازب رضي الله عنه يدعوهم ثلاثة أيام فأبوا[١]، ولم تزل رسله تختلف إليهم حتى قتلوا رسله، واجتازوا النهر[٢]، وعندما بلغ الخوارج هذا الحد وقطعوا الأمل في كل محاولات الصلح وحفظ الدماء، ورفضوا عنادًا واستكبارًا العودة إلى الحق وأصروا على القتال، قام أمير المؤمنين رضي الله عنه بترتيب الجيش، وتهيئته للقتال[٣]، فجعل على ميمنته حجر بن علي، وعلى الميسرة شبث بن ربعي، ومقعل بن قيسي الرياحي، وعلى الخيل أبا أيوب الأنصاري، وعلى الرجالة أبا قتادة الأنصاري، وعلى أهل المدينة وكانوا في سبعمائة قيس بن سعد بن عبادة، وأمر عليّ أبا أيوب الأنصاري أن يرفع راية أمان للخوارج ويقول لهم: من جاء إلى هذه الراية فهو آمن، ومن انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن، إنه لا حجة لنا فيكم إلا فيمن قتل إخواننا، فانصرف منهم طوائف كثيرون، وكانوا أربعة آلاف، فلم يبق منهم خلا ألف أو أقل مع عبد الله بن وهب الراسبي، فرجعوا على عليّ رضي الله عنه وكان على ميمنتهم زيد بن حصن الطائي السنبسي وعلى الميسرة شريح بن أبي أوفى، وعلى خيالتهم حمزة ابن سنان، وعلى الرجالة حرقوص بن زهير السعدي، فوقفوا مقاتلين لعليّ وأصحابه[٤].

٣- نشوب القتال:

وزحف الخوارج إلى علي، وقدم عليّ رضي الله عنه بين يديه الخيل، وقدم منهم الرماة وصف الرجالة وراء الخيالة، وقال لأصحابه: كفوا عنهم حتى يبدؤوكم، وأقبلت الخوارج يقولون: لا حكم إلا لله، الرواح الرواح إلى الجنة، فحملوا على الخيالة الذين قدمهم عليّ، ففرقوهم حتى أخذت طائفة من الخيالة إلى

---

(٥) «السنن الكبرى» للبيهقي (٨/ ١٩٧)، و«خلافة علي»، لعبد الحميد ص (٣٢٤).

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/ ٣٢٥، ٣٢٧).

(٢) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٣٢٤).

(٤) «تاريخ الخلافة الراشدة»، لمحمد كنعان ص (٤٢٥) مختصر من «البداية والنهاية».

الميمنة، وأخرى إلى الميسرة فاستقبلتهم الرماة بالنبل، فرموا وجوههم، وعطفت عليهم الخيالة من الميمنة والميسرة، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف، فأناموا الخوارج فصاروا صرعى تحت سنابك الخيول، وقتل أمراؤهم: عبد الله بن وهب، وحرقوص بن زهير، وشريح بن أبي أوفى، وعبد الله بن سخيرة السلمي[1]، وقال أبو أيوب: وطعنت رجلاً من الخوارج بالرمح، فأنفذته من ظهره وقلت له: أبشر يا عدو الله بالنار، فقال: ستعلم أينا أولى بها صليًّا[2]، وقد اعتزل كثير من الخوارج القتال لكلمة سمعوها من عبد الله بن وهب الراسبي، كانت تدل عندهم على ضعف الاستبصار والوهن في اليقين، وهذه الكلمة قالها عندما ضرب عليّ رضي الله عنه رجلاً من الخوارج بسيفه، فقال الخارجي: حبذا الروحة إلى الجنة فقال عبد الله بن وهب: ما أدري إلى الجنة أم إلى النار[3]، فقال رجل من بني سعد وهو فروة بن نوفل الأشجعي: إنما حضرت اغترارًا بهذا وأراه قد شك، فانعزل بجماعة من أصحابه، ومال ألف إلى أبي أيوب الأنصاري، وجعل الناس يتسللون[4]، وقد كانت معركة حاسمة وقصيرة أخذت وقتًا من اليوم التاسع من شهر صفر من عام ثمان وثلاثين للهجرة ٩/ ٢/ ٣٨هـ[5]، وأسفرت هذه المعركة الخاطفة عن عدد كبير من القتلى في صفوف الخوارج، وكان الحال على عكس ذلك تمامًا في جيش أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فقتلى أصحاب علي رضي الله عنه فيما رواه مسلم في صحيحه، وعن زيد بن وهب: رجلان فقط[6]، وفي رواية بسند حسن قال: وقتل من أصحاب علي اثنا عشر أو ثلاثة عشر[7]، وجاء في رواية صحيحة أن أبا مجلز[8] قال: ولم يقتل من المسلمين - يقصد جيش علي- إلا تسعة رهط، فإن شئت فاذهب إلى

(١-٢) «تاريخ الخلافة الراشدة»، لمحمد كنعان ص (٤٢٥) مختصر من «البداية والنهاية».

(٣) «أخبار الخوارج من الكامل» للمبرد ص (٢١)، و«خلافة علي» ص (٣٢٥).

(٤) المصدر نفسه ص (٢١)، و«خلافة علي بن أبي طالب» لعبد الحميد ص (٣٢٥).

(٥) «أنساب الأشراف» (٢/ ٦٣) بسند فيه مجهول. (٦) «مسلم» (٢/ ٧٤٨).

(٧) «مصنف ابن أبي شيبة» (٥/ ٣١١)، و«تاريخ خليفة» ص (١٩٧) بسند حسن.

(٨) لاحق بن حميد السدوسي البصري ثقة من كتاب الثالثة.

أبي برزة[١]، فاسأله فإنه قد شهد ذلك[٢]، وأما قتلى الخوارج، فتذكر الروايات أنهم أصيبوا جميعًا[٣]، ويذكر المسعودي أن عددًا يسيرًا لا يتجاوز العشرة فروا بعد الهزيمة الساحقة[٤].

٤ ـ ذو الثدية أو المخدج وأثر مقتله على جيش علي رضي الله عنه:

ظهرت روايات مختلفة في تحديد شخصية ذي الثدية، وهذه الروايات منها ما هو ضعيف الإسناد ومنها ما هو قوي، وقد جاء في الأحاديث النبوية أوصاف ذي الثدية، فمن ذلك أنه أسود البشرة[٥].

وفي رواية: حبشي وأنه مخدج اليد، أي ناقص اليد، ويده صغيرة مجتمعة، فهي من المنكب إلى العضد فقط، أي بدون ذراع، وفي نهاية عضده مثل حلمة الثدي وعليها شعيرات بيض، وعضده ليست ثابتة، كأنها بلا عظم إذ أنها «تدردر» أي تتحرك تذهب وتجيء، أما مخدج اليد، أو مودون اليد أو مثدون اليد، فكلها بمعنى واحد وهو ناقص اليد[٦]، وأما اسمه فقد أخطأ من قال: إن ذا الثدية هو حرقوص بن زهير السعدي[٧]، فحرقوص رجل مشهور كان له دور في الفتوحات الإسلامية، ثم خرج على عثمان رضي الله عنه، وقد فر إثر معركة «الجمل الصغرى» التي قتل فيها الزبير وطلحة رضي الله عنهما قتلة عثمان بالبصرة وقد صار حرقوص من زعماء الخوارج المميزين[٨]، إلا أنه قد ورد في رواية أن اسمه «حرقوس» أما أبوه فلا يعرفه أحد، وجاء في رواية أن اسمه مالك، وذلك أنهم عندما وجدوه قال علي رضي الله عنه: الله أكبر، لا يأتيكم أحد يخبركم من أبوه؟ فجعل

(١) نهنلة بن عبيد الأسلمي صحابي مشهور بكنيته، مات سنة ٦٥هـ.
(٢) «المعرفة والتاريخ» (٣/ ٣١٥)، و«تاريخ بغداد» (١/ ١٨٢).
(٣) «أخبار الخوارج من الكامل» ص (٣٣٨).
(٤) «خلافة علي بن أبي طالب» ص (٣٢٩)، و«تاريخ خليفة» ص (١٩٧).
(٥) «مصنف عبد الرزاق» (١/ ١٤٦).
(٦) «النهاية في غريب الحديث» (١/ ١٢، ١٣)، و«فتح الباري» (١٢/ ٢٩٤، ٢٩٥).
(٧) «الملل والنحل» (١/ ١١٥).
(٨) «فتح الباري» (١٢/ ٢٩٢)، و«الإصابة» (١/ ١٣٩).

الناس يقولون: هذا مالك هذا مالك، فقال علي: ابن من؟[١] فلم يعرف أحد أباه، وقد ورد في رواية صححها الطبري أن اسمه نافعًا ذا الثدية، كما قد جاء عند ابن أبي شيبة وأبي داود، إلا أن طريقهما واحد، فبعدما جاء في المصادر الثلاثة رواية واحدة ذات طريق واحد[٢].

كان علي ﷺ يتحدث عن الخوارج منذ ابتداء بدعتهم، وكثيرًا ما كان يتعرض إلى ذكر ذي الثدية، وأنه علامة هؤلاء، ويسرد أوصافه، وبعد نهاية المعركة الحاسمة أمر علي ﷺ أصحابه بالبحث عن جثة المخدج؛ لأن وجودها من الأدلة على أن عليًّا ﷺ على حق وصواب، وبعد مدة من البحث مرت على علي وأصحابه، وجد أمير المؤمنين علي جماعة مكومة بعضها على بعض عند شفير النهر قال: أخرجوهم، فإذا المخدج تحتهم جميعًا مما يلي الأرض فكبر علي، ثم قال: صدق الله، وبلغ رسوله وسجد سجود الشكر، وكبر الناس حين رأوه واستبشروا[٣].

١ - معاملة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه للخوارج:

عامل أمير المؤمنين علي ﷺ الخوارج قبل الحرب وبعدها معاملة المسلمين فما إن انتهت المعركة حتى أصدر أمره في جنده بألا يتبع مدبرًا، أو يذفف على جريح، أو يمثل بقتيل، يقول شقيق بن سلمة المعروف بأبي وائل -أحد فقهاء التابعين وممن شهد مع علي حرورية-: لم يسب علي يوم الجمل ولا يوم النهروان[٤]، وقد حمل رثة أهل النهر إلى الكوفة وقال: من عرف شيئًا، فليأخذه فجعل الناس يأخذون حتى بقيت قدر فجاء رجل وأخذها، وهذه الرواية لها طرق عدة[٥]، ولم يقسم بين جنده إلا ما حمل عليه الخوارج في الحرب من

---

(١) «الفتح الرباني على مسند الإمام أحمد» (٢٣ / ١٥٥) بإسناد حسن، و«البداية والنهاية» (٧/ ٢٩٤، ٢٩٥).
(٢) «خلافة علي بن أبي طالب» لعبد الحميد ص (٣٣٤).
(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/ ٣١٧-٣١٩) بسند صحيح.
(٤) «السنن الكبرى» للبيهقي (٨/ ١٨٢) بسند صحيح.
(٥) «التلخيص الحبير» (٤/ ٤٧).

السلاح والكراع فقط، وأمير المؤمنين علي رضي الله عنه لم يكفر الخوارج؛ إذ قبل الحرب حاول إرجاعهم إلى الجماعة وقد رجع كثير منهم، ووعظهم وخوفهم القتال، يقول ابن قدامة: وإنما كان كذلك؛ لأن المقصود كفهم ودفع شرهم لا قتلهم، فإن أمكن لمجرد القول كان أولى من القتال؛ لما فيه من الضرر بالفريقين، وهذا يدل على أن الخوارج فرقة من المسلمين، كما قال بذلك كثير من العلماء[١]، وكان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يسميهم الفاسقين، فعن مصعب بن سعد قال سألت أبي عن هذه الآية: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤] أهم الحرورية؟ قال: لا، هم أهل الكتاب اليهود والنصارى، أما اليهود فكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، وأما النصارى فكفروا بالجنة، وقالوا: ليس فيها طعام ولا شراب، ولكن الحرورية ... ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ (٢٦) الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦، ٢٧] وكان سعد يسميهم الفاسقين[٢]، وفي رواية عن سعد رضي الله عنه أنه قال لما سئل عنهم: هم قوم زاغوا فأزاغ الله قلوبهم[٣].

وقد سئل علي رضي الله عنه: أكفار هم؟ قال: من الكفر فروا، فقيل: منافقون؟ قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً، قيل: فما هم؟ قال: قوم بغوا علينا فقاتلناهم، وفي رواية: قوم بغوا علينا فنصرنا عليهم، وفي رواية: قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا[٤]، كما أنه رضي الله عنه وجه نصيحة لجيشه وللأمة الإسلامية من بعده فقال: إن خالفوا إمامًا عادلاً فقاتلوهم وإن خالفوا إمامًا جائرًا فلا تقاتلوهم فإن لهم مقالاً[٥]، والملاحظ في قتال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه للخوارج

---

(١) «فتح الباري» (١٢/ ٣٠٠، ٣٠١)، و«نيل الأوطار» (٨/ ١٨٢).
(٢) «صحيح البخاري»، و«فتح الباري» (٨/ ٤٢٥).
(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/ ٣٢٤، ٣٢٥)، و«الاعتصام» للشاطبي (١/ ٦٢).
(٤) «مصنف عبد الرزاق» (١٠/ ١٥٠)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/ ٣٣٢) بسند صحيح.
(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/ ٣٢٠)، و«فتح الباري» (١٢/ ٣٠١) له سند صحيح عند الطبري.

وقتاله في الجمل وصفين، أن عليًّا رضي الله عنه ندم وحزن على قتاله في وقعة الجمل وصفين، أما في قتاله مع الخوارج فكان يظهر الفرح والسرور لقتالهم، قال ابن تيمية: فإن النص والإجماع فرق بين هذا وهذا، فإنه قاتل الخوارج بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفرح بذلك، ولم ينازعه فيه أحد من الصحابة، وأما القتال يوم صفين فقد ظهر منه من كراهته والندم عليه ما ظهر[1].

سادسًا: من الآثار الفقهية من معارك أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه:

تمكن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بغزير علمه وسعة فقهه أن يضع قواعدًا وأحكامًا، وهي ضوابط شرعية في قتال أهل البغي، ثم سار أهل السنة من أئمة العلم والفقهاء على سيرته في البغاة، واستنبطوا من هديه الراشدي الأحكام والقواعد الفقهية في هذه الشأن، حتى قال جلة أهل العلم: لولا حرب علي لمن خالفه لما عرفت السنة في قتال أهل القبلة[2]، وروي هذا عن علي نفسه في قوله: أرأيتم لو أني غبت عن الناس، من كان يسير فيهم هذه السيرة[3]؟ وقال الأحنف لعلي رضي الله عنه: يا علي إن قومنا بالبصرة يزعمون أنك إن ظهرت عليهم غدًا، أنك تقتل رجالهم وتسبي نساءهم، فقال: ما مثلي يخاف هذا منه، وهل يحل هذا إلا ممن تولى وكفر؟ وبناء على ذلك فإن قتال أهل القبلة يخالف قتال الكفار والمرتدين من أوجه متعددة:

١ ـ أن يقصد بالقتال ردعهم ولا يتعمد به قتلهم؛ لأن المقصود ردهم إلى الطاعة ودفع شرهم لا القتل، بينما يجوز أن يتعمد قتل المشركين والمرتدين[4].

٢ ـ إذا قاتل مع البغاة عبيد ونساء وصبيان؛ فحكمهم جميعًا حكم الرجل البالغ الحر، يُقاتلون مقبلين ويتركون مدبرين ؛ لأن قتالهم لدفع أذاهم بينما يجوز قتل أهل الردة والكفر مقبلين ومدبرين[5].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٥١٦).

(٢) «التمهيد» للباقلاني ص (٢٢٩)، و«تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ٢٩٥).

(٣) «مصنف عبد الرزاق» (١٠/ ١٢٤).

(٤) «المغني» (٨/ ١٠٨ـ١٢٦).

(٥) «المغني» (٨/ ١١٠) «الأحكام السلطانية» ص (٦٠).

٣ ـ إذا ترك أهل البغي القتال إما بالرجوع إلى الطاعة، وإما بإلقاء السلاح، وإما بالهزيمة، وإما بالعجز لجراح أو مرض أو أسر، فإنه لا يجوز الإجهاز على جريحهم وقتل أسيرهم وإن جاز الإجهاز على جرحى المشركين والمرتدين وقتل أسراهم، فقد روى ابن أبي شيبة في مصنفه عن عليّ رضي الله عنه أنه قال يوم الجمل: لا تتبعوا مدبرين، ولا تجهزوا على جريح، ومن ألقى سلاحه فهو آمن(١)، وفي رواية عبد الرزاق: إن عليًّا أمر مناديه فنادى يوم البصرة، لا يتبع مدبر، ولا يذفف على جريح، ولا يقتل أسير، ومن أغلق بابه أو ألقى سلاحه فهو آمن، ولم يأخذ من متاعهم شيئًا(٢)، وقال علي يوم الجمل: لا تتبعوا مدبرًا، ولا تجهزوا على جريح، ولا تقتلوا أسيرًا، وإياكم والنساء وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم، فلقد رأيتنا في الجاهلية وإن الرجل ليتناول المرأة بالجريدة أو الهراوة فيعير بها، هو وعقبه ومن بعده(٣)، وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: شهدت صفين وكانوا لا يجهزون على جريح، ولا يقتلون موليًا، ولا يسلبون قتيلاً(٤).

٤ ـ يعتبر أحوال من في الأسر من البغاة، فمن أمنت رجعته إلى القتال أطلق سراحه، ومن لم تؤمن منه الرجعة حبس إلى انجلاء الحرب ثم يطلق، ولم يجب أن يحبس بعدها، وإن جاز أن يبقى الكافر في الأسر(٥).

٥ ـ ألاَّ يستعان لقتالهم بمشرك معاهد ولا ذمي، وإن جاز أن يستعان بهم على قتال أهل الردة والحرب(٦).

٦ ـ ألاَّ يداهنهم إلى مدة ولا يوادعهم على مال، فإن داهنهم إلى مدة لم يلزمه، فإن ضعف عن قتالهم انتظر بهم القوة عليهم، وإن وادعهم على مال بطلت

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/ ٢٣٦)، و«الفتح» (١٣/ ٥٧) إسناده صحيح.
(٢) «مصنف عبد الرزاق» (١٠/ ١٢٣، ١٢٤)، و«تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ٢٩٦).
(٣) «نصب الراية» (٣/ ٤٦٣)، و«تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ٢٩٧).
(٤) «المستدرك» (٢/ ١٥٥) سنده صحيح ووافقه الذهبي.
(٥) «الأحكام السلطانية» ص (٦٠).
(٦) المصدر نفسه ص (٦٠)، و«تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة» (٢/ ٢٩٨).

الموادعة ونظر في المال؛ فإن كان من فيئهم وصدقاتهم لم يرده عليهم، وصرف الصدقات في أهلها والفيء في مستحقه، وإن كان من خالص أموالهم لم يجز أن يملكه، ووجب رده إليهم[١]، فإن عليًّا رضي الله عنه لم يستحل مال أهل الجمل.

٧ ـ إذا خرجوا على الإمام بتأويل سائغ راسلهم، فإن ذكروا مظلمة أزالها عنهم، وإن ذكروا شبهة بينها - كما بين علي رضي الله عنه للخوارج شبههم، وعاد كثير منهم إلى صف الجماعة[٢]- فإن رجعوا وإلا وجب قتالهم عليه وعلى المسلمين[٣].

٨ ـ إن لم يخرجوا عن المظاهرة بطاعة الإمام ولم يتحيزوا بدار اعتزلوا فيها، وكانوا أفرادًا تنالهم القدرة ويسهل ضبطهم تُركوا ولم يحاربوا، وأجريت عليهم أحكام العدل فيما يجب عليهم، ولهم من الحقوق والحدود[٤].

٩ ـ لا يقاتل البغاة بما يعم إتلافه كالنار والمنجنيق وغير ذلك، ولا تحرق عليهم المساكن ولا يقطع عليهم النخل والأشجار، وإن جاز ذلك مع الكفار والمشركين؛ لأن دار الإسلام تمنع ما فيها وإن بقي أهلها، إلا إذا دعت إلى ذلك الضرورة في حالة ما إذا تحصنوا ولم ينهزموا؛ لذلك جاز للإمام رميهم بالمنجنيق أو النار على قول الشافعي وأبي حنيفة[٥].

١٠ ـ لا يجوز غنيمة أموالهم وسبي ذراريهم لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه**»[٦]، وروي عن علي رضي الله عنه يوم الجمل قوله: من عرف شيئًا من ماله مع أحد فليأخذه[٧].

وهذا من جملة ما نقم الخوارج عليه، فقالوا: إنه قاتل ولم يسب ولم يغنم، فإن حلت له دماؤهم فقد حلت له أموالهم، وإن حرمت عليه أموالهم فقد

(١) «الأحكام السلطانية» ص (٦٠) للماوردي.
(٢) «السنن الكبرى» للبيهقي (٨/ ١٨٠).
(٣) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٤٥٠).
(٤) «الأحكام السلطانية» ص (٥٨) للماوردي.
(٥) «المغني» لابن قدامة (٨/ ١١٠).
(٦) «سنن الدارقطني» (٣/ ٢٦) صححه الألباني في «إرواء الغليل» رقم (١٤٥٩).
(٧) «المغني» (٨/ ١١٥).

حرمت عليه دماؤهم، فقال لهم ابن عباس رضي الله عنهما في مناظرته لهم: أَفَتسْبُون أمكم؟ ـ يعني عائشة ـ أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها؟ فإن قلتم: ليست أمكم كفرتم، وإن قلتم: إنها أمكم واستحللتم سبيها فقد كفرتم[1]، ويعقب ابن قدامة قائلاً: ولأن قتال البغاة إنما هو لدفعهم وردهم إلى الحق لا لكفرهم، فلا يستباح منهم إلا ما حصل لضرورة الدفع كالصائل وقاطع الطريق، وبقي حكم المال والذرية على أصل العصمة[2]، والظاهر من المأثور عن علي رضي الله عنه جواز الانتفاع بسلاحهم.

فقد روى ابن أبي شيبة عن أبي البختري قال: لما انهزم أهل الجمل قال علي رضي الله عنه: لا تطلبوا من كان خارجًا من العسكر، وما كان من دابة أو سلاح فهو لكم[3].

وفي رواية أخرى قال: ولا تأخذوا شيئًا من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم[4].

١١ ـ من قتل من البغاة غسل وكفن وصلي عليه لأنهم مسلمون، على مذهب الشافعي وأصحاب الرأي[5].

١٢ـ إذا لم يكن البغاة من أهل البدع فهم ليسوا فاسقين، وقتال الإمام وأهل العدل لهم إنما من جهة خطئهم في التأويل، وهم كالمجتهدين من الفقهاء في الأحكام، ومن شهد منهم قبلت شهادته إذا كان عدلاً، وهذا قول الشافعي، وأما الخوارج وأهل البدع إذا بغوا على الإمام فلا تقبل شهادتهم؛ لأنهم فسّاق[6].

---

(١) «السنن الكبرى» للبيهقي (٨ / ١٧٩)، و«خصائص أمير المؤمنين» للنسائي ص (١٩٧) إسناده حسن .
(٢) «تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ٣٠٠) .
(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/ ٢٦٣) .
(٤) «تاريخ الطبري»، نقلاً عن «تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ٣٠٠) .
(٥) «تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ٣٠١) .
(٦) «المغني» (٨/ ١١٨)، و«تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ٣٠١) .

١٣ ـ يجوز للعادل قتل ذي رحمه الباغي؛ لأنه قتله بحق، فأشبه إقامة الحد عليه مع كراهية قصد ذلك[١].

١٤ ـ إذا غلب أهل البغي بلداً فجبوا الخراج والزكاة والجزية وأقاموا الحدود، لم يطالبوا بشيء مما جبوه إذا ظهر أهل العدل على ذلك البلد وظفروا بهم، فعندما ظهر علي ﷺ على أهل البصرة بعد موقعة الجمل لم يطالبهم بشيء مما جبوه[٢].

١٥ ـ حكم وراثة الباغي من العادل: لا يرث باغي قتلٍ عدلاً، ولا عادل قتل باغيًا لقوله ﷺ: «**القاتل لا يرث**»[٣]، وقال أبو حنيفة: أورث العادل من الباغي ولا أورث الباغي من العادل، وقال أبو يوسف: أورث كل منهما من صاحبه لأنه متأول في قتله[٤]، وبهذا قال النووي[٥].

١٦ ـ إذا لم يكن دفع أهل البغي إلا بقتلهم، جاز قتلهم ولا شيء على من قتلهم من إثم ولا ضمان ولا كفارة؛ لأنه فعل ما أمر به وقتل من أجل الله ﴿**فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ**﴾ [الحجرات: ٩]، فإن المسلم إذا أريدت نفسه جاز له الدفع عنها بقتل من أرادها إذا كان لا يندفع بغير القتل، وكذلك ما أتلفه أهل العدل على أهل البغي حال الحرب من المال، فلا ضمان فيه[٦]، وليس على أهل البغي بالمقابل ضمان ما أتلفوه حال الحرب من نفس ولا مال في أصح الأقوال كما ذكر النووي[٧]، ويدل على ذلك ما روى الزهري عن إجماع الصحابة ألاَّ يضمن الباغي إذا قتل العادل، قال: هاجت الفتنة الأولى وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون، وفيهم البدريون، فأجمعوا أنه لا يقاد أحد ولا يؤخذ مال أحد على تأويل القرآن[٨]، وفي رواية عبد الرزاق: فإن الفتنة الأولى

(١) «المغني» (٨/ ١١٨)، و«تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ٣٠١).
(٢) «المغني» (٨/ ١١٩)، و«تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ٣٠٢).
(٣) «سنن ابن ماجه»، كتاب الديات (٢/ ٨٨٣)، و«صحيح سنن ابن ماجه» رقم (٢١٤٠).
(٤) «الأحكام السلطانية» ص (٦١).
(٥) «شرح النووي على صحيح مسلم» (٧/ ١٧٠).
(٦) «المغني» (٨/ ١١٢).
(٧) «شرح النووي على صحيح مسلم» (٧/ ١٧٠).
(٨) «السنن الكبرى للبيهقي» (٨/ ١٧٤) بسند صحيح، و«تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ٣٠٣).

ثارت وأصحاب رسـول الله صلى الله عليه وسلم ممن شهد بدرًا كثير، فـاجتمع رأيهم على ألاَّ يقيمـوا على أحد حدًّا في فرج اسـتحلوه بتـأويل القرآن، ولا قـصاص في دم استحلوه بتـأويل القرآن، ولا يرد مال استحلوه بتـأويل القرآن إلا أن يوجد شيء بعينه فيرد على صاحبه[1].

سابعًا: من أهم صفات الخوارج:

إن الباحث في تاريخ فرقة الخوارج يلاحظ عـدة صفات اتصف بها أتباع هذه الفرقة منها:

١ - الغلو في الدين:

مما لا شك فيه أن الخوارج أهل طاعة وعبادة، فقد كانوا حريصين كل الحرص على التمسك بالدين وتطبيق أحكامه، والابتعاد عن جميع ما نهى عنه الإسلام، وكذلك التحرز التام عن الوقوع في أي معـصية أو خطيئة تخالف الإسلام، حتى أصبح ذلك سـمة بارزة في هذه الطائفة لا يدانيـهم في ذلك أحد، ولا أدل على ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صيامكم إلا صـيامهم بشيء**»[2]، وقال ابن عباس رضي الله عنهما يصـفهم حينما دخل عليهم لمناظرتهم: دخلت على قوم لم أر قط أشد منهم اجتـهادًا، جباههم قرحة من السجود وأياديهم كأنها ثفن[3] الإبل، وعليهم قمص مـرحضة[4]، مشمرين مسهمة وجوههم من السهر[5].

وعن جندب الأزدي قال: لما عدلنا إلى الخوارج ونحن مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فانتهينا إلى معـسكرهم، فإذا لهم دوي كدوي النحل من قراءة القرآن[6]، فقـد كانوا أهل صيـام وصلاة وتلاوة للقرآن، لـكنهم تجاوزوا حد الاعـتدال إلى

(١) «مصنف عبد الرزاق» (١٠/ ١٢١).

(٢) «مسلم»، كتاب الزكاة، شرح النووي (٧/ ١٧١).

(٣) الثفن: جمع ثفنة: ركبة البعير وغيرها مما يجعل فيها غلظ من أثر البروك.

(٤) مرحضة: مغسولة، و«النهاية في غريب الحديث والأثر» (٢/ ٢٠٨).

(٥) «تلبيس إبليس» ص (٩١).

(٦) المصدر نفسه ص (٩٣).

درجة الغلو والتشدد، حيث قادهم هذا التشدد إلى مخالفة قواعد الإسلام بما تمليه عليهم عقولهم؛ كالقول بتكفير صاحب الكبيرة، وسيأتي مناقشة عقائدهم وأفكارهم بإذن الله تعالى، ومنهم من بالغ في ذلك حتى على كل من ارتكب ذنبًا من الذنوب، ولو كان صغيرًا فإنه كافر مشرك مخلد في النار(١)، وكان من نتيجة هذا التشدد الذي خرج بهم عن حدود الدين وأهدافه السامية، أن كفروا كل من لم ير رأيهم من المسلمين ورموهم بالكفر أو النفاق، حتى إنهم استباحوا دماء مخالفيهم(٢)، ومنهم من استباح قتل النساء والأطفال من مخالفيه كالأزارقة مثلاً(٣)، ولا شك أن الخوارج بما اتصفوا به من الجهل والتشدد والجفاء، قد شوهوا محاسن الدين الإسلامي تشويهًا غريبًا، فإن هذا الإغراق في التأويل والاجتهاد؛ أخرجهم عن روح الإسلام وجماله واعتداله، وهم في تعمقهم قد سلكوا طريقًا ما قال به محمد ﷺ ولا دعا إليه القرآن الكريم، وأما التقوى التي كانوا يظهرون بها، فهي من قبيل التقوى العمياء والصلاح الذي كانوا يتزينون به في الظاهر، كان ظاهر التأويل بادي الزخرفة، وقد طمعوا في الجنة وأرادوا السعي لها عن طريق التعمق والتشدد والغلو في الدين غلوًّا أخرجهم عن الحد الصحيح(٤)، ولذلك حذر النبي ﷺ من التعمق والتشدد في الدين؛ لأنه مخالفة للاعتدال وسماحة الإسلام، وأخبر أن المتنطع مستحق للهلاك والخسران، فقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**هلك المتنطعون**» قالها ثلاثًا(٥)، فبهذا يتبين لنا شذوذ الخوارج، وكذلك من سار على منهجهم المبني على التعسف والتشدد المخالف لسماحة الإسلام ويسره، فإن الإسلام دين اليسر والسماحة، فقد قال ﷺ: «**إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا**»(٦).

---

(١) «الفصل» لابن حزم (٤/ ١٩١)، و«الخوارج»، لناصر السعوي ص (١٨٣).

(٢) «الخوارج» للسعوي ص (١٨٣).

(٣) «تلبيس إبليس» ص (٩٥)، و«الخوارج» للسعوي ص (١٨٤).

(٤) «الخوارج» للسغوي ص (١٨٤).

(٥) «مسلم»، كتاب العلم، «شرح النووي» (١٦/ ٢٢٠).

(٦) «البخاري»، كتاب الإيمان، «شرح الباري» (١/ ٩٣).

٢ - الجهل بالدين:

إن من كبرى آفات الخوارج صفة الجهل بالكتاب والسنة، وسوء فهمهم وقلة تدبرهم وتعقلهم، وعدم إنزال النصوص منازلها الصحيحة، وكان ابن عمر يراهم شرار خلق الله، وقال: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين[(١)]، وكان ابن عمر إذا سئل عن الحرورية، قال: يكفرون المسلمين، ويستحلوا دماءهم وأموالهم، وينكحون النساء في عددهم، وتأتيهم المرأة فينكحها الرجل منهم ولها زوج، فلا أعلم أحدًا أحق بالقتال منهم[(٢)]، ومن جهلهم بشرع الله رأوا أن التحكيم معصية تستوجب الكفر، فيلزم من وقع فيه أن يعترف على نفسه بالكفر ثم يستقبل التوبة، وهذا ما طالبوا به عليًّا رضي الله عنه إذ طلبوا منه أن يقر على نفسه بالكفر ثم يستقبل التوبة[(٣)]، فتخطئة الخوارج له ولمن معه من المهاجرين والأنصار، واعتقادهم أنهم أعلم منهم وأولى منهم بالرأي، وهو والله عين الجهل والضلال[(٤)]، ومن جهالتهم الشنيعة: أنهم وجدوا عبد الله بن خباب رضي الله عنهما ومعه أم ولد حبلى، فناقشوه في أمور، ثم سألوه رأيه في عثمان وعلي رضي الله عنهما، فأثنى عليهما خيرًا، فنقموا عليه، وتوعدوه بأن يقتلوه شر قتلة فقتلوه وبقروا بطن المرأة[(٥)]، ومر بهم خنزير لأهل الذمة فقتله أحدهم، فتحرجوا من ذلك وبحثوا عن صاحب الخنزير وأرضوه في خنزيره، فيا للعجب، أتكون الخنازير أشد حرمة من المسلمين عند أحد يدعي الإسلام؟[(٦)]، لكنها عبادة الجهال، التي أملاها عليهم الهوى والشيطان[(٧)].

قال ابن حجر: إن الخوارج لما حكموا بكفر من خالفهم استباحوا دماءهم وتركوا أهل الذمة فقالوا: نفي لهم بعهدهم وتركوا قتال المشركين، واشتغلوا

---

(١) «ظاهرة الغلو في الدين»، لمحمد عبد الحكيم ص (١١٤).
(٢) «الاعتصام» (٢/ ١٨٣، ١٨٤).
(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/ ٣١٢، ٣١٣)، والألباني في «إرواء الغليل» (٨/ ١١٨، ١١٩)، و«تلبيس إبليس» ص(٩٣).
(٤) «الخوارج» للسعوي ص (١٨٦).
(٥) «تلبيس إبليس» ص (٩٣)
(٦) «فتح الباري» (١٢/ ٢٨٥).
(٧) «الخوارج» للسعوي ص (١٨٧)

بقتال المسلمين، وهذا كله من آثار عبادة الجهال الذين لم تنشرح صدورهم بنور العلم ولم يتمسكوا بحبل وثيق منه، وكفى أن رأسهم رد على رسول الله ﷺ أمره ونسبه إلى الجور، نسأل الله السلامة[١]، وقال عنهم ابن تيمية رحمه الله: فهم جهال فارقوا السنة والجماعة عن جهل[٢].

وبهذا يتبين أن الجهل كان من الصفات البارزة في تلك الطائفة التي هي إحدى الطوائف المنتسبة إلى الإسلام، فالجهل مرض عضال يهلك صاحبه من حيث لا يشعر، بل قد يريد الخير فيقع في ضده[٣].

٣ - شق عصا الطاعة:

قال ابن تيمية: فهؤلاء ضلالهم اعتقادهم في أئمة الهدى وجماعة المسلمين أنهم خارجون عن العدل، وأنهم ضالون، وهذا مأخذ الخارجين عن السنة من الرافضة ونحوهم، ثم يعدون ما يرون أنه ظلم عندهم كفرًا، ثم يرتبون على الكفر أحكامًا ابتدعوها[٤]، هذا وقد شقوا عصا الطاعة وسعوا في تفريق كلمة المسلمين ويوضح ذلك موقفهم مع أمير المؤمنين علي رضي الله عنه؛ حيث تخلوا عنه وخالفوه في أحرج المواقف وعصوا أمره[٥]، وظلت تلك الصفة من صفاتهم على مدار التاريخ، كل من خالفهم في أمر عادوه ونبذوه حتى أنهم تفرقوا هم أنفسهم إلى عدة فرق يكفر بعضها بعضًا، ولذلك كثر فيهم الغارات والشقاق والثورات[٦].

٤ - التكفير بالذنوب واستحلال دماء المسلمين وأموالهم:

قال ابن تيمية: والفرق الثاني في الخوارج وأهل البدع، أنهم يكفرون بالذنوب والسيئات، ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم، وإن دار الإسلام دار حرب، ودارهم هي دار الإيمان وكذلك يقول جمهور الرافضة.. فهذا أصل البدع التي ثبتت بنص سنة الرسول ﷺ، وإجماع

---

(١) «فتح الباري» (١٢/ ٣٠١). (٢) «منهاج السنة» (٣/ ٤٦٤).

(٣) «نوادر الأصول»، لمحمد حكيم الترمذي ص (٥٤)، و«الخوارج» للسعوي ص (٨٨١).

(٤) «الفتاوى» (٢٨/ ٤٩٧). (٥) «الخوارج» للسعوي ص (١٩١). (٦) المصدر نفسه ص (١٩٢)

السلف أنها بدعة، وهو جعل العفو سيئة، وجعل السيئة كفرًا[١]، وقد تميز الخوارج بآراء خاصة فارقوا بها جماعة المسلمين، ورأوها من الدين الذي لا يقبل الله غيره، ومن خالفهم فيها فقد خرج من الدين في زعمهم فأوجبوا البراءة منه، بل إن منهم من غلا في ذلك، فأوجبوا قتال من خالفهم واستحلوا دماءهم[٢].

فمن ذلك: أنهم قتلوا عبد الله بن خباب بغير سبب غير أنه لم يوافقهم على رأيهم[٣]، وقال ابن كثير: فجعلوا يقتلون النساء والولدان، ويبقرون بطون الحبالى، ويفعلون أفعالاً لم يفعلها غيرهم[٤].

وقال ابن تيمية: وكانت البدعة الأولى مثل بدعة الخوارج، إنما هي من سوء فهمهم للقرآن، لم يقصدوا معارضته لكن فهموا منه ما لم يدل عليه، فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب؛ إذ كان المؤمن هو البر التقي، قالوا: فمن لم يكن برًّا تقيًّا فهو كافر وهو مخلد في النار، ثم قالوا: وعثمان وعلي رضي الله عنهما ومن والاهما ليسوا بمؤمنين ؛ لأنهم حكموا بغير ما أنزل الله، فكانت بدعتهم لها مقدمتان:

الأولى: إن من خالف القرآن بعمل أو برأي أخطأ فيه فهو كافر.

والثانية: إن عثمان وعليًّا رضي الله عنهما ومن والاهما كانوا كذلك .

ولهذا يجب الاحتراز من تكفير المؤمنين بالذنوب والخطايا، فإنها أول بدعة ظهرت في الإسلام يُكَفِّرْ أهلها المسلمين، واستحلوا دماءهم وأموالهم، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث صحيحة في ذمهم والأمر بقتالهم[٥].

٥- تجويزهم على النبي صلى الله عليه وسلم ما لا يجوز في حقه «كالجور»:

قال ابن تيمية: والخوارج جوزوا على الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه أن يجور ويضل في سنته، ولم يوجبوا طاعته ومتابعته، وإنما صدقوه فيما بلغه من القرآن دون ما

---

(١) «الفتاوى» (١٩/ ٧٣) . (٢) «منهاج السنة» (٣/ ٦٢) .

(٣) «الفرق بين الفرق» للبغدادي ص (٥٧)، و«الخوارج» للسعوي ص (١٩١) .

(٤) «البداية والنهاية» (٣/ ٢٩٤) . (٥) «الفتاوى» (١٣/ ٣٠، ٣١) .

شرعه من السنة التي تخالف ـ بزعمهم ـ ظاهر القرآن، وغالب أهل البدع والخوارج يتابعونهم في الحقيقة على هذا، فإنهم يرون أن الرسول ﷺ لو قال بخلاف مقالتهم لما اتبعوه. . . وإنما يدفعون عن نفوسهم الحجة، إما برد النقل، وإما بتأويل المنقول، فيطعنون تارةً في الإسناد، وتارةً في المتن، وإلا فهم ليسوا متبعين ولا مؤتمين بحقيقة السنة التي جاء بها الرسول ﷺ ، بل ولا بحقيقة القرآن[١].

٦ - الطعن والتضليل:

من أبر صفات الخوارج الطعن في أئمة الهدى وتضليلهم والحكم عليهم بالخروج عن العدل والصواب، وقد تجلت هذه الصفة في موقف ذي الخويصرة مع رسول الهدى ﷺ ، حيث قال ذو الخويصرة: يا رسول الله اعدل[٢]، فقد عدل ذو الخويصرة نفسه أورع من رسول الله ﷺ ، وحكم على رسول الله ﷺ بالجور والخروج على العدل في القسمة، وإن هذه الصفة قد لازمتهم عبر التاريخ، وقد كان لها أسوأ الأثر لما ترتب عليها من أحكام وأعمال[٣].

٧ - سوء الظن:

هذه صفة أخرى للخوارج تجلت في حكم ذي الخويصرة الجهول على رسول الهدى ﷺ بعدم الإخلاص، حيث قال: والله إن هذه لقسمة ما عدل فيها، وما أريد فيها وجه الله[٤]، فذو الخويصرة الجهول لما رأى رسول الله ﷺ قد أعطى السادة الأغنياء، ولم يعط الفقراء، لم يحمل هذا التصرف على المحمل الحسن، وهذا شيء عجيب خصوصًا وأن دواعيه كثيرة، فلو لم يكن إلا أن صاحب هذا التصرف هو رسول الهدى ﷺ ، لكفى به داعيًا إلى حسن الظن، ولكن ذا الخويصرة أبى ذلك، وأساء الظن لمرضه النفسي، وحاول أن يستر هذه

---

(١) «الفتاوى» (١٩/ ٧٣).
(٢) «البخاري»، كتاب استتابة المرتدين، «فتح الباري» (١٢/ ٢٩٠).
(٣) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (١٠٦).
(٤) «البخاري»، كتاب استتابة المرتدين، «فتح الباري» (١٢/ ٢٩٠).

العلة بستار العدل، وبذلك ضحك منه إبليس، واحتال عليه، فأوقعه في مصايده، فينبغي للمرء أن يراقب نفسه، وأن يدقق في دوافع سلوكه ومقاصده، وأن يحذر هواه، وأن يكون منتبهًا لحيل إبليس؛ لأنه كثيرًا ما يزين العمل السيئ بغلاف حسن براق، ويبرر السلوك القبيح باسم مبادئ الحق، ومما يعين المرء على وقاية نفسه، والنجاة لها من حيل الشيطان ومصايده العلم، فذو الخويصرة لو كان عنده أثارة من علم ،أو ذرة من فهم لما سقط في هذا المنزلق[١].

٨ ـ الشدة على المسلمين:

عرف الخوارج بالغلظة والجفوة، وقد كانوا شديدي القسوة والعنف على المسلمين، وقد بلغت شدتهم حدًّا فظيعًا، فاستحلوا دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم فروعوهم وقتلوهم، أما أعداء الإسلام من أهل الأوثان وغيرهم فقد تركوهم وودعوهم فلم يؤذوهم، ولقد سجل التاريخ صحائف سوداء للخوارج في هذا السبيل[٢]، وما قصة عبدالله بن خباب ومقتله عنا ببعيد، فمعاملة الخوارج للمسلمين مصحوبة بالقسوة والشدة والعنف، وأما للكافرين، فلين وموادعة ولطف[٣]، فقد وصف الشارع الشريعة بأنها سهلة سمحة، وإنما ندب إلى الشدة على الكفار، وإلى الرأفة بالمؤمنين، فعكس ذلك الخوارج[٤]، قال تعالى: **﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾** [الفتح:٢٩]، وقال تعالى: **﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي الله بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾** [المائدة:٥٤] فالخوارج عكسوا الآيات، فأرهبوا المسلمين وروعوهم[٥].

هذه بعض الصفات التي اشتهر بها الخوارج.

---

(١) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (١٠٦، ١٠٧).
(٢) المصدر نفسه ص (١١٠).
(٣) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (١١١).
(٤) «فتح الباري» (١٢/ ٣٠١).
(٥) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (١١١).

ثامنًا: بعض الآراء الاعتقادية للخوارج:

ومع مرور الزمن استقرت آراء عقائدية خاصة بفرقة الخوارج، وخالفوا فيها كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ومن هذه الآثار المنحرفة:

١- تكفير صاحب الكبيرة:

إن الخوارج يكفرون مرتكب الكبيرة ويحكمون بخلوده في النار، وقد استدلوا على معتقدهم ذلك بأدلة:

أ- استدلوا بقوله تعالى: ﴿**بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [البقرة: ٨١] فقد استدلوا بهذه الآية على تخليد أصحاب المعاصي في النار، وقالوا: إنه لا أمل للعاصي الذي يموت على معصيته في رحمة الله[١]، فزعموا أن الخطيئة تحيط بالإنسان، فلا يبقى له معها حسنة مقبولة، حتى الإيمان فإنها تذهبه، ولكن الأمر عكس ما ذهبوا إليه، وهذه الآية نفسها ترد مذهبهم فقد دلت على أن من أحاطت به خطيئته فإنه يخلد في النار، وليس هناك خطيئة تحيط بالإنسان وتحبط أعماله، ويخلد بسببها في النار إلا الكفر والشرك بالله، ويؤيد هذا أن تلك الآية نزلت في اليهود، وهم قد أشركوا بالله وحادوا عن سبيله، ومما يبطل زعمهم أيضًا أن الله قد أوضح سبحانه أن مجرد كسب السيئة لا يوجب الخلود في النار، بل لابد أن تكون سيئة محيطة به، قيل: هي الشرك، روي هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وروي عنه: أن معنى هذه الآية: من كفر حتى يحيط به كفره، فلا تقبل له حسنة، وهذا أولى لما ثبت في السنة تواترًا من خروج عصاة الموحدين من النار[٢]، ثم إن قوله تعالى: ﴿**مَن كَسَبَ سَيِّئَةً**﴾ وسيئة نكرة فهي عامة لجميع أنواع السيئات، قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله: والمراد بها هنا الشرك بدليل قوله تعالى: ﴿**وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ**﴾ أي أحاطت بعاملها، فلم تدع له منفذًا، وهذا لا يكون

---

(١) «الإباضية في موكب التاريخ» لعلي معمر (١/ ١٣٣).

(٢) «فتح القدير» للشوكاني (١/ ١٠٥).

إلا الشرك، فإن من معه الإيمان لا تحيط به خطيئته، ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، وقد احتج بها الخوارج على كفر صاحب المعصية، وهي حجة عليهم كما ترى، فإنها ظاهرة في الشرك، وهكذا كل مبطل يحتج بآية أو حديث صحيح على قوله الباطل، فلا بد أن يكون فيما احتج به حجة عليه[1]، وغير ذلك من الأدلة التي رد عليها جزئيًّا أهل السنة والجماعة كل في محله، ويمكن أن نجمل الرد على الخوارج في تكفيرهم لصاحب الكبيرة وذلك من عدة وجوه:

أ- إن مرتكب الكبيرة لو كان كافرًا لكان حكمه حكم غيره ممن كفر بعد إيمانه، وهو أن يكون مرتدًّا يجب قتله؛ لقوله ﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**»[2]، ولقوله ﷺ: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ألاَّ إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة**»[3]، فهذان الحديثان وغيرهما من أدلة حكم المرتد تفيد أن كل من كفر بعد إيمانه فحكمه القتل، لكن نصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف لا يقتل، بل يقام عليه الحد، كما قال تعالى: ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [النور: ٢]، وقال الله تعالى في حكم السارق: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [المائدة: ٣٨].

وورد في شارب الخمر ما روي عن عمر بن الخطاب ﷛: أن رجلاً كان على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله وكان يلقب حمارًا، وكان يضحك رسول الله ﷺ وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب، فأتي به يومًا، فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي ﷺ: «**لا تلعنوه، فوالله ما علمت أنه يحب الله ورسوله**»[4]، فقد أمر النبي ﷺ

---

(١) "تفسير السعدي" (١/ ١٠٣).

(٢) "البخاري"، كتاب الجهاد، "فتح الباري" (٦/ ١٤٩)

(٣) "البخاري"، كتاب الديات، "فتح الباري" (١٢/ ٢٠١).

(٤) "البخاري"، كتاب الحدود، "فتح الباري" (١٢/ ٧٥).

بجلد شارب الخمر ولم يقتله، بل نهى عن لعنه بعينه، وشهد لهذا الرجل بحب الله ورسوله، مع أنه قد تكرر منه شرب الخمر عدة مرات، ولم يحكم على هذا ولا على السارق والزاني بالكفر ولا قطع الموالاة بينهم وبين المسلمين، كان يستغفر لهم ويقول لا تكونوا أعوان الشيطان على أخيكم[1]، وقد أجمعت الأمة من الصحابة والتابعين على ذلك إلا من شذ عنهم فلا عبرة بقوله، ثم أيضًا إنه لو كان صاحب الكبيرة كافرًا لوجب التفريق بينه وبين زوجته المؤمنة والمرأة كذلك، وكذلك أيضًا فإنه لا يرث مسلمًا ولا يرثه مسلم، ولكن النبي ﷺ لم يفرق بين من فعل معصية وبين زوجته، ولم يحرمه من ميراث من له الإرث منه، وكذلك صحابته والتابعون لهم بإحسان فثبت يقينًا أنه غير كافر[2].

ب ـ إن الله سبحانه وتعالى سمى أهل الكبائر مؤمنين مع ارتكابهم لها في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ وقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [الحجرات: ٩-١٠].

قال ابن كثير - رحمه الله -: فسماهم مؤمنين مع الاقتتال، وبهذا استدل البخاري وغيره على أنه لا يخرج عن الإيمان بالمعصية وإن عظمت، لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم[3]، ومثل هذه الآية أيضًا قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ١٧٨].

قال ابن حزم رحمه الله: فابتدأ الله عز وجل بخطاب أهل الإيمان من كان

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٦٧١).

(٢) «الخوارج» للسعوي ص (١١٦، ١١٧).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢١١).

فيهم من قاتل أو مقتول، ونص تعالى على أن القاتل عمدًا وولي المقتول إخوان، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنِينَ إِخْوَةٌ﴾ فصح أن القاتل عمدًا مؤمن بنص القرآن وحكمه له بأخوة الإيمان، ولا يكون الكافر مع المؤمنين بتلك الأخوة[1]، فهذه بعض أدلة أهل السنة في ردهم على قول الخوارج في مرتكب الكبيرة، وقد استقر هذا المعتقد عند علماء أهل السنة وسطروه في كتبهم وإليك بعض أقوالهم:

٢ - رأيهم في الإمامة:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : لا بد للناس من إمارة برة كانت أو فاجرة، قيل له: هذه البرة قد عرفناها، فما بال الفاجرة؟ قال: يؤمن بها السبيل ويقام بها الحدود، ويجاهد بها العدو ويقسم بها الفيء[2]، ولهذا كان حكم الإمامة واجبًا على الأمة الإسلامية؛ إذ لو بقوا بلا إمام لأثموا جميعًا؛ لقوله تعالى: ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ [النساء: ٥٩] قال ابن كثير في الآية: الظاهر والله أعلم أن الآية عامة في جميع أولي الأمر من الأمراء والعلماء[3]، وهذا هو الراجح ووجه الاستدلال من هذه الآية، أنه سبحانه أوجب على المسلمين طاعة أولي الأمر منهم وهم الأئمة، والأمر بالطاعة دليل على وجوب نصب ولي الأمر؛ لأن الله تعالى لا يأمر بطاعة من لا وجود له، ولا يفرض طاعة من وجوده مندوب، فالأمر بطاعته يقتضي الأمر بإيجاده فدل على أن إيجاد إمام للمسلمين واجب عليهم[4].

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**»[5]، أي بيعة الإمام، وهذا واضح الدلالة على وجوب نصب الإمام؛ لأنه إذا كانت البيعة واجبة في عنق المسلم، والبيعة لا تكون إلاَّ لإمام، فنصب الإمام واجب، وقد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم، وكذلك من بعدهم على

(١) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٣/ ٢٣٥).
(٢) «منهاج السنة» (١/ ١٤٦).
(٣) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٠٣).
(٤) «الإمامة العظمى» للدميجي ص (٤٧) .
(٥) «مسلم»، كتاب الإمامة (٣/ ١٤٧٨).

وجوب الإمامـة، ومما يحتم وجوب الإمامة، مـا وردت به الشريعة من الأحكام الواجبة التي لا يتولاها إلا الإمام ولا تصح بدونه[١]، وذلك مثل: الجهاد والحج وإقامة الحدود ونحو ذلك، مما لا يتم إلا بالقوة والإمارة[٢].

وقد بينت الشريعة أن مـن حـقوق الإمام السمع والطاعة في غير مـعصية الله تعالى، فقـد قال رسول الله ﷺ: «**من أطاعني فقـد أطاع الله ومن عصاني فـقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني**»[٣].

وقد أوجب الشارع طاعة الإمـام ما لم يأمر بمعصية، فإن أمر بمعـصية الله فلا يجوز طاعته فيها، ولا إعانتـه عليها، ويجب أن يعان على طاعة الله وأن يستعان به عليها ما أمكن ذلك[٤].

فيكون مـوقف المسلم النصيـحة لولاة أمور المسلمين؛ لـقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح عن أبي رقـية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**الدين النصيـحـة**» ثلاثًا، قلنا: لمن يـا رسول الله؟ قـال: «**لله عـز وجل ولكتـابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[٥]، قال ابن حجر: والنصيحة لأئمة المسلمين إعانتهم على ما حملوا القيام به، وتنبيههم عند الغفلة، وسد خلتهم عند الهفوة، وجمع الكلمة عليهم ورد القلوب النافرة إليهم، ومن أعظم نصيحتهم دفعهم عن الظلم بالتي هي أحسن، ومن جملة أئمة المسلمين أئمة الاجتهاد، وتقع النصيحة لهم ببث علومهم ونشر مناقـبهم وحُسْن الظن بهم[٦]، وقد خالف الخوارج ذلك المبدأ الرشـيد، فرأوا الخروج على أئمـة المسلمين عند أتفه الأسباب، وقـد فعلوا ذلك مع أمـير المؤمنين علي رضي الله عنه وأرضـاه، فسـفكوا الدمـاء، وقطعوا السـبل، وضيعوا الحقوق وسعوا في إضـعاف المسلمين حتى تكالبت عليهم الأعداء، فهذا من أضرار الخروج على أمـير المؤمنين علي رضي الله عنه، وقد خالفت الخـوارج ما كان

---

(١) «أصول الدين» للبغدادي ص (٢٧٢).
(٢) «السياسة الشرعية» لابن تيمية ص (١٢).
(٣) «البخاري»، كتاب الجهاد، «فتح الباري» (٦/١١٦).
(٤) «منهاج السنة» (١/١٤٧).
(٥) «مسلم»، كتاب الإيمان، «شرح النووي» (٢/٣٧).
(٦) «فتح الباري» (١/١٣٨).

عليه جمهور المسلمين من اشتراط النسب القرشي في الإمام، وقالوا: إنه لا خصوصية لقريش فيها ولا مزية لهم عن سواهم، بل كل من صار أهلاً لها جاز توليته من دون أي نظر إلى نسبه[١]، وقد احتجوا لمذهبهم بما يلي:

أ ـ قالوا: لأن اشتراط القرشية يخالف المعقول؛ إذ لا يمنع العقل أن يوجد في غيرهم من هو أفضل منهم.

ب ـ لم يجعل الله النبوة في قوم خاصين فكيف يجعل الإمامة كذلك؟.

جـ ـ إن القرآن لا يدل على ذلك لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات: ١٣].

د ـ استدلوا بقوله صلى الله عليه وسلم: «**لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى**»[٢].

هـ ـ واستدلوا بقوله صلى الله عليه وسلم: «**وإن أمر عليكم عبد حبشي مجدوع الأنف، فاسمعوا وأطيعوا ما أقام فيكم كتاب الله**»[٣].

و ـ لم يثبت الأنصار القرشية في الإمامة، ولو أثبتوها لما طالبوا بالإمامة ولرد عليهم المهاجرون بها[٤].

ز ـ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولى على الأمم من غير قريش، والولايات والإمارات عن الإمارة العظمى، فما جاز فيها جاز في فروعها، وما امتنع فيها امتنع في فروعها[٥].

* وجوه الرد على الخوارج:

أ ـ أما احتجاجهم بالعقل، فهو مردود لأنه لا حجة فيه مع ثبوت النص والإجماع.

ب ـ وأما احتجاجهم بأن الله لم يجعل النبوة خاصة بقوم فلا حجة في ذلك؛

(١) «الفصل» (٤/ ٨٩)، و«مقالات الإسلاميين» (١/ ٢٠٤).

(٢) «مسند أحمد» (٥/ ٤٤١).

(٣) «مسلم»، شرح النووي (١٢/ ٢٢٧)

(٤) «الخوارج» للسعوي ص (١٥٥).

(٥) المصدر نفسه ص (١٥٥)

لأن الله يصطفي للنبوة والرسالة أصلح الناس لها، والخلق لا يستطيعون القطع على أن فلانًا أصلح من غيره، ولا يقارن اختيار المخلوق مع اختيار الخالق، وأما الميزة لقريش فهي على جهة العموم لما كانت تحتله من المكانة الدينية والاجتماعية في قلوب الناس.

جـ ـ وأما استدلالهم بقوله تعالى: **﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ الله أَتْقَاكُمْ﴾** وقوله ﷺ: «**لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى**»، فالجواب على هذا من وجهين:

١ ـ أن يراد بالآية والحديث المفاضلة بين الناس عامة، فلا شك أن من فضل على صاحبه بزيادة في التقوى، فهو أكرم منه وأفضل عند الله، وهذا بغض النظر عن الإمامة وهذا هو المراد بالآية والحديث لأن دلالة كل منهما عامة.

٢ ـ وأما من جهة الإمامة فلا شك أيضًا، أن من زاد على غيره بالعدل والتقوى والصلاح مع توفر باقي شروط الإمامة فيه، فهو أولى لكن لا ننسى أن النسب القرشي شرط، ولا تعارض بين تلك الشروط.

د ـ وأما احتجاجهم بما ورد في وجوب السمع والطاعة وإن كان الأمير عبدًا حبشيًّا، فهذا الأمر لا إشكال فيه، وقد ورد فيه عدة روايات منها قوله ﷺ: «**اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة**»[١]، وهذا لا يمنع اشتراط الإمامة في قريش، وهو عند أهل السنة مخرج على ثلاثة أمور:

١ـ أن يكون العبد مستعملاً من جهة الإمام القرشي وليس هو الإمام الأعظم.

٢ـ قد قيل: إن العبد الحبشي إنما ذكره على وجه ضرب المثل، وإن لم يصح وقوعه، كما قال ﷺ فيمن بنى مسجدًا ولو كمفحص قطاة[٢]، ومفحص القطاة لا يمكن أن يكون مسجدًا[٣].

---

(١) «البخاري»، كتاب الأحكام، «فتح الباري» (١٢/ ١٢١).

(٢) «فتح الباري» (١٢/ ١٢٢)، و«جامع العلوم والحكم» ص (٢٣٠).

(٣) «الخوارج» للسعوي ص (١٥٧).

٣ ـ أنه أطلق على طريق المبالغة في وجوب السمع والطاعة أو باعتبار ما كان قبل العتق[١].

هـ ـ وأما دعواهم أن الأنصار لم يثبتوا أحقية قريش في الخلافة، فهذا غير صحيح، بل الصحيح أنهم أذعنوا لذلك، وحصل الإجماع على أحقية قريش في الخلافة، قال الإمام الأشعري رحمه الله: اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة بمدينة رسول الله ﷺ وأرادوا عقد الإمامة لسعد بن عبادة، وبلغ ذلك أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فقصدا نحو مجتمع الأنصار في رجال من المهاجرين، فأعلمهم أبو بكر أن الإمامة لا تكون إلا في قريش واحتج عليهم بقول النبي ﷺ: «**الأئمة من قريش**»[٢]، فأذعنوا لذلك منقادين، ورجعوا إلى الحق طائعين، بعد أن قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، وبعد أن جرد الحباب بن المنذر سيفه وقال: أنا جُذَيْلُها المحكك، وعُذَيقُها المرجب؟... ثم بايعوا أبا بكر رضوان الله عليه، واجتمعوا على إمامته، واتفقوا على خلافته، وانقادوا لطاعته[٣].

و ـ وأما احتجاجهم بفعل النبي ﷺ، حيث ولى على بعض الأمصار أو الجيوش من غير قريش، فلا حاجة لهم في هذا؛ لأنه ليس في الإمامة العظمى، ولا نسلم لهم أن ما جاز في الفرع جاز في الأصل[٤]، قال ابن حجر رحمه الله: وأما ما احتج به من أنه ﷺ لم يعين الخلافة في قريش من تأمير عبد الله ابن رواحة وزيد بن حارثة وأسامة وغيرهم في الحروب فليس من الإمامة العظمى في شيء، بل فيه أنه يجوز استنابة غير القرشي في حياته[٥]، والله أعلم.

---

(١) «فتح الباري» (١٣/ ١٢٢).

(٢) «المصنف» لابن أبي شيبة (٥/ ٥٤٤)، و«البخاري» بلفظ آخر رقم (٧١٤٠).

(٣) الجُذيل: عود ينصب للإبل الجَرْبَى؛ لتحتك به، والمُحكَّك: الذي يحتك به كثيرًا، أراد أنه يستشفى برأيه، والعُذيق: النخلة، أي الذي يعتمد عليه، ينظر: «مقالات الإسلاميين» (١/ ٣٩ـ٤١)، و«شرح النووي» (١٢/ ٢٠٠)، و«الفصل» (٤/ ٨٩).

(٤) «الخوارج» للسعوي ص (١٥٨).

(٥) «فتح الباري» (١٣/ ١١٩).

*** أدلة أهل السنة القائلين باشتراط النسب القرشي:**

أ ـ قوله ﷺ: «**إن هذا الأمر في قريش، لا يعاديهم أحد إلا كبه الله في النار على وجهه، ما أقاموا الدين**»[(١)].

ب ـ قوله ﷺ: «**لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان**»[(٢)]، وفي رواية لمسلم: «**ما بقي من الناس اثنان**»[(٣)].

جـ ـ وقوله ﷺ: «**الناس تبع لقريش**»[(٤)].

د ـ انعقاد الإجماع، فقد حكاه غير واحد من العلماء منهم: النووي حيث قال في شرحه لحديث: «**الناس تبع لقريش**».. إلخ: هذه الأحاديث وأشباهها دليل ظاهر على أن الخلافة مختصة بقريش لا يجوز عقدها لأحد من غيرهم، وعلى هذا انعقد الإجماع في زمن الصحابة والتابعين فمن بعدهم بالأحاديث الصحيحة[(٥)]، ومنهم القاضي عياض فقد نقل عنه النووي قوله: اشتراط كونه ـ أي الإمام ـ قرشيًّا هو مذهب العلماء كافة، قال: وقد احتج به أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على الأنصار يوم السقيفة فلم ينكره أحد، قال القاضي: وقد عدها العلماء في مسائل الإجماع، ولم ينقل عن أحد من السلف فيها قول ولا فعل، يخالف ما ذكرنا، وكذلك من بعدهم في جميع الأعصار قال: ولا اعتداد بقول النظام ومن وافقه من الخوارج وأهل البدع، أنه يجوز كونه من غير قريش، ولا سخافة ضرار ابن عمر في قوله: إن غير القرشي من النبط وغيرهم يقدّم على القرشي لهوان خلعه إن عرض منه أمر، وهذا الذي قاله من باطل القول وزخرفه، مع ما هو عليه من مخالفة إجماع المسلمين، والله أعلم[(٦)].

---

(١) «البخاري»، كتاب الأحكام، «فتح الباري» (١٣/ ١١٤).
(٢) «البخاري»، كتاب الأحكام، «فتح الباري» (١٣/ ١١٤).
(٣) «مسلم»، كتاب الإمارة، شرح النووي (١٣/ ٢٠١).
(٤) «البخاري»، كتاب المناقب، «فتح الباري» (٦/ ٥٢٦).
(٥) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٢/ ٢٠٠)، و«الإمامة العظمى» للدميجي ص (٢٧٣).
(٦) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٢/ ٢٠٠).

ومن حكى هذا الإجماع أيضًا الماوردي[١]، والإيجي[٢]، وابن خلدون[٣]، والغزالي[٤]، ومن المحدثين محمد رشيد رضا، حيث قال: أما الإجماع على اشتراط القرشية قد ثبت بالنقل والفعل، رواه ثقات المحدثين واستدل به المتكلمون وفقهاء مذاهب السنة كلهم، وجرى عليه العمل بتسليم الأنصار وإذعانهم لبني قريش، ثم إذعان السواد الأعظم من الأمة عدة قرون[٥]، ولكن الحافظ ابن حجر اعترض على هذا الإجماع بقوله: ويحتاج من نقل الإجماع إلى تأويل ما جاء عن عمر من ذلك، فقد أخرج أحمد عن عمر بسند رجاله ثقات أنه قال: إن أدركني أجلي وقد مات أبو عبيدة استخلفت معاذ ابن جبل.. الحديث، ومعاذ بن جبل أنصاري لا نسب له في قريش، إن الأثر المنسوب إلى عمر ضعيف؛ لانقطاعه كما بين بعض أهل العلم[٦]، ومال الإمام الجويني إلى عدم اشتراط النسب القرشي[٧]، وقد اختلف قول أبي بكر الباقلاني، فاشترط القرشية في كتاب «الإنصاف»[٨]، ولم يشترطها في كتابه «التمهيد»[٩]، وإلى نفي اشتراط القرشية ذهب أكثر المحدثين منهم: محمد أبو زهرة في كتابه «المذاهب الإسلامية»، وذهب إلى أن الأحاديث الواردة مجرد أخبار لا تفيد حكمًا[١٠]، ومنهم العقاد[١١]، ومنهم د/ علي حسني الخربوطلي في كتابه «الإسلام والخلافة»[١٢]، وتجرأ بعضهم على رمي الأحاديث المذكورة بالوضع، ومنهم د/ صلاح الدين دبوس في كتابه «الخليفة توليته وعزله»، وذهب إلى أن هذه الأحاديث مجرد أخبار[١٣]، ومنهم الأستاذ محمد المبارك رحمه الله، فقد اعتبرها من باب السياسة الشرعية المتغيرة بتغير العوامل[١٤]، والراجح هو ما

---

(١) «الأحكام السلطانية» ص (٦) .
(٢) المواقف ص (٣٩٨) .
(٣) «المقدمة» ص (١٩٤) .
(٤) «الباطنية» ص (١٨٠) .
(٥) «الخلافة» أو «الإمامة العظمى» لمحمد رشيد رضا ص (١٩) .
(٦) «الإمامة العظمى» ص (٢٨٤) .
(٧) «غياث الأمم» للجويني ص (١٦٣) .
(٨) «الإنصاف» للباقلاني ص (٦٩) .
(٩) «التمهيد» نقلاً عن «الإمامة العظمى» ص (٢٧٥) .
(١٠) «المذاهب الإسلامية» (١/ ٩٠).
(١١) «الديمقراطية في الإسلام» ص (٦٩) .
(١٢) «الإسلام والخلافة» ص (٤٢) .
(١٣) «الخليفة توليته وعزلته» ص (٢٧٠) .
(١٤) «نظام الإسلام في الحكم والدولة» ص (٧١) .

ذهب إليه جمهور المسلمين من اشتراط النسب القرشي للإمامة[١]؛ لورود الأدلة الصريحة في أحقيتهم ولإجماع الصحابة ومن بعدهم على ذلك، وأدلة المخالفين ليس فيها حجة على عدم الاشتراط، لكن أحقية قريش في الخلافة لا بد فيها من شرطين:

الأول: إقامتهم للدين؛ لقوله ﷺ: «**إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله في النار على وجهه، ما أقاموا الدين**»[٢].

الثاني: ألاَّ يكون هناك إمام قائم، فإن كان ثمة إمام فلا أحقية لهم فيها، فيكون اشتراط النسب القرشي في ابتداء الولاية وعند الاختيار لا في استمرارها؛ إذ إن الإمام القائم لا تجوز منازعته ولا الخروج عليه لا من قريش ولا من غيرها[٣]، ما دام قائم بأمر الله، ولم ينحرف عن شرعه، ولم نر منه كفرًا بواحًا، أما إذا خرج منه كفر بواح فالأمر منوط بالقدرة، وخاضع لفقه المصالح والمفاسد.

تاسعًا: طعنهم في بعض الصحابة، وتكفيرهم لعثمان وعلي رضي الله عنهما:

امتاز الخوارج عن الشيعة الرافضة بإثباتهم إمامة الصديق والفاروق رضي الله عنهما، فهم يعتقدون أن إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما إمامة شرعية، لا شك في صحتها ولا ريب عندهم في شرعيتها؛ إذ إن إمامتهما كانت برضا المؤمنين ورغبتهم، وإنهما سارا على الطريق المستقيم الذي أمر الله به لم يغيرا ولم يبدلا، حتى توفاهما الله تعالى على ما يرضيه من العمل الصالح والنصح للرعية، وهذا الاعتقاد منهم حق وصدق، فلقد كانا رضي الله عنهما كذلك، ولا يشك في هذا إلا من فتن بمعتقد الرافضة، وهذا المعتقد للخوارج تجاه الشيخين حالفهم فيه السداد والصواب، وكانوا موفقين فيه، لكنهم هلكوا فيمن بعدهما حيث قادهم الشيطان وأخرجهم عن الحق والصواب في اعتقادهم في عثمان وعلي رضي الله عنهما، فلقد حملهم على إنكار

(١) «الأحكام السلطانية» لأبي يعلى ص (٢٠)، و«الخوارج» للسعوي ص (١٥٩).
(٢) «البخاري»، كتاب الأحكام، باب: الأمراء من قريش، «فتح الباري» (١٣/ ١١٤).
(٣) «الخوارج» للسعوي ص (١٥٩)، و«الإمامة العظمى» ص (٢٩٥).

إمامة عثمان رضي الله عنه في المدة التي نقم عليه أعداؤه فيها، كما أنكروا إمامة علي رضي الله عنه أيضًا بعد التحكيم بل أدى بهم سوء معتقدهم إلى تكفيرهما وتكفير طلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري وعبد الله بن عباس وأصحاب الجمل وصفين، وقد وجه الخوارج إلى هؤلاء الأخيار من الصحابة طعنًا عامًّا يشملهم جميعًا ووجهوا إلى بعضهم طعنًا على وجه الخصوص، فطعنهم فيهم على وجه عام أنهم يعتقدون فيهم أنهم كفروا وقد دون أهل العلم هذا المعتقد السيئ عنهم في كتبهم[١]، فقد قال الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله: والخوارج بأسرها يثبتون إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وينكرون إمامة عثمان رضي الله عنه في وقت الأحداث التي نقم عليه من أجلها، ويقولون بإمامة علي قبل أن يحكم، وينكرون إمامته لما أجاب إلى التحكيم ويكفرون معاوية وعمرو بن العاص، وأبا موسى الأشعري[٢]، وقال ابن تيمية رحمه الله: وكان شيطان الخوارج مقموعًا لما كان المسلمون مجتمعين في عهد الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فلما افترقت الأمة في خلافة علي رضي الله عنه وجد شيطان الخوارج موضع الخروج، فخرجوا وكفروا عليًّا ومعاوية ومن والاهما فقاتلهم أولى الطائفتين بالحق علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٣].

وقال الشهرستاني بعد تعداده لكبائر فرق الخوارج: ويجمعهم القول بالتبرؤ من عثمان وعلي رضي الله عنهما ويقدمون ذلك على كل طاعة، وقال في المحكمة الأولى: وطعنوا في عثمان رضي الله عنه للأحداث التي عدوها عليه، وطعنوا في أصحاب الجمل وأصحاب صفين[٤]، وقال في الأزارقة بعد أن ذكر أنهم يعتقدون كفر علي رضي الله عنه قال: وعلى هذه البدعة مضت الأزارقة وزادوا عليه تكفير عثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم، وسائر المسلمين معهم وتخليدهم في النار[٥]، وهذا المعتقد واضح البطلان بمجرد سماعه، واعتقاده ضلال وغواية وترك للحق

---

(١) «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام» (٣/ ١١٥٧).
(٢) «مقالات الإسلاميين» (١/ ٢٠٤).
(٣) «مجموع الفتاوى» (١٩/ ٨٩).
(٤) «الملل والنحل» (١/ ١١٧).
(٥) المصدر نفسه (١/ ١٢١).

جانبًا، والخوارج استهواهم الشيطان بمعتقدهم هذا، فكانوا له تبعًا فاعتقادهم بكفر من تقدم ذكرهم من أصحاب رسول الله ﷺ باطل لأمور عدة:

الأمر الأول: إن الله تعالى أخبر بأنهم خير أمة أخرجت للناس، وكذا رسوله ﷺ أخبر بأنهم أفضل أمته، فقد قال تعالى: **﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾** [آل عمران: ١١٠].

فقد نوه سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة بأنهم خير أمة أخرجت للناس، وذلك لقيامهم الكامل بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما ذلك إلا لما بلغوا إليه من كمال الإيمان وقوة اليقين ولأنهم حققوا صفات الخيرية المنوه عنها في هذه الآية، فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل: **﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾** قال: هم الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة[١]، وقال ﷺ: «**خير الناس القرن الذي أنا فيه، ثم الثاني، ثم الثالث**»[٢]، وإنما كان قرنه خير الناس؛ لأنهم آمنوا به حين كفر به الناس، وصدقوه حين كذبوه، ونصروه حين خذلوه، وجاهدوا وآووا[٣] وأفراد الصحابة الذين يعتقد الخوارج المارقون كفرهم هم من الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، وفي مقدمة من يتناوله هذا الثناء العالي الرفيع هم هؤلاء، فهم من أهل الهجرة ومن الذين آمنوا بالنبي ﷺ حين كفر به الناس وهم من الذين جاهدوا معه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه، فالآية والحديث فيهما شهادة الله ورسوله للصحابة عمومًا بأنهم خير أمة محمد ﷺ[٤]، وأبرز الصحابة الذين تكفرهم الخوارج كعلي والزبير وطلحة، وغيرهم وردت أحاديث في حقهم بأنهم من أهل الجنة وقد بشرهم رسول الله ﷺ بذلك.

---

(١) «المستدرك» (٢/ ٢٩٤)، صححه الحاكم، وأقرّه الذهبي.

(٢) «مسلم» (٤/ ١٩٦٥).

(٣) «فيض القدير» للمناوي (٣/ ٤٧٨).

(٤) «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام» (٣/ ١١٦٠).

الأمر الثاني: شهادة الله لهم بالإيمان الحقيقي الثابت في مواضع كثيرة من كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ [آل عمران: ٦٨] فكلمة ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ في هذه الآية أول ما ينطلق هذا اللفظ على الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين؛ إذ إنهم أول وأفضل من دخل في هذا الخطاب بلا نزاع، ولكن الخوارج أزاغ الله قلوبهم لم يهتدوا إلى شهادة العليم الخبير بحقيقة الإيمان للصحابة الذين كفروهم أو تبرؤوا منهم[1].

الأمر الثالث: إن الرب تبارك وتعالى أخبر في محكم كتابه العزيز، أنه رضي عن الصحابة ورضوا عنه، وأنه وعدهم بالخلود في الجنات والفوز العظيم، قال تعالى: ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ففي هذه الآية صرح تعالى أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وهو دليل قرآني صريح في أن من يعتقد كفرهم، فهو ضال مخالف لله جل وعلا حيث كفر من رضي الله عنه، ولا شك أن تكفير من رضي الله عنه مضادة له جل وعلا، وتمرد وطغيان، وهذه صفة الرافضة والخوارج المارقة[2].

وقال تعالى: ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا** ﴾ [الفتح: ١٨] وفي هذه الآية أعلن الله رضاه عن جيش الإيمان الذين حضروا الحديبية من صحابة رسول الله ﷺ، والذين كان منهم علي وطلحة والزبير، وعثمان ﷺ كان في مكة رسولاً لرسول الله ﷺ فبايع له النبي ﷺ، وجعل يده عن يده، فكانت خيرًا له من يده[3].

الأمر الرابع: إن الكفر بعيد الوقوع من قوم أخبر الله جل وعلا، أنه بغض

(١، ٢) «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام» (٣/ ١١٦١).

(٣) «عقيدة أهل السنة في الصحابة» (٣/ ١١٦٣).

إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وجعلهم من الراشدين، قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

وأما في هذه الآية فقد أخبر تعالى فيها، أنه جعل الإيمان أحب الأشياء إليهم، فلا يقع منهم إلا ما يوافقه ويقتضيه من الأمور الصالحة، فاستحقوا بذلك أن يكونوا هم الراشدين، كما نطقت بذلك الآية الكريمة، فكيف يكفر أولئك الخيرة على زعم الرافضة والخوارج المارقة؟ وعليهم تتلى آيات الله وفيهم رسوله، بل كيف يكفرون وقد كرّه الله إليهم الكفر وجعلهم راشدين؟ فلقد زاغ الخوارج الجهلاء بزعمهم كفر عثمان وعلي وطلحة والزبير وابن عباس وعائشة وعمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري ومعاوية ﷺ وأصحاب الجمل وصفين من الصحابة الكرام[١].

عاشرًا: من سمات الخوارج ونزعاتهم في العصر الحديث:

بدأت سمات الخوارج ونزعاتهم تظهر بين طوائف من أبناء المسلمين اليوم، وبأشكال ومظاهر مختلفة من جماعات وأفراد ودعوات وحركات واتجاهات، وشعارات، ومناهج وأساليب ومواقف وتصرفات، ونزعات فردية وجماعية، ونحو ذلك من أمور تنذر بخطر، وتنبئ عن بدايات ظهور البذور العقدية والفكرية والسلوكية للخوارج[٢].

ومن هذه السمات والمظاهر، التشدد في الدين على النفس والتعسير على الآخرين، والتعالم والغرور، وتصدر الأحداث، وقلة الصبر، وضعف الحكمة، والاستبداد بالرأي وتجهيل الآخرين، والطعن في العلماء وسوء الظن فيهم، وتحقيرهم، والتنفير منهم، والحدية في التعامل مع الآخرين، وصعوبة مد جسور

(١) «عقيدة أهل السنة في الصحابة» (٣/ ١١٦٥).
(٢) «الخوارج»، لناصر العقل ص (١٢٠).

التفاهم معهم، وقابلية الانشطار والتفرق وسهولة اتهام الآخرين، وصعوبة التجمع والتوحد، والتكفير وغير ذلك من مظاهر الغلو التي ساهم في ظهورها مجموعة من الأسباب منها:

١- الجهل بالعلوم الشرعية:

فالمتأمل لواقع أكثر أصحاب التوجهات التي يميل أصحابها إلى سمات الخوارج، يجد أنهم يتميزون بالجهل وضعف الفقه في الدين، وضحالة الحصيلة في العلوم الشرعية، فحين يتصدرون للأمور الكبار والمصالح العظمى؛ يكثر منهم التخبط والخلط والأحكام المتسرعة والمواقف المتشنجة[١]؛ بسبب عدم قدرتهم على استيعاب فقه المصالح والمفاسد، والعلم بمراتبها، فوق جهلهم بآحاد النصوص الحاكمة على القضايا المعينة؛ إذ ليست المنكرات العامة المتعلقة بالسياسة الشرعية- وهي في الغالب سبب الفتن كمسائل الطهارة والصلاة والحج والأحوال الشخصية- يقوم فيها الحق -غالبًا- على الأدلة التفصيلية، بل قيام العلم في ذلك على أسس منها:

أ ـ الأدلة الشرعية العامة والقواعد التي يدخل تحتها أمور كثيرة.

ب ـ مقاصد الشريعة.

جـ ـ الموازنة بين المصالح والمفاسد.

د ـ الأدلة التفصيلية.

ولا يمكن للعوام، بل ولصغار المتعلمين فهم القضايا الكلية العامة، وإن كان يمكنهم فهم النصوص الجزئية، وكذلك فهم مقاصد الشريعة لا يكون إلا باستقراء مجمل النصوص، وتصرفات الشارع، ففقه المقاصد فقه عزيز، لا يناله كل أحد، بل لا يصل إليه إلا من ارتقى في مدارج العلم، واطلع على واقع الحال وقلّب النظر في الاحتمالات التي يظن حدوثها، والموازنة بين المصالح والمفاسد تحتاج

---

(١) «الخوارج»، لناصر العقل ص (١٢٧).

إلى فهم للشريعة ومقاصدها ،وفهم للواقع ومراتب المفاسد والمصالح وهذا كله لا يكون إلا للعلماء[١] .

إن تصدر العامة أنصاف العلماء الذين لا يفهمون كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يشتت المسلمين ويفرق حدوثهم؛ لأن العوام لا يتصور اتفاقهم على أمر إذا لم يكن لهم سراة يصدرون عن رأيهم ، ولذلك كان الرد إلى أهل الحل والعقد .

٢- القراءة من الكتب بدون معلم:

ومن الأسباب التي أسهمت في تشكيل فكر الغلو ، طلب العلم من غير بابه ، والإقبال بنهم على كتب العلم ، دون معلم يعين ولا موجه يرشد ، وأخذ الطلاب يستخرجون الأحكام في المسائل العضال قبل أن ترسخ أقدامهم في العلم بالكتاب والسنة ، فزلت بهم القدم وقد حدث هذا من نوعين من الشباب .

* شباب عاش في السجون ، ولقي المحن والتعذيب .

* وشباب لم يدخلوا السجون ، ولم يتعرضوا لمحن وكانت النتيجة حصاداً مرًّا من البلبلة الفكرية ، وبلاء الغلو ، شتت شمل المسلمين المشتت ، وزاد تمزيقهم تمزيقًا وقد حدث هذا لأسباب منها :

أ ـ الإعراض عن العلماء ، ولقد سلك الغلاة هذا المنهج الخاطئ بسبب وقوع بعض الانحرافات ممن ينتسبون للعلم من أهل الهوى ، فبدؤوا بسحب الثقة في أهل الهوى ، وفي أقوالهم ولو كانت حقًّا ، ثم غلب على هؤلاء سوء الظن ، فوسعوا دائرة الإعراض ، وأدخلوا فيها العلماء العاملين الصادقين ، وسحبوا الثقة فيهم أيضًا ، وكلما خالفهم عالم مجاهد في رأي رأوه ، أو مالوا إليه ، سحبوا الثقة فيه وأعرضوا عنه ، وهنا يكمن الخطر ويوجد الشطط ، قال أحد العلماء الذين حاوروا الشباب أثناء لقائه بهم : الذي أخشاه أن فقد الثقة بالعلماء سيحملكم على أحد الأمرين أو الأمرين معًا ، وهما : الاجتهاد من غير استعداد

(١) «قواعد في التعامل مع العلماء» ص (١٢١) .

كاف ومعرفة تؤهل لذلك، أو العودة للكتب والأخذ عنها دون الاستعانة بأحد، وفي الاثنين من المخاطر ما فيهما.

قال أحد الشباب: لقد وقعنا في الاثنين معًا[1].

ب ـ الغلو في ذم التقليد: لقد ذم القرآن الكريم التقليد وأهله، وحذر السلف من هذا المسلك، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ**﴾ [البقرة: ١٧٠] ومن أقوال الأئمة قول الشافعي: مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل، يحمل حزمة حطب وفيه أفعى تلدغه وهو لا يدري[2]، وقال أحمد: لا تقلدني، ولا تقلد مالكًا ولا الثوري ولا الأوزاعي وخذ من حيث أخذوا[3]، وقال أبو يوسف: لا يحل لأحد أن يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا[4]، وقرأ الشباب هذا، وقرؤوا أن المقلد مع العالم كالصبي في حجر أمه، وأنه لا فرق بين المقلد والبهيمة[5]، فأنفوا من تقليد غيرهم من العلماء، وبالغوا في النفور من التقليد وذمه، فظنوا أن الاهتداء بإزاء السابقين من الصحابة والتابعين والعلماء الصادقين، والاستفادة من مناهجهم، والاسترشاد بفتاويهم المدعمة بأدلة، ظنوا أن ذلك من التقليد المذموم، فأباحوا لأنفسهم إصدار الفتاوى ولم يتأهلوا لها بعد، وأكبوا على الكتب يستخرجون منها الأحكام، ويستنبطون الآراء العجاب، وتوغلوا في هذا الميدان وهم ليسوا فرسانه، فشطوا وتجاوزوا الحدود، إن هؤلاء الشباب لم يحسنوا تمييز الأمور وتفصيلها، ولم يعرفوا صحيح الأقوال من سقيمها، ولم يجيدوا إنزال النصوص منازلها، فعمموا حيث لا تعميم، وأعرضوا حيث يجب الإقبال، وأقدموا حيث يجب الإحجام، فالنصوص التي تذم التقليد ليست عامة، إنما لها حالات تتنزل عليها[6].

---

(١) «التكفير جذوره وأسبابه» ص (١٤، ١٥)، و«ظاهرة الغلو في الدين» ص (٣١٣).

(٢، ٣) «أعلام الموقعين» (٢/ ٢٠٠). (٤) المصدر نفسه ٢/ ٢٠١.

(٥) «أعلام الموقعين» (٢/ ٢٠١)، و«جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١٤).

(٦) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (٣١٦).

فابن عبد البر بعد أن ذكر الآثار المروية في ذم التقليد قال في نهاية الباب: وهذا كله لغير العامة، فإن العامة لا بد لها من تقليد علمائها عند النازلة تنزل بها؛ لأنها لا تتبين موقع الحجة ولا تقبل بعدم الفهم إلى علم ذلك؛ لأن العلم درجات لا سبيل منها إلى أعلاها إلا بنيل أسفلها، وهذا هو الحائل بين العامة وبين طلب الحجة والله علم، ولم تختلف العلماء أن العامة عليها تقليد علمائها، وأنهم المرادون بقول الله عز وجل: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧]. . . فكذلك من لا علم له ولا بصر يمحص ما يدين به لا بد له من تقليد عالمه، وكذلك لم يختلف العلماء في أن العامة لا يجوز لها الفتيا وذلك والله أعلم؛ لجهلها بالمعاني التي يجوز منها التحليل والتحريم والقول في العلم[١].

وعامة هؤلاء الشباب عوام في علوم الشريعة ولوازمها، وأنفوا من سؤال العلماء واستفسارهم، فكانت النتيجة حصاداً مريراً من الفوضى الفكرية.

جـ ـ التطبيق الخاطئ لكلمات صدق:

إن هذه آفة خطيرة، من اتقاها نجا، فمشكلة من وقع في غلو الخوارج اليوم وأمس، ليست فيما يستدلون به، ولكن في تطبيق ما يستدلون به على واقعه ومراده، فعندما انقلب الخوارج على أمير المؤمنين علي ورموه بالكفر، وقالوا: لا حكم إلا لله، فقال: كلمة حق أريد بها باطل[٢].

وبعض أبناء العصر الحديث وقعوا فيما وقع فيه غيرهم، حيث أساؤوا تطبيق كلمات صدق وعدل، فكانت النتيجة اجتراء على الأحكام، والخروج بآراء حائدة عن الاعتدال، ومن هذه الكلمات على سبيل المثال:

التقليد مذموم:

هذه كلمة حق دل عليها القرآن والسنة، ونهى عن تقليد الأئمة العلماء الأفاضل، وهناك أمور هامة ينبغي التنبيه عليها هنا لنضع الكلمة في واقعها المراد:

---

(١) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١٤، ١١٥).

(٢) «تاريخ الطبري» (٥/ ٦٨٨).

- إن التقليد الباطل المذموم هو: قبول قول الغير بلا حجة[١].

- إن التقليد مذموم في حق القادر على الاجتهاد، جائز في حق العاجز عن الاجتهاد[٢].

- قراءة كتب العلماء السابقين والاستفادة من آرائهم بلا تعصب ليس من التقليد المذموم، بل ينبغي لطالب العلم أن يعرف ما قاله السابقون في المسألة قبل أن يحكم فيها ليسترشد بآرائهم وفهمهم[٣].

قال عطاء: لا ينبغي لأحد أن يفتي الناس حتى يكون عالمًا باختلاف الناس، فإنه إن لم يكن كذلك رد من العلم ما هو أوثق من الذي في يديه[٤]، وقال قتادة: من لم يعرف الاختلاف لم يشم الفقه بأنفه[٥]، وقال يحيى بن سلام: لا ينبغي لمن لا يعرف الاختلاف أن يفتي، ولا يجوز لمن لا يعلم الأقاويل أن يقول: هذا أحب إلي[٦]، لكن بعض أبناء العصر الحديث أخطؤوا في تطبيق قاعدة عدم جواز التقليد، فحملوا على العوام والعلماء على السواء، ولم يفرقوا بين القادر والعاجز، ولا بين الأصول والفروع ثم ماذا؟ الإعراض عن أقوال العلماء، بل بلغ الحد ببعضهم إلى تسفه الآراء، وطرح لمناهجهم؛ لأن هذا تقليد مذموم، ثم اجتراء على الفتوى، واستخراج الأحكام مباشرة من القرآن والسنة دون إلمام بالعلوم التي تيسر لهم ذلك[٧].

- هم رجال ونحن رجال:

كلمة رائعة أعجبت بعض أبناء العصر؛ لأن فيها اعتداد بالنفس، وأنفة في الانقياد للغير، وهذا ما تميل إليه بعض نفوس الناس، هذه الكلمة قالها إمام فقيه هو أبو حنيفة - رحمه الله - لكن بعض الناس نسوا قائلها وخصائصه، ومناسبتها، وانطلقوا يخطفون الأحكام خطفًا بمجرد قراءة الآية أو الحديث، وقل

(١) «الفتاوى» (٢٠/ ١٥).
(٢) المصدر نفسه (٢٠/ ٢٠٣، ٢٠٤).
(٣) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (٣١٨).
(٤) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٤٦، ٤٧)
(٥، ٦) المصدر نفسه (٢/ ٤٧).
(٧) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (٣١٩).

وقوفهم عند شرح وفهم الأئمة والعلماء للآيات والأحاديث، ولا مانع من إهدارها عندهم، فـإذا قيل لـهؤلاء الناس: مـاذا تفـعلون؟ اصبـروا وتريثـوا، وتأنوا فـي أحكامكم، وانظروا أولاً إلى فهـم علمائكم قالوا: هم رجـال ونحن رجال، نعم أنتم متساوون من حيث البنية الجسدية، والطباع البشرية، أتدرون من صاحب هذه العبارة؟ وما مناسـبتها؟ إنه إمام عالم فقيـه منَّ الله عليه بفهم ثاقب، وعلم غزير، وتقوى القلب، ولقـد قالها في معـرض بيان أصوله حيث قـال: إذا كان القرآن أو السنة فأقدمـهما، وإذا كان قـول الصحابي فلا أخرج عنـه، وإذا كان قول تابعي، فهم رجال ونحن رجال[١]، فينبغي أن يعلم موضع القول ومناسـبته حتى لا نشرد في التطبيق، نعم هم رجال علماء مجتهدون، فهل أنتم كذلك؟[٢].

- منهج الصحابة: التلقي المباشر من القرآن والسنة:

قام بـعض أبناء العصـر يحددون منهج الصـحابة الكرام، بعـد أن اندرس في الأنام، وأقبلوا على القرآن والسنة لاستـخراج الأحكام، وأعرضوا عن الاستنارة بفهم علماء الإسلام، وقالوا: يكفينا القرآن والسنة ولا حجة لنا بأفهام الأموات، فهما النبع الصافي فلا نكدره بشيء، وهنا أخطأت رمـيتهم، وطاش سهمهم[٣]؛ لأن التلقي المباشـر، والتعامل المباشـر مع القرآن والسنة له حدود وقـيود، فلكل مـسلم أن يتـعامل مع القـرآن والسنة مـباشرة للتـعـرف على أصـول العقـائد والأخلاق، والعظات، والعبر الجلـية، فهذه أمور قد جلاها الله سـبحانه وتعالى وبينها أتم بيان، بحيث لا يجد المرء عسراً في فهمها ما دام يعرف لغة القرآن، أما التعرف على دقائق الأمور في العقـائد والأحكام، فدائرته تضيق عن سابقه لتسع أصحـاب الكفاءة والقـدرة وحدهم، أولئك الذين تزودوا بعلوم أوسع مـن اللغة والأصول والحـديث. تمكنهم من حسن الفـهم، ودقة الاستنبـاط، وتمنعهم من الشطط عند المتشـابهات، والأمور الخفيـة وعلى أساس هذه التفرقة الواعـية سار الصحابة الكرام ﷺ، فـقد كانت تنزل بهم المسائل، وتعـرض لهم الأمور، فإن

(١) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (٣١٩).
(٢) المصدر نفسه ص (٣٢٠).
(٣) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (٣٢١).

كانت من القسم الأول عرفوها بكل يسر وسهولة وإن كانت من القسم الثاني لم يتجرؤوا حتى يسألوا علماءهم وفقهاءهم، وهذا المنهج هو الذي ينبغي اتباعه، فهو منهج العقل والحكمة الذي يحمي من الجمود ويقي من الفوضى والبلبلة(١).

إن تفقه بعضهم بدون معلم قد نتج عنه آثار سيئة ومخاطر جسيمة، من أهمها: نبذ تراث السلف من العلوم والفنون المختلفة، التطاول على العلماء، الاتجاه الظاهري في فهم النصوص، التجرؤ على الفتيا، أفكار غالية(٢).

ولقد علمنا الإسلام أن للعلم أبوابًا كما أن له آدابًا، والسعيد من طرقه من أبوابه، وتحلى بآدابه، فما علمنا على مدار التاريخ أن أحدًا أتى مباشرة إلى القرآن والسنة، وأخذ يُعْمِلُ فكره ويستنبط الأحكام في أولى خطواته، ويؤخر النظر في أقوال من سبق أو يعرض عنها ما علمنا هذا عن أحدٍ، اللهم إلا الخوارج الأعراب البدو الجهال المجردين من الفقه، والخالين من الفقهاء، الخوارج ومن حذا حذوهم(٣)، ولقد كثر زجر العلماء عن تلقي العلم من الكتب مباشرة دون الاستنارة بآراء وأفهام أهل العلم؛ لأن هذا باب إلى التحريف والتصحيف، وتبديل الأحكام والقول على الله بلا علم، وتحليل الحرام، وتحريم الحلال، قال ابن جماعة وهو يذكر آداب طالب العلم، التي أولها الاستخارة في اختيار الشيخ الذي يأخذ العلم عنه، ويكتسب الأخلاق منه: وليجتهد على أن يكون الشيخ ممن له على العلوم الشرعية تمام الاطلاع، وله مع من يوثق به من مشائخ عصره كثرة بحث وطول اجتماع، لا ممن أخذ عن بطون الأوراق ولم يعرف بصحبة المشايخ الحذاق. قال الشافعي رضي الله عنه: من تفقه من بطون الكتب ضيع الأحكام، وكان بعضهم يقول: من أعظم البلية الصحيفة، أي الذين تعلموا من الصحف(٤)، ولله در القائل:

(١، ٢) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (٣٢٣).
(٣) المصدر نفسه ص (٢٣٤).
(٤) «تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم» ص (٨٧).

مَنْ يَأْخُذْ العِلْمَ عَنْ شَيْخٍ مُشَافَهَةً
يَكُنْ الزَّيْغُ والتَّصْحِيفُ فِي حُرُمِ
وَمَنْ يَكُنْ آخِذًا مِنْ صُحُفٍ
فَعِلْمُهُ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ كَالْعَدَمِ

وقال علماء السلف: لا تقرءوا القرآن على المصحفيين، ولا تأخذوا العلم من الصحفيين[١].

وقال أبو زرعة: لا يفتي الناس صحفي، ولا يقرئهم مصحفي[٢]، وقال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧] وقد أنكر الله على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها فيخبر بها ويفشها وينشرها، وقد لا يكون لها صحة[٣]، وليس معنى هذا أن نمنع الناس أن يدرسوا ويتعلموا فطلب العلم فريضة، وهو مطلوب من المهد إلى اللحد، لكن نقول: إنهم مهما درسوا، فسيظلون في حاجة إلى أهل الاختصاص، فإنه للعلم الشرعي أدوات لم يتوفروا على تحصيلها، وأصولاً لم يتمرسوا بمعرفتها، واستيعابها، وفروعًا ومكملات لم تسعفهم أوقاتهم ولا أعمالهم أن يتفرغوا لها[٤]، فلا جراءة وانطلاقة مندفعة غير منضبطة، ولا كسل وخمول وتجميد للفكر والنظر وحظر للبحث وحجر للعقل، إنما نريد جدًّا وسعيًا مع التأني والتثبت والتروي والتأكد، والسؤال عما أشكل، وخير الأمور أوسطها[٥].

٣ – تخلي كثير من العلماء عن القيام بواجبهم:

العلماء هم ورثة الأنبياء، ولذلك ينبغي أن يكونوا هم أصحاب القيادة والتوجيه في المجتمع، وعليهم أن يفرضوا وجودهم الأدبي والعلمي والمرجعي بين الناس، بأخلاقهم وجهدهم وعلمهم، وعليهم أن يتحركوا بهذا الدين

(١، ٢) «الفقيه والمتفقه» للخطيب البغدادي (٢/ ٩٧).
(٣) «تفسير ابن كثير».
(٤) «الصحوة الإسلامية» ص (٣٠٦).
(٥) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (٣٢٦).

وبالعلم الذي يعلمونه من هذا الدين لصياغة المجتمع صياغة صحيحة، ووضع كل من الحاكم والمحكوم في وضعه الصحيح برد الحاكم إلى الالتزام بشريعة الله، فيزول من ثم ما هو واقع في المجتمع من ظلم سياسي واجتماعي واقتصادي، ورد المحكومين إلى الالتزام بأوامر الله ونواهيه، فيزول من ثم ما وقع في المجتمع من فساد خلقي وروحي وسلوكي، أو الجهاد في سبيل هذا الأمر على الأقل، فيتحقق من الإصلاح بقدر ما يخلص الناس نياتهم لله، وبمقدار ما يبذلون من الجهد اللازم للإصلاح، لقد كان للعلماء دور القيادة والريادة في المجتمع دائمًا وأبدًا، وكان الناس يعرفون لهم ذلك حكامًا ومحكومين، ولم تظهر الزعامات السياسية العلمانية عند المسلمين إلا عندما تخلى العلماء عن دورهم في قيادة الأمة وتوجيهها، بل ما كان الناس يرضون بغير علمائهم بديلاً أبدًا، وكانت الأمة الإسلامية في كل أصقاع الدولة تحب علماءهم وتجلهم وتلتف حولهم، وتفزع إليهم بعد الله سبحانه وتعالى كلما حزبها أمر وحلت بها مصيبة، لمعرفة الناس بمكانة العلماء وبقدرتهم على التحرك، وبالتصدي لكل ما يصيبهم من السوء، وكذلك كان الحكام يعرفون للعلماء قدرهم، إما رغبة فيهم أو رهبة منهم، وما كان علماء المسلمين يعرفون بالانقطاع إلى الدرس والتحصيل بل كانوا هم في مقدمة المجاهدين المقاتلين، وفي مقدمة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وكانوا يشاركون أمتهم أفراحها وأتراحها، وقد لاقى بعضهم من جراء ذلك ما لاقى، ولكن لم يثنهم ذلك عن القيام بواجبهم[1]؛ لأنهم فهموا معنى ورثة الأنبياء.

إن العلماء هم فقهاء الإسلام، ومدار الفتيا على أقوالهم بين الأنام الذين خصوا باستنباط الأحكام، وعنوا بضبط قواعد الحلال والحرام[2]، والعلماء هم أئمة الدين، نالوا هذه المنزلة العظيمة بالاجتهاد والصبر واليقين ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾ [السجدة: ٢٤] والعلماء هم

---

(١) «ظاهرة التكفير»، الأمين الحاج محمد أحمد، ص (١٨١).
(٢) «أعلام الموقعين» (١/ ٧).

ورثة الأنبياء، ورثوا عنهم العلم، فهم يحملونه في صدورهم، وينطبع في الجملة على أعمالهم، ويدعون الناس إليه، والعلماء هم الفرقة التي نفرت من هذه الأمة لتتفقه في دين الله، ثم تقوم بواجب الدعوة ومهمة الإنذار، فعليهم أن يكونوا بين الناس، ويقوموا بواجبهم كورثة للأنبياء، ويتخلوا عن انزوائهم وابتعادهم عن الناس ومشاكلهم والاكتفاء بواجب البلاغ والإنذار، بل يتصدروا لتربية الناس وتهذيبهم وتوجيههم وترشيدهم والصبر على مخالطتهم، وحل مشاكل الناس الفكرية والنفسية والاجتماعية والسياسية... إلخ، وفق شرع الله تعالى، فالعلماء هم هداة الناس الذين لا يخلو زمان منهم حتى يأتي أمر الله، فهم رأس الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة يقول الرسول ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين بأمر الله لا يضرهم من خذلهم، أو خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس**»[(١)]، فلا ينبغي أن يتخلى الكثير من العلماء عن واجبهم تجاه دعوة الله تعالى، ويتركون الناس بدون قيادة تقودهم نحو الخير والفلاح.

٤ - شيوع الظلم والتحاكم للقوانين الوضعية:

من أهم العوامل التي تؤدي إلى بروز ظاهرة الغلو الكبت السياسي، من ظلم الأفراد والشعوب، وظلم الناس مما ينافي مقاصد الشريعة وما أمر الله به وأمر به رسوله ﷺ، من تحقيق العدل ونفي الظلم[(٢)].

٥ - التأويلات الخاطئة لبعض آراء المفكرين المسلمين المعاصرين:

فكما أن الخوارج انطلقوا إلى بعض الآيات التي نزلت في الكفار، ففصلوها زورًا وبهتانًا على طائفة من خيار الصحابة نجد كذلك نفرًا من الشباب المتحمس والذي ينقصه العلم الشرعي والفقه في الدين في هذا العصر، حملوا بعض آراء المفكرين المسلمين المعاصرين أكثر مما تحمل وركبوا بسبب ذلك مركبًا صعبًا[(٣)].

---

(١) «البخاري»، كتاب الاعتصام رقم (٧٣١١).

(٢) «الخوارج»، لناصر العقل ص (١٢٦).

(٣) المصدر نفسه ص (١٥٥)، و«ظاهرة التكفير»، الأمين الحاج ص (١٤٦).

٦ – انتشار الفساد بين الناس:

من أكبر النكايات التي أصابت الأمة الإسلامية في هذا العصر: الفساد العقدي والانحراف الكبير عن منهج أهل السنة والجماعة، وظهور البدع بين المسلمين، ولم يعد الكثير منهم يفقه حقيقة الشهادة التي يرددونها صباح مساء: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وما ترمي إليه هذه الكلمة، وما هي شروطها وحقيقتها؟ ولقد حاول أعداء الإسلام أن يفرغوا كلمة التوحيد من محتواها الكامل، ويحصر الإسلام في النطق بالشهادتين فقط، أو في التلفظ بهما مع إقامة الشعائر، ويزوي الدين كله في جانب قصي من الحياة؛ لكي يعيش المسلمون حينئذ في وهن وذل وخضوع وانهزام نفسي أمام الطغيان المادي وبهرج الحياة الزائف، كما هو حال المسلمين اليوم[١]، وانتشر الفساد الخلقي بين الناس، وأشرف على هذا الإفساد أعداء الإسلام، وقد استشرى الفساد وعم بصورة جعلت بعض الأخيار ييأسون من الإسلام، ومن ثم ولّد هذا اليأس والقنوط في نفوس بعض الشباب الذي كان متحمسًا للعمل الإسلامي، ردود فعل عنيفة، ردود الفعل هذه لها صور مختلفة ومتباينة فمنهم من انحرف مع التيار، ومنهم من اتخذ لنفسه موقفًا عدائيًّا سلبيًّا، وقنع أن هذا المجتمع الذي أصيب بهذا القدر من الفساد العقدي والأخلاقي لا خير فيه البتة، وربما حكم عليه بعضهم بأنه مجتمع كافر[٢].

٧– عدم تزكية النفوس:

إن من الأسباب الرئيسية لتولد بدعة التكفير، عدم تزكية النفوس بسبب ضعف الجانب التربوي مما يؤدي إلى الغرور والاستبداد، ويجعل المرء يشتغل بعيوب غيره، أكثر من اهتمامه واشتغاله بعيوب نفسه، وعدم تزكية النفوس يتولد منه أمراض خطيرة منها: العجلة، والاستعلاء بالطاعة، والهوى، واحتقار الناس، وعدم احترامهم، وربما إخراجهم من الملة[٣].

هذه بعض الأسباب التي أدت لبروز ظاهرة الغلو في العصر الحديث.

(١، ٢) «ظاهرة التكفير» ص (١٥٢).

(٣) المصدر نفسه ص (١٨٥).

أهم مظاهر الغلو في العصر الحديث:

إن مظاهر الغلو في العصر الحديث كثيرة منها:

١ - التشدد في الدين على النفس والتعسير على الآخرين:

من مظاهر الغلو في هذا العصر الخروج عن منهج الاعتدال في الدين، الذي كان عليه النبي ﷺ، وقد حذر النبي ﷺ من ذلك في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «**إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه**»[١] والتشدد في الدين كثيرًا ما ينشأ عن قلة الفقه في الدين، وهما من أبرز سمات الخوارج، أعني التشدد في الدين وقلة الفقه، وأغلب الذين ينزعون إلى خصال الخوارج اليوم تجد فيهم هاتين الخصلتين[٢]، ومن مظاهر الغلو التعسير وترك التيسير، فأصحاب الغلو يطالبون الناس بما لا يطيقون، ويلزمونهم بما لا يلزمهم به الشرع السهل، ولا يراعون قدراتهم وتفاوتها، وطاقاتهم واستطاعتهم، وتباينها، وأفهامهم واختلافها، فيخاطبونهم بما لا يفهمون، ويطالبونهم بما لا يستطيعون، ومن أسباب التعسير الورع الفاسد، والجهل بمراتب الأحكام، والجهل بمراتب الناس، وأما مجالاته وصوره وأشكاله، إيجاب النظر والاستدلال على الجميع، وتحديث الناس بما لا يعرفون، وترك الرخص والإلزام بما لم يلزم به الشرع[٢].

٢ - التعالي والغرور وما يؤدي إليه من تصدر الأحداث:

من السمات البارزة في ظاهرة الغلو في الوقت المعاصر، التعالي والغرور، وادعاء العلم في حين أنك تجد أحدهم لا يعرف بديهيات العلم الشرعي، والأحكام وقواعد الدين، أو قد يكون عنده علم قليل بلا أصول ولا ضوابط ولا فقه ولا رأي سديد، ويظن أنه بعلمه القليل وفهمه السقيم قد حاز علوم الأولين

---

(١) «البخاري»، كتاب الإيمان، «فتح الباري» (١/ ٩٣).
(٢) «الخوارج»، لناصر العقل ص (١٣٠).
(٣) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (٢٤١-٢٤٩).

والآخرين، فيستقل بغروره عن العلماء، عن مواصلة طلب العلم فيهلك بغروره ويُهلك، وهكذا كان الخوارج الأولون يدعون العلم والاجتهاد ويتطاولون على العلماء وهم من أجهل الناس[(١)]، وأدى التعالي والغرور إلى تصدر حدثاء الأسنان وسفهاء الأحلام للدعوة بلا علم ولا فقه، فاتخذ بعض الناس منهم رؤساء جهالاً، فأفتوا بغير علم وحكموا في الأمور بلا فقه، وواجهوا الأحداث الجسام بلا تجربة ولا رأي، ولا رجوع إلى أهل العلم والفقه والتجربة والرأي، بل كثير منهم يستنقص العلماء والمشايخ، ولا يعرف لهم قدرهم، وإذا أفتى بعض المشايخ على غير هواه ومذهبه، أو بخلاف موقفة أخذ يلمزهم إما بالقصور أو التقصير، أو الجبن والمداهنة، أو بالسذاجة وقلة الوعي والإدراك، ونحو ذلك مما يحصل بإشاعته الفرقة والفساد العظيم، وغرس الغل على العلماء والحط من قدرهم، ومن اعتبارهم وغير ذلك مما يعود على المسلمين بالضرر البالغ في دينهم ودنياهم[(٢)].

٣ - الاستبداد بالرأي وتجهيل الآخرين:

من أبرز معالم الغلو حديثًا التعصب للرأي، وعدم الاعتراف برأي الآخرين، وإنكار ما عنده من الحق ما دام خالفه في الرأي، ومن الأسباب التي تولد التعصب للرأي، والانحياز له: قلة العلم، مصادفة الرأي لذهن خال، الإعجاب بالرأي، اتباع الهوى.

إن آفة الإعجاب بالرأي والتعصب له هوت بأصحابها إلى دركات خطيرة، في أزمنة قبلنا، فما الذي هوى بذي الخويصرة الجهول، يقول ابن الجوزي: وآفته أنه رضي برأي نفسه، ولو وَقفَ لَعَلِمَ أنه لا رأي فوق رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم[(٣)]، والذي هوى بأصحاب ذي الخويصرة غير إعجابهم برأيهم، وظن السوء في غيرهم، وكانت الخوارج تتعبد، إلا أن اعتقادهم أنهم أعلم من علي رضي الله عنه وهذا مرض صعب[(٤)]، إن هؤلاء المساكين وقعوا أسرى لألفاظ لم يحسنوا فهمها، ولم

(١) «الخوارج»، لناصر العقل ص (١٢٩).
(٢) «الخوارج»، د. ناصر العقل ص (١٢٩).
(٣) «تلبيس إبليس» ص (٩٠).
(٤) المصدر نفسه ص (٩١).

يستمعوا لمن يجليها لهم، ويفهمهم إياها؛ لأن الصواب هو رأيهم وما عداه خطأ، يقول محمد أبو زهرة: أولئك استولت عليهم ألفاظ الإيمان، ولا حكم إلا لله، والتبرؤ من الظالمين، وباسمها أباحوا دماء المسلمين وخضبوا الدماء الإسلامية وشنوا الغارة في كل مكان[١]، إن هذا التعصب المقيت قد صدهم عن الاستجابة للحق بعد وضوحه، فقد ناظرهم أمير المؤمنين علي ﷺ وناظرهم ابن عباس ﷺ وأزالوا أعذارهم، ودحضوا شبهاتهم، وأقاموا عليهم الحجج الدامغة، وأفحموهم بالبراهين الساطعة، فلم يستجب إلا بعضهم، واندفع الكثير لاستباحة دماء المسلمين[٢]، إن التعصب للرأي وتجهيل الآخرين يتنافى مع مبادئ هامة في الإسلام كالشورى والتناصح.

٤ - الطعن في العلماء العاملين:

شاهد عصرنا حملة غريبة وظاهرة عجيبة، ألا وهي الاعتداء على هيبة العلماء العاملين، وطعنهم بخناجر الزيغ والضلال، ولقد شهدت الصحف والمجلات، والكتب والمقالات، وقاعات الدروس والحلقات نماذج كثيرة من تلك الحملات، فجلب على أمة الإسلام أبلغ الأضرار، فشتت الشمل المشتت، وفرق الجمع المفرق، وعمق الشقائق الغائرة، ولا شك أن للطعن في العلماء أسباب منها: التعلم بدون معلم، الفهم الخاطئ لبعض عبارات العلماء، واتباع الهوى، والحسد، وقد لجأ بعض الشباب إلى أسلوب سيئ ألا وهو تتبع عورات العلماء وزلاتهم، وتصيد أقوالهم، وشواذ آرائهم، وتحريف كلمهم عن مقصودهم، فعلوا ذلك ليبرروا حملتهم الشعواء في الطعن في العلماء قديمًا وحديثًا ممن يخالف آراءهم، ولا يقر مناهجهم الحائدة عند الاعتدال، ولقد كان فعلهم هذا وبالاً على الإسلام، وقرة عين لأعداء الإسلام من بني صهيون وعابدي الأوثان، وإن هذا المسلك المشين الذي يدل على جهل صاحبه أو مرضه وحقده، قد حذر

---

(١) «تاريخ المذاهب الإسلامية»، لمحمد أبي زهرة ص (٦١).

(٢) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (١٨٥).

منه العلماء لخطورته على المسلمين؛ ولأنه تنفيذ لمخطط أعداء الدين، وتحقيق لأغراضهم بلا تعب ولا نصب[١].

يقول ابن تيمية رحمه الله -وهو ينهى عن رواية الأقوال الضعيفة عن الأئمة والعلماء-: ومثل هذه المسألة الضعيفة، ليس لأحد أن يحكيها عن إمام من أئمة المسلمين لا على وجه القدح فيه، ولا على وجه المتابعة له فيها، فإن ذلك ضربًا من الطعن في الأئمة واتباع الأقوال الضعيفة، وبمثل ذلك صار وزير التتار يلقي الفتنة بين مذاهب أهل السنة، حتى يدعوهم إلى الخروج عن السنة والجماعة ويوقعهم في مذهب الرافضة وأهل الإلحاد[٢]، إن الذين يطعنون في علماء الأمة العاملين، يخدمون المخططات اليهودية والنصرانية والطاغوتية والاستخبارتية سواءً شعروا بذلك أم لا، والذين لا يزالون يطعنون في علماء الأمة بفعلهم هذا يكونون قد ابتعدوا عن منهج أهل السنة والجماعة، الذي يقول به علماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل[٣]، وليعلم الذين يطعنون في علماء الأمة العاملين: أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك منتقصهم معلومة، وما يدري هذا المتعلم أن الاعتبار في الحكم على الأشخاص بكثرة الفضائل، قال ابن القيم: ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعًا أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وآثار حسنة، وهو من الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور، بل مأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يُتبع فيها، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته في قلوب المسلمين[٤]، فمن يبقى لأمة الإسلام إذا طعن في علمائهم؟ أيبقى شباب أحداث، لا يحسنون التلاوة، ولا تستقيم لهم لغة، وليس لهم باع طويلة ولا قصيرة في كثير من علوم الشرع؟

---

(١) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (٢١٥-٢٢٣).

(٢) «الفتاوى» (٣٢/ ١٣٧).

(٣) «شرح الطحاوية» (٢/ ٧٤٠).

(٤) «أعلام الموقعين» (٣/ ٢٨٣).

إن أسلوب الطعن في العلماء قرة عين لأعداء الإسلام؛ لأنه ينشئ جيلاً بلا قادة، وهل رأيتم جيلاً بلا قادة قد أفلح؟

إن أسوأ ما في الأمم السابقة علماؤها وأحبارهم فقد كثر فيهم الضالون المضلون، قال تعالى: ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [التوبة: ٣٤].

وأفضل ما في الإسلام علماؤه الربانيون العاملون، قال الشعبي: كل أمة علماؤها شرارها إلا المسلمين، فإن علماءها خيارهم[(١)]، ووضح ذلك ابن تيمية فقال: وذلك أن كل أمة غير المسلمين فهم ضالون، وإنما يضلهم علماؤهم، فعلماؤهم شرارهم، والمسلمون على هدى وإنما يتبين الهدى بعلمائهم، فعلماؤهم خيارهم[(٢)].

٥ – سوء الظن:

لقد كثر هذا المرض واستشرى ضرره في عصرنا، وكانت هذه الآفة أداة فتك وتدمير، ووسيلة هدم وتخريب، وقد ترتب عليها نتائج خطيرة، ومفاسد عظيمة، ولهذه الآفة أسباب ودوافع منها: الجهل، فالجهل بتفهم حقيقة ما يرى وما يسمع وما يقرأ ومرمى ذلك، عدم إدراك حكم الشرع الدقيق في هذه المواقف خصوصًا إذا كانت المواقف غريبة، تحتاج إلى فقه دقيق، ونظر بعيد، يجعل صاحبه يبادر إلى سوء الظن، والاتهام بالعيب، والانتقاص من القدر، ومنها الهوى ؛ وهو آفة الآفات، فيكفي أن يرى المرء أو يقرأ أو يسمع ما لا يعجبه، ولا يرضاه، ولا يوافق عليه مبتغاه. يكفي ذلك لأن يطلق للظن السيئ الحبال، ويرخي له العنان فيرتع ويصول ويجول، ولا يزن الأمور بميزان الشرع الدقيق، ولا يحاول أن يلتمس المعاذير، ولا يراجع نفسه فضلاً عن أن يتهم فهمه، فالهوى يصده عن ذلك، ومنها العجب والغرور، فإحسان المرء ظنه بنفسه، وغروره بفهمه، إن كان ذا فهم، وإعجابه برأيه يدفعه لأن يزكي نفسه

(١، ٢) «الفتاوى» (٧/ ٢٨٤).

ويحتقر غيره، فهو الصواب والكل خطأ وهو الحق والكل باطل، وهو الهدى والجميع ضلال، وقد رأينا أناسًا بلغ بهم سوء الظن مبلغًا غريبًا عجيبًا، حتى خرجوا جميع الناس عداهم، أحياء وأمواتا، فرموهم بالزيغ والضلال، وفساد الاعتقاد، فالجميع في عقيدته دخن ودخل وهم وحدهم المخلصون، الجميع هالكون وهم الناجون، إن الظن السيئ آفة، ولكل آفة آثار وخطورة، فمن آثاره السيئة والسيئ لا يلد إلا سيئًا.

* إنه يدفع صاحبه لتتبع العورات، والبحث عن الزلات، والتنقيب عن السقطات، وهو بذلك يعرض نفسه لغضب الله وعقابه؛ لأن ذلك من صفات مرضى القلوب الذين توعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ بالفضيحة فقال: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه ، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من تتبع عوراتهم يتتبع الله عورته، ومن يتتبع الله عورته يفضحه في بيته**»[(١)].

* كما يدفع صاحبه إلى الغيبة، ونهش أعراض الآخرين، والتشفي فيهم.

* وأخيراً فالظن السيئ يزرع الشقاق بين المسلمين، ويقطع حبال الأخوة، ويمزق وشائج المحبة، ويزرع العداء والبغضاء والشحناء.

ولما كانت هذه الآفة ذات خطورة عظيمة كما تبين، فقد كان موقف الإسلام حاسمًا، فقد دعا وأمر باجتناب أكثر الظن؛ لأن الوقائع والأحداث أثبتت أن الجري وراءه واتباعه عاقبته وخيمة وأضراره عظيمة[(٢)]، قال تعالى: ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾ [الحجرات: ١٢] .

قال ابن كثير: يقول تعالى ناهيًا عباده المؤمنين عن كثير من الظن، وهو: التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله؛ لأن بعض ذلك يكون إثمًا محضًا، فليجتنب كثير منه احتياطًا[(٣)]، ومما يدفع سوء الظن التماس العذر لأخيك، قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه : ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيرًا، وأنت تجد لها في الخير محملاً[(٤)].

---

(١) «مسند أحمد» (٤/ ٤٢١-٤٢٤) .

(٢) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (٢٠١-٢١١) .

(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢١٢) .

(٤) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢١٢) .

٦ - الشدة والعنف مع الآخرين:

من مظاهر الغلو حديثًا الشدة والعنف في التعامل مع الآخرين، واستخدامهما في غير محلهما، وكأن الأصل في التعامل مع الغير هو العنف والغلظة لا الرفق والرحمة، وهذه الشدة أصبحت هي الطابع الغالب على سلوك بعض الشباب، وقد تجاوز العنف حدود القول إلى العمل، فسفكت دماء بريئة بسببه ودمرت منشآت، ولقد تسبب هذا العنف في أضرار فادحة على أصحابه وعلى الأمة، وقد كانت هناك جملة أسباب رئيسية وراء استخدام بعض الشباب للعنف والشدة، والقسوة والغلظة، نستطيع أن نجملها فيما يلي:

- **المحن:** فكثير من هؤلاء الشباب تعرضوا لمحن شتى، أثرت في نفوسهم وكان لذلك رد فعل شديد، فقابلوا العنف بالعنف، وغلب ذلك على طباعهم.

- **الجهل بفقه الاحتساب:** فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات التي كلف الله بها هذه الأمة، وينبغي للقائم بها أن يكون فقيهًا فيها ليتمكن من تحقيق المصلحة واجتناب المفسدة بأيسر طريق، فهناك أمور ينبغي فقهها والعلم بها لمن يؤدي هذا الواجب منها: إن هذا الواجب قد يؤدى تارة بالقلب وتارةً باللسان، وتارةً باليد، والقلب واجب في كل حال، وبعض الناس قد يقع هنا في خطأ، فمنهم من يريد أن يأمر وينهى إما بلسانه وإما بيده مطلقًا، من غير فقه وحلم وصبر، ونظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح، وما يقدر عليه وما لا يقدر، فيأتي بالأمر والنهي معتقدًا أنه مطيع في ذلك لله ولرسوله ﷺ، وهو معتد في حدوده[1]، فلا بد من العلم بالمعروف والمنكر والتمييز بينهما ولا بد من العلم بحال المأمور والمنهي، ومن الصلاح أن يأتي بالأمر والنهي بالصراط المستقيم، وهو أقرب الطرق إلى حصول المقصود، ولابد في ذلك من الرفق ولا بد أيضًا أن يكون حليمًا صبورًا على الأذى، فإنه لا بد أن يحصل له أذى، فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح، فلابد من

(١) «الفتاوى» (٢٨/ ١٢٧، ١٢٨).

هذه الثلاثة: الحلم، والرفق، والصبر، والحلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه والصبر بعده، وإن كان كل من الثلاثة مستصحبًا في هذه الأحوال، وقد ذكر القاضي أبو يعلى: لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيهًا فيما يأمر به، فقيهًا فيما ينهى عنه[1]، تلك بعض أمور من فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قد أدى الجهل بها وعدم مراعاتها إلى سلوك سبيل الشدة والعنف في الدعوة.

ـ ولقد استخدم بعض الشباب أسلوب الغلظة والقسوة في إرشاد الناس ومحاورتهم لهم، ودعوتهم لإقلاعهم عما يخالف الشرع، وظنوا أن طرق الشدة هي المجدية والرادعة، وغاب عنهم أن أسلوب الرفق هو الأصل ولا يترك إلا بعد أن تستنفذ وسائله، لأنه هو المجدي النافع، المؤثر في النفس، أما الشدة فإنها تنفر في غالب الأحيان، وتحمل المخالف على الإصرار، ومن العجب أن هؤلاء لم يفرقوا بين المخالف على علم والجاهل الذي لا يدري، ولا بين الداعية للبدعة والضحية المضلل المخدوع، ولا بين المنكر المختلف فيه والمتفق عليه، ومن الأسباب الغليظة التي يسلكها بعض هؤلاء: الخشونة في معاملة الوالدين، فلا يقيم لهما حرمة، ولا يعاونهما ولا يخدمهما، لقد نسي هؤلاء أن الوالدين لهما خصوصيات عن سائر الناس لا سيما في دعوتهما وإرشادهما ولا يعني ذلك التنازل عن الالتزام والتمسك بأمر من أمور الدين أو ارتكاب معصية إرضاءً لهواهما. . كلا. . كلا. . إنما نريد الأدب في المعاملة، واللين في القول، وحسن العشرة، والصبر عليهما والشفقة والرحمة بهم، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: ١٤، ١٥].

---

(١) «الفتاوى» (٢٨/ ١٣٦، ١٣٧).

ولقد رأينا بعض الشباب يتخاذل عن معاونة الناس الذين خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا، فهؤلاء في نظرهم لا يستحقون أي خدمة، ولا كلمة طيبة، ولا مساعدة نافعة، فهؤلاء الشباب لم يتضح عندهم مفهوم الولاء والبراء وحدود كل منهما، فيطغى عندهم البراء على الولاء ونسوا أن الخدمات الاجتماعية وسيلة ناجحة من وسائل الدعوة؛ لأنها عملية، فهي أبلغ تأثيرًا في النفس من القول ونسوا أن خشونتهم في المعاملة، وتخليهم عن المساعدة؛ يعمق الهوة بينهم، ويذهب بهؤلاء الناس إلى صفوف المنحرفين أعداء الدين، ومن مظاهر العنف البالغة ما يفعله بعض هؤلاء من مجاوزة الغلظة بالقول إلى القتل وسفك الدم- دم العلماء، أو الجنود الأبرياء، أو المواطنين العزل- وأخيرًا فلا تعجب إذا علمت بعد ذلك أن أصحاب العنف هؤلاء، كثيرًا ما انقلب بعضهم على بعض، وتطاولت الألسنة وأحيانًا الأيادي، وذلك ليس بغريب إذا رجع الإنسان قليلاً لدراسة أحوال الفرق التي تركت كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومنهج السلف الصالح، فقد تناحرت تلك الفرق فيما بينها وضلل بعضها بعضًا وكفر بعضها بعضًا، وهكذا مصير من ترك المنهج الذي جاء به خاتم الأنبياء ﷺ، إن الإسلام موقفه صريح من العنف والشدة في الدعوة ومعاملة الناس.

قال تعالى -آمرًا موسى وأخاه هارون ـ: ﴿**اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ**﴾ [طه:٤٣، ٤٤] تلك هي توجيهات ربنا لموسى وهارون عليهما السلام عند دعوة فرعون الطاغية، القول اللين في بيان الحق؛ لأنه أجدى وأقرب لقبول الذكرى وإحداث الخشية، وقال سبحانه: ﴿**وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥].

إن الداعية قد يلقى في طريقه ما يغضبه ويضايقه وهو لاقيه لا محالة فلا بد أن يوطن نفسه بالصبر، ويحصنها بكظم الغيظ، والعفو عن الناس ﴿**يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾ [لقمان:١٧].

وينبغي للداعية أن يتجنب أسلوب الإثارة والاستفزاز، فيبتعد عن السباب والشتم ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

ولقد كثرت النصوص النبوية التي تؤكد، وتركز على الالتزام بقاعدة الرفق، والبعد عن الشدة والعنف، قال ﷺ: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**»[١].

والرفق هو الأصل في الدعوة، وليس معنى ذلك إلغاء الشدة بالكلية، لا، فالشدة مواضعها بعد استنفاد وسائل الرفق والصبر، والموفق من وفقه الله لإنزال كل في منزله، وعصمه من هواه[٢].

٧ - التكفير:

تلك هي قمة الغلو وذروته ولقد بدأت ظاهرة التكفير في عام ١٩٦٥م، وأخذت تتسع شيئًا مع عام ١٩٦٧م نتيجةً لبعض المحن، وأخذ هذا الفكر ينتشر رويدًا رويدًا حتى شكل ظاهرة بارزة، وقد رأينا كثيرًا ممن يتصدون لتكفير الناس، قد غاب عنهم مبادئ هامة، فوقعوا فيما وقعوا فيه، ومن هذه المبادئ:

القاعدة الأولى: الذنوب: كبائر وصغائر، يقول ابن القيم: والذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر، بنص القرآن والسنة، وإجماع السلف وبالاعتبار[٣]، قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١] وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢] وأجمع الجمهور على أن اللمم ما دون الكبائر، وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن، إذا اجتنبت الكبائر**»[٤] فالذنوب متفاوتة في الإثم.

---

(١) «مسند أحمد» (٤/ ٣٦٢).

(٢) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (٢٣١-٢٣٧).

(٣) «مدارج السالكين» (١/ ٢٣٧).

(٤) «مسلم» (١/ ٢٠٩) رقم (٢٣٣).

القاعدة الثانية: الكفر نوعان: أكبر وأصغر، لقد دلت النصوص على أن الكفر نوعان ينبغي التمييز بينهما، فالكفر الأكبر: منه التكذيب بما جاء به الرسول والجحود والإعراض، والأصغر: ذنوب توجب استحقاق الوعيد دون الخلود؛ كقوله ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**»[١]، وقال تعالى: ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا**...﴾ [الحجرات: ٩].

فقد وصف الله الطائفتين المقتتلتين بالإيمان، فدل ذلك على أن وصف الكفر بهذا لا ينقل عن الملة، وذلك هو الكفر الأصغر: يقول ابن القيم: والقصد أن المعاصي كلها من نوع الكفر الأصغر، فإنها ضد الشكر الذي هو العمل بالطاعة[٢].

القاعدة الثالثة: تفاوت البدع:

لقد ذم الإسلام البدع بجميع أنواعها، وردها على صاحبها: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[٣]، وقال ﷺ: «**إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد** ﷺ، **وشر الأمور محدثاتها**»[٤]، غير أن بعض الناس قد وقفوا في البدعة لغلبة أهوائهم، وسيطرة الشبهات عليهم فاستحقوا بذلك الذم، غير أنهم متفاوتون في الإثم لتفاوت البدع فمثلاً: بدعة التكفير ليست كبدعة صوم النصف من شعبان، فقبل إصدار أي حكم ينبغي النظر إلى البدعة، والمبتدع الجاهل المقلد غير الداعية، فلا يستوي الأول والثاني، كذلك المجاهر والمسر.

القاعدة الرابعة: للتكفير شروط وموانع:

هذه القاعدة من أهم القواعد، وقد تخفى على كثير، فينبغي التنبيه لها، ومراعاتها في كل حكم، فقد يرتكب المرء ذنبًا هو كفر، وقد يقول قولاً هو كفر، وقد يعتقد اعتقادًا هو كفر، فهل بمجرد اقترافه لهذا القول أو الفعل أو الاعتقاد يصبح كافرًا حلال الدم والمال؟.

---

(١) «مسلم» (١/ ٨٢) رقم (٦٦).
(٢) «مدارج السالكين» (١/ ٢٥٣).
(٣) «البخاري» (٣/ ٢) رقم (٢٦٩٧).
(٤) «البخاري» رقم (٧٢٧٧).

أجاب العلماء: بأن هذا الشخص المعين لا يكون كافرًا حلال الدم والمال إلا إذا توفرت فيه عدة شروط، وانتفت عنه عدة موانع، حينئذ يجوز الحكم عليه بالكفر، أما إذا انتفى أي شرط أو وجد أي مانع؛ فلا يجوز أن يحكم عليه بالكفر، وليس معنى هذا إعفاءه من العقوبة تمامًا، بل يعاقب على حسب حاله، إنما الممنوع الحكم عليه بالكفر لا مطلق العقوبة.

شروط التكفير:

هناك شروط ثلاثة لا بد من اجتماعها فيمن عمل عملاً يستحق عليه الوعيد كاللعن والكفر، وإذا سقط شرط منها فيمتنع لعن الشخص وتكفيره وهذه الشروط هي:

الشرط الأول: العلم: فلكي يحكم على شخص بالكفر؛ لأنه عمل عملاً، أو قال قولاً، و اعتقد اعتقادًا هو كفر، لا بد قبل الحكم من التأكد من معرفة هذا الشخص بأن ما يفعله كفر، وأنه مخالف لما يجب فعله من الحق والصواب، فإذا كان جاهلاً بالحق والصواب، فلا تشرع عقوبته قبل بيان الحق والصواب بيانًا شافيًا، فالله سبحانه وتعالى لم يشرع العقوبة قبل إقامة الحجة [1]، قال عز وجل: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾ [الإسراء: ١٥] وقال تعالى: ﴿**رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾ [النساء: ١٦٥] وقال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا**﴾ [القصص: ٥٩].

قال تعالى: ﴿**كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ**﴾ [الملك: ٨، ٩] ، وقال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى**﴾ [طه: ١٣٤] .

---

(١) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (٢٦٥-٢٦٧) .

فهذه النصوص القرآنية تفيد : أن الله تعالى لا يؤاخذ عباده إلا بعد قيام الحجة عليهم ، وعلمهم بالحق والصواب ، وقد ثبت في نصوص أخرى أن الله لا يؤاخذ الجاهل ، ولو كان جهله بمسائل في العقيدة[١] .

فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : «**كان رجل يسرف على نفسه، فلما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذابًا ما عذبه أحدًا، فلما مات فعل به ذلك، فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رب خشيتك، فغفر له**» ، وفي رواية : «**مخافتك يا رب**»[٢] .

هذا الحديث متواتر عن النبي ﷺ ، رواه أصحاب الحديث والأسانيد من حديث أبي سعيد ، وحذيفة وعقبة بن عمرو ، وغيرهم عن النبي ﷺ من وجوه متعددة ، يعلم أهل الحديث أنها تفيد العلم اليقيني ، وإن لم يحصل ذلك لغيرهم ممن لم يشركهم في أسباب العلم ، فهذا الرجل كان قد وقع له الشك والجهل في قدرة الله تعالى على إعادة ابن آدم ، بعدما أحرق وذري ، وعلى أنه يعيد الميت ويحشره إذا فعل به ذلك ، وهذان أصلان عظيمان :

أحدهما: متعلق بالله تعالى ، وهو الإيمان بأن الله على كل شيء قدير .

والثاني: متعلق باليوم الآخر ، وهو الإيمان بأن الله يعيد هذا الميت ويجزيه على أعماله .

مع هذا فلما كان مؤمنًا بالله في الجملة ، ومؤمنًا باليوم الآخر في الجملة ، وهو أن الله يثيب ويعاقب بعد الموت ، وقد عمل صالحًا ، وهو خوفه من الله أن يعاقبه على ذنوبه ، فغفر الله له بما كان منه في الإيمان بالله واليوم الآخر ، والعمل الصالح[٣] ، والأدلة من السنة كثيرة .

---

(١) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (٢٦٧) .

(٢) «البخاري»، رقم (٣٤٧٨) .

(٣) «الفتاوى» (١٢/ ٤٩١) ، و«الفصل في الملل والنحل» لابن حزم (٣/ ٢٩٦) .

الشرط الثاني: العمد: بعد استيفاء شرط العلم، وبيان دليل الحق والصواب للمخالف، والتأكد من وصوله إليه، إن ظل على فعله أو قوله أو اعتقاده الذي يجلب الكفر أو اللعن، لا يجوز الحكم عليه بالكفر إلا بعد استيفاء شرط آخر، وهو العمد، فنرى هل تعمد نصرة القول الباطل، ومخالفة الحق بعد وصوله إليه ووضوحه، أو هو مخطئ متأول قد عرضت له بعض الشبه؟ لا بد من توفر شرط العمد؛ لأن الله تعالى قد رفع الإثم والمؤاخذة عن المخطئ والمتأول[1]، قال تعالى: ﴿**وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ**﴾ [الأحزاب: ٥]، وقال سبحانه: ﴿**رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا**﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقد ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن الله تعالى قال: قد فعلت**»، لما دعا النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون بهذا الدعاء، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «**أعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش، وأنه لم يقرأ بحرف منها إلا أعطيتها**»[2]، وقال صلى الله عليه وسلم: «**إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان**»[3].

وقال ابن تيمية: وذلك بعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية، وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر ولا بفسق ولا بمعصية[4].

الشرط الثالث: الاختيار والقدرة:

إذا علم المرء الحق وقال بخلافه ولم يكن متأولاً هل يكفي ذلك للحكم عليه؟ هنا ننتقل إلى الشرط الثالث، فننظر في حال هذا الشخص، وهل قال هذا القول الباطل وهو مختار قادر أو لا؟ وهذا الشرط لا بد من توفره ؛ لأن النصوص والوقائع بينت أن الله تعالى لا يؤاخذ المكره والعاجز عن الاختيار[5]، قال تعالى: ﴿**مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [النحل: ١٠٦].

---

(١) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (٢٧٠).
(٢) «مسلم» رقم (١٧٣، ٨٠٦).
(٣) «سنن ابن ماجه» رقم (٢٠٤٣)، صححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (١/٣٤٧).
(٤) «الفتاوى» (٣/٢٢٩).
(٥) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (٢٧٤).

موانع التكفير المعين: الخطأ والجهل والعجز والإكراه[١].

موانع لحوق الوعيد بالشخص المعين:

قد بين ابن تيمية رحمه الله أن موانع لحوق الوعيد بالشخص المعين عشرة هي: التوبة والاستغفار، الحسنات الماحية، دعاء المؤمنين، ما يعمل للميت من دعاء البر، شفاعة النبي ﷺ وغيره في أهل الذنوب يوم القيامة، المصائب التي يكفر الله بها الخطايا في الدنيا، ما يحصل في القبر من الفتنة والضغطة والروعة فإن هذا مما يكفر الله به الخطايا، أهوال يوم القيامة وكربها وشدائدها، رحمة الله وعفوه ومغفرته بلا سبب من العباد، تلك أسباب عشرة تمنع من لحوق الوعيد بالشخص المعين إذا تلبس ما يوجب الوعيد[٢]، فإذا عدمت هذه الأسباب كلها ولن تعدم إلا في حق من عتا وتمرد، وشرد على الله شراد البعير على أهله، فهنالك يلحق الوعيد به، فإن قيل: فما فائدة الوعيد إذن؟ فالإجابة: وذلك لأن حقيقة الوعيد بيان أن هذا العمل سبب في هذا العذاب فيستفاد من ذلك تحريم الفعل وقبحه، أما أن كل شخص قام به ذلك السبب يجب وقوع ذلك المسبب به، فهذا باطل قطعًا؛ لتوقف ذلك المسبب على وجود الشرط وزوال جميع الموانع[٣].

معنى من لم يكفر الكافر فهو كافر:

من العبارات التي اشتهرت على ألسنة من يلهبون الناس بسياط التكفير قولهم: من لم يكفر الكافر فهو كافر، وجعلوا هذه القاعدة مسوغًا لتكفير من يخالفهم في رأيهم، وحقيقة إن هؤلاء الناس لم يحسنوا إنزال هذا القول منزله، ولم يجيدوا فهمه، فالمراد بالكافر الذي من لا يكفره يكون مثله، هو الشخص المقطوع بكفره الذي توفرت فيه جميع الشروط وانتفت عنه جميع الموانع، ومن

---

(١) «منهج ابن تيمية في مسألة التكفير» (٢/ ٢٣٠-٢٦٦).

(٢) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (٢٨١-٢٨٤).

(٣) «الفتاوى» (٢٠/ ٢٥٤، ٢٥٥).

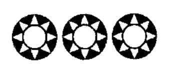
كان كافرًا من البداية ولم يدخل في الإسلام أبدًا مثل فرعون، أبي جهل، أبي لهب، ماركس... إلخ، فمن لم يكفر هؤلاء وأمثالهم فهو مثلهم، وأما الشخص الخفي حاله لإظهاره الإسلام مثلاً وإبطانه الكفر وكراهيته الإسلام، فمثل هذا الشخص من اطلع على حاله، وعرف حقيقته في مجالسه الخاصة وللقرب منه، وتحقق من وجود الشروط، وانتفاء الموانع وجب عليه اعتقاد تكفيره، ومن لم يطلع، وشهد له بالإسلام، فلا إثم عليه لأنه شهد بما علمه، ولنا الظاهر والله يتولى السرائر، وقد كان المنافقون يعاملون بما يعامل به المسلمون؛ لأنهم كانوا يظهرون الإسلام ولا يعلنون كفرهم بل يبطنونه، وقد دلت أعمال أئمة السلف على أن المراد بالكافر هو المقطوع بكفره لا المختلف فيه؛ إذ المختلف في تكفيره لا يكفر من لم يكفره ودليل ذلك: أن الإمام أحمد كان يرى كفر تارك الصلاة، وكان الأئمة الثلاثة لا يرون كفره وقد دارت مناقشة بين الإمام الشافعي والإمام أحمد حول هذه المسألة، فهل حكم أحمد على الشافعي بالكفر لعدم تكفيره تارك الصلاة؟ بالطبع لا.

وقد حقق ابن تيمية ما نسب إلى الإمام أحمد من الحكم على من لا يكفر أهل البدع، فقال: وعنه في تكفير من لا يكفر روايتان أصحهما: لا يكفر[1]، وهذا في حق من لم يكفر الكافر المختلف في كفره، أما المقطوع بكفره فلا، وما نسب إلى الشيخ محمد ابن عبد الوهاب من تكفير من لا يستحق ذلك، فهذه نبذة من أقواله توضح منهجه في الدعوة، وينفي بها عن نفسه ما نسب إليه زورًا وبهتانًا من تكفير من لا يستحق ذلك، قال رحمه الله في رسالته للشريف: وأما الكذب والبهتان مثل قولهم: أنكفر بالعموم، ونوجب الهجرة إلينا على من قدر إظهار دينه، وإنا نكفر من لم يكفر ومن لم يقاتل، ومثل هذا وأضعاف أضعافه، وكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله ﷺ، وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على عبد القادر، والصنم الذي

(١) «الفتاوى» (١٢/ ٤٨٦)

على أحمد البدوي، وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من ينبههم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا ولم يكفر، ويقاتل؟ سبحانك هذا بهتان عظيم[١]، وفي رده في رسالته إلى السويدي البغدادي يقول: وما ذكرت أني أكفر جميع الناس إلا من اتبعني وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة، فيا عجبًا، فكيف يدخل هذا عقل عاقل؟ هل يقول هذا مسلم أو كافر أو عارف أو مجنون؟ إلى أن قال: وأما التكفير: فأنا أكفر من عرف دين الإسلام ثم بعدما عرفه سبه، ونهى الناس عنه وعادى من فعله وهذا هو الذي أكفره، وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك[٢].

تلك قواعد هامة ينبغي مراعاتها قبل النظر في مسألة التكفير، وهي قواعد اتفق عليها العلماء واعتبروها في أحكامهم، لذلك عصمتهم من الزلل، ووقتهم من السقوط في هاوية التكفير، وثبتتهم على الصراط المستقيم، والطريق السوي، والسبيل القويم الذي لا عوج فيه ولا انحراف، ومن أراد المزيد في بحث هذه المسألة فليراجع: «منهج ابن تيمية في مسألة التكفير» للدكتور عبد المجيد المشعبي، و«ظاهرة التكفير» للأمين الحاج محمد أحمد، و«ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث» لمحمد عبد الحكيم حامد، و«الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة» لعبد الرحمن بن معلا اللويحق، و«شبهات حول الفكر الإسلامي المعاصر»، لسالم البهنساوي، و«الحكم وقضية تكفير المسلم»، لسالم البهنساوي.



(١، ٢) «مصباح الظلام»، لعبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ ص (٤٣).

المبحث الثاني
أمير المؤمنين رضي الله عنه علي وفكر الشيعة

أولاً: الشيعة في اللغة والاصطلاح، والرفض في اللغة والاصطلاح:

١ـ الشيعة في اللغة:

شيعة الرجل: أتباعه وأنصاره ويقال: شايعه كما يقال: والاه من الولي . . . وتشيع الرجل أي: ادَّعى دعوى الشيعة، وتشايع القوم صاروا شيعًا، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعضهم فهم شيع، وقوله تعالى: ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِنْ قَبْلُ﴾ [سبأ :٥٤] أي بأمثالهم من الأمم الماضية[١] .

وجاء في المصباح المنير: والشيعة: الأتباع والأنصار، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، ثم صارت الشيعة نبرا - أي وصفًا - بجماعة مخصوصة والجمع شيع مثل سدرة وسدر، والأشياع جمع الجمع وشيعت رمضان بست من شوال أتبعته بها[٢] فالشيعة: من حيث مدلولها اللغوي تعني: القوم والصحب والأتباع والأعوان، وقدر ورد هذا المعنى في بعض آيات القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص :١٥] وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ [الصافات:٨٣] فلفظ الشيعة في الأولى تعني القوم، وفي الثانية: تشير إلى الأتباع الذين يوافقون على الرأي والمنهج ويشاركون فيهما.

٢ـ تعريف الشيعة في الاصطلاح:

إن تعريف الشيعة مرتبط أساسًا بأطوار نشأتهم، ومراحل التطور العقدي لهم، ذلك أن من الملحوظ أن عقائد الشيعة وأفكارها في تغير وتطور مستمر، فالمتشيع في العصر الأول غير المتشيع فيما بعده، ولهذا كان في الصدر الأول لا يسمى

---

(١) «الصحاح» للجوهري، و«لسان العرب»، (شيع) .

(٢) «المصباح المنير»: شيع .

شيعيًّا إلا من قدم عليًّا على عثمان، ولذلك قيل: شيعي وعثماني، فالشيعي من قدم عليًّا على عثمان[١]، فعلى هذا يكون التعريف للشيعة في الصدر الأول: أنهم الذين يقدمون عليًّا على عثمان فقط[٢]، ولهذا ذكر ابن تيمية: أن الشيعة الأولى الذين كانوا على عهد علي كانوا يفضلون أبا بكر وعمر[٣]، وقد منع شريك بن عبد الله - وهو ممن يوصف بالشيع - إطلاق اسم التشيع على من يفضل عليًّا على أبي بكر وعمر؛ وذلك لمخالفته لما تواتر عن علي في ذلك، والتشيع يعني المناصرة والمتابعة لا المخالفة والمنابذة[٤].

وروي ابن بطة عن شيخه المعروف بأبي العباس بن مسروق قال: حدثنا محمد ابن حميد، حدثنا جرير، عن سفيان، عن عبدالله بن زياد بن جرير قال: قدم أبو إسحاق السبيعي الكوفة، فقال لنا شهر بن عطية: قوموا إليه، فجلسنا إليه، فتحدثوا، فقال أبو إسحاق: خرجت من الكوفة وليس أحد يشك، في فضل أبي بكر وعمر وتقديمهما، وقدمت الآن وهم يقولون ما يقولون، ولا والله ما أدري ما يقولون[٥]. قال محب الدين الخطيب: هذا نص تاريخي عظيم فيه تحديد تطور التشيع، فإن أبا إسحاق السبيعي كان شيخ الكوفة وعالمها[٦]. ولد في خلافة أمير المؤمنين عثمان قبل شهادته بثلاث سنين، وعمّر حتى توفي سنة١٢٧هـ، وكان طفلاً في خلافة أمير المؤمنين علي، وهو يقول عن نفسه: رفعني أبي حتى رأيت علي بن أبي طالب يخطب، أبيض الرأس واللحية، ولو عرفنا متى فارق الكوفة، ثم عاد فزارها، لتوصلنا إلى معرفة الزمن الذي كان فيه شيعة الكوفة يرون ما يراه إمامهم من تفضيل أبي بكر، وعمر، ومتى أخذوا يفارقون عليًّا ويخالفونه فيما كان يؤمن به، ويعلنه على منبر الكوفة من أفضلية أخويه، صاحبي رسول الله ﷺ ووزيريه وخليفتيه على أمته في أنقى وأطهر

(١) «أصول الشيعة الإمامية» (١/ ٦٤) .

(٢) «فتاوى ابن تيمية» (٣/ ١٥٣)، و«فتح الباري» (٧/ ٣٤) .

(٣) «منهاج السنة» (٢/ ٦٠)

(٤) «أصول الشيعة الإمامية الاثنا عشرية» (١/ ٦٥)

(٥) «المنتقى» ص (٣٦٠)

(٦) ترجمته في «تهذيب التهذيب» (٨/ ٦٣)، و«الخلاصة» ص (٢٩١)

أزمانها[١]، وقال ليث بن أبي سليم: أدركت الشيعة الأولى وما يفضلون على أبي بكر وعمر أحدًا[٢]، وذكر صاحب مختصر التحفة: إن الذين كانوا في وقت خلافة الأمير رضي الله عنه من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، كلهم عرفوا له حقه، وأحلوه من الفضل محله، ولم ينتقصوا أحدًا من إخوانه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بتكفيره وسبه[٣]، ولكن لم يظل التشيع بهذا النقاء والصفاء، والسلامة والسمو، بل إن مبدأ التشيع تغير، فأصبحت الشيعة شيعًا وصار التشيع قناعًا يتستر به كل من أراد الكيد للإسلام والمسلمين من الأعداء الموتورين الحاسدين. ولهذا نسمي الطاعنين في الشيخين الرافضة؛ لأنهم لا يستحقون وصف التشيع[٤]، ومن عرف التطور العقدي لطائفة الشيعة لا يستغرب وجود طائفة من أعلام المحدثين ، وغير المحدثين من العلماء والأعلام أطلق عليهم لقب الشيعة، وقد يكونوا من أعلام السنة؛ لأن للتشيع في زمن السلف مفهومًا وتعريفًا غير المفهوم والتعريف المتأخر للشيعة ولهذا قال الذهبي في معرض الحديث عمن رُمي ببدعة التشيع: إن البدعة على ضربين، فبدعة صغرى، كغلو التشيع، أو كالتشيع بلا غلو، فهذا كثير في التابعين ، وأتباعهم مع الدين والورع والصدق، فلو رد حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية، وهذه مفسدة بينة، ثم بدعة كبرى كالرفض الكامل، والغلو فيه، والحط على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، والدعاء إلى ذلك، فهذا النوع لا يحتج بهم، ولا كرامة أيضًا فما أستحضر الآن في هذا الضرب رجلاً صادقًا، ولا مأمونًا، بل الكذب شعارهم، والتقية والنفاق دثارهم، فكيف يقبل نقل من هذه حاله، حاشا وكلا، فالشيعي الغالي في زمان السلف وعرفهم هو من تكلم في عثمان والزبير، وطلحة ومعاوية، وطائفة ممن حارب عليًا رضي الله عنه وتعرض لسبهم والغالي

---

(١) «حاشية المنتقى» ص (٣٦٠، ٣٦١) .

(٢) «المنتقى» ص (٣٦٠، ٣٦١) .

(٣) «مختصر التحفة الاثنا عشرية» ص(٣).

(٤) «أصول الشيعة الإمامية الاثنا عشرية» (١/ ٦٦، ٦٧) .

في زمننا وعُرفنا هو الذي يكفر هؤلاء السادة ويتبرأ من الشيخين فهذا ضال مفتر[١]، إذن التشيع درجات، وأطوار، ومراحل، كما أنه فرق وطوائف، وقبل أن ندع الحديث حول تعريف الشيعة نشير إلى أنه يلحظ على تعريفات الشيعة الواردة في معظم كتب المقالات، أنها دأبت على القول في التعريف للشيعة الإمامية بأنهم أتباع علي . . . إلخ .

وهذا يؤدي إلى نتيجة خاطئة تخالف إجماع الأمة كلها، وهذه النتيجة أن يكون علي شيعيًا يرى ما يراه الشيعة، وعلي ﷺ بريء مما تعتقده الشيعة فيه وفي بنيه ولذلك لابد من وضع قيد واحتراز في التعريف رفعًا للإبهام، فيقال: هم الذين يزعمون اتباع علي؛ حيث إنهم لم يتبعوا عليًّا على الحقيقة، وليس أمير المؤمنين على ما يعتقدون[٢]، أو يقال: بأنهم المدعون التشيع لعلي، أو الرافضة، ولذلك عبر عنهم بعض أهل العلم بقوله: الرافضة المنسوبون إلى شيعة علي[٣]، فهم أيضًا ليسوا على منهج شيعة علي المتبعين له، بل هم أدعياء ورافضة[٤] .

٣- الرفض في اللغة:

هو الترك، يقال: رفضت الشيء: أي تركته[٥] ، فالرفض في اللغة معناه الترك والتخلي عن الشيء .

٤- الرافضة في الاصطلاح:

هي إحدى الفرق المنتسبة للتشيع لآل البيت، مع البراءة من أبي بكر وعمر وسائر أصحاب النبي ﷺ إلا القليل منهم، وتكفيرهم لهم وسبهم إياهم[٦]، قال الإمام أحمد رحمه الله: الرافضة: هم الذين يتبرؤون من أصحاب محمد

---

(١) «ميزان الاعتدال» للذهبي (١/ ٦٠٥)، و«لسان الميزان» (١/ ١٠٠٩) .
(٢) «أصول الشيعة الإمامية الاثنا عشرية» (١/ ٦٨) .
(٣) «منهاج السنة» (٢ / ١٠٦) .
(٤) «أصول الشيعة الإمامية الاثنا عشرية» (١/ ٦٩) .
(٥) «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (٢/ ٣٣٢)، و«مقاييس اللغة» (٢/ ٤٢٢) .
(٦) «الانتصار للصحب والآل» ص (٢٥) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسبونهم وينتقصونهم[١]، وقال عبد الله بن أحمد -رحمه الله- سألت أبي عن الرافضة، فقال: الذين يشتمون ـ أو يسبون ـ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما[٢]، وقال أبو القاسم التيمي الملقب بقوام السنة في تعريفهم: وهم الذين يشتمون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ورضي عن محبهما[٣]، وقد انفردت الرافضة من بين الفرق المنتسبة للإسلام بمسبة الشيخين أبي بكر وعمر، دون غيرها من الفرق الأخرى، وهذا من عظيم خذلانهم قاتلهم الله[٤]، يقول ابن تيمية- رحمه الله-: فأبو بكر وعمر أبغضتهما الرافضة ولعنتهما، دون غيرهم من الطوائف[٥]، وقد جاء في كتب الرافضة ما يشهد لهذا: وهو جعلهم محبة الشيخين وتوليهما من عدمهما هي الفارق بينهم وبين غيرهم ممن يطلقون عليهم النواصب، فقد روى الدرازي عن محمد بن علي بن موسى قال: كتبت إلى علي بن محمد عليه السلام[٦] عن الناصب هل يحتاج في امتحانه إلى أكثر من تقديمه الجبت والطاغوت[٧]، واعتقاد إمامتهما؟ فرجع الجواب: من كان على هذا فهو ناصب[٨] .

٥ ـ سبب تسميتهم رافضة:

يرى جمهور المحققين أن سبب إطلاق هذه التسمية على الرافضة؛ لرفضهم زيد بن علي وتفرقهم عنه بعد أن كانوا في جيشه، حين خروجه على هشام بن عبد الملك، في سنة إحدى وعشرين ومائة وذلك بعد أن أظهروا البراءة من الشيخين فنهاهم عن ذلك، يقول أبو الحسن الأشعري: وما كان زيد بن علي

---

(١) «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى(١/ ٣٣) .

(٢) «السنة» للخلال رقم (٧٧٧)، وقال المحقق: إسناده صحيح .

(٣) «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٤٧٨)..

(٤) «الانتصار للصحب والآل» ص (٢٦) .

(٥) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٤٣٥) .

(٦) هو أحد الأئمة الاثنا عشرية عند الإمامية، «وفيات الأعيان» (٣/ ٢٧٢) .

(٧) يعنون بهما: أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كما جاء ذلك في «تفسير العياشي»(١/ ٢٤٦)، وهو من أهم كتب التفسير عندهم، عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥٠] .

(٨) «المحاسن النفسانية»، لمحمد آل عصفور الدرازي ص(١٤٥) .

يفضل علي بن أبي طالب على سائر أصحاب رسول الله ﷺ وكان يتولى أبا بكر وعمر، ويرى الخروج على أئمة الجور، فلما ظهر في الكوفة في أصحابه الذين بايعوه سمع من بعضهم الطعن في أبي بكر وعمر، فأنكر ذلك على من سمعه منه فتفرق عنه الذين بايعوه فقال لهم: رفضتموني فيقال: إنهم سموا رافضة؛ لقول زيد لهم: رفضتموني[1]، وبهذا القول قال قوام السنة[2]، والرازي[3]، والشهرستاني[4] وابن تيمية[5]- رحمهم الله- وذهب الأشعري في قول آخر: إلى أنهم سموا بالرافضة؛ لرفضهم إمامة الشيخين، قال: وإنما سموا رافضة؛ لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر[6].

٦ ـ رافضة اليوم:

والرافضة اليوم يغضبون من هذه التسمية ولا يرضونها، ويرون أنها من الألقاب التي ألصقها بهم مخالفوهم، يقول محسن الأمين: الرافضة لقب ينبز به من يقدم عليًّا رضي الله عنه في الخلافة وأكثر ما يستعمل للتشفي والانتقام[7]، ولهذا يتسمون اليوم الشيعة وقد اشتهروا بهذه التسمية عند العامة وقد تأثر بذلك بعض الكتاب والمثقفين، فنجدهم يطلقون عليهم هذه التسمية، وفي الحقيقة إن الشيعة مصطلح عام يشمل كل من شايع عليًّا رضي الله عنه[8]، وقد ذكر أصحاب الفرق والمقالات أنهم ثلاثة أصناف:

أ ـ غالية: وهم الذين غلوا في علي وادعوا فيه الألوهية أو النبوة .

ب ـ ورافضة: وهم الذين يدعون النص على استخلاف علي ويتبرؤون من الخلفاء قبله وعامة الصحابة .

جـ ـ وزيدية: وهم أتباع زيد بن علي، الذين كانوا يفضلون عليًّا على سائر

---

(١) «مقالات الإسلاميين» (١/ ٣٧) .
(٢) «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٤٧٨) .
(٣) «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» ص (٥٢) .
(٤) «الملل والنحل» (١/ ١٥٥) .
(٥) «منهاج السنة» (١/ ٨)، و«مجموع الفتاوى» (١٣/ ٣٦) .
(٦) «مقالات الإسلاميين» (١/ ٨٩) .
(٧) «أعيان الشيعة» (١/ ٢٠) .
(٨) «مقالات الإسلاميين» (١/ ٦٥)، و«الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٤٤) .

الصحابة ويتولون أبا بكر وعمر[١]، فإطلاق الشيعة على الرافضة من غير تقييد لهذا المصطلح غير صحيح؛ لأن هذا المصطلح يدخل فيه الزيدية[٢]، وهم يتولون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، بل إن تسميتهم بالشيعة يوهم التباسهم بالشيعة القدماء الذين كانوا في عهد علي رضي الله عنه ومن بعدهم فإن هؤلاء مجمعون على تفضيل الشيخين على علي رضي الله عنه وإنما كانوا يرون تفضيل علي على عثمان وهؤلاء كان فيهم كثير من أهل العلم ومن هو منسوب إلى الخير والفضل، ويقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ ولهذا كان الشيعة المتقدمون الذين صحبوا عليًا، أو كانوا في ذلك الزمان، لم يتنازعوا في تفضيل أبي بكر وعمر، وإنما كان نزاعهم في تفضيل علي وعثمان[٣]، ولذا فإن تسمية «الرافضة» بالشيعة من الأخطاء البينة الواضحة التي وقع فيها بعض المعاصرين تقليدًا للرافضة في سعيهم للتخلص من هذا الاسم لما رأوا من كثرة ذم السلف لهم، ومقتهم إياهم، فأرادوا التخلص من ذلك الاسم تمويها وتدليسًا على من لا يعرفهم بالانتساب إلى الشيعة على وجه العموم، فكان من آثار ذلك ما وقع فيه بعض الطلبة المبتدئين ممن لم يعرفوا حقيقة هذه المصطلحات من الخلط الكبير بين أحكام الرافضة وأحكام الشيعة؛ لما تقرر عندهم إطلاق مصطلح التشيع على الرافضة، فظنوا أن ما ورد في كلام أهل العلم المتقدمين في حق الشيعة أنه يتنزل على الرافضة في حين أن أهل العلم يفرقون بينهما في كافة أحكامهم[٤]، وعليه فإن من الواجب، أن يسمى هؤلاء الروافض بمسماهم الحقيقي، الذي اصطلح عليه أهل العلم وعدم تسميتهم بالشيعة على وجه الإطلاق؛ لما في ذلك من اللبس والإبهام، وإذا ما أطلق عليهم مصطلح «التشيع» فينبغي أن يقيد بما يدل عليهم خاصة؛ كأن يقال «الشيعة الإمامية» أو «الشيعة الاثنى عشرية» على ما جرت بذلك عادة العلماء عند ذكرهم[٥]، والله تعالى أعلم .

---

(١) «مقالات الإسلاميين» (١ / ٣٧، ٦٦، ٨٨)، و«الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ٢٥) .

(٢) «الانتصار للصحب والآل» ص (٢٩) .

(٣) «منهاج السنة» (١/ ١٣) .

(٤) «الانتصار للصحب والآل» ص (٣٠) .

(٥) المصدر نفسه ص (٣٢) .

ثانيًا: نشأة الشيعة الرافضة وبيان دور اليهود في نشأتهم:

أول من دعا إلى أصول عقائد الشيعة الرافضة التي انبنت عليها عقائدهم الأخرى: رجل يهودي اسمه عبد الله بن سبأ من يهود اليمن، أسلم في عهد الخليفة الراشد عثمان ابن عفاف رضي الله عنه وأخذ يتنقل بين أمصار المسلمين للدعوة لهذا المعتقد الفاسد، وهذا نص ما ذكره الطبري في تاريخه قال ـ كان عبد الله بن سبأ يهوديًّا من أهل صنعاء أمه سوداء فأسلم زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز، ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر فاعتمر فيهم فقال لهم فيما يقول: لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمدًا لا يرجع وقد قال الله: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥]، فمحمد أحق بالرجوع من عيسى، قال: فقبل ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها، ثم قال لهم بعد ذلك: إنه كان ألف نبي ولكل نبي وصيّ، وكان عليّ وصيّ محمد، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء، ثم قال لهم بعد ذلك: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ووثب على وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم وتناول أمر الأمة، ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهضوا في هذا الأمر فحركوه، وابدؤوا الطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر، فبث دعاته وكاتب من كان استفسده في الأمصار وكاتبوه، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم[1]، وهكذا كانت بداية الرفض، ومازالت تلك العقائد التي دعا إليها ابن سبأ تسير في نفوس أناس من أهل الزيغ والضلال وتتشربها قلوبهم وعقولهم، حتى كان من ثمارها مقتل الخليفة الراشد ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه على يد هذه الشرذمة الفاسدة، حتى إذا ما جاء عهد علي بن أبي طالب بدأت تلك العقائد تظهر إلى الوجود أكثر من ذي قبل

---

(١) «تاريخ الطبري» (٥/٣٤٧).

إلى أن بلغت عليًّا رضي الله عنه فأنكرها أشد ما يكون الإنكار وتبرأ منها ومن أهلها، ومما صح في ذلك عن علي رضي الله عنه ما رواه ابن عساكر عن عمار الدهني قال: سمعت أبا الطفيل يقول: رأيت المسيب بن نجبة أتى به ملببه - يعني ابن السوداء - وعلي على المنبر فقال علي: ما شأنه؟ فقال: يكذب على الله ورسوله[1].

وعن يزيد بن وهب عن علي قال: مالي ولهذا الحميت[2] الأسود[3]، ومن طريق يزيد ابن وهب أيضًا عن سلمة عن شعبة قال علي بن أبي طالب: ما لي ولهذا الحميت الأسود ـ يعني عبد الله بن سبأ ـ وكان يقع في أبي بكر وعمر[4].

وهذه الروايات ثابتة عن علي رضي الله عنه بأسانيد صحيحة[5]، وحكى المؤرخون وأصحاب الفرق والمقالات: إن ابن سبأ ادعى الربوبية في علي رضي الله عنه فأحرقه علي- هو وأصحابه- بالنار [6]، يقول الجرجاني: السبئية من الرافضة ينسبون إلى عبد الله بن سبأ وكان أول من كفر من الرافضة، وقال: علي رب العالمين، فأحرقه علي وأصحابه بالنار[7]، ويقول الملطي في معرض حديثه عن السبئية: هم أصحاب عبد الله بن سبأ . قالوا لعلي رضي الله عنه: أنت أنت، قال: ومن أنا؟ قالوا: الخالق الباري فاستتابهم فلم يرجعوا، فأوقد لهم نارًا ضخمة وأحرقهم وقال مرتجزًا:

لَمَّا رَأَيتُ الأَمْرَ أَمْرًا مُنْكَرًا ... أَجَّجْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ قُنْبرا[8]

وذهب بعض المؤرخين إلى أن عليًّا رضي الله عنه لم يحرق ابن سبأ وإنما نفاه إلى المدائن . ثم ادعى بعد موت علي رضي الله عنه أن عليًّا لم يمت، وقال لمن نعاه: لو

---

(١) «تاريخ دمشق»، و«الانتصار للصحب والآل» ص (٣٥) .

(٢) الحَميت: هو وعاء سمن الذي متن بالرُّب، ويطلق على المتين من كل شيء، وفي حديث وحشي: كأنه حميت، قال ابن حجر: «أي زق كبير وأكثر ما قال ذلك إذا كان مملوءًا» «فتح الباري» (٣٦٨/٧) .

(٣،٤) «فتح الباري» (٣٦٨/٧) .

(٥) «عبد الله بن سبأ» للعودة ص(٩٨)، والأسانيد حكم عليها الألباني.

(٦) «الانتصار للصحب والآل» ص (٣٦) .

(٧) «التعريفات» ص (١٠٣) .

(٨) «التنبيه على أهل الأهواء والبدع» ص (٨) .

جئتمونا بدماغه في سبعين صرة ما صدقنا موته[١]، ولعل القول الأول هو الصحيح ويشهد له ما جاء في صحيح البخاري، وعن عكرمة قال: أتي علي ﷺ بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله ﷺ: «**لا تعذبوا بعذاب الله**» ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**»[٢].

قال ابن حجر في شرح الحديث بعد أن ذكر بعض الروايات في هؤلاء المحرقين وفيها: إنهم ناس كانوا يعبدون الأصنام، وفي بعضها: إنهم قوم ارتدوا عن الإسلام، وعلى اختلاف بين الروايات في تعيينهم قال بعد ذلك: وزعم أبو المظفر الإسفراييني في «الملل والنحل» أن الذين أحرقهم علي طائفة من الروافض ادعوا فيه الألوهية وهم السبئية، وكان كبيرهم عبد الله بن سبأ يهوديًّا أظهر الإسلام، وابتدع هذه المقالة، وهذا يمكن أن يكون أصله: ما رويناه . . . من حديث أبي طاهر المخلص من طريق عبد الله بن شريك العامري قال: قيل لعلي: إن هنا قومًا على باب المسجد يدعون أنك ربهم، فدعاهم: ويلكم ما تقولون ؟ قالوا: أنت ربنا خالقنا ورازقنا[٣]، ثم ساق بقية الرواية وفيها: إن عليًّا ﷺ استتابهم ثلاثًا فلم يرجعوا، فحرقهم بالنار في أخاديد قد حفرت لهم وقال:

أَجَّجْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ قُنبرا   لَمَّا رَأَيتُ الأَمْرَ أَمْرًا مُنْكَرًا

قال ابن حجر: وهذا سند حسن[٤]، والمقصود هنا هو ظهور عقائد الشيعة الرافضة المتمثلة في الغلو في علي ﷺ في تلك الفترة الزمنية، وإمعان علي ﷺ في عقوبتهم حتى قال ابن عباس ما قال، كما ثبت إنكار علي ﷺ لكل العقائد الأخرى التي ظهرت في عهده، وانتظمت في سلك التشيع له كتفضيله على عامة الصحابة وتقديمه على الشيخين، وكان انتشار سب الصحابة والإزراء عليهم بين أولئك الضلال.

---

(١) «الفصل» لابن حزم (٥/ ٣٦)، و«التبصير في الدين» للإسفراييني .

(٢) «البخاري»، كتاب استتابة المرتدين رقم: (٦٩٢٢) .

(٣، ٤) «فتح الباري» (١٢/ ٢٧٠) .

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ ولما أحدثت البدع الشيعة في خلافة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب ﷺ ردها وكانت ثلاث طوائف غالية وسبابه، ومفضلة، فأما الغالية فإنه حرقهم بالنار فإنه خرج ذات يوم من باب عنده فسجد له أقوام فقال: ما هذا؟ فقالوا: أنت هو الله فاستتابهم ثلاثًا فلم يرجعوا، فأمر في الثالث بأخاديد فخدت وأضرم فيها النار، ثم قذفهم فيها .

وأما السبابة: فإنه لما بلغه من سب أبا بكر وعمر طلب قتله، فهرب منه إلى قرقيسيا وكلم فيه أميره، وكان علي يداري أمراءه؛ لأنه لم يكن متمكنًا ولم يكونوا يطيعونه في كل ما يأمرهم به.

وأما المفضلة: فقال: لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفترين فقال: وروي عنه من أكثر من ثمانين وجهًا أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر[1].

وعلى كل حال فعقائد الرافضة مع ظهورها في عهد علي ﷺ إلا أنها بقيت محصورة في أفراد لا تمثلها طائفة أو فرقة، حتى انقضى عهد علي ﷺ وهي على تلك الحال، وقد أفرد الدكتور سعدي الهاشمي عقيدة ابن سبأ والبدع التي نادي بها في رسالته «ابن سبأ حقيقة لا خيال»، وذكرها في كتابه «الرواة الذين تأثروا بابن سبأ» وأهم البدع التي نادى بها ابن سبأ، القول بالوصية، وهو أول من قال بوصية رسول الله ﷺ لعلي، وأنه خليفته على أمته من بعده بالنص، وأول من أظهر البراءة من أعداء علي ﷺ بزعمه، وكاشف مخالفيه، وحكم بكفرهم، وأول من قال بألوهية وربوبية علي ﷺ، وكان أول من ادعى النبوة من فرق الشيعة الغلاة، وكان أول من أحدث القول برجعة علي ﷺ إلى الدنيا بعد موته وبرجعة رسول الله ﷺ، وأول من ادعى أن عليًا ﷺ هو دابة الأرض، وأنه هو الذي خلق الخلق وبسط الرزق، وقالت السبئية: إنهم يموتون وإنهم يطيرون بعد مماتهم وسموا بالطيارة ، وقال قوم منهم ـ السبئية ـ بانتقال

(١) «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ١٨٤، ١٨٥).

روح القدس في الأئمة، وقالوا بتناسخ الأرواح، وقالت السبئية: هدينا لوحي ضل عنه الناس، وعلم خفي عنهم، وقالوا: إن عليًّا في السحاب، وإن الرعد صوته، والبرق سوطه، هذه أبرز البدع التي كان يعتقد بها ابن سبأ وأتباعه وصاروا بها من الغلاة[١] .

إن فرق الشيعة الرافضة، كفكر وعقيدة لم تولد فجأة، بل إنها أخذت طورًا زمنيًّا، ومرت بمراحل، ولكن طلائع العقيدة الشيعية الرافضية وأصل أصولها ظهرت على يد السبئية باعتراف كتب الشيعة التي قالت بأن ابن سبأ أول من شهد بالقول بفرض إمامة علي، وأن عليًّا وصي محمد -كما مر- وهذه عقيدة النص على علي بالإمامة، وهي أساس التشيع الرافضي كما يراه شيوخ الشيعة الروافض، ومن ذلك ما جاء في «الكافي» عن أبي الحسن قال: ولاية علي مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولم يبعث الله رسولاً إلا بنبوة محمد ـ ﷺ ـ ووصية علي رضي الله عنه[٢] .

وشهدت كتب الشيعة الروافض ـ كما سيأتي تفصيله بإذن الله ـ بأن ابن سبأ وجماعته هم أول من أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان أصهار رسول الله ﷺ وأرحامه وخلفائه، وأقرب الناس إليه رضي الله عنهم، والطعن في الصحابة الآخرين، وهذه عقيدة الشيعة الروافض في الصحابة كما هي في كتبهم المعتمدة، كما أن ابن سبأ قال برجعة علي[٣]، والرجعة من أصول الشيعة الروافض كما سيأتي بإذن الله، كما أن ابن سبأ قال بتخصيص علي وأهل البيت بعلوم سرية خاصة، كما أشار إلى ذلك الحسن بن محمد بن الحنفية[٤] في رسالة الإرجاء[٥]، وهذه المسألة أصبحت من أصول الاعتقاد عند الشيعة، وقد ثبت في صحيح

---

(١) «الرواة الذين تأثروا بابن سبأ»، د/ سعدي الهاشمي ص (١٩، ٢٠) .

(٢) «أصول الكافي» (١/ ٤٣٧)، و«أصول الشيعة الإمامية» (١/ ٧١) .

(٣) «المقالات والفرق» للقمي ص (٢١)، و«فرق الشيعة» للنوبختي ص (٢٣)، و«أصول الشيعة الإمامية» (١/ ٩٦) .

(٤) «تهذيب التهذيب» (٢/ ٣٢) .

(٥) «رسالة الإرجاء» ضمن كتاب «الإيمان» لمحمد العدني ص (٢٥٠-٢٩٤) .

البخاري ما يدل على أن هذه العقيدة ظهرت في وقت مبكر، وأن عليًّا رضي الله عنه سئل عنها، وقيل له: هل عندكم شيء مما ليس في القرآن أو مما ليس عند الناس؟ فنفى ذلك نفيًا قاطعًا[١]، هذه من أهم الأصول التي تدين بها الشيعة الرافضة[٢].

وقد وجدت إثر مقتل عثمان رضي الله عنه وفي عهد علي رضي الله عنه ولم تأخذ مكانها في نفوس فرقة معينة معروفة، بل إن السبئية ما كادت تطل برأسها حتى حاربها علي رضي الله عنه كما مر معنا، ولكن ما تلا ذلك من أحداث هيأ جوًّا صالحًا لظهور هذه العقائد، وتمثله في جماعة كمعركة صفين، وحادثة التحكيم التي أعقبتها، ومقتل علي، ومقتل الحسين، كل هذه الأحداث دفعت القلوب والعواطف إلى التشيع لآل البيت، فتسلل الفكر الوافد من نافذة التشيع لعلي وآل بيته، وصار التشيع وسيلة لكل من أراد هدم الإسلام من ملحد ومنافق وطاغوت، ودخلت إلى المسلمين أفكار ومعتقدات أجنبية اكتست بثوب التشيع وتيسر دخولها تحت غطائه، وبمرور الأيام كانت تتسع البدعة ويتعاظم خطرها، حيث وجد لابن سبأ خلفاء كثيرون، ولم يكن استعمال لقب الشيعة في عهد علي رضي الله عنه إلا بمعنى الموالاة والنصرة، ولا يعني بحال الإيمان بعقيدة من عقائد الشيعة الرافضة اليوم[٣].

إن التشيع لآل البيت وحبهم أمر طبيعي، وهو حب لا يفرق بين الآل، ولا يغلو فيهم، ولا ينتقص أحدًا من الصحابة، كما تفعل الفرق المنتسبة للتشيع، وقد نما الحب وزاد للآل بعدما جرى عليهم من المحن والآلام بدءًا من مقتل علي ثم الحسين . . .إلخ، هذه الأحداث فجرت عواطف المسلمين، فدخل الحاقدون من هذا الباب، ذلك أن آراء ابن سبأ لم تجد الجو الملائم؛ لتنمو وتنتشر إلا بعد تلك الأحداث . . . لكن التشيع بمعنى عقيدة النص على علي رضي الله عنه، والرجعة، والبداء، والغيبة، وعصمة الأئمة . . . إلخ، فلا شك أنها عقائد ما أنزل الله بها من سلطان، دخيلة على المسلمين ترجع أصولها لعناصر مختلفة، ذلك أنه قد

---

(١) «البخاري»، كتاب العلم مع الفتح (١/ ٢٠٤) .

(٢) «أصول الشيعة الإمامية الاثنا عشرية» (١/ ٩٧) .

(٣) «أصول الشيعة الإمامية الاثنا عشرية» (١/ ٩٨) .

ركب مطية التشيع كل من أراد الكيد للإسلام وأهله، وكل من احتال ليعيش في ظل عقيدته السابقة باسم الإسلام، من يهودي، ونصراني، ومجوسي، وغيرهم، فدخل في التشيع كثير من العقائد الفاسدة، كما سيتبين ذلك عند دراسة أصول عقائدهم، ولهذا ذهب ابن تيمية رحمه الله إلى أن المنتسبين للتشيع قد أخذوا من مذاهب الفرس والروم، واليونان، والنصارى، واليهود، وغيرهم أمورًا مزجوها بالتشيع، ويقول: وهذا تصديق لما أخبر به النبي ﷺ، وساق بعض الأحاديث الواردة في أن هذه الأمة ستركب سنن من قبلها...، وقال بأن هذا بعينه صار في المنتسبين للتشيع[1] .

ثالثًا: المراحل التي مرت بها الشيعة الرافضة:

مرت الشيعة الرافضة في نشأتها بعدة مراحل حتى أصبحت فرقة مستقلة متميزة بعقيدتها واسمها عن سائر فرق الأمة، ويمكن إبراز ذلك من خلال أربع مراحل رئيسية:

١ ـ المرحلة الأولى:

دعوة عبد الله بن سبأ إلى ما دعا إليه من الأصول التي انبنت عليها عقيدة الرافضة، كدعوته لعقيدة الرجعة، وإحداثه القول بالوصية لعلي رضي الله عنه، والطعن في الخلفاء السابقين لعلي في الخلافة، وقد ساعد ابن سبأ في ترويج فكره الضال البعيد عن روح الإسلام أمران:

أ ـ اختيار ابن سبأ البيئة المناسبة لدعوته، حيث بث دعوته في بلدان مصر، والعراق، بعد أن أكثر التنقل بين هذه الأمصار، كما مر في كلام الطبري[2]، فنشأت هذه الدعوة في مجتمعات لم تتمكن من فهم الإسلام الفهم الصحيح، وترسخ أقدامها في العلم الشرعي والفقه بدين الله تعالى؛ وذلك لقرب عهدها بالإسلام فإن تلك الأمصار إنما فتحت في عهد عمر رضي الله عنه، هذا بالإضافة إلى بعدها عن مجتمع الصحابة في الحجاز وعدم التفقه والتتلمذ والتربية على أيديهم.

---

(١) «منهاج السنة» (٤/١٤٧)، و«أصول الشيعة الإمامية» (١/١٠٩). (٢) «تاريخ الطبري» (٥/٣٤٧).

ب ـ إن ابن سبأ مع اختياره لدعوته تلك المجتمعات، فإنه زيادة في المكر والخديعة، أحاط دعوته بستار من التكتم والسرية، فلم تكن دعوته موجهه لكل أحد، وإنما لمن علم أنهم أهل لقبولها من جهلة الناس، وأصحاب الأغراض الخبيثة، ممن لم يدخلوا في الإسلام إلا كيدًا لأهله بعد أن قوضت جيوش الإسلام عروش ملوكهم، ومزقت ممالكهم، وقد تقدم كلام الطبري السابق عن ابن سبأ: فبث دعاته، وكاتب من كان استفسده في الأمصار، وكاتبوه، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم[١] يقول في سياق وصفهم: وأوسعوا في الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون[٢] .

٢ ـ المرحلة الثانية:

إظهار هذا المعتقد والتصريح به، وذلك بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، وانشغال الصحابة رضوان الله عليهم بإخماد الفتنة التي حصلت بمقتله، فوجد هؤلاء الضلال متنفسًا في تلك الظروف، وقويت تلك العقائد الفاسدة في نفوسهم، إلا أنه مع كل ذلك بقيت هذه العقائد محصورة في طائفة مخصوصة، ممن أصلهم ابن سبأ، وليست لهم شوكة ولا كلمة مسموعة عند أحد سوى من ابتلي بمصيبتهم في مقتل عثمان رضي الله عنه، وشاركهم في دمه من الخوارج المارقين، ومما يدل على ذلك ما نقله الطبري: وتكلم ابن السوداء فقال: يا قوم إن عزكم في خلطة الناس فصانعوهم[٣]، وهذا القول لا يقوله صاحب شوكة ومنعة، ومع هذا فإنه لا ينكر دور هؤلاء السبئية وقتلة عثمان في إشعال نار الحرب بين الصحابة، بل ذلك مقرر عند أهل التحقيق للفتنة وأحداثها، يقول ابن حزم مقررًا ذلك: وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان الإراعة والتدبير عليهم، فبيتوا عسكر طلحة والزبير، وبذلوا السيوف فيهم، فدفع القوم عن أنفسهم[٤] .

---

(١) «تاريخ الطبري» (٥/٣٤٧) .
(٢) المصدر نفسه (٥/٣٤٨) .
(٣) «تاريخ الطبري» (٥/٥٢٦) .
(٤) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٤/٢٣٩) .

٣ـ المرحلة الثالثة:

اشتداد أمرهم وقوتهم واجتماعهم تحت قيادة واحدة وذلك بعد مقتل الحسين رضي الله عنه للأخذ بثأر الحسين والانتقام له من أعدائه، يقول الطبري في حوادث سنة أربع وستين للهجرة، وفي هذه السنة تحركت الشيعة بالكوفة، وأعدوا الاجتماع بالنخيلة سنة خمس وستين للمسير لأهل الشام للطلب بدم الحسين بن علي وتكاتبوا في ذلك[(١)]، وكان مبدأ أمرهم ما ذكره الطبري من رواية عبد الله ابن عوف بن الأحمر الأزدي أنه قال: لما قتل الحسين بن علي ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة، فدخل الكوفة، تلاقت الشيعة بالتلاوم والتندم، ورأت أنها قد أخطأت خطأً كبيرًا بدعائهم الحسين إلى النصرة وتركهم إجابته، وقتله إلى جانبهم ولم ينصروه، ورأوا أنه لا يغسل عارهم والإثم عنهم في مقتله إلا بقتل من قتله، أو القتل فيه، ففزعوا بالكوفة إلى خمسة نفر من رؤوس الشيعة: إلى سليمان بن صُرد الخزاعي، وكانت له صحبة مع النبي صلى الله عليه وسلم، وإلى المسيب بن نجبة الزاري، وكان من أصحاب علي وخيارهم، وإلى عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي، وإلى عبد الله وال التيمي، وإلى رفاعة بن شداد البجلي، ثم إن هؤلاء النفر الخمسة اجتمعوا في منزل سليمان بن صُرد وكانوا من خيار أصحاب علي، ومعهم أناس من الشيعة وخيارهم ووجوههم[(٢)]، وكان هذا الاجتماع عام يشمل كافة الشيعة، وقد اجتمع إلى سليمان بن صرد نحو من سبعة عشر ألفًا، ثم لم تعجب سليمان قلتهم، فأرسل حكيم بن منقذ فنادى في الكوفة، وخرج الناس معهم فكانوا قريبًا من عشرين ألفًا[(٣)]، ثم إنه في هذه الأثناء قدم المختار بن أبي عبيد الثقفي إلى الكوفة فوجد الشيعة قد التفت على سليمان بن صرد وعظموه تعظيمًا زائدًا، وهم معدون للحرب، فلما استقر المختار عندهم بالكوفة دعا إلى إمامة المهدي محمد بن علي بن أبي طالب وهو محمد بن الحنفية، ولقبه بالمهدي فاتبعه على ذلك كثير من الشيعة، وفارقوا سليمان بن صرد، وصارت الشيعة

(١، ٢) «تاريخ الطبري» (٦/ ٤٨٧ـ٥٠١) . (٣) «البداية والنهاية» (٨/ ٢٥٤) .

فرقتين، الجمهور منهم مع سليمان، يريدون الخروج على الناس ليأخذوا بثأر الحسين وفرقة أخرى مع المختار يريدون الخروج للدعوة إلى إمامة محمد بن الحنفية، وذلك عن غير أمر ابن الحنفية ورضاه، وإنما يتقولون عليه ليروجوا على الناس به، وليتوصلوا إلى أغراضهم الفاسدة[١]، فكان هذا بداية اجتماع الشيعة، ثم يذكر المؤرخون خروج سليمان بن صرد بمن كان معه من الشيعة إلى الشام، فالتقوا مع أهل الشام عند عين تسمى عين الوردة واقتتلوا قتالاً عظيمًا لمدة ثلاثة أيام.

يقول ابن كثير: لم ير الشيب والمرد مثله لا يحجز بينهم إلا أوقات الصلوات إلى الليل[٢]، ثم انتهى القتال بينهم بقتل سليمان بن صرد رحمه الله وكثير من أصحابه، وهزيمتهم، وعودة من بقي من أصحابه إلى الكوفة[٣]، وأما المختار بن أبي عبيد الثقفي فلما رجع من بقي من جيش سليمان إلى الكوفة وأخبروه بما كان من أمرهم، وما حل بهم فترحم على سليمان ومن كان قتل معه، وقال: وبعد فأنا الأمير المأمون قاتل الجبارين والمفسدين، إن شاء الله، فأعدوا واستعدوا وأبشروا[٤]، يقول ابن كثير: وقد كان قبل قدومهم قد أخبر الناس بهلاكهم عن ربه، الذي كان يأتي إليه من الشيطان، فإنه قد كان يأتي إليه شيطان فيوحي إليه قريبًا مما كان يوحي شيطان مسيلمة له[٥]، ثم إن المختار بعث الأمر إلى النواحي والبلدان، والرساتيق من أرض العراق وخراسان وعقد الألوية والرايات، ثم شرع المختار يتتبع قتلة الحسين من شريف ووضيع فيقتله[٦].

٤ - المرحلة الرابعة:

انشقاق الشيعة الرافضة عن الزيدية، وباقي فرق الشيعة، وتميزها بمسماها وعقيدتها، وكان ذلك على وجه التحديد في سنة إحدى وعشرين ومائة عندما

---

(١) «البداية والنهاية» (٨/ ٢٥٤).

(٢) المصدر نفسه (٨/ ٢٥٧).

(٣) المصدر نفسه (٨/ ٢٥٦، ٢٥٧)

(٤) المصدر نفسه (٨/ ٢٥٨).

(٥) «البداية والنهاية» (٨/ ٢٥٧).

(٦) المصدر نفسه (٨/ ٢٧١).

خرج زيد بن علي ابن الحسين على هشام بن عبد الملك[١]، فأظهر بعض من كان في جيشه من الشيعة الطعن على أبي بكر وعمر فمنعهم من ذلك، وأنكر عليهم فرفضوه، فسموا بالرافضة، وسميت الطائفة الباقية معه بالزيدية[٢].

يقول ابن تيمية رحمه الله: إن أول ما عرف لفظ الرافضة في الإسلام، عند خروج زيد ابن علي في أوائل المائة الثانية، فسئل عن أبي بكر وعمر، فتولاهما فرفضه قوم فسموا رافضة[٣]، وقال: ومن زمن خروج زيد افترقت الشيعة إلى رافضة وزيدية، فإنه لما سئل عن أبي بكر وعمر فترحم عليهما رفضه قوم فقال لهم: رفضتموني، فسموا رافضة لرفضهم إياه، وسمي من لم يرفضه من الشيعة زيديًّا لانتسابهم إليه[٤]، ومنذ ذلك التاريخ تميزت الرافضة عن باقي فرق الشيعة، فأصبحت فرقة مستقلة باسمها ومعتقدها[٥]، والله تعالى أعلم.

هذا وقد تحدث علماء الفرق عن الفرق المنسوبة للشيعة، فذكروا منها: السبئية، والغرابية، والبياتية، والمغيرية، والهاشمية، والخطابية، والعلبائية، والكيسانية، والزيدية الجارودية، والسليمانية، والصالحية، والبترية، وبعض هذه الفرق غالت غلوًّا عظيمًا، والبعض الآخر أقل غلوًّا، ومن أراد الاستزادة فليراجع «مقالات الإسلاميين» لأبي الحسن الأشعري، و«الملل والنحل» للشهرستاني، و«الفرق بين الفرق» لأبي الطاهر البغدادي، و«فرق معاصرة» للدكتور غالب بن علي عواجي وهو من أفضل من اطلعت عليه من المعاصرين.

❁❁❁

(١) «تاريخ الطبري» (٧/ ١٦٠)، و«الانتصار للصحب والآل» ص (٤٧).
(٢) «الانتصار للصحب والآل» ص (٤٧).
(٣) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٣٦).
(٤) «منهاج السنة» (١/ ٣٥).
(٥) «الانتصار للصحب والآل» ص (٤٨).

المبحث الثالث

من أهم عقائد الشيعة الرافضة «الإمامة»

يعتقد الشيعة الرافضة الاثنى عشرية أن الإمامة ركن عظيم من أركان الإسلام، وأصل أصيل من أصول الإيمان، لا يتم إيمان المرء إلا باعتقادها، ولا يقبل منه عمل إلا بتحقيقها، وأول من تحدث عن مفهوم الإمامة بالصورة الموجودة عند الشيعة الرافضة هو ابن سبأ، الذي بدأ يشيع القول بأن الإمامة هي وصاية من النبي ومحصورة بالوصي، وإذا تولاها سواه يجب البراءة منه وتكفيره، فقد اعترفت كتب الشيعة بأن ابن سبأ، كان أول من أشهر القول بفرض إمامة علي، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه، وكفرهم[١]؛ لأنه كان يهودي الأصل، يرى أن يوشع بن نون وصي موسى، فلما أسلم أظهر هذه المقالة في علي ابن أبي طالب[٢]، وهذا ما تعارف عليه شيوخ الشيعة الرافضة، فابن بابويه القمي يسجل عقائد الشيعة في القرن الرابع ويقول بأنهم يعتقدون بأن لكل نبي وصيًا أوصى إليه بأمر الله تعالى[٣]، ويذكر أن عدد الأوصياء مائة ألف وصي، وأربعة وعشرون ألف وصي[٤]، كما ذكر المجلسي في أخباره أن عليًا هو آخر الأوصياء[٥]، وجاء في بعض عناوين الأبواب في «الكافي»: باب أن الإمامة عهد من الله عز وجل معهود من واحد إلى واحد[٦]، وباب ما نص الله عز وجل ورسوله على الأئمة واحدًا فواحدًا[٧]، وقد ضمنها مجموعة من أخبارهم التي يعدونها من الأدلة التي لا يرقى إليها الشك .

ولهذا قال شيخهم مقداد الحلي (ت٨٢١) بأن مستحق الإمامة عندهم لابد أن يكون شخصًا معهودًا من الله تعالى ورسوله لا أي شخص اتفق[٨]، ويقرر

---

(١) «رجال الكشي» ص (١٠١)، و«المقالات والفرق» للقمي ص (٢٠) .

(٢) «رجال الكشي» ص (١٠١)، و«أصول الشيعة» (٢/ ٧٩٢) .

(٣) «عقائد الصدوق» ص (١٠٦) .

(٤) المصدر السابق .

(٥) «بحار الأنوار» (٣٩/ ٣٤٢) .

(٦) «أصول الكافي» (١/ ٢٢٧) .

(٧) المصدر السابق(١/ ٢٨٦) .

(٨) «النافع يوم الحشر» ص (٤٧) .

محمد حسين آل كاشف الغطاء -أحد مراجع الشيعة الاثنا عشرية في هذا العصر- أن الإمامة منصب إلهي كالنبوة، فكما أن الله سبحانه يختار مَنْ يشاء من عباده للنبوة والرسالة ويؤيده بالمعجزة التي هي كَنَصٍّ من الله عليه.. فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه، وأن ينصبه إمامًا للناس من بعده[١]، فأنت ترى أن مفهوم الإمامة عندهم كمفهوم النبوة، فكما يصطفي الله سبحانه من خلقه أنبياء، يختار سبحانه أئمة، وينص عليهم، ويُعْلِم الخلقَ بهم، ويقيم بهم الحجة، ويؤيدهم بالمعجزات، وينزل عليهم الكتب، ويوحي إليهم، ولا يقولون أو يفعلون إلا بأمر الله ووحيه.. أي أن الإمامة هي النبوة، والإمام هو النبي، والتغيير في الاسم فقط، ولذلك قال المجلسي: إن استنباط الفرق بين النبي والإمام من تلك الأخبار لا يخلو من إشكال[٢]، ثم قال: ولا نعرف جهة لعدم اتصافهم بالنبوة إلا رعاية خاتم الأنبياء، ولا يصل عقولنا فرق بين النبوة والإمامة[٣]، هذا قولهم في مفهوم الإمامة، ويكفي في نقده أنه لا سند لهم فيه إلا ابن سبأ اليهودي[٤].

أولاً: منزلة الإمامة عندهم وحكم من جحدها:

مسألة الإمامة عند أهل السنة ليست من أصول الدين التي لا يسع المكلف الجهل بها، كما قرره جمع من أهل العلم[٥].. ولكنها عند الشيعة الرافضة لها شأن آخر، ففي «الكافي» روايات تجعل الإمامة أعظم أركان الإسلام، روى الكليني بسنده عن أبي جعفر قال: بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية، فأخذ الناس بأربعة وتركوا هذا - يعني الولاية -[٦] فأنت ترى أنهم أسقطوا الشهادتين من

(١) «أصول الشيعة وأصولها» ص (٥٨).

(٢، ٣) «بحار الأنوار» (٢٦/ ٨٢).

(٤) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٧٩٤).

(٥) «غاية المرام» للآمدي ص(٣٦٣)، و«الاقتصاد» للغزالي ص(١٣٤).

(٦) «أصول الكافي» (٢/ ١٨) رقم (٣).

أركان الإسلام، ووضعوا مكانهما الولاية، وعدوها من أعظم الأركان، كما يدل عليه قولهم: ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية، وكما يدل عليه حديثهم الآخر، وقد ذكر فيه نص الرواية السابقة وزاد: قلت -الراوي- وأي شيء من ذلك أفضل ؟ فقال: الولاية أفضل[١] .

ويقول المجلسي: ولا ريب في أن الولاية والاعتقاد بإمامة الأئمة عليهم السلام والإذعان لهم من جملة أصول الدين، وأفضل من جميع الأعمال البدنية؛ لأنها مفتاحهن[٢] .

ويقول المظفر - وهو من علمائهم المعاصرين -: نعتقد أن الإمامة أصل من أصول الدين، لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها، ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل والمربين، مهما عظموا، بل يجب النظر فيها، كما يجب النظر في التوحيد والنبوة[٣]، بل وصلت الأخبار إلى أكثر من هذا حينما قالت: عرج النبي صلى الله عليه وسلم بالولاية لعلي والأئمة من بعده أكثر مما أوصاه بالفرائض[٤] .

هذه الروايات الشيعية الرافضية ومثيلاتها في كتب الشيعة الروافض كانت كفيلة بأن تجعل الإمامة هي الحكم على إيمان الرجل أو كفره، وأن تجعل المسلم معرضًا للاتهام بالكفر لمجرد اختلافه مع الشيعة الإمامية في عقيدة الإمامة التي يعتقدونها، ولذا رأينا بعض كبار علماء الشيعة الإمامية السابقين واللاحقين يصرحون بهذه الحقيقة المرة، يقول ابن بابويه القمي في رسالته «الاعتقادات»: واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أنه كمن جحد نبوة جميع الأنبياء، واعتقادنا فيمن أقر بأمير المؤمنين وأنكر واحدًا من بعده من الأئمة أنه بمنزلة من أقر بجميع الأنبياء، وأنكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم[٥]، ويقول يوسف البحراني في موسوعته «الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة»:

---

(١) «أصول الكافي» (٢/ ١٨) .
(٢) «مرآة العقول» (٧/ ١٠٢) .
(٣) «عقائد الإمامية» ص (١٠٢) .
(٤) «بحار الأنوار» (٢٣/ ٦٩) .
(٥) «الاعتقادات» ص (١٠٣)، و«ثم أبصرت الحقيقة»، لمحمد الخضر ص(١٢٧) .

وليت شعري أي فرق بين من كفر بالله سبحانه وتعالى ورسوله وبين من كفر بالأئمة عليهم السلام مع ثبوت كون الإمامة من أصول الدين[١]، ويقول المجلسي: اعلم أن إطلاق لفظ الشرك والكفر على من لم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهم السلام، وفَضَّلَ عليهم غيرهم يدل على أنهم مخلدون في النار[٢].

وقال ابن المطهر الحلي: الإمامة لطف عام، والنبوة لطف خاص لإمكان خلو الزمان من نبي حي بخلاف الإمام، وإنكار اللطف العام شر من إنكار اللطف الخاص[٣].

فهو يجعل من لم يؤمن بأئمتهم أشد كفرًا من اليهود والنصارى، وقد بنى على ذلك أن الزمان لا يخلو من إمام، وهو إشارة إلى عقيدتهم بالإيمان بوجود إمامهم المنتظر الغائب، والذي أنكره طوائف من الشيعة، وقرر المحققون من علماء النسب والتاريخ أنه لم يولد أصلاً، ولكن شيخ الشيعة الرافضة يرى أن إنكاره أعظم من الكفر[٤]، وينقل شيخهم المفيد اتفاقهم على هذا المذهب في تكفير أمة الإسلام فيقول: اتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد من الأئمة وجحد ما أوجبه الله تعالى له من فرض الطاعة فهو كافر ضال مستحق للخلود في النار[٥]، وبلغ الأمر بشيخهم نعمة الله الجزائري أن يعلن انفصال الشيعة عن المسلمين بسبب قضية الإمامة فيقول: لم نجتمع معهم على إله ولا نبي ولا على إمام، وذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد ﷺ نبيه، وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي، بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا ذلك النبي نبينا[٦].

---

(١) «الحدائق الناضرة» (١٨/ ١٥٣).

(٢) «بحار الأنوار» (٢٣/ ٣٩٠).

(٣) «الألفين» ص (٣)، و«أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٨٦٧).

(٤) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٨٦٧).

(٥) «المسائل» للمفيد، وقد نقل ذلك عنه المجلسي في «البحار» (٨/ ٣٦٦).

(٦) «الأنوار النعمانية» (٢/ ٢٧٩).

إن الإمامة صنو النبوة أو أعظم، وهي أصل الدين وقاعدته الأساسية عندهم، لهذا جاء حكم الشيعة (الاثنا عشرية) على من أنكر إمامة واحد من أئمتهم (الاثني عشر) مكملاً لهذا الغلو؛ حيث حكموا عليه بالكفر والخلود في النار، وخصصوا باللعن والحكم بالردة جميع فئات المسلمين ما عدا (الاثنا عشرية)، فتناول تكفيرهم:

١ـ الصحابة رضوان الله عليهم:

كتب الشيعة الرافضة مليئة باللعن والتكفير لمن رضي الله عنهم ورضوا عنه، من المهاجرين والأنصار، وأهل بدر وبيعة الرضوان، وسائر الصحابة أجمعين، ولا تستثني منهم إلا النزر اليسير الذي لا يبلغ عدد أصابع اليد، وأصبحت هذه المسألة بعد ظهور كتبهم وانتشارها من الأمور التي لا تحجب بالتقية[١]، كما أن من أهل العلم وأصحاب المقالات من اطلع على هذا الأمر عند الشيعة الإمامية، قال القاضي عبد الجبار: وأما الإمامية فقد ذهبت إلى أن الطريق إلى إمامة الاثني عشر النص الجلي، الذي يكفر من أنكره، ويجب تكفيره، فكفروا لذلك صحابة النبي ﷺ[٢]، وقريب من هذا المعنى قال عبد القاهر البغدادي: وأما الإمامية فقد زعم أكثرهم[٣] أن الصحابة ارتدت بعد النبي ﷺ سوى علي وابنيه ومقدار ثلاثة عشر منهم[٤]، ويقول ابن تيمية رحمه الله: إن الرافضة تقول: إن المهاجرين والأنصار كتموا النص، فكفروا إلا نفرًا قليلاً . . إما بضعة عشر أو أكثر، ثم يقولون: إن أبا بكر وعمر ونحوهما ما زالا منافقين، وقد يقولون: بل آمنوا ثم كفروا، وتقول كتب (الاثنا عشرية): إن الصحابة بسبب توليتهم لأبي بكر قد ارتدوا إلا ثلاثة، وتزيد بعض رواياتهم ثلاثة أو أربعة آخرين رجعوا إلى إمامة علي، ليصبح المجموع سبعة، ولا يزيدون على ذلك، ولقد تداولت الشيعة أنباء

---

(١) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٨٦٨).

(٢) «شرح الأصول الخمسة»ص (٧٦١) .

(٣) تلحظ أن عبد القاهر لا يعمم هذا المذهب على الإمامية كلها .

(٤) «الفرق بين الفرق» ص (٣٢١) .

هذه الأسطورة في المعتمد من كتبها، فسجلوا ذلك في أول كتاب ظهر لهم وهو «كتاب سليم بن قيس»[١]، ثم تتابعت كتبهم في تقرير ذلك وإشاعته وعلى رأسها «الكافي» أوثق كتبهم الأربعة، و«رجال الكشي»[٢]، عمدتهم في كتب الرجال وغيرها من مصادرهم[٣]، وسيأتي الحديث عن موقف الشيعة الرافضة من الصحابة مفصلاً بإذن الله تعالى.

٢ ـ تكفيرهم أهل البيت:

إن الروايات التي تحكم بالردة على ذلك المجتمع المثالي الفريد، لا تستثني منهم جميعًا إلا سبعة في أكثر تقديراتها، ولا تذكر من ضمن هؤلاء السبعة أحدًا من أهل بيت رسول الله ﷺ باستثناء بعض روايات عندهم جاء فيها استثناء علي فقط، وهي رواية الفضيل بن يسار عن أبي جعفر، قال: صار الناس كلهم أهل جاهلية إلا أربعة: علي، والمقداد، وسلمان، وأبو ذر، فقلت: فعمّار؟ فقال: إن كنت تريد الذين لم يدخلهم شيء فهؤلاء الثلاثة[٤]، فالحكم بالردة في هذه النصوص شامل للصحابة، وأهل البيت النبوي من زوجات رسول الله ﷺ وقرابته، مع أن واضعها يزعم التشيع لأهل بيت رسول الله ﷺ، فهل هذا إلا دليل واضح على أن التشيع إنما هو ستار لتنفيذ أغراض خبيثة ضد الإسلام وأهله، وأن واضعي هذه الروايات أعداء للصحابة وللقرابة[٥]، وقد خصت الشيعة الرافضة بالطعن والتكفير جملة من أهل بيت رسول الله؛ كعم النبي العباس، حتى قالو بأنه نزل فيه قوله سبحانه: ﴿**وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً**﴾ [الإسراء: ٧٢]، وكابنه عبدالله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن الذي خصصوه باللعن وبأنه سخيف العقل، كما جاء في

---

(١) «كتاب سليم بن قيس» ص (٧٤، ٧٥).

(٢) «رجال الكشي» ص(٦-٩، ١١).

(٣) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٧٨٠).

(٤) «تفسير العياشي» (١/ ١٩٩)، و«البرهان» (١/ ٣١٩)، و«تفسير الصافي» (١/ ٣٨٩)، و«أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٨٩١).

(٥) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٨٩١).

«الكافي»[١]، وفي «رجال الكشي»: اللهم العن ابني فلان واعْمِ أبصارهما، كما عميت قلوبهما .. واجعل عمى أبصارهما دليلاً على عمى قلوبهما[٢]، وعلق على هذا شيخهم حسن المصطفوي فقال: هما عبد الله بن عباس وعبيد الله بن عباس[٣]، وبنات النبي صلى الله عليه وسلم يشملهن سخط الشيعة (الاثنا عشرية) وحنقهم، فلا يذكرن فيمن استثني من التكفير، بل ونفى بعضهم أن يكن بنات للنبي صلى الله عليه وسلم ما عدا فاطمة رضي الله عنها [٤]، فهل يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقول فيه وفي بناته هذا القول ؟![٥] .

وقد نص صاحب «الكافي» في رواياته على أن كل من لم يؤمن بالاثني عشر فهو كافر، وإن كان علويًا فاطميًا[٦]، وهذا يشمل في الحقيقة التكفير لجيل الصحابة ومن بعدهم بما فيه الآل والأصحاب؛ لأنهم لم يعرفوا فكرة (الاثنا عشر) التي لم توجد إلا بعد سنة ٢٦٠هـ، كما باؤوا بتكفير أمهات المؤمنين أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ إذ لم يستثنوا واحدة منهن في نصوصهم، ولكنهم يخصون منهن عائشة[٧]، وحفصة رضي الله عنهم أجمعين، بالذم واللعن والتكفير[٨]، وقد عقد شيخهم المجلسي بابًا بعنوان « باب أحوال عائشة وحفصة» ذكر فيه سبع عشرة رواية[٩]، وأحال في بقية الروايات إلى أبواب أخرى[١٠]، وقد آذوا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم في أهل بيته أبلغ الإيذاء، حتى اتهموا في أخبارهم من برأها الله من سبع سماوات- عائشة بنت الصديق- بالفاحشة، فقد جاء في أصل أصول التفاسير عندهم- «تفسير القمي»-[١١] قذف شنيع متضمن تكذيب القرآن العظيم، قال ابن كثير في تفسير سورة النور: أجمع أهل العلم ـ رحمهم الله ـ قاطبة

(١) «أصول الكافي» (١/ ٢٤٧).
(٢) «رجال الكشي» ص (٥٢).
(٣) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٨٩٢) .
(٤) «كشف الغطاء» لجعفر النجفي ص(٥)، و«أصول الشيعة» (٢/ ٨٩٢).
(٥) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٨٩٢) .
(٦) «أصول الكافي» (١/ ٣٤٧-٣٧٢)
(٧) «أصول الكافي (١/ ٣٠٠) و«رجال الكشي» ص (٥٧ـ٦٠) .
(٨) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٨٩٣) .
(٩) «بحار الأنوار» (٢٢/ ٢٢٧ـ٢٤٧)
(١٠) «بحار الأنوار» (٢/ ٢٤٥).
(١١) «تفسير القمي» (٢/ ٣٧٧) .

على أن من سبها ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في الآية، فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن[١]، وقال القرطبي: فكل من سبها مما برأها الله منه مكذب لله، ومن كذب الله فهو كافر[٢].

٣- تكفيرهم خلفاء المسلمين وحكوماتهم:

في دين الشيعة الرافضة الإمامية أن كل حكومة غير حكومة الإمامية الرافضية باطلة، وصاحبها ظالم طاغوت يعبد من دون الله، ومن يبايعه فإنما يعبد غير الله، وقد أثبت الكليني هذا المعنى في عدة أبواب مثل: باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل، ومن جحد الأئمة أو بعضهم، ومن أثبت الإمامة لمن ليس لها بأهل، وذكر فيه اثني عشر حديثًا عن أئمتهم[٣]، وباب فيمن دان الله عز وجل بغير إمام من الله جل جلاله، وفيه خمسة أحاديث[٤].

وكل خلفاء المسلمين ما عدا عليًّا والحسن طواغيت -حسب اعتقادهم- وإن كانوا يدعون إلى الحق، ويحسنون لأهل البيت، ويقيمون دين الله، ذلك أنهم يقولون: كل راية ترفع قبل راية القائم ﷺ[٥] صاحبها طاغوت[٦]، قال شارح «الكافي»: وإن كان رافعها يدعو إلى الحق[٧]، وحكم المجلسي على هذه الرواية بالصحة[٨]، حسب مقاييسهم[٩].

٤- الحكم على الأمصار الإسلامية بأنها دار كفر:

جاء في أخبارهم تخصيص كثير من بلاد المسلمين بالسب، وتكفير أهلها على وجه التعيين، ويخصون منها غالبًا ما كان أكثر التزامًا بالإسلام واتباعًا للسنة، فقد صرحوا بكفر أهالي مكة والمدينة في القرون المفضلة، ففي عصر جعفر الصادق

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٨٩، ٢٩٠)، و«الصارم المسلول» ص (٥١).
(٢) «تفسير القرطبي» (١٢/ ٢٠٦).
(٣) «الكافي» (١/ ٣٧٤).
(٤) المصدر السابق(١/ ٣٧٤-٣٧٦).
(٥) هو: المهدي المنتظر.
(٦) «الكافي» بشرحه للمازندراني(١٢/ ٣٧١)، و«بحار الأنوار» (٢٥/ ١١٣)، و«أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٨٩٦).
(٧) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٨٩٦).
(٨) «مرآة العقول» (٤/ ٣٧٨).
(٩) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٨٩٦).

كانوا يقولون عن أهل مكة والمدينة: أهل الشام شر من أهل الروم - يعني شر من النصارى- وأهل المدينة شر من أهل مكة، وأهل مكة يكفرون بالله جهرة[١]، وقالوا: إن أهل مكة ليكفرون بالله جهرة، وإن أهل المدينة أخبث من أهل مكة، أخبث منهم سبعين ضعفًا[٢]، ومن المعلوم أن أهل المدينة كانوا ـ ولاسيما في القرون المفضلة ـ يتأسون بأثر رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من سائر الأمصار، وقد ظل أهل المدينة متمسكين بمذهبهم المالكي منتسبين إليه إلى أوائل المائة السادسة أو قبل ذلك أو بعد، فإنه قدم إليهم من رافضة المشرق من أفسد مذهب كثير منهم[٣].

وقالوا أيضًا عن مصر وأهلها: أبناء مصر لعنوا على لسان داود عليه السلام، فجعل الله منهم القردة والخنازير[٤]، وما غضب الله على بني إسرائيل إلا أدخلهم مصر، ولا رضي عنهم إلا أخرجهم منها إلى غيرها[٥]، وقالوا بئس البلاد مصر، أما إنها سجن من سخط الله عليه من بني إسرائيل[٦]، وقالوا: انتحوا عن مصر ولا تطلبوا المكث فيها لأنه يورث الدياثة[٧]، وجاءت عندهم عدة روايات في ذم مصر، وهجاء أهلها، والتحذير من سكناها، ونسبوا هذه الروايات إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلى محمد الباقر، وإلى علي الباقر، وهذا رأي الروافض في مصر في تلك العصور الإسلامية الزاهرة، وقد عقب المجلسي على هذه النصوص بقوله: إن مصر صارت من شر البلاد في تلك الأزمنة؛ لأن أهلها صاروا من أشقى الناس وأكفرهم[٨]، ولا يبعد أن هذه النصوص هي تعبير عن حقد الرافضة وغيظهم على مصر وأهلها بسبب سقوط دولة إخوانهم الإسماعيليين العبيديين على يد صلاح الدين الذي طهر أرض الكنانة من دنسهم ورجسهم، وأين هذه الكلمات المظلمة في مصر وأهلها من الباب الوارد في

---

(١) «أصول الكافي» (٢/ ٤٠٩). (٢) المصدر السابق(٢/ ٤١٠). (٣) «الفتاوى» (٢٠/ ٢٩٩، ٣٠٠)
(٤) «بحار الأنوار» (٦٠/ ٢٠٨)، و«تفسير القمي» ص (٥٩٦).
(٥) «تفسير العياشي» (١/ ٣٠٤)، و«البرهان» (١/ ٤٥٦).
(٦) «تفسير العياشي» (١/ ٣٠٥)، و«البرهان» (١/ ٤٥٧).
(٧) «بحار الأنوار» (٦٠/ ٢١١)، و«أصول الشيعة» (٢/٩٠٠). (٨) «بحار الأنوار» (٢٠٨/ ٥).

صحيح مسلم: « باب وصية النبي بأهل مصر»[١] وجاء عندهم ذم كثير من بلدان الإسلام وأهلها[٢]، ولم يُسْتَثْنَ من ديار المسلمين إلا من يقول بمذهبهم وهي قليلة في تلك الأزمان، حتى جاء عنهم: إن الله عرض ولايتنا على أهل الأمصار فلم يقبلها إلا أهل الكوفة[٣] .

٥ـ قضاة المسلمين:

تَعُدُّ أخبارُهم قضاةَ المسلمين طواغيت لارتباطهم بالإمامة الباطلة بزعمهم، فقد جاء في الكافي عن عمر بن حنظلة قال: سألت أبا عبد الله ﷺ، عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاء أيحل ذلك ؟ قال: من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت، ومَنْ يحكم له فإنما يأخذ سحتًا، وإن كان حقًّا ثابتًا له؛ لأنه أخذ بحكم الطاغوت، وقد أمر الله أن يكفر به[٤]، قال تعالى: ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ**﴾ [النساء: ٦٠]، وهذه الرواية تحكم على القضاء والقضاة في عصر جعفر الصادق، كما يظهر من إسنادهم للرواية إلى جعفر، فإذا كان هذا نظرهم في قضاة المسلمين في القرون المفضلة، فما بالك فيمن بعدهم؟![٥] .

٦ ـ تكفيرهم أئمة المسلمين وعلماءهم:

حذروا من التلقي عن شيوخ المسلمين وعلمائهم، وعدوهم كملل أهل الشرك، عن هارون بن خارجة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنا نأتي هؤلاء المخالفين[٦]، فنسمع منهم الحديث يكون حجة لنا عليهم ؟ قال: لا تأتهم ولا تسمع منهم، لعنهم الله ولعن مللهم المشركة[٧]، وجاء في «الكافي» عن

---

(١) «مسلم» (٢/ ٢٩٧٠).

(٢، ٣) «بحار الأنوار» (٦٠/ ٢٠٦)، و«أصول الشيعة» (٢/ ٩٠١) .

(٤) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٩٠٢)، و«أصول الكافي» (١/ ٦٧) .

(٥) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٩٠٢) .

(٦) هذا اللقب يطلق على أهل السنة، وقد يتناول كل مخالف .

(٧) «بحار الأنوار» (٢/ ٢١٦)، و«أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٩٠٥) .

سدير عن أبي جعفر قال: يا سدير فأريك الصادين عن دين الله؟ ثم نظر إلى أبي حنيفة وسفيان الثوري في ذلك الزمان وهم حلق في المسجد، فقال: هؤلاء الصادون عن دين الله بلا هدى من الله ولا كتاب مبين، إن هؤلاء الأخباث لو جلسوا في بيوتهم فجال الناس، فلم يجدوا أحدًا يخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله ﷺ حتى يأتونا فنخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم(١) .

وقد بين ابن تيمية ـ رحمه الله ـ موقفهم من سلف الأمة وأئمتها والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه فكفروا جماهير أمة محمد ﷺ من المتقدمين والمتأخرين، ويكفرون كل من اعتقد في أبي بكر وعمر والمهاجرين والأنصار العدالة، أو ترضى عنهم كما رضي الله عنهم، أو يستغفر لهم كما أمر الله بالاستغفار لهم، ولهذا يكفرون أعلام الملة، مثل سعيد ابن المسيب، وأبي مسلم الخولاني، وأويس القرني، وعطاء بن أبي رباح، وإبراهيم النخعي، ومثل مالك، والأوزاعي، وأبي حنيفة، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، والثوري، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وفضيل بن عياض، وأبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، والجنيد بن محمد، وسهل ابن عبدالله التستري، وغير هؤلاء، ويرون أن كفرهم أغلظ من كفر اليهود والنصارى؛ لأن أولئك عندهم كفار أصليون، وهؤلاء مرتدون، وكفر الردة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي إلى أن قال: وأكثر محققيهم ـ عندهم ـ يرون أبا بكر وعمر وأكثر المهاجرين والأنصار، وأزواج النبي ﷺ مثل عائشة، وحفصة، وسائر أئمة المسلمين وعامتهم ما آمنوا بالله طرفة عين قط؛ لأن الإيمان الذي يتعقبه الكفر عندهم يكون باطلاً من أصله . ومنهم من يرى أن فرج النبي ﷺ الذي جامع به عائشة وحفصة لابد أن تمسه النار ليطهر بذلك من وطء الكوافر على زعمهم؛ لأن وطء الكوافر حرام عندهم(٢) .

---

(١) «أصول الكافي» (١/ ٣٩٢، ٣٩٣)، و«أصول الشيعة» (٢/ ٩٠٥).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٦١، ٢٦٢).

هذا التكفير العام الشامل الذي لم ينج منه أحد، هل يحتاج إلى نقد؟ إن بطلانه أوضح من أن يبين، وكذبه أجلى من أن يكشف، وتكفير الأمة امتداد لتكفير الصحابة، والسبب واحد لا يختلف، ومن الطبيعي أن من يحقد على صحابة رسول الله ويسبهم ويكفرهم يحقد على الأمة جميعًا ويكفرها، كما قال بعض السلف: لا يغل قلب أحد على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا كان في قلبه على المسلمين أغل[١].

فإذا لم يرض عن أبي بكر وعمر وعثمان، وأهل بدر وبيعة الرضوان، والمهاجرين والأنصار وهم في الذروة في الفضل والإحسان، فهل يرضى بعد ذلك عن أحد بعدهم؟ ومبنى هذا الموقف هو دعوى الروافض أن الصحابة رضوان الله عليهم أنكروا النص، وسيأتي بيان بطلان النص بالنقل والعقل وبالأمور المتواترة المعلومة ـ بإذن الله ـ وما بني على الباطل فهو باطل، ولقد كان حكمهم بردة جيل الصحابة من الظواهر الواضحة على بطلان مذهب الشيعة الرافضة من أساسه[٢]، ولذلك قال أحمد الكسروي الإيراني والشيعي الأصل: وأما ما قالوا من ارتداد المسلمين بعد موت النبي ﷺ فاجتراء منهم على الكذب والبهتان، فللقائل أن يقول: كيف ارتدوا وهم كانوا أصحاب النبي آمنوا به حين كذبه الآخرون، ودافعوا عنه واحتملوا الأذى في خلافة أبي بكر ليرتدوا عن دينهم لأجله ؟ فأي الأمرين أسهل احتمالاً: أَكَذِبُ رجلٍ أو رجلين من ذوي الأغراض الفاسدة، أو ارتداد بضع مئات من خلص المسلمين؟ فأجيبونا إن كان لكم جواب[٣] .

إن القرآن الكريم بين فيه رب العزة أصول العقائد وحقائقها وهو التبيان لكل شيء، قال تعالى: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾ [النحل: ٨٩] ويقول واصفًا كتابه بأنه لم يفرط في قضية يقوم عليها الدين: ﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ**

(١) «الإبانة» لابن بطة ص (٤١) . (٢) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٩١٦) .
(٣) «التشيع والشيعة» ص(٦٦)، و«أصول الشيعة» (٢/٩١٦) .

شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] فإذا كان الأمر كذلك فإن المرء ليتساءل عن سند هذه العقيدة، فكتاب الإسلام العظيم «القرآن الكريم» يذكر فيه مرات الصلاة والصيام، والزكاة والحج، ولا ذكر فيه لشأن الأئمة (الاثنا عشرية) أو الإمامة من بعد الرسول برغم كون الإمامة كما تقول النظرية الشيعية الرافضية أعظم أركان الدين !! أو ليس من العجيب أن يذكر القرآن تفاصيل طريقة الوضوء ويُصنّف أنواع المحرمات من الطعام والشراب ويتحدث عن الجهاد تارةً وعن السلم تارةً أخرى ويناقش القضايا الأخلاقية ثم يتجاهل إمامة (الاثنا عشر) التي يصفها آل كاشف الغطاء بأنها «منصب إلهي كالنبوة» إن هذه النصوص القرآنية قد شهدت بكل وضوح بأن القرآن الكريم لم يفرط في قضية يحتاج إليها البشر، فكيف يفرط في قضية الإمامة النصية التي تذكرها الشيعة الإمامية ثم يتركها لعلمائهم لكي يصيغوها ويحددوا معالمها مع كون النص على الأئمة من الله لا منهم!![1] .

ثانيًا: العصمة عند الشيعة الرافضة:

إن عصمة الإمام عند الشيعة الرافضة الإمامية شرط من شروط الإمامة وهي من المبادئ الأولية في كيانهم العقدي ولها أهمية كبرى عندهم، ونتيجة لما أضفاه الشيعة على الأئمة من صفات وقدرات ومواهب علمية غير محدودة، ذهبوا إلى أن الإمام ليس مسؤولاً أمام أحد من الناس ولا مجال للخطأ في أفعاله مهما أتى من أفعال، بل يجب تصديقه والإيمان بأن كل ما يفعله خير لا شر فيه؛ لأن عنده من العلم ما لا قبل لأحد بمعرفته، ومن هنا قرر الشيعة للإمام ضمن ما قرروا العصمة، فذهبوا إلى أن الأئمة معصومون في كل حياتهم لا يرتكبون صغيرة ولا كبيرة ولا يصدر عنهم أي معصية، ولا يجوز عليهم خطأ ولا نسيان[2]، وقد نقل الإجماع على ذلك شيخهم المفيد، فقال: إن الأئمة القائمين مقام الأنبياء في تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود وحفظ الشرائع وتأديب الأنام معصومون كعصمة

---

(١) «ثم أبصرت الحقيقة» لمحمد سالم، ص(١٣٠) .

(٢) «دراسات عن الفرق» د. أحمد جلي ص(٢٠٣)، و«مسألة التقريب» (١/ ٣٢٢) .

الأنبياء، وأنهم لا يجوز منهم كبيرة ولا صغيرة وأنه لا يجوز منهم سهو في شيء من الدين ولا ينسون شيئًا من الأحكام، وعلى هذا مذهب سائر الإمامية إلا من شذ منهم، وتعلق بظواهر روايات لها تأويلات على خلاف ظنه الفاسد من هذا الباب[١]، وقال ابن المطهر الحلي: ذهبت الإمامية والإسماعيلية إلى أن الإمام يجب أن يكون معصومًا وخالف فيه جميع الفرق[٢].

وقد نص على ذلك المجلسي بقوله: اعلم أن الإمامية ﷺ اتفقوا على عصمة الأئمة عليهم السلام من الذنوب صغيرها وكبيرها فلا يقع منهم ذنب أصلاً لا عمدًا ولا نسيانًا ولا لخطأ في التأويل، ولا للإسهاء من الله سبحانه[٣].

وروى الصدوق بسنده إلى ابن عباس ـ كذبًا وزورًا ـ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين معصومون[٤]، وقال أيضًا في تقرير ذلك: اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة أنهم معصومون مطهرون من كل دنس وأنهم لا يذنبون لا صغيرًا ولا كبيرًا ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم، ومن جهلهم فهو كافر[٥].

ولم تكن هذه العقيدة مقصورة على سلف الرافضة، بل شاركهم المعاصرون في ذلك، وفي ذلك يقول محمد رضا المظفر: ونعتقد أن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصومًا من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن من سنّ الطفولة إلى الموت عمدًا وسهوًا، كما يجب أن يكون معصومًا من السهو والخطأ والنسيان[٦]، وقد نص على ذلك الزنجاني في «عقائد الإمامية»[٧]، كما نص عليه أيضًا علي البحراني في «منار الهدى»[٨]، والسيد مرتضى العسكري في «معالم المدرستين»[٩]، إلا أن هناك آثارًا في المذهب الشيعي الإمامي تخالف ما ذهبوا

(١) «أوائل المقالات» للمفيد ص (٣٥).
(٢) «كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد» ص (٩٠).
(٣) «بحار الأنوار» (٢٠٥/٩).
(٤) «إكمال الدين» للصدوق ص (٤٧٤).
(٥) نقل ذلك عن الزنجاني في «عقائد الإمامية الاثنا عشرية» (١٥٧/٢).
(٦) «عقائد الإمامية» ص (١٠٤).
(٧) «العقيدة في أهل البيت» ص (٣٧١).
(٨) «منار الهدى» ص (١٠٢).
(٩) «معالم المدرستين» ص (١٥٩).

إليه، ولذلك تَحَيَّرَ المجلسي وهو يرى النصوص تخالف إجماع أصحابه، فقال: المسألة في غاية الإشكال؛ لدلالة كثير من الأخبار والآيات عن صدور السهو عنهم، وإطباق الأصحاب إلا من شذ منهم على عدم الجواز[١]، وهذا اعتراف من المجلسي بأن إجماع الشيعة المتأخرين على عصمة الأئمة بإطلاق يخالف رواياتهم، وهذا دليل واقعي واعتراف صريح بأنهم يجمعون على ضلالة، وعلى غير دليل حتى من كتبهم[٢] .

ويبدو أن فكرة العصمة قد مرت بأطوار مختلفة أو أن الشيعة قد اختلفت عقائدهم في تحديدها -في أول الأمر- فمثلاً في عصر أبي جعفر بن بابويه القمي ت٣٨١هـ وشيخه محمد بن الحسن القمي، كان رأي جمهور الشيعة أن أول درجة في الغلو هي نفي السهو عن النبي صلى الله عليه وسلم[٣]، فكانوا يعدون من ينفي السهو عن النبي صلى الله عليه وسلم من الشيعة الغلاة ولكن بعد ذلك تبدلت الحال وأصبح نفي السهو والنسيان عن الأئمة هو خروج بهم إلى منزلة من لا تأخذه سنة ولا نوم، وقد كانت العصمة بهذه الصورة الغالية من نفي السهو والنسيان عن الأئمة معتقد فئة شيعية مجهولة في الكوفة، ففي البحار للمجلسي: أنه قيل للرضا -إمام الشيعة الثامن- إن في الكوفة قومًا يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقع عليه السهو في صلاته فقال: كذبوا لعنهم الله إن الذي لا يسهو هو الله لا إله إلا هو[٤]، فهذا يدل على أن عقيدة نفي السهو كانت معتقد قوم غير معنيين لشذوذهم في هذا الاعتقاد، وأنهم كانوا ينفون السهو عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو أفضل الأئمة ولم يقولوا بذلك للأئمة، ثم تطوَّر هذا الاعتقاد ليشمل أئمة الشيعة (الاثنا عشر) وليعم طائفة الشيعة الإمامية كلها، فهذا شيخ الشيعة المعاصر وآيتها العظمى عبد الله المقاني يؤكد أن نفي السهو عن الأئمة أصبح من ضرورات المذهب الشيعي[٥]، وهو لا ينكر أن شيوخهم السابقين كانوا يعدون ذلك غلوًّا،

---

(١) «البحار» (٢٥/ ٣٥١) .
(٢) «مسألة التقريب» (١/ ٣٣٠) .
(٣) «شرح عقائد الصدوق» للمفيد ص (١٦٠، ١٦١).
(٤) «البحار» (٢٥/ ٣٥٠) .
(٥) «تنقيح المقال» (٣/ ٢٤٠).

لكنه يقول إن ما يعتبر غلوًّا في الماضي أصبح اليوم من ضرورات المذهب الشيعي[١]، وإذا كانت دعوى عصمة الأئمة تعني مضاهاتهم للرسول فإن نفي السهو عنهم تأليه لهم كما أشار إلى ذلك إمام الشيعة الثامن علي الرضا، ولذا قرر ابن بابويه القمي وغيره أن هذا الاعتقاد هو الفيصل بين الغلاة وغيرهم[٢]، وإذا كان شيخهم المعاصر الممقاني يرى أن نفي السهو عن الأئمة من ضرورات المذهب الشيعي ومنكر الضروري كافر عندهم كما يؤكده شيخهم المعاصر محسن الأمين[٣]، فمعنى هذا أن متأخريهم يكفرون متقدميهم ومتقدميهم يكفرون متأخريهم، وإذا كان الممقاني يرى أن نفي السهو عن الأئمة من ضرورات المذهب الشيعي، وبعضهم ينقل الإجماع على ذلك[٤]، فإننا نجد في بعض الكتابات الموجهة لديار السنة[٥]، القول بأن الاعتقاد بأن الأئمة يسهون هو مذهب جميع الشيعة[٦]، وهكذا يكفر بعضهم بعضًا، ويناقض بعضهم بعضًا، وكلٌّ يزعم أن ما يقوله هو مذهب الشيعة[٧]، وقد كان معتقد العصمة من أسباب نشوء عقيدة البداء والتقية ـ كما سيأتي بيانه بإذن الله تعالى ـ وذلك أن واقع الأئمة لا يتفق بحال ودعوى عصمتهم فإذا حصل اختلاف وتناقض في أقوالهم قالوا: هذا بداء أو تقية كما اعترف بهذا بعض الشيعة[٨].

إن من أخطر الآثار العلمية لدعوى العصمة اعتبارهم أن ما يصدر عن أئمتهم (الاثنا عشر) هو كقول الله ورسوله، ولذلك فإن مصادرهم في الحديث تنتهي معظم أسانيدها إلى أحد الأئمة ولا تصل إلى رسول الله ﷺ، والشيعة زعمت لأئمتها عصمة لم تتحقق لأنبياء الله ورسله، كما يدل على ذلك صريح القرآن والسنة والإجماع[٩].

---

(١) «تنقيح المقال» (٣/ ٢٤٠)، و«مسألة التقريب» (٢/ ٩٧).
(٢) «مسألة التقريب» (٢/ ٩٨).
(٣) «كشف الارتياب المقدمة الثانية ومهذب الأحكام» (١/ ٣٨٨-٣٩٣).
(٤) «صراط الحق» (٣/ ١٢١)، و«مسألة التقريب» (٢/ ٩٨).
(٥) «مسألة التقريب» (٢/ ٩٨).
(٦) «الشيعة في الميزان» لمحمد جواد ص(٢٧٢، ٢٧٣).
(٧) «مسألة التقريب» (٢/ ٩٨).
(٨) «مسألة التقريب» (١/ ٣٢٩).
(٩) المصدر نفسه (١/ ٣٢٤).

١- استدلالهم على عصمة أئمتهم من القرآن الكريم:

برغم أن كتاب الله سبحانه وتعالى ليس فيه ذكر للاثني عشر أصلاً -كما مر- فضلاً عن عصمتهم، إلا أن (الاثنا عشر) تتعلق بالقرآن لتقرير العصمة ويتفق شيوخهم على الاستدلال بقوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾ [البقرة: ١٢٤] وبهذه الآية صدر المجلسي بابه الذي عقده في «بحاره» بشأن العصمة بعنوان: باب لزوم عصمة الإمام[1] وجملة من شيوخ الشيعة المعاصرين يجعلون هذه الآية أصل استدلالهم من القرآن ولا يستدلون بسواها مثل محسن الأمين[2]، ومحمد حسين آل كاشف الغطاء، والذي يقول بأن هذه الآية صريحة في لزوم العصمة[3]، ويتولى صاحب «مجمع البيان» سياق وجهة استدلال أصحابه بهذه الآية على مرادهم فيقول: استدل أصحابنا بهذه الآية على أن الإمام لا يكون إلا معصومًا من القبائح؛ لأن الله ـ سبحانه ـ نص ألاَّ ينال عَهْدُه ـ الذي هو الإمامة[4]ـ ظالمًا، ومن ليس بمعصوم فقد يكون ظالمًا إما لنفسه وإما لغيره، فإن قيل إنما نفى أن ينال ظالمًا في حالة ظلمه، فإذا تاب فلا يسمى ظالمًا فيصح أن يناله، فالجواب: أن الظالم وإن تاب فلا يخرج من أن تكون الآية قد تناولته في حال كونه ظالمًا، فإذا نفي أن يناله فقد حكم عليه بأنه لا ينالها، والآية مطلقة غير مقيدة بوقت دون وقت فيجب أن تكون محمولة على الأوقات كلها، فلا ينالها الظالم، وإن تاب فيما بعد[5].

٢- نقد استدلالهم:

أـ اختلف السلف في معنى العهد على أقوال: قال ابن عباس والسدي: إنه النبوة، قال: ﴿**لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾ أي نبوتي، وقال مجاهد: الإمامة، أي لا أجعل إمامًا ظالمًا يقتدى به، وقال قتادة وإبراهيم النخعي وعطاء والحسن

---

(١) «بحار الأنوار» (٢٥/ ١٩١). (٢) «أعيان الشيعة» (١/ ٤٥٨). (٣) «أصل الشيعة» ص (٥٩).
(٤) اختلف السلف في معنى العهد - كما سيأتي- ولكن الروافض يأخذون بما وافق هواهم ويقطعون به بلا دليل
(٥) «مجمع البيان» للطبرسي (١/ ٢٠١)، و«التبيان» للطوسي (١/ ٤٤٩).

وعكرمة: لا ينال عهد الله في الآخرة الظالمين فأما في الدنيا فقد ناله الظالم، فأمن به وأكل وعاش .. قال الزجاج: وهذا قول حسن، أي لا ينال أماني الظالمين، أي: لا أؤمنهم من عذابي، والمراد بالظالم: المشرك. وقال الربيع بن أنس والضحاك: عهد الله الذي عهد إلى عباده: دينه، يقول: لا ينال دينه الظالمين، ألا ترى أنه قال: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ [الصافات: ١١٣]، يقول: ليس كل ذريتك يا إبراهيم على الحق. وروي عن ابن عباس -أيضًا-: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ قال: ليس للظالمين عهد، وإن عاهدته فانقضه[1]، فالآية كما ترى، اختلف السلف في تأويلها فهي ليست في مسألة الإمامة أصلاً في قول أكثرهم، والذين فسروها بالإمامة قصدوا إمامة العلم والصلاح والاقتداء، لا الإمامة بمفهوم الرافضة[2].

ب ـ لو كانت الآية في الإمامة فهي لا تدل على عصمة بحال؛ إذ لا يمكن أن يقال بأن غير الظالم معصوم لا يخطئ ولا ينسى ولا يسهو .. إلخ كما هو مفهوم العصمة عند الشيعة؛ إذ يكون قياس مذهبهم: من سها فهو ظالم ومن أخطأ فهو ظالم ... وهذا لا يوافقهم عليه أحد ولا يتفق مع أصول الإسلام، فبين إثبات العصمة، ونفي الظلم فرق كبير؛ لأن نفي الظلم إثبات للعدل لا للعصمة الشيعية[3].

جـ ـ لا يسلم لهم أن من ارتكب ظلمًا ثم تاب منه لحقه وصف الظلم ولازمه، ولا تجدي التوبة في رفعه، فإن أعظم الظلم الشرك، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]، ثم فسر الظلم بقوله: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، ومع هذا قال جل شأنه في الكفار: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، لكن قياس قول هؤلاء أن من أشرك ولو لحظة، أو ارتكب معصية ولو صغيرة فهو ظالم لا ينفك عنه

---

(١) «المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ٢٥٠)، و«أصول الشيعة» (٢/ ٩٥٣).

(٢، ٣) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٩٥٣).

وصف الظلم، ومؤدى هذا أن المشرك ولو أسلم فهو مشرك؛ لأن الظلم هو الشرك[١]، فصاروا بهذا أشد من الخوارج الوعيدية؛ لأن الخوارج لا يثبتون الوعيد لصاحب الكبيرة إلا في حالة عدم توبته، ومن المعلوم في بداهة العقول -فضلاً عن الشرع والعرف واللغة- أن من كفر أو ظلم ثم تاب وأصلح لا يصح أن يطلق عليه أنه كافر أو ظالم . . وإلا جاز أن يقال: صبي لشيخ، ونائم لمستيقظ، وغني لفقير، وجائع لشبعان، وحي لميت، وبالعكس، وأيضًا لو اطرد ذلك يلزم من حلف لا يسلم على كافر فسلم على إنسان مؤمن في الحال إلا أنه كان كافرًا قبل سنين متطاولة أن يحنث، ولا قائل به[٢]، ومن المعروف أنه قد يكون التائب من الظلم كمن لم يقع فيه، ومن اعتقد أن كل من لم يكفر ولم يقتل ولم يذنب أفضل من كل من آمن بعد كفره واهتدى بعد ضلاله، وتاب بعد ذنوبه، فهو مخالف لما علم بالاضطرار من دين الإسلام، فمن المعلوم أن السابقين أفضل من أولادهم، وهل يشبه أبناء المهاجرين والأنصار بآبائهم عاقل[٣]، كما أن استدلالهم هذا يؤدي إلى أن جميع المسلمين وكذلك الشيعة وأهل البيت ـ إلا من تعتقد الشيعة عصمتهم ـ جميعهم ظلمة لأنهم غير معصومين، وقد قال شيخهم الطوسي بأن الظلم اسم ذم فلا يجوز أن يطلق إلا على مستحق اللعن لقوله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨] .

د ـ ما قرره أحد علماء الشيعة الزيدية في نقض استدلال الشيعة (الاثنا عشرية) بهذه الآية، حيث قال: احتج الرافضة بالآية على أن الإمامة لا يستحقها من ظلم مرة، ورام الطعن في إمامة أبي بكر وعمر، وهذا لا يصح؛ لأن العهد إن حمل على النبوة فلا حجة، وإن حمل على الإمامة فمن تاب من الظلم فلا يوصف بأنه ظالم، ولم يمنعه ـ تعالى ـ من نيل العهد إلا حال كونه ظالمًا[٤] .

---

(١) هم يعنون بالظلم؛ لأن مرادهم إبطال خلافة أبي بكر وعمر؛ لأنهما قد أسلما بعد شرك، والشرك لم ينفك عنهما بعد إيمانهما في زعمهم، ولذلك قال الكليني: هذه الآية أبطلت إمامة كل ظالم، «أصول الكافي» (١/١٩٩) .

(٢) «روح المعاني» للألوسي (١/٣٧٧).

(٣) «منهاج السنة» (١/٣٠٢، ٣٠٣) .

(٤) «الثمرات اليانعة»، ليوسف بن أحمد الزيدي، مخطوطة نقلاً عن «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٩٥٥).

آية التطهير وحديث الكساء:

آية التطهير هي قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣] وهي كما هو معلوم جزء من قوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٢، ٣٣] وقد تعمد علماء الشيعة (الاثنا عشرية) اقتطاع آية التطهير من السياق القرآني الذي جاءت فيه والذي خاطب الله به نساء النبي ﷺ إغفالاً لنساء النبي ﷺ من الخطاب، ثم ضموا إلى ذلك حديث الكساء الذي رواه مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة[١]، قالت: خرج النبي ﷺ غداةً وعليه مرط[٢] مرحّل[٣] من شعر أسود فجاء الحسن بن علي، فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ وحديث أم المؤمنين أم سلمة لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ قالت أم سلمة رضي الله عنها: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: «**أنت على مكانك، وأنت على خير**»[٤]؛ لتثبيت المعنى الذي يريدونه من الاستدلال بهذه الآية الكريمة[٥]، ويرى علماء الشيعة (الاثنا عشرية) أن في آية التطهير دلالة على عصمة أصحاب الكساء: علي وفاطمة والحسن والحسين، من الخطايا والذنوب صغيرها وكبيرها، بل ومن الخطأ والسهو البشري[٦].

---

(١) عائشة التي يدعون أنها تبغض علي هي التي تروي هذا الفضل لعلي وفاطمة.

(٢) مرط: يعني كساء.

(٣) مرحل: وهو الموشى المنقوش عليه صور رحال الإبل.

(٤) «سنن الترمذي»، كتاب المناقب رقم (٣٧٨٨).

(٥، ٦) «ثم أبصرت الحقيقة» ص(١٧٦).

*** نقد لاستدلالهم من وجوه:**

أ- حديث أم سلمة المذكور آنفًا قد ورد بعدة صيغ:

فروي عن أم سلمة أنها قالت: كان النبي ﷺ عندي وعلي وفاطمة والحسن والحسين، فجعلت لهم خزيرة، فأكلوا وناموا، وغطى عليهم عباءة أو قطيفة، ثم قال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا**»، وفي رواية أخرى أنه ﷺ أجلسهم على كساء، ثم أخذ بأطرافه الأربعة بشماله، فضمه فوق رؤوسهم، وأومأ بيده اليمنى إلى ربه، فقال: «**هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا**»، وهاتان الروايتان تتفقان مع رواية مسلم عن السيدة عائشة في دخول الخمسة الآية، ولكن هذا لا يحتم عدم دخول غيرهم[1].

وقد وردت روايات عن أم سلمة رضي الله عنها فيها زيادات تشير إلى عدم دخولها مع أهل الكساء، لا يخلو أكثرها من الضعف لكن صح منها من جملتها هذه الرواية: لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ في بيت أم سلمة فدعا فاطمة وحسنًا وحسينًا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره فجلله بكساء، ثم قال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا**»، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله ؟ قال: «**أنت على مكانك وأنت على خير**»[2]، وهناك رواية مهمة جدًّا رويت بإسناد حسن تشير إلى أن أم سلمة قد دخلت في الكساء بعد خروج أهل الكساء منه[3]، ولعل التعليل في ذلك أنه لا يصح أن تدخل أم سلمة مع علي بن أبي طالب تحت كساء واحد؛ فلذلك أدخلها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بعد خروج أهل الكساء منه، فعن شهر قال: سمعت أم سلمة زوج النبي ﷺ حين جاء نعي الحسين بن علي، لعنت أهل العراق، فقالت: قتلوه قتلهم الله، غروه وذلوه لعنهم الله؛ فإني رأيت رسول الله ﷺ جاءته فاطمة غدية ببرمة قد صنعت له

---

(١) «ثم أبصرت الحقيقة» ص(١٧٧).

(٢) «فضائل الصحابة» (٢/٧٢٧) رقم (١٩٩٤)، إسناده فيه ضعف، وله طرق تقويه.

(٣) «ثم أبصرت الحقيقة» ص(١٧٧).

فيها عصيدة تحملها في طبق لها، حتى وضعتها بين يديه، فقال لها: «**أين ابن عمك؟**» قالت: هو في البيت، قال: «اذهبي فادعيه وائتني بابنيه»، قال: فجاءت تقود ابنيها كل واحد منهما بيد، وعلي يمشي في إثرهما، حتى دخلوا على رسول الله ﷺ فأجلسهما في حجره وجلس علي على يمينه وجلست فاطمة على يساره، قالت أم سلمة: فاجتبذ كساء خيبريًّا كان بساطًا لنا على المنامة في المدينة فلفّه رسول الله ﷺ جميعًا فأخذ بشماله طرفي الكساء وألوى بيده اليمنى إلى ربه عز وجل، قال: «**اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا، اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا**»، قلت: يا رسول الله، ألست من أهلك؟ قال: «**بلى فادخلي في الكساء**»، فدخلت في الكساء بعد ما قضى دعاءه لابن عمه علي وابنيه وابنته فاطمة[1]، فشهد رسول الله ﷺ لأم سلمة أنها من أهل بيته وأدخلها في الكساء بعد دعائه لهم[2].

ب- ومما يدل على أن الآية ليست دالة على العصمة والإمامة أن الخطاب في الآيات كله لأزواج النبي ﷺ حيث بدأ بهن وختم بهن:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٨-٣٤].

---

(١) «فضائل الصحابة» (٢/ ٨٥٢) رقم (١١٧٠)، إسناده حسن. (٢) «ثم أبصرت الحقيقة» ص(١٧٨).

فالخطاب كله لأزواج النبي ﷺ ومعهن الأمر والنهي والوعد والوعيد، لكن لما تبين ما في هذا من المنفعة التي تعمهن وتعم غيرهن من أهل البيت جاء التطهير بضمير المذكر؛ لأنه إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، حيث تناول أهل البيت كلهم، وعلي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ أخص من غيرهم بذلك، لذلك خصهم النبي ﷺ بالدعاء لهم، كما أن زوج الرجل من أهل بيته، وهذا شائع في اللغة كما يقول الرجل لصاحبه: كيف أهلك ؟ أي امرأتك ونساؤك، فيقول: هم بخير، وقد قال تعالى: ﴿**قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ**﴾ [هود :٧٣] والمخاطب بهذه الآية بالإجماع هي سارة زوجة إبراهيم عليه السلام، وهذا دليل على أن زوجة الرجل من أهل البيت[١] .

وقال الله تعالى: ﴿**فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ**﴾ [القصص :٢٩] والمخاطب هنا أيضًا زوجة موسى عليه السلام .

وقال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا**﴾ [مريم :٥٤، ٥٥] فمن أهله الذين كان يأمرهم بالصلاة ؟ وهذا كقوله تعالى مخاطبًا النبي ﷺ: ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا**﴾ [طه :١٣٢]، ولا شك في دخول زوجاته أو خديجة ﷺ على أقل تقدير في الأهل، باعتبار أن السورة مكية[٢] .

وقال تعالى: ﴿**وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [يوسف :٢٥]، فالمخاطب هنا عزيز مصر، وقولها: ما جزاء من أراد بأهلك سوءًا ؟ أي زوجتك، وهذا بيِّن[٣] .

(١) «الإمامة والنص» لفيصل نور ص(٣٨٦).
(٢) المصدر نفسه ص(٣٩١) .
(٣) المصدر نفسه ص(٣٩٣) .

جـ. إذهاب الرجس لا يعني في اللغة العربية ولا في لغة القرآن معنى العصمة:

يقول الراغب الأصفهاني في مفردات ألفاظ القرآن مادة رجس، الرجس الشيء القذر، قال: رجل رجسي، ورجال أرجاس، قال تعالى: ﴿رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [المائدة: ٩٠] والرجس من جهة الشرع: الخمر والميسر، وجعل الكافرين رجسًا من حيث أن الشرك بالعقل أقبح الأشياء، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥] وقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٠٠] قيل: الرجس: النتن، وقيل: العذاب، وذلك كقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨] وقوله: ﴿أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥] وبالجملة لفظ «الرجس» أصله القذر يطلق ويراد به الشرك كما في قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠] ويطلق ويراد به الخبائث المحرمة كالمطعومات والمشروبات ونحو قوله: ﴿قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا﴾ [الأنعام: ١٤٥] وقوله: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [المائدة: ٩٠] ولم يثبت أن استخدام القرآن لفظ «الرجس» بمعنى مطلق الذنب بحيث يكون في إذهاب الرجس عن أحد إثبات لعصمته[1].

د. التطهير من الرجس لا يعني إثبات العصمة لأحد:

فكما أن كلمة «الرجس» لا يراد بها ذنوب الإنسان وأخطاؤه في الاجتهاد وإنما يُراد بها القذر والنتن والنجاسات المعنوية والحسية فإن كلمة التطهير لا تعني العصمة، فإن الله عز وجل يريد تطهير كل المؤمنين وليس أهل البيت فقط، وإن كان أهل البيت هم أولى الناس وأحقهم بالتطهير، فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم عن صحابة رسوله: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ

(١) «ثم أبصرت الحقيقة» ص (١٨١).

ليُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة :٦] وقال عز من قائل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة :١٠٣] وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة :٢٢٢]، فكما أخبر الله عز وجل بأنه يريد تطهير أهل البيت أخبر كذلك بأنه يريد تطهير المؤمنين، فإن كان في إرادة التطهير وقوع للعصمة لحصل هذا للصحابة ولعموم المؤمنين الذين نصت الآيات على إرادة الله عز وجل تطهيرهم، وقد قال تعالى عن رواد مسجد قباء من الصحابة: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة :١٠٨] ولم يكن هؤلاء معصومين من الذنوب بالاتفاق، وقال تعالى عن أهل بدر وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ [الأنفال :١١] ولم يكن في هذا إثبات لعصمته مع أنه لا فرق يذكر في الألفاظ بين قول الله تعالى عن أهل البيت: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وبين قوله في أهل بدر: ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ فالرجز والرجس متقاربان، ويطهركم في الآيتين واحد، لكن الهوى هو الذي جعل من الآية الأولى دليلاً على العصمة دون الأخرى، والعجيب في علماء الشيعة أنهم يتمسكون بالآية ويصرفونها إلى أصحاب الكساء، ثم يصرفون معناها من إرادة التطهير إلى إثبات عصمة أصحاب الكساء ثم يتناسون في الوقت نفسه آيات أخرى نزلت في إرادة الله عز وجل لتطهير الصحابة، بل هم بالمقابل يقدحون فيهم، ويقولون بانقلابهم على أعقابهم مع أن الله عز وجل نص على إرادة تطهيرهم بنص الآية[1]، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

هـ- الإرادة في الآية إرادة شرعية:

وهي غير الإرادة القدرية، يعني يحب الله أن يذهب عنكم الرجس، وقد تحدث علماء أهل السنة عن الإرادتين الشرعية الدينية، والإرادة القدرية الكونية، فقالوا:

(١) «ثم أبصرت الحقيقة» ص (١٨٢) .

- إرادة شرعية دينية: وهي تتضمن معنى المحبة والرضا؛ كقوله تعالى: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾ [البقرة: ١٨٥] وقوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً * يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا**﴾ [النساء: ٢٧، ٢٨] .

- إرادة قدرية كونية خلقية: وهي التي بمعنى المشيئة الشاملة لجميع الموجودات، وذلك مثل الإرادة في قوله تعالى: ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقوله: ﴿**وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ**﴾ [هود: ٣٤] فالمعاصي إرادة كونية قدرية فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها، بل يبغضها ويسخطها، ويكرهها وينهى عنها، هذا قول السلف والأئمة قاطبة، فيفرقون بين إرادته التي تتضمن محبته ورضاه وبين إرادته ومشيئته الكونية القدرية التي لا يلزم منها المحبة والرضا[(١)]، ولا شك أن الله عز وجل أذهب الرجس عن فاطمة والحسن والحسين وعلي وزوجات النبي ﷺ، ولكن الإرادة في هذه الآية، إرادة شرعية، ولذلك جاء في الحديث أن النبي ﷺ لما جللهم بالكساء قال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس**»[(٢)] .

و- دعاء النبي ﷺ يحسم القضية:

آية التطهير لو كان فيها ما يدل على وقوع التطهير لأهل الكساء لما قام رسول الله ﷺ بتغطيتهم بالكساء والدعاء لهم بقوله: «**اللهم إن هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس**»[(٣)]، بل في هذا دلالة واضحة على أن الآية نزلت في نساء النبي ﷺ، وأن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أراد أن ينال أصحاب الكساء هذا الإخبار الرباني عن التطهير، فجمعهم وجللهم بالكساء ودعا لهم فتقبل الله دعاءه لهم[(٤)]، فطهرهم كما طهر الله نساء النبي بنص الآية .

---

(١) «وسطية أهل السنة بين الفرق» ، لمحمد باكريم ص(٣٨٧) .
(٢) «سنن الترمذي»، كتاب مناقب أهل البيت رقم (٣٧٨٧) .
(٣) «سنن الترمذي» ، كتاب مناقب أهل البيت (٣٧٨٧)، وصححه الألباني.
(٤) «ثم أبصرت الحقيقة» ص(١٨٢) .

ز ـ من الردود الدالة على عدم دلالة الآية على الإمامة والعصمة:

أن ما اختص به أمير المؤمنين علي والحسن والحسين رضي الله عنهم من الآية بزعم القوم ثبت للسيدة فاطمة رضي الله عنها، وخصائص الإمامة لا تثبت للنساء، فلو كان هذا دليلاً لكان من يتصف بما في الآية يستحق العصمة والإمامة، وفاطمة رضي الله عنها كذلك وبذات الاعتبار، فدل على أن الآية لا يراد بها الإمامة ولا العصمة، ومنها خروج تسعة من الأئمة لعدم شمول الآية لهم، حيث اختصت الآية بثلاثة منهم[(١)] .

٣ ـ أدلتهم من مروياتهم:

إن (الاثنا عشرية) تقيم معتقدها في العصمة وغيرها بما يرويه صاحب «الكافي»، وإبراهيم القمي، والمجلسي وأضرابهم من روايات منكرة في متنها فضلاً عن إسنادها، تثبت لهؤلاء (الاثنا عشرية) العصمة المزعومة، وقد ساق المجلسي في بابه الذي عقده في شأن العصمة ثلاثًا وعشرين رواية من روايات شيوخه كالقمي، والعياشي والمفيد وغيرهم، وقد ذكرها بعد استدلاله بآية البقرة، التي تبين أن استدلالهم فيها باطل، أما الكليني في «الكافي» فقد عقد مجموعة من الأبواب في معنى العصمة المزعومة، ساق فيها أخبارًا بسنده عن الاثني عشر يدعون فيها أنهم معصومون بل وشركاء في النبوة، بل ويتصفون بصفات الألوهية، وتجد ذلك في «الكافي» في باب اعتقادهم في أصول الدين أمثلة من ذلك، وفي باب: أن الأئمة هم أركان الأرض، وأثبت فيه ثلاث روايات تقول بأن الأئمة (الاثنا عشر) كرسول الله في وجوب الطاعة، وفي الفضل، وفي التكاليف، فعلي جرى له من الطاعة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لرسول الله صلى الله عليه وسلم[(٢)]، ثم ما تلبث أن ترفعهم عن مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مقام رب العالمين، حيث تقول بأن عليًّا قال: أُعطيت خصالاً لم يعطهن أحد قبلي: علمت علم المنايا والبلايا .. فلم يفتني ما سبقني ولم يعزب عني ما

---

(١) «الإمامة والنص» ص(٣٨٧) .

(٢) «أصول الكافي» (١/ ١٩٨) .

غاب عني[١]، والذي يعلم المنايا والبلايا هو الله سبحانه: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤] والذي لا يعزب شيء، ولا يفوته شيء هو الخالق -جلا وعلا- قال تعالى: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٣] ومن تتبع أبواب «الكافي» في هذا المعنى، يلاحظ أنها لا تخرج عن دعاوى المتنبئين والملحدين على مدار التاريخ سوى أنهم نسبوا هذه المفتريات إلى جملة أهل البيت الأطهار[٢].

٤- أدلتهم العقلية على مسألة العصمة:

قالوا: إن الأمة لا بد لها من رئيس معصوم يسدد خطاها، فلو جاز الخطأ عليه لزم له آخر يسدده فيلزم التسلسل، فحينئذٍ يلزم القول بعصمة الإمام؛ لأن الثقة عندهم بالإمامة لا بالأمة.. وقالوا بأنه هو الحافظ للشرع، ولا اعتماد على الكتاب والسنة والإجماع بدونه.. إلخ[٣].

والحقيقة غير هذا تمامًا، فالأمة معصومة بكتاب ربها وسنة نبيها ﷺ، ولا تجتمع الأمة على ضلالة، وعصمة الأمة مغنية عن عصمة الإمام، وهذا مما ذكره العلماء في حكمة عصمة الأمة قالوا: لأن من كان من الأمم قبلنا كانوا إذا بدلوا دينهم بعث الله نبيًّا يبين الحق، وهذه الأمة لا نبي بعد نبيها، فكانت عصمتها تقوم مقام النبوة، فلا يمكن أحد منهم أن يبدل شيئًا من الدين إلا أقام الله من يبين خطأه فيما بدله، ولذلك فإن الله سبحانه قرن سبيل المؤمنين بطاعة رسوله في قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥] فعصمة الأمة وحفظها من الضلال - كما جاءت بذلك النصوص الشرعية- تخالف تمامًا من يوجب عصمة واحد من المسلمين، ويجوز على مجموع المسلمين - إذا لم

---

(١) «أصول الكافي» (١/ ١٩٧).
(٢) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٩٥٨).
(٣) «كشف المراد» لابن المطهر ص(٣٩٠، ٣٩١)، و«نهج المسترشدين» ص(٦٣)، و«الشيعة في عقائدهم» ص(٣٦٨، ٣٦٩).

يكن فيهم معصوم - الخطأ[1]، وكل ما سطروه وملؤوا به الصفحات من أدلة عقلية تؤكد الحاجة إلى معصوم قد تحققت بالرسول ﷺ، ولذلك فإن الأمة ترد عند التنازع إلى ما جاء به الرسول من الكتاب والسنة ولا ترد إلى الإمام، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] قال العلماء: إلى كتاب الله، وإلى نبيه ﷺ، فإن قبض فإلى سنته[2]، وهي بهدي الكتاب والسنة لا تجتمع على ضلالة؛ لأنها لن تخلو من متمسك بهما إلى أن تقوم الساعة؛ ولهذا فإن الحجة على الأمة قامت بالرسل، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣] إلى قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] ولم يقل -سبحانه-: «والأئمة» وهذا يبطل قول من أحوج الخلق إلى غير الرسول كالأئمة[3]، كما أن دعوى العصمة عندهم ليس عليها دليل إلا زعمهم بأن الله لم يخل العالم من أئمة معصومين؛ لما في ذلك من المصلحة واللطف، ومن المعلوم المتيقن أن هذا المنتظر الغائب المفقود لم يحصل به شيء من المصلحة واللطف، وكذلك أجداده المتقدمون لم يحصل بهم المصلحة واللطف الحاصلة من إمام معصوم ذي سلطان كما كان النبي ﷺ بعد الهجرة، فإنه كان إمام المؤمنين الذي يجب عليهم طاعته، ويحصل بذلك سعادتهم، ولم يحصل بعده أحد له سلطان تدعى له العصمة إلا علي رضي الله عنه، ومن المعلوم أن المصلحة واللطف الذي كان المؤمنون فيه زمن الخلفاء الثلاثة أعظم من المصلحة واللطف الذي كان في خلافة علي زمن القتل والفتنة والافتراق[4]،أما من دون علي فإنما كان يحصل للناس من علمه ودينه مثل ما يحصل من نظرائه، وكان علي بن الحسين وابنه أبو جعفر، وابنا جعفر بن محمد يعلمون الناس ما علمهم الله كما علمه علماء زمانهم، وكان في زمانهم من هو أعلم منهم وأنفع للأمة، وهذا معروف عند أهل العلم، ولو قدر أنهم كانوا أعلم وأدين فلم يحصل من أهل العلم والدين ما يحصل من ذوي

---

(١) «المنتقى» ص (٤٠١)، و«أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٩٥٨، ٩٥٩). (٢) «التمهيد» لابن عبد البر (٤/ ٢٦٤)

(٣) «الفتاوى» (١٩/ ٦٦). (٤) «منهاج السنة» (٢/ ١٠٤)

الولاية من القوة والسلطان، وإلزام الناس بالحق ومنعهم باليد عن الباطل، وأما من بعد الثلاثة كالعسكريين فهؤلاء لم يظهر عليهم علم تستفيده الأمة، ولا كان لهم يد تستعين بها الأمة، بل كانوا كأمثالهم من الهاشميين لهم حرمة ومكانة، وفيهم من معرفة ما يحتاجون إليه في الإسلام والدين ما في أمثالهم، وهو ما يعرفه كثير من عوام المسلمين . . ولذلك لم يأخذ عنهم أهل العلم كما أخذوا عن أولئك الثلاثة[١] .

٥ ـ نقد عام لمبدأ عصمة الأئمة:

دعوى العصمة للأئمة تضاهي المشاركة في النبوة، فإن المعصوم يجب اتباعه في كل ما يقول، ولا يجوز أن يخالف في شيء، وهذه خاصة الأنبياء، ولهذا أمرنا أن نؤمن بما أنزل إليهم فقال تعالى: **﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾** [البقرة : ١٣٦] فأمرنا أن نقول: آمنا بما أوتي النبيون، فالإيمان بما جاء به النبيون مما أمرنا أن نقوله ونؤمن به، وهذا ما اتفق عليه المسلمون . . فمن جعل بعد الرسول معصومًا يجب الإيمان بكل ما يقوله فقد أعطاه معنى النبوة، وإن لم يعطه لفظها[٢]، وهذا مخالف لدين الإسلام، للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها .

ـ أما القرآن فقال سبحانه: **﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾** [النساء: ٥٩] فلم يأمرنا بالرد عند التنازع إلا إلى الله والرسول، ولو كان للناس معصوم غير الرسول ﷺ لأمرهم بالرد إليه؛ فدل القرآن أن لا معصوم إلا الرسول ﷺ[٣] .

وقال تعالى: **﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾** [النساء : ٦٩] وقال: **﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾** [الجن : ٢٣].

---

(١) «منهاج السنة» (٣/ ٢٤٨) . (٢) «منهاج السنة» (٣/ ١٧٤) . (٣) «منهاج السنة» (٢/ ١٠٥) .

فدل القرآن - في غير موضع - على أن من أطاع الرسول ﷺ كان من أهل السعادة، ولم يشترط في ذلك طاعة معصوم آخر، ومن عصى الرسول ﷺ كان من أهل الوعيد، وإن قدر أنه أطاع من ظن أنه معصوم. وقد اتفق أهل العلم على أن كل شخص ـ سوى الرسول ﷺ ـ فإنه يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ؛ فإنه يجب تصديقه في كل ما أخبر، واتباعه فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع؛ فإنه المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى[١].

ـ والسنة المطهرة دلت على ذلك، ولكنهم لا يرجعون إلا إلى أقوال أئمتهم، وإليك ما ينقض مذهبهم مما ثبت عندهم من أقوال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فقد جاء في «نهج البلاغة» الذي تعتمده الشيعة، ما يهدم كل ما بنوه من دعاوى في عصمة الأئمة؛ حيث قال أمير المؤمنين ـ كما يروي صاحب النهج ـ: لا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بي استثقالاً في حق قيل لي، ولا التماس إعظام النفس؛ فإنه من استثقل الحق أن يقال له، أو العدل أن يعرض عليه؛ كان العمل بهما أثقل عليه، فلا تكفوا عن مقالة بحق، أو مشورة بعدل؛ فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي[٢].

فهو هنا لم يدّع ما تزعم الشيعة فيه من أنه لا يخطئ بل أكد أنه لا يأمن على نفسه من الخطأ، كما لم يعلن استغناءه عن مشورة الرعية بل طلب منهم المشورة بالحق والعدل؛ لأن الأمة لا تجتمع على ضلالة، كل فرد وحده معرض للضلالة، فعلم أن دعوى العصمة من غلاة الشيعة[٣]، وجاء في «نهج البلاغة» ـ أيضًا ـ: لابد للناس من أمير برٍّ أو فاجر يعمل في إمرته المؤمن، ويجمع به الفيء، ويقاتل به العدو، وتأمن به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوي[٤]، فأنت ترى أنه لم يشترط العصمة في الأمير، ولم يشر لها من قريب أو بعيد، بل

---

(١) «منهاج السنة» (٣/ ١٧٥).

(٢) «نهج البلاغة» ص (٣٣٥).

(٣) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٩٦٤).

(٤) «نهج البلاغة» ص (٨٢).

رأى أنه لابد من نصب أمير تناط به مصالح العباد والبلاد، ولم يقل أنه لا يلي أمر الناس إلا إمام معصوم، وكل راية تقوم غير راية المعصوم فهي راية جاهلية ـ كما تقول كتب الشيعة ـ ولم يحصر الإمارة في الاثني عشر المعصومين عند الشيعة ويكفر من تولاها من خلفاء المسلمين -كما تذهب إليه الشيعة- بل رأى ضرورة قيام الإمام ولو كان فاجرًا، وجعل إمارته شرعية بدليل أنه أجاز الجهاد في ظل إمارة الفاجر، فأين هذا مما تقره الشيعة بمنع الجهاد حتى يخرج المنتظر[١]. . . لأن الإمامة الشرعية محصورة في الاثني عشر ؟! وكان الأئمة يعترفون بالذنوب ويستغفرون الله منها، فأمير المؤمنين علي رضي الله عنه في دعائه في «نهج البلاغة»: اللهم اغفر لي ما أنت أعلم به مني، فإن عدت فعد علي بالمغفرة، اللهم اغفر لي ما وَأَيْتُ [٢] من نفسي ولم تجد له وفاء عندي، اللهم اغفر لي ما تقربت به إليك بلساني ثم خالفه قلبي، اللهم اغفر لي رمزات الألحاظ، وسقطات الألفاظ، وشهوات الجنان، وهفوات اللسان[٣]، فأنت ترى الإقرار بالذنب، وبالعودة إليه بعد التوبة، والاعتراف بسقطات الألفاظ وشهوات الجنان، ومخالفة القلب للسان. . كل ذلك ينفي ما تدعيه الشيعة من العصمة؛ إذ لو كان علي والأئمة معصومين لكان استغفارهم من ذنوبهم عبثًا، وكل أئمتهم قد نقلت عنهم كتب الشيعة الاستغفار إلى الله سبحانه من الذنوب والمعاصي، ولو كانوا معصومين لما كانت لهم ذنوب[٤]، ولقد احتار شيوخ الشيعة في توجيه مثل هذه الأدعية والتي تتنافى ومقرراتهم في العصمة[٥].

وهناك أمر آخر يبطل دعوى العصمة ومن كتب الشيعة نفسها؛ ذلك هو الاختلاف والتناقض حيال بعض المواقف والمسائل، وأعمال المعصومين لا تتناقض ولا تختلف بل يصدق بعضها بعضًا، ويشهد بعضها لبعض، والاختلاف ناقض للعصمة التي هي شرط للإمامة عندهم، وهو ناقض بالتالي لأصل الإمامة

(١) «فصل الغيبة والمهدية» ص (٨٢٤).

(٢) وَأَيْتُ: وَعدْتُ، وَأَى فلانًا يَئِيه وأيًا: وَعَدَهُ، ويقال: وَأَى له. والوَأْيُ: الوعدُ الذي يُوَثِّقه المرءُ على نفسه

(٣) «نهج البلاغة» ص (١٠٤). (٤) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٩٦٥). (٥) المصدر نفسه (٢/ ٩٦٦)

نفسها، ولذلك فإن ظاهرة الاختلاف في أعمال الأئمة كانت سببًا مباشرًا لخروج بعض الشيعة من نطاق التشيع حيث رابهم أمر هذا التناقض، ومن أمثلة ذلك ما ذكره القمي والنوبختي من أنه بعد قتل الحسين حارت فرقة من أصحابه وقالت: قد اختلف علينا فعل الحسن وفعل الحسين رضي الله عنهما؛ لأنه إن كان الذي فعله الحسن حقًّا واجبًا صوابًا من موادعته معاوية، وتسليمه له عند عجزه عن القيام بمحاربته مع كثرة أنصار الحسن وقوتهم، فما فعله الحسين من محاربته يزيد بن معاوية مع قلة أنصار الحسين وضعفهم وكثرة أصحاب يزيد، حتى قتل وقتل أصحابه جميعًا باطل غير واجب؛ لأن الحسين كان أعذر في القعود عن محاربة يزيد وطلب الصلح والموادعة من الحسن في القعود عن محاربة معاوية، وإن كان ما فعله الحسين حقًّا واجبًا صوابًا من مجاهدته يزيد حتى قتل ولده وأصحابه؛ فقعود الحسن وتركه مجاهدة معاوية وقتاله ومعه العدد الكثير باطل، فشكوا في إمامتهما ورجعوا فدخلوا في مقالة العوام[1]، وأما الأمثلة على الاختلاف والتناقض في أقوال الأئمة فهو باب واسع، وكان هو الآخر من أسباب انصراف بعض الشيعة عن التشيع، وقد شهد بذلك شيخ الطائفة الطوسي، وقال بأن أخبارهم متناقضة متباينة حتى لا يوجد خبر إلا بإزائه ما يضاده، ولا رواية إلا ويوجد ما يخالفها، وَعَدَّ ذلك من أعظم الطعون على المذهب الشيعي.

ومن أسباب مفارقة بعض الشيعة الإمامية للمذهب، كتابا: «التهذيب» و«الاستبصار»، وهما المصدران المعتمدان من المصادر الأربعة عند الشيعة، ويشهدان بهذا التناقض والاختلاف عبر رواياتهما الكثيرة، وقد حاول الطوسي درء هذا الاختلاف ومعالجة هذا التناقض بحمله على التقية فما أفلح إذ زاد الطين بلة، علمًا بأن الطوسي هو الذي كان يوجه الروايات فيقول هذا الحديث تقية، وهذه الرواية ليست بتقية، وعليها العمل والمتفق عليه أن الطوسي نفسه ليس بمعصوم، وبالضرورة سوف يخطئ في توجيه بعض هذه الروايات فيجعل ما ليس بتقية تقية

---

(١) «المقالات والفرق» للقمي ص (٢٥)، و«فرق الشيعة» للنوبختي ص (٢٥، ٢٦).

والشيعة يتبعونه في توجيه هذا، وبالتالي يتضح أن الشيعة يتبعون في تدينهم أمثال الطوسي، ولا يتبعون المعصوم في دينهم، وقد أوجد الشيعة الرافضة عقيدة التقية والبداء - وسيأتي بيانهما بإذن الله - لتغطية هذا الاختلاف في أخبار الأئمة وأعمالهم.. فاكتشف بعض الشيعة هذه المحاولة، وعرف سبب وضع هاتين العقيدتين، فترك التشيع وقال: إن أئمة الرافضة وضعوا لشيعتهم مقالتين لا يظهرون معهما من أئمتهم على كذب أبدًا، وهما القول بالبداء وإجازة التقية.

- وهناك أمر آخر يبطل دعوى العصمة، وهو أن المعصوم الذي يدعون اتباعه لم يعصمهم من الخلاف في أصل الدين عندهم وأساسه وهو الإمامة، فتجدهم مختلفين متنابذين متلاعنين يكفر بعضهم بعضًا لاختلافهم في عدد الأئمة، وفي تحديد أعيانهم، وفي الوقف وانتظار عودة الإمام، أو المضي إلى إمام آخر.. . هذا عدا الروايات المختلفة المتناقضة في الكثير من أمور الدين - أصوله وفروعه - فما منعت العصمة المزعومة أهل الطائفة من الاختلاف.. وعدم وجود أثرها يدل على انعدام أصلها، وقد يقال بأن اعتقادهم في عصمة الأئمة أمر لا يؤثر اليوم؛ لأن الأئمة قد انتهى وجودهم الفعلي منذ عام ٢٦٠هـ.. ولم يبق إلا الانتظار للغائب الموعود، إلا أن هذه العقيدة لها آثارها اليوم في واقع الشيعة، ويتمثل في جوانب منها:

١ - عملهم بما يؤثر عن الأئمة الاثني عشر كما يعمل سائر المسلمين بالقرآن والسنة.

٢ - غلوهم في قبورهم وأضرحتهم؛ فالغلو في عصمتهم إلى حد وصفهم بصفات الألوهية تحول إلى غلو في قبورهم ومشاهدهم فيطاف بها وتدعى من دون الله.

٣ - أن المجتهد الشيعي أصبح له شيء من هذه الصفة، فهم يرون الراد عليه كالراد على الله وهو كحد الشرك بالله، وهذه من الخطورة بمكان.

٤ ـ حمل هـذا الاعتقـاد الفاسـد والدينونة به[١] الذي ليس له عـلاقة بأمـير المؤمنين علي وأولاده وأحفاده الأطهار رضي الله عنهم.

ثالثًا: النص من شروط الإمامة عند الشيعة الإمامية (الاثنا عشرية):

يعتقد الشيعة الرافـضة أن الإمامة كالنبوة لا تكون إلا بالنص من الله عز وجل على لسـان رسوله ﷺ، وأنها مـثلها لطف من الله عـز وجل، ولا يجب أن يخلو عصر من العصور من إمام مـفروض الطاعة منصوب من الله تعالى، وليس للبشـر حق اختـيار الإمام وتعـيينه، بل وليس للإمـام نفسه حق تعـيين من يأتي بعده، وقد وضعوا على لسان أئمتـهم عشرات الروايات في ذلك، منها ما نسبوه إلى الإمام مـحمد الباقـر -رحمه الله- أنه قال: أترون أن هذا الأمـر إلينا نجعله حيث نشاء ؟ لا والله مـا هو إلا عهد من رسول الله، رجل فرجل مـسمى حتى تنتهي إلى صاحبها[٢].

ويعتقد الشـيعة الاثنا عشرية أن الرسول ﷺ قـد نص على الأئمة من بعده وعينهم بأسمائهم وهم اثنا عشر إمامًا لا ينقصون ولا يزيدون وهم:

١- علي بن أبي طالب رضي الله عنه المرتضى ت ٤٠هـ.
٢- الحسن بن علي رضي الله عنه الزكي ت ٥٠هـ.
٣- الحسين بن علي رضي الله عنه سيد الشهداء ت ٦١هـ.
٤- علي بن الحسين زين العابدين ت ٩٥هـ.
٥- محمد بن علي الباقر ت ١١٤هـ.
٦- جعفر بن محمد الصادق ت ١٤٨هـ.
٧- موسى بن جعفر الكاظم ت ١٨٣هـ.
٨- علي بن موسى الرضا ت ٢٠٣هـ.
٩- محمد بن علي الجواد ت ٢٢٠هـ.
١٠- علي بن محمد الهادي ت ٢٥٤هـ.

(١) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٩٦٩-٩٧٣).
(٢) «الإمامة والنص»، لفيصل نور ص (٨).

١١- الحسن بن علي العسكري ت ٢٦٠هـ.
١٢- محمد بن الحسن المهدي ت ٢٥٦هـ.

كان ابن سبأ ينتهي بأمر الوصية عند علي ﷺ، ولكن جاء فيما بعد من عممها في مجموعة من أولاده، وكانت الخلايا الشيعية تعمل بصمت وسرية، ومع ذلك فقد تصل بعض هذه الدعاوى إلى بعض أهل البيت، فينفون ذلك نفيًا قاطعًا، كما فعل جدهم أمير المؤمنين علي ﷺ، ولذلك اخترع أولئك الكذابون على أهل البيت «عقيدة التقية»؛ حتى يسهل نشر أفكارهم وهم في مأمن من تأثر الأتباع بمواقف أهل البيت الصادقة والمعلنة للناس[1].

إن من أخطر الأمور التي ابتدعها الشيعة الوصية، وهي أن رسول الله ﷺ أوصى بالخلافة بعد وفاته مباشرة إلى علي ﷺ، وأن من سبقه مغتصبون لحقه كما جاء في كتابهم «الكافي»: من مات ولم يعرف إمامه مات ميتة جاهلية، وكان رسول الله ﷺ وكان عليًّا عليه السلام[2]، ولكن بالاستقراء التاريخي لتاريخ الخلفاء الراشدين، لا نجد للوصية ذكرًا في خلافة أبي بكر ولا في خلافة عمر ﷺ، وإنما نجد بداية ظهورها في السنوات الأخيرة من خلافة عثمان ﷺ، عند بزوغ قرن الفتنة، وقد استنكر الصحابة هذا القول عندما وصل إلى أسماعهم، وبينوا كذبه، ومن أشهر هؤلاء علي بن أبي طالب، وأم المؤمنين عائشة ﷺ، ثم نرى هذا القول يتبلور في فكرة موجهة، وعقيدة تدعو إلى الإيمان بها والدعوة إليها، وذلك في خلافة علي ﷺ، وهذه الوصية التي تدعيها الرافضة قد أثبت علماؤهم أنها من وضع عبد الله بن سبأ كما ذكر ذلك النوبختي والكشي ـ وقد مر ذلك معنا ـ ويكفي في الرد على زعمهم ما ورد بالنقل الصحيح عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم ومنهم علي ﷺ نفسه، والأدلة كثيرة منها:

١ـ ذكر عند عائشة أن النبي ﷺ أوصى إلى علي، فقالت: من قاله ؟ لقد

---

(١) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٨٠٠).
(٢) «أصول الكافي» (٢/ ١٦، ١٧).

رأيت النبي ﷺ وإني لمسندته إلى صدري، فدعا بالطست، فانخنث، فمات، فما شعرت فكيف أوصى إلى علي؟[(١)].

وتصريح عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ لم يوص لعلي من أعظم الأدلة على عدم الوصية؛ فإن النبي ﷺ توفي في حجرها، ولو كانت هناك وصية لكانت هي أدرى الناس بها[(٢)].

٢ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن عَلِيَّ بن أبي طالب خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه، فقال الناس: يا أبا الحسن، كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئًا، فأخذ بيده العباس ابن عبدالمطلب، فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبدُ العصا، وإني والله لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفى في وجعه هذا، وإني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت، اذهب بنا إلى رسول الله ﷺ؛ فلنسأله فيمن هذا الأمر؟ إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمناه فأوصى بنا، فقال علي رضي الله عنه: إنا والله لئن سألناها رسول الله فمنعناها، لا يعطيناها الناس من بعده، وإني والله لا أسألها رسول الله ﷺ[(٣)]، وفي قوله رضي الله عنه شهادة للصحابة رضي الله عنهم على مدى التزامهم بتنفيذ أمر رسول الله ﷺ، فلو كانت هناك وصية لما تخلف أحد عنها، ولما عبرت الأنصار عن رأيها ـ في السقيفة ـ بحرية وشجاعة وصدق: منا أمير ومنكم أمير[(٤)]؛ ولبايعوا من عهد إليه الوصية، أو على الأقل سيذكر بعضهم، ولو كان هناك نص قبل ذلك لقال علي للعباس: كيف نسأله عن هذا الأمر فيمن يكون، وهو قد أوصى لي بالخلافة، وقد توفي رسول الله ﷺ في نفس اليوم، فلما لم يوجد شيء من ذلك تبين أن ما يدعى من النص دعوى لا أساس لها من الصحة، وكل ما أوردوه في ذلك من التنصيص على علي مردود؛

---

(١) «البخاري» رقم: (٢٧٤١)، كتاب الوصايا.

(٢) «بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود» (١/ ١٩٠).

(٣) «البخاري»، كتاب المغازي رقم: (٤٤٤٧).

(٤) «البخاري»، كتاب الحدود رقم: (٦٨٣٠).

لمخالفته هـذا النص الصريح من علي رضي الله عنه؛ لأن كل أدلتهم السمعيـة إما أنها لا تدل على المدعى، وإما نصوص تدل على ذلك ولكنها موضوعة[١].

٣ـ سئل علي رضي الله عنه: أخصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء؟ فقال: ما خصنا رسول الله بشيء لم يعم به الناس كافة، إلا ما كان في قراب سيفي هذا، قال: فأخرج صحيفة مكتوب فيها: «**لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من سرق منار الأرض، ولعن الله من لعن والده، ولعن الله من آوى محدثًا**»[٢].

قال ابن كثير: وهذا الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما عن علي رضي الله عنه يرد على فرقة الرافضة من زعمهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى إليه بالخلافة، ولو كان الأمر كما زعموا لما رد ذلك أحد من الصحابة؛ فإنهم كانوا أطوع لله ورسوله في حياته وبعد وفاته من أن يفتئتوا عليه فيقدموا غير من قدمه، ويؤخروا من قدمه بنصه، حاشا وكلا! ومن ظن بالصحابة رضي الله عنهم ذلك فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور والتواطؤ على معاندة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومضادتهم مَنْ حكمه ونصه، ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربقة الإسلام، وكفر بإجماع الأئمة الأعلام[٣].

قال النووي: فيه إبطال ما تزعمه الرافضة والشيعة والإمامية بالوصية لعلي وغير ذلك من اختراعاتهم[٤].

٤ـ وعن عمرو بن سفيان قال: لما ظهر علي يوم الجمل قال: أيها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعهد إلينا من هذه الإمارة شيئًا حتى رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر، فأقام واستقام حتى مضى لسبيله[٥].

٥ـ روى أبو بكر البيهقي بإسناده إلى شقيق بن سلمة، قال: قيل لعلي بن أبي

(١) «الإمامة والرد على الرافضة»، تحقيق علي ناصر فقيهي ص (٢٣٨).
(٢) «مسلم» (٣/ ١٥٦٧) رقم: (١٩٧٨).
(٣) «البداية والنهاية» (٥/ ٢٢١).
(٤) «شرح صحيح مسلم» (٣/ ١٥١).
(٥) «الاعتقاد» ص (١٨٤)، وقال البيهقي في دلائل النبوة: سنده حسن.

طالب رضي الله عنه: ألا تستخلف علينا؟ فقال: ما استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيرًا فسيجمعهم بعدي على خيرهم، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم[1]، فهذا دليل واضح على أن دعوى النص عليه رضي الله عنه إنما هو من اختلاق الرافضة الذين ملئت قلوبهم بالبغض والحقد لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما فيهم علي وأهل بيته، وإنما يدعون حبهم تسترًا ليتسنى لهم الكيد للإسلام وأهله[2].

بهذه النصوص القطعية يتضح بجلاء أن لا أصل للوصية المزعومة، وأن ما اعتمد عليه الرافضة هو من وضع عبد الله بن سبأ -الذي هو أول من أحدث الوصية- ثم وضعت بعد ذلك أسانيد وركبت متون نسبوها زورًا وبهتانًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهدفهم من ذلك الطعن في الصحابة رضوان الله عليهم، بمخالفتهم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وإجماعهم على ذلك ومن ثَمَّ الطعن، ورد ما نقلوه إلى أجيال المسلمين من قرآن وحديث[3].

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في رده على الحلي: وأما النص على علي فليس في شيء من كتب أهل الحديث المعتمدة، وأجمع أهل الحديث على بطلانه، حتى قال أبو محمد ابن حزم، ما وجدنا قط رواية عند أحد في هذا النص المدعى إلا رواية إلى مجهول يُكنى أبا الحمراء لا نعرف من هو في الخلق[4].

وقال في موضع آخر: فعلم أن ما تدعيه الرافضة من النص هو مما لم يسمعه أحد من أهل العلم بأقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم قديمًا ولا حديثًا، ولهذا كان أهل العلم بالحديث يعلمون بالضرورة كذب هذا النقل، كما يعلمون كذب غيره من المنقولات[5].

وقد جاء من الغلاة فيما بعد من أحيا نظرية ابن سبأ في أمير المؤمنين علي،

---

(١) «الاعتقاد» ص (١٨٤)، إسناده جيد.

(٢) «عقيدة أهل السنة في الصحابة» (٢/ ٦٢٠).

(٣) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٦٥).

(٤) «المنهاج» (٨/ ٣٦٢)، و«الفصل» (٤/ ١٦١).

(٥) «المنهاج» (٧/ ٥٠).

ثم عمموها على آخرين من سلالة علي والحسين لإثارة مشاعر الناس وعواطفهم، والدخول إلى قلوبهم؛ لتحقيق أغراضهم ضد الدولة الإسلامية في ظل هذا الستار، وأول من بدأ يشيع القول بأن الإمامة محصورة بأناس مخصوصين في آل البيت، شيطان الطاق الذي تلقبه الشيعة مؤمن الطاق[1]، وأنه حينما علم بذلك زيد بن علي بعث إليه ليقف على حقيقة الإشاعة، فقال له زيد: بلغني أنك تزعم أن في آل محمد إمامًا مفترضَ الطاعة؟ قال شيطان الطاق: نعم، وكان أبوك علي بن الحسين أحدهم، فقال: وكيف وقد كان يؤتى بلقمة وهي حارة فيبردها بيده ثم يلقمنيها، أفترى أنه كان يشفق عليَّ من حر اللقمة، ولا يشفق علي من حر النار؟ قال شيطان الطاق: قلت له: كره أن يخبرك فتكفر، فلا يكون له فيك الشفاعة[2].

وهذه القصة المروية في أوثق كتب الرجال عندهم تبين أن هذه النظرية كانت سرية التداول لدرجة أنها خفيت على إمام من أئمة أهل البيت وهو الإمام زيد، وقد بين محب الدين الخطيب أن شيطان الطاق هو أول من اخترع هذه العقيدة الضالة، وحصر الإمامة والتشريع، وادعى العصمة لأناس مخصوصين من آل البيت[3]، وقد شارك شيطان الطاق رجل آخر هو هشام بن الحكم المتوفى ١٧٩هـ[4]، ويبدو أن عقيدة حصر الإمامة بأناس معينين سرت في الكوفة[5]؛ بسعي مجموعة من أتباع هشام وشيطان الطاق، ففكرة حصر الأئمة بعدد معين قد وضع جذورها في القرن الثاني زمرة ممن تدعي الصلة بأهل البيت أمثال شيطان الطاق وهشام بن الحكم[6]، ولقد اختلفت اتجاهات الشيعة وتباينت مذاهبهم في عدد الأئمة، قال في مختصر التحفة: اعلم أن الإمامية قائلون بانحصار الأئمة،

---

(١) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٨٠٠).

(٢) «رجال الكشي» ص (١٨٦).

(٣) «مجلة الفتح» ص (٥)، العدد (٨٦٢) عام: ١٣٦٧هـ.

(٤) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٨٠٣).

(٥) «بحار الأنوار» (١٠٠/ ٢٥٩)، و«أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٨٠٥).

(٦) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٨٠٦).

ولكنهم مختلفون في مقدارهم، فقال بعضهم: خمسة، وبعضهم: سبعة، وبعضهم: ثمانية، وبعضهم: اثنا عشر، وبعضهم ثلاثة عشر(١).

وكتب الشيعة نقلت صورة هذا التباين والتناقض سواء كانت من كتب الإسماعيلية بمسائل الإمامة للناشئ الأكبر، أو «الزينة» لأبي حاتم الرازي، أو من كتب (الاثنا عشرية) مثل: «المقالات والفرق» للأشعري القمي، و«فرق الشيعة» للنوبختي، وقضية الإمامة عندهم ليست بالأمر الفرعي الذي يكون فيه الخلاف أمرًا عاديًّا، بل هي أساس الدين وأصله المتين، ولا دين لمن لم يؤمن بإمامهم ولذلك يكفر بعضهم بعضًا، بل إن أتباع الإمام الواحد يكفر بعضهم بعضًا ويلعن بعضهم بعضًا(٢)، أما الاثنا عشرية فقد استقر قولها ـ فيما بعد ـ بحصر الإمامة في اثني عشر إمامًا، ولم يكن في العترة النبوية من بني هاشم على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ من يقول: بإمامة الاثني عشر(٣) ، إنما عرف الاعتقاد باثني عشر إمامًا بعد وفاة الحسن العسكري(٤).

وحصر الأئمة بعدد معين عقيدة فاسدة باطلة، أمير المؤمنين علي وأولاده وأحفاده بَرَاء منها، ففي أحد كتب الشيعة المعتمدة «نهج البلاغة»، عن علي ﷺ قال: دعوني والتمسوا غيري؛ فإنا مستقبلون أمرًا له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول(٥)، وإن الآفاق قد أغامت(٦)، والمحجة(٧) قد تنكرت، واعلموا أني إن أحببتكم ركبت لكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيرًا خير لكم مني أميرًا(٨) فلو كانت إمامة علي منصوصًا عليها من الله عز وجل لما جاز لعلي بن أبي طالب ﷺ تحت أي ظرف

---

(١) «مختصر التحفة» ص (١٩٣) .
(٢) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٨٠٧).
(٣) «مناهج السنة» (٢/ ١١).
(٤) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٨٠٨).
(٥) لا تصبر له ولا تطيق احتماله .
(٦) أغامت: غطيت بالغيم، وأَغَامَ القومُ: صاروا في الغَيْمِ.
(٧) الْمَحَجَّة: الطريق المستقيمة، والجمع: مَحَاجّ.
(٨) «نهج البلاغة» خطبة رقم (٩٢) ص (٢٣٦) .

من الظروف أن يقول للناس: دعوني والتمسوا غيري، ويقول: (أنا لكم وزيرًا خير مني أميرًا) كيف والناس تريده وجاءت تبايعه[١]؟!

ويقول في «النهج» كلامًا أكثر صراحة وأشد وضوحًا حين يقول: إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار؛ فإن اجتمعوا على رجل وسمّوه إمامًا كان ذلك لله رضًا، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج عنه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى[٢].

وقد أشار أمير المؤمنين بهذه العبارة إلى حقائق جديرة بالاهتمام حيث جعل:

أ ـ الشورى للمهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ وبيدهم الحل والعقد.

ب ـ اتفاقهم على شخص سبب لمرضاة الله وعلامة لموافقته سبحانه وتعالى إياهم.

جـ ـ الإمامة لا تنعقد في زمانهم دونهم، وبغير اختيارهم.

د ـ قولهم لا يرد ولا يخرج عن حكمهم إلا المبتدع الباغي المتبع غير سبيل المؤمنين. فأين هم الشيعة الاثنا عشرية من هذه التصريحات المهمة[٣]؟!

إن مسألة النص لا تثبت بأي وجه من الوجوه، ومسألة حصر الأئمة بعدد معين مردودة بالكتاب والسنة، كما أنه لا يقبلها العقل ولا منطق الواقع؛ إذ بعد انتهاء العدد المعين هل تظل الأمة بدون إمام؟ ولذلك فإن عصر الأئمة الظاهرين عند (الاثنا عشرية) لا يتعدى قرنين ونصف إلا قليلاً، وقد اضطر الشيعة للخروج عن حصر الأئمة بمسألة نيابة المجتهد عن الإمام، واختلف قولهم في

---

(١) «ثم أبصرت الحقيقة» ص (١٥٨).

(٢) «نهج البلاغة»: كتاب إلى معاوية رقم (٦) ص (٥٢٦).

(٣) «ثم أبصرت الحقيقة» ص (١٦١).

حدود النيابة[١] وفي هذا العصر اضطروا للخروج نهائيًا عن هذا الأصل الذي هو قاعدة دينهم، فجعلوا رئاسة الدولة تتم عن طريق الانتخاب ولكنهم خرجوا عن حصر العدد إلى حصر النوع، فقصروا رئاسة الدولة على الفقيه الشيعي[٢].

ـ ما يحتج به الاثنا عشرية على أمر تحديد عدد الأئمة بما جاء في كتب السنة:

عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يكون اثنا عشر أميرًا**». فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: «**كلهم في قريش**»[٣]، وفي مسلم عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يزال الإسلام عزيزًا إلى اثني عشر خليفة**». ثم قال كلمة لم أفهمها. فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: «**كلهم من قريش**»[٤].

وفي لفظ: «**لا يزال هذا الدين عزيزًا منيعًا إلى اثني عشر خليفة**»[٥] وفي لفظ آخر: «**لا يزال أمر الناس ماضيًا ما وليهم اثنا عشر رجلاً**»[٦]، وعند أبي داود: «**لا يزال هذا الدين قائمًا حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلهم تجتمع عليهم الأمة**»[٧]. وأخرجه أبو داود أيضًا من طريق الأسود بن سعيد عن جابر بنحو ما مضى قال: وزاد فلما رجع إلى منزله أتته قريش فقالوا: ثم يكون ماذا، قال: «**الهرج**»[٨]. يتعلق الاثنا عشرية بهذا النص ويحتجون به على أهل السنة؛ لا لإيمانهم بما جاء في كتب السنة[٩]، ولكن للاحتجاج عليهم بما يسلمون به، وبالتأمل في النص بكل حيدة وموضوعية نجد أن هؤلاء الاثني عشر وصفوا بأنهم يتولون الخلافة، وأن الإسلام في عهدهم يكون في عزة ومنعة، وأن الناس تجتمع عليهم ولا يزال أمر الناس ماضيًا وصالحًا في عهدهم، وكل هذه الأوصاف لا

(١) «الحكومة الإسلامية» للخميني ص (٦٨)، و«أصول الشيعة» (٢/ ٨١٤).
(٢) «الحكومة الإسلامية» للخميني ص (٢٤٨)، و«أصول الشيعة» (٢/ ٨١٤).
(٣) «البخاري»، كتاب الأحكام، باب: الاستخلاف (٨/ ١٢٧).
(٤-٦) «مسلم»، كتاب الإمارة، باب: الناس تبع لقريش (٢/ ١٤٥٣).
(٧) «سنن أبي داود»، كتاب المهدي (٤/ ٤٧١).
(٨) «سنن أبي داود» (٤/ ٤٧٢)، و«فتح الباري» (١٣/ ٢١١).
(٩) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٨١٥).

تنطبق على من تدعي الاثنا عشرية فيهم الإمامة، فلم يتول الخلافة منهم إلا أمير المؤمنين علي والحسن مدة قليلة، كما لم يقم أمر الأمة في مدة أحد من هؤلاء الاثني عشر ـ في نظر الشيعة أنفسهم ـ بل مازال أمر الأمة فاسداً.. ويتولى عليهم الظالمون بل الكافرون[١] وأن الأئمة أنفسهم كانوا يتسترون في أمور دينهم بالتقية[٢] وأن عهد أمير المؤمنين علي ﷺ وهو على كرسي الخلافة عهد تقية، كما صرح بذلك شيخهم المفيد[٣] فلم يستطع أن يظهر القرآن، ولا أن يحكم بجملة من أحكام الإسلام، كما صرح بذلك شيخهم الجزائري[٤]، واضطر إلى ممالأة الصحابة ومجاراتهم على حساب الدين، كما أقرّ بذلك شيخهم المرتضى[٥].

فالحديث في جانب ومزاعم هؤلاء في جانب آخر، ثم إنه ليس في الحديث حصر للأئمة بهذا العدد، بل نُوِّهَ منه بأن الإسلام لا يزال عزيزاً في عصر هؤلاء، وكان عصر الخلفاء الراشدين وبني أمية عصر عزة ومنعة[٦]، ولهذا قال ابن تيمية: إن الإسلام وشرائعه في زمن بني أمية أظهر وأوسع مما كان بعدهم، ثم استشهد بحديث: «**لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش**». ثم قال: وهكذا كان، فكان الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، ثم تولى من اجتمع الناس عليه وصار له عز ومنعة معاوية وابنه يزيد ثم عبد الملك وأولاده الأربعة وبينهم عمر بن عبد العزيز وبعد ذلك حصل من النقص ما هو باق إلى الآن. ثم شرح ذلك[٧].

ثم إنه قال في الحديث: «**كلهم من قريش**»[٨]، وهذا يعني أنهم لا يختصون بعلي وأولاده، ولو كانوا مختصين بعلي وأولاده لذكر ما يميزون به، ألا ترى أنه لم يقل: كلهم من ولد إسماعيل ولا من العرب، فلو امتازوا بكونهم من بني هاشم، أو من قبيل علي لذكروا بذلك، فلما جعلهم من قريش مطلقًا علم أنهم من قريش، بل لا يختصون بقبيلة، بل بنو تيم، وبنو عدي، وبنو عبد شمس،

---

(١) «منهاج السنة» (٤/ ٢١٠)، و«المنتقى» ص (٥٣٣).
(٢) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٨١٦).
(٣-٦) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٨١٦).
(٧) «منهاج السنة» (٤/ ٢٠٦).
(٨) «مسلم» (٢/ ١٤٥٣).

وبنو هاشم، فإن الخلفاء الراشدين كانوا من هذه القبائل[(١)]، فإذن لم يبق من الأوصاف التي تنطبق على ما يريدون إلا مجرد العدد، والعدد لا يدل على شيء[(٢)].

* أدلتهم من القرآن على النص:

إن الشيعة الرافضة لما لم يجدوا ما يستدلون به من الشرع لتقرير عقيدة الإمامة بالنص عمدوا إلى آيات من كتاب الله فيها ثناء ومدح لعباده الصالحين وأوليائه المتقين، فجعلوها خاصة بأمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأولوها على حسب هذا المعتقد الفاسد، كما اختلقوا أحاديث كثيرة لتأييد هذه البدعة الشنيعة؛ وذلك لإيقاع جهلة المسلمين ومن قل نصيبه من العلم في ذلك، وما أوردوه في هذا الشأن واضح البطلان، ولذلك استدلالهم لا يخرج عن أمرين:

أ ـ إما أن يكون فيما استدلوا به دليل على تلك الدعوى، كآية التطهير والمباهلة، وحديث الراية، وحديث غدير خم وغيرها من الأحاديث.

ب ـ أو أن تكون أحاديث موضوعة، والموضوع لا تقوم به حجة، ولهذا اشتهر بين أهل العلم أن الرافضة أكذب الفرق المنتسبة للإسلام، وقد ذكر ابن تيمية اتفاق أهل العلم بالنقل والرواية والإسناد على أن الرافضة أكذب الطوائف والكذب فيهم قديم، ولهذا كان أئمة الإسلام يعلمون امتيازهم بالكذب[(٣)].

وإليك بعض الأمثلة في استدلالهم بالقرآن:

١ـ آية الولاية: قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ [المائدة: ٥٥].

ذكروا في تفسير هذه الآية ما يدل على زعمهم بأنها في إمامة علي، قال شيخ

---

(١) «منهاج السنة» (٤/ ٢١١).

(٢) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٨١٨).

(٣) «منهاج السنة» (١/ ٥٩).

الطائفة ـ كما يلقبونه ـ الطوسي: وأما النص على إمامته من القرآن، فأقوى ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥][١].

وقال الطبرسي: وهذه الآية من أوضح الدلائل على صحة إمامة علي بعد النبي ﷺ بلا فصل[٢]، ويكاد شيوخهم يتفقون على أن هذا أقوى دليل عندهم؛ حيث يجعلون له الصدارة في مقام الاستدلال في مصنفاتهم[٣]، وأما كيف يستدلون بهذه الآية على مبتغاهم؟ فإنهم يقولون: اتفق المفسرون والمحدثون من العامة والخاصة أنها نزلت في علي رضي الله عنه لما تصدق بخاتمه على المسكين في الصلاة بمحضر من الصحابة وهو مذكور في الصحاح الستة[٤]، و(إنما) للحصر باتفاق أهل اللغة، والولي بمعنى: الأولى بالتصرف المرادف للإمام والخليفة[٥]، فأنت ترى أنهم يعتمدون في استدلالهم بالآية بما روي في سبب نزولها؛ لأنه ليس في نصها ما يدل على مرادهم، فصار استدلالهم بالرواية لا بالقرآن، فهل الرواية ثابتة؟ وهل وجه استدلالهم سليم؟ يتبين هذا بالوجوه التالية:

أ ـ إن زعمهم بأن أهل السنة أجمعوا على أنها نزلت في عليٍّ هو من أعظم الدعاوى الكاذبة، بل أجمع أهل العلم بالنقل أنها لم تنزل في علي بخصوصه، وأن عليًّا لم يتصدق بخاتمه في الصلاة، وأجمع أهل العلم بالحديث على أن القصة المروية في ذلك من الكذب الموضوع[٦].

وقوله: إنها مذكورة في الصحاح[٧] الستة كذب؛ إذ لا وجود لهذه الرواية في الكتب الستة، وقد ساق ابن كثير الآثار التي تروى في أن هذه الآية نزلت في

(١) «تلخيص الشافي» (٢/ ١٠)، نقلاً عن: «أصول مذهب الشيعة الإمامية» (٢/ ٨٢٢).
(٢) «مجمع البيان» (٢/ ١٢٨)، نقلاً عن: «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ١٢٨).
(٣) «عقائد الإمامية الاثنا عشرية» (١/ ٨١، ٨٢)، و«أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٨٢٣).
(٤) «أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٨٢٣).
(٥) «عقائد الإمامية الاثنا عشرية» (١/ ٨١، ٨٢)، نقلاً عن: المرجع السابق (٢/ ٨٢٣).
(٦) «منهاج السنة» (٤/ ٤).
(٧) «أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٨٢٤).

علي حين تصدق بخاتمه، وعقب عليها بقوله: وليس يصح شيء منها بالكلية لضعف أسانيدها، وجهالة رجالها[١]، وقال عبد العزيز الدهلوي: وأما القول بنزولها في حق علي بن أبي طالب ورواية قصة السائل وتصدقه بالخاتم في حالة الركوع فإنما هو للثعالبي[٢] فقط وهو متفرد به، ولا يعد المحدثون من أهل السنة روايات الثعالبي قدر شعيرة ولقبوه بحاطب ليل؛ فإنه لا يميز الرطب من اليابس وأكثر رواياته عن الكلبي عن أبي صالح وهو من أوهى ما يروى في التفسير عندهم[٣]، وسبب نزول هذه الآية الصحيح هو: أنه لما خانت بنو قينقاع الرسول ﷺ ذهبوا إلى عبادة بن الصامت كما أخرج ذلك ابن جرير في تفسيره، وأرادوه أن يكون معهم فتركهم وعاداهم وتولى الله ورسوله، فأنزل الله قوله جل وعلا: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ [المائدة:٥٥]، أي: والحال أنهم خاضعون في كل شؤونهم لله تبارك وتعالى، ولذلك قال الله تبارك وتعالى في أول الآيات: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ**﴾ [المائدة:٥٥]، يعني: عبد الله بن أبي بن سلول؛ لأنه كان مواليًا لبني قينقاع، ولما حصلت الخصومة بينهم وبين النبي ﷺ والاهم ونصرهم ووقف معهم، وذهب إلى النبي ﷺ يشفع لهم، أما عبادة بن الصامت رضي الله عنه وأرضاه فإنه تبرأ منهم وتركهم فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [المائدة:٥١]، ثم عقب تبارك وتعالى بذكر صفة المؤمنين،

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٧٦، ٧٧).

(٢) «مختصر التحفة الاثنا عشرية» ص(١٤١، ١٤٢).

(٣) المصدر نفسه ص (١٤١، ١٤٢)، و«عقيدة أهل البيت بين الإفراط والتفريط» ص (٤٧٣). وانظر: «أسباب النزول للواحدي»، تحقيق أيمن شعبان ص (١٦٣). وانظر: «اليهود في السنة المطهرة» (١/ ٢٨٢)، ويبقى الخبر الذي رواه ابن إسحاق بإسناد مرسل يتقوى مع المتابعات والشواهد، وانظر: «مختصر تفسير القرآن العظيم»، المسمى: «عمدة التفاسير عن الحافظ ابن كثير» لأحمد محمد شاكر (١/ ٧٠١) فقد قال أحمد شاكر فيمن قال نزلت في علي رضي الله عنه: بل هي من أكاذيب الشيعة الذين يلعبون بتأويل القرآن.

وهو عبادة بن الصامت ومن اتبعه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، أمثال عبادة وغيره، فهذه الآية نزلت في عبادة بن الصامت(١).

إن الآيات الكريمة جاءت بالأمر بموالاة المؤمنين، والنهي عن موالاة الكافرين، وهذا المعنى يدرك أيضًا ـ بعد معرفة سبب النزول الحقيقي ـ بوضوح من سياق الآيات؛ إذ قبل هذه الآية الكريمة جاء قوله سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

فهذا نهي صريح عن موالاة اليهود والنصارى بالود والمحبة والنصرة . . . ولا يراد بذلك باتفاق الجميع الولاية بمعنى الإمارة، وليس هذا بوارد أصلاً، ثم أردف ذلك بذكر من تجب موالاته، وهو الله ورسوله والمؤمنون، فواضح من ذلك أن موالاة المحبة والنصرة التي نهى عنها في الأولى هي بعينها التي أَمَرَ بها المؤمنين في هذه الآية بحكم المقابلة كما هو بين جلي من لغة العرب(٢).

قال الرازي: لما نهى في الآيات المتقدمة عن موالاة الكفار، أمر في هذه الآية بموالاة من تجب موالاته(٣).

وقال ابن تيمية: إنه من المعلوم المستفيض عند أهل التفسير خلفًا عن سلف أن هذه الآية نزلت في النهي عن موالاة الكفار، والأمر بموالاة المؤمنين(٤).

ب ـ إن الله تعالى لا يثني على الإنسان إلا بما هو محمود عنده، إما واجب وإما مستحب، والتصدق أثناء الصلاة ليس بمستحب باتفاق علماء الملة، ولو كان مستحبًّا لفعله الرسول ﷺ ولحض عليه، ولكرر فعله، وإن في الصلاة

(١) رواه ابن هشام في السيرة في أمر بني قينقاع (٢/ ٤٩) عن عبادة بن الوليد، ورواه ابن جرير في تفسيره في تأويل قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ...﴾، «تفسير الطبري» (٦/ ١٧٨)، ورجال إسناده من طريق ابن جرير مَوْثُوقُونَ، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث عن والده لكنه مرسل؛ فإن عبادة بن الوليد تابعي جليل روى عن أبيه وجده وغيرهما وهو ثقة «التهذيب» (٥/ ١١٤).

(٢) «أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٨٢٦).

(٣) «تفسير الفخر الرازي» (١٢/ ٢٥).

(٤) «منهاج السنة» (٤/ ٥).

لشُغْلاً، وإعطاء السائل لا يفوت؛ إذ يمكن للمتصدق إذا سلم أن يعطيه، بل إن الاشتغال بإعطاء السائلين يبطل الصلاة كما هو رأي جملة من أهل العلم(١).

جـ - إنه لو قدر أن هذا مشروع في الصلاة لم يختص بالركوع، فكيف يقال: لا ولي إلا الذين يتصدقون في حال الركوع، فإن قيل: هذه أراد بها التعريف بعلي، قيل له: أوصاف علي التي يعرف بها كثيرة ظاهرة، فكيف يترك تعريفه بالأمور المعروفة ويعرف بهذا الأمر الذي لا يعرفه إلا من سمعه وصدق به؟ وجمهور الأمة لا تسمع هذا الخبر ولا هو في شيء من كتب المسلمين المعتمدة(٢).

د - وقولهم: إن عليًّا أعطى خاتمه زكاة في حال ركوعه فنزلت الآية، مخالفةٌ للواقع؛ ذلك أن عليًّا رضي الله عنه لم يكن ممن تجب عليه الزكاة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم؛ فإنه كان فقيرًا، وزكاة الفضة إنما تجب على من ملك النصاب حولاً، وعلي رضي الله عنه لم يكن من هؤلاء(٣).

هـ - إن الأصل في الزكاة أن يبدأ المزكي، لا أن ينتظر حتى يأتيه الطالب، أيهما أفضل أن تبادر أنت بدفع الزكاة، أو أن تجلس في بيتك وزكاتك عندك، ثم تنتظر الناس حتى يطرقوا عليك الباب ثم تعطيهم زكاة أموالك؟ لا شك أن الأول الأفضل(٤).

و - قولهم: إن المراد بقوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ الإمارة - لا يتفق مع قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ فإن الله سبحانه لا يوصف بأنه مُتَوَلٍّ على عباده، وأنه أمير عليهم؛ فإنه خالقهم ورازقهم وربهم ومليكهم له الخلق والأمر، لا يقال: إن الله أمير المؤمنين كما يسمى المتولي مثل علي وغيره أمير المؤمنين(٥)، وأما الولاية المخالفة للعداوة فإنه يتولى عباده المؤمنين فيحبهم

(١) «منهاج السنة» (١/ ٢٠٨) (٤/ ٥).
(٢) «منهاج السنة» (٤/ ٥)، و«أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٨٢٥). .
(٣) «أصول مذهب الشيعة» (٢٨٢٥).
(٤) «حقبة من التاريخ» ص (١٩٣) .
(٥) «أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٨٢٧).

ويحبونه ، ويرضى عنهم ويرضون عنه ، ومن عادى له وليًّا فقد بارزه بالمحاربة(١) ، فهذه الولاية هي المقصودة في الآية ، وقوله : ﴿**وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ ، أي : خاضعون لربهم منقادون لأمره ، والركوع في أصل اللغة بمعنى الخضوع ، أي : يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة في حال الركوع وهو الخشوع والإخبات والتواضع لله(٢) ، وهذا كما قال الله تبارك وتعالى عن داود عليه السلام : ﴿**وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ**﴾ [ص :٢٤] ، وهو خرَّ ساجدًا ، وإنما سُمِّيَ راكعًا للذل والخضوع لله تبارك وتعالى ، وكما قال الله تبارك وتعالى : ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ**﴾ [المرسلات :٤٨] ، أي : اخضعوا واستسلموا لأمر الله تبارك وتعالى(٣) .

ز ـ وأما استدلالهم بأداة الحصر (إنما) وأن المراد علي رضي الله عنه بالخصوص ، فهذا الدليل كما يدل على نفي إمامة الأئمة المتقدمين كما قرر يدل على سلب الإمامة من الأئمة المتأخرين بذلك التقرير بعينه ، فلزم أن السبطين ومن بعدهما من الأئمة الأطهار مسلوبة منهم الإمامة ، فإن أجابوا عن النقض بأن المراد حصر الولاية في بعض الأوقات -أعني : وقت إمامته لا وقت إمامة من بعده- وافقوا أهل السنة في أن الولاية العامة كانت له وقت كونه إمامًا لا قبله(٤) ، وإذا كانت هذه أقوى أدلتهم ـ كما يقول شيوخهم ـ تبين أنهم ليسوا على شيء ، ذلك أن الأصل أن يستعمل في هذا الأمر العظيم ـ والذي هو عند الروافض أعظم أمور الدين ، ومنكره في عداد الكافرين ـ صيغة واضحة جلية ، يفهمها الناس بمختلف طبقاتهم ، يدركها العامي ، كما يدركها العالم ، ويفهمها اللاحق ، كما يفهمها الحاضر ، ويعرفها البدوي ، كما يعرفها الحضري ، فلما لم يستعمل مثل ذلك في كتاب الله دل أنه لا نص كما يزعمون(٥) وهذه أقوى آية يستدلون بها

---

(١) «أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٨٢٧) .

(٢) «الكشاف» للزمخشري (١/ ٦٢٤) ، و«تفسير الرازي» (١٢/ ٢٥) .

(٣) «حقبة من التاريخ» ص(١٩٤) .

(٤) «أصول مذهب الشيعة» ص (٨٢٥) .

(٥) «أصول مذهب الشيعة الإمامية» (٢/ ٨٢٩) .

من كتاب الله، ويسمونها آية الولاية ولهم تعلق بآيات أخرى ذكرها ابن المطهر الحلي، وأجاب عنها ابن تيمية بأجوبة جامعة(١).

٢ - آية المباهلة:

إن آية المباهلة التي نزلت في وفد نجران تعتبر دليلاً آخر عند الشيعة (الاثنا عشرية) على الإمامة، وهي قول الله عز وجل: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾ [آل عمران: ٦١].

ووجه دلالة الآية على إمامة علي بن أبي طالب عند الطوسي وغيره من علماء الشيعة أنها دلت على أفضليته من وجهين:

أحدهما: أنَّ موضوع المباهلة ليتميز المحق من المبطل، وذلك لا يصح أن يفعل إلا بمن هو مأمون الباطن مقطوع على صحة عقيدته أفضل الناس عند الله.

الثاني: أنه ﷺ جعله مثل نفسه بقوله: ﴿**وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ**﴾؛ لأنه أراد بقوله ﴿**أَبْنَاءَنَا**﴾ الحسن والحسين عليهما السلام، وبقوله: ﴿**نِسَاءَنَا**﴾ فاطمة، وبقوله: ﴿**أَنْفُسَنَا**﴾ نفسه ونفس علي عليهما السلام.. وإذا جعله مثل نفسه وجب ألاَّ يدانيه ولا يقاربه في الفضل أحد(٢).

وقد سميت آية المباهلة بهذا الاسم؛ لأنّ كل محق يود لو أهلك الله المبطل المناظر له، ولاسيما إذا كان في ذلك حجة له في بيان حقه وظهوره، وكانت المباهلة بالموت؛ لأنّ الحياة عندهم عزيزة عظيمة لما يعلمون من سوء مآلهم بعد الموت، وآية المباهلة لا مستند فيها على ما يدعيه الشيعة الاثنا عشرية في موضوع الإمامة لعدة أسباب:

---

(١) وقد قام الدكتور علي السالوس بدراسة مستفيضة حول الآيات التي يستدل بها الإمامية لقولهم بالإمامة وانتهى من ذلك إلى أن استدلالاتهم تنبني على روايات متصلة بأسباب النزول وتأويلات انفردوا بها لم يصح شيء من هذا ولا ذاك، «مع الشيعة الاثني عشرية» (١/ ٥٥، ١١١).

(٢) «تفسير التبيان» للطوسي (٣/ ٤٨٥).

أ ـ أنه على كثرة المعاني والمرادفات لكلمة ﴿نفسي﴾ التي استدل بها الإمامية على دلالة النص في خلافة علي بن أبي طالب ﷺ لا يوجد معنى حقيقي أو مجازي يدل على الخلافة ، ولكن ما استدل به أهل السنة على أنها تدل على دعوة النبي ﷺ بحضوره بنفسه أو المقاربة في الدين أو النسب فهو مذكور في اللغة موافق للدين ، قال الزبيدي :قال ابن خالويه : النفس الأخ ، قال ابن برّي : وشاهده قوله تعالى : ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾ [النور :٦١] ، وفسر ابن عرفة قوله تعالى : ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور :١٢] ، أي : بأهل الإيمان وأهل شريعتهم [١] قال الدهلوي :معنى : ﴿نَدْعُ... أَنفُسَنَا﴾ نحضر أنفسنا ، وأيضًا لو قررنا الأمير ـ أي الإمام علي ـ من قبل النبي ﷺ لمصداق ﴿أَنفُسَنَا﴾ فمن نقرره من قبل الكفار لمصداق ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ في أنفس الكفار مع أنهم مشتركون في صيغة ﴿نَدْعُ﴾ ولا معنى لدعوة النبي إياهم وأبناءهم بعد قوله ﴿تَعَالَوْا﴾[٢] .

وقوله تعالى : ﴿وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ﴾ ، مثل قوله تعالى : ﴿لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور :١٢]. نزلت في أم المؤمنين عائشة في حادثة الإفك؛ فإن الواحد من المؤمنين أنفس المؤمنين والمؤمنات ، وكذلك قوله تعالى : ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة :٥٤] ،أي : يقتل بعضكم بعضًا . ومنه قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾ [البقرة :٨٤]. أي لا يُخرج بعضكم بعضًا ، فالمراد بالأنفس الإخوان :إما في النسب وإما في الدين[٣] .

وقد قال الله عز وجل في رسوله الكريم : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة :١٢٨] .

(١) «تاج العروس» (١٦/ ٥٧٠) ،و«ثم أبصرت الحقيقة» ص(١٨٨)
(٢) «مختصر التحفة الاثنا عشرية» ص(١٥٦) .
(٣) «مختصر منهاج السنة» (١/ ١٦٧ ، ١٦٨) .

وفي هذه الآية حجة بالغة على من يستدل بقوله تعالى: ﴿أَنْفُسَنَا﴾ على معنى المماثلة والتطابق، فهذه الآية تتكلم عن رسول الله وعن كفار مكة، وتقول: ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ فمن ذا الذي يقول بأنّ نفس رسول الله ﷺ نفس كفار مكة - عياذًا بالله[1]؟!!

وهنا تظهر المزاجية في تفسير آية المباهلة حين يتجاهل علماء الشيعة كل هذه النصوص ثم يأتون إلى هذه الآية الكريمة فيبالغون في معناها إلى حد قولهم بأن عليًّا هو نفس محمد عليه الصلاة والسلام سوى النبوة، وحتى بعض الروايات الشيعية تشير إلى أنّ إطلاق لفظ «أنفسنا» على الأخ أو القريب، أو أرباب الفئة الواحدة شيء متعارف عليه بين العرب، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: بعث أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن العباس رضي الله عنهما إلى ابن الكواء وأصحابه وعليه قميص رقيق وحُلّة، فلما نظروا إليه قالوا: يا ابن عباس، أنت خيرنا في أنفسنا وأنت تلبس هذا اللباس؟! فقال: وأنا أول ما أخاصمكم فيه ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ وقال: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١] فهل بعد هذه الدلائل القرآنية وبعد هذه الرواية الشيعية من كلمة يقولها المغالي[2]؟!

ب - اعترف أحد أقطاب الشيعة وهو الشريف الرضيّ أن قوله تعالى: ﴿أَنْفُسَنَا﴾ لا يعني أن عليًّا رضي الله عنه هو نفس رسول الله ﷺ كما يقول الشيعة، يقول الشريف الرضيّ: قال بعض العلماء: إن للعرب في لسانها أن تخبر عن ابن العم اللاصق والقريب والمقارب بأنه نفس ابن عمه، وأن الحميم نفس حميمه، ومن الشاهد على ذلك قول الله تعالى ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات: ١١] أراد تعالى: ولا تعيبوا إخوانكم المؤمنين، فأجرى الأخوة بالديانة مجرى الأخوة في القرابة، وإذا وقعت النفس عندهم على البعيد النسب، كانت أخلق أن تقع على القريب النسب، وقال الشاعر: (كأنا يوم قُرّى

(١) «ثم أبصرت الحقيقة» ص(١٨٨).

(٢) «ثم أبصرت الحقيقة» ص(١٨٩)

إنما نقتل إيانا). أراد: كأنما نقتل أنفسنا بقتلنا إخواننا، فأجرى نفوس أقاربه مجرى نفسه، لشوابك العصم ونوائط اللحم وأطيط الرحم، ولما يخلج من القربى القريبة، ويتحرك من الأعراق الوشيجة، فأما قول الله تعالى في سورة النور: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١] فيمكن أن يجري هذا المجرى؛ لأنه جاء في التفسير أن معنى ذلك: فليسلّم بعضكم على بعض لاستحالة أن يسلم الإنسان على نفسه، وإنما ساغ القول؛ لأن نفوس المؤمنين تجري مجرى النفس الواحدة؛ للاجتماع في عقد الديانة، والخطاب بلسان الشريعة، فإذا سلّم الواحد منهم على أخيه كان كالمسلِّم على نفسه؛ لارتفاع الفروق واختلاط النفوس[١].

وبهذا يتضح أنه لا حجة لدى الشيعة في دعواهم: أنّ في هذه الآية ما ينص على مساواة بين رسول الله ﷺ وعليّ رضي الله عنه وأرضاه، فلفظ (النفس) يُطلق في لغة العرب على البعيد النسب، فإطلاقه على القريب من باب أولى، وليس في ذلك دلالة على الإمامة من قريب ولا بعيد[٢].

جـ - إن المباهلة إنما تُحْدِثُ الرغبة والرهبة والشعور بصدق الداعي بجمعه نفسه وأهله الذين تحن إليهم النفوس بطبيعة الحال، ما لا تحن إلى غيرهم من الأبعدين في الهلاك[٣]، فكونه ﷺ يدعو ألصق الناس به وأقربهم إليه، دليل واضح على صحة نبوته ولهذا لما رأى نصارى نجران خافوا على أنفسهم وتخلوا عن مباهلته، ولكن الروافض المبتدعة لما ابتلوا بدفع الحق وعدم التسليم له أصيبوا بعدم فهم ما تدل عليه آيات الكتاب العزيز[٤].

د - قول الشيعة الإمامية: إن الآية تدل على المساواة بينه وبين النبي ﷺ إلا النبوة، كلام لا يُسلم له أبدًا؛ إذ إنّ النبي ﷺ لا يساويه أحد في أمور الدين لا علي ولا غيره، فأين مقام رسول الله ﷺ وكماله البشري من سائر الناس؟

---

(١) «ثم أبصرت الحقيقة» ص(١٨٩).
(٢) «ثم أبصرت الحقيقة» ص(١٩٠).
(٣) «منهاج السنة» (٧/ ١٢٥، ١٢٦).
(٤) «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة» (٢/ ٥٦٤، ٥٦٥)

إن أمير المؤمنين علي نفسه لا يرضى ما يقول الشيعة الإمامية عنه، والمنصف العاقل يدرك هذه القضية بكل وضوح[١]، فمقام النبوة له هيبته ومكانته عند أمير المؤمنين وقد تحدثنا عنه في هذا الكتاب.

هـ - إن قضايا الاعتقاد الكبرى ومهمات الدين وأساسياته العظمى، لابد لإثباتها من الأدلة القرآنية الصريحة القطعية الدلالة على المعنى المطلوب كدلالة قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ على التوحيد، ودلالة ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ**﴾ على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ودلالة قوله تعالى: ﴿**أَقِيمُوا الصَّلاةَ**﴾ على فرضية الصلاة ومشروعيتها[٢] . . . إلخ.

٣ - قوله تعالى: ﴿**قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ [الشورى: ٢٣].

وقد أورد الشيعة الإمامية في تفسير هذه الآية حديثًا عزوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، حدد فيه القربى بعلي وفاطمة وأبنائهم الأمر الذي يدل في رأي الشيعة على أفضليتهم، ووجوب مودتهم، ومن ثم وجوب طاعتهم واتخاذهم أئمة دون غيرهم[٣].

والإجابة عما سبق كالآتي:

أ - إن هذه الآية في سورة الشورى وهي مكية باتفاق أهل السنة[٤]، ومن المعلوم أن عليًّا إنما تزوج فاطمة بعد غزوة بدر والحسن ولد في السنة الثالثة للهجرة، والحسين في السنة الرابعة، فتكون هذه الآية قد نزلت قبل وجود الحسن والحسين بسنين متعددة، فكيف يفسر النبي صلى الله عليه وسلم بوجوب قرابة لا تعرف ولم تخلق بعد[٥]؟

(١) «ثم أبصرت الحقيقة» ص(١٩١).
(٢) «آية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة»، لعبد الهادي الحسيني، ص(٥).
(٣) «مجمع البيان» للطبرسي (٢٥/ ٤٩ - ٥١)، و«مختصر التحفة الاثنا عشرية» ص(١٥٣-١٥٥).
(٤) «تفسير البغوي» (٤/ ١١٩)، و«العقيدة في أهل البيت» ص(٣٦٤).
(٥) «منهاج السنة» (٧/ ٩٩)، و«دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين»، جلي ص (١٩٠).

ب ـ إن تفسير الآية الذي في الصحيح يناقض ذلك، فقد روى البخاري بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله: ﴿إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد ﷺ، فقال ابن عباس: عجلت؛ إن النبي ﷺ لم يكن بطن في قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة[1]، قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: فهذا ابن عباس ترجمان القرآن، وأعلم أهل البيت بعد علي، يقول: ليس معناها مودة ذوي القربى، لكن معناها: لا أسألكم يا معشر العرب ويا معشر قريش عليه أجرًا، ولكن أسألكم أن تصلوا القرابة التي بيني وبينكم، فهو سأل الناس الذين أرسل إليهم أولاً أن يصلوا رحمه؛ فلا يعتدوا عليه حتى يبلغ رسالة ربه[2].

جـ ـ إن الحديث الذي جعلوه مفسرًا للآية: كذب وموضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث وهم المرجوع إليهم في هذا، وقد نص على ذلك ابن تيمية[3]، وقد تتبع ابن كثير أيضًا الأحاديث الواردة في تفسير هذه الآية، وبين أن الأحاديث التي تنص على أن أُولي القربى هم فاطمة وولداها ضعيفة الإسناد، وأورد رواية عن ابن أبي حاتم قال: حدثنا رجل سماه حدثنا حسين الأشقر عن قيس عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ ـ الآية ـ قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم؟ قال: فاطمة وولداها رضي الله عنهم. وهذا إسناد ضعيف فيه متهم لا يعرف عن شيخ شيعي محترق وهو حسين الأشقر، ولا يقبل خبره في هذا المحل، وذكر نزول الآية في المدينة بعيد؛ فإنها مكية ولم يكن إذ ذاك لفاطمة رضي الله عنها أولاد بالكلية؛ فإنها لم تتزوج بعلي إلا بعد بدر في السنة الثانية من الهجرة، والحق تفسير هذه الآية بما فسرها به حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وقد تحدث ابن حجر عن ضعف الروايات المذكورة ومخالفتها للحديث الصحيح[4].

---

(١) «البخاري»، كتاب التفسير، رقم (٤٨١٨). (٢، ٣) «منهاج السنة» (٧/ ١٠٠).

(٤) «تفسير ابن كثير» (٤/ ١١٢)، و«فتح الباري» (٨/ ٥٦٤).

* أدلتهم من السنة:

١ - خطبة غدير خم:

غدير خم هو موقع بين مكة والمدينة بالجحفة[١]، ويقع شرق رابغ بما يقرب من ستة وعشرين ميلاً، ويسمونه اليوم الغربة[٢]، ويذكر أنه في هذا الموقع خطب النبي صلى الله عليه وسلم في الناس، وذكر فضل علي رضي الله عنه، واتخذ الروافض هذه الحادثة أساسًا يعتمدون عليه في تشيعهم الغالي له من جهة، واعتمدوا عليها في أحقية علي بالخلافة من جهة أخرى، فأعطوا لهذه الحادثة من الأهمية ما لم يعطوه لغيرها في عصر النبوة[٣]، حتى ألف فيها كتابًا من أحد عشر مجلدًا، وهو كتاب «الغدير» ملأه مؤلفه بالأحاديث الموضوعة والضعيفة.

والصحيح ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه أنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبًا بماء يدعى خُمًّا بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكَّر ثم قال: «**أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما: كتاب الله، فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به**»، فحث على كتاب الله ورغَّب فيه ثم قال: «**وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي**». قال له حصين - أي الراوي عن زيد بن أرقم -: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال نعم، ولكن أهل بيته من حُرِم الصدقة بعده. قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس قال: كل هؤلاء حُرِم الصدقة؟ قال: نعم[٤].

وجاء عند غير مسلم كالترمذي[٥]، وأحمد[٦]، والنسائي في الخصائص[٧]، والحاكم[٨]، وغيرهم بأسانيد صحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**من كنت مولاه فعلي**

---

(١) «معجم البلدان» (٢/ ٢٨٩). (٢) «على طريق الهجرة»، و«عاتق البلاد» ص(٦١).

(٣) «أثر التشيع على الروايات التاريخية»، لعبد العزيز محمد نور ولي ص(٢٩٩).

(٤) «مسلم» رقم (٢٤٠٨). (٥) «سنن الترمذي» رقم (٣٧١٣).

(٦) «مسند أحمد» الموسوعة الحديثية رقم (٦٧٠) صحيح لغيره.

(٧) «خصائص علي» رقم (٧٩) صحيح رجاله ثقات. (٨) «المستدرك» (٣/ ١١٠).

مولاه»[١] وأما الزيادات الأخرى كقوله: «**اللهم وال من والاه وعادِ من عاداه**». فهذه الزيادات صححها بعض أهل العلم، والصحيح أنها لا تصح، وأما زيادة «انصر من نصره واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار»، فهذه زيادة مكذوبة على النبي ﷺ[٢].

وخطبة النبي ﷺ في غدير خم لها سبب وجيه؛ فعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ عليًّا إلى خالد بن الوليد في اليمن؛ ليخمّس الغنائم ويقبض الخُمس، فلما خمّس الغنائم كانت في الغنائم وصيفة هي أفضل ما في السبي، فصارت في الخُمس، ثم إن عليًّا خرج ورأسه مغطى وقد اغتسل، فسألوه عن ذلك، فأخبرهم أن الوصيفة التي كانت في السبي صارت له فتسرّى بها. فكره البعض ذلك منه، وقدم بريدة ابن الحصيب بكتاب خالد إلى النبي ﷺ، وكان ممن يبغض عليًّا فصدّق على كتاب خالد الذي تضمن ما فعله علي، فقال له النبي ﷺ: «**لا تبغضه فإن له في الخُمس أكثر من ذلك**»[٣]، فلما كانت حجة الوداع رجع علي من اليمن ليدرك الحج مع النبي ﷺ وساق معه الهدي[٤]، وقد تعجل علي ليلقى الرسول ﷺ بمكة واستخلف رجلاً من أصحابه على الجند، فكسا ذلك الرجل الجند حللاً من البزّ[٥]، الذي كان مع علي رضي الله عنه، فلما دنا الجيش من مكة خرج علي ليلقاهم، فإذا عليهم الحلل، فقال لنائبه: ويلك ما هذا؟ قال: كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس، قال: ويلك، انزع قبل أن تنتهي به إلى الرسول ﷺ، فانتزع الحلل وردها إلى البزّ، فأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم علي[٦]، فلما اشتكى الناس عليًّا قام رسول الله ﷺ في الناس خطيبًا.

---

(١) «حقبة من التاريخ» ص(١٨٢).
(٢) انظر: «السلسلة الصحيحة» للألباني رقم (١٧٥٠).
(٣) «مجمع الزوائد» (٩/ ١٢٧) قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير عبد الجليل بن عطية وهو ثقة صرح بالسماع وفيه لين.
(٤) «مسلم» رقم (١٢٨١).
(٥) البزّ: نوع من الثياب، أو متاع البيت من الثياب.
(٦) «البداية والنهاية»(٥/ ٩٥)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (٤/ ٢٥٩) قال ابن كثير: هذا السياق أقرب من سياق البيهقي «دلائل النبوة» (٥/ ٣٩٨) برغم أنه قال عن رواية البيهقي: هذا إسناد جيد على شرط النسائي

قال ابن كثير: إن عليًّا رضي الله عنه لما كثر فيه القيل والقال من ذلك الجيش، بسبب منعه إيّاهم استعمال إبل الصدقة واسترجاعه منهم الحلل التي أطلقها لهم نائبه لذلك- والله أعلم- لما رجع الرسول صلى الله عليه وسلم من حجته وتفرغ من مناسكه وفي طريقه إلى المدينة مر بغدير خم، فقام في الناس خطيبًا فبرأ ساحة علي ورفع من قدره ونبَّه على فضله؛ ليزيل ما وقر في قلوب كثير من الناس[1].

إن النبي صلى الله عليه وسلم أخّر الكلام إلى أن رجع إلى المدينة، ولم يتكلم وهو في مكة في حجة الوداع أو في يوم عرفة وإنما أجل الأمر إلى أن رجع، فهذا يدل على أن الأمر خاص بأهل المدينة؛ لأن الذين تكلموا في علي رضي الله عنه من أهل المدينة فهم الذين كانوا مع علي في الغزو، وغدير خم في الجحفة وهي تبعد عن مكة تقريبًا مائتين وخمسين كيلومترًا والذي يقول: إنه مفترق الحجيج، فهذا غير صحيح؛ لأن مجتمع الحجيج مكة، فلا يكون مفترق الحجيج بعيدًا عن مكة أكثر من مائتين وخمسين كيلومترًا أبدًا؛ فإن أهل مكة يبقون في مكة وأهل الطائف يرجعون إلى الطائف، وأهل اليمن إلى اليمن وأهل العراق إلى العراق، وهكذا كل من أنهى حجه فإنه يرجع إلى بلده، وكذلك القبائل العربية ترجع إلى مضاربها، فلم يكن مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا أهل المدينة ومن كان على طريق المدينة فقط، وهم الذين خطب فيهم النبي صلى الله عليه وسلم، والاختلاف بين أهل السنة والشيعة الروافض في مفهوم قول النبي صلى الله عليه وسلم لا في الثبوت، فالروافض يقولون: «**من كنت مولاه فعلي مولاه**» أي: من كنت واليه فعلي واليه. وأهل السُّنّة يقولون: إن مفهوم قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**من كنت مولاه فعلي مولاه**» أي: الموالاة التي هي النصرة والمحبة وعكسها المعاداة؛ وذلك لأمور:

أ ـ للزيادة التي وردت وصححها بعض أهل العلم وهي قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**اللهم وال من والاه وعاد من عاداه**»[2]. والمعاداة هي شرح لقوله: «**فعليّ مولاه**» فهي في محبة الناس لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه.

---

(١) «البداية والنهاية» (٥/ ٩٥).

(٢) «السلسلة الصحيحة» للألباني رقم (١٧٥٠).

ب ـ كلمة «**مولاه**» تدل على معاني متـعددة. قال ابن الأثير :المولى يقع على الرب والمالك والمنـعم والناصـر والمحب والحلـيف والعـبـد والمعــتق وابن العم والصهر[(١)]، كل هذه الكلمات تطلقها العرب على كلمة مولى.

جـ ـ الحديث ليس فيه دلالة على الإمامة؛ لأن النبي ﷺ لو أراد الخلافة لم يأت بكلمة تحـتمل هذه المعاني التي ذكرها ابن الأثيـر، والنبي ﷺ هو أفصح العرب ولكان يقول: علي خليفتي من بعدي أو عليّ الإمام من بعدي، أو إذا أنا متُّ فاسـتمعـوا وأطيعوا لعليّ بن أبي طالب، ولكـن لم يأت النبي ﷺ بهذه الكلمة الفاصلة التي تنهي الخلاف إن وجد أبدًا، وإنما قال: «**من كنت مولاه فعلي مولاه**»[(٢)].

د ـ قال الله تعـالى: ﴿**مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ [الحديد: ١٥] فسماها مولى لشدة الملاصقة والاتحاد مع الكفار والعياذ بالله.

هـ ـ الموالاة وصف ثابت لعلي في حياة رسـول الله ﷺ، وبعد وفاته وبعد وفاة علي ﵁، فعليّ كان مولى المـؤمنين بعد وفاة رسول الله ﷺ وهو مولى المؤمنين بعـد وفاته ﵁، فـهو الآن مـولانا كما قـال الله تبارك وتعـالى ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا**﴾ [المائدة: ٥٥]. وعلي ﵁ مـن سادة الذين آمنوا.

و ـ قال الإمام الشافعي رحـمه الله عن حديث زيد: يعني بذلك ولاء الإسلام كـما قـال الله : ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ**﴾ [محمد: ١١][(٣)]. فالحديث لا يدل على أن عليًّا ﵁ هو الخليفـة بعـد رسـول الله ﷺ، وإنما يـدل على أن عليًّا من أوليـاء الله تبارك وتعـالى، تجب له الموالاة وهـي المحبة والنصرة والتأييد[(٤)].

وعمومًا فإن هذه الخطبة التي خطبها النبي ﷺ في غدير خم، أراد بها تبرئة ساحة علي ﵁ ورفع مكانته والتنبيه على فـضله؛ ليزيل ما كان وقر في نفوس

---

(١) «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ٢٢٨).
(٢) «حقبة من التاريخ» ص(١٨٥).
(٣) «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ٢٢٨).
(٤) «حقبة من التاريخ» ص(١٨٧).

الناس من أصحابه الذين كانوا معه في اليمن وأخذوا عليه بعض الأمور، والرسول ﷺ لم يرد أن يفعل ذلك في أثناء موسم الحج؛ لأن الحادثة برغم انتشارها بقيت محدودة في أهل المدينة، كما أنه لم يؤخره حتى وصوله إلى المدينة حتى لا يُمكن المنافقين من استغلال مثل هذه الحادثة في مكايدهم[1]، ومما يدل على أن النبي ﷺ أراد من خطبته هذه بيان فضل علي للذين لم يعرفوا فضله، أنه عندما قام عنده بريدة بن الحصيب ينتقص في علي ـ وكان قد رأى من علي جفوة ـ تغير وجه النبي ﷺ وقال: «**يا بريدة، ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟**» فقال بريدة: بلى يا رسول الله. قال: «**من كنت مولاه فعلي مولاه**»[2].

وهناك بحث قيم في هذا الموضوع قام به الدكتور محمد على السالوسي، فتحدث عن خطبة الغدير والوصية بالكتاب والسنة، وقام بدراسة لروايات التمسك بالكتاب والعترة وناقشها وحكم عليها ثم قال: مما سبق نرى أن حديث الثقلين لم يصح سنده، وأن الروايات الثمانية التي تأمر بالتمسك بالعترة إلى جانب الكتاب الكريم لم تخل واحدة منها من ضعف في السند[3]، وفي متن هذه الروايات نجد الإخبار بأن الكتاب وأهل البيت لن يفترقا حتى يردا الحوض على رسول الله ﷺ، ومن أجل هذا وجب التمسك بهما، ولكن الواقع يخالف هذه الأخبار، فمن المتشيعين لأهل البيت من ضل وأضل، وأكثر الفرق التي كادت للإسلام وأهله وجدت من التشيع لآل البيت ستارًا يحميها، ووجدت من المنتسبين لآل البيت من يشجعها لمصالح دنيوية، كأخذ خُمس ما يغنمه الأتباع. إن عدم الضلال يأتي من التمسك بالكتاب والسنة، وإذا تمسك أهل البيت بهما كان لهم فضل الانتساب مع فضل التمسك، واستحقوا أن يكونوا أئمة هدى يقتدى بهم كما قال تعالى: ﴿**وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**﴾ [الفرقان: ٧٤] أي

(١) «أضواء على دراسة السيرة النبوية»، لصالح الشامي ص (١١٣، ١١٤).
(٢) «السلسلة الصحيحة» (٤/ ٣٣٦) قال الألباني: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين.
(٣) ومع هذا الضعف جاء في كتاب «المراجعات» للموسوي بأنها متواترة ص(٥١) ونسب للشيخ سليم البشري أنه تلقى هذا القول بالقبول ص (٤٥) وأنه طلب المزيد، وذكر صاحب «المراجعات» روايات أخرى أشد ضعفًا «مع الشيعة الاثنا عشرية» (١/ ١٣٦).

أئمة نقتدي بمن قبلنا، ويقتدي بنا من بعدنا، ولا يختص هذا بأهل البيت ولكن بكل من يعتصم بالكتاب والسنة. فالروايات التي ضعف سندها لا يستقيم متنها كذلك، وهذا ضعف آخر، ومع هذا كله فلو صحت هذه الروايات فإنها لا تدل من قريب ولا بعيد على وجوب إمامة الأئمة الاثني عشر وأحقيتهم للخلافة[١].

قال العلامة المناوي في فقه روايات الحديث: إن ائتمرتم بأوامر كتابه، وانتهيتم بنواهيه، واهتديتم بهدي عترتي، واقتديتم بسيرتهم، اهتديتم فلم تضلوا[٢].

وقال ابن تيمية بعد أن بين أن الحديث ضعيف لا يصح: وقد أجاب عنه طائفة بما يدل على أن أهل بيته كلهم لا يجتمعون على ضلالة.

قالوا: ونحن نقول بذلك كما ذكر ذلك القاضي أبو يعلى وغيره. وقال أيضًا: إجماع الأمة حجة بالكتاب والسنة والإجماع، والعترة بعض الأمة، فيلزم من ثبوت إجماع الأمة إجماع العترة[٣].

إن حديث الثقلين، في قوله ﷺ: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا، كتاب الله[٤] وعترتي**». فيه كلام من حيث صحته وثبوته عن النبي ﷺ، والثابت عند مُسلم أن الأمر كان بالتمسك بكتاب الله، والوصية بأهل البيت كما مر من حديث زيد بن أرقم في مسلم، فأوصى بكتاب الله، وحث على التمسك به ثم قال: «**وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي**»، فالذي أمر بالتمسك به كتاب الله، وأما أهل بيت النبي ﷺ فأمر برعايتهم وإعطائهم حقوقهم التي أعطاها الله تبارك وتعالى إياها[٥]. ونرد على فهم الشيعة الروافض المنحرف لحديث الثقلين من وجوه:

أ ـ إن عترة الرجل هم أهل بيته، وعترة النبي ﷺ هم كل من حرمت عليه

---

(١) «مع الشيعة الاثنا عشرية» (١/ ١٣٦).
(٢) «فيض القدير» (٣/ ١٤).
(٣) «منهاج السنة النبوية» (٤/ ١٠٥).
(٤) «سنن الترمذي»، كتاب المناقب رقم (٣٧٨٦) وفيه زيد الأنماطي والحديث له أكثر من طريق لا يخلو طريق منها من كلام مع اختلاف المتون.
(٥) «حقبة من التاريخ» ص(٢٠٣).

الزكاة وهم بنو هاشم، هؤلاء هم عترة النبي ﷺ، فالروافض ليس لهم أسانيد إلى الرسول ﷺ وهم يقرون بهذا، أنهم ليس عندهم أسانيد في نقل كتبهم ومروياتهم وإنما هي كتب وجدوها وقالوا: ارووها فإنها حق[١]، أما أسانيدهم كما يقول الحر العاملي وغيره من أئمة الشيعة الروافض، إنه ليس عند الشيعة أسانيد أصلاً ولا يعولون على الأسانيد[٢]، فأين لهم ما يروونه في كتبهم ثابت عن عترة النبي ﷺ؟ بل أهل السنة هم أتباع عترة النبي ﷺ والذين أعطوهم حقهم، ولم يزيدوا ولم ينقصوا كما قال النبي ﷺ في حق نفسه: «**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ولكن قولوا عبد الله ورسوله**»[٣].

ب ـ إمام العترة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبعده يأتي في العلم عبد الله ابن عباس الذي هو حبر الأمة، وكان يقول بإمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما قبل علي رضي الله عنه بل إن عليًّ ابن أبي طالب قد ثبت عنه بالتواتر أنه قال: أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر[٤]. فعلي يقر بفضل الشيخين وهو إمام العترة[٥].

جـ ـ هذا الحديث مثل قوله ﷺ: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبدًا، كتاب الله وسُنتي**»[٦] وقال النبي ﷺ: «**عليكم بسُنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ**»[٧]، فأمر بالعض عليها بالنواجذ. وقال ﷺ: «**اقتدوا باللَّذَيْنِ من بعدي، أبي بكر وعمر**»[٨]. وقال: «**اهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بعهد ابن مسعود**»[٩]، ولم يدل هذا على الإمامة أبدًا، وإنما دلَّ على أن أولئك على هدي الرسول ﷺ، كما أن عترة الرسول ﷺ لا تجتمع على ضلالة أبدًا[١٠].

(١-٢) «حقبة من التاريخ» ص(٢٠٣).

(٣) «البخاري» رقم (٣٤٤٥).

(٤) «البخاري» رقم (٣٦٧١).

(٥) «حقبة من التاريخ» ص (٢٠٤).

(٦) «مستدرك الحاكم» (١/ ٩٣).

(٧) «سنن أبي داود» (٤/ ٢٠١)، «الترمذي» حسن صحيح.

(٨) «صحيح سنن الترمذي» للألباني (٣/ ٢٠٠).

(٩) «سنن الترمذي» رقم (٣٨٠٥).

(١٠) «حقبة من التاريخ» ص (٢٠٥).

د ـ إن الشيعة الروافض يطعنون في العباس[١]، ويطعنون في عبد الله ابنه، ويطعنون في أولاد الحسن، وقالوا: إنهم يحسدون أولاد الحسين، ويطعنون كذلك في أبناء الحسين نفسه من غير الأئمة الذين يدعونهم كزيد بن علي[٢]، وكذلك إبراهيم أخي الحسن العسكري[٣]، وغيرهم فهم ليسوا بأولياء للنبي ﷺ وعترته، بل أولياءُ النبي وعترته هم الذين مدحوهم وأثنوا عليهم وأعطوهم حقهم ولم ينقصوهم[٤].

هـ ـ فَهْمُ صحابة رسول الله ﷺ للنص: فَهِمَ الصحابةُ ﷺ أن المراد بالمولى أو الولي هو الحب والولاء والطاعة، ولذلك عبّروا عن طاعتهم وإجلالهم لسيد أهل البيت علي ابن أبي طالب بمناداته يا مولانا، فعن رياح الحارث قال: جاء رهط إلى علي بالرحبة فقالوا: السلام عليك يا مولانا، فقال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم: «**من كنت مولاه فهذا مولاه**» قال رياح: فلما مضوا اتبعتهم فسألت: من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري[٥].

إن أهم ما يستفاد من هذا الحديث: هو أن علي بن أبي طالب نفسه لم يكن يفهم من لفظ (مولى) معنى الإمامة والإمارة، فمن الملاحظ أن أمير المؤمنين عليًّا قد استنكر منهم مناداته بـ (يا مولانا)، ولو كان أمير المؤمنين علي العربي الفصيح يراها مرادفة يا أميرنا أو يا إمامنا لما استنكر على القائلين تلك المناداة[٦].

و ـ روت كتب الشيعة (الاثنا عشرية) أقوالاً لبعض أهل البيت، ينفون فيها أن يكون المراد بحديث الغدير النص على إمامة علي من بعد رسول الله ﷺ، فقد قيل للإمام الحسين بن علي الذي كان كبير الطالبين في عهده وكان وصي أبيه

(١) «رجال النجاشي» ص(٥٢)، نقلاً عن: «حقبة من التاريخ» ص(٢٠٥).
(٢) «بحار الأنوار» (٤٦/ ١٩٤)، اتهموه بأنه كان يشرب الخمر، و«حقبة من التاريخ» ص(٢٠٥).
(٣) «الكافي» (١/ ٥٠٤)، اتهموه بأنه فاجر ماجن شارب للخمور، و«حقبة من التاريخ» ص(٢٠٥).
(٤) «حقبة من التاريخ» ص(٢٠٥).
(٥) «فضائل الصحابة» (٢/ ٧٠٢) حديث رقم (٩٦٧).
(٦) «ثم أبصرت الحقيقة» ص(٢٠٠).

وولي صدقة جده: ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من كنت مولاه فعلي مولاه؟**» فقال: بلى ولكن ـ والله ـ لم يعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الإمامة والسلطان، ولو أراد ذلك لأفصح لهم به، وكان ابنه الإمام عبد الله يقول: ليس لنا في هذا الأمر ما ليس لغيرنا، وليس في أحد من أهل البيت إمام مفترض الطاعة من الله، وكان ينفي أن تكون إمامة أمير المؤمنين من الله[1]، فإذا كان هذا كلام أهل البيت وهم أبناء علي والناصرون له، فما ترى غيرهم يقولون[2]؟

٢ - حديث الاستخلاف على المدينة في تبوك:

كان في رجب سنة تسع من الهجرة غزوة تبوك، وكانت لها أهمية كبيرة في السيرة النبوية، وتحقق منها غايات كانت بعيدة الأثر في نفوس المسلمين والعرب، ومجرى الحوادث في تاريخ الإسلام[3]، واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة عليًّا، فوجد المنافقون فرصة للتنفيس عما بداخلهم، من حقد ونفاق، فأخذوا يتكلمون في علي رضي الله عنه بما يسيء إليه، فمن ذلك قولهم: ما تركه إلا لثقله عليه، وهذا القول منهم في حقه علامة بارزة واضحة على نفاقهم، ففي الحديث الصحيح أن عليًّا رضي الله عنه قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وسلم ألاَّ يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق[4].

عند ذلك أدرك علي الجيش وأراد الغزو معهم قائلاً: يا رسول الله، أتخلفني في الصبيان والنساء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي**»[5]، وليس في هذا الحديث ما يستدل به الشيعة على كون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والرد عليهم من وجوه:

أ ـ الحديث المذكور له سبب مهم لا ينبغي أن يغفل وأن يفهم الحديث دونه؛

(١) «ثم أبصرت الحقيقة» ص(٢٠١) كذلك الرواية في كتب أهل السنة، و«الاعتقاد» للبيهقي ص(١٨٢، ١٨٣)، ومن كتب الشيعة «بصائر المؤمنين» للصفّار ص(١٥٣ ـ ١٥٦).

(٢) «ثم أبصرت الحقيقة» ص(٢٠١).

(٣) «المرتضى» للندوي ص(٥٥).

(٤) «مسلم» رقم (٧٨).

(٥) «البخاري» رقم (٤٤٠٢).

فقد طعن المنافقون في علي رضي الله عنه، فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانته وفضله، وكذب المنافقين.

ب ـ من الثابت أن هارون عليه السلام كانت وفاته قبل موسى عليه السلام، والاستدلال بالحديث على إمامة علي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتالي غير منطبق، ولو أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم النص على علي بن أبي طالب رضي الله عنه لقال له مثلاً: أنت مني بمنزلة يوشع من موسى؛ لأن نبي الله يوشع استخلف على بني إسرائيل بعد وفاة موسى عليه السلام، لكن ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهارون عليه السلام الذي كان خليفة موسى عليه السلام في حياة موسى لا بعد وفاته، ليس له إلا معنى واحد هو الترضية لعلي الذي أحزنه إبقاء الرسول صلى الله عليه وسلم له في المدينة، مُسْتَخْلفًا على الضعفاء والنساء والأطفال والمتخلفين عن الغزوة، فبيّن له النبي صلى الله عليه وسلم أنه كما استخلف موسى عليه السلام أخاه هارون عليه السلام على قومه وذهب للطور للقاء ربه تبارك وتعالى، فاستخلافي لك من هذا الباب، فموسى لم يستخلف هارون عليهما السلام استخفافًا به وتنقيصًا له وإنما ائتمانًا له وثقة به، وكذلك الحال معك يا علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

جـ ـ هارون عليه السلام لم يكن وصيًّا لموسى عليه السلام بل نبيًّا ووزيرًا بنص القرآن، وقياسُ حال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه - الذي هو عند الشيعة وصي وليس بنبي - قياسٌ مع الفارق، علمًا بأنهم يرفضون القياس أصلاً.

د ـ الاستدلال بكون هارون عليه السلام وزيرًا لموسى عليه السلام على وزارة أمير المؤمنين علي لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعجب من الأولى؛ ذلك لأن الله تعالى الذي جعل هارون عليه السلام وزيرًا لنبيه موسى عليه السلام قال في محكم كتابه عن طلب موسى عليه السلام: ﴿**وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي**﴾ [طه: ٢٩-٣٢] فهل يرى من يدّعي التطابق بين الاثنين كون علي رضي الله عنه مشاركًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في نبوته كما هو الحال في مشاركة هارون لموسى عليه السلام في أمره؟!! من يعتقد ذلك فلا شك في كفره وخروجه من ملة الإسلام[1].

---

(١) «ثم أبصرت الحقيقة» ص (٢١٥).

هـ ـ لقد استخلف النبي ﷺ على المدينة غير علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ففي غزوة بدر استخلف عبد الله بن أم مكتوم، واستخلف في غزوة سليم سباع بن عُرفطة الغفاري، أو ابن مكتوم على اختلاف في ذلك، واستخلف في غزوة السويق بشير بن عبد المنذر، واستعمل على المدينة في غزوة بني المصطلق، أبا ذر الغفاري، وفي غزوة الحديبية، نُمَيْلة ابن عبد الله الليثي كما استعمله أيضًا في غزوة خيبر، وفي عمرة القضاء استعمل عويف ابن الأضبط الديلي، وفي فتح مكة كلثوم بن حصين بن عتبة الغفاري، وفي حجة الوداع أبا دجانة الساعدي، ذكر هذا ابن هشام في مواقف متفرقة من السير[1]، إضافة إلى أن استخلاف علي على المدينة لم يكن الأخير، فقد استخلف النبي ﷺ على المدينة في حجة الوداع غير علي، وهذا منهج النبي ﷺ في تربية القادة كما حدث عندما أمّر أبا بكر رضي الله عنه على الحج، واختصه أيضًا بإمامة الصلاة وحده[2].

و ـ وأما تشبيه النبي ﷺ لعلي بهارون فهذه فضيلة، كما أن النبي ﷺ شبه أبا بكر وعمر رضي الله عنهما بأعظم من هارون، ففي غزوة بدر لما كانت قضية الأسرى واستشار النبي ﷺ أبا بكر رضي الله عنه، فرأى أن يعفو عنهم وأن يفادوهم قومهم، ورأى عمر رضي الله عنه أن يقتلهم، فقال النبي ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: إن مثلك كمثل إبراهيم يوم قال: **﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** [إبراهيم:٣٦] ومثلك كمثل عيسى إذ قال: **﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** [المائدة:١١٨].

ثم التفت إلى عمر فقال: يا عمر إن مثلك مثل نوح لما قال: **﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾** [نوح:٢٦]، ومثلك كمثل موسى لما قال: **﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾**[3] [يونس:٨٨] فشبه أبا بكر بإبراهيم وعيسى، وشبه عمر بنوح وموسى، وأولئك من

---

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٦٥٠، ٨٠٤، ٨٠٦).

(٢) «ثم أبصرت الحقيقة» ص(٢١٥).

(٣) «مسند أحمد»(١/ ٣٨٣) إسناده صحيح.

أولي العزم وهم خير البشر بعد رسول الله ﷺ، وهم أفضل من هارون بدرجات صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وتشبيه النبي ﷺ لعلي بهارون تكريم له كما كرّم النبي ﷺ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما عندما شبههم بإبراهيم وعيسى وموسى ونوح[1] عليهم السلام.

ز ـ من أقوال العلماء في شرح الحديث:

* قال النووي ـ رحمه الله ـ: وهذا الحديث لا حجة فيه لأحد منهم، بل فيه إثبات فضيلة لعلي رضي الله عنه ولا تعرض فيه لكونه أفضل من غيره أو مثله، وليس فيه دلالة لاستخلافه بعده؛ لأن النبي ﷺ إنما قال هذا لعلي حين استخلفه في المدينة في غزوة تبوك، ويؤيد هذا أن هارون المشبه به لم يكن خليفة بعد موسى، بل توفي في حياة موسى، وقبل وفاة موسى بنحو أربعين سنة على ما هو مشهور عند أهل الأخبار والقصص، قالوا: وإنما استخلفه حين ذهب لميقات ربه للمناجاة[2].

* وقال ابن حزم ـ رحمه الله ـ بعد أن ذكر احتجاج الرافضة بالحديث: وهذا لا يوجب له فضلاً على من سواه ولا استحقاق الإمامة بعده؛ لأن هارون لم يل أمر بني إسرائيل بعد موسى عليهما السلام، وإنما ولي الأمر بعد موسى عليه السلام يوشع بن نون فتى موسى وصاحبه الذي سافر معه في طلب الخضر عليهما السلام، كما ولي الأمر بعد رسول الله ﷺ صاحبه في الغار الذي سافر معه إلى المدينة؛ وإذ لم يكن علي نبيًّا كما كان هارون نبيًّا، ولا كان هارون خليفة بعد موت موسى على بني إسرائيل، فصح أن كونه رضي الله عنه من رسول الله بمنزلة هارون من موسى إنما هو في القرابة فقط، وأيضًا فإنما قال له رسول الله ﷺ هذا القول إذ استخلفه على المدينة في غزوة تبوك، ثم قد استخلف ﷺ قبل تبوك وبعد تبوك في أسفاره رجالاً سوى علي رضي الله عنه، فصح أن هذا الاستخلاف

---

(١) «حقبة من التاريخ» ص(٢٠٠).
(٢) «شرح صحيح مسلم» (١٣/ ١٧٤).

لا يوجب لعلي فضلاً على غيره، ولا ولاية الأمر بعده، كما لم يوجب ذلك لغيره من المستخلفين(١).

* وقال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: واستدل بحديث الباب على استحقاق علي للخلافة دون غيره من الصحابة؛ فإن هارون كان خليفة موسى، وأجيب بأن هارون لم يكن خليفة موسى إلا في حياته لا بعد موته؛ لأنه مات قبل موسى باتفاق أشار إلى ذلك الخطابي(٢).

* وقال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في سياق رده على الشيعة الرافضة في استدلالهم بهذا الحديث: وقول القائل: هذا بمنزلة هذا، وهذا مثل هذا، هو كتشبيه الشيء بالشيء يكون بحسب ما دل عليه السياق، لا يقتضي المساواة ـ المطلقة ـ في كل شيء، وكذلك هنا بمنزلة هارون وهذا الاستخلاف يسمى من خصائص علي رضي الله عنه، بل ولا هو مثل استخلافاته فضلاً أن يكون أفضل منها، وقد استخلف مَنْ هو علي أفضل منه في كثير من الغزوات، ولم تكن تلك الاستخلافات توجب تقديم المُسْتَخلف على علي إذا قعد معه، فكيف يكون موجبًا لتفضيله على علي؟ قد استخلف على المدينة غير واحد، وأولئك المستخلفون منه بمنزلة هارون من موسى من جنس استخلاف عليّ بل كان ذلك الاستخلاف مع كون علي أكثر وأفضل ممن استخلف عليه عام تبوك وكانت الحاجة إلى الاستخلاف أكثر؛ فإنه كان يخاف من الأعداء على المدينة، فأما عام تبوك فإنه كان قد أسلمت العرب بالحجاز، وفتحت مكة وظهر الإسلام وعزّ، ولهذا أمر الله نبيه أن يغزو، ولهذا لم يدع النبي صلى الله عليه وسلم عند علي أحدًا من المقاتلة، كما كان يدع النبي صلى الله عليه وسلم بها في سائر الغزوات بل أخذ المقاتلة(٣) كلهم.

---

(١) «الفصل» (٤/ ١٥٩، ١٦٠).

(٢) «فتح الباري» (٧/ ٧٤)، و«الانتصار للصحب والآل» ص (٥٤٠).

(٣) «منهاج السنة» (٧/ ٣٣٠ ـ ٣٣٢)، و«مجموع الفتاوى» (٤/ ٤١٦).

ح ـ الحكمة في عدم تخصيص رسول الله ﷺ من بعده أحدًا ليتولى أمر الأمة:

إن الحكمة في عدم تخصيص رسول الله ﷺ من بعده أحدًا ليتولى أمر الأمة، تتضح في إدراكنا لحقيقة الإسلام كدين رباني للبشرية، وأنه لو حدد الرسول ﷺ رجلاً من بعده، فإنه يكون قد أعطى المسوغ الشرعي ليدعي المدعون- وقد فعلوا بدون برهان ـ بأن قيادة الأمة من حق أسرة بعينها، ويصبح الحكم الوراثي هو الحكم السائد في الإسلام، ولكن رسول الله ﷺ أراد ـ وهو لا ينطق عن الهوى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ـ أن يترك هذا الأمر مطلقًا للمسلمين؛ ليختاروا أصلحهم وأخيرهم، وإن كان لَمَّح بعض التلميحات إلى أبي بكر ـ وكان بمقدوره ﷺ أن يصرح، ولكنه لم يفعل لهذا القصد ـ إلا أن التلميح لا يعطي شرعية التولية المباشرة، ولو كانت هناك وصية لأحد من الخلق لما حصل اختلاف في سقيفة بني ساعدة في بداية الأمر، ولما استشار أبو بكر الناس في تولية عمر رضي الله عنه، ولما ترك عمر الخلافة بيد ستة من المهاجرين... إلخ، ولو كانت المسألة وراثة لكان بنو هاشم أول من ينالون هذا الأمر[1].

إن هذا الدين للبشرية، ولا يصح - بأي حال من الأحوال- أن يكون محصورًا في أسرة حاكمة واحدة، ويظل متوارثًا كالمتاع، وإذا كانت العصور التالية فعلت ذلك، كعصر بني أمية، وبني العباس وغيرهم، فإن هذا خلاف القاعدة الشرعية، وما كان خلاف القاعدة فهو طارئ وغريب على دين الله، وينبغي أن يُنَحَّى هذا المفهوم القاصر كلية عن الفكر الإسلامي حتى يصبح ناصعًا نقيًّا[2].

بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يستدلون بها على الإمامة:

١ - حديث الطائر:

ومن أهم أدلة الشيعة الإمامية كذلك حديث الطائر المشوي، روى الحاكم في

(١، ٢) "دراسات في عهد النبوة" للشجاع ص(٢٧٠).

المستدرك عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أخدم رسول الله ﷺ، فقدم لرسول الله ﷺ فرخ مشوي فقال: «اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير»، قال: فقلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار، فجاء علي رضي الله عنه فقلت: إن رسول الله على حاجة، ثم جاء فقال رسول الله ﷺ: «افتح»، فدخل، فقال رسول الله ﷺ: «ما حبسك ياعلي؟» فقال: إنّ هذه آخر ثلاث كرّات يردني أنس، يزعم أنك على حاجة، فقال: «ما حملك على ما صنعت؟»، فقلت: يا رسول الله، سمعت دعاءك، فأحببت أن يكون رجلاً من قومي، فقال رسول الله ﷺ: «إنّ الرجل قد يحب قومه»[(١)].

روي هذا الحديث بأسانيد لا تخلو من ضعف، بالإضافة إلى أن كثرة الروايات المسندة إلى أنس بن مالك رضي الله عنه، وعدم صحة سند واحد منها أمر يدعو للعجب والدهشة، فأين أصحاب أنس عن هذا الحديث وقد صحبوه السنين الطوال؟ لم نر أي واحد منهم قد روى هذا الحديث، وهم من هم في الثقة والضبط، كأمثال الحسن البصري، وثابت البناني، وحميد الطويل، وحبيب بن أبي ثابت، وبكر بن عبد الله المزني، وأسعد بن سهل ابن حنيف، وإسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، وأبان بن صالح، وإبراهيم بن ميسرة وغيرهم كثير ممن يروي عن أنس ولا يُعرف، يقول ابن كثير: ثم وقفت على مجلد كبير في رده وتضعيفه ـ أي حديث الطير ـ سندًا ومتنًا للقاضي أبي بكر الباقلاني[(٢)]، وقال ابن الجوزي: قد ذكره ابن مردويه من نحو عشرين طريقًا كلها مظلم، وفيها مطعن، فلم أر الإطالة بذلك[(٣)]، وقال ابن تيمية: حديث الطائر من المكذوبات والموضوعات عند أهل العلم والمعرفة بحقائق النقل[(٤)]، وقال الزيلعي: كم من حديث كثرت رواته وتعددت طرقه، وهو حديث ضعيف[(٥)].

---

(١) «المستدرك» (٣/ ١٣٠، ١٣١) ضعيف من حيث السند والمتن.
(٢) «البداية والنهاية» (٧/ ٣٥٤).
(٣) «العلل المتناهية» (١/ ٢٢٥ ـ ٢٣٤).
(٤) «منهاج السنة» (٤/ ٩٩).
(٥) «تحفة الأحوذي» (١٠/ ٢٢٤).

٢- حديث الدار:

ومن الأحاديث التي يستدل بها الشيعة الاثنا عشرية على نصية الإمامة: حديث الدار؛ حيث يرى الشيعة أن رسول الله ﷺ نص على إمامة علي منذ بداية البعثة في أثناء عرضه الإسلام على كفار مكة، ومنذ مطالبته إياهم بترك الأوثان وإفراد الواحد القهّار بالعبادة لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤].

دعاني رسول الله ﷺ فقال: «يا علي إنّ الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فضقت بذلك ذرعًا وعرفت أني متى أباذؤهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمت عليه حتى جاء جبرائيل، فقال: يا محمد إنك إلا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك، فاصنع لنا صاعًا من الطعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عسًّا من لبن، ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به» ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب، فلما اجتمعوا إليه، دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به فلما وضعته تناول رسول الله خذية من اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصفحة، ثم قال: «خذوا باسم الله»، فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة، وما أرى إلا موضع أيديهم وايم الله الذي نفسي بيده، إن كان الرجل الواحد منهم يأكل ما قدمت لجميعهم، ثم قال: «اسق القوم» فجئتهم بذلك العس، فشربوا حتى رووا منه جميعًا، وايم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال: لقد سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله ﷺ، فقال: «الغد يا علي، إن هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم، فعِد لنا من الطعام بمثل ما صنعت، ثم أجمعهم إليَّ». قال: ففعلت، ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته لهم ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة، ثم قال: «اسقهم»

فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعًا، ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «يابني عبد المطلب، إني والله ما أعلم شابًا في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به؛ إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على هذا الأمر، على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم»؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعًا، وقلت- وإني لأحدثهم سنًّا وأرمصهم عينًا وأعظمهم بطشًا وأحمشهم ساقًا[1]-: أنا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي، ثم قال: «إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا»، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع، وفي سياق آخر (. . . فلم يجبه أحد منهم فقام علي وقال: أنا يا رسول الله قال: اجلس، ثم أعاد القول على القوم ثانيًا، فصمتوا، فقام علي وقال: أنا يا رسول الله، فقال: اجلس، ثم أعاد القول على القوم ثالثًا فلم يجبه أحد منهم، فقام علي فقال: أنا يا رسول الله، فقال: (اجلس أنت أخي)[2].

وهذا الحديث باطل سندًا ومتنًا، أما سندًا ففي سنده عبد الغفار بن القاسم، وعبدالله ابن عبد القدوس، فأما عبد الغفار بن القاسم فهو متروك لا يُحتج به، قال عنه على ابن المديني: كان يضع الحديث، وقال يحيى بن معين: ليس بشيء، وروى عباس بن يحيى: ليس بشيء، وقال البخاري: ليس بالقوي عندهم ـ أي عند علماء الجرح والتعديل ـ وقال عنه ابن حبان: يقلّب الأخبار ولا يجوز الاحتجاج به، تركه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين[3]، وقال النسائي: متروك الحديث[4]، وليس عبد الله بن عبد القدوس بأحسن حالاً من سابقه، بل هو مجروح أيضًا عند عامة علماء الحديث، قال النسائي: ليس بثقة، وقال الدارقطني: ضعيف[5].

---

(١) مع أن عمره آنذاك ما يقارب عشر سنوات .

(٢) «المراجعات» (١٢/ ٣٥٠) من كتاب «الحجج الدامغات لنقض كتاب المراجعات» لأبي مريم بن محمد الأعظمي.

(٣) «المجروحين» لابن حبان ص(١٤٣).

(٤) «الضعفاء والمتروكين» للنسائي ص(٢١٠) .

(٥) «ميزان الاعتدال» (٢/ ٤٥٧).

وأما من ناحية المتن فالحديث واضح البطلان لأسباب وهي:

أ ـ هذه الرواية معارضة لرواية أخرى اتفق أهل الحديث على صحتها وثبوتها، فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس ﭫ قال: لمّا نزلت ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾ [الشعراء: ٢١٤]. صعد النبي ﷺ على الصّفا، فجعل ينادي: «**يا بني فهر، يا بني عدي**»، لبطون قريش ـ حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش فقال: «**أرأيتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقيّ**»، قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقًا، قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**»، فقال أبو لهب: تبًّا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ**﴾[1] [المسد: ١، ٢].

ب ـ الشيعة الاثنا عشرية طالما ادعوا النص الصريح على خلافة علي ﭬ وأنه هو الوصي والمستحق الوحيد لهذا المنصب، وأن النصوص متضافرة في إثبات ذلك، وهذا الحديث يدحض قولهم؛ إذ فيه أن النبي ﷺ دعا قومه لنصرته، وأنّ من يقبل نصرته فسيصبح أخاه ووصيه وخليفته من بعده ولم يخص عليًّا بذلك بل وأعرض عنه ثلاث مرات، ولمّا لم يجد ناصرًا غير عليّ قال له ما قال، وهذا يدل على أنّ عليًّا لا يستحق هذا المنصب ابتداء، وأن النبي ﷺ اضطر مع إحجام قومه أن يجعل هذا الأمر في عليّ، فهل هذا يتوافق مع ما يدعيه القوم من أن عليًّا منصوص عليه من قبل السماء[2].

٣ - حديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها»، وأحاديث أخرى موضوعة:

والأحاديث الموضوعة في هذا الباب كثيرة جدًا، ومن ذلك ما رواه جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: «أنا مدينة العلم وعلي بابها». فهذا الخبر مطعون فيه؛ إذ أنكره البخاري، وقال عنه يحيى بن معين: لا أصل له، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات، وقال النووي والذهبي: إنه موضوع[3].

---

(١) «البخاري» رقم (٤٤٩٢). (٢) «ثم أبصرت الحقيقة» ص(٢٢٤).

(٣) «الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة» ص(٧١) رقم (٢٥٧)، و«الفتاوى» (٤/ ٤١٠).

ويقول الألباني: وحديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب»، موضوع رواه العقيلي في الضعفاء وابن عدي في الكامل، والطبراني في الكبير، والحاكم عن ابن عباس، ورواه ابن عدي والحاكم عن جابر رضي الله عنه(١)، وكذلك حديث «من ناصب علياً بالخلافة فهو كافر»، فلا أثر له بوجه في كتب أهل السنة أصلاً(٢)، وهذه النماذج تكشف عن ضعف ما استند إليه الروافض من حجج اختصاص علي رضي الله عنه وتعيينه دون غيره للخلافة، ويؤيد هذا ما ذهب إليه ابن خلدون من أن ما استدل به الشيعة الروافض من نصوص إنما هي نصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم، لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة، بل أكثرها موضوع أو مطعون في طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم(٣)، وما أورده ابن حزم من أن سائر الأحاديث التي تتعلق بها الرافضة، فموضوعة يعرف ذلك من له أدنى علم بالأخبار ونقلها(٤).

ويعترف الكاتب الشيعي ابن أبي الحديد بأثر الشيعة في وضع الأحاديث؛ لتأييد مذهبهم في الإمامة فيقول: إن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة؛ فإنهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلقة في صاحبهم، حملهم على وضعها عداوة خصومهم، فلما رأت البكرية (يريد بعض السنّيين) ما صنعت الشيعة وضعت لصاحبها (أبي بكر) أحاديث في مقابلة هذه الأحاديث، فلما رأت الشيعة ما قد وضعت البكرية أوسعوا في وضع الأحاديث، ولقد كان الفريقان في غنًى عما اكتسباه، ولقد كان في فضائل علي الثابتة الصحيحة وفضائل أبي بكر المحققة المعلومة، ما يغني عن تكلف العصبية(٥)، وبرغم ضعف هذه الحجج وعدم قوتها فإننا نجد أن بعض الشيعة المعاصرين مازالوا يرددونها في كتاباتهم، ويستشهدون بها لإثبات معتقداتهم في الإمامة، وهذا أحد

(١) «ضعيف الجامع الصغير» (٢/١٣) رقم (١٤١٦).
(٢) «منهاج السنة» (٤/١٠٧، ١٠٨)، و«دراسات عن الفرق»، جلي ص(١٩٥).
(٣) «المقدمة» ابن خلدون ص(١٩٧).
(٤) «الفصل» لابن حزم (٤/١٤٨).
(٥) «شرح نهج البلاغة» (١١/٤٨ ـ ٥٠)، نقلاً عن: «دراسات عن الفرق»، لشيخي الدكتور أحمد جلي ص(١٩٥، ١٩٦).

أئمتهم يذهب إلى أن الرسول ﷺ يعتبر غير مبلغ للرسالة، لو لم يعين عليًّا خليفة من بعده[1]،ويقول: إن الرسول ﷺ الكريم قد كلمه الله وحيًا أن يبلغ ما أنزل الله إليه،فيمن يخلفه في الناس ويحكم هذا الأمر فقد اتبع ما أمر به وعين أمير المؤمنين عليًّا للخلافة[2].

وقولهم هذا يناقض كل ما يدّعونه من آيات وأحاديث يستدلون بها على الإمامة؛ لأنه يلزم من قولهم هذا، أنه إلى واقعة حديث غدير خم لم يكن الله سبحانه وتعالى ورسوله نصّا على إمامة علي.

ويكفي في نقد نظرية الإمامة عند الشيعة الإمامية: أنه لا سند لهم فيها إلا عبد الله بن سبأ اليهودي الذي بدأ يشيع القول بأن الإمامة هي وصية من النبي ﷺ، ومحصورة بالوحي، وإذا تولاها سواه يجب البراءة منه وتكفيره، فقد اعترفت كتب الشيعة بأن ابن سبأ كان أول من أشهر القول بفرض إمامة علي رضي الله عنه، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه وكفرهم[3]؛ لأنه كان يهودي الأصل يرى أن يوشع بن نون هو وصي موسى، فلما أسلم أظهر هذه المقالة في علي بن أبي طالب رضي الله عنه[4].

رابعًا: التوحيد والشيعة الاثنا عشرية:

جعل الشيعة العقيدة في الإمام أساسًا لمذهبهم وركنًا من أركان الدين، وأصبح الإمام عندهم جزءًا من العقيدة وينسب الشيعة إلى بعض أئمتهم القول بأن من أصبح من هذه الأمة لا إمام له أصبح ضالاً تائهًا إنْ مات على هذه الحال مات ميتة جاهلية[5]؛ ذلك لأن الإمام في تصور الشيعة يختلف اختلافًا كليًّا عن تصور المسلمين جميعًا لخليفتهم؛ إذ إن المسلمين يعدون الإمام أو خليفة المسلمين

---

(١) «دراسات عن الفرق» ص(١٩٦).

(٢) «الحكومة الإسلامية »للخميني ص(٤٢، ٤٣)، و«دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين» ص(١٩٦).

(٣) «رجال الكشي» ص(١٠٨، ١٠٩)، و«أصول مذهب الشيعة الإمامية» (٢/ ٧٩٢).

(٤) «أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٧٩٢).

(٥) «دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين» ص(١٩٧).

شخصًا عاديًّا في تكوينه ومعارفه، وأن دوره لا يتجاوز دور المنفذ لشرع الله، وأنه يعرض عليه الخطأ والانحراف، كما يعرض لسائر الناس فَيُقَوَّمُ ويعارض إذا خالف أمر الله، وفوق هذا، فإن الخليفة يختار وينتخب من قبل الجماعة المسلمة وفقًا لمبدأ الشورى(١).

وخلافًا لهذا التصور يذهب الشيعة إلى أن الأئمة كانوا قبل هذا العالم أنوارًا، وأن لهم ولاية تكوينية إلى جانب الولاية الحكمية، وقد نسبوا إلى رسول الله ﷺ حديثًا أسندوه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه(٢)، ويقول أحد أئمة الشيعة المعاصرين: وثبوت الولاية والحاكمية للإمام، لا يعني تجرده من منزلته التي هي له عند الله، ولا تجعله مثل من عداه من الحكام؛ فإن للإمام مقامًا محمودًا ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون، وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك مقرّب ولا نبي مرسل، وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث، فإن الرسول الأعظم ﷺ والأئمة رضي الله عنهم، كانوا قبل هذا العالم أنوارًا، فجعلهم الله بعرشه محدقين، وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلا الله. وقد قال جبرائيل ـ كما ورد في روايات المعراج ـ: لو دنوت أنملة لاحترقت.

وقد ورد عنهم عليهم السلام أن لهم مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل(٣)، وبناء على هذا التصور للإمام فإن دوره لا يقف عند تنفيذ شرع الله بل له هيمنة على شؤون الكون ومجرياته، فعلي عندهم الحاكم المهيمن الشرعي على شؤون البلاد والعباد وأن الملائكة تخضع له، ويخضع له الناس حتى الأعداء منهم؛ لأنهم يخضعون للحق في قيامه وقعوده وفي كلامه وصمته وفي خطبه وصلواته وحروبه(٤)، وقد أثر اعتقاد الشيعة في الأئمة على عقيدتها في توحيد الله سبحانه بسبب الغلو، وإليك بيان ذلك:

---

(١) «النظام السياسي للدولة الإسلامية» ص(١٤٧ ـ ٢٣٦).

(٢) «دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين» ص(١٩٨).

(٣) «الحكومة الإسلامية»، آية الله الخميني ص(٩٣، ٩٤).

(٤) «دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين» ص(٢٠٠).

١ - نصوص التوحيد جعلوها في ولاية الأئمة:

فأول ما نفاجأ به أن نصوص القرآن التي تأمر بعبادة الله وحده، غيروا معناها إلى الإيمان بإمامة علي رضي الله عنه والأئمة، والنصوص التي تنهى عن الشرك جعلوا المقصود بها الشرك في ولاية الأئمة، ففي قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ**﴾ [الزمر: ٦٥]. جاء في الكافي[١] - أصح كتاب عندهم في الرواية- وفي تفسير القمي[٢] - عمدة تفاسيرهم - وفي غيرهما من مصادرهم المعتمدة[٣]، تفسيرها بما يلي: يعني إن أشركت في الولاية غيره[٤]، وفي لفظ آخر: لئن أمرت بولاية أحد مع ولاية علي من بعدك ليحبطن عملك[٥].

وقد ساق صاحب البرهان في تفسير القرآن أربع روايات لهم في تفسير الآية السابقة بالمعنى المذكور[٦]، وقد جاء في سبب نزولها عندهم: إن الله عز وجل حيث أوحى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقيم عليًّا للناس علمًا اندس إليه معاذ بن جبل فقال: أشرك في ولايته الأول والثاني (يعنون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما)، حتى يسكن الناس إلى قولك ويصدقوك فلما أنزل الله عز وجل ﴿**يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**﴾ [المائدة: ٦٧] شكا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جبرائيل فقال: إن الناس يكذبوني ولا يقبلون مني، فأنزل الله عز وجل ﴿**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [الزمر: ٦٥] وحتى يدرك القارئ مدى تحريفهم لآيات الله، وتآمرهم لتغيير الآية وما قبلها وما بعدها وتتبع ذلك بيان معناها؛ قال تعالى: ﴿**قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ * وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾ [الزمر: ٦٤، ٦٦].

فالآية كما هو واضح من سياقها تتعلق بتوحيد الله في عبادته، فهم غيروا

---

(١) «أصول الكافي» (١/ ٤٢٧) رقم(٧٦) . (٢) «تفسير القمي» (٢/ ٢٥١).
(٣) «البرهان» (٤/ ٨٣)، و«تفسير الصافي» (٤/ ٣٢٨).
(٤) هذا لفظ الكليني في «الكافي»، و«أصول الشيعة» (٢/ ٥١٩). (٥) «أصول الشيعة» (٢/ ٥١٩).
(٦) «البرهان» (٤/ ٨٣)، و«أصول الشيعة» (٢/ ٥١٩)

الأمر فاعتبروا الآية متعلقة بعلي، مع أنه ليس له ذكر في الآية أصلاً، فكأنهم جعلوه هو المعبر عنه بلفظ الجلالة (الله) وجعلوا (العبادة) هي الولاية.

والآية واضحة المعنى بينة الدلالة، ليس بين معناها وتأويلهم المذكور أدنى صلة[1]، قال أهل العلم في تفسيرها: إن الله سبحانه أمر نبيه أن يقول هذا للمشركين لما دعوه إلى ما هم عليه من عبادة الأصنام، وقالوا: هو دين آبائك[2]. والمعنى: قل يا محمد لمشركي قومك: أتأمرونني بعبادة غير الله أيها الجاهلون بالله، ولا تصلح العبادة لشيء سواه سبحانه. ولما كان الأمر بعبادة غير الله لا يصدر إلا عن غبي جاهل ناداهم بالوصف المقتضي ذلك فقال: ﴿أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤].

ثم بين سبحانه أنه قد أوحى إلى نبيه وإلى الرسل من قبله: لئن أشركت بالله ليبطلن عملك. وهذا في بيان خطر الشرك وشناعته، وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يباشره فكيف بمن عداه؟ ثم قال سبحانه: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾ لا تعبد ما أمرك به المشركون بل اعبد الله وحده دون كل ما سواه من الآلهة والأوثان[3].

فالمعني -كما ترى- واضح جلي، لا يلتبس إلا على صاحب هوى مغرض، قد أعماه هواه عن رؤية الحق.. فهذه الزمرة التي وضعت هذه الروايات كان جل همها، وغاية قصدها البحث عن سند لدعواهم في الإمامة في القرآن الكريم حتى ولو حرفوا آيات الله، فكانت تخبط في هذا الأمر خَبْطَ عشواء، لا تستند في الاستدلال إلى أصل في لغة أو عقل فضلاً عن الشرع والدين، كما يظهر في النص الإساءة للنبي ﷺ بتصويره في موقف الخائف الوجل من قومه، المتردد في تنفيذ أمر ربه، حتى إنه لم يفارق هذا الموقف إلا حينما نزل عليه التهديد بإحباط عمله[4].

---

(١) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٥٢٠).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٦٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٨٤).

(٣) «تفسير الطبري» (٢٤/ ٢٤)، و«تفسير القرطبي» (١٥/ ٢٧٦ ، ٢٧٧) ، و«فتح القدير» (٤/ ٤٧٤)، و«روح المعاني» للألوسي (٢٤/ ٢٣، ٢٤).

(٤) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٥٢٢).

٢ - الولاية أصل قبول الأعمال عندهم:

قالوا: إن الله عز وجل نصب عليًّا علمًا بينه وبين خلقه فمن عرفه كان مؤمنًا، ومن أنكره كان كافرًا، ومن جهله كان ضالاً، ومن نصب معه شيئًا كان مشركًا، ومن جاء بولايته دخل الجنة[١]، وقالوا: فإن من أقر بولايتنا ثم مات عليها قبلت منه صلاته، وصومه، وزكاته، وحجه، وإن لم يقر بولايتنا بين يدي الله جل جلاله لم يقبل الله عز وجل شيئًا من أعماله[٢]، وزعموا أن جبرائيل عليه السلام نزل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا محمد، السلام يقرئك السلام ويقول: خلقت السموات السبع وما فيهن، والأرضين السبع وما عليهن، وما خلقت موضعًا أعظم من الركن والمقام، ولو أن عبدًا دعاني هناك منذ خلقت السموات والأرضين، ثم لقيني جاحدًا لولاية علي لأكببته في سقر[٣]، والروايات في هذا المعنى كثيرة وكلها باطلة لا يصح منها شيء، وكل هذه الروايات ليست في الإسلام في شيء، فأمامنا كتاب الله سبحانه ليس فيه مما يدعون شيء، وهو الفيصل الأول، والمرجع الأول في كل خلاف، فالقرآن الكريم ذكر أن أصل قبول الأعمال هو التوحيد، وسبب الحرمان هو الشرك، قال تعالى: ﴿**إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ**﴾ [المائدة: ٧٢] وقال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦] وكل ما ذكر من مبالغات الشيعة تكذبها آيات القرآن، فالله سبحانه يقول: ﴿**مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ**﴾ [البقرة: ٦٢]. ولم يذكر سبحانه من ضمن ذلك الولاية، وكذلك قال سبحانه: ﴿**مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [المائدة: ٦٩]، وهم يزعمون أن ولاية الاثني عشر أعظم من الصلاة وسائر أركان الإسلام، والصلاة ذكرت في القرآن بلفظ صريح واضح في أكثر من ثمانين موضعًا، ولم تذكر ولايتهم مرة واحدة، فهل أراد جل شأنه إضلال عباده، أو لم يبين لهم طريق

(١) «أصول الكافي» (١/ ٤٣٧). (٢) «أمالي الصدوق» ص(١٥٤ ـ ١٥٥) .
(٣) «أمالي الصدوق» ص(٢٩٠)، و« بحار الأنوار» (٢٧/ ١٦٧).

الوصول إليه سبحانه!! هذا بهتان عظيم: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥].

وقد جاء في رواياتهم ما ينقض ما قالوه، وإن كانت لا تلبث تأويلاتهم، أو تقيتهم من وأد مثل هذه النصوص المعتدلة، ولكن نذكر ذلك لعل عاقلاً يتعظ أو غافلاً ينتبه، أو نائمًا يستيقظ؛ ولإقامة الحجة على المعاند من كُتُبِه، وبيان ما عليه نصوصهم من تناقض.. جاء في تفسير فرات: قال علي بن أبي طالب: سمعت رسول الله ﷺ يقول لما نزلت: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] قال جبرائيل: يا محمد، إن لكل دين أصلاً ودعامة، وفرعًا وبنيانًا، وإن أصل الدين ودعامته قول: لا إله إلا الله، وإن فرعه وبنيانه محبتكم أهل البيت وموالاتكم فيما وافق الحق ودعا إليه[1].

فهذا النص يخالف ما تذهب إليه أخبارهم، حين يجعل أصل الدين شهادة التوحيد، لا الولاية، ويعد محبة أهل البيت هي الفرع، وهي مشروطة بمن وافق الحق منهم ودعا إليه[2].

٣ - اعتقادهم أن الأئمة هم الواسطة بين الله وخلقه:

يقول الشيعة الإمامية: إن الأئمة الاثني عشرية هم الواسطة بين الله وخلقه، قال المجلسي عن أئمته: فإنهم حجب الرب والوسائط بينه وبين الخلق[3]، وعقد لذلك بابًا بعنوان: باب أن الناس لا يهتدون إلا بهم، وأنهم الوسائل بين الخلق وبين الله، وأنه لا يدخل الجنة إلا من عرفهم[4]، وجاء في كتاب «عقائد الإمامية» أن الأئمة الاثني عشر، هم أبواب الله والسبل إليه... إنهم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق[5]، ومن المسائل الموجودة في كتبهم ومصادرهم والتي هي تصب في هذه المعاني:

(١) «تفسير فرات» ص(١٤٨، ١٤٩)، و«بحار الأنوار» (٢٣/٢٤٧).

(٢) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٥٣٥). (٣، ٤) «بحار الأنوار» (٢٣/٩٧).

(٥) «عقائد الإمامية» للمظفر ص(٩٨، ٩٩).

١ - قولهم: لا هداية للناس إلا بالأئمة:

قال أبو عبد الله ـ على حد زعمهم ـ: بلية الناس عظيمة، إن دعوناهم لم يجيبونا، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا[١]، وتقول أخبارهم: قال أبو جعفر: بنا عُبِد الله، وبنا عرف الله، وبنا وحد الله[٢]، فهذه النصوص لا تنفي الهداية عن الأمة، ولكن تجعل مصدرها الأئمة، والحق أن الهداية بمعنى التوفيق إلى الحق وقبوله، لا يملكها إلا رب العباد، ومقلب القلوب والأبصار والذي يحول بين المرء وقلبه، والذي إذا قال للشيء كن فيكون.. والشيعة في إطلاقها هذه العبارات بلا أي قيد، تجعل لأئمتها مشاركة لله في هذه الهداية، والله سبحانه هو الهادي وحده لا شريك له[٣]، قال تعالى: ﴿**مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا**﴾ [الكهف: ١٧] ويقول لنبيه: ﴿**إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ**﴾ [القصص: ٥٦]، أما هداية الدلالة على الحق والإرشاد إليه، فهذه وظيفة الرسل ومن تبعهم بإحسان، ولا تنحصر في الاثني عشر. ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾ [يوسف: ١٠٨]، وإطلاق القول بأن هداية العباد لا تتم إلا بالأئمة جرأة على الله[٤].

٢ - قولهم: لا يقبل الدعاء إلا بأسماء الأئمة:

قالوا: لا يفلح من دعا بغير الأئمة، ومن فعل ذلك فقد هلك، جاء في أخبارهم عن الأئمة: من دعا الله بنا أفلح، ومن دعا بغيرنا هلك واستهلك[٥]، وبلغت جرأتهم في هذا الباب أن قالوا: إن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل والاستشفاع بهم صلوات الله عليهم أجمعين[٦].

هذا ما تقوله الشيعة الرافضة وتفتريه، ولكن الله يقول: ﴿**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ولم يقل سبحانه: فادعوه بأسماء الأئمة

---

(١) «أمالي الصدوق» ص (٣٦٣)، و«أصول الشيعة» (٢/ ٥٣٩).

(٢) «بحار الأنوار» (٢٣/ ١٠٣).

(٣، ٤) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٥٤٠).

(٥) «وسائل الشيعة» (٤/ ١١٤٢)، و«أصول الشيعة» (٢/ ٥٤١).

(٦) وهذا أحد أبواب «بحار الأنوار» (٢٦/ ٣١٩).

ومقامات الأئمة أو مشاهدهم. كما قال جل شأنه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، ولو كان أساس قبول الدعاء ذكر أسماء الأئمة؛ لقال: ادعوني بأسماء الأئمة أستجب لكم، بل إن هذا الأمر الذي تدعيه الشيعة وتفتريه من أسباب رد الدعاء وعدم قبوله؛ لأن الإخلاص في الدعاء لله أصل في الإجابة والقبول. قال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٤] ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩] وهؤلاء الأئمة من سائر البشر ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

ولم يجعل الله عز وجل بينه وبين خلقه في عبادته ودعائه وليًّا صالحًا ولا ملكًا مقربًا، ولا نبيًّا مرسلاً، بل الجميع عباد الله ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا للهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢] ، ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣].

وأما دعوى أن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل بالأئمة فهي دعوى باطلة، إنما الأنبياء دعوا الله عز وجل باسمه سبحانه وبوحدانيته جل شأنه، وأيوب عليه السلام توسل بأسماء الله الحسنى، قال الله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤] وأما يونس عليه السلام فتوسل لله بوحدانيته، قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

والكلمات التي قالها آدم عليه السلام وزوجه، هي كما قال الله سبحانه: ﴿قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وهذه المقالة من الشيعة معلوم فسادها من الدين بالضرورة، وقد نقلت كتب الشيعة نفسها ما يناقض هذه الدعوى عن الأئمة في مناجاتهم لله ودعائهم له،

وما من إمام إلا قد رووا عنه الكثير من الدعاء ومناجاته، وقد أتى على أكثره المجلسي في بحاره[١].

٣- قولهم: إن الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى بيت الله:

قولهم :إن الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى بيت الله، قال ابن تيمية : حدثني الثقات أن فيهم من يرى الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى البيت العتيق، فيرون الإشراك بالله أعظم من عبادة الله وحده، وهذا من أعظم الإيمان بالطاغوت[٢]، وجاء في الكافي وغيره: إن زيارة قبر الحسين تعدل عشرين حجة، وأفضل من عشرين عمرة وحجة[٣]، وخصت الروايات الشيعية الموضوعة زيارة الحسين يوم عرفة بفضل خاص، تقول :من أتى قبر الحسين عارفًا بحقه في غير يوم عيد، كتب الله له عشرين حجة وعشرين عمرة مبرورات مقبولات . . ومن أتاه في يوم عيد كتب الله له مائة حجة ومائة عمرة، ومن أتاه يوم عرفة عارفًا بحقه، كتب الله له ألف حجة وألف عمرة مبرورات متقبلات، وألف غزوة مع نبي مرسل أو إمام عادل[٤]، وليست زيارة قبر الحسين عند هؤلاء أفضل من الحج فحسب، بل هي أفضل الأعمال ،جاء في رواياتهم: إن زيارة قبر الحسين أفضل ما يكون من الأعمال[٥]،وفي رواية أخرى :من أحب الأعمال زيارة قبر الحسين[٦].

وهكذا تنسى شرائع الإسلام وأوامره، ويهتم بالقبور والأضرحة، ويجعلونها من أفضل الأعمال، بلا دليل إلا ما صنعته أوهامهم وأوحاه لهم شياطينهم؛ ليشرعوا من الدين ما لم يشرعه الله[٧].

وقد جعل هؤلاء القوم زيارة الأضرحة فريضة من فرائض مذهبهم، ووضعوا لها مناسك كمناسك الحج إلى بيت الله الحرام، قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وقد

---

(١) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٥٤٥). (٢) «منهاج السنة» (٢/ ١٢٤).
(٣) «ثواب الأعمال»، ابن بابويه ص(٥٢)، و«تهذيب الأحكام» للطوسي (٢/ ١٦).
(٤) «فروع الكافي» (١/ ٣٢٤) للكليني، و«من لا يحضره الفقيه» لابن بابويه (١/ ١٨٢).
(٥) «كامل الزيارات» ص (١٤٦)، و«أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٥٦١).
(٦، ٧) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٥٦١).

صنف شيخهم ابن النعمان المعروف عندهم بالمفيد كتابًا سماه «مناسك المشاهد»، جعل قبور المخلوقين تحج كما تحج الكعبة البيت الحرام الذي جعله الله قيامًا للناس، وهو أول بيت وضع للناس، فلا يطاف إلا به ولا يصلى إلا إليه ولم يأمر إلا بحجه[١]، ومن رجع إلى مصادر الشيعة الرافضة التي تتحدث عن المشاهد يرى العجب العجاب، والانحراف عن كتاب الله وهدي الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن أراد التوسع فلينظر في كتاب «أصول مذهب الشيعة الإمامية»[٢].

إن للمسلمين كعبة واحدة يتجهون إليها في صلاتهم ودعائهم، ويحجون إليها، ويطوفون بها، أما الشيعة فلهم مزارات ومشاهد عبارة عن أضرحة الموتى من الأئمة[٣]، وهذا كله مما نهى الله عنه ورسوله، وكل ما نهى الله عنه ورسوله فهو مذموم منهي عنه سواء كان فاعله منتسبًا إلى السنة أو إلى التشيع، وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر بما ذكروه من أمر المشاهد، ولا شرع لأمته مناسك عند قبور الأنبياء والصالحين، بل هذا من دين المشركين الذي قال الله تعالى فيهم: ﴿**وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا**﴾ [نوح، الآية:٢٣].

قال ابن عباس وغيره:هؤلاء... أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت[٤]، وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأبي الهياج الأسدي:ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ألاَّ تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته[٥]، وهذا المعنى أقرت به بعض روايات

---

(١) «منهاج السنة» (١/ ١٧٥)، و«مجموع الفتاوى» (١٧/ ٤٩٨).

(٢) «أصول مذهب الشيعة الإمامية» (٢/ ٥٥٠ - ٥٨٦).

(٣) المصدر نفسه (٢/ ٥٨٠).

(٤) «البخاري»، فتح الباري (٨/ ٦٦٧) موقوف على ابن عباس من حكم المرفوع قاله الألباني في «شرح العقيدة الطحاوية» ص (٨٠).

(٥) «مسلم»، كتاب الجنائز رقم(٩٦٩).

الشيعة، فقد روى الكليني عن أبي عبد الله، قال أمير المؤمنين: بعثني رسول الله ﷺ إلى المدينة فقال: لا تدع صورة إلا محوتها ولا قبرًا إلا سويته[١]، وعن أبي عبد الله قال: نهى رسول الله ﷺ أن يصلى على قبر أو يقعد عليه أو يبنى عليه[٢]، وعن أبي عبد الله قال: لا تبنوا على القبور.. فإن رسول الله ﷺ كره ذلك[٣]، وعنه أيضًا عن آبائه عن رسول الله ﷺ نهى أن تجصص المقابر[٤].

وقد زعم الحر العاملي أن هذا النهي يشمل كل قبر غير قبر النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام وأن هذا النهي لمجرد الكراهة[٥]. وصيغة العموم واضحة في هذه الروايات. كما أن دلالة التحريم بينة، ولا دليل عند العاملي سوى ما شذت به طائفته في واقعها وفي جملة من رواياتها، والشذوذ دليل على البطلان؛ لمخالفته لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة بما فيهم أهل البيت الذين أثر عنهم التحذير من ذلك؛ لأن ذلك وسيلة للشرك بالله، ثم إن الحكمة التي ورد من أجلها النهى لا تفرق بين قبر وقبر، وقد يكون الخطر في قبور الأئمة أشد لعظيم الافتتان بهم، ولهذا كان أصل الشرك هو الغلو في الصالحين[٦].

٤ - قولهم: إن الإمام يحرم ما يشاء ويحل ما يشاء:

تزعم الشيعة الإمامية في رواياتها أن الله سبحانه وتعالى خلق محمدًا وعليًّا وفاطمة، فمكثوا ألف دهر ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها، وأجرى طاعتهم عليها وفوض أمورهم إليها، فهم يحلون ما يشاءون ويحرمون ما يشاءون[٧]، وشرح شيخهم المجلسي النص السابق فقال: وأجرى طاعتهم عليها، أي أوجب وألزم على جميع الأشياء طاعتهم حتى الجمادات من السماويات

(١) «فروع الكافي» (٢/ ٢٢٧)، و«وسائل الشيعة» (٢/ ٨٦٩).
(٢) «تهذيب الأحكام» للطوسي (١/ ١٣٠)، و«وسائل الشيعة» (٢/ ٨٦٩).
(٣) «تهذيب الأحكام»(١/ ٣٠)، و«المحاسن» للبرقي ص(٦١٢) .
(٤) «من لا يحضره الفقيه» (٢/ ١٩٤) لابن بابويه، و«وسائل الشيعة» (٢/ ٨٧٠).
(٥) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٥٨٤).
(٦) «تيسير العزيز الحميد لشرح كتاب التوحيد» ص(٣٠٥) .
(٧) «أصول الكافي»(١/ ٤٤١) ، و«بحار الأنوار» (٢٥/ ٣٤٠).

والأرضيات، كشق القمر وإقبال الشجر وتسبيح الحصى وأمثالها مما لا يحصى، وفوض أمورها إليهم من التحليل والتحريم والعطاء والمنع[١]... إلخ وجاءت الرواية عندهم صريحة بهذا فيما ذكره المفيد في «الاختصاص»، والمجلسي في «البحار» وغيرهما عن أبي جعفر قال: من أحللنا له شيئًا أصابه من أعمال الظالمين[٢] فهو حلال؛ لأن الأئمة منا مفوض إليهم، فما أحلوا فهو حلال، وما حرموا فهو حرام[٣]. ومن المعلوم في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أن من أصول التوحيد الإيمان بأن الله سبحانه، هو المشرع وحده سبحانه يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء، لا شريك له في ذلك، ورسل الله يبلغون شرع الله لعباده، ومن ادعى أن له إمامًا يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء، فهو داخل في قوله سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

إن حق التشريع لا يملكه إلا رب العباد، والرسل عليهم الصلاة والسلام إنما هم مبلغون عن الله سبحانه لا يحرمون ولا يحلون إلا ما يأمرهم الله به، ويوحيه إليهم قد قال الله جل شأنه فيمن اتبع مشايخه فيما يحلون ويحرمون من دون شرع الله وحكمه قال سبحانه: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] فجعل سبحانه اتباعهم فيما يحلون من الحرام ويحرمون من الحلال كما جاء في تفسير الآية[٤] عبادة لهم؛ حيث تلقوا الحلال والحرام من جهتهم وهو أمر لا يتلقى إلا من جهة الله عز وجل[٥].

٥ - قولهم: بأن الدنيا والآخرة كلها للإمام يتصرف بها كيف يشاء:

عقد صاحب «الكافي» لهذا بابًا بعنوان: باب أن الأرض كلها للإمام[٦]، ومما جاء

---

(١) «بحار الأنوار» (٢٥/ ٣٤١، ٣٤٢).

(٢) الظالمون في معتقدهم هم خلفاء الدولة الإسلامية، ما عدا أمير المؤمنين عليًا وابنه الحسين رضي الله عنهما؛ لأن بقية أئمتهم لم يتولوا الخلافة ولا يومًا واحدًا، وكل خليفة من غيرهم هو ظالم وغاصب لحق الأئمة على حد زعمهم.

(٣) «الاختصاص» ص(٣٣٠)، و«بحار الأنوار» (٢٥/ ٣٣٤).

(٤) «تفسير الطبري» (١/ ١١٣، ١١٤)، و«تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٧٣، ٣٧٤).

(٥) «تفسير ابن عطية» (٨/ ١٦٦).

(٦) «أصول الكافي» (١/ ٤٠٧ - ٤١٠)

فيه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أما علمت أن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء جائز له ذلك من الله[1].

فهذا النص شرك في ربوبية الله سبحانه؛ لأن الله جل شأنه يقول: ﴿**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ [البقرة: ١٠٧] ويقول سبحانه: ﴿**وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**﴾ [المائدة: ١٨] ويقول جل شأنه: ﴿**لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ**﴾ [المائدة: ١٢٠] وقال: ﴿**الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ**﴾ [الفرقان: ٢]، وقال سبحانه: ﴿**فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَى**﴾ [النجم: ٢٥]، كما قال سبحانه ﴿**قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللهُ**﴾ [سبأ: ٢٤] وقال سبحانه: ﴿**هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**﴾ [فاطر: ٣] وقال: ﴿**فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ**﴾ [العنكبوت: ١٧] فهو سبحانه قد تفرد بالملك والرزق والتدبير لا شريك له في ذلك[2].

٦- إسناد الحوادث الكونية إلى الأئمة:

عن سماعة بن مهران قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام، فأرعدت السماء وأبرقت، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أما إنه ما كان من هذا الرعد ومن هذا البرق فإنه من أمر صاحبكم، قلت: من صاحبنا؟ قال: أمير المؤمنين عليه السلام[3].

يعني كل ما وقع من رعد وبرق فهو من أمر علي ﷺ، لا من أمر الواحد القهار، فماذا يستنبط المسلم المنصف من هذه الرواية؟ والله جل شأنه يقول: ﴿**هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ**﴾ [الرعد: ١٢] أليست هذه هي السبئية قد أطلت برأسها المشوه من خلال كتب الاثني عشرية؟ أليس هذا ادعاء لربوبية علي ﷺ، أو أن له شركًا في الربوبية؟ كيف يتجرأ قلم المجلسي

(١) «أصول الكافي» (١/ ٤٠٩).
(٢) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٦٢٢).
(٣) «الاختصاص» للمفيد ص(٣٢٧)، و«بحار الأنوار» (٢٧/ ٣٣).

ومن قبله المفيد على كتابة هذه الأسطورة ونسبتها إلى جعفر؟ فإن هذا الإيحاء لا يخفى على أمثالهم، ولا يؤمن بهذا ويدعو إليه إلا كل زنديق وملحد، والعجب من قوم يستقون دينهم من كتب حوت هذا الغثاء، ويعظمون شيوخًا يجاهرون بهذا البلاء، أليس في هذه الطائفة من صاحب عقل ودين يعلن الصيحة والنكير على هذا الضلال المنتشر والكفر المبين ويبرئ أهل البيت الأطهار من هذا الدرن القاتل، وينقي ثوب التشيع مما لطخه به شيوخ الدولة الصفوية من كفر وضلال!! أم أن كل صوت صادق إما أن يعاجل بالقتل كما فعلوا مع الكسروي، أو يحمل قوله على التقية كما صنعوا في الكثير من رواياتهم، وطائفة من أقوال شيوخهم، فهل وصل هذا المذهب في سبيل دعوته إلى نور الحق أم إلى طريق مسدود[١]؟!!

٧- الجزء الإلهي الذي حل في الأئمة:

وترد روايات عند الشيعة الإمامية تدعي بأن جزءًا من النور الإلهي حل بعلي[٢]، قال أبو عبد الله: ثم مسحنا بيمينه فأفضى نوره فينا[٣]، ولكن الله خلطنا بنفسه[٤]. وهذا الجزء الإلهي الذي في الأئمة ـ كما يزعمون ـ أعطوا به قدرات مطلقة، ولذلك فإن من يقرأ ما يسمونه معجزات الأئمة ـ وتبلغ مئات الروايات ـ يلاحظ أن الأئمة أصبحوا كرب العالمين ـ تعالى وتقدس عما يقولون ـ في الإحياء والإماتة والخلق والرزق[٥]، إلا أن رواياتهم تربط هذا بأنه من الله كنوع من التلبيس والإيهام، ويكفي في فساده مجرد تصوره؛ إذ هو مخالف للنقل والعقل والسنن الكونية، كما هو منقوض بواقع الأئمة وإقراراتهم؛ حيث يزعم الشيعة أن الأئمة عاشوا مظلومين ومضطهدين، ورسول الهدى صلى الله عليه وسلم يقول ـ كما أمره ربه ـ : **﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾** [الأعراف:١٨٨]. ومن الطريف أن كتب الشيعة مع تعظيم الأئمة والغلو فيهم تروي

(١) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٦٢٤).
(٢) المصدر نفسه (٢/ ٦٢٨).
(٣) «أصول الكافي» (١/ ٤٤٠).
(٤) «أصول الكافي» (١/ ٤٣٥).
(٥) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٦٢٨).

ما يخالف هذا؛ لتثبت تناقضها فيما تقول، كالعادة في كل كذب وباطل، فقد جاء في «رجال الكشي» أن جعفر بن محمد قال: فوالله ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا، ما نقدر على ضر ولا نفع، وإن رحمنا فبرحمته، وإن عذبنا فبذنوبنا، والله ما لنا على الله حجة، ولا معنا من الله براءة، وإنا لميتون ومقبورون، ومنشورون، ومبعوثون، وموقوفون، ومسؤولون، وَيْلَهُمْ، ما لهم لعنهم الله فقد آذوا الله وآذوا رسوله ﷺ في قبره، وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسن ومحمد بن علي رضوان الله عليهم... أشهدكم أني امرؤ ولدني رسول الله ﷺ وما معي براءة من الله، إن أطعته رحمني وإن عصيته عذبني عذابًا شديدًا[١]، ولكن شيوخ الشيعة يعدون مثل هذه الإقرارات من باب التقية، فأضلوا قومهم سواء السبيل، وأصبح مذهب الشيعة مذهب الشيوخ لا مذهب الأئمة[٢].

٨- قولهم:إن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء:

عقد لذلك صاحب الكافي بابًا بعنوان: (باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء)[٣]. وضَمَّنَهُ طائفة من رواياتهم. وعقد بابًا آخر بعنوان: (باب أن الأئمة إذا شاؤوا أن يعلموا علموا)[٤]، وذكر فيه جملة من أحاديثهم، ومن روايات هذه الأبواب[٥]. قال أبو عبد الله ـ كما يكذبون ـ: إني لأعلم ما في السموات وما في الأرض وأعلم ما في الجنّة وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون[٦]. وعن سيف التمار قال: كنا مع أبي عبد الله رضي الله عنه جماعة من الشيعة في الحجر فقال: علينا عين، فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحدًا، فقلنا: ليس علينا عين. فقال: ورب الكعبة ورب البنية ـ ثلاث مرات ـ لو كنت بين موسى والخضر؛ لأخبرتهما أني أعلم منهما، ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما؛ لأن موسى والخضر عليهما السلام أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما

(١) «رجال الكشي» ص (٢٢٥، ٢٢٦).
(٢) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٦٣٠).
(٣) «أصول الكافي» (١/ ٢٦٠ ـ ٢٦٢).
(٤) المصدر السابق (١/ ٢٥٨).
(٥) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٦٧٩).
(٦) «أصول الكافي» (١/ ٢٦١).

يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة، وقد ورثناه من رسول الله ﷺ وآله وراثة[١].

فهذا نموذج من غلو الشيعة الرافضة وهذا بعض ما عندهم، فالغلو أساس مذهبهم وأصله، وقد نهى الله عز وجل وحذر من الغلو؛ لما فيه من منافاة التوحيد وأصل الشرك قديمًا وحديثًا قال تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ**﴾ [المائدة: ٧٧].

قال ابن كثير في تفسيره عند هذه الآية: أي لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق ولا تطروا من أمرتهم بتعظيمه، فتبالغوا فيه حتى تخرجوه من حيز النبوة إلى مقام الإلهية كما فعلتم في المسيح وهو نبي من الأنبياء فجعلتموه إلهًا من دون الله، وما هذا إلا لاقتدائكم بشيوخكم شيوخ الضلال الذين هم سلفكم ممن ضل قديمًا ﴿**وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ**﴾ [المائدة: ٧٧] أي خرجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال إلى طريق الغواية والضلال[٢]، وقال تعالى: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ**﴾ [النساء: ١٧١] فالله عز وجل في هاتين الآيتين ينهى عن الغلو والإطراء وتجاوز الحد، وفيه رد صريح على الشيعة الرافضة وكل من سلك هذا المسلك تجاه من يعظمهم، وقد أمر الله عز وجل نبيه محمدًا ﷺ أن يبين للناس، أنه لا يملك لنفسه شيئًا وأن النفع والضر بيد الله وأن علم الغيب لا يعلمه إلا الله، قال تعالى: ﴿**قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ**﴾ [الأنعام: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿**قُل لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأعراف: ١٨٨] فالله عز وجل أمره أن يفوض الأمور إليه وأن يخبره عن نفسه أنه لا يعلم غيب المستقبل ولا اطلاع له على شيء من ذلك[٣]. كل ذلك سدًّا للطرق الموصلة إلى الغلو فيه ﷺ، وتحذيرًا لأمته أن يغلوا فيه كما غلت اليهود

---

(١) «أصول الكافي» (١/ ٢٦٠، ٢٦١).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير(٢/ ٨٥).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٣٧٣).

والنصارى في أنبيائهم، فإذا كان هذا في حق سيد الخلق، وأعظمهم منزلة عند الله فغيره من باب أولى، وبهذا يظهر بطلان دعوى الرافضة في الأئمة وزعمهم أنهم يعلمون الغيب ويعلمون ما كان وما سيكون، وجعلهم شركاء لله في الخلق والإحياء وفي الأسماء والصفات، وكيف يستقيم لهم ذلك مع قوله تعالى أيضًا في أكثر من آية في كتابه العزيز. قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤].

وقال تعالى ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩]. وقال تعالى: ﴿اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ [الرعد: ٨] وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [الحج: ٦] وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩] وقوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٩]. وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]. وغير ذلك من الآيات الواردة في هذا الباب والتي تثبت تفرده جل وعلا بعلم الغيب والتصرف بالكون، فمن نسب شيئًا من ذلك إلى أحد من المخلوقين، فقد نازع الله في ربوبيته وألوهيته وهوى في الشرك، فأنى له الإسلام مع ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] وقال: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢] وذلك أن الله عز وجل خلق الخلق لعبادته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] أي ليوحدوه، فأرسل الرسل وأنزل الكتب من أجل إفراده بالعبادة قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] والغلو ينافي تحقيق العبادة(١).

وكما حذر الله عز وجل من الغلو بكل مظاهره وصوره، فقد حذر النبي ﷺ أيضًا؛ حماية لتوحيد الله وسدًّا لكل ذريعة تكون سببًا في نقص توحيده؛

---

(١) «العقيدة في أهل البيت» ص(٣٩٨).

لأن الغلو مطية الشرك ووسيلته وما دب في أمة إلا أهلكها، فقال ﷺ محذرًا أمته من هذا الداء: «**إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»[(١)]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر، سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله**»[(٢)]، فالنبي ﷺ يحذر أمته من الغلو ومجاوزة الحد في مدحه، كما فعلت النصارى في عيسى عليه السلام، ويأمر ﷺ أن يوصف بصفة العبودية والتي قد وصفه الله بها في الإسراء فقال: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً**﴾ [الإسراء: ١]، كما وصفه بذلك في مقام الدعوة إليه فقال: ﴿**وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا**﴾ [الجن: ١٩]. وكذلك وصفه عند إنزال الكتاب عليه ونزول الملك إليه فقال: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ**﴾ [الفرقان: ١] فتلك ثلاثة مقامات من أشرف المقامات، وصفه ومدحه ربه جل وعلا فيها بصفة العبودية له، فأين الشيعة الرافضة من تلك الآيات والأحاديث الواردة في النهي عن الغلو والتحذير منه، الداعية إلى تحقيق العبودية؟!

إن الناظر إلى أقوال أمير المؤمنين علي وأبنائه رضي الله عنهم يجد فيها الرد البليغ على هذا الغلو والإفراط، وبراءتهم من أقوال الشيعة الرافضة وكل من غالى فيهم، كما تبين كذب تلك الروايات المنسوبة إليهم وضلالها[(٣)]، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي الطفيل عامر بن واثلة رضي الله عنه قال: كنت عند علي ابن أبي طالب فأتاه رجل فقال: ما كان النبي ﷺ يسر إليك؟ قال: فغضب، وقال: ما كان النبي ﷺ يسر إليّ شيئًا يكتمه للناس، غير أنه قد حدثني بكلمات أربع، فقال: ما هن يا أمير المؤمنين، قال: «**لعن الله من لعن والده، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثًا، ولعن الله من غير منار الأرض**». وفي رواية: أخصكم رسول الله ﷺ؟ فقال: ما خصنا رسول الله بشيء[(٤)].

---

(١) «صحيح سنن ابن ماجه» (٢/ ١٧٧) صحح الألباني.
(٢) «البخاري»، كتاب أحاديث الأنبياء رقم (٣٤٤٥).
(٣) «العقيدة في أهل البيت» ص(٣٩٩).
(٤) «مسلم»، كتاب الأضاحي رقم (١٩٧٨).

وفي رواية عند الإمام أحمد: . . ما عهد إليّ رسول الله ﷺ شيئًا خاصة دون الناس[١]، وروى البخاري في صحيحه عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: قلت لعلي: هل عندكم كتاب؟ قال: لا، إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة قال: قلت: فما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، ولا يُقتل مسلم بكافر[٢]. وفي رواية: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما أعلمه إلا فهمًا يعطيه الله[٣].

قال ابن حجر: وإنما سأله أبو جحيفة عن ذلك؛ لأن جماعة من الشيعة كانوا يزعمون أن عند أهل البيت ـ لا سيما عليًّا ـ أشياء من الوحي خصهم النبي ﷺ بها لم يطلع غيرهم عليها[٤].

وقال ابن تيمية عقب إيراده لهذا الحديث: والكتب المنسوبة إلى علي رضي الله عنه، أو غيره من أهل البيت في الإخبار بالمستقبلات كلها كذب مثل: كتاب الجفر والبطاقة وغير ذلك، وكذلك ما يضاف إليه من أنه عنده علم من النبي ﷺ خصه به دون غيره من الصحابة، وكذلك ما ينقل عن غير علي رضي الله عنه من الصحابة، أن النبي ﷺ خصه بشيء من علم الدين الباطن كل ذلك باطل[٥]، ومما يبين بطلان ذلك: ما روى ابن سعد عن علي ابن الحسين زين العابدين أنه قال: عن سعيد بن جبير رحمهما الله: ذلك رجل كان يمر بنا فنسأله عن الفرائض وأشياء مما ينفعنا الله بها؛ إنه ليس عندنا ما يرمينا به هؤلاء وأشار بيده إلى العراق[٦]، وجاء عن محمد بن الحنفية محذرًا الشيعة الرافضة مما تنسبه إليهم من علم خصهم به رسول الله ﷺ حيث قال: إنا والله ما ورثنا من رسول الله ﷺ إلا ما بين اللوحين[٧]، وقد تواتر عن آل البيت أنهم كانوا يقولون لشيعتهم: أيها الناس أحبونا حب الإسلام، فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عارًا[٨]، وزيادة على ذلك فقد

(١) «المسند» (١/ ١١٩).
(٢) «البخاري»، كتاب العلم رقم (١١١).
(٣) «البخاري»، كتاب الجهاد رقم (٣٠٤٧).
(٤) فتح الباري (١/ ٢٠٤).
(٥) «منهاج السنة» (٨/ ١٣٦).
(٦) «الطبقات الكبرى» (٥/ ٢١٦).
(٧) المصدر السابق (٥/ ١٠٥).
(٨) «البداية والنهاية» (٩/ ١١٠).

جاء في كتب الشيعة الرافضة، التحذير من الغلو وبراءة آل البيت من ذلك، فقد روى المجلسي بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: إياكم والغلو فينا قولوا إنا عبيد مربوبون[١]، وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: اللهم إني بريء من الغلاة كبراءة عيسى بن مريم من النصارى، اللهم اخذلهم أبدًا ولا تنصر منهم أحدًا[٢].

وروى الكليني بسنده عن سديد قال: كنت أنا وأبو بصير ويحيى البزار وداود ابن كثير في مجلس أبي عبد الله؛ إذ خرج إلينا وهو مغضب، فلما أخذ في مجلسه قال: يا عجبًا لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلا الله عز وجل، لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فهربت مني فما علمت في أي بيوت الدار هي[٣]، وروى الكشي عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام إنهم يقولون. قال: وما يقولون؟ قلت: يقولون تعلم قطر المطر وعدد النجوم وورق الشجر ووزن ما في البحر، وعدد التراب فرفع يده إلى السماء وقال: سبحان الله سبحان الله، لا والله ما يعلم هذا إلا الله[٤]، فهذه أقوال أئمة آل البيت الطيبين الطاهرين، كما صرحت بذلك كتب الشيعة الرافضة، وهم براء مما ترميهم به الشيعة الرافضة؛ إذ الرافضة من أكذب خلق الله، فالنفاق دينهم والكذب ديدنهم، ولذلك قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: إنهم من أكذب الناس في النقليات ومن أجهل الناس في العقليات[٥].

إن روايات الشيعة تكشف نفسها بنفسها وتتناقض نصوصها، وقول الأئمة إنهم مصدر الرزق وإنزال الغيث.. إلخ، والذي يرويه شيوخ الاثني عشرية هو من مخلفات غلاة الشيعة، والذين أنكر الأئمة مذهبهم، فقد جاء عن أخبارهم أن أبا عبد الله قال حينما قيل له: إن المفضل بن عمر يقول: إنكم تقدرون أرزاق العباد. فقال: والله ما يقدر أرزاقنا إلا الله ولقد احتجت إلى الطعام لعيالي فضاق

---

(١) «بحار الأنوار» (٢٥/ ٢٧٠).
(٢) المصدر السابق (٢٥/ ٢٨٤).
(٣) «أصول الكافي» (١/ ٢٥٧).
(٤) «رجال الكشي» ص(١٩٣)، و«العقيدة في أهل البيت» ص(٤٠٢).
(٥) «منهاج السنة» (١/ ٣).

صـدري، وأبلغت إليّ الفكرة في ذلك حتى أحـرزت قـوتهم، فـعندها طابت نفسي، لعنه الله وبرئ منه[1].

ولكن هذه الروايات هي كالشعرة البيضاء في الثـور الأسود، وفي التقية متسع لكل نص تضيق به نفوس شيوخ الشيعـة، وإليك مثالاً على ذلك فانظر ما يقوله شارح «الكافي» تعقيبًا على قول أبي عبد الله الذي نقـلناه آنـفًا، والذي يتـعـجب فيه أبو عبد الله من قوم نسبوا له العلم بالغيب، ويذكر للرد عليهم بأن جاريته قد اختلفت في داره فلم يدر أين هي، فكيف يقال عنه إنـه يعلم ما كان وما يكون؟ قـال شارح «الكافي»: . . . الغـرض من هذا التـعجب وإظهـاره هو ألا يتخـذه الجهال إلهًـا، أو يدفع عن وهم بعض الحاضرين المنكر لفضله ما نسـبوه إليه من العلم بالغيب حفظًا لنـفسه، وإلا فهو ﷺ كان عـالمًا بما كان وما يكون، فكيف يخـفى عليه مكان الجـارية؟ فإن قلـت: إخبـاره بذلك على هذا يوجب الكذب، قلت: إنما يوجب الكذب لو لم يقصد التورية وقد قصدها، فإن المعنى: ما علمت به علمًا غير مستفاد منه تعالى بأنها في أي بيوت الدار[2]، انظر التكلف العجيب في رد هذه الرواية؛ لإثبـات أن الإمام يعلم مـا كان وما يكون حـتى ارتكب في سبيل ذلك نسبة الإمام إلى الكذب، وهـدم أصلاً من أصولهم وهو العصمة[3]، وأما شـيخهم الآخـر الشعراني المعلق على الشـرح فلم يعجبـه هذا التكلف في تأويل الرواية، ورام ردها بأقـصـر طريق وهو الحكم بأن الرواية كـذب، وهكذا يشيـعون عن علمـاء أهل البيت مـثل هذه الإشاعات الكاذبة، فـإذا أنكروا على هؤلاء الكذابين فـريتهم، وفضـحوا باطلهم أمـام الملأ حمل شيـوخ الشيـعة هذا التكذيب والإنكار على التـقية، فـصارت التقـية حيلة بيد غـلاة الشيعـة لإبقاء التشـيع في دائرة الغلو، ورد الحـق والإساءة لأهـل البيت[4]، وقـد ادعى زرارة ابن أعين أن جعفر بن محمـد يعلم أهل الجنة، وأهل النار، فأنكر ذلك جعفر لما

---

(١) «رجال الكشي» ص(٢٧٤)، و«أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٦٨٥).

(٢) «شرح جامع على الكافي» للمازندراني (٦/ ٣٠، ٣١).

(٣، ٤) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٦٨٦).

بلغه ذلك، وكفّر من قاله، ولكن زرارة حينما نقل له موقف جعفر، قال لمحدثه: لقد عمل معك بالتقية[١].

٩ - الغلو في الإثبات (التجسيم):

اشتهرت ضلالة التجسيم بين اليهود، ولكن أول من ابتدع ذلك بين المسلمين هم الشيعة الروافض؛ ولهذا قال الرازي: اليهود أكثرهم مشبهة، وكان بدء ظهور التشبيه في الإسلام من الروافض مثل هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي ويونس بن عبد الرحمن القمي وأبي جعفر الأحول[٢]، وكل هؤلاء الرجال المذكورين هم ممن تعدهم الاثنا عشرية في الطليعة من شيوخها، والثقات من نقلة مذهبها[٣].

وقد حدد ابن تيمية أول من تولى كبر هذه الفرية من هؤلاء، فقال: وأول من عرف في الإسلام أنه قال: إن الله جسم هو هشام بن الحكم[٤]، وقد نقل أصحاب الفرق كلمات مغرقة في التشبيه والتجسيم منسوبة إلى هشام بن الحكم وأتباعه تقشعر من سماعها جلود المؤمنين، يقول عبد القاهر البغدادي: زعم هشام ابن الحكم، أن معبوده جسم ذو حد ونهاية وأنه طويل عريض عميق وأن طوله مثل عرضه[٥]، وقد استفاض عن هشام بن الحكم ومن تبعه أمر الغلو في التجسيم في كتب الفرق وغيرها[٦]، فقد كان تشبيه الله سبحانه بخلقه في اليهود، وتسرب إلى التشيع، وأول من تولى كبره هشام بن الحكم، ثم تعدى أثره إلى آخرين، عرفوا بكتب الفرق بمذاهب ضالة غالية منسوبة إليهم[٧]، ولكن شيوخ الاثني عشرية يدافعون عن هؤلاء الضلال الذين استفاض خبر فتنتهم، واستطار شرهم، ويتكلفون تأويل كل بائقة منسوبة إليهم أو تكذيبها[٨]، وقد كان

---

(١) «ميزان الاعتدال» (٢/ ٦٩، ٧٠).

(٢) «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» ص(٩٧).

(٣) «أعيان الشيعة» (١/ ١٠٦)، و«أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٦٤١).

(٤) «منهاج السنة» (١/ ٢٠).

(٥) «الفرق بين الفرق» ص(٦٥).

(٦، ٧) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٦٤٢، ٦٤٣).

(٨) «بحار الأنوار» (٣/ ٢٩٠ ـ ٢٩٢) دفاع المجلسي عن هؤلاء.

لهشام بن الحكم وهشام ابن سالم الجواليقي بالذات دور ظاهر في اتجاه التجسيم عند الشيعة، كما تذكر ذلك مجموعة من رواياتهم[١]، وكان الأئمة يتبرؤون منهما ومن قولهما، وحينما جاء بعض الشيعة إلى إمامهم وقالوا له: إنا نقول بقول هشام. قال إمامهم أبو الحسن علي ابن محمد: ما لكم وبقول هشام؟ إنه ليس منا من زعم أن الله جسم، ونحن منه براء في الدنيا والآخرة[٢]، وتفصح بعض رواياتهم عما قالوه في الرب جل شأنه وتقدست أسماؤه، فهذا أحد رجالهم[٣]، ينقل لأبي عبد الله ـ كما تقول الرواية ـ ما عليه طائفة من الشيعة من التجسيم فيقول: إن بعض أصحابنا يزعم أن الله صورة مثل الإنسان، وقال آخر: إنه في صورة أمرد جعد قطط، فخرّ أبو عبد الله عليه السلام ساجدًا ثم رفع رأسه فقال: سبحان الذي ليس كمثله شيء ولا تدركه الأبصار ولا يحيط به علم[٤].

فأنت ترى أن كبار متكلميهم قد غلوا في الإثبات؛ حتى شبهوا الله جل شأنه بخلقه وهو كفر بالله سبحانه؛ لأنه تكذيب لقوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وعطلوا صفاته اللائقة به سبحانه فوصفوه بغير ما وصف به نفسه، وإمامهم كان ينكر عليهم هذا المنهج الضال، ويأمر بالالتزام في وصف الله، كما وصف به نفسه، ورواياتهم في هذا الباب كثيرة[٥]، فهذا الاتجاه إلى الغلو في الإثبات، قد طرأ على الإثبات الحق الذي عليه علماء أهل البيت، وأصبح المذهب يتنازعه اتجاهان: اتجاه التجسيم الذي يتزعمه هشام، واتجاه التنزيه الذي عليه أهل البيت كما تشير إليه روايات الشيعة نفسها، وكما هو ثابت مستفيض في كتب أهل العلم[٦].

---

(١) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٦٤٦).

(٢) «التوحيد »ص(١٠٤) لابن بابويه، و«أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٦٤٦).

(٣) سمته الرواية: يعقوب السراج وهو من ثقاتهم، «الفهرست» للطوسي ص(٢١٤) .

(٤) «التوحيد» ص(١٠٣، ١٠٤)، لابن بابويه، و«أصول الشيعة» (٢/ ٦٤٧).

(٥) «أصول الكافي» (١/ ١٠٤ ـ ١٠٦)، و«أصول الشيعة» (٢/ ٦٤٨).

(٦) «أصول الشيعة» (٢/ ٦٤٨).

١٠ - التعطيل عندهم:

بعد هذا الغلو في الإثبات بدأ تغير المذهب في أواخر المائة الثالثة؛ حيث تأثر بمذهب المعتزلة في تعطيل الباري سبحانه من صفاته الثابتة له في الكتاب والسنة، وكثر الاتجاه إلى التعطيل عندهم في المائة الرابعة، لما صنف لهم المفيد وأتباعه كالموسوي الملقب بالشريف المرتضى، وأبي جعفر الطوسي، واعتمدوا في ذلك على كتب المعتزلة[1] وكثير مما كتبوه في ذلك منقول عن المعتزلة نقلاً حرفيًّا، وكذلك ما يذكرونه في تفسير القرآن العظيم في آيات الصفات والقدر، ونحو ذلك هو منقول من تفاسير المعتزلة[2]، ولهذا لا يكاد القارئ لكتب متأخري الشيعة يلمس بينها وبين كتب المعتزلة في باب الأسماء والصفات فرقًا، فالعقل ـ كما يزعمون ـ هو عمدتهم فيما ذهبوا إليه، والمسائل التي يقررها المعتزلة في هذا الباب أخذ بها شيوخُ الشيعة المتأخرون، كمسألة خلق القرآن، ونفي رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، وإنكار الصفات، بل إن الشبهات التي يثيرها المعتزلة في هذا، هي الشبهات التي يثيرها شيوخُ الشيعة المتأخرون، والفرق الذي قد يلمسه القارئ في هذه المسألة هو أن الشيعة أسندوا روايات إلى الأئمة تصرح بنفي الصفات وتقول بالتعطيل؛ فقد جاؤوا بروايات كثيرة في الأئمة يسندون بها مذهبهم في التعطيل، ويفترون على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وبعض علماء أهل البيت كمحمد الباقر وجعفر الصادق بأنهم يقولون بالتعطيل، واعتبر أحد شيوخهم المعاصرين، أن هذا هو عمدتهم في نفي الصفات؛ حيث قال تحت عنوان: طريقة معرفة الصفات: هل يبقى مجال للبحث عن الصفات؟ وهل له طريقة إلا الإذعان، بكلمة أمير المؤمنين رضي الله عنه: «كمال الإخلاص نفي الصفات عنه»[3].

هذا والثابت عن أمير المؤمنين على رضي الله عنه وأئمة أهل البيت إثبات الصفات لله، والنقل بذلك ثابت مستفيض في كتب أهل العلم[4]، وهذا أيضًا ما تعترف به

---

(١) «منهاج السنة» (١/ ٢٢٩).

(٢) المصدر السابق (١/ ٣٥٦).

(٣) «عقائد الإمامية الاثني عشرية» للزنجاني ص(٢٨).

(٤) «منهاج السنة» (٢/ ١٤٤).

بعض روايات لهم موجودة وسط ركام هائل من التعطيل، إن مجموعة من رواياتهم وصفت رب العالمين بالصفات السلبية التي ضمنوها نفي الصفات الثابتة له سبحانه، وليس هذا بجديد فهو سبيل من زاغ وحاد عن منهج الرسل عليهم السلام من المتفلسفة والجهمية وغيرهم.

إن الله سبحانه بعث رسله في صفاته بإثبات مفصل، ونفي مجمل، ولهذا يأتي الإثبات للصفات في كتاب الله مفصلاً والنفي مجملاً[١]. قال تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى: ١١]. فالنفي جاء مجملاً ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ وهذه طريقة القرآن في النفي غالبًا. قال تعالى: ﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾ [مريم: ٦٥]. أي نظيرًا يستحق مثل اسمه، ويقال: مساميًا يساميه[٢]. وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس: هل تعلم له مثلاً أو شبيهًا[٣]؟ وقال سبحانه ﴿**وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص: ٤]. وأما الإثبات فيأتي فيه التفصيل: ﴿**وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى: ١١]. وكآخر سورة الحشر: ﴿**هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤]. وشواهد هذا كثيرة[٤].

إن الشيعة تروي عن أئمتها: أن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه[٥]، ولكنها تعرض عن ذلك كما أعرضت عن كتاب الله سبحانه، وعن مقتضى العقل والفطرة، وتؤثر في ذلك التقليد المحض، والأخذ من (نفايات) الفلسفات البائدة، وإلا فكيف يتجرأ عاقل على الاعتماد في أمر غيبي- لا سبيل للوصول إلى المعرفة فيه على سبيل التفصيل إلا بخبر السماء- على العقل القاصر والفكر العاثر، وتحكيم خيالات البشر المتناقضة، وتصوراتهم المتعارضة؟[٦].

---

(١) «شرح الطحاوية» ص(٤٩)، و«التدمرية» لابن تيمية ص(٨).
(٢) «التدمرية» ص(٨).
(٣) «تفسير الطبري» (١٦/١٠٦).
(٤) انظر: «التدمرية» لابن تيمية ص(٨) وما بعدها.
(٥،٦) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٦٥٦).

أ- مسألة خلق القرآن:

القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، وعلى هذا دل الكتاب والسنة، وإجماع السلف[١]، والاثنا عشرية حذت حذو الجهمية في القول بخلق القرآن، فقد عقد شيخ الشيعة في زمنه- المجلسي- في «البحار» في كتاب القرآن بابًا بعنوان: باب أن القرآن مخلوق[٢]، أورد فيه إحدى عشرة رواية، ومعظم هذه الروايات تخالف ما ذهب إليه، ولَكِنْ لشيوخ الشيعة مسلك في تأويلها، سنذكره بعد قليل ـ بإذن الله تعالى ـ ويقول آية الشيعة محسن الأمين: قالت الشيعة والمعتزلة: القرآن مخلوق[٣]، وهذا بناء على إنكارهم لصفة الكلام لله وزعمهم أن الله سبحانه يوجد الكلام في بعض مخلوقاته كالشجرة حين كلم موسى، وكجبرائيل حين أنزله بالقرآن[٤]، هذا بعض ما يقوله شيوخهم في هذا الأمر[٥]، وإذا رجعت إلى الروايات التي ينقلونها عن (آل البيت)، وجدتها تخالف في أكثرها ما يذهب إليه هؤلاء، فمن ذلك: ما جاء في تفسير العياشي: عن الرضا أنه سئل عن القرآن فقال: إنه كلام الله غير مخلوق[٦].

وفي التوحيد لابن بابويه القمي قيل لأبي الحسن موسى رضي الله عنه: يَابْنَ رسول الله ما تقول في القرآن، فقد اختلف فيه من قبلنا فقال قوم: إنه مخلوق، وقال قوم: إنه غير مخلوق، فقال رضي الله عنه: أما إني لا أقول في ذلك ما يقولون، ولكن أقول: إنه كلام الله عز وجل[٧]، وفي هذا المعنى روايات كثيرة عندهم[٨].

ولكن يلاحظ أن شيخ الشيعة في زمنه ابن بابويه القمي، قد ذهب في تأويل هذه النصوص إلى اتجاه آخر، فأثبت أن قول الأئمة: القرآن غير مخلوق يعني أنه غير مخلوق أي غير مكذوب، لا يعني به أنه غير محدث[٩]. وقال: وإنما امتنعنا

---

(١) «الرد على الزنادقة» للإمام أحمد، و«خلق أفعال العباد» للبخاري .
(٢) «بحار الأنوار» (٩٢/١١٧ ـ ١٢١).
(٣) «أعيان الشيعة» (١/ ٤٦١).
(٤) المصدر السابق (١/ ٤٥٣).
(٥) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٦٥٨).
(٦) «تفسير العياشي» (١/ ٨).
(٧) «التوحيد» ابن بابويه ص(٢٢٤).
(٨) «البحار» (٩٢/ ١١٧ ـ ١٢١)، و«أصول الشيعة» (٢/ ٦٥٩).
(٩) «البحار» (٩٢/ ١١٩)، و«أصول الشيعة» (٢/ ٦٥٩).

من إطلاق المخلوق عليه؛ لأن المخلوق في اللغات قد يكون مكذوبًا، ويقال: كلام مخلوق أي مكذوب[١].

وقد قال علماء السلف ردًّا عليهم: إنه غير مخلوق ولم يريدوا بذلك أنه غير مكذوب، بل هذا كفر ظاهر يعلمه كل مسلم، وإنما قالوا: إنه مخلوق خلقه في غيره، فرد السلف هذا القول، كما تواترت الآثار عنهم بذلك، وصنف في ذلك مصنفات متعددة[٢]، وفي كتاب «تفسير الصراط المستقيم» لآيتهم البروجردي نقل نصًّا عن ابن بابويه ـ أيضًا ـ يحيل فيه النصوص التي فيها المعنى السابق على التقية فقال: ولعل المنع من إطلاق الخلق على القرآن إما للتقية مماشاة مع العامة، أو لكونه موهمًا لمعنى آخر أطلق الكفار عليه بهذا المعنى في قولهم: إن هذا إلا اختلاق[٣]، فلم يجد هؤلاء الشيوخ ما يلوذون به إلا القول (بالتقية) أو ما ماثلها.. وهذا المنهج يثبت أنهم ليسوا على شيء، وأن احتمال التقية في كل نص قد أفسد عليهم أمرهم وأضاع حقيقة المذهب، فأصبح دينهم دين المجلسي أو الكليني أو ابن بابويه القمي لا روايات الأئمة[٤]، وهكذا يضيع العلم والحق بهذه الطريقة الماكرة، ويكتب على الأمة الفرقة والخلاف بهذه الأساليب التي هي من وحي الشيطان ومكره، ولو أحسن محسن للشيعة وأراد بها الخير من شيوخها، لسلك بها طريق الجماعة وأخذ من رواياتهم ما يتفق مع كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وهدي الصحابة الكرام ﷺ وعلماء أهل السنة والجماعة، وتخلص من مكر القمي والكليني والمجلسي، ولاسيما والأئمة تشتكي من كثرة الكذابين عليها حتى قالوا: بأن الناس أولعوا بالكذب علينا[٥]، ولو أردت أن تطبق هذه النظرية ـ أي ما تتفق فيه روايات أهل السنة مع روايات الشيعة عن أهل البيت في هذه المسألة -لوجدت أن كتب الشيعة روت ـ كما سبق ـ روايات عن أهل البيت، بأن كلام الله منزل غير مخلوق، وكتب أهل السنة روت مثل

---

(١) «أصول الشيعة» (٢/ ٦٥٩).

(٢) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (١٢/ ٣٠١).

(٣) «تفسير الصراط المستقيم» (١/ ٣٠٤).

(٤) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٦٦٠).

(٥) «رجال الكشي» ص(١٣٥، ١٣٦)

هذا، فقد أخرج البخاري في كتاب «أفعال العباد»[١]، وابن أبي حاتم[٢]، وأبو سعيد الدارمي، والآجري في الشريعة[٣]، والبيهقي في الاعتقاد[٤]، والأسماء والصفات[٥]. واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة[٦]، وأبو داود في مسائل الإمام أحمد[٧]، عن جعفر الصادق أنه قال حينما سئل عن القرآن: ليس بخالق ولا مخلوق.

قال ابن تيمية: إنه قد استفاض ذلك عن جعفر[٨]، فلماذا لا يؤخذ بالمعنى المتفق عليه ويترك الباطل الذي لا يسنده إلا أقوال شيوخ يبغون في الأمة الفرقة والخلاف، وينشدون الشذوذ والعزلة ليتسنى لهم تحصيل الأموال الطائلة باسم الخمس، وتتحقق لهم الوجاهة الاجتماعية، والمنزلة المقدسة باسم النيابة عن الإمام الغائب؟ ولهذا ما برحوا يؤكدون على القول: إن ما خالف العامة ففيه الرشاد[٩]، ويقصدون بذلك أهل السنة والجماعة.

إن الروايات الواردة في كتب الشيعة والتي تنص على أن القرآن منزل غير مخلوق، قد تمثل مذهب قدماء الشيعة الذين كانوا على هذا الاعتقاد كما أشار إلى ذلك أهل العلم[١٠]؛ لأن القول بأن القرآن مخلوق هو إحداث متأخري الشيعة[١١]. كما أن الاعتقاد بأن القرآن منزل غير مخلوق، هو الثابت عن أهل البيت؛ إذ ليس من أئمة أهل البيت- مثل علي بن الحسين وأبي جعفر الباقر وابنه جعفر بن محمد- من يقول بخلق القرآن، ولكن الإمامية تخالف أهل البيت في عامة أصولهم[١٢].

---

(١) «خلق أفعال العباد» ص(٣٦) تحقيق البدر.
(٢) «منهاج السنة» لابن تيمية (٢/ ١٨٧، ١٨٨).
(٣) «الشريعة» ص(٧٧).
(٤) «الاعتقاد» ص(٣٦).
(٥) «الأسماء والصفات» ص (٢٤٧).
(٦) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢/ ٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٢).
(٧) «مسائل الإمام أحمد» ص(٢٦٥)
(٨) «منهاج السنة» (١/ ٢٧٨).
(٩) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٦٦٢).
(١٠) «منهاج السنة» (١/ ٢٩٦)، و«أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٦٦٤)
(١١) «مقالات الإسلاميين»، للأشعري (١/ ١١٤).
(١٢) «منهاج السنة» (١/ ٢٩٦).

وبعد أليس يكفي في بيان فساد مذهبهم أنه خلاف ما عليه أهل البيت، وخلاف ما اتفقت فيه روايات لهم مع ما جاء عند أهل السنة، وأن رواياتهم كلها متعارضة متناقضة؟[1].

إن معتقد أهل السنة والجماعة في هذه المسألة هو أن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحيًا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقًّا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر، فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ٢٦]. فلما أوعد الله بسقر لمن قال: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥]. علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر[2].

ب- مسألة الرؤية:

ذهبت الشيعة الإمامية بحكم مجاراتهم للمعتزلة إلى نفي الرؤية، وجاءت روايات عديدة ذكرها ابن بابويه في كتابه التوحيد، وجمع أكثرها صاحب «البحار» تنفي ما جاءت به النصوص من رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، فتفتري - مثلاً - على أبي عبد الله جعفر الصادق بأنه سئل عن الله تبارك وتعالى هل يرى في المعاد؟ فقال: سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا. . إن الأبصار لا تدرك إلا ما له لون وكيفية، والله خالق الألوان والكيفية[3]، وقال شيخهم وآيتهم جعفر النجفي صاحب «كاشف الغطا»: ولو نسب إلى الله بعض الصفات. . كالرؤية حكم بارتداده[4]، وجعل الحر العاملي نفي الرؤية من أصول الأئمة، وعقد لذلك بابًا بعنوان: باب أن الله سبحانه لا تراه عين ولا يدركه بصر في الدنيا ولا في الآخرة[5]، فنفيهم لرؤية المؤمنين لربهم في الآخرة خروج عن مقتضى النصوص الشرعية، وهو أيضًا خروج عن مذهب أهل البيت، وقد اعترفت بعض رواياتهم بذلك، فقد روى ابن بابويه القمي عن أبي بصير، عن أبي

(١) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٦٦٨).
(٢) «المنحة الإلهية في تهذيب شرح الطحاوية»، لعبد الآخر الغنيمي ص(١٠٩) (٣) «بحار الأنوار» (٤/ ٣١).
(٤) «كشف الغطا» ص(٤١٧)، و«أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٦٧٠). (٥) «أصول الشيعة» (٢/ ٦٧٠).

عبدالله عليه السلام قال: قلت له: أخبرني عن الله عز وجل هل يراه المؤمنون يوم القيامة؟ قال: نعم[1]، والرؤية حق لأهل الجنة يرونه بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا مثل قوله تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]. وقوله تعالى: ﴿**لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ**﴾ [ق: ٣٥] قال أنس بن مالك: هو النظر إلى وجه الله عز وجل[2]، وقوله تعالى: ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ**﴾ [يونس: ٢٦] فالحسنى: الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجهه الكريم، فسرها بذلك رسول الله ﷺ والصحابة بعده، كما روى مسلم في صحيحه عن صهيب قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ**﴾ ثم قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعدًا ويريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يُثقّل موازيننا ويبيّض وجوهنا ويدخلنا الجنة، ويُجرنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئًا أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة»[3]. وقال تعالى: ﴿**كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**﴾ [المطففين: ١٥].

احتج الشافعي -رحمه الله- وغيره من الأئمة بهذه الآية على الرؤية لأهل الجنة، ذكر ذلك الطبري وغيره عن المزني عن الشافعي. وقال الحاكم: حدثنا الأصم حدثنا الربيع ابن سليمان قال: حضرت محمد بن إدريس الشافعي، وقد جاءت رقعة من الصعيد فيها، ما تقول في قول الله عز وجل: ﴿**كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**﴾ [المطففين: ١٥]. فقال الشافعي: لما أن حُجب في السخط، كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا[4]، وأما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة رواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن[5]، وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبين إلى السنة والجماعة[6].

---

(١) «الفصول المهمة في أصول الأئمة» ص(١٢).
(٢) «مجمع الفوائد» (٧/ ١١٢).
(٣) «مسلم» رقم (١٨١).
(٤) «مناقب الشافعي» للبيهقي (١/ ٤١٩).
(٥) «شرح الطحاوية» ص(١٥١).
(٦) «شرح الطحاوية» ص(١٤٦).

١١- تفضيلهم الأئمة على الأنبياء والرسل:

الرسل أفضل البشر وأحقهم بالرسالة؛ حيث أعدهم الله تعالى لكمال العبودية والتبليغ والدعـوة والجهاد ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام:١٢٤]. فهم قد امتازوا برتبـة الرسالة عن سائر الناس[١]، وقد أوجب الله على الخلق متـابعتهم. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء:٦٤] ولا يفضل أحد من البشر عليهم. قال الطحاوي في بيـان اعتقاد أهل السنة: ولا نفضل أحدًا من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السـلام ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء[٢]، وتفضيل الأئمة على الأنبياء هو مذهب غلاة الروافض، كما نبه على ذلك عبد القـاهر البغدادي[٣] والقاضي عياض[٤]، وابن تيمية[٥]، وهذا المذهب بعينه قد غدا من أصول الاثني عشرية، فـقد قرر صاحب «الوسائل»، أن تفضيل الأئمة على الأنبيـاء من أصول مذهب الشيعة التي نسـبها للأئمة[٦]، وقال: بأن الروايات عندهم في ذلك أكثر من أن تحصى[٧].

وفي «بحار الأنوار» للمجلسي عقد بابًا بعـنوان: باب تفضيلهم عليهم السلام على الأنبياء، وعلى جـميع الخلق وأخذ ميثاقـهم عنهم وعن الملائكة وعن سائر الخلق، وأن أولي العـزم إنما صاروا أولى العزم بـحبهم صلوات الله عـليهم[٨]، وهذا المذهب الذي استقر عليه مذهب الاثني عـشرية مر بتغيرات وتطورات نحـو الغلو؛ فإن الشيعـة في مسألة تفضيل الأنبياء على الأئمة كـانوا ثلاث فرق ـ كما يقول الأشعري:

ـ فرقة: يقولون بأن الأنبياء أفـضل من الأئمة، غير أن بعض هؤلاء جوزوا أن يكون الأئمة أفضل من الملائكة.

ـ الفرقة الثانية: يزعمون أن الأئمة أفضل من الأنبياء والملائكة.

---

(١) «المنهاج في شعب الإيمان» للحليمي (١/ ٢٣٨).
(٢) «شرح الطحاوية» ص(٤٩٣).
(٣) «أصول الدين» ص(٢٩٨).
(٤) «الشفاء» ص(١٠٧٨).
(٥) «منهاج السنة»(١/ ١٧٧).
(٦) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٧٤٥).
(٧) المصدر نفسه (٢/ ٧٤٥).
(٨) «بحار الأنوار» (٢٦/ ٢٦٧).

ـ والفرقة الثالثة: وهم القائلون بالاعتزال والإمامة، يقولون: إن الملائكة والأنبياء أفضل من الأئمة[١].

ويضيف المفيد في أوائل المقالات مذهبًا رابعًا لهم، وهو أفضلية الأئمة على سائر الأنبياء ما عدا أولي العزم[٢]. ثم لا يبوح بذكر المذهب الذي يعتمده من هذه المذاهب بل يذكر توقفه للنظر في ذلك[٣]، ولكن يظهر أن كل هذه المذاهب تلاشت بسعي شيوخ الدولة الصفوية ومن تبعهم واستقر المذهب على الغلو في الأئمة؛ حتى إن المجلسي يقول في عنوان الباب الذي عقده في بحاره لهذا الغرض: إن أولي العزم إنما صاروا أولي عزم بحبهم صلوات الله عليهم[٤].

إن من يرجع إلى كتاب الله سبحانه يجد أنه ليس لأئمتهم الاثني عشر ذكر، فضلاً عن أن يقدموا على أنبياء الله ورسله، كما أنه يلاحظ أن الأنبياء لكونهم أرفع رتبة يقدمون بالذكر على غيرهم من صالحي عباد الله، قال تعالى: **﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾** [النساء: ٦٩]. فرتب الله سبحانه عباده السعداء المنعم عليهم أربع مراتب[٥]. وكتاب الله يدل في جميع آياته على اصطفاء الأنبياء واختيارهم على جميع العالم[٦]، وقد أجمع أهل القرون الثلاثة على تفضيل الأنبياء على من سواهم، فالإجماع حجة، وقال ابن تيمية: اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أولياء الله تعالى على أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء[٧]. والعقل يدل صريحًا على أن جعل النبي واجب الطاعة، وجعله آمرًا وناهيًا وحاكمًا على الإطلاق، والإمام نائبًا وتابعًا له لا يعقل بدون فضيلة النبي عليه، ولما كان هذا المعنى موجودًا في حق كل نبي مفقودًا في حق كل إمام، لم يكن إمام أفضل من نبي أصلاً، بل يستحيل[٨]. ثم قد ورد في كتب الشيعة نفسها ما يتفق مع النص والإجماع

---

(١) «مقالات الإسلاميين» (١/ ١٢٠).
(٢) «أوائل المقالات» ص(٤٢، ٤٣).
(٣) «أوائل المقالات» ص(٤٣).
(٤) «بحار الأنوار» (٢٦/ ٢٦٧).
(٥) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٧٤٩).
(٦، ٧) «الفتاوى» (١١/ ٢٢١).
(٨) «مختصر التحفة» ص(١٠٢).

والعقل، وينفي ذلك الشذوذ، وهو ما رواه الكليني عن هشام الأحول عن زيد ابن علي، أن الأنبياء أفضل من الأئمة، وأن من قال غير ذلك فهو ضال[(١)]، وروى ابن بابويه عن الصادق ما ينص على أن الأنبياء أحب إلى الله من علي[(٢)].

خامسًا: موقف الشيعة الإمامية من القرآن الكريم:

قد كان لمعتقد الشيعة في الإمامة ومحاولة الدفاع عنه، أثر كبير في دفع بعض الشيعة إلى تبني أفكار خطيرة حول القرآن والسنة، والصحابة رضوان الله عليهم، فشككوا في القرآن، وأنكروا كثيرًا من الأحاديث الثابتة، وطعنوا في الصحابة رضي الله عنهم وجرحوهم، ونسبوا إليهم تعمد الكذب وتحريف كتاب الله تعالى.

١ - اعتقاد بعضهم في تحريف كتاب الله عز وجل والرد عليهم:

فقد زعم بعض الشيعة الرافضة أن القرآن الكريم قد حرف، وأسقطت منه بعض السور وكثير من الآيات التي أنزلت في فضائل أهل البيت والأمر باتباعهم، والنهي عن مخالفتهم، وإيجاب محبتهم وأسماء أعدائهم والطعن فيهم ولعنهم، وقد اتهم الشيعة الصحابة ﷺ، بأنهم أسقطوا من القرآن جملة ما أسقطوه «وجعلنا عليًّا صهرك» من سورة (الشرح)، والتي تشير إلى تخصيص عليّ، بمصاهرة الرسول ﷺ دون عثمان رضي الله عنه. وقد جهل هؤلاء أن هذه السورة مكية، وأنها حين نزلت لم يكن عليٌّ رضي الله عنه صهرًا للرسول ﷺ؛ إذ إن عليًّا تزوج فاطمة بالمدينة وبعد غزوة بدر، كما سبق أن أشرنا، ويذهب الشيعة أيضًا إلى أنه من بين ما أسقط من (القرآن) سورة الولاية، ويزعمون أنها سورة طويلة قد ذكر فيها فضائل أهل البيت[(٣)]، وهكذا تدور معظم مزاعم هذا النفر من الشيعة في القرآن حول هذه القضايا؛ إذ إنهم لم ينكروا حكمًا من أحكامه

---

(١) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٧٥٣)، و«مختصر التحفة» ص(١٠٠).

(٢) «مختصر التحفة» ص(١٠١).

(٣) «دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين» ص(٢٢٦).

أو قاعدة من قواعده، ولكن تدور آراؤهم حول إسقاط بعض الآيات عن ولاية علي، ومن بعده من الأئمة .

وقد ردد هذه الافتراءات على القرآن الكريم العديد من علماء الشيعة الإمامية وعلى رأسهم: حجتهم المشهور أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني ت ٣٢٩هـ صاحب كتاب «الكافي» الذي يعتبر في حجيته لدى الشيعة في مرتبة كتاب البخاري عند أهل السنة، وقد ذكر صاحب «تفسير الصافي» الشيعي أن الظاهر من ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني طاب ثراه، أنه كان يعتقد أيضًا في التحريف والنقصان في القرآن؛ لأنه روى روايات في هذا المعنى في كتابه «الكافي» ولم يتعرض بقدح فيها، على أنه ذكر في أول كتابه أنه يثق بما رواه فيه[1]، وكتاب الكليني هذا مليء بهذه المزاعم المنحرفة، والتي تهدف في الأساس إلى إثبات إمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه والأئمة من بعده. ومن ذلك ما رواه الكليني عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ عن ولاية علي والأئمة بعده ﴿**فقد فاز فوزًا عظيمًا**﴾ هكذا نزلت[2]، ويروي أيضًا عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: لم سمي (علي بن أبي طالب) أمير المؤمنين؟ قال: الله سماه وهكذا أنزل في كتابه: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ**﴾ وأن محمدًا رسولي وأن عليًّا أمير المؤمنين[3]. ويروي الكليني عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: رفع إليَّ أبو الحسن عليه السلام مصحفًا وقال: لا تنظر فيه، ففتحته وقرأت فيه (لم يكن الذين كفروا) فوجدت فيهم سبعين رجلاً من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم قال: فبعث إليّ بالمصحف[4]، وقد زعم الكليني أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة، وأنهم (أي الأئمة) يعلمون علمه

---

(١) «تفسير الصافي» ص(١٣)، و«الإمام الصادق» لأبي زهرة ص(٣٣٣) .

(٢) «أصول الكافي» (١/ ٤١٤) .

(٣) «أصول الكافي» (١/ ٤١٢)، و«السنة والشيعة»، لإحسان إلهي ص(١٠٣) .

(٤) «أصول الكافي» (٢/ ٦٣١)، و«السنة والشيعة» ص(٨٧) .

كله، فما جمعه وحفظه كما أنزل إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده(١)، وقد ردد هذه الفرية التي ربطت جمع القرآن بعلي رضي الله عنه، وقد ذهب صاحب «الاحتجاج» إلى أنه لما توفي الرسول صلى الله عليه وسلم، جمع علي عليه السلام القرآن وجاء به إلى المهاجرين والأنصار، وعرضه عليهم لما قد أوصاه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما فتحه أبو بكر خرج في أول صفحة فتحها فضائح القوم فوثب عمر وقال: يا علي اردده فلا حاجة لنا فيه، فأخذه عليه السلام وانصرف، ثم أحضروا زيد بن ثابت وكان قارئًا للقرآن، فقال له عمر: إن عليًّا جاء بالقرآن وفيه فضائح المهاجرين والأنصار، وقد رأينا أن نؤلف القرآن ونسقط منه ما كان فيه فضيحة وهتك للمهاجرين والأنصار، فأجابه زيد إلى ذلك ثم قال: فإن أنا فرغت من القرآن على ما سألتم، وأظهر عليٌّ القرآن الذي ألفه أليس قد بطل كل ما عملتم؟ قال عمر: فما الحيلة؟ قال زيد: أنتم أعلم بالحيلة، فقال عمر: فما حيلته دون أن نقتله ونستريح منه، فدبر في قتله على يد خالد بن الوليد، فلم يقدر على ذلك(٢)، ولا شك أن مثل هذه الرواية من نسيج خيال مريض فاسد أراد أن يتهم الصحابة بتحريف القرآن، والتآمر على حرمان علي من إمامة المسلمين، وهو إذ يمدح علي يذمه؛ إذ يصفه بالسكوت السلبي حينما رفض الصحابة الأخذ بقرآنه، فكيف يتفق هذا مع مواقف علي رضي الله عنه البطولية في سبيل الدفاع عن الإسلام، ويرد على مثل هذه الافتراءات قول علي رضي الله عنه: أعظم الناس أجرًا في المصحف أبو بكر رضي الله عنه، رحمة الله على أبي بكر، هو أول من جمع بين اللوحين(٣)، ولم يكتف الكليني بهذا، بل نسب هذه الافتراءات والمزاعم الباطلة حول التحريف في القرآن إلى جعفر الصادق؛ إذ ينسب إليه أنه قال: إن القرآن الذي نزل به الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم سبعة آلاف آية، والآيات التي نتلوها ثلاث وستون ومائتان وست آلاف فقط، والباقي مخزون عند آل

---

(١) «أصول الكافي» (١/ ٢٢٨).

(٢) «الاحتجاج» للطبرسي ص(٢٢٥، ٢٢٨)، و«دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين» ص(٢٢٨).

(٣) «كتاب المصاحف» للسجستاني (١/ ٥)

البيت[١]، وزعم الكليني أن الصادق قال عن القرآن الذي جمعه علي بن أبي طالب في زعمه: قيل هو مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد[٢]، ويقولون: إن فاطمة رضي الله عنها مكثت بعد النبي خمسة وسبعين يومًا، صبت عليها مصائب من الحزن لا يعلمها إلا الله، فأرسل الله إليها جبرائيل يسليها ويعزيها ويحدثها عن أبيها، وعما يحدث لذريتها، وكان علي يستمع ويكتب ما يسمع حتى جاء به في مصحف، قدر القرآن ثلاث مرات ليس فيه شيء من حلال وحرام ولكن فيه علم ما يكون[٣].

- ويردد عالم شيعي آخر وهو علي بن إبراهيم القمي نفس المزاعم التي ذهب إليها الكليني، ويورد عنه محمد محسن الملقب بالفيض الكاشي في تفسيره فيقول: المستفاد من الروايات عن طريق آل البيت، أن القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما أنزل على محمد، بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو مغير محرف وأنه قد حذف منه أشياء كثيرة منها: اسم علي في كثير من المواضع ومنها لفظ (آل محمد) غير مرة، ومنها أسماء المنافقين في مواضعها، ومنها غير ذلك وأنه ليس على الترتيب المرضي عند الله ورسوله. وبه - أي بهذا الرأي - قال علي بن إبراهيم المسمى بالقمي وله تفسير مليء بهذه الدعاوى والغلو فيها، وأخذ يخلط ويزعم أن هناك آيات في ولاية علي حذفت[٤].

- وقال صاحب كتاب «بصائر الدرجات» الصفّار بسنده عن أبي جعفر - على حد زعمه - ما يستطيع أحد أن يدعي أنه جمع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء[٥]، وعنه أيضًا: ما من أحد من الناس يقول: إنه جمع القرآن كله كما أنزل الله إلا كذاب، وما جمعه وما حفظه كما أنزل إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده[٦].

---

(١) «الإمام الصادق» ص(٣٢٣).
(٢) «أصول الكافي» (١/ ٢٣٩).
(٣) «أصول الكافي» (١/ ٢٤٠)، و« بحار الأنوار» (٢٦/ ٤٤)، و«بصائر الدرجات» ص(٤٣).
(٤) «دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين» ص(٢٢٩، ٢٣٠).
(٥) «بصائر الدرجات» ص(٢١٣).
(٦) «بصائر الدرجات» ص(٢١٣).

ـ وفي تفسير العياشي عن أبي عبد الله: لو قُرِئَ القرآن كما أنزل لألفيتنا فيه مسمين[(١)]، وفيه عن أبي جعفر: لولا أنه زيد في كتاب الله ونقص منه ما خفي حقنا على ذي حِجًا[(٢)].

والروايات في كتب الشيعة الرافضة المصرحة بتحريف القرآن كثيرة جدًّا، وقد أخبر عن استفاضتها وتواترها عندهم كبار علمائهم ومحققيهم، يقول المفيد: إن الأخبار جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد ﷺ باختلاف القرآن، وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان[(٣)].

ـ ويقول هاشم البحراني[(٤)] ـ أحد كبار مفسريهم ـ: اعلم أن الحق الذي لا محيص عنه بحسب الأخبار المتواترة الآتية وغيرها، أن هذا القرآن الذي في أيدينا قد وقع فيه بعد رسول الله ﷺ شيء من التغيرات، وأسقط الذي جمعوه بعده كثيرًا من الكلمات والآيات[(٥)]، ويقول أيضًا: وعندي في وضوح صحة هذا القول ـ أي تحريف القرآن ـ بعد تتبع الأخبار وتفحص الآثار؛ بحيث يمكن الحكم بكونه من ضروريات مذهب التشيع وأنه من أكبر مقاصد الخلافة[(٦)].

ـ ويقول نعمة الله الجزائري[(٧)]: إن الأخبار الدالةَ على هذا (التحريف) تزيد على ألفي حديث، وادعى استفاضتها جماعة كالمفيد والمحقق الداماد، والعلامة المجلسي[(٨)]، فهذه أقوال أئمتهم ومحققيهم الكبار تقطع بتواتر واستفاضة الروايات في كتبهم، بدعوى تحريف القرآن وتبديله، وأنها تبلغ الآلاف مما جعل بعض هؤلاء العلماء يقطع بأن هذه العقيدة من ضروريات المذهب عندهم وأكبر مقاصد الإمامة، وزيادة على ما جاء في كتبهم من آلاف الروايات الدالة على دعوى تحريف القرآن، فإن أقوال علمائهم ومنظريهم، وأهل الاجتهاد فيهم،

(١، ٢) «تفسير العياشي» (١/ ١٣). (٣) «أوائل المقالات» ص(٩١).

(٤) هاشم بن سليمان البحراني، توفي سنة ١١٠٧هـ .

(٥) «مقدمة تفسير البرهان في تفسير القرآن» ص(٣٦) . (٦) المصدر نفسه ص(٤٩) .

(٧) توفي سنة ١١١٢هـ قال عنه الحر العاملي: فاضل عالم محقق جليل القدر، «أمل الآمل» (٢/ ٣٣٦).

(٨) «فصل الخطاب» ص(٢٤٨)، و«الانتصار» .

جاءت مؤكدة لتلك العقيدة الفاسدة، ولعل المقام هنا لا يتسع لنقل كلامهم هنا وإنما أذكر من نقل إجماعهم على ذلك: من كبار علمائهم، يقول المفيد ناقلاً إجماعهم على ذلك واتفقوا (أي الإمامية) على أن أئمة الضلال خالفوا في كثير من تأليف القرآن، وعدلوا فيه عن موجب التنزيل وسنة النبي ﷺ . وأجمعت المعتزلة، والخوارج والمرجئة، وأصحاب الحديث على خلاف الإمامية في جميع ما عددناه[1].

- وقد قام النوري الطبرسي، أحد كبار علمائهم المتأخرين الهالك في سنة ١٣٢٠هـ بتأليف كتاب ضخمٍ في إثبات دعوى تحريف القرآن عند الشيعة الرافضة، سماه «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب»[2]، صدره بثلاث مقدمات يتبعها بابان:

الأول: في الأدلة على تحريف القرآن بزعمه.

الثاني: في الرد على القائلين بصحة القرآن في الأمة.

وقد أودع الطبرسي في كتابه هذا آلاف الروايات الدالة على تحريف القرآن بزعمهم؛ حيث أورد في الفصلين الأخيرين فقط من الباب الأول المكون من اثني عشر فصلاً (١٦٠٢) رواية، هذا غير ما أورده في الفصول الأخرى من هذا الباب والمقدمات الثلاث والباب الثاني وقال معتذرًا عن قلة ما جمعه: ونحن نذكر منها ما يصدق دعواهم مع قلة البضاعة[3]، وقال موثقًا هذه الروايات: واعلم أن تلك الأخبار منقولة من الكتب المعتبرة التي عليها معول أصحابنا في إثبات الأحكام الشرعية والآثار النبوية[4]، وقال بعد أن سرد حشدًا هائلاً من أسماء علمائهم القائلين بالتحريف استغرقت خمس صفحات من كتابه: ومن جميع ما ذكرنا ونقلنا، بتتبعي القاصر، يمكن دعوى الشهرة العظيمة بين المتقدمين

---

(١) «أوائل المقالات» ص(٤٩).

(٢) «الانتصار للصحب والآل» ص(٦١).

(٣) «فصل الخطاب» ص(٢٤٩)، و«الانتصار للصحب والآل» ص(٦٢).

(٤) المصدر نفسه ص(٢٤٩).

وانحصار المخالفين فيهم بأشخاص معينين يأتي ذكرهم[١]، ثم ذكر أن هؤلاء المخالفين هم: الصدوق، والمرتضى، وشيخ الطائفة الطوسي، قال: ولم يعرف من القدماء موافق لهم[٢].

وذكر أنه تبعهم الطبرسي صاحب كتاب «مجمع البيان»، وقال: وإلى طبقته لم يعرف الخلاف صريحًا إلا من هؤلاء المشايخ الأربعة[٣]، ثم اعتذر بعد ذلك عن بعض هؤلاء العلماء في عدم قولهم بتحريف القرآن، بأن الذي حملهم على ذلك التقية والمداراة للمخالفين، فقال معتذرًا عن الطوسي عما أورده في كتابه (التبيان) من القول بعدم التحريف: ثم لا يخفى على المتأمل في كتاب «التبيان»، أن طريقته فيه على نهاية المداراة والمماشاة مع المخالفين.. وهو بمكان من الغرابة لو لم يكن على وجه المماشاة[٤].

وقد سبق النوري الطبرسي في الاعتذار لهؤلاء العلماء: نعمة الله الجزائري حيث قال بعد أن نقل إجماع علماء الإمامية على عقيدة التحريف: نعم قد خالف فيها المرتضى والصدوق والشيخ الطبرسي، وحكوا أن ما بين دفتي هذا المصحف هو القرآن لا غير، ولم يقع فيه تحريف ولا تبديل، والظاهر أن هذا القول صدر منهم لأجل مصالح كثيرة منها: سد باب الطعن فيها، بأنه إذا جاز هذا في القرآن، فكيف جاز العمل بقواعده وأحكامه، مع جواز لحوق التحريف لها؟ وكيف أن هؤلاء الأعلام رووا في مؤلفاتهم أخبارًا كثيرة تشتمل على وقوع تلك الأمور في القرآن، وأن الآية هكذا أنزلت ثم غيرت إلى هذا[٥]؟

وبهذا يظهر أن القول بتحريف القرآن واعتقاد تغييره وتبديله هو محل إجماع علماء الشيعة الرافضة قاطبة، كما حقق ذلك الطبرسي في فصل الخطاب، ودلت عليه النقول السابقة عن كبار علمائهم، وأنه لم يخالف في هذه العقيدة أحد من علمائهم، حتى وقت تأليف «فصل الخطاب» إلا أربعة منهم حملهم على ذلك

---

(١) «فصل الخطاب» ص(٣٠).
(٢، ٣) المصدر نفسه ص(٣٢، ٣٤).
(٤) «فصل الخطاب» ص(٣٤).
(٥) «الأنوار النعمانية» (٢/٣٢٨ ـ ٣٥٩).

التقية والمداراة للمخالفين، على ما نص على ذلك الطبرسي ومن قبله نعمة الله الجزائري. وكما أثبتت ذلك البحوث المعاصرة التي بحثت هذه المسألة، وأيدت ذلك بذكر شواهد كثيرة من الروايات الدالة على التحريف الواردة في كتب هؤلاء المشايخ الأربعة[١]؛ مما يدل على اعتقادهم مضمونها وموافقتهم لسائر علماء الشيعة الرافضة فيما ذهبوا إليه، من اعتقاد تحريف القرآن وتبديله وإن أظهروا تقية ونفاقًا وخداعًا لأهل السنة[٢]، ومما يدل على ما ذهبت إليه أنه لم يتعرض واحد من هؤلاء الذين زعموا التحريف في القرآن إلى نقد من قبل الشيعة؛ إذ ظل الكليني موضع الثقة والتبجيل والإكرام والمرجع الأول عند جميع الشيعة اليوم، وبرغم أن الشيعة المعاصرين أكدوا نفي التحريف عن القرآن زيادة ونقصًا، فإننا لا نجد أحدًا منهم يرد على الكليني ردًّا صريحًا أو يظهر عدم الثقة به أو يرفض ما ذهب إليه، بل إن البعض حاول بطريقة ملتوية أن يدافع عنه ويجد له المعاذير[٣]، وإن كان هؤلاء القوم صادقين، فعليهم أن يتبرؤوا ممن قال بتحريف القرآن الكريم، ولا يترددوا في تكفير من أنكر كلمة واحدة من القرآن، وأن يبينوا أن جحود البعض كجحود الكل؛ لأن ذلك طعن صريح فيما ثبت عن النبي ﷺ بضرورة الدين، واتفاق المسلمين أن القرآن الكريم هو الكتاب الإلهي الذي لم يتطرق إليه التحريف والتبديل، وذلك لأن الله تبارك وتعالى تعهد وتكفل بحفظه، بخلاف التوراة والإنجيل؛ فإن الله لم يتكفل بحفظهما، بل استحفظ عليهما أهلهما فضيعوهما، حكى الشاطبي عن أبي عمرو الداني عن أبي الحسن المنتاب قال: كنت يومًا عند القاضي أبي إسحاق إسماعيل بن إسحاق، فقيل له: لم جاز التبديل على أهل التوراة، ولم يجز على أهل القرآن؟ فقال القاضي: قال الله عز وجل في أهل التوراة: ﴿**بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ**﴾ [المائدة: ٤٤]. فوكل الحفظ إليهم، فجاز التبديل عليهم، وقال في

---

(١) «الشيعة والقرآن» لإحسان إلهي ظهير ص(٦٨ ـ ٧١).

(٢) «الانتصار للصحب والآل» ص(٦٥) .

(٣) «أضواء على خطوط محب الدين» ص(٤٢) وما بعدها.

القرآن : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر :٩] فلم يجز التبديل عليهم ، قال عليّ : فمضيت إلى أبي عبد الله المحاملي فذكرت له الحكاية ، فقال : ما سمعت كلامًا أحسن من هذا[1] ، وقد أجمعت الأمة على مر العصور والدهور على أن القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ ، هو القرآن الموجود الآن بأيدي المسلمين ليس فيه زيادة أو نقصان ، ولا تغيير فيه أو تبديل ولا يمكن أن يتطرق إليه شيء من ذلك لوعد الله بحفظه وصيانته ، ولم يخالف في هذا إلا الشيعة الرافضة حيث زعموا أن القرآن الكريم قد حدث فيه تحريف وتغيير وتبديل ، وزعموا أن الصحابة هم الذين حرفوا القرآن من أجل مصالحهم الدنيوية ، وعقيدتهم هذه باطلة ودل على بطلانها الأدلة من القرآن الكريم ، وأقوال الأئمة من أهل البيت ، والعقل ، وإليك بيان ذلك :

أ – الأدلة من القرآن الكريم:

الآيات الصريحة الدالة على تكفل الله تعالى بحفظ القرآن ، وأنه لا يمكن أن يتطرق إليه التحريف أو التبديل في هذا الشأن كثيرة منها :

* قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر :٩]. وقوله تعالى : ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف :٢٧]. وقوله تعالى : ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢]. وقوله تعالى : ﴿الم ۝١ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١، ٢]. وقوله تعالى : ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:١]. وقوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج:٥٢]. وقوله تعالى : ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة:١٦، ١٧].

---

(١) «الموافقات» (٢/ ٥٩).

فقد دلت هذه الآيات الكريمات على حفظ الله لكتابه الكريم وإحكامه لآياته، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه **﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً﴾** [النساء: ١٢٢] وهذه الآيات في صراحتها على حفظ الله لكتابه وصيانته من التحريف والتبديل، حيث لا تحتاج إلى شرح أو توضيح، كما أن ثناء الله تعالى في القرآن الكريم على الصحابة رضي الله عنهم مما يؤكد كذب ما نسبته إليهم الشيعة الرافضة من دعوى تحريف القرآن[1] قال تعالى: **﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** [التوبة: ١٠٠]. وقال تعالى: **﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾** [الفتح: ١٨] وغير ذلك من الآيات في مدح الصحابة التي سيأتي شرحها وبيانها في موضعه بإذن الله تعالى.

وبعد إيراد هذه الآيات بقسميها المتقدمين نقول للشيعة الرافضة: إن قولكم بتحريف القرآن تعارضه هذه الآيات الكريمات، التي أكد الله تعالى فيها أن هذا القرآن لم يحرف ولن يحرف لأنه هو الذي تكفل بحفظه وصيانته عن التحريف والتبديل، كما أثنى على صحابة نبيه صلى الله عليه وسلم الذين اتهمتموهم بالتحريف، ووصفهم بالصدق، والإيمان بالله ورسوله، وزكاهم أعظم تزكية فيلزمكم تجاه هذه الآيات، إما أن تعترفوا وتقروا أن هذه الآيات جاءت من الله تعالى، فعند ذلك لا يسعكم إلا قبولها، واعتقاد ما دلت عليه، من سلامة القرآن الكريم من التحريف والتبديل، وإما أن تنكروا أنها من الله فهذا كفر بالله بإجماع المسلمين؛ إذ من أنكر آية واحدة في القرآن، واعتقد عدم صحة نسبتها إلى الله، فهو كافر بإجماع المسلمين[2].

ب – الأدلة من أقوال أئمتهم:

فقد جاءت روايات كثيرة عن أئمتهم الذين يعتقدون عصمتهم، يحثون فيها

---

(١) «بذل المجهود» (١/ ٤٣٤) عبد الله الجميلي.

(٢) «بذل المجهود» (١/ ٢٣٥).

الشيعة على التمسك بكتاب الله وردِّ كل شيء إلى الكتاب والسنة ومن هذه الروايات: ما جاء عن موسى ابن جعفر أنه سئل: أكل شيء في كتاب الله وسنة نبيه أم تقولون فيه؟ فقال: بل كل شيء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ[١]، وجاء عن أبي عبد الله أنه قال: من خالف كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ فقد كفر[٢]، وعن أبي جعفر أنه قال: إن الله تبارك وتعالى لم يدع شيئًا تحتاج إليه الأمة إلا أنزله في كتابه وبينه لرسوله ﷺ، وجعل لكل شيء حدًّا وجعل عليه دليلاً يدل عليه[٣]، وعن أبي عبد الله قال: ما من شيء إلا وفيه كتاب أو سنة[٤].

والمتأمل لهذه الروايات يخرج بفائدتين مهمتين:

- أن الأئمة من آل البيت كانوا يعتقدون كغيرهم من سلف الأمة صحة القرآن الكريم، وإلا لم يطلبوا من تلاميذهم التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ونبذ ما سواهما، ثم إخبارهم إياهم أنه ما من شيء إلا وهو في كتاب الله والسنة وأنه ليس عندهم إلا ما فيهما.

- أن الروايات المنسوبة إليهم من القول بتحريف القرآن لم يقولوا بها بل هم بُرآء منها وممن افتراها[٥].

جـ- الأدلة العقلية:

وكما دل النقل على بطلان دعوى الرافضة في تحريف القرآن الكريم، فإن العقل يدل على بطلان دعواهم تلك؛ وذلك لما يترتب على القول بتحريف القرآن من المفاسد العظيمة التي يستلزم منها الطعن في الله تبارك وتعالى، وفي النبي ﷺ، وصحابته ﷺ، والأئمة من آل البيت الأطهار، فالقول بتحريف القرآن يستلزم الطعن في الله تعالى واتهامه بعدم الوفاء بوعده بحفظ القرآن من التحريف، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، ويستلزم الطعن في النبي ﷺ حيث إنه لم يبلغ القرآن الكريم البلاغ الكامل؛ بل خص عليًّا ﷺ بكثير من الآيات

---

(١) «الأصول» للكافي (١/ ٦٢).
(٢) «أصول الكافي» (١/ ٧٠).
(٣، ٤) المصدر نفسه (١/ ٥٩).
(٥) «بذل المجهود» (١/ ٤٣٧).

التي لم يطلع عليها غيره، ويستلزم الطعن في الصحابة الذين حرفوا القرآن من أجل مصالحهم الخاصة على حسب ما يدعيه الشيعة الرافضة، ويستلزم الطعن في علي والأئمة من بعده، وذلك لأنهم لم يسلموا القرآن الذي معهم - على حد زعم الشيعة الرافضة - إلى الناس ويدعوهم إليه، وهذا كتم لكتاب الله وقد توعد الله على ذلك بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾ [البقرة:١٥٩] ولو كان للشيعة الرافضة اعتراف بالأدلة العقلية، لكانت هذه اللوازم الفاسدة المترتبة على تلك العقيدة الخبيثة أكبر رادع لهم للإقلاع عن هذه العقيدة؛ والتوبة إلى الله من كل ما افتروه عليه، وعلى نبيه صلى الله عليه وسلم وصحابة نبيه الكرام، وأهل البيت الأطهار[1].

٢ - اعتقادهم أن القرآن ليس حجة إلا بقيم:

قال الكليني صاحب «أصول الكافي» والذي هو عندهم كصحيح البخاري عند أهل السنة[2]، يروي ما نصه: .. إن القرآن لا يكون حجة إلا بقيم: وإن عليًّا كان قيم القرآن وكانت طاعته مفترضة، وكان الحجة على الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم[3]، كما توجد هذه المقالة في طائفة من كتبهم المعتمدة كرجال الكشي[4]، وعلل الشرائع[5]، والمحاسن[6]. ووسائل الشيعة[7]، وغيرها. وكيف يقال مثل هذا في كتاب أنزله الله سبحانه ليكون هداية للناس؟ ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩].

قال الخليفة الراشد عليّ رضي الله عنه: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو الحبل المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو

(١) «بذل المجهود» (١/٤٣٧).
(٢) «أصول الشيعة الإمامية» (١/١٥٥).
(٣) «أصول الكافي» (١/١٨٨).
(٤) «رجال الكشي» ص (٤٢٠).
(٥) «علل الشرائع» ص (١٩٢).
(٦) «المحاسن» للبرقي ص (٢٦٨).
(٧) «وسائل الشيعة» للحر العاملي (١٨/١٤١).

الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم[١]، وقال ابن عباس ﷺ: ضمن الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم قرأ هذه الآية: ﴿**قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ**﴾ [طه: ١٢٣][٢].

وقد جاء في كتب الشيعة نفسها عن أهل البيت ما ينقض هذه المقولة في بعض مصادرهم المعتمدة، فقد جاء فيها: . . . فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفع، من جعله إمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل[٣]، وفي «نهج البلاغة» المنسوب لعلي ﷺ وهو الذي عند الشيعة من أوثق المراجع جاء النص التالي: فالقرآن آمر زاجر، وصامت ناطق، حجة الله على خلقه[٤]، ولهذه النصوص شواهد أخرى وهي تكشف لنا مدى التناقض والاضطراب الواقع في مصادر هؤلاء القوم، فرواياتهم ـ كما ترى ـ يعارض بعضها بعضًا، لكنهم في حالة التناقض تلك قد وضعوا لهم منهجًا خطيرًا وهو الأخذ بما خالف العامة ـ وهم أهل السنة عندهم، والمتأمل لتلك المقالة التي تواترت في كتب الشيعة يلاحظ أنها من وضع عدو حاقد أراد أن يصد الشيعة عن كتاب الله سبحانه، ويضلهم عن هُدى الله، فما دامت تلك المقالة ربطت حجية القرآن بوجود القيم، والقيم هو أحد الأئمة الاثني عشر؛ لأن القرآن فسر لرجل واحد وهو علي وقد انتقل علم القرآن من علي إلى سائر الأئمة الاثني عشر، كل إمام يعهد بهذا العلم إلى من بعده، حتى انتهى إلى الإمام الثاني عشر، وهو غائب مفقود عند الاثني عشرية منذ ما يزيد على أحد عشر قرنًا، ومعدوم عند طوائف من الشيعة

---

(١) «فضائل القرآن» لابن كثير ص (١٥) موقوف على أمير المؤمنين علي.

(٢) «تفسير الطبري» (١٦/ ٢٢٥).

(٣) «تفسير العياشي» (١/ ٢)، و«البحار» (٩٢/ ١٧).

(٤) «نهج البلاغة» ص (٢٦٥)، و«أصول الشيعة الإمامية» (١/ ١٦٠).

وغيرهم- فما دامت هذه المقالة ربطت حجية القرآن بهذا الغائب أو المعدوم فكأن نهايتها أن الاحتجاج بالقرآن متوقف لغياب قيمه أو عدمه، وأنه لا يرجع إلى كتاب الله، ولا يعرج عليه في مقام الاستدلال؛ لأن الحجة في قول الإمام فقط، وهو غائب فلا حجة فيه حينئذ، وحسبك بهذا الضلال، والإضلال عن صراط الله، وتلك ليست نهاية التآمر على كتاب الله، وعلى الشيعة، ولكنها حلقة من حلقات ومؤامرة ضمن سلسلة مؤامرات، تريد أن تبعد الشيعة عن كتاب الله عز وجل(١).

إن مما علم من الإسلام بالضرورة: أن علم القرآن الكريم لم يكن سرًّا تتوارثه سلالة معينة، ولم يكن لعلي اختصاص بهذا دون سائر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن الصحابة رضي الله عنهم هم الطليعة الأولى الذين حازوا شرف تلقي هذا القرآن عن رسول البشرية محمد صلى الله عليه وسلم ونقله إلى الأجيال كافة، ولكن الشيعة تخالف هذا الأصل، وتعتقد أن الله سبحانه قد اختص أئمتهم الاثني عشر بعلم القرآن كله، وأنهم اختصوا بتأويله وأن من طلب علم القرآن من غيرهم فقد ضل(٢)، وتذكر بعض مصادر أهل السنة بأن بداية هذه المقالة، وجذورها الأولى ترجع لابن سبأ؛ فهو القائل بأن القرآن جزء من تسعة أجزاء وعلمه عند علي(٣)، وقد استفاض ذكر هذه المقالة في كتب الشيعة الإمامية الاثني عشرية بألوان الأخبار وصنوف الروايات:

أ ـ جاء في «أصول الكافي» في خبر طويل عن أبي عبد الله قال: إن الناس يكفيهم القرآن لو وجدوا له مفسرًا، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسره لرجل واحد، وفسر للأمة شأن ذلك الرجل وهو علي بن أبي طالب رضي الله عنه(٤)، وجاء في طائفة من مصادر الشيعة المعتمدة لديهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«إن الله أنزل علي القرآن وهو الذي من خالفه ضل، ومن يبتغي علمه عند غير علي هلك»**(٥)، وزعمت

---

(١) «أصول الشيعة الإمامية» (١/ ١٦١). (٢) المصدر نفسه (١/ ١٦٢).

(٣) «أحوال الرجال» للجوزجاني ص (٣٨)، و«أصول الشيعة الإمامية» (١/ ١٦٢).

(٤) «أصول الكافي» (١/ ٢٥)، و«وسائل الشيعة» (١٨/ ١٣١).

(٥) «أمالي الصدوق» ص (٤٠)، و«وسائل الشيعة» (١٨/ ١٣٨).

أيضًا كتب الشيعة أن أبا جعفر قال: يا قتادة أنت فقيه أهل البصرة؟ فقال: هكذا يزعمون، قال أبو جعفر ﷺ: بلغني أنك تفسر القرآن؟ فقال له قتادة: نعم ـ إلى أن قال: ويحك يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به[١]، ورواياتهم في هذا الباب كثيرة جدًا، وربما تستغرق مجلدًا، وكلها تحوم حول معنى واحد وهو اختصاص الأئمة الاثني عشر بعلم القرآن، وأنه مخزون عندهم وبه يعلمون كل شيء[٢]، والرد على ذلك كما قال الله تعالى لمن طلب آية تدل على صدق الرسول ﷺ: ﴿**أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ**﴾ [العنكبوت: ٥١] فالقرآن الكريم العظيم هو الشاهد والدليل والحجة، ومن ابتغى علم القرآن من القرآن، أو من سنة المصطفى ﷺ، أو من صحابة رسول الله ﷺ بما فيهم علي فقد اهتدى، والقول بأن من طلب علم القرآن عند غير علي هلك، ليس من دين الإسلام، وهو مما علم بطلانه من الإسلام بالضرورة، فلم يخص النبي ﷺ أحدًا من الصحابة بعلم الشريعة دون الآخرين، قال تعالى: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾ [النحل: ٤٤]، فالآية تدل على أن البيان للناس وليس لفرد أو طائفة منهم ولو كانوا أهل بيته، وقد نفى أمير المؤمنين علي أن يكون خصه رسول الله ﷺ بعلم دون الناس[٣]. وقد خاطب النبي ﷺ الصحابة ومن بعدهم، ورغبهم في تبليغ سنته ولم يخص أحدًا منهم، فقال ﷺ: «**نضّر الله امرءًا سمع منا حديثًا فحفظه حتى يبلغه غيره؛ فإنه رب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه**»[٤].

وقد روت هذا الحديث كتب الشيعة الإمامية الاثني عشرية المعتمدة[٥]، فيكون حجة عليهم. وأما الدعوة بأن القرآن الكريم لم يخاطب به سوى الأئمة الاثني عشر، ومن هنا فلا يعرف القرآن سواهم ـ إنما يعرف القرآن من خوطب به[٦] ـ

(١) «بحار الأنوار» (٢٤/ ٢٣٧، ٢٣٨)، و«أصول الشيعة الإمامية» (١/ ١٦٣).
(٢) «أصول الشيعة الإمامية» (١/ ١٦٦).
(٣) مسلم رقم (١٩٧٨).
(٤) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١/ ٦٨٩، ٦٩٠).
(٥) «أصول الكافي» (١/ ٤٠٣)، و«وسائل الشيعة» للحر العاملي (١٨/ ٦٣).
(٦) «بحار الأنوار» (٢٤/ ٢٣٧، ٢٣٨)، و«أصول الشيعة الإمامية» (١/ ١٦٣).

وبهذا الفهم السقيم يعتبر صحابة رسول الله ﷺ، والتابعون وأئمة الإسلام على امتداد العصور قد هلكوا وأهلكوا ـ على حد زعمهم ـ بقيامهم بتفسير القرآن وفق أصوله، أو اعتقادهم أن في كتاب الله ما لا يعذر أحد بجهالته، ومنه ما تعرفه العرب من كلامها، ومنه ما لا يعرفه إلا العلماء ومنه ما لا يعلمه إلا الله[١]، فالشيعة تزعم أنه لا يعرف القرآن سوى الأئمة، وأنهم يعرفون القرآن كله وهذه دعوة تفتقر إلى الدليل، وزعم يكذبه العقل والنقل، فمما يجب أن يعلم أن النبي ﷺ بين لأصحابه معاني القرآن، كما بين لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿**لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾ [النحل: ٤٤]. يتناول هذا وهذا .

وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن ـ كعثمان ابن عفان، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما وغيرهما ـ أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا[٢].

ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة؛ وذلك أن الله تعالى قال: ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ**﴾ [ص: ٢٩] وقال: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ**﴾ [النساء: ٨٢]، وقال: ﴿**أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ**﴾ [المؤمنون: ٦٨]. وتدبر القرآن بدون فهم معانيه لا يمكن، وكذلك قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [يوسف: ٢]. وعقل القرآن متضمن لفهمه، ومن المعلوم أن كل كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه، فالقرآن أولى.

ولهذا لم تعد فئة من الشيعة تهضم هذه المقالة، وخرجت عن القول بكل ما فيها، فقالت: بأن ظواهر القرآن لا يختص بعلمها الاثنا عشر بل يشركهم غيرهم فيها، أما بواطن الآيات فمن اختصاص الأئمة. وقام خلاف كبير حول حجية ظواهر القرآن بين الإخباريين والأصوليين، فالفئة الأولى ترى أنه لا يعلم تفسير

(١) «تفسير الطبري» (١/ ٧٦) كلام لابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٣٣١).

القرآن كله ظاهره وباطنه إلا الأئمة، والأخرى ترى حجية ظواهر القرآن لعموم الأدلة في الدعوة لتدبر القرآن وفهمه[١].

إن دعوى القرآن لم يفسر إلا لعلي مخالفة لقول الله سبحانه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]. فالبيان للناس لا لعلي وحده ـ كما سبق ـ فليس لمن قال لهذه المقالة إلا أحد طريقين: إما القول بأن الرسول ﷺ لم يبلغ ما أنزل إليه، وإما أن يكذب القرآن، وهي مخالفة للعقل وما علم من الإسلام بالضرورة، ودعوى أن علم القرآن اختص به الأئمة، ينافيه اشتهار عدد كبير من صحابة رسول الله ﷺ بتفسير القرآن كالخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وزيد بن ثابت رضي الله عنهم وغيرهم. وكان علي رضي الله عنه يثني على تفسير ابن عباس رضي الله عنهما[٢].

وقال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: وهذا ابن عباس رضي الله عنهما نقل عنه من التفسير ما شاء الله بالأسانيد الثابتة ليس في شيء منها ذكر علي، وابن عباس يروي عن غير واحد من الصحابة، يروي عن عمر، وأبي هريرة، وعبد الرحمن بن عوف، وعن زيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وأسامة بن زيد، وغير واحد من المهاجرين والأنصار وروايته عن علي قليلة جدًا، ولم يخرج أصحاب الصحيح شيئًا من حديثه عن علي، وخرجوا حديثه عن عمر وعبد الرحمن بن عوف وأبي هريرة رضي الله عنهم وغيرهم... وما يعرف بأيدي المسلمين تفسير ثابت عن علي، وهذه كتب الحديث والتفسير مملوءة بالآثار عن الصحابة والتابعين، والذي منها عن علي قليل جدًا، وما ينقل من التفسير عن جعفر الصادق عامته كذب على جعفر[٣]، وقد تحدث جعفر بولع الناس بالكذب عليه.

إن قولهم بأن علم القرآن انفرد بنقله علي يفضي إلى الطعن في تواتر شريعة

---

(١) «البيان» للخوئي ص (٢٦٣)، و«أصول الفقه» للمظفر (٣/ ١٣٠).
(٢) «تفسير ابن عطية» (١/ ١٩)، و«تفسير ابن جزي» (١/ ٩).
(٣) «منهاج السنة» (٤/ ١٥٥).

القرآن من الصحابة إلى سائر الأجيال؛ لأنه لم ينقلها ـ على حد زعمهم ـ عن رسول الله إلا واحد وهو علي ﷺ، فهذه المقالة مؤامرة، الهدف منها الصد عن كتاب الله سبحانه والإعراض عن تدبره، واستلهام هديه، والتفكر في عبره، والتأمل في معانيه ومقاصده، فالقرآن في دين الشيعة لا وسيلة لفهم معانيه إلا من طريقة الأئمة الاثني عشر، أما غيرهم فمحروم بالانتفاع به، وهي محاولة أو حيلة مكشوفة الهدف، مفضوحة القصد؛ لأن كتاب الله نزل بلسان عربي مبين وخوطب به الناس أجمعون ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨]، وأمر الله عباده بتدبره، والاعتبار بأمثاله، والاتعاظ بمواعظه، ومحال أن يقال لمن لا يفهم ما يقال له ولا يعقل تأويله: اعتبر بما لا فهم لك به ولا معرفة لك به من البيان والكلام[1]، وهي محاولة للصد عن ذلك العلم العظيم في تفسير القرآن، والذي نقله إلينا صحابة رسول الله ﷺ والسلف والأئمة، فهذه الكنوز العظيمة لا عبرة بها ولا قيمة لها في دين الشيعة؛ لأنها ليست واردة عن الأئمة الاثني عشر، وقد صرح بذلك أحد شيوخهم المعاصرين فقال: إن جميع التفاسير الواردة عن غير أهل البيت لا قيمة لها ولا يعتد بها[2]، لقد حاولت كتب التفسير المعتمدة عندهم - كتفسير القمي والعياشي والصافي والبرهان وكتب الحديث كالكافي والبحار- تأويلات لكتاب الله منسوبة لآل البيت تكشف في الكثير الغالب عن جهل فاضح بكتاب الله، وتأويل منحرف لآياته، وتعسف بالغ في تفسيره، ولا يمكن أن تصح نسبتها لعلماء آل البيت، فهي تأويلات لا تتصل بمدلولات الألفاظ، ولا بمفهومها ولا بالسياق القرآني ـ كما سيأتي أمثلة على ذلك بإذن الله ـ وبناء على هذه العقيدة فإن هذا هو مبلغ علم علماء آل البيت، وفي ذلك من الزراية عليهم ونسبة الجهل إليهم الشيء الكثير من قوم يزعمون محبتهم والتشيع لهم[3].

(١) «تفسير الطبري» (١/ ٨٢).
(٢) «الشيعة والرجعة» لمحمد رضا النجفي ص (١٩).
(٣) «أصول الشيعة الإمامية» (١/ ١٧٦).

٣ - اعتقادهم بأن للقرآن معاني باطنة تخالف الظاهر:

ذهب الشيعة إلى أن للقرآن ظاهرًا وباطنًا، وأن الناس لا يعلمون إلا الظاهر، وأما الباطن فلا يعلمه إلا الأئمة، ومن يستقي منهم، وبمثل هذه الأفكار فتح الشيعة الباب للزنادقة والملحدين، وأصحاب الأهواء والمذاهب الهدامة لكي يتلاعبوا بالقرآن، وحاولوا جميعًا الكيد له، وأرادوا أن يطفئوا نور الإسلام بأفواههم، ولكن الله متم نوره ولو كره الكافرون، وقد استغل الشيعة فكرة الظاهر والباطن هذه، وحاولوا بها تفسير القرآن لكي يوافق معتقداتهم ويخدم مذهبهم في الإمامة، كما اتخذوا القرآن تكأة للهجوم على الصحابة ﷺ، وتجريحهم في الوقت الذي يمجدون فيه أهل البيت وينسبون إليهم أشياء يدفعونها هم عن أنفسهم، وقد أتى الشيعة الرافضة في هذا الباب بآراء تخالف كل ما أثر في تفسير القرآن، ولا يسندها أثر ولا عقل ولا لغة ولا منطق[(١)].

إن جذور التأويل الباطني نبت في أَرْوِقَةِ السبئية؛ لأن ابن سبأ حاول أن يجد لقوله بالرجعة مستندًا من كتاب الله بالتأويل الباطل، وذلك حينما قال: العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمدًا يرجع. وقد قال الله عز وجل: ﴿**إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ**﴾ [القصص: ٨٥][(٢)].

وقد نقلت لنا بعض كتب أهل السنة نماذج من تأويلات الشيعة لكتاب الله، ولكن ما انكشف لنا اليوم أمر خطير على عقائد الناس وفكرهم وثقافتهم؛ فقد تحدث الإمام الأشعري[(٣)]، والبغدادي[(٤)]، والشهرستاني[(٥)]، وغيرهم يحكون عن المغيرة بن سعيد أحد الغلاة باتفاق السنة والشيعة، والذي تنسب إليه الطائفة المغيرية أنه ذهب في تأويل الشيطان في قول الله جل شأنه: ﴿**كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ**﴾ [الحشر: ١٦]. بعمر بن الخطاب ﷺ. وهذا التأويل بعينه قد

---

(١) «دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين» ص (٢٣٣، ٢٣٤).
(٢) «تاريخ الطبري» (٥/ ٣٤٧).
(٣) «مقالات الإسلاميين» (١/ ٧٣).
(٤) «الفرق بين الفرق» ص (٢٤٠).
(٥) «الملل والنحل» (١/ ١٧٧).

ورثته الاثنا عشرية، ودونته في مصادرها المعتمدة؛ حيث جاء في تفسير العياشي[١]، والصافي[٢]، والقمي[٣]، والبرهان[٤]، وبحار الأنوار[٥]، عن أبي جعفر في قول الله: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ﴾ [إبراهيم: ٢٢] قال: هو الثاني، وليس في القرآن شيء: وقال الشيطان إلا وهو الثاني، فكأن كتب الاثني عشرية تزيد على المغيرية بوضع هذا الانحراف في كتاب الله قاعدة مطردة[٦].

فهذه الروايات التي تسندها كتب الشيعة الاثني عشرية إلى أبي جعفر الباقر، هي من أكاذيب المغيرة بن سعيد وأمثاله، فقد ذكر الذهبي عن كثير النواء[٧]، أن أبا جعفر قال: برئ الله ورسوله من المغيرة بن سعيد، وبيان بن سمعان فإنهما كذبا علينا أهل البيت[٨]، وروى الكشي في رجاله عن أبي عبد الله قال: لعن الله المغيرة ابن سعيد كان يكذب علينا[٩]، وساق الكشي روايات عديدة في هذا الباب[١٠].

ويلاحظ أنه اتفق كل من الأشعري، والبغدادي، وابن حزم، ونشوان الحميري على أن جابر الجعفي الذي وضع أول تفسير للشيعة على ذلك النهج الباطني كان خليفة المغيرة بن سعيد[١١] الذي قال: بأن المراد بالشيطان في القرآن هو أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، فهي عناصر خطرة يستقي بعضها من بعض عملت على فساد التشيع[١٢].

وحين احتج شيخ الشيعة في زمنه ـ والذي إذا أطلق لقب العلاّمة عندهم انصرف إليه (ابن المطهر الحلي) ـ على استحقاق علي للإمامة بقوله: (البرهان الثلاثون) قوله تعالى ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩، ٢٠] قال:

---

(١) «تفسير العياشي» (٢/ ٢٢٣).
(٢) «تفسير الصافي» (٣/ ٢٢٣).
(٣) «تفسير القمي» (٣/ ٨٤).
(٤) «البرهان» (٢/ ٣٠٩).
(٥) «بحار الأنوار» (٣/ ٣٧٨).
(٦) «أصول الشيعة الإمامية» (١/ ٢٠٦).
(٧) كثير النواء شيعي وروي أنه رجع عن تشيعه.
(٨) «ميزان الاعتدال» (٤/ ١٦١).
(٩) «رجال الكشي» ص (١٩٥).
(١٠) المصدر نفسه ص (١٩٥).
(١١) «مقالات الإسلاميين» (١/ ٧٣)، و«الفرق بين الفرق» ص(٢٤٢)، و«المحلى» (٥/ ٤٤) «أصول الشيعة الإمامية» (١/ ٢٠٧).
(١٢) «أصول الشيعة الإمامية» (١/ ٢٠٨).

علي وفاطمة ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ﴾ النبي ﷺ ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ الحسن والحسين، فحينما احتج ابن المطهر بذلك قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: إن هذا وأمثاله إنما يقوله من لا يعقل ما يقول، وهذا بالهذيان أشبه منه بتفسير القرآن وهو من جنس تفسير الملاحدة والقرامطة الباطنية للقرآن، بل هو شر من كثير منه، والتفسير بمثل هذا طريق للملاحدة على القرآن والطعن فيه، بل تفسير القرآن بمثل هذا من أعظم القدح فيه والطعن فيه[١]، وهذه أمثلة من تحريف الشيعة الرافضة لآيات القرآن الكريم، وذلك بفتحهم التفسير الباطني للقرآن الكريم على مصراعيه.

أ ـ تحريفهم معنى التوحيد الذي هو أصل الدين إلى معنى آخر هو ولاية الإمامة: فعن أبي جعفر أنه قال: ما بعث الله نبيًّا قط إلا بولايتنا والبراءة من عدونا[٢]؛ وذلك قول الله في كتابه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

ب ـ تحريفهم معنى الإله إلى معنى الإمام: ففي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [النحل: ٥١]. قال أبو عبد الله: يعني بذلك: ولا تتخذوا إمامين إنما هو إمام واحد[٣].

جـ ـ تحريفهم معنى الرب في القرآن إلى معنى الإمام: ففي تفسير قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيراً﴾ [الفرقان: ٥٥]. قال القمي في تفسيره: الكافر: الثاني (يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه)، كان على أمير المؤمنين علي عليه السلام ظهيراً[٤]. وقال الكاشاني في «البصائر»: إن الباقر عليه السلام سئل عن تفسير هذه الآية فقال: إن تفسيرها في بطن القرآن: علي هو ربه في الولاية[٥].

---

(١) «منهاج السنة» (٤/ ٦٦).

(٢) «تفسير العياشي» (٢/ ٢٦١)، و«البرهان» (٢/ ٣٧٣).

(٣) «البرهان» (٢/ ٣٧٣)، و«أصول الشيعة الإمامية» (١/ ٢٠٩).

(٤) «تفسير القمي» (٢/ ١١٥).

(٥) «تفسير نور الثقلين» (٤/ ٢٥).

د ـ تحريفهم معاني الكلمة إلى معاني الأئمة: فقالوا في تفسير قول الله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٢١]. الكلمة: الإمام[١]، وقوله سبحانه: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [يونس: ٦٤]. قالوا: لا تفسير للإمامة[٢].

هـ ـ تحريفهم معاني المسجد والكعبة والقبلة إلى معاني الأئمة: فقالوا في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٢٩] قال: يعني الأئمة[٣]، وفي رواية ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١] قال: يعني الأئمة[٤]. وفي قوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]. قال: إن الإمام من آل محمد فلا تتخذوا من غيرهم إمامًا[٥]، ويقول الصادق عنهم: . . نحن البلد الحرام ونحن كعبة الله ونحن قبلة الله[٦]، والسجود: هو ولاية الأئمة وبهذا يفسرون قول الله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [القلم: ٤٣] حيث قالوا: يدعون إلى ولاية علي في الدنيا[٧].

و ـ تحريفهم معاني التوبة في القرآن إلى الرجوع عن ولاية أبي بكر وعمر وعثمان إلى ولاية علي ﷺ وحده:

ففي قوله سبحانه: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ [غافر: ٧]. جاء تأويلها عندهم في ثلاث روايات، تقول الأولى: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ من ولاية فلان وفلان (يعنون أبا بكر وعمر وبني أمية)، وتقول الرواية الثانية: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ من ولاية الطواغيت الثلاثة (يعنون أبا بكر وعمر وعثمان ﷺ) من بني أمية، ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ يعني ولاية علي، وتقول الثالثة: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾

(١) «تفسير القمي» (٢/ ٢٧٤)، و«بحار الأنوار» (٢٤/ ١٧٤).
(٢) «تفسير القمي» (١/ ٣١٤)، و«بحار الأنوار» (٢٤/ ١٧٥).
(٣) «تفسير العياشي» (٢/ ١٢)، و«أصول الشيعة الإمامية» (١/ ٢١٦).
(٤) «تفسير العياشي» (٢/ ١٣)، و«أصول الشيعة الإمامية» (١/ ٢١٦).
(٥) «البرهان» (٤ / ٣٩٣)، و«أصول الشيعة الإمامية» (١ / ٢١٦).
(٦) «بحار الأنوار» (٢٤ / ٣٠٣).
(٧) «تفسير القمي» (٢ / ٣٨٣)، و«مرآة الأنوار» ص (١٧٦).

من ولاية هؤلاء وبني أمية ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ هو أمير المؤمنين[١]، وكل الروايات الثلاث المذكورة منسوبة لأبي جعفر محمد الباقر، وعلمه ودينه ينفيان صحة ذلك[٢]، وهذا قليل من كثير من تأويلاتهم الباطلة، فقد قامت مصادرهم في التفسير - غالبًا - على هذا المنهج الباطني في التأويل الذي استقته من أبي الخطاب، وجابر الجعفي والمغيرة بن سعيد وغيرهم من الغلاة، ويلاحظ أنه في القرن الخامس بدأ اتجاه التفسير عندهم يحاول التخلص من تلك النزعة المفرطة في التأويل الباطني؛ حيث بدأ شيخ الطائفة عندهم أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، يؤلف لهم كتابًا في التفسير، ويحاول فيه أن يتخلص أو يخفف من ذلك الغلو الظاهر في تفسير القمي والعياشي وفي أصول الكافي وغيرها، وهو وإن كان يدافع عن أصول طائفته ويقرر مبادئهم المبتدعة، إلا أنه لا يهبط ذلك الهبوط الذي نزل إليه القمي ومن تأثر به، ومثل الطوسي في هذا النهج الفضل ابن الحسن الطبرسي في مجمع البيان، وقد أشار ابن تيمية إلى ذلك حيث يقول: الطوسي ومن معه في تفسيرهم يأخذون من تفسير أهل السنة، وما في تفاسيرهم من علم يستفاد إنما هو مأخوذ من تفاسير أهل السنة[٣].

سادسًا: موقف الشيعة الإمامية من الصحابة الكرام:

يقف الشيعة الرافضة من أصحاب النبي ﷺ موقف العداوة والبغضاء والحقد والضغينة، يبرز ذلك من خلال مطاعنهم الكبيرة على الصحابة التي تزخر بها كتبهم القديمة والحديثة، فمن ذلك اعتقادهم: كفرهم وردتهم إلا نفرًا يسيرًا منهم، على ما جاء مصرحًا بذلك في بعض الروايات الواردة في أصح كتبهم وأوثقها عندهم، فقد روى الكليني عن أبي جعفر أنه قال: كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة. فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، رحمة الله وبركاته عليهم ثم عَرَّفَ

(١) «تفسير الصافي» (٤ / ٣٣٥)، و«تفسير القمي» (٢ / ٢٥٥).
(٢) «أصول الشيعة الإمامية» (١ / ٢١٨).
(٣) «منهاج السنة» (٣ / ٢٤٦).

أناسًا بعد يسير وقال: هؤلاء الذين دارت عليهم الرحا وأبوا أن يبايعوا حتى جاؤوا بأمير المؤمنين مكرهًا فبايع[١].

ـ وقال نعمة الله الجزائري: الإمامية قالوا بالنص الجلي على إمامة علي رضي الله عنه، وكفروا الصحابة، ووقعوا فيهم، وساقوا الإمامة إلى جعفر الصادق وبعده إلى أولاده المعصومين عليهم السلام، ومؤلف هذا الكتاب من هذه الفرقة وهي الناجية إن شاء الله[٢]، وقدح الشيعة الرافضة في الصحابة لا يقف عند هذا الحد من اعتقاد تكفيرهم وردتهم، بل يعتقدون أنهم شر خلق الله، وأن الإيمان بالله ورسوله لا يكون إلا بالتبرؤ منهم، وخاصة الخلفاء الثلاثة: أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وأمهات المؤمنين رضي الله عنهن[٣].

ـ يقول محمد باقر المجلسي: وعقيدتنا في التبرؤ: أننا نتبرأ من الأصنام الأربعة؛ أبي بكر وعمر، وعثمان، ومعاوية، والنساء الأربع: عائشة، وحفصة، وهند، وأم الحكم، ومن جميع أشياعهم وأتباعهم، وأنهم شر خلق الله على وجه الأرض، وأنه لا يتم الإيمان بالله ورسوله والأئمة إلا بعد التبرؤ من أعدائهم[٤]. وقد بلغ من حقد هؤلاء على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم استباحة لعنهم، بل أصبح تقربهم إلى الله بذلك أمرًا يفوق الوصف، فقد روى الملا كاظم عن أبي حمزة الثمالي - افتراء على زين العابدين رحمه الله- أنه قال: من لعن الجبت والطاغوت لعنة واحدة كتب الله له سبعين ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له سبعون ألف ألف درجة، من أمسى يلعنهما لعنة واحدة كتب له مثل ذلك، قال: فمضى مولانا علي بن الحسين، فدخلت على مولانا أبي جعفر محمد الباقر، فقلت: يا مولاي حديث سمعته من أبيك، قال: هات يا ثمالي، فأعدت عليه الحديث، فقال: نعم يا ثمالي، أتحب أن أزيدك؟ فقلت: بلى يا مولاي. فقال: من لعنهما لعنة واحدة في كل غداة لم يكتب عليه

---

(١) «الروضة من الكافي» (٨ / ٢٤٥، ٢٤٦)، و«الانتصار للصحب والآل» ص (٧٦).

(٢) «الأنوار النعمانية» (٢ / ٢٤٤).

(٣) «الانتصار للصحب والآل» ص (٧٧).

(٤) «حق اليقين» ص (٥١٩) (فارسي) وقد قام بترجمة النص ونقله إلى العربية الشيخ محمد عبد الستار التونسوي في كتابه «بطلان عقائد الشيعة» ص (٥٣).

ذنب في ذلك اليوم حتى يمسي، ومن أمسى لعنهما لعنة واحدة لم يكتب عليه ذنب في ليلة حتى يصبح[١].

ومن الأدعية المشهورة عندهم الواردة في كتب الأذكار: دعاء يسمونه دعاء صنمي قريش (يعنون بهما أبا بكر وعمر)، وينسبون هذا الدعاء ظلما وزورًا لعلي ﷺ وهو يتجاوز صفحة ونصف وفيه: اللهم صَلِّ على محمد وآل محمد والعن صنمي قريش وجبتيهما وطاغوتيهما وإفكيهما، وابنتيهما اللذين خالفا أمرك، وأنكرا وحيك وجحدا إنعامك، وعصيا رسولك، وقلبا دينك، وحرفا كتابك.... إلى أن جاء في آخره : اللهم العنهما في مكنون السر، وظاهر العلانية، لعنًا كثيرًا أبدًا، دائمًا سرمدًا، لا انقطاع لأمره ولا نفاد لعدده، لعنًا يعود أوله ولا يروح آخره، لهم ولأعوانهم، وأنصارهم ومحبيهم ومواليهم، والمسلمين لهم، والمائلين إليهم، والناهضين باحتجاجهم، والمقتدين بكلامهم، والمصدقين بأحكامهم، (قل أربع مرات): اللهم عذبهم عذابًا يستغيث منه أهل النار، آمين يارب العالمين[٢].

هذا الدعاء مرغب فيه عندهم؛ حتى إنهم رووا في فضله نسبة إلى ابن عباس ﷺ أنه قال: إن عليًّا ـ عليه السلام ـ كان يقنت بهذا الدعاء في صلواته، وقال: إن الداعي به كالرامي مع النبي ﷺ في بدر، وأحد وحنين، بألف ألف سهم[٣]، ولهذا كان هذا الدعاء محل عناية علمائهم؛ حتى إن أغا بزرك الطهراني ذكر أن شروحه بلغت العشرة[٤]، فهذا ما جاء في كتبهم القديمة وعلى ألسنة علمائهم المتقدمين، أما المعاصرون منهم فهم على عقيدة سلفهم سائرون وبها متمسكون، فهذا إمامهم المقدس وآيتهم العظمى الخميني ـ يقول في كتابه كشف الأسرار: إننا هنا لا شأن لنا بالشيخين، وما قاما به من مخالفات للقرآن،

---

(١) «أجمع الفضائح» لملا كاظم ص (٥١٣) نقلاً عن «الشيعة وأهل البيت» ص(١٥٧).

(٢) «مفتاح الجنان في الأدعية والزيارات والأذكار» ص (١١٣، ١١٤)، و«تحفة عوام مقبول» ص (٢١٤، ٢١٥)، وهذا الكتاب الأخير موثق من كبار علمائهم المعاصرين ورد ذكر أسمائهم على غلاف الكتاب ومنهم الخميني.

(٣) «علم اليقين في أصول الدين» لمحسن الكاشاني (٢/١٠١).

(٤) «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» (٨ / ١٩٢).

ومن تلاعب بأحكام الإله، وما حللا وحرماه من عندهما، وما مارساه من ظلم ضد فاطمة ابنة النبي ﷺ وضد أولاده، ولكننا نشير إلى جهلهما بأحكام الإله والدين[١]، ويقول عن الشيخين رضي الله عنهما: وهنا نجد أنفسنا مضطرين إلى إيراد شواهد من مخالفتهما الصريحة للقرآن؛ لنثبت بأنهما كانا يخالفان ذلك[٢]. ويقول متهمهما بتحريف القرآن: لقد ذكر الله ثماني فئات تستحق سهمًا من الزكاة، لكن أبا بكر أسقط واحدة من هذه الفئات، بإيعاز من عمر ولم يقل المسلمون شيئًا[٣]، ويقول: الواقع أنهم أعطوا الرسول حق قدره. . . الرسول الذي كدّ وجد وتحمل المصائب من أجل إرشادهم وهدايتهم وأغمض عينيه وفي أذنيه كلمات ابن الخطاب القائمة على الفرية، والنابعة من أعمال الكفر والزندقة[٤].

وقد خرجت أصوات شيعية معاصرة تدعو للتقارب بين الشيعة وأهل السنة، وتزعم أنها تقدر الصحابة، كالخنيزي وأحمد مغنية والرفاعي، ومحمد جواد مغنية، فعليهم أن يعلنوا موقفهم في تقديمهم للصحابة في الأوساط الشيعية، وأن يعملوا علي تنقية التراث الشيعي من كل ما يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وأن يتصدوا لمشايخ الشيعة المعاصرين الذين لا يزالون يهذون في هذا الضلال، وألا يتجاهلوا ما جاء في كتبهم قديمًا وحديثًا وما يجري في واقعهم من عوامهم وشيوخهم وأن يصدقوا ولا يتناقضوا، حتى يقبل منهم موقفهم[٥] .

إن عقيدة الشيعة الرافضة في الصحابة موجودة في أصول كتبهم التي يقوم عليها المذهب من مطاعن وسباب، وشتائم، بذيئة يتنزه أصحاب المروءة والدين عن إطلاقها على أكفر الناس، بينما تنشرح بها صدور الشيعة الرافضة، وتسارع بها ألسنتهم في حق أصحاب رسول الله ﷺ وخلفائه ووزرائه وأصهاره رضي الله عنهم ، ويعدون ذلك دينًا يرجون عليه من الله أعظم الأجر والمثوبة، وفي الحقيقة إن المسلم إذا ما تأمل حال هؤلاء الناس وما هم عليه من بعد وضلال فإنه لابد له من موقفين:

---

(١) «كشف الأسرار» ص (١٢٦).
(٢) المرجع نفسه ص (١٣١).
(٣) المرجع نفسه ص (١٣٥).
(٤) المرجع نفسه ص (١٣٧).
(٥) «أصول الشيعة الإمامية» (٣/ ١٣١٩- ١٣٤٢).

أ ـ موقف استشعار نعمة الله، وعظم لطفه، وسابغ كرمه أن أنقذه من هذا الضلال، الأمر الذي يستوجب شكرًا لله على ذلك.

ب ـ موقف الاتعاظ والاعتبار، بما بلغ بهؤلاء القوم من زيغ وانحراف، يعلمه من له أدنى ذرة من عقل، كتقربهم إلى الله بلعن أبي بكر وعمر صباحًا ومساء، وزعمهم أن من لعنهما لعنة واحدة لم تكتب عليه خطيئة في يومه وذلك أن عامة العقلاء من هذه الأمة، بل ومن أصحاب الملل السماوية يدركون إدراكًا ضروريًّا من دين الله، أن الله ما تعبده أمة من الأمم بلعن أحد من الكفار، ولو كان من أكفر الناس، بل ما تعبدهم بلعن إبليس اللعين المطرود من رحمة الله صباحًا ومساء، في أوراد مخصوصة تقربنا إلى الله كما تتقرب الشيعة الرافضة بلعن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ بل إني لا أعلم[1]، فيما اطلعت عليه من كتب الرافضة أنفسهم ـ أنها تضمنت دعاء مخصوصًا أو غير مخصوص في لعن أبي جهل، أو أمية بن خلف، أو الوليد بن المغيرة، الذين هم أشد الناس كفرًا بالله وتكذيبًا لرسوله ﷺ بل ولا في لعن إبليس في حين أن كتبهم تمتلئ بالروايات في لعن أبي بكر وعمر، كما في دعاء صنمي قريش وغيره، ففي هذا عبرة لكل معتبر فيما يبلغ بالعبد من الضلال، إن هو أعرض عن شرع الله، واتبع الأهواء والبدع، كيف يزين له سوء عمله وقبيح أفعاله حتى يصبح لا يعرف معروفًا من منكر، ولا يميز حقًّا من باطل بل يتخبط في الظلمات، ويعيش سكرة الشهوات، وهذا ما أخبر الله عنه في كتابه وبين حال أصحابه[2] في قوله: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِه فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [فاطر: ٨]، وقال: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ [مريم: ٧٥].

---

(١) هو الدكتور إبراهيم الرحيلي صاحب كتاب «الانتصار للصحب والآل» ص (٨٥)

(٢) «الانتصار للصحب والآل» ص (٨٥).

١ـ نماذج للمزاجية في تفسير الآيات عند الشيعة الرافضة: المتعلقة بردة الصحابة ـ علي حد زعمهم ـ والرد علي باطلهم:

أ ـ آية سورة آل عمران:

استدل الشيعة الرافضة بقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٣، ١٤٤]. على أن هذه الآية - كما يزعمون- صريحة في الدلالة علي انقلاب الصحابة بعد رسول الله ﷺ وعد الصحابة المنقلبين على أعقابهم هم الكثرة الغالبة من الصحابة، فيما ثبت من الصحابة قلة قليلة وهي الفئة التي ترى الشيعة الرافضة ثبوتها علي الإسلام، وهؤلاء الثابتون هم الشاكرون، ولا يكونون إلا قلة كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣] والمهم عندهم أن آية الانقلاب تقصد الصحابة مباشرة، الذين يعيشون مع رسول الله ﷺ في المدينة وترمي إلى الانقلاب مباشرة بعد وفاته دون فعل(١)، وقد حولوها وطبقوها على ما حدث في سقيفة بني ساعدة، عندما انتخب الصحابة الكرام أبا بكر الصديق رضي الله عنه، والرد على هذا الكذب العظيم كالآتي:

ـ روى الطبري في تفسيره بسنده عن الضحاك قال في قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ناس من أهل الارتياب والمرض والنفاق، قالوا يوم فر الناس عن نبي الله ﷺ، وشج فوق حاجبه، وكسرت رباعيته: قتل محمد فالحقوا بدينكم الأول، فذلك قوله: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤](٢).

- وروى أيضًا عن ابن جريج قال: قال أهل المرض والارتياب والنفاق، حين فرّ الناس عن النبي ﷺ: قد قتل محمد، فالحقوا بدينكم الأول فنزلت هذه

---

(١) «ثم اهتديت» للتاجاني ص (١١٤، ١١٥).

(٢) «تفسير الطبري» (٣ / ٤٥٨).

الآية[١]، فالمقصود بالانقلاب على الأعقاب في الآية هو: ما قاله المنافقون لما أشيع في الناس أن رسول الله ﷺ قتل، وهو قولهم: ارجعوا إلى دينكم الأول. ولم تكن هذه الآية فيمن ارتد بعد موت النبي ﷺ وإن كانت هي حجة عليهم، مع أنها إن كانت فيمن ارتد بعد موت النبي ﷺ، لكانت أظهر في الدلالة على براءة أصحاب النبي ﷺ من المرتدين، فإنهم هم الذين قاتلوهم، وأظهر الله دينه على أيديهم، وخذل المرتدين بحربهم لهم، فرجع منهم من رجع إلى الدين، وهلك من هلك على ردته، وظهر فضل الصديق والصحابة بمقاتلتهم لهم[٢]، ولهذا ثبت عن علي رضي الله عنه أنه كان يقول في قوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. الثابتين على دينهم أبا بكر وأصحابه رضي الله عنهم[٣]، وكان يقول: كان أبو بكر أمين الشاكرين، وأمين أحباء الله، وكان أشكرهم وأحبهم إلى الله[٤].

لقد كانت لموقعة «أحد» ظروفها الخاصة وملابساتها، ولذلك جاءت الآيات الكريمة في سورة آل عمران وفقًا لتلك الظروف والملابسات، واستخدام الآية الكريمة للاستدلال على وقائع أخرى كحادثة السقيفة أو موقعة الجمل لا يخلو من غرابة ومن مزاجية، لا تمت بصلة للمنهجية العلمية، وتعتبر هذه الآية من أكبر الدلائل على عظم إيمان أبي بكر وحكمته وتفانيه في الدفاع عن دين الله، فموقفه الثابت يوم أن توفي رسول الله ﷺ خير شاهد على ذلك.. يوم أن وقف وقفته الثابتة مخاطبًا الناس بعدما أصابهم الوهن والضعف على فقد رسول الله فقال: إن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] ويقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، فمن كان يعبد الله عز وجل فإن الله عز وجل حي لا يموت، ومن كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات[٥]، وموقفه الصارم من الذين ارتدوا على أعقابهم واستبدلوا

---

(١) «تفسير الطبري» (٣ / ٤٥٨).
(٢) «الانتصار للصحب والآل» ص (٣٢٢).
(٣،٤) «تفسير الطبري» (٣ / ٤٥٥).
(٥) «البخاري»، فضائل الصحابة رقم (٣٦٦٨).

الكفر بالإيمان، فاتبعوا مسيلمة، وسجاح وطليحة بن خويلد والأسود العنسي وأمثالهم، ومن الذين قالوا نصلي ولا نزكي، فأسقطوا شعائر الإسلام بالهوى- لأروع مثال على عظمة أبي بكر والصحابة وعلى حرصهم على الدين[1]، وقد وقف أمير المؤمنين علي بجانب الخليفة الراشد الصديق ﵁ في جهاده ضد المرتدين ومانعي الزكاة، أما التيجاني وشرف الدين الموسوي وفلان وفلان من أئمة علماء الشيعة الاثني عشرية، فلا زالوا يدندنون حول قضية مانعي الزكاة، محاولين تبرئة ساحتهم ورمي أبي بكر والصحابة بالمقابل بالأباطيل والردة، فأي ضلال ينطق به هؤلاء حين يطعنون في أصحاب رسول الله ﷺ ، ويجعلون من الذين جاهدوا[2] في سبيل رفعة هذا الدين رموزًا للكفار والردة والنفاق، ولذلك لا نعجب إن علمنا مدى إكبار وإجلال الإمام أبي جعفر محمد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب لأبي بكر الصديق، يذكر الأربلي - في كتاب كشف الغمة في معرفة الأئمة - عن عروة بن عبد الله أنه قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حلية السيوف، فقال: لا بأس به، قد حلى أبو بكر الصديق ﵁ سيفه، قلت: فتقول: الصديق؟ قال: فوثب وثبة واستقبل القبلة وقال: نعم الصديق، نعم الصديق، فمن لم يقل له الصديق، فلا صدق الله له قولاً في الدنيا ولا في الآخرة[3] فرحم الله الإمام أبا جعفر، ورحم الله كلماته التي طوتها صحف الأمس ولم تنطق بها ضمائر اليوم[4].

ب - آية سورة المائدة:

وقد استدل بعض المتنطعين على ردة الصحابة وانقلابهم على أعقابهم بقول الله تعالى: ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [المائدة: ٥٤].

---

(١) «ثم أبصرت الحقيقة» ص (٣٠٢).
(٢) «ثم أبصرت الحقيقة» ص (٣٠٢، ٣٠٣).
(٣) «كشف الغمة» (٢ / ١٤٧).
(٤) «ثم أبصرت الحقيقة» ص (٣٠٤).

إن هذه الآية التي بين أيدينا والتي يستدل بها علماء الشيعة الاثني عشرية، على ردة الصحابة وانقلابهم على أعقابهم لهي أعظم دليل على عظمة هؤلاء الصحابة ﷺ وتفانيهم في الدفاع عن الإسلام لا على ردتهم وانقلابهم على أعقابهم[١]، فقد روى الطبري بسنده عن علي ﷺ أنه قال في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ بأبي بكر وأصحابه ﷺ، وعن الحسن البصري قال: هذا والله أبو بكر وأصحابه، وعن الضحاك قال: هو أبو بكر وأصحابه، لما ارتد من العرب عن الإسلام جاهدهم أبو بكر وأصحابه حتى ردهم إلى الإسلام، وبهذا قال قتادة وابن جريج وغيره من أئمة التفسير[٢].

إن الآية الكريمة تحدثت عن صفات جيل التمكين، وبأن أهل الإيمان سيحالفهم النصر والتمكين فينالوا العزة والكرامة، بينما سيحيق بأهل الردة مكرهم السيئ وتغشاهم الزلة، وهذه حقيقة يلمسها كل من قرأ التاريخ الصحيح، وتجلت له عزة الصحابة وعلى رأسهم الخليفة الراشد أبو بكر ﷺ، وذل زعماء الردة، كمسيلمة والعنسي وسجاح وخيبتهم[٣].

إن هذه الصفات المذكورة في هذه الآية الكريمة أول من تنطبق عليه أبو بكر الصديق ﷺ، وجيوشه من الصحابة الذين قاتلوا المرتدين؛ فقد مدحهم الله بأكمل الصفات وأعلى المبرات، فالله سبحانه وتعالى ذكر بأنه يحبهم ويحبونه، أذلة على المؤمنين، أعزة علي الكافرين، يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم، وقد شرحت هذه الصفات في كتابي «الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق»[٤]، فمن أراد المزيد فليرجع إليه.

جـ- آية سورة التوبة:

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

---

(١) «ثم أبصرت الحقيقة» ص (٣١١).

(٢) «تفسير الطبري» (٤ / ٦٢٣، ٦٢٤).

(٣) «ثم أبصرت الحقيقة» ص (٣١٢).

(٤) «الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق» ص (٢٨٨ - ٢٩١ للمؤلف).

اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ * إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٢٨، ٢٩]، فقد قال بعض علماء الشيعة الرافضة: هذه الآية صريحة في أن الصحابة تثاقلوا عن الجهاد، واختاروا الركون إلى الحياة الدنيا، برغم علمهم بأنها متاع قليل، حتى استوجبوا توبيخ الله سبحانه، وتهديده إياهم بالعذاب الأليم، واستبدل غيرهم من المؤمنين الصادقين، وقد جاء هذا التهديد باستبدال غيرهم في العديد من الآيات، مما يدل دلالة واضحة على أنهم تثاقلوا عن الجهاد في مرات عديدة، فقد جاء في قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ [محمد: ٣٨] عند صاحب كتاب «ثم اهتديت»: ومن البديهي المعلوم أن الصحابة تفرقوا بعد النبي ﷺ واختلفوا، وأوقدوا نار الفتنة، حتى وصل بهم الأمر إلى القتال والحرب الدامية، التي سببت انتكاس المسلمين وتخلفهم وأطمعت فيهم أعداءهم[1]، والرد على هذا الشيعي الرافضي كالآتي: إنه ليس في هاتين الآيتين مطعن على أصحاب النبي ﷺ، وإنما فيهما حث الله تعالى الصحابة على الجهاد، وذلك عندما أمر النبي ﷺ أصحابه في غزوة تبوك بغزو الروم، وكان ذلك في زمن عسرة وفاقة من أصحاب النبي ﷺ مع شدة الحر وبعد السفر، فشق ذلك على بعضهم، فنزلت الآيات في الترغيب في الجهاد في سبيل الله، والتحذير من **التثاقل عنه** فاستجاب أصحاب النبي ﷺ لأمر ربهم.

قال الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ﴾ [التوبة: ٣٨]. وهذه الآية حث من الله جل ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسوله ﷺ على غزو الروم، وذلك غزوة رسول **الله** ﷺ تبوك[2] ولا شك أن هاتين الآيتين تضمنتا نَوْعَ عتاب من **الله** عز وجل لبعض من ثقل عليهم الخروج في الجهاد، وهذا قطعًا لا يرد على عامة

(١) «ثم اهتديت» ص (١١٥).
(٢) «تفسير الطبري» (٦ / ٣٧٢).

أصحاب النبي ﷺ الذين استجابوا لله ورسوله بالمسارعة في الخروج في سبيل الله وهم غالب الصحابة وأكثرهم[١]، وقال ابن كثير: هذا شروع في عتاب من تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك[٢].

ومعلوم أنه لم يتخلف عن النبي ﷺ في غزوة تبوك أحد من أصحابه من غير أهل الأعذار، إلا ثلاثة نفر كما دل على ذلك حديث كعب بن مالك المشهور في الصحيحين[٣]، وهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع، ومع هذا فقد ثبت بنص كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أن الله تاب على الجميع، وأنزل في توبته على سائر الصحابة وحيًا يتلى في كتابه في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِمَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ * وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ [التوبة: ١١٧، ١١٨]، وتضمنت هذه الآيات إخبار الله تعالى عن توبته على المهاجرين والأنصار الذين اتبعوا الرسول ﷺ في غزوة تبوك، والتي تسمى غزوة العسرة فلم يتخلفوا عنه مع ما أصابهم فيها من الجهد والشدة والفقر، حتى جاء في بعض الروايات أن النفر منهم كانوا يتناولون التمر بينهم يمصها هذا ثم يشرب عليها، ثم يمصها هذا، ثم يشرب عليها حتى تأتي على آخرهم[٤]، كما تضمنت توبة الله على الثلاثة المخلفين، الذين تأخروا عن رسول الله ﷺ في تلك الغزوة بعد هجر النبي ﷺ لهم، وندمهم ندمًا عظيمًا حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت[٥]، فلم يبق بعد ذلك عذر لأحد في النيل من أصحاب النبي ﷺ، أو غمزهم بشيء مما قد يقع

---

(١) «الانتصار للصحب والآل» ص (٣٢٧).
(٢) «تفسير ابن كثير» (٢ / ٣٧٢).
(٣) «البخاري» رقم (٤١١٨)، و«مسلم» (٢٧٦٩).
(٤) «تفسير الطبري» (٦/ ٥٠٢)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٣٣).
(٥) «الانتصار للصحب والآل» ص (٣٢٩).

منهم، بعد مغفرة الله لهم وتوبته عليهم، وثنائه عليهم الثناء العظيم في كتابه وتزكية الرسول ﷺ لهم في سنته رضي الله عنهم[١].

وأما اقتتال الصحابة رضي الله عنهم فقد نشأ في عهد علي رضي الله عنه، وقد تقدم الحديث عن أسباب الاختلاف بين الصحابة في الفتنة، وبيان وجهة كل فريق، وبراءتهم من كل ما يلصق بهم من ذلك، وأن عامة ما صدر منهم إنما كانوا مجتهدين فيه، ليس لأحد أن يذمهم بشيء منه وإنما الإمساك عما شجر بينهم، والترحم عليهم هو السبيل الأمثل، والمنهج الأقوم في حقهم، فرضي الله عنهم أجمعين[٢].

د - حديث المذاداة عن الحوض:

قال رسول الله ﷺ: **«بينما أنا قائم فإذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، فقلت: إلى أين؟ فقال: إلى النار، والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، قال: هَلُمَّ قلت: أين؟ قال: إلى النار، والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم»**[٣]. وقال ﷺ: **«إني فرطكم على الحوض من مر عليّ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدًا، ليردن عليّ أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم، فأقول: أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقًا سحقًا لمن غير بعدي»**[٤].

يقول بعض الشيعة: فالمتمعن في هذه الأحاديث العديدة التي أخرجها علماء أهل السنة في صحاحهم ومسانيدهم، لا يتطرق إليه الشك في أن أكثر الصحابة قد بدلوا وغيروا، بل ارتدوا على أدبارهم بعده ﷺ إلا القليل الذين عبر عنه بهمل النعم، ولا يمكن بأي حال من الأحوال حمل هذه الأحاديث على القسم

(١) «الانتصار للصحب والآل» ص (٣٢٩).

(٢) المصدر نفسه ص (٣٣٠).

(٣) «البخاري»، كتاب الرقاق رقم (٦٥٨٤، ٦٥٨٧).

(٤) «مسلم»، كتاب الفضائل (٤/ ١٧٩٣).

الثالث: وهم المنافقون؛ لأن النص يقول: «فأقول أصحابي» ولأن المنافقين لم يبدلوا بعد النبي ﷺ، وإلا فأصبح المنافق بعد وفاة النبي ﷺ مؤمنًا(١).

والرد على هذه الشبهة كالتالي: إن أصحاب النبي ﷺ مما لا يقبل النزاع في عدالتهم أو التشكيك في إيمانهم بعد تعديل العليم الخبير لهم في كتابه، وتزكية رسوله لهم في سنته، وثناء الله ورسوله عليهم أجمل الثناء، ووصفهم بأحسن الصفات، مما هو معلوم ومتواتر من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ويأتي بيان ذلك بإذن الله تعالى.

ولهذا اتفق شراح الحديث من أهل السنة، على أن الصحابة غير معنيين بهذه الأحاديث وأنها لا توجب قدحًا فيهم، قال ابن قتيبة ـ في معرض رده على الشيعة الرافضة في استدلالهم بالحديث على ردة الصحابة- : فكيف يجوز أن يرضى الله ـ عز وجل ـ عن أقوام ويحمدهم، ويضرب لهم مثلاً في التوراة والإنجيل، وهو يعلم أنهم يرتدون على أعقابهم بعد رسول الله ﷺ، إلا أن يقولوا: إنه لم يعلم وهذا هو شر الكافرين(٢)، وقال الخطابي: لم يرتد من الصحابة أحد، وإنما ارتد من جفاة العرب، ممن لا نصرة له في الدين، وذلك لا يوجب قدحًا في الصحابة المشهورين، ويدل القول: (أصحابي) على قلة عددهم(٣).

وقال النووي في شرح بعض روايات الحديث عند قوله ﷺ: هل تدري ما أحدثوا بعدك؟ هذا مما اختلف العلماء فيه المراد به على أقوال:

أ ـ إن المراد به المنافقون والمرتدون، فيجوز أن يحشروا بالغرة والتحجيل، فيناديهم النبي ﷺ للسيما التي عليهم، فيقال: ليس هؤلاء مما وعدت بهم، إن هؤلاء بدلوا بعدك: أي لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم.

ب ـ إن المراد من كان في زمن النبي ﷺ ثم ارتد بعده فيناديهم النبي ﷺ؛ لما كان يعرفه ﷺ في حياته من إسلامهم، فيقال: ارتدوا بعدك.

---

(١) «ثم اهتديت» ص(١١٩). (٢) «تأويل مختلف الحديث» ص(٢٧٩). (٣) «فتح الباري» (١١/ ٢٨٥).

جـ - إن المراد به أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد، وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام وعلى هذا لا يقطع بهؤلاء الذين يذادون بالنار، يجوز أن يذادوا عقوبة لهم، ثم يرحمهم الله سبحانه وتعالى فيدخلهم الجنة بغير عذاب[1]، ونقل هذه الأقوال، أو قريبًا منها، القرطبي وابن حجر، رحمهما الله تعالى[2].

ولا يمتنع أن يكون أولئك المذادون عن الحوض هم من مجموع تلك الأصناف المذكورة، فإن الروايات محتملة لكل هذا، ففي بعضها يقول النبي ﷺ: **«فأقول: أصحابي أو أصيحابي»** - بالتصغير - وفي بعضها يقول: **«سيؤخذ أناس من دوني فأقول: ياربي مني ومن أمتي»**. وفي بعضها يقول: **«ليردن عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني»**[3].

وظاهر ذلك أن المذادين ليسوا طائفة واحدة، وهذا هو الذي تقتضيه الحكمة؛ فإن العقوبات في الشرع تكون بحسب الذنوب، فيجتمع في العقوبة الواحدة كل من استوجبها من أصحاب ذلك الذنب[4]، وإذا كان النبي ﷺ قد بين سبب الذود عن الحوض، هو الارتداد كما في قوله: إنهم ارتدوا على أدبارهم، أو الإحداث في الدين، كما في قوله: «إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[5]، فمقتضى ذلك هو أن يذاد عن الحوض كل مرتد عن الدين سواء أكان ممن ارتد بعد موت النبي ﷺ من الأعراب، أم من كان بعد ذلك، يشاركهم في هذا أهل الإحداث وهم المبتدعة، وهذا ما ذهب إليه بعض أهل العلم، قال ابن عبد البر: كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض، كالخوارج و الروافض، وسائر أصحاب الأهواء، قال: وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق، والمعلنون بالكبائر، قال: وكل هؤلاء يخاف عليهم أن

(١) «شرح صحيح مسلم» (٣/ ١٣٦، ١٣٧).
(٢) المفهم للقرطبي (١/ ٥٠٤)، و«فتح الباري» (١١/ ٣٨٥).
(٣) الروايات في «البخاري»، كتاب الرقاق، «فتح الباري» (١١/ ٤٦٣، ٤٦٥).
(٤) «الانتصار للصحب والآل» ص (٣٥٤).
(٥) «مسلم» كتاب الفضائل، إثبات الحوض رقم (٢٢٩٥)

يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر والله أعلم[١]، وقال القرطبي في التذكرة: قال علماؤنا - رحمة الله عليهم أجمعين -: فكل من ارتد عن دين الله، أو أحدث فيه ما لا يرضاه، ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه، وأشدهم طردًا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم، كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدلون[٢].

وإذا ما تقرر هذا ظهرت براءة الصحابة من كل ما يرميهم به الشيعة الرافضة، فالذود عن الحوض، إنما هو بسبب الردة أو الإحداث في الدين، والصحابة من أبعد الناس عن ذلك، بل هم أعداء المرتدين الذين قاتلوهم وحاربوهم في أصعب الظروف وأحرجها بعد موت النبي ﷺ، على ما روى الطبري في تأريخه بسنده عن عروة بن الزبير عن أبيه قال: قد ارتدت العرب إما عامة وإما خاصة في كل قبيلة، ونجم النفاق، واشرأبت اليهود والنصارى، والمسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية؛ لفقد نبيهم ﷺ وقلتهم وكثرة عدوهم[٣].

ومع هذا تصدى أصحاب النبي ﷺ لهؤلاء المرتدين، وقاتلوهم قتالاً عظيمًا وناجزوهم حتى أظهرهم الله عليهم، فعاد للدين من أهل الردة من عاد، وقتل منهم من قتل، وعاد للإسلام عزه وقوته وهيبته على أيدي الصحابة ﷺ، وكذلك أهل البدع كان الصحابة ﷺ أشد الناس إنكارًا عليهم، ولهذا لم تشتد البدع وتقوى إلا بعد انقضاء عصرهم، ولما ظهرت بعض بوادر البدع في عصرهم أنكروها وتبرؤوا منها ومن أهلها، فعن ابن عمر ﷺ أنه قال لمن أخبره عن مقالة القدرية: إذا لقيت هؤلاء فأخبرهم أن ابن عمر منهم بريء، وهم منه براء ثلاث مرات[٤]، ويقول البغوي- ناقلاً إجماع الصحابة وسائر السلف على معاداة أهل

(١) «شرح النووي على صحيح مسلم» (٣ / ١٣٧).
(٢) «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» (١ / ٣٤٨).
(٣) «الانتصار للصحب والآل» ص (٣٥٦) نقلاً عن «تاريخ الطبري» (٣ / ٢٢٥).
(٤) «السنة» لعبد الله بن أحمد (٢ / ٤٢٠).

البدع-: وقد مضى الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة على هذا مجمعين متفقين على معاداة أهل البدع ومهاجرتهم[١]، وهذه المواقف العظيمة للصحابة من أهل الردة وأهل البدع، من أكبر الشواهد الظاهرة على صدق تدينهم، وقوة إيمانهم وحسن بلائهم في الدين، وجهادهم أعداءه بعد موت رسول الله ﷺ، حتى أقام الله بهم السنة وقمع البدع، الأمر الذي يظهر به كذب الرافضة في رميهم لهم بالردة والإحداث في الدين، والذود عن حوض النبي ﷺ، بل هم أولى الناس بحوض نبيهم لحسن صحبتهم له في حياته وقيامهم بأمر الدين بعد وفاته، ولا يشكل على هذا قول النبي ﷺ: «**ليردن عليّ ناس من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني**»[٢]، فهؤلاء هم من مات النبي ﷺ، وهم على دينه، ثم ارتدوا بعد ذلك، كما ارتدت كثير من قبائل العرب بعد موت النبي ﷺ فهؤلاء في علم النبي ﷺ من أصحابه؛ لأنه مات وهم على دينه، ثم ارتدوا بعد وفاته ولذا يقال له: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، وفي بعض الروايات: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى[٣]، فظاهر أن هذا في حق المرتدين بعد موت النبي ﷺ، وأين أصحاب النبي ﷺ الذين قاموا بأمر الدين بعد نبيهم خير قيام، فقاتلوا المرتدين وجاهدوا الكفار والمنافقين، وفتحوا بذلك الأمصار، حتى عم دين الله كثيراً من الأمصار- من أولئك المنقلبين على أدبارهم. وهؤلاء المرتدون لا يدخلون عند أهل السنة في الصحابة، ولا يشملهم مصطلح الصحبة إذا ما أطلق، فالصحابي كما عرفه العلماء المحققون: من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ومات على الإسلام[٤].

وأما قول النبي ﷺ: «**فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم**»[٤]، واحتجاج الشيعة الرافضة به على تكفير الصحابة إلا القليل منهم فلا حجة لهم؛

---

(١) «شرح السنة» للبغوي (١ / ١٩٤).

(٢) «البخاري» رقم (٦٥٨٢).

(٣) «مسلم»، الفضائل، (٤ / ١٧٩٦).

(٤) «الإصابة في تمييز الصحابة» (١/٧).

(٥) «البخاري»، رقم (٦٥٨٤- ٦٥٨٧).

لأن الضمير في قوله: (منهم) إنما يرجع على أولئك القوم الذين يدنون من الحوض ثم يذادون عنه، فلا يخلص منهم إلا القليل، وهذا ظاهر من سياق الحديث فإن نصه: بينما أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هَلمّ، فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هَلمّ، قلت: أين؟ قال: إلى النار والله. قلت: ما شأنهم؟ قالوا: إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل هَمَل النعم[١]، فليس في الحديث للصحابة ذكر وإنما ذكر زمرًا من الرجال يذادون من دون الحوض ثم لا يصل إليه منهم إلا القليل[٢].

قال ابن حجر في شرح الحديث عند قوله: (فلا أراه يخلص منهم إلا مثل هَمَل النعم): يعني من هؤلاء الذين دنوا من الحوض وكادوا يردونه فصدوا عنه، والمعنى: لا يرده منهم إلا القليل؛ لأن الهَمَل في الإبل قليل بالنسبة لغيره[٣]، ولهذا يظهر بطلان احتجاج الشيعة الرافضة وتلبيسهم وبراءة الصحابة من طعنهم وتجريحهم[٤].

٢- عدالة الصحابة:

إن تعريفات أهل العلم للعدالة في الاصطلاح ترجع إلى معنى واحد، وهو أن العدالة ملكة في النفس تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة ولا تتحقق للإنسان إلا بفعل المأمور وترك المنهي، وأن يبعد عما يخل بالمروءة، ولا تتحقق إلا بالإسلام والبلوغ، والعقل، والسلامة من الفسق، ولم تتحقق العدالة في أحد تحققها في أصحاب رسول الله ﷺ، فجميعهم ﷺ **عدول** تحققت فيهم صفة العدالة[٥]، والمراد بها رواياتهم للحديث عن رسول الله ﷺ، وحقيقتها التجنب عن تعمد الكذب في الرواية والانحراف فيها، قال العلامة الدهلوي:

---

(١) «البخاري»، رقم (٦٥٨٤).
(٢) «الانتصار للصحب والآل» ص (٣٥٩).
(٣) «فتح الباري» (١١/ ٤٧٤ - ٤٧٥).
(٤) «الانتصار للصحب والآل» ص (٣٦٠).
(٥) «عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام» (٢/ ٧٩٩).

ولقد تتبعنا سيرة الصحابة كلهم من دخل منهم في الفتنة والمشاجرات، فوجدناهم يعتقدون الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم أشد الذنوب، ويحترزون منه غاية الاحتراز كما لا يخفى على أهل السير[١].

ولقد تضافرت الأدلة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على تعديل الصحابة الكرام رضي الله عنهم، مما لا يبقى معها الشك لمرتاب في تحقيق عدالتهم، فكل حديث له سند متصل بين من رواه وبين المصطفى صلى الله عليه وسلم، لم يلزم العمل به إلا بعد أن تثبت عدالة رجاله، ويدب النظر في أحوالهم سوى الصحابي الذي رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم بنص القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه[٢].

أ ـ قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ [البقرة: ١٤٣] ووجه الاستدلال بهذه الآية على عدالة الصحابة رضي الله عنهم أن وسطًا بمعنى: عدولاً خيارًا[٣]؛ ولأنهم المخاطبون بهذه الآية مباشرة.

ب ـ قوله تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ [آل عمران: ١١٠].

ووجه دلالة هذه الآية على عدالة الصحابة رضي الله عنهم، أنها أثبتت الخيرية المطلقة لهذه الأمة على سائر الأمم قبلها، وأول من يدخل في هذه الخيرية المخاطبون بهذه الآية مباشرة عند النزول، وهم الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وذلك يقتضي استقامتهم في كل حال، وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة، ومن البعيد أن يصفهم الله عز وجل بأنهم خير أمة ولا يكونوا أهل عدل واستقامة، وهل الخيرية إلا ذلك؟[٤].

---

(١) «ظفر الأماني في مختصر الجرجاني» للكنوي ص (٥٠٦، ٥٠٧).
(٢) «عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام» (٢/ ٨٠٠).
(٣) «الكفاية» للخطيب البغدادي ص (٦٤).
(٤) «عقيدة أهل السنة في الصحابة» (٢/ ٨٠٢).

جـ ـ قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ووجه دلالة هذه الآية على عدالتهم ﷺ، أن الله تعالى أخبر فيها برضاه عنهم ولا يثبت الله رضاه إلا لمن كان أهلاً للرضا، ولا توجد الأهلية لذلك إلا لمن كان من أهل الاستقامة في أموره كلها عدلاً في دينه، ومن أثنى الله تعالى عليه بهذا الثناء كيف لا يكون عدلاً؟ وإذا كان التعديل يثبت بقول اثنين من الناس فكيف لا يثبت عدالة صفوة الخلق وخيارهم بهذا الثناء الصادر من رب العالمين؟[1].

د ـ قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

فهذا الوصف الذي وصفهم الله به في كتبه، وهذا الثناء الذي أثنى به عليهم لا يتطرق إلى النفس معه شك في عدالتهم، قال القرطبي -رحمه الله- عند تفسير هذه الآية: فالصحابة كلهم عدول ـ أولياء الله تعالى وأصفياؤه وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله ـ هذه الأمة، وقد ذهبت شرذمة لا مبالاة بهم إلى أن حال الصحابة كحال غيرهم، فيلزم البحث عن عدالتهم، ومنهم من فرق بين حالهم في بداءة الأمر، فقال: إنهم كانوا على العدالة إذ ذاك، ثم تغيرت بهم الأحوال، فظهرت فيهم الحروب وسفك الدماء، فلابد من البحث؛ وهذا مردود فإن خيار الصحابة وفضلاءهم كعلي وطلحة والزبير وغيرهم ﷺ، ممن أثنى الله عليهم

---

(١) «عقيدة أهل السنة في الصحابة» (٢/ ٨٠٤).

وزكاهم ورضي عنهم وأرضاهم ووعدهم الجنة بقوله تعالى: ﴿مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾، وخاصة العشرة المقطوع لهم بالجنة بإخبار الرسول ﷺ هم القدوة مع علمهم بكثير من الفتن والأمور الجارية عليهم بعد نبيهم بإخباره لهم بذلك، وذلك غير مسقط من مرتبتهم وفضلهم إذا كانت تلك الأمور مبنية على الاجتهاد(١).

هـ - قوله سبحانه وتعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٨، ٩].

فالصادقون هم المهاجرون، والمفلحون هم الأنصار، بهذا فسر أبو بكر الصديق رضي الله عنه هاتين الكلمتين من الآيتين؛ حيث قال في خطبته يوم السقيفة مخاطبًا الأنصار: إن الله سمانا (الصادقين) وسماكم (المفلحين)، وقد أمركم أن تكونوا حيثما كنا، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

فهذه الصفات الحميدة في هاتين الآيتين، كلها حققها المهاجرون والأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ، واتصفوا بها، ولذلك ختم صفات المهاجرين بالحكم بأنهم صادقون وختم صفات الذين آزروهم ونصروهم وآثروهم على أنفسهم بالحكم لهم بأنهم مفلحون، وهذه الصفات العالية لا يمكن أن يحققها قوم ليسوا بعدول، فهذه الآيات التي أسلفناها من الآيات البينة الدالة على عدالة الصحابة رضي الله عنهم، فعدالتهم ثابتة بنص القرآن الكريم(٢).

* **وأما دلالة السنة على تعديلهم رضي الله عنهم:**

فقد وصفهم النبي ﷺ في أحاديث يطول تعدادها، وأحسن الثناء عليهم بتعديلهم، ومن تلك الأحاديث:

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٦/٢٩٩).

(٢) «عقيدة أهل السنة في الصحابة» (٢/٨٠٧).

أ ـ ما رواه الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي بكرة أن النبي ﷺ قال: «... **ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب**»[١].

وجه دلالة الحديث على عدالتهم رضي الله عنهم، أن هذا القول صدر من النبي ﷺ في أعظم جمع من الصحابة في حجة الوداع، وهذا من أعظم الأدلة على ثبوت عدالتهم حيث طلب منهم أن يبلغوا ما سمعوه منه من لم يحضر ذلك الجمع دون أن يستثني منهم أحدًا[٢].

قال ابن حبان: وفي قوله ﷺ: «**ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب**» أعظم دليل على أن الصحابة كلهم عدول، ليس فيهم مجروح ولا ضعيف؛ إذ لو كان فيهم أحد غير عدل لاستثنى في قوله ﷺ وقال: ألا يبلغ فلان منكم الغائب، فلما أجملهم في الذكر بالأمر بالتبليغ من بعدهم دل ذلك على أنهم كلهم عدول، وكفى بمن عدله رسول الله ﷺ شرفًا[٣].

ب ـ روى البخاري بإسناده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي؛ فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**»[٤].

وجه الاستدلال بهذا الحديث على عدالة الصحابة رضي الله عنهم: أن الوصف لهم بغير العدالة سب، لاسيما وقد نهى ﷺ بعض من أدركه وصحبه عن التعرض لمن تقدمه؛ لشهود المواقف الفاضلة فيكون من بعدهم بالنسبة لجميعهم من باب أولى[٥]، فالصحابة كلهم عدول بتعديل الله لهم وثنائه عليهم، وثناء رسول الله ﷺ عليهم، فليسوا بحاجة إلى تعديل أحد من الخلق[٦].

---

(١) «الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان» (١/ ٩١).
(٢) «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة» (٢/ ٨٠٧).
(٣) «الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان» (١/ ٩١).
(٤) «البخاري» (٢/ ٢٩٢).
(٥) «فتح المغيث شرح ألفية الحديث» (٣/ ١١٠، ١١١).
(٦) «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة» (٢/ ٨٠٩).

ولو لم تكن عدالتهم منصوصًا عليها في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لجزم أهل العقول الصحيحة والقلوب السليمة بعدالتهم استنادًا إلى ما تواترت به الأخبار عنهم من الأعمال الجليلة والخيرات الوفيرة التي قدموها لنصرة دين الله الحنيف؛ فقد بذلوا ما أمكنهم بذله في سبيل نصرة الحق، ورفع رايته وإرساء قواعده ونشر أحكامه في جميع الأقطار رضي الله عنهم أجمعين، والعدالة المرادة هنا ليس المقصود بها عدم الوقوع في الذنوب والخطايا فإن هذا لايكون إلا لمعصوم(١).

قال ابن الأنباري: وليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم واستحالة المعصية منهم، وإنما المراد قبول رواياتهم من غير تكلف البحث عن أسباب العدالة، وطلب التزكية إلى أن يثبت ارتكاب قادح، ولم يثبت ذلك ولله الحمد والمنة فنحن على استصحاب ما كانوا عليه في زمن رسول الله ﷺ حتى يثبت خلافه، ولا التفات إلى ما يذكره أهل السير؛ فإنه لا يصح وما صح فله تأويل صحيح(٢).

* الإجماع على عدالتهم:

أجمع أهل السنة والجماعة على أن الصحابة جميعهم عدول بلا استثناء، من لابس الفتن وغيرها، ولا يفرقون بينهم، الكل عدول إحسانًا للظن بهم ونظرًا لما أكرمهم الله به من شرف الصحبة لنبيه ﷺ، ولما لهم من المآثر الجليلة من مناصرتهم للرسول ﷺ والهجرة إليه والجهاد بين يديه، والمحافظة على أمور الدين والقيام بحدوده، فشهاداتهم ورواياتهم مقبولة دون تكلف بحث عن أسباب عدالتهم بإجماع من يعتد بقوله، وقد نقل الإجماع على عدالتهم جمع غفير من أهل العلم، ومن تلك النقول:

أ ـ قال الخطيب البغدادي ـ رحمه الله ـ: بعد أن ذكر الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ التي دلت على عدالة الصحابة وأنهم كلهم عدول، قال: هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء(٣).

---

(١) «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة» (٢/ ٨٠٩).
(٢) «فتح المغيث» (٣/ ١١٥).
(٣) «الكفاية» ص (٦٧).

ب ـ وقال أبو عمر بن عبد البر -رحمه الله-: ونحن وإن كان الصحابة رضي الله عنهم قد كفينا البحث عن أحوالهم؛ لإجماع أهل الحق من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عدول فواجب الوقوف على أسمائهم(١).

جـ ـ وحكى الإجماع على عدالتهم إمام الحرمين ـ الجويني رحمه الله ـ وعلل حصول الإجماع على عدالتهم بقوله: ولعل السبب فيه أنهم نقلة الشريعة، فلو ثبت توقف في رواياتهم لانحصرت الشريعة على عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، ولما استرسلت على سائر الأعصار(٢).

د ـ ذكر ابن الصلاح أن الإجماع على عدالة الصحابة خَصِيصَة فريدة تميزوا بها عن غيرهم؛ فقد قال: للصحابة بأسرهم خصيصة، وهي أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم، بل ذلك أمر مفروغ منه؛ لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة، وإجماع من يعتد به الإجماع من الأمة، وقال أيضًا: إن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة ومن لابس الفتن منهم، فكذلك بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع إحسانًا للظن بهم ونظرًا إلى ما تمهد لهم من المآثر، وكأن الله - سبحانه وتعالى- أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة(٣)، والله أعلم.

هـ ـ قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ بعد أن ذكر أن الحروب التي وقعت بينهم كانت عن اجتهاد، وأن جميعهم معذورون رضي الله عنهم فيما حصل بينهم- قال: ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم وكمال عدالتهم رضي الله عنهم(٤)، وقال في التقريب: الصحابة كلهم عدول من لابس الفتن وغيرهم بإجماع من يعتد به(٥).

---

(١) «الاستيعاب على حاشية الإصابة» (١/ ٨).
(٢) «فتح المغيث شرح ألفية الحديث» (٣/ ١١٢)، وذكره السيوطي في «تدريب الراوي» (٢/ ٢١٤).
(٣) «مقدمة ابن الصلاح» ص (١٤٦، ١٤٧).
(٤) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٥/ ١٤٩).
(٥) «تقريب النواوي مع شرح تقريب الراوي» (٢/ ٢١٤).

و ـ وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله-: والصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة، بما أثنى الله عليهم في كتابه العزيز، وبما نطقت به السنة النبوية في المدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم، وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدي رسول الله ﷺ، ورغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل والجزاء الجميل(١).

ز ـ وقال العراقي في شرح ألفيته- بعد ذكره لبعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على عدالة الصحابة-: إن جميع الأمة مجمعة على تعديل من لم يلابس الفتن منهم، وأما من لابس الفتن منهم وذلك من حين مقتل عثمان، فأجمع من يعتد به أيضًا: في الإجماع على تعديلهم إحسانًا للظن بهم وحملاً لهم في ذلك على الاجتهاد(٢).

ح ـ وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى- مبينًا أن أهل السنة مجمعون على عدالة الصحابة : اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة(٣) .

فهذه النقول المباركة للإجماع من هؤلاء الأئمة كلها فيها بيان واضح، ودليل قاطع على أن ثبوت عدالة الصحابة عمومًا أمر مفروغ منه ومسلم، فلا يبقى لأحد شك ولا ارتياب بعد تعديل الله ورسوله وإجماع الأمة على ذلك(٤).

٣ - وجوب محبتهم والدعاء والاستغفار لهم:

من عقائد أهل السنة والجماعة وجوب محبة أصحاب رسول الله ﷺ، وتعظيمهم وتوقيرهم وتكريمهم والاحتجاج بإجماعهم والاقتداء بهم، وحرمة بغض أحد منهم لما شرفهم الله به من صحبة رسوله ﷺ، والجهاد معه لنصرة دين الإسلام، وصبرهم على أذى المشركين والمنافقين، والهجرة عن أوطانهم وأموالهم، وتقديم حب الله ورسوله ﷺ على ذلك كله، قال تعالى:

---

(١) «الباعث الحثيث» ص (١٨١، ١٨٢).

(٢) «شرح ألفية العراقي المسماة بالتبصرة والتذكرة» (٣/ ١٣، ١٤).

(٣) «الإصابة» (١/ ١٧).

(٤) «عقيدة أهل السنة في الصحابة» (٢/ ٨١٣).

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة؛ لأنه جعل لمن بعدهم حظًّا في الفيء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم، وأن من سبهم أو أحدًا منهم أو اعتقد فيه شرًّا أنه لا حق له في الفيء، روي ذلك عن الإمام مالك وغيره، قال مالك: من كان يبغض أحدًا من أصحاب محمد ﷺ أو كان في قلبه عليهم غل فليس له حق في فيء المسلمين، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾[1].

وقد فهم متقدمو أهل السنة والجماعة ومتأخروهم، أن المراد من الآية السابقة الأمر بالدعاء والاستغفار لهم من اللاحق للسابق، ومن الخلف للسلف، الذين هم أصحاب رسول الله ﷺ، روى مسلم بإسناده إلى هشام بن عروة عن أبيه قال: قالت لي عائشة: يابن أختي أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبوهم[2].

وروى ابن بطة وغيره من حديث أبي بدر، قال: حدثنا عبد الله بن زيد عن طلحة ابن مصرف عن مصعب بن سعد بن سعد بن أبي وقاص، قال: الناس على ثلاث منازل، فمضت منزلتان، وبقيت واحدة، فأحسن ما أنتم عليه كائنون أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت ثم قرأ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ هؤلاء المهاجرون وهذه منزلة قد مضت، ثم قرأ ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، ثم قال: هؤلاء الأنصار وهذه منزلة قد مضت، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، قد مضت هاتان وبقيت هذه المنزلة التي بقيت أن تستغفروا لهم[3].

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٨/ ٣٢). (٢) «مسلم» (٤/ ٢٣١٧).

(٣) «منهاج السنة» (١/ ١٥٣)، و«المستدرك» (٢/ ٤٨٤) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

ولا يتردد من له أدنى علم في أن الشيعة الرافضة خارجون من هذه المنزلة؛ لأنهم لم يترحموا على الصحابة ولم يستغفروا لهم بل سبوهم وحملوا لهم الغل في قلوبهم فحرموا من تلك المنزلة التي يجب على المسلم أن يكون فيها ولا يحيد عنها بحال حتى يلقى ربه(١).

وقد قال ابن تيمية - رحمه الله - : وهذه الآيات تتضمن الثناء على المهاجرين والأنصار، وعلى الذين جاءوا من بعدهم يستغفرون لهم ويسألون الله ألا يجعل في قلوبهم غلاً لهم، وتتضمن أن هؤلاء الأصناف هم المستحقون للفيء، ولا ريب أن هؤلاء الرافضة خارجون من الأصناف الثلاثة؛ فإنهم لم يستغفروا للسابقين، وفي قلوبهم غل عليهم، ففي الآيات الثناء على الصحابة وعلى أهل السنة الذين يتولونهم وإخراج الرافضة من ذلك، وهذا ينقض مذهب الرافضة(٢).

٤ - تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم في الكتاب و السنة:

أ ـ قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا**﴾ [الأحزاب: ٥٧].

وهذه الآية تضمنت التهديد والوعيد بالطرد والإبعاد من رحمة الله، والعذاب المهين لمن آذاه ـ جل وعلا ـ بمخالفة أوامره وارتكاب زواجره وإصراره على ذلك، وإيذاء رسوله(٣) يشمل كل أذية قولية أو فعلية من سب وشتم أو تنقص له أو لدينه، أو ما يعود إليه بالأذى(٤)، ومما يؤذيه عليه الصلاة والسلام سب أصحابه وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أن إيذاءهم إيذاء له، ومن آذاه فقد آذى الله(٥)، وأي أذية للصحابة أبلغ من سبهم؟ والآية فيها إشارة قوية ظاهرة إلى أنه يحرم سبهم رضي الله عنهم.

ب- قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا**﴾ [الأحزاب: ٥٨].

---

(١) «عقيدة أهل السنة» (٢/ ٧٧٠).

(٢) «منهاج السنة» (١/ ١٥٣)، و«عقيدة أهل السنة» (٢/ ٧٧٢).

(٣) «عقيدة أهل السنة في الصحابة» (٢/ ٨٣٢). (٤) «تفسير السعدي» (٦/ ١٢١).

(٥) «مسند أحمد» (٤/ ٨٧).

وهذه الآية فيها التحذير من إيذاء المؤمنين والمؤمنات بما ينسب إليهم مما هم منه براء لم يعملوه، ولم يفعلوه، والبهت الكبير أن يحكى أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه، على سبيل العيب والتنقص لهم[١].

ووجه دلالة الآية على تحريم سب الصحابة ﷺ أنهم في صدارة المؤمنين فإنهم المواجهون بالخطاب في كل آية مفتتحة بقوله: ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ [البقرة:١٠٤]، ومثل قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ [الكهف:١٠٧]. في جميع القرآن فالآية دلت على تحريم سب الصحابة؛ لأن لفظ المؤمنين أول ما ينطبق عليهم لأن الصدارة في المؤمنين لهم ﷺ وسبهم والنيل منهم من أعظم الأذى، وأن من نال منهم بذلك فقد آذى خيار المؤمنين بما لم يكتسبوا، وأن من اتخذ شتمهم والنيل منهم دينًا له فإن الوعيد المذكور في الآية يصيبه[٢].

قال ابن كثير -رحمه الله- عند هذه الآية: ومن أكثر من يدخل في هذا الوعيد الكفرة بالله ورسوله، ثم الرافضة الذين ينتقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد برأهم الله منه، ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم؛ فإن الله عز وجل قد أخبر أنه قد رضي عن المهاجرين والأنصار ومدحهم، وهؤلاء الجهلة الأغبياء يسبونهم وينتقصونهم ويذكرون عنهم ما لم يكن ولا فعلوه أبدًا، فهم في الحقيقة مُنَكَّسُو القلوب يذمون الممدوحين ويمدحون المذمومين[٣].

جـ - قوله تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ**﴾ [الفتح:٢٩].

ووجه دلالة الآية على تحريم سب الصحابة ﷺ، أنه لا يسبهم شخص إلا لما

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٢٥).

(٢) «عقيدة أهل السنة في الصحابة» (٢/ ٨٣٣).

(٣) «عقيدة أهل السنة» نقلاً عن «تفسير ابن كثير».

وجد في قلبه من الغيظ عليهم، وقد بين تعالى في هذه الآية أنه يغاظ بهم الكفار، فدلت على تحريم سبهم، والتعرض لهم بما وقع بينهم على وجه العيب

د ـ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا تسبوا أصحابي؛ فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه**»[١]. فهذا الحديث اشتمل على النهي والتحذير من سب الصحابة رضي الله عنهم، وفيه التصريح بتحريم سبهم[٢]، والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

* **نهي السلف عن سب الصحابة:**

إن النصوص الواردة عن سلف الأمة وأئمتها من الصحابة ومن جاء بعدهم من التابعين لهم بإحسان، التي تقضي بتحريم سب الصحابة والدفاع عنهم كثيرة جدًّا منها:

أ ـ قال أحمد بن حنبل - رحمه الله -: إذا رأيت رجلاً يذكر أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوء فاتهمه على الإسلام[٣].

ب ـ قال أبو زرعة الرازي - رحمه الله -: إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاعلم أنه زنديق؛ وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن، أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا؛ ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة[٤].

جـ - وقد ذكر الإمام الشوكاني إجماع أهل البيت رضي الله عنهم، على تحريم سب الصحابة رضوان الله عليهم، من اثني عشر طريقًا[٥]، وقد روى أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي بإسناده إلى محمد بن علي بن الحسين بن علي أنه قال لجابر الجعفي: يا جابر بلغني أن قومًا بالعراق يزعمون أنهم يحبوننا

---

(١) «مسلم» (٤/ ١٦٩٧ ـ ٢٥٤٠).
(٢) «عقيدة أهل السنة في الصحابة» (٢/ ٨٣٨).
(٣) «مناقب الإمام أحمد بن الجوزي» ص (١٦٠).
(٤) «الكفاية في علم الرواية» ص (٦٧).
(٥) «إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي صلى الله عليه وسلم» ص (٥٠ ـ ٦٤).

ويتناولون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، ويزعمون أني آمرهم بذلك، فأبلغهم عني أني إلى الله منهم بريء والذي نفس محمد بيده لو وليت لتقربت إلى الله بدمائهم، لا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم إن لم أكن أستغفر لهما وأترحم عليهما، إن أعداء الله لغافلون عن فضلهما، فأبلغهم أني بريء منهم وممن تبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[(١)]، وروى أيضًا بسنده إلى عبد الله بن الحسن بن علي أنه قال: ما أرى رجلاً يسب أبا بكر وعمر تيسر له توبة أبدًا[(٢)].

٥ - حب أمير المؤمنين علي وأبنائه الصحابة:

الصورة الحقيقية الناصعة البياض تبقى وما سواها يزول، إنها تتجلى في أهم كتاب عند الشيعة الاثني عشرية «نهج البلاغة»، تلك النصوص كفيلة بهدم الأطروحة القائمة على لعن وسب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقول بردتهم وانقلابهم على أعقابهم من بعده، فهذا أمير المؤمنين علي يصور لنا بنفسه صحابة رسول الله كما رآهم وعاينهم؛ إذ يقول: لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فما أرى أحدًا يشبههم لقد كانوا يصبحون شعثًا غبرًا، وقد باتوا سجدًا وقيامًا يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأنّ بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفًا من العقاب ورجاء الثواب[(٣)]. وهو يتحسر على فراقهم ويرثيهم بعد موتهم كحال أي محب فارق من يحبه فيقول: أين القوم الذين دُعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرؤوا القرآن فأحكموه، وسلبوا السيوف أغمادها، وأخذوا بأطراف الأرض زحفًا زحفًا وصفًّا صفًّا، مُره العيون من البكاء، خُمص البطون من الصيام، ذُبل الشفاه من الدعاء، صُفر الألوان من السهر، على وجوههم غبرة الخاشعين، أولئك إخواني الذاهبون، فحق لنا أن نظمأ إليهم، ونعضّ الأيدي على فراقهم[(٤)].

---

(١) «البداية والنهاية» (٩/ ٣٤٩). (٢) «عقيدة أهل السنة في الصحابة» (٢/ ٨٥١).

(٣) «نهج البلاغة» ص (١٨٢ - ١٨٩)، «ثم أبصرت الحقيقة» ص (٣٢٤).

(٤) «نهج البلاغة» ص (٢٣٥)، «ثم أبصرت الحقيقة» ص (٣٢٥).

فيا أحباب أمير المؤمنين علي، تأملوا في نظرته إلى أصحاب رسول الله ﷺ.

وأما الإمام علي بن الحسين - زين العابدين - رحمه الله - فكان يذكر أصحاب رسول الله ﷺ، ويدعو لهم في صلاته بالرحمة والمغفرة؛ لنصرتهم سيد الخلق في نشر دعوة التوحيد وتبليغ رسالة الله إلى خلقه، فيقول: فاذكرهم منك بمغفرة ورضوان، اللهم وأصحاب محمد خاصة، الذين أحسنوا الصحبة، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره، وكانفوه وأسرعوا إلى وفادته، وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالته، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته، والذين هجرتهم العشائر إذ علقوا بعروته، وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا في قرابته، اللهم ما تركوا لك وفيك، وأرضهم من رضوانك وبما حاشوا الحق عليك، وكانوا من ذلك لك وإليك، واشكرهم على هجرتهم فيك ديارهم وخروجهم من سعة العيش إلى ضيقه، ومن كثره في اعتزاز دينك إلى أقله، واللهم وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان، الذين يقولون ربنا اغفر لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان خير جزائك، والذين قصدوا سمتهم، وتحروا جهتهم، ولو مضوا إلى شاكلتهم لم يثنهم ريب في بصيرتهم، ولم يختلجهم شك في قفو آثارهم والائتمام بهداية منارهم مكانفين ومؤازرين لهم، يدينون بدينهم، ويهتدون بهديهم، يتفقون عليهم ولا يتهمونهم فيما أدوا إليهم[١].

فهذا موقف أئمة أهل البيت رضوان الله عليهم من الصحابة، لا ما يدعيه المندسون من الرافضة والمتسترون بستار التشيع أعداء القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة وأئمة أهل البيت الأطهار.

سابعًا: موقف الشيعة من السنة النبوية:

معنى السنة النبوية في اصطلاح الأصوليين، ما نقل عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير[٢]، ولقد اهتم علماء أهل السنة بتدوين السنة الصحيحة،

---

(١) «صحيفة كاملة لزين العابدين» ص (١٣) نقلاً عن «ثم أبصرت الحقيقة» ص (٣٢٩).

(٢) «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» ص (٤٧).

وبذلوا جهودًا عظيمة من أجل حمايتها من الوضع والوضاعين وقد بذلوا جهدًا لا مزيد عليه، وقد سلكوا طرقًا هي أقوم الطرق العلمية للنقد والتمحيص؛ حتى لنستطيع أن نجزم بأن علماءنا رحمهم الله، هم أول من وضعوا قواعد النقد العلمي الدقيق للأخبار والمرويات بين أمم الأرض كلها، وأن جهدهم في ذلك جهد تفاخر به الأجيال، وتتيه به على الأمم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم.

وقد سار أهل علماء السنة على الخطوات التالية في سبيل النقد، حتى أنقذوا السنة مما دُبّر لها من كيد، ونظفوها مما علق بها من أوحال[1].

١ ـ إسناد الحديث: لم يكن صحابة رسول الله ﷺ بعد وفاته يشك بعضهم في بعض، ولم يكن التابعون يتوقفون عن قبول أي حديث يرويه صحابي عن رسول الله ﷺ، حتى وقعت الفتنة وقام اليهودي الخاسر عبد الله بن سبأ بدعوته الآثمة التي يتبناها على فكرة التشيع الغالي القائل بألوهية علي رضي الله عنه، وأخذ الدس على السنة يربو عصرًا بعد عصر، عندئذ بدأ العلماء من الصحابة والتابعين يتحرون في نقل الأحاديث، ولا يقبلون منها إلا ما عرفوا طريقها ورواتها واطمأنوا إلى ثقتهم وعدالتهم.

يقول ابن سيرين فيما يرويه عنه الإمام مسلم في مقدمة صحيحه: لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم، وقد ابتدأ هذا التثبيت منذ عهد صغار الصحابة الذين تأخرت وفاتهم عن زمن الفتنة، فقد روى مسلم في مقدمة صحيحه عن مجاهد أن بشيرًا العدوي جاء إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله ﷺ كذا فجعل ابن عباس رضي الله عنهما لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه، فقال: يابْنَ عباس مالي أراك لا تسمع لحديثي، أحدثك عن رسول الله ولا تسمع؟ فقال ابن عباس: إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول:

---

(١) «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» ص (٩٠).

قال رسول الله ﷺ ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف، ثم أخذ التابعون في المطالبة بالإسناد حين فشا الكذب .

يقول أبو العالية: كنا نسمع الحديث عن الصحابة فلا نرضى حتى نركب إليهم فنسمعه منهم.

ويقول ابن المبارك: الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء، ويقول ابن المبارك أيضًا: بيننا وبين القوم القوائم. يعني: الإسناد(١).

٢ـ التوثق من الأحاديث، وذلك بالرجوع إلى الصحابة والتابعين وأئمة هذا الفن، فلقد كان من عناية الله بسنة نبيه، أن مدّ في أعمار عدد من أقطاب الصحابة وفقهائهم؛ ليكونوا مرجعًا يهتدي الناس بهديهم، فلما وقع الكذب لجأ الناس إلى هؤلاء الصحابة يسألونهم ما عندهم أولاً، ويستفتونهم فيما يسمعونه من أحاديث وآثار، ولهذا الغرض كثرت رحلات التابعين بل بعض الصحابة أيضًا من مصر إلى مصر؛ ليسمعوا الأحاديث الثابتة من الرواة الثقات، ولذلك سافر جابر بن عبد الله إلى الشام وأبو أيوب إلى مصر لسماع الحديث.

٣ ـ نقد الرواة، وبيان حالهم من صدق وكذب، وهذا باب عظيم توصل به العلماء إلى تمييز الصحيح من المكذوب والقوي من الضعيف، وقد أبلوا فيه بلاءً حسنًا، وتتبعوا الرواة ودرسوا حياتهم وتاريخهم وسيرتهم، وما خفي من أمرهم وما ظهر، ولم تأخذهم في الله لومة لائم(٢).

وقد وضعوا لذلك قواعد ساروا عليها فيمن يؤخذ منه ومن لا يؤخذ، ومن يكتب عنه ومن لا يكتب، ومن أهم أصناف المتروكين الذين لا يؤخذ حديثهم:

أ ـ الكذّابون على رسول الله ﷺ ، وقد أجمع أهل العلم على أنه لا يؤخذ حديث من كذب على النبي ﷺ ، كما أجمعوا على أنه من أكبر

---

(١) مقدمة صحيح «مسلم» (١/ ١٠).

(٢) «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» ص(٩١).

الكبائر، واختلفوا في كفره: فقال به جماعة، وقال آخرون بوجوب قتله، واختلفوا في توبته هل تقبل أم لا؟

ب ـ الكذّابون في أحاديثهم العامة، ولو لم يكذبوا على رسول الله ﷺ، وقد اتفقوا على أن من عُرف عنه الكذب ولو مرة واحدة يترك حديثه.

جـ ـ أصحاب البدع والأهواء: وكذلك اتفقوا على أنه لا يقبل حديث صاحب البدعة إذا كفر ببدعته، وكذا إذا استحل الكذب وإن لم يكفر ببدعته، أما إذا لم يستحل الكذب فهل يقبل أم لا؟ أو يفرق بين كونه داعية أو غير داعية؟

قال ابن كثير: في ذلك نزاع قديم وحديث، والذي عليه الأكثرون التفصيل بين الداعية وغيره[١]، والذي يظهر لي أنهم يرفضون رواية المبتدع إذا روى ما يوافق بدعته، أو كان من طائفة عرفت بإباحة الكذب ووضع الحديث في سبيل أهوائها، ولهذا رفضوا رواية الرافضة، وقبلوا رواية المبتدع إذا كان هو أو جماعته لا يستحلون الكذب كعمران بن حطان[٢].

د ـ الزنادقة والفساق والمغفلون الذين لا يفهمون ما يحدثون، وكل من لا تتوفر فيهم صفات الضبط والعدالة والفهم.

وقد وضع العلماء قواعد لمعرفة الصحيح والحسن والضعيف من أقسام الحديث، ووضعوا قواعد لمعرفة الموضوع، وذكروا له علامات يعرف بها، كركاكة اللفظ، وفساد المعنى، ومخالفته لصريح القرآن، ومخالفته لحقائق التاريخ المعروفة في عهد النبي ﷺ وغيرها من العلامات[٣].

وبتلك الجهود الموفقة استقام أمر الشريعة بتوطيد دعائم السنة، التي هي ثاني مصادرها التشريعية، واطمأن المسلمون إلى حديث نبيهم فأقصي عنه كل

(١) «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» ص(٩٣).
(٢) «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» ص (٩٤).
(٣) المصدر نفسه ص (٩٤-٩٨).

دخيل، ومُيز بين الصحيح والحسن والضعيف، وصان الله شرعه من عبث المفسدين ودس الدساسين وتآمر الزنادقة والشعوبيين، وقطف المسلمون ثمار هذه النهضة الجبارة المباركة التي كان من أبرزها، تدوين السنة وعلم مصطلح الحديث، وعلم الجرح والتعديل، وعلوم الحديث(١).

* **موقف الشيعة من السنة بسبب تكفيرهم للصحابة:**

كانت لنظرة الشيعة ورأيهم في الإمامة أثر في تكفيرهم لمعظم الصحابة رضي الله عنهم، وهذا التكفير الشنيع ترتب عليه إنكار الشيعة لكل الأحاديث التي وردت عن طريق الصحابة، ولم يقبلوا إلا الأحاديث الواردة عن طريق الأئمة من أهل البيت، أو ممن نسبوهم إلى التشيع كسلمان الفارسي، وعمّار بن ياسر، وأبي ذر، والمقداد بن الأسود، وقد شنوا هجومًا عنيفًا على رواة الحديث كأبي هريرة وسمرة بن جندب، وعروة بن الزبير، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة وغيرهم، واتهموهم بالوضع والتزوير والكذب(٢)، واعتبر الإمام عبد القاهر البغدادي الشيعة من المنكرين للسنة لرفضهم قبول مرويات صحابة رسول الهدى عليه الصلاة والسلام(٣).

فالشيعة تحارب السنة، ولهذا فإن أهل السنة اختصوا بهذا الاسم؛ لاتباعهم سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم(٤)، هذا ما جاء في بعض مصادر أهل السنة، ولكن الشيعة تروي عن أئمتها: أن كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف(٥)، وبهذا المعنى روايات أخرى(٦) عندهم.

وهو يفيد أن الشيعة لا تنكر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل تعتمد عليها، وتجعلها

(١) «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» ص(١٠٣).
(٢) «أضواء على محب الدين» ص (٤٨، ٦٥، ٦٨).
(٣) «الفرق بين الفرق» ص (٣٢٢، ٣٢٧، ٣٤٦).
(٤) «منهاج السنة» (٢/ ١٧٥).
(٥) «صحيح الكافي» (١/ ١١)، و«أصول الشيعة الإمامية» (١/ ٣٧٣).
(٦) «أصول الشيعة الإمامية» (١/ ٣٧٣).

مع كتاب الله الميزان والحكم، والدارس لنصوص الشيعة ورواياتها ينتهي إلى الحكم بأن معظم رواياتهم وأقوالهم، تتجه اتجاهًا مجانبًا للسنة التي يعرفها المسلمون، في الفهم والتطبيق، وفي الأسانيد والمتون. ويتبين ذلك فيما يلي:

١ـ قول الإمام كقول الله ورسوله: فالسنة عندهم هي: كل ما يصدر عن المعصوم من قول أو فعل أو تقرير(١)، ومن لا يعرف طبيعة مذهبهم لا يلمح مدى مجانبتهم للسنة في هذا القول؛ إذ إن المعصوم هو رسول الله ﷺ، وتجعل كلامهم مثل كلام الله وكلام رسوله ﷺ، وهم الأئمة الاثنا عشر، لا فرق عندهم في هذا بين هؤلاء الاثني عشر وبين من لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى(٢)، فهم: ليسوا من قبيل الرواة عن النبي ﷺ والمحدثين عنه؛ ليكون قولهم حجة من جهة أنهم ثقات في الرواية؛ بل لأنهم هم المنصوبون من الله تعالى على لسان النبي لتبليغ الأحكام الواقعية، فلا يحكمون إلا عن الأحكام الواقعية عند الله تعالى كما هي(٣).

ولا فرق في كلام هؤلاء الاثني عشر بين سن الطفولة، وسن النضج العقلي؛ إذ إنهم ـ في نظرهم ـ لا يخطئون عمدًا ولا سهوًا ولا نسيانًا طوال حياتهم، كما مرّ معنا في مسألة العصمة؛ ولهذا قال أحد شيوخهم المعاصرين: إن الاعتقاد بعصمة الأئمة جعل الأحاديث التي تصدر عنهم صحيحة، دون أن يشترطوا إيصال سندها إلى النبي ﷺ كما هو الحال عند أهل السنة(٤)، فالسنة عندهم ليست سنة النبي ﷺ فحسب، بل سنة الأئمة، وأقوال هؤلاء الأئمة كأقوال الله ورسوله، ولهذا اعترفوا بأن هذا مما ألحقته الشيعة بالسنة المطهرة، قالوا: وألحق الشيعة الإمامية كل ما يصدر عن أئمتهم الاثني عشر من قول أو فعل أو تقرير بالسنة الشريفة(٥).

---

(١) «الأصول العامة للفقه المقارن» ص (١٢٢)، لمحمد تقي الحكيم ص (١٢٢).
(٢) «أصول الشيعة الإمامية» (١/ ٣٧٤).
(٣) «أصول الفقه المقارن» (٣/ ٥١)، و«أصول الشيعة الإمامية» (١/ ٣٧٤).
(٤) «تاريخ الإمامية» لعبد الله قياض ص (١٤٠).
(٥) «سنة أهل البيت»، لمحمد تقي الحكيم ص (٩٠).

وهم يقولون بهذا القول من منطلقين خطيرين، وقاعدتين أساسيتين عندهم في هذه المسألة، وقد أشار أحد شيوخهم المعاصرين إليهما، حينما ذكر أن قول الإمام عندهم مجرى قول النبي ﷺ، من كونه حجة على العباد واجب الاتباع، وأنهم لا يحكمون إلا عن الأحكام الواقعية عند الله تعالى كما هي، فبين أن ذلك يتحقق لهم من طريقين: من طريق الإلهام كالنبي ﷺ من طريق الوحي، أو من طريق التلقي عن المعصوم قبله[1].

وهم يزعمون أن الأئمة هم خزنة علم الله ووحيه، وقد عقد صاحب «الكافي» بابًا لهذا بعنوان: باب أن الأئمة ـ عليهم السلام ـ ولاة أمر الله وخزنة علمه[2]، وضمن هذا الباب ست روايات في هذا المعنى، وبابًا آخر بعنوان: إن الأئمة ورثوا علم النبي ﷺ وجميع الأنبياء والأوصياء الذين من قبلهم[3]، وفيه سبع روايات، وبابًا ثالثًا بعنوان: أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل عليهم السلام[4]، وفيه أربع روايات[5]، وقد توسع الشيعة الرافضة في هذا الباب، ونكتفي بهذا القدر من المصادر الوهمية التي تزعمها الرافضة، والتي يغني في بيان فسادها مجرد عرضها وتصورها، ونتيجة لذلك التصور عن الأئمة، فإن الشيعة الرافضة لم يهتموا بصحة الإسناد وتقويم الرجال، كما اهتم علماء الحديث من أهل السنة، وفي الوقت الذي رفض فيه الشيعة صحيحي البخاري ومسلم وكتب السنة المعتمدة الموثقة، اعتمدوا في أحاديثهم على ما نقله الكليني الذي سبق أن أوردنا أقواله في كثير من عقائدهم واعتبروه حجة، ويعتبر كتابه «الكافي»[6]، من أقدم كتب الشيعة في الحديث وأوثقها عندهم، ويصور أحد الشيعة مكانة هذا الكتاب لديهم فيقول: وقد اتفق أهل الإمامة وجمهور الشيعة على تفضيل هذا الكتاب، والأخذ به والثقة بخبره

---

(١) «أصول الشيعة الإمامية» (١/ ٣٧٧).
(٢) «أصول الكافي» (١/ ١٩٢، ١٩٣).
(٣) المصدر نفسه (١/ ٢٢٣ ـ ٢٢٦).
(٤) «أصول الشيعة الإمامية» (١/ ٣٨٥).
(٥) «أصول الشيعة الإمامية» (١/ ٣٨٥، ٣٨٦).
(٦) «أثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصوله» للسالوس ص (٢٧٤، ٢٧٥).

والاكتفاء بأحكامه، وهم مجمعون على الإقرار بارتفاع درجته وعلو قدره، على أنه القطب الذي عليه مدار روايات الثقات المعروفين بالضبط والإتقان إلى اليوم، وهو عندهم أجل وأفضل من جميع أصول الأحاديث، علمًا بأن جل ما في «الكافي» كما يقول أبو زهرة أخبار تنتهي عند الأئمة، ولا يصح أن نقول إنه يذكر سندًا متصلاً بالنبي ﷺ، ولا أن يدعي أن هذه أقوال النبي ﷺ، إلا على أساس أن أقوال أئمتهم هي أقوال النبي ﷺ، وأنها دين الله تعالى.. وأكثر ما يروى في «الكافي» واقف عند الصادق وقليل منه ما يعلو إلى أبيه الباقر، وأقل من ذلك ما يعلو إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ونادرًا ما يقف عند النبي ﷺ[١].

كما أن هناك كتاب: (من لا يحضره الفقيه) جمعه أبو جعفر محمد بن علي بن موسى ابن بابويه، الذي يلقبونه بالشيخ الصدوق، وهو أيضًا من أكبر علمائهم بخراسان (توفي ٣٨١هـ)، ومن الكتب المعتمدة عند الشيعة كتابا (تهذيب الأحكام) و(الاستبصار فيما اختلف من الأخبار) لمحمد بن الحسن الطوسي، وهذه الكتب الشيعية مليئة بعشرات الألوف من الأحاديث التي لا يمكن إثبات صحتها، بل معظمها موضوع مختلق[٢]، مثل ما سبق أن أشرنا إليه، من الأحاديث التي اعتمدوا عليها في دفاعهم عن أحقية علي رضي الله عنه بالإمامة من هذا العرض لآراء الشيعة ومعتقداتهم، والشيعة يعترفون -أو على الأقل بعض منهم- بأن في تلك الكتب بعض الروايات الموضوعة كما أنهم أنفسهم جرحوا بعض رواتهم، وإذا كان الأمر كذلك فيمكن أن يأخذ الشيعة بوصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما قال: .. الزموا دينكم واهتدوا بهدي نبيكم واتبعوا سنته، واعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن فما عرفه القرآن، فالزموه، وما أنكره فردوه[٣]، وقوله رضي الله عنه: واقتدوا بهدي نبيكم ﷺ؛ فإنه أفضل الهدي، واستنوا بسنته، فإنها أفضل السنن[٤]- وأن يلتزموا بطريقة أمير

---

(١) «الإمام الصادق» لأبي زهرة ص (٤٢٩).
(٢) «الخطوط العريضة» ص (٤٩).
(٣) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٤٦).
(٤) «البداية والنهاية» (٧/ ٣١٩).

المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في فهم الأحكام من القرآن الكريم ومعاني الآيات، فيلتزموا بظاهر القرآن الكريم، وحمل المجمل على المفسر، والمطلق على المقيد، وأن يراعوا الناسخ والمنسوخ والنظر في لغة العرب، وفهم النص بنص آخر، والسؤال عن مشكله، والعلم بمناسبة الآيات، وتخصيص العام، وأن يتعلموا من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه كيف يحترمون مقام النبوة، ويتعاملون مع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وفق هديه الذي بينته في هذا الكتاب، ثم يعرضوا رواياتهم التي في كتبهم على العدلين، كتاب الله وسنة رسوله، فما وافق كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قبلوه وما خالفهما ينبذوه، ويحذرون أتباعهم منه، وخصوصًا تلك الروايات التي تسيء إلى أئمتهم أنفسهم فضلاً عن الإسلام.

إن دين الله كمل، قال تعالى ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**. . .﴾ [المائدة: ٣]، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بلغ جميع ما أنزل إليه وامتثل أمر ربه في قوله: ﴿**يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾ [المائدة: ٦٧].

وقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم البلاغ المبين، وأقام الحجة على العالمين، وأعلن ذلك بين المسلمين، ولم يسر لأحد بشيء من الشريعة ويستكتمه إياه، قال تعالى: ﴿**لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ**﴾ [آل عمران، الآية: ١٨٧].

فهو بيان للناس وليس لفئة معينة من أهل البيت، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ (١٥٩) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا** ﴾ [البقرة، الآية: ١٥٩، ١٦٠]، وقال: ﴿**وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ**﴾ [النحل، الآية: ٦٤].

فالدين قد تم وكمل لا يزاد فيه ولا ينقص منه ولا يبدل[1]، لا من إمام مزعوم، ولا من غائب موهوم [2]، وقد ودع المصطفى صلى الله عليه وسلم الدنيا بعد أن بلَّغ الدين كله وبين جميعه كما أمره ربه، قال صلى الله عليه وسلم: «**تركتكم على مثل البيضاء**

---

(١) «المحلى» (١/ ٢٦).

(٢) «أصول الشيعة الإمامية» (١/ ٣٩٨).

ليلهـا كنهـارها لا يزيغ عنهـا بعـدي إلا هالك»[١]، وقال أبو ذر ﷺ: لقـد تركنا محمد ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا[٢].

ثامنًا: التقية عند الشيعة:

١ ـ وأما تعريفـها عند الشيعة الرافضـة فيقول شيخـهم المفيد: التقية كـتمان الحق، وستر الاعتـقاد فيه، وكتمان المخـالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضررًا في الدين أو الدنيا[٣]، ويقول يوسف البـحراني ـ أحد كبار علمـائهم في القرن الثاني عـشر- : المراد بها إظهار مـوافقة أهل الخـلاف فيما يدينون به خـوفًا[٤]، ويقول الخمـيني: التقية مـعناها: أن يقول الإنسان قولاً مـغايرًا للواقع، أو يأتي بعمل مناقض لموازين الشريعة؛ وذلك حفـاظًا لدمه أو عرضه أو ماله[٥] . فهذه ثلاثة تعريفاتِ للتقية لثلاثة من كبار علماء الشيعة الرافضة جاؤوا في فترات زمنية مختلفة، وهذه التعريفات تدور حول أربعة أحكام رئيسية للتقية عندهم وهي:

* أن معنى التقية أن يظهر الإنسان لغيره خلاف ما يبطن.
* أن التقية تستعمـل مع المخالفين، ولا يخفى دخول كافة المسلمين تحت هذا العموم.
* أن التقية تكون فيما يدين به المخالفون من أمور الدين.
* أن التقية إنما تكـون عند الخوف على الدين أو النفس أو المال، وهذه أربعة أحكام هي محور عقيدة التقية عندهم[٦].

٢ـ وأما مكانتها عند الشيعة الرافضـة: فهي تحتل منزلة عظيمة ومكانة رفيعة، دلت عليها روايات عـديدة جاءت في أمهات الكتب عندهم، فـقد روى الكليني وغيـره عن جعفر الصـادق أنه قال: التقـية من ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقية له[٧].

---

(١) هذا المعنى صحح الألباني -رحمه الله- معظمه.
(٢) «مسند أحمد» (٥/ ١٥٣).
(٣) «تصحيح الاعتقاد» ص (١١٥).
(٤) «الكشكول» (١/ ٢٠٢).
(٥) «كشف الأسرار» ص (١٤٧).
(٦) «بذل المجهود» (٢/ ٦٣٨).
(٧) «أصول الكافي» (٢/ ٢١٩)، و«المحاسن» ص (٢٥٥).

وعن أبي عبد الله أنه قال: إن تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له، والتقية في كل شيء إلا في النبيذ والمسح على الخفين[١].

وفي المحاسن: عن حبيب بن بشير عن أبي عبد الله أنه قال: لا والله ما على الأرض شيء أحب إليّ من التقية، يا حبيب: إنه من كانت له تقية رفعه الله، يا حبيب: من لم يكن له تقية وضعه الله[٢].

وفي أمالي الطوسي عن جعفر الصادق أنه قال: «ليس منا من لم يلزم التقية ويصوننا عن سفلة الرعية»[٣].

وفي «الأصول الأصيلة»: عن علي بن محمد من مسائل داود الصرمي قال: قال لي: يا داود لو قلت لك إن تارك التقية كتارك الصلاة لكنت صادقًا[٤].

وعن الباقر أنه سئل: من أكمل الناس؟ قال: أعلمهم بالتقية، وأقضاهم لحقوق إخوانه[٥]. وعنه أيضًا أنه قال: أشرف أخلاق الأئمة الفاضلين من شيعتنا استعمال التقية[٦].

فدلت هذه الروايات على مكانة التقية عندهم، ومنزلتها العظيمة في دينهم؛ إذ التقية عند الشيعة الرافضة من أهم أصول الدين، فلا إيمان لمن لا تقية له والتارك للتقية كالتارك للصلاة، بل إن التقية عندهم أفضل من سائر أركان الإسلام، فالتقية تمثل تسعة أعشار دينهم، وسائر أركان الإسلام وفرائضه تمثل العشر الباقي[٧]، وقد ذكر صاحب «الكافي» أخبارها في (باب التقية)[٨]، و(باب الكتمان)[٩] و (باب الإذاعة)[١٠]، وذكر المجلسي في بحاره من رواياتهم فيها مائة وتسع روايات في باب عقده بعنوان (باب التقية والمداراة)[١١].

(١) «أصول الكافي» (٢/ ٢١٧)، و«بذل المجهود» (٢/ ٢٣٦).
(٢) «المحاسن» للبرقي ص (٢٥٧).
(٣) «أمالي الطوسي» ص (٢٨٧).
(٤) «الأصول الأصيلة»، لعبد الله شبر ص (٣٢٠).
(٥) «الأصول الأصيلة» ص (٣٢٤).
(٦) المصدر السابق ص (٣٢٣).
(٧) «بذل المجهود» (٢/ ٦٣٧).
(٨) «أصول الكافي» (٢/ ٢١٧).
(٩) المصدر السابق (٢/ ٢٢١).
(١٠) المصدر السابق (٢/ ٣٦٩).
(١١) «بحار الأنوار» (٧٥/ ٣٩٣ ـ ٤٤٣).

٣ - وأما سبب هذا الغلو في أمر التقية فيعود إلى عدة أمور منها:

أ ـ أن الشيعة الرافضة تعد إمامة الخلفاء الثلاثة باطلة، وهم ومن بايعهم في عداد الكفار، مع أن عليًّا ﷺ بايعهم وصلى خلفهم، وجاهد معهم وزوج عمر ابنته أم كلثوم وتسرى من جهاده مع أبي بكر، ولما ولي الخلافة سار على نهجهم ولم يغير شيئًا مما فعله أبو بكر وعمر، كما تعترف بذلك كتب الشيعة نفسها، وهذا يبطل مذهب الشيعة من أساسه، فحاولوا الخروج من هذا التناقض المحيط بهم بالقول بالتقية[١]، واستخدموا مبدأ التقية لتفسير أحداث تاريخهم فذهبوا إلى أن سكوت علي عن أبي بكر وعمر ﷺ جميعًا كان تقية، وتنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية كان تقية، واختفاء أئمتهم وسترهم كان تقية منهم، وهكذا يمكن تفسير كل الأحداث التي تناقض عقيدتهم بالتقية[٢].

ب ـ أنهم قالوا بعصمة الأئمة وأنهم يسهون ولا يخطئون ولا ينسون، وهذه الدعوى خلاف ما هو معلوم من حالهم، وحتى إن روايات الشيعة نفسها المنسوبة للأئمة مختلفة متناقضة، حتى لا يوجد خبر منها إلا وبإزائه ما يناقضه، كما اعترف بذلك شيخهم الطوسي[٣]، وهذا ينقض مبدأ العصمة من أصله، فقالوا بالتقية لتبرير هذا التناقض والاختلاف والتستر على كذبهم على الأئمة. روى صاحب «الكافي» عن منصور بن حازم قال: قلت لأبي عبد الله -عليه السلام-: ما بالي أسألك عن المسألة فتجيبني فيها بالجواب، ثم يجيئك غيري فتجيبه فيها بجواب آخر؟ فقال: إنَّا نجيب الناس على الزيادة والنقصان[٤].

قال شارح «الكافي»: أي زيادة حكم عند التقية، ونقصانه عند عدمها.. ولم يكن ذلك مستندًا إلى النسيان والجهل؛ بل لعلمهم بأن اختلاف كلمتهم أصلح لهم، وأنفع لبقائهم إذ لو اتفقوا لعرفوا بالتشيع وصار ذلك سببًا لقتلهم وقتل الأئمة عليهم السلام[٥].

---

(١) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٩٨٤).
(٢) «دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين» ص(٢١٧).
(٣) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٩٨٥).
(٤) «أصول الكافي» (١/ ٦٥).
(٥) «شرح جامع» للمازندراني (١/ ٦٥).

جـ - تسهيل مهمة الكذابين على الأئمة ومحاولة التعتيم على حقيقة مذهب أهل البيت، بحيث يوهمون الأتباع أن ما ينقله (واضعو مبدأ التقية) عن الأئمة هو مذهبهم، وأن ما اشتهر وذاع عنهم، وما يقولونه ويفعلونه أمام المسلمين لا يمثل مذهبهم وإنما يفعلونه تقية فيسهل عليهم بهذه الحيلة أقوال الأئمة، والدس عليهم، وتكذيب ما يروى عنهم من حق، فتجدهم مثلاً يردون كلام الإمام محمد الباقر أو جعفر الصادق الذي قاله أمام ملأ من الناس، أو نقله العدول من المسلمين بحجة أنه حضره بعض أهل السنة، فاتقى في كلامه، ويقبلون ما ينفرد بنقله الكذبة أمثال جابر الجعفي بحجة أنه لا يوجد أحد يتقيه في كلامه، وبحسبك أن تعرف أن الإمام زيد بن علي -وهو من أهل البيت- يروي عن علي رضي الله عنه، كما تنقله كتب (الاثنا عشرية) نفسها، أنه غسل رجليه في الوضوء، ولكن من يلقبونه بـ (شيخ الطائفة) لا يأخذ بهذا الحديث، ولا يجد حجة يحتج بها سوى التقية، فهو يورد الحديث في «الاستبصار» عن زيد بن علي عن جده علي بن أبي طالب قال: جلست أتوضأ فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ابتدأت الوضوء، إلى أن قال: وغسلت قدمي، فقال لي: يا علي خلل بين الأصابع ولا تخلل بالنار [1]، فأنت ترى أن عليًّا كان يغسل رجليه في وضوئه، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكد عليه بأن يخلل أصابعه، والشيعة تخالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدي علي رضي الله عنه في ذلك، ولا تلتفت لمثل هذه الروايات، وإن جاءت في كتبها بروايات أئمة أهل البيت، ولا يكلف شيوخ الشيعة أنفسهم بالتفكر في أمر هذه الروايات ودراستها، فلديهم هذه الحجة الجاهزة[2]: (التقية).

ولهذا قال الطوسي: هذا خبر موافق للعامة - يعني أهل السنة - وقد ورد مورد التقية؛ لأن المعلوم الذي لا يتخالج منه الشك من مذاهب أئمتنا - عليهم السلام - القول بالمسح على الرجلين، ثم قال: إن رواة هذا الخبر كلهم عامة، ورجال الزيدية، وما يختصون به[3] لا يعمل به. وفي النكاح جاءت عندهم

---

(١) «الاستبصار» (١/ ٦٥، ٦٦).

(٢) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٩٨٧).

(٣) «الاستبصار» (١/ ٦٥، ٦٦).

روايات في تحريم المتعة، ففي كتبهم عن زيد ابن علي عن آبائه عن علي عليه السلام قال: حرّم رسول الله ﷺ يوم خيبر لحوم الحمر الأهلية ونكاح المتعة(١)، وقال شيخهم الحر العاملي أقول: حمله الشيخ(٢)، وغيره على التقية يعني في الرواية؛ لأن إباحة المتعة من ضروريات مذهب الإمامية(٣).

وفي قسمة المواريث أن المرأة لا ترث من العقار والدور والأرضين شيئًا(٤)، ولما يأتي عندهم نص عن الأئمة يخالف ذلك، وهو حديث أبي يعقوب عن أبي عبدالله قال: سألته عن الرجل هل يرث من دار امرأته أو أرضها من التربة شيئًا؟ أو يكون في ذلك في منزلة المرأة فلا يرث من ذلك شيئًا؟ فقال: يرثها وترثه من كل شيء ترك وتركت(٥)، قال الطوسي: نحمله على التقية؛ لأن جميع من خالفنا يخالف في هذه المسألة، وليس يوافقنا عليها أحد من العامة، وما يجري هذا المجرى يجوز التقية فيه(٦).

د ـ وضع مبدأ التقية لعزل الشيعة عن المسلمين، لذلك جاءت أخبارهم فيها على هذا النمط، يقول إمامهم (أبو عبد الله): ما سمعت مني يشبه قول الناس؛ فيه التقية، وما سمعت مني لا يشبه قول الناس فلا تقية فيه(٧)، وقد كان من آثار عقيدة التقية ضياع مذهب الأئمة عند الشيعة، حتى إن شيوخهم لا يعلمون في الكثير من أقوالهم أيها تقية وأيها حقيقة(٨)، ووضعوا لهم ميزانًا، أخرج المذهب إلى دائرة الغلو، وهو أن من خالف العامة فيه الرشاد(٩).

وقد اعترف صاحب «الحدائق» بأنه لم يعلم من أحكام دينهم إلا القليل، بسبب التقية حيث قال: فلم يعلم من أحكام الدين على اليقين إلا القليل؛ لامتزاج أخباره بأخبار التقية، كما قد اعترف بذلك ثقة الإسلام محمد بن

---

(١) تهذيب الأحكام للطوسي (٢/ ١٨٤).

(٢) إذا أطلق الشيخ في كتب الشيعة فالمراد به شيخهم الطوسي.

(٣) «وسائل الشيعة» (٧/ ٤٤١).

(٤) «الاستبصار» للطوسي (٤/ ١٥١ ـ ١٥٥).

(٥، ٦) المصدر السابق (٤/ ١٥٤).

(٧) «بحار الأنوار» (٢/ ٢٥٢).

(٨) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٩٨٩).

(٩) المصدر نفسه (٢/ ٩٨٩).

يعقوب الكليني في جامعه «الكافي»؛ حتى إنه خطَّأ العمل بالترجيحات المروية عند تعارض الأخبار، والتجأ إلى مجرد الرد والتسليم للأئمة الأبرار[١].

وأما تطبيق التقية عندهم فهي خير كاشف بأن تقيتهم غير مرتبطة بحالة الضرورة، وقد اعترف يوسف البحراني بأن الأئمة: يخالفون بين الأحكام وإن لم يحضرهم أحد من أولئك الأنام، فتراهم يجيبون في المسألة الواحدة بأجوبة متعددة، وإن لم يقل بها قائل من المخالفين[٢].

٥ - مفهوم التقية عند أهل السنة:

إن مفهوم التقية في الإسلام غالبًا، إنما هي مع الكفار، قال تعالى: ﴿**إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً**﴾ [آل عمران:٢٨] قال ابن جرير الطبري: التقية التي ذكرها الله في هذه الآية إنما هي تقية من الكفار لا غيرهم[٣]، ولهذا يرى بعض السلف أنه لا تقية بعد أن أعز الله الإسلام، قال معاذ بن جبل، ومجاهد: كانت التقية في جدة الإسلام قبل قوة المسلمين، أما اليوم فقد أعز الله المسلمين أن يتقوا منهم تقاة[٤].

ولكن تقية الشيعة هي مع المسلمين ولا سيما أهل السنة، حتى إنهم يرون عصر القرون المفضلة عهد تقية كما قرره شيخهم المفيد، وكما تلحظ ذلك من نصوصهم التي ينسبونها للأئمة؛ لأنهم يرون أهل السنة أشد كفرًا من اليهود والنصارى؛ لأن منكر إمامة الاثني عشر أشد من منكر النبوة[٥].

والتقية رخصة في حالة الاضطرار، ولذلك استثناها ـ سبحانه ـ من مبدأ النهي عن موالاة الكفار فقال سبحانه: ﴿**لاَ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ**﴾ [آل عمران:٢٨] فنهى الله سبحانه عن موالاة الكفار، وتوعد على ذلك أبلغ الوعيد فقال: ﴿**وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ**

(١) «الحدائق الناضرة» يوسف البحراني (١/ ٥).
(٢) «الحدائق الناضرة» (١/ ٥).
(٣) «تفسير الطبري» (٦/ ٣١٦).
(٤) «تفسير القرطبي» (٤/ ٥٧)، و«فتح القدير» (١/ ٣٣١).
(٥) المصدر نفسه (٢/ ٩٧٨).

اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [آل عمران:٢٨] أي من يرتكب نهي الله فقد برئ من الله، ثم قال سبحانه: **﴿إِلا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾** أي: إلا من خاف من بعض البلدان والأوقات من شرهم، فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته[1].

وأجمع أهل العلم على أن التقية رخصة في حال الضرورة، قال ابن المنذر: أجمعوا على أن من أكره على الكفر، حتى خشي على نفسه القتل، فكفر وقلبه مطمئن بالإيمان ألاَّ يحكم عليه بالكفر[2]، ولكن من اختار العزيمة في هذا المقام فهو أفضل.

قال ابن بطال: وأجمعوا على أن من أكره على الكفر واختار القتل، أنه أعظم أجرًا عند الله[3]، ولكن التقية عند الشيعة خلاف ذلك فهي عندهم ليست رخصة بل هي ركن من أركان دينهم[4].

والتقية في دين الإسلام -دين الجهاد والدعوة- لا تمثل نهجًا عامًّا في سلوك المسلم، ولا سمة من سمات المجتمع الإسلامي، بل هي - غالبًا - حالة فردية مؤقتة، مقرونة بالاضطرار، ومرتبطة بالعجز عن الهجرة، وتزول بزوال حالة الإكراه، أما في المذهب الشيعي فتعد طبيعة ذاتية في بنية المذهب، وحالة مستمرة وسلوكًا جماعيًّا دائما[5]، وقد قرر أهل العلم من خلال معرفتهم بواقع الشيعة، أن تقيتهم إنما هي الكذب والنفاق ليس إلا .

وقد فرق ابن تيمية - رحمه الله - بين تقية النفاق والتقية في الإسلام فقال: لست بأن أكذب وأقول بلساني ما ليس في قلبي فإن هذا نفاق، ولكن أفعل ما أقدر عليه . . . ، فالمؤمن إذا كان بين الكفار والفجار، لم يكن عليه أن يجاهدهم بيده مع عجزه، ولكن إن أمكنه بلسانه، وإلا فبقلبه، مع أنه لا يكذب ويقول بلسانه ما ليس في قلبه، إما أن يظهر دينه وإما أن يكتمه، ومع هذا لا يوافقهم على دينهم كله، بل غايته أن يكون كمؤمن آل فرعون؛ حيث لم يكن موافقًا

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٧١).
(٢) «فتح الباري» (١٢/ ٣١٤).
(٣) المصدر السابق (١٢/ ٣١٧).
(٤) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٩٧٩).
(٥) المصدر نفسه (٢/ ٩٨١).

لهم على جميع دينهم ولا كان يكذب، ولا يقول بلسانه شيئًا، و إظهار الدين الباطل شيء أخر، فهذا لم يبحه الله قط إلا لمن أكره بحيث أرغم على النطق بكلمة الكفر فيعذره الله بذلك، والمنافق والكذّاب لا يعذر بحال، ثم إن المؤمن الذي يعيش بين الكفار مضطرًا ويكتم إيمانه يعاملهم - بمقتضى الإيمان الذي يحمله - بصدق وأمانة ونصح وإرادة للخير بهم، وإن لم يكن موافقًا لهم على دينهم، كما كان يوسف الصديق يسير في أهل مصر وكانوا كفارًا، وبخلاف الرافض الذي لا يترك شرًّا يقدر عليه إلا فعله بمن يخالفه[١].

ولقد لخص الشيخ سلمان العودة الفروق بين التقية عند أهل السنة والرافضة فقال: إن التقية عند أهل السنة استثناء مؤقت مخالف للأصل، أما عند الشيعة فواجب مفروض حتى يقوم القائم من آل البيت، وينتهي العمل بها عند أهل السنة بمجرد زوال السبب الداعي إليها، أما عند الشيعة فواجب جماعي مستمر لا ينتهي العمل به حتى يخرج مهديهم الذي لا يخرج أبدًا، وتقية أهل السنة هي مع الكفار في الغالب، وقد تكون مع الفساق الظلمة، أما تقية الشيعة فهي أصلاً مع المسلمين المخالفين لهم من أهل السنة، إن التقية عند أهل السنة حالة ممقوتة يلجأ إليها المسلم دون رضًا واطمئنان إليها، أما عند الشيعة فقد أصبحت خلة ممدوحة مرضية، جاء في مدحها من النصوص عن أئمتهم الكثير والكثير[٢].

تاسعًا: المهدي المنتظر بين الشيعة والسنة :

١ - عقيدة المهدي المنتظر عند الشيعة:

من أبرز عقائد الشيعة الرافضة التي تكاد تمتلئ بها كتبهم عقيدة المهدي المنتظر، ويقصد الرافضة الإمامية بالمهدي المنتظر: محمد بن الحسن العسكري وهو الإمام الثاني عشر عندهم ويطلقون عليه الحجة، كما يطلقون عليه القائم[٣]، ويزعمون أنه ولد سنة ٢٥٥هـ واختفى في سرداب (سر من رأى)[٤]، سنة ٢٦٥هـ، وهم

(١) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٩٩٥). (٢) «العزلة والخلطة»، لسلمان بن فهد العودة ص (١٤٩).
(٣) «الإرشاد» للمفيد ص (٣٦٣)، و«كشف الغمة» للأربلي (٢/ ٤٣٧)، و«بذل المجهود» (١/ ٢٣٧).
(٤) «بذل المجهود» (١/ ٢٣٧)، و«معجم البلدان» (٣/ ١٧٣).

ينتظرون خروجه في آخر الزمان؛ لينتقم لهم من أعدائهم وينتصر لهم[١]، وما زال الشيعة الرافضة يزورونه بسرداب (سر من رأى) ويدعونه للخروج[٢]، وهذا المهدي الذي يدعيه الرافضة معدوم ولا وجود له، فالحسن العسكري الذي ينسبون إليه المهدي مات ولم يعقب أحدًا، فقسم ميراثه بين أمه وأخيه جعفر، وقد صاحب عقيدة المهدي المنتظر عند الشيعة الرافضة، خرافات وأساطير كبيرة لا يصدقها عاقل، ويعتقدون أن المهدي من ولد الحسين[٣]، ويروون العجائب في ولادته[٤]، ويقولون: عندما يخرج يجتمع إليه الشيعة الرافضة من كل مكان[٥]، ويخرج الصحابة من قبورهم ويعذبهم[٦]، ويقتل العرب، وقريش[٧]، ويهدم الكعبة والمسجد النبوي، وكل المساجد[٨]، ويدعو إلى دين جديد، وكتاب جديد، وقضاء جديد[٩] ويستفتح المدن بتابوت اليهود[١٠] وتنبع له عينان من ماء ولبن، ويصير الرجل من الشيعة الرافضة بقوة أربعين رجلاً، ويمد لهم في أسماعهم وأبصارهم، ويحكم بحكم آل داود[١١].

وعقيدة الشيعة الرافضة في مهديهم المنتظر باطلة، وقد دل على بطلانها عدة أوجه:

أ ـ ثبوت عدم ولادة هذا المهدي، فقد اقتضت حكمة العلي القدير أن يموت الحسن العسكري الإمام الحادي عشر عند الرافضة وليس له ولد، فكانت فضيحة كبيرة وخذلانًا عظيمًا للشيعة الرافضة؛ إذ كيف يموت الإمام ولا يوجد له من الأولاد من يخلفه في الإمامة؟ فعقيدة الشيعة الرافضة تنص على أن الذي يخلف الإمام بعد موته ولده، ولا يجوز أن تكون الإمامة في الإخوة بعد الحسن والحسين[١٢]، وعدم ولادة المهدي ثابتة في كتب الشيعة أنفسهم[١٣].

(١) «المفيد» ص (٣٤٦)، و«كشف الغمة» ص (٢/٤٤٦)، و«بذل المجهود» (١/٢٣٧).
(٢) «مصابيح الجنات»، لمحسن العصفور ص (٢٥٥).
(٣) «الغيبة» ص (١١٥)، و«بذل المجهود» (١/٢٣٨).
(٤) «بذل المجهود» ١/٢٣٩).
(٥) «بحار الأنوار» (٥٢/٢٩١).
(٦) «بحار الأنوار» (٥٢/٣٨٦).
(٧) المصدر نفسه (٥٢/٣٥٥).
(٨) «الرجعة» للإحسائي ص (١٨٤).
(٩) «الغيبة» ص (١٥٤).
(١٠) «بذل المجهود» (١/٢٤٧).
(١١) «بذل المجهود» (١/٢٤٩).
(١٢) «كمال الدين وتمام النعمة» للصدوق ص (٤١٤).
(١٣) «أصول الكافي» (١/٥٠٥)، و«بذل المجهود» (١/٢٦٧).

ب ـ لا معنى لاختفاء المهدي: لو سلمنا جدلاً بولادة هذا المهدي، فإنه لا معنى لاختفائه هذه الفترة الطويلة في السرداب، وإذا ما سئل الشيعة الرافضة عن الحكمة من اختفائه في السرداب وعدم خروجه للناس، فإنهم يعللون ذلك بأنه يخشى على نفسه القتل[1]، وهذه علة واهية قد دل على بطلانها عدة أدلة منها: أنه قد جاءت في كتبكم أنه سيكون منصورًا ومؤيدًا من الله تعالى، وأنه يملك مشارق الأرض ومغاربها، فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جورًا، ويعيش حتى زمن نزول عيسى بن مريم عليه السلام[2]، كما أن قولكم هذا يترتب عليه أن المهدي، إن يخرج حتى تذهب دول الجور والظلم والفساد؛ ليأمن على نفسه من القتل، وعندئذ لا حاجة في خروجه، وهذه الدول تستطيع أن تحمي المهدي لو خرج فلماذا لم يخرج؟ إن من لا يستطيع أن يحمي نفسه من القتل فمن باب أولى عجزه عن حماية غيره؛ فإن فاقد الشيء لا يعطيه، فكيف تنتظرون ممن هذه صفته أن ينتقم لكم من أعدائكم وينصركم عليهم نصرًا مؤزرًا، وبهذا تكون قد بطلت دعواهم، بأن العلة من عدم خروج المهدي هي: الخوف من القتل، وبناء على هذا تبطل دعوى وجود المهدي أصلاً؛ إذ لا سبب يمنعه من الاستتار غير خوفه من القتل، كما صرح بذلك شيخ الطائفة الطوسي[3]، فتكون دعوى وجود المهدي باطلة بشهادة علمائهم، وهذا من توفيق الله وعظيم فضله[4].

جـ ـ أنه لم تحصل منفعة بهذا المهدي ؛ ومما يدل على بطلان عقيدة الشيعة الرافضة في المهدي المنتظر: أن هذا المهدي الذي تدعيه الرافضة لم تحصل به مصلحة في شيء من أمور الدين أو الدنيا، ولم ينتفع منه المسلمون بشيء لا الرافضة ولا غيرهم، قال ابن تيمية - رحمه الله -: إن هذا المعصوم الذي يدعونه في وقت ما قد ولد عندهم لأكثر من أربعمائة وخمسين سنة[5] فإنه دخل السرداب عندهم سنة ستين ومائتين، وله خمس سنين عند بعضهم وأقل من

---

(١) «الغيبة» ص (١٩٩).

(٢) «بحار الأنوار» (٥٢/ ١٩١).

(٣) «الغيبة» ص (١٩٩)، و«بذل المجهود» (١/ ٢٧١).

(٤) «بذل المجهود» (١/ ٢٧١).

(٥) هذا بالنسبة لعصر ابن تيمية أما الآن فقد مضى عليه ما يزيد على ألف ومائة وخمسين عامًا.

ذلك عند آخرين، ولم يظهر عنه شيء مما يفعله الإمام المعصوم، فأي منفعة للوجود في مثل هذا لو كان موجودًا، فكيف إذا كان معدومًا؟ والذين آمنوا بهذا المعصوم أي لطف وأي منفعة حصلت لهم به نفسه في دينهم أو دنياهم، إلى أن قال: وهذا الذي تدعيه الرافضة إما مفقود عندهم، وإما معدوم عند العقلاء، وعلى التقديرين فلا منفعة لأحد به في دين ولا في دنيا[1]، والشيعة الاثنا عشرية في هذا العصر نقضوا هذه العقيدة عمليًّا من خلال اعتقادهم بنظرية ولاية الفقيه، وهي تجويز الحكم والولاية للمسلم العادي غير المعصوم أو عليه نص من الله ورسوله بشرط العلم والعدل.

٢ - عقيدة أهل السنة والجماعة في المهدي:

بينت الأحاديث الصحيحة أن الله تعالى يخرج في آخر الزمان رجلاً من أهل البيت يؤيد الله به الدين، يملك سبع سنين يملأ الأرض عدلاً وسلامًا، كما ملئت جورًا وظلمًا، تنعم الأمة في عهده نعمة لم تنعمها قط، وتخرج الأرض نباتها، وتمطر السماء قطرها، ويعطي المال بغير عدد، ومن هذه الأحاديث:

أ ـ عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث وتخرج الأرض نباتها ويعطي المال صحاحًا**[2]، **وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، ويعيش سبعًا أو ثمانيًا**»[3]، يعني: حججًا[4].

ب ـ عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلمًا وعدوانًا، قال: ثم يخرج رجل من عترتي ـ أو من أهل بيتي ـ يملؤها قسطًا، وعدلاً، كما ملئت ظلمًا وعدوانًا**»[5].

---

(١) «منهاج السنة» (٨/ ٢٦١ ، ٢٦٢).

(٢) بمعنى الصحيح، «النهاية» لابن الأثير (٣/ ١٢).

(٣) «المستدرك» (٤/ ٥٥٧، ٥٥٨)، قال الألباني: سنده صحيح، رجاله ثقات، «سلسلة الأحاديث الصحيحة» رقم (٧١١).

(٤) «المهدي وفق أشراط الساعة»، لمحمد إسماعيل ص (٣٣).

(٥) «السلسلة الصحيحة» (١٥٢٩) وحكم الألباني بتواتره.

جـ - وعن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة، تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم - ثم ذكر شيئًا لا أحفظه- فقال: فإذا رأيتموه، فبايعوه، ولو حبوًا على الثلج فإنه خليفة الله المهدي**»[1] قال ابن كثير - رحمه الله -: والمراد بالكنز المذكور في هذا السياق كنز الكعبة، يقتتل عنده ليأخذه ثلاثة من أولاد الخلفاء حتى يكون آخر الزمان فيخرج المهدي، يكون ظهوره من بلاد المشرق، لا من سرداب سامراء كما يزعم جهلة الرافضة من أنه موجود فيه إلى الآن، وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان؛ فإن هذا نوع من الهذيان، وقسط كبير من الخذلان شديد من الشيطان؛ إذ لا دليل على ذلك ولا برهان، لا من كتاب ولا من سنة، ولا معقول صحيح ولا استحسان، إلى أن قال: ويؤيد بناس من أهل المشرق ينصرونه، ويقيمون سلطانه، ويشيدون أركانه، وتكون راياتهم سودًا أيضًا وهو زي عليه الوقار؛ لأن راية رسول الله ﷺ كانت سوداء يقال لها: العقاب، إلى أن قال: والمقصود أن المهدي الممدوح الموعود بوجوده في آخر الزمان يكون أصل ظهوره، وخروجه من ناحية المشرق ويبايع له عند البيت كما دلت على ذلك بعض الأحاديث[2].

د - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم**»[3].

هـ - وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة إلى أن قال: فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام، فيقول أميرهم: صَلِّ بنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة**»[4].

---

(١) سنن ابن ماجه (٢/ ١٣٦٧)، و«مستدرك الحاكم» (٤/ ٤٦٤)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

(٢) «النهاية»، الفتن والملاحم (١/ ٣١).

(٣) «البخاري»، كتاب أحاديث الأنبياء (٦/ ٤٩١) مع الفتح.

(٤) «مسلم»، كتاب الإيمان (٢/ ١٩٣) مع شرح النووي.

والأحاديث التي وردت في الصحيحين تدل على أمرين:

أحدهما: أنه عند نزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام من السماء يكون المتولي لإمرة المسلمين رجلاً منهم .

والثاني: أن حضور أميرهم للصلاة ، وصلاته بالمسلمين ، وطلبه من عيسى عليه السلام عند نزوله أنه يتقدم ليصلي بهم يدل على صلاح هذا الأمير وهداه ، وجاءت الأحاديث في السنن والمسانيد وغيرها مفسرة لهذه الأحاديث التي في الصحيحين ودالة على أن ذلك الرجل الصالح يسمى : محمد بن عبد الله، ويقال له : المهدي ، والسنة يفسر بعضها بعضًا .

و ـ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**منا الذي عيسى ابن مريم يصلي خلفه**»[١] .

ز ـ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**المهدي مني أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت ظلمًا وجورًا، ويملك سبع سنين**»[٢] ، ولا توجد أي صلة أو علاقة بين مهدي السنة ومهدي الشيعة الرافضة ، وهناك بعض الفوارق بينهما منها :

* أن المهدي عند أهل السنة اسمه (محمد بن عبد الله) فاسمه يوافق اسم النبي صلى الله عليه وسلم ، واسم أبيه يوافق اسم أبيه ، أما مهدي الشيعة الرافضة ، فاسمه محمد بن الحسن العسكري .

* أن المهدي عند أهل السنة من ولد الحسن رضي الله عنه ، ومهدي الشيعة الرافضة من ولد الحسين .

* أن المهدي عند أهل السنة تكون ولادته ومدة حياته طبيعية ، ولم يوجد في الأحاديث ما يدل على أنه يمتاز عن غيره من الناس بشيء من ذلك ، أما مهدي

---

(١) رواه أبو نعيم في «أخبار المهدي»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥/ ٧١٧٠) .
(٢) «سنن أبي داود»، كتاب المهدي ، رقم (٤٢٦٥) .

الشيعة الرافضة فإن حمله وولادته كانت في ليلة واحدة، ودخل في السرداب وعمره تسع سنوات ومضى عليه الآن ما يزيد على ألف ومائة وخمسين سنة وهو في السرداب.

* أن المهدي عند أهل السنة يخرج لنصرة الإسلام والمسلمين، ولا يفرق بين جنس وجنس، وأما مهدي الشيعة الرافضة فيخرج لنصرة الشيعة الرافضة خاصة والانتقام من أعدائهم، ويكره العرب وقريشًا فلا يعطيهم إلا السيف ولا يكون من أتباعه عربي، كما دلت ذلك رواياتهم.

* أن مهدي السنة يحب صحابة النبي ﷺ، ويرضى عنهم ويتمسك بسنتهم، كما يحب أمهات المؤمنين ولا يذكرهن إلا بالثناء الحسن الجميل، أما مهدي الشيعة الرافضة فيبغض أصحاب النبي ﷺ ويخرجهم من قبورهم ويعذبهم، ثم يحرقهم - على حد زعمهم - وكذلك يبغض أمهات المؤمنين، ويحدّ أحب نساء النبي ﷺ الصديقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنها، على حد زعمهم.

* أن مهدي أهل السنة يعمل بسنة النبي ﷺ فلا يترك سنة إلا أقامها، ولا بدعة إلا قمعها، أما مهدي الشيعة الرافضة فإنه يدعو إلى دين جديد وكتاب جديد.

* أن مهدي السنة يقيم المساجد ويعمرها، وأما مهدي الشيعة الرافضة فيهدم المساجد ويخربها، فيهدم المسجد الحرام والكعبة، ومسجد النبي ﷺ، ولا يُبْقِي مسجدًا واحدًا على وجه الأرض، كما صرحوا بذلك في رواياتهم.

* أن مهدي السنة يحكم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، أما مهدي الشيعة الرافضة فيحكم بحكم آل داود.

* أن مهدي السنة يخرج من المشرق، أما مهدي الشيعة الرافضة، فيخرج من سرداب سامراء.

* أن مهدي السنة حقيقة ثابتة دلت عليها أحاديث النبي ﷺ، وأقوال العلماء قديمًا وحديثًا، أما مهدي الشيعة الرافضة فوهم من الأوهام لم يخرج ولن يخرج في يوم من الأيام[١].

عاشرًا: عقيدة الرجعة عند الشيعة الرافضة:

الرجعة من أصول المذهب الشيعي، فمن رواياتهم: ليس منا من لم يؤمن بكرتنا[٢]. وقال ابن بابويه في الاعتقادات: واعتقادنا في الرجعة أنها حق[٣]، وقال المفيد: واتفقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات[٤]، وقال الطبرسي والحر العاملي وغيرهما من شيوخ الشيعة: بأنها موضع إجماع الشيعة الإمامية[٥]، وأنها من ضروريات مذهبهم، وأنهم: مأمورون بالإقرار بالرجعة واعتقادها، وتحديد الاعتراف بها في الأدعية والزيارات ويوم الجمعة، وكل وقت كالإقرار بالتوحيد والنبوة والإمامة والقيامة[٦]، ومعنى الرجعة: الرجوع إلى الدنيا بعد الموت[٧]، وقد ذهبت فرق شيعية كثيرة إلى القول برجوع أئمتهم إلى هذه الحياة، ومنهم من يقر بموتهم ثم رجعتهم، ومنهم من ينكر موتهم ويقول بأنهم غابوا وسيرجعون، وكان أول من قال بالرجعة ابن سبأ، إلا أنه قال: بأنه غاب وسيرجع ولم يصدق بموته، وكانت عقيدة الرجعة خاصة برجعة الإمام عند السبئية، والكيسانية وغيرها، ولكنها صارت عند (الاثنا عشرية) عامة للإمام وكثير من الناس، ويشير الألوسي إلى أن تحول مفهوم الرجعة عند الشيعة من رجعة الإمام فقط إلى ذلك المعنى العام كان في القرن الثالث[٨]، وأما المفهوم العام لمبدأ الرجعة عند (الاثنا عشرية) فهو يشمل ثلاثة أصناف:

١ - الأئمة الاثني عشر؛ حيث يخرج المهدي من مخبئه، ويرجع من غيبته، وباقي الأئمة يحيون بعد موتهم ويرجعون لهذه الدنيا.

---

(١) «بذل المجهود» (١/ ٢٥٦، ٢٥٧).
(٢) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ١١٠٣).
(٣) «الاعتقادات» ص (٩٠).
(٤) «أوائل المقالات» ص (٥١).
(٥) «مجمع البيان» (٥/ ٥٢)، و«الإيقاظ من الهجمة» ص (٣٣).
(٦) المصدر السابق ص (٦٤).
(٧) «القاموس» (٣/ ٢٨)، و«مجمع البحرين» (٤/ ٣٣٤).
(٨) «روح المعاني» (٥/ ٢٧)، و«ضحى الإسلام» (٣/ ٢٣٧) أحمد أمين.

٢ ـ ولاة المسلمين الذين اغتصبوا الخلافة ـ في نظرهم ـ من أصحابها الشرعيين (الأئمة الاثني عشر) فيبعث خلفاء المسلمين وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، من قبورهم يرجعون لهذه الدنيا ـ كما يزعم الشيعة الرافضة ـ للاقتصاص منهم بأخذهم الخلافة من أهلها ، فتجري عليهم عمليات التعذيب والقتل والصلب .

٣ ـ عامة الناس ، ويخص منهم : من محض الإيمان محضًا ، وهم الشيعة عمومًا ، ولأن الإيمان خاص بالشيعة ، كما تتفق على ذلك رواياتهم وأقوال شيوخهم ومن محض الكفر محضًا وهم كل الناس ما عدا المستضعفين[١] .

ولهذا قالوا في تعريف الرجعة : إنها رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة[٢] ، وعودتهم إلى الحياة بعد الموت[٣] في صورهم التي كانوا عليها[٤] .

واتجه شيوخ الشيعة إلى كتاب الله سبحانه؛ ليأخذوا منه الدليل على ثبوت الرجعة التي يتفردون بها عن سائر المسلمين ، ولما لم يجدوا بغيتهم تعلقوا كعادتهم بالتأويل الباطني ، وركبوا متن الشطط ، وتعسفوا أيما تعسف في هذا السبيل ، حتى أصبح استدلالهم حجة عليهم ، ودليلاً على زيف معتقدهم ، وبرهانًا على بطلان مذهبهم ، وإليك مثالاً على تفسيرهم للآيات ، حيث يرى شيخ المفسرين عندهم ، أن من أعظم الأدلة على الرجعة قوله سبحانه : ﴿**وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ**﴾ [الأنبياء:٩٥] حيث يقول ما نصه : هذه الآية من أعظم الأدلة على الرجعة؛ لأن أحدًا من أهل الإسلام لا ينكر أن الناس كلهم يرجعون يوم القيامة من هلك ومن لم يهلك[٥] ، ومع أن الآية حجة عليهم ، فهي تدل على نفي الرجعة على الدنيا؛ إذ معناها كما صرح به ابن عباس وأبو جعفر الباقر وقتادة وغير واحد : حرام على أهل كل قرية أهلكوا بذنوبهم أنهم يرجعون إلى الدنيا قبل

---

(١) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ١١٠٥) .
(٢) «أوائل المقالات» ص (٥١) .
(٣) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ١١٠٥) .
(٤) «أوائل المقالات» ص (٩٥) .
(٥) «تفسير القمي» (٢/ ٧٦) وضع عنوانًا في أعلى الصفحة : أعظم دليل على الرجعة .

يوم القيامة[١]، وهذا كقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٣١] وقوله: ﴿فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٥٠]، وزيادة (لا) هنا لتأكيد معنى النفي من ﴿حرام﴾، وهذا من أساليب التنزيل البديعة المتناهية في الدقة. وسر الإخبار بعدم الرجوع مع وضوحه، هو الصدع بما يزعجهم ويؤسفهم، وفوات أمنيتهم الكبرى وهي حياتهم الدنيا[٢]، وإذا كان المقصود إثبات الرجعة فهي رجعة للناس ليوم القيامة بلا ريب[٣]، أي: ممتنع البتة عدم رجوعهم إلينا للجزاء[٤].

إن فكرة الرجعة عند الشيعة الرافضة بعد الموت مخالفة صريحة لنص القرآن الكريم، وباطلة بدلالة آيات عديدة من كتاب الله سبحانه، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠] فقوله سبحانه: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ صريح في نفي الرجعة مطلقًا[٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧، ٢٨].

فهؤلاء جميعًا يسألون الرجوع عند الموت، وعند العرض على الجبار جل علاه، وعند رؤية النار يجابون، لما سبق في قضائه، أنهم إليها لا يرجعون، ولذلك عد أهل العلم القول بالرجعة إلى الدنيا بعد الموت من أشد مراحل الغلو في بدعة التشيع[٦]، وقد جاء في مسند أحمد أن عاصم بن ضمرة- وكان من أصحاب علي رضي الله عنه- قال للحسن بن علي: إن الشيعة يزعمون أن عليًا يرجع. قال الحسن: كذب أولئك الكذابون ولو علمنا ذاك ما تزوج نساؤه ولا قسمنا ميراثه[٧]، والقول

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٠٥).
(٢) «تفسير القاسمي» (١١/ ٢٩٣).
(٣) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ١١١٢).
(٤) «فتح القدير» (٣/ ٤٢٦).
(٥) «مختصر التحفة» ص (٢٠١).
(٦) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ١١٢٢).
(٧) «مسند أحمد» (٢/ ٣١٢) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

بالرجعة بعد الموت إلى الدنيا لمجازاة المسيئين وإثابة المحسنين ينافي طبيعة هذه الدنيا وأنها ليست دار جزاء ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقد كان لابن سبأ اليهودي دور التأسيس لمبدأ الرجعة، إلا أنها رجعة خاصة بعلي، كما أنه ينفي وقوع الموت عليه أصلاً كحال (الاثنا عشرية) مع مهديهم الذي يزعمون وجوده، وعقيدة الرجعة عند الشيعة الإمامية خلاف ما علم من الدين بالضرورة، من أنه لا حشر قبل يوم القيامة، وأن الله كلما توعد كافرًا أو ظالمًا إنما توعده بيوم القيامة، كما أنها خلاف الآيات والأحاديث المتواترة المصرحة بأنه لا رجوع إلى الدنيا قبل يوم القيامة(١).

الحادي عشر: قولهم بالبداء على الله سبحانه وتعالى:

من أصول (الاثنا عشرية) القول: بالبداء على الله سبحانه وتعالى حتى بالغوا في أمره فقالوا: ما عبد الله بشيء مثل البداء(٢)، وما عظم الله عز وجل بمثل البداء(٣)، ولو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا من الكلام فيه(٤)، وما بعث الله نبيًا قط إلا بتحريم الخمر وأن يقر الله بالبداء(٥)، ويبدو أن الذي أرسى هذا المعتقد عند (الاثنا عشرية) هو الملقب عندهم بثقة الإسلام وهو شيخهم الكليني (ت٣٢٨ أو ٣٢٩هـ)، حيث وضع هذا المعتقد في قسم الأصول من «الكافي»، وجعله ضمن كتاب التوحيد، وخصص له بابًا بعنوان: (باب البداء) وذكر فيه ستة عشر حديثًا من الأحاديث المنسوبة للأئمة(٦).

وإذا رجعت إلى اللغة العربية لتعرف معنى البدء تجد أن القاموس يقول: بدا بدوًّا وبَدَاءً: ظهر. وبدا له في الأمر بدوًا وبداء وبداة: نشأ له فيه رأي(٧)، فالبداء في اللغة له معنيان:

---

(١) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ١١٢٤).

(٢، ٣) «أصول الكافي» (١/ ١٤٦).

(٤، ٥) المصدر نفسه (١/ ١٤٨).

(٦) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ١١٣٣).

(٧) «القاموس المحيط» (٤/ ٣٠٢).

١- الظهور بعد الخفاء، تقول: بدا سور المدينة أي: ظهر.

٢- نشأة الرأي الجديد. قال الفراء: بدا لي بداء أي : ظهر لي رأي آخر، قال الجوهري: بدا له في الأمر بداء أي: نشأ له فيه رأي(١). وكلا المعنيين ورد في القرآن، فمن الأول قوله تعالى: ﴿**وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ**﴾ [البقرة:٢٨٤] . ومن الثاني قوله: ﴿**ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ**﴾ [يوسف:٣٥] وواضح أن البداء بمعنييه يستلزم سبق الجهل، وحدوث الجهل وحدوث العلم وكلاهما محال على الله سبحانه، ونسبته إلى الله سبحانه من أعظم الكفر، فكيف تجعل الشيعة الاثنا عشرية هذا من أعظم العبادات وتدعي أنه ما أعظم الله عز وجل بمثل البداء؟ سبحانك هذا بهتان عظيم(٢).

هذا المعنى المنكر يوجد في كتب اليهود؛ فقد جاء في التوراة التي حرفها اليهود وفق ما شاءت أهواؤهم نصوص صريحة تتضمن نسبة معنى البداء إلى الله سبحانه(٣)، ويبدو أن ابن سبأ اليهودي قد حاول إشاعة هذه المقالة، التي أخذها من (توراته) في المجتمع الإسلامي الذي حاول التأثير فيه باسم التشيع وتحت مظلة الدعوة إلى ولاية علي ﷺ، ذلك أن فرق السبئية كلهم يقولون بالبداء وأن الله تبدو له البداوات(٤)، ثم انتقلت هذه المقالة إلى فرقة (الكيسانية) أو المختارية أتباع المختار بن أبي عبيد الثقفي، وهي الفرقة التي اشتهرت بالقول بالبداء والاهتمام به، والتزامه عقيدة(٥).

وكان شيوخ الشيعة يمنون أتباعهم بأن الأمر سيعود إليهم، والدولة ستكون لهم، حتى إنهم حدوا ذلك بسبعين سنة في رواية نسبوها لأبي جعفر، فلما مضت السبعون ولم يتحقق شيء من تلك الوعود، اشتكى الأتباع من ذلك فحاول مؤسسو المذهب الخروج من هذا المأزق بالقول بأنه قد بدا لله سبحانه ما اقتضى تغيير هذا الوعد(٦).

---

(١) «الصحاح» (٦/ ٢٢٧٨)، و«لسان العرب» (١٤/ ٦٦).

(٢) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ١١٣٥).

(٣) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ١١٣٦).

(٤) «التنبيه والرد» للملطي ص (١٩).

(٥) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ١١٣٦).

(٦) «تفسير العياشي» (٢/ ٢١٨)، و«بحار الأنوار» (٤/ ٢١٤).

وقد دل القرآن الكريم على إثبات صفة العلم لله تعالى، وعلى بطلان ما نسبته الشيعة الرافضة من عقيدة البداء لله التي أفضت إلى نسبة الجهل إليه تعالى، والآيات الدالة على إثبات صفة العلم لله تعالى كثيرة منها قوله تعالى ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام:٥٩، ٦٠]. وقال تعالى: ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤].

قال ابن تيمية - رحمه الله -: قد دلت هذه الآية على وجوب علمه بالأشياء من وجوه انتظمت... لأهل النظر والاستدلال القياسي العقلي أحدها: أنه خالق لها، والخلق هو الإبداع بتقدير، ذلك يتضمن تقديرها في العلم قبل تكوينها في الخارج، الثاني: أن ذلك مستلزم للإرادة والمشيئة، والإرادة مستلزمة لتصور المراد والشعور به.

الثالث: أنها صادرة عنه، وهو سببها التام، والعلم بأصل الأمر وسببه يوجب العلم بالفرع المسبب، فعلمه بنفسه مستلزم بكل ما يصدر عنه.

الرابع: أنه في نفسه لطيف يدرك الدقيق، خبير يدرك الخفي، وهذا هو مقتضى العلم بالأشياء، مستغن بنفسه عنها، كما هو غني بنفسه في جميع صفاته[1]، وقد دلت الآيات كذلك على تقدير الله تعالى للكون قبل أن يخلقه، وذلك بناء على علمه السابق بهذا الكون قبل وجوده، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢] وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى:٢، ٣] فهذه الآيات الكريمات فيها أعظم رد على الشيعة الرافضة الذين زعموا أن الله تعالى لا يعلم الحوادث إلا بعد حدوثها، وأنه قد يأمر بأمر ثم يتغير رأيه بناء على تجديد المصلحة، فالله تعالى قبل أن يخلق هذا الخلق قدره، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا تدبيره، ولا يتجاوز ما

---

(١) «الفتاوى» (٢/ ٢١١).

كتب الله في اللوح المحفوظ قبل خلق المخلوقات، ووجود الكائنات ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون[١].

وقد دلت السنة على إثبات صفة العلم لله تعالى، روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «**مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله**»[٢]، وهذه الأمور التي جاءت في الحديث أمور مستقبلية دل الحديث على علم الله بها قبل حدوثها، وقال النبي ﷺ: «**قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء**»[٣]، وقد جاءت في كتب الشيعة في ذلك الركام الهائل من الأباطيل روايات قد تكون وثيقة الصلة بعلماء آل البيت؛ لأنها تعبر عن المعنى الحق وهو ما يليق بأولئك الصفوة، وقد تكون من آثار الشيعة المعتدلة، فعن منصور بن حازم قال: سألت أبا عبد الله - عليه السلام- يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله تعالى بالأمس؟ قال: من قال هذا فأخزاه الله، قلت: أرأيت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة أليس في علم الله؟ قال: بلى، قبل أن يخلق الخلق[٤].

الثاني عشر: موقف أهل البيت من الشيعة الرافضة:

أئمة أهل البيت كسائر أهل السنة في موقفهم من الرافضة ومن عقائدهم، فهم يعتقدون ضلالهم وانحرافهم عن السنة، وبعدهم عن الحق، وهم من أشد الناس ذمًّا ومقتًا لهم وذلك لنسبتهم تلك العقائد الفاسدة إليهم، وكثرة كذبهم عليهم، وقد تعددت عبارات أهل البيت وتنوعت في ذم الشيعة الرافضة وبراءتهم من عقيدتهم، فمما جاء عنهم في براءتهم من عقائد الشيعة الرافضة وتأصيلهم عقيدة أهل السنة[٥]:

---

(١) «بذل المجهود» (١/ ٣٤٠). (٢) «البخاري» رقم (٤٦٩٧). (٣) «مسلم» رقم (١٦).

(٤) «التوحيد» لابن بابويه ص (٣٣٤)، و«أصول الكافي» (١/ ٤٨) رقم (١٠).

(٥) «الانتصار للصحب والآل» ص (١١٢).

١ - ما ثبت عن علي رضي الله عنه وتواتر عنه أنه قال وهو على منبر الكوفة:

خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما[١]، وعنه رضي الله عنه قال: لا يفضلني أحد على الشيخين إلا جلدته حد المفتري[٢]، وفي الصحيحين أنه قال في حق عمر عند تشييعه: ما خُلق أحد أحب إلـي من أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وذلك أني كنت أسمع كثيرًا رسول الله ﷺ يقول: «**ذهبت أنا و أبو بكر وعمر**» وإن كنت لأظن أن يجعلك الله معهما[٣]، وهذه الآثار ـ الثابتة عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه تناقض عقيدة الشيعة في الشيخين، كما تقدم، وتدل على براءة علي رضي الله عنه من الشيعة الرافضة ومن عقيدتهم، وتوليه للشيخين وسائر أصحاب النبي ﷺ وحبه لهم ـ كما بينا سابقًا ـ وإقراره للشيخين بالفضل عليه، وعقوبته من فضله عليهما، وتمنيه أن يلقى الله بمثل عمل عمر رضي الله عنه، وعن سائر أصحاب النبي الطيبين المطهرين من كل ما ينسبه إليهم أهل البدع من الشيعة الرافضة، والخوارج المارقين ثم من بعد علي رضي الله عنه جاءت أقوال أبنائه، وأهل بيته، في البراءة من الرافضة ومن عقيدتهم وانتقادهم لعقيدة أهل السنة[٤].

٢ - قول الحسن بن علي رضي الله عنهما:

عن عمرو بن الأصم قال: قلت للحسن: إن الشيعة تزعم أن عليًّا مبعوث قبل يوم القيامة. قال: كذبوا والله ما هؤلاء بالشيعة لو علمنا أنه مبعوث، ما زوجنا نساءه، ولا اقتسمنا ماله[٥].

وروى أبو نعيم: قيل للحسن بن علي رضي الله عنهما: إن الناس يقولون: إنك تريد الخلافة، قال: كانت جماجم العرب في يدي، يحاربون من حاربت، ويسالمون من سالمت، فتركتها ابتغاء وجه الله، وحقن دماء أمة محمد ﷺ[٦].

---

(١) «اللالكائي» (٧/ ١٣٦٦ ـ ١٣٩٧).
(٢) «السنة» لابن أبي عاصم ص (٥٦١).
(٣) «البخاري»، رقم (٣٦٨٥).
(٤) «الانتصار للصحب والآل» ص (١١٤).
(٥) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٦٣).
(٦) «حلية الأولياء» (٢/ ٣٧).

٣ - قول الحسين بن علي رضي الله عنهما:

كان يقول في شيعة العراق - الذين كاتبوه ووعدوه بالنصر، ثم تفرقوا عنه وأسلموه إلى أعدائه-: اللهم إن أهل العراق غروني، وخدعوني، صنعوا بأخي ما صنعوا، اللهم شتت عليهم أمرهم وأحصهم عددًا(١)، ثم كان نتيجة غدرهم وخذلانهم له استشهاده رضي الله عنه هو وعامة من كان معه من أهل بيته، بعد أن تفرق عنه هؤلاء الخونة، فكان مقتله رضي الله عنه معيبة عظيمة، ومأساة جسيمة يتفطر لها قلب كل مسلم(٢).

٤ -قول علي بن الحسين، رحمه الله:

ثبت عنه أنه قال: يا أهل العراق أحبونا حب الإسلام، ولا تحبونا حب الأصنام فما زال بنا حبكم حتى صار علينا شينًا(٣)، وعنه رحمه الله: أنه جاءه نفر من أهل العراق، فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فلما فرغوا قال لهم: ألا تخبروني أنتم المهاجرون الأولون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا، وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون؟ قالوا: لا، قال: فأنتم الذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون؟ قالوا: لا. قال: أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل فيهم: **﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾** [الحشر: ١٠] اخرجوا فعل الله بكم!!(٤).

٥- قوله محمد بن علي (الباقر):

عن محمد بن علي أنه قال: أجمع بنو فاطمة على أن يقولوا في أبي بكر

(١، ٢) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٣٠٢).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٣٩٠).

(٤) «الحلية» (٣/ ١٣٧).

وعمر رضي الله عنهما أحسن ما يكون من القول[1]، وعنه - رحمه الله - أنه قال لجابر الجعفي: إن قومًا بالعراق يزعمون أني أمرتهم بذلك، فأخبرهم أني أبرأ إلى الله تعالى منهم، والله بريء منهم، والذي نفس محمد بيده لو وليت، لتقربت إلى الله بدمائهم لا نالتني شفاعة محمد، إن لم أكن أستغفر الله لهما، وأترحم عليهما، إن أعداء الله غافلون عنهما[2]، وعن بسام الصيرفي قال: سألت أبا جعفر عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال: والله إني لأتولاهما، وأستغفر لهما. وما أدركت أحدًا من أهل بيتي إلا وهو يتولاهما[3].

٦ - قول زيد بن علي ، رحمه الله :

عن زيد بن علي أنه قال: كان أبو بكر إمام الشاكرين: ثم تلا ﴿**وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ [آل عمران:١٤٤] ، ثم قال: البراءة من أبي بكر هي البراءة من علي رضي الله عنهما[4] فإن شئت فتقدم، وإن شئت فتأخر[5].

٧ - قول جعفر بن محمد (الصادق):

عن عبد الجبار بن عباس الهمداني، أن جعفر بن محمد أتاهم وهم يريدون أن يرتحلوا من المدينة فقال: إنكم إن شاء الله من صالحي أهل مصركم، فأبلغوا عني من زعم أني إمام معصوم مفترض الطاعة، فأنا منه بريء[6]، ومن زعم أني أبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فأنا منه بريء، وعن سالم سأل عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال: يا سالم تولهما وأبرأ من عدوهما؛ فإنهما كانا إمامي هدى، ثم قال جعفر: أيسب الرجل جده؟ أبو بكر جدي، لا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة إن لم أكن أتولاهما وأبرأ من عدوهما[7] ، وعن جعفر بن محمد أنه كان يقول: ما أرجو من شفاعة علي شيئًا، إلا وأنا أرجو من شفاعة أبي مثله، لقد ولدني مرتين[8].

(١) «سير أعلام النبلاء» (٤٠٦/٤).
(٢) «الاعتقاد» للبيهقي ص (٣٦١).
(٣) «سير أعلام النبلاء» (٤٠٣/٤).
(٤) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١٣٠٢/٧).
(٥) «النهي عن سب الأصحاب» للمقدسي ص (٧٥).
(٦) «سير أعلام النبلاء» (٢٥٩/٦).
(٧) «سير أعلام النبلاء» (٢٥٨/٦).
(٨) «سير أعلام النبلاء» (٢٥٥/٦).

وعنه ـ رحمه الله ـ أنه سئل عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال: إنك تسألني عن رجلين قد أكلا من ثمار الجنة[١]، وعنه أنه قال ـ برئ الله ممن تبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[٢]، قال الذهبي معقبًا على هذا الأثر: قلت: هذا القول متواتر عن جعفر الصادق، أشهد بالله إنه لبار في قوله غير منافق لأحد، فقبح الله الرافضة[٣].

فهذه هي أقوال أئمة أهل البيت، الطيبين الطاهرين، الذين تدعي الشيعة الرافضة إمامتهم وولايتهم، وينسبون إليهم عقيدتهم موضحة ومبينة موقفهم من الشيعة الرافضة، ومن دينهم، وبراءتهم منهم ومن كل ما يفعلونه بهم من عقائدهم الفاسدة، ومطاعنهم على خيار الصحابة، وأمهات المؤمنين. إن هؤلاء الأئمة من أهل البيت على عقيدة السنة، ظاهراً وباطنًا، في كل كبير وصغير، فهي عقيدتهم التي بها يدينون، وعليها يوالون ويعادون، وأن من نسب لهم غير ذلك فهو كاذب عليهم ظالم لهم، فرحمهم الله رحمة واسعة وأخزى الله من ألصق بهم الأكاذيب[٤].

الثالث عشر: وجهة نظر التقريب بين أهل السنة والشيعة:

لقد تبين لنا من خلال البحث مدى ما عند الشيعة الروافض من ضلال وبدع، وانحراف عن كتاب الله وسنة رسوله والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، ومدى الأخطار والأضرار الكبيرة التي احتوت عليها كتبهم المعتمدة في مجال التفسير والتوحيد والحديث وغيرها، وأنها تصيب المسلمين في صميم دينهم، وفي أصول اعتقادهم، وكل دعوة تقريب تستلزم ضمنًا الاعتراف بهذه الكتب، التي لا يصل الكيد الاستشراقي والتبشيري إلى مستوى ما وصلت إليه من محاولات لتغيير دين الله وشرعه باسم الإسلام، بل إن الاستشراق والتبشير من معينها يرتوي، وعلى شبهاتها وأساطيرها يعتمد في إفساده وتآمره على الدين وأهله؛ ولهذا فإن

---

(١) «الانتصار للصحب والآل» ص (١١٩).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٢٦٠).
(٣) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٢٦٠).
(٤) «الانتصار للصحب والآل» ص (١٢٠).

هناك علاقة وثيقة بل تشابهًا تامًّا بين شبهات المستشرقين والمبشرين وآراء الشيعة والروافض ، وليس هذا بجديد ـ وهذه العلاقة تستحق أن يفرد لها رسالة علمية خاصة ، فمن قديم كان الأعداء يستخدمون (آراء) الشيعة الروافض تكأة لهم في محاربة الإسلام وأهله ، بل كان جنود الشيعة الروافض أمضى سلاحًا في يد الأعداء وكان التشيع الرافضي مأوى لكل من أراد هدم الإسلام من ملحد وحاقد وموتور ، وأيام التاريخ مليئة بمؤامراتهم وخياناتهم ومؤازراتهم للأعداء ، ومن أبرز الأسباب في ذلك : أن هؤلاء الشيعة الروافض لا يؤمنون بشرعية حكومة إسلامية إلا حكومة المنتظر الذي غاب أكثر من أحد عشر قرنًا ، ولهذا وجد الأعداء مدخلاً إلى قلوبهم من هذا الطريق[1] ، قال ابن تيمية : وكثير منهم يواد الكفار من وسط قلبه أكثر من مودته للمسلمين؛ ولهذا لما خرج الترك الكفار من جهة المشرق وقتلوا المسلمين وسفكوا دماءهم ببلاد خراسان ، والعراق ، والشام ، والجزيرة وغيرها ، كانت الرافضة معاونة لهم على المسلمين ، وكذلك كانوا بالشام وحلب وغيرها من الرافضة كانوا من أشد الناس معاونة لهم على قتال المسلمين وكذلك النصارى الذين قاتلوا المسلمين بالشام كانت الرافضة من أعظم المعاونين لهم ، فهم دائمًا يوالون الكفار ، من المشركين والنصارى ويعاونهم على قتال المسلمين ومعاداتهم[2] ، ويكفي للتأكيد على ذلك شواهد تاريخية منها :

١ـ مؤامرة ابن العلقمي الرافضي في إسقاط بغداد ٦٥٦هـ:

وملخص الحادثة أن ابن العلقمي كان وزيرًا للخليفة العباسي المستعصم وكان الخليفة على مذهب أهل السنة ، كما كان أبوه وجده ، ولكن كان فيه لين وعدم تيقظ ، فكان هذا الوزير الرافضي يخطط للقضاء على دولة الخلافة ، وإبادة أهل السنة ، وإقامة دولة على مذهب الشيعة الرافضة ، فاستغل منصبه وغفلة الخليفة ، لتنفيذ مؤامراته ضد الخلافة ، وكانت خيوط مؤامراته تتمثل في ثلاث مراحل :

أ ـ المرحلة الأولى: إضعاف الجيش ، ومضايقة الناس؛ حيث سعى في قطع أرزاق عسكر المسلمين ، وتقليلهم .

(١) «مسألة التقريب» (٢/ ٢٦١ - ٢٧٨) .
(٢) «منهاج السنة» (٢/ ١٠٤) .

قال ابن كثير: وكان الوزير ابن العلقمي يجتهد في صرف الجيوش، وإسقاط اسمهم من الديوان، فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر قريبًا من مائة ألف مقاتل.. فلم يزل يجتهد في تقليلهم، إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف[١].

ب ـ **المرحلة الثانية**: مكاتبة التتار، يقول ابن كثير: ثم كاتب التتار وأطمعهم في أخذ البلاد وسهل عليهم ذلك، وحكى لهم حقيقة الحال وكشف لهم ضعف الرجال[٢].

جـ ـ **المرحلة الثالثة**: النهي عن قتال التتار وتثبيط الخليفة والناس: فقد نهى العامة عن قتالهم[٣]، وأوهم الخليفة وحاشيته أن ملك التتار يريد مصالحتهم، وأشار على الخليفة بالخروج إليه والمثول بين يديه؛ لتقع المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم، ونصفه للخليفة، فخرج الخليفة إليه في سبعمائة راكب من القضاة والفقهاء، والأمراء والأعيان. فتم بهذه الحيلة قتل الخليفة ومن معه من قواد الأمة وطلائعها بدون أي جهد من التتار. وقد أشار أولئك الملأ من الشيعة الرافضة وغيرهم من المنافقين على هؤلاء، وأن لا يصالح الخليفة، وقال الوزير ابن العلقمي: متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عامًا أو عامين، ثم يعود الأمر إلى ما كانت عليه قبل ذلك، وحسنوا له قتل الخليفة، ويقال: إن الذي أشار بقتله الوزير ابن العلقمي، ونصير الطوسي[٤]، ثم مالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه، من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشباب، ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى، ومن التجأ إليهم، وإلى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي، وقد قتلوا من المسلمين ما يقال إنه بضعة عشر ألف ألف إنسان أو أكثر أو أقل، ولم ير الإسلام ملحمة مثل ملحمة الترك الكفار المسمين بالتتار، وقتلوا الهاشميين، وسبوا نساءهم من

(١، ٢) «البداية والنهاية» (١٣/ ٢٠٢).

(٣) «منهاج السنة» (٣/ ٣٨).

(٤) كان النصير عند هولاكو قد استصحبه في خدمته لما فتح قلاع الأموات، وانتزعها من أيدي الإسماعيلية «البداية والنهاية» (١٣/ ٢٠١).

العباسيين، وغير العباسيين، فهل يكون مواليًا لآل رسول الله ﷺ من يسلط الكفار على قتلهم وسبيهم وعلى سائر المسلمين؟![1].

وقتل الخطباء والأئمة حملة القرآن، وتعطلت المساجد، والجماعات، مدة شهور ببغداد[2].

وكان هدف ابن العلقمي: أن يزيل السنة بالكلية وأن يظهر البدعة الرافضة، وأن يبني للرافضة مدرسة هائلة ينشرون بها مذهبهم، فلم يقدره الله على ذلك، بل أزال نعمته عنه وقصف عمره بعد شهور يسيرة من هذه الحادثة، وأتبعه بولده[3].

٢- الدولة الصفوية:

في الدولة الصفوية- والتي أسسها الشاه إسماعيل الصفوي- فرض تشيع الاثنا عشرية على الإيرانيين قسرًا، وجعله المذهب الرسمي لإيران وكان إسماعيل قاسيًا متعطشًا للدماء إلى حد لا يكاد يصدق[4]، ويشيع عن نفسه أنه معصوم وليس بينه وبين المهدي فاصل، وأنه لا يتحرك إلا بمقتضى أوامر الأئمة الاثني عشر[5]، ولقد تقلد سيفه وأعمله في أهل السنة، وكان يتخذ سب الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم وسيلة لامتحان الإيرانيين، وقد أمر الشاه أن يعلن السب في الشوارع والأسواق وعلى المنابر منذرًا المعاندين بقطع رقابهم، وكان إذا فتح مدينة أرغم أهلها على اعتناق الرفض بقوة السلاح[6]، ولقد آزر شيوخ الروافض سلاطين الصفويين في الأخذ بالتشيع إلى مراحل من الغلو، وفرض ذلك على مسلمي إيران بقوة الحديد والنار، وكان من أبرز هؤلاء الشيوخ شيخهم علي الكركي[7]، الذي يلقبه الشيعة بالمحقق الثاني والذي قربه الشاه طهماسب، ابن الشاه

---

(١) «منهاج السنة» (٣/ ٣٨).
(٢) «البداية والنهاية» (١٣/ ٢٠٣).
(٣) «البداية والنهاية» (١٣/ ٢٠٢، ٢٠٣).
(٤) «لمحات اجتماعية من تاريخ العراق» لعلي الوردي ص (٥٦).
(٥) «الفكر الشيعي والنزعات الصوفية»، كامل الشيبي ص (٤١٣).
(٦) «أصول الشيعة الإمامية» (٣/ ١٤٧٥).
(٧) المصدر نفسه (٣/ ١٤٧٦).

إسماعيل وجعله الآمر المطاع في الدولة، وكذلك كان من شيوخ الدولة الصفوية المجلسي، والذي شارك السلطة في التأثير على المسلمين في إيران حتى يقال بأن كتابه (حق اليقين) كان سببًا في تشيع سبعين ألف سني من الإيرانيين[١]، والأقرب أن هذا من مبالغات الشيعة؛ فإن الرفض في إيران لم يجد مكانه إلا بالقوة والإرهاب لا بالفكر والإقناع[٢].

ولا ينسى الجانب الآخر من أثر الدولة الصفوية، وذلك في حروبها لدولة الخلافة الإسلامية العثمانية، وتعاونها مع الأعداء من البرتغال ثم الإنجليز ضد المسلمين، وتشجيعها لبناء الكنائس ودخول المبشرين والقسيسين، مع محاربتهم للسنة وأهلها[٣].

هذه بعض آثار دولهم وأفرادهم في هذا المجال، ومن كلمات ابن تيمية ـ رحمه الله ـ الخالدة والمهمة في هذا الموضوع والتي إذا طبقتها على الواقع، وإذا استقرأت من خلالها وقائع التاريخ، رأيت صدقها كالشمس قوله ـ رحمه الله ـ: فلينظر كل عاقل فيما يحدث في زمانه، وما يقرب من زمانه من الفتن والشرور والفساد في الإسلام، فإنه يجد معظم ذلك من قبل الرافضة، وتجدهم من أعظم الناس فتنًا وشرًّا، وأنهم لا يقعدون عما يمكنهم من الفتن والشرور وإيقاع الفساد بين الأمة[٤] ، ونحن قد علمنا بالمعاينة والتواتر أن الفتن والشرور العظيمة التي لا تشابهها فتن، إنما تخرج عنهم[٥].

فمع من نتحد يا معشر أهل السنة؟ مع من يطعن في قرآننا ويفسره على غير تأويله، ويحرف الكلم عن مواضعه ويكفر الصديق والفاروق رضي الله عنهما وأم المؤمنين وأحب نسائه إليه عائشة رضي الله عنها وطلحة والزبير وغيرهم من أجلة الصحابة رضي الله عنهم ويخادع المسلمين باسم التقية!![٦].

---

(١) «عقائد الشيعة» لرونلدسن ص (٣٠٢).

(٢، ٣) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ١٤٧٨).

(٤) «منهاج السنة» (٣/ ٢٤٣).

(٥) المصدر السابق (٣/ ٢٤٥).

(٦) «مسألة التقريب» (٢/ ٢٨٠).

٣- من التجارب المعاصرة في التقريب :

أ - تجربة مصطفى السباعي:

بذل الدكتور مصطفى السباعي عدة مساع مع بعض علماء الشيعة في مسألة التقريب، وسعى لعقد مؤتمر إسلامي لدراسة السبل الكفيلة لإرساء دعائم الألفة والمودة والتقارب بين الفريقين، وكان يرى أن من أكبر العوامل في التقريب أن يزور علماء الفريقين بعضهم بعضًا وأن تصدر الكتب والمؤلفات التي تدعو إلى التقارب، كما يرى عدم إصدار الكتب التي تثير ثائرة أحد الطرفين، وقام مصطفى السباعي بزيارة أحد مراجع الشيعة الكبار ومن يعتبر عندهم من أكبر دعاة الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب والدعوة إلى توحيد الصف وجمع الكلمة، وهو شيخهم عبد الحسين شرف الدين الموسوي، فلقيه متحمسًا لهذه الفكرة ومؤمنًا بها واتفق معه على عقد مؤتمر إسلامي بين علماء السنة والشيعة لهذا الغرض، كما قام السباعي بزيارة وجوه الشيعة من سياسيين وتجار وأدباء للغرض نفسه، وخرج من هذه الاتصالات فرحًا جدًّا؛ لحصوله على تلك النتائج، وما كان يخطر ببال السباعي رحمه الله أو يدور بخلده ما تنطوي عليه نفوس القوم من أهداف، وما يرمون إليه من وراء دعوة التقريب من خطط، حتى فوجئ السباعي ـ كما يقول ـ بعد فترة بأن هذا الموسوي المتحمس للتقريب، قام بإصدار كتاب في أبي هريرة رضي الله عنه مليء بالسباب والشتائم بل انتهى فيه إلى القول: بأن أبا هريرة رضي الله عنه كان منافقًا كافرًا وأن الرسول قد أخبر عنه بأنه من أهل النار[1]، ثم يقول السباعي: لقد عجبت من موقف عبد الحسين في كلامه وفي كتابه معًا؛ ذلك الموقف الذي لا يدل على رغبة صادقة في التقارب ونسيان الماضي[2]، ويذكر السباعي أن غاية ما قدم شيوخ الشيعة تجاه فكرة التقريب، هي جملة من المجاملة في الندوات والمجالس، مع استمرار كثير منهم في سب الصحابة، وإساءة الظن بهم، واعتقاد كل ما يروى في كتب

(١) «مسألة التقريب» ص (٩).

(٢) المصدر السابق ص (١٠).

أسلافهم من تلك الروايات والأخبار[١]، ويذكر أنهم وهم ينادون بالتقريب لا يوجد لروح التقريب أثر لدى علماء الشيعة في العراق وإيران، فلا يزال القوم مصرين على ما في كتبهم من ذلك الطعن الجارح والتصوير المكذوب لما كان بين الصحابة من خلاف، كأن المقصود من دعوة التقريب هي تقريب أهل السنة إلى مذهب الشيعة[٢]، ويذكر السباعي: أن كل بحث علمي في تاريخ السنة أو المذاهب الإسلامية لا يتفق مع وجهة نظر الشيعة يقيم بعض علمائهم النكير على من يبحث في ذلك، ويتسترون وراء التقريب ويتهمون صاحب هذا البحث بأنه متعصب معرقل لجهود المصلحين في التقريب، ولكنَّ كتابًا ككتاب عبد الحسين شرف الدين في الطعن في أكبر صحابي موثوق في روايته للأحاديث في نظر أهل السنة، لا يراه أولئك العائبون أو الغاضبون عملاً معرقلاً لجهود الساعين إلى التقريب، ويقول: لست أحصر المثال بكتاب: (أبي هريرة) المذكور، فهناك كتب تطبع في العراق وفي إيران وفيها من التشنيع على جمهور الصحابة، ما لا يتحمل سماعه إنسان ذو وجدان وضمير مما يؤجج نيران التفرقة من جديد[٣]، هذه تجربة الشيخ السباعي رحمه الله ومحاولته أفلست أمام تعصب شيوخ الشيعة، وإصرارهم في عدوانهم على خير جيل وجد في خير القرون[٤].

لقد أصبح التقريب في مفهوم الشيعة الرافضة، أن يتاح لهم المجال لنشر عقائدهم في ديار أهل السنة، وأن يستمروا في نيلهم من أصحاب رسول الله ﷺ، وأن يسكت أهل السنة عن بيان الحق، وإن سمع الروافض الحق يعلو هاجوا وماجوا قائلين: إن الوحدة في خطر[٥].

ب - تجربة الشيخ موسى جار الله:

هذا الشيخ الجليل من علماء روسيا، فهو موسى بن جار الله التركستاني القازاني الروسي شيخ مشايخ روسيا في نهاية العصر القيصري وبداية الحكم

(١، ٢) «مسألة التقريب» ص (٩، ١٠).
(٣) «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» ص (١٠).
(٤، ٥) «مسألة التقريب» (٢/ ١٩٨).

السوفيتي، كان صاحب الكلمة الأولى والأخيرة في أمور مسلمي روسيا الذين كانوا يزيدون على الثلاثين مليون نسمة، ثم هب عليه إعصار الشيوعية، فأصبح بعيدًا عن دياره وأهله، له تأليف رسائل وكتب، تنقل بين الهند والحجاز ومصر والعراق وإيران، قال عن نفسه: كان بوسعي أن أغدو كاتب روسيا الأول، وأحد زعماء الطليعة فيها لو أنني تخليت عن إيماني، ولكنني آثرت أن أشتري الآخرة بالدنيا[١].

حاول هذا العالم الجليل أن يجمع شمل الأمة، وأن يوحد أهل السنة والشيعة وبذل جهودًا في هذا الجانب عظيمة، فبدأ بدراسة كتب الشيعة وطالعها باهتمام، كما يذكر أنه طالع «أصول الكافي وفروعه»، و«من لا يحضره الفقيه»، وكتاب «الوافي» و«مرآة العقول» و«بحار الأنوار» و«غاية المرام» وكتبًا كثيرة غير هذه الكتب[٢] ثم زار ديار الشيعة وعاش فيها أكثر من سبعة أشهر يزور معابدها ومشاهدها، ومدارسها ويحضر محافلها وحفلاتها في العزاء والمآتم، ويحضر حلقات الدروس في البيوت والمساجد وصحونها، والمدارس وحجراتها، وأقام بالنجف أيام الحرم ورأى كل ما تأتي به الشيعة أيام العزاء ويوم عاشوراء، وخرج هذا العالم بنتيجة علمية، فرأى ببصيرته النافذة وعلمه الغزير أن نقد عقائد الشيعة وواقعها، هو أول مرحلة من تأليف قلوب الأمة لا تأليف بدونها، وكان أَوَّلَ مساعيه في التقريب: لقاؤه مع شيخ الشيعة محسن الأمين في طهران، وجرى بينهما بعض الحديث، ثم قدم له الشيخ موسى ورقة صغيرة كان تاريخ الرسالة ٢٦/٨/١٩٣٤م، وأرسل منها نسخة إلى علماء النجف، وأخرى إلى علماء الكاظمية، فكتب فيها:

أقدم هذه المسائل لأساتذة النجف الأشرف بيد الاحترام، بأمل الاستفادة بقلب سليم صادق، كله رغبة في تأليف عالمي الإسلام الشيعة الإمامية الطائفة المحقة ـ

---

(١) «مسألة التقريب» (٢/٢٠١).

(٢) «الوشيعة» ص (١٩)، و«مسألة التقريب» (٢/١٩٩).

يعني على زعمهم[١] ـ وعامة أهل السنة والجماعة، راجيًا إجابة الأساتذة جميعًا أو فرادى، وكل ببيانه البليغ، وبتوقيع يده مؤكدًا بخاتمه، ثم أورد في الرسالة ما في كتب الشيعة من أمور منكرة، مشيرًا إلى أرقام الصفحات في كل ما يذكره، فذكر عدة قضايا خطيرة في كتب الشيعة الرافضة تحول بين الأمة والائتلاف مثل:

* تكفير الصحابة. * اللعنات على العصر الأول.

* تحريف القرآن الكريم.

* حكومات الدول الإسلامية وقضاتها، وكل علمائها طواغيت في كتب الشيعة.

* كل الفرق الإسلامية كافرة ملعونة خالدة في النار إلا الشيعة.

* الجهاد في كتب الشيعة مع غير الإمام المفترض طاعته حرام، مثل حرمة الميتة وحرمة الخنزير، ولا شهيد إلا في الشيعة، والشيعي شهيد ولو مات على فراشه والذين يقاتلون في سبيل الله من غير الشيعة فالويل يتعجلون. ثم قال الشيخ بعدما نقل شواهد هذه المسائل من كتب الشيعة المعتمدة مخاطبًا شيوخ الشيعة: هذه ست من المسائل، عقيدة الشيعة فيها يقين، فهل يبقى لتوحيد كلمة المسلمين في عالم الإسلام من أمل، وهذه عقيدة الشيعة؟ وهل يبقى بعد هذه المسائل، وبعد هذه العقيدة لكلمة التوحيد في قلوب أهلها من أثر؟ وهل يمكن أن يكون للأمم الإسلامية، ولهم هذه العقيدة في سبيل غلبة الإسلام في مستقبل الأيام من سعي؟ ثم أردف ذلك بمسائل منكرة أخرى مثل:

ـ رد الشيعة لأحاديث الأمة ودعواهم أن كل ما خالف الأمة فيه الرشاد. ويرى أن هذا المبدأ هدم لدين الشيعة قبل أن يهدم في دين الإسلام.

ـ وما في كتب الشيعة من أبواب في آيات وسور نزلت في الأئمة والشيعة، وفي آيات وسور نزلت في كفر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وكفر من اتبعهما.

ـ وغلو الشيعة في التقية.

---

(١) «مسألة التقريب» (٢/ ٢٠٥).

ثم ذكر أباطيل أخرى شنيعة في كتب الشيعة مثل:

- أن النبي ﷺ طلق عائشة، فخرجت من كونها أم المؤمنين.

- أن القائم إذ يقوم يقيم الحد على عائشة رضي الله عنها انتقامًا لأمه ابنة النبي ﷺ، فاطمة عليها وعلى أبيها وأولاده الصلاة والسلام.

- أن القائم إذا ظهر يهدم مساجد الإسلام.

- ثم ذكر أن دين الشيعة روحه العداء، وأن ما في كتب الشيعة من حكايات العداء بين الصديق والفاروق رضي الله عنهما، وبين علي كلها موضوعة.

- وذكر أن كتب الشيعة تقول على لسان بعض الأئمة: إن الأمة وإن كانت لها أمانة وصدق ووفاء، لا تكون مؤمنة لإنكارها الولاية.

وأن الشيعة وإن لم يكن عندها شيء من الدين لا عتب عليها؛ لأنها تدين بولاية إمام عادل وذكر مسائل أخرى، ثم قال: فتفضلوا أيها الأساتذة السادة بالإفادة حتى يتحد الإسلام وتجتمع كلمة المسلمين حول كتاب الله المبين، فماذا كان جواب الشيعة على هذه المسائل التي نقلتها من أمهات كتب الشيعة؟ عرضًا على سبيل الاستيضاح عملاً بأمر الله في كتابه: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾ [النحل: ٤٣] ثم انتظرت سنة وزيادة ولم أسمع جوابًا من أحد إلا من كبير مجتهدي الشيعة بالبصرة قد قام بوظيفته وتفضل علي بكل أجوبته في كتاب نزيد صفحاته على تسعين بكلمات في الطعن في العصر الأول أشد وأجرح من كلمات كتب الشيعة، ثم كتب الشيخ موسى كتابه «الوشيعة في نقد عقائد الشيعة» بعد أن لم ير استجابة من شيوخ الشيعة، ويقول: إنني أدافع بذلك عن شرف الأمة وحرمة الدين، وأقضي به حقوق العصر الأول عليٍّ وعلى كل الأمة[1].

وإذا كان الشيخ موسى جار الله يرى في نشره كتاب (الوشيعة) وفي نصحه

---

(١) «الوشيعة» ص (٣٩)، و«مسألة التقريب» (٢/ ٢٠٨).

لشيوخ الشيعة، أن ذلك أول تدبير في التأليف والتقريب، فإن شيوخ الشيعة يرون أن ما كشفه الشيخ موسى يجب أن يكون دفينًا، ويستفزهم مثل هذا الكشف غاية الاستفزاز، والسبب في انزعاج شيوخ الشيعة من أي كشف لما في كتبهم من أباطيل، أن في ذلك فضحًا لأغراضهم ومآربهم، وكشفًا لاستغلالهم لجمهور البسطاء من الشيعة دينيًّا باسم النيابة عن المعصوم المنتظر، وماليًّا باسم خمس هذا المنتظر[1].

٤ - المنهج السليم للتقريب:

هو أن يقوم علماء السنة بجهد كبير لنشر اعتقادهم الصحيح، المنبثق من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وبيان صحته وتميزه عن مذاهب أهل البدع، وكشف مؤامرات الشيعة الرافضة وأكاذيبهم وما يستدلون به من كتب أهل السنة والرد على الشبهات الموجهة لأهل السنة بعلم وعدل وبرهان، ولابد من مصاحبة ذلك كله ببيان لانحرافات الشيعة الرافضة وكشف ضلالاتهم وأصولهم الفاسدة، وإذا كان أئمة السنة قد شاركوا في ذلك فإنه يجب مضاعفة الجهد وأن يكون جهدًا جماعيًّا مخططًا له.

إن المنهج الأصيل للتقريب هو بيان الحق وكشف الباطل، وتقريب الشيعة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وفهم الإسلام الصحيح، من خلال علماء أهل السنة وعلى رأسهم فقهاء وعلماء أهل البيت: كأمير المؤمنين علي وأبنائه وأحفاده من العلماء، ولابد من الوقوف في وجه المد التبشيري الرافضي الذي يشين لأهل البيت الأطهار- والذي ينشط اليوم بشكل قوي في العالم الإسلامي، وفي أوربا وأمريكا- حتى يجتمع المسلمون على كلمة سواء، ويعتصموا بحبل الله جميعًا ولا يتفرقوا.

وإذا كان لا يجدي مع بعض علماء الشيعة الرافضة الاحتجاج عليهم بالقرآن

---

(١) «مسألة التقريب».

والسنة والإجماع، وبيان الحق بهذه الأصول لمخالفتهم لأهل السنة في ذلك، فلا يعني ذلك أن نتوقف عن بيان مذهب أهل السنة وصحته، وبطلان مذهب الشيعة وضلاله في تلك الأصول، فذلك سيحد من انتشار عقيدة الروافض بين أهل السنة بإذن الله تعالى.

وعلينا أن نبحث عما يكشف باطلهم من كتبهم نفسها، وهذا المنهج لم يسلكه علماؤنا المتقدمون، الذين اهتموا بالرد على الروافض وتفنيد حججهم ودحض دعاواهم، ولعل السبب في ذلك، أن كتب القوم لم يكن لها ذلك الذيوع والانتشار وكانت موضع التداول الخاص بهم، أو أن السبب أن هناك بعض كتبهم الأساسية قد وضعت من المتأخرين ونسبت للمتقدمين، أو زيد عليها في العصور المتأخرة «الدولة الصفوية»، أيّا كان السبب هذا أو ذاك أو جميعًا فإن كتب الروافض اليوم قد انتشرت ودان بقدسيتها وآمن بصحتها الكثير من الشيعة الرافضة، فهم لا يؤمنون إلا بما جاء فيها ولا يحتجون إلا بها، ويردون بها السنة الصحيحة بل نصوص الكتاب الظاهرة، بل منهم من يصدق أساطيرها التي تمس كتاب الله العظيم، وتزعم الوحي للأئمة وعلم الغيب، فليكن تصحيح وضع الشيعة من كتبهم وكشف ضلالهم من رواياتهم، ومنطلق التقريب الصحيح من مدوناتهم(١)، وقد قامت جهود مشكورة في هذا المجال وظهرت بعض الكتب: كـ«الإمامة والنص»، لفيصل نور، «ثم أبصرت الحقيقة» لمحمد سالم الخضر، و«أصول الشيعة الإمامية الاثنا عشرية»، للدكتور ناصر عبد الله بن علي القفاري، و«دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين» للدكتور أحمد جلي. إن هذا المسلك ينبغي أن يدرس بعناية واهتمام، فإن القارئ لكتب الشيعة يتلمس خيوطًا بيضاء وسط ركام هائل من الضلال، ومن الممكن أن ينسج من هذه الخيوط العقيدة الحقة للأئمة الموافقة للكتاب والسنة الصحيحة من الضياع والتيه الذي يعيشونه، وهذه الخيوط كما تشمل الأصول تشمل الفروع وعلى ذلك يمكن اللقاء والتقارب(٢)، كما أنه ينبغي التنويه وتشجيع الأصوات الإصلاحية الشيعية

---

(١) «مسألة التقريب» (٢/ ٢٨٢، ٢٨٣).

(٢) «مسألة التقريب» (٢/ ٢٩٦).

الصادقة، واحترامهم وتقديرهم، والوقوف معهم في نصيحة أقوامهم، كالذي قام به السيد حسين الموسوي في كتابه: (لله ثم للتاريخ، كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار)، وكالجهد العلمي الذي قام به السيد أحمد الكاتب مشكوراً في كتابه: (تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه)، وعلينا أن نقف مع كل محب صادق لأهل البيت، يقتفي آثارهم الصحيحة وهديهم الجميل في إرشاد الناس لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ونعاملهم بكل احترام وتقدير، ونأخذ بأيديهم نحو شواطئ الأمان، ونبين لهم أن القرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في تعريف أحكام الإسلام، ويفهم القرآن الكريم طبقًا لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف، ويرجع في فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات[1]، وأن كل واحد يؤخذ من قوله ويرد إلا المعصوم ﷺ، وكل ما جاء عن السلف ﷺ موافقًا للكتاب والسنة قبلناه، وإلا فكتاب الله وسنة رسوله ﷺ أولى بالاتباع، ولكنا لا نعرض للأشخاص فيما اختلفوا فيه بطعن أو تجريح، ونكلهم إلى نياتهم وقد أفضوا إلى ما قدموا[2]، وكل بدعة في دين الله لا أصل لها استحسنها الناس بأهوائهم، سواء بالزيادة فيه أو بالنقص منه ضلالة تجب محاربتها[3]، والقضاء عليها بأفضل الوسائل التي لا تؤدي إلى ما هو شر منها، ومحبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم، قربة إلى الله تبارك وتعالى، والأولياء هم المذكورون في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٣] والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية مع اعتقاد أنهم ﷺ لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا في حياتهم، أو بعد مماتهم فضلاً عن أن يهبوا شيئًا من ذلك لغيرهم[4] وزيارة القبور أيًّا كانت سنة مشروعة بالكيفية المأثورة، ولكن الاستعانة بالمقبورين وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد، والنذر لهم، وتشييد القبور وسترها، والتمسح بها، والحلف بغير

---

(١) «النهج المبين لشرح الأصول العشرين» د. عبد الله الوشلي ص (١٢٦).
(٢) «النهج المبين لشرح الأصول العشرين» د. عبد الله الوشلي، ص (١٥٧).
(٣) المصدر نفسه ص (٢٤٣). (٤) المصدر نفسه ص (٢٥٩).

الله، وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر تجب محاربتها، ولا نتأول لهذه الأعمال سدًّا للذريعة[١]، والعرف الخاطئ لا يغير من حقائق الألفاظ الشرعية، بل يجب التأكد من حدود المعاني المقصود بها والوقوف عندها، كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظي في كل نواحي الدنيا والدين، فالعبرة بالمسميات لا بالأسماء[٢] والإسلام يحرر العقل، وَيَحُثُّ على النظر في الكون، ويرفع قدر العلم والعلماء ويرحب بالصالح والنافع من كل شيء، والحكمة ضالة المؤمن أين وجدها، فهو أحق الناس بها[٣]، ولا نكفر مسلمًا أقر بالشهادتين، وعمل بمقتضاها وأدى الفرائض، برأي أو معصية، إلا أن يكون أقر بكلمة الكفر، أو أنكر معلومًا من الدين بالضرورة، أو كذب صريح القرآن، أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال، أو عمل عملاً لا يتحمل تأويلاً غير الكفر[٤].

إن مثل هذه الأصول والمفاهيم تعين الناس عمومًا على فهم الإسلام الصحيح المتمثل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومنهج أهل السنة والجماعة، الذي أصل لأصوله رسول الله ﷺ، والخلفاء الراشدون المهديون، ومن سار على نهجهم من العلماء والفقهاء.

إن أهل الحق المتمسكين بنهج أهل السنة ليس عندهم بدع بحمد الله، ومستندهم القرآن والسنة الصحيحة ولا يمكنهم التنازل عن شيء من ذلك، مما قد يجعل الدين عرضة للمساومة، أما الشيعة الرافضة فعندهم من البدع الشيء الكثير، لا يمنعهم شيء من التنازل عنها إلا التعصب واتباع الهوى، والمصالح المادية لبعض شيوخهم المنحرفين عن هدي أمير المؤمنين علي وعلماء أهل البيت رضي الله عنهم جميعًا.

وذكر العلماء: أن أهل السنة عليهم إنكار بدع المبتدعة وإن كان المبتدع متعبدًا بها معتقدًا صوابها، ولا بأس أن نقيد إنكارنا على هذه البدع بالقيد المصلحي

---

(١) «النهج المبين لشرح الأصول العشرين» د. عبد الله الوشلي ص (٢٧٩).
(٢) المصدر نفسه ص (٣٠٥). (٣) المصدر نفسه ص (٣٢٣). (٤) المصدر نفسه ص (٣٤٣)

وفق قاعدة الترجيح بين المفاسد، والمصالح المتعارضة؛ بأن نحتمل المفسدة اليسيرة من أجل درء المفسدة الكبيرة، ونحتمل تفويت المعروف الأصغر حرصًا على جلب المعروف الأكبر، وهذه قاعدة صحيحة عند الفقهاء، والعمل بهذه القاعدة قد يجعلنا نسكت عن إنكار بدعة الشيعة الرافضة في وقت من الأوقات أو في مكان من الأمكنة سدًّا للذريعة وخروجًا عن أصل الإنكار إذا كان الإنكار يؤدي إلى هياج الفتن وإراقة الدماء والاقتتال بين أهل بلد يتكافؤ فيه عدد الشيعة مع عدد أهل السنة، وأما في الأحوال الاعتيادية التي لا تكون هناك مفسدة تصاحب هذا الإنكار يكون مستساغًا أو واجبًا[١].

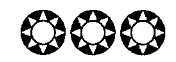
وعلى علماء أهل السنة أن يلتزموا أسلوب البحث العلمي الهادئ في مناقشة بدع المبتدعة، وأن يترفقوا معهم وقد يكون من تمام الترفق زيارتهم ومعاونتهم في الحدود التي لا خلاف فيها، أو نجدتهم في الملمات وأيام المصاعب أو نصرهم إذا كانوا في نزاع مع كافر أو ظالم، وفق السياسة الشرعية الخاضعة للمصالح والمفاسد، إلا أن هذا الأصل في التعاون وحسن العلاقة وهدوء البحث، لا يمكن أن يطرد دائمًا ليشمل من يأتي من الشيعة الرافضة بغلو قد يكون في السكوت عنه تحريك الغوغاء والدهماء، بل الواجب أن ننكر على أهل الغلو الشديد، والأقوال الشاذة في كل الأحوال، والحد المميز بين الطائفتين الأولى التي نترفق معها في الكلام، والثانية التي نغلظ لها الكلام إنما يكون كامنًا في مدى اعتماد القائل على نص شرعي يتكون من شبهة له، أو على تأويل قد تميل إليه بعض الأذهان، وأما من يتبع غرائب النقول عن المجاهيل والمتأخرين ومن لا تأويل له فالإنكار من تجاهه أولى، وربما كان الإغلاظ له أوجب[٢].

إن أهل الحل والعقد من أهل السنة في المجتمعات الطائفية، هم الذين يقدرون المواقف السياسية، والتحالفات الحزبية مع الطوائف الأخرى وفق فقه المصالح والمفاسد، الذي تضبطه قواعد السياسة الشرعية، وهذا لا يمنع العلماء

(١) «مسألة التقريب» (٢/ ٣٦٠).

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٣٦١).

والدعاة من تعليم المسلمين أصول منهج أهل السنة وتربيتهم عليه، والتحذير من العقائد المنحرفة المندسة في أوساط المسلمين حتى لا يتأثروا بتلك الأفكار الفاسدة، التي يجتهد دعاتها في نشرها بالليل والنهار والسر والإعلان، بدون ملل ولا كلل، ولقد قام رسول الله ﷺ إبان هجرته للمدينة بعقد المعاهدات مع اليهود التي تؤمن لهم حياة كريمة في ظل الدولة الإسلامية، وكان القرآن الكريم في نفس الوقت يتحدث عن عقائد اليهود وتاريخهم وأخلاقهم؛ حتى يعرف المسلمون حقيقة الشخصية اليهودية فلا ينخدعوا بها.



المبحث الرابع

الأيام الأخيرة في حياة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب واستشهاده رضي الله عنه

أولاً: في أعقاب النهروان:

كان قتال أمير المؤمنين رضي الله عنه لهذه الفرقة الخارجة المارقة دليلاً قويًّا، وحجة ظاهرة على أنه مصيب في قتاله لأهل الشام، وأنه أولى بالحق من معاوية، فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق**»[(١)] .

فالقارئ يتوقع أن الجيش سيكون أشد عزيمة في قتال أهل الشام لما تيقن لديهم بهذه البراهين وغيرها مما سبق، كمقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه، إلا أنه بالرغم من ذلك فإن الذي حدث عكس ما هو متوقع منهم، فالخطة التي رسمها أمير المؤمنين علي رضي الله عنه هي الذهاب إلى الشام بعد الانتهاء من قتال الخوارج؛ لأن إدخال الشام تحت خلافته وإعادة وحدة الأمة هدف يجب تحقيقه، وغاية يسعى إلى الوصول إليها، وما حربه للخوارج إلا تأمينًا للجبهة الداخلية خشية أن يقعوا بمن في العراق من الذراري في أثناء غيابه ـ كما ذكر ذلك في خطبته ـ ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن؛ إذ لم يستطع رضي الله عنه غزو الشام حتى استشهد[(٢)]، فلقد كان لخروج الخوارج أثر في إضعاف جيش أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، كما أن الحروب في الجمل وصفين والنهروان، تسببت في ملل أهل العراق للحرب ونفورهم منها، وخاصة حرب أهل الشام في صفين؛ فإن حربهم ليست كحرب غيرهم، فمعركة صفين الطاحنة لم تفارق مخيلتهم، فكم يتمت الأطفال ورملت النساء، بدون أن يتحقق مقصودهم، ولولا الصلح أو التحكيم الذي رحب به أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وكثير من أصحابه لكانت مصيبة على العالم الإسلامي لا يتخيل آثارها السيئة، فكان هذا التخاذل عن المسير مع علي رضي الله عنه إلى الشام مرة أخرى أحب إليهم، وتميل إليه نفوسهم وإن كانوا يعلمون أن عليًّا على حق[(٣)]، ومن المعضلات التي

---

(١) «مسلم» (٢/ ٧٤٥، ٧٤٦).

(٢، ٣) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد علي ص (٣٤٥).

أوهنت جانب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، خروج فرقة تغالي في تعظيم أمير المؤمنين علي وترفعه إلى مقام الألوهية، حتى بدا للبعض أن هذا رد فعل للخوارج الذين يتبرؤون من علي ويكفرونه[١]، ولكن هؤلاء كان مقصدهم سيئًا وهو إدخال معتقدات فاسدة على المسلمين لهدم الدين وإضعاف المسلمين عامة وليس جيش علي فقط[٢]، ولقد تصدى لهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ـ كما بينا ـ بحزم وقوة، ولاشك أن مباينة الخوارج وقتالهم أضعف جانب علي كثيرًا، ثم تتابعت الفتوق على علي من بعد، فخرج الخريت بن راشد، وقيل: اسمه الحارث بن راشد في قومه من بني ناجية، وكان من ولاة علي على الأهواز، فدعا إلى خلع علي، فأجابه خلق كثير واحتوى على البلاد وجبى الأموال، فبعث إليه عليٌّ جيشًا بقيادة معقل بن قيس الرياحي فهزمه وقتله[٣]، وطمع أهل الخراج في ناحية علي في كسر الخراج، وانتفض أهل الأهواز، ولابد أن عليًّا واجه من أجل ذلك بعض الصعوبات المالية والعسكرية، وقد روي عن الشعبي في هذا الخصوص قوله: لما قتل عليٌّ أهل النهروان، خالفه قوم كثير، وانتفضت عليه أطرافه، وخالفه بنو ناجية، وقدم ابن الحضرمي البصرة، وانتفض أهل الأهواز، وطمع أهل الخراج في كسره، وأخرجوا سهل بن حنيف عامل علي بن أبي طالب رضي الله عنه من فارس[٤].

وفي الجانب الآخر كان معاوية رضي الله عنه يعمل بشتى الوسائل سرًّا وعلانية على إضعاف جانب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، واستغل ما أصاب جيشه من تفكك وخلاف، فأرسل جيشًا إلى مصر بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه سيطر عليها وضمها إليه وقد ساعده على ذلك عدة عوامل منها:

* انشغال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بالخوارج.

* عامل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على مصر -محمد بن أبي بكر- لم يكن على قدر من الدهاء كسلفه قيس بن سعد بن عبادة الساعدي

---

(١) «نظام الخلافة في الفكر الإسلامي» لمصطفى حلمي ص (١٥، ١٦).

(٢) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد علي ص (٣٥٠).

(٣) «تاريخ الطبري» (٦/ ٢٧ ـ ٤٧).

(٤) «تاريخ الطبري» (٦/ ٥٣).

الأنصاري، فدخل في حرب مع المطالبين بدم عثمان ولم يسايسهم كما كان يصنع الوالي السابق فهزموه.

* اتفاق معاوية مع المطالبين بدم عثمان ﷺ في مصر في الرأي، فساعده في السيطرة عليها[١].

* بعد مصر عن مركز أمير المؤمنين علي ﷺ، وقربها من الشام.

* طبيعتها الجغرافية فهي متصلة بأرض الشام عن طريق سيناء وتمثل امتداداً طبيعيًّا، وقد أضافت مصر قوة كبيرة لمعاوية ﷺ، قوة بشرية واقتصادية كبيرة، وكذلك أرسل معاوية بعوثه إلى شمال الجزيرة العربية، ومكة والمدينة وإلى اليمن ولكن لم تلبث هذه البعوث أن ردت على أعقابها عندما أرسل أمير المؤمنين عليٌّ من يصدها[٢]، وعمل معاوية ﷺ على استمالة كبار أعيان القبائل وعمال علي ﷺ، فقد حاول سحب قيس بن سعد ﷺ عامل علي على مصر إليه فلم يستطع، ولكنه استطاع أن يثير شك حاشية علي ﷺ ومستشاريه فيه فعزله[٣]، وكان عزل سعد بن قيس مكسبًا كبيرًا لمعاوية، كما حاول سحب زياد بن أبيه عامل علي ﷺ على فارس ففشل في ذلك[٤]، وقد استطاع معاوية ﷺ أن يؤثر على بعض الأعيان والولاة بسبب ما يمنيهم ويعدهم به، ولما يرونه من علو أمر معاوية وتفرق أمر علي ﷺ؛ إذ يقول في إحدى خطبه: ألا إن بسرًا قد أطلع من قبل معاوية، ولا أرى هؤلاء القوم إلا سيظهرون عليكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم وبطاعتهم أميرهم ومعصيتكم أميركم، وبأدائهم الأمانة وبخيانتكم، استعملت فلانًا فَغَلَّ وغدر وحمل المال إلى معاوية، واستعملت فلانًا فخان وغدر وحمل المال إلى معاوية، حتى لو ائتمنت أحدهم على قدح خشيت على عِلاَقَتِه، اللهم إني أبغضتهم وأبغضوني فأرحهم مني وأرحني منهم[٥].

---

(١) «مصنف عبد الرزاق»، و«الطبقات» لابن سعد (٣/ ٨٣)، و«خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٣٥١) سند صحيح.

(٢) «تاريخ خليفة» ص (١٩٨) بدون سند.

(٣) «ولاة مصر» ص (٤٥، ٤٦).

(٤) «الاستيعاب» (٢/ ٥٢٥، ٥٢٦).

(٥) «التاريخ الصغير» للبخاري (١/ ١٢٥) بسند منقطع وله شواهد.

ثانيًا: استنهاض أمير المؤمنين علي همة جيشه ثم الهدنة مع معاوية رضي الله عنهما:

لم يستسلم أمير المؤمنين عليٌّ رضي الله عنه لهذه المصائب، وهذا التقاعس والتخاذل، فقد بذل جهده في استنهاض همة جيشه بكل ما أوتي من علم وحجة وفصاحة وبيان، فخطبه الحماسية المشهورة التي اشتهرت عنه، وتعتبر من عيون التراث لم يقلها من فراغ أو خيال، بل مُرُّ تجرعه وواقع أليم عاصره، فمن خطبه التي قالها لما أغير على أطرافه قال: أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصّة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة وجُنَّتُه[1] الوثيقة. فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذلّ وشمله البلاء، ودُيِّثَ بالصّغار والقَماءَة[2]، وضرب على قلبه بالأسداد[3]، وأديل[4] الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف[5] ومنع النّصَف[6]. ألا وإنّي قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهارًا وسرًّا وإعلانًا، وقلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غُزِيَ قوم في عقر دارهم[7] إلا ذلوا، فتواكلتم وتخاذلتم، حتى شُنّتْ عليكم الغارات، ومُلكت عليكم الأوطان، وهذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار[8]، وقد قتل حسّان بن حسّان البكري، وأزال خيلكم عن مسالحها[9]، ولقد بلغني أنّ الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة[10]، فينتزع حجْلَها وقُلْبها وقلائدَها ورعاثها[11]، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع[12]، والاسترحام، ثم

---

(١) الجُنّة بالضم: الوقاية.

(٢) دُيث: ذلّل، الصغار: الذل والصغر، والقماءة: الذل والصغار.

(٣) الأسداد: الحجب التي تحجب عنه الهدى والرشاد.

(٤) أديل الحقّ منه: تحوّل الأمر عنه إلى الحق فألّمت به الكوارث.

(٥) سيم الخسف: أصبح محلّ الإذلال والمهانة.

(٦) منع النصف: النصف: العدل أي حرم العدل.

(٧) عقر الدار: وسطها وأصلها، تواكلتم: وكل واحد منكم أمر الجهاد إلى الآخر.

(٨) الأنبار: بلدة شرقي الفرات.

(٩) مسالح: جمع مسلحة وهي الثغر.

(١٠) المعاهدة: الذمية وهي غير المسلمة المقيمة في بلاد المسلمين.

(١١) الحجل: الخلخال، والقلب: السوار، الرّعاث: جمع رعثة وهو القرط.

(١٢) الاسترجاع: ترديد الصوت بالبكاء.

انصرفوا وافرين[١]، ما نال رجل منهم كلمٌ ولا أريق له دم، فلو أن امرءًا مسلمًا مات من بعد هذا أسفًا ما كان به ملومًا بل كان عندي جديرًا.

فيا عجبًا والله يُميتُ القلب ويَجلبُ الهمّ من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم فقبحًا لكم وتَرَحًا[٢]حين صرتم غرضًا يُرْمى، يُغار عليكم ولا تُغيرون، وتغزون ولا تَغزون، ويعصى الله وترضون. فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحرّ قلتم: هذه حمّارة القيظ[٣]، أمهلنا يسبّخ عنّا الحرُّ، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء، قلتم: هذه صبّارة القُرّ[٤]، أمهلنا ينسلخ عنّا البرد، كل هذا فرارٌ من الحرّ والقرّ، فإذن كنتم من الحرّ والقر تفرّون فإذن أنتم والله من السيف، أفرُّ يا أشباه الرجال ولا رجال[٥]، حلوم الأطفال وعقول ربّات الحجال[٦] ، لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم، معرفة والله جرّت ندمًا، وأعقبت سدَمًا[٧]، قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحًا[٨]، وشحنتم صدري غيظًا، وجرّعتموني نُغَبَ التَّهام أنفاسًا[٩]، وأفسدتم عَلَيَّ رأيي بالعصيان والخذلان حتى لقد قالت قريش: إنّ ابن أبي طالب رجل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب.. لله أبوهم، وهل أحد منهم أشدُّ لها مراسًا منِّي[١٠]، وأقدم فيها مقامًا مني؟ لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أنا ذا قد ذرّفْتُ على الستين ولكن لا رأي لمن لا يطاع[١١].

---

(١) وافرين: تامين لم ينقص عددهم. الكلم: الجرح.

(٢) ترحًا: همًّا أو حزنًا أو فقرًا.

(٣) القيظ: الحر: حمارة القيظ: شدته، ويسبخ: يخفف.

(٤) صبارة القر: شدة البرد، القر: البرد.

(٥) يقصد أن صفات الرجولة انعدمت فيهم.

(٦) حلوم: عقول، ربات الحجال: كناية عن النساء.

(٧) سدمًا: الهم المشوب بالأسف والغيظ.

(٨) القيح: ما في القرحة من الصديد، شحنتم صدري: ملأتموه.

(٩) النغب: جمع نغبة (كجرعة): الجرعة، والتّهام: الهمّ.

(١٠) المراس: المعالجة والمزاولة والمعاناة.

(١١) «البيان والتبيان» للجاحظ ص (٢٣٨، ٢٣٩).

إن هذه الخطبة كتلة نارية يصبها أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قذائف ساخنة فوق رؤوس أولئك القوم، الذين حرموه من قطف ثمار جهاده وتحقيق النصر الذي كان يسعى له، وقد صاغها بأسلوب أدبي رائع، يهز بعباراتها المشاعر، ويحرّك بألفاظها مكامن النفوس، بعيدًا عن الغموض والإيهام، كما أنها خالية من السجع والصناعة اللفظية[١].

إن الخطب التي تثبت عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وأعني بها التي تتحدث عن خلافته، تعكس صورة تاريخية تتعدى الوصف الظاهري لتكشف عن شعور أمير المؤمنين رضي الله عنه تجاه ما يلاقيه من جيشه من تخاذل بعد معركة النهروان، ولكن معظم الخطب التي نسبت إليه رضي الله عنه لا تصح، فعدد من العلماء يقولون عن خطب علي رضي الله عنه في نهج البلاغة إنها من تأليف ووضع الشريف الرضي[٢]. فلابد من إعمال منهج نقدي دقيق عند التعامل معها باعتبارها مصدرًا تاريخيًّا.

ومن ناحية أخرى أخذ علي رضي الله عنه يذكر أصحابه بفضائله، ومناقبه ومنزلته الرفيعة في الإسلام، فيحدثنا عدد من شهود عيان، أن عليًّا رضي الله عنه ناشد الناس في الرحبة من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدير خم: «**ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟** قالوا: بلى، قال: «**فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه**»، فقام اثنا عشر رجلاً - وفي رواية - ستة عشر رجلاً فشهدوا بذلك[٣]، وهذا يذكرنا بعثمان رضي الله عنه عندما كان يستشهد بالصحابة على مناقبه وفضائله عندما حصره الغوغاء، وكأنه يقول: من هذا عمله وخدمته للإسلام أهكذا يكون جزاؤه؟ مع اختلاف المناسبات، وبالرغم من كل هذه المحاولات والجهود المضنية لم يستطع رضي الله عنه أن يحقق ما يريد؛ إذ لم يستطع أن يغزو الشام بسبب التفكك والتصدع الذي حدث في داخل جيشه وتفرق كلمتهم وظهور الأهواء، فاضطر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في سنة أربعين للهجرة أن يوافق

---

(١) «الأدب الإسلامي»، لنايف معروف ص (٥٩).

(٢) «ميزان الاعتدال» (٣/ ١٢٤)، وله نقد جيد في هذا الموضوع، و«خلافة علي بن أبي طالب» ص(٣٥٥).

(٣) «فضائل الصحابة» (٢/ ٧٠٥) إسناده صحيح.

لمعاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه على أن يكون العراق له، والشام لمعاوية ولا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزو[١]، قال الطبري في تاريخه: وفي هذه السنة ـ ٤٠ هـ ـ جرت بين علي وبين معاوية رضي الله عنهما المهادنة ـ بعد مكاتبات جرت بينهما يطول بذكرها الكتاب على وضع الحرب بينهما، ويكون لعلي العراق ولمعاوية الشام، فلا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزو[٢].

ثالثًا: دعاء أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه الله عز وجل أن يعجل له بالشهادة:

هادن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه معاوية، ويبدو أن هذه الهدنة لم تستمر، فمعاوية أرسل بسر بن أرطأة إلى الحجاز واليمن في العام الذي استشهد فيه علي رضي الله عنه[٣]، ولما لم يتمكن علي رضي الله عنه من تجهيز الجيش بما يصبو ويريد ورأى خذلانهم كره الحياة وتمنى الموت، وكان يتوجه إلى الله بالدعاء ويطلب منه عز وجل أن يعجل منيته، فمما روي عنه أنه خطب يومًا فقال: اللهم إني قد سئمتهم وسئموني، ومللتهم وملوني، فأرحني منهم وأرحهم مني، فما يمنع أشقاكم أن يخضبها بدم، ووضع يده على لحيته[٤]، وقد ألح عليٌّ رضي الله عنه في الدعاء في أيامه الأخيرة، فعن جندب قال: ازدحموا على علي رضي الله عنه، حتى وطئوا على رجله فقال: اللهم إني قد مللتهم وملوني وأبغضتهم وأبغضوني، فأرحني منهم وأرحهم مني[٥].

وفي رواية أخرى عن أبي صالح قال: شهدت عليًّا وضع المصحف على رأسه حتى سمعت تقعقع الورق، فقال: اللهم إني سألتهم ما فيه فمنعوني، اللهم إني قد مللتهم وملوني، وأبغضتهم وأبغضوني، وحملوني على غير أخلاقي، فأبدلهم بي شرًّا مني، وأبدلني بهم خيرًا منهم ومث قلوبهم ميثة الملح في الماء[٦].

---

(١) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٣٥٦). (٢) «تاريخ الطبري» (٦ / ٥٦).
(٣) «التاريخ الصغير» للبخاري (١/ ٤١)، و«خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٤٣١).
(٤) «مصنف عبد الرزاق» (١٠/ ١٥٤) بإسناد صحيح، و«الطبقات» (٣/ ٤) بإسناد صحيح.
(٥) «الآحاد والمثاني» لابن أبي عاصم (١/ ٣٧) بإسناد حسن، و«خلافة علي» ص (٤٣٢).
(٦) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٤٤).

وفي رواية فلم يلبث إلا ثلاثًا أو نحو ذلك، حتى قتل رحمه الله[١]، وقال الحسن ابن علي: قال لي علي رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ سنح لي الليلة في منامي، فقلت: يارسول الله ﷺ ماذا لقيت من أمتك من الأود واللدد[٢]؟، قال: «**ادع عليهم**» قلت: اللهم أبدلني بهم من هو خير منهم، وأبدلهم بي من هو شر مني لهم. قال الحسن رضي الله عنه: فخرج فضربه الرجل[٣].

رابعًا: علم أمير المؤمنين رضي الله عنه بأنه سيستشهد:

تفيد بعض أحاديث النبي ﷺ التي تعد من دلائل نبوته ﷺ إخباره بأن عليًّا سيكون من الشهداء؛ فقد جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان على حراء، هو ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير رضي الله عنهم فتحركت الصخرة فقال رسول الله ﷺ: «**اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد**»[٤].

وهناك أحاديث أخص من هذا الحديث، تخبر أن عليًّا سيستشهد بأرض العراق وتبين كيفية اغتياله أيضًا، وهذا كله يبين صدق نبوة محمد ﷺ، وبأنه لا ينطق عن الهوى وإنما يخبر بما أطلعه الله عز وجل عليه عن طريق الوحي، وقد أطلع النبي ﷺ عليًّا على ما سيحدث له، وقد آمن علي بذلك وأيقن، فكان يتحدث للناس بذلك، فمما حدَّث من ذلك في العراق، إذ يروي عنه أبو الأسود الدؤلي، يقول أبو الأسود: سمعت عليًّا يقول: أتاني عبد الله بن سلام وقد أدخلت رجلي في الغرز، فقال لي: أين تريد؟ فقلت: العراق، فقال: أما إنك إن جئتها ليصيبك بها ذباب السيف، فقال علي: وايم الله لقد سمعت رسول الله ﷺ قبله يقوله، قال أبو الأسود: فعجبت منه، وقلت: رجل محارب يحدث بمثل هذا عن نفسه[٥]، وحدث بهذا الحديث في ينبع قبل توليه

---

(١) «المحن» ص (٩٩) لأبي العرب، و«خلافة علي»، لعبد الحميد ص (٤٣٢).

(٢) الأود: العوج، اللدد: الخصومة.

(٣) «تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين» ص (٦٤٩).

(٤) «مسلم» (٤/ ١٨٨٠).

(٥) «تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين» للذهبي ص (٦٤٨).

الخلافة من عاده في مرضه وهو أبو فضالة الأنصاري البدري ﷺ؛ إذ قال علي ﷺ: إني لست ميتًا في مرضي هذا، أو من وجعي هذا، إنه عهد إلي النبي ﷺ أني لا أموت حتى تخضب هذه -يعني لحيته- من هذه، يعني هامته[١]، وحدث به الخوارج وحدث به أصحابه وقد جمع البيهقي هذه الأحاديث ونحوها في كتابه (دلائل النبوة)[٢]، وجمعها الحافظ ابن كثير في كتابه «البداية والنهاية»[٣]، وعن عبد الله بن داود قال: سمعت الأعمش، عن سلمة بن سهيل عن سالم بن أبي جعدة، عن عبد الله بن سبع قال: سمعت عليًا ﷺ على المنبر يقول: ما ننتظر إلا شقيًا، عهد إلي رسول الله ﷺ لتخضبن هذه من دم هذا، قالوا: أخبرنا بقاتلك حتى نبير عترته. قال: أنشد الله رجلاً قتل بي غير قاتلي[٤]، وقد تمثل ﷺ بأبيات شعر فقال:

اشْدُدْ حَيَازِيمَكَ لِلْمَوْتِ
فَإِنَّ المَوْتَ لاَقِيكَا
ولاَ تَجْزَعْ مِنَ القَتْلِ
إِذَا حَلَّ بِوَادِيكَا[٥]

وتذهب بعض الروايات إلى أبعد من هذا؛ إذ تفيد أن عليًا ﷺ يعرف هذا الشقي الذي سيقتله، فيروي عبيدة السلماني - بسند صحيح إليه - يقول: كان عليٌّ إذا رأى ابن ملجم قال:

أُرِيدُ حَيَاتَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي
عُذَيْرُكَ من خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادِي[٦]

(١) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٤٣٣) طرق الرواية صحيحة بمجموعها.
(٢) «دلائل النبوة» (٦/ ٤٣٨ - ٤٤١)، تحقيق: عبد المعطي قلعجي.
(٣) «البداية والنهاية» (٧/ ٣٢٣ - ٣٢٥).
(٤) «كتاب الشريعة» للآجري (٤/ ٢١٠٥) تحقيق: الدميجي، إسناده حسن.
(٥) «تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين» للذهبي ص (٦٤٨).
(٦) «طبقات ابن سعد» (٣/ ٣٣، ٣٤) إسناد صحيح.

وفي رواية أخرى: قال علي رضي الله عنه عن عبد الرحمن بن ملجم: أما إن هذا قاتلي قيل: فما يمنعك منه؟ قال: إنه لم يقتلني بعد[1]، وقد طلب منه الناس أن يستخلف لما أخبرهم بأنه مقتول فاعتذر عن ذلك، فعن عبد الله بن سبع، قال: سمعت عليًّا يقول: لتُخضبنَّ هذه من هذا، فما ينتظر بي الأشقى؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، فأخبرنا به نُبير عترته[2]، قال: إذن تالله تقتلون بي غير قاتلي. قالوا: فاستخلف علينا. قال: لا ولكن أتركُكم إلى ما ترككم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالوا: فما تقول لربك إذا أتيته؟ - وقال وكيع مرة: إذا لقيته؟ - قال: أقول: اللهمّ تركتني فيهم ما بدا لك، ثم قبضتني إليك وأنت فيهم، فإن شئت أصلحتهم، وإن شئت أفسدتهم[3].

وعن علي رضي الله عنه قال: سمعت الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم يقول: «**إنك ستُضرب ضربة ههنا - وأشار إلى صدغيه - فيسيل دمها حتى يخضب لحيتك، ويكون صاحبها أشقاها كما كان عاقر الناقة أشقى ثمود**»[4].

خامسًا: استشهاد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وما فيه من دروس وعبر:

لقد تركت معركة النهروان في نفوس الخوارج جرحًا غائرًا لم تزده الأيام والليالي إلا إيلامًا وحسرة، فاتفق نفر منهم على أن يفتكوا بعلي رضي الله عنه، ويثأروا لمن قتل من إخوانهم في النهروان وأجمع أهل السير والمؤرخون على ذكر رواية مشهورة[5] لا تسلم من انتقادات؛ لاحتوائها على عناصر متضاربة وأخرى مختلفة، ولا نستبعد بدورنا أن تكون هذه الحادثة المهمة قد تعرضت -مثل غيرها- إلى إضافات وزيادات في الفترات المتأخرة، ويبدو من خلال المصادر

---

(١) «الاستيعاب» (٣/ ١٢٧).

(٢) نبير عترته: نهلك ذريته.

(٣) «مسند أحمد» (٢/ ٣٢٥) الموسوعة الحديثية حسن لغيره.

(٤) «خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب» ص (١٦٣ - ١٦٤)، حكم المحقق أحمد ميرين البلوشي -رحمه الله- على هذه الرواية بالصحة.

(٥) «الطبقات» لابن سعد (٣/ ٣٥)، و«تاريخ الطبري» (٦/ ٥٨ إلى ٦٦) بسند منقطع، و«مروج الذهب» (٢/ ٤٢٣)، و«الطبراني الكبير» (١/ ٥٥ - ٥٨)، و«مجمع الزوائد» (٦/ ٢٤٩)، و«تاريخ الإسلام»، و«الخلفاء الراشدون» للذهبي ص (٦٤٩)، و«وفيات الأعيان» (٧/ ٢١٨)، و«البداية والنهاية» (٧/ ٣٢٥).

والدراسات أن هنــاك إجماعًــا على أنّ عمليــة قتل علي تمت على أيدي عــناصر خارجيّة، انتــقامًا لضحايا معركــة النهروان، أما بقية المعلومات الخـاصة بالعملية مــثل قــصــة الحب بين ابن ملجم وقطــام، والدور المزعــوم للأشــعث الكندي ـ وسيأتي بــيان براءته بإذن الله لاحقًا ـ وغــيرها فيصعــب قبولها والتصــديق بها، وإليك تفصيل مقتله رضي الله عنه :

١ - اجتماع المتآمرين:

كان من حديث ابن مُلجَم وأصحابه أن ابن ملجم والــبُرَك بن عبد الله وعمرو بن بكر التميمي اجتمعــوا، فتذاكروا أمر الناس، وعابوا على ولاتهم، ثم ذكروا أهل النهر، فــترحموا عليــهم، وقالوا: ما نصنع بالبقــاء بعدهم شيئًــا، لإخواننا الذين كانوا دعاة الناس لعبادة ربهم، والذين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم، فلو شرينا أنفسنا فــأتينا أئمة الضلالة فالتمسنا قــتلهم فأرحنا منهم البلاد، وثأرنا بهم إخواننا، فــقال ابن ملجم: أنا أكفيــكم علي بن أبي طالب ـ وكان من أهل مصر ـ وقــال البُرَك بن عبد الله: أنا أكــفيكم معاوية، وقال عــمرو بن بكر : أنا أكفيكم عمرو بن العاص، فتعاهدوا وتواثقوا بالله لا ينكص رجل منا عن صاحبه الذي توجه إليه حــتى يقتله أو يموت دونه، فأخذوا أســيافهم، فســموها واتعدوا لسبع عشرة تخلو من رمضان، أن يثبت كل واحد منهم على صاحبه الذي توجه إليه، وأقبل كل رجل منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه الذي يطلب[١].

٢ - خروج ابن ملجم ولقاؤه بقطام ابنة الشجنة:

فأمــا ابن ملجم المرادي فكان عــداده في كِنْدة، فخرج فــلقي أصحابه بــالكوفة وكاتمهم أمره كــراهة أن يظهروا شيئًا من أمره؛ فــإنه رأى ذات يوم أصحابًا من تَيْم الرّباب ـ وكان علي قتل منهم يوم الــنهر عشرة ـ فذكروا قــتلاهم، ولقي من يومه ذلك امرأة من تيم الرباب يقال لها: قطام ابنة الشِّــجنة وقد قُتِلَ أبوها وأخوها يوم

---

(١) «تاريخ الطبري» (٦/ ٥٩).

النهر، وكانت فائقة الجمال ـ فلما رآها التبست بعقله، ونسي حاجته التي جاء لها، ثم خطبها، فقالت: لا أتزوجك حتى تشفي لي، قال وما يشفيك؟ قالت: ثلاثة آلاف وعبد وقينة وقتل علي بن أبي طالب، قال: هو مهر لك، فأما قتل علي فلا أراك ذكرته لي وأنت تريديني قالت: بلى التمس غرته؛ فإن أصبت شفيت نفسك ونفسي، ويهنئك العيش معي، وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وزينة أهلها. قال: فوالله ما جاء بي إلى هذا المصر إلا قتل علي، فلك ما سألت، قالت: إني أطلب لك من يسند ظهرك، ويساعدك على أمرك، فبعثت إلى رجل من قومها من تيم الرباب يقال له: «وردان» فكلمته فأجابها، وأتى ابنُ ملجم رجلاً من أشجع يقال له: شبيب بن بجرة، فقال له: هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ قال: وما ذاك؟ قال: قتل علي بن أبي طالب، قال: ثكلتك أمك، لقد جئت شيئًا إدًّا، كيف تقدر على عليّ، قال: أكمن له في المسجد، فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه، فإن نجونا شفينا أنفسنا وأدركنا ثأرنا، وإن قتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها، قال: ويحك لو كان غير عليٍّ لكان أهون عليّ، قد عرفت بلاءه في الإسلام، وسابقته مع النبي ﷺ وما أجدني أنشرح لقتله. قال: أما تعلم أنه قتل أهل النهر العباد الصالحين؟ قال: بلى، قال: فنقتله بمن قتل من إخواننا، فأجابه فجاؤوا قطام وهي في المسجد الأعظم معتكفة، فقالوا لها: قد أجمع رأينا على قتل عليّ، قالت: فإذا أردتم فأتوني، ثم عاد إليها ابن ملجم في ليلة الجمعة التي قتل في صبيحتها عليّ سنة ٤٠هـ فقال: هذه الليلة التي وعدت فيها صاحبي أن يقتل كل منا صاحبه، فدعت لهم بالحرير فعصبتهم به، وأخذوا أسيافهم وجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها عليّ، فلما خرج ضربه شبيب بالسيف، فوقع سيفه بعضادة الباب أو الطاق، وضربه ابن ملجم في قرنه بالسيف وهرب وردان حتى دخل منزله، فدخل عليه رجل من بني أبيه وهو ينزع الحرير عن صدره، فقال: ما هذا الحرير والسيف؟ فأخبره بما كان وانصرف، فجاء بسيفه فعلا به وردان حتى قتله، وخرج شبيب نحو أبواب كندة في الغلس، وصاح الناس، فلحقه رجل من حضرموت يقال له: عويمر، وفي يد شبيب السيف، فأخذه، وجثم عليه

الحضرمي، فلما رأى الناس قد أقبلوا في طلبه، وسيف شبيب في يده، خشي على نفسه، فتركه، ونجا شبيب في غمار الناس، فشدوا على ابن ملجم، فأخذوه إلا أن رجلاً من هَمْدان يكنى أبا أدماء أخذ سيفه فضرب به رجله، فصرعه، وتأخر علي، ورفع في ظهره جعدة ابن هبيرة بن أبي وهب، فصلى بالناس الغداة، قال علي: عليَّ بالرجل، فأدخل عليه، ثم قال: أي عدو الله، ألم أحسن إليك؟ قال: بلى، قال: ما حملك على هذا؟ قال: شحذته أربعين صباحًا، وسألت الله أن يقتل به شر خلقه، فقال علي رضي الله عنه: لا أراك إلا مقتولاً به، ولا أراك إلا من شر خلقه[١].

٣ - محمد بن الحنفية يروي قصة مقتل أمير المؤمنين علي:

قال ابن الحنفية: كنت والله وإني لأصلي تلك الليلة التي ضرب فيها عليّ في المسجد الأعظم في رجال كثيرين من أهل المصر، يصلون قريبًا من السدَّة، ما هم إلا قيام وركوع وسجود، وما يسأمون من أول الليل إلى آخره؛ إذ خرج عليّ لصلاة الغداة، فجعل ينادي: أيها الناس، الصلاة الصلاة، فما أدري أخرج من السدة، فتكلم بهذه الكلمات أم لا، فنظرت إلى بريق، وسمعت: الحكم لله يا عليّ لا لك ولا لأصحابك، فرأيت سيفًا، ثم رأيت ثانيًا، ثم سمعت عليًّا يقول: لا يفوتنكم الرجل، وشد الناس عليه من كل جانب. قال: فلم أبرح حتى أخذ ابن ملجم وأدخل على عليّ، فدخلت فيمن دخل من الناس، فسمعت عليًّا يقول: النفس بالنفس، أنا إن مت فاقتلوه كما قتلني، وإن بقيت رأيت فيه رأيي[٢].

وذكر أن الناس دخلوا على الحسن فزعين لما حدث من أمر علي، فبينما هم عنده وابن ملجم مكتوف بين يديه؛ إذ نادته أم كلثوم بنت علي وهي تبكي: أي عدو الله، لا بأس على أبي، والله مخزيك، قال: فعلى من تبكين؟ والله لقد اشتريته بألف، وسمَمْته بألف، ولو كانت هذه الضربة على جميع أهل المصر ما بقي منهم أحد[٣].

(١-٣) «تاريخ الطبري» (٦/ ٦٢).

٤ - وصية الطبيب لعلي وميل أمير المؤمنين للشورى:

عن عبد الله بن مالك، قال: جُمع الأطباء لعليّ ﵁ يوم جُرِح، وكان أبصرهم بالطب أُثير بن عمرو السَّكُوني، وكان صاحب كسرى يتطبَّب، فأخذ أثير رئة شاة حارة، فتتبَّع عِرْقًا منها، فاستخرجه فأدخله في جراحة علي، ثم نفخ العرق فاستخرجه فإذا عليه بياض الدماغ، وإذا الضربة قد وصلت إلى أمّ رأسه، فقال: يا أمير المؤمنين، اعهد عهدك فإنك ميت[١].

وذكر أن جندب بن عبد الله دخل على علي فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين، إن فقدناك ـ ولا نفقدك ـ فنبايع الحسن؟ قال: ما آمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر[٢].

٥ - وصية أمير المؤمنين علي لأولاده الحسن والحسين ﵄:

دعا أمير المؤمنين علي حسنًا وحسينًا، فقال: أوصيكما بتقوى الله، وألا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا على شيء زُوِي عنكما، وقولا الحق، وارحما اليتيم، وأغيثا الملهوف، واصنعا للآخرة، وكونا للظالم خصمًا وللمظلوم ناصرًا، واعملا بما في الكتاب ولا تأخذكما في الله لومة لائم. ثم نظر إلى محمد بن الحنفية، فقال: هل حفظت ما أوصيت به أخويك[٣]؟ قال نعم، قال: فإني أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك؛ لعظيم حقهما عليك، فاتبع أمرهما، ولا تقطع أمرًا دونهما. ثم قال: أوصيكما به، فإنه ابن أبيكما، وقد علمتما أن أباكما كان يحبه، وقال للحسن: أوصيك أي بُنيَّ بتقوى الله، وإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة عند محلها، وحسن الوضوء؛ فإنه لا صلاة إلا بطهور، ولا تقبل صلاة من مانع زكاة، وأوصيك بغَفْر الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، والحلم عند الجهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمر، والتعهد للقرآن، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجتناب الفواحش[٤].

---

(١) «الاستيعاب» (٣/ ١١٢٨).

(٢-٤) «تاريخ الطبري» (٦/ ٦٣)

فلما حضرته الوفاة أوصى، فكانت وصيته:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. ثم إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، ثم أوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهلي بتقوى الله ربكم، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعًا، ولا تفرقوا؛ فإني سمعت أبا القاسم يقول: «**إن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام**»، وانظروا إلى ذوي أرحامكم فصِلوهم يهوِّن الله عليكم الحساب، الله الله في الأيتام، فلا تُعنوا أفواههم، ولا يضيعُنَّ بحضرتكم، والله الله في جيرانكم فإنهم وصية نبيكم ﷺ، ما زال يوصي به حتى ظننا أنه سيورثه، والله الله في القرآن، فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم، والله الله في الصلاة؛ فإنها عمود دينكم، والله الله في بيت ربكم فلا تخلوه ما بقيتم، فإنه إن ترك لم يناظر، والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، والله الله في الزكاة؛ فإنها تطفئ غضب الرب، والله الله في ذمة نبيكم، فلا يظلمن بين أظهركم، والله الله في أصحاب نبيكم؛ فإن رسول الله ﷺ أوصى بهم، والله الله في الفقراء والمساكين، فأشركوهم في معايشكم، والله الله فيما ملكت أيمانكم، الصلاة الصلاة لا تخافُنَّ في الله لومة لائم، يكفيكم من أرادكم وبغى عليكم، وقولوا للناس حسنًا كما أمركم الله، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولّى الأمر أشراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم، وعليكم بالتواصل والتباذل، وإياكم والتدابر والتقاطع والتفرق، وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله إن الله شديد العقاب، حفظكم الله من أهل بيت، وحفظ فيكم نبيكم. أستودعكم الله، وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله ثم لم ينطق إلا (بلا إله إلا الله) حتى قبض رضي الله عنه في شهر رمضان سنة أربعين[١]، وجاء في

(١) «تاريخ الطبري» (٦/ ٦٤).

رواية أنه قتل في صبيحة إحدى وعشرين من رمضان[١]، وتحمل هذه الرواية على اليوم الذي فارق فيه الدنيا؛ لأنه بقي ثلاثة أيام بعد أن ضربه الشقي[٢].

٦ - نهي أمير المؤمنين عن المثلة بقاتله:

فقد قال رضي الله عنه: احبسوا الرجل فإن مِتُّ فاقتلوه، وإن أعش فالجروح قصاص[٣].

وفي رواية أخرى قال: أطعموه واسقوه وأحسنوا إساره؛ فإن صححت فأنا ولي دمي أعفو إن شئت وإن شئت استقدت[٤]، وفي رواية أخرى زيادة، وهي قوله: إن مت فاقتلوه قتلتي ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين[٥]، وقد كان علي ينهى الحسن عن المُثْلة، وقال: يا بني عبد المطلب، لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين، تقولون: قتل أمير المؤمنين، قتل أمير المؤمنين، ألا لا يُقتَلنَّ، انظر يا حسن، إن مِتُّ من ضربته هذه فاضربه ضربة بضربة، ولا تمثل بالرجل؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إياكم والمثلة ولو أنها بالكلب العقور**»[٦].

وقد جاء في شأن وصية أمير المؤمنين بأمر قاتله روايات كثيرة تتفاوت، منها الصحيح ومنها الضعيف، فالرواية التي فيها أمر علي رضي الله عنه بإحراق الشقي بعد قتله إسنادها ضعيف، والروايات الأخرى تسير في اتجاه واحد فكلها فيها أمر علي رضي الله عنه بقتل الرجل إن مات من ضربته ونهاهم عما سوى ذلك، فهذه الروايات يعضد بعضها بعضًا، وتنهض للاحتجاج بها، هذا من جهة، كما أن أمير المؤمنين علي لم يجعله مرتدًّا، فيأمر بقتله، بل نهاهم عن ذلك لما همّ بعض المسلمين بقتله وقال: لا تقتلوا الرجل، فإن برئت فالجروح قصاص، وإن مت فاقتلوه[٧].

(١) «التاريخ الكبير» للبخاري (١/ ٩٩) بسند صحيح.
(٢) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٤٣٩).
(٣) «فضائل الصحابة» (٢/ ٥٦٠) بسند حسن.
(٤) «المحن» لأبي العرب ص (٩٤) للذهبي، و«خلافة علي بن أبي طالب» ص (٤٣٩).
(٥) «الطبقات» (٣/ ٣٥)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي.
(٦) «تاريخ الطبري» (٦/ ٦٤).
(٧) «منهاج السنة» (٥/ ٢٤٥) (٧/ ٤٠٥، ٤٠٦)، و«منهج ابن تيمية في مسألة التكفير» ص (٣٠٩).

وتذكر الرواية التاريخية المشهورة: فلما قبض علي ﷺ بعث الحسن إلى ابن ملجم، فقال للحسن: هل لك في خصلة؟ إني والله ما أعطيت الله عهدًا إلا وفيت به، إني كنت قد أعطيت الله عهدًا عند الحطيم أن أقتل عليًّا ومعاوية أو أموت دونهما، فإن شئت خليت بيني وبينه، ولك الله علي إن لم أقتله ـ أو قتلته ثم بقيت- أن آتيك حتى أضع يدي في يدك. فقال له الحسن: أما والله حتى تعاين النار ثم قدمه فقتله[1]، ثم إن الناس أخذوه فأحرقوه بالنار، ولكن هذه الرواية منقطعة[2].

والصحيح من الروايات والذي يليق بالحسن والحسين وأبناء أهل البيت، أنهم التزموا بوصية أمير المؤمنين علي في معاملة عبد الرحمن بن مُلْجم ولا تثبت الرواية التي تقول: فلما دفن أحضروا ابن ملجم، فاجتمع الناس، وجاؤوا بالنفط والبواري، فقال محمد ابن الحنفية، والحسين، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب: دعُونا نشتفّ منه، فقطع عبد الله يديه ورجليه، فلم يجزع ولم يتكلّم، فكحَلَ عينيه، فلم يجزع، وجعل يقول: إنك لتكحل عيني عمّك، وجعل يقرأ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] حتى ختمها، وإن عينيه لتسيلان، ثم أمر به فعولج عن لسانه ليُقْطع، فجزع، فقيل له في ذلك. فقال: ما ذاك بجزع ولكنّي أكره أن أبقى في الدّنيا فُواقًا لا أذكر الله، فقطعوا لسانه، ثمّ أحرقوه، وكان أسمر، حسن الوجه، أفلج، شعره من شحمة أذنيه، وفي جبهته أثر السُّجود[3].

وقال الذهبي عن عبد الرحمن بن ملجم: قاتل علي ﷺ، خارجي مُفْتَرٍ، .. شهد فتح مصر، واختط بها مع الأشراف، وكان ممّن قرأ القرآن والفقه، وهو أحد بني تُدول وكان فارسهم بمصر، قرأ القرآن على معاذ بن جبل، وكان من العبّاد، ويقال: هو الذي أرسل صَبِيغًا التميمي إلى عمر ﷺ فسأله عمّا سأله من مستعجم القرآن.. إلى أن قال الذهبي: ثم أدركه الكتاب، وفعل ما فعل،

(١) «تاريخ الطبري» (٦/ ٦٤).
(٢) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٤٤٠).
(٣) «طبقات ابن سعد» (٣/ ٣٩)، و«الأخبار الطوال» ص (٢١٥).

وهو عند الخوارج من أفضل الأمّة، وفي ابن ملجم يقول عمران بن حطّان الخارجي:

يَا ضَرْبَةً من تَقيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا
إلا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي العَرْشِ رِضْوَانًا
إنّي لأَذْكُرُهُ حِينًا فَأَحْسَبُهُ
أَوْفَى البَرِيَّةِ عِنْدَ اللهِ مِيزَانًا

وابن ملجم عند الروافض أشقى الخلق في الآخرة، وهو عندنا أهل السنة ممن نرجو له النّار، ونجوِّز أن الله يتجاوز عنه، لا كما يقول الخوارج والروافض فيه، وحكمه حكم قاتل عثمان وقاتل الزبير، وقاتل طلحة، وقاتل سعيد بن جبير، وقاتل عمّار وقاتل خارجة، وقاتل الحسين، فكل هؤلاء نبرأ منهم ونبغضهم في الله، ونكل أمورهم إلى الله عز وجل[1].

وأما البُرَك بن عبد الله فإنه في تلك الليلة التي ضُرب فيها علي قعد لمعاوية، فلما خرج ليصلي الغداة شد عليه بسيفه، فوقع السيف في إليته، فأخذ، فقال: إن عندي خبرًا أسرك به، فلإن أخبرتك فنافعي ذلك عندك؟ قال: نعم، قال: إن أخًا لي قتل عليًّا في مثل هذه الليلة، قال: فلعله لم يقدر على ذلك، قال: بلى؛ إن عليًّا يخرج ليس معه من يحرسه، فأمر به معاوية فقتل، وبعث معاوية إلى الساعدي ـ وكان طبيبًا ـ فلما نظر إليه قال: اختر إحدى خصلتين: إما أن أحمي حديدة، فأضعها موضع السيف، وإما أن أسقيك شربة تقطع منك الولد، وتبرأ منها؛ فإن ضربتك مسمومة، فقال معاوية: أما النار فلا صبر لي عليها، وأما انقطاع الولد فإن في يزيد وعبد الله ما تقر به عيني، فسقاه تلك الشربة فبرأ، ولم يولد له بعدها، وأمر معاوية عند ذلك بالمقصورات وحرس الليل وقيام الشرطة على رأسه إذا سجد، وأما عمرو بن بكر فجلس لعمرو ابن العاص تلك الليلة، فلم يخرج، وكان اشتكى بطنه، فأمر خارجة بن حذافة،

(١) «تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين» ص (٦٥٤).

وكان صاحب شرطته، وكان من بني عامر بن لؤي، فخرج ليصلي، فشد عليه وهو يرى أنه عمرو، فضربه فقتله، فأخذه الناس، فانطلقوا به إلى عمرو يسلمون عليه بالإمرة، فقال: من هذا؟ قالوا: عمرو. قال: فمن قتلت؟ قالوا: خارجة بن حذافة، قال: أما والله يا فاسق ما ظننته غيرك، فقال عمرو: أردتني وأراد الله خارجة، فقدمه عمرو فقتله[١].

٧ - مدة خلافة أمير المؤمنين علي، وموضع قبره وسنّه يوم قتل:

كانت مدة خلافته على قول خليفة بن خياط، أربع سنين وتسعة أشهر وستة أيام، ويقال: ثلاثة أيام، ويقال: أربعة عشر يومًا[٢]، والذي يظهر أنها أربع سنين وتسعة أشهر وثلاثة أيام؛ وذلك لأنه بويع بالخلافة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة عام خمس وثلاثين، وكانت وفاته شهيدًا في اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان عام أربعين للهجرة[٣].

وقد تولى غسل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضوان الله عليهم، وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص[٤] وصلى عليه الحسن بن علي رضي الله عنهما، فكبر عليه أربع تكبيرات[٥]، وفي رواية دون إسناد: كبر عليه تسع تكبيرات[٦].

وأما موضع قبره، فقد اختلف فيه، وذكر ابن الجوزي عددًا من الروايات في ذلك ثم قال: والله أعلم أي الأقوال أصح[٧]، ومن الروايات التي جاءت في هذا الشأن ما يلي:

* أن الحسن بن علي رضي الله عنهما دفنه عند مسجد الجماعة في الرحبة مما يلي أبواب كندة قبل أن ينصرف الناس من صلاة الفجر[٨].

---

(١) «تاريخ الطبري» (٦/ ٦٥).

(٢) «التاريخ» ص (١٩٩).

(٣) «التاريخ الكبير» للبخاري (١/ ٩٩) بسند صحيح.

(٤) «المنتظم» (٥/ ١٧٥)، و«الطبقات» (٣/ ٣٧).

(٥) «الطبقات» (٣/ ٣٣٧، ٣٣٨).

(٦) «المنتظم» (٥/ ١٧٥).

(٧) «المنتظم» (٥/ ١٧٨).

(٨) «الطبقات» (٣/ ٣٨)، و«خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٤٤١).

* ورواية مثلهـا، أنه دفن بالكوفة عند قصـر الإمارة عند المسجد الجـامع ليلاً وعمي موضع قبره[١].

* رواية تذكر أن ابنه الحسن ﷺ نقله إلى المدينة[٢].

* رواية تذكـر أن المشهد الـذي بالنجف هو قبـر علي ﷺ، وأنكرها بعض أهل العلم مثل شريك بن عبد الله النخعي قاضـي الكوفـة (ت ١٧٨هـ) ومحمد ابن سليمان الحضرمي (ت٢٩٧هـ)[٣] وفي الحقيقة إن ابتداع ما يسمى مشهد علي ﷺ، بالنجف كان أيام بني بويه في عـهد الدولة العباسـية وكانوا من الشـيعة الروافض، وقد صنع الشـيعة ذلك على عاداتهم في القرن الـرابع، وأهل المعرفة متـفقون أنه ليس بقـبر علي ﷺ بل قيل: هو قـبر المغيـرة بن شعبـة، قال ابن تيميـة: وأما المشهد الذي بالنجف، فأهل المعـرفة متفقـون أنه ليس بقبر عليٍّ بل قيل: إنه قبـر المغيرة بن شعـبة، ولـم يكن أحد يذكر أن هذا قـبر علي ﷺ ولم يقصده أحـد أكثر من ثلاثمائة سنة، مع كـثرة المسلمين من أهل البيت والشـيعة وغيرهم، وحكمهم بالكوفة إنما اتخذ ذلك مشهداً في ملك بني بويه - الأعاجم - بعد موت علي بأكثر من ثلاثمائة سنة[٤]، وقال: وأما مشهد علي فعامة العلماء على أنه ليس قبره، بل قد قيل: إنه قبر المغيرة بن شعبة؛ وذلك أنه إنما أُظهر بعد نحو ثلاثمائة سنة من موت علي ﷺ في إمارة بني بويه[٥].

واختلف في سنّه يوم قتل، فقال بعـضهم: قتل وهو ابن تسع وخمسين سنة، وقيل: وهو ابن خمس وسـتين سنة، وقيل: وهو ابن ثلاث وستين سنة، وذلك أصح ما قيل فيه[٦].

٨ - خطبة الحسن بن علي ﷺ بعد مقتل أبيه:

عن عـمرو بن حُبـنشي، قال: خطبنا الحـسن بن علي بعد قـتل علي ﷺ،

---

(١) «المنتظم» (٥/ ١٧٧)، و«تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء» ص (٦٥١).

(٢) «تاريخ بغداد» (١/ ١٣٧).

(٣) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٤٤١).

(٤) «الفتاوى» (٤/ ٥٠٢)، و«دراسات في الأهواء والفرق والبدع» ص (٢٨٠).

(٥) «الفتاوى» (٢٧/ ٤٤٦).

(٦) «تاريخ الطبري» (٦/ ٦٧).

فقال: لقد فارقكم رجل أمس ما سبقه الأولون بعلم ولا أدركه الآخرون، إن كان رسول الله ﷺ ليبعثه ويعطيه الراية فلا ينصرف[1] حتى يُفتح له، ما ترك من صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم من عطائه كان يرصدها لخادم أهله[2].

٩ - سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يثني على علي رضي الله عنه:

عن ربيعة الجُرشي: أنه ذكر علي عند رجل وعنده سعد بن أبي وقاص فقال له سعد: أتذكر عليًّا، إن له مناقب أربعًا لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليّ من كذا وكذا، وذكر حُمُرَ النعم وقوله ﷺ: «**لأعطين الراية**»، وقوله: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى**»، وقوله: «**من كنت مولاه فعلي مولاه**»[3]. ونسي سفيان واحدة.

١٠ - عبد الله بن عمر يثني على علي بن أبي طالب رضي الله عنهما:

عن سعد بن عبيدة قال: جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن عثمان رضي الله عنه، فذكر من محاسن عمله، قال: لعلَّ ذلك يسوؤك؟ قال: نعم، قال: فأرغم الله بأنفك، ثم سأله عن عليٍّ فذكر محاسن عمله قال: هو ذاك بيته أوسط بيوت النّبي ﷺ ثم قال: لعلّ ذاك يسوؤك؟ قال: أجل، قال: فأرغم الله بأنفك انطلق، فاجهد على جَهدك[4].

١١ - استقبال معاوية خبر مقتل علي رضي الله عنهما:

ولما جاء خبر قتل علي إلى معاوية رضي الله عنهما جعل يبكي، فقالت له امرأته: أتبكيه وقد قاتلته؟ فقال: ويحك إنك لا تدرين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم[5]، وكان معاوية يكتب فيما ينزل به يسأل له علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك، فلما بلغه قتله قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب، فقال له أخوه عتبة: لا يسمع هذا منك أهل الشام، فقال له: دعني عنك[6]، وقد طلب

(١) فلا ينصرف: فلا يرجع.
(٢) «فضائل الصحابة» (٢/ ٧٣٧) إسناده صحيح.
(٣) «فضائل الصحابة» (٢/ ٧٩٨) إسناده حسن.
(٤) «الصحيح المسند من فضائل الصحابة» للعدوي ص (١٤٠).
(٥) «البداية والنهاية» (٨/ ١٣٣).
(٦) «الاستيعاب» (٣/ ١١٠٨).

معاوية رضي الله عنه في خلافته من ضرار الصُّدائي أن يصف له عليًّا رضي الله عنه، فقال: أعفني يا أمير المؤمنين قال: لتصفنَّه، قال: أما إذْ لابد من وصفه فكان والله بعيد المدى، شديد القُوى، يقول فصلاً[١]، ويحكم عدلاً، يتفجّر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، ويستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته وكان غزير العبرة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن، وكان فينا كأحَدِنا، يجيبنا إذا سألناه وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن والله ـ مع تقريبه إيانا وقربه منا ـ لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظِّم أهل الدين ويُقرِّب المساكين، لا يطمع القويُّ في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد أنه لقد رأيته في بعض مواقفه- وقد أرخى الليل سُدُولَه[٢]، وغارت نجومه- قابضًا على لحيته، يتململ تململ السقيم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غُرِّي غيري، إليّ تعرّضت أم إليَّ تشوَّفتِ! هيهات هيهات، قد باينتك ثلاثًا لا رجعة فيها، فعمرك قصير، وخطرك كثير، آه من قلة الزاد، وبُعد السفر، ووحشة الطريق. فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها وهو في حجرها[٣]، وعن عمر بن عبد العزيز قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وأبا بكر وعمر جالسان عنده، فسلمت عليه وجلست، فبينما أنا جالس إذ أتي بعلي ومعاوية فأدخلا بيتًا وأجيف[٤] الباب وأنا أنظر، فما كان بأسرع من أن خرج علي وهو يقول: قضي لي ورب الكعبة، ثم ما كان بأسرع من أن خرج معاوية وهو يقول: غفر لي ورب الكعبة[٥]. وروى ابن عساكر عن أبي زرعة الرازي أنه قال له رجل: إني أبغض معاوية فقال له: ولم؟ قال: لأنه قاتل عليًّا، فقال له أبو زرعة: ويحك إن رب معاوية رحيم، وخصم معاوية خصم كريم، فلا داعي لدخولك أنت بينهما رضي الله عنهما[٦].

---

(١) «الاستيعاب» (٣/ ١١٠٧).
(٢) سدوله: سدلته.
(٣) «الاستيعاب» (٣/ ١١٠٨).
(٤) أجيف الباب: رُدَّ وأغلق.
(٥) «البداية والنهاية» (٨/ ١٣٣).
(٦) المصدر نفسه (٨/ ١٣٣).

١٢ - ما قاله الحسن البصري، رحمه الله:

سئل الحسن البصري -رحمه الله- عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: كان علي والله سهمًا صائبًا من مرامي الله على عدوّه، وربّاني هذه الأمة، وذا فضلها، وذا سابقتها، وذا قرابتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يكن بالنّؤومة[1] عن أمر الله، ولا بالملومة في دين الله، ولا بالسروقة لمال الله، أعْطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مُونقة؛ ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه[2].

١٣ - ما قاله أحمد بن حنبل في خلافة علي رضي الله عنه:

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل - رحمه الله-: كنت بين يدي أبي جالسًا ذات يوم، فجاءت طائفة من الكَرْخيين فذكروا خلافة أبي بكر وخلافة عمر بن الخطاب وخلافة عثمان رضي الله عنهم فأكثروا، وذكروا خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وزادوا فأطالوا، فرفع أبي رأسه إليهم، فقال: يا هؤلاء، قد أكثرتم القَول في علي والخلافة، والخلافة وعلي[3]، أتحسبون أن الخلافة تزيّن عليًّا؟ بل زيّنها علي[4].

١٤ - براءة الأشعث بن قيس من دم علي رضي الله عنه:

ذهبت بعض الروايات إلى اتهام الأشعث بن قيس، قال اليعقوبي: إن عبدالرحمن بن ملجم نزل على الأشعث بن قيس، فأقام عنده شهرًا يستحدّ سيفه[5]، وذكر ابن سعد في الطبقات، قال: وبات عبد الرحمن بن ملجم تلك الليلة، التي عزم فيها أن يقتل عليًّا صبيحتها يناجي الأشعث بن قيس في مسجده حتى كاد أن يطلع الفجر، فقال له الأشعث: فَضَحَكَ الصبح، فقام عبد الرحمن ابن ملجم وشبيب بن بجرة فأخذا أسيافهما ثم جاءا حتى جلسا مقابل السدة التي يخرج منها علي[6]، وهذه روايات ضعيفة[7].

---

(١) النؤومة: الخامل الذكر الذي لا يؤبه له.

(٢) «الاستيعاب» (٣/ ١١١٠).

(٣، ٤) «تاريخ مدينة السلام» (١/ ٤٦٢).

(٥) «تاريخ اليعقوبي» (٢/ ٢١٢).

(٦) «الطبقات» (٣/ ٣٦).

(٧) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٣٥٣).

إن اتهام الأشعث ليس عليه دليل؛ وذلك لأن الأشعث بن قيس عند استعراض دوره في خلافة علي رضي الله عنه نجده مخلصًا ووفيًّا، فهو أول من حارب أهل الشام في أثناء القتال على الماء، وأظهر العداوة للخوارج منذ نشأتهم فهو الذي أبلغ عليًّا رضي الله عنه أن الخوارج يقولون: إن عليًّا تاب من خطيئته ورجع عن التحكيم وقاتلهم في النهروان، وقد حرص كل الحرص على أن يوطد علاقته بعلي وآل بيته، فزوج ابنته من الحسن بن علي رضي الله عنه، وعندما أراد الحسن أن يبني بها قامت كندة وجعلت أرديتها بسطًا من بابه إلى باب الأشعث[١]، وقد مات الأشعث من بعد مقتل علي بأربعين ليلة، وصلى عليه الحسن بن علي بن أبي طالب[٢]، وهو زوج بنت الأشعث بن قيس[٣]، ولم ينقل عن آل علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أنهم اتهموا الأشعث بهذه التهمة أو كاشفوا أحدًا من آل الأشعث بهذا السبب، ويظل قتل علي عملاً من تدبير الخوارج جاء في الأرجح ثأرًا لقتلى النهروان[٤].

١٥ - خطورة الفرق الضالة والفرق المنحرفة علي المسلمين:

إن الفرق الضالة والطوائف المنحرفة عندما تنتشر في بلاد الإسلام تعرض أهله للخطر، وتهدد الأمن والاستقرار وتشكك الناس في عقيدتهم، وتعيث في الأرض فسادًا وخرابًا، وتلك هي حال الخوارج المارقين الذين خرجوا على علي رضي الله عنه وكفّروه، وقتله نفرٌ منهم على حين بغتة كما بينّا ذلك من قبل، زاعمين أنهم يشرون أنفسهم بهذا الفعل ابتغاء مرضاة الله، وما عندهم في ذلك مستند ولا برهان، إن هو إلا اتباع الأهواء وطاعة الشياطين، وإذا تبين لنا مما سبق أن الخوارج قد تسببوا في قتل علي رضي الله عنه، وعرفنا مناهجهم الفاسدة فالواجب على أمة الإسلام أن تحذر منهم، وتحارب مناهجهم، ويقوم العلماء والدعاة بواجبهم في ذلك ليستقر الأمن، وتظهر أنوار السنة، وتخمد نيران البدعة، وفعل ذلك وأداؤه على الوجه الأمثل بالتمكين لعقيدة أهل السنة والجماعة، ومقارعة

---

(١) «تهذيب الكمال» (٣/ ٣٩٣، ٣٩٤)، و«الطبقات» (٦/ ٢٣).

(٢) «الكامل في التاريخ» (٣/ ٤٤٤).

(٣) «تهذيب التهذيب» (٢/ ٣٠٠).

(٤) «دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين» د. محمد بطاينة ص (٥٢).

البدعة والمبتدعين وهذا كله من أسباب نهوض المجتمعات، وهذه هي الطريقة المثلى لجمع الشمل ووحدة الصف، ومن تأمل تاريخ الإسلام الطويل، وجد أن الدول التي قامت على السنة هي التي جمعت شمل المسلمين، وقام بها الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعز به الإسلام قديمًا وحديثًا، وهذا بخلاف الدول التي قامت على البدعة، وأشاعت الفوضى والفرقة والمحدثات، وفرّقت الشمل، فهذه سرعان ما تندثر، وتنقرض[١].

١٦ - الحقد الدفين الذي امتلأت به قلوب الحاقدين من الخوارج على المؤمنين الصادقين:

الكشف عن الحقد الدفين الذي امتلأت به قلوب الحاقدين من الخوارج على المؤمنين الصادقين، دلّ عليه قول عبد الرحمن بن ملجم ـ عن سيفه ـ: والله لقد اشتريته بألف، وسممته بألف، ولو كانت هذه الضربة على جميع أهل المصر ما بقي منهم أحد[٢].

إن كلماته هذه تبرز لنا العداء السافر الذي يكنُّه هؤلاء الخوارج لا على عموم المؤمنين فحسب، بل على القادة الكبار من أمثال علي بن أبي طالب، ﷺ، الذي تجتمع في شخصه ﷺ أعظم المناقب وأجل السجايا، وانظر ـ رعاك الله ـ كيف تورد المناهج الباطلة، والأفكار المنحرفة أصحابها إلى دركات من التعاسة والشقاء، عندما يقاتلون أهل الإيمان ويدعون أهل الأوثان[٣].

١٧ ـ تأثير البيئة الفاسدة على أصحابها:

إن البيئة الفاسدة تؤثر على أصحابها حتى لو كان منهم من يحب العدل ويسعى إليه، فهذا عبد الرحمن بن ملجم يقابل شبيب بن بجرة فيقول له: هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ قال: وما ذاك؟ قال: قتل عليّ بن أبي طالب، قال: ثكلتك

---

(١) «سير الشهداء دروس وعبر»، لعبد الحميد السحيباني ص (٧٧).

(٢) «تاريخ الطبري» (٦/ ٦٢).

(٣) «سير الشهداء دروس وعبر» ص (٧٨).

أمك، لقد جئت شيئًا إدًّا، كيف تقدر على عليّ؟! قال: أكمن له في المسجد، فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه، فإن نجونا شفينا أنفسنا، وأدركنا ثأرنا، وإن قُتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها. قال: ويحك! لو كان غيرَ علي لكان أهون عليّ، قد عرفت بلاءه في الإسلام، وسابقته مع النبي ﷺ، وما أجدني أنشرح لقتله، قال: أما تعلم أنه قتل أهل النهر العباد الصالحين؟! قال: بلى، قال: فنقتله بمن قتل من إخواننا، تقول رواية الطبري: فأجابه[1].

فانظر- رعاك الله- كيف يؤثر أصحاب الآراء الضالة والأفكار المنحرفة على من يخالطونهم ويجلسون معهم؟ إنه على الرغم من أن شبيبًا لم ينشرح صدره لقتل علي رضي الله عنه لما يعلمه من بلائه في الإسلام وسابقته مع النبي ﷺ، إلا أنه استجاب لابن ملجم لما أثَّر عليه بالشبهة التي ألقاها عليه عندما ذكّره بقتل علي رضي الله عنه لإخوانه من الخوارج المارقين، فأثار فيه العاطفة تجاههم، برغم أنهم قُتلوا بالحق لا بالباطل، فاستجاب لصاحبه، وانقاد له، فكانت النتيجة: إفساد الأفكار، وتلويث السمعة، والخسران المبين، وذلك يدعو كل مسلم أن يحذر من مصاحبة من كان على نهج هؤلاء من فاسدي الاعتقاد، مُلوّثي الأفكار، وأن يسارع إلى مجالسة العلماء الربانيين الذين يعلمون الحق ويعملون به، ويرشدونه إلى ما فيه صلاحه في الدنيا والآخرة، وإنه إن لم يرض بهذه السبل القويمة وخالط أولئك المنحرفين في عقيدتهم فسيعض أصابع الندم، ولات ساعة مندم[2] كما قال الله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً**﴾ [الفرقان: ٢٧- ٣٠].

هذه بعض الدروس والعبر والفوائد من حادثة مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، العالم الرباني، الذي أفنى عمره كله خاشعًا لله تعالى، أوّاهًا منيبًا، وخط لنا طريقًا مباركًا للاقتداء والتأسي به.

---

(١) «تاريخ الطبري» (٦/ ٦٢).

(٢) «سير الشهداء دروس وعبر» ص (٧٩).

سادسًا: ما قيل في أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه من رثاء:

١ ـ ما قاله أبو الأسود الدؤلي، وقال ابن عبد البر: وأكثرهم يرويها لأم الهيثم بنت العريان النخعية أولها:

ألا يا عين ويحك أسْعِدينا ... ألا تبكي أمير المؤمنينا
تبكّي أم كلثوم عليه ... بعبرتها وقد رأت اليقينا
ألا قل للخوارج حيث كانوا ... فلا قرَّت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا ... بخير الناس طُرًّا أجمعينا
قتلتم خَيْرَ من ركب المطايا ... وذلَّلها ومن ركب السَّفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها ... ومن قرأ المثاني والمئينا
فكلُّ مناقب الخيرات فيه ... وحبّ رسول رب العالمينا
لقد علمت قريش حيث كانت ... بأنك خيرها حسبًا ودينا
إذا استقبلت وجه أبي حسين ... رأيت البدر فوق[(١)] الناظرينا
وكنّا قبل مقتله بخير ... نرى مولى رسول الله فينا
يقيم الحقَّ لا يرتاب فيه ... ويَعْدِلُ في العِدَا والأقربينا
وليس بكاتم عِلمًا لديه ... ولم يخلق من المتجبّرينا
كأن الناس إذْ فقدوا عليًّا ... نعام حار في بلد سنينا[(٢)]

٢ ـ ما قاله إسماعيل بن محمد الحميري من شعر له:

سائل قريشًا به إن كنت ذا عَمَهٍ ... من كان أثبتها في الدِّين أوتادا
من كان أقدم إسلامًا وأكثرها ... علمًا وأطهرها أهلاً وأولادا
من وحّد الله إذ كانت مكذِّبة ... تدعو مع الله أوثانًا وأندادا
من كان يقدم في الهيجاء إن نَكلوا ... عنها وإن يبخلوا في أزمة جَادا
من كان أَعْدَلَها حُكْمًا وأبسطها ... علمًا وأصدقها وعدًا وإيعادا
إن يصدقوك فلن يعدوا أبا حسن ... إن أنت لم تَلْقَ للأبرار حُسّادا
إن أنت لم تلق أقوامًا ذَوِي صَلَف ... وذا عنادٍ لحق الله جُحّادا[(٣)]

---

(١) في رواية: راق «الاستيعاب» (٣/ ١١٣٢). (٢) «الاستيعاب» (٣/ ١١٣٢). (٣) «الاستيعاب» (٣/ ١١٣٣).

٣ ـ ما قاله بكر بن حماد التاهرتي[١] ردًّا على شاعر الخوارج عمران بن حطان[٢] :

قال شاعر الخوارج عمران بن حطان :

يا ضربة من تقي ما أراد بها	إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره حينًا فأحسبه	أوفى البرية عند الله ميزانا

فقال بكر بن حمّاد التاهرتي معارضًا في ذلك :

قل لابن ملجم والأقدار غالبة	هدمت ويلك للإسلام أركانا
قتلت أفضل من يمشي على قدم	وأوّل الناس إسلامًا وإيمانا
وأعلم الناس بالقرآن ثم بما	سَنَّ الرسول لنا شرعًا وتبيانا
صهر النبي ومولاه وناصره	أضحت مناقبه نورًا وبُرهانا
وكان في الحرب سيفًا صارمًا ذكرًا	ليثًا إذا لقي الأقران أقرانا
ذكرت قاتله والدمع منحدرٌ	فقلت سبحان رب الناس سُبحانا
إني لأحسبه ما كان من بشر	يخشى المعاد ولكن كان شيطانا
أشقى مرادًا إذا عُدَّت قبائلها	وأخسر الناس عند الله ميزانا
كعاقر الناقة الأولى التي جلبت	على ثمود بأرض الحجر خسرانا
قد كان يخبرهم أنْ سوف يخضبها	قبل المنية أزمانًا فأزمانا
فلا عفا الله عنه ما تحمّله	ولا سقى قبر عمران بن حطّانا
لقوله في شقي ظل مُجترمًا	ونال ما ناله ظلمًا وعدوانا
يا ضربة من تقي ما أراد بها	إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
بل ضربة من غَويٍّ أوردته لظى	فسوف يلقى بها الرحمن غضبانا
كأنه لم يرد قصدًا بضربته	إلا ليصلى عذاب الخلد نيرانا[٣]

(١) بكر بن حماد التاهرتي نسبة إلى «تاهرت» المغربية رحل إلى المشرق وسمع مسند بن مسدد بن مسرهد ورواه عنه في المغرب وكان معاصرًا للبخاري وكان شاعرًا. الإصابة (٣/١٧٧).

(٢) عمران بن حطان الدوسي البصري من رؤساء الخوارج ومن الشعراء المفلقين توفي سنة ٨٤هـ «الإصابة» (٣/١٧٧).

(٣) «الاستيعاب» (٣/١١٢٩).

وهكذا خرج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ من هذه الدنيا بعد جهاد عظيم، وقد طويت بوفاته صفحة من أنصع صفحات التاريخ وأنقاها، فقد عرف فيه التاريخ رجلاً فذًّا من طراز فريد، كانت همته في رضا الله تعالى، وكان همه انتصار الإسلام، وأعظم أمانيه سيادة أحكام الله في دنيا الناس، وأقصى غايته تحقيق العدالة بين أفراد رعيته.

إن دراسة عهد الخلفاء الراشدين، تمد أبناء الجيل بالعزائم الراشدية، التي تعيد إلى الحياة روعة الأيام الجميلة الماضية، وبهجتها وبهاءها، وترشد الأجيال بأنه لن يصلح أواخر هذا الأمر إلا بما صلحت به أوائله، وتساعد الدعاة والعلماء وطلاب العلم على التأسي بذلك العهد الراشدي ومعرفة خصائصه ومعالمه وصفات قادته وجيله، ونظام حكمه ومنهجه في السير في دنيا الناس وذلك يساعد أبناء الأمة على إعادة دورها الحضاري من جديد.

هذا وقد انتهيت من هذا الكتاب يوم السبت الساعة الواحدة إلا خمس دقائق ظهرًا بتاريخ ١٧ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ الموافق ٧ يونيو ٢٠٠٣م والفضل لله من قبل ومن بعد، وأسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل، ويشرح صدور العباد للانتفاع به ويبارك فيه بمنه وكرمه وجوده، قال تعالى: ﴿**مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [فاطر: ٢].

ولا يسعني في نهاية هذا الكتاب إلا أن أقف بقلب خاشع منيب بفضله وكرمه وجوده، متبرئًا من حولي وقوتي؛ فالله هو المتفضِّلُ وهم المكرم وهو المعين وهو الموفِّقُ، فله الحمد على ما منّ به عليّ أولاً وآخرًا، وأسأله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يجعل عملي لوجهه خالصًا ولعباده نافعًا، وأن يثيبني على كل حرف كتبته، ويجعله في ميزان حسناتي، وأن يثيب إخواني الذين أعانوني بكافة ما يملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع، ونرجو من كل مسلم يطلع على هذا الكتاب ألا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته

ورضوانه من دعائه؛ فإن دعوة الأخ لأخيه في ظهـر الغيب مستجابة إن شاء الله تعالى. وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

سبحانك اللهم وبحمدك

أشهد أن لا إله إلا أنت

أستغفرك وأتوب إليك

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



* الخاتمة *

وبعد، فهذا ما يسره الله لي من جمع وترتيب وتحليل تضمنتها فصول هذا الكتاب الذي سميته: «أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، شخصيته وعصره»، فما كان فيه من صواب فهو محض فضل الله عليَّ فله الحمد حتى يرضى، وله الحمد عند الرضا وله الحمد بعد الرضا، وما كان فيه من خطأ فأستغفر الله تعالى وأتوب إليه، والله ورسوله بريء منه، وحسبي أني كنت حريصًا ألاَّ أقع في الخطأ وعسى ألاَّ أحرم من الأجر وأدعو الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب إخواني المسلمين، وأن يذكرني من يقرؤه في دعائه؛ فإن دعوة الأخ لأخيه في ظهر الغيب مستجابة إن شاء الله تعالى .

وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وبقول الشاعر أبي محمد القحطاني:

قل إن خير الأنبياء محمدٌ ... وأجل من يمشي على الكثبان
وأجلَّ صَحْبِ الرُّسْل صَحْبُ محمد ... وكذاك أفضل صحبه العمران(١)
رجلان قد خُلِقَا لنصر محمد ... بدمي ونفسي ذَانكَ الرّجُلان
فهما اللَّذان تظاهرا لنبيِّنا ... في نصره وهما له صهران
بنتاهما أسْنى نساء نبيِّنا ... وهما له بالوحي صاحبتان
أبواهما أسْنى صحابة أحمد ... يا حبَّذا الأبوان والبنتان
وهما وزيراه اللَّذَان هما هما ... لفضائل الأعمال مستَبِقَان
وهما لأحمد ناظراه وسمعه ... وبقربه في القبر مضطجعان
كانا على الإسلام أشفق أهله ... وهما لدين محمد جبلان
أصفاهُما أقواهُما أخشاهُما ... أتقاهُما في السِّرِّ والإعلان

(١) العمران: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

أسناهُما أزكاهُما أعلاهُما … أوفاهُما في الوزن والرّجحان

صديقُ أحمد صاحبُ الغار الذي … هو في المغارة والنبّيُّ اثنان

أعني أبا بكر الذي لم يختلف … من شرعنا في فضله رجلان

هو شيخ أصحاب النّبيِّ وخيرهم … وإمامهم حقًّا بلا بطلان

وأبو المطهرة التي تنزيهها … قد جاءنا في النُّور والفرقان

أكرم بعائشة الرِّضا من حُرَّة … بكر مطهرة الإزار حَصَان

هي زوج خير الأنبياء وبكره … وعروسه من جملة النّسوان

هي عرسه هي أنسه هي إلفه … هي حبُّهُ صدقًا بلا إدهان

أوليس والدُها يُصافي بَعلَهَا … وهُما بروح اللهِ مُؤتَلِفان

لما قضى صدِّيقُ أحمد نحبه … دفع الخلافة للإمام الثّاني

أعني به: الفاروق فَرَّقَ عَنْوةً … بالسيف بين الكفر والإيمان

هو أظهر الإسلام بعد خفائه … ومحا الظَّلاَمَ وباح بالكتمان

ومضى وخلّى الأمر شورى بينهم … في الأمر فاجتمعوا على عثمان

من كان يسهر ليلة في ركعة … وترًا فيُكْمِلُ ختمة القرآن

ولِيَ الخلافة صِهرُ أحمد بعده … أعنِي عليَّ العالم الرَّبّاني

زَوجَ البتُولِ أخا الرسولِ وركنه … ليث الحروب منازل الأقران

سبحان من جعل الخلافة رتبةً … وبنى الإمامة أيّما بنيان

واستخلف الأصحاب كي لاَ يَدَّعي … من بعد أحمد في النبوة ثانِ

أكرم بفاطمة البتول وبعلها … وبمن هما لمحمد سبطان

غُصنان أصلهما بروضة أحمد … لله درُّ الأصل والغصنان

أكرم بطلحة والزبير وسعدهم … وسعيدهم وبعابد الرحمن

وأبي عبيدة ذِي الدِّيانة والتُّقى … وامدح جماعة بيعة الرِّضوان

قل خيرَ قولٍ في صحابة أحمد … وامدح جميع الآل والنِّسوان

دع ما جرى بين الصحابة في الوغى … بسيوفهم يوم التقى الجمعان

فقتيلهم منهم وقاتلهم لهم … وكلاهما في الحشر مرحومان

والله يوم الحشر ينزعُ كُلَّ ما تحوي صدورهم من الأضغان
والويل للرّكب الذين سعوا إلى عثمان فاجتمعوا على العصيان
ويل لمن قتل الحسين، فإنه قد باءَ من مولاه بالخسران
لسنا نكفِّر مسلمًا بكبيرة فالله ذو عفو وذو غفران

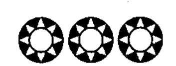
وبقول الشاعر:

أنا الفقير إلى رب البريات أنا المسكين في مجموع حالاتي
أنا الظلوم لنفسي وهي ظالمتي والخير إن يأتنا من عنده ياتي
لا أستطيع لنفسي جلب منفعة ولا عن النفس لي دفع المضرّات
والفقر لي وصف ذات لازم أبدًا كما الغنى أبدًا وصف له ذات
وهذه الحال حال الخلق أجمعهم وكلهم عنده عبد له آتِ

وبقول الشاعر:

اطلب العلم ولا تكسل فما أبعد الخير على أهل الكسل
احتفل للفقه في الدين ولا تشتغل عنه بمال وخَولْ
واهجر النوم وحصّله فمن يعرف المطلوب يحقر ما بذل
لا تقل قد ذهبت أربابه كل من سار على الدرب وصل

سبحانك اللهم وبحمدك
أشهد أن لا إله إلا أنت
أستغفرك وأتوب إليك



أحاديث ضعيفة وموضوعة
في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه

١ ـ إن الله أوحى إليّ في علي ثلاثة أشياء ليلة أسري بي أنه سيد المؤمنين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين.

(**موضوع**): السلسلة الضعيفة للألباني رقم (٣٥٣).

٢ ـ السبق ثلاثة: فالسابق إلى موسى يوشع بن نون والسابق إلى عيسى صاحب ياسين والسابق إلى محمد علي بن أبي طالب.

(**ضعيف جدًّا**) السلسلة الضعيفة رقم (٣٥٨) وضعيف الجامع رقم (٣٣٣٤).

٣ ـ علي إمام البررة وقاتل الفجرة منصور من نصره ومخذول من خذله.

(**موضوع**): السلسلة الضعيفة للألباني رقم (٣٥٧) وضعيف الجامع (٣٧٩٩).

٤ ـ لمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن ود يوم الخندق، أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة.

(**كذب**): السلسلة الضعيفة برقم (٤٠٠).

٥ ـ اللهم إن عبدك عليًّا احتبس نفسه على نبيك، فرد عليه شرقها (وفي رواية) اللهمّ إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس، قالت أسماء: فرأيتها غربت، ثم رأيتها طلعت بعدما غربت.

(**موضوع**): السلسلة الضعيفة برقم (٩٧١) للألباني.

٦ ـ إن الله أمرني بحب أربعة، وأخبرني أنه يحبهم، قيل: يا رسول الله من هم؟ (وفي رواية: سمِّهم لنا)، قال: علي منهم يقول ذلك ثلاثًا وأبو ذر وسلمان والمقداد، أمرني بحبهم، وأخبرني أنه يحبهم.

(**ضعيف**): السلسلة الضعيفة للألباني برقمي (١٥٤٩، ٣١٢٨)، وضعيف الجامع (١٥٦٦)، وضعيف سنن الترمذي (٧٧١)، وضعيف سنن ابن ماجه (٢٨)، والمشكاة (٦٢٤٩).

٧ ـ أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت بابه.

(**موضوع**): السلسلة الضعيفة برقم (٢٩٥٥) .

٨ ـ أنا عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كذاب صليت قبل الناس لسبع سنين.

(**باطل**): ضعيف سنن ابن ماجه برقم (٢٣) .

٩ ـ رحم الله عليًا الله أدار الحق معه حيث دار.

(**ضعيف جدًا**): السلسلة الضعيفة (٢٠٩٤)، وضعيف الجامع (٣٠٩٥)، وضعيف سنن الترمذي (٧٦٧)، وضعيف المشكاة (٦١٢٥) .

١٠ ـ علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا على الحوض.

(**ضعيف**): ضعيف الجامع برقم (٣٨٠٢) .

١١ ـ علي يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب المنافقين.

(**ضعيف**): ضعيف الجامع (٣٨٠٥) .

١٢ ـ ليلة أسري بي انتهيت إلى ربي عز وجل فأوحى إلي في علي بثلاث: أنه سيد المسلمين وولي المتقين وقائد الغر المحجلين.

(**موضوع**): السلسلة الضعيفة (٤٨٨٩) .

١٣ ـ يا أنس: انطلق فادع لي سيد العرب ـ يعني عليًا ـ فقالت عائشة: ألست سيد العرب؟ قال: أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب، يا معشر الأنصار ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده؟! قالوا: بلى يا رسول الله! قال: هذا علي فأحبوه بحبي وأكرموه لكرامتي، فإن جبريل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عز وجل.

(**موضوع**): السلسلة الضعيفة برقم (٤٨٩٠) .

١٤ ـ أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي.

(**موضوع**): السلسلة الضعيفة برقم (٤٨٩١) .

١٥ ـ أنا المنذر، وعلي الهادي، بك يا علي يهتدي المهتدون بعدي.

(موضوع) السلسلة الضعيفة برقم (٤٨٩٩) .

١٦ ـ لما أسري بي رأيت في ساق العرش مكتوبًا: لا إله إلا الله محمد رسول الله صفوتي من خلقي أيدته بعلي ونصرته.

(موضوع): السلسلة الضعيفة برقم (٤٩٠٢) .

١٧ ـ من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه وإلى يحيى في زهده وإلى موسى في بطشه فلينظر إلى علي.

(موضوع): السلسلة الضعيفة برقم (٤٩٠٣) .

١٨ ـ تقاتل الناكثين، والقاسطين، والمارقين: بالطرقات والنهروانات والشعفات.

(موضوع): السلسلة الضعيفة برقم (٩٠٧)

١٩ ـ نزلت هذه الآية ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] يوم غدير خم في علي.

(موضوع): السلسلة الضعيفة برقم (٤٩٢٢) .

٢٠ ـ لما نصب رسول الله عليًّا بغدير خم فنادى له بالولاية هبط جبريل بهذه الآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣].

(موضوع): السلسلة الضعيفة برقم (٤٩٢٣) .

٢١ ـ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا، يعني: عليًّا.

(موضوع): السلسلة الضعيفة برقم (٤٩٣٢) .

٢٢ ـ أنشدكم الله: هل فيكم أحد آخى رسول الله بينه وبيني ـ إذ آخى بين المسلمين ـ غيري؟ قالوا: اللهم لا.

(موضوع): السلسلة الضعيفة برقم (٤٩٤٩) .

٢٣ ـ لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فتى إلا علي.

(مكذوب): على علي منهاج السنة (٥/ ٧٠).

٢٤ ـ حب علي حسنة لا تضر معها سيئة، وبغضه سيئة لا ينفع معها حسنة.

(**مكذوب**) : على علي منهاج السنة (٥/ ٧٣).

٢٥ ـ الثقلان كتاب الله طرف بيد الله وطرف بأيديكم فتمسكوا به لا تضلوا والآخر عترتي وإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فسألت ذلك لهما ربي فلا تقدمهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فهم أعلم منكم.

(**ضعيف**) : السلسلة الضعيفة برقم (٤٩١٤) .

٢٦ ـ معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد أمان من العذاب.

(موضوع) السلسلة الضعيفة برقم (٤٩١٧) .

٢٧ ـ إن هذا أخي ووصيي وخليفتي من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا.

هذا الحديث باطل:

فيه عبد الغفار بن القاسم: قال عنه الذهبي: أبو مريم الأنصاري رافضي، ليس بثقة، قال علي بن المديني: كان يضع الحديث ميزان الاعتدال (٢/ ٦٤٠).

٢٨ ـ إن وصيي وموضع سري هو علي بن أبي طالب، وخير من أترك بعدي وينجز عدتي ويقضي ديني علي بن أبي طالب.

رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ١٤١) وعزاه إلى الطبراني وقال : فيه ناصح ابن عبد الله وهو متروك.

٢٩ ـ أنا دار الحكمة وعلي بابها.

رواه الترمذي وأبو نعيم سكت عن قول الترمذي: هذا حديث غريب منكر. . ولا نعرف هذا الحديث عن واحد من الثقات عن شريك حديث رقم (٣٧٢٣) وقال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع، مشكاة المصابيح (٣/ ١٧٧٧) وحكم ابن الجوزي بأنه مكذوب ، الموضوعات (١/ ٣٤٩).

٣٠ ـ أنت يا علي وشيعتك (أولئك هم خير البرية).

فيه أبو الجارود: زياد بن المنذر الكوفي، قال عنه الحافظ ابن حجر: رافضي كذبه يحيى ابن معين (التقريب ٢١٠١).

٣١ ـ أوحى الله إلي في علي ثلاثًا: أنه سيد المؤمنين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين.

قال الحافظ: قال الحاكم في المناقب: صحيح الإسناد. قلت: بل هو ضعيف جدًّا ومنقطع أيضًا، إتحاف المهرة (١/ ٣٤٤). وقد رد الذهبي هذا الحديث كما في تعليقه على الحديث المستدرك (٣/ ١٣٩) قائلاً بأن عمر بن الحصين العقيلي وشيخه يحيى بن العلاء الرازي متروكان، بل صرح بأن الحديث موضوع، وانظر السلسلة الضعيفة للألباني رقم (٣٥٣).

٣٢ ـ بخ بخ لك يا علي أصبحت مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة.

فيه علي بن زيد بن جدعان، قال عنه الجوزجاني: **واهي الحديث ضعيف**، الشجرة في أحوال الرجال ص (١٩٤) قال ابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (١/ ٢٢٦). هذا الحديث لا يجوز الاحتجاج به. ومن فوقه إلى أبي هريرة ضعفاء وقال البزار: تكلم فيه جماعة من أهل العلم ، كشف الأستار (٤٩٠) وقال الدارقطني: ليس بالقوي، سنن الدارقطني (١/ ١٠٣).

٣٣ ـ رحم الله عليًّا اللهم أدر الحق معه حيث دار.

رواه الحاكم وقال: **صحيح** على شرط الشيخين، المستدرك (٣/ ١٢٥) فيه المختار بن نافع التميمي قال الذهبي تعقيبًا على الحاكم: المختار ساقط. وقال الحافظ: المختار ضعيف (التقريب ٦٥٢٢).

٣٤ ـ علي أخي في الدنيا والآخرة.

(**ضعيف**): انظر: ضعيف الجامع للألباني (٣٨٠١).

٣٥ ـ علي باب حطة ومن دخله كان آمنًا.

(**موضوع**): فيه حسين الأشقر. قال البخاري: فيه نظر ، التاريخ الكبير (٢/ ٢٨٦٢) وقال: عنده مناكير التاريخ الصغير (٢/ ٣١٩). انظر: السلسلة الضعيفة للألباني(٣٩١٣).

٣٦ ـ علي خير البشر فمن أبى فقد كفر.

(موضوع): قال الحافظ ابن حجر: أخرجه ابن عدي من طرق كلها ضعيفة، تسديد القوس (٣/ ٨٩). قال الذهبي: هذا حديث منكر، ووصف الذهبي هذا الحديث بأنه باطل جلي ، ميزان الاعتدال (١/ ٥٢١) وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٣٤٨).

٣٧ ـ لقد علمت أن عليًّا أحب إليك من أبي مرتين أو ثلاثًا.

ضعفه الألباني ، ضعيف أبي داود ص (٤٩١).

٣٨ ـ مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق.

رواه الطبراني في الكبير (٣/ ٣٧)، والهيثمي (٩/ ١٦٨) في إسناده عبد الله بن داهر والحسن بن أبي جعفر وهما متروكان، قاله الهيثمي.

٣٩ ـ من أحب أن يحيا حياتي ويموت موتتي ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي عز وجل غرس قضبانها بيديه فليتول علي بن أبي طالب.

صححه الحاكم (٣/ ١٢٨) وتعقبه الذهبي وفيه القاسم متروك وشيخه ضعيف، وهو: يحيى بن العلي الأسلمي، قال الحافظ في التقريب (٧٦٧٧): شيعي ضعيف. لكنه أخطأ في ذكر اسم الأسلمي فسماه المحاربي، واستغل عبد الحسين في «المراجعات» ذلك أبشع استغلال.

٤٠ ـ ما صب الله في صدري شيئًا إلا صببته في صدر علي.

حديث **موضوع** ، الموضوعات (١/ ١٣١)، وأسنى المطالب (١٢٦٢) .

٤١ ـ محبك محبي ومحبي محب الله ومبغضك مبغضي ومبغضي مبغض الله.

قال الحافظ : رواه ابن عدي وهو **باطل**، [لسان الميزان (٢/ ١٠٩)].

❁❁❁

* المصادر والمراجع *

(أ)

١ـ **الإباضية في موكب التاريخ** ، لعلي يحيى معمر ، مكتبة وهبة .

٢ـ **أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ**، د/ إبراهيم علي شعوط ، المكتب الإسلامي ، الطبعة السادسة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

٣ـ **الإبانة في أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري** ، طبعة الجامعة الإسلامية ١٩٧٥م .

٤ـ **أبو موسى الأشعري، الصحابي العالم المجاهد**، لمحمد طهماز ، دار القلم ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩١ دمشق .

٥ـ **إتمام الوفاء بسيرة الخلفاء**، لمحمد الخضري ، دار المعرفة بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م .

٦ـ **آثار الحرب في الفقه الإسلامي**، د/ وهبة الزحيلي ، دراسة مقارنة ، دار الفكر ، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .

٧ـ **أثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصوله**، للسالوس علي أحمد السالوس ، دار وهدان للطباعة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ .

٨ـ **أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري**، د/ عبد العزيز محمد نور ولي ، دار الخضيري ، المدينة النبوية ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م .

٩ـ **الاجتهاد في الفقه الإسلامي ضوابطه ومستقبله**، لعبد السلام السليماني ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية .

١٠ـ **أحداث وأحاديث فتنة الهرج**، د/ عبد العزيز دخان ، دار التابعين بالقاهرة ، ٢٠٠٢م .

١١ـ **الإحسان في صحيح ابن حبان**، لعلاء الدين علي بن بلبان الفارسي ، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م .

١٢ـ **الأحكام السلطانية**، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب ، دار الفكر ، بيروت ، بدون تاريخ .

١٣ـ **الأحكام السلطانية**، لأبي يعلى: محمد بن الحسين تعليق: محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية / بيروت ١٤٠٣هـ .

١٤ـ **أحكام القرآن**، لأبي بكر بن العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٥ـ **إحياء علوم الدين**، للغزالي.

١٦ـ **أخبار القضاة**، لوكيع محمد بن خلف بن حيان، الطبعة الأولى، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م.

١٧ـ **الأخبار الطوال**، لأبي حنيفة أحمد بن داود، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة د/ جمال الدين الشيال، مكتبة المتنبي، بغداد.

١٨ـ **الأخلاق والسير**، لابن حزم.

١٩ـ **أخلاق النبي في القرآن والسنة**، د/ أحمد الحداد، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

٢٠ـ **الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية نشأتها وتطورها حتى منتصف القرن الثالث الهجري**، د/ سليمان ابن صالح بن سليمان آل كمال، منشورات جامعة أم القرى.

٢١ـ **الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي**، د/ محسن باقر الموسوي، الغدير، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٢ـ **أدب الدين والدنيا**، للماوردي.

٢٣ـ **الأدب الإسلامي في عهد النبوة**، لنايف معروف، دار النفائس، بيروت، لبنان.

٢٤ـ **الأدب العربي من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي**، د/ حبيب يوسف مغنية، دار مكتبة الهلال، الطبعة الأولى ١٩٩٥م، بيروت، لبنان.

٢٥ـ **إرواء الغليل تخريج أحاديث منار السبيل**، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ، نشر المكتب الإسلامي.

٢٦ـ **الأساس في السنة وفقهها**، لسعيد حوى، دار السلام، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٢٧ـ **الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار**، تحقيق د/ على نويهض، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

٢٨ـ **الاستذكار لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار**، لابن عبد البر، لجنة إحياء التراث الإسلامي.

٢٩ـ **استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري، دراسة نقدية**، د. خالد ابن محمد الغيث، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٣٠. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، لأبي عمر يوسف بن محمد بن عبد البر، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٣١. **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، لابن الأثير، تحقيق: محمد إبراهيم البنّا، مطبعة الشعب.

٣٢. **الإشراف على مذاهب أهل العلم**، للحافظ محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، بتحقيق محمد نجيب سراج الدين، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، دار إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر.

٣٣. **الإصابة في تمييز الصحابة**، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٣٤. **أصحاب الرسول** ﷺ، لمحمود المصري، مكتبة أبي حذيفة السلفي، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣٥. **أصول الدين**، لعبد القاهر البغدادي، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٤٦هـ.

٣٦. **أصول الإسماعيلية**، لويس بارنارد، ترجمه إلى العربية خليل أحمد جلوّ، جاسم، محمد الرجب، بغداد، مكتبة المثنى ١٣٦٧هـ - ١٩٤٧م.

٣٧. **أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية**، عرض ونقد د. ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، دار الرضا للنشر والتوزيع، الجيزة بمصر، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٣٨. **الاعتصام**، للشاطبي، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت سنة ١٤٠٢هـ.

٣٩. **الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة**، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، الناشر، نشاط آباد فيصل آباد، باكستان.

٤٠. **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، لفخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤٠٢هـ.

٤١. **الإعجاز والإيجاز**، لأبي منصور الثعالبي، دار الرائد العربي، بيروت.

٤٢. **إعلاء السنن**، للمحدث الناقد ظفر أحمد العثماني على ضوء ما أفاده الإمام الفقيه الشيخ أشرف علي التهانوي بتحقيق وتعليق عبد الفتاح أبو غدة، منشورات إدارة القرآن والعلوم الإسلامية باكستان.

٤٣. **الأعلام**،للزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٤م .

٤٤. **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية صيدا بيروت ، طبعة ١٤٠٧هـ .

٤٥. **أعلام النصر المبين** ، لأبي الخطاب عمر بن الحسن بن دحية الكلبي ، تحقيق د/ محمد أمحزون ، دار الغرب ، الطبعة الأولى ١٩٩٨م .

٤٦. **إفادة الأخيار ببراءة الأبرار**، محمد العربي التباني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٤م .

٤٧. **الاقتصاد في الاعتقاد**، لأبي حامد الغزالي ، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .

٤٨. **الأم**، للشافعي ، دار المعرفة ، بيروت .

٤٩. **الإمام علي بن أبي طالب**، لمحمد رشيد رضا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٥٠. **الإمام علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين**، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٥١. **الإمام الصادق**، لمحمد أبي زهرة ، دار الفكر العربي .

٥٢. **الإمامة والرد على الرافضة**، للحافظ أبي نعيم الأصبهاني ، تحقيق وتعليق د/ علي ابن محمد بن ناصر الفقيهي ، طبع مكتبة العلوم والحكم ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ .

٥٣. **الإمامة والسياسة**، المنسوب لابن قتيبة ، مؤسسة الحلبي ، القاهرة .

٥٤. **الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة**، لعبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي ، دار طيبة ، السعودية ، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ .

٥٥. **الأموال**، لأبي عبيد ، تحقيق: محمد خليل هرَّاس ، مكتبة الكليات الأزهرية .

٥٦. **أمير المؤمنين علي بن أبي طالب**، لأحمد السيد يعقوب الرفاعي ، دار الفضيلة ، القاهرة ، الطبعة الأولى .

٥٧. **انتصار الحق، مناظرة علمية مع بعض الشيعة الإمامية**، لمجدي محمد علي ، دار طيبة ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

٥٨ـ **الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال**، للدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٥٩ـ **أنس بن مالك الخادم الأمين**، لعبد الحميد طهماز، دار القلم، دمشق.

٦٠ـ **أنساب الأشراف**، لأبي الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري.

٦١ـ **الأنساب**، لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، تحقيق وتعليق الأستاذ محمد عوامة، الطبعة الأولى، نشر محمد أمين دمج، بيروت ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.

٦٢ـ **الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق**، د. علي محمد الصَّلاَّبي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٦٣ـ **الأنصار في العصر الراشدي، سياسياً وعسكرياً وفكرياً**، د/ حامد محمد خليفة، رسالة دكتوراه من كلية الآداب في جامعة بغداد لم تطبع، من صورة مصورة.

٦٤ـ **الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من خلاف**، د/ حامد محمد الخليفة، مطابع الدوحة، المدينة الرياضية، عمَّان، الأردن، الطبعة الأولى١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٦٥ـ **الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به**، للقاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني، تحقيق محمد زاهد الكوثري، الطبعة الثانية، مؤسسة الخانجي ١٣٨٢هـ.

٦٦ـ **أهل الشورى الذين اختارهم عمر** رضي الله عنه، لرياض العبد الله، دار الرشيد، بيروت، دمشق، مؤسسة الإيمان، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٦٧ـ **آية التطهير وعلاقاتها بعصمة الأئمة**، لعبد الهادي الحسيني.

(ب)

٦٨ـ **الباعث الحثيث**، شرح اختصار علوم الحديث، لإسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: أحمد شاكر، طبع مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، الطبعة الثانية ١٣٧٠هـ.

٦٩ـ **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، للعلامة علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي، الناشر زكريا علي يوسف.

٧٠ـ **بدائع الفوائد**، لابن القيم، مكتبة الرياض.

٧١ـ **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، لمحمد بن أحمد بن رشد القرطبي، طبعة ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م، مطبعة الكليات الأزهرية.

٧٢- **البداية والنهاية**، لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي دار الريان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٧٣- **بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود**، لعبد الله الجميلي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٧٤- **بيعة علي بن أبي طالب**، لأم مالك الخالدي، حسن فرحان المالكي، مركز الدراسات التاريخية، الطبعة الثالثة، عمّان.

٧٥- **البيان والتبيين**، للجاحظ، لأبي عثمان عمرو بن بحر، دار الخانجي بمصر، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

(ت)

٧٦- **تأويل مختلف الحديث**، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: محمد محيي الدين الأصفر، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٧٧- **تاج العروس من جواهر القاموس**، لمحمد مرتضى الزبيدي، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

٧٨- **التاريخ**، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: أحمد محمد نور سيف، دار المأمون للتراث.

٧٩- **تاريخ الأدب العربي في الجاهلية وصدر الإسلام**، نكلسن رينولد، ترجمة صفاء خلوصي، بغداد: مطبعة المعارف ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.

٨٠- **تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين**، لمحمد أحمد الذهبي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٨١- **التاريخ الإسلامي، مواقف وعبر**، د/ عبد العزيز عبد الله الحميدي، دار الدعوة الإسكندرية، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٨٢- **تاريخ الخلفاء** ، للسيوطي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٨٣- **تاريخ خليفة بن خياط**، أبو عمر خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي، تحقيق أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، ودار القلم، بيروت ١٣٩٧هـ.

٨٤. **تاريخ الدعوة الإسلامية**، لمحمد جميل عبد الله المصري، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٨٥. **تاريخ دمشق**، دار إحياء التراث، الطبعة الأولى.

٨٦. **التاريخ السياسي**، د/ على معطي، مؤسسة المعارف بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٨٧. **التاريخ الصغير**، للبخاري، لمحمد إسماعيل البخاري، تحقيق محمود إبراهيم زايد، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، دار المعرفة بيروت.

٨٨. **تاريخ الطبري**، لأبي جعفر، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٨٩. **تاريخ العرب**، مطول، د/ فيليب حتّى، ترجمة إدوارد جرجي، د/ جبرائيل جبور، دار الكشاف، بيروت ١٩٤٩م.

٩٠. **تاريخ عمرو بن العاص**، لحسن إبراهيم حسن، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى ١٣٤٠هـ - ١٩٢٢م.

٩١. **تاريخ القضاء في الإسلام**، د/ محمد الزحيلي، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٩٢. **تاريخ القضاعي، كتاب عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف**، للإمام القاضي محمد ابن سلامة ابن جعفر الشافعي، مطبوعات جامعة أم القرى.

٩٣. **التاريخ الكبير**، للبخاري، مؤسسة الثقافة، بيروت.

٩٤. **تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها**، لأبي بكر أحمد ابن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولي ٢٠٠١م.

٩٥. **تاريخ المذاهب**، لأبي زهرة، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى.

٩٦. **تاريخ اليعقوبي**، لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، دار بيروت، لبنان.

٩٧. **تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم**، لعلي محمد الصَّلاَّبيِّ، دار الصحابة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٩٨. **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، لمحمد بن عبد الرحمن المباركفوري، مطبعة الاعتماد، نشر محمد عبد المحسن الكتبي، تصحيح عبد الرحمن محمد عثمان.

٩٩ـ **تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الطبري والمحدثين**، تأليف د/ محمد أمحزون، دار طيبة، مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

١٠٠ـ **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، منشورات المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

١٠١ـ **تذكرة الحفاظ**، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، بيروت، دار إحياء التراث.

١٠٢ـ **تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم**، لسعد الله بن جماعة، دار الكتب العلمية.

١٠٣ـ **التذكرة في أحوال الموتى والآخرة**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، حققه وخرَّج أحاديثه فؤاد أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي.

١٠٤ـ **تراث الخلفاء الراشدين في الفقه والقضاء**، د/ صبحي محمصاني، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

١٠٥ـ **تفسير البغوي، المسمى معالم التنزيل**، لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، ومروان سوار، دار المعرفة بيروت.

١٠٦ـ **تفسير التابعين، عرض ودراسة مقارنة**، د/ محمد عبد الله علي الخضيري، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

١٠٧ـ **تفسير السعدي، المسمى تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان**، للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي تحقيق: محمد زهري النجار، المؤسسة السعدية.

١٠٨ـ **التفسير الصحيح، موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور**، د/ حكمت ابن بشير ابن ياسين، دار المآثر، المدينة النبوية، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

١٠٩ـ **تفسير الفخر الرازي**، لأبي عبد الله محمد بن عمر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية.

١١٠ـ **تفسير القرآن العظيم**، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٧٠م.

١١١ـ **تفسير القرطبي**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١١٢ـ **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، للدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

١١٣ـ **تقريب التهذيب**، لابن حجر.

١١٤ـ **التكفير جذوره وأسبابه**، د/نعمان عبد الرزاق السامرائي، دار المنارة، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

١١٥ـ **تلبيس إبليس**، لابن الجوزي، بتحقيق محمود مهدي استانبولي ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.

١١٦ـ **تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير**، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مراجعة: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، المدينة المنورة، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

١١٧ـ **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**، للقاضي أبي علي محمد بن الطيب الباقلاني، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١١٨ـ **التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان**، محمد بن يحيى بن أبي بكر المالقي الأندلسي، حققه د/محمود يوسف زايد، دار الثقافة الدوحة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١١٩ـ **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع**، لأبي الحسين محمد بن أحمد الملطي، مكتبة المثنى، بغداد ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

١٢٠ـ **تنزيه خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان من الظلم والفسق في مطالبته بدم أمير المؤمنين عثمان**، لأبي يعلي محمد، الفرّاء، تحقيق دار النبلاء عمّان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

١٢١ـ **تهذيب تاريخ دمشق**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٢٢ـ **تهذيب التهذيب**، لابن حجر العسقلاني، عن طبعة حيدر آباد.

١٢٣ـ **تهذيب الأسماء واللغات**، للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان.

١٢٤ـ **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، ليوسف عبد الرحمن المزي، بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

١٢٥ـ **التوضيح والبيان لشجرة الإيمان**، للشيخ عبد الرحمن السعدي.

١٢٦- **التوقيف على مهمات التعاريف**، لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د/ محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى، دار الفكر، ١٤١٠هـ.

١٢٧- **تيسير العزيز لشرح كتاب التوحيد**، للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد ابن عبدالوهاب، مكتبة الرياض الحديثة.

١٢٨- **تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان**، للدكتور علي محمد الصَّلاَّبيِّ، دار النشر والتوزيع، القاهرة الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(ث)

١٢٩- **الثقات**، لمحمد بن حبان بن أحمد، مكتبة مدينة العلم، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ.

١٣٠- **ثم أبصرت الحقيقة**، محمد سالم الخضر، دار الإيمان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، دار الإيمان للطباعة والنشر.

(ج)

١٣١- **جامع بيان العلم وفضله**، لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، دار الفكر، دار الكتب الإسلامية ١٤٠٢هـ.

١٣٢- **جامع بيان العلم وفضله**، لأبي عمر يوسف بن عبد البر، الطبعة الرابعة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٣٣- **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، للحافظ الخطيب البغدادي تحقيق د/ محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ.

١٣٤- **الجرح والتعديل**، لابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٢٧١هـ.

١٣٥- **جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام**، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الشهير بابن القيم الجوزية، دار القلم، بيروت، لبنان.

١٣٦- **جمع الجوامع بحاشية العطار**، للإمام ابن السبكي مع شرح الجلال المحلي/ دار الكتب العلمية - بيروت.

١٣٧- **الجهاد والقتال في السياسة الشرعية**، لمحمد خير هيكل، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١٣٨ـ **جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين**، لمحمد السيد الوكيل دار المجتمع، المدينة، الطبعة الخامسة ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

(ح)

١٣٩ـ **الحجج الدامغة لنقض كتاب المراجعات**، لأبي مريم بن محمد الأعظمي.

١٤٠ـ **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة**، للحافظ قوام السنة أبي القاسم إسماعيل الأصبهاني، د/ محمد ربيع مدخلي، ومحمد بن محمود أبو رحيم، دار الراية، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

١٤١– **حقبة من التاريخ**، لعثمان الخميس، دار الإيمان، الإسكندرية.

١٤٢ـ **حقيقة البدعة وأحكامها**، لسعيد ناصر الغامدي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١٤٣ـ **الحكم والتحاكم في خطاب الوحي**، لعبد العزيز مصطفى كامل، دار طيبة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٤٤ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، لأبي نعيم أحمد عبد الله الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤٥ـ **الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري**، لمحمد حسين الزبيدي، القاهرة ١٩٧٠م، .

١٤٦ـ **الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى**، د/ محمد ضيف الله بطاينة، دار طارق، دار الكندي، الأردن.

(خ)

١٤٧ـ **الخراج**، لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم، المكتبة السلفية، القاهرة، ط٣، ١٣٨٢هـ.

١٤٨ـ **خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب**، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق أحمد ميرين البلوشي، مكتبة المَعلا، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١٤٩ـ **خلاصة التشريع الإسلامي**، لعبد الوهاب خلاَّف، دار القلم، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

١٥٠ـ **خلاصة الخلافة الراشدة من تاريخ ابن كثير**، لمحمد كنعان، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٨م.

١٥١ـ **الخلافة بين التنظير والتطبيق**، لمحمود المرداوي، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١٥٢ـ **الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح الباري**، ليحيى بن إبراهيم اليحيى، دار الهجرة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٥٣ـ **خلافة علي بن أبي طالب** رضي الله عنه، لعبد الحميد على ناصر فقيهي، رسالة علمية قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لم تطبع حتى الآن، أشرف عليها الدكتور أكرم ضياء العمري.

١٥٤ـ **خلافة علي بن أبي طالب**، رتبه وهذبه د/ محمد بن صامل السلمي، مستخرج من البداية والنهاية، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

١٥٥ـ **الخلفاء الراشدون**، لعبد الوهاب النجار، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١٥٦ـ **خلفاء الرسول**، لخالد محمد خالد، دار ثابت، القاهرة، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

١٥٧ـ **الخوارج**، لناصر العقل، دار الوطن الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

١٥٨ـ **الخوارج، دراسة ونقد لمذهبهم**، لناصر بن عبد الله السّعوي، دار المعارج الدولية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٥٩ـ **الخوارج في العصر الأموي**، د/ نايف معروف، دار الطليعة بيروت، الطبعة الرابعة.

١٦٠ـ **الخوارج والشيعة**، يوليوس فلهاوزن.

١٦١ـ **الخليفتان عثمان وعلي بين السنة والشيعة**، أنور عيسى، لم تطبع.

١٦٢ـ **الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثنا عشرية**، محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٩٣هـ.

(د)

١٦٣ـ **دراسات تربوية في الأحاديث النبوية**، للأعظمي محمد لقمان الأعظمي الندوي، دار العبيكان الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

١٦٤ـ **دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها**، د/ ناصر بن عبد الكريم العقل ، دار إشبيلية ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م .

١٦٥ـ **دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة**، د/ عبد الرحمن الشجاع ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م . دار الفكر المعاصر ـ صنعاء .

١٦٦ـ **دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين**، د/ أحمد محمد جلي ، شركة الطباعة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

١٦٧ـ **دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين**، د .محمد ضيف الله بطاينة ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، عمان ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م .

١٦٨- **الدراهم المضروبة على الطراز الساساني للخلفاء الراشدين في المتحف العراقي**، وداد علي قزاز ، مجلة المسكوكات ، مديرية الآثار العامة ، بغداد ، الجزء (١) ، المجلد الأول ، ١٩٦٩م .

١٦٩ـ **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

١٧٠ـ **الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية**، لأبي عبد الرحمن جيلان بن خضر العروسي ، مكتبة الرشد ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م .

١٧١ـ **دعاوى الإنقاذ للتاريخ الإسلامي**، لسليمان العودة ، رسالة نشرت على الإنترنت .

١٧٢ـ **الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام**، السيد عمر ، معهد الفكر العالمي .

١٧٣ـ **دور المرأة السياسي في عهد النبي والخلفاء الراشدين**، لأسماء محمد أحمد زيادة ، دار السلام ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م .

١٧٤ـ **الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين**، د/ حمدي شاهدين ، دار القاهرة .

١٧٥ـ **الدولة الأموية**، ليوسف العشي ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ١٤٠٦ ـ ١٩٨٥م .

١٧٦ـ **الدولة والسيادة في الفقه الإسلامي**، لفتحي عبد الكريم ، مكتبة وهبة ، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .

(ذ)

١٧٧ـ **ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى**، لمحب الدين الطبري ، دار المعرفة ، بيروت .

(ر)

١٧٨ـ **رجال الفكر والدعوة**، للندوي ، دار ابن كثير .

١٧٩ـ **رجال الكشي**، لأبي عمرو محمد بن عـمر بن عبد العزيز الكشي، قدم له وعلق عليه أحمد السيد الحسيني.

١٨٠ـ **الرسالة التدمرية**، لابن تيمية، تحقيق: زهيـر الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ.

١٨١ـ **الرّواة الذين تأثروا بابن سبأ**، د/ سعد الهاشمي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

١٨٢ـ **روايات تاريخ الصحابة في ميزان الجرح والتعديل**، د/ عبد العزيز صغير دخان، طبعة أولى ١٩٩٨م الشوكاني، باليمن.

١٨٣ـ **روح المعاني**، للألوسي.

١٨٤ـ **روضة الناظر وجنة المناظر**، لابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد المقدسي، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٣٩١هـ.

١٨٥ـ **رياض النفوس للمالكي**، أبو بكر عبد الله بن محـمد المالكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، طبعة عام ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١٨٦ـ **الرياض النضرة في مناقب العشرة**، لأبي جعفـر أحمد الشهيـر بالمحب الطبري، المكتبة القيمة، القاهرة.

(ز)

١٨٧ـ **زاد المعاد**، لابن القيم، تحـقيق: شـعيب الأرناؤوط وعـبد القـادر، الطبـعة الأولى ١٣٩٩هـ، دار الرسالة.

١٨٨ـ **الزبير بن العوام الثروة والثورة**، للدكتور عبد العظيم الديب، مكتبة ابن تيمية، البحرين.

١٨٩ـ **الزهد**، لابن المبارك.

١٩٠ـ **الزهد**، للإمام أحمد بن حنبل.

١٩١ـ **زواج عمر بن الخطاب ﷺ من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب ﷺ، حقيقة وليس افتراءً**، تأليف، أبي معاذ الإسماعيلي.

(س)

١٩٢ـ **سبل السلام**، للأمير الصنعاني.

١٩٣ـ **سفراء النبي ﷺ**، لمحمود شيت خطاب مـؤسسة الريان، دار الأندلس الخضراء، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٩٤ـ **السلسلة الصحيحة**، للألباني، المكتب الإسلامي.

١٩٥ـ **السلسلة الضعيفة**، للألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

١٩٦ـ **السنة**، لأبي بكر أحمد بن محمد الخلال، تحقيق: د/عطية الزهراني، دار الراية، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

١٩٧ـ **السنة**، لعبد الله بن أحمد بن حنبل، تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٩٨ـ **السنة ومكانتها في التشريع**، د/مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١٩٩ـ **سنن ابن ماجه**، للحافظ أبي عبد الله محمد بن زيد القزويني، دار الفكر.

٢٠٠ـ **سنن أبي داود**، للإمام أبي داود سليمان السجستاني، تحقيق وتعليق: عزت الدعاس ١٣٩١هـ، سوريا.

٢٠١ـ **سنن الترمذي**، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، دار الفكر ١٣٩٨هـ.

٢٠٢ـ **سنن النسائي**، لأحمد بن شعيب بن علي بن بحر بن سنان بن دينار النسائي بشرح جلال الدين السيوطي، وحاشية الإمام السندي، ط١، ١٣٤٨هـ ـ ١٩٣٠م دار الفكر بيروت.

٢٠٣ـ **سنن سعيد بن منصور**، دار الصمعي، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

٢٠٤ـ **سورة الحجرات**، د/ناصر العمر، دار الصديق صنعاء الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

٢٠٥ـ **السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات**، فان فولتن ترجمة حسن إبراهيم حسن، ومحمد زكي إبراهيم، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م.

٢٠٦ـ **السياسة المالية لعثمان بن عفان**، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م.

٢٠٧ـ **السياسة في إصلاح الراعي والرعية**، لابن تيمية ـ المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة ١٣٨٧هـ.

٢٠٨ـ **سير أعلام النبلاء**، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٢٠٩ـ **سير السلف**، لأبي القاسم الأصفهاني، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٢١٠ـ **سير الشهداء، دروس وعبر**، لعبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

٢١١ـ **السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة**، لمحمد أبي شهبة، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٢١٢ـ **السيرة النبوية الصحيحة**، د/ أكرم العمري، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، مكتبة المعارف والحكم، بالمدينة المنورة.

٢١٣ـ **السيرة النبوية**، لابن هشام، أبي محمد بن عبد الملك بن هشام، دار الفكر، بدون تاريخ.

٢١٤ـ **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**، د/ مهدي رزق الله أحمد، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

٢١٥ـ **السيف اليماني في نحر الأصفهاني**، لوليد الأعظمي، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م، دار الوفاء، مصر.

٢١٦ـ **السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار**، للشيخ محمد بن علي الشوكاني، تحقيق محمود إبراهيم الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ١٤٥٥هـ ـ ١٩٨٥م.

(ش)

٢١٧ـ **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، لأبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر.

٢١٨ـ **شرف أصحاب الحديث**، الخطيب البغدادي، تحقيق: سعيد أوغلي، نشر دار إحياء السنة النبوية.

٢١٩ـ **شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة**، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي، تحقيق د/ أحمد سعد حمدان الغامدي، دار طيبة، الرياض.

٢٢٠ـ **شرح الصدور ببيان بدع الجنائز والقبور**، لأبي عمر عبد الله بن محمد الحمادي، مكتبة الصحابة، الشارقة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٢٢١ـ **شرح العقيدة الطحاوية**، للعلامة محمد بن علي بن محمد الأذرعي، خرج أحاديثها: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩١هـ.

٢٢٢ـ **شرح صحيح مسلم**، للإمام النووي، بيروت، دار الفكر، طبعة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٢٢٣ـ **شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد**، تحقيق حسن تميم، مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٤م.

٢٢٤ـ **شرف أصحاب الحديث**، للخطيب البغدادي، تحقيق: محمد محمد سعيد الخطيب أوغلي، دار إحياء السنة النبوية.

٢٢٥ـ **الشرك في القديم والحديث**، لأبي بكر محمد زكريا، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٢٢٦ـ **الشريعة**، للإمام المحدث أبي بكر محمد بن الحسين الآجري تحقيق د/ عبد الله ابن سليمان الدميجي، الطبعة الأولى، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٢٧ـ **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، لأبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي، مطبعة البابي الحلبي، الطبعة الأخيرة ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م.

٢٢٨ـ **الشورى بين الأصالة والمعاصرة**، لعز الدين التميمي دار البشير، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٢٢٩ـ **الشيخان أبو بكر الصديق وعمر من رواية البلاذري في أنساب الأشراف**، تحقيق د/ إحسان صديق العمد، المؤتمن للنشر، السعودية، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٣٠ـ **الشيعة والسنة**، لإحسان إلهي ظهير.

٢٣١ـ **الشيعة والقرآن**، لإحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ.

(ص)

٢٣٢ـ **الصارم المسلول على شاتم الرسول**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محيي الدين عبدالحميد، عالم الكتب، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢ م.

٢٣٣ـ **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور، الطبعة الثانية القاهرة ١٤٠٢هـ.

٢٣٤ـ **الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف**، د/ يوسف القرضاوي ـ كتاب الأمة (٢)، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٢٣٥ـ **صحيح البخاري**، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٢٣٦ـ **صحيح التوثيق في سيرة علي بن أبي طالب**، لمجدي فتحي السيد، دار الصحابة بطنطا، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٢٣٧ـ **صحيح سنن ابن ماجة**، للألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٢٣٨ـ **صحيح سنن أبي داود**، مكتب التربية العربي لدول الخليج.

٢٣٩ـ **صحيح سنن الترمذي**، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٢٤٠ـ **صحيح السيرة النبوية**، لإبراهيم العلي، دار النفائس، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٤١ـ **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٩٧٢م.

٢٤٢ـ **صحيح مسلم بشرح النووي**، المطبعة المصرية بالأزهر الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ ـ ١٩٢٩م.

٢٤٣ـ **الصحيح المسند في فضائل الصحابة**، لأبي عبد الله مصطفى العدوي، دار ابن عفّان، السعودية، الخبر، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٢٤٤ـ **صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان**، للألباني، دار الصميعي السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

٢٤٥ـ **صحيح النسائي**، للألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٢٤٦ـ **صفة الصفوة**، للإمام أبي الفرج ابن الجوزي، دار المعرفة، بيروت.

٢٤٧ـ **الصّواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة**، لأبي العباس أحمد ابن محمد بن علي ابن حجر الهيثمي، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٤٨ـ **صيد الخاطر**، لابن الجوزي.

(ض)

٢٤٩ـ **ضحى الإسلام**، لأحمد الأمين.

(ط)

٢٥٠ـ **الطبقات لابن سعد**، دار صادر، بيروت.

٢٥١ـ **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**، لابن القيم الجوزية.

(ظ)

٢٥٢ـ **ظاهرة التكفير**، الأمين الحاج محمد أحمد، مكتبة دار المطبوعات الحديثة، جدة، السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٢٥٣ـ **ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث**، لمحمد عبد الحكيم، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

(ع)

٢٥٤ـ **عائشة والسياسة**، لسعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.

٢٥٥ـ **عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام**، لسليمان بن حمد العودة، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ.

٢٥٦ـ **عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة**، لمحمد علي المعلم.

٢٥٧ـ **عبقرية علي**، لعباس محمود العقاد، المكتبة العصرية ـ بيروت.

٢٥٨ـ **العثمانية**، للجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط١ .

٢٥٩ـ **عثمان بن عفان**، لصادق عرجون، الدار السعودية، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٢٦٠ـ **عثمان بن عفان الخليفة الشاكر الصابر**، دار القلم دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

٢٦١ـ **عدة الصابرين، وذخيرة الشاكرين**، لابن القيم دار الكتب العلمية بيروت.

٢٦٢ـ **العرافة والنقابة مؤسستان اجتماعيتان مهمتان في العهد النبوي**، لمحمد يوسف الفاروقي، مجمع البحوث الإسلامية ـ الجامعة الإسلامية ـ إسلام آباد، باكستان، ١٩٨٢م.

٢٦٣ـ **العزلة والخُلطة أحكام وأحوال**، لسلمان بن فهد العودة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٢٦٤ـ **عصر الخلافة الراشدة**، د/ أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٢٦٥ـ **عقائد الثلاث والسبعين فرقة**، لأبي محمد اليمني تحقيق ودراسة: محمد عبد الله زربان الغامدي، مكتبة دار العلوم، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٢٦٦ـ **عقائد الشيعة**، رونلدسن دوايت تعريب (ع م) القاهرة، مكتبة الخانجي ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.

٢٦٧ـ **عقيدة الإمام ابن قتيبة**، د/علي بن نفيع العلياني، مكتبة الصديق، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م، السعودية.

٢٦٨ـ **العقيدة والشريعة الإسلامية**، جولد تسهير أجناس، ترجمة د/محمد يوسف موسى وآخرين، القاهرة، دار الكتب الحديثة.

٢٦٩ـ **عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام**، د/ناصر علي عائض حسن الشيخ، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٢٧٠ـ **العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط**، د/سليمان بن سالم بن رجاء السحيمي، مكتبة البخاري، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

٢٧١ـ **علي بن أبي طالب**، لخالد البيطار.

٢٧٢ـ **علي بن أبي طالب**، لعبد الستار الشيخ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

٢٧٣ـ **علي بن أبي طالب مستشار أمين للخلفاء الراشدين**، د/محمد عمر الحاجي، دار الحافظ بدمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

٢٧٤ـ **علي بن أبي طالب**، د/علي شرفي، دار الكندي أربد، الأردن، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

٢٧٥ـ **عمّار بن ياسر**، لأسامة بن أحمد سلطان، المكتبة المكية، السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٢٧٦ـ **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، لبدر الدين العيني.

٢٧٧ـ **عمرو بن العاص الأمير المجاهد**، د/منير محمد الغضبان، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٢٧٨ـ **عمرو بن العاص**، لعبد الخالق سيد أبو رابية، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٢٧٩ـ **عمرو بن العاص**، لمحمود العقاد، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٩٦٩م.

٢٨٠ـ **العواصم من القواصم**، القاضي أبو بكر بن العربي، تحقيق: محب الدين الخطيب، إعداد محمد سعيد مبيِّض، دار الثقافة، قطر، الدوحة، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م.

٢٨١ـ **عيون الأخبار**، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

(غ)

٢٨٢ـ **غزوة الحديبية**، لأبي فارس، دار الفرقان، الأردن.

٢٨٣ـ **الغلو في الدين**، د/ الصادق عبد الرحمن الغرياني، دار السلام، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٢٨٤ـ **غياث الأمم في تياث الظلم**، لإمام الحرمين الجويني، تحقيق عبد العظيم الديب، مطابع الدوحة الحديثة، قطر، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

(ف)

٢٨٥ـ **فتاوى في التوحيد**: لعبد الله بن جبرين.

٢٨٦ـ **فتح الباري**، المطبعة السلفية، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ.

٢٨٧ـ **فتوح الشام**، محمد عبد الله الأزدي، تحقيق: عبد المنعم عبد الله عامر، نشر مؤسسة القاهرة ١٩٧٠م.

٢٨٨ـ **فتح العزيز شرح الوجيز**، للإمام أبي القاسم عبد الكريم محمد الرافعي، المطبوع في هامش المجموع.

٢٨٩ـ **فتح المغيث شرح ألفية الحديث**، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٩٠ـ **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، محمد علي الشوكاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ.

٢٩١ـ **فتنة مقتل عثمان بن عفان**، لمحمد عبد الله الغبان مكتبة العبيكان، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

٢٩٢ـ **الفتنة الكبرى علي وبنوه**، لطه حسين، دار المعارف بمصر ١٩٦٦ .

٢٩٣ـ **فرائد الكلام للخلفاء الكرام**، لقاسم عاشور، دار طويق، الرياض، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٩٤ـ **فرسان في عصر النبوة**، لأحمد خليل جمعة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م ـ اليمامة دمشق .

٢٩٥ـ **الفرق بين الفرق**، لعبد القاهر بن طاهر البغدادي، تعليق: محمد محيي الدين عبدالحميد، مكتبة محمد علي صبيح، مصر .

٢٩٦ـ **فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب**، لعلي محمد الصَّلاَّبيِّ، دار الصحابة، الإمارات، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م .

٢٩٧ـ **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، لأبي محمد بن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي، مصر .

٢٩٨ـ **فصول من السيرة النبوية**، لعبد المنعم السيد .

٢٩٩ـ **فضائل الصحابة**، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م .

٣٠٠ـ **فقه الإمام علي بن أبي طالب**، لأحمد محمد طه، رسالة مقدمة لجامعة بغداد قسم الدراسات الإسلامية الدينية، لم تطبع .

٣٠١ـ **فقه التمكين في القرآن الكريم**، لعلي محمد الصَّلاَّبيِّ، دار الوفاء المنصورة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ١٠٠٢م .

٣٠٢ـ **فقه السيرة النبوية**، لمحمد سعيد رمضان، الطبعة الحادية عشرة ١٩٩١م، دار الفكر، دمشق، سوريا .

٣٠٣ـ **الفكر الشيعي والنزعات الصوفية**، لكامل الشيبي، مكتبة النهضة، بغداد، مطابع دار التضامن ١٣٨٦هـ .

٣٠٤ـ **فن الحكم الإسلامي**، لمصطفى أبي زيد فهمي، المكتب المصري الحديث .

٣٠٥ـ **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، لعبد الرؤوف المناوي، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧٢م .

٣٠٦ـ **في ظلال الإيمان**، لصلاح عبد الفتاح الخالدي، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

٣٠٧ـ **في ظلال القرآن**، لسيد قطب، دار الشروق، الطبعة الشرعية الخامسة والعشرون ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م .

(ق)

٣٠٨. **قراءة سياسية للسيرة النبوية**، لمحمد قلعجي، دار النفائس، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، بيروت، لبنان.

٣٠٩. **القاموس المحيط**، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

٣١٠. **قصص لا تثبت**، لسليمان بن صالح الخراشي، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣١١. **قواعد في التعامل مع العلماء**، د/عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار الورّاق، السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٢هـ.

٣١٢. **القول المفيد على كتاب التوحيد**، لمحمد بن صالح العثيمين، دار العاصمة، ط١، ١٤١٥هـ.

٣١٣. **القيادة العسكرية في عهد الرسول** ﷺ، دار القلم، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(ك)

٣١٤. **الكامل في التاريخ**، لأبي الحسن علي بن أبي المكارم الشيباني، المعروف بابن الأثير، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٩م.

٣١٥. **الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي**، للحافظ أحمد بن عبد الله الجرجاني، دار الفكر للطباعة بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

٣١٦. **كتاب الفتوح**، لأبي محمد أحمد بن أعثم، الطبعة الأولى، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند ١٣٨٨هـ - ١٩٩٨م.

٣١٧. **كتاب أهل البغي من الحاوي الكبير**، لأبي الحسن الماوردي.

٣١٨. **الكشاف**، للزمخشري، جار الله محمود الزمخشري، دار المعرفة، بيروت.

٣١٩. **الكفاية**، لأحمد بن علي الخطيب، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي، تحقيق وتعليق: الدكتور أحمد عمر هاشم.

٣٢٠ـ **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، تصنيف: نديم مرعشلي أسامة مرْعشلي، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

(ل)

٣٢١ـ **لسان العرب**، لمحمد بن مكرم بن منظور، دار صادر بيروت.

٣٢٢ـ **لسان الميزان**، لابن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٢ ١٣٩٠هـ.

٣٢٣ـ **لطائف المعارف**، لابن رجب، دار ابن كثير.

٣٢٤ـ **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق**، للدكتور علي الوردي، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٦٩م.

٣٢٥ـ **لمع الأدلة في عقائد أهل السنة**، للجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، بتحقيق فوقية حسين محمود، الناشر، الدار المصرية.

٣٢٦ـ **ليس من الإسلام**، لمحمد الغزالي، دار القلم، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

(م)

٣٢٧ـ **المبسوط**، لمحمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، دار المعرفة، بيروت.

٣٢٨ـ **المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح**، للدمياطي.

٣٢٩ـ **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**، لابن حبان البستي، لمحمود إبراهيم زيد، دار المعرفة، بيروت.

٣٣٠ـ **مجلة البحوث الإسلامية**، العدد العاشر.

٣٣١ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، لنور الدين على بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت.

٣٣٢ـ **المجموع شرح المهذب**، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، مطبعة الإمام بمصر.

٣٣٣ـ **مجموعة الفتاوى**، لتقي الدين أحمد بن تيمية الحرّاني، دار الوفاء بالمنصورة، مكتبة العبيكان بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٣٣٤ـ **مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي**، والخلافة الراشدة، لمحمد حميد الله، دار النفائس، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٣٣٥. **المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخراسانية**، للشيخ حسين آل عصفور البحراني، دار المشرق العربي، بيروت، البحرين.

٣٣٦. **المحصول في علم الأصول**، لفخر الدين محمد عمر بن الحسين الرازي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٣٣٧. **المحلى بالآثار**، للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

٣٣٨. **مختصر التحفة الاثنا عشرية**، للسيد محمود شكري الألوسي، مكتبة إيشيق ـ إستانبول، تركيا، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٣٣٩. **مختصر تفسير القرآن العظيم المسمى عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير**، اختصار وتحقيق: أحمد شاكر، دار طيبة، دار الوفاء، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٣٤٠. **المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة**، للزمخشري، تحقيق: سيد إبراهيم صادق دار الحديث، طبعة ١٤٢٢ هـ- ٢٠٠١م.

٣٤١. **مختصر منهاج القاصدين**، لأحمد بن عبد الرحمن المقدسي، مكتبة البيان، دمشق ١٣٩٨هـ.

٣٤٢. **مدارج السالكين**، لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

٣٤٣. **المدونة الكبرى**، للإمام مالك بن أنس، طبعة بالأوفسيت ١٣٢٣هـ، دار صادر بيروت.

٣٤٤. **المدينة النبوية، فجر الإسلام والعصر الراشدي**، لمحمد محمد حسن شُرَّاب، دار القلم - بيروت، الدراسات الشامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٣٤٥. **المراسيل**، لابن أبي حاتم، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ.

٣٤٦. **المرتضى سيرة أمير المؤمنين أبي الحسن بن علي بن أبي طالب**، لأبي الحسن الندوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٣٤٧. **مروج الذهب ومعادن الجواهر**، لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٢م.

٣٤٨. **مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري**، ليحيى إبراهيم اليحيى، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٣٤٩. **مرويات غزوة الحديبية**، لحافظ الحكمي، دار ابن القيم، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٣٥٠. **المروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في التفسير من سورة المائدة إلى سورة الناس**، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، للطالب فهد عبدالعزيز إبراهيم الفاضل، لم تطبع.

٣٥١. **مسائل الإمام أحمد**، لأبي داود سليمان بن الأشعث، مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٥٣هـ.

٣٥٢. **مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة**، د/ ناصر بن عبد الله القفاري، دار طيبة، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ، السعودية.

٣٥٣. **المستدرك على الصحيحين**، للإمام أبي عبد الله النيسابوري بذيله التلخيص، للذهبي، طبعة دار الفكر ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

٣٥٤. **مسند أبي يعلى**، لأحمد بن علي المثنى التميمي، تحقيق: وتخريج حسين سليم أسد، الطبعة الأولى، دار المأمون للتراث، دمشق.

٣٥٥. **مسند الإمام زيد بن علي**، جمع: عبد العزيز بن إسحاق البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٣٥٦. **مسند أحمد**، تحقيق أحمد شاكر، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر، ١٣٦٨هـ.

٣٥٧. **مسند أحمد مع الفتح الرباني**، للساعاتي، أحمد عبد الرحمن الساعاتي، في ترتيب الإمام، مطبعة الفتح الرباني بالقاهرة، الطبعة الأولى.

٣٥٨. **مسند الدارمي**، لأبي محمد عبدالله الدّارمي، دار المغني، الرياض، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٣٥٩. **مشكاة المصابيح**، للبغوي.

٣٦٠. **مشكاة المصابيح**، للألباني.

٣٦١- **مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام**، لعبد اللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، دار الهداية، الرياض.

٣٦٢. **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، للرافعي، تأليف: أحمد بن محمد المقري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

٣٦٣ـ **المصنف في الأحاديث والآثار**، للحافظ أبي بكر بن أبي شيبة، طبع: الدار السلفية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، بومباي، الهند.

٣٦٤ـ **المصنف لعبد الرزاق بن همام الصنعاني**، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمى، طبع: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٣٦٥ـ **المعارف لابن قتيبة**، تحقيق: ثروت عكاشة، الطبعة الثالثة ـ دار المعارف، مصر.

٣٦٦ـ **معالم السلوك وتزكية النفوس**، لعبد العزيز محمد العبد اللطيف، دار الوطن السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٣٦٧ـ **معاوية بن أبي سفيان، صحابي كبير وملك مجاهد**، لمنير الغضبان، دار القلم دمشق، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٣٦٨ـ **معجم الأدباء**، لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت.

٣٦٩ـ **معجم الطبراني الأوسط**، لسليمان بن أحمد الطبراني، دار العربية، بغداد ١٣٩٨هـ.

٣٧٠ـ **معجم الطبراني الكبير**، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٣٧١ـ **معرفة الصحابة**، لأبي نعيم، تحقيق: محمد راضي بن حاج عثمان، مكتبة الدار في المدينة النبوية، ومكتبة الحرمين في الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٣٧٢ـ **المعرفة والتاريخ**، للفسوي، لأبي يوسف الفسوي، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مطبعة الإرشاد بغداد ١٣٩٤هـ.

٣٧٣ـ **مع الشيعة الاثنا عشرية في الأصول والفروع**، د/ علي السالوس دار التقوى، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٣٧٤ـ **المغني في الضعفاء**، للذهبي، تحقيق: نور الدين عتر.

٣٧٥ـ **المغني**، للإمام العلامة ابن قدامة المقدسي، دار الحديث القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٣٧٦ـ **المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم**، لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، يوسف بدوي، دار ابن كثير، بيروت، دمشق، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٣٧٧ـ **مفتاح دار السعادة**، لابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

٣٧٨ـ **مقاصد الشريعة الإسلامية**، د/ محمد سعد اليوبي، دار الهجرة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٣٧٩ـ **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية.

٣٨٠ـ **مقاييس اللغة**، لأبي الحسين أحمد فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٣٨١ـ **مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث**، لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح، طبع: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣٨٢ـ **المقدمة**، لابن خلدون.

٣٨٣ـ **الملل والنحل**، لأبي الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: الأستاذ أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.

٣٨٤ـ **من أصول الفكر السياسي**، محمد فتحي عثمان، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٣٨٥ـ **مناقب الإمام أحمد بن حنبل**، لأبي الفرج بن الجوزي، تحقيق: لجنة إحياء التراث، طبع دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ.

٣٨٦ـ **مناقب الشافعي**، للرازي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم، تحقيق: عبد الغني عبدالخالق، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٨٧ـ **مناقب عمر**، لابن الجوزي.

٣٨٨ـ **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٨٩ـ **المنتقى شرح موطأ الإمام مالك بن أنس**، للقاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي، طبعة مصورة على الطبعة الأولى سنة ١٣١٣هـ، مطبعة السعادة.

٣٩٠ـ **المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال**، للحافظ أبي عبد الله محمد عثمان الذهبي، مكتبة دار البيان، حققه وعلق عليه: محب الدين الخطيب.

٣٩١- **المنحة الإلهية في تهذيب الطحاوية**، لعبد الآخر حمَّاد الغنيمي، دار الصحابة، بيروت، الطبعة الثالثة جمادى الثانية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٣٩٢- **من معين السيرة**، لصالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٣٩٣- **منهاج السنة النبوية** ، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد مؤسسة قرطبة.

٣٩٤- **منهج ابن تيمية في مسألة التكفير**، للدكتور عبد المجيد بن سالم المشعبي، أضواء السلف، السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٣٩٥- **منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله**، د/ سليمان بن قاسم العيد، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٣٩٦- **منهج القرآن الكريم في إصلاح النفوس**، د/ عبده الحريري، رسالة ماجستير، جامعة بغداد ، لم تطبع.

٣٩٧- **منهج القرآن الكريم في إصلاح النفوس**، لعبده الحاج محمد الحريري رسالة مقدمة لجامعة بغداد.

٣٩٨- **منهج كتابة التاريخ الإسلامي**، لمحمد صامل العلياني السُّلمي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٣٩٩- **منهج المسعودي في كتابة التاريخ**، لسليمان بن عبد الله المديد السويكت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٥٦م .

٤٠٠- **المهدي وَفق أشراط الساعة**، للدكتور محمد أحمد إسماعيل المقدِّم، الدار العالمية، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ .

٤٠١- **المواعظ والاعتبار**، لأحمد بن علي عبد القادر المقريزي، الطبعة الثانية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، ١٩٨٧م .

٤٠٢- **الموافقات في أصول الشريعة**، لأبي إسحاق الشاطبي، تحقيق: عبد الله دراز، دار الباز مكة المكرمة.

٤٠٣- **الموسوعة الحديثية السنن الكبرى**، للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن سعيد النسائي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠١م .

٤٠٤- **الموسوعة الحديثية**، مسند الإمام أحمد بن حنبل، توزيع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م .

٤٠٥ـ **موسوعة فقه علي بن أبي طالب**، لقلعجي، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م .

٤٠٦ـ **ميزان الاعتدال**، للذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة بيروت .

(ن)

٤٠٧- **الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية**، لعبد العزيز بن إسحاق البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ .

٤٠٨ـ **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، لجمال الدين أبي المحاسن يوسف ابن تغري بردى، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة بدون تاريخ .

٤٠٩- **نساء أهل البيت**، لمنصور عبد الحكيم، المكتبة التوفيقية .

٤١٠ـ **نسب قريش**، لأبي عبد الله مصعب بن عبد الله الزبيري، دار المعارف، القاهرة .

٤١١ـ **نصب الراية لأحاديث الهداية**، لجمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف الزّيلعي، دار المأمون، القاهرة ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م .

٤١٢- **نظام الحكم في الإسلام**، لعارف أبي عبيد، دار النفائس، الأردن، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م .

٤١٣ـ **نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي**، لظافر القاسمي، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .

٤١٤- **نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين**، لحمد محمد الحمد، المؤسسة الجماعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م .

٤١٥ـ **نظام الحكومة الإسلامية**، للكتاني: المسمى التراتيب الإدارية محمد عبد الحي الكتاني الإدريسي الحسني، الأرقم بن أبي الأرقم ـ بيروت .

٤١٦ـ **نظام الخلافة في الفكر الإسلامي**، د/ مصطفى حلمي، دار الدعوة الإسكندرية .

٤١٧- **النظام السياسي في الإسلام**، للدكتور محمد أبي فارس، دار الفرقان، عمان، الأردن، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م .

٤١٨ـ **النظم الإسلامية**، لصبحي الصالح، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت، مايو ١٩٨٠ .

٤١٩ـ **النظم المالية في الإسلام**، لعيسى عبده، معهد الدراسات الإسلامية، القاهرة ١٣٩٦هـ ـ ١٣٩٧هـ .

٤٢٠- **نهاية الأرب في فنون الأدب**، لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، مطبعة كوتسا توماسي، القاهرة .

٤٢١- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة الإسلامية .

٤٢٢ـ **النهاية في الفتن والملاحم**، لابن كثير، دار المعرفة بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

٤٢٣- **نهج البلاغة**، شرح الشيخ محمد عبده، دار البلاغة، الطبعة الثامنة، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م .

٤٢٤- **النهج المبين للأصول العشرين**، لعبد الله القاسم الوشيلي، دار المجتمع، جدة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ- ١٩٩٠م .

٤٢٥ـ **النهي عن سب الأصحاب**، للمقدسي، محمد عبد الواحد المقدسي، تحقيق: عبدالرحمن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.

٤٢٦- **نيل الأوطار**، لمحمد بن علي الشوكاني، الطبعة الأخيرة، مصطفى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة .

(هـ)

٤٢٧ـ **الهبة في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين**، د/ فضل إلهي، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م مؤسسة المجريسي، الرياض.

٤٢٨ـ **هجرة الرسول وصحابته في القرآن والسنة**، لأحمد عبد الغني الجمل، دار الوفاء، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٤٢٩ـ **هدي الساري مقدمة فتح الباري**، للحافظ ابن حجر العسقلاني، المطبعة السلفية ومكتبتها .

(و)

٤٣٠ـ **وسطية أهل السنة بين الفرق**، د/ محمد باكريم، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٤٣١ـ **الوسطية في القرآن الكريم**، د/ علي محمد الصلابي، مكتبة التابعين، ٢٠٠٠م.

٤٣٢ـ **الوصية الكبرى**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار المطبعة السلفية ومكتبتها، نشر قصي محب الدين الخطيب، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ.

٤٣٣ـ **الوظيفة العقيدية للدولة الإسلامية**، لحامد عبد الماجد قويسي، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٤٣٤ـ **وفيات الأعيان وأبناء الزمان**، لابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت.

٤٣٥ـ **وقائع ندوة النظم الإسلامية**، أبو ظبي، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.

٤٣٦ـ **وقعة صفين**، لنصر بن مزاحم المنقري، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، القاهرة ١٣٨٢هـ.

٤٣٧ـ **ولاة مصر**، لأبي يوسف محمد بن يوسف الكندي، تحقيق: د/ حسين نصار، دار صادر، بيروت بدون تاريخ.

٤٣٨ـ **ولاية الشرطة في الإسلام**، د/ نمر الحميداني، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٤٣٩ـ **الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين**، د/ عبد العزيز إبراهيم العمري، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

(ي)

٤٤٠ـ **اليهود في السنة المطهرة**، لعبد الله الشقاري، دار طيبة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

❁❁❁

■ الفهرس ■

الموضوع | الصفحة

الفصل الثاني
عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في عهد الخلفاء الراشدين

الفصل الثالث

بيعة علي رضي الله عنه وأهم صفاته وحياته في المجتمع

الفصل الرابع

المؤسسة المالية والقضائية

في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وبعض اجتهاداته الفقهية

الفصل الخامس

مؤسسة الولاة في عهد أمير المؤمنين

الفصل السادس
معركتي الجمل وصفين وقضية التحكيم

*** الجزء الثاني ***

الفصل السابع

موقف أمير المؤمنين علي من الخوارج والشيعة

جميع التجهيزات الفنية لهذا الكتاب تمت
بدار التابعين للنشر والتوزيع
٤٩٣٨١٤٤